6 me Année, No . 251

Lundi - 25 - 4 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ صفر سنة ١٣٥٧ — ٢٥ ابريل سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

شم النســـيم ...

اليوم يا صديقى يوم شم النسيم ! وشم النسيم فى مصر هو عيد الطبيعة والناس ؛ والناس الذين يعيدون هذا العيد هم سكان هذا البلد الأمين من كل جنس ونحلة ؛ وهو بهذه الخصيصة يكاد لا يشبهه عيـد من أعياد الأمم . فإن أعياد الأمم إما أن تقوم لذكرى دينيـة فتكون لأهل هذا الدين ، وإما أن تقوم لذكرى وطنية فتكون لأهل هذا الوطن . أما عيد شم النسيم فهو عيد إنسانى اشتراكى سمح ، يفتح قلبه لـكل دولة ، ويخلص حبه لـكل ملة ، ويبذل أنسه لـكل جنس . فالمصريون على اختلاف الأديان ، والأجانب على تباين الأوطان ، يتلاقون فيه على بساط الربيع إخواناً فى المودة ، أخداناً فى السرور ، يتساقون راح الأنس ، ويتطارحون حديث القلوب ، ويتجردون من فوارق الدنيا ليقفوا أمام الطبيعة الصريحة أطهاراً من رجس الحياة ، أحراراً من إسار المادة ، يرتعون فى الجنة التى خلق فيها أبوهم الأول ، وينعمون بالصفاء الذى نشأت فيه أسرتهم الأولى

هذه الخصيصة التى تفرد بها هذا العيد إنما اكتسبها من طبيعة هذا الوطن الأريحى الذى طبع بنيه وساكنيه على فيض نيـــله وخصب واديه ورحب صحرائه وصفو سمائه

واعتدال جوه ووداعة طبيعته ، فجمل المصري والرومي يعيشان فى قرية ، والمسلم والمسيحى يصليان فى كنيسة ، واليهودى والألمانى يعملان فى متجر ، والتركى والأرمني يسكنان فى دار ؛ ثم يلح على هؤلاء جميعاً بالخلط والمزج والتوحيد حتى تتشابه الألوان ، وتتعرب الألسنة ، وتتقارب الطباع ، وتتحد العناصر ، فيدخلوا صرحاء خلصاء فى هيكله النقى القوى المقدس

***

فى هذا اليوم وحده من دون أيام السنة تغلق القاهرة دواوينها ومدارسها ومتاحفها ومصارفها ومتاجرها ومصانعها وحوانيتها، ثم تخرج إلى الرياض والخلوات ، خروج الحجيج إلى عرفات ؛ ولكنه حجيج وثنى لا يؤمن فى ذلك اليوم إلا بأفروديت وباخوس[١] ، فيتفيأون ظلال الروض ، ويتشربون أشعة الربيع ، ويستروحون أرج النسيم ، ويجتلون جمال الطبيعة المتبرجة فى الزهر والنهر ، ويستوعبون أسرار الحياة المبثوثة في السماء والأرض ، وينطلقون من عقال الهم والوقار والكلفة ، فيطيشون كالفراش ، ويهتفون كالطير ، ويطفرون كالأطفال ، ثم تدركهم ضرورة الحياة فيجلسون للموائد حِلَقاً وسلاسل يتهنأون بضروب الآكال وصنوف الأشربة ، حتى إذا تضلعوا شِبعًا وتحببوا رِيا[٢] قرت فيهم فورة المرح فأووا إلى أحضان الطبيعة الخادرة من حر الظهيرة . وحينئذ ترى أشتاتاً من خلق الله قد ضرب على آذانهم الكرى أو الكِظَّة أو السكر أو الفتور ، فأصبح الناس والطير والشجر قِطعاً من مادة الأرض لا يميز بعضها من بعض رقي النوع ولا سمو الفكر ولا غرور الفلسفة

***

لا أزال أشعر بحلاوة هذا الموسم فى القرية . فقد كان الشباب والأيفاع يعتقدون أن فى العشرة الأخيرة من شهر رمضان تُفتح فى السماء (طاقة القدر) لمن كتب الله لهم السعادة ، وأن فى العشرة الأولى من المحرم تطوف (بغلة العشر) فى أعقاب الليل وهى موقرة بالذهب على من كتب الله لهم الغنى ، وأن فى يوم شم النسيم تهب نفحة من الفردوس لا يتنسمها إلا من كتب الله له القوة ؛ فكانوا إذا تنفس صبح ذلك اليوم أفعموا خياشيمهم بريح البصل ليدرأوا عن أعصابهم خمود العام كله ، ثم يخرجون إلى القنوات والنهيرات يستحمون فى مائها الجارى ، ويمشون هوناً على حفافى الحقول وضفاف الترع وحواشى البساتين يجمعون الفلية والحبَق والورد وزهر النارنج وورق الليمون ، ثم ينسقون منها باقات يشدونها بأعواد السِّعد وسعف النخل ، ويدسون فيها أنوفهم من لحظة إلى لحظة ؛ ثم يقفون فى مهب النسيم الفَواح يعبُّونه عباً بالخياشيم والحلوق لعلهم يجدون فيه تلك النسمة الهاربة من ريح الجنة فيمسهم منها (عِرق الصِّبا) ، ثم يسيرون صامتين مستغرقين نشاوى يتشممون ذلك السر الإلهى المكنون فى أنفاس النهر ، وفى عبير الزروع ، وفى فوحة الرياحين ، كما يتلمس الكيميائى الخبير إكسير الحياة فى عصير العقاقير وحَلَب الأنابيق ومزيج الأشربة

فإذا أحسوا نشوة فى الروح وفتوة فى الجسم وقوة فى الأعصاب لطول ما استنشقوا الهواء الخالص ، واستيقنوا الأمل الخادع ، تسلقوا أشجار التوت فجنوا منه أطيبه ، وخضبوا أناملهم بجناه ، ونقشوا طواقيهم بصبغه ؛ ثم رجعوا إلى القرية يخطرون فى مطارف الصبا الغريض ، وكأن فى نفوسهم بالياً قد تجدد ، وفى نفوسهم ذاوياً قد انتعش . فيأكلون البيض الملون والخس الطرى والسمك المملح ، ثم ينامون وهم معتقدون أنهم ادخروا لبقية العام من القوة والصحة والفراهة مالا يهن على طول العناء وسوء الغذاء ومس المرض

ذلك شم النسيم بخصيصته ودلالته ، تراه فى المدينة والقرية يوم الصفاء المشترك والأنس المشاع . ولقد كانت لى فيه ذكرى أوذكريات لا تزال مشرق النور والسرور فى نفسى . وما كان أحب إليّ أن أقصها عليك ؛ ولكن الصفحة قد نَفِدت ، وساعة الطبع قد أفِدَت ، ورئيس المطبعة يقول : هات !

احمد حسن الزيات

(١) أفروديت إلهة الجمال ، وباخوس الهٰ الخمر

(٢) تضلع من الطعام امتلأ حتى تمددت أضلاعه . وتحبب من الشراب صار بطنه كالحب وهو الخابية

البحث عن غد

— ٢ —

للأستاذ عباس محمود العقاد

أجملنا فى المقال السابق حديث مؤلف الكتاب مع الأستاذين الكبيرين شيخ الجامع الأزهر ومدير الجامعة المصرية

وقد تحدث المؤلف إلى فئة من المصريين النابهين غير الأستاذ المراغى والأستاذ أحمد لطفى السيد فقال عن الدكتور حافظ عفيفى باشا إنه أول سفير مصرى فى بلاط « سان جيمس » وإنه طبيب أطفال مشهور ، وكان وزيراً للخارجية فى سنة ١٩٢٨ وله مكانة عالية لبعده عن التحيز ووقوفه موقف الحيدة واطلاعه الواسع فى شؤون الثقافة المصرية

قال المؤلف : « ولما أخبرته بزيارتى للشيخ المراغى قال : إننى عظيم الإعجاب بالشيخ المراغى ، وهو عندى أصلح الرجال فى وقتنا هـذا لقيادة حركة الاصلاح فى التعليم الدينى . وقد ترك الطلبة هناك عادة الجلوس على الحصير وأصبحوا يجلسون على الكراسى ، وتعودوا أن يضعوا الكتب على المناضد بدلاً من وضعها على الركب ! وهـذا كل ما هنالك من الصبغة العصرية الحديثة . فهى لم تتجاوز ذلك إلى أساليبهم وأنظمتهم ولا إلى روح تعليمهم ودراستهم ، ولا يزال الأزهر حتى اليوم معنياً بالمراسم الدينية والآراء الجدلية . والشبان يضيعون هناك سنوات غالية من أعمارهم كانوا خلقاء أن يتعلموا فيها أموراً أنفع لهم ولبلادهم على التعميم . أما مدارسنا المصرية فهى على نقصها لا تنى تتقدم تقدماً مطرداً فى سبيل التفكير العلمى الملائم لزماننا ، وهذا فى حين أن الأزهر لا يزال على سنة القرون الوسطى علماً وعملا . ومن تقاليده أن يقع الاختيار على معلميه من بين تلاميذه وطلابه المتخرجين فيه ، وسيظل متخلفاً ماداموا مصرين على هذه التقاليد . ولا رجاء لنا فى نهضة روحيـة صحيحة من جانب الدين ما دام المعلمون الدينيون بيننا ينشأون على غير النشأة المستنيرة التى ينشأ عليها الأساتذة الآخرون »

قال المؤلف : فسألته : ولماذا تحسب أن هذه النهضة الروحية ضرورية ؟

فقال : لأن الفلسفة المستقرة وراء الحياة المصرية لا بد لها من آساس روحية ، ولا تقوم هذه الآساس إلا على الإسلام ؛ وينبغى أن تقوم على إسلام صريح لا خرافة فيه . وإنما أعنى بما أقول أن تربيتنا الدينية يجب أن تكون على طبقة من الاستنارة تضارع تربيتنا فى الثقافة العامة . وقد جاءت قوة الإسـلام الدافعة فى عصره الذهبى من حقيقة واحدة : وهى أنه كان ديناً جد بسيط وجد واضح ، خلوا من التعقيد والإبهام ، فأخرج للدنيا ثقافة رفيعة ، وحول القبائل المتبدية فى فترة وجيزة إلى أمم متحضرة تعيش عيشة المدنية . ولابد للإسلام فى نهضته المقبلة من قيادة أتباعه مرة أخرى إلى الحضارة الصحيحة ؛ ولن يتسنى له ذلك إلا إذا اطرح الآراء الجامدة العتيقة والتجريدات المتخلفة من عقائد القرون الوسطى وليست هى من جوهر الدين فى شىء . عندئذ — وليس قبل هذا — يعود الإسلام وهو تلك القوة الروحية التى تفتقر إليها البلاد أشد افتقار »

فعاد المؤلف يسأل الباشا : وما هى إذن مسألة الغد فى مصر المقبلة ؟

فأجابه الباشا : مسألة الغد هى التعليم ثم التعليم كرة أخرى . وعلى أساتذتنا الدينيين والمصريين معاً ألا يقصروا تربيتهم على اقتباس العلم وحده ، بل يضيفوا إليه اقتباس الخلق والتهذيب . وعليهم أن يردوا الشعب إلى فضائل الشجاعة والصدق وحب الخير وحب الفن والمعرفة ، ونظافة العقل والبدن ، وهى الفضائل التى كانت مبعث القوة فى الإسلام . وعلى شباننا المتعلمين وهم أشباه متعلمين أن يذكروا أبداً أن الأمة من الأمم لا يجوز لها أن تنعت نفسها بالتحضر والمدنية ما عاش أبناؤها على تلك الحالة المحزنة التى يعيش فيها الفلاحون ، ولا تغيير لها قبل انقضاء زمن مديد فى التثقيف والتهذيب »

وسأله المؤلف : أيوجـد فى مصر أناس عندهم من البصيرة والشجاعة الأدبية ما يتطلبه التصدى لإصلاح البـلاد والجهر بحاجاتها ؟

قال الباشا : نعم . هناك أناس من هؤلاء ، وأذكر لك على

سبيل المثال أسماء أصدقائى لطفى السيد وحسين هيكل ومصطفى وعلى عبد الرازق وطه حسين

***

وهنا انتقل المؤلف إلى رواية الحديث الذى جرى بينه وبين الدكتورطه حسين ، وقد بدأه الدكتور بكلام يدل على تغير الشبان من الوجهة الدينية

فسأله المؤلف : أترى أن الدين لا يدخل عندكم فى حياة الشباب ؟

قال الدكتور : على النقيض . إن له لدخلا فى حياتهم ، لأن للشباب تناقضاً معروفاً ، ومن تناقضه عندنا مسلكه فى أمر الدين ، فالشبان المصريون فى مقاومتهم للنفوذ الأجنبى ، وفى شعورهم الوطنى يصدرون عن عقائد آبائهم وتقاليد أسلافهم . ولم هذا ؟ لأن القرآن فى الشرق الأدنى هو الأساس الوحيد الذي يقام عليه بناء أمة ؛ وقد أصبح شبابنا المصريون فى حياتهم الدارجة شعبة صغيرة منقطعة عن سائر الأمة . إلا أنهم يجدون أنفسهم فى القرآن على ملتقى واحد مع كل فلاح وكل بدوى فى الصحراء ؛ وهم ـ باعتمادهم على القرآن ـ يهيئون لسواد الجماهير أن يحالفوهم فى المركة السياسية ، وإنما يأخذون من القرآن أسلحتهم السياسية ولا يستمدون منه عتاد الروح »

فقاطعه المؤلف سائلاً :

وما هو موقفهم إذن من الناحية الروحية ؟

فأجاب الدكتور : « أما من الناحية الروحية فهم واقفون فى العراء . لم يهضموا فلسفتهم العقلية الحديثة لأنهم تلقوها فى الغرب بعقولهم ولم يشركوا فيها قلوبهم وضمائرهم ، ولكنهم قد انحرفوا عن جادة آبائهم فهم بمعزل عن كل مَعْلم من المعالم الروحية ، وإن كان هذا لا يعنى أنهم بمعزل عن الدين فى آمالهم ومخاوفهم »

فسأل مؤلف الكتاب : أتحسب إذن أنهم يثوبون إلى الدين فى أزماتهم الحاسمة ؟

قال : فضحك الدكتور طه حسين وقال : هـذا ما أعنيه تماماً ، فقبل الدخول إلى مشرحة الجراح ، وقبل الدخول إلى حجرة الامتحان ، يثوب المتطرف منهم فى الإيمان بالعقل إلى الإيمان بقوة فوق متناول التفكير ، أو بقوة تمين الجراح وتلهم الأستاذ الممتحن وتوحى إلى المسئول كيف يجيب ، ويعود فجأة إلى اسم الله ... »

***

وبعد مناقشة فى رأى الشيخ المراغى وفيما يحسن بالرجل المصرى أن يتخـذه من موقف فى أمور الدين ختم الدكتور حديثه قائلاً ما معناه : إن المصريين فرديون متفرقين ، ولكنهم فى المجتمع متساقون مسلسون

***

وبين الكبراء الذين حادثهم « روم لاندو » على ماهر باشا وأحمد حسنين باشا قبل أن ينتدب الأول لرآسة الديوان الملكى

فكانت خلاصة الحديث الذى أفضى به على ماهر باشا أن الشعور الوطنى قد طغى بعد الحرب على كل شعور آخر ، وأن الجيل الحديث سيعود كرة أخرى أدراجه إلى حظيرة الدين ، وأن أناساً من أبنائه يتعطشون — حتى فى هذه الآونة — إلى مورد للدين يكشفونه بأنفسهم لأنفسهم وإن كانوا لا يزالون قلة بين المجموع

قال على باشا : « نحن عرضة لكثير من الأفكار ، وفى الحياة المصرية حركات كثيرة النقائض والأضداد ، والعلم بالنتائج مستحيل . إلا أننى أحسب أننا على حق حين نري أن النزعة الدينية أقوى فى طائفة من الجيل الحديث مما كانت قبل بضع سنوات »

وسأل الأستاذ لاندو : « ماذا يصنع الآن لتحويل الوجهة التى كانت منصرفة كلها إلى الناحية السياسية ؟ »

فأشار على باشا إلى الخطة التى أعدها حين كان على رأس الحكومة لإنشاء معسكرات فى أرجاء البلاد يتعلم فيها الشباب الرياضة والأخلاق الرياضية ويأوون إليها فى كل شهر أربعة أيام ، ويتلقون فيها دروساً ومحاضرات عامة فى علم الاجتماع وشؤون الثقافة ومعارض التاريخ

ولما سأله المؤلف عن مصير هذا الاقتراح ، قال : إن الوفد أبطله حين تولى الحكومة . وعقب المؤلف قائلاً : « إن من تقاليد السياسة المصرية — أو السياسة فى معظم الأقطار الشرقية — أن الحكومة الجديدة تبطل ما استطاعت من أعمال الحكومة السابقة

ثم سأل : « ولكن الوفد له هو أيضاً مقترحاته للسمو بالجيل الحديث وتحويل جهوده . أليس كذلك ؟ فقد سمعت بالعناية المبذولة فى الألعاب وضروب الرياضة ! »

قال الباشا : نعم . إلا أن النظام الحاضر يحمل باله قبل كل شىء إلى إنجاب « الأبطال » الذين يحرزون الجوائز فى المباريات الدولية ولا يعطى الجمهور نصيبه من الرعاية ، ولا يلتفت إلى الأخلاق كما يلتفت إلى الأبدان . وما كان التعليم المتجه إلى إحياء الحاسة الدينية الاجتماعية يوماً من الأيام شاغلاً ينفع الأحزاب السياسية فى غايتها من الدعاية ، فلا سبيل إلى هذا التعليم إلا على أيدى حكومة غير حزبية أو حكومة قومية »

***

أما أحمد حسنين باشا فقد بدأ الكلام معه على تعليم صاحب الجلالة الملك فاروق . ثم استطرد إلى السماحة الدينية ومذهب الباشا فيها ، وهو مذهب يشبه مذهب محيي الدين بن العربى . وقد كانت لرحلاته فى الصحراء يد قوية فى هدايته إلى تلك الطريق الروحية

سأله الأستاذ لاندو : لقد أُخبرت أن الملك يؤدى جميع فروض الصلاة بانتظام ، فهل تعتقد أن صاحب الجلالة ذو سليقة دينية ؟

فقال الباشا : « أعتقد ذلك . وقد قال لي منذ أيام فجأة خلال الحديث : إنه يشعر براحة حقيقية فى الصلاة . وهذا شىء جدير بالتنويه والملاحظة من شاب يقوم بأعباء الملك فى سن الفتوة ، ولا سيما وصاحب الجلالة غير مطبوع على الانزواء أو الخيالات العاطفية ، ولكنه نشيط إلى الرياضة لا يميل إلى النزعات الخفية الغامضة ، وهو يحمل مصحفاً صغيراً لا يفارقه ؛ وأعلم أنه شديد الحب له والإيمان به »

***

وسنعود فى المقال التالى إلى التعقيب على أمثال هذه المباحث التى يتصدى لها بعض السائحين ، وإلى بيان الحقيقة فيما يلمحونه أو يخيل إليهم أنهم يلمحونه من دلائل الحياة الروحية وبواعث التغيير والتجديد فيها .

عباس محمود العقاد



من برجنا العاجي

لبعض القراء ملاحظات تدل أحياناً على جهل مروع بطبيعة الأدب . من ذلك أنهم يعيبون على الأديب تحدثه عن نفسه . أمثال هؤلاء القراء لا بد أن يكونوا من تلاميذ المدارس أو المتخرجين فيها حديثاً . فهم يخلطون بين « معلم المدرسة » وبين « الأديب الفنان » . فمهمة « المعلم » الأولية أن يلقن أصول المعارف وأن يفرغ فى أذهان النشء مادة بعينها بغير أن يكون لشخصه دخل فى الأمر . أما « الأديب أو الفنان » فلا يلقن شيئاً ولا ينبغي له . لأنه يخاطب قوماً مفروضاً فيهم أنهم قد جاوزوا مراحل الدرس ؛ فهو يخرج لهم عصارة العلوم والمعارف والتجارب مقطرة من خلال « نفسه » .
إن كل ما نطلبه ونرجوه من رجال الأدب والفن أن يحدثونا عن كل خلجة من خلجات نفوسهم ، وكل دقيقة من دقائق حياتهم ، وكل لمحة من لمحات أبصارهم ، وكل ناحية من نواحي إحساسهم . إن « نفس » الأديب العارية هي كل ماينبغى له أن يضعه تحت أنظارنا . ومن لم يفعل ذلك فليس مطلقاً بأديب . فالأديب هو الآدمي الوحيد الذى خلق لكى يفتح لنا نفسه لنرى من خلالها النفس البشرية قاطبة . ويتحدث لنا عن نفسه فنرى من خلال حديثه كل تجاريب الإنسانية الشاعرة . وإن كل رجال الأدب العظام ليسوا إلا آدميين حدثونا طول حياتهم عن أنفسهم ، بوسائل شتى . وأنا كقارىء لا يروقنى شىء مثل قراءة المذكرات التى يكتبها الأدباء والعظماء عن حياتهم الخاصة . والاعترافات والرسائل التى تتناول مسائل تمس أشخاصهم . فنحن فى تلك الكتابات المجردة عن أثواب التكلف والصناعة نستطيع أن نهبط إلى أغوار تلك النفوس الرحبة الفنية ، كما يهبط الغواص فجأة إلى أعماق البحار ، فيفاجىء اللآلىء فى أصدافها لم تمسها بعدُ يد غريبة ، تنتزعها لتدخل عليها بهرج الصاغة . إن الفنان إذ يحدثنا عن نفسه وفنه وحياته الخاصة إنما يقدم لنا مادة فنية غير مصنوعة . إنه يترك رداءه الرسمي ليخرج إلينا بثياب البيت فى غير كلفة كأنه صديق ، وهذا منتهى الاخلاص منه ومنتهى التكريم لنا ؟

توفيق الحكيم

مظاهر القسوة والرحمة
في الحضارات

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

أشرت فى مقالة (مجد العرب والاسلام)[١] إلى محاولة بعض المؤرخين الأوربيين إصغار مظاهر القسوة فى الحضارات الأوربية وإعظامها فى الحضارات الشرقية . ولسنا نريد أن ننكر مظاهر القسوة فى الحضارات الشرقية ، وإنما نريد ألا يكون هناك لبس ، وألا تختفى الحقيقة التاريخية ، وهى أن الحضارات الأوربية لم تكن مظاهر القسوة فيها أقل من مظاهرها فى الحضارات الشرقية . فكل تمثيل قرأناه عنه فى حضارة شرقية قرأنا مثله فى الكلام عن الحضارات الأوربية . ولا يمكن تقصى كل مظاهر القسوة فى الحضارات ؛ ولا يفيد الانسانية إخفاء الحقيقة ، والمؤرخون الذين يخفونها قد يفعلون ذلك بحسن نية لأنهم يغالطون أنفسهم فيكونون كمن يجهل الحقائق وإن كانت ماثلة أمامه . وهذه ظاهرة كثيراً ما تشاهد فى الحياة فيحسبها الناظر سوء نية وكذباً متعمداً وما هى كذلك ، وإنما هى المغالطة للنفس التى تجعل المؤرخ يفرق بين النفوس البشرية ونزعاتها فى الشرق ، وبين النفوس البشرية ونزعاتها فى الغرب . كما يفرق المؤرخون فى بعض الأحايين بين العقول البشرية وملكاتها وطرق تفكيرها فى الشرق وبينها فى الغرب ، ويبالغون فى اختلاف طرقها بحسن نية ، وإن كانت المبالغة خطأ فى البحث والاستقراء

كنا نقرأ عن الحضارة الإغريقية أنها منبع الرحمة والنور فى العالم القديم والحديث ؛ وكان بعض المؤرخين لا يسهبون فى وصف مظاهر القسوة فيها ، وإن كانت موصوفة فى مراجع التاريخ ، وإنما هم يهملون وصفها عند إثبات أن الحضارة الإغريقية منبع الرحمة والنور فى العالم ، فلا يذكرون أن تلك الحضارة كانت مؤسسة على عرق جبين الأرقاء ودمائهم ، ويهملون ذكر ما كان يحدث فى المحاكم الاغريقية إذا ادعى أحدهم دعوى على رجل وأنكر هذا الرجل الدعوى وجىء بالأرقاء الذين يملكهم هذا الرجل المنكر وعذبوا بأصناف من العذاب القاسى الشنيع كى تؤخذ اعترافاتهم وهم يعذبون حجة على سيدهم . وكان السيد إذا اعترض على تعذيب أرقائه عُدَّ معترفاً أو شبه معترف يخوفه من أن يبوح أرقاؤه وهم يعذبون بما يؤدى إلى إدانته . ومن أمثال تلك القسوة فى الحضارة الاغريقية ما كان يلاقيه الأرقاء فى المحاجر والمناجم ، ومثلهم مثل الأرقاء فى مناجم الرومان . ويكفى وصف ما لاقاه جنود أثينا الأسري عندما حاولوا غزو سراقوسة فى صقلية وفشلوا واستخدموا فى المحاجر والمناجم أرقاء . ومن مظاهر القسوة أيضاً معاملة المدينة الظافرة للمدينة المغلوبة على أمرها إذا ثارت على سيدتها ، فقد كانت المدينة الظافرة تقضى فى بعض الأحايين بقتل جميع الرجال وبيع الأطفال والنساء فى سوق الرقيق . وهذه المعاملة تذكرنا بما كان الاغريق فى العصور الحديثة يشنعون به على الأتراك ومعاملتهم لرعاياهم من الاغريق ؛ إلا أن تلك المعاملة القاسية القديمة كان يعامل بها الاغريق الاغريق . وحتى فى المدينة الواحدة كان الحزب السياسى إذا ظفر عامل الحزب المخاصم له أشنع معاملة . وهذا كان حال الحضارة الاغريقية التى كانت بالرغم من ذلك منبع الرحمة والنور فى تاريخ الحضارة الأوربية . فإذا انتقلنا إلى حضارة الرومان وجدنا أن مظاهر القسوة لم تكن أقل منها فى الحضارة الاغريقية ، فكان الأرقاء يعاملون معاملة قاسية بالرغم من القوانين التى أصدرت لحمايتهم . وكانت الأحزاب السياسية يقسو بعضها فى معاملة بعض قسوة شنيعة . وكان الظفر الحربى الرومانى نذير القسوة الشنيعة حتى بعد ذلك الظفر عند الاحتفال به وبعد الاحتفال به . وكانت الخوازيق التى يُعَيَّر بها الأتراك والشرقيون من العقوبات الرومانية ؛ وكذلك الصلب والتمثيل بالمصلوبين وهم مصلوبون . وكانت ميادين الكوليسيوم معرضاً لجنون قسوة النفس الانسانية حتى صارت من ملذات الجمهور الرومانى رؤية الوحوش وهي تفترس أجسام الأحياء وتمزقها تمزيقاً ، ورؤية حرق الأحياء كما كان المسيحيون يُحرَقون . ولم تكن مظاهر القسوة فى الحضارة مقصورة على حضارة أوربا الوثنية ، بل كانت على أفظع شكل حتى عند المتدينين من القائمين بأمور محاكم التفتيش الذين كان بعضهم يبكى رحمة بمن يعذبونهم فلا يزيدهم بكاء الرحمة إلا رغبة فى تعذيب ضحايا تلك المحاكم اعتقاداً أن ذلك التعذيب وأن تلك القسوة رحمة بالضحايا . ويقولون إن تعذيبهم فى الحياة الدنيا يقلل من عذابهم فى الآخرة ، فيكون

(١) انظر العدد ٣٤٦ من الرسالة

تعذيبهم فى الحياة الدنيا رحمة بهم ، ولم تكن مظاهر القسوة مقصورة على طائفة دينية دون الطوائف الأخرى بل اشتركوا فيها جميعاً . كما أن القوانين التى كانت تطبق فى الامور غير الدينية كانت مثقلة بروح القسوة والتعذيب. ومن العجيب أن المؤرخين الذين ينعون على الدولة الاسلامية تنفيذ الحدود ينسون أن القوانين الاوربية والمحاكم الأوربية كانت إلى قبيل الثورة الفرنسية توقع عقوبات هى نفس الحدود التى ينتقدونها في الدولة الاسلامية . فاننا نقرأ فى مؤلفات ماكولى وغير ماكولى من المؤرخين عن قطع الأيدى وجدع الأنوف وصلم الآذان وغير ذلك من أجزاء الجسم ، وقراءة وصف العقوبات التى وقعت بعد فشل ثورة دوق مونموث تكفى للدلالة على أن المؤرخين ينسون ما كان فى الحضارات الأوربية من مظاهر القسوة عند ذكرها فى الحضارات الشرقية . فاننا نقرأ كيف كانت أجسام الأحياء تقطع وتنصب أجزاؤها على النصب والمبانى والأعمدة وعند ملتقى الطرق ، فمن رءوس وأحشاء وأرجل وأيد منصوبة نتنة كانت تفسد الهواء فى انجلترة بعد ثورة دوق مونموث وغيرها من الثورات الفاشلة . والمستعمرون الأوربيون فى أمريكا حتى المتطهرون منهم لم يقصروا فى مظاهر القسوة . وقد استعرض فان لون المؤرخ الأمريكى مظاهر القسوة فى الحضارة الأوربية والأمريكية فى كتابه المسمى (تحرير الانسانية) ولا تزال آلات التعذيب في المتاحف الأوربية الخاصة بها تدل على أن النفوس فى أوربا لم تكن أقل قسوة من النفوس فى الشرق ؛ ولا نريد ذكر هذه الحقائق للغض من فضل الحضارة الأوربية . وإنما نريد تصحيح ما يشيعه بعض المؤرخين بحسن نية أو بسوء نية فيضلل ما يقولون ويؤدى إلى تخليد قسوة النفس الانسانية ، وربما كانوا أبعد الناس عن الرغبة فى تخليدها

والحقيقة أن النفس الانسانية إذا غضبت قست وأجرمت حتى ولو كان غضبها للحق أو الحرية أو الوطنية أو كرهاً للظلم . ولعل أكبر انتصار للنفس الانسانية فى المستقبل يكون انتصارها على نفسها بمنعها من الاجرام والقسوة الهمجية الوحشية عندما تغضب للحق أو الحرية أو الوطنية أو كرهاً للظلم . أنظر مثلا ما ارتكبه ثوار الثورة الفرنسية من شرب للدماء، وتمزيق أجسام الأحياء، وأكل للحوم البشرية وسلخ لجلودها والتلذذ باراقة الدماء والفخر بما كانوا يسمونه الغنائم والأسلاب من أحشاء نتنة ورءوس كانوا يضعونها على الرماح . ولم يفعل كل هذا أناس شرقيون ولا أناس من قبائل نيام نيام فى أواسط أفريقيا بل أناس غضبوا للحرية وكرهوا الظلم وكانوا يدعون إلى الحرية والاخاء والمساواة وإلى محو الشر . وهذه الثورة الفرنسية كانت مقدمة للديمقراطية الحديثة ، ولكن بعد أن كره العالم اسم الحرية زمناً وارتضى الحكومات المطلقة زمناً بسبب هذه الفظائع وهذه النذالة فى الاجرام والقسوة

ثم انظر إلى فظائع الحروب الاستعمارية وفظائع الحرب الكبرى فقد قاسى من أجلها من المحاربين ومن الأطفال والنساء آلاماً كثيرة عدد لم يقاس مثله فى الحضارات الشرقية بشهادة بعض المؤرخين الموثوق بقولهم وبشهادة المفكرين مثل هالدين وليونارد وولف

ثم انظر إلى مستقبل الانسانية وما هو منظور أن تقاسيه من الويلات بسبب الحضارة الأوربية وجشعها ومخترعاتها مما يُنسى المفكر كل مظاهر القسوة فى الحضارات الشرقية التى ينتقدها بعض المؤرخين الأوربيين . والحقيقة أن النفس الانسانية فى السلم والحرب وفى أعمالها وأقوالها اليومية لا تزال أكثر ولوعاً بالقسوة مما يظن المستعرض لها بنظرية سطحية عجلى ، كما هي أكثر ولوعاً بالمجون وقصصه وأعماله مما يظن المستعرض للأكاذيب المقررة التى هى طلاء الحضارة والتى تخفى مظاهر القسوة والمجون فى أعمال النفوس البشرية

وإنى ما ذكرت تنور المتوكل الذى عذب فيه وزيره محمد ابن عبد الملك الزيات إلا ذكرت الغلاف الحديدى ذا المسامير الذى كان يوضع فيه الأحياء فى أوربا . وما ذكرت الرقيق فى الدول الشرقية إلا ذكرت أن الرقيق كان شائعاً فى أوربا وأمريكا إلى عصور قريبة ، وإلا ذكرت أنه عند ما بدأ الرحماء يدعون إلى تحرير الرقيق ووجدوا نصراً من رجال الدين في أوربا ألفوا أعداء من رجال آخرين من رجال الدين كانوا يتذرعون بآيات من الكتاب المقدس من العهد القديم كى يزكوا بها الاستعباد ، وذكرت ما كان يقاسيه الرقيق فى الحضارات الأوربية مما يطول شرحه ووصفه ، وذكرت أن الكنيسة نفسها كانت تشترى الرقيق من الغلمان الصغار الملاح وتخصيهم ، وكانوا يسمون خصيان الكنيسة ؛ وكانت تفعل ذلك كى يرق صوتهم فيرتلون الآيات فى الصلوات

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٢٧ –

فترة جمام

نفض الرافعي يديه من المعركة بينه وبين العقاد ، ثم فاء إلى نفسه ، وعاد إلى دار كتبه يطالع ويقرأ ويتزوّد ... واختفى اسمه من الصحف والمجلات أشهراً ، كان في أثنائها يتهيأ لإتمام كتابه « أسرار الإعجاز » ، ويعمل في الوقت نفسه على جمع ما نشر من المقالات في الفترة السابقة وترتيبها ، ليخرجها كتاباً يسميه « قول معروف ... »

على أن عنايته بشأن هذين الكتابين : أسرار الإعجاز ، وقول معروف — لم يمنعه أن يكون له في كل يوم ساعات محدودة للقراءة والاطلاع . وكانت هـذه الساعات المحدودة في أكثر لياليه تمتد من المغرب إلى منتصف الليل . وأستطيع أن أقول : إن هذه الفترة على ما كان يبذل فيها من جهد ، كانت فترة جمام وراحة ، لم ينعم بمثلها فيما بقي من حياته . وكنت بصحبته يومئذ قريبَ العهد ، ولكنني كنت ألصقَ أصحابه به ؛ فكان لي في كل يوم ساعات : يقرأ لي وأستمع إليه في داره ، أو أماشيه في الجبال ، أو أجالسه في القهوة ، أو أصحبه إلى السيما . وكان عليّ في هذه الفترة وفيما بعدها من الزمن ، أن أقرأ ما يهدَى إليه من الكتب ، لأشير له إلى المواضع التي يجدي عليه أن يقرأها ، ضنًّا بوقته على قراءة ما لا يفيد . وكان لي وله في ذلك فائدة أيُّ فائدة ؛ وكثيراً ما كان يدفع إليّ بعض ما يرد إليه من الرسائل ، لأرى رأيي فيه وأشير عليه بالجواب أو أتولى ذلك بنفسي . وكانت هذه الفترة ذات أثر كبير في تكويني وتوجيهي في الأدب توجيهاً لم أكن أقصد إليه ؛ كما تأثر هو بصحبتي في هذه الفترة تأثراً وجّهه في أدب الانشاء توجيهاً لم يكن يُعرَف به منذ نشأ في الأدب قبل ذلك بثلاثين سنة ؛ فبدأ أسلوبه أكثر استواء عند عامة القراء ، وكان قبلها يُتَّهَم بالغموض والتعقيد ؛ كما عالج القصة فنجح فيها إلى حد بعيد ، إذ كانت القصـة — وما تزال — أحبّ ألوان الأدب إليّ ، على حين كان الرافعي لا يؤمن بفائدة القصـة ولا يعترف بخطرها بين أبواب الأدب الحديث . فما هو إلا أن حملته على محاولتها فأنشأ قصته الأولى ؛ ثم كأنما اكتشف نفسـه من بعدُ فصار ماينشىء من القصص هو أحبّ منشآته إليه ، وخطا بها إلى نفوس القراء خطوات ...

ومن طريف ما يُذكر في هـذا الباب أنني كنت أنشئ القصص لمجلة الرسالة ، لا أكاد أعني بشيء غيرها من موضوعات الأدب ، وكان حُسن وقْعها عند القراء يدفعني إلى الاجادة والاستمرار ؛ ولكن قارئاً واحداً كان يعيب عليّ ما أكتب ، ولا يرضى مني أن تكون القصة هي كل ما أعالج من فنون الأدب ، وكثيراً ما كان يقول لي : « يابني ، إن لك بياناً وفكراً ومعرفة ، فلماذا لا تحاول أن تكون أديباً ؟ إنه لا يليق بك أن تكون القصص هي كل ما تحاوله من ضروب الإنشاء . وإن فيك استعداداً لأكثر من ذاك . . . ! » وما زال يلحّ عليّ ويكرر هذه اللامة حتى وقع في نفسي أنني أسيء إلى نفسي بمحاولتي أن أكون قصصياً ؛ فانصرفت عن القصة ، وكانت أحبّ إليّ ، إلى فنون أخرى من الأدب ، إلا ما أنشىء من « القصص المدرسية » التي

بصوت عذب شبيه بأصوات النساء . وكان بعضهم يهلك من عذاب الخصى

وبعد فان مثل المؤرخين الأوربيين الذين ينكرون أو يصغرون من أمر مظاهر القسوة في الحضارات الأوربيـة ويكبرون أمرها في الحضارات الشرقية مثل كل إنسان في هذه الحياة الدنيا ، فان كل إنسان في هذه الحياة الدنيا يصغر ويُهوّن من أمر مظاهر القسوة التي ترتكبها نفسه ويكبر من أمر مظاهرها الصادرة عن نفوس غيره من الناس . وهو يفعل ذلك إما غفلة وعن حسن نية ، وإما يفعل ذلك وهو يدري ما يفعل . ولن تنصلح الانسانية إلا إذا امتنع تضليل النفس هذا

عبد الرحمن شكري

أؤلفها للتلاميذى على أنها وسيلة من وسائل التربية لا باب من الأدب . ثم لم يمض بعد ذلك إلا قليل ، حتى كانت القصة هى أكثر ما يعالج الرافعى من أدب الانشاء ، وكان له فيها فوَاقٌ متسق . وحلّت القصة محلها من تقديره بين أبواب الأدب ..!

وإذا كان فى أذنى الرافعى ذلك الوقر الذى يقطعه عن دنيا الناس ، فان أسلوبه فى الكتابة كان بعيداً عن فهم الكثير من ناشئة القراء . فلما اصطفاني بالودّ ، أخذت على نفسى أن أكون أذنه التى يسمع بها ما يقال عنه ، وما يرى القراء فى أسلوبه ، فكنت إذا جلست إليه ليملى علىّ أحاوره فيما يدق على الأفهام من أسلوبه ، وما تنبو عنه أسماع القراء . ثم لا أزال به حتى يغير العبارة فيجعلها أدنى إلى الفهم وأخف على السمع . وكان ينكر ذلك علىّ أول أمره ، بما فيه من اعتداد بنفسه وكبرياء ، وكان أحياناً يوشك أن يغضب ، وأنا أتلطف له وأحتال عليه ؛ ثم لم يلبث أن رضى ذلك مني ، فكان يملى على العبارة من المقال ، ثم يسألنى : « ما ذا فهمت مما كتبت ؟ » فاذا كان يطابق ما فى نفسه مضى فى إملائه ، وإلا عاد إلي ما أملاه بالتغيير والتبديل حتى يتضح المعنى ويبين المراد . وبدا فى النهاية أن يسميني — على المزاح — : العقل المتوسط من القراء ... !

* * *

لم يُنشر للرافعى فى هذه الفترة شيء ذو بال ، إلا أحاديث كان يمليها على بعض المرتزقة من كتّاب الصحف الأسبوعية . وكان له طائفة من هؤلاء الكتاب يعطف عليهم ويعينهم على العيش ، فكانوا يغدون إليه فى المحكمة ليسألوه حديثاً فيملى عليهم جوابه ثم يذهبون لينشروه حيث يشاءون ويقبضوا أجره

فى هذه الفترة ، وكَل إليه الأديب حسام الدين القدسى الورّاق تصحيح كتاب « ديوان المعانى » لأبى هلال العسكرى ، وكان قد وقع منه على نسخة خطية فطبعها بأغلاطها وتصحيفها ، ثم بدا له قبل أن يتم طبع الديوان أن يلجأ إلى الرافعى ليصحح له أغلاطه ويتم نقصه على أن ينشره فى الجزء الأخير من الكتاب

وقبِل الرافعى هذا التكليف على قلة أجره ، ليقرأ الكتاب قبل أن يقرأه الناس ، وليستمتع بلذة المعاناة فى تصحيحه وتصويب خطئه ؛ وإنها لرياضة عقلية ممتعة ، لا يستشمرها ولا يقوي عليها إلا القليل من الأدباء . ومضى فى هذا العمل شهراً أو يزيد ، وكنت معه فيه ، ثم انتكثت المعاهدة التى كانت بينه وبين القدسى فترك له كتابه بعد أن أصلح منه جزءاً غير قليل . وقد استطعت فى تلك الفترة التى صحبت فيها الرافعى وهو يحاول تصحيح الكتاب أن أعرف مقدار اطلاعه وسعة علمه وقوة بصره بأساليب العربية ؛ وقد رأيت منه فى هذا الباب أشياء عجيبة من قوة الحافظة ، وسرعة الاهتداء إلى مراجع البحث ، ومهارة الاستدال على مواضع النقص ، حتى لكأننى بازاء مكتبة دقيقة الترتيب منتظمة التبويب ما شئت من بحث هدَتك إليه قبل أن تبحث عنه . على أنه كان أحياناً يعرف موضع النقص من الكتاب ثم لا يهديه البحث إلى تتمته ، فيضع فكره موضع فكر المؤلف ليستقيم المعنى ويتساوق الكلام وأكثر ما كان يقع ذلك فى الشعر المشطور . وقد حدث مرة أن ظلّ الرافعى يبحث يوماً كاملاً عن تمام بيت من الشعر فى مظانه من كتب العربية ؛ فلما أعياه البحث جعل تمامه من نظمه ثم مضى إلى تصحيح ما بعده من الكتاب . وفجأة ترك ما هو فيه وقال : « اسمع ! ناولنى الكتاب الفلانى » فمددت يدى إلى موضعه من المكتبة فناولته إياه ، فأخذ يتصفحه قليلا ثم قال : « لقد وجدته ... هذا هو البيت الذى كنت أبحث عنه وتمامه . عد إلى ما كتبت من قبل لتصححه ! » وعدت إلى ما كتبت ، ورجعت النظر فى الكتاب الذي بين يدىّ ، فاذا تمام البيت فيما كتبت وفى الكتاب سواء ، لا يختلفان إلا فى حرف الجر ... أكان فضل هذا إلى ذاكرة الرافعى ، أم إلى قوة بصره بالشعر وبأساليب البيان ؟

* * *

ولم يكتب الرافعى فى هذه الفترة التى سبقت اشتغاله بالرسالة ، إلا بضع مقالات فى البلاغ ؛ وكان لكل مقال حافزه وداعيه :

كان السيد حسن القاياتى يكتب في جريدة « كوكب الشرق » كلمات فى موضوعات شتى من وحى الساعة وخواطر الحياة . فبدا له يوماً أن يكتب فى الموازنة بين قول الله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة ... » وقول العرب : « القتل أنفى للقتل ! » فانزلق إلى رأى ... وكان محرر الكوكب فى ذلك الوقت هو الدكتور طه حسين ، وهو من هو عند الرافعى فى

دينه وفى أدبه وفي إيمانه بقدس القرآن ... ولم يكن الرافعى يواظب يومئذ على قراءة كوكب الشرق

وجاء البريد ذات صباح إلى الرافعى برسالة من صديقه الأستاذ محمود محمد شاكر ، يلفت نظره إلى ما كتب الأستاذ القاياتى وإلى ضلاله فى تفضيل الكلمة الجاهلية على آية القرآن .. ودفع إلىّ الرافعى برسالة الأستاذ شاكر وهو يقول : « أتصدّق هـذا ؟ أيجرؤ أحد أن يقولها ، أم هى مبالغة وتهويل من محمود ؟ أم هو لم يفهم ما كتب الكاتب المسلم وحمل كلامه على غير ما يريد ؟ »

ثم بعث فى طلب الجريدة التى نشرت هذه الضلالة فجىء بها . فما كاد يقرؤها حتى اربدّ وجهه وبدا عليه الغيظ والانفعال ، ودار لسانه بين شدقيه بكلام ، ثم لم يلبث أن نهض مغضباً إلى الدار قبل موعده ، فانقطع عنى يومين ثم أرسل يستدعينى إليه ، فأملى علىّ مقالة طويلة بعنوان : « كلمة مؤمنة فى رد كلمة كافرة ! »

وكانت مقالة من عيون مقالات الرافعى ، نشرتها البلاغ فى صفحتها الأدبية . وقد أورد فيها بضعة عشر رأياً فى بيان إعجاز الآية ومبلغها من البلاغة بإزاء الكلمة الجاهلية ، وقد جعلها من بعدُ فصلاً من شواهد كتابه « أسرار الاعجاز » الذي لم يطبع بعد ... (١)

وقرأ الأستاذ القاياتى مقال الرافعى فى الرد عليه ، فاقتنع بها فيما بينه وبين نفسه ، واعترف على نفسه فى خلوته ، ولكنه لاذ بالصمت ، وكانت كرامته الأدبية أعز عليه من كرامة القرآن ، فلم يردّ عليه ولم يعترف علانيةً بما كان من خطئه فيما انزلق إليه ..!

وفتح مقال الرافعى أبواباً من القول لطائفة من الأدباء ؛ إذ كان فيما ردّ به الرافعى أن كلمة « القتل أنفى للقتل » ليست جاهلية كما يعرف قراء العربية عامة ، ولكنها نشأت في العصر العباسى لمثل ما استعملها له الأستاذ القاياتي فى معارضة القرآن ، وأسندها مخترعها إلى حكيم الجاهلية أكثم بن صيفىّ ليتمّ له قصده ؛ وجازت دعواه على قراء العربية حتى كشف الرافعي عن زيفها بعد ألف سنة !

(١) نحسن الظن كثيراً إذا زعمنا أن هذا الكتاب الفريد فى موضوعه وفى تأليفه ، سيلقى من عناية أدباء العربية ما يحملهم على محاولة طبعه فى يوم قريب ... !

كان تاريخ هذه الكلمة ميداناً للقول والمعارضة أياماً بين الرافعى وبعض الأدباء ، ثم لم ينته إلى خاتمة ؛ إذ كان الذى يعارض الرافعى فى موضوعها ليس أهلاً لمناظرته ، فلم يلبث أن شعر بالإعياء من أول شوط ، فكتب إلى الرافعى رسالة خاصة فى البريد يستعفيه ويعتذر إليه أنه مشغول البال بالاستعداد للزواج ...

* * *

وفى هذه الفترة تم إنشاء « المجمع اللغوى » وكان الرافعى يمنى نفسه بأن يكون من أعضائه ، فحال بينه وبين ما يتمنى أنه لا يسمع ؛ وإن لم يمنعه أن يكون عضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق ، وقد اختير له هو والمرحوم حافظ بك إبراهيم قبل ذلك بسنوات ، فلم يشهد جلسة من جلسانه ، ولم يشترك فى قرار قرره ، ولم يبعث إليه برسالة واحدة فى موضوع من موضوعات العلم العربى ...

وساء رأى الرافعى فى المجمع اللغوى من يوم إنشائه ، ولم يمنعه من الحملة عليه أنه كان موعوداً بأن يُختار فيه عضواً مراسلاً كما أنبأه صديقه فارس نمر باشا عضو المجمع

وافتتح المجمع ، وكان أول محرراته الأدبية برقية بالشكر إلى المرحوم الملك فؤاد

ولقيت الرافعى ذات مساء ؛ فإذا هو يرفع إلىّ جريدة البلاغ قائلاً : « إقرأ ؛ هذا أديب صغير يهاجم المجمع اللغوي فى يوم إنشائه ، ويزعم أنه لم يستطع أن يكتب برقية بريئة من الخطأ ليشكر بها منشئه ... ! »

وقرأت ، فإذا نقد عنيف ، وتهكم مر ، وسخرية لاذعة ... كانت كلمة صغيرة ولكنها ذات شأن ، وقد اختار كاتبها أن يكون توقيعه (أديب صغير) مبالغة فى السخرية والتهكم ... وأخذ الكاتب على المجمع بضع غلطات لا يتنبه لمثلها إلا أديب دارس ، له فى العربية مكان ...

وقال الرافعى : « ماذا رأيت ؟ » قلت : « نقد مر لا يبلغ به هذا المبلغ على إيجازه إلا أديب كبير ! » قال : « فمن تظنه ؟ » وكان سؤاله مشعراً بجوابه ، ولكننى كذّبت نفسى ... أيكون هو ؟ وما يحمله على أن يخفى عنى ؟ لقد كان معى أمس ، وأمس

الأول ؛ فلماذا لم يحدثني بشيء في ذلك ؟

وقلت للرافعى : « أو تعرف كاتبه ؟ » قال : « حاول أن تفكر ... لقد حاولتُ فلم أوفق ! » وكان حسبى هذه الكلمة ليزول كل شك فى نفسى ، فما كذب علىَّ الرافعى قبلها قط ... ! ولم أعرف إلا بعد أيام أنه هو ...

ورد المرحوم الأستاذ حسين والى ، وعاد الرافعى يرد ويتهكم ويسخر ، ويتحدّى المجمع اللغوىّ كله أن يرشده إلى الأطوار الاجتماعية التى مرَّت بها كلمة (حظِيَ) حتى ساغ للمجمع من بعد أن يستعملها بمعنى (ظفر) فى برقية الشكر إلى جلالة الملك ... وسكت المجمع ، وسكت الأستاذ حسين والى ، وظل الرافعي (الأديب الصغير) يكتب حتى جاءه الرجاء أن يسكت فسكت !

مقالات (الأديب الصغير) فى نقد المجمع اللغوى هى آخر ما كتب الرافعى فى النقد على أسلوبه وطريقته

***

ومما كتبه فى تلك الفترة بحث طويل فى البلاغة النبوية أنشأه إجابة لدعوة الهداية الإسلامية بالعراق ، لتنشره فى ذكرى المولد النبوى . وقد لقى الرافعى من العناء فى إنشاء هذا الفصل مالا أحسب غيره يقوى عليه . وحسبك أن تعلم أن الرافعى لم يتهيأ لكتابة هذا الفصل حتى قرأ صحيح البخارى كله قراءة دارس ، وأنفق فى ذلك بضعة عشر يوماً ، وهو وقت قليل لايتسع للقارئ العجل أن يقرأ فيه صحيح البخارى قراءة تلاوة ؛ فكيف به دارساً متمهلاً يقرأ ليتذوّق بلاغة الأسلوب ودقة المعنى ؟ ولكن ذلك ليس عجيباً من الرافعى الذى كان يقرأ كل يوم ثمانى ساعات متوالية لا يمل ، فلا ينهض عن كرسيه حتى يوجعه قلبه !

وكتب الفصل بعد ذلك فى ثلاثة أيام ، ثم دفعه إلى لأكتبه بخطى ولم يمله على ، فأنفقت فى كتابته ثلاثة أيام أخرى

هذا الفصل يملأ نحو عشرين صفحة من صفحات الرسالة ، ويصلح أن يكون خاتمة لكتاب إعجاز القرآن — لو قدر لإعجاز القرآن أن يطبع طبعة جديدة — فإنه أشبه بموضوعه وفيه تمامه

وما فرغ الرافعى من كتابة هذا الفصل ، حتى أحس بحاجته إلى الراحة بعد ما بذل من جهد ، فأغلق دار كتبه وخرج إلى الشارع يشم الهواء ، ثم لم يكد يأتى المساء حتى جاءه البريد برسالة من جمعية الكشاف المسلم بالشام ، تطلب إليه أن يعدَّ لها موضوعاً تنشره فى صحيفتها لمناسبة المولد النبوى كذلك ... !

وضاقت أخلاق الرافعى ، فهم أن يأتى الرسالة ليفرغ لنفسه بضعة أيام للاستجمام ، ثم تحرّج ، فعادت إليه ابتسامته وهو يقول : « سأفعلها قُرْبَى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو رمى بى هذا الجهد المتواصل إلى تهلكة ! » وعاد إلى مكتبه وهو متعب مكدود ... ثم أملى علىَّ مقالة « حقيقة المسلم » الذى أعاد نشره فى الرسالة بعد ذلك وجمعه إلى وحى القلم

وكتب بضع مقالات أدبية فى مجلة المقتطف

ثم دعته (الرسالة) ليكتب فصلاً عن الهجرة فى العدد الممتاز الأول لسنة ١٣٥٣هـ ، فكان ذلك أول عهده بالكتابة فيها ، ثم اتصل بها حبله ، فظل يكتب لنا كل أسبوع مقالاً أو قصة من قصصه الممتعة ، لا يفتر عن هذا الواجب إلا أن يمنعه المرض أو تشغله شاغلة من شواغل الحياة . ومات وهو يتهيأ لكتابة مقاله الأسبوعى لها ، ولكن القضاء عاجله تخلفه على مكتبه ورقة بيضاء ..!

« لها بقية » محمد سعيد العريان

آراء حرة ، لعلها طلائع معركة !

بين العقاد والرافعى

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

قرأت ما كتبه الأستاذ سعيد العريان تحت هذا العنوان فى الرسالة ، كما قرأت كل ما كتبه عن «مصطفى صادق الرافعى» قرأته تحت تأثير عامل نفسى خاص ، ذلك أنه كان لى رأى فى المرحوم صادق الرافعى ، لعل فيه شيئاً من القسوة . ولما كنت على ثقة أن هذا الرأى لم يتدخل فى تكوينه عندى أى عامل خارجى ، وإنما كان نتيجة لعدم التجاوب بين آثاره الأدبية وبينى ، فقد كنت فى حاجة لأن أسمع من أصدقاء الرافعى ما عساه يخفف شدة هذا الحكم ، ويكشف لى عن بعض حياة الرجل التى اشتركت فى تكوين أدبه ، فلعل فيها تفسيراً وتبريراً لما كنت أراه فيه ، مما يستدعى قسوة الحكم ، وشدة النفور

وكنت أخذت ألمح من كتابات الأستاذ سعيد أنه صديق له ، مطلع على الكثير من أسرار حياته ، وعوامل إنتاجه ، فقلت : اتبعه فلعلك منقلب صديقاً للرافعى أو محايداً بالنسبة له !

والقصة بين الرافعى وبينى أننى قرأت له أول ما قرأت كتابه : « حديث القمر » فأحسست بالبغضاء له . أجل بالبغضاء ، فهى أصدق كلمة تعبر عن ذلك الإحساس الذى خالجنى إذ ذاك . ولم تكن ثارت بين العقاد وبينه إذ ذاك خصومة ، ولم أكن سمعت شيئاً عنه من العقاد أوسواه ، مما قد يكون سبباً في هذه البغضاء . ولو خالجنى هذا الشعور بعد خصومته للعقاد لوجدت بعض التفسير ، فأنا لا أنكر أننى شديد الغيرة على هذا الرجل ، شديد التعصب له ، وذلك نتيجة فهم صحيح لأدبه واقتناع عميق بفطرته ، لا يؤثر فيه أن تجف العلاقات الشخصية بينى وبينه فى بعض الأحيان

ولقد كنت أكره نفسى بعد ذلك على مطالعة الرافعى ، فتزداد كراهية لهذا اللون من الأدب ، دون أن أجد التعليل . ذاك أننى كنت إلى هذا الوقت أديباً يتذوق فحسب ، لا ناقداً يستطيع التعليل ، ويصبر على التحليل

والرجل قد مات فما تحسن القسوة عليه ، ولكن لا يصح أن يكون الموت معطلاً للنقد ، ولهذا سأتحدث عنه كما لو كان حياً ، لأن الذى يعنينى منه هو إنتاجه الأدبى ، وما يبدو من نفسه خلال هذا الانتاج

كنت أشك فى « إنسانية » هذا الرجل ، قبل أن أشك فى قيمة أدبه ؛ وكنت أزعم لبعض إخوانى فى معرض المناقشة ، أنه خواء من « النفس » . وأن ذلك سبب كراهيتى له ، ولو أننى لم أره مرة واحدة ، ولم أجلس إليه

ولذلك كان همى أن أبحث فيما كتبه الأستاذ العريان عن حياته ، لا عن أدبه ؛ وكان يهمني أن أعثر فى ثنايا هذه الحياة على « نفس » وعلى « إنسانية »

ولهذا اغتبطت ، إن لم أقل دهشت ، حينما رأيت الأستاذ سعيدا يذكر للرافعى « حباً » ويحدثنا عن مظاهر هذا الحب وخطواته . ذلك أن خيالى المنبعث من قراءتى للرافعى لم يكن يطوع لى أن ألمح إمكان وجود هذه العاطفة فى حياته ؛ فالحب يتطلب قلباً ، وكنت أزعم أن ليس للرجل قلب ؛ والحب يقتضى « إنسانية » وكنت افتقدها فيه

إلى هذا الحد كان الحكم قاسياً على الرجل ، وإلى هذا الحد كان تشاؤمى فى تقديره

ولقد ظللت هكذا حتى استطعت أن أكون ناقداً ، لا يكتفى بالتذوق والاستحسان أو الاستهجان ، ولكن يعلل ما يحس ويحلله فماذا كانت النتيجة ؟

لقد عدلت حكمى قليلا ، وخفت حدته ، ولم أعد أستشعر البغض والكراهية للرجل وأدبه ، ولكن بقى الأساس سليما

كنت أنكر عليه « الانسانية » فأصبحت أنكر عليه « الطبع » ، وكنت لا أجد عنده « الأدب الفنى » ، فأصبحت لا أجد عنده « الأدب النفسى »

الرافعى أديب معجب ، فى أدبه طلاوة وقوة ، ولكنه بعدُ أدب الذهن لا أدب الطبع ؛ فيه اللمحات الذهنية الخاطفة ، واللفتات العقلية القوية ، التى تلوح للكثيرين أدباً مغرباً عميقاً

لذيذاً ، ولـكن الذى ينقصها أنه ليس وراءها ذخيرة نفسية ، ولا طبيعة حية .

لم يكن يعنى الرجل فى أدبه الحقيقة الأزلية البسيطة ، بقدر ما يعنيه أن يصور الحقيقة الوقتية محكمة النسج ، رائعة المظهر ، تشبع الذهن ويستطيبها ، ولـكنها لا تلمس القلب أو يسيغها

وكثيراً ما يختلط أدب الذهن وأدب الطبع ، إذا كان مع ذكاء وقوة . وما من شك أن الرافعي كان ذكيا قوى الذهن ، ولـكنه كان مغلقاً من ناحية الطبع والأريحية

أترى كبير فرق بين حكم الأديب وحكم الناقد ؟

قد يكون ، ولـكنهما قريبا المأخذ ، متحدا الاحساس .

* * *

وبعد فما كان يمكن أن يتفق العقاد والرافعى فى شىء ! فلـكل منهما نهج لا يلتقى مع الآخر فى شىء

العقاد أديب الطبع القوى والفطرة السليمة ، والرافعى أديب الذهن الوضاء والذكاء اللماع

والعقاد متفتح النفس ريان القلب ، والرافعى مغلق من هذه الناحية متفتح العقل وحده للفتات والومضات

والطاقة العامة لـكل منهما فى ناحيته متفاوتة بعد ذلك ، فطاقة العقاد النفسـية أقوى من طاقة الرافعى الذهنية ، وعالم العقاد والحيـاة فى نظره أشمل وأرحب بكثير من العالم الذى يعيش فيه الرافعى ويبصر الدنيا على ضوئه

وإذا لم تـكن كلمة اليوم تتسع لضرب الأمثال ، فستتسع الكلمات المقبلة للمثال بعد المثال

* * *

إنما يعنينى اليوم ما كتبه الأستاذ سعيد العريان !

ففيما كتبه وهو أخص أصدقاء الرافعي مصداق لـكثير مما تخيلته فيه ؛ وفيما كتبه عن العقاد أشياء كثيرة تستحق المراجعة ؛ وسأبين هذا وذلك

فى إباء الرافعى أن يشترى كتاب « وحى الأربعين » مع حاجته لنقده مايشير إلى ضيق الأفق النفسى الذى كان يعيش فيه ، وتصوير للون من الحقد الصغير قلما يعيش فى « نفس » رحبة الجوانب متفتحة للحياة مستعدة لقبول صورها المختلفة المتعاقبة ؛ وهذا ما كنت أتصوره من أدبه

وفى البواعث التى تدعوه لنقـد وحى الأربعين كما صورها صديقه ما يصور نظرة الرجل إلى النقد والأدب والغاية منهما ، ومدى نظرته العامة للحياة ، واتساع مداها فى نفسه ، وهو لا يبعد كثيراً عن المدى الذى تصورته له

وفى اختيار الظروف السياسية للنكاية ، دون أن يكون وراءها عقيدة ما ، إلا شفاء الحزازات ، كالمقال الذى كتبه فى الـكوكب ، وكلمة وكليمة بالرسالة ما يؤيد خـلو الرجل من « العقيدة » وهى اللازمة « للطبع » المفقود فى الرافعى ، فدوافعه فى الأدب لم تكن دوافع العقيدة والانطباع ، بمقدار ما هى وليدة الفـكر والتوليد والمماحكات

ويخطئ من يعتقد أن ما أقوله هنا مقصود به شخص الفقيد ولـكنه شىء لابد منه لتقدير أدبه على حقيقته

* * *

وفيما كتبه الأستاذ سعيد عن العقاد كثير من الجهل بطبيعة العقاد ودوافعه فى الحياة ، وعوامل الـكتابة فى نفسه

والأستاذ معذور فى هذا لأنه لم يختلط بالعقاد أولاً ، ولأن نفسه لم تتفتح لأدب العقاد فيفهمه ثانياً

ولقد كان يعيش فى بيئة الرافعي وجوه ، ويلوح لى من كتابته أن ذلك يلائم جوه الخاص ، ويناسب بيئته الروحية

وأول ما يخطئ فيه اعتقاده أن طعن العقاد على الرافعى من ناحيته الوطنية ، فى رده على نقد وحى الأربعين ، كان حيلة أملتها البراعة السياسية

ووجه الخطأ هو تصور العقاد كالرافعى فى هذه الحلة النفسية وفى وسائل الصراع ، واستعمال الحيل الذهنية ، والمناسبات العارضة لـكسب القضية !

والذين يفهمون العقاد لا يعرفون فيه هذه الصفة . ولـكنهم يعرفون طبيعة قوية مخلصة ، لا تتذرع بالحيل الذهنية ، والبراعة السياسية العارضة ، ولـكنها تتذرع بنفوذ الادراك ، وعمق الاحساس ، وشمول الشعور . فاذا اتهم العقاد الرافعى بأن نقده

لوحى الأربعين منشؤه ضغينة شخصية ، وإيحاء سياسى كما فعل ، فإنما هو معتقد هذا فى صميم نفسه ، وما يعنيه ما ينال الرافعى من الناحية السياسية ، قدر ما يعنيه « كشفه » من الناحية النفسية ، وتصوير البواعث التى تهيجه لهذا النقد اللاذع

وما عن مبدأ خلق يصدر العقاد فى هذا ، ولكن عن طبع قوى يخلق المبادئ الخلقية ، ويختار منها ما يناسبه ، ويرفض مالا يرتاح إليه ، ولو تواضع الناس عليه !

ويخطئ الأستاذ سعيد كذلك فى تسمية ما كتبه العقاد فى رده شتما وسباً للرافعى ، كما أخطأ فى تسمية ما كتبه عن مخلوف سباباً وشتائم

ويبدو أننا فى حاجة لتحديد معنى السب والشتم فى لغة الأدب ، بعيداً عن لغة القانون

فى حاجة إلى بحث هذا الوضوع على ضوء من علم النفس وعلم الأخلاق وتطبيقهما على العالم الأدبى ، فطالما سمعت وصف الكلام بهذين الوصفين ، مستمداً هذا الوصف من ألفاظ الكلام دون بحث أسبابه ، والحالة التى يعالجها

وطبيعى أن الحكم على الكلام وحده ، مجرداً عن بواعثه وملابساته حكم شكلى ، إن أرضى ذوى المواهب الذهنية ، فلن يرضى ذوى المواهب النفسية ؛ وإن أرضى العقل فلن يرضى القلب

وفى هذا عودة إلى الفوارق الأساسية بين مدرسة العقاد ومدرسة الرافعي !

كتب الرافعى عن وحى الأربعين كلاماً يعترف الأستاذ ببواعثه الأصلية ، والعقاد يعرف هذا ، ويعتقد فى صفات الرجل النفسية ، وفى نصيبه من الطبع السليم والفهم المتفتح أشد مما أعتقد أنا . ودواعيه لذلك الاعتقاد كثيرة ومفهومة ، فإذا كتب يصور الرافعى كما هو فى خيال العقاد ، وكما هو فى الحقيقة ، فليس الذنب ذنب العقاد فى قسوته ، فإنما هو يصور حقيقة ، أو على الأقل ما يعتقد هو أنه حقيقة

وإذا كتب عن « مخلوف » يتهكم به ، ويشنع بسوء فهمه للأدب ، فبعث ذلك عظم الفرق بين طاقة العقاد وطاقة مخلوف ، والحنق على أن يكون مثل هذا ناقداً لمثل ذاك

والحق أن هذا مما تضيق به الصدور . وقد كنت أنا لا العقاد مستمداً للثورة والحنق ، لو تناول بعض هؤلاء أدبى بمثل هذا الضيق فى الفهم ، والاستغلاق فى الشعور ، أو بمثل التلاعبات الذهنية ، واللفات البهلوانية ، التى تناولا بها أدب العقاد

ثم لا بد من عتب على الأستاذ سعيد فى أن يسمح لصداقته للرافعى أن تعدو على التقدير الصحيح للعقاد ، فيعرض بلقب « أمير الشعراء » الذى « ينحله » الدكتور طه حسين بك للعقاد « تملقاً » للشعب ونزولا على هواه

وما أريد أن أبحث عن بواعث الدكتور طه لإطلاق هذا اللقب ، فصلتى بالدكتور لا تزال حتى اليوم لاتسمح لى بتفسير حقيقة بواعثه . والحكم على النيات عمل عسير لا يصح الاستخفاف به ، ولكننى أتحدث عن مظهر هذا التصرف لا عن باعثه . ورأيى أن هذا اللقب غير لائق بالعقاد ، لأن المسافة بينه وبين شعراء العربية فى هذا العصر أوسع من المسافة بين السوقة والأمراء

وإننى لأكررها مرة أخرى ، وأعينها فى معرض الحقائق الواقعة لا معرض الجدل والمناقشة

قد يكون هناك كتاب يتقاربون مع العقاد ، ولكن ليس هناك شعراء فى لغة العرب يتقاربون مع العقاد

ولقد كنت هممت بإصدار بحث عن الشعراء المعاصرين ، ونظرت فى أدب جميع الشعراء الأحياء — وأنا من بينهم — ولكن عاقنى عن إصداره أن لم أجد نقط اتصال بين العقاد الذى سأكتب عنه أولاً ، وبين جميع الآخرين من الشعراء

الفرق هائل جداً ، وأكبر مما يتصوره الأكثرون ، بين طاقة هذا الشاعر والطاقات الأخرى

وسيغضب لقولتى هذه كثير من أصدقائى الشعراء المعاصرين ، ولكنهم ليسوا أكرم على من نفسى ، وأنا حسن الظن بشعرى ، — وليعذرني أنصار مبدأ التواضع — ولكننى حين أضعه أمام شعر العقاد يتلاشى ، وتحتبس نفسى عن التعبير حتى يسكن صدى شعر العقاد فى نفسى !

هذه كلمة حق وعقيدة . وسأتولى شرح الأمثلة التى تثبت كل ما أسلفته من آراء

(حلوان) سيد قطب

الرئيس الوزير إدوار هريو

رجل الأدب

بمناسبة زيارته لمصر

للأستاذ عبد العزيز عزت



هناك ثالوث من المعارف لا تنفصم أجزاؤه، إذا تحقق فى رجل كانت له صفة الإنسانية الخالدة! هذا الثالوث هو الفلسفة والسياسة والأدب؛ ذلك لأن الفلسفة تصقل الفكر إلى درجة يرتفع بها عن اضطراب مفردات الوجود الجزئية، إلى نوع من التجريد العقلى تنفذ به القريحة إلى صميم الأصول التى تحدد الأشياء فى جوهرها الدائم، واقعية كانت أم فرضية. والسياسة ضرب من المعرفة أخطأ مكيافللى فى تعريفها حين قال: «إنها وسيلة للكذب والخداع»؛ لأنها عند المفكر الأول للبشرية أفلاطون الالهى — إذ استعرنا لغة الفارابى — : هى وسيلة لتحقيق منطق العالم فى مجال عالم الاجتماع الإنسانى، فيسوده نوع من الانسجام يوجب استقرار النظام فيه؛ وتتحقق فيه «ذروة» الكمال فتستقيم حياة الإنسان. لهذا كانت السياسة هى بيت القصيد فى فلسفة أفلاطون، وكانت «المدينة» كنظام اجتماعى — إذا استعرنا لغة فستيل دى كولانج — هى المحور الأساسى الذى تدور حوله فلسفات الإغريق فى العهد القديم. والأدب، يكفى لتعريفه أن يلقى القارئ نظرة إلى جدول موضوعاته فى مؤخر كتاب العلامة الكبير لانسون عن «الأدب الفرنسى» ليرى انفهاق نواحيه والتى فى صلبها الفلسفة والسياسة؛ وذلك لأن الأديب يجب أن يعيش لتحقيق فكرة معينة فى مجتمع معين، وتأكيد مذهب ونزعة واضحة فى الفكر لا يحيد عن دعمها مرة واحدة فى بلد من البلاد، وإلا كان قلمه رخيصاً لا قيمة لما يسطره فى أسواق الأدب الرفيع؛ لأن الأدب إذا قام على العجز فى الإبصار والإدراك بمعنى أن يذهب الأديب إلى ترديد «الماضى» دون أن تدفع به عين التفكير فى حركتها إلى الأمام، كان أدبه مستذلاً تسوده النزعة التاريخية، لا يبصر قارئوه أبعد من أنوفهم؛ وإذا نظروا خلال ذلك الأدب لن يروا أمامهم إلا سراباً. وثانياً ينتاب هذا الأدب العجز فى الإدراك بمعنى انعدام الخلق الوطنى فيه، بأن يعمد واضعوه إلى تقاليد الأجانب فى أدبهم معتمدين فى ذلك على الترجمة والاقتباس، فيكون بذلك أدباً «قردياً» كله المحاكاة والتنافر مع أول إحساسات أهل الوطن، لأن الأدب كأساس نتاج فكرى يتعلق بالمشاعر والعواطف، فهو خاص له لون معين يشتق من طبائع الأمم ومميزاتها. (إقرأ كتاب فكتور هوجو وعنوانه «الأدب والفلسفة» وأيضاً ما كتبته مدام دى ستايل عن الأدب والسياسة)

فالفلسفة، والسياسة، والأدب، تتميز بعضها عن بعض ولكنها لا تنفصل، «كالمثلث» إذا ضاع أحد أضلاعه، انعدمت وحدة الوجود الهندسى فيه. كذلك «الرجل» بالمعنى الأدبى هو ذلك الهيكل الفكرى الذى تحقق فيه المعارف الثلاث. وليس فى عصرنا هذا رجل يتمثل فى شخصه ثالوث هذه المعارف الثلاث وانسجامها كالرئيس هريو، فهو بحق رجل الفلسفة والسياسة والأدب

أما عن فلسفته: فذهب يسمى إليها عند مفكر مصرى هو فيلون الأسكندري الذى جعل منه موضوعاً لكتاب طريف يمثله فى حياته الأولى. وفى دراسته هذا الفيلسوف أكبر دليل على تحقق صفة الرجولة والإنسانية فيه، لأن فيلون يوحد فى شخصه وفى انسجام تام عناصر فكرية مختلفة النزعات، فهو يهودى النشأة، مصري المشاعر، يونانى الثقافة. هو عالمَ مستقل بذاته يتوسط بين العالم اليونانى القديم، وبين عالم التفكير فى القرون الوسطى. ففى دراسته إلمام بما تقدم وما تأخر من

المعارف فى تطور التفكير عند بنى الإنسان حتى ظهور العهد الحديث . وفى دراسته أيضاً توفيق بين الإلهام والعقل وبين عالم الشهادة وعالم القداسة ، وبين الفلسفة والدين ، وبين العقلية اليونانية والعقلية الشرقية . وبفضله أصبحت الأسكندرية العامرة ، منارة العلم ومنبع النور فى الايمان والتجريد الفكرى . فاهتمام الرئيس هريو بفيلسوف كهذا يدل على مبلغ ما هو عليه من العلم الغزير وسعة الاطلاع ، وحاسة « توحيد ما اختلف » مما ساعده وأهله ليكون رئيساً لمجلس النواب الفرنسى يقيم الانسجام بين ما تباين من نزعات الأحزاب ، وأهواء السياسة ، وجموح مناقشاتها المسيرة ، لتسير فى هدوء إلى سبيل الحق الذى يعلو على شهوات التخصيص الضيق فى أصول الحكم

وهو في كتابه هذا يعرض أولاً لمقارنة يهودية التوراة فى عهد فلسطين بالمعتقدات اليونانية ، ثم مقارنة يهودية الأسكندرية — وكفرع — بنفس تلك المعتقدات الإغريقيـة ؛ وفى موضع ثالث يتطرق إلى تحليل منهج فيلون وآرائه الثابتة فى مجال الإلهيات ، فيعرض لنظرية التأليه عنده ، وتحديد فهمه لطبيعة الأفـكار والأعداد ، ويثبت تأثره بفلسفة الفيثاغوريين ؛ ثم ينتقل بالـكلام أو شرح جوهر النفس وتشعب نشاطها ، وعلى الخصوص وصف حياتها « القابلة » التى تتمثل فى انفعالاتها وشهواتها الثائرة المريضة ، ثم يعرض إلى مذهبه فى الأخلاق وطبائع الفضائل وأصول التخلق فى الحياة وما بعد الحياة ، ثم يشرح أخيراً آراءه فى السـياسة ، فينقد مبادئ الاستبداد والتزعم الجامح

وأما عن أدبه : فهو أدب بنى على النبل والورع ؛ لم يقصد به فرض وهم فى الزعامة على الأدب فى فرنسا ، لأنه يعرف أن الزعامة تاج يكلل به الناس رؤوس من يتوسمون فيهم أهلية هذه الزعامة ، فهى « تسعى » إليهم ، دون أن تفرض على الناس فرضاً . وهذه الزعامة لم تقم يوماً ما على الغرور الفكرى ، ولا على مهاجمة الناس فى معتقداتهم وأديانهم ؛ ولم يكن التجديد فى الأدب يوماً هو الانسلاخ عن تراث الآباء والأجداد والذهاب لما يمجه ذوق البلاد من التواء وغموض فى التصور عند الفرنجة ، وإنما هو الاقرار بفضل من تقدم من السلف الصالح ، وفهم الحاضر الفكرى فهما يكفل الانتاج العقلى في المستقبل القريب . فبهذا تحفظ روح الأمة ومشاعرها ، صافية من غير امتزاج ، وتسير إلى الأمام فى غير ما ترقيع ولا ابتذال

لهذا ذهب الرئيس هريو إلى أدب قومه ، واختار من بين فتراته حقبة من الزمان هى الحد الفاصل بين نوعين فى الأدب الفرنسى : نزعة المحـافظة على القديم التى تتمثل فى أدب القرن السابع عشر الميلادى عند راسين ومليير وبوالو ، ونزعة « الإصلاح » فيه عند كتاب القرن الثامن عشر مثل روسو وفلتير ومنسكيو . هذه النزعة الثانية نزعة « حربية » لم تنسجم وطبيعة التفكير الأدبى ، فقضت على الأدب « الرفيع » بثورتها ؛ لأن مجاله أصبح مهزلة لتراشق خطباء الثورة بما يمجه كل ذوق أدبى سليم ، ويأباه كل عُرف فى التصور والتأدب . وقضت عاصفة السياسة على الاستقرار الأدبى ، وحرمته الخضوع لمذهب واحـد معين يمثل مشاعر أمة واحدة معينة ، له لونه وصبغته الخاصة ، وأصبحت أقلام الأدباء كسهم الريح فى أعلى المنازل تعصف به الزوابع فى كل اتجاه ، فهى تباع وتشـترى بيع الأنقاض فى أسواق السلع البائسة ، تدور وتتذبذب فى سائر الأحزاب ، دون استقرار محدود على مبدأ واحد ثابت لا يتغير

هـذه الفترة التى ذهب إليها الرئيس هريو هى مبدأ القرن التاسـع عشر ، إذ هدأت عاصفة الثورة الفرنسية بأدبهـا « الوهمى » وإذ ابتدأ ظهور المذهب الرومانتيكى أى « التخصيص فى الأدب » (بمعنى أن يكون للأديب مسـحته الخاصة الغالبة وحريته الـكاملة فى تصوير وتسـطير ما يشاء ويهوى ، دون أن يخضع مثلاً لقانون الوحدات الثلاث الذى نجده مثلاً عند راسين ، والذى يتأثر هو فيه بتعاليم اليونان ، وخاصـة أصول « التراجيدى » عند أرسطو وسوفكليس وأوربيدس فى العهد اليونانى القديم) ، بفضل ما كتبه شاتوبريان ، وعلى الخصوص الشاعر الخالد فـكتور هوجو فى « مقدمته » لرواية كرمويل . واختار الرئيس هريو من أدباء هذه الفترة مدام دي روكامييه ، كموضوع لرسالته الـكبيرة لدكتوراه الدولة ، ومدام دى ستايل ، كموضوع لرسالته الصغيرة

كانت الرسالة الأولى من الضخامة بحيث طبعت فى جزئين ،

واضطر الرئيس « هريو » أن يعيد طبعها « مخفضة » عند «بايو» لتكون فى متناول كل قارئ مثقف ، بعد أن حذف كثيراً من « الهوامش » التى ماكانت فى واقع الأمر إلا « زينة » فى رسائل مدرسة السربون ، وغرضه الأول فيها لم يقتصر على دراسة هذه الأديبة وتحليل شخصيتها فى ذاتها ، بل كان مع ذلك دراسة الروح العامة للأدب فى ذلك الزمان ، وحل الناسبات الاجتماعية التى ساهمت فى نضوجها الفكرى . وليس أدل على صحة كلامنا من عنوان الرسالة نفسها وهو : « السيدة ركاميه وأصدقاؤها » . والغرض الثانى إثبات أثر مدينة ليون التى ولدت فيها هذه السيدة فى تكوينها الأدبى ، والحياة الأدبية لهذه المدينة خلال ما كتبته



هى عنها فى زياراتها المتعددة لها فى ذلك العهد . والغرض الثالث هو شرح أهمية اتصالها بمؤسس مذهب الرومانتيزم شاتوبريان وماكان له من الأثر فى توجيه تفكيرها الأدبى والسياسى

والرسالة الثانية ، تعرض للصداقة المتينة التى كانت بين السيدتين ركاميه ، ودى ستايل ، واتحادهما فى نزعة العداء ضد مبادئ نابليون بونابارت . فهي رسالة تبحث أيضاً في أدب نفس ذلك العهد وفى نفس الجو الأدبى ؛ غير أنها تمتاز بكونها شرحا لبعض مخطوط لم يطبع حتى ذلك التاريخ ، يوجد في المكتبة الأهلية بباريس فى نحو ٢٩٧ صفحة بعنوان « منتخبات لآراء سياسية » فيها تعرض مدام دى ستايل عن « حلمها » السياسى وهو إمكان تحوير مبادئ الدستور القائم إبان ذلك ، وإحلال جمهورية تثبت على أصول العقل . ففى القسم الأول من هذه « المنتخبات » تشرح مبادئ الثورة والشروط اللازمة لتحقيق مبادئها . وفى الجزء الثانى تعرض للأصول العامة العقلية لإمكان تحقيق الجمهورية . وفى القسم الأخير تبسط أهمية أصول العقل فى تغيير الحالة العامة فى فرنسا فى ذلك الحين . فهى بهذا المخطوط تكتب على طريقة أفلاطون فى « جمهوريته » فترسم فرضاً سياسياً وإن كان يسوده الخيال ، إلا أنه مع ذلك يحدد لنا نزعاتها الخاصة فى الحكم ، وكيف أنها تميل فى نزعاتها إلى نوع معين من الديمقراطية لا نبنى مباشرة على مبادئ الثورة الفرنسية بل على أصول التفكير والعقل الخالص

أما عن سياسته : فنقول إن السياسيين فى أغلب أمم الأرض فى زماننا هذا هم أكثر الناس جهلا بالسياسة وأصولها ، وهذا الجهل راجع فى نظرى إلى أن السياسة أصبحت مجالاً للدجل والتهريج لا يطرق بابها إلا أصحاب الفراغ والجدة فى كل شىء . ومن ادعى من رجالها العلم والفهم فى مجالها ، رجع فى علمه وفهمه هذا إلى مفكرى العصر الحديث ، أولئك الذين يشرعون باسم المادة والاقتصاد ، مع أن السياسة عند أهلها من آباء التفكير وخاصة أفلاطون الإلهى ، تقوم على فهم طبيعة الانسان الخاصة وتخالفه . لهذا كانت السياسة هى بيت القصيد فى الفلسفات القديمة وكانت تتضمن دراسة هذا العلم ، ودراسة الآداب ، وعلى الخصوص دراسة الأخلاق ؛ وكان لا يمكن أن يسمى الرجل « سياسياً » إلا إذا بلغ الخمسين من عمره ، بعد أن عرك الحياة ووقف نظرياً وعملياً على طبائع الناس وتضارب ميولهم ، وتباين تخلقاتهم ، وأضاف إلى علمه بجوار منطق العقل ، منطق الحياة . أما اليوم فهى لا تلم إلا « القش » « والرماد » فى كل هيئة اجتماعية من الذين يؤمنون بما يوحى إليهم رجل كمكيافل أن السياسة هى « مكر ولؤم وخداع » ، عوضاً من أن تكون « فلسفة ، وأدبا ، وأخلاقا »

لهذا كان الرئيس هريوليس من المحدثين فى السياسة ، لأنه يسير وتعاليم اليونان القدماء ، فهو لم يتعجل أن يطرق بابها ، فيصيبه ما يصيب أهلها الآن من ابتسامات تقديرية لو فهمها الرجال

منهم لاحمرت لهـا وجوههم . فبعد أن مهـد لنفسه النضوج الفكرى بثقافة جامعة واقية فى الفلسفة والأدب ، طرق مجال الخدمة الاجتماعية عملياً فى عمادة مدينة ليون ، فأثبت ماهو أهل له من العلم ، وإحكام الادارة ، وتصريف أمور الحياة بين الناس ، حتى إذا كان فى نحو الأربعين من عمره انتخب مباشرة عضواً فى مجلس الشيوخ الفرنسى عن منطقة الرون ، متخطياً مجلس النواب ، فكان أصغر عضـو في ذلك المجلس عام ١٩١٢ ؛ ثم تطرق بعد ذلك إلى منصب الوزارة ، ثم إلى رياسة الوزراء ، ثم إلى رياسة النواب ، فكان فى كل مرحلة منهـا « الفيلسوف العـادل » ، « الموحد لما اختلف » . ولعب بجوار ذلك دوراً لا يستهان به فى تنظيم الحياة لداخلية لأمته إبان الحرب العظمى عندما ولاه الرئيس الوزير بريان وزارة الأشغال والمواصلات والمؤونة ؛ ويمكن أن يتصور خطر هذا المنصب ، والقتال قائم على قدم وساق

وباعتباره « عمدة » لمدينة ليون ، يكفى هذا أن يرفع نظر المصريين إليه ، لأن لهم فيها ذكريات تتعلق بتاريخهم فى العهد الحديث . فالرجل الذى قاد الجنود المصرية فى ساحة الوغى ، وأثبت للعالم سمو الروح الحربية عند المصريين ، ووضع أسس الامبراطورية المصرية ، هو القائد سيف Sêve أو سليمان باشا الفرنساوى الذى ترك وطنه فى مدينة « ليون » ، بعد انهزام نابليون ، ليعمـل لحساب مؤسس الأسرة العلوية الكريمة ، فكان عند حسن ظن محمد على باشا فيه ؛ فحقق ما رسم له خالق مصر الحديثة ومشيد عظمتها . كذلك ساهمت ليون بعلمائها الأعلام وعلى الخصوص الأستاذ لامبير فى خلق مدرسة للفكر فى مصر تتمثل فى ذلك الشباب النابه الذى ورد شرعة العلم من سنين فى هذه المدينة ، والذين أصبحوا الآن من قادة الفكر فى مصر ، فى الفلسفة الإسلامية ، وفى عمادة الحقوق ، وفى بطولة المحاكم المختلطة ، وفى زعامة المحاماة والثقافة . والجميل فى أمر هذه المدرسة ، أن أهلها يعملون على إعلاء كلمة الوطن فى نبل وهدوء وورع ، دون أن يتخذوا من العلم سبيلا وضيعاً لمهاجمة معتقدات أهل البلاد ودينها ، وتصويرها فى حفلات عامة كقبائل المتوحشين لا هم لساكنيها إلا التفكير فى المأكل والمشرب كما يفعل هـذا الكثير من متخرجى السربون وجامعة باريس ، وهو ما لا يليق بشباب يدعى الثقافة والفهم ، ومكتوب على جواز سفره أنه « مصرى » ! ؟

عبد العزيز عزت
عضو بعثة الجامعة المصرية لدكتوراه الدولة

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

- ١٦ -

خرجت من منزل ليلى نشوان ، نشوان إلى حد الجنون . والمرء فى العراق لا يكون إلا فى حالين اثنين : حال تحدثه فيه النفس بالغرق فى دجلة من الفرح ، وحال تحدثه فيه النفس بالغرق فى دجلة من الغيظ . فالمرء فى العراق إما أن يكون سعيداً كل السعادة ، وإما أن يكون شقياً كل الشقاء

وكذلك حال ليلاى ، فهى قد ترق وتلطف فأدخل دارها بُعَيد الغروب ولا أخرج إلا قُبَيل الشروق ؛ وقد تقسو وتعنف فتطردنى من دارها بلا ترفق ولا إشفاق

خرجت من منزل ليلى نشوان ، فقد رضيتُ عنها ورضيتْ عنى ، ولكن الحادث الأخير ترك فى القلب عقابيل ، فأخذت أحترس ، وهل يتفق الحب والاحتراس ؟

نعم يتفق الحب والاحتراس ، ولكن يضيع النعيم . فالمحب المحترس يثق بنفسه ، ولكنه لا يثق بمن يحب ... وليلى بدأت تعد ذنوبى ولكن من أى تاريخ ؟ منذ اليوم الذي اطمأنت فيه إلى عودة العافية !

فمن أنا في دنياى ؟ من أنا فى دنياى ؟

لقد كنت أرجو أن تعمى ليلى عن عيوبى ، ولكن هكذا كنت فى حياتى ، فما أذكر أبداً أنى عانيت الظلم إلا على أيدى ناس أحببتهم واستقتلت فى الدفاع عنهم . كنت كالسيف يلقيه صاحبه بعد أن يفله القتال . كنت كالغصن المثمر يؤخذ للوقود بعد انتهاب ما يحمل من ثمرات . كنت وكنت ، فما أشقانى وما أعظم بلائى !

كذلك دار رأسى وأنا ماض إلى قطار البصرة . وما أدرى كيف صاغ الله عقلى على هذه الصورة ، فعقلى لا يغفو أبداً ؛ وهو دائب على الدرس والتحليل ، وليس من الزهو أن أذكر أن أعظم ما يساورنى من المعضلات الفلسفية أهتدى إلى حله فى أحلامى ،

والمسيو ماسينيون يذكر ذلك ، فقد كانت لى معه مواقف يوم كنت تلميذه فى باريس

أمسيت أحقد على ليلى ، ولكن لا بأس ، فقد وثقت بى ، واطمأنت إلى ، فأخذت تصادق من أصادق ، وتمادى من أعادى ؛ وليس ذلك بالقليل ، فما الذى يمنع من أن أحتمل مايثور فى صدرها أحياناً من براكين ؟

أليست عراقية ؟

بلى ، هى عراقية

وأنا رأيت الأعاجيب فى العراق

فمنذ ليال أويت إلى فراشى فى منتصف الليل والسماء صاحية ، ثم انتبهت على الروع والفزع ، فقـد كان المنزل ترج سقوفه وحيطانه بعنف ، فأوقدت المصباح وأنا خائف أترقب ، ثم عرفت بعد التأمل أن الصحو أعقبه غيم ومطر وصواعق

ولما خرجت فى الصباح رأيت الشمس آست ما جرح الليل ، وكأن لم يكن شىء !

ذلك هو العراق

وكذلك تكون ليلاى فى العراق

فما الذى يمنع من الصبر على دلالها أو أذاها شهراً أو شهرين حتى تملّ هى من النضال ؟

إن بعض المرضى يحمهم أن يثوروا على الأطباء . ومن واجب الطبيب أن يرحب بمثل هذه الثورة ، لأنها بشير العافية . وستذكر ليلى أنى كنت من الصابرين ، وأنى منحتها عطف المحب ورفق الطبيب ! ولن أفارق بغداد قبل أن تبذل فى سبيلى غاليات المدامع ، إن كتب الله أن تأخذ عن طبيبها أدب الصدق والوفاء

لن أنساك ياليلى فقد عاديتُ فيك وعُوديت
وأحمل فى ليلى لقوم ضغينـةً وتُحمل فى ليلى علىَّ الضغائنُ
ولـكن هل تفهمين أو تعقلين ؟
أما والله لو تجدين وجدى جمحتِ إلىَّ خالعـة العذار

* * *

كانت هـذه الخواطر السود تنتاش قلبى وأنا فى طريقى إلى المحطة ، ثم تفجر الحنان فى قلبى على غير انتظار ، فقـد سمعت المذياع يرسل هذه التغريدة رحمة للقلوب

« ليه تلاوعينى ، وانت نور عينى »

وهى من تغاريد أم كلثوم ، وكأنى أسمعها أول مرة ، فرجعت على نفسى باللوم وقلت : كذلك يكون العقاب ! وهممت بالرجوع إلى ليلى لأقول :

« ليه تلاوعينى ، وانت نور عينى »

ولـكن تذكرت أن الوقت لايتسع للقيام بواجبين فى وقت واحد : عتاب ليلى وملاقاة صاحبة العينين التى أرجو أن أدفع بوجهها الشرق وحشة الطريق وظلام الليل

ودار ذهنى يحاور ويجادل :

— كيف تشرك بليلى هذا الإشراك ؟

— أنا أشرك بليلى ؟ معاذ الحب !

والحق أنى أشرك بهوى ليلى ، ولـكن هذا الشرك هو طريق إلى التوحيد . أنا أحب جميع الملاح لأهيِّء قلبى لحب ليلى . أحب من أجلها كل ما فى الوجود ، وأصفح من أجلها عن جميع الذنوب

وصاحبة العينين ستسألنى عن ليلى ؛ والسؤال عن ليلى ، من ذلك اللسان الألثغ اللجاج هو فى ذاته زُلـفى إلى ليلى . وأنا أيضاً رجل مكروب تضيق به دنياه ، والضلال فى هوى العيون قد ينسينى كروبى؛ وليلى يسرها أن أعيش أطيب العيش ، وهى تعرف أنى لا أحيا بغير الحب والنسيم ، شفاها الله وشفانى

طوّفت بجميع أرجاء المحطة لأرى صاحبة العينين ، ومارأيت صاحبة العينين

فتشت جميع دواوين القطار لأرى صاحبة العينين ، ومارأيت صاحبة العينين

ورأى حيرتى ناظر المحطة فقال فى تلطف : ضاع منك شىء ؟

فقلت : لا ، ما ضاع منى شىء ، وإنما أخاف وحشة الطريق وظلام الليل

فتعجب الرجل من هذا الجواب المضحك وانصرف

فهل رأى الناس حالاً مثل حالى ؟ هل رأوا من قبلى رجلاً يرحّب بالشّرك فيعزّ عليه الشرك ؟

إن الحب يريد أن أذهب إلى البصرة وليس فى قلبى غير ليلاى

* * *

وكان لى فى القطار رفيقان : أولهما الدكتور عبد المجيد القصاب ، وهو طبيب يمثل عذوبة الروح ، وصفاء القلب ، وهو من خيرة الذين عرفتهم فى العراق ، وثانيهما السيد ظالم وهو صحفى أديب لاتعرف في صحبته ضجر السفر ولاطول الطريق ، وليس فيه غير عيب واحد هوالتجنى على الموسيقار محمد عبد الوهاب والفناء المطلق في أغانى أم كلثوم

جلس حضرته يدندن ، ولكن كيف ؟ بعد أن لبس عباءة فضفاضة جعلته نسخة من سلطان زنجبار

وأمسى ديواننا فى القطارقريب الشبه بالغرفة التى يجلس فيها أحمد رامى بدار الكتب المصرية ، الغرفة التى ترقّ فيها الدندنة وتشتبك حتى لتحسبها خيوط العنكبوت ، الغرفة الجذابة التى يحرم دخولها على أحمد الزين ثم يحلّ ويباح لمن يسألون عن رباعيات الخيام أو تأملات لامرتين

وظالم ورامى يشتركان فى صفات كثيرة أهمها تشويه الوجه ورخامة الصوت

— يا سيد ظالم !

— نعم ، يا سيدنا البيه !

— هلم بنا إلى العشاء

— عشاء إيه ، انت عاوز تخرب جيبك ؟

— أخرب جيبى ؟ وكيف ؟

— العشاء فى القطار غال جداً

واعترض الدكتورالقصاب فقال : أما يسرك أن تصنع مثل الذى كنت تصنع فى قطار ليون ؟

— لا بأس إذاً تنتظر إلى أن يقف القطار فى المحطة المقبلة

وفى المحطة تقدمت فلاحة في خمار أسود ومعها ماعون هائل من اللبن الرائب ، فاشتريناه بعشرة فلوس ، وتقدم طفل ، وفى يده رغيفان ؛ فساومناه ، فاشتط فى الثمن ، فقاومناه ، فقبض على الرغيفين بأسنانه والقطار يمشى ، فرميناه بعشرة فلوس ونزعنامن أسنانه الرغيفين ! !

ما أظرف العبث فى قطار البصرة وما أحلاه ؟

وفهم الرفيقان أنى ميت من الجوع فلم يأخذا من الطعام غير لقمتين

وما كاد الطعام يستقر فى جوفى حتى هجم النوم هجوماً لم أشهد مثله منذ أعوام طوال ، فعرفت أن ذلك اللبن الرائب أراح أعصابى ، وهى أعصاب أرهقها النضال وسهر الليالى

اتكأت على المرفقة وغت وأنا جالس ، نوماً شهياً جداً ، ولم يعكر نومى غير الجدل السياسى الذى أثاره الدكتور القصاب مع رفيق غاب عنى اسمه ، وكانا يتحدثان عن المارك الحزبية فى دمشق

وفى تلك النفوة الشهية صاح صديق :

دكتور ، دكتور ، أنظر ، أنظر ، أنظر

فنظرت من نافذة القطار فاذا صاحبة العينين فى سيارة مغروزة فى الوحل

وهممت بالنزول من القطار لأرى هذه المرأة كيف أنفع فى الشدائد !

ثم تذكرت أننى أيضاً فى سيارة مغروزة فى الشوك ، هى سيارة الحب

ونظرت إلىّ المرأة نظرة الملهوف

ونظرت إليها نظرة الغريق

نظرتُ ونظرتُ ، ثم نظرتُ ونظرتُ

وأنقذ القطار الموقف فسار لا يلوى على شيء

— دكتور ، دكتور

— نعم ، نعم

— أنظر ، أنظر

ففتحت عينىّ فاذا الشمس أشرقت وإذا سرب من الظباء الوحشية يجول فى البيداء ، وهى أول مرة أرى فيها الظباء الوحشية ذات الأجياد والعيون

أتكون هذه الظباء الوحشية هى البشير بالاقتراب من الظباء الأنسية ؟

هو ذلك ، فلم يبق بيننا وبين الأنس بوجوه أهل البصرة غير ساعتين

* * *

الله أكبر ولله الحمد !

هذه هى البصرة ، هذه هي البصرة ، وما تخوننى عيناى

هذا هو البلد الطيب ، بلد المبرد ، المبرد صاحب الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف

وبفضل الكامل للمبرد وصلت إلى منصب الأستاذية فى الأدب العربي ؛ وبفضل الكامل للمبرد صحبتُ الشيخ سيد المرصفى سبع سنين ؛ وبفضل الكامل للمبرد استطاعت القاهرة أن تزاحم البصرة ، فسيذكر التاريخ أن الأزهر جاس على حصيره الممزق رجل أعلم من المبرد ، هو الشيخ سيد المرصفى أستاذى وأستاذ الأساتذة طه حسين وعلى عبد الرازق وأحمد حسن الزيات ، وأول أستاذ تصدر لتدريس الأدب بالأزهر فى العصر الحديث

الله أكبر ولله الحمد !

هذه هى البصرة ذات النخيل

هذه هى المدينة التى تجرى من تحتها الأنهار

هذه شقيقة الفيوم ، على أزهاره وأشواكه أذكى التحيات

هذه هي البصرة ، وما تخوننى عيناى

فاذا قيل إن منظر القناطر الخيرية على النيل منظر لا ثانى له فى الوجود ؛

وإذا قيل إن شواطئ الاسكندرية فى الصيف لا ثانى لها فى الوجود ؛

وإذا قيل إن حيّ الشانزليزيه فى باريس لا ثانى له فى الوجود ؛

وإذا قيل إن السهل الذى تصادفه بعد الانحدار من جبل لبنان منظر لا ثانى له في الوجود ؛

وإذا قيل إن مفترق الطرق بين شارع عماد الدين وشارع فؤاد شيء يفوق الظنون ؛

وإذا قيل إن النبوق بمصر الجديدة والصبوح بالزمالك نعيم يذكّر بنعيم الفراديس ؛

وإذا قيل إن صبايا المنصورة لها مذاق لاثاني له فى عالم الجمال ؛

وإذا قيل إن مناظر الكروم فى بوردو لاشبيه لها ولامثيل ؛

وإذا قيل إن بنى المصريين بعضهم على بعض معنى فريد فى الوجود ؛

وإذا قيل إن قبة الجامعة المصرية أعظم قباب الشرق ؛

وإذا قيل إن زكى مبارك أسعد من استصبح بظلام الليل فى بغداد ؛

إذا قيل ذلك أو بعض ذلك فاعرف أن مدينة البصرة هى شىء فريد فى دنيا الشرق ، ودنيا الغرب . هى غريبة الغرائب ، وأعجوبة الأعاجيب . هى فوق الأوهام والظنون ، وإن جهلها فريق من أهل العراق

ما هذه المدينة ؟ ما هيه ؟

لقد استأنست كل الاستئناس حين عرفت أن اللغة العربية لا تزال تسيطر على مثل هذا الثغر الجميل

لقد كبرت وهللت حين رأيت وطن المبرد والجاحظ والحسن البصري وإخوان الصفاء

لقد كبرت وهللت حين عرفت أن للمروبة مواطن لا تقل روعة عن القناطر الخيرية

ثم غلبنى الحزن حين تذكرت أن مناظر شط العرب تشبه مناظر القناطر الخيرية فى الحظ . فمن شط العرب تتغافل الشعراء ، وعن القناطر الخيرية تغافل الشعراء

ليس على شط العرب قصور ، وليس على القناطر الخيرية قصور .

الله أكبر ولله الحمد !

هذا طريق النخيل ، وهو صورة أروع من غابة بولونيا ، ولكن أين الظباء ؟

وهؤلاء البصريون وفى عيونهم السحر الحرام أو الحلال ، ولكن أين الشعراء ؟

* * *

عرفت فى البصرة رجلين :

الأول هو السيد تحسين على ، حاكم البصرة ، أو متصرف البصرة

والسيد تحسين عليّ هو مَـلَك فى صورة إنسان

هو تحفة من الأريحية العربية التى جاد بها الله على الوجود

السيد تحسين عليّ هو الشاهد على أن شعراء العرب لم يكونوا فى مدائحهم من الكاذبين

السيد تحسين عليّ هو الخليق بأن يقال فيه أطهر من الماء ، وأرق من الهواء

السيد تحسين عليّ هو مجموعة من الخلائق والطباع : فيه أدب مصطفى عبد الرازق ، ونبالة محمد العشماوى ، وتغافل منصور فهمى ، وطيبة محمد جاد المولى ، وسماحة على الزنكلونى ، وذكاء لطفى السيد ، وسذاجة زكى مبارك ، وعقل زكي مبارك ، إن كان له عقل !

وبفضل السيد تحسين على عرفت من البصرة فى يومين مالا يعرفه غيرى فى سنين

أكتب هذا والدمع في عيني ، فالدنيا ألأم وأغدر من أن تسمح لى بملاقاة هذا الرجل مرة ثانية . فإن كان هذا آخر العهد فحسبي من الوفاء أن أسجل ثنائى عليه فى هذه المذكرات ، ولها قراء يعدون بالألوف

يا سيد تحسين

سلام عليك ، سلام رجل مصرى يحفظ عهد العراق

أما الصديق الثانى فهو الدكتور عبد الحميد الطوخى ، وما أدرى إلى أى بلد أضيف هذا الطبيب ، فقد عرف المنصورة وشبين الكوم والقاهرة وبغداد والبصرة والموصل ، فهو بالاختصار رجل مخضرم : فيه رقة المنصورة وأدب شبين الكوم وعقل القاهرة وذكاء بغداد وظرف الموصل وكرم البصرة ، هو شخصية دولية يحسب لها المنصف ألف حساب

وبفضل هذا الطبيب قضيت يومين في ابتسام ، فقد ترك سيارته تحت تصرفي يومين ، وكانت فرصة تذكرت فيها الزميل الغالى على الجارم بك ، فمهدى به يهرب منى ، لأنى كنت أرجو أن ينقلنى بسيارته من وزارة المعارف إلي محطة الترو ، وكان ذكاؤه يسعفه بالهرب منى ، فكان يقول : يا دكتور زكى ، أنا رائح عند العشماوى بك ، ثم يروح ولا يعود !

ولما قدم الجارم بك بغداد كنت أنتظر أن ينتفع بخبرتى فيسألنى عن الحياة العلمية والأدبية والفلسفية ، ولكنه لم يسألنى إلا عن شيء واحد ؛ لم يسألنى والله العظيم إلا عن أسعار البنزين فى بغداد ! !

* * *

نحن فى البصرة

إى والله ، نحن فى البصرة

وفي تلك المدينة تسأل سيدة نبيلة عن طبيب ليلى المريضة في العراق

وتطلب أن ترانى وحدى ، فأذهب إليها وحدى ولا يكون معنا ثالث غير زوجها الشهم النبيل

ويدوم المجلس ساعات وساعات فى جـدل هو أنضر وأشرف ما عرفت العقول

وتجرى على لسان تلك السيدة ألفاظ يوحيها روحها الشفاف فيبتسم زوجها وهو جذلان

وفى غمرة تلك النشوة أنظر ساعتى فأرى الوعد اقترب للمحاضرة التى دعانى إليها سعادة الأستاذ عبد الرزاق ابراهيم مدير المعارف بالبصرة . وتمد تلك السيدة يدها لتوديعي فأبكى لأني لا أضمن الرجوع إلي البصرة ، أنا الطائر الغريب الذى لم ينعم فى البصرة بغير سواد العيون فى غفوة الزمان ، وهو لا يغفو فى العمر كله غير دقائق

وبعد لحظات أكون فى نادى البصرة فأرى الناس فى انتظارى بالمئات ، إن لم أقل بالألوف . وهناك أرى فتاة جميلة هى بنت عمة ليلى ، فتسرع إلى لقائى بعد انتهاء المحاضرة وهى تقول :

حافظ على شبابك يا دكتور ، فانى أخشى أن يودى التأليف بشبابك

فأتلطف وأقول : لا تخافى على شبابى يا بنيّتى ، فهو باق ما بقيت عيون الظباء

وتشجع الفتاة فتقول : أخشى أن يقتلك التأليف !

فأتشجع وأقول : لا تخافى علىّ يابنيتى فأنا لا أخاف الموت ، وإنما يخافنى الموت

ويروعها ذلك فتقول : وكيف ؟

فأجيب : لأن الموت جبان وهو يخشى أن أكتب ضده فى الجرائد والمجلات !

* * *

أفى الحق أننى زرت البصرة ورأيت شط العرب ، ونعمت بكرم السيد تحسين على ، ومروءة الدكتور عبد الحميد الطوخى ، وأدب السيد عبد الرزاق ابراهيم ، ورأيت بنت عمة ليلى ، وشربت الشاى فى منزل السيدة التى تغار من ليلى ؟

لا تصدق ذلك يا قارىء هذه المذكرات ، فتلك أحلام رأيتها فى نومى ولن تعود

إن سمعت أيها القارئ أن جرائد البصرة اعتركت فى سبيلى أسابيع وأسابيع فلا تصدق

إن سمعت أيهـا القارئ أننى كحلت عينىّ بتراب البصرة فلا تصدق

إن سمعت أيها القارئ أننى عرفت السيد تحسين على فلا تصدق

إن سمعت أنني زرت قريبات ليلى فى البصرة فلا تصدق

إن سمعت أنى ألقيت فى البصرة محاضرة سمعها مئات أو ألوف فلا تصدق

إن سمعت أن حاكم البصرة ودعنى على المحطة فلا تصدق

إن سمعت أنى عانقت عشرين نخلة فى البصرة فلا تصدّق

إن سمعت أن أنهار البصرة داعبتنى بالمدّ والجزر فلا تصدق

إن سمعت بأن أسماك شط العرب قبلت يدى وخدى فلا تصدق

إن سمعت بأنى لم أنفق درهماً واحداً فى البصرة فلا تصدق

إن سمعت أن البصرة هدتنى بعد ضلال فلا تصدق

إن سمعت أنى ودعت البصرة بالدمع السخين فلا تصدق

أيها القارئ !

أنا ما رأيت البصرة ، ولا رآنى أهل البصرة ؛

وشاهد ذلك أننى لا أزال في عقلي ؛ ولو أننى رأيت البصرة لخبلنى حسنها فأصبحت من المجانين

أيها القارئ !

أما سمعت أنني أخترع الأقاصيص ؟ فلتعرف أن زيارة البصرة من تلك الأقاصيص

متى أعود إليك أيتهـا البصرة مرة ثانية ؟ متى أعود ؟ متى أعود ؟

« للحديث شجون » زكى مبارك

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنـــكولن

هدية الاحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

— ٩ —

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نـقتها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم



وكان لنكولن يرى فى هذا الطواف مدرسته التى يتلمس فيها المعرفة وأى معرفة هو أحق بها من دراسة طباع الناس والوقوف من كثب على أحوالهم بل والنفاذ إلى سرائرهم وخلجات نفوسهم ؟ أى معرفة هو أحق بها من هذه وهو فى غد رئيس الولايات ومحطم الأصفاد ؟

لذلك كان فى طوافه إذا فرغ من عمله يغشى المجالس وينطلق إلى البلاد القريبة فيسمع ويري ، ويأخذ بقسط من الأحاديث ، ويدلى بآرائه إذا عن له أن يبدى آراءه فى أمر ويستفهم الناس ويسألهم عن أمانيهم ؛ وله مما يأتى إليه من القضايا هاد يرشده فى تطلعه وتقصيه

ويظل هذا شأنه حتى ينتهى دور المحكمة فيعود إلى سبرنجفيلد وتنظر زوجه فاذا هو يدخل الباب وفى عينيه الحنين إلى زوجه وأولاده ، وفى أساريره من البشر بقدر ما في جيبه من المال ؛ ثم يدفع إليها بمظلة قديمة مهلهلة حائلة الصبغة يمسكها بعضها إلي بعض بخيوط ورقع ، ويلقى إليها حقيبة اتخذها من رقعة بساط قديم بها من الأوراق ما ضاقت عنها جيوبه وما صغرت دونها قيمته ، ويقبل على بنيه فيرفعهم على كتفيه وذراعه كالمملاق وهم فرحون يتسابقون إلى محادثته حتى لتضيع كلماتهم فيما يثيرون من زياط ، وأمهم تكظم الغيظ لهذا الخروج على النظام

وكانت مدرسته فى المدينة إذا فرغ من قضاياه الكتب يستوحيها ، وإن له فيها لغنية ومتعة . وما تلك الكتب التي يقرأ اليوم ؟ إنه شكسبير العظيم الذى رفع المرآة فانعكست فيها الطبيعة واضحة سافرة كأتم ما يكون الوضوح والذى مست ومضة من عبقريته القلب البشرى فأنارت أكثر نواحيه ، وهو مولع منذ حداثته بدراسة النفس البشرية والغور إلى أعماقها ، ومن غير شكسبير يهديه السبيل ؟ لذلك كان إذا تناول كتاباً من كتب القانون ساعة أو بعض ساعة ثم ألقاه عمد إلى مأساة أوملهاة من آثار شكسبير فأكب عليها ونسى كل شيء سواها ؛ فاذا أتى عليها فكر وفكر وظل شاخصاً ببصره فى ثرى الأرض أو فى لازورد السماء كأنما أخذته عن نفسه حال ...

وكانت له في بعض آثار بيرون متعة ، ومن بينها قصته العظيمة « دوجوان » وهو بين هذا وذاك يقلب صفحات التاريخ العام وصفحات تاريخ بلاده يستزيدها معرفة بأحوال الأمم ويرى فيها خطى البشرية فى شتى مراحلها . أو ليس الزمان يسير به ليضعه بعد سنوات على رأس أمته ؟

ومن عجيب أمر هذا المصامى أنه تناول فيما تناول من الكتب كتب العلوم وأخذ يدرسها وقد جعل لها ساعات من فراغه ، فهذا علم النبات له نصيب من جهده ، وذاك علم الحيوان له نصيب ، ثم هذه الكهربة تصيب من عنايته حظاً ليس باليسير !

ولكن فيم العجب ؟ وهل تضيق العبقرية عن شيء ؟ انى وإن كنت أسلم بما للبيئة من خطر وبما للميل النفسى من أثر فى توجيه المرء ، أعتقد أن العبقرية إنما هي فوق ذلك ، وأن العبقرى مهما تناول من الأعمال فانما ينفذ إلى لبابها بقوة نفسه . وهذا لنكولن لو لم يكن المحامي أو رجل السياسة ما قعد به شيء عن أن يكون الشاعر الفحل ! أو لو أنه أفرغ إلى العلم جهده وجعل للدراسة والتحصيل وقته لكان لنا منه العالم الفذ أو الفيلسوف المبتدع . ولقد تأتى له أن يقول الشعر فى بعض المناسبات فجاء شعره صورة من نفسه تشعرك ببساطة العظمة والسمو

وإنك لتحس الشعر فى نفسه وتراه ينظر إلى الحياة والناس نظرة الشاعر ؛ ولكن خياله لا يطغي على عقله كما أن عقله لا يأتى على نوازع قلبه . وإنى أراه فى ذلك أكثر الناس شبهاً بجوت شاعر ألمانيا الأكبر ، ذلك الذى كان يجمع بين اللمعة الخيالية والنظرة العلمية والحكمة العملية ...

وكان ابراهام قد بلغ أشده واستوى ، وأخذت نظرته إلى الحياة والناس تزداد عمقاً وهو فى أول العقد الخامس ؛ وصار يحس كأن شيئاً يقلقه ، شيئاً خفيًّا لا يدرك كنهه يقلقه ويحرك نفسه وينقبض له صدره أحياناً ؛ فهل أخذت السياسة تدب فى نفسه من جديد فهو يتأهب ويتحفز ؟

ولاحظ أصحابه أن أمارات الحزن التى ارتسمت على وجهه منذ حداثته أخذت تزداد وضوحاً ، فهو على الرغم من عذوبة روحه فى أحاديثه وطلاقة بشره فى قصصه ، تنطوى نفسه على كثير من الهم لا يعرف مبعثه ؛ وهو إذا خلا إلى نفسه فكر وأمعن فى التفكير ، وقد تربّد وجهه وانعقدت عليه كآبة مخيفة ينزعج لها خاطر من يراه ؛ وكثيراً ما وافاه صديقه هرندن وهو على هذه الحال ؛ وكثيراً ما سمعه يغمغم بمثل أنين المحزون ...

وهو يدعى منذ زمن « أيب العجوز » أطلقها عليه الناس وهو فى ريعان فتوته وربيع حياته ، وذلك لما كان يظهر على وجهه من تجاعيد هي من أثر الهم لا من أثر السنين ؛ وكان يسره أن يستمع هذا الاسم الجديد كما كان يسره أن يسمعهم يدعونه باسمه الآخر « أيب الأمين »

ما باله اليوم مهموماً وقد بسط الله له رزقه كثيراً حتى لقد باتت تجدى عليه المحاماة — على قناعة فى الأجر — ما يزيد على خمسمائة من الجنيهات كل عام ؟ أجل ما باله مهموماً وقد استطاع أن يلقى عن كاهله ذلك العبء الذى آده حمله زماناً ، فلقد خرج

من الدين الأهلى ؟ يا ويح نفسه من هذا الهم الدفين الذى يتزيد منه على الأيام ...

ليس غير السياسة يلقى بنفسه فى غمرتها لتقوم أحداثها بين نفسه وبين همومها . ليس غير السياسة تشغله عن وساوسه وتباعد بينه وبين امرأته التى ما برحت تنغصه وتضايقه فى غير موجب

إن زوجه تعيش اليوم من وراء كده فى رغد ؛ فهو يلقى إليها كل ما تصل إليه يده لا يسألها إلا أن تدفع له ثمن ما يطلب من الأشياء وهى قليلة ؛ وما كانت له بالمال حاجة وهو الذى لا يعرف أبهة المظهر ولا تفتنه شهوات الحياة . حسبه من المال مايسد به رمقه ويستر به جسده ، وأمر ذلك موكول إلى امرأته ؛ ثم ما يفرج به الكرب عن بعض المساكين وهو يفعل ذلك فى كثير من الأحيان على كره منها . أما هى فلا ترضى بغير فراهة المظهر وأناقة المنظر ؛ تروح وتغدو فى مركبة هى اليوم بعض ما تملك ، وما رأى الناس زوجها فى تلك المركبة قط ؛ وتلبس من الثياب ما تحكى به أهل باريس ، وتقتنى من الأثاث ما تدل به على كثير من الزوجات ... تفعل ذلك وإن كان زوجها ليطلع على الناس فى حلل تطاول عليها العهد وقبعة متضعضعة متغضنة ؛ على أنها تراه فى ذلك هو الملوم ، فهى مازالت تهيب به أن يغير من عاداته وأن يعنى بهندامه ، وهو لا يحفل إلا النظافة ، حتى أنها لم تجد بدًّا آخر الأمر من أن تسكت وهي كارهة ...

ولقد كان يهرب من المنزل أكثر الوقت ، فيقضي النهار كله فى محل عمله أو يقضى طرفاً منه فى أنحاء المدينة فى بعض المنتديات أو فى بعض الحوانيت ، يتحدث إلى هذا ويسأل ذاك عن حاله ، ويستشيره هؤلاء فى أمر قضائى ، ويعقد غيرهم حوله حلقة يتساقطون فيها الحديث ، ثم يعود إلى منزله فيمضى الوقت فى القراءة أو فى ملاعبة أولاده ؛ وإنه ليحذر فى هذه الملاعبة أن تدخل زوجه الحجرة فجأة فتراهم يركبون ظهره وهو يزحف بهم على البساط ، فتصرخ وتمكر عليهم صفوهم !

عجيب أمر تلك المرأة التى تحب بعلها وتعلى قدره ثم هى لا تفتأ تمد له من أسباب الشحناء والشقاق ما يخيل إليه أنها تبغضه ، لو لا أنه يعتقد أنها ما اختارته زوجاً — على الرغم مما وقع يومئذ منه فى حقها — إلا لما تضمر من محبته والإعجاب به ...

دخلت عليه مرة ومعه رجل من أصحابه ، فسألته عن أمر كانت طلبت إليه قضاءه ، فلما علمت أنه لم يقضه عنفته وولت محنقة تجذبت الباب وراءها فأحدث ضجة مزعجة ؛ ونظر لنكولن إلى صاحبه وقد قرأ فى وجهه الدهش ، فقال وهو يبتسم ليخفى بابتسامته ما به : إن الأمر هين ، وإن هذه عادة امرأته مردها إلى حدة مزاجها ولن يكربه ما فعلت بالباب فلعله يكفكف من حدتها

هذا طرف من حياة لنكولن فى سبرنجفيلد بعد أن عاد من وشنجطون ، وبعد أن انتهت الدورة الثامنة لطواف الهيئة القضائية فى تلك الأصقاع ؛ وإنه ليتطلب مخرجاً من هذه المدينة وما كان له من مخرج إلا أن تستثيره السياسة من جديد ...

وآن للسياسة أن تدعوه إليها ، وقدر لتلك الدعوة أن تجىء عن معضلة العبيد ، فلقد بانت تلك المعضلة وهى كبرى المسائل القومية لامناص من مواجهتها إذ صارت تحمل فى تضاعيفها كل ماعداها من المسائل

ازداد ثراء أهل الشمال بسبب الصناعة ، واتسع نطاق التعليم عندهم ، وقوى نفوذهم وتسامت إلى الحياة نظرتهم ، لذلك شاعت فى الشمال حركة الدعوة إلى تحرير العبيد وتعالت أصوات الداعين واشتدت على الأخص حركة النادين بألا يسمح بعد بانتشار العبيد فى ولايات جديدة

وبقى أهل الجنوب أهل كسل وخمول ، لا تزال حياتهم تقوم على الزراعة ، والزراعة عندهم تقوم على أيدى العبيد ، وازداد طلب القطن فاشتدت الحاجة إلى العبيد ؛ لذلك ازدادت فى الجنوب حركة التمسك بالعبيد ، واشتدت على الأخص حركة النادين بوجوب السماح للعبيد بالانتشار فيما عساه أن يضم إلى الاتحاد من ولايات

وماذا يخيف أهل الشمال من انتشار العبيد ؟ إن للمسألة وجهاً آخر إلى جانب الوجوه الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية ، وجهاً لا يقل خطره إن لم يزد عن هاتيك الوجوه ؛ وذلك أن التمثيل النيابى فى أحد مجلسى الاتحاد ، وهو المجلس الأدنى ، كان قائماً كما رسم الدستور على قاعدة لمسألة العبيد فيها دخل كبير ؛ وذلك أن كل ولاية كانت ترسل إلى ذلك المجلس من الممثلين عدداً يصغر أو يكبر حسب عدد سكانها . ومن عجب الأمور أن العبيد ، ولم يكن

لهم حق فى شىء حتى فى أنفسهم ، قد أقيم لهم وزن فى هذا الباب فقيس عدد السكان فى الولايات بما يقطنها من بيض وعبيد على أن يعد كل خمس من العبيد بثلاثة من البيض ؛ ومعنى هذا أن انتشار العبيد يزيد عدد ممثلى الولايات الجنوبية فى المجلس الأدنى للاتحاد ؛ أما فى المجلس الأعلى (مجلس الشيوخ) فكان يمثل كل ولاية عضوان صغرت تلك الولاية أو كبرت ...

ولقد كان أهل الشمال فى الأصل أكثر عدداً من أهل الجنوب فكانت لهم بذلك أغلبية فى المجلس ولكنها كانت أغلبية صغيرة ؛ ولقد أخذ عددهم يزداد كما ذكرنا فظلت لهم الغلبة ؛ ولكن أهل الجنوب يريدونها أن تكون لهم ولن يتسنى لهم ذلك إلا بانتشار العبيد

لذلك نرى أن معضلة العبيد كبرى المعضلات وأنها ناجمة من عوامل أساسية ترجع إلى كيان الاتحاد نفسه ولمن تكون السيطرة فيه : لأهل الشمال أم لأهل الجنوب ؟ وهما قسمان متباينان مزقت بينهما عوامل البيئة ، هذا إلى ما فى المعضلة من عناصر خلقية إنسانية لها نصيبها من الخطر والاعتبار

ولما تقدمت بالاتحاد السنون أصبحت مسألة العبيد بحيث أن أدنى اضطراب فيها يؤدى إلى زلزلة فى هيكل الاتحاد كله ! ولقد فطن قادة الرأى إلى ذلك من أمد بعيد ، وذلك حينما انضمت ولاية جديدة هى ولاية مسُّورى إلى الاتحاد عام ١٨٢٠ ولنكولن يومئذ فى الثانية عشرة ، فلقد أصدر المجلس قراراً خطير الشأن عرف باسم « اتفاق مِسُّورى » ، ومؤداه أنه لا يسمح بانتشار العبيد شمال خط عرض ٣٦ أعنى أن هذا الخط يفصل بين الولايات التى يسمح فيها بنظام العبيد والولايات التى يحظر فيها ذلك النظام

منذ ذلك اليوم يعمل الساسة على توطيد هذا الاتفاق وكان من أكبر الداعين إلى مراعاته دوجلاس ذلك الذى رأيناه منذ أعوام بمجلس إلى جانب لنكولن نائباً فى مجلس مقاطعة ألينوس . ومما يذكر له فى هذا الصدد قوله : « إن هذا الاتفاق أبدى وجوهرى »

ولقد رأينا فيما سلف كيف كان دوجلاس ينافس ابراهام وهو يمد عينيه إلى الهدف ، ورأينا كيف كان يأخذ الطريق على منافسه فى كل شىء . وها هو ذا اليوم وله فى الحزب الديمقراطى مركز الصدارة ، يرج البلاد رجة عنيفة بخطوة جريئة من خطواته طلبت ولاية واسعة فى الشمال الغربى هى ولاية نبراس كنْـسيكا إلى الاتحاد أن يضمها إليه ، فسرعان ما عادت مسألة العبيد إلى الظهور كما عادت من قبل فى عدة حوادث وآخرها أخذ تكساس من المكسيك

عادت المشكلة وتفاقمت ، فهذه الولاية تقع شمال خط عرض ٣٦ ومع ذلك قام رجال الحزب الديمقراطى يدعون إلى جعلها ولاية من ولايات العبيد ! ولا تسل عما قام فى الشمال إزاء ذلك من هياج وغضب ونفور ، وهنا يخطو دوجلاس خطوته فيعلن أن قيام العبيد فى ولاية أو عدم قيامهم أمر يجب أن يترك الخيار فيه إلى الولاية نفسها ولا عبرة بعد ذلك برأى مجلس الاتحاد . بذل دوجلاس كل ما فى وسعه وهو يومئذ عضو فى مجلس الشيوخ حتى أصدر المجلس قراراً بذلك ، على الرغم من اتفاق مسورى وعلى الرغم من تصايح أهل الشمال وانزعاجهم

ومرت فى الشمال موجة من الهياج والسخط لن يصفها كلام ؛ ورأى كل من له حظ من الفكر أن هذا القرار الذى بذل دوجلاس ما فى وسعه لاستصداره هو الجمرة التى سوف تتوهج بعد حين فتندلع منها نيران الحرب الأهلية . ولقد كانت هذه الخطوة من جانب دوجلاس ، وما أعقبها من حوادث ، سبباً فى عودة لنكولن كرة أخرى إلى ميدان السياسة وقام بين الرجلين من جديد جلاد وصراع

« يتبع » الخفيف

تطور الحركة الأدبية
في فرنسا الحديثة(١)

فرديناند برونتيير F. BRUNETIÈRE

١٨٩٤ — ١٩٠٦

للأستاذ خليل هنداوى

— ٣ —

مدلول العوالم النفسية

إن علم النفس — في كلا المصرين المدرسي والابداعي — لم يصل إلى القول بأن كل شيء في النفس الانسانية واضح جلي. وكورني وديكارت يؤمنان بهذا الوضوح. أما راسين ومدام فايت وروسو فلا يؤمنون إيمانهما

يقول هرميون لأوريست:

— من قال لك ... إنني قلت لك إنني قتلت (پاروس) ولكن هذا ليس إلا جزءاً من نفسي الذي أبغضه وأريد نسيانه وأريد جزءاً آخر يقول عكس هذا

والأميرة (كلاف) لا تعرف ولا تريد أن تعرف لماذا لم تحب (كلاف) ولماذا أحبت (آخر) بدلا منه. إنها تناضل ولكنها لا تستطيع أن تفسر أسباب هذا النضال

أصحاب المدرسة الابداعية قد أحبوا الأهواء المضطربة، وملأوا رواياتهم بالمشاعر المظلمة، والنفوس التي يناقض بعضها بعضاً، ولم يجهلوا أن كل شخص إنما هو عالم بذاته بل جملة عوالم مختلفة. ولكن هؤلاء كأولئك قد جربوا أن يعملوا من هذه العوالم عوالم عقلية حيث يمكن النفاذ بوضوح من الأعمال إلى الأسباب. وقد أعطوا أمثلة على ذلك أسلوبهم الذي يعبر — بنظام عن الفوضى — وبوضوح عن التشويش

وهكذا كان علم النفس في المدرسة الاتباعية واضحاً لأنه يرى أن كل شيء يمر بالنفس، وكل شيء في النفس بالشعور. وبين المادتين — سواء تماكسا أو اتحدا — يمكن دائماً أن نجد مذهباً واضحاً قابلا للتحليل. ولكن هذه النظرية (الديكارتية) قد تحورت في القرن الثامن عشر (إذ ليس الإنسان ما يريد أن يكونه، أو ما تسمح له نفسه بأن يكون. فالمادة تعمل فيه وتؤثر فيه وهو يحتمل تأثير المناخ والبيئة، وهو يخضع لجسده ولكل ما يؤثر في جسده. وإن للمناخ والوسط تأثيراً كلياً وباستطاعتهما أن يغالبا الطبع الذاتي، ناهيك بأن التأثيرات التي تأتي من الجسد هي حالات وصدف تفر من كل منطق، ولقد تكون حياتنا الباطنة — في كثير من مواطنها — خالية من العقل

فالوراثة التي جعل منها — زولا — قاعدة علم النفس تستطيع أن ترتب الحوادث النفسية على حوادث سابقة. وأصحاب هذا المذهب يخضعون التحليل العلمي للمنطق العقلي، ويرجعون الحوادث النفسية لحالات عضوية خاضعة لنظم المادة. ولكن هذه المادية قد حطمت والتحليل العلمي قد نوقش فكان صبيانياً!

وها هنا تظهر مبادئ علم النفس المدرسي التي ظن أنها تهدمت. فان بعض علماء ماوراء الطبيعة من الألمان — كشوبنهاور وهارتمان — جربوا بأن يقولوا: ان العالم لا يُقاد بالعقل، وإنما يقاد بالإرادة دون ان تحسب حساب نفسها، ودون أن تقلق لكونها حقة منطقية. ولقد كان لفلسفة «شوبنهاور» تأثير ذائع في فرنسا حول سنة ١٨٨٠ وهي ولا ريب تمت بصلة الى علم ما وراء الطبيعة. ولكنها تعتمد في كثير من أصولها على نظريات نفسية طبية.

فإن آثار العالم — شاركو — ١٨٧٠ — ١٨٩٠ تعمل على إثبات النظرية القائلة بأنه يمكن أن ينشأ في العقل من موضوع واحد أفكار وإرادات مجهولة لا يعيها العقل الواعي؛ ولكنها تؤثر في الجسم تأثيراً أشد وأوسع مدى من تأثيره

والعالم — ريبو — بدرسه لأمراض الذاكرة والإرادة يثبت أن فينا — ذاكرات — لانعيها ولكنها تحيا في أنفسنا منتحية بعيدة، وباستطاعة داء ما أن يوقظها ويحييها. (وبطرس جابى) أقر بأنه يمكن في الكائن الواحد أن تقيم نفوس متعددة، كل نفس لها عالمها، وكل نفس تظهر بدورها. والفلاسفة أنفسهم يغادرون العالم الواعي ويفتشون عن المسائل الكبرى في عالم غير واع حيث لا سلطة للعقل ولا للمنطق. والطبيب الكبير

(١) عن الأستاذ «دانيال مورنى»

(فرويد) انطلق إلى دراسة الغريزة الجنسية وقال : ان فينا كائنين ، كائناً طبيعياً يلائم طبيعتنا ، وكائناً سطحياً يأتى بتأثير التربية والمجتمع . وشعورنا لا يريد أن يعرف إلا الثانى ، ولكن الأول هو الذى يبقى قادراً قاهراً . وهو الذى يطلب إلينا فى أعماق أنفسنا حركة أو حلماً أو جنوناً أو جريمة . وهذا التحليل النفسى — فى عدم الوعى — لا يبقى مغلولاً فى درس الحالات الشاذة . والفيلسوف — برغسون — يجد أن الشعور أو الوعى إن هو إلا جزء من كوننا العقلى وليس له دور لتحليل شىء أو عمله أو تفهمه . دوره دور عملى ... وهو يوضح فى بعض الأحيان نقطة الأشياء التى يجب أن نعمل عليها ، والناحية من الفكر الذى يستطيع أن يعمل . ولكن عقلنا وشخصيتنا قد يفوقان هذا القسم غير الواعى . وعند برغسون وغيره من الفلاسفة يصبح غير الواعى شكلا من الحياة الروحية ، والينبوع الخفى العريض العميق حيث تجرى برقة حياتنا الواعية المنطقية ... ونحو هذا الينبوع اتجه الرمزيون — منذ أعوام — والروائيون

المؤثرات الأجنبية فى الأدب الفرنسى

لم تكن رواية تولستوى ودوستوفسكى رواية رمزية ولا مبهمة ولا رواية لاشعورية . على أنها في بعض نواحيها تحمل طابع الثقافة الفرنسية المدرسية على أنها أثرت فى الطريقة التى جاءت بها الرمزية . فأشخاصها — ولا سيما أشخاص تولستوى — هم أقل اعتناء بالأفكار من المثل الأعلى ، وأقل ضجراً فى تحليل أنفسهم من أن يجدوا فى أنفسهم بساطة عميقة . ويظهر أنهم يجهدون النفوس ليتفوقوا على ذواتهم المفكرة المعقدة ليبلغوا ذاتاً بسيطة غريزية حيث يجدون سبب حياتهم . فعقلهم وإرادتهم المفكرة تعترضهما اندفاعات لذة عابرة يحتملانها بتوبيخ ولذة . هذه رواية نفوس ابتدائية أو وحى نفوس قد تكون كثيرة الدعوة إلى المثل الأعلى ، ولكنها عاجزة عن إيجاد مثلها الأعلى فى الثقافة العقلية

وهنالك تأثير (إبسن) ورواياته المسرحية ! فى مسرحياته موضوعات شديدة عنيفة لأنه كتب فى بلد ذى تقاليد راسخة ، وأخلاق مفرطة . عمل (ابسن) على تحرير الفرد من حالة خانقة ومن أنانية متسيطرة . أراد أن يحيا الانسان حياته فلا تكون المرأة عبدة للرجل ولا الأبناء عبيداً للآباء والأجداد . وهذه الموضوعات كانت سبب نجاح (ابسن) وقد لا يكون فيها ما يغرى كثيراً ولكن فى (ابسن) شيئاً وعبقرية . فان أشخاصه فى الوقت الذى يعرفون فيه بوضوح ما ذا يريدون ، وعند ما يفهمون أنفسهم ، ويتفاهمون ما بينهم تراهم لا يحللون أنفسهم ، ولا يتناجون ما بينهم محللين أنفسهم كالأشخاص فى المسرح المدرسى والحساب الذى يحملونه منهم يبدأ ثم ينتهى قصيراً . ولقد يخونون أنفسهم وقد تكون هذه الخيانة اندفاعية . وعملهم لا يظهر إلا لكى يعبر عن ضجرهم ، وكثيراً ما لا يفهمون أنفسهم ، ولا يفهمهم غيرهم . يشعرون بأنهم وحدهم ويحسون أنهم منقادون بما لا يُعرف نحو ما لا يُعرف فى خباية من الأسرار والحرقة مما لا يندى منه الرواية إلا قليلاً . ثم يأتى زمان يحسون فيه رموزاً — رموزاً لا أفكارا صافية ، ولكنها هادئة لا مضطربة . الحياة ليست خلاله منتظمة ولكنها معكوسة فيه كثيراً ، والفن أو عدم الفن يشدد تأثير العمق والأسرار

« يتلى » خليل هنداوى

في عيد الربيع

البعث *

للأستاذ محمود الخفيف

خَالِسِ الزَّهرَ في مُتوع نَهارِهْ   واستشفَّ الخفيَّ من أسْرارِهْ
مُدَّ عينيكَ في مطارفِه الخضْـ   ـرِ مَلِيًّا واسْتَشْعِرِ الحسْنَ وانْشَقْ
نفحةَ الخلْدِ من شذى نُوَّارِهْ

هو ذا البعثُ هزَّ كلَّ مكانٍ   ومَشى في الرِّياض جمَّ المعانى !
أطْلِقِ النفسَ في مواكبِ آذا   رَ وغَيِّبْ وساوسَ القلبِ واطرحْ
خلجاتِ الهموم في تَيَّارِهْ

سرِّحِ العينَ هل ترى غيرَ بِشْرٍ   ونماءٍ في كلِّ وادٍ وسِحْرِ ؟
والتَّباع وطَيْلسانٍ وَوَشْيٍ   وتهاويلَ تلمحُ النفسُ فيها
من معانى الربيع رُوحَ ابتكاره

الضُّحى زاخرٌ بفيضِ الحياةِ   والرَّوابى مِسْكيَّةُ النَّسماتِ
تَهْمِلُ النَّفْسُ من جَمالٍ وعِطْرٍ   وسنًا ساحرٍ تُطيفُ برُوحى
لمعُ الوحْىِ من وراء ستاره !

يقظةٌ في الرِّياض توقِظُ حِسِّي   وطُيوفٌ بها تَمَلَّكُ نَفْسى
يَخْفِقُ القلْبُ للجمال ويهفو   للضُّحى مثلَ زَهْرةٍ نبَّهتْها
نفحاتٌ من دِفْئِهِ وازْدهاره

نثرةٌ ها هنا ونقشٌ بديعٌ   واتساقٌ هُنا وحَشْدٌ جميعُ
زينةٌ صاغها الرَّبيعُ فنونًا   هِيَ في العَيْنِ بهجةٌ وهْيَ لحنٌ
مَلَكَ القلبَ واستوى في قَرارِه

زَهَراتٌ فيهنَّ يغرقُ طَرْفى   تتحدَّى ألوانُها كلَّ وَصْفِ
طافَ بالنفسِ عندهنَّ شعورٌ   أين منه البيانُ ؟ أينَ القوافى ؟
أينَ نورُ الصَّباحِ من أنوارِهِ ؟!

خطراتٌ تميلُ بي للسُّجودِ   وَرُؤًى مِن وراءِ هذا الوجودِ !
شاعَ في نفسيَ الجلالُ ومسَّتْ   من هدى البارِيءِ المصوِّرِ قلبى
لمحاتٌ تُشْتامُ في آثاره

يا رُبوعًا أفوافُها سَحَرتْنى   زحمةُ الحُسْنِ حولَها شغلتنى !
تتبارى جموعُها باسِماتٍ   وادعاتٍ في زَهْوِها خفِراتِ
شاقَها للرَّبيعِ طولُ انتظاره

امْلإِي القلبَ من حديثِ الشبابِ   وأفانينِ لَهْوِهِ المُسْتطابِ
إيهِ يا زهرةَ البنفسجِ هاتى   ما تحفظينـــه وأفيضى
من حديث الهوى ومن أخبارِه

وصِفِى يا وُرُود وَرْدَ الخدودِ   ورُوَاءَ الصِّبا وطُهْرَ الوُعودِ
هيهِ! هذا الرَّفيفُ هاجَ فؤادى   هاتِ! هاتِ الحديثَ حُلوًا ندِيًّا
كنسيمِ الرَّبيعِ في أسحاره

صوِّرى لى من الجمال الشِّفاها   حالماتٍ رفَّتْ عليها مُناها
هدهدِى القلبَ يا ثغورَ الأقاحى   روِّحيه بهمسةٍ من عتابِ
كم عصرتُ السُّلافَ من قيثاره

العصافيرُ في العِشاشِ تغنِّى   ما أرى مثلَ لحنها أىَّ لحنِ
فرحٌ صادقٌ ولهوٌ غريرٌ   وهناءٌ ونشـــوةٌ وزِياطُ
يَرْغَبُ القلبُ بينها عن وَقاره !

واليماماتُ قد ذَكَرْنَ الهديلا   فنظمْنَ الغناءَ لحنًا جميـــلا
ناعماتٍ في أيكها خافضاتٍ   يملأُ السمعَ من غناها حنينٌ
لو حكى العودُ شجوَهُ لم يُجارِه

والفراشُ الطَّروبُ حُلوُ الطَّوافِ   في الرُّبا، في البطاحِ، حولَ الضِّفافِ
حائمٌ خافقٌ بعيدٌ قريبٌ   جدَّ في الرَّوْضِ سابحًا وتهاوى
حائرًا بين زهرِهِ ونمـــارِه

فرحةٌ هزَّ سحرُها كلَّ حىٍّ   صُغْتُ لحنى من لحنِها العبقرىِّ
تتوالى الأيامُ كرًّا ويبقى   سحرُ هذا الجمالِ يُبهجُ نفسى
كلما طافَ طائفٌ من نهاره

هالِ.ها (*) يا بواسمَ الزَّهَراتِ !   هالِ.ها. يا سواجعَ الأيكِ هاتى !
ما غدٌ ؟ هذه الهُنَيْهةُ حَسْبى   واعظًا ، بتَّ بعدَهُ لا أبالى
بصروفِ الزَّمانِ أو أكداره

الخفيف

* بدأت في مستهل الربيع وحالت دون إتمامها شواغل حتى جاء نشرها في عيد من أعياده

* نستعير هذه الكلمة من أستاذنا الجليل محمد فريد أبو حديد وقد ابتدعها كلمة نداء مرحة تقوم مقام كلمة Heigh ho الانجليزية

شوقي و الرافعي في النحو

لأستاذ جليل

قال الأستاذ محمد سعيد العريان في مقالاته الأنيقة (الرافعية) في (الرسالة) الجامعة الغراء: « وكانت — يعني مقالة الرافعي في شوقي في المقتطف — دراسة أعتقد أن أحداً من كتاب العربية لم يكتب مثلها عن شوقي أو يبلغ ما بلغ الرافعي بمقاله. وكان مما أخذ الرافعي على شوقي وسماه غلطات في النحو أو اللغة أن شوقي ابتدأ بالنكرة في قوله:

ليلى، مناد دعا ليلى نخف له
نشوان في جنبات الصدر عربيد

أقول: الحقّ أنّ مقالة الأديب الكبير الأستاذ الرافعي في (أمير الشعراء) — رحمة الله عليهما — هي من أبلغ ما قال القائلون في شوقي، وأما قول الأستاذ محمد سعيد: إن شوقياً ابتدأ بالنكرة في قوله: ليلى، البيت، فهناك اشتباه والأشياء تشتبه. وهذا البيت لم يروه الأستاذ الرافعي، والذي أورده في مقالته في المقتطف الغراء في أبيات وخطّأ (نحويته) وصوّبها الكاتب المشهور الأستاذ (العقاد) هو هذا:

إن رأتني تميل عني كأن لم تك بيني وبينها أشياء

وابن مالك يقول: « وبعد ماض رفعُك الجزا حسن » ويقول ابن عقيل: « إذا كان الشرط ماضياً والجزاء مضارعاً جاز جزم الجزاء ورفعه، وكلاهما حسن » وأدق من قولي ابن مالك وابن عقيل قول تلميذ (الخليل) في (الكتاب) « وقد تقول: « إن أتيتني آتيك أي آتيك إن أتيتني » ، قال زهير:

وإن أتاه خليل يوم مسألة
يقول: لا غائب مالي ولا حرِمُ »(1)

(1) الخليل: المحتاج ذو الخلة، والحرم بمعنى الحرام أي إذا سئل لم يعتل بغيبة مال ولا حرمه على سائله (الشنتمري)

وفي (كتاب الله): « من كان يريد حَرْثَ الآخرة نَزِدْ له في حرثه، ومن كان يُريد حرث الدنيا نؤتِهِ منها، وما له في الآخرة من نصيب »

فالرفع حسن والجزم أحسن، وللنحاة في الترجيح أقوال

وأما قول شوقي: «ليلى مناد دعا ليلى نخف له الخ» وابتداؤه بالنكرة فنذَر الكلام في ذلك لابن الدهان وقد استجاده الرضى فنقله في (شرح الكافية): « قال ابن الدهان — وما أحسن ما قال: إذا حصلت الفائدة فأخبر عن أي نكرة شئت، وذلك لأن الغرض من الكلام إفادة المخاطب، فإذا حصلت جاز الحكم سواء تخصص المحكوم عليه بشيء أو لا. فضابط تجويز الإخبار عن المبتدا وعن الفاعل سواء كانا معرفتين أو نكرتين مختصتين بوجه أو نكرتين غير مختصتين بشيء — واحد: وهو عدم علم المخاطب بحصول ذلك الحكم للمحكوم عليه. فلو علم في المعرفة ذلك كما لو علم قيام زيد مثلا فقلت: زيد قائم عُدّ لغواً، ولو لم يعلم كون رجلٍ ما من الرجال قائماً في الدار جاز لك أن تقول: رجل قائم في الدار، وإن لم تتخصص النكرة بوجه، وكذا تقول: كوكب انقض الساعة، قال الله تعالى: « وجوهٌ يومئذٍ ناضرة »

* * *

الحديث عن (شوقي) ذكّرني عبارات من مرثيَة قيلت فيه:

بُلبُلُ (الكرْمة) ولّى! أين غاب البُلبُل؟
أين غاب البُلبُلُ؟!
زَهَرُ (الكرمةِ) يبكي بدموعٍ ظاهراتٍ في الصباح!
فَنَنُ (الكرمة) آسٍ: لا اهتزازٌ، لا ارتياحٌ، لا طرَب!
بَهْجةٌ زالت، وجاءتْ وَحشةٌ، وعرا (الكرمةَ) حُزْنٌ لا يَريمُ(1)!
أبا علي، الشعرُ بعدكَ ما نطق!

الاسكندرية

« * * * »

في كلمة (المخترعات وكتاب الفصول والغايات): « ويأوى في فراشه » وهي: (ويأوى إلى فراشه) وفيها: «المصوان» وهي (المصوات) بالتاء

(1) لا يريم: لا يفارق

في المــــذهب الرمزى

تعليــــق

للدكتور بشر فارس

قبل أن يندفع قلمى فى التعليق أحب أن أشكر لصــاحب « الرسالة » انبساطه إلى مسرحيتى « مفرق الطريق » إذ سمح بنشر نقد مسهب لها لأسبوعين مضيا ، ثم بحث مستفيض فى المذهب الرمزى لأسبوع مضى ، وكلاهما من قلم الأستاذ زكى طليمات مفتش التمثيل بوزارة المعــارف . وكأن صاحب « الرسالة » يُصرّ أن تُنقل الأساليب المستحدثة على يده إلى قراء العربيــة . أليست « الرسالة » رسالة ؟

والحق أنى ما كنت لأتوقع أن يهتز القراء حتى النقاد لمسرحيتى ذهاباً منى أنها تنحرف عن ألوان الأدب المعروفة عندنا انحرافاً شديداً فلن يكون مصيرها سوى الضياع ، حتى فوجئت بطائفة من الرسائل والمقالات جعلتنى أري الشرق العربى غير نفور مما يهجم عليه من باب كان مغلقاً ، بل غير جزوع مما يحمِّل الفهم بعض المشقة . وإليك دليلا على هذا ما بعث به الأستاذ أمين الريحانى : « تصفحت الرواية أولا بشيء من الاستغراب والدهش . ثم قرأتها لأفهمها ففهمتها — أظن — واستكبرتها على صغرها . ثم أعدت قراءتهــا للمرة الثالثة متلذذاً بمحاسنها الفريدة الجمة ، برقائقها الصوفية ، وحقائقها المادية ، ونظراتها الفلسفية ، وروائعها الفنية ... » . فإنى لفرح بهــذا الأمر لأنى حققت ما قلت فى توطئة المسرحية : « وعندى أنه قد حان الزمن الذى فيه أصبح الإيجــاز والإيماء فى الانشاء الرفيع أحب إلى القارئ العربى المهذب من التطويل والتذييل ... »

هذا وقد خطر لى أن أصنع للمسرحية توطئة جامعة أبسط فيها طريقة المسرحية لأهيئ الأذهان إلى الوقوف عليها ، لا تطاولاً منى ، معاذ الله ! ولــكن تلطفاً فى استدراج القارئ إلى القراءة وكشفاً عن نزعة قلمى . وإذ لم أجد بداً من إطلاق عنــوان على تلك الطريقة دونت هذه الجملة : « هذه قصة تمثيلية على الطريقة الرمزية — إذا شئت . » أتدرى لم قلت « إذا شئت » ؟

إن لفظة الرمزية فى الأدب الحديث تصرف ذهنك على الفور إلى الطريقة التى ابتكرها نفر من شعراء الفرنسيين خاصة حول سنة ١٨٨٦ ، تمرداً على الأسلوب الوضعي الجامد الذى كان له الأمر فى ذلك العهد ، وانقلاباً إلى وحى الوجدان : إلى تغليب الإحساس على العقل . وروّاد الرمزية (ألويزوس برتران) و (جيرار دى نرڤال) ولا سيما (بودلير) الفحل . وأما أبطالها ف (أرتر رامبو) و (پول ڤرلين) و (مالارميه) ثم (لافورج) و (كاهن) و (رودنباخ) و (فرهارن) و (موراياس) و (ستوارت مِرل) و (هنرى دى رينييه) و (ديجاردان) و (سامان) وغيرهم . وسرعان ما انتحى المذهب نواحى مختلفة بالإضافة إلى الأداء وإن استقامت جميعها على عمود واحد من الاستلهام . وإذا نحن وقفنا عند أبطال المذهب أصبنا (رامبو) يعول على السحر اللفظى ، و (ڤرلين) على الترنم ، و (مالارميه) على الايهام . وقد دُوِّنت هــذه النواحى إلى جانب ما وقع بين أصحابها من المناظرات فى مجلات صغيرة أنشئت للدفاع عن الرمزية وبثها فضلاً عن هدم الشعر الاتباعى القائم ، اذكــر منها : le Symboliste, la Cravache, le Scapin وكان لأجــل « الرمزية » — فوق هذا — قهوات يجتمعون فيها ، قد أدركت واحدة منها فى باريس قبل أن تنقلب قهوةً حديثة ، وكان اسمها le Panthéon ، وهي اليوم Caboulade

وقد راسلت « الرمزيةَ » فى الشعر « رمزية » فى الموسيق والفن تأخــذ مأخذها . وأمهر الموسيقيين الرمزيين (كلود ديبوسى) ، وأبرع المصورين (بوفيه دى شاڤان) ، والنحاتين (رودان) معلم جبران خليل جبران

ثم إن « الرمزية » الشعرية امتدت إلى ما يلى فرنسا شمالاً وجنوباً . فظهر فى ألمــانيا (رلــكه) و (ديمل) ، وفى انجلترا (ييتس) ، وفى البرتقال (أوجينيو دى كاسترو)

وأما مصادر هذه « الرمزية » فيتنازعها الأدب والفلسفة والفن والموسيق . وإذا نحن قررنا أن الرمزية إنما هى — آخر الأمر — التعبير عن الحيــاة الباطنة رجعنا خاصة إلى تأويل (بودلير) : « الفن الخالص أن تخلق سحراً يوهم ويوحى فيضم فى آنٍ الذات والموضوع » ، وإلى قولة (شوبنهور) : « العالم هو ما يتمثل لى » ، وإلى منهج نفر من المصورين الانجليز الوسومين

بهـذا اللقب Pre - Raphallite Brotherhood ، وهو منهج يصمد إلى سنة ١٨٤٨ وقوامه أن المصور ينبغى له أن ينبذ القواعد المضبوطة ليترك عينه تقرأ على هواها فى صحيفة الطبيعة . ثم إلى ثورة (ڤجنر) على الأوبره التقليدية وإدراجه « المنصر الإنساني الخالص » أو « Rein menochlick » فى المأساة الموسيقية

***

تلك هى الرمزية الأولى في الأدب الأفرنجى الحديث ولاسيما فى الشعر . وقد انحلت إلا قليلاً عند مختتم القرن التاسع عشر . إلا أنها شقت طريق أدب العصر ، وخلّفت مذهباً آخر هو مذهب الـ Surréalisrne (ماوراء الواقع) . بل إنك ترى الأدب والفلسفة وعلم النفس والموسيقى والفن حتى الرقص تجرى اليوم إلى غاية واحدة ، وكل واحد منها يؤثر فى الآخر . وكان بودى أن أشير إلى كل هـذا حتى يأتى اليوم الذى فيه يتاح لي أن أكتب رسالة ضافية فأشرح هـذا الجانب من الثقافة الحديثة . ولكنى أخشى الإطالة وأكره أن يتطرق الملل إلى قراء «الرسالة» . وجل ما أثبته اليوم أن الظاهرة الغالبة على آداب هـذا العهد وفنونه فى بلاد الفرنجة إنما هى الرغبة فى الفرار ، لا الفرار من الدنيا أنفةً ومرضاً نفسانياً على النحو الابتداعى (الرومنتيكى) ، ولكن الفرار من المنقول والمصطلح عليه ، ومن القواعد القائمة والصناعة الموقوفة ، ومن العالم المتناسق المختلق اختلاقاً بكد أذهاننا ، ومن الطبيعة البشرية الموثوقة ، ومن العقل المتصلب والمنطق المتجمد واليقين الملفق

***

أتدرى لمَ قلت : « ... إذا شئت » ؟

إنى أردت أن أستدرك ، محاذرة أن ينصرف ذهن القارئ إلى الطريقة الرمزية الأولى خاصة . وقد أضأت هـذا الاستدراك بخمس صفحات بسطت فيها وجهة الأسلوب الذى أجريت عليـه المسرحية ، فجاء حديثي عن الفاسفة والأدب كالتأسيس ، وكلامى على التصوير والموسيقى والرقص كالتمثيل . ثم إنى لم أعرض لتاريخ الرمزية لأن التوطئة رسالة فنية لا شأن للنقد فيها . على أن ذلك الأسلوب إنما هو أسلوب « انساق له قلمى ورفّت إليه نفسي بعد التحصيل والروية والاجتهاد » وإن كان متأثراً بالرمزية الأولى ولا سيا بالمذهب الذى خلفته . وهذا الذى حملنى على أن أختار لفظة « الرمزية » دون غيرها فضلاً عن أن المسرح الحديث لا يزال يحمل هذه اللفظة عنواناً له

حقاً إن الرمزية الأولى كانت قد أوحت مسرحيات مثل la Petite Bête (لبول فور) و Intérieur (ليترلنك) و Llbu Roi (لجارى) مثلت كلها فى Théâtre d'Art و Théâtre de l'æure . غير أن المسرح الحديث وإن سماه أهل الفن « المسرح الرمزى » من باب الاصطلاح لينهض على عناصر تزيد على التى عرفتها الرمزية الأولى : ينهض على نتائج علم النفس الحـديثة (تجارب «شاركو» فى التنويم والإيهام ، و«ريبو» فى أمراض الذاكرة والإرادة الشخصية ، و « فرويد » فى أحوال العقل الباطن ، و« برجسون» فى تغلب المضمر الذى فى النفس على البارز) ونظريات الفلسفة (الإدراك بالبصيرة لا بالعقل على نحو مايرى « برجسون» ثم الشك فى العلم المطلق والرفع عن المواضعة حسب مذهب علماء الطبيعة لهذا العصر) وقصص جماعة من الروس مثل « دوستيوفسكى وتولستوى وجوركى » ففيها يبرز الخلق كأنهم على فطرتهم ، ولـكنها فطرة من صفت نفسه حتى أنها تأبى القناعة بثقافة الذهن وحده) ، ومسرحيات أدباء الشمال مثل « بيورنسن» ولا سيما «إبسن» حيث الغالبات النفسانية تصرع قوى الحيـاة الاجتماعية ، ثم قصص فئة من الانجليزيات مثل « كاترين منسفلد» و«ڤرجينيا وولف» لـما يطرد فيها من التأثرية المحضة . ثم أضف إلى هذه العناصر ما انبثق من جانب الفنون الأخرى كالتصوير التعبيري والموسيقى التأثرية والرقص الإيهامى

والمسرح الرمزي الحديث على ألوان . ولا أحب أن أفيض فى هذا الموضوع الجديد . وحسبى أن أذكر أسماء بعض رجاله النابهين ، وهم : (إبسن) و (هوبتمن) و (ميترلنك) وإن رجعت طريقته إلى الرمزية الأولى ، و (هنرى باتاى) أحياناً ، و (لينورمان) وإن كانت طريقته قريبة المأخذ ، و(كلوديل) وإن نزع إنشاؤه إلى ماوراء الطبيعة على مثال إنشاء صاحبه ڤاليري الشاعر ، و (جانتيون) مؤلف قصة « مايا » التى شهدتها ثلاث مرات فى مسرح (مومبارناس) فى باريس سنة ١٩٣١ ، و (جان كوكتو و(جيرودو) و(بريستلى) أخيراً و(أليس جرنستبرج)[1]

(١) وفي « مقتطف » دسمبر سنة ١٩٣٧ مسرحية فى فصل واحد لهذه المؤلفة منقولة عن الانجليزية بقلم الآنسة ميزفا عبيد

و (بيرندللو) العظيم ثم (روبندرونات توجور) إذا شئت ، وإن كانت مسرحياته تشف عن وثبات الصوفية الهندية

كتبت « هذه قصة تمثيلية على الطريقة الرمزية — إذا شئت . غير أن النقاد وقفوا عند مفاد الرمزية الأولى أو كادوا سواءا أهملوا الخوض في مفادها أم خاضوا . وممن خاض الأستاذ صدبق شيبوب فى صحيفة « البصير » (٨ ابريل ١٩٣٨) والأستاذ زكى طليمات فى مجلة « الرسالة » . ثم إن الأستاذ ميخائيل نعيمة كتب إلى يقول : « ... ومسرحيتك هذه تدرج على الطريقة الرمزية ، طريقة فاليري (الشاعر المذكور فوق هذا الكلام) وهى كزىّ جديد فى الأدب العربى حقيقة بأن نؤهل بها . . . ووقعت فى مقدمتها (يعنى توطئتها) على أدق وأجمل بيان قرأته فى العربية عن الطريقة الرمزية وغاياتها . . . »

إلا أنه لايفوتنى أن أذكر أن ناقداً واحداً تنبه لما أردت . فقد نشرت صحيفة (الجورنال ديجبت) le journal d'Egypte البارزة فى القاهرة ، يوم (١٩ ابريل ١٩٣٨) ، مقالا غزيراً باللغة الفرنسية للأستاذ إدجار جلاد ، جاء فيه أن الرمزية فى « مفرق الطريق » بين التأثيرية والتعبيرية وأنها تتميز بالبصيرة الشرقية فهى لا تماثل الرمزية الأولى

أن أدفع وهماً ذلك الذى بعثنى على كتابة هذا التعليق . وقبل الخروج منه أحب أن أشكر للأساتذة ميخائيل نعيمة وزكي طليمات وصدبق شيبوب فضلهم . وهل للأستاذ زكي طليمات أن يأذن لى فى أن أكاشفه بأنى فرحت فرحاً شديداً لما أصبته يستعمل فى مقاليه بعض تراكيب جرت على قلمى فى توطئة المسرحية ، منها : « المحسوس وما وراء الحس » ، « لوامع النفس » ، « منعطفات الروح ومثانى المادة » ، « التخيل المنسرح » ، وما فرحى إلا لأنى أرى تراكيب اجتهدت فى سياقها تنطلق على قلم كاتب مِفَنّ ، وكنت أخشى أن تموت يوم ولدت . ثم هل للأستاذ زكي طليمات أن يفسر لى قوله فى بحثه فى المذهب الرمزى « إن ب . ف . يكتب متثبتاً بما تلقنه ؟ » وفى « لسان العرب » « وقد لقننى فلان كلاماً تلقيناً أى فهمني منه مالم أفهم »[1]

بشر فارس

(١) وثمة شىء آخر — ذكر الأستاذ طليمات أن جبران خليل جبران من رواد الرمزية فى الأدب العربى المستحدث . والذى يبدو لى أن جبران إنما جرى على منهاج (وليم بليك) الانجليزى William Blake (١٧٥٧ — ١٨٢٧) ذلك الشاعر الصوفى والفيلسوف المحدث القلب





وفاة الأستاذ السكندري



نعى يوم الثلاثاء الماضي الأستاذ الشيخ أحمد الاسكندرى بك ، وكان وقع نعيه أليماً ، فالفقيد أستاذ جليل من المثقفين والمتعلمين ، وكان لايزال كثير النشاط ، متوفراً على البحث والدرس ، وآخر مواقفه المشهودة تمثيله لمجمع اللغة العربية الملكى فى المؤتمر الطبي العربي فى بغداد حيث أعلى صوت مصر ورفع كلمتها

تخرج الفقيد فى دار العلوم سنة ١٨٩٨ ، واشتغل بالتدريس فى المدارس الأميرية حتى عين أستاذاً للأدب العربى فى دار العلوم سنة ١٩٠٧ ، وفى سنة ١٩١١ انتدبته وزارة المعارف للسفر إلى مؤتمر المستشرقين

وفى سنة ١٩٣٤ استدعته الجامعة المصرية لتدريس الأدب العربى بكلية الآداب . ثم اختير عضواً فى المكتب الفنى بوزارة المعارف . وكان عضواً فى مجمع اللغة العربية الملكى منذ نشأته . وفى فبراير الماضي اختير عضواً فى المجلس الأعلى لدار الكتب

ولم يكن الفقيد إبان اشتغاله بالتدريس بالمدرس الذى يحصر جهده فى دائرة المدرسة ، وإنما دأب — حياته — على دراسة اللغة العربية وآدابها ، وكان أثره بارزاً فى توجيه الدراسات العربية توجيهاً حديثاً ، فهو مؤلف كتاب « الأدب العربى فى العصر العباسي » ، وكتاب « الوسيط » الذى اتخذه كثير من المؤلفين في تاريخ أدب اللغة العربية مرجعاً ومنهجاً ، فكان بمثابة الأصل الذى قام عليه كثير من الكتابات فى الآداب العربية . وهو أول المؤلفين الحديثين فى فقه اللغة ودراسة اللهجات، وأول من قام بتدريس فقه اللغة فى دار العلوم

ولجهود الفقيد فى الدراسات الأدبية واللغوية أخذ مكانة ممتازة بين العلماء وأفسحت له الأوساط العلمية صدرها فكان فيها السبّاق . وهو آخر طبقة جليلة من الأعلام الذين أنجبتهم دار العلوم مثل المهدى والخضرى وحفنى ناصف ، فكان لهم فى الدراسات العربية أثر خالد

ومما يذكر أن كثيراً من جهود الأستاذ السكندرى فى دراسة اللغة العربية قام عليها نتاج مجمع اللغة العربية ، فمحاضر الجلسات وصحيفة المجمع زاخرة بآثاره ودالة على وفرة علمه

جزى الله الفقيد خيراً عن خدمته للغة كتابه الكريم

أسبانية فى نظر الرحالين المسلمين

سيدى صاحب الرسالة

بعث إلى صديقى Henri Pérès (هنرى بيريس) بكتاب غزير المادة يقع فى مائتى صفحة من القطع الكبير ، ظهر فى باريس فى مختتم سنة ١٩٣٧ على يد الناشر Adrien Maisonneuve وعنوان الكتاب l'Espagne vue par les voyageurs Musulmans de 1610 à 1930 (أسبانية في أعين الرحالين المسلمين من سنة ١٦١٠ إلى سنة ١٩٣٠)

والأستاذ (هنرى بيريس) مستشرق فرنسى معروف وهو من أساتذة كلية الآداب فى الجزائر ، وله طائفة من الباحث

تعرض خاصة للأدب العربي ولا سيما الحديث منه . وأما الكتاب الذي بين يدي فيسرد تأثرات من رحل من المسلمين إلى أسبانية ونظراتهم . وإليك أسماءهم : الوزير الغساني (القرن السابع عشر) الزياني والغزال (القرن الثامن عشر) ، الكردودي وابن التلاميد التركزي الشنقيطي والورداني واحمد زكي باشا (القرن التاسع عشر) محمد فريد وأحمد شوقي ومحمد كرد علي ومحمد لبيب البتنوني وسعيد أبو بكر ومصطفى فرّوخ (القرن العشرون)

وقد جاء السرد على الطريقة العلمية بما قام عليه من المراجع وما غلب عليه من التحليل البعيد الغور . وكثيراً ما نقل المؤلف إلى اللغة الفرنسية بعض النصوص العربية من شعر ونثر تتناول وصف الطبيعة أو النظر في الأخلاق والتاريخ والفن على وجه عام

وفي رأي المؤلف أن المسلمين الذين دونوا رحلاتهم الأسبانية ينقسمون قسمين : أما الأول ، وامتداده من سنة ١٦١٠ إلى سنة ١٨٨٥ ، فأصحابه عدوا أسبانية وطناً مغتصباً وأهله إخواناً أفسدت النصرانية نزعاتهم وبدلت من عاداتهم ، ثم كتبوا ما كتبوا وهمُّهم تقرير الملموس دون تدوين المحسوس . وأما القسم الثاني فأصحابه — وفي مقدمتهم أحمد زكي باشا في كتابيه « السفر إلى المؤتمر » ثم « الرحلة الكبرى » والبتنوني « رحلة الأندلس » ، ومصطفى فرّوخ — « رحلة إلى بلاد المجد المفقود » بيروت — فقد عدوا أسبانية « الفردوس المفقود » فأطلقوا ألوان شعورهم تحسراً على ما ضاع وفخراً بما كان وغضباً مما حدث وفيهم المؤرخ والشاعر والسياسي والاجتماعي والفنان . ثم رأوا أهل أسبانيا قوماً لهم معايب ومحاسن . أما هذه فترجع في الغالب إلى أرومتهم العربية ، وأما تلك فتصدر في الغالب عن الحضارة الأوربية وعن العنصر الأسباني الأول . فجاءت كتابتهم أقرب إلى التأثر منها إلى التفكر ، وطريقتهم ألصق بالذاتية منها بالموضوعية على ما يطرد في رحلاتهم من ألوان الوصف الدقيق للأخلاق والعادات والعمران واللغة والفنون

واسلم سيدي الأستاذ ، لمن يخلص لك الود بشر فارس

بعثة السر جون مرى ونتائج رحلتها العلمية

تلقت إدارة الأحياء المائية منذ أسبوع ثلاث رسائل جديدة من بعثة السر جون مري العلمية البحرية عن نتائج رحلتها الأوقيانوسية

وإحدى هذه الرسائل وضعها المستر (ما كان) من أعضاء البعثة عن « نجوم البحر » ، وهي من الأحياء المائية التي تعيش في المحيط الهندي ، وقد ذكر فيها أن البعثة أحصت من هذه الأحياء ١١٦٠ نوعاً تنقسم إلى ٥٣ قسماً منها ١٨ نوعاً جديداً كشفتها البعثة في رحلتها الأخيرة إلى الأوقيانوس الهندي ، وأطلق على أحد هذه الأنواع اسم الكولونل سيول رئيسها ، وسمى نوع آخر باسم الدكتور حسين فوزي مدير إدارة الاحياء المائية وكان من أعضاء البعثة المصريين ، وسمى نوع آخر باسم الدكتور عبد الفتاح محمد « من الأعضاء المصريين أيضاً » ونوع باسم السفينة « مباحث »

والرسالة الثانية وضعها الدكتور محمود رمضان عن الأحياء المائية ذوات القشور كالجمبري ونحوه

والثالثة وضعها الدكتور ستوبخ الأستاذ في متحف التاريخ الطبيعي في لندن عن نوع من الأحياء المائية يدعى (البترويودا)

مؤتمر مشاكل الشباب — دعوة مصر للاشتراك فيه

تلقت وزارة الخارجية دعوة موجهة إلى الحكومة المصرية للاشتراك في مؤتمر دولي (لدراسة مشاكل الشباب) يعقد في غضون الصيف القادم بنيويورك

وقد أحالت الخارجية تلك الدعوة إلى وزارة المعارف ، فرأت إخطار الجامعة المصرية بنبأها حتى إذا رغبت في الاشتراك فيه اتخذت التدابير لإيفاد من ترى إيفادهم لتمثيلها في المؤتمر المشار إليه

وقد درجت أمريكا على عقد دورات هذا المؤتمر فيها وأخذت في بث الدعاية له في الممالك والحكومات المتباينة . ولم تغفل أوساط الشباب وبيئاته بل تمنحهم امتيازات تحببهم في السفر إليها للاستفادة منه

ويتناول المؤتمر بالبحث والدراسة كل ما يتصل بحياة الشباب ومشاكله ، وتوجيه الرغبات للحكومة بحلها على ضوء النظريات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية الجديدة

مصر والآداب الفرنسية

نشرت جريدة « الجورنال » مقالة مسهبة للمسيو فرنسوا بياتري بعنوان « مصر والآداب الفرنسية » امتدح فيها سير الحياة العلمية والأدبية في مصر وأظهر ما للمدارس الفرنسية من الشأن المظيم ، وقال إن عدد الأساتذة والمدرسين فيها يبلغ ٢٤٨٥ منهم ٧٨٢ من الفرنسيين و ١٧٠٣ من المصريين والسوريين وأما

مجموع عدد الطلبة فيها فيبلغ ٥٢٤ر٤١ منهم ١٩٦٥ من الفرنسيين ثم نوه بمزايا التفاهم والاتفاق بين البعثات الفرنسية الدينية والعلمية ووصف ما انطبع في نفسه من زيارته الأخيرة لمصر حيث كان من أعظم بواعث سروره أن يرى أن أثبت وأرسخ محالف هو التحالف العسكري الأدبي

أبو تمام أيضاً

سيدي الأستاذ

في الرسالة (٢٥٠) كتب المخرج المسرحي الكبير الأستاذ زكي طليمات كلمة بديعة عن المذهب الرمزي في الأدب . ولقد تناولت كلمته الأدب الاسلامي فذكر الخيام وشعر الخيام

فليسمح لي إذن بأن أذكره بشاعر آخر هو — في نظرنا — خير من يمثل الرمزية في الأدب العربي كله . وهذا الشاعر هو حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام . فرمزية أبي تمام هذا تستحق منا — في الحقيقة — جزءاً غير صغير من عنايتنا إذا نحن نظرنا في الرمز بصفة خاصة ، وفي الشعر العربي بصفة عامة

فإذا اتسع لهذا القلم العاجز صدر الرسالة الفاضلة ، استطعنا أن نهدي إلى الأستاذ طليمات باقة صغيرة من رمزية أبي تمام ، كرمز تقدير له ... والسلام عليكم ورحمة الله

م . وهبه
نزيل بالقاهرة

حول الدوس هكسلي

اطلعت في عدد الرسالة الأخير في باب « البريد الأدبي » عن « الدوس هكسلي » على بعض أخطاء أحب أن أصححها لكاتبها فقد ذكر أن « أوليسيس » من تأليف « إليس » والواقع أن أوليسيس كتاب شهير من تأليف جريس وهو أهم مؤلفاته وترجم إلى لغات كثيرة . والخطأ الثاني أنه ذكر أن إليس ألف كذلك « قصة » رقصة « الحياة » ورقصة الحياة ليست قصة وإنما هي كتاب فلسفي لها قبيلك أليس . أرجو ياسيدي الأستاذ أن تنبه صديقنا لما ذكرت ولأخطاء مماثلة عن الدوس هكسلي نفسه منها أنه حفيد هكسلي الكبير لا ابنه كما ذكر الكاتب الفاضل ... ودمت للمخلص الشاكر

ناجي

معهد الشواذ — تأليف لجنة لدراسة المشروع

عهدت وزارة المعارف إلي لجنة من موظفيها ، دراسة مشروع انشاء معهد للشواذ ، مؤلفة من حضرات الأساتذة ناظر معهد التربية وصاحب التعليم الابتدائي وأحد أساتذة معهد التربية ، وناظر فاروق الأول الثانوية ، ومدير متحف التعليم الذي يتولى أعمال السكرتيرية

وستكون مهمة تلك اللجنة دراسة المشروع من حيث حاجة البلاد إليه ، ووضع البرامج والخطط الدراسية اللازمة له ، والنظام الذي يتبع فيه وإعداد المدرسين الذين تتألف منهم هيئة التدريس

ويظهر أن الرأي متجه إلى إيفاد بعثات للتخصص في شئون الشواذ ، وقد طلب إلى اللجنة المشار إليها إنجاز مهمتها على وجه الاستعجال ، حتى تتمكن الوزارة من تنفيذ المشروع في السنة الدراسية القادمة

كتاب هندي عن مدنية الغرب

زار الدكتور ف. كارا كا — وهو من خيرة المثقفين الهنود — طائفة من ممالك الغرب ليخبر مدى ما بلغته من المدنية ومقدار ما أدركته من الحضارة ، ثم عاد ليكتب مؤلفه (Igo weat) أو رحلته إلى الغرب . وقد صدر هذا الكتاب منذ أسبوعين فأثار ضجة كبيرة وكان لصدوره صدى عظيم خصوصاً في انجلترا . فقد أرسل المؤلف لسانه في الحضارة الانجليزية ، ونال منها بقلمه ما لم ينل منها قلم آخر من قبل . وقد تصفحنا الكتاب فرأينا المؤلف يكتب كوطني هندي ينقم على الانجليز كل ما تلقى الهند من مصائب ويعزو إليهم تأخرها وانحطاطها بما سلطوا عليها من رجال (الطبقة الثانية) كما يسمى القائمين بالأمر منهم في بلاده ، ويقصد بهم هذه الفئة العسكرية التي تتكلم بالسيف وبالمدفع ، وتحكم الملايين من بني جلدته بالحديد والنار ، وتضحك على عقول أغنياء الهنود باللآلئ والأحجار الثمينة ، في حين تنكر الخبز على الفقراء والملح على المعوزين

وليس على المؤلف في هذا ملامة ، ولا عليه من تثريب لكن الملامة والتثريب في هذه النظرة السوداء القاتمة التي ينظر بها المؤلف إلى أرقى حضارات التاريخ ، ثم هذا التقدير الوجداني التقزز لثمرات تلك الحضارة ... ومادام يفكر الهنود بمثل تلك العقلية فلن يخلصوا من ربقة الاستعباد ... وقد شهدنا كيف انهزم مغزل غاندي أمام أنوال لا نكشير ، وكيف انكمش غاندي وتقاعس ، لأنه لم يتخذ الوسائل الحديثة لتدعيم الحركة الهندية ، بل آثر عليها المغزل والعصيان المدني والصوم ... وهي وسائل ضعيفة واهية هي إلى الشعر الصوفي أدنى من البخار والكهرباء والغازات .



١ – حيـاتى

بقلم موسولينى وترجمة الأديب محمد عبد الحميد

٢ – جمال الدين الأفغاني

بقلم الأديب محمد سلام مدكور

كتابان يعرضان لك سيرة رجلين أولهما خالق أمة وثانيهما باعث نهضة . وما أحوجنا أن نلم بسير الرجال فى نهضتنا الحالية

نقرأ فى الكتاب الأول حياة موسولينى كما كتبها بنفسه أو كما أملاها ؛ وشخصية موسولينى لاشك من الشخصيات الجديرة بالدراسة من حيث كونه أحد عظماء هذا الجيل من ناحية ، ومن ناحية أخرى من حيث كونه من الرجال الذين تمس أعمالهم فى بعض وجهاتها مصر من بعيد أو من قريب

أجل يعتبر موسولينى مهما تكن نظرتنا معشر المصريين إلى سياسته من كبار عظماء هذا الجيل إن لم يكن فى طليعتهم . فهو رجل درج فى عيش الفاقة ، ثم كان فى مستهل حياته من الأوزاع والهمج ؛ ولكن كانت تتأجج فى صدره شعلة الحماسة ، تلك الشعلة التى لا تقوم عظمة بدونها ؛ وتجهمت له الأيام وتحدته الصعاب فمضى لا يعرف سهلا ولا صعباً حتى خلق من حالة أشبه بالعدم أمة قوية تتشكل سياسة العالم الآن حسب ما تأتيه من حركات ، وتضطر أعرق الأمم جاهاً وأعظمها سلطاناً أن تخفف أمامها من غلوائها ، وأن تخفى سيفها وراءها وتتقدم إليها بغصن الزيتون ؛ والرجل دائب العمل بأنى من ضروب النشاط والمغامرات ما يحمل حتى أكبر أعدائه على الاعجاب بمقدرته وبيقينه وبتفانيه فى خدمة بلاده ...

والفاشية نظام تردد اسمه فى الشرق وأقبل على دراسته أهل السياسة وأهل الثقافة ؛ وأكبر ظنى أن دراسة نظام كهذا النظام لابد أن تستند قبل كل شىء إلى دراسة حياة صاحبه ، بل إن دراسة هذه الحياة أمر جوهرى لمن يريد أن يعرف حقيقة هذا النظام وينفذ إلى لبه . ولئن سلمنا بأن صاحب الدعوة قد يتعامى عامداً أو غير عامد عن بعض سوآتها ، فاننا من ناحية أخرى نسلم أن صاحب الدعوة أدرى بحقيقتها وأعرف بخفاياها من سواه

لذلك أرى أن القارئ يصيب من مطالعة هذا الكتاب غرضين : معرفة موسولينى وتفهم الفاشية . وكلاهما ليس بالهين . وهو أثناء ذلك يستمتع ساعات من الزمن بتلك الروح القوية

وفاة الشاعر محمد اقبال

يعز على الرسالة أن تنعى لقرائها وللعالم الاسلامى خاصة والعالم الانسانى عامة وفاة الشاعر الفيلسوف محمد إقبال الهندى الذى وقف ذكاءه المتوقد وعلمه الواسع وشاعريته السماوية على الإشادة بفلسفة الإسلام ومقاصده العالية ، ودعوة المسلمين إلى أن يعتصموا بها فلا يتهافتوا فى مهالك العصر الحاضر . ولم يقصر فى دعوة البشر كافة إلى الوئام والسلام والسمو فوق السفاسف التى يعتركون عليها والمذاهب المموجة التى يوغلون فيها . وقد خلف إقبال للأدب والفلسفة كتباً كثيرة فى الأوردية والفارسية والانجليزية هى تراث عظيم من شاعر فيلسوف كبير . وستقفى الرسالة فى أعدادها التالية حق الرجل النابغة الذى عرفه قراؤها فيما تُرجم من شعره ورُوى من أخباره

تطالعه من بين سطور الكتب ، روح موسوليني ، ثم بتلك الحوادث العظيمة كالزحف على روما ومغالبة الصعاب حين القيام بأعباء الحكومة ؛ ثم الكفاح والجلاد للمحافظة على البنيان بعد إقامته وتدعيمه والعمل على إعلائه

من أجل ذلك أتقدم بالثناء والشكر للأديب المعرب لاختياره هذا الكتاب . أما من حيث الترجمة فليس لدى الأصل حتى أراجع عليه التعريب ، ولكني أميل إلى الاعتقاد أن من يضطلع بنقل مثل هذا الكتاب الفذ ، وله من شرف غرضه حافز ، جدير أن يتوخى الأمانة وأن يتحرى الدقة . وأما من حيث الأسلوب فاني أجدني مضطراً أن أصارح المعرب الفاضل أنى كنت أحياناً يعسر على فهم بعض الفقرات ، كما كان يلتوى على بعضها كما أنى كنت أقف عند بعض الكلمات التى وضعها فى العربى كما هى فى الأصل إذ لم يجد لها مرادفاً عربياً ، ولكنه كان حرياً أن يشرح المراد منها ، على أن هذا على أى حال يسير إذا قيس إلى مابذل من جهد محمود

***

أتحدث بعد عن الكتاب الثانى «جمال الدين الأفغانى» وقد حببه إلى عدة أشياء : أولها أن مؤلفه الشاب الأديب محمد سلام مدكور أحد تلاميذى ، حضر على دروساً فى التاريخ أيام كنت أقوم بالتدريس فى الأزهر ، وأشهد لقد توسمت فيه النجابة يومئذ ورجوت فيه وفى بعض زملائه الخير . واليوم أقرأ له مؤلفاً فأغتبط وأفخر ، وأى شىء هو أحب إلى المدرس من أن يرى ثمرة من ثمار غرسه ؟

وحبب إلى الكتاب بعد ذلك أن يضعه أحد أبناء الأزهر عن جمال الدين ، فيكون الكتاب بذلك . فضلاً عن أنه علامة اجتهاد ، دليل عرفان للجميل نحو أحد بناة هذا الجيل . ومن كجمال الدين أحق بعرفان الجميل وتخليد الذكر على يد الأزهريين خاصة وبنى مصر والعالم الشرقى عامة ؟ ثم عطفنى على الكتاب فوق ذلك أنه يدور حول تلك الشخصية الفذة المحبوبة ، فلقد كان جمال الدين رحمة الله ورضوانه عليه قبساً من روح الشرق انبعث فى ظلمة الأيام والتمع كما يلتمع الشهاب فى دجنة الليل ، وراح يعمل وحده ويبذر بذوره أينما حل ! أجل كان جمال الرجل الذى يظهر حين تتهيأ الظروف وتصبح بحيث لابد لها من رجل ؛ وأحسبنى لا أغالى إن قلت إن نهضة الشرق الحديث إنما هى من صنع يده ؛ ولذلك فأنا أعده من رجال العالم المعدودين إن كانت له فى تاريخ العالم حركة تركت أثرها فى دورانه ...

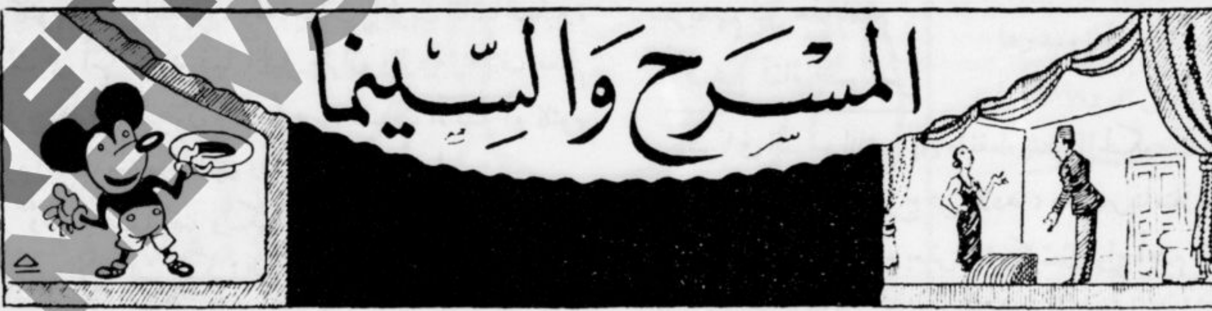
ولقد قدم هذا الكتاب بكلمة طيبة أحد رجال الأزهر الأماثل هو : الأستاذ الجليل مصطفى عبد الرازق بك ، وإنى أشاركه رجاءه وعطفه على المؤلف الشاب ...

وبعد ، فقد عودت طلابى ومنهم المؤلف الذكى أن يسمعوا منى كلمة الحق فى جلاء ، وأنا موقن أنهم اعتادوا ذلك وراضوا أنفسهم الفتية المتوثبة عليه . لذلك أصارح سلاماً في جلاء أنه كان يستطيع أن يظهر الكتاب فى ثوب أجمل من هذا الثوب فالكتاب بذلك جدير . كذلك كان يستطيع أن يتدارك كثيراً من الأخطاء المطبعية لو أنه أتى إلى عمله من الاهتمام أكثر مما فعل . فليسمع لومى على تقصيره ، وليأخذ نفسه بعد اليوم بتحري الدقة والإتقان ، هذا إلى أن أسلوبه وإن كان راقنى فى كثير من مواضعه ، يتطلب التهذيب في بعض النواحى

أما عن البحث فى ذاته فحسبه فى هذا المجال وفى هذه العجالة أن أعلن إليه أنه جاء على خير ما يرجى ممن كان فى سنه وفي مثل درجة ثقافته . وهو يبشر بالتفوق فى المستقبل إن شاء الله . ولقد أعجبنى أنه لا يقتصر على مجرد سرد الحوادث فانه يقف ليرينا أثر تلك الحوادث فى مجرى التاريخ

أثنى على مدكور وأرجو الخير منه ومن زملائه من ناشئة الأزهر الحديثين . ولعل الله يجعل منهم فى غد رجالاً أفذاذاً يعود بهم الأزهر المعمور سيرته الأولى من الزعامة فى حياتنا الفكرية فذلك لعمري خير ما نرجو وما نرضى .

الخفيف



جولات ومطالعات

في المسرح والسينما

الرواية المصرية

أقامت جماعة أنصار التمثيل والسينما فى السابع عشر من هذا الشهر حفلة تمثيلية كبرى بدار الأوبرا بمناسبة انقضاء ربع قرن على تأسيسها، وقد مثلت خمسة فصول من مسرحيات مختلفة سبق للجماعة إخراجها. ولست أدري إذا كانت الجماعة قد قصدت بهذا الاختيار أن تعرض جميع أنواع الرواية المسرحية أم أن المصادفة هى التى جعلت هذا البرنامج شاملا للرواية الغربية المترجمة والرواية المصرية المؤلفة والرواية الممصرة أو المقتبسة عن فكرة أجنبية

وسواء كان ذلك عن قصد أو مجرد مصادفة فان هذا العرض الموجز قد جعلنا نتدبر على ضوئه مسرحنا وما يعانيه من فقر إلى الرواية المصرية الصميمة

اختص بالنجاح الأكبر فى الحفلة فصلان من روايتى «حادث الطربوش»، «إلى الأبد» الممصرتين، وأتى نجاحاً وسطاً فصل من رواية «دافيد جارك» الانجليزية. وكان أقل الفصول نجاحاً فصلان من الروايتين المصريتين «عبد الستار أفندى»، «الواجب»

وقد اتفق أن تكون درجات النجاح فى هذه الفصول خاضعة لسلطان الرواية وقوتها فحسب، لأن الممثلين هم أنفسهم فى معظم الفصول، وقد سبق لهم القيام بهذه الأدوار فتفهموها وأجادوا تمثيلها، وهى كذلك روايات مثلت مراراً واختيرت من بين روايات الجماعة الناجحة، واختير منها بعد ذلك أحسن فصولها

فهذا التفاوت فى النجاح يجعلنا نوقن بحاجتنا إلى الرواية المصرية الصحيحة كما يجعلنا نوقن بأن فى حياة كل شعب ذخيرة للرواية، فاذا أعوزتنا حقاً البيئة الخاصة فأمامنا البيئة العالمية التى نقلنا ولا نزال ننقل عنها روايات بأسماء مصرية نجحت بطابعها المصرى نفس نجاحها بطابعها الأجنبى الأصلى

إن أكثر الكتاب اليوم لا يكتبون لجمهور خاص ولكنهم يعالجون المجتمع العالمى ويحلقون فى آفاق واسعة ليشمل نجاحهم هذه الآفاق؛ فالكاتب الأمريكى مثلا لا يقصر كتابته على المجتمع الأمريكى لأنه يفهم غيره من المجتمعات الأخرى، ولأن هذه المجتمعات كلها تلتقى وتتشابه فى نواح كثيرة، وقد أصبحت بعض النزعات تؤثر فى العالم جميعه وتقرب من أبعاده. فالذى يحدث هنا جائز حدوثه هناك، والرجل الذى تلقاه فى هذا البلد يذكرك بمن لقيته فى بلد آخر

فلم نقف إذن عند عبد الستار أفندى الكاتب بوزارة الأوقاف وعم سيد البواب، وست أمينة الخاطبة، والحاج حسن العمدة الخ

لم نذهب فى كتابتنا إلى حيث لا نستطيع الحراك؟ لم نعالج شخصيات لا لبس فيها ولا غريب من ورائها ولا تنطوى على شيء يجهد الفكر أو يكسبه جديداً؟!

أنا لا أستطيع أن أنكر حاجتنا إلى الرواية المصرية القحة، ولكن لتحقيق ذلك علينا أن نسلك الطريق الصحيح إليها. فنحن شعب قليل الحركة، كثير الآمال والأحلام، فيجب أن تكون هذه الآمال والأحلام الميدان الأول للرواية ذات البيئة المصرية الخاصة. يجب أن نعالج النفسية المصرية بالكشف والتحليل فهذه خطوة يتبعها التوجيه العملى الذى يخلق الحياة والحركة قوام الرواية ومساكها، أما أن نبعث الرواية فى حياة فقيرة تافهة ونقيم الشخصيات على حركة راكدة خاملة فان ذلك هو العبث والجهد المضيع

فى المسرح

شهدت فى الأسبوع الماضى حفلة غنائية أحيتها الآنسة

أم كلثوم بمسرح الحديقة . وقد أحسنت وأطربت فنانتنا الكبيرة ودلت على أنها تتعهد فنها الجميل بالمران والرعاية بخلاف معظم المطربين الذين يسمجون يوماً بعد يوم . فصوت الآنسة أم كلثوم اليوم أعذب منه منذ عامين وأكمل منه منذ أعوام

وقد نجحت الحفلة ولكن لم يكن من دلائل نجاحها هـذا الصياح والأصوات المنكرة التي كانت تصدر من بعض الحاضرين عقب وقبل نهاية كل مقطع غنائي على اعتبارها علامات الإعجاب والاستحسان

وقد اعتاد جمهورنا هذه العادة القبيحة التي لا تمت إلى الفن ولا إلى الذوق بأوهى سبب ، بل إن مقاطعـة المطرب في غنائه بمثل هذا الصراخ إنما هو بالنسبة إلى الغناء « نشاز » يثقل على السمع ويزعج المنتشي ويقضي على انسجام المغني

ولقد لاحظت على بعض هؤلاء الناس كأنما هم مكلفون بمثل هذه العادة حتى لقد تساءلت هل هـذا جمهور طرب أو جمهور مظاهرات ؟ !

وأحسب أن هذه عادة تقليدية صرفة لا علاقة لها بالحس ، لأن الجمهور المجتمع حول آلة الراديو هو من نفس الجمهور الذي يستمع إلى المغني مباشرة ولكنه لا يجاريه في تهليله وصراخه ، وقد يستنكر منه هذا العمل

فالفارق بينهما أن هذا قد ألف هذه العادة عند ما يحتويه مع المغني مكان أو مسرح ، في حين أن الآخر لم يألف ذلك حين يستمع إلى الميكروفون

وأنا لا أنكر أن العامل في ذلك عامل فسيولوجي له أثره ، ولكن هذا الصراخ والأنين والتهريج ليس لهـا من مصدر غير اعتلال الذوق وعدم القدرة على ضبط النفس والأنانية . ويكفي مصداقاً لذلك أن نفكر في أن أمثال هؤلاء يسيئون إلى كل من معهم وقد يسيئون إلى آلاف أو ملايين المستمعين إلى الراديو ، كما أنهم يسيئون إلى المغني نفسه فوق إساءتهم إلى أنفسهم بتعريضهم لمثل هذا اللوم

فلم عن قناة السويس

أشرنا في العـدد الماضي إلى ما تفعله بعض الحكومات إزاء الأشرطة السينمائية التي تخرج عن بلادها ، وقد ضربنا مثلاً بتركيا واليابان حين علمتا باعتزام بعض الشركات إخراج أفلام تسيء إليهما فتدخلتا لدي الشركات تدخلا أدى إلى احترام هذا الحق

وقد حمل إلينا البريد منذ أيام نبأ اعتزام المخرج المعروف داريل زانواك إخراج فلم باسم « السويس » يدور حول شق قناتها وحوادثها التاريخية . ولقد قيل إن مشروع الفلم على وشك البدء في التنفيذ فقد رصد له ميزانية قدرها مليونان من الدولارات وفوّض الممثل المعروف جورج أرليس للقيام بشخصية دزرائيلي والممثلة الفرنسية سيمون للقيام بشخصية الامبراطورة أوجيني

فلعل حكومتنا تفعل مثل الحكومات الأخرى فتطلب ضماناً لرعاية كرامتنا في هذا الموضوع الذي يخصنا . ومثل هذا التدخل يفيد ولا يأتي بضرر وخاصة أن الفلم ضخم وتأثيره تابع لهذه الضخامة

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي رقم ٧

6 me Année, No . 252

Lundi - 2 - 5 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٥٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ ربيع أول سنة ١٣٥٧ — ٢ مايو سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

هل تقوم للأدب دولة ؟

معالى مصطفى عبد الرازق بك



صديقنا صاحب المعالى الشيخ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف إمام من أئمة الدين ، وعَلَم من أعلام الأدب ، وسَرِى من سَراة الأمة ، نشأ بحكم ولادته على النبل كما ينشأ ابن الملك على المُلك ، فهو فى خُلقه وسَمْته يجرى على سَراح الطبع الجميل ، لا يتكلف ولا يتطبع ، ولا يتصنع ، ولا يقلد . وقلما تجد فى مصر من ظفر بما ظفر به هو من إطباق الناس على اعتقاد سماحته وسراوته وفضله . ولعلك تدرك السر فيما تعرف من خلاله إذا علمت أن بيت

عبد الرازق نمط لا واحد له فى تقاليده وتربيته و بيئته . فهووحده لا يزال يمثل نوعاً من الفتوة الإسلامية له خصائصه وله سننه : يرى العزة فى سمو الإنسانية فيه ، لا فى إفراط العصبية عليه ؛ ويجد المزية فى سؤدد الفكر المهذب والخلق السجيح ، لا فى سطوة المال المكنوز والجاه المتسلط ؛ ويمثل المدنية الحديثة تمثيل المعدة الصحيحة للطعام الهنىء فلا تكون إلا مدنيته الخاصة فيها سره وعليها طابعه ؛ ثم يسير فى سبيل الحياة على سَنن واضح من شهامة القلب ونزاهة النفس وشرف اللسان وثبات العقيدة وكرم التضحية ، كأنما يستجيب إلى صوت فى دمه ، ويمشى على دليل من طبعه

ساهم فى جهاد الدستور والحرية بالنفس والمال ثم عف عن الغنيمة ، وشارك فى ثقافة العقل والروح بالتشجيع والإنتاج ثم عزف عن الشهرة ، وتهافتت من حوله بيوت المجد على الأضواء الغربية الخادعة فأضل بعضَها العَشا ، وأحرق بعضَها اللهب ، وبقى هو على شرقيته ومصريته قوى الدعائم رفيع الذرى تَضُوع فى أبهائه نفحة الإسلام ، وتهش على موائده أريحية العروبة ، وتخفق فى جوانبه روح مصر

والشيخ مصطفى يلخص فى شمائله أمجاد هذا البيت ، فهوسر وراثته وعطر أرومته وجملة ماضيه . فإذا جلست إليه فى ألفة أو كلفة غمرك منه شعاع لطيف يملك نفسك من غير سطوة ، ويبسط شعورك من غيرخفة ؛ ثم تحس فى تواضعه سمو الكبرياء ، وفى وداعته أَنَفَةَ العزة ، وفى بساطته جلالة النبل ؛ فلا تستطيع أن ترد هـذه الخلال فيه إلى الحد الذى تواضع عليه الناس فى تعريف الخلق ؛ إنما تنتهى إلى أن شخصيته الجذابة واحدة الطراز لما تهيأ لها من أثالة المنبت وزكاوة العِرق وسعة الثقافة وسلامة الفطرة وجمال القدوة

رأيت الشيخ مصطفى طالباً فى الأزهر ، وعرفته أستاذاً فى الجامعة ، وزرته عضواً فى الوزارة ، فلم أجده فى كل حالة من هذه الحالات إلا على الوجه الذى لقى به الدنيا . لم يتغير فيه لسان ولا عين ولا مَخيلة ؛ ومزية المعدن الكريم ثبات وجهه على لونه ، وبقاء جوهره على نقائه . ولو أن وجوه الناس تثبت على تقلب الحظوظ لما تنكر صديق لصديق ولا تجهَّم وطنى لوطن

* * *

لله ما كان أنبل وأجمل حين دخلت على الشيخ الوزير مكتبه فى الوزارة من غير وقفة على حاجب الباب أو جلسة لدى مدير المكتب ! لقد كان فى زيه الوطنى الجميل ملء العين والنفس والشعور ، يوزع التحيات على عادته ببسماته الرقيقة ونظراته الوديعة وكلماته الحلوة ، فيجعلك تشعر أن الوزير منك ، وأن الوزارة لك ، وأن الأمر بينك و بين أولياء الحكم كما يكون بين الأب وأعضاء الأسرة .

كان سرورى وأنا أهنىء صاحب المعالى وزير الأوقاف أقرب إلى أن يكون سروراً بنفسى ؛ فقد وقع فى وهمى أننى أساهم فى هذه الوزارة بنصيب مبهم شائع لا أجهله ولا أدريه . ولعل مبعث هذا الوهم أن الوزير أزهرى وصديق وأديب ، وصلته بالناس من جهة الثقافة أو الصداقة أو الأدب يجعلها وفاؤه الطبيعى أدنى إلى النسب الشابك والقرابة الواشجة

* * *

أما بعد فإن استيزار أميرين من أمراء الأدب لهو فتح مبين لدولة القلم . فإن النهضات العلمية والأدبية فى تاريخ الفكر لم تزدهر إلا فى حمى ملك أو كنف وزير . والوزراء الأدباء أمثال ابن العميد والصاحب ابن عباد والمهلبى وابن زيدون وابن الخطيب لا يزالون عناوين فاصلة فى تاريخ الأدب . فإذا ناط رجال الثقافة والصحافة آمالهم بوزير الخير مصطفى ، وبوزير الجمال هيكل ، فإن دلالة الحال تعلن أن مواتاة هذه الفرصة فى صباح عهد الفاروق حين صدقت النيات على الاستقرار ، وتهيأت النفوس للعمل ، إيذان من الله بتيسير السبل لأمة العلم أن تنهض ولدولة الأدب أن تقوم .

احمد حسن الزيات

في خيف منى

للدكتور الحاج عبد الوهاب عزام



هذا ثاني أيام التشريق؛ ومنى غاصَّة بمضاربها؛ قد اجتمع إليها الحجيج من أرجاء الأرض، واختلط فيها وفود المسلمين من كل الأقطار. تجاورت القباب واشتجرت الأطناب، وتمعجت السبل بينها تَجور بالسائر، وتعدل بالسالك، إن لم يكن خبرَها وعرف بالعلامات مسالكها، إلا مَهْيعاً يتوسط البقعة تُفضي إليه المسالك فيقصد فيه السابل على بينة

زخرتْ مِنى بالحجيج، وازدحم الموسم بأهله. وقد أدينا بحمد الله المناسك ولم يبق إلا رمى الجمار، وهى أمر أَمَم لا يشغل نزّال منى إلا قليلاً. فهناك سعة للتزاور والتعارف، وهناك فسحة لتبادل الآراء والتشاور في خطوب المسلمين

خرجت فى رفاقة بعض الاخوان العراقيين أبتغى زيارة بعض الأجلاء من علماء الفرس، فلما لقيت الشيخ وبلغ الحديث منتهاه رغبت أن أرى من وجوه المسلمين وجهاً معروفاً فى مجامع الحج منذ سنين لا يخلو منه موسم، ولا يجهله محفل. وقد رأيته فى عرفات ضارباً خيمه على الجادة فنزلت إليه فى نفر من رفقائى حجاج الجامعة وأنسنا به حيناً. وبينا أنا بالمشعر الحرام من مزدلفة رأيت خطيباً واعظاً يتكلم على جماعة باللغة الأردية، فدلفت إليه فإذا هو ذلك الوجه المعروف غير المنكر، وأنا أرجو ألا يفوتنى فى منى لقاؤه؛ ومضربه فى منى أرفع المضارب، يلوح للسائر عالياً متميزاً تخفق عليه رايته. فليس على من يبغى المسير إليه إلا أن يذهب إلى مسجد الخيف ثم ينظر إلى سفح الجبل ليرى فسطاطاً كبيراً قد احتل من السفح مستوى لا يتسع لغيره، فليس هناك فسطاط سواه. فإذا تأمله أبصر الراية الأفغانية فعرف أنه منزل السيد محمد الصادق المجددى

أخذت سمت المكان حتى قاربت المسجد فلقيني جماعة من حجاج الجامعة والأزهر فصعدنا إلى الفسطاط في شَرَف يطل على الموسم كله وينظر إلى مسجد الخيف من كثب. لبثنا قليلاً ثم هبطنا إلى فجوة بين الصخور تُسمى غار المرسلات؛ يقال إن السورة الكريمة «والمرسلات عرفا» أوحيت إلى صاحب الرسالة صلوات الله عليه هناك. وقد اجتمع الناس يمنعهم الشرطة من الدخول إليه والتمسح به كما كانوا يفعلون. فوقفنا وقفة قضينا بها حق الذكرى العظيمة، ثم سرنا مُصعدين فى الجبل وهو جبل شاهق أدكن عظيم الصخور كثير القَلَع(1). فما زلنا نصَّعد حتى لاح لنا الموسم جميعه، وزُويت لنا أطرافه؛ فيالك مشهداً جليلاً رائعاً: فهذا مسجد الخيف وهو مسجد برّىّ معطل من الزينة وفراشه الحصباء: بناء كبير محيطه جدران مديدة بيضاء، يتوسط صحنه الفسيح مصلى عليه قبة ومنارة، وفى جانبه القبلى سقيفة على ثلاثة عقود. وقد راقنى منظره من سفح الجبل تتجلى فيه فطرة الاسلام وطبيعة البداوة

وهذا المحصَّب عن شمالنا حيث العقبات الثلاث التى تُرمى فيها الجمرات. وإلى اليمين يمتد وادى منى بين سطرين من الجبال الشاهقة يساير فيه الطرفُ أسرابَ الخيام إلى أن يكلّ. وهناك تبدو دار الملك عبد العزيز التى ينزلها أيام الموسم. وهنالك بناء أبيض يلوح بين الأشجار هو (السبيل) المصرى: مورد عذبٌ يستقى منه الحجاج، يزدحمون عليه النهار كله وطرفاً من الليل. وإنها لبرّة عظيمة

وأما الجبل الشامخ الذي يمتد على جانب الوادى الأيسر فهو ثبير. وكم ردد التاريخ والشعر ذكر ثبير!

ترادفت الذكر وتوالت العبر فى هذه البقعة المقفرة التى تَخصب بالجماعات كل عام منذ عهد الجاهلية، فكأنى بالقبائل تلتقى تتناشد الأشعار، وتتفاخر بالاحساب، ويضعون عنهم العداوة والحرب إلى حين، وقد تغلبهم الضغائن فيفجأ بعضهم بعضاً غير مراعين

(1) القلع: الصخور الكبيرة تقلع من الجبل

حرمة الشهر والمكان كما أغارت هوازن على خزاعة بالمحصّب من منى فقال أحد بنى عدوان:

غداة التقينا بالمحصّب من منى — فلاق بنو العنقاء إحدى العظائم

وكأنى بهم ينحرون ويذبحون ويضيفون ويطعمون، ويشرّقون بقايا اللحم على سفح الجبل.

وكأنى بفتيان قريش وشعراء مكة فى الجاهلية والاسلام يقضون حق المكارم والفتوة؛ يضيفون ويطعمون ويشيدون بالمفاخر ويتناشدون الشعر ويتناقلون الأخبار، وينزع بهم الشباب فيتغزّلون ويرون فى الموسم على جلاله وحرمته شملا من الأحبّاء يجتمع، وشملا يفترق، فيشيد الشعر بفرحة اللقاء ولوعة الفراق، فهذا عمر بن أبى ربيعة يقول:

نظرت إليها بالمحصّب من منى — ولى نظر لولا التحرج عارم

فقلت: أشمس أم مصابيح بيعة — بدت لك خلف الستر أم أنت حالم

بعيدة مهوى القُـرط إما لنوفل — أبوها و إما عبد شمس وهاشم

ومن قبل تذكر المجنون فى هذا المكان ليلاه:

وداع دعا إذ نحن بالخيْف من منى — فهيج أطراب الفؤاد ومن يدرى

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما — أطار بليلى طائراً كان فى صدرى

وهذا العرجىّ — وغفران له — يقول:

فى الحج إن حجت وماذا منى — وأهله إن هى لم تحجج؟

وأنا أقول ما قال عطاء حين استوقفه ابن سريج فغنّاه أبياتاً منها بيت العرجى قال:

« الخير كله والله عنى، لا سيما وقد غيبها الله عن مشاعره »

والعرجىّ هو القائل:

عوجى علىّ فسلمى جبرُ! — فيم الوقوف وأنتم سَفر؟

لا نلتقى إلا ثلاث منى — حتى يفرّق بيننا النفر

ورحم الله جريراً! كان أرشد من هؤلاء: لقيه الفرزدق بمنى فأنشده:

فانك لاقٍ بالمنازل من منى — فخاراً؛ فخبرنى بمن أنت فاخر؟

فقال جرير: « لبيك اللهم لبيك »

نبهتنى تلبية جرير فقلت: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك الخ كم فى هذه الخيام من قلوب وردت هذه المشاهد ورود القطا الظماء! وكم من نفوس هجرت خفض العيش إلى مشقة الأسفار، وغربة الديار، لتنعم بالذكر والتوبة فى هذه البقاع المقدسة.

لو نفض كل قلب هنا آماله وآلامه لسامت هذه الجبالَ جبالٌ من أحزان البشر وأمانيهم حملها أصحابها إلى سدة الخالق العظيم يستغفرون ويتضرعون، ويسترحمون ويتذللون. سرائر لو اجتمعت فى هذه الساعة لتمثل فيها تاريخ البشر. لو اجتمعت! لو تشاكى أصحابها وتناجى أربابها! لو تشاكى المسلمون فى هذه البقعة وبث بعضهم لبعض خبايا قلبه، وتشاوروا فيما يحز بهم! أجل، هذه خيام مجتمعة، وجماعات مختلطة، وبينها تعارف وتزاور، ولكن أين هذا مما يريد الاسلام ونريد؟ لا بدّ أن ييسر لكل حاج السير والزيارة، ويمكّن من أن يلقى من يشاء حين يشاء. إن مئات الآلاف من الحجاج لا تتيسر لهم مقاصدهم ولا تُكفل راحتهم إلا فى نظام دقيق وترتيب حسن. وذلك لمن شاءه جدُّ يسير. وعلى المسلمين جميعاً أن يعملوا له. لماذا لا يكون فى منى مجمع مسقوف يسع الحجاج جميعاً يقفون أو يجلسون فى راحة ونظام، فيسمعون جميعاً إلى الخطباء من زعماء المسلمين يرفعون أصواتهم بالمجاهر! لماذا لا يكون هناك مدرّج ينحت فى الجبال ليسع الألوف المؤلفة؟ هذا أمر حتم لا بد أن تتخذ له الأهبة.

طالت بى الوقفة وأصحابى على مقربة منى! فقلت: هذا أمر له غير هذه الوقفة. ثم التفتّ فإذا أعرابى بجانبى تفترّ شفتاه عن أسنان ناسمة وفى فمه عود

قلت: ما هذا؟ قال: بشام. قلت، الذى يقول فيه جرير:

أتذكر إذ تودّعنا سليمي — بفرع بشامة؟ سُقى البشام

قلت: وما هذا؟ مشيراً إلى شجرة صغيرة من الشجر الذى يسمى السنط فى مصر. فقال: سَلَم. فتذكرت قول القائل:

ويوماً توافينا بوجه مقسم — كأنْ ظبية تعطو إلى وارق السلم

وقول الحجاج: والله لأعصبنكم عصب السلَمة الخ

قلت: أتستطيع أن تأتينا بأعواد من البشام؟ قال: إنه على الريع الآخر، وأشار إلى الجبل بمنى سفحه الآخر. فتذكرت الآية الكريمة: « أتبنون بكل ريع آية تعبثون » والريع المكان المرتفع قلت لأصحابى: لو اتسع الوقت لأخذنا كثيراً من اللغة عن هذا الأعرابى. فمن كان يظن أن هذه ألفاظ ميتة فى المعاجم فليعلم أنها لا تزال حية فى أفواه كثير من العرب. وحان الرجوع فرجعنا إلى الخيام

عبد الوهاب عزام

أبو العلاء حرب الظالمين

لأستاذ جليل

من (عبقرية) نابغة العرب أبو العلاء حَرْبُ الظالمين [1] وعدوُّ المستبدين ، ونصير البائسات والبائسين ، وخصيم المترَفين والباخلين ، ومقرِّع المستكبرين والمدَّعين ، ومجلُّ التواضع والمتواضعين ، ومهجِّنُ الشراب الحرام والشاربين . وأقواله في (اللزوميات) في هؤلاء المذكورين مشهورة ؛ ولم يغفل (نابغة العرب) في (الفصول والغايات) — عبقريته في النثر — عنهم . وفي الآيات البينات بعض ما قال فيهم :

— ١ —

« يا بُغاة الآنام ، وولاةَ أمور الأنام ، مرتع الجور وخيم ، وغبُّه ليس بحميد ، والتواضع أحسن رداء ، والكبر ذريعة المقت ، والمفاخرة شر كلام . كلنا عبيد لله »

— ٢ —

« ما بيتٌ يأتلق فيه الياقوت ، وللزِّرياب [2] حواليه شماع ، يسكنه ظالم جبار يسفك [3] الدم ، ويسفح دموع الباكيات [4] ، ويشرب كاسات الرحيق — بأعز عند الله من ناسجة الغبار [5] فياويح جائر — إذا حكم — عات [6] ! »

— ٣ —

« إذا أصبح النصح ثقيلاً ، والمساجد قالاً وقيلاً ، وصارت الإمارة غلاباً ، والتجارة خلاباً — فالبيت المحفور ، خير لك من مشيدات القصور ، والفقير أربح صفقة من ذى التاج »

(١) فلان حرب فلان أى محاربه

(٢) الزرياب : الذهب أو ماؤه ، ويقال : صبغ يقع فيه ماء الذهب

(٣) بكسر العين وبالضم ، وعن يحيي بن وثاب (لا تسفكون دماءكم) بالضم

(٤) الله أكبر ! الله أكبر !

(٥) ناسجة الغبار : العنكبوت

(٦) العاتى : المتجاوز الحد فى الظلم قال :

أدعوك يا رب من النار التى أعددتها للظالم العاتي العتى

— ٤ —

« إني لوَغد [1] وقد عرفت نفسى بعض العرفان ، وحقرتها وهى جديرة بالاحتقار . خلقتنى كما شئت ، وأعطيتنى ما لا أستحقه منك . ولعل فى عبيدك من هو مثلى أو شر . فى خزائنه بدَرٌ [2] اللجين والعقيان لا يطعم منها المسكين ، ولا يغاث اللهوف »

— ٥ —

« إن من يفتقر إلىّ لفقير ، فأغن (اللهمَّ) كلَّ مسكين . وبئس البيت المسكون ، بيت تحت الغبراء [3] يكون ، لا أس له ولا عمود ، إنما هو من هباء ، ليس بالطِّراف [4] ولا الخِباء [5] ولأعمالُ الصالحات خير ما راح إليه من السوام [6] . فكن أيها الرجل من الصالحين ، وإذا رأيت الملأ [7] يبرمون أمراً فقل : لَعِب الولدان خراج [8] »

— ٦ —

« أطعم سائلك أطيب طعاميك ، واكس العارى أجدَّ ثوبيك ، وامسح دمع الباكية بأرفق كفيك »

— ٧ —

« ما ريّا قُطُر [9] ، ورائحة حبيب عطر ، بأطيب من ثناء

(١) أأنت الوغد يا أبا العلاء فما هؤلاء الناس إذن ؟ أنت إنسان كامل ، أنت ملك

(٢) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار ج بدر وبدور

(٣) الغبراء : الأرض لغبرة لونها أو لما فيها من الغبار

(٤) الطراف : بيت من أدم ، والأدم الجلد

(٥) الخباء أحد بيوت العرب من وبر أو صوف (وفى القاموس أو شعر) وقد يستعمل فى المنازل والمساكن

(٦) السوام : الابل الراعية ، والابل مال القوم . وفى اللسان : أكثر ما يطلق المال عند العرب على الابل لأنها كانت أكثر أموالهم

(٧) الملأ : رؤساء الناس ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم . الزعماء ورجال السياسة ...

(٨) خراج : القداء : اسم لعبة لهم معروفة ، وهو أن يمسك أحدهم شيئاً بيده ويقول لسائرهم أخرجوا ما فى يدى ، وخراج بكسر الجيم بمنزلة دراك وقطام . وفى (اللزوميات) :

أرى الناس فى جهولة ، كبراؤهم كولدان حى يلعبون خراج

(٩) الريا : الرائحة . القطر — بضم الطاء وسكونها — . العود الذي يتبخر به ، وقد قطر ثوبه ، وتقطرت المرأة ؛ والعود فى القاطر المجامر

مستطر [١] ، يُثنى به برّ على مُبرّ [٢] ؛ وذكر الله مراتع القلوب يستعذبه الأوّاب ، ويسكن إليه الصالحون . فاغسل الحوب [٣] بأن تتوب ، ولا تعرُكْ ذنبك بجنبك [٤] ، فتصرّ على سخط ربك، وإلى السوق تحمل الوسوق [٥] ، فما كان جيداً نفق ، وما كان رديًّا زهد فيه . وإنما أنت درهم إن اتقى وضح ، وإن فسق زاف [٦] »

— ٨ —

« خافوا الله وتجنبوا المسكرات : حمراء مثل النار ، وصفراء كالدينار ، وبيضاء تشبه الآل [٧] ، وكميتا وصهباء [٨] ، وكلّ ما أدرك من الألوان . لو كانت أقسام اللب كرهاق الحصى [٩] ، والسكرة من الجرَع بمثل ذاك لقلت : إن النّغبة الواحدة حرام . ولو هُجر أب لجناية ولد لحرم العنب لجريرة الدام . وهل لها من ذنب ؟ إنما الذنب لعاصر الجون [١٠]، ومستخرجها وردية اللون ، وحابسها فى الدّن ، ومنتظرها برهة من الدهر ، وشاربُها ورْدَ العطشان . فاجتنبوا ما يذهب العقول ، فبها عرف الصواب »

— ٩ —

« أحسن الفضل ما شهد به الملأ لغير شاهد ؛ إذ كان الغائب كثير العائب ، والحاضر يُلقى بالوجه الناضر ؛ والدعوى رأس مال قلما ربح تاجره وإن صدق . وأحب لابن آدم أن تكون مناقبه كمناقب الطِّرف الرائع [١] والسيف الجسام تذكر ، وهما صامتان »

— ١٠ —

« قد يكون الخمول داعياً للنباهة كالنار سترضوها باليبيس [٢] فأظهر ذلك لهباً »

* * *

أبو العلاء حسنة من حسنات سيدى وسيده (محمد) — صلى الإله على محمد — هداه (كتاب الله) فكان من المهدين ومن الأئمة الهادين ، وكان (والله) رهين المحبسين أزهد الزاهدين . واستضاء بالقرآن وبلاغة القرآن فأضاءت أقواله وأشعت وبهرت الناظرين والسامعين

نوّر القرآن قولاً فعلا ، وسما صاحبه فى القائلين
إنما القرآن هدى الناطقين . إنما القرآن نور العالمين
غثٌّ قولٌ لم يهذبه (الكتاب)

القارئُ

(١) مستطر : مكتوب

(٢) المبر : المحسن المفضل . أبر فلان على أصحابه أى علاهم وفاقهم ، ومن أحسن إلى الناس أبر على غيره

(٣) الحوب : المأثم ، الذنب العظيم ، وفتح الحاء لغة تميم

(٤) عركت ذنبه بجنبي إذا احتملته ، عرك بجنبه ما كان من صاحبه كأنه حكه حتى عفاه أى لا تنس ذنبك ، ولا تستهن بخطئه ولا تمش أمره

(٥) الوسق : الحمل عامة ، والجمع أوسق ووسوق

(٦) زاف الدرهم رد لغش فيه فهو زائف

(٧) الأصمعى : الآل والسراب واحد ، السراب الذى يجرى على وجه الأرض كأنه الماء وهو نصف النهار ، وفى السراب والآل أقوال

(٨) السكيت الخمر سميت بذلك لسكلفتها ، قال قوم : معرب واصله كيتة أى مخلط كأنه اجتمع فيه لونان سواد وحمرة (الصهباء) : خمر من عصير عنب أبيض

(٩) رهاق الحصى — بضم الراء وكسرها — مثل زهائه ، يقال : القوم رهاق مئة أي زهاء مئة ومقدار مئة

(١٠) الجون : الأسود المشرب حمرة

(١) الطرف : الفرس الكريم ، فرس رائع يروعك (يعجبك) بعتقه وصفته

(٢) اليبيس : ما يبس من العشب والبقول التي تتناثر إذا يبست ، أو هو عام فى كل نبات يابس

فلسفة التربيــة

تطبيقات علي التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

« ترجع بعض أسباب « الاضراب » إلى أن الطلبة يتصورون نظام المدرسة مفروضاً عليهم ، ويتصورون أنفسهم جزءاً منفصلاً عن ذلك النظام . ! »

« لا يستطيع ذو الساعد القوى إلاّ أن يوجد فى المدرسة نظاماً آلياً لا روح فيه . ! »

« يجب أن يعرف الطلبة أنهم عندما يثورون ويضربون إنما يفعلون ذلك ضد أنفسهم . ! »

« لسنا نريد أولئك الأساتذة الذين يلقنون الطلبة العلم فحسب ، ولكن أولئك الذين يحدثونهم أيضاً في أشياء كثيرة ويوحون إليهم أمثل أساليب الحياة . ! »

« من رسالة الدكتور جـ كس »

٥ — النظام

تناولتُ فى المقال السابق أزمة المتعلمين العاطلين ببعض الشرح والتعليل ، وقدمت بعض ما ينبغى أن يُؤخذ به درءاً للخطر وتلافياً لنتائجه القريبة والبعيدة ، وسأتناول اليوم ناحية أخري هامة هى ناحية النظام المدرسى وأثره فى نفوس النشء :

١ — النظام الحاضر

ولعلك تدرى ما هو النظام الحاضر وما هى نتائجه ! لعلك تعرف أن « الآلية » تغلب على ذلك النظام إلى حد خطير يجعل المدرسة غير محبوبة ، ويجعل « الإضراب » محتملاً لأهون الأسباب ! ولعلك تعلم فداحة نسبة الغياب والتأخر فى معاهدنا وكثرة ما نحتاج إليه من عقاب وخصم وتنبيه وتحذير فى كل صباح ! أجل ، ولعلك تعرف بعد هذا ما قد يحدث من هروب بالليل أو بالنهار ، ومن « تزويغ » من بعض الدروس إذا اقتضى الحال ! ومن حلول الفوضى والاضطراب إذا غفلت عين الناظر أو الأستاذ ، واختفت العصا وزال الوعيد والتهديد والرفض والانذار ! ! أجل ! ولعلك تعلم أيضاً أن المدرس قد يلقى من العناء فى حفظ نظام الفصل ببعض ما يلقى من العناء في التدريس ! وأنه يحتاج أحياناً لأن يكون شرطياً أكثر مما يحتاج لأن يكون أستاذاً ! ! لعلك تعرف ذلك كله ، ولعلك تدرك منه أن « النظام » قائم عندنا على القوة والإرهاب أكثر مما هو قائم على الرغبة والشعور ، وأن ما يشوب حياتنا خارج المدارس من فشل أو فوضى بسبب انعدام المنطق فيها إنما يرجع إلى أن المدرسة لم تفلح بعد فى غرس النظام فينا وجعله دماً يجري فى العروق قبل أن يكون مظاهر وقشوراً ! ! وإلى أنها لا تزال تبدو كريهة غير محببة ولا مغرية ، يبهظنا نظامها ، ويرهقنا عملها ، وتثقلنا واجباتها ، ولا نرى فيها بعد هذا من المتعة والنعيم ما قد يخفف من هذا الإرهاق وذلك الإبهاظ ! !

أترى لو كان الأمر على غير ما أقول : أكان الطلبة يضربون ويتركون فصولهم لمجرد استقبال زيد أو عمرو مهما قيل فى ضعف الادارة المدرسية أو الإشراف الوزارى ؟ ؟

أترى لو كان حب النظام متغلغلاً فى نفوس الطلبة : أكانوا يهددون بالإضراب كلما عنت لهم حاجة ، فإذا ما أضربوا انقلبوا إلى جماعات ثائرة متمردة ، وأعلنوا على المدرسة معاملها وأثاثها — وأحياناً ناظرها ومدرسيها — حرباً عواناً لا تبقى ولا تذر ؟ ذلك إذاً نظام آلى تعسفى مبغوض ! ، وتلك إذاً نتائج خطيرة تسود حياتنا الخاصة والعامة وتجعل الفشل والاضطراب نصيبنا المحتوم ؛ وإذا كان « النظام الحق » سر عظيم من أسرار النجاح تتحلى به الشعوب العظيمة كالإنجليز والألمان ، فما أحوجنا فى نهضتنا الحاضرة ومركزنا الحربى الدقيق إلى التحلى به والأخذ بروحه وتفاصيله ... ! ؟

سبيل الاصلاح

ويري الدكتور جاكسون أن الاصلاح إنما يتأتى عن طريق تعليم الطلبة كيف يحترمون « السلطة المشروعة » إذ ما معنى أن يتملك زمامهم نفر من خطبائهم ومهيجيهم ، ويقف ناظرهم وأساتذتهم عاجزين حتى عن توجيه الكلام إليهم ؟ ؟ كذلك يجب ألا نقبل أبداً التهديد بالاضراب كوسيلة منتجة تحقق لهم طلباتهم ؛ وإنما يجب أن نعاقب الداعين إلى الخروج على سلطة الناظر عقاباً صارما رادعاً ، وألا نستجيب إلى طلباتهم إلا إذا اتخذوا فى رفعها ومناقشتها الطريق المشروع والأسلوب اللائق

بطلبة يتثقفون ويتهذبون ! ؛ أما نظام المدرسة الذى له ضلع كبير فى تلك الحالة الشاذة فيجب أن يتبدل بحيث يصبح أكثر مرونة ، وبحيث يشعر الطلبة أنفسهم أنهم جزء فيه لا يتجزء ! ؛ وبذلك يصبح إضرابهم موجهاً ضد أنفسهم ، ويصبح إخلاصهم للمدرسة خير ضامن لانتظامهم فى عملهم واحترامهم لقانونهم .

ويتطلب ذلك النظام الجديد منا أن نفهم الطفل خطأه قبل أن نثور عليه ونصخب فى وجهه ؛ وأن ننشد منه الطاعة المصحوبة بالرضا والاحترام قبل أن ننشد منه الخضوع الممزوج بالرهبة والخوف ؛ وأن نعامله معاملة ديمقراطية ونعرف له حقه كعضو فى جسم حى متعدد الأعضاء ؛ وأن نقنعه بأن خطأه إنما يعود على المجتمع الذي هو عضو فيه مما قد يثير غضب هذا المجتمع عليه ؛ وأن نجعل لجسم المدرسة غاية سامية فى رأسه ونطالبه بالمساهمة فى تحقيقها كعضو فعال فى ذلك الجسم ؛ وأن ندخل فى المدرسة ذاتها من أساليب المتعة والإغراء والجمال[1] والفن ، ما يزيد فى تحمسه لها وشغفه بها حتى يعز عليه أن يتركها أو أن يعبث بجلالها ووقارها ؛ وأن نقدم له مدرسين من طراز خاص يستطيعون أن يمتزجوا بنفسه ، وأن يحدثوه فى أشياء كثيرة ، وأن يلقنوه أمثل أساليب الحياة ؛ وأن نربط ما بين بيته وبين المدرسة برباط متين ، فيلتقى الناظر والمدرسون فى الآن بعد الآخر بأهله مجتمعين مع أهل زملائه فى ساحة المدرسة حيث يدور النصح والارشاد ، ويتحقق تعاون المدرسة مع البيت على نحو مأمون[2]

وأن ندفع به إلى مختلف الجمعيات المدرسية حيث توفر له مجتمعاً صغيراً له غاية ولأفراده من الحقوق والواجبات والقانون والنظام ما يؤهله لأن يكون عضواً حياً فى جسم حي[3]

(١) ويلاحظ أن الكثير من مدارس الوزارة مستأجر . وبعض هذا الكثير قصور لها جلالها وجمالها التاريخيان من غير شك ولكن نظامها المدرسي والصحى لا يلائم العمل الدراسى قط . لذلك يحسن بالوزارة أن تعمل عاجلا على أن تكون جميع مدارسها من النوع المنشود .

(٢) ويحسن أن يكون ذلك عدة مرات فى العام الدراسى وأن يقوم الطلبة أنفسهم بادخال اللهو والسرور على أهليهم وأن يخطب الناظر والمدرسون فى موضوعات تتصل بتربية الطلبة ومستقبلهم .

(٣) ويوجد بعض هذه الجمعيات بالمدارس ولكن لا ينتسب اليها مع الأسف إلا القليل . ونادر جداً أن يتوفر فى هذه الجمعيات الروح الاجتماعى المنشود .

وأنْ نتيح له من ألوان الرياضة البدنية ما ينمى جسمه ويقوى عضله ويروح عن نفسه ويعلمه أنّ الخسارة بحق خير من الفوز بباطل ، وأنّ المرمى واحد والجميع يعملون متعاونين من أجله[1]

وأن نقدم له من الجوائز الأدبية والمادية ما يثير فيه روح المنافسة الشريفة ، ويحببه فى العمل الذى قد جوزى عليه خيراً ، ويجعل مجده الشخصى عائداً على مجد المدرسة كلها بالعظمة والخير .. !!

بذلك وبغيره نوجد فى المدرسة نظاماً حياً يمتد من الملعب إلى حجرة الدرس ، ويتحقق فى حضور الرقيب كما يتحقق عند غيبته ، وبذلك وبغيره نستطيع أن نخرج الرجل الاجتماعى المنشود الذى يرعى قوانين أمته ، ويطيع عرفها ، ويندمج فى وحدتها الكبرى غير ناظر إلى رياسة تذيع اسمه ، أو منصب يدر عليه الخير ، أو شخص يحسده ويسعى إلى تحطيمه بالمنافسة الشريفة وغير الشريفة .!!

ولعلك تعرف بعد هذا أن قوام ذلك النظام المنشود إنما هو الناظر والمدرسون ، فترى ماذا يمنع نظارنا ومدرسينا من أن يوجدوا هـذا النظام فى معاهدهم ؟ ذلك ما أدعوك اليوم إلى التفكير فيه ، وما سأحاول أن أعرض لبعض نواحيه فى العـــدد القادم . .

« يتبع » **محمد حسن ظاظا**

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

(١) وكثيراً ما تطغى الرياضة على العلم عند بعض لاعبينا فيصبحون أبطالا فى الكسل الدراسى والرسوب ويجدون مع هذا من المدرسة تهاونا مادامت تريد « الكأس » على أيديهم ! !

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٢٨ –

« قرأت كلمة الأستاذ سيد قطب (بين العقاد والرافعي) في العدد السالف من الرسالة ؛ وأنا أعمل الآن عمل المؤرخ لحياة قد استأثر بها التاريخ ، والأستاذ قطب يريد أن يكون ناقداً ، وفى مذهبه أنه « لا يصح أن يكون الموت معطلا للنقد » ... وفى مذهبنا أنه لا ينبغى أن يكون بينى وبينه جدال يعطل التاريخ ؛ ومع ذلك فان ما أتى به من النقد ليس بشىء عندنا . ولقد مات الرافعى ولكنه خلف طائفة كريمة من الأدباء ، كلهم أمين على أدبه حريص على تراثه ؛ فلا جرم أن يتولى تزييف هذا النقد أو تعديله رجل غيري ممن خلف الرافعي لهم أدبه أمناء عليه ، لأفرغ لما أنا فيه ؛ فلينتدب له صديقنا (الأستاذ محمود محمد شاكر) ، فتلك من أمانات الرافعى فى عنقه »

العريان

الملاح التائه

بعد ما أنشأ الرافعى مقالة « وحى الهجرة فى نفسى » للعدد الممتاز من الرسالة فى سنة ١٣٥٣ هـ ، أهدى إليه الشاعر المهندس على محمود طه ديوانه « الملاح التائه » ، وأحسبه طلب إليه أن يكتب عنه . وكان بين الرافعى والشاعر المهندس صلة قديمة من الود ، أظنها نشأت فى حجرة الأستاذ فؤاد صروف محرر المقتطف ، حيث كان الرافعى يقضى أكثر أوقات فراغه كلما هبط إلى القاهرة لعمل من أعماله . وهناك كان يلتقى الرافعى ، وصروف وإسماعيل مظهر ، ومحمود شاكر ، والمعلوف ، وغيرهم من أدباء العربية ، فيحتدم الجدل ساعات فى موضوعات شتى من الأدب . ولم يكن للرافعى ندوة أدبية يقصد إليها كلما جاء القاهرة منذ هجر فلانة — أحبّ إليه من دار المقتطف ، ثم صار له ندوة ثانية من بعدُ حين اتصل سببه بالرسالة ؛ فكان يقضى وقته بين عيادة الدكتور شخاشيرى فى فم الخليج ، وعبد القادر حمزة والمازنى فى البلاغ ، وإخوان صروف فى المقتطف ، والزيات فى دار الرسالة. ولم يلتق إلا مرة أو مرتين بالأستاذ أحمد أمين والدكتور عزام فى لجنة التأليف والترجمة والنشر ، عندما كانت اللجنة قائمة على طبع كتابه وحى القلم

قلت : إنه كانت بين الرافعى والشاعر على محمود طه صلة من الود ، ومنها أن الشاعر المهندس وضع له رسماً (تصميما) للبيت الذي كان فى نيته أن يبنيه لينتقل إليه وينقل دار كتبه قبل أن يموت . ولهذا البيت قصة لم تتم ، لأن هذا البيت لم يتم ..، فقد كان كل ما ادخره الرافعى من جهاده بضعاً وثلاثين سنة ، بضع مئات من الجنيهات، اشترى بنصفها قراريط لينشئ فيها حديقة وبيتاً يسكنه — إذ كان وما زال إلى أن مات يسكن بيت أبيه — وبقى معه بعد ذلك قدر من المال لا يكفى نفقات البناء والانشاء ، فآثر أن ينتظر حتى يجتمع إليه شىء ، وأسلف صهرَه ما بقى عنده من المال إلى أجل ، وفى النفس أمل ... ثم ... ثم جاءت الأزمة فأكلت ثروة صهره جميعها لم تُبق منها على شىء ، وضاعت ذخيرة الرافعى فيما ضاع ولم يستطع المدين وفاء الدين ، فلم يبق للرافعى من جهاده وما ادخر إلا الأرضُ الخربة ، والأمل فى عطف الله ، وخطوط تبين حدود البيت وحجراته وأبهاءه وحديقته، مرسومةً على ورقة زرقاء ... !

وجاءه ديوان الشاعر على محمود طه ، وديوان الملاحى ؛ فدفعها إلىّ لأختار له ما يقرأ من كليهما . ولم أكن أعرف يومئذ ما بينه وبين الشاعر المهندس ، ولكن رأيى فى ديوانه وافق هواه ؛ فما فرغت من قراءته حتى دفعته إليه وعلى هامشه إشارات بالقلم ، وما دفعته إليه حتى تهيأ للكتابة عنه ...

وأنشأ مقالة مسهبة نشرها فى المقطم ، تحدث فيها عن الشعر حديثاً يبين مذهبه وطريقته فى فهم الشعر وفى إنشائه ؛ ثم انثنى إلى الشاعر المهندس يمدح ويثنى ، وينتقد وينصح ... وكان مؤمناً بما كتب ، ولكن إيحاءات من الواعية الباطنة [1] كانت تملى عليه بعض الحديث فى التعريض ببعض الشعراء المعاصرين ...

وتناول الأستاذ المازني ديوان « الملاح التائه » فى البلاغ بعدما تناوله الرافعى ، فعاب عليه أشياء كان يمتدحها الرافعى ،

(١) الواعية الباطنة : هو تعبير الرافعى عما يسمونه فى علم النفس بالعقل الباطن

وأخذ على الشاعر أنه كثير العناية باللفظ والعبارة وجزالة الأسلوب؛ فكانت مقالة الأستاذ المازني حافزة للرافعي على أن ينشىء مقالة للرسالة في الرد عليه ، جعل عنوانها « الصحافة لا تجني على الأدب ولكن على فنيته » ؛ فبهذه المقالة كان الرافعي يقصد الأستاذ المازني ، دفاعاً عن صديقه الشاعر ، أو دفاعاً عن مذهبه في الشعر . وكانت هذه أولى مقالات الرافعي في الرسالة بعد فترة من مقالة « وحي الهجرة » وقد أنشأها على نهجه القديم ، وحاول فيها فناً من التهكم في قصة اخترعها عن الأصمعي الراوية في عهد الرشيد

* * *

في الرسالة

كان الرافعي مفتوناً بمقالاته الثلاث التي أنشأها في هذه الفترة : البلاغة النبوية ، وحقيقة المسلم ، ووحي الهجرة . وكان حسن وقعها عند كثير من القراء حافزاً له على الاستمرار في هذا الباب من الأدب الديني ، فعقد النية على أن يكتب السيرة النبوية كلها على هذا النسق الفلسفي ، ليجعلها كتاباً بعنوانه ، يتناول سيرة النبي المعظم — صلى الله عليه وسلم — على طريقة من التحليل والفلسفة ، لا على نسق من الرواية . فأنشأ بعد ذلك مقالاته : « سموّ الفقر » ، و « الانسانية العليا » ، ثم بان له من بعدُ أن هـذا الفن من الانشاء عسر الهضم عند كثير من قراء الرسالة ، فتركه إلى موضوعات أخري يعالج بها بعض مشاكل الاجتماع في الحياة المصرية ، على أن يكتب ما يتيسر له من المقالات النبوية نجوماً في فترات متباعدة حتى لا يمل قراءه أو يثقل عليهم . وسأتحدث من بعدُ عن كل مقال من المقالات التي أنشأها للرسالة في الفترة التي صحبته فيها ، لعل ذلك يعين على فهم أدب الرجل ودوافعه ومعانيه ؛ ولعله يبلغ بي الوسيلةَ إلى الذين لا يفهمون أدب الرافعي ثم يحاولون أن يتحدثوا عن أدب الطبع وأدب الذهن ، أو الأدب الفني والأدب النفسي ...

ولكن عليّ قبل أن أبدأ هذا الحديث ، أن أصف الرافعي حين يهم بموضوعه ، ثم حين يفكر فيه ، ثم حين يتهيأ لكتابته ، ثم حين يمليه عليّ من القصاصات المبعثرة على مكتبه ، فان ذلك من الموضوع فاتحته وأوله :

* * *

اختيار الموضوع كان أول عمل يحتفل له الرافعي ؛ وإذ كان لم يعمل في الصحافة قبل اشتغاله بالرسالة ، فإنه لم يتعود من قبل أن يفتش عن الموضوع ؛ ولم يكن يحاول الكتابة إلا أن يدفعه إلى الكتابة دافع يجده في نفسه قبل أن يطلبه ؛ فلما دعاه الزيات ليكتب للرسالة موضوعاً كل أسبوع ، راح يلتمس الموضوعات التي تصلح أن يكتب فيها للرسالة . وكان يضيق بذلك ويتحير ، ثم لم يلبث أن تعودها ، فكان يرسل عينه وراء كل منظر ، ويمد أذنه وراء كل حديث ، ويرسل فكره وراء كل حادثة ، ويلقي باله إلى كل محاورة ، ثم يختار موضوعه مما يرى ويسمع ويشاهد ويحس ، ثم لا يبدأ أن يجمع له فكره ويهيئ عناصره إلا أن يجد له صـدى في نفسه ، وحديثاً في فكره ، وانفعالا في باطنه . وكثيراً ما كان يعرض له أكثر من موضوع ؛ وكثيراً ما كان يرتج عليه فلا يجد موضوعه إلا في اللحظة الأخيرة ، واللحظة الأخيرة عنده قبل موعد إرسال المقال بثلاثة أيام !

فمن ذلك ، ومن خشية الإرتاج والحرج ، كان دائماً في جيبه ورقات ، يكتب في إحداها عنوان كل ما يخطر له من موضوعات الأدب ، ليعود إليها عند الحاجة ؛ ويتخذ الورقات الباقية مذكرة يقيد فيها الخواطر التي تتفق له في أيٍّ من هذه الموضوعات أين يكون . وبلغ بذلك أن يجتمع عنده في النهاية ثَبتٌ حافل بعناوين مقالات لم يكتبها ولم يُفرِغ لها بالَه ، وورقاتٌ أخرى حاشدة بخواطر ومعان شتى في أكثر من موضـوع واحد ، لا تربط بينها رابطة في المعنى ولا في الموضوع . ومن هذه الورقات ، ومن فضلات المعاني في المقالات التي كتبها وفرغ منها — كان يختار « كلمة وكليمة » التي كان ينشرها في فترات متباعدة من الرسالة كلما وجد حاجة إلى الراحة من عناء الكتابة . فهذه الكلمات هي إحدى ثلاث: خواطر مبعثرة كان يُلَقَّاها في غير وقتها، أو عناوين موضوعات لم تتهيأ له الفرصة لكتابتها ، أو فُتاتٌ من مقالات كتبها وفرغ منها وبقيت عنده هذه المعاني بعد تمام الكتابة إذ لم يجد لها موضعاً مما كتب

وبسبب أنه كان يقيّـد عناوين الموضوعات التي كان يختارها ليكتبها في وقتها ، كان يَعِـد قراءه أحياناً بموضوعات ثم لا يكتبها

ولا يفي بما وعد ، لأنه لا يملك منها إلا عنواناً في ورقة بيضاء ؛ ومن ذلك مقالة (الزبّال الفيلسوف) التي وعد أن يكتبها حين أنشأ للرسالة قصة « بنت الباشا » ثم مضت ثلاثة أعوام ووافاه الأجل وما تزال مقالة الزبال عنواناً في رأس ورقة تحته نثار من الخواطر والمعاني التي كان يدخرها إلى يومها المؤمَّل !

ولقد وجدتُ على مكتبه في طنطا غداة نعيه كثيراً من هذه الورقات ، تشير إلى كثير من أمل الأحياء وإلى كثير من خداع الحياة ... !

* * *

... فإذا تم له اختيار الموضوع الذي يتهيأ لكتابته ، تركه للفكر يعمل فيه عمله ، وللواعية الباطنة أن تهيئ له مادته ؛ ويدعه كذلك وقتاً ما ، يطول أو يقصر ، يقيد في أثنائه خواطره لا تكاد تفلت منه خاطرة ؛ وهو في ذلك يستمد من كل شيء مادة وَحْي ، فكأن في كل موجود يراه صوتاً يسمعه ، وكأن في كل ما يسمعه لوناً يراه ، وكأن في كل شيء شيئاً زائداً على حقيقته يملي عليه معنى أو رأياً أو فكرة ...

فاذا اجتمع له من هذه الخواطر قدر كاف — والقدر الكافي لتجتمع له هذه الخواطر هو يومان أو ثلاثة — يأخذ في ترتيبها معنى إلى معنى ، وجملة إلى جملة، ورأياً إلى رأي . فهذه هي الخطوط الأولى من هيكل المقالة

ثم هو يعود بعد ذلك إلى هذه الخواطر المرتبة — بعد أن ينفي عنها من الفضول ما يدخره لـ « كلمة وكليمة » أو لموضوع آخر — فينظر فيها ، ويزاوج بينها ، ويكشف عما وراءها من معان جديدة وفكر جديد ؛ ولا يزال هكذا : يزاوج ويستولد ، ويستنتج من كل معنى معنى ، ويتفطر له عن كل رأي رأي ، حتى تستوي له المقالة فكرة تامة بعضها من بعض ، فيكتبها

إلى هنا يكون قد انتهى عمل الذهن ، وعمل النفس ، ويبقى عمل الفن والصناعة لتخرج مقالة الرافعي إلى القراء في قالبها الأخير الذي يطالع به الأدباء ... وبيني وبين القراء ميعاد ...

« شبرا » محمد سعيد العريان

من برجنا العاجي

أذكر أني ما قرأت بعض فقرات من « يوليوس قيصر » لشكسبير ، إلا غمرني حزن حقيقي . قصة أخرى أذكر أيضاً أنها كانت تترك في نفسي عين الأثر : هي رواية فرنسية تسمى « نابليون السكين » لكاتب فرنسي يسمى « برنارزيمر » يصور فيها الامبراطور سجيناً في جزيرة سانت هيلانة ، وقد قصت أجنحة هذا النسر الهائل ، وقلمت مخالبه ، وأمسى مخلوقاً بائساً يهزأ به خادمه ويخفي عنه غليونه الذي يدخن فيه ، ويهمله سجانه الانجليزي ويدعه يتقلب طول الليل على مضجع الألم من مرض أضراسه ، فلا يرحمه ولا يحضر له طبيباً ولا دواء ، ويلقبه « بالدب » الذي وضع في أنفه حلقة من حديد ويسمح لبعض الزائرين من السائحين أن ينظروا اليه خلسة من ثقب باب حجرته ، كأنه أسد هرم رابض في قفصه بحديقة الحيوان ، هذا الذي كان وحده يقيم العروش ويثل العروش ، ويدب بحذائه العسكري على أديم أوروبا فتهتز لمشيته التيجان على رؤوس الملوك . وكان يقول في صوته الحديدي : أنا وحدي «أوربا» ، فتقول له أوروبا كلها : بل أنت « العالم » . نعم لا شيء يؤلم نفسي مثل رؤية « العظيم » يرى سقوطه بعينيه ، ومع ذلك لقد احتفظ هذا العظيم بكبريائه حتى النفس الأخير . فلقد كان يصر على أن يلقب بالامبراطور ، ولقد خاطبه في ذلك مرة حارسه الانجليزي قائلا له : إمبراطور على من ؟ وإمبراطور على ماذا ؟ فلم يجد منه إلا تشبثاً . فأذعن رفقا به أو سخرية منه ، وترك له هذا اللقب الذي لا يغني ولا يفيد . ولبث هذا البطل المهجور يعيش في هذه الجزيرة المهجورة إلى أن مات ، لا بين قصف المدافع ودوي الأبواق ودق الطبول وهتاف العالم من جميع الأركان ، ولكن بين سكون النسيان ، لا يشيع جثمانه العظيم غير خادم وسجان . يالقسوة القدر ! ان السماء لتنتقم أحياناً من العظيم الذي يتوهم أنه غير وجه العالم بأعماله ، فتؤخر موته بضعة أيام عن الوقت الذي كان ينبغي فيه أن يموت ، حتى يرى بعينيه قبل أن تغلقا أن العالم بخير لم يتغير فيه شيء بذهابه ، ولم تخفت ضحكاته ولم تقف عجلاته برحيله .

توفيق الحكيم

آراء حرة

بين العقاد والرافعى

للأستاذ سيد قطب

— ٢ —

فى كلمة الأستاذ سعيد العريان الأخيرة ، وردت الجمل الآتية يصف نقد الرافعى لوحى الأربعين

« وكان نقداً مراحاميا اجتمع فيه فن الرافعى ، وثورة نفسه ، وحدة طبعه ، وحرارة بغضائه ، ولكنه كان نقداً منزهاً عن العيب »

« أستطيع أن أقول ويقول معى كثير من أدباء العربية ، إن هذه المقالة هى خير ما كتب الرافعى فى نقد الشعر ، وأقربها إلى المثال الصحيح »

« من قرأ « على السفود » فعابه على الرافعى وأنزله غير ما كان ينزله من نفسه ، فليقرأ مقال الرافعى فى نقد « وحى الأربعين » ليرى الرأي المجرد فى شعر الأستاذ العقاد عند الرافعى »

وفى هذه الكلمة نفسها يقول عند رد العقاد :

« قرأت مقالة العقاد فى الرد على الرافعى ، فوجدت أسلوباً فى الرد لم أكن أنتظره ، يؤلم ولا يفحم ، ويقابل الجرح بالجرح لا بالعلاج

ويسمى الرد كله : « طمن العقاد على الرافعى وشتيمته إياه »

ويقول عن المقالة كلها : « وكان أكثرها سباباً وشتيمة ، وأقلها فى الرد والدفاع » ... الخ ... الخ

***

هذا ما يراه الأستاذ سعيد فى نقد الرافعى ورد العقاد . فمن شاء أن يعرف ما هو نقد الرافعى ، فليسمع نماذج منه تعطى صورة كاملة عنه ، لأنها منتقاة من نواح مختلفة فيه ، لتمثل « فنونه » كلها . وإنى لأستميح قراء الرسالة المذر ، حين أستبيح أسماعهم وأذواقهم فى سماعها ، وقد اختصرت على أقلها إفحاشاً وهاهى ذى :

١ — « وما يخيل إلى فى شعر العقاد إلا أنه مستنقع اخضرت ضفتاه ، فهذا الجمال القليل فيه لا يكشف عن سر ورونق وإمتاع ، وإنما يزيد فى القبح والشنعة . وما هو المستنقع إلا البعوض والملاريا والطحلب والوخم والعفن . ولو أنك كنت شاعراً دقيق الحس ، مصفى الذوق ، عالى البيان ، ثم قرأت شعر العقاد لرأيت من ألفاظه ألفاظاً تلسع الذوق لسع البعوض ، ومن شعره أبياتاً تنهق نهيق الضفادع التى هى حمير الماء

٢ — يقول العقاد عن حبيبته :

فيك مني ومن الناس ومن   كل موجود وموعود تؤام

فلا يرى الرافعي فى هذا البيت الفريد إلا أن يقول :

« قلنا فإن « من كل موجود » البق والقمل والنمل والخنفساء والوباء والطاعون والهيضة وزيت الخروع والملح الانجليزى إلى واوات من مثلها لا تعد ، أفيكون من هذا كله فى حبيب إلا على مذهب العقاد فى ذوقه ولغته وفلسفته ؟ »

٣ — يقول العقاد فى طرافة ودعابة عن حسان شاطئ استانلى

ألتى لهن بقوسه   قزح وأدبر وانصرف

فلبسن من أسلابه   شتى المطارف والطرف

فلا يجد الرافعي فى هذه الطرافة إلا أن يتلاعب بالألفاظ فيقول :

« فقزح لا يلقى قوسه أبداً ، إذ لا يفصل منه . قال فى اللسان « لا يفصل قزح من قوس » فاذا امتنع فكيف يقال : « أدبر وانصرف »

أما قزح العقاد ، فلعله الخواجة قزح المالطي ، مراقب المجلس البلدى على شاطئ استانلى الذى قيلت فيه القصيدة

٤ — ويسمع العقاد صيحات الاستنكار لهو الشواطىء وما تعرض من جمال ، فيصيح صيحة الفنان الحى المعجب بالحيوية والجمال :

عيد الشباب ولا كلا   م ولا ملام ولا خرف

فإذا الرافعي يقول :

« إن غاية الغايات في إحسان الظن بأدب العقاد أن تقول إن فى هذا البيت غلطة مطبعية ، وأن صوابه

عيد الشباب فلا كلا   م ولا ملام (بلا قرف) !

***

هذه نماذج منوعة من ذلك النقد الذي ينال الرضاء والاستحسان من أصدقاء الرافعي، ومن أبناء مدرسته، ويعتبر «نقداً منزهاً عن العيب»!

وهذا هو الكلام الذي يعتبر رد العقاد عليه «سباباً وشتيمة»!

ومثل هذه الآراء الغريبة تثير الحنق وتستفز النفوس، ومع هذا فسأحاول أن أناقشها بهدوء، وأن أخلص منها إلى البرهنة على ما سبق أن أسلفته من رأي في الرافعي

فأما المثال الأول فما أدري ماذا أسميه إن لم أقل عنه: «إنه إسفاف» أو إنه «سباب وشتائم» بتعبير أصدقاء الرافعي وهو وأمثاله يؤلف نصف النقد في أوائله وأوسطه وأواخره، فلنمر عليه مر الكرام

وأما المثال الثاني فهو مصداق رأيي في أن الرافعي أديب الذهن لا أديب الطبع، وأنه تنقصه «المقيدة» التي هي وليدة الطبع.

أو. لا. فأي «طبع» سليم يتجه إلى تفسير بيت غزلي في معرض إعجاب شاعر بحبيبته، واستغراق في شمول شخصيتها بأن «كل موجود» هو البق والقمل والنمل... الخ»؟ غافلاً عما في هذا الإحساس من «حياة» و «استكناه» لجوهر الشخصية، و «خيال بارع» تثيره طبيعة فنية، فيرى في هذه المرأة من متنوع الصفات ومختلف النزعات وشتى المزايا، عالماً كاملاً من كل موجود وموعود؟

أحد أمرين:

إما أن الرافعي ضيق الإحساس مغلق الطبع بحيث لا يلتفت إلى مثل هذه اللفتات الفنية بالشعور

وإما أنه يدرك هذا الجمال، ولكنه يتلاعب بالصور الذهنية وحدها، غافلاً عما أحسه وأدركه

وهو في الحالة الأولى مسلوب «الطبع»، وفي الثانية مسلوب «المقيدة». فأيهما يختار له جماعة الأصدقاء؟

والمثال الثالث فيه تلاعب وروغان، وهو في هذه المرة (التلاعب) أخس من السابقة. ففي الأولى كان تلاعباً بصور ذهنية، وهو هنا تلاعب بألفاظ لغوية!

أولا فهذا الذي يغفل عن طرافة هذا «الخيال» الذي يتصور «قزحاً» ملقياً بقوسه لهؤلاء الحسان، وهن يتناهبن هذه الأسلاب، بينما هو مدبر منصرف، مغلوب على أمره، لا يستطيع النصفة ممن غلب جمالهن جماله!

ألا تستحق مثل هذه الطرافة، ومثل تلك الحيوية من الناقد إلا أن يذهب إلى القاموس أو اللسان، ينظر هنالك هل يفصل قوس عن قزح أولا يفصل؟ ثم يكمل الكلام بتهكم بارد لا يرد على العطرة المستقيمة في معرض هذا الجمال!

أهذا هو النقد الذي هو «أقرب إلى المثال الصحيح»؟

وماقلته في المثال الثاني يقال بنصه هنا، فلترجع إليه جماعة الأصدقاء!

والمثال الرابع يغنينا الرافعي عن الحديث فيه، فهو لم يزد على أن أورد البيت، ثم استغلق دون استيعاب ما يعبر عنه من روح الفنان الحي، الموكل بالجمال حيثما وجد وكيفما كان، الهازىء بخرف التقاليد، وقيود العرف، ولم يجد ما يقوله إلا «بلا قرف» وهو قول لا تمليق لنا عليه

* * *

هذه نماذج يبين أولها شتائم الرافعي وسبابه؛ ويمثل الثاني تلاعبه بالصور الذهنية، واستغلاق طبعه دون تملي الإحساس الفني؛ ويمثل الثالث تلاعبه بالألفاظ اللغوية، والوقوف بها دون ما تشمه في الخيال من صور طريفة؛ ويمثل الرابع هروبه من مواجهة النقد الصحيح إلى المراوغة وكسب الموقف - في رأيه - بنكتة أو تهكم أو شتيمة

وليس في نقده كله إلا أمثلة لتلك النماذج، وهي كلها لا تستدعي رداً من المنقود. وإني لأعجب كيف رد العقاد على مثل هذا، وكيف عني أن يناقش مالا يناقش من الآراء والتحايلات

لقد قلت في كلمة سابقة: إنني أنا — لا العقاد — كنت مستعداً أن أثور وأن أستهزىء، لو تناول متناول أدبي يمثل هذا الضيق في الفهم والاستغلاق في الشعور، أو يمثل تلك التلاعبات الذهنية واللغوية، واللفتات البهلوانية

وإنني لأكرر ما قلته، وأعجب من بعض أصدقاء الرافعي: كيف كانوا يريدون من العقاد أن يقابل مثل هذا بالنقاش الهادىء «ويرد الجرح بالعلاج لا بالجرح». ولماذا أيها المنصفون يطلب من العقاد وحده أن يلتزم جانب النقد الأدبي مع من لا يلتزمه

* * *

وبعد فقد اخترت أن أثبت رأيي في الرافعي من نقده الذي استحق اعجاب أصدقائه، وفي مرة أخرى سأفصل هذا الرأي ممزوجاً بانتاجه الطبيعي الخالص من فورة الخصومة وحدة النزال

«حلوان»

سيد قطب

رســــالة الأديب

إلى الحياة العربية

للدكتور بشر فارس

الأديبة تريحنا من الأدباء :

القصر تدخله فيروعك الرواق الممدود والجدار المنطلق والسقف المقبَّب، ثم الطنافس كأنها من بطون النوق، والمصابيح كأنها انسلت من أعطاف القمر ، والأسرّة كأنها من عضل الزّنج منحوتة . فإذا طرفك تنهكه الغلبة ؛ حتى إذا انثنى إلى الخدر وارتفع له ستاره كان كالسنبلة تلطمها السَّموم فيغيثها البلل .

الخدر : زهر مطروح، وإبريق مترع نصفه ، وكأس تنتظر أن شاربها ، ومقعد مقتضب ولكنه وثير ، ووساد كأنه خدود جُمّعت ، وباب هنالك تدفعه بنفثة

فبورك اليوم الذى فيه حنَّت أنامل ميّ إلى قلمها !

***

وبعد، فقد ألقت الآنسة ميّ فى قاعة الجامعة الأمريكية لبيروت محاضرة موضوعها « رسالة الأديب إلى الحياة العربية » ، وقد نشرتها « الرسالة » (رقم ٢٤٨) وإذا هى محاضرة تسيل رقة وتثب خفّة ، فيها من الحقائق النواهض ما يكشف للذهن عن أفق منبسط وهّاج .

وثمت ثلاث حقائق لم ينصرف قلم الآنسة ميّ إليها؛ فهل لى أن أبينها هنا ؟

***

الأدب صناعة !

كذلك كان عند الأمم الراقية وفيها العرب أصحاب لغتنا . وكذلك هو اليوم فى بلدان الفرنجة. و« الصناعة » لفظ له مدلول معين . إنما مداره هذه المجموعة من القواعد والشرائط . ومن الشرائط أن تكون منجذباً إلى الأدب سليقة ، وأن تنصبه فوق كل شيء ، وأن تبذل فى سبيله ما عزّ عليك من متاع أو مطلب ، وأن تنصرف إليه لوجهه . ومن القواعد أن تملك اللغة التى تكتب بها ، وأن تكون مطلعاً على آدابها واقفاً على فنونها ، وأن تكون — فوق هذا — طلاّباً للعلم ، مأخوذاً بحمىّ الاستطلاع المتصل ، مستقيماً فى الأداء ، رغاباً فى التطلع إلى التمام .

قواعد وشرائط هيهات أن تكون من مستحضرات الذهن النظرى ، بل هي من مستخلصات تاريخ الآداب عامة .

هل الأدب صناعة في الشرق العربي ؟ إنه لصناعة عند فئة ممن يقبلون عليه وقلوبهم تحدثهم بقدره . غير أن العدد الأوفر من كتابنا وشعرائنا إنما يهجمون على الأدب من غير بابه .

أليس الأدب أن تقبض على قلم وتفرش ورقة وأنت عارف كيف ترفع الخبر وتخفض المضاف، وإن حيرتك حروف الجرّ أو أدار عقلك وصل الجمل وفصلها ؟ أما الذى يغشى الورقة فما لا شأن للقارىء فيه . أنا أكتب ، وأما أنت فالقراءة ، بل عليك أن تكبرنى . لمه ؟ لأنى أكتب ؛ لأنى أديب . أين الشهادة بأنى أديب؟ إن صحيفة كيت وكيت تنشر لى. إن لى كتاب كذا وكذا ... ماشاء الله ! ماذا تقول ؟ « الأدب صناعة » ؟ ها ها ! الأدب وحى ! الأدب زير يرشح وأنا الطست من تحته ! أجل أنا أقرض الشعر وإن لم أقوّم أوزانه ! الشعر موسيقى وأذنى دف تنقره وثبات روحى اللطيفة . أجل أنا أحلل فلسفة برجسون وإن لم أقرأ أفلاطون ولا بلوطينس ولا سبينوزا ولا دركايم . إنى أتسلق الدار وأعف عن إتيانها من مولجها . أجل أنا أؤلف مسرحيات وإن لم أقرأ مسرحية أفرنجية واحدة . لا حاجة بى إلى من يدلنى على الطريق . أنا « موهوب » . أجل أنا أصف الصور والتماثيل التى فى معارض الفن وإن لم ألمح من متحف « اللوفر » سوى طرفاً من سلمه . الأدب تهويل على الناس ، يا صديقى . أجل أنا أزلق إلى الغمز بمجمع اللغة العربية وإن لم أقرأ « القرآن » ولا « المخصص » ولا « مغنى اللبيب » وإن جهلت كيف أطلب مادة أدب فى القاموس المحيط . أنا أنشىء افتتاحيات سياسية ، والسياسة مدرجة إلى كل شىء

***

الأدب غذاء !

أن تشرح روحى وتزيد فى علمى وترهف إحساسى وتصقل

إذا كى ثم تدفعنى إلى حيث أفلت من قيود المادة ، ذلك الذى أرقبه منك خاصة أيها الأديب . أما أن تقصر أدبك على الترويح عن نفسى كأنك بيفاء يسلى عجوزاً عن شمطها فلى عنك فى ذلك غنى . أليس بين يدىّ « روايات الجيب » ومجلة « اللطائف » والصور المتحركة الأميركية و « الكسار » والزمار البلدى ورقص البطن فضلاً عن القهوات وما يقع عليها من غرائب المخلوقات ؟

كأنى بك تكتب وتلقى فى اعتقادى أنك ممن يقود فكرى فتغوينى وتفسد علىّ معنى الأدب . وإن قُلتَ : إنى لم أُهيَّأ بعد لتلقى أسرار فنك لقعود فهمى عن النفوذ إلى مخبآت الضمير ، فما رسالتك إذن ؟ أترفعنى إليك أم تنخفض إلىّ ؟

خبّرنى، هل رأيت — حياتَك — الزهرة تميل إلينا لنستروح شذاها أم هل رأيت البحر يأتينا فى بيوتنا لنركبه إلى الشطء المحنون إليه ؟ روّضنى على التفكير . خذ بيدى . خذ بما تيسر لك منى نحو ذلك الضوء الذى تراه (من باب الفرض على الأقل) ثم تأتّ لعينى وتلطف فى فتحها. إن الغشاوة التى تركبها إنما أمرها موكول إليك. وما هى بالمستعصية والله ! ولكن إياك والسطو على تآليف غيرك ولا سيما الفرنجة ، فانما روحك التى أتلمسها فيما تكتب ، ومن روحى إلى روحك رسول ، ألسنا من جبلّة واحدة ؟

***

المرأة قوام الأدب !

المرأة عندنا لم تعرف بعد ما المرأة . فإن كانت مثقفة فإنما يشغلها التحرر والنسج على منوال الأفرنجية فى مظاهرها . وإن كانت أميّة فإن هى إلا عَرَض فى عينيها . آه لو عرفت المرأة أن الأدب منها وإليها ! لأن بين يديها مفتاح الغبطة والألم . ومن ذا الذى يلقّنها هذا غير الأديب ، بل من ذا الذى يُفقّهها على وليجة نفسها غيره ؟

الجانب الأعظم من أدبنا أشبه شىء بصحراء رُباها متناسقة ورمالها متناسبة وليس فيها بئر ولا نخل ، حتى إذا جُزتَها وفوّزتَ أصبت عند مخرجها آباراً مهجورة ونخلاً تكاد الوحدة تصرعه . إن البيئة الشرقية مقسمة قسمين : هنا الرجال وهنالك النساء . وما أدرى حتى اليوم كيف يستمرىء الرجال العيش على هذا النحو الشاذ. ولذلك ترى أدبنا المحدث غير طبيعي فى جملته؛ أما الشعر فمصنوع ، وأما القصص فملفّق ، وأما الرسائل فجافّة

وإذا فُوِّض إلى الأديب أن يرشد المرأة إلى سريرة نفسها ، فما وكل إلى المرأة بعد هذا أن تلهم الأديب من طريق مباشر أو غير مباشر ، وأن تهذب القارئ بلطف حسها فتقوم مقام الهمزة الدقيقة تصل بين الأدب الحق والمتطلع إليه

بشر فارس

رَجْع : فى مقالى المنشور فى العدد الماضى من الرسالة (٢٥٠) وعنوانه « فى المذهب الرمزى » (تعليق) ، بعض هفوات ، منها : وكان لأجل ، والصواب : لأهل — Caboulade ، والصواب : Capoulade — Raphalite ، والصواب : Raphaelite — أو Rein menochliek ، والصواب : أو rein mensehlich — الطبيعة البشرية الموثوقة ، والصواب : الموثقة — l'aeure ، والصواب : l'Oeuvre — بين التأثيرية ، والصواب : التأثرية — أن أدفع وهماً ، والصواب : وهماً ممكناً

ب . ف

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ١٧ —

أمرى إلى الحب !

أمرى إلى الهوى !

بل أمرى إلى الله الذى يقلّب القلوب

* * *

كانت ليلتى فى قطار البصرة ليلة شاتية ، وما كنت أخذت أُهبتى لمكافحة البرد فى قطار البصرة ، وهل كنت أعلم أن البرد فى قطار البصرة له تواريخ ؟

لقد عشت دهرى مفتوناً بشبابى ، لأنى نشأت فى أسرة كان أكثر رجالها من المماليق

وكذلك زيّن لى الفتون أن أمتطى قطار البصرة فى ليلة شاتية بلا غطاء

دخلت البصرة محموماً ، دخلتها أهذى هذيان المحمومين

ولكنى تذكرت فجأة أن سعادة السيد عبد الجبار الراوى حاكم الحلة كان كلفنى تبليغ التحية إلى سعادة الدكتور عبد الحميد الطوخى مدير الصحة بالبصرة ، وتذكرت أن هذا الطبيب مصرى صقله العراق ، وأنا على كل حال أحب المصريين ، فقد شاع فى بقاع الأرض أنى مصريّ ، ومن واجبى أن أحب مصر وفاء أو رياء .

ذهبت محموماً للتسليم على هذا الطبيب فكاد يطير من الفرح بلقائى . فقلت له : هوّن عليك ، فما جئت إلا لأبلغك تحية حاكم الحلة ، الحلة الجميلة التى تشبه شبين الكوم حاضرة المنوفية

وما هى إلا لحظة حتى نقلنى هذا الطبيب إلى حاكم البصرة ، وإلى مدير المعارف بالبصرة ، وكان اليوم كله طوافاً بما فى البصرة من غرائب وأعاجيب

وعند الغروب لقينى الدكتور عبد المجيد القصاب فقال : ارجع بنا إلى بغداد . فقلت : لا أستطيع . فقال : إنك ستلقى كلمة مصر فى تأبين المغفور له ياسين باشا الهاشمى ، واسمك فى منهج الاحتفال .

فقلت : أعرف ذلك ، وأفهم قيمة الشرف الذى أظفر به فى حفلة يخطب فيها فخامة رئيس الوزراء ، وفخامة نورى باشا السعيد ولكنى محموم ، وما أستطيع أن أعاقر البرد فى قطار البصرة ليلتين متواليتين

وأرسلت برقية اعتذار ، وأويت إلى فراشى بالفندق أعانى الغربة والمرض والحب . وشاع فى البصرة أنى مريض ، فتفضل حاكم البصرة ومرّ بالفندق فترك لى كلمة عطف ، وتفضل مدير الصحة بعيادتى فأزعجه حالى

وفى الصباح أفقتُ ، فكان أكبر همى أن أزور قبر أستاذى فى التصوف ، مولاي الحسن البصرى ، ولكن كيف ؟ لقد قضيت ليلتى محموماً وقضت السماء ليلها فى بكاء

وأويت مرة ثانية إلى الفراش لأن المطر جعل ذهابى لزيارة قبر الحسن البصرى غرضاً عزيز المنال

وطلبت الجرائد لأتلهى بها فرأيت فى جريدة « الناس » وجريدة « الثغر » أنى سألقى محاضرة بنادى البصرة ، فذهبت فى الموعد وتكلمت نحو خمسين دقيقة عن ماضى البصرة ، ثم مضيت إلى الفندق فأخذت أمتعتى لأعاقر البرد من جديد فى طريق إلى بغداد

هل يعرف قارئٌ هذه المذكرات كيف يشق من يقضى ثلاث عشرة ساعة فى القطار وهو محموم ؟

علم ذلك عند الأستاذ النبيل الذى يدير إحدى المدارس فى بغداد فقد أخرج ما فى حقائبه من أغطية وملابس وألقاها فوق جسمى لأنجو من البرد الذى قتل أخانا أبا الدرداء

صرعنى البرد فى الذهاب والإياب ، وأضرعتنى الحمى فلم أدخل بغداد إلا وشفتى يزينها عُقْبُول ، والعقبول هو التشقق الذى يصيب الشفاه من وهج الحمى ، ومنه جاءت عقابيل الحب ، وكذلك اجتمعت العقابيل فى قلبى وشفتى ، وهو أول حادث يقع فى التاريخ

كان هذا العقبول مزعجاً ، فقد كان كل من يرانى يحسب أنى أُصبت بأخت بغداد ؛ ولو صح ما حسبوا لكانت نكبة ، فأخت

بغداد إذا أصابت الشفة كانت نذيراً بالحرمان من جميع أخوات بغداد

ومن أجل هذا المقبول حبست نفسى فى المنزل أسبوعين قضيتهما فى إنجاز كتاب « عبقرية الشريف الرضى »

ولكن هذا الحبس كانت له أيضاً عقابيل ، فقد اشتغلت بالسياسة العراقية مع أنى طلقت السياسة المصرية منذ أعوام طوال

وتفصيل ذلك أن مجلس النواب كان يستعد لدرس معاهدة الحدود بين العراق وإيران ، وكان شط العرب محور النزاع ، شط العرب الذى تغنّيت به فى البصرة ونشرت ثنائى عليه جريدة البلاد

كان العراق فى فَوْرة ، وكنت فى فورة ، وما أشقى من يضطرم صدره تحت سماء العراق !

ومضيت إلى رئيس الكتاب بالمجلس النيابى ، وهو صديق عزيز ، فطلبت تذكرة لحضور تلك الجلسة التاريخية . وكنت أول من دخل شرفة الجلس فى ذلك اليوم ، فهالنى أن أرى خريطة شط العرب مرقومة بالطباشير على لوحة سوداء

كان الجو كله دخاناً فى دخان ، وكنت أكاد أختنق

ثم وقف وزير الخارجية يخطب ، وما كان أروعه فى ذلك اليوم ، فقد بدد ما ران على صدرى من ظلمات

وتدفق الخطباء بين معارض وموافق ، وكانت جلسة برلمانية حقًّا وصدقاً . كانت جلسة صريحة أبدى فيها النواب آراءهم بألفاظ لا مداورة فيها ولا التواء

خطب وزير الخارجية خطبتين فى ذلك اليوم وكان بالتأكيد أشجع الخطباء . ولن أنسى أنه قال : كان فى يقينى أن أقترح جعل هذه الجلسة سرية ، ثم رأيت أن تكون علنية ليرى الجمهور بعينه أن الحكومة حريصة على أرض الوطن كل الحرص

وسألت أحد الصحفيين عن هذا الرجل فقال : أما تعرفه ؟ هذا زميلك

فقلت : وكيف كان زميلى ؟

فقال : هو سوربونىٌّ مثلك ، هذا توفيق باشا السويدى خريج السوربون

السوربون ! السوربون !

رعى الله عهدى يوم كنت أجول فيها وأصول !

* * *

خرجت من مجلس النواب منشرح الصدر . ولقينى أحد النواب فقال : كيف رأيتَ ؟ فأجبت : رأيت وجه الحق . ولكن آذانى أن تكون حجة الموافقين على معاهدة الحدود مقصورة على أن إيران جارة عزيزة . فما الذى كان يضيركم لو قلتم إن إيران أمة إسلامية ، وإن المسلمين يجب أن يتسامح بعضهم مع بعض ، نحن مسئولون عن الأخوة الإسلامية أمام الله وأمام التاريخ . مسئولون أمام الله الذى يكره أن يبغى المسلمون بعضهم على بعض ، ومسئولون أمام الماضى الجميل الذى تعاونت فيه الأمة العربية والأمة الفارسية فأنجبتا أشرف ذخيرة من ذخائر الأدب والتشريع . إن العداوة بين العرب والفرس أجج جذوتها ناس من الأدباء ، فما الذى يمنع من أن يقوم فريق من الأدباء المصلحين فيخلقوا الحب بين إيران والعراق ؟

إن فرنسا لها مدرسة لنشر اللغة الفرنسية فى إيران

فما الذى يمنع أن تقوم الحكومة المصرية أو الحكومة العراقية بإنشاء مدرسة لنشر اللغة العربية فى إيران ؟

حدّق النائب فى وجهى طويلاً وقال : هذا رأى وجيه ، ولكن الظروف ...

فقلت : أى ظروف ؟ إن أوربا يسرها أن نتمزق . وهى قد استطاعت بالفعل أن تؤلب المسلمين بعضهم على بعض وأن تضرب العرب بعضهم ببعض . وإذا استمر الحال كذلك ربع قرن فلن نجد من يردّ عليك السلام فى مصر ، ولن أجد من يردّ علىّ السلام فى العراق

* * *

الحمد لله . تم الصفاء بين إيران والعراق ، ومرت معاهدة الحدود بسلام ، والله المسئول عن هداية العرب والمسلمين

ولكن شط العرب الذي عجز عن تكدير السلام بين العراق وإيران استطاع أن يكدر السلام بينى وبين ليلاى

كنت انقطعت عن زيارة ليلى إلى أن يذهب المُقبول الذى شوه شفتى ، فاستوحشت ليلى لغيابى ، وأرسلت ظمياء للسؤال عنى ، فطار بى إليها الشوق ، فلما وقع بصرها على شفتى قالت : ما هذا الذي بشفتك ؟

فأجبت : هذا عقبول

فقالت : أما آن لك أن تتوب ؟

فقلت : ما ذا تعنين ؟

فأجابت : ما هذا ُعقبولا يا حضرة الدكتور

فقلت : وما هو ؟

فأجابت في سخرية : هذه عضة سمكة من أسماك شط العرب !

فأقسمت بالله والحب أنني ما حاولت الصيد في شط العرب حتى تعضني السمكات

وطالت اللجاجة بيني وبين ليلى ، وحملني الغضب على أن أقول: اسمعي ، أنا مستعد لما هو أخطر من ذلك

فقالت : إيش لون ؟

فقلت : أنا مستعد لتقبيل ثغر الحية

فقالت وعيناها تقذفان بالشرر المتوقد : لن تقبل ثغر الحية .

فانزعجتُ وعرفتُ أنه وعيد

وانقضت السهرة فى كلام تافه ، وعند الانصراف لم تسألنى ليلى متى أرجع ؟

* * *

آه ، ثم آه !

كانت ظمياء خدعتنى حين قالت إنها وصلت مع ليلى إلى القاهرة فى آذار شهر الأزهار والرياحين ، فقد عرفت أن آذار القاهرة غير آذار بغداد . عرفت بالتجربة أن العراقيين على حق حين يحكمون بأن « آذار ، شهر الزوابع والأمطار » فقد قضيت هذا الشهر فى كروب وأحزان

ولكن أى كروب وأى أحزان ؟

كنت أذهب لتأدية الدروس فى الصباح ، وكنت أذهب بعد العصر إلى المطابع لأصحح تجارب كتابى ، ثم أرجع قبيل المغرب إلى البيت لأعانى وحشة الليل ، الليل الهائل ، ليل بغداد

وزاد الكرب أنى انقطعت انقطاعاً تاماً عن المصريين والعراقيين

انقطعت عن المصريين للسبب الذى شرحته فى كتاب « ذكريات باريس » وهو سبب يؤذيني أن أسجله مرة ثانية فى هذه الذكرات ، وأنا فى الواقع أنسى مصر حين أفارق مصر ، لأنى أفهم أن مصر حين ترسلني إلى باريس أو بغداد لا تريد إلا أن أفهم باريس أو بغداد . ومصر لا تلعب ، فهى تحب لأبنائها أن يفهموا روح الغرب وروح الشرق ، وأنا فيما أزعم مصرى تحبه مصر ، وإن كانت لا تلقانى بغير العبوس

وانقطعت عن العراقيين لأن حسابى عندهم أثقل من الجبال .

ولن أنسى السهرة التى قضيتها فى منزل السيد محمد حسين الشبيبي فقد قضيت ثلاث ساعات وأنا أندفق كالسيل دفاعاً عن الآراء التى أذعتها في مؤلفاتى ، وآذانى ذلك الجهد فرضت يومين

أين أذهب ؟ لا أدري أين أذهب

كنت أدّخر ليلى لأيام الشقاء، وهى الآن فى تغضب وتعتب.

كانت ليلى تقول حين أهمّ بالخروج : فراقاك صعب سيدي ،

وهى اليوم لا تقول شيئاً من ذلك ولا تسأل متى أرجع

كانت ليلى تقول : «ليش ماجيت عندنا من زمان يا دكتور؟»

وهى اليوم تسأل فيما أظن — وبعض الظن إثم — متى أرحل عن بغداد

عافاك الله يا ليلى وأسبغ عليك نعمة العافية !

* * *

تباركت يا ربي وتعاليت

فما عانيت فى حياتي بلاء إلا رأيت مايصحبه من محمود العواقب.

فبفضل تغضب ليلى وتعتبها عرفت سراً من أغرب الأسرار ، عرفت كيف ظل العراقيون أكثر من ثلثمائة سنة يغنون هذين البيتين :

ولى كبد مقروحة من يبيعنى ... بها كبداً ليست بذات قروح
أباها علىّ الناس لا يشترونها ... ومن يشترى ذا علة بصحيح

لقد هدنى غضب ليلى فلم أعد أعرف للحياة أىّ مذاق ، وجزعت على ما صرت إليه أشدّ الجزع ، فهذا الربيع يفيض على أرجاء العراق أرواح الابتهاج والانشراح ، وقلبي وحده يعيش بلا ربيع

وجاء (نيسان ، شهر الزيادة والنقصان) فلم يهشّ له قلبى ، وبقيت أعانى ألم الوحشة والانفراد

كنت أستطيع غشيان بعض الملاهى لأنسى هموى وما فى ذلك ما يضيرنى ، فقد كان السيد جمال الدين الأفغانى يجلس فى قهوة متاتيا بالقاهرة يوم كان الجلوس فى مثل تلك القهوة شيئاً

غير لائق ، وكان يقول : من حق الفيلسوف أن يجلس فى قهوة متاتيا ، وأنا دكتور فى الفلسفة ومن حقى أن أجلس فى قهوة متاتيون !

ولكن ملاهي بغداد فيها أغانٍ وألحان ، وقد صرت بعد غضب ليلى مرهف الحس إلى حد مفزع ، وأخشى أن أسمع الغناء مع الناس فتفضحنى عندهم دموعى

وكان يتفق أن أسمع المذياع من حين إلى حين فأتوهمه يدمدم :

ولى كبد مقروحة من يبيعنى ... بها كبداً ليست بذات قروح

ومن غريب ما وقع أن غضب ليلى قوبل بعوض مزعج هو كرم أهل العراق

كنت أدخل المطاعم للغداء أو للعشاء فأجد من يدفع عنى من حيث لا أعرف . وكثر ذلك حتى أضجرنى ، وما كنت بخيلاً حتى أنكر الكرم ، ولكن قلبى كان يهتف بقول الزميل القديم :

آل ليلى إن ضيفكمُ ... واجد بالحى مذ نزلا
أمكنوه من ثَنِيَّتها ... لم يرد خمراً ولا عسلا

وفى حومة من هذه الحرب الوجدانية سمعت أن جماعة من الأطباء كتبوا يشكوننى إلى الجمعية الطبية المصرية ، وهم يزعمون أننى حنثت فى اليمين ، فقد أقسمت كما أقسموا ألا أفشى سراً لمريض ، ولو كانوا يعقلون لعرفوا أن مرض ليلي أصبح معضلة دولية، ولكن هل يعقل من فى قلوبهم مرض ؟

آه ثم آه من حقد الزملاء

* * *

لم تسألنى ليلى متى أرجع ، ولكن لا بدّ أن أرجع

وهل هنت على نفسي إلى هذا الحد ؟

ما هنت على نفسى . فقد رعاني الله فعشت طول حياتى عزيزاً ، ولكن هذه فرصة أختبر فيها أخلاق . هذه فرصة ثمينة قد لا تعود . إن ليلى تحقد علىّ ، وتتهمنى بخيانة الحب ، ومن واجبي نحو الأخلاق أن أرحم من يرتاب فى أخلاق ، فما ارتاب فى أخلاق غير الضعفاء والمساكين

ولكن ليلى لها تاريخ ، وأشقى الناس من يعشق امرأة لها تاريخ

وتاريخ ليلى ابتدأ فى القاهرة واستفحل فى بغداد ، ومن الواجب أن أكون على بينة من تفاصيل ذلك التاريخ ، وعلم ذلك عند ظمياء

* * *

— إيش لونك يا دكتور !

— أعانى ظلام الحب وظلام الليل ، وإيش لون ليلى ؟

— إستراحت لمكايدتك فدبت فى روحها العافية

— وكذلك أبى الأصدقاء ليهدمونى يا ظمياء

— لا تندم على ما صنعت من جميل

— سمعت وأطعت يا بنيتى الغالية ، ولكن أحب أن نرجع إلى حديث ليلى مع الضابط عبد الحسيب

فانشرح صدر ظمياء وأخذت تقول ...

« للحديث شجون » زكى مبارك

أهمية الترجمة وحركاتها في التاريخ

الترجمة في الإسلام

صفاتها وفهمها في أوربا

للأستاذ عبد العزيز عزت

كذلك كلما فتح العرب الممالك الواسعة في مشارق الأرض ومغاربها[1] واختلطوا بأهل تلك البلاد ، وكان بينهم من يسمو عليهم في الحضارة والفهم ، أحس العرب بجهلهم وما يخضعون له منذ زمان بعيد من عرف الحكم المتقطعة والأوامر والنواهي التي لا تؤدي إلي خلق دورة كاملة للتفكير في موضوعات معينة ، لأنهم قوم رحل يعشقون الحرية التي جعلتهم شعباً ملهماً تتقد فيه المشاعر وتسمو فيه البلاغة ، وينضج فيه الشعر ، ويسبح فيه الفكر بين الذاكرة والخيال دون أن يهبط إلى ظاهرات الوجود الدنيوي ليحلل عناصرها ويبحث عن منطق الترابط العقلي بينها . عقلية يسودها الماضي بعرفه وذكريات أبطال القبائل ، والمستقبل تحت عبء القضاء والقدر[2] ؛ رحبوا لهذا بخلق هجرة العقل ، بعد أن مهدت لذلك من قبل هجرة الإيمان لسيد الخلق عليه السلام

فابتدأ تاريخ العقل عندهم حينما أسس المأمون « ديوان الترجمة » ببغداد عام ٨٣٢ ميلادية ، وكان أغلب هذا الديوان من النصارى كحنين بن اسحاق ، وابنه اسحاق ، وحبيش ، وقسطا بن لوقا وغيرهم فذهب هؤلاء المترجمون إلى فلاسفة اليونان يتوسلون ويستجدون فطربوا على وجه الخصوص لأفلاطون وارسطو ، فترجموا للأول خاصة مايتعلق بعهد الشيخوخة ، لأن علماء تاريخ الفلسفة كأستاذنا روبان يقسم افلاطون إلى ثلاثة أقسام : عهد الشباب ويتأثر فيه بسقراط في جمال الأخلاق وطبيعة الفضيلة ، وعهد الرجولة وفيه يبسط آراءه في نظرية المعرفة وماوراء الطبيعة وطبيعة النفس وملكاتها ، وعهد الشيخوخة وهو أهم عهوده لأنه يلخص العهدين السابقين بل كل الفلسفة اليونانية إلى عهد افلاطون ، كما نجد ذلك في « طيماؤس » ، وكذلك فيه يضع كتبه في السياسة كالجمهورية والسياسة والقواميس ، فترجمة العرب لافلاطون وأن قلت في الكم فإنها عظمت في الكيف ، هذا من الوجهة المباشرة ، أما من الوجهة غير المباشرة فلقد ترجم كذلك العرب كتبا وإن لم تكن لأفلاطون إلا أنها تمت إلى فلسفته بصلة وصلات « ككتاب « الاثولوجيا » الذى نسب خطأ لارسطو وهو لفلوطين ، وهو « الشيخ اليوناني » على حد تعبير الشهرستاني الذي ينتمي لمدرسة الاسكندرية ، وكذلك « كتاب الملل » لبرقلس ، وفلسفة كل منهما تنتمي إلى فلسفة افلاطون ، وبجوار هذا كان للمسيحية أثر لا يستهان به عن طريق المترجمين لأن أغلبهم كان من المسيحيين والكل يعرف الاتصال الوثيق بين التثليث في المسيحية وخصوصا تثليث القديس اوغسطين ، والتثليث الافلاطوني[1]

وترجموا كذلك لأرسطو ، وهنا نجد الكم يسبق الكيف لأن كل مؤلفاته قد ترجمت إلا ما كتبه في السياسة وهذا الاستثناء راجع في نظري إلى أن سياسة أرسطو سياسة « مغلقة » تختص بما للمجتمع اليوناني القديم من نظم مدنية خاصة ، وإنها كذلك تقر الرق والاستعباد ، وهذا يناقض مبادىء الاسلام التي تصرح أن لا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى . وإنها أيضاً تعطي الوجه الاقتصادي في المدينة أهمية كبرى بينما نجد عند فلاسفة الاسلام الأثر ظاهراً في تغليب الوجه السياسي لأنهم يرددون كثيراً : « الناس على دين ملوكهم »[2] وهذا راجع بطبيعة الحال إلى أهميته من أن الخلافة في الاسلام الذى يشتق من أهمية رئيس القبيلة في النظام الاجتماعي لمعيشة العرب في البيداء

وسبب سيادة أرسطو عند العرب ترجع في نظري إلى أنهم وجدوا في منطقه أداة للجدل ونشر تعاليم الاسلام عن طريق الاقناع لا عن طريق السيف كما يفهم بعض المغرضين ، لأن عبقرية هذا الشعب هي : البلاغة والبيان وقوة الحجة . وصحة نظري هي أن القرآن الكريم هو إعجازهم ؛ ثم إن القرآن نفسه

(١) إقرأ كليمان هوار الجزء الأول « تاريخ العرب » وأيضاً الكتاب الحديث في نفس الموضوع لحتي

(٢) إقرأ لكليرك الجزء الأول في كتابه « الطب عند العرب »

(١) اقرأ بيكافيه في التقرير الرسمي لمدرسة الدراسات العليا في سنة ١٩١٧ — ١٩١٨ وعنوانه « التثليث الفلوطيني والتثليث المسيحي »

(١) أنظر ابن خلدون مثلا في مقدمته

يصرح قائلا فى سـورة « البقرة » بند ١٨٩ ، ١٩٢ « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونـكم، ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين » ويقول : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » . ويقول : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » ؛ وكذلك فلسفة أرسطو فى مجموعها أقرب إلى عقولهم البدوية من فلسفة أفلاطون لأنها نسبياً أقل تجريداً [١] ، ويذكر أيضاً أن عقلية العرب عقلية « جامعة » وفلسفة أرسطو تنسجم وهذه الصفة لأنها موسوعة عامة للمعارف ، ولـكن بالرغم من هذه المرغبات فى فلسفته ضاع أرسطو على حقيقة أمره فيما بينهم ، لأنهم ألبسوه زياً مخالفاً لزيه اليونانى الأصيل ، فأرسطو العرب شخصية جديدة أقرب إلى أفلاطون منهـا إلى أرسطو نفسه ، وهذا راجع فى نظرى إلى أن علم الالهيات عن أفلاطون وعنـد فلوطين « على وجه الخصوص » أقرب إلى تعاليم الاسلام منه عند أرسطو ، وهذا العالم كان طوال العهد اليونانى ، والقرون الوسطى ، بل حتى عند ديكارت فى العهد الحديث عندما يتكلم عن تقسيم العلوم [٢] أساساً لسائر العلوم والفلسفات ، وبجوار ذلك هناك سبب آخر هو انتشار مذهب أفلاطون وفلوطين فى بلاد الشام والعراق إبان الترجمة اليونانية في القرن السابع والثامن كما يؤكد هذا فرنسوا نو ، وتأثر المترجين المسيحيين بهـذا التراث ، بعد ذلك إبان ترجمة القرن التاسع الميلادى في عهد المأمون

ونشعر أنه من العبث بعقول القراء أن نسرد حوادث تاريخ هذه الترجمة فنذكر مثلا : حياة كل مترجم وما ترجمه ومحتويات كل كتاب ، فهذا ممل ، ولأن الحوادث لا قيمة لها مطلقاً فى ذاتها فهم يجدون هـذا مثلاً فى القسم الأول لـكتاب كارادي فو عن ابن سينا ، وفى كتاب « الطب عند العرب » بجزئيه للـكلرك وعند بريبه ، وعند منك ... وهلم جرا

(١) اقرأ أستاذنا العلامة لاسباكس أستاذ الفلسفة بجامعة كليرمون ، ورئيس المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، والسكرتير السابق للوزير بريان فى كتابه المعنون : « التفكير فى شمال أفريقيا »

(٢) إقرأ ليار ، مدير جامعة باريس السابق

ونـكتفى بما قدمنا من الصفات الأساسية من ناحية اختصاصنا — الفلسفة — والمهم من ذلك فى نظرى أن يقف القراء على الفهم الأوربى الحديث للتراث الاسلامى الذى بنى على هذه الترجمة ، وهذا الفهم يتشعب خلال ثلاث مدارس نـكتفى اليوم ببسط فهم المدرسة الأولى :

مدرسة الفيلسوف رينان

ولد رينان (أرنست) فى بلدة ترجييه من مقاطعة بريتانيا فى غرب فرنسا عام ١٨٢٣ ، وتربى فى هذه البلدة تربية « دينية » سواء فى عائلته أم فى مدرسة هذه البلدة أم فى جو هذه المقاطعة التى يتغلغل فيها المذهب الـكاثوليكى إلى أبعد مداه كما شاهدته بنفسى منذ أعوامٍ . ثم ذهب إلى باريس ليتعلم فى مدرسة القساوسة ، وما كاد ينتهى بنجاح فى دراسـته ورسم قسيساً حتى غلبت على أفـكاره تلك النزعة « الغبية » نزعة الـكفر والإلحـاد ، فترك حياة الدين والايمان ، ودخل الحياة الدنيا غير آسف على ما فرط فيه من قبل ، وحاز درجات علمية ممتازة من الجامعة والتحق بعد ذلك بالصحافة ؛ ثم ساح ورحل فى بلادِ الشرق فكان فى سوريا عام ١٨٦٠ ، وفى فلسطين عام ١٨٦٣ حيث كتب « حياة المسيح » ثم عين أستاذاً فى « مدرسة الكليج دى فرانس » . وبين عام ١٨٦٣ ، ١٨٨٣ ألف « تاريخ أصول المسيحية » وبين عام ١٨٨٧ ، ١٨٩٣ ألف كتابه المعظيم « تاريخ بنى اسرائيل » وبعد سنة ظهر له « محاورات ومنتخبات فى الفلسفة » وفي سنة ١٨٨٣ « ذكريات الطفولة والشباب » وفى عام ١٨٩٠ « مستقبل العلم ... » وغير ذلك . ومات فى عام ١٨٩٢ ، والذى يهمنا بالنسبة للتراث الاسـلامي أنه عرض فيما تقدم من المؤلفات وفيما سنذكره بعد ذلك لحياة محمد عليه الصلاة والسلام ، ولأصول الاسلام ، وللعقلية السامية ، وللاسلام والعلم ، ولفلسفة ابن رشد ، وناقش الشيخ الأفغاني فى جريدة « الديبا » [١] ، ولـكن كل دراساته ومناقشاته هى طعن فى الاسلام ونبيه وأهله ومبادئه . فمثلا يقول فى كتابه دراسات فى تاريخ الأديان (صفحة ٢٠٠) « لم يعرف الشرق مطلقاً فى تاريخه تلك العظمة العقلية الخالصة التى

(١) انظر كتاب أستاذنا الفيلسوف الجامع بين الحضارتين ، فضيلة مصطفى بك عبد الرازق عن رسالة التوحيد بالفرنسية

لا يحتاج إلى الرجوع إلى المعجزات ، ويصعب عليه تصور فيلسوف لا يمد إلى الهرج ، ولم يصل الشرق مطلقاً إلى درجة التجريد العقلى لأنه نظر إلى الطبيعة والتاريخ بعيون صبيانية ...» (وفى صفحة ٢١٠) يصور النبي عليه السلام كرجل مخادع دجال يخترع الكذب باسم الملاك جبريل . (وفى صفحة ٢٤٥) يروى أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يربى ديكا عجوزاً احتفظ به ليدفع عنه سوء الدين ، ويصد عنه خطر النظرات الحاسدة . ثم بعد أن يتحدث فى هذا الكتاب عن رفق النبي صلوات الله عليه ، بالحيوانات والأطفال والنساء يتخذ من هذا الرفق آية لإثبات ضعفه ، وينتهى (فى صفحة ٢٥٠) بأن يقرر أن الذي أسس الاسلام وشيد صرحه هو سيدنا عمر رضوان الله عليه لأنه يماثل كما يذكر القديس بولس في المسيحية

ويحمل هذا الرجل عقله ونزعته هذه فى فهم ما ترجم من الفلسفة فى الإسلام فيسطر فى نفس الكتاب (صفحة ٢٠٠ الملاحظة الأولى فى الهامش) ما ترجمته : « عند ما اتخذ العرب من أرسطو معلماً لهم فى المعارف ، اخترعوا له خرافة تجعل منه نبياً ، وتصوروا أنه قد انتزع من السماء حيث كان يلتصق بعمود من نار » ويذكر كذلك رينان فى كتابه «مقالات ومحاضرات» أن الفلسفة الإسلامية ما هى إلا الفلسفة اليونانية « مخطوطة » بحروف عربية ، لم يهضمها العرب لأن الإسلام دين لا يسمح بحرية التفكير وروح النقد ، وعند ما يدرس هذه الفلسفة يدرسها بحركة « عكسية » لا تتفق وأولى مبادئ تاريخ الفلسفة كعلم محترم له أصوله فى البحث لأنه يبتدئ بدراسة ابن رشد مع أن فلسفته لا تنفصل مطلقاً عما تقدمها من فلسفات ، وكل الناس يعرف معركة « التهافت » و « تهافت التهافت » ويصوره رينان فى كتابه « ابن رشد ومذهبه » صفحة ٥٢ أنه لا يعرف كيف يكتب ولا كيف يفكر ، وأن لغته لغة همجية ، ومؤلفاته لا قيمة لها . نقل عن مؤلفات نقلت هى بدورها عن مؤلفات أخرى نقلت عن الأصل اليونانى . وفى كتابه « تاريخ اللغات السامية » صفحة ٢٩١ يشك بوجه عام فى علم فلاسفة الإسلام لأن علمهم كان بالواسطة ، علم منقول بنى على جهلهم باللغة اليونانية

آراء هذا الرجل بهذا الأسلوب أفسدت الاستشراق الفرنسى « عدة من الزمن » من بعده ، حيث سار على نهجه ومبدئه (منك) فى « الفلسفة العربية واليهودية » ، وكليمان هوار فى كتابه «تاريخ العرب» وخصوصاً الجزء الثانى ، وكازانوفا فى « محمد ونهاية العالم » ، وجوتييه تلميذه الأصيل فى رسالة عن « ابن رشد » . وسبب الضلال فى هذا الاستشراق يرجع أولاً إلى ذلك المذهب الذى انتشر في زمان هؤلاء الناس ، وهو المذهب الوضعى الذى ينكر أهمية الأدباء ، ويهاجم أصول العقل التجريدي ويقر بعكس ذلك دراسات المظاهر الخارجية فى الطبيعة والانسان بمنهج التجربة ، وأمله أن يجعل من علوم الإنسان الأدبية علوماً لا تقل فى دقة أبحاثها عن علوم المادة . لهذا شجع هذا المذهب النزعة الإلحادية فى فرنسا إبان ذلك العهد ويقول رينان بهذا الصدد فى كتابه « مقالات ومحاضرات » صفحة ٤٠٦ ما ترجمته : «أقول دائماً ولست بحاجة أن أكرر إن العقل البشرى يجب أن يتنزه عن كل المعتقدات الدينية ، وأن يحصر مجهوداته فى مجاله الخاص وهو إقامة العلم الوضعى » . وسبب آخر أن فى زمان رينان ضاعت هيبة الاسلام والمسلمين فى فرنسا لفتحها بلاد الجزائر بحد السيف وظهور كتب عن تلك البلاد تمثلها فى حالة وحشية وتأخر وانحطاط ، ككتب القائد دوما ؛ وهذا ما قوى النزعة المعادية للاسلام ، فرينان يقول عن غايات العلم فى الكتاب المتقدم ذكره صفحة ٤٠٠ ، ٤٠١ : « العلم هو روح المجتمع لأن العلم هو العقل وهو يخلق التقدم الحربى والرقى الصناعى ... ولو أن عمر وجنكيزخان وجدا أمامهما المدافع مصوبة لما تقدموا خطوة واحدة عن حدود الصحراء »

وسبب ثالث أن دراسات الاستشراق فى عهد رينان لم تكن متقدمة بشكل يوجب احترامها العلمى ، بل كانت فى الغالب تراجم وتعليقات لبعض مفكرى العرب قام بها أعضاء «الجمعية الأسيوية» . ورينان نفسه يكتب تارة فى الأدب ، وتارة فى الفلسفة ، وتارة فى الدين ، وتارة فى اللغة ، مما دعا بيكافيه أن يحكم فى أحد كتبه القيمة أنه رجل « يقلب أوضاع الأشياء والمسائل » وزد على ذلك اختمار النزعة الصليبية فى عقله الباطن وتملكها على أفكاره فى الحكم على من يخالف تعاليم دينه الأول قبل إلحاده وكفره

وزندقته فهو مثلا (كما يذكر هو فى كتابه «مقالات ومحاضرات» صفحة ٣٠٦ ، ٣٠٧) لا يتصور أن مسلماً مثل الشيخ رفاعة الطهطاوى يؤلف كتاباً عند عودته إلى مصر من باريس (على ضفاف السين) يشرح لبني وطنه حياته كطالب فى فرنسا وفهمه لحالة العلم فيها وسبل الحياة فى مرافقها . وسبب أخير أن « أشباه المستشرقين » هؤلاء آمنوا إيماناً مطلقاً بما يروى لهم فى كتب تاريخ الفكر الاسلامى معتقدين « أن صاحب الدار أدرى بما فيها » مع أن هؤلاء المؤرخين أبلغ منهم فى التسكع فى هذا الباب . فرجل كالشهر ستانى يكتب فى الفلسفة عن طريق السماع والرواية وعدم الرجوع إلى ما ترجم من النصوص الفلسفية . وعند ما يكتب عن أفلاطون يخطئ حتى فى كتابة اسمه مما دعا أحد هؤلاء المستشرقين — كما يؤكد مهرن — فى مجلة جامعة لوفان أن يعتقد أنه يبسط آراء الشيخ اليونانى « صاحب التاسوعات » وعند مايعرض للكلام عن أرسطو يصوره كإله الفلاسفة ؛ ويذهب لابن سينا للتحدث عنه ، ورجل كالقفطى إذا تحدث عن الفلسفة تركها وترك أصولها وتكلم عن الفلاسفة في حياتهم الخاصة وأنسابهم وأمهاتهم وأولادهم وغير ذلك من تافه الأمور ؛ ورجل كالفارابى تختلط فى ذهنه فلسفة أفلاطون وأرسطو فيعمد إلى التوفيق السقيم بينهما مع أن الأصول الأولى للعقلية الفلسفية هى الدقة فى الادراك والتصور ، والتمييز بين تنوع الآراء المتقاربة ووضع حد فاصل بين المعتقدات والمذاهب (اقرأ نظرية أرسطو فى التعريف) . فانعدام الفهم الفلسفى فى عقلية بعض من اهتم بالفلسفة من المسلمين ضلل المستشرقين الأولين . واستمر هذا الضلال فى الفهم إلى أوائل القرن العشرين حيث ظهرت مدرسة جديدة فى فرنسا تحترم تعاليمها فى الاستشراق لأن أفرادها بغوا العلم وحده دون أغراض تخرج عنه فى نزعاتهم الفكرية . وهذه المدرسة مهدت بدورها لمدرسة ظهرت فى أوائل هذا العام فقط هى أبلغ من الأولى ، سنعرض لها فى وقت آخر إن شاء الله

« يتبع »

عبد العزيز عزت

عضو بعثة الجامعة المصرية لدكتوراه الدولة

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الإخراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

— ١٠ —

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم

وما كان دوجلاس ليعجز عن أن يبرر عمله أو أن يتلمس له الأوجه القانونية ؛ وإذا عجز دوجلاس عن هـذا فمن يقدر عليه ؟ وإنه لأعلم الناس يومئذ بألاعيب السياسة وأضاليلها ، يصدر فى ذلك عن طبع وعن خبرة ويسدد الرمية فى لباقة وخفة..

ولم يكن اهتمام دوجلاس بتلك المسألة إلا جزءاً من خطته التى رسمها وأراد أن يدلف بها إلى الغاية التى لا يرى دونها غاية ؛ وهو يتحرق شوقاً إليها ويتقطع تلهفاً عليها ؛ ولا يفتأ يتبين السبيل المؤدية مهما كانت وعورة مسالكها . والآن تسنح الفرصة فيقتنصها وهو باقتناص الفرص جد خبير . موه على الناس أنه يمكن لسلطان الأمة إذ يرد مسألة العبيد إلى رأى الأمة ، وأنه بذلك يجعل كلمة الشعب هى العليا لا كلمة مجلس الاتحاد . وهو إنما يرمى إلى كسب قلوب أهل الجنوب الذين كانوا من أول الأمر يرون أن يكون لكل ولاية من الحرية ما لا تتلاشى معه شخصيتها فى الاتحاد ، والذين يريدون أن يتخلصوا اليوم من قيود اتفاق ميسورى ...

وإننا لنلمح فيما فعل دوجلاس مهارة الرمية ، كما نلمح فيما يقول حذق السياسى وفكره وسعة حيلته . وكم فى الحياة له من نظراء ممن يأخذون فى سياستهم بآراء أستاذهم الأكبر مكيافلى لا يحيدون عنها ولا يفوتهم شىء من تفاصيلها ودقائقها كأنما عاد أستاذهم نفسه يصرفهم ويوجههم ؛ ولقد برع دوجلاس فى هـذا المضمار فأنه ليجعل الغاية هى عنده كل شىء ولا عبرة بعد ذلك بالوسيلة . وهل كان مثله من السذاجة والبساطة بحيث يتمسك بشرف الوسيلة ويرعى جانب الفضيلة فيؤدى بذلك إلى فوات الفرص وضياع الغاية ؟ كلا إنما كان هو أقوى من أن يتطرق إليه مثل هذا الضعف وأذكى من أن تنطلى عليه مثل هذه البلاهة

ولكن لنكولن لا يعرف المراوغة ؛ ولا يدرى ما الالتواء . فهل له طاقة بمناضلة ذلك القزم الماكر الخاتل ؟ وماذا يجدى على ابراهام طوله والمسألة اليوم مسألة مدافعة ومقارعة ، وليست هى مسألة مكافحة ومصارعة ، كما كان الحال يوم لف ذراعه الطويلة حول أرمسترنغ وألقى به على الأرض ؟ ... إن الفرق بين الرجلين هو الفرق بين الطبيعتين ، فهذا ماكر محتال غامض كالبحر ، وذلك بسيط ساذج صريح كوجه السهل ...

خطا دوجلاس خطوته وحمل المجلس على الأخذ برأيه فترك لأهل كنساس أن يختاروا ما تكون عليه ولايتهم إذا ضمت إلى الاتحاد ؛ وجرى الانتخاب التمثيلى فيها على أساس التسليم بمبدأ العبيد أو رفضه ؛ ولو أنه تركت الولاية وشأنها حقا لهان خطب ذلك الانتخاب ولمر دون أن يعقب ضررا ، ولكن كثيرين من أنصار التحرير ومن المنادين بمقاومة انتشار العبيد من أهل الشمال هاجروا الى تلك الولاية ليشتركوا فى الانتخاب ، كما هاجر اليها كذلك عدد عظيم من أهل الجنوب وفى أيديهم أسلحتهم . والتقى الفريقان هناك وبينهما من البغضاء والشحناء ما أوقد نار الحرب وذلك أن أهل الجنوب قد حالوا بقوة السلاح بين خصومهم وبين ما يخوله لهم القانون من التصويت ففاز بالغلبة رجل من أنصار اعتناق العبيد ؛ ولكن أهل الولاية ومناصريهم من أهل الشمال احتشدوا فى مكان آخر واختاروا رجلا من دعاة التحرير ، فقامت لذلك الحرب بين الحزبين ولبثت نارها مشبوبة بينهما زهاء عامين. وفطن الناس إلى أن هذه الحرب انما هى مقدمة الحرب الأهلية الكبرى

انتهت فى تلك الأثناء مدة مجلس الشيوخ ، وانصرف الأعضاء الى البلاد يدعون لأنفسهم من جديد ؛ وكان دوجلاس نائباً عن شيكاغو فى شمال الينوس ، فذهب إلى هناك يدعو لنفسه ، ولكن هاله ما رآه من انصراف الناس عنه ، فهو أينما تولى يجد من الناس نفورا وإعراضا بل إنهم كانوا يجبهونه بالسوء من القول ويظهرون

له ماباتوا يضمرونه من حقد ومقت .

وإنه ليجزع ويستولى عليه الحنق إذ يرى الرايات فى شيكاغو منكسة فى هامات السفن ، ويرى الجدران وعليها عبارات صارخة تلذع قلبه ، ويسمع النواقيس تجلجل فى الجو فى نغمة حزينة كأنما أصبحت المدينة في مأتم شعبي وهو يحاول أن يخطب الناس وهم يرعدون فى وجهه ويسلقونه بألسنة حداد ، حتى يرغموه على الرحيل وقد امتلأ قلبه عليهم غيظا كما امتلأ منهم كمدا .

وينتهى به المسير إلى سبرنجفيلد ولو كان يعلم الغيب لتحول عنها ، فنى تلك المدينة سيأفل نجمه وسيبعد ما بينه وبين غايته . وكانت المدينة يوم وصوله إليها تموج بالناس إذ كانت فى موسم سوق من أكبر أسواق الزراعة . ولقد خيل إليه أن له فى وجود هذا الجمع الحاشد فرصة ...

وكان حزب الهوجز يومئذ فى الشمال فى أخريات خطواته إلى الفناء ؛ بينما كان يولد حزب آخر سيأخذ عما قريب مكانه هو الحزب الجمهورى ؛ وكان لنكولن هو الرجل الذى اتجهت إليه أنظار أهل المدينة ليكون لسانهم فى الحزب الجديد . لهذا ولما اشتهر به بينهم من خلال أكبروها ، لم يجدوا من هو أقدر منه على مدافعة دوجلاس ؛ وهكذا التقى الرجلان من جديد فى عراك عنيف ولم يلتقيا منذ كانا نائبين فى مجلس المقاطعة

وقف دوجلاس يخطب ، وكان وهو في صغر جرمه قزم أو كالقزم ، مارداً جباراً برأسه الضخم ولسانه الذى لا يقف ، ونشاطه الذى لا يفتر ، ودهاؤه الذى لن ينخلع عنه ، ومهارته التى لا تغيب ولا تتخلف مهما تعقد الموقف ، والتوت مذاهب الكلام

ولقد كان دوجلاس فى الحق من أقوى الرجال فى عصره إن لم يكن أشد منهم جميعاً قوة ، وكان الحزب الديموقراطى يباهى به ويفخروهو يعتقد أن لم يبق بينه وبين كرسى الرياسة إلا خطوات مع أنه لم يكن قد خطا الأربعين بعد ...

أخذ يخطب ويدافع عن رأيه فى حماسة وكياسة وإنه ليشعر أنه يطلق آخر سهم فى كنانته ! وكان محور دفاعه أنه يعمل على توطيد سلطة الشعب : وكانت العبارات معسولة والحجج تاقى فى روع السامعين أن لا سبيل إلى رفضها إذ لم يكن ثمة من سبيل إلى نقضها

وجاء دور لنكولن فى اليوم التالى ، واحتشد الناس ليروا ماعساه أن يقول فى الرد على هذا الداهية ، ووقف ابن الأحراج يقابل الدهاء بالصراحة ، والمكر بالصدق ، والغرض بالإخلاص ، والمراوغة باليقين ، والباطل بالحق ، والدليل الأعرج بالمنطق الأبلج ، ومن وراء هذا كله عبقرية دونهـا كل تأهب بل وكل كفاية ، واستمع الناس إليـه ثلاث ساعات وبعض الساعة ومنافسـه يعض على نواجذه وينقم على تلك الأقدار التى ألقت به بين براثن ابن الغابة ...

بدأ خطابه بقوله أنه لايتوخى إلا الحق ولارائد له إلا الصدق ، فإذا أحس مستر دوجلاس خطأ فأنه ليسره أن يرده لساعته إلى الصواب . ولقد استغل دوجلاس هذا الحق وجعل يقاطعه بين حين وحين ليلويه عن قصده وليلبس عليه الأمر حتى ضاق لنكولن بتلك المقاطعة فصاح قائلاً : أيها السادة! إنى لاأستطيع أن أنفق وقتى فى مساجلات ، وعلى ذلك فإنى آخذ على نفسى المسئولية أن أحق الحق وحدى فأعنى بذلك القاضى دوجلاس ضرورة تلك التصحيحات المنيفة » ... وأخذ بعدها يتكلم والأبصار شاخصة إليه والسكون شامل مع شدة ازدحام المكان ، والخطيب المرتجل لا يعرف اضطراباً ولا اعوجاجاً ، يهدر كالسيل لا يصرفه عائق عن وجهه ، وكأنما كان ينطق عن وحى ، فما سمعه الناس من قبل يقول مثل هذا الكلام ولا رأوه يبين مثل هذه الابانة ؛ وهو فى حركاته وإشاراته ونبرات صوته ،وفق توفيقاً ماشهد الناس مثله من قبل

وفرغ من خطابه وهو فى قلوب قومه أرفع قدراً وأكثر محبة عما كان ومنافسه مبتئس زائغ البصر ، موزع الفؤاد بين كلمات الاستحسان تنثر على صاحبه كما ينثر الزهر وكلمات الاستهجان تصوب إليـه كما تصوب السهام .. ونظر فإذا هو بما أدلى من حجج كالعنكبوت اتخذت بيتاً ، ولم يبق فى قلوب الناس من أثر لما ردده من عبارات معسولة تدور حول سلطة الأمة ، إذ لم يترك له ابراهام دليلاً إلا سفهه وأظهر للناس ما يقوم عليـه من بهرج وما يستتر وراءه من طلاء . وبهذه الخطابة فتح لنكولن فصلاً جديداً فى تاريخ حياته وقطع شوطاً كبيراً عوض عليـه مافات من ركود ...

ومهما يكن من تفوقه ونباهة شأنه فى هذه الخطبة ، فإننا نستطيع أن نعود بالسبب إلى حد كبير — على صفاته الأساسية

التى فطر عليها ، وفى مقدمتها تبين مايعرض له والنفاذ إلى جوهره ثم الاستعانة بذلك على توضيح ما يريد أن يقول فى يسر وبساطة ومع توخى الصدق والأمانة كما يفعل حين ينهض فى المحكمة للدفاع ، هذا إلى لقانة عجيبة يميز بها فى سرعة الصواب من الخطأ والحق من الباطل ، وذهن منطقى كأنه الميزان الدقيق يحس قبل أن يدرك أن هذا عليه مسحة الشك وذاك عليه نور اليقين

قال يرد على دوجلاس قوله أن من الامتهان لأهل كنسسكا أن نعتبرهم غير جديرين بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ، « انى أسلم أن المهاجر الى كنساس ونبراسكا جدير أن يحكم نفسه ولكنى أنكر عليه الحق فى أن يحكم شخصا آخر بغير رضاء ذلك الشخص » ولقد كانت عبارته هذه كالرمية القاتلة فهي تهدم ما بنى دوجلاس من أساسه ولا تدع لمبدأ سلطة الأمة الذي نادى به أى قيمة . وقال فى رده على دوجلاس إذ يدعى أن الحكومة إنما أقيمت لصالح البيض لا لصالح الزنوج « انى أوافق على ذلك من حيث الواقع فى ذاته ، ولكنى أرى فى هذه الملاحظة التى ساقها القاضى دوجلاس معنى هو عندى مفتاح تلك الغلطة الكبرى (ان كان ثمة من غلطة كهذه) التى فعلها فى قرار نبراسكا ؛ انها تدل على أن القاضى لا يقوم فى ذهنه مؤثر حتى يريه أن الزنجى انما هو انسان وعلى ذلك فليست تقوم فى رأسه فكرة عن ضرورة وجود العنصر الخلقي عند التشريع له » ...

وبعد الخطبة وقف دوجلاس ليرد ولكن مذاهب القول التوت عليه وخانته بديهته فجعل بينه وبين الناس موعدا فى المساء لا يخلفه ، وحل المساء وارتقب الناس ولكنهم لم يجدوا الخطيب ..

وبعد ذلك باثنى عشر يوما ذهب لنكولن ليخطب فى بلدة أخرى هي بيوريا ؛ ولقد تبعه دوجلاس الى هناك لعله أن يظفر هذه المرة . ولم يرتجل لنكولن كما ارتجل فى سبرنجفيلد بل قرأ من أوراق ؛ ويشهد الذين سمعوه فى المرتين أنه كان يوم ارتجل أعظم شأنا وأبعد أثرا ؛ أجل كانت خطبته الثانية أحسن بناء وأحكم نسجا وأقوى منطقا ولكنها لم تكن أكثر سحرا . .

ولقد بدأ دوجلاس فى بيوريا كما بدأ فى سبرنجفيلد واستمر يخطب ساعات ثلاثا، ورد لنكولن فى المساء فاستغرق خطابه مثل هذا الزمن . ومما جاء فيه قوله عن قرار نبراسكا « ان هذا القرار يعلن الحياد ولكنه يضمر حماسة حقيقية لانتشار العبيد لا يسعنى إلا أن أمقتها ، لما تنطوى عليه العبودية فى ذاتها من جور قبيح ، وأمقتها لأنها تسلب نظامنا الجمهورى الذى نسوقه للعالم مثالا من أثره الحق فى الدنيا ، وأمقتها على الأخص لأنها تدفع كثيراً من رجالنا الأخيار الى حرب صريحة ضد المبادىء الأساسية للحرية المدنية ، وهم يوجهون انتقادهم الى اعلان الاستقلال ويصرون على اعتقادهم أنه ليس ثمت من مبدأ حق تقوم عليه أعمالنا وأنه ليس إلا المصلحة الشخصية » وقال فى معرض آخر : « ان مبدأ حكم الشعب نفسه مبدأ صحيح ؛ هو مبدأ صحيح دون أدنى شك وهو الى الأبد صحيح .. ولكن إذا كان الزنجى رجلا ، ألسنا — بقدر مافى المبدأ من صحة — نرى أننا إذا حرمناه من أن يحكم نفسه إنما نحطم بذلك مبدأ سيادة الشعب ؟ حينما يحكم الرجل الأبيض نفسه يكون ذلك مبدأ سيادة الشعب ، ولكنه حينما يحكم نفسه ويحكم فى الوقت ذاته رجلا آخر فأن ذلك يكون أكثر من سيادة الشعب فهو الاستبداد ... ليس فى الناس من يتوفر لديه الخير ليحكم غيره دون رضاء ذلك الغير ، هذا هو المبدأ الأول والمرفأ الأمين للنظام الجمهورى الأميركي » .

ذلك منطق ابن الغابة وتلك آياته وهو الذى نشأ كما رأينا عصاميا فى أوسع معنى لتلك الكلمة ؛ انما يصدر الرجل عن طبع ويترجم عن فطرة مثله فى ذلك مثل غيره من أعلام البشر وقادة القافلة فى طريق الأنسانية ...

يتبع

الخفيف

هل ينبغي أن تزاحم المرأة الرجل؟

للآنسة زينب الرافعي

قامت في كلية الآداب بالجامعة المصرية مناظرة بين طائفتين من طلبة الكلية وطالباتها حول الغاية التي تتعلم من أجلها الفتاة: أهي تتعلم لتزاحم الرجل في ميدانه ، أم لتشق طريقها لنفسها في الحياة؟ والمقالة التالية هي كلمة الآنسة الأديبة زينب الرافعي في هذه المناظرة ، ولها كانت الغلبة . والآنسة زينب هي كريمة الفقيد الكريم المرحوم مصطفى صادق الرافعي

رجل وامرأة : هذه قسمة الطبيعة ، فهل كانت عبثاً ؟

رجل وامرأة : هما العنصران اللذان تتكون منهما الانسانية ، فهل أخطأت الطبيعة حين جعلت معنى الانسانية يتكوّن من عنصرين لا عنصر واحد ؟

عجباً ! إن الانسان لا يمكن أن يقهر الطبيعة وهو جزء منها ، لأنه خاضع لسلطانها ، لأنها بقوانينها الصارمة تسيطر عليه وتوجهه وجهته من غير أن يكون له اختيار

إن القوانين لا توضع لمصلحة فرد واحد ، ولكنها تشرع لمصلحة الجماعة عامة ، والقانون الذي فرضته الطبيعة على البشرية أن الانسانية اثنان : رجل وامرأة ، فكيف تريدونه على ذلك التفسير الخاطئ حين تقولون إن الانسانية رجل ورجل : رجل له شارب ولحية ، ورجل ناعم أمرد ...

اذكروا لي إنساناً واحداً يستطيع أن يقول بعقل : لماذا يمشي الناس على أرجلهم ولا يمشون على أيديهم ؟ قد تكون الأرجل أقوى وأشد صلابة من اليدين ، وهي بذلك أقدر على عمل الأيدي ، ولكن الطبيعة خلقت الرّجلين ليمشي بهما من يريد أن يمشي ، وخلقت اليدين لتعمل ؛ فما أحمق من يتخيّل إنساناً يستطيع أن يجعل رجليه لغير المشي ويديه لغير ما تعمل اليدان ! هكذا خلقت الطبيعة الانسان ، والطبيعة قانون عام مطاع لا يجدي أن يتمرد عليه متمرد ...

ولكن تعالوا حدثوني حديثكم عن المعنى الذي تريدون حين تزعمون أن من حق المرأة أن تنافس الرجل في ميدانه ، وأن تضطلع بما يضطلع به من العمل ؟

أتريدونها أن تحمل الفأس ، وتجرى خلف المحراث ، وتحرس قنطرة الترعة ، وتمهد السكك الزراعية ... ؟

أم تريدونها على أن تعمل بالمنشار ، وتدق بالقدوم ، وتصعد على الخشب الممدود فوق المآثر لتبني ، وتحفر حيطان البيوت لتضع أسلاك النور وأنابيب الماء ... ؟

أم تريدونها على أن تقف في خطوط النار وفي جرابها سيف يلمع ، وعلى كتفها بندقية تقذف بالشرر ، أو تجري على الصخر وراء المدفع وفي يدها زناده ، أو تحفر الخندق بيديها الناعمتين لتصد عدوان المغير ، أو تبني الثكنات لتقيم فيها أخواتها العسكريات الرشيقات الخفيفات الأجسام ... ؟

حدثوني أيها المؤيدون ، أتريدونها لهذا لتهون عليكم وتُبتذل وتذل ، أم تريدون لها النعمة والصون والعزة ؟

ما أهون شأنك عند نفسك أيتها الفتاة لو لبيت هذا النداء !

* * *

أسمع همساً تختلج به الشفاه : إنهم يقولون : لسنا نريد لها هذا . فحدثوني ماذا تريدون ؟ أتريدونها للقضاء والنيابة ، ولادارة الأعمال في المتاجر ، وللكتابة والحسابة ، وللقيام على شئون الطلاب في المدارس والكليات ، وللدفاع عن المظلومين في المحاكم ، ولتخطيط المصورات الهندسية للبناء ؟

حسَن ! قد يكون هذا خيالا لذيذاً يداعب كل فتاة في أحلامها ، ولكن ... ولكن ليس الرجال جميعاً نواباً ، وقضاة ، وتجاراً ، وكتبة وحسبة ، ومعلمين ومحامين ومهندسين

إن هذه الوظائف على كثرتها لا يقوم بها إلا ربع الرجال ، وثلاثة أرباعهم لغير ذلك من المهام الشاقة والأعمال المضنية ، فخبريني يافتاة : أتريدين أن تكوني رجلا كاملا يقوم بواجباته كلها ويحتمل ما عليه من تكاليف الرجولة بشقائها وآلامها ؟ أم تريدين أن تكوني ربع رجل ؟ يا لها من صفقة خاسرة ! إن أعدى أعداء المرأة لا يَنتقِصُ من مكانتها الاجتماعية بأكثر من دعواه بأنها نصف الرجل ، فما لك ترضين بالأقل لتعودي ربع رجل ...؟

* * *

لا يا أختي ، إن لك وظيفة أخرى غير مزاحمة الرجل في ميدانه ، وإنها لأجل شأناً وأعظم خطراً من كل ما يقوم به الرجال

من أعمال . إن لك وظيفة الأم التى تلد الرجل ، ووظيفة المربية فى البيت التى تربى الطفل لتخلق منه الرجل ، ووظيفة الزوج التى تملأ قلب زوجها بأفراح الحياة لتشد فيه عزيمة الرجل

إنك سيدة الرجل فلا تبتذلى نفسك دون ذلك لتوهمى الرجل أنه خير منك

ثم ماذا ؟ سأحاول أن أمزق النقاب قليلاً لأتحدث إليكم فى جرأة الفتاة التى تعتز بأنها فتاة ، لأقول لكم إن المرأة لم تخلق لتقوم فى الحياة بوظيفة الرجال : المرأة التى يستهويها الثوب الأنيق فتقف أمام المرآة طويلا تنظر إليه ، وتنظر إلى نفسها فيه — هذه المرأة لا تعرف قيمة الزمن ، والزمن هو الميزان فى كل الأعمال

ستحاول فتيات من زميلاتى أن يعترضن ، ولكن هذه هى الحقيقة . لقد خلقت المرأة وليس أحب إليها من زينتها شىء . الزينة لنفسها لا لشىء آخر ، وكأن كل أنثى تشعر فى أعماق نفسها أنها ليست شيئاً بغير الزينة . أجمل الجيلات وأدمُ الدميات فى ذلك سواء ، فأين هذا من خشونة الرجل ؟ أترونها بذلك تصلح لأن تزاحمه وتعمل فى ميدانه ؟ هيهات يا أختاه ! وحذار أيتها الفتاة أن يخدعك معسول المنى ... إن مكانك هناك ...

هناك على العرش فى مملكة البيت أيتها الملكة

إلى هنا أقف قليلا لأنظر فى وجوهكم ووجوهكن أثر الاقتناع ومظهر الطمأنينة إلى عدل الطبيعة

هل بلغتُ موضع الاحساس من نفوسكم ؟

إن شفاهاً تبتسم ، وإن همْساً يتطاير من هنا ومن هناك .

إسمعوا :

هذه فلانة ناظرة مدرسة ثانوية من مدارس الحكومة ، فى الدرجة الرابعة أو الثالثة لا أدري ، تقبض كل شهر خمسين جنيهاً ، وتحكم على عشرين أو ثلاثين من خيار المعلمين والمعلمات ، وتسيطر بإرادتها على بضع مئات من بنات الطبقة العالية فى مصر ، تلميذاتِها ، ولها فى البيت ولد ، ولها زوج !

أتحسبون أن هذه السيدة سعيدة بما بلغت من جاه وما أدركت من نجاح فى مزاحمة الرجل ؟

واوحمتاه لها مما تعانى ، وألف رحمة للأمة منها ، وألف ألف لزوجها المسكين ، وما شئتم من الرحمات فاستمطروها على ولدها المحروم ، اليتيم فى حياة أبويه

أتعرفون من يقومُ لها بشئون البيت ! لو كان هو زوجها لقلنا : شىء مكان شىء ! ولو كان له امرأة أخرى لقلنا : قد انتصف لنفسه ! ولو كان فى البيت مديرة مصرية لقلنا : ذهبت واحدة لعمل وحلت أختها في عمل غيره . ولكن ... واأسفاه ! إنّ في البيت مديرةً حقاً ، ولكنها مديرةٌ أجنبيةٌ ، مديرةٌ لا تعرف من لغتنا ، ولا من تقاليدنا . ولا من ديانتنا ؛ مديرة ليس لها عواطفُ الأم ، ولا حنانُ الزوجة ، ولا غيرةُ الأخت ، حتى ولا شعور التراحم بالرابطة الوطنية ...

لقد ذهبت السيدة الجليلة لتزاحم الرجل ، ولكنها أخلت مكانها لأجنبية ، لقد باعت أمُومَتها واشترت الوظيفة ، لقد جحدت وطنيتها حين جحدت أنها امرأة ... ليت شعرى أليست تَغارُ هذه المرأة ، أليست تغار على زوجها حين استهانت بالرابطة التى بينهما فاستأجرت له زوجة ؟ أليست تغار على ولدها الذى تجاهلت حقه فى حنانها فاستأجرت له أما ؟ أليست تغار على بيتها الذى لا تحل فيه إلا كما يحل المسافر فى فندق ؟ أليست تغار على وطنها حين أفسحت لامرأة أجنبية أن تكون مكانها سيدة بيت ؟

ليست هذه وحدها التى خرجت لتزاحم الرجل فى ميدانه فما زحمت إلا نفسها . إنهن كثيرات أيها السادة ، وإن أسفى لشديد ؛ نعم نجحَت بضعُ نساء فى مزاحمة الرجل ولكن بعد ما أسلمن بيوتهن إلى الأجنبيات . لكأنى بكل امرأة من هذا النوع تهتف فى أعماق نفسها قائلة : « لقد احتلّ الرجال مراكز الأعمال جميعاً فَلْيَجلُوا عنها بقوة المرأة . ولا علينا بعد ذلك أن تحتل الأجنبيات كل بيوت مصر ! »

علموا لنا أولا مديرات البيوت وربات المنازل وأمهات الرجال وزوجات الأبطال ، ثم ادعوا بعد ذلك واستطيلوا وقولوا يجب أن تنزل المرأة إلى ميدان الرجل لتزاحمه حتى تجليه . ربّوها أولا على أن تؤدى وظيفتها الأساسية ، وظيفة الأم الصالحة التى تنشىء للأمة الرجال . ووظيفة الزوجة المسعدة التى تملأ بيتها أفراحاً ومسرة ، ووظيفة سيدة البيت التى تديره وتدبّره لتجعله جنّة الأسرة ؛ ووظيفة المرأة الكاملة التى هى الحنان والعطف والرحمة والمحبة ، بازاء الرجل الذى هو العقل والحزم والقوة واليد العاملة ؛ فاذا بلغتم الغاية من كل ذلك فافتحوا لها الباب وقولوا : اذهبى إلى الطريق راشدة فاصنعى ما تريدين ، وزاحمى الرجل إن وجدت السعادة فى زحامه

(يتبع) زينب الرافعى

ذكرى قاسم أمين

للأستاذ علي الجارم بك

ملَّ من وجده ومن فرط ما به — وأراق الشرابَ من أكوابه
وإذا القلب أظمأته الأماني — فماذا يريده من شرابه ؟
وإذا النفس لم تكن منبتَ الأنـ — ـس تناءى القريبُ من أسبابه
وأشدُّ الآلام أن تُلزمَ الثغـ — ـرَ ابتساماً والقلب رهنُ اكتئابه

***

كلما اختال في الزمان شبابٌ — عصفت ريحه بلَدْن شبابه !
والنبوغ النبوغُ يمضي وتمضي — كلُّ آمال قومه في ركابه
غَرِدٌ ، ما يكاد يصدح حتى — يُسكتَ الدهرُ صوته بنُعابه
وحَبابٌ ، إذا علا الماء ولى — فاسأل الماء : هل درى بحبابه ؟
وسفين ، ما شارف الشطَّ حتى — مزّق اليمُّ دُسْرَه بعبابه
بخل الدهرُ أن يطول للعقـ — ـل فيجري إلى مدى آرابه

***

كلما سار خطوةً وقف المو — ت فسدَّ الطريقَ عن طلابه
وابتداء الكمال في عمل العا — مل بَدْءُ الشكاة من أوصابه
ضلةٌ نكتم المشيب فيبدو — ضاحكاً ساخراً خلالَ خضابه
أين من يستطيع أن يرشد الدنيـ — ـا ، وسوطُ المنون في أعقابه ؟
أيها الموت أمهل الكاتبَ المسـ — ـكين يُرسلْ أنفاسه في كتابه

***

آه لو يشترى الزمان قريضي — بسنين تُعدُّ لي في حسابه !
ما حياتي ، والكونُ بعدَ جهاد — لم أزل واقفاً على أبوابه ؟
تظمأ النفسُ في حياة هي القفـ — ـر فترضى بنهلة من سرابه
أنا قلبي من الشباب ، وجسمي — أثخن الشيب رأسه بحرابه
أملٌ هذه الحياة ! فهل يمـ — ـشي بي الموت دون وشك طلابه ؟
كلما رمتُ لمحة من سناه — هالني بعدُه وطول شعابه
ما الذي تبتغي يدُ الدهر مني — ودمي لا يزال مِلءَ لعابه ؟
دع يراعي يا دهر يملأ سمع النيـ — ـل من شدوه وعزفِ ربابه
كلُّ شيء له نصاب سوى الفن — فلا حدَّ ينتهي لنصابه

***

عصفت صيحة الردى بخطيب — وهو لم يمدُّ صفحة من خطابه
سكتةٌ أسكتت نشيج خضمٍ — عقد النوء لُجَّه بسحابه
سكتة أطفأت منار طريق — كم مشت مصر في ضياء شهابه
ومضى « قاسم » وخلف مجداً — تفرع النجم راسيات قبابه

***

قد نكرناه حين قام ينادي — وفهمنا معناه يوم احتسابه
ربَّ مَن كنتَ في الحياة له حر — باً شققت الجيوب عند غيابه
وتحدّيتَ شمسه ، فإذا ولى — تمنيت لمحة من ضبابه
لم يفز منك مرة بثناء — فنثرت الأزهار فوق ترابه
يُعرف الوردُ حينما ينقضي الصيـ — ـفُ ويُبكى النبوغ بعد ذهابه
كم ندبنا الشباب حين تولى — وشغفنا بالبدر بعد احتجابه
كتب الله أن يعيش غريباً — كل ذي دعوة إلى الحق نابه
لا ترى فوق قمة الطود إلا — بطلا لا يهاب هولَ صعابه
كلُّ ذات الجناح طير ، ولكن — عرف الجو نسره من غرابه
كم رأينا في الناس من يبهر العيـ — ـن وما فيه غير حسن ثيابه
يملأ الأرض والسماء رياءً — وعيوبُ الزمان ملءُ عيابه

***

نقد الناس « قاسماً » فرأوه — أصبر الناس في تجرع صابه
حجة الجاهل المراء ، فإن شا — ء سموا أُسْدها بسبابه
قد يغشى الوجدان باصرة العقـ — ـل فيعميه عن طريق صوابه
صال بالرأي « قاسم » لا يبالي — ومضى في طريقه غيرَ آبه
كم جريءٍ لا يرهب السيف إن سل — ونكس يخاف مسَّ قرابه
والشجاع الذي يجاهر بالحق — ولو كان فيه مرُّ عذابه
كيف يهدي النصيح إن ريع يوماً — من قِلَى من يحب أو إغضابه
وطريق الإصلاح في كل شعب — عسِر المرتقى على مجتابه
يعشق الشعب من يدلله زو — راً ويَمْذُق من سخفه وكذابه

***

قمتَ للجهل تقلمُ الظفر منه — وتنفضُّ الحداد من أنيابه
في زمان كان القديم به قد — ساً يذاد الجديد عن محرابه
يا نصير النساء والدين سمح — لو وعينا السريَّ من آدابه
قد خشينا على الحمائم في الدو — ح أظافيرَ بازه أو عقابه
إن أردت الظباء تمرح في السهل — فطهر أكنافه من ذئابه

إلى المجهـــول

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

المقدمة

الولوع بالمجهول من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون والشغف باستطلاعه وكشفه هو الذى أخرج الانسان من المعيشة فى الكهوف ومن حضارة العصر الحجرى من عصور الحضارة وأزال عنه خوفه من مظاهر الطبيعة ببحث تلك المظاهر ، وهو الذى أدى به إلى كشف القارات والبحار وزاد علمه بالسماء ، وعلمه ركوب الهواء فى الطائرات حتى طمع فى الوصول إلى الأفلاك ، وذلك الولوع بالمجهول هو الذي جعله يخترع مخترعات الحضارة التى زادت حياته بهاء ومتعة وراحة ولذة ، وجعله يجد لذة حتى فى ركوب الأخطار من أجل كشف مغاليق الكون والحياة والطبيعة ويستشعر اللذة حتى فيا قد يصيبه من الألم أو الهلاك فى أثناء بحثه المجهول من أمور الحياة والكون ، والولوع بالمجهول هو الذى أدى إلى سيطرة الأمم القوية التى تمكنت من كشف المخترعات التى زادتها قوة واستعلاء ، وإذا بحثت عما يميز أبناء الدول القوية التى تمتعت بالثروة والسطوة والعلم والحضارة عن أبناء الأمم المتأخرة التى لا تزال تعيش فى الكهوف أو الغابات أو فى المدن أو الأحياء المتهدمة القديمة الفقيرة الموبوءة بالأسقام والأقذار المغلوبة على أمرها لرأيت أن صفة النفس التى ميزت أبناء الشعوب القوية السعيدة المسيطرة على الحياة والناس هى الصفة التى تجعلهم يجدون لذتهم فى كشف مغاليق المجهول من أمور الحياة، والامة التي تريد أن تعلو وأن تأخذ مكانتها تحت الشمس ينبغى أن تهيء لأبنائها نوعاً من التربية والتعليم يبث فى نفوسهم حب استطلاع المجهول وكشف مغاليقه . أما التعليم الذى لا يبث هــذه الصفة فى النفوس فهو تعليم لا يليق إلا بالذين يجدون لذتهم فى حياة الخمول من المألوف الذى أصبح كالمخدرات ، وكلما كان فقدان صفة حب استطلاع المجهول من النفوس أوضح وأظهر من أجل المؤثرات التاريخية المذلة المؤخرة كان ذلك أدعى إلى إصلاح نظم التعليم ، وإلى اتخاذ التربية التي تزيل هذه المؤثرات . والمراد بهذه القصيدة الدعوة إلى بث صفة حب استطلاع المجهول في نفوس النشء لأن نفوس النشء تحب استطلاع الغريب والمجهول بطبيعتها وترى لذتها فى ذلك قبل أن تعلمها التقاليد والأوضاع الخمول والقنوع بالمألوف ، ومن الخطأ أن يظن أحد أن عاطفة الشغف بالمجهول لا تنمى بالتربية وأنها قوة طبيعية فى الأمم القوية فحسب ... لا ... بل إن أسلوب التربية والتعليم قد يقوى هذه العاطفة التي هى أساس الرقي العلمى والاجتماعى الصحيح، وهذا الأسلوب من التربية ألزم فى الأمم الضعيفة لشدة احتياجها إليه

القصيدة

(الخطاب موجه إلى المجهول)

يحوطنى منـــك بحر لست أعرفه
ومَهْمَهٌ لست أدرى ما أقاصيه(١)
أقضى حياتى بنفس لست أعرفها
وحَوْلِيَ الكونُ لم تُدْرَكْ مجاليه(٢)
ياليت لى نظرة فى الغيب تسعدنى لعل فيــه ضياء الحق يبديه
إخال أنى غريب وهو لي وطن
خاب الغريب الذى يرجو مُقَاصِيه(٣)
أو ليت لى خطوة تدحو مجاهله
وتكشف الستر عن خافي مساعيه(٤)
كأن روحىَ عُوْدٌ أنت تُحْكِمُهُ
فابسط يديك وأطلق من أغانيــه(٥)
والروح كالكون لاتبدو أسافله عنداللبيب وَلاتبدو أعاليه(٦)

---

(١) المهمه القفر (٢) المجالى مباديه
(٣) قاصاه باعده والمراد بالغيب هنا المجهول لا غير
(٤) تدحو تبسط
(٥) يخيل للمفكر أحياناً أن خواطر النفس وأفكارها ريح تهب عليها أو يد تحركها كما تحرك يد الموسيقى أوتار عوده
(٦) لأن اللبيب أدرى من غيره بعظم الروح

كم ضراء وسط المدائن أذكي من ضراء الضرغام فى وسط غابه
وشباك من الجرائم والخلـ ل حواها شيطانهم فى جرابه
وإذا ما الحياء لم يستر الحسـ ن فماذا يفيده من نقابه ؟

***

قمت تدعو البنات للعلم فانظر كيف حلقن فوق شمّ هضابه
وزها النيل بابنة النيل فاختـا ل يجرُّ الذيولَ من إعجـابه
وغدا البيت جنةً بالتى فيــه خصيباً بالأنس بعد يبابه
يافتىَ الكرد، كم برزت رجالاً من صميم الحمى ومن أعرابه
نسب المرء ما يعدٌ من الأعـ مال لا ما يعدٌ من أنسابه
كم سؤال بعثت إثر سؤال أيقظ النائمين رجع جوابه
كنت فى الحق للإمام نصيراً والوفىّ الصفىّ من أصحابه
نم هنيئاً فمصر نالت ذرا المجـ د وفازت بمحضه ولبابه
منك عزم الداعى وفضل المجلّى ومن الله ما ترى من ثوابه

على الجارم

وأكبر الظن أني هالك أبدا	شوقاً إليك وقلبي فيه ما فيه
من حسرة وإباء لست أملكه	يأبى ليَ العيش لم تُدرَكْ معانيه
وأنت في الكون من قاص ومقترب
قد استوى فيك قاصيه ودانيه[1]
كأنني منك في ناب لمُفترس	المرء يسعى ولغز العيش يُدْمِيه
كم تجعل العقل طفلاً حارحائرهُ	ورب مُطَّلِبٍ قد خاب باغيه
لو النبال نبال القوس مُصْمِيَةٌ
كنت ادُّرِيتَ بسهم القوس أرميه
أو كان للسحر سهم نافذ أبدا	لكان لي منه سهم صال راميه
يا مُضْلِتَ السيف قد فُلَّتْ مضاربه
وراميَ السهم قد خابت مراميه
قلبي يحدثني أن لا يليق به	رضا بجهل ذليل اللب يرضيه
قد ثار ثائر نفس عز مَطلَبُها	وطار طائر لب في مراقيه
كالنسر لا حاجب للشمس يحرقه
ولا الصواعق والأرواح تثنيه[2]
وأنت كالليل والأفهام حائرة	مثل العيون علاها منك داجيه
ليل مهيب كليل البحر حندسه	تكاد تسمع منه صوت طاميه[3]
فليت لي فكرة كالكون واسعة
أدحو بها الكون تبدو لي خوافيه
ليس الطموح إلى المجهول من سفهٍ	ولا السمو إلى حق بمكروه
إن لم أنل منه ما أروى الغليل به	قد يحمد المرء ماء ليس يرويه
والقانعون بما قد دان عَيْشُهُمُ	مَوْتٌ فإن خضوع اللب يُرْدِيه[4]
ياقلب يهنيك نبض كله حُرَقٌ	إلى الغرائب مما عز ساميه
فالعيش حب لما استعصت مسالكه
مجارب المرء تُدْمِيهِ وتُعْلِيهِ
كم ليلة بتها ولهان ذا أمل	لم يُسْلِ قلبيَ أنْ غابت أمانيه
لعل خاطر فكر طارقي عرضاً	يدنو بما أنا طول العمر أبغيه
يوَضِّحُ الغامض المستور عن فِطَنٍ	وأفهم العيش تستهوي بواديه

عبد الرحمن شكري

(١) أنت الخطاب كله موجه إلى المجهول
(٢) الأرواح الرياح
(٣) أشد ما يكون الليل روعة الليل في وحشة البحر ولذلك يشبه به المجهول (٤) دان خضع وذل

شعر ابن تسعين!

كتاب الفصول والغايات

يا صاحب الرسالة الغراء:

إليك من شيخ قعيدة داره، رهين كتبه وأسفاره، تحية الأديب للأديب، ومناجاة القريب للقريب. وبعد فإني لما قرأت في رسالتكم الاعلان عن كتاب «الفصول والغايات» لشيخ المعرة حكيم الشرق اقتنيت منه نسخة وقرأتها فرأيت الشيخ الحكيم قد أتى فيه بالعجب العجاب، ورأيت الشيخ الفاضل الزناتي قد أحكم فيه الصنيع، وفاق كل أديب ضليع، كيف لا وهو تلميذ شيخي اللغة المرصفي والشنقيطي لذلك فقد جئت بأبيات مدحاً في الكتاب وناشره. وإني مرسلها إليك لنشرها، ولا أظنك إلا فاعلا إن شاء الله، وإني وقد جاوزت التسعين من عمري لم أنشر شيئاً من شعري قبل اليوم، وها هي ذي الكلمة

أين مني أبو العلاء أحييـه	وأهديه أصدق التهنئات
أناني مصر وهو في الشام رهن الـ	ـقبر أعظم بفرقة وشتات
نال منه يراع كل غبي	ورموه بأشنع السيئات
فتصدى لنصره المعيّ	هو «محمود» عصره ابن «زناتي»
وانتضى ماضي اليراع فأبدى	عن «كتاب الفصول والغايات»
كان هذا الكتاب رجم ظنون	وشكوك تحتاج للاثبات
فجلاه للناس صفحة حق	نضَّرَتْ بالعظات نور العظات
وأفانين تبهر العقل لم تخـ	ـطر لندب سواه منتظمات
وتولى تفسيره ببيان	واضح اللفظ ناضر الكلمات
ففدا في صنيعه عبقرياً	جل قدرا عن ناشري الهفوات
ناشري الكتب للتجارة لا للـ	ـعلم مملوءة من الفلطات
جاعلي النظم في الطباعة نثرا	ونثير الكلام مثل الرفات
ونظمت القريض طوعا لوجه الـ	ـعلم ما قلت فيه «خذه وهات»

محمد بن علي الدرعمي



وزارة المعارف وجائزة نوبل

رأت وزارة المعارف أن تعمل على حث المؤلفين المصريين على الاشتراك فى جوائز نوبل جهد الطاقة ، ومهدت لذلك بأن فكرت فى أن تـكل إلى الشعبة المحلية للمعهد الدولى للتعاون الفكرى فى مصر مراقبة ماينشر كل عام من المؤلفات والبحوث العلمية والأدبية التى تمتاز بالدعوة إلى تحقيق المثل الأعلى فى الحياة الإنسانية وتخصيص جائزة محلية كل عام لصاحب أحسن كتاب يمتاز بالطابع المشار إليه توطئة للاشتراك فى مسابقة نوبل العالمية

وترى وزارة المعارف أنه يجب على أغنياء المصريين أن يساهموا بنصيبهم فى هذا الباب ، فليست التبرعات وقفاً على إنشاء المساجد والمستشفيات وتقديم الكئوس للألعاب الرياضية ، وإنما يجب أن توجه أيضاً إلى تشجيع الانتاج الأدبى والفنى بأن يقوم الأغنياء بوقف جوائز شعبية باسمهم إلى جانب الجوائز الحكومية

ويمكننا تلخيص الشروط لجائزة نوبل فيما يلى :

١ — ليس من حق الأكاديمية السويدية أن تتخذ الخطوة الأولى فى الترشيح للجائزة مهما تمتع الشخص بالمؤهلات اللازمة وإنما يجب أن تنتظر حتى يقدم إليها الاسم طبقاً لأحكام مؤسسة نوبل

٢ — لا يشترط من جهة المبدأ أن تترجم مؤلفات الترشيح للجائزة ، لأن بالأكاديمية السويدية خبراء فى اللغات المختلفة . كذلك لا يشترط أن يكون لهذه المؤلفات جمهور كبير من القراء فقد حدث أن منح الشاعر الفرنسى (مسترال) جائزة نوبل سنة ١٩٠٤ مع أنه كتب مؤلفه بلغة مقاطعة البروفنس وهى لغة يتكلمها عدد محدود جداً من الفرنسيين

٣ — تمنح جائزة نوبل الخاصة بالآداب لمن يصنف مؤلفا فى السنة السابقة للطلب مباشرة يعود بالنفع على الانسانية ويقودها إلى المثل الأعلى ؛ غير أن اختيار هذا المؤلف قد يكون فوق الطاقة لكثرة ما ينشر من المؤلفات الأدبية فى كل عام

ولذلك يمكن القول بأن هذه الجائزة أصبحت تمطى مكافأة على إنتاج نوابغ الأدباء فى كل حياتهم إذا امتازت بقربها من المثل الأعلى

ميزانية التعليم

خصص لميزانية وزارة المعارف فى السنة المالية الجديدة أربعة ملايين و ٣٥٦ ألف جنيه بزيادة قدرها ٣٣٦ ألفاً و ٥٠٠ جنيه تقريباً على ما كان مخصصاً لها فى الميزانية السابقة

وفيما يأتى توزيع هذا المبلغ على أنواع التعليم المختلفة

شؤون التعليم — للادارة العامة والبعثات العلمية ٣٢٠ ألف جنيه وللمدارس العالية ٣٧٦ ألفاً ، وللتعليم الثانوى ٧٤ ألفاً وللتعليم الابتدائي للبنين ٦٨٨ ألف جنيـه ، وللتعليم الفنى ٥١٤ ألفاً ولمدارس البنات ٣٨٤ ألفاً وللتعليم الأولى مليون و٤٤٢ ألف جنيه وللفنون الجميلة ٤٧ ألف جنيه

الاعانات — وبلغت قيمة الاعانات المقرر منحها فى العام الجديد مليون و ١٩٤ ألف جنيه وهى :

٢٦٩ ألف جنيه للجامعة المصرية و ٨٢٦ ألفاً لنفقات التعليم لمجالس المديريات و ٦٥ ألفاً للتعليم الثانوى الحر للبنين ومثلها للتعليم الابتدائى الحر وكانت فى العام الحالى ٣٢٥٠٠ لـكل منهما و ٥٤ ألفاً لمدارس البنات الحرة وكانت ٢٧ ألفاً فى العام الماضى و ١٠ آلاف جنيه للمدارس الأولية الحرة و ٨٥٠٠ جنيه للمدارس الصناعية والملاجىء و ٢٥٠ جنيهاً لمدارس الصناعات الحرة النسائيـة و ١٥ ألف جنيـه للجنة الأهلية الرياضية البدنية ومثلها للفرقة القومية للتمثيل و ٤٨٠٠ جنيه للمدرسين الصناعيين بالاسكندرية و ٣٥٠٠ جنيـه لدار الـكتب الملـكية و ٦٥٠٠ جنيـه لدار التمثيل الملـكية و ٢٠٠٠ جنيه لجمعية محبي الفنون الجميـلة

و ٢٣٣٠ جنيهاً للمدرسة الفاروقية البحرية و ١٥٠٠ جنيه لكل من الجمعية الملكية الجغرافية والمجمع العلمي المصري و١٢٠٠ جنيه لكل من الجمعية الطبية ومرتبات الطلبة في المدارس الصناعية و ٢٣٠٠ لمهد الطلبة المصريين بلندن و ٥٠٠ جنيه لكل من الجمعية الرمدية ومعهد التعاون الفكرى وجمعية علم أوراق البردى و ٤٥٠ جنيهاً للجمعية الجغرافية الملكية و ٧٠٠ جنيه إعانة فرقة الكشافة والمرشدات و ٤٠٠ جنيه لكل من معهد التربية الدولى بسويسرا والأندية الفنية و ٣٠٠ جنيه لنادى الألعاب الرياضية و ٢٠٠ جنيه لكل من المجمع المصرى للثقافة العلمية وجمعيتى المعلمين الملكية والموسيقى المصرية ومدرسة جبل سينا والنادى الرياضى المصرى ببرلين وجمعية الفنانين المصريين ومرتبات لطلبة دار العلوم و ٢٥ ألفاً مصاريف المدارس التابعة للسكك الحديدية وخصص لجوائز الطلبة ٩٥٠ جنيهاً علاوة على ٣٠٠ جنيه لجوائز التفوق

ومما يلفت النظر هنا أن الإعانات — على ضخامة المبلغ المرصود لها والذى يزيد على ربع ميزانية المعارف كلها — لم ينظر فيه إلى ما ينبغي لتشجيع الأدب والتأليف ، فليس فيها شيء مقرر لتشجيع ذوى المواهب من المؤلفين ورجال الآداب ، على حين تكثر الآلاف لتشجيع الرياضة البدنية والنوادى والجمعيات ؛ وتلك ملاحظة نسوقها إلى وزير الأدباء معالى الدكتور هيكل باشا

الثقافة الموسيقية فى مصر

تشتغل وزارة المعارف ، بإعداد مشروع واسع النطاق ، يتجه إلى رفع مستوى الثقافة الموسيقية بصفة عامة ، وذلك بإقامة دراسات تثقيفية للموسيقيين المحترفين الذين يزاولون تلك المهنة ، ينتظم فيها الراغبون فى زيادة ثقافتهم الموسيقية بالمجان . وستكون تلك الدراسات فى إحدى مدارس الوزارة بالعاصمة .

وتلقى تلك الدروس فى مساء يومين من كل اسبوع . وهى دراسات لجميع المواد الموسيقية التى يحتاج إليها رجل الموسيقى فى مزاولة مهنته ، وإلى جانب هذا تدرس اللغة العربية والخط

وتقرر أن توزع برامج الدراسة على عامين تعقد الوزارة فى نهايتهما امتحاناً يمنح الفائزون فيه درجة فى الموسيقى

وستشرع الوزارة فى تنفيذ هذه الخطة ابتداء من أول اكتوبر القادم على أن يشرف حضرة مدير ادارة التفتيش الموسيقى بالوزارة على هذا المشروع

الموسيقى العربية للبارون رودولف ديرلانجيه

لا يتلفت أحد منا إلى التراث العلمى الذى خلّفته الثقافة العربية إلا تحسّر على نصيبه من الاهمال . والحق أنّ نواحى جمّة من ذلك التراث أصبحت موضع بحث وتنقيب ، إلا أنها لا تظفر بما يليق بها من العناية . وفى مقدمة تلك النواحى الموسيقى . على أنى لا أجهل أن نفراً من المشتغلين بالموسيقى عندنا مثل الأستاذ كامل الخلعى والأستاذ منصور عوض راحوا ينظرون فى بعض أوضاع الموسيقى العربية بدراية ، كما أنى لا أجهل أن فئة من المستشرقين كتبوا رسائل عالجوا فيها تاريخ الموسيقى العربية وخصائصها ، أذكر منهم : Kosegrten و Saloadar و Daniel و Collangettes و Carra de Vaux و Massignon ولا سيما Farmer .

ولكنّ النظر فى أوضاع الموسيقى العربية والالمام بتاريخها وخصائصها لا يزالان على شيء من الاضطراب . ذلك بأن المصادر العربية الخاصة بالموسيقى تكاد تكون كلها مطوية . وأعنى بالمصادر هنا تلك التى أجراها أصحابها على الطريقة العلمية . وأما المصادر الأخرى وعلى رأسها كتاب الأغاني لأبى الفرج فإنما تسوق الأخبار المتصلة بالموسيقى وإن اندست فى تلك الأخبار مصطلحات وفوائد علمية

والحاصل أنّ فى نشر أمّات تلك المصادر خيراً وأن فى بحثها بحثاً مطرداً فائدة جليلة . كل هذا لم يفطن له معهد الموسيقى العربية القائم فى مصر لأنه بينه وبين العلم الخالص أشياء ، ولكن الذى فطن له رجل أجنبى عنا هو : البارون رودولف ديرلانجيه رحمه الله

وضع البارون خطة سديدة إذ رأى أن ينقل المؤلفات الجليلة إلى اللغة الفرنسية ثم يلحقها بمجمل شامل يعرض نواحى الموسيقى العربية علماً وعملاً .

وقد ظهر المجلد الأول من هذه المجموعة سنة ١٩٣٠ مطوياً على الجزء الأول والثانى من « كتاب الموسيقى الكبير » للفارابي وهذا المجلد الثانى فيه الجزء الثالث من كتاب الفارابى ثم رسالة فى الموسيقى من كتاب « الشفاء » لابن سينا . ويتناول الجزء

الثالث من كتاب الفارابى التأليف الموسيقى من لحن وإيقاع وفرع ومن الجموع الكاملة والناقصة والمتلائمة والمتنافرة . وأما رسالة ابن سينا ففيها مباحث فى الصوت وسببه وثقله وحدّته ، وفى الأبعاد وتقسيمها وتجزئتها وتضعيفها ، وفى الايقاع وفى الشعر وأوزانه

ثم إن فى ختم هذا المجلد حواشى يشرح فيها بعض المتويات ويلوّح فيها إلى الأصول اليونانية

وعسى أن يواصل أصحاب البارون درلانجيه وأعوانه نشر المجموعة ، فالعالم العربى المهذّب يرقب رسائل الكندى صفى الدين وعبد الحميد اللاذق وغيرهم . ولا يفوتنى أن أرغب إلى من سيتم نشر المجموعة أن يعمل كتاباً قائماً برأسه يثبت فيه المصطلحات الموسيقية الواردة فى التآليف العربية مع ما يراد منها فى اللغة الفرنسية حسبما نقل . وفى ظنى أنه يبذل بهذا مالا ينهض به شكر؛ ذلك بأن اللغة العربية لهـذا العهد مفتقرة إلى التعابير الفنية والاصطلاحات العلمية

بشر فارس

الفلم المدرسى ونصيب مدارسنا منه

يرجع الفضل فى استخدام السينما فى المدارس إلى المستر بروس وولف بعد الحرب الكبرى مباشرة (١٩١٩) حين وضع — بمساعدة زوجته — أفلامه المدرسية الناجحة : معركة جتلند بين الأسطولين الإنجليزى والألمانى ، وغزو اللنبى لفلسطين ، والحرب بين آلهة الخير وآلهة الشر Armageddon ... الخ وقد لقى المستر وولف من إقبال المدارس وتعضيد الحكومة ما جعله يبتكر من الأفلام ما هو الآن ضرورة من ضرورات الحياة المدرسية فى انجلترا . بل لقد عظم أثر هذه الأفلام لدرجة أنها توجه التعليم وجهات خاصة فى بعض الأحيان . وقد كان أول أفلام مستر وولف فلماً مساحيًا على السطوح والدوائر والمثلثات ... الخ . وبالطبع لم ينجح هذا الفلم ولذا آثر الأفلام الأفلام الجغرافية والتاريخية بعد ذلك . وقد أشرنا فى هذا الباب إلى الفلم التربيوى الذى قامت به شركة الفحم الإنجليزية والذى كان له أكبر الأثر فى تحسين أسلوب المعيشة والتربية فى البيئة الإنجليزية هذا فى انجلترا ... فماذا عندنا فى مصر ؟ لقد كانت وزارة المعارف تحض على استعمال السينما فى المدارس ، فأين هى الأفلام المدرسية التى عرضت ؟ لقـد قامت وزارة الصحة بعرض بعض الأفلام السقيمة للتنوير العام ، فلم يكن لها أى أثر ، وهكذا صنعت وزارة الزراعة ... ولسنا ندرى ماذا يمنع وزارة المعارف من إلقاء مهمة إخراج أفلام مدرسية على عاتق ستوديو مصر على أن يعاونه معهد التربية فى ذلك ... إنها بهذا تفتح حقلاً جديداً لاستوديو مصر وتضمن الأفلام التربيوية الناجحة للمدارس المصرية

شذوذ العبقرية فى الهند

فى الأنباء البرقية أن السيدة سوباروبان قد انتخبت نائبة فى البرلمان الهندى عن مدينة مدراس ... ومنذ شهرين كانت تزور مصر إحدى الزعيمات الهنديات فلم يمنعها زهوها الوطنى أن تعير نساءنا المصريات بتخلفهن عن أخواتهن الهنـديات فى مضمار الحياة ، لأن المرأة الهندية قد نالت من الحقوق المدنية مالا تزال المصرية تحلم به وتعتبره طوبى ! وقد منع كرم الضيافة السـيدة المصرية من الرد على الزعيمة الهندية ... ونحن من جانبنا لانجمل لنهضة المرأة الهندية تلك الأهمية التى تصورتها لها زعيمة الهند ، ولا يمنعنا من التمسك بهذا الحكم انتخاب السيدة سوباروبان للبرلمان الهندى . ونحن إنما نستند فى رأينا إلى التقاليد والعادات والمعتقدات الهندية نفسها . فالمرأة الهندية تشارك الرجل فى التطهر ببول البقر وتقديس البقرة كما تشاركه فى إذلال الأنجاس وتفضيل الفيران عليهم . وقد كان خيراً للهند ألف مرة لو عملت نائبة مدراس فى محاربة الآفات الهندية ولم تقحم نفسها فى الميدان السياسى ... وتعليل هـذا بسيط ... فالبيئة الهندية مشهورة بالشذوذ ولا سيما فى خلق العبقرية ... فالهند الفقيرة المجدبة من الثقافة قد أعطت العـالم رجالاً أفذاذاً عبقريين فى ثقافتهم وفى علمهم كالشاعر المسلم المرحوم إقبال والشاعر الهندوكي طاغور والمرحوم أجاديز بور العالم النباتى ... ثم السياسية سوباروبان ، ومن أجل ذلك فنحن متفائلون جداً بنهضة المرأة المصرية ولو لم تدخل البرلمان

تركيا والاسلام

أدلى السيد اسماعيل ولى الله الصحفى الهندى والمحرر بجريدة « انديان نيوز » التى تصدر فى دربان بجنوب افريقية الى جريدة

« جمهوريت » لدى عوده الى بلاده بما يأتي : « قبل أن أحضر الى بلادكم طفت ببلاد العرب ومصر وسورية . وقصدى أن أعرف بتركيا العالم الاسلامي فى الشرق بحيث أقوم الرأى الخاطئ الذى كونه عنها . لقد اقتنعت كل الاقتناع منذ اليوم الأول لوصولى الى مدينتكم بأن الأتراك — على نقيض الدعايات السلبية التى راجت عنهم في العالم الاسلامى — لا يزالون مسلمين كما كانوا فى الماضى ، وإنكم مع محافظتكم على إسلامكم قد كيفتم أنفسكم وفق مقتضيات الحضارة الاوربية . وانا لنرجو أن يجرب جميع مسلمى الشرق هذه التجربة التى نجحت فيها تركيا . ان عدد مسلمى جنوب افريقية يبلغ ١٢ مليون نسمة منهم ٨ ملايين من أهل البلاد الاصليين ومليونان من الاوربيين و ١٥٠٫٠٠٠ من المسلمين . أما الباقون فصينيون ويابانيون وأفراد من أجناس مختلفة . وينقسم المسلمون الى فريقين احدهما فريق المسلمين الهنود أمثالنا الذين يقطنون البلاد منذ ستين عاما . والآخر هو فريق المسلمين المولودين فى جاوا — وهذه المناطق سريعة التقدم وأهم انتاجها الذهب . ويعنى المسلمون الهنود بالتجارة ويمارسون المهن الحرة

ونحن مسلمى جنوب افريقية الهنود نشعر نحو تركيا بحب عظيم ، ومرشدكم المظيم أتاتورك شخصية عظيمة يعجب بها العالم أجمع . ولقد ظهرت فى جريدتنا عدة مقالات عن زعيمكم العظيم . وإنا لعظيمو الارتياح نحن المسلمين الى ما أحرزته تركيا من أسباب التقدم . وآمل أن يحقق وطنكم لنفسه حياة رغيدة . إن هذه أول مرة وطئت فيها أرض تركيا والأثر الذى خلفته فى نفسى هذه الزيارة هو أن الجميع هنا يعملون بنشاط ولا يتمرغون فى حمأة الخمول كما كانت الحال فى عهد السلطنة

كتابان فرنسيان عن مصر

نال المسيو جان مازويل الاستاذ بالجامعة المصرية المدالية الفضية من الجمعية الجغرافية بباريس وجائزة الكسندر اكان للكتابين الذين تقدم بهما الى « السوربون » ونال بهما لقب الدكتوراه . وهذان الكتابان يدوران حول بعض المسائل الجغرافية الطبيعية والاقتصادية المتعلقة بمصر إبان حكم والى مصر الكبير محمد على باشا ، وقد بحث المسيو مازويل فى أول هذين المؤلفين عن الاكتشافات العظيمة فى صحراء العرب وبلاد النوبة ، وتكوين برزخ السويس وأعمال الرى والصرف وقناطر الدلتا ودرس فى مؤلفه الثانى زراعة قصب السكر وأنواع السماد ، كما تحدث عن السكر فى مصر من الناحية الاقتصادية وأظهر الدور المهم الذي يؤديه محصوله

تصويب

كتب (أستاذ جليل) في العدد السالف من الرسالة ، ينبهني إلى خطأ وقعتُ فيه عند الحديث عما كان بين الرافعي والعقاد حول مقالة الرافعي عن شوقي في المقتطف سنة ١٩٣٢ ؛ والصواب ما قال الأستاذ الجليل ؛ فإن مدار الحوار بين الأديبين كان حول تخطئة الرافعي لشوقي في رفع جواب الشرط من قوله :

إن رأتني تميل عني كأن لم ... يك بيني وبينها أشياء

وكان ردّ الرافعي على العقاد — لتقرير هذه المسئلة من مسائل النحو عندما يكون فعل الشرط ماضيا ، وفي هذا الرد كان ما كان من رأيه في المتأخرين من علماء النحو .

ولقد نبهتني كلمة الأستاذ الجليل إلى شيء كنت أُنسيتُه ؛ ذلك أن تخطئة الرافعي لشوقي في الابتداء بالنكرة من قوله :

ليلى ! منادٍ دعا ليلى فخفّ له ... نشوانُ في جنبات الصدر عربيد

لم تكن مما كتبه للمقتطف ، ولكنه نشرها في عدد يناير سنة ١٩٣٣ من مجلة (أبولو) في الرد على الأستاذ علي محمد البحراوي في مقال تناول به مقاله للمقتطف عن شوقي ؛ ثم كان جدال بين الرافعي وأديب من أدباء العراق حول تخطئة شوقي في هذا التعبير ، وتنقّل هذا الجدل حيناً بين أبولو والمقطم ...

هذا صواب ما اشتبه عليّ عند رواية هذا الخبر ، أشكر للأستاذ الجليل أن نبهني إلى إثباته ؛ وعذري في هذا الاشتباه أن الجدال في هاتين المسألتين كان يدور حول محور واحد ، هو مقالة الرافعي في المقتطف ، فاختلط في ذاكرتي شيء بشيء . . !

محمد سعيد العريان

شكر واعتذار

استدرك الصديق الدكتور ناجي على كلمتنا عن هوكسلي بعض مآخذ سماها أخطاء ، وكان قليل جداً من حسن التفات الصديق يكفي لإدراك أن ما نقلناه فيه جاء عن طريق السهو ، فقد وضعنا أليس مكان جويس في الاشارة إلى قصة أوليسز ، وقد

كتبنا عن هافلوك أليس وجيمس جويس أكثر من عشرين نبذة فى بابى (من هنا ومن هناك) و (البريد الأدبى) وكتبنا عن أوليسيز لجويس أكثر من مرة ، ومن الأعداد التى نذكرها فى ذلك (١٥٠ — ١٥٣ — ١٥٤) وذلك عقب نشر القصة .

أما أن هوكسلى هو حفيد هوكسلى الكبير أو ابنه فما ذكرت هو الذى أعرفه ، وقد ثارجدل فى ذلك بينى وبين الصديق الكبير الأستاذ سلامة موسى فأقنعنى أنه ابن هوكسلى الكبير وليس حفيده ، وتثبت بذلك فأثبته فى كتابه القيم (فى الأدب الانجليزى الحديث ص ٩٣) فقد ولد هوكسلى الكبير سنة ١٨٢٥ وتوفى سنة ١٨٩٥ ، وقد نيف هوكسلى الصغير على الخامسة والأربعين ومن هنا كان اقتناعى بما ذكر الأستاذ سلامة ... على أن ملاحظة الدكتور قد أثارت فىّ فضولا غريباً جعلني أكتب إلى ألدوس هوكسلى أسأله فى ذلك (! !)

أما كتاب رقصة الحياة فأكبر ظنى أنها غلطة الصفاف (المحترم) الذى جعلنى مرة أقتل ولز لأن حضرته أغفل سطراً بأكمله فأوقعنى بغفلته فى (شر أعمالى !)

ولكن يا دكتور ناجى ! لى رجاء بعد ذلك ... هل تتفضل بتسجيل ملاحظاتك الأدبية القيمة على صفحات الرسالة بالنيابة عنى حتى يأذن الله بشفائى مما أصبت به وسأستشيرك فيه !

الشاكرلك

صديقك المجهول

حول كلمة «هال . ها»

سيدى الأستاذ الفاضل محرر الرسالة

قرأت فى عدد الرسالة الماضى قصيدة «البعث» وقد أعجبنى استيعاب الشاعر محاسن الربيع ومناحى الجمال فيه كما طربت لقوة مبناها وغناها باللفظ الجميل كما يَغنى الربيع بالورد الناضر والزهر الباسم . إلا أنه لفتتني فيها كلمة «هال . ها» وتعليق الشاعر الفاضل عليها أنها كلمة نداء مرحة ابتدعها الأستاذ أبو حديد وتقوم مقام كلمة Sdeigh-Sdo الانجليزية ، وأخشى أن هذا التعليق بعيد عن الصواب . فالكلمة الانجليزية ليست نداء مرحاً وإنما هى تعبير يقال عند خيبة الأمل أو انكسار النفس من الحزن أو الأسف أو ما إليها

على أن ابتداع الأستاذ الفاضل أبى حديد لكلمة «هال . ها» لتقال فى معرض المرح لم يبلغ من التوفيق ما يجيز استعمالها فى هذا المعنى . فكلمة (هال) تقال لزجر الابل ، وذلك بعيد عن المعنى الذى يقصده الشاعر

والله يحفظ السيد الجليل

محمد عبد الغنى حسن

تاريخ الأمة المصرية

أثنى المسيو جابريل هانوتو فى الأكاديمية الفرنسية على الجزء الرابع من كتاب «تاريخ الأمة المصرية» وهو الذى ينشره برعاية جلالة ملك مصر

وقد خصص هذا الجزء للفتح العربى من سنة ٦٤٢ ميلادية إلى الفتح العثمانى فى سنة ١٥١٧ وهو من تأليف المسيو جاستون فييت مدير الآثار العربية فى القاهرة



الاسلام في العالم*

تأليف الدكتور زكى على

مؤلف هذا الكتاب من الشبان القلائل الذين عرفوا بالانكباب على معالجة الشؤون والمشاكل الاسلامية ، يعالجها طوراً بالكتابة فى صحف الشرق والغرب ، وآونة بالخطابة على المنابر فى الجامع . ولطالما قرأ له المصريون كثيراً من المقالات القوية فى الصحف العامة تنبىء عن اهتمامه القوى بهذه الناحية .

والمؤلف إلى جانب اهتمامه بالناحية الاسلامية « طبيب » دقيق النظرة . ولقد ظهر أثر تفكيره العلمى الصائب فى كتابه الذى أخرجه هذا الشهر وهو : Islam in the World والذى يعد محاولة طيبة من الدكتور زكى على ، له الجزاء الأوفى عليها

ولقد أوضح المؤلف في مقدمته الدافع على ذلك فقال : « فى سنة ١٩٣١ غادرت مصر إلى أوربة لأول مرة فى بعثة طبية وقد كنت موظفاً كطبيب امتياز وطبيب تخدير فى مستشفى قصر العينى بالقاهرة ... ولم أكن أتوقع أن ستلح علىّ رغبة عنيفة لمسائل أخرى غير الطب ... غير أنى اكتشفت أن فى أوربا جهلا مطبقاً وعدم إدراك للاسلام . ذلك الدين الذى أومن به ، وألفيت أن العلاقات بين الغرب والعالم الاسلامى فى حال من المرض الشديد تستأهل بحث أسبابها ومعالجتها » ولم يحاول المؤلف أن يأتى بآراء جديدة فى سِفْرِهِ هذا ، ولم يعمد إلى محاولة ذلك عمداً ، بل لقد ذهب يعرض آراء الغربيين عرضاً دقيقاً ويستخلص من ثنايا كتاباتهم عن الاسلام ما يدحض به كل شبهة تحك فى نفس أحدهم ، فهو يرى أن النظام الدينى والاجتماعى فى الاسلام ليس بالضيق أو ما يُشتَم منه ريح التزمّت والجمود ، بل إنه فى جوهره مرن ، كما أنه يعمل على النهوض بالحياة الانسانية

ويستعرض المؤلف فى كتابه هذا حياة الرسول لأنه يري أن لا بد لدراسة هذا الدين وتفهّم مراميه من تفهم حياة صاحبه ، وتلك هى الطريقة التى سار عليها سير أرنولد فى كتابه Preaching of Islam فلقد مهد لانتشار الاسلام بفصل عن « محمد كداعية » وفائدة هذا أن يربط القارىء بين المظاهر العامة والذاتية فى حياة الرجل الذى حمل عبء الرسالة وأداها صادقاً أميناً ، وكان فى حياته الخاصة والعامة المثال الكامل للانسان الفاضل ، والصورة الواضحة الحق للرسول والنبى المبعوث ، وما كان ينطق عن الهوى (إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى)

ثم يعرض المؤلف للاسلام من حيث هو دين ونظام اجتماعى يربط بين الطبقات ويوحد بينها ويتجه بمراميها إلى الغاية المنشودة من الرسالة ، ولقد كتب أحد المستشرقين مرة يقول « إن حياة الشرق تتمثل فى كتابين لاثالث لهما ، أما أولهما فالقرآن ، وأما ثانيهما فكتاب ألف ليلة وليلة » ... كذلك يتجلى طابع الاسلام الحق وجوهره الخالص من كل زيف أو شائبة فى القرآن وهو « كتاب اضطمّ على مبادىء القانون الاسلامى العام : فهو قانون لدين اجتماعى مدنى تجارى حربى فقهى خاقى تشريعىّ سياسىّ؛ وهو بعد ذلك كتاب له تأثيره الدائم على أذهان المؤمنين الذين هيهات أن يتنكّب بهم الطريق لو أنهم ثابروا على اقتفاء خطاه وأوامره ، وليس فى هذا الكتاب مايناقض العقل » بل إنه ليشجّع الاجتهاد والتخريج . ثم يعرض المؤلف للجهاد (ص ٣٣) فيرى أنه حرب دينية دفاعية ، والجهاد شرعا الحرب في سبيل الدين والذب عن حياضه ، وادخال القوم الجاحدين به فى شريعته .

* Islam in the World ، طبع فى لاهور بالهند (١٩٣٨) ، مكتبة الشيخ محمد أشرف فى سوق كاشميرى

ويتناول الدكتور زكى نظام الحكومة والدولة فى الاسلام وهو من النواحى الهامة فى تاريخ هذا الدين كان له أثره البعيد فى آسيا وأفريقية ، فيتعرّض للجزية والزكاة والخراج ، وهى الأسس الاقتصادية التى تقوم عليها الحكومة فى الدول الاسلامية ، ويرى المؤلف أن الجزية ليست ضريبة تستؤدى من أهل الذمة كعقاب لهم بل إنها كانت نظير القيام على حفظ حقوقهم وبدلا من قيامهم بالخدمة الحربية المفروضة على كل مسلم (ص ٥٥) ، وان مرمى النظام الاسلامى وغايته ومجهوده أن يمد يد العون للنوع البشرى ليوفر له أسباب الراحة الروحية ، ويرق به فى سبيل الكمال والسعادة .

ومن الفصول القوية التى دبجها الدكتور زكى على فصله عن تطوّر الاسلام Ovolution of Islam ، وهو يلمّ فيه بما انتاب الاسلام والمسلمين من أهوال جسام فى عصور التاريخ المختلفة ، فلقد اشتدت عداوة المغول له فقاموا بتدمير مراكزه الكبرى فى قسوة لم يعرف التاريخ لها مثيلا حتى ليكاد ينكرها من يقرأها بعد حدوثها كما يقول ابن الأثير ، وإن الدارس لتاريخ المغول فى الشرق والمماليك فى مصر ليرى هذه الضراوة الشديدة من ضراوة التتر ومحالفتهم لدول الغرب المسيحية للقضاء على الاسلام ممثلا فى دولة المماليك ، ولم يخفف من حدتهم هذه اسلامهم .

وكذلك انتابت الاسلامَ أخطارٌ جمة تعرّض لها فكان ذلك الصراع المنيف بين الشرق والغرب ، يدفع كلا الجانبين حماسة دينية وتعصّب مُلِح ، وهذا هو المعروف بالحروب الصليبية ، فلقد امتشق فيها الغربُ الحسام ضد الشرق والاسلام واتحدت شعوبه المتنافرة تحت الصليب تدفعها من الخلف حينا روح دينية ، وأحيانا كثيرة تحثها المطامع السياسية ، ولكنها فى كل ذلك تلبس مسوح الدين . ويرى بعض الكتاب أن هجوم التتر وتدميرهم الخلافة العباسية فى بغداد انما هو ضرورة اقتضتها حياة القوم فلقد انغمروا فى بلهنية من العيش وأُغرِقوا فى اللذات ورفاهية السادة ، فكان تجديد الاسلام بتدمير هذه الحضارة وإقامة أخرى مكانها وزعيم هذا الرأى الكاتب الفرنسى Cahun ومهما يكن من صواب رأيه أو خطله فإن الحقيقة الواضحة هى أن الاسلام لم يَفْنَ بعد هذا الهجوم بل تجدّد وعاد قويا .

أما دراسته عن « الاسلام فى الغرب » فيعرض فيها لآراء الكتاب الأوربيين أمثال رينان وولسون كاش وأرنولد وكريمر ويظهر فى تضاعيف هذا الفصل ما انطوت عليه نفس الكاتب من حماسة بالغة للإسلام خرجت به أحياناً من موقف العرض إلى الدفاع ، فأكرم بهذه الروح التى أملت عليه ما أملت من نقاش ودفاع كريمين . وبهذا الفصل يختم المؤلف الفاضل القسم الأول من كتابه وقد خصصه للتعريف بالاسلام ثم ، يليه القسم الثانى والأخير منه وهو دراسة تحليلية للنواحى الفكرية فى الاسلام ومستقبله فى العالم كدين وكنظام اجتماعى وسياسى ، وهو ينظر بعين الرضا والاطمئنان للحركة التجديدية فى الأدبين الفارسى والتركي وما يترتب عليهما من إحياء الماضي الحافل بصور المجد والعظمة

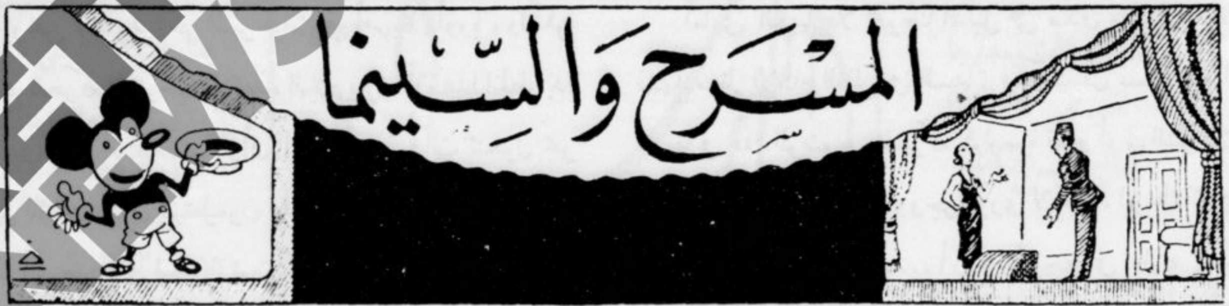
ويختم المؤلف كتابه بدراسة قيمة عن (الاسلام فى العالم) فيرى أنه لا يستطاع الفصل بين السياسة والدين فيه بل إنهما ليتعاونان معاً فى ميادين الاستقلال الاقتصادي والسياسى والاجتماعى (ص ٣٩٧) ويضرب المثل على صحة هذا بالملك العظيم ابن سعود فلقد نجح في إقامة دعائم مملكته على أسس مستمدّة من القرآن والسنة ، حتى لقد أصبحت الحجاز اليوم حكومة رشيدة قوية محترمة ، وفى ذلك أبلغ دليل على تعاون السياسة والدين وعدم تضاربهما ، على عكس الواقع فى الغرب حيث لا يستطاع — بحال من الأحوال — التوفيق بين الدولة والكنيسة .

ويتساءل المؤلف فى ختام بحثه هذا : هل يمكن إيجاد التعاون والتوفيق بين الاسلام والغرب ؟ ... ونظرته لهذه الناحية نظرة التفائل ؛ ويذهب مدللا على رأيه هذا بحجج بعضها فى حاجة إلى نقاش وإن كانت تنتهي أخيراً إلى الموافقة على رأيه .

* * *

وبعد فهذا عرض موجز لكتاب ألفه شاب مصرى أوقف جهده وقلمه وتفكيره على ناحية يستأهل من أجلها شكر الشرقيين والناطقين بالضاد فى كل صقع وناد بلا تفرقة بين الملل والأديان ، ذلك لأن الشرق اليوم هو العالم الاسلامى

حسن حبشى



عصر السرعة والاعصاب المكدودة

وأثره فى الانتاج المسرحى والسينمائى

اشتهر هذا العصر بأنه « عصر السرعة » ومن علاماته المميزة — وقد تكون إحدي النتائج القريبة لهذا الوصف — توتر الأعصاب



فالبنية الانسانية طاقة إذا أجهدت تنبهت أعصابها وأرهفت واشتدت قابليتها لكل مؤثر، ومن مجهدات الأعصاب فى هذه الأيام تعدد المطالب التى لم تجعل حداً لحاجات الناس بل أطماعهم، وكثرة الأزمات فى شتى نواحى الحياة، وترقب الحروب والانقلابات يوماً بعد يوم، وضعف الوازع الأدبي بفضل أخلاق الساسة ومعاملات الدول بعضها لبعض وعدم احترام التعهدات والوعود، وتهديد البطالة لكل آمن أو شبه آمن، وتفشى المخدرات والأمراض، وكثرة الضوضاء، وعدم الاستقرار، وتسلط المادية ... الخ

كل هذه الأمور أفقدت النفس مساكها والأعصاب احتمالها وظهر أثر ذلك فى جميع مرافق الحياة

ففى الشارع — كثيراً ما يقابل المرء أناساً وجهاء وغير وجهاء يتحدثون إلى أنفسهم بصوت مسموع، ويضحكون من غير دافع إلى الضحك، ويشيرون بأيديهم إشارات لا تصدر إلا عن مخبول أو مذهول

وفى المرقص صدف الناس عن الرقص التصويرى الشعرى وأفتنوا فى الرقصات التوقيعية العنيفة

وفى اللعب ازدادت أحابيل المشعوذين، ومارسوا كل عمل شاذ لا يكاد يخطر على عقل سليم

وفى المعرض — تقدمت الرسوم « الكاريكاتيرية » لأنها الوسيلة الوحيدة لرسم الأفكار الخاصة التى لا تظهر فى الطبيعة

وفى الموسيقى لم تفلح الآلات الوترية الهادئة فى هذا الجو الصاخب المخمور حيث أفلحت آلات « الجاز » العنيفة المدوية

وفى المكتبة اختفى الكتاب الجيد بين آلاف من الكتب الفارغة التى استعصى على أصحابها عمق الفكرة فسبحوا على قشورها

والمسرح والسينما قد ظلا صورة حسنة لهذا العالم ينقلان أحسن ما فيه، ويقدمان له المثل الصالح الممتاز

ولكن هذه النزعة المجنونة قد بدأت تؤثر فيهما وتفسد عليهما رسالتهما السامية

ازدادت فى الأيام الأخيرة الأفلام من نوع :

My Mon Godfrey, Theodora Goes Wild
The Auful Truth, Woman Chases Man
Easy Living, Panger-Love At Worla
Nothinq Saered, True Confession

وكل هذه أفلام تدور إما حول عائلة كل أفرادها مجانين أو رجل غير مكاب أو امرأة مطلقة البدوات، أو فكرة لا يمكن أن يبتكرها غير امرئ مخدر الأعصاب مخمور

وموضع الخطر فى هذا الأمر أن هذا النوع من الأفلام هو أكثرها نجاحاً اليوم

ونحن لم نشهد آخر المسرحيات فى أمريكا وأوربا ، ولكن المتتبع للحركة المسرحية فى هذه البلاد يعرف أن هذا الخطر بدأ يدب فى المسرح كذلك ، وأن البيئة الأدبية بدأت تتحول نحو بعض المؤلفين الذين يستطيبون هذا النوع من الكتابة ، ولم يبق هناك أى حرج فى استعمال بعض الاصطلاحات التى اقتضاها هذا التجديد ؛ فكلا المؤلف والناقد يقول :

Hysterical Comedy, Crazy Comedy . أى ملهاة جنونية ، ملهاة هستيرية

وإذا تعذر علينا أن نشهد هذه المسرحيات فإننا نعرف شيئاً عنها مما يحمله البريد . وقد يسهل أحياناً تكوين الفكرة من معرفة العنوان . فمن أسماء بعض هذه المسرحيات التى لقيت نجاحاً عاصفاً فى كلا أمريكا وانجلترا فى السنوات الأخيرة Whoopee . Room Service, Three Men OM A Horse وأخيراً Idiot's Delight, Oh Letty

وتقدم القوم خطوة أخرى فافتتح بعض الأمريكيين أخيراً مسرحاً لتمثيل الروايات المسرحية التاريخية القديمة كروايات شكسبير بالملابس العصرية

أما فى السينما فلا يحوجنا الدليل على صدق مانقول . فاننا نشهد معظم الانتاج العالمى فى السينما . ويمكننا أن نعمل احصاء طريفا فى هذا الموضوع . فشركة كولومبيا تعتبر أولى الشركات تقدما فى ابتكار أنواع الخبل ، وجريجورى لا كافا ، ليوماك كارى ويلى رجلز ، ميتشل ليش ... أبرع المخرجين فى ادارته . أما ممثلوه فكثيرون ، أشهرهم كارول لومبار ، ايرن دن ، جين آرثر ميريام هوبكنز ، بت دافيز . ثم جون باريمور ، شارلز لاوتون ، فردريك مارش ، وليام باول ، روبرت مونجمرى (ويلاحظ أن النساء فى المرتبة الأولى) .

وهناك « فرق » من المخبولين أشهرهم الأخوة ماركس والاخوة ريتز والثلاثة الشموذون مو ، لارى ، جيرى .

هذا غير عشرات من الممثلين الكوميديين الذين لا يكاد يخلو فلم واحد من وجود بعضهم .

وأخيراً لا يسعنا بعد هذا الكلام الطويل إلا أن نرجو ونأمل أن ينتج لنا المسرح والسينما أحسن ما فى هذا العالم ويدعا أسوأ ما فيه

محمد على ناصف

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧

6 me Année, No . 253

Lundi - 9 - 5 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ ربيع أول سنة ١٣٥٧ — ٩ مايو سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

مصطفى صادق الرافعى

بمناسبة ذكراه الأولى



فى مثل هذا اليوم من العام المنصرم سكن لسان وجف قلم وانقطع وحى . وفقد البيان الملهَم والفكر المنير خسارة إنسانية لا يسهل العوض منها ولا العزاء عنها .

والرافعى وأمثاله من عباقرة العلم والأدب والفن والمال ، ثروة من ثَروات الأمم لا تُكتسب بالحيلة ولا بالإرث ، وإنما هى نفثات من روح الله تنسِم على الأنفس المختارة فتجعل طبيعتها بين النور والطين ، ومنزلتها بين السماء والأرض ، ورسالتها رفع الناس إلى الملائكة بالجد ، وتنزيل الملائكة على الناس بالخير . فإذا جاء أجلهم عاد ذلك النور الإلهى إلى مصدره ، وهو أشد مايكون نزوعاً إليه وعلوقاً به ؛ ثم لا ينبثق مرة أخرى

إلا حين يأذن الله لخليقته أن تهتدى ولأرضه أن تصلح

لذلك كان أسى الأمم الذاكرة الشاعرة على نوابغها أسى خالداً يستمر فى ذا كراتها، ويتجدد فى ذ كرياتها، ثم يتردد على عواطفها كلما صبت إلى أمام فلم تجد الهداة، وهفت إلى فوق فلم تجد الأجنحة

على أن النابغ فى أمم الشرق يعيش وكأنه لم يولد، ثم يموت وكأنه لم يعش. ذلك لأن الحياة فيها لا تزال نوعاً من السكر الغليظ يذهل الناس عن الوجود أكثر العمر، فاذا أفاقوا — وقليلاً ما يفيقون — عربد بعضهم على بعض!

كذلك عاش الرافعى ومات! وكذلك يعيش أشباهه ويموتون! وما حيلة الزهرة الفواحة إذا أنبتها القدر القاهر فى قفار الأرض بين سَفْي الرمال ولفح السمائم؟

* * *

رحم الله الرافعى لقد كان فى الكتابة طريقةً وحده! وحسب الكاتب مزية ألا يكون لأسلوبه ضريع فى الأدب كله. فاذا قيل لك إن الرافعى قديم الأسلوب فى التفكير والتعبير فاحمل ذلك على الحسد الذى لا حيلة فيه، أو على الجهل الذى لا حكم معه. وتستطيع أن تتحدى من تشاء أن يدلك على كاتب يترسمُ الرافعيُّ مواقع قلمه أو قدمه. إنما هى شنشنة من ضعاف المَلَكة وقاصرى الأداة، يرمون من يجيد لغته بالتخلف، ومن يتعهد كلامه بالتكلف، ومن يؤثر أدبه بالمحافظة

أسلوب الرافعى يمتاز بالسلامة والسلاسة والإيجاز والعمق. وهذه المزايا نتائج حتمية لاكتمال عدته وغزارة مادته وصفاء ذوقه وذكاء فهمه. وأشد ما يروعك منه قوة الفن وحركة الذهن. فأما قوة الفن فهى الأستاذية التى تخلق المادة، وتصنع القالب، وتضع اللفظ، وتحدد الرسوم، وتوضح الفروق، وتتصرف بمفردات اللغة تصرف المصور البارع بألوان الطيف، وتخيِّل إليك أن الصناعة طبع والمعاناة سليقة. وأما حركة الذهن فهى حركة الغواص الدائب لا يقف عند السطح، ولا يستقر على القاع، وإنما يضرب بيديه القويتين فى أغوار البحر، وقد انقطع عن شواغل الناس بالعين والأذن. على أنها حركة الروية لا حركة العبقرية؛ فمعانيه تقطر ولا تفيض، ولكنها على طول الرشح واعتصار القريحة تصبح منهلا طامي الجوانب صافى المورد

كان يحمل الفكرة فى ذهنه أياماً يعاودها فى خلالها الساعة بعد الساعة بالتقليب والتنقيب والملاحظة والتأمل، حتى تتشعب فى خياله وتتكاثر فى خاطره؛ ويلوح هو لكثرة النظر والإجالة قد سما فى فهمها على الذكاء المألوف. فإذا أراد أن يعطيها الصورة ويكسوها اللفظ، جلاها على الوضع الماثل فى ذهنه، وأداها بالإيجاز الغالب على فنه، فتأتى فى بعض المواضع غامضة ملتوية وهو يحسبها واضحة فى نفسك وضوحها فى نفسه. وذلك عيب المروِّين من صاغة الكلام وراضة الحكمة، كابن المقفع والمتنبى، وبسكال وبول فاليرى. ومنشأ ذلك العيب فيهم أنهم يطيلون النظر ويديمون الفكر ويعمقون البحث حتى تنقطع الصلة بين عقولهم وعقل القارىء، وتتسع المسافة بين معانيهم وألفاظ اللغة، فيكتبون وأفهامهم سابقة سبوق الروح، وأقلامهم متخلفة تخلف الجسم. ويزيد فى هذا الغموض أن سعة العقل فى النوابغ تستلزم ضيق اللسان. فلا ترى الفضول والثرثرة والرغوة والغثاء إلا حيث يضحَل الذهن ويقصر النظر وتنزر المادة. والرافعى كان يقتصد فى أسلوبه، لأنه ينفق عليه من جهده ومن ذوقه ومن فنه ما يجعله أشبه بومضات الروح ونبضات القلب ونفحات العافية. فهو يفصل اللفظ على قدر المعنى تفصيل (المودة) الفاشية اليوم؛ يقصُر ولا يطول، ويضيق ولا يتسع، ولكنه على ضيقه وقصره يظهر الجسم الجميل على أتم ما يكون حسناً وأناقة

وهو بعد ذلك أسلوب جيد التقسيم سليم المنطق، إلا أنه بعيد الإشارة يستسر جماله على القارىء العجلان والفهم البطىء. فإذا روَّى فيه الناقد المتذوق انكشف له فى كل كلمة سر، وطالعته فى كل فقرة آية. ولعل النفس الشاعرة لا تجد فيه من أنوثة العاطفة ما تجده النفس المنطقية من فحولة الفكرة. ومرجع ذلك فى الرافعى غلبة الفكر على الشعور، وسطوة الفن على الطبيعة...

(للكلام بقية) **احمد حسن الزيات**

البحث عن غد

للأستاذ عباس محمود العقاد

— ٣ —

كان مستر « روم لاندو » على صواب فى اهتمامه بالناحية الروحية من حياة الشرق الأدنى فى العصر الحاضر ؛ وقد أحسن تعليل هذا الاهتمام حين قال فى مقدمة كتابه : إن الشرق الأدنى هو الذى رسم للعالم الإنسانى مجراه فى طريق الحضارة والتهذيب . فلو خلت الدنيا من ثلاث « قارات » كاملة لما تغيرت ثقافتها الروحية إلا قليلاً ، ولكنها لو خلت من أمم البقاع المحصورة بين البحر الأبيض والبحر الأحمر والخليج الفارسى ، لكانت أديانها غير هذه الأديان ، وآدابها غير هذه الآداب ، وثقافتها غير هذه الثقافة ، ومعانى الحياة والمثل العليا فيها غير ما نعلمه من معانيها ومثلها العليا فى عصرنا الحديث

قال : « نعم حدث فى القرن الخامس عشر بعد كشف أمريكا وإخراج العرب من الأندلس أن المحور قد تحول نحو الأقطار الغربية ، ولكن الأمر لم يحتج إلى أكثر من ثلثمائة سنة لاتجاه « الرقاص » إلى الشرق من جديد . وجاءت حملة نابليون المصرية وما وراءها من آماله فى الهند وما نجم عنها من كشف الحضارة المصرية التى طال العهد بنسيانها فأنشأت عهداً جديداً له شأنه وخطره فى بلاد الشرق الأدنى »

ونحن الشرقيين يحق لنا أن نغتبط بما لبلادنا من الشأن الحاضر أو المنظور فى حياة العالم الروحية ، ولكننا خلقاء ألا ننظر إلى الأمور بالعين التى ينظر بها الغربيون ، فإنهم يبالغون ولا ريب فى استضعاف شأن الحياة الروحية كما يرونها فى أنحاء أوربا وأمريكا ، لأنهم سئموها وعالجوا أكاذيبها ومواطن القصور منها ، فكان استضعافهم إياها داعياً إلى التحول بالرجاء إلى غيرها ، وكان من جراء ذلك هذا الاقبال على مسائل الشرق الأدنى ولا سيما المسائل الروحية . وقد وجد بينهم أناس تحولوا إلى الشرق الأقصى والهند خاصة لتعليل أنفسهم بشىء من الرجاء وشىء من الثقة واليقين ، فهى حيرة تهديهم تارة إلى هنا وتارة إلى هناك .

ولا ينبغى لنا أن نجعل هذه الحيرة مقياسنا ومعيارنا فى تقويم ما لنا من قيمة ، وعرفان ما لنا من وزن وأمد . ونعتقد نحن خلافاً لما يعتقده بعض الأدباء الأوربيين أن البلاد الغربية ليست من النضوب الروحى بالحال التى يتخيلونها ، وليست من الركون إلى المادة والضرورات العملية بالموضع الذى يضعونها فيه . وينفعنا نحن الشرقيين أن نذكر ذلك لأننا محتاجون إلى بقية باقية فى الغرب من زاد الروح والذهن والخيال ، فإذا اعتقدنا فى الغرب النضوب والاقفار فلا ربح فى ذلك لنا بل فيه الخسارة والفوات لا جدال

لنا أن نعرف قيمتنا ، ولكن ليس لنا أن نجهل قيمة غيرنا . ومن الحسن أن نحيط بما يكتبه الأجانب عنا لأنهم يرون ما يخفى علينا أحياناً من أحوالنا وخطواتنا لفرط الألفة وتكرار النظر بغير انقطاع ، كما يعرف المسافر العائد إلى أبنائه كم طالوا وكم كبروا وهم لا يلتفتون إلى ذلك . ولكن المرجع إلينا آخر الأمر فى الشعور بحقيقتنا ، والنفاذ إلى سريرتنا ، والمقابلة بين أمسنا وغدنا . ولا ضير فى قليل من الثقة — بل قليل من الغرور — يزيد على القدار ، فإن المبالغة فى الثقة خير من المبالغة فى فقدها على كل حال

* * *

وصاحب كتاب « البحث عن غد » رجل يشعر بالإسلام والشرق الأدنى شعور المودة والترفق ، ولا يتعصب عليهما أو يتعصب لأعدائهما . فهو من ثم غير متهم فى مقاصده ونياته ، وغير بعيد عن أسباب الفهم الصحيح والحكم العادل ، ولكنه ينشد الحقيقة على طريقته العاجلة التى يتسع لها وقته فى رحلاته الكثيرة ، فهو أقرب إلى الأنباء الصحفية منه إلى المباحث العقلية والدروس العلمية أو الفلسفية . وهكذا ينبغى أن نتلقى آراءه وأحكامه ، وننظر إلى أغراضه ومناحيه

قصد البحث عن حياتنا الروحية فماذا صنع ؟ ذهب إلى السفارة المصرية فى العاصمة الانجليزية وتسلم منها كتب التوصية المعهودة وأسماء الأفراد المعهودين !! ولو قيل للمستر « روم لاندو » إن مصرياً أراد البحث فى حياة انجلترا الروحية فذهب إلى السفارة البريطانية ليسألها عن وجهات الفكر والروح فى بلادها لابتسم وأدرك نتيجة البحث لأول وهلة ، ولكنه رجل صحفى أو شبيه بالصحفيين ، فهذه أقرب الوسائل إلى إنجاز عمله وجمع المادة اللازمة

لتأليفه . وكذلك كان فى كتبه السابقة حينما تناول الأقطاب الروحيين القيمين فى باريس أو لندن أو نيويورك : سبيله إليهم كسبيل الصحفيين إلى المحادثات وجمع المعلومات

لو ذهب مصرى إلى السفارة البريطانية يسألها عن رجال الفكر والروح والخيال من الانجليز لما ذكرت له اسم لورنس أو اسم موجهام ، ولعلها لاتذكر له حتى اسم برناردشو ومن إليه من الأدباء الذين لايلزمون التقاليد ولايدخلون فى السجلات الرسمية . وهى لاتهمل ذكرهم لأنها تجهلهم أو تستخف بأثرهم بين قرائهم ، ولكنها تهملهم لأن وظيفتها توجب عليها أن تلتزم التقاليد ولاتعترف بماوراءها من وجهات الأفكار ومذاهب الضمائر

ومن المعقول أن تسأل السفارة أو وزارة الخارجية فى إنجاز عمل أو الارشاد إلى من ينجزه ويتولى تسهيله . أما الارشاد إلى نزعات الفكر والروح ، فالسفارات والوزارات لاتتولاه وإن عرفت طريقه ، لأنها لاتدل على شىء إلا كان داخلا فى حدود المرسومات المحدودة ، حتى لو ظهر عليه لون من الشذوذ

ولهذا لاعجب أن يتحدث الكاتب عن « قدم المادة » وماقيل عنها فى الجامع الأزهر كأنه فتح جديد فى تفكير المسلمين ، مع أن المسلمين يعرفون مذاهب القائلين بالقدم والحدوث منذ مئات السنين . ومع أن المفكرين المعاصرين لا يحفلون بقدم المادة وحدوثها ولايشغلهم من صفاتها شىء أهم من هذه الصفة التى تجلى عنها البحث فى الاشعاع والتقريب بين المادة والقوة بهذه المثابة حتى أصبحت وكأنها معنى من المعانى وعدد من أعداد الرياضة والحساب

فلو أن « الباحث عن غد » وصل إلى الجامع الأزهر ووجد فيه البحث قائماً على اختلاف هذه الفروض فى كنه المادة لجاز له هذا الدهش الذى أفرط فيه حين علم عما قيل عن قدم المادة من قول صحيح أو غير صحيح . أما الدهش لأمر تكلم فيه المسلمون قبل ألف سنة فماذا فيه من البحث عن غد؟ وماذا فيه من النزوع إلى الجديد ؟

كذلك يغلو الكتاب الأوربيون على هذه الشاكلة فى قياس الحركات الذهنية بما تثيره من الضجيج بين رجال الدين أو بين طلاب المعاهد الدينية . ومن ذلك مثلاً اعتقادهم أن الأستاذ على عبد الرازق قد غير فى قواعد الدين يوم قال إن الخلافة ليست من مراسم الاسلام . وما اعتقدوا هذا الاعتقاد إلاّ لأنهم حسبوا أن الضجة التى أثيرت حول كتابه كان مبعثها التعصب والغيرة على الدين . ولم يعرفوا الحقيقة التى يعرفها معظم المصريين ، وهى أن السياسة لعبت لعبتها فى هذه المعمعة من مبدئها إلى منتهاها . فلو أن الأستاذ على عبد الرازق أعان رأيه قبل بضع مئات من السنين يوم كان الأمراء المصريون يسعون فى إضعاف الخلافة لقوبل كتابه بالترحيب والمكافأة الجزيلة . ولو أن المسألة مسألة قديم وجديد وتغيير فى الأصول الدينية لكان الأولى أن يثير من الغضب يومذاك أضعاف ما أثاره فى عصرنا هذا ، ولكنها مسألة لها موقعها من السياسة ومن مآرب العيش عند بعض الناس فكان من جرائها ما كان

لهذا نقول إن حكم الأوربيين ولا سيما المستشرقين على شؤون مصر وشؤون الشرق العربى كافة أضعف الأحكام وأبعدها عن حساب العوامل الصحيحة والبواعث الخفية ، بل ربما كانت أبعدها عن البواعث الظاهرة فى كثير من الأحيان . وما كتبهم فى هذه الأغراض إلا طائفة من « الكتالوجات » على طراز آخر غير الطراز التجارى أو الطراز السياسى ، ولكنه مثله فى الجوهر وطريقة التحضير

ونخص المستشرقين بالخطأ مع أنهم أحرى أن يقتربوا من الصواب ويرجحوا إخوانهم الأوربيين الآخرين بمعرفة اللغة والاطلاع على التاريخ ، إذ الواقع أن « الاستشراق » قد نشأ قديماً فى بيئة التبشير ولا تزال فيه جذوره ومراميه ؛ وكل ما يعنى المبشرين هو مراسم الدين وتقاليد المساجد والكنائس والعبادات . فاذانشبت مشاجرة فى مسجد أو كنيسة فذلك أدنى إلى ملاحظتهم من اختلاف مقاييس الفكر ودعائم الضمير ، لأنهم هم أنفسهم يعيشون فى هذه البيئة وما يحاذيها من طبقات الأدب وطبقات التفكير ، فهم معرضون لأخطاء أعظم من التى يتعرض لها الأوربيون الجاهلون بلغات الشرق وتواريخه الأدبية ، لأنهم ينظرون مغرضين وفى أعينهم قصر وعلى أعينهم غشاوة لا تميز الحقائق ولا تنفذ إلى ما وراء القشور

وعلى هذا يصح أن نحيط بما يكتبه الأوربيون عنا لنعرف منهم ملاحظاتهم التى تخفيها الألفة والنظر المتكرر إلى المتواتر من أحوالنا ، ولا يصح أن نقوم آراءهم وأحكامهم بأكبر من هذه القيمة أو نسومها بغير هذا السوام

عباس محمود العقاد

تأملات في الأدب والحياة

للأستاذ اسماعيل مظهر

المدنيات وبيئاتها

لكل مدنية من المدنيات بيئات عديدة، ومن هذه البيئات ما هو طبيعى فطرى، ومنها ما هو اكتسابى

أما الطبيعى فكالموقع الجغرافى، وطبيعة الأرض وما يحيط بها من البحار، وما يتخللها من الأنهار، وما يبرز فوقها من الجبال، وما ينبسط فيها من السهول، وما ينزل بها من المطر، وما يهب عليها من الرياح، وما ينبت فى الأرض من الأشجار، وما يتخلل جوها من الرطوبة، وما يذيع فيه من حرارة أو برودة. وأما الاكتسابى فكالمعتقدات العامة والشرائع الموروثة والأديان والعادات وطبيعة الحكم وصفة الحكومة وأخلاق الطبقة الحاكمة إلى غير ذلك

أما البيئة الطبيعية فقلما تتغير؛ وإن تغيرت فان تغيرها لا يتناول الجوهر الثابت، وإنما يتناول العرض، فازدياد هبوب الرياح أو قلة الأمطار أو تغير الطقس من جفاف إلى رطوبة؛ أو من حرارة إلى اعتدال، قد يؤثر فى الأمزجة بعض الشيء؛ ولكن الأثر لا يتناول الطبع الثابت فى الأنفس بما يغير من طابع مدنية أصيل فى الجبلة. ذلك على العكس من البيئة المكتسبة، فان زوال معتقد من المعتقدات، أو انهيار دين من الأديان، أو شريعة من الشرائع، أو عادة من العادات، وحلول غيرها محلها، قد يلبس مدنية من المدنيات ثوباً جديداً ويدمغها بميسم له سمات خاصة. على أن هذه السمات قد تتكيف بما يلائم وحى البيئة الطبيعية، غير أنه يكون مختلفاً عن السمات التى تتسم بها المدنية فى ظل معتقدات أو أديان أو شرائع انهارت وقامت أخرى على آثارها

على هذا نستطيع أن نقضى بأن انحلال المدنيات إنما يتناول بيئاتها المكتسبة، لأن انحلال بيئاتها الطبيعية مستحيل تقريباً. أما السبب فى أن تظل شعوب أزماناً طويلة فى ركود بعد انحلال طور من أطوارها المدنية، فيرجع فى الغالب إلى انعدام المنبهات التى تبعث فى الأنفس حب المجد والعظمة وعلو الذكر والسيادة العالية. وهذه صفات إن انحلت بانحلال وجه من وجوه المدنية فان بعثها يكون رهن ظروف لا يمكن التكهن بها

التفكير المستقل

« أرثر شوبنهور » فيلسوف ألمانى ولد بمدينة دنتزج سنة ١٧٨٨، وتوفى سنة ١٨٦٠. ولقد كتب مؤلفات أشهرها وأعمقها كتابه « العالم إرادة وفكر » ولقد نال هذا الفيلسوف شهرته فى مصر خاصة والشرق عامة بنظريته فى القوة ونظريته فى المرأة، إذ نزع إلى أفكار وتأملات ألبسته فى الأذهان ثوباً من التطرف كانت له جدته وطرافته فى عصر كنا فيه مقيدين بقيود تخلصنا من أكثرها فى عصرنا هذا. غير أن لهذا الفيلسوف الفذ تأملات فى الحياة والفكر قلما عرفنا منها شيئاً. ومن أطرف ما خص بتأملات هذا الفيلسوف من نواحى الحياة ناحية الفكر المستقل، أو التفكير المستقل الذى يكون خالصاً لك من التأثر بأفكار الغير ونظرياتهم. ونقتطف هنا لقراء الرسالة فقرات من مقاله فى هذا الموضوع وهو من أمتع ما كتب شوبنهور قال:

« كما أن أغني خزائن الكتب وأحفلها بالمؤلفات لا تكون مفيدة — إذا لم ترتب — فائدة أخرى قليلة العدد حسنة الترتيب. كذلك الحال فى ما تحصل بالدرس من المعلومات، فإنها مهما غزرت وكثرت لا تفيدك إن أنت لم تصقلها بفكرك الخاص فائدة معلومات قليلة تعهدتها بالصقل والتأمل الطويل فيها. لأنك بالتأليف بين معلوماتك، ومقارنة كل الحقائق التى تقع لك مقارنة تفكير وعمق، إنما تستطيع أن تهضم المعارف التى تحصل عليها فتصبح ملكاً لك وطوع قوتك. فإن الإنسان ينبغي له أن يدرس. ولكن ما يدرسه لا يصبح ملكاً خالصاً له إلا إذا فكر فيه وأطال التأمل له »

« إن الفرق بين الأثر الذى يحدثه التفكير الذاتى، والأثر الذي تحدثه القراءة فى الفكر، كبير جهد الكبر. ذلك بأن التفكير الذاتى وحده هو الذي له القدرة على أن يمد آفاق الفكر في نواح مختلفة تزيد فى قوة الابتكار في الذهن حتى يتسنى له أن يختار حراً طليقاً أى طريق يسلك، وينظر فى أى جهة يختار »

« إن القراءة تفرض على الذهن أفكاراً ، هى بذاتها غريبة متنافرة بعيدة عن المتّجه والمنحى الأصيل لفكر القارئ ؛ فيكون مثلها كمثل الخاتم أن يطبع الشمع بنقوشه الخاصة . وإن لذلك على العقل من الأثر ما يعادل أثر الأشياء الخارجية على الأجسام، فيظل العقل مضطراً إلى التفكير فى هذا ساعة وفى ذاك أخرى ، من غير أن يكون له رغبة فى الاكباب على التفكير فى كليهما أو القدرة على استيعابهما . أما إذا مضى العقل يفكر لذاته فإنه إنما ينساق إلى التفكير فى أشياء تفرضها عليه السليقة وتدعوه إليها الفطرة . وإنّ لى أن أقول إن كثرة القراءة تجرد العقل من مرونته . ومثلها فى ذلك كمثل الثقل التّارز الشديد إذا وضع على فُوَّهة نبع فائض ، فإنه يثقله ويعيق جريانه . وعندى أن أقوى الوسائل التى تصد الفكر عن الوصول إلى الأفكار المبتكرة هى أن تلجأ إلى كتاب تقرأ فيه كلما أردت أن تنفق وقتاً أو تقطع مرحلة من فراغك . وهذا هو السبب فى أنّ كثيراً من حملة الشهادات العليا يكون عادة أقل ذكاء وأكثر بلادة مما هم إذا تركوا على الفطرة »

« كرستوفر مارلو » وكتاب فوست

هو من كبار كتاب الدرامة من الانجليز ، وهو من المتقدمين على شكسبير . ولد فى سنة ١٥٦٣ ، أو سنة ١٥٦٤ ، ودرس فى كمبردج ثم هبط لندن واستقر بها . وله كثير من المؤلفات أهمها كتاب « فوست » الذي نسج على منواله جوته الألمانى . ولعل كثيراً من القراء لا يعرفون أن لهذا المؤلف الانجليزى خطر السبق فى صياغة تلك الدرامة العظمى التى خلدت اسم جوته فى التاريخ ، وغشت على اسم مارلو بسحابة من النسيان . وننقل هنا قطعاً مما كتب « مارلو » عسى أن ينتبه بعض الأدباء إلى دراسة ذلك الرأى الأدبى الجليل :

فوست فى حجرة درسه :

فوست — والآن ، أمن المحتوم أن تحل على فوست اللعنة ، وألا يكون من الناجين ؟ ما الذى يحملنى إذن على أن أفكر فى الله والسماء ؟ ألا بعداً لمثل هذه التخيلات الدنية ، ومرحباً باليأس ، باليأس من الله ، والثقة فى بعل لا تتقهقر ، بل تشدد يافوست وكن قوىّ الارادة . لماذا تضطرب ؟ هاهو ذا شىء يرن فى أذنى صداه . « أقلع عن هذا السحر وارجع إلى الله ثانية » ، أيرجع فوست إلى الله مرة أخرى ؟ إلى الله ! إنه لا يحبك . إن الله الذي ينبغي أن تخدم وتعبد ، إنما هو شهوتك الذاتية ، إذ فيها قد انغرس حب بعل وتأصل . وله سوف أشيد مذبحاً وكنيسة ، وأقرب له دم الأطفال فائراً حاراً

يدخل مَلَكان : مَلَك الخير ، وملك الشر

ملك الخير — فوست ! أقلع عن هذه المهنة الساقطة .

فوست — الندم . الصلاة . التوبة . ماعندك منها ؟

ملك الخير — نعم : إنها الأسباب التى تأخذ بيدك إلى السماء .

ملك الشر — إنما الأوهام ، وثمرات الجنة والمسّ ، هى التى تخلط العقل ، وتجعله أجنح إلي التصديق بها ، والاعتقاد فيها

ملك الخير — فوست ! فكر فى السماء ، وفى أشياء السّماء .

ملك الشر — كلا يافوست ! بل فكّر فى العزة والمال .

يخرج الملكان

فوست — فى المال ! لِمَ ذَا ؟ ان ضيعة إمْبِيدِن ستصبح ملكاً لى . ما الذى سيكون فى مستطاع الله أن يفعل بى إذا ما أيّدنى مفستوفيليس وأخذ بيدى ؟ إنك ناج يافوست . لا تكثر من شكوكك . تعالَ . تعالَ يامفستوفيليس ، وقص على أخبارك السارة عن إبليس العظيم . إن الليل لم ينتصف بعد . تعال . تعال يا مفستوفيليس !

يدخل مفستوفيليس

والآن خبرنى ، ما الذى يقوله سيدك إبليس ؟

مفستوفيليس — قال إنى سأكون فى خدمة يا فوست طوال حياته ، على أن يشترى خدمتى له بثمن هو روحه .

فوست — إن فوست قد جازف فعلاً بهذا وبذلك

مفستوفيليس — ولكن تذكر يافوست أنك لابد من أن تهب روحك مخلصاً ، وأن تكتب بالهبة صكاً يكون مداده من دمك ، فان هذا الضمان يطلبه إبليس العظيم . أما إذا رفضت فسوف أعود إلى جهنم .

فوست — تأنَّ يامفستوفيليس وخبرنى : أى خير يستمد سيدك من روحى ؟

مفستوفيليس — يزيد بها ملكوته .

فوست — أهذا هو السبب فى أن يبلونا ويمتحننا كما يفعل ؟

مفستوفيليس — دعك من هذا وخبرنى هل أنال روحك لأكون لك عبداً وأقف على خدمتك وأضفى عليك من المطايا أكثر مما يصل إليه خيالك ؟

فوست — نعم . سأهبك إياها .

مفستوفيليس — إذن اطعن ذراعك بشجاعة ، وقيد روحك واعترف بأن من حق إبليس العظيم أن يستحوذ عليها يوماً مّا لتكون له . وهنالك ستكون عظيما كإبليس نفسه .

فوست — (يطعن ذراعه) مفستوفيليس ! حباً لك أقطع ذراعى ، وبدمى الصميم أسجل أن روحى أصبح ملكاً لإبليس العظيم ، المَـلَك الأكبر المهيمن على دار الظلام المستديم . أنظر ! ها هو ذا الدم الذى يقطر من ذراعى ، لعل فيه كفاء لغرَضى

مفستوفيليس — إنما هو لزام عليك أن تكتب به صك هبة

فوست — نعم . سأفعل . (ويكتب) غير أن دمى يَتَخثّر سريعاً ، ولا أقدر أن أكتب به أزيد مما كتبت

مفستوفيليس — سأحضر لك قبساً من نار يحلله ويجعله صالحاً (ويخرج)

فوست — أى شىء ينذر به تخثّر دمى ووقوفه عن الاندفاق ؟ أينذر بأنه لا يريد أن يكون مداداً لكتابة هذا الصك ؟ لِمَ لا يعود إلى الجريان والتدفق حتى أقدر على تحرير الصك به ؟ « إن فوست يهبك روحه » : آه . عند هذا وقف دمى . ولكن لماذا لا تمقل يا فوست ؟ أليس روحك ملكاً لك ؟ إذن فاكتب ثانية — « إن فوست يهبك روحه »

(يدخل مفستوفيليس حاملاً جمرات ملتهبة)

مفستوفيليس — فوست ! هذه نار . تقدم وضعْها على الدم

فوست — لقد أخذ الدم يصفو مرة أخرى . وإذن ينبغى لى أن أتم الأمرَ سريعاً (ويمضى فى الكتابة)

مفستوفيليس — (مبتعداً) لم أتق من حيلة إلا أخذت بها لأنال روحه

فوست — لقد انتهى الصك ، ووهب فوست روحه لإبليس العظيم . ولكن أى أثر ذاك الذي انطبع على ذراعى ؟ أين أطير ؟ أين أذهب ؟ أإلى الله ! إنه سوف يلقى بى فى جهنم ؟ لقد غشتنى حوامى . ليس من شىء على ذراعى . ذلك ظاهر . لقد كان هنالك شىء مكتوب على ذراعى . أين أطير ؟ أين أذهب ؟

مفستوفيليس — سأبحث عن شىء يهدئ روحه ويرضى عقله . (يبتعد ثم يخرج)

* * *

هذه قطعة مما كتب « مارلو » الأديب الإنجليزى . ولا شك عندى أن فى خياله وسياقه لشبهاً بما كتب « جوته » . وأن مقابلة أدبية بين ما كتب الأديب الإنجليزى والخالد الألمانى ، لموضماً للدرس ومجالاً لخلق صورة من الأدب حديثة

اسماعيل مظهر

باقة من الفلسفة الإسلامية

الفيلسوف ابن مسكويه

وكتابه تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق

للأستاذ محمد حسن ظاظا

« ولا ينبغى على أية حال أن نشكر له فقط محاولته إقامة نظام خلقى بعيد عن نزعات الدينيين وزهد المتصوفة ، بل ينبغى كذلك أن نسجل له ، فى الرسم الذى وضعه ، الذوق السليم والثقافة الواسعة » (دى بوير)

نعرض اليوم بإيجاز لفيلسوف إسلامى أخرج للناس دستوراً إيجابياً أخلاقياً طريفاً قوامه المنطق الصحيح والذوق السليم ، بحيث لو تبعوه فى حياتهم لنالوا به السعادة الحق دنيا وأخرى . ونعنى به الفيلسوف « أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه » صاحب « كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » ، وهو الكتاب المعروف الذى نصح الإمام « محمد عبده » بتدريسه فى الأزهر إلى جانب الإحياء للغزالى ، والذى قام المرحوم « على باشا رفاعة » بنشره وتبويبه ، والذى شرع الزعيم الخالد « سعد زغلول » فى اختصاره والتعليق عليه دون أن يتمه

١ – عصره

عاش ابن مسكويه فى العصر العباسى الثالث أى فى العصر الذى يمتاز بشدة ضعف الخلافة العباسية وبقيام دويلات لا يعترف أكثرها للخليفة بغير السلطة الاسمية . ويهمنا من هذه الدويلات الدولة البويهية (٣٢٠–٤٤٧ هـ) لأن ابن مسكويه عاش ومات فى كنفها . وكانت هذه الدولة مظهراً قوياً للنشاط الفارسى الذى كان يرمى إلى الانفصال عن حكم العباسيين واستعادة مجد الفرس القديم . وكان ملوكها يحبون العلم والأدب ولا يستوزرون أو يستكتبون إلا عظماء الأدباء كالمهلبي وابن العميد وابن عباد وغيرهم . وكانت مجالسهم أبداً حافلة بكبار الشعراء والعلماء والفلاسفة ومن على شاكلتهم . لذلك لا عجب أن يمتاز هذا العصر بنضج العلم ، وتكوين المعاجم اللغوية ، واستقرار الانشاء على أسلوب مثالى . ولا عجب أن تنمو الفلسفة وتزهر ، وتستقر قواعد الطبيعيات والطب ، ويتسع خيال الشعراء ، ويظهر الشعر الفلسفى ، وينمو فن التاريخ والجغرافيا ، ويظهر النقد الأدبى ، وتؤلف القصص المجازية ، وتنتشر المكاتب حاوية لألوف المخطوطات[1] » أجل ولا عجب أن يظهر أمثال ابن سينا وابن مسكويه والهمذانى والخوارزمي ، والمتنبى وأبى فراس والأصفهانى والقالى والثعالبى والتوحيدى والصابى والشريف الرضى والتنوخى والطبري

على أن الحالة الخلقية لذلك العصر لم تك لتساير الحالة العلمية رقياً ونجاحاً . ويلوح ذلك فى ميكيافيلية السياسة وعبث الكبراء والعظماء على السواء . وما بالك بحكم قاس عنيف يصلب ويشمل ويبتر ويستمع للوشايات والدناءات ، وتمتد يد بطشه وغدره إلى الوزراء والأمراء والسلاطين القريب منهم والبعيد ؟ وما بالك بعظماء وكبراء يقول « الثعالبى » فى أحد مجالس لهوهم : « أنهم أخذوا بفن من الانخلاع عجيب ، وبطريق من الاسترسال رحيب ! ؟ » ويقول فى مجلس آخر :

فكان الذى لولا الحياء أذعته ولا خير فى عيش الفتى إن تسترا !

وفى مجلس ثالث :

« ولم نزل نشرب الراح إلى أن باح الصبح بسره ، وقام كل منا يتعثر فى سكره[2] ! ؟ »

٢ – حياته

وعسير جداً أن تتلمس حياة ابن مسكويه فيما ترك من كتب أو فيما ذكر عنه الكتاب والمؤرخون . وكل ما قد استطعنا كشفه من المؤلفات والتراجم العديدة التى اطلعنا عليها هو أنه ولد حوالى عام ٣٣٠ هـ ومات فى ٩ صفر سنة ٤٢١ هـ (١٦ فبراير سنة ١٠٣٠ م) ، وكان مولده « بالرى » فى أسرة فارسية[3]

---

(١) انظر تاريخ آداب اللغة العربية للمرحوم جورجى زيدان

(٢) ويروي صاحب شذرات الذهب أن الوزير المهلبي المتوفى سنة ٣٥٢هـ كان يجتمع عنده القضاة والفقهاء ليلتين فى الأسبوع ، وما فيهم إلا أبيض اللحية طويلها ، فاذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه خلعوا ثوب الوقار ، ووضع فى يد كل واحد منهم طاس من ذهب مملوء شراباً قطربلياً ، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تشرب أكثره ، ثم يرش بعضهم بعضاً ويرقصون بأجمعهم ! – (ص٣٦٣ ج٢) – (أما أقوال الثعالبي الآنفة فباليتيمة)

(٣) ومعنى مسكويه بالفارسية « رائحة المسك » كما أن معنى سيبويه « رائحة التفاح »

شريفة . وسرعان ما يترك والده أمه فيبقى هو راعياً لها حتى تتزوج بغير أبيه فيتركها وينزح إلى بغداد شاباً . وهناك يتصل بالوزير « المهلبي » حوالى سنة ٣٤٨ هـ ويدخل فى خدمته ككاتم لسره ، ويبقى إلى جانبه ينادمه ويسامره حتى عام ٣٥٢ هـ وهو عام وفاة الوزير ؛ ومن ثم يعود إلى الرى حيث يلتحق بخزانة الوزير العظيم « ابن العميد » وينال ثقته ومحبته وصداقته ، ويبقى معه حتى عام سنة ٣٦٠ هـ لينتقل بعد وفاته إلى خدمة ولده الوزير « أبى الفتح » . وقد بقى فى خدمة هذا الشاب حتى تنكر له الدهر ودخل الوزير السجن سنة ٣٦٦ هـ . ثم التحق بعدئذ بخدمة الملك الظافر « عضد الدولة » الذى استولى على بغداد وغدر بسلطانها عز الدولة أشنع غدر ، كما التحق بعده بخدمة صمصام الدولة وشرفها حتى عام ٣٧٩ هـ ، وهو العام الذى دخل فيه فى خدمة « بهاء الدولة » واختص به وعظم قدره عنده . وهكذا انتقل ابن مسكويه من خدمة وزير إلى سلطان حتى هرم وشعر بدنو الموت ، فانتقل كما يقول صاحب « روضات الجنان » إلى « أصبهان » حيث مات عام ٤٢١ هـ ، وحيث دفن فى « محلة خاضو » بقبر مشهور معروف ...

٣ — ثقافته وأمهاتبانه

وقد تثقف ثقافة أدبية واسعة ، ونهل من مجالس العلم ومكتباته ، وعنى عناية خاصة بالأخلاق فدرس حكمها عند الفرس والعرب والهنود والروم ، وجمع ما راقه من هذه الحكم وأخرجه فى كتاب لايزال مخطوطاً . هذا إلى أنه قرأ ما قد خلفه أرسطو وأفلاطون وجالينوس فى هذه الناحية ومحصه تمحيصاً . وكأنما دفعته تربيته العائلية السليمة ، وقلبه الكبير الحى ، وتجربته الأليمة فى مجالس السلاطين والوزراء ، إلى إنقاذ عصره والعصور التى تليه من السياسة الخرقاء والأخلاق المتلة ، فراح يقرأ فى الأخلاق ويؤلف ، ويخرج للناس كتباً فيها من المنطق الصحيح ما يهديهم إلى « كالهم الإنسانى » ، ويأخذ بيدهم إلى طريق الفضائل والعلوم لتتم لهم السعادة التى ينشدونها عبثاً فى تلك الخيرات الوهمية الخارجية ، خيرات « الكون والفساد » . وقد تجلت هذه النزعة فيما ترك من عهد عاهد فيه نفسه « أن يجاهدها ويتفقد أمرها ما استطاع ، فيعف وتشجع ويحكم ، ويقتصد فى مآرب بدنه حتى لا يحمله السرف على ما يضر جسمه أو يهتك مروءته ، ويحارب دواعى نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب فى غير موضعه ، ويستبصر فى اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شىء من العلوم والمعارف الصالحة ، ليصلح أولاً نفسه ويهذبها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التى هى العدالة[1] ... الخ » .. أقول تجلت هذه النزعة فى ذلك العهد الطريف ، وتجلت كذلك فى كتابه التاريخى المعروف « تجارب الأمم وعواقب الهمم » وهو الكتاب الذى فضح فيه بجرأة وصراحة الكثير من رذائل السلاطين الذين خدم أولادهم وأحفادهم[2] كما تجلت على الخصوص فى كتابه العظيم الذى نحدثك عنه الآن :

٤ — كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق

ويعتبر هذا الكتاب أهم كتبه الأخلاقية وأطرفها وأكملها[3] ونظراً لأن ابن مسكويه كان أديباً شاعراً يحذق العربية والفارسية على السواء ، فإن أسلوبه فيه يمتاز بالسلاسة والرقة والعذوبة على غير عادة الفلاسفة الاسلاميين . وقد أعجب « الطوسى » به كل الاعجاب فترجمه إلى الفارسية وقال عنه :

بنفسى كتاب حاز كل فضيلة ... وصار لتكميل البرية ضامنا
مؤلفه قد أبرز الحق خالصاً ... بتأليفه من بعد ما كان كامنا
ووسمه باسم الطهارة قاضيا ... به حق معناه ولم يك مائنا
لقد بذل المجهود لله دره ... فما كان فى نصح الخلائق خائنا

والكتاب بعد هذا ست مقالات تدور كما قلنا حول الأخلاق الايجابية للانسان ، أى الأخلاق التى تليق به من حيث هو حيوان ناطق . ولذلك تراه يفرق فى المقالة الأولى بين النفس

---

(١) أنظر الارشاد لياقوت ، والمقابسات للسندوبى

(٢) وقد أعجب المستشرقون بذلك الكتاب وبدقته العلمية فطبعته لجنة جيب التذكارية ، ومجده الأستاذ « مرجليوث » فى مقدمة لكتابه الانجليزى (سقوط الخلافة العباسية) وفى كتابه « محاضرات فى مؤرخى العرب »

(٣) وله غير هذا الكتاب كتاب « جاويدان خرد » أى — العقل الأزلى — جمع فيه آداب العرب والفرس والهنود والروم وجعله مصداقاً لقوانين الخلقية التى ذكرها فى « التهذيب » ، وله كذلك رسالة صغيرة فى السعادة كتبها لصديقه ابن العميد لا تخرج فى معناها عما فى التهذيب ، وكتاب ثالث يسمى « بالفوز الأصغر » ويعتبر أساساً لفلسفته الخلقية وإيمانه الدينى العميق . وهذان الأخيران مطبوعان . أما الأول فما يزال مخطوطاً بمكتب أوربا ولاسيما مكتبة باريس الأهلية

والجسد تفريقاً يثبت به روحانية الأولى وخلودها واحتياج قواها المختلفة إلى كمال خاص يتفق وما فيها من عقل مسيطر وفكر مقدس . ووراء يتناول في الثانية خلق الانسان وقابليته للتغير والتهذيب ومدى أثر المعرفة في العمل الخلقي ، ويتأدى من ذلك إلى « المنزلة الرفيعة » الجديرة بالانسان وماذا عسى أن يعوقنا عنها . أما المقالة الثالثة فلا تتناول غير موضوع السعادة بالبسط والمناقشة والعرض . وأما المقالة الرابعة فتحدد الأعمال الخلقية وتميزها عن غيرها وتنتهي بنا إلى المقالة الخامسة التي يبسط فيها أنواع المحبة بوجه عام ومحبة الصديق على الخصوص . وأخيراً تأتي المقالة السادسة لتبين لنا طريق حفظ الصحة على النفس ومعالجتها إذا مرضت

ويطول بنا المقام إذا أردنا أن نبين وجه الطرافة والجمال والاتساق في هذه المقالات البعيدة في منهجها عن منهج الدينيين — (كالبصري في كتاب أدب الدنيا والدين [1]) — ، والمعتمدة في طريقتها على الاستقراء العلمي الدقيق الذي « يكاد » ينطق بالتطور ، والذي يرسل البصر في الكون كله ويحدد للإنسان ماهيته وعمله فيه !

أما مصادره في ذلك الكتاب فهي تلك الثقافة الخلقية الواسعة التي استمدها من الأمم الأربع ، والتي يلوح فيها القرآن متفقا مع أرسطو وإفلاطون وجالينوس وغيرهم من حكماء اليونان على الخصوص .

وإذا حاولنا أن نعقد مقارنة بين هذا الكتاب وبين كتاب أرسطو « إلى نيكوماخوس » : وجدنا ابن مسكويه يبز المعلم الأول أحيانا في الوضوح والانسجام ، ويتفوق عليه في فصول خاصة كفصل الصداقة والصديق ، ويزيد على فصوله فصولا أخرى جوهرية كفصلي « دفع الأحزان » و « حفظ الصحة على النفس السليمة » ! !

لذلك ننصح القارىء العزيز بقراءة هذا الكتاب مرة ومرة ومرة ، ويجعله دستورا له في حياته كإنسان يرنو إلى السعادة الحق دنيا وأخرى » ونختم هذا التعريف الموجز بقول ابن مسكويه لابن العميد :

لايعجبنك حسن القصر تنزله
فضيلة الشمس ليست في منازلها
لوزيدت الشمس في أبراجها مائة
مازاد ذلك شيئاً في فضائلها

أو بقوله لعميد الملك :

فانظر إلى سير القوم الذين مضوا
والحظ كتابتهم من باطن الكتب
تجد تفاوتهم في الفضل مختلفاً
وإن تقاربت الأحوال في النسب
هذا كتاج على رأس يعظمه
وذاك كالشمَّر الجافي على الذنب [1] ! !

محمد حسن ظاظا
مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

(١) انظر على الخصوص كلامه في دفع الغم والحزن ووجوب عدم الخوف من الموت ، أو كلامه في خلود النفس ، أو رأيه في اختيار الصديق والاحتفاظ به .

(١) انظر ارشاد الأديب لياقوت — ترجمة ابن مسكوبة .

التصـــاوير والتماثيل
فى الحضارة الاسلامية
التصوير فى الكتب
لأستاذ جليل

التصوير فى (الحضارة الإسلامية) فى الحجر والكتاب — كثير. وإذا جدّ واستمر بحثُ النابشين وتنقيب المفتشين ظهرت نفائس مضمرات، وبدت بدائع مكنونات، وعرف الناس من آثار تلك المدنية المحمدية ما لم يكونوا قد عرفوه

وإن (كتاب الله) لم يذمم فى آية من آياته تحسيناً ولا تجميلاً، ولم يحرّم تصويراً ولا تشكيلاً. وهل الخط أو التسطير إلا تدبيج وتصوير؟ وهل الكتابة أصلها إلا صور؟ وهذه قصور المروانية والعباسية — والقوم حماة الدين وخلفاء المسلمين — فيها الأشكال والتهاويل (1)

« من كل شيء يُرى فيها تماثيل (2) »

وقد زار مسلم عربى منذ أشهر قصر هشام بن عبد الملك الذى كشفه المنقبون فى ناحية أريحاء من أعمال فلسطين (3) فى السنة الماضية فشاهد صوراً ناتئة لوجوه أناس عرب فى بقايا الغرف والجدران

قلتُ يوما لدار قوم تفانوا   أين سكانك العزاز علينا
فأجابت: هنا أقاموا قليلا   ثم ساروا، ولست أعلم أينا (4)

وكان فى رَفاقته أحد معارفه فقال مستعجبا: ماهذا؟ خليفة مسلمين، وأمام دين، وصور وتماثيل!!

فقال المسلم العربى مفاكها مازحا: لم يكن (المحرَّم) قد نجم ودُوِّنت كتبه فى أيام هشام ... (1)

وجاء فى تاريخ بغداد لابن الخطيب فى وصف دار الخلافة: (2)

« وفيها — أى دار الشجرة (3) فى دار الخلافة — شجرة فى وسط بركة كبيرة مدورة، فيها ماء صاف، وللشجرة ثمانية عشر غصناً لكل غصن منها شاخات كثيرة (4)، عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة، وأكثر قضبان الشجرة فضة، وبعضها ذهب، وهى تتمايل فى أوقات، ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر. وفى جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارسا على خمسة عشر فرسا قد ألبسوا الديباج وغيره، وفى أيديهم (5) مطارد على رماح يدورون على خط واحد فى (الناورد) (6) خببا وتقريباً (7) فيظن أن كل واحد إلى صاحبه قاصد، وفى الجانب الأيسر مثل ذلك »

وذكر ابن أبى الحديد فى (شرح النهج) الكبير: « إنه كان على سيف عضد الدولة بن بويه وأبيه ركن الدولة صورة على (رضي الله عنه)، وكان على سيف ألب أرسلان وابنه ملكشاه صورته »

وروى صاحب (النفح) عن بدر الدين بن الحسن الأربلى المتطبب وصف تصاوير فى حمام رآه فى بغداد فى (دار الملك شرف

(1) التهاويل: زينة التصاوير والنقوش والوشى، واحدها تهويل. والتهاويل الألوان المختلفة من الأصفر والأحمر. (اللسان). هولت المرأة بحليها وزينتها إذا راعت الناظر إليها (الفائق)

(2) عبدة بن الطيب، وصدر البيت (فيها الدجاج وفيها الأسد مخدرة) قال الأنبارى: فيها الأسد مصورة. ويروى فيها الذئاب، وبعد البيت:

فى كعبة شادها بان وزينها   فيها ذبال يضىء الليل مفتول

(3) فلسطين من أجناد الشام فى النهاية: « الشام خمسة أجناد: فلسطين والأردن، ودمشق، وحمص، وقنسرين، كل واحد منها كان يسمى جنداً أى المقيمين بها من المسلمين المقاتلين » والشام من غزة إلى الفرات طولا. وقد مزق المغيرون هذا الاقليم العربي الصغير أى تمزيق! مزق الله ملكهم!

(4) تفانى القوم أفنى بعضهم بعضاً. ومراده فنوا (العزاز) من جمع العزيز فى (المطمح) للفتح: وللوزير جهور بن محمد بن جهور وقد وقف على قصور الأمويين (فى الأندلس) وقد تقوضت ابنيتها، وعوضت من أنيسها بالوحوش أفنيتها: قلت يوماً إلخ

(1) استخلف هشام — كما قال الطبرى — سنة (١٠٥) وتوفي سنة (١٢٥)

(2) أبو نصر خواشاذة خازن عضد الدولة قال: طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها فكان ذلك مثل مدينة شيراز (تاريخ بغداد)

(3) كانت شجرة من الفضة وزنها (٥٠٠) ألف درهم، عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها (تاريخ بغداد)

(4) شاخات: رفارف

(5) المطرد من الرمح ما بين الجبة إلى العالية، والجبة من السنان ما دخل فيه الرمح

(6) ناورد: لفظ فارسى وهو فى لغتهم بمعنى القتال، وجولان الخيل فى الميدان، وفى اللغة الجديدة ناورد جنك، وجولان اسب. وبالمعنى الثانى استعمله المولدون وغيرهم (شفاء الغليل)

(7) الخبب: السرعة وقيل هو مثل الرمل، ورمل هرول، والتقريب المعدودون الاسراع، قرب الفرس إذا رفع يديه معاً ووضعهما معاً

الدين هرون بن أمازير الصاحب شمس الدين محمد الجويني) تُدهش مبصريها ، وتعجز واصفيها ، وقد يجد الفتيان الشُطّار والمتفننون من رجال الليل مايشبهها اليوم في بيوت في (باريس) .. وربما لايجدون . وهي الحضارة ، وهو التفنن فيها ... وهذا ماتسهل روايته من وصف الأربلي :

« وأبصرت مياهه وشبابيكه وأنابيبه المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية ، وبعضها على هيئة طائر إذا خرج منها الماء صوت بأصوات طيبة . ثم أراني — يعني سائس الحمام — نحو عشر خلوات ، كل خلوة أحسن من صنعة أختها . ثم انتهى بي إلى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد ففتحه ، ودخل بي إلى دهليز طويل ، كله مرخم بالرخام الأبيض الساذج ، وفي صدر الدهليز خلوة مربعة ، ورأيت من العجائب في هذه الخلوة أن حيطانها الأربعة مصقولة صقالاً لا فرق بينه وبين صقال المرآة ، يرى الإنسان سائر بشرته في أيّ حائط شاء منها . ورأيت أرضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ، ومذهبة ؛ وكلها متخذة من بلور مصبوغ ، بعضه أصفر ، وبعضه أحمر ؛ فأما الأخضر فيقال : إنه حجارة تأتي من الروم ، وأما المذهب فزجاج ملبس بالذهب ؛ وتلك الصور في غاية الحسن والجمال على هيئات مختلفة في اللون وغيره . وكل محاسن الصور الجميلة مصورة في الحائط »

* * *

وهذا خبر عن مصنِّف مصوِّر في العلم قد أرصن تأليفه وتصويره أيما إرصان ، وكأنه آخر ماقيل في أمريكة وأوربة في توضيح الكتب بالصور . وإني لأرويه مؤيداً ومسانداً المقالة الجديدة المفيدة : (التصوير التوضيحي في المخطوطات الإسلامية) التي أطرفها الناس في (الرسالة) القراء الأديب المتفنن الدكتور أحمد موسى ، والتي زيّنتْ لي تصوير هذه السطور :

قال ابن أبي أصيبعة في كتابه : (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) في سيرة رشيد الدين بن الصوري[1] : « ولرشيد الدين ابن الصوري من الكتب كتاب الأدوية المفردة . وهذا الكتاب بدأ بعمله في أيام الملك المعظم ، وجعله باسمه واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة ، وذكر أيضاً أدوية اطلع على معرفتها ومنافعها ، لم يذكرها المتقدمون . وكان يستصحب مصوِّراً ، ومعه الأصباغ والليق[1] على اختلافها وتنوعها ، فكان يتوجه رشيد الدين ابن الصوري إلى المواضع التي بها النبات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي اختص كل منها بشيء من النبات ، فيشاهد النبات ويحققه ، ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ، ويصور بحسبها ويجتهد في محاكاتها . ثم إنه سلك أيضاً في تصوير النبات مسلكا مفيداً ، وذلك أنه كان يرى النبات للمصور في إبّان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يريه إياه وقت كماله وظهور بزره فيصوره تلو ذلك ، ثم يريه إياه وقت ذُوِيّه ويبسه فيصوره ، فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر إليه في الكتاب وهو على أنحاء ما يمكن أن يراه به في الأرض ، فيكون تحقيقه له أتمّ ومعرفته له أبين »

* * *

إنّ التصوير غير الشركي وغير العهري لَمُباح . وإن التصاوير والتماثيل إنما هي محاسين وتزايين « قُلْ من حرّم زينةَ الله » ، وإذا كان ذلك للهدْي والتذكير والتعليم والتثقيف فقل بالوجوب

القارئ

(١) مولده في سنة (٥٧٣) وتوفي سنة (٦٣٩) خدم بصناعة الطب الملك العادل أبا بكر بن أيوب ، ثم خدم بعده لولده الملك المعظم عيسى بن أبي بكر ، وشهد معه مصافات عدة مع الفرنج لما نازلوا ثغر دمياط ، ولم يزل معه إلى أن توفي وملك بعده الملك الناصر داود فأجراه على جامكيته — جرايته — وفوض إليه رياسة الطب الخ (عيون الأنباء)

(٢) الليق — بالكسر — شيء أسود يجعل في الكحل . قال الزمخشري ، وهو بعض أخلاطه (التاج)

الرافعي

بعد عام

للأستاذ محمد سعيد العريان

في صباح الاثنين ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ نُعي المرحوم مصطفى صادق الرافعي إلى أدباء العربية ، فجأة وبغير إنذار ؛ فسكت القارئ وتلفت السامع ، وتغشى السامرين من أهل الأدب سكونٌ ووحشة وانقباض

وطالت فترة الصمت ، والسامرون في غشيتهم لا ينطقون ، إلا نظرات شاردة ، وخواطر تصطرع وتموج ، وذكريات تنبعث محرقة لاذعة ، تذكِّر بما كان وتنبِّه إلى ما ينبغي أن يكون …

وهمس هامس : « يرحمه الله ! لقد كان رجلاً للدين وللعربية هيهات أن تجد بديلا منه أو ينقضي زمان من عمر التاريخ ! »

ثم عاد الصمت ، وعاد السكون ، إلا النظرات الشاردة ، والخواطر المائجة ، والذكريات والأماني …

وهتف هاتف في جلال الصمت وفي وحشة السكون : « إن للفقيد لحقاً على اللغة ، وحقاً على المسلمين ، لا يجزئ فيهما أن نقول : يرحمه الله ! »

وتدانت الرءوس ، وتجاوبت النظرات ، وانثالت الأفكار ، وتزاحمت الأماني ؛ ثم لم يلبث أن عاد الصمت ، وعم السكون !

ثم عاد القارئ يقرأ ، وأنصت السامع يسمع ، وانتحى اثنان يداولان الرأي في شأن من شئون الأدب ، وتماسك اثنان يفاضلان بين الجديد والقديم ؛ وغامت في سماء الندى غمامة ، وانعقدت على رءوس السامرين عجاجة ، وضج المكان كسالف عهده ، واختلطت الأصوات فما يبين صوت من صوت ، واشتغل كل بما هو فيه …

وصاح صائح في نبرة اليائس المحزون : « ويحكم يابني عدنان ! لقد شغلتكم دنياكم عن الوفاء ، وفتنتكم الحياة عن ذكر الموت ! لقد كان هنا إنسان منكم ، وإنه لأرفعكم صوتاً ، وأبلغكم بياناً ، وأبعدكم غاية ومدى ؛ فهلا ذكره منكم إنسان … »

وبرقت العيون ، واختلجت الشفاه ، واهتزت الرءوس ، وانبعث صوت السامرين يحوقل ويسترجع في همس خافت ، وقال قائلهم : « يرحمه الله ! لقد كان … ! »

* * *

يرحمه الله ! يرحمه الله !

هذا كل وفاء العربية للراحلين من أدبائها : يتهاوون من الذروة إلى بطن الوادي فرداً فردا ، وإخوانهم على الطريق ينظرون إليهم في بلادة وصمت ؛ لا تشيِّعهم منهم قدم ، ولا تتبعهم عين باكية ، ولا يذكرهم منهم إنسان !

يرحمه الله ! يرحمه الله !

هذا كل تراث الأديب في العربية لبنيه وأهله ، هو حسبهم من الطعام والشراب والثياب وتكاليف الحياة ، وفيه العوض كل العوض من عائلهم الذي طواه الموت بين الصفائح والتراب !

يرحمه الله ! يرحمه الله !

هذا هو الخلود الذي ضمنته العربية لمن يموت من أدبائها وهو في ميدان الجهاد يكافح الفقر والمرض وشئون العيال ، ويبذل نفسه لينشئ أدباً يسمو بضمير الأمة ، ويشرع لها طريقاً تسير فيه إلى عظمة الخلد وسعادة الأبدية ومجد التاريخ !

يرحمه الله ! يرحمه الله !

هذا كل ما تستطيع العربية من كلمات العزاء ، وكل ما يملكه أدباء العربية من أساليب المواساة ، وكل ما يقدر عليه ناطق يبين ، وصديقٌ يتحبب ، وحبيبٌ يشعر أن عليه حقاً لمن يموت من أهل البيان !

يرحمه الله ! يرحمه الله !

صوت ما له صدى ! وتراث ليس فيه غناء ، وطعام لا يهنأ ولا يمرأ ، وخلود لا يدوم إلى غد ، وعزاء لا يجفف دمعة ولا يخفف لوعة ولا ينفذ إلى قلب طفل سلبه الموتُ أباه وسعادة دنياه !

يرحمه الله ! يرحمه الله !

… خلُّوا عنكم أيها الأدباء الكبار ، وأيها الشعراء العظام ، وأيها الخطباء المصاقع ؛ خلُّوا عنكم عناءها ، سيرحمه الله وإن لم تقولوها ؛ سيرحمه بما جاهد ، وبما بذل ، وبما عانى ، وبما تحمّل من جهد التضحية ومشقة الحرمان ؛ وسيرحمه ثانيةً بما لقي من

المعقوق وكان برًّا ، وبما لقى من الغدر وكان وفيًّا ، وبما قوبل من إنكار الجيل وكان من أهل الجيل ؛ وسيرحمه بدموع هؤلاء اليتامى ، وبأنات هؤلاء الأيامى ، وبدعوات كثير من أهل الإيمان وَفَوْا له ماوسعهم الوفاء !

* * *

مضى عام منذ مات الرافعى ، فهل سأل أحدٌ : كم خلّف وكم ترك ؟

سأحدثكم وإن لم تطلبوها إليّ ... ...

أما المال فلا سبد ولا لبد ، وأما الأدب فثروة للرواة ومحزنة للولد ، وأما العيال ... واحزَنا لو كان يجدى الحزن :

هذا « سامى » كبيرُهم فى بعثة الجامعة بأمريكا ما يزال بينه وبين الغاية خطوة ؛ وهذه « سعدية » الصغيرة تلثغ فى الراء وتضم شفتيها على الباء ؛ وبينهما ثمانية يقوم على شئونهم « محمد » الله لهذا الشاب العائل ؛ لم يكد ينعم بقرب الأهل بعد فراق سبع سنين فى فرنسا لدراسة الطب ، حتى كان عليه عبء الأسرة كله ، فكأنما كان هو فى تلك الغربة وديعةً إلى أجل ، وذخيرة إلى ميعاد ؛ وعاجلته تبعات الحياة وما يزال فى باكر الشباب !

والحكومة .. ؟ خلِّ عنك ياوزارة الحقانية ، خلِّ عنك يا وزارة المعارف ، خلِّ عنك يا وزير المالية ... الله أكرم !

لقد تصرّم من عمر الرافعى فى خدمة الحكومة ثمان وثلاثون سنة ، ومات ولم يجاوز السابعة والخمسين ؛ فأى مكافأة وأى جزاء ؟ بضعة عشر جنيهاً فى كل شهر ، تأبى الحكومة إلا أن يكون لها فيها ميراث ...

إنه الرافعى ، إنه الرجل الذى كان اسمه فى مقدمة الأسماء المصرية التى تؤكد زعامة مصر للأمم العربية ، وترفع اسمها وتبني مجدها الممتاز ، وتسن طرائقها التى يحتذيها الأدباء فى العالم العربي . إنه هو ... ولكنها هى مصر ... !

وكتب رئيس الرافعى فى وزارة الحقانية كتاباً غداة منعاه إلى وزارة المالية ، يصف لها من حال الرافعى ومن خبره ، ويقترح ... يقترح أن تنزل الحكومة عن نصيبها من الميراث فى (معاش) الرافعى لأولاده ... ولكن وزير المالية يأبى ... ولكن الله أكرم ... !

« يرحمه الله ! يرحمه الله ! »

ذلك كان جواب الحكومة المصرية ... !

* * *

لقد مضى عام ، فهل تذاكر أدباء العربية فيما عليهم للرافعى ؟ وهل ذكرت الأمة والحكومة ماعليهما من واجب الوفاء للرافعى ؟

لقد تداعى الأدباء إلى ميعاد يحتفلون فيه بتأبين الرافعى ، وجاء الميعاد وتخلّف المدعوّ والداعى ؛ وترادف ميعاد وميعاد وميعاد ، ومضى عام ، وعلى مكتب كل أديب دعوةٌ لتأبين الرافعى ، وفي ذيل كل دعوة جواب المدعو بخطه أو بلسانه : « يرحمه الله ! يرحمه الله ! »

وعند دكاكين الورّاقين أسئلة عن كتب الرافعى ، ولكن السوق ليس فيه كتاب من كتب الرافعى ؛ وقال قائل : « أعيدوا طبع الديوان ، أعيدوا طبع إعجاز القرآن ، أعيدوا .. أعيدوا .. »

وقال الطابع والناشر والورّاق : « يرحمه الله ! يرحمه الله ! »

وعلى مكتب الرافعى كتبٌ لم تطبع ، وقصاصات لم ترتَّب ، وثمرة عقلٍ خلاّق كان يجهد جهده ليضيف كل يوم إلى العربية ثروة جديدة وفكراً جديداً . وقلنا : « يا وزارة المعارف ، هذه كتب إن لم تخرج للناس سبق إليها العثّ والفيران فيضيع على العربية كنز مالها منه عوض ! » ولكن وزارة المعارف فى أحلامها الهنيئة لا تسمع ولا تجيب ، إلا همساً فى أمثال أنفاس النائم تُردّد قول الناس : « يرحمه الله ! يرحمه الله ! »

* * *

وفى الأمة مع ذلك أدباء ، وفى الأمة كتاب وشعراء ، وفى الأمة ناشئة غافلة ما تزال ترجو الخلود فى الأدب ...

وفى الأمة عقول ناضجة فى أجسام مهزولة من الفقر والجوع ؛ وفى الأمة رءوس ممتلئة على أناسيَّ تضطرب كل مضطرَب للبحث عن القوت

وفى الأمة ... وفى الأمة رءوس فارغة على أجسام تكاد تتمزق شبعاً ورياً ؛ وفى الأمة ... وفى الأمة قلوب خاوية فى أناسيَّ تتمرغ بين وسائد الدمقس وحشايا الحرير ...

وفى الأمة ... وفى الأمة مع ذلك من يتساءل مدهوشاً : « لماذا ... لماذا لا نجد فى الأمة العربية شعراء وكتاباً ومنشئين كبعض من نقرأ لهم من أدباء الغربيين ... ؟ »

يرحمك الله يا مصطفى ... ! بل يرحمك الله أيتها الأمة !

« شبرا » محمد سعيد العريان

مصطفى صادق الرافعي

بمناسبة مرور سنة على وفاته

للأستاذ فليكس فارس

سئل الرافعي ماذا يريد أن يقال عنه بعد الموت ، فكتب جوابه قبل وفاته بشهرين صفحة بارزة بين خالدات آثاره : ومما جاء فيها :

(وبعد الموت يقول الناس أقوال ضمائرهم لا أقوال ألسنتهم إذ تنقطع مادة العداوة بذهاب من كان عدواً وتخلص معاني الصداقة بفقد الصديق ويرتفع الحسد بموت المحسود وتبطل المجاملة باختفاء من يجاملونه .)

ثم أورد بعض الكلمات التي اعتقد أنها ستقال عنه : كمعجزة الأدب وحجة العرب ومؤيد الدين الخ .. ليستطرد قائلا :

(أما أنا ، فماذا ترى روحي وهي في الغمام وقد أصبح الشيء عندها لا يسمى شيئاً إنها سترى هذه الأقوال كلها فارغة من المعنى اللغوي الذي تدل عليه لا تفهم منها شيئاً إلا معنى واحداً هو حركة نفس القائل وخفة ضميره ، فشعور القلب الثائر هو وحده اللغة المفهومة بين الحي والميت) ...

***

أي أخي مصطفى ، إذا كنت أصبت باستجلاء نفسك وهي لم تزل أسيرة جوارحك ، فانك خدعت باطلاقك حسن ظنك على الناس أجمعين ، لأنك اتخذت تجردك مقياسا لحسبت أن خصومك سينصفونك بعد موتك كما أنصفت أنت من جادلتهم وجادلوك وأردت أن تفهمهم وما أرادوا أن يفهموك .

لقد كانت تنقطع فيك مادة العداوة بذهاب من كان عدواً ، لأن عداءك كان ناشئاً عن اعتقادك بتفوق أسلوبك وروعة مذهبك ، فما ناضلت حين ناضلت إلا عن سلسلة ثقافة تواصلت حلقاتها منذ نشأ الأدب العربي الصميم حتى انتهى إلى قلمك . أما هم فقد كان عداؤهم ضغينة لأنهم أحبوا أنفسهم واستغرقوا في أنانيتهم ، فلذلك قضت عليهم طبيعة نفورهم منك بأن ينتابوك وأنت مغيّب في التراب .

إن الحسد لا يرتفع بموت المحسود كما كنت ترى ، لأن مادة الحسد مستمدة من صغار الحاسد فلا تزول إلا بزواله .

إنني لأرى روحك الآن تستشف هذه الحقيقة وهي من عيوب التراب لا يتملص منها في الحياة إلا الأرواح التي لم تطمع من الدنيا إلا بما تتزوده منها للآخرة .

وإنني لأراك لا تأبه لما يقال عن بيانك وأسلوبك ولهجتك فانها أدوار بلاغ لا لهامك ، وإلهامك وحده هو ما يقوم في نفسك الآن ، فأنا أشعر بأن الكلمة التي أكتبها لذكراك لن تجتاز الحد القائم بين الظاهر والخفي ، إنها لكلمة تزحف زحفاً في عالم التلمس والاستقراء موجة ذاهبة في خضم الآراء المتضاربة تقذف بالأحياء إلى طلب الرقي وهم متجهون إلى القبور .

أما الكلمة المجنحة التي تبلغ روحك أيها الأخ الحبيب ، الكلمة المأخوذة (من اللغة التي يتفاهم بها الأحياء والأموات) فإن روحي قد هتفت بها بالصرخة الصماء وبالدمعة العمياء منذ بلغها رجوعك إلى مصدرك ، ولما تزل تهتف بها كلما ارتادت أجواء الشعور والتفكير

أنا قلت إن روحك ستبحث من وراء الحجاب عن الثمرة السماوية المسماة القلب في الناس وعن كل كلمة دعاء وكلمة ترحم وكلمة خير . وإن ذلك ما تذوقه الروح من حلاوة هذه الثمرة لقد عرفت يا مصطفى ، وما أقل من يعرفون هذا في الحياة ، قيمة عطف الروح على الروح في هذه الدنيا وبخاصة قيمة هذا العطف يترامى على ضفاف نهر الموت مناجياً الأحباب الراحلين

إذا كان في كل عطف من حي إلى حي نشوة وقوة وأمل ، فلا ريب في أن كل خفقة شوق من محب إلى ميت عزيز تحمل إليه الدعاء والترحم والخير

هنالك لا تغني نفس عن نفس شيئاً ، ولكن عطف الأرواح الأسيرات على الروح المنطلقة في العالم الخفي ليس إلا مما كسبت هذه الروح من إخلاصها فحق لها أن تجزى بما سعت وبما اكتسبت

***

كنت أعتقد أن الرافعي كاتب له شأنه في محيطه الخاص ، وأنه رجل بيان فخم ، ولكنه يدور ضمن حلقة ضيقة من الملم ، فكنت

مسيئاً إلى نفسي بهذه الفكرة لأنني ما بنيتها إلا على مقال أو بعض مقال وقع نظري عليه منذ سنوات عديدة في لبنان

ومنذ سنتين أو أكثر شغفت بمطالعة رسالة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات لعبقرية هذا المفكر المجدد وحسن اختياره . وفي أحد أعداد الرسالة قرأت (رؤيا في السماء) للرافعي فكنت كلما قرأت سطراً بعد سطر أحسبني أشهد أحلاماً غائرة في سريرتي تنقلب أشباحها حقائق ماثلة لعياني ، وما أتيت على آخر المقال حتى هتفت قائلا : هذا هو مثال الأدب العربي الذي يمكننا أن نواجه به الآداب العالمية في نهضتنا . واندفعت أترجم (رؤيا في السماء) إلى اللغة الفرنسية ثم نشرتها مقدماً بها إلى أدباء الغرب حجة على من يدعى منهم أن الأدب العربي ليس إلا عالة على آدابهم

ومضى شهر على ظهور الترجمة في المجلة الأسبوعية الفرنسية في القاهرة ، فإذا برجل مهيب الطلعة يدخل عليّ ويتقدم مصافحاً مقدماً نفسه (مصطفى صادق الرافعي) فبادرت إلى معانقته وبدأت أتكلم مرحباً ، فإذا به يتفرس فيّ ويبدى إشارات من لم يفهم ما أقول ، وكان يرافق الرافعي الأستاذ كامل محمود حبيب فأشار إليّ بأن نابغتنا أصم وعليّ أن أخاطبه بالقلم

ومنذ ذلك اليوم لم يحضر الرافعي مرة إلى الاسكندرية دون أن يشرفني بزيارته ، وقد كان هو الساعي إلى تعريف الأستاذ الزيات والأستاذ حافظ عامر بك بي فتسنى لي أن أجتمع مراراً بثلاثة أفذاذ لكل منهم لمان في آفاق النهضة الأخلاقية الأدبية وقد كلفوني باجماع الرأى ترجمة كتاب زرادشت للفيلسوف الألماني نيتشه

وفي أواخر ابريل سنة ١٩٣٧ جاءني مصطفى في الاسكندرية وهو يتأبط وحي القلم هدية إلى تحمل كلة من خطه أحتفظ بها بين ذخائر من فقدت من أهلي

وأمرنا اليوم معاً نتحدث كعادتنا ، أكتب فيتكلم ، ومما قاله لي أن إحدى الصحف كلفته كتابة مقال عنوانه المرحوم (مصطفى الرافعي بقلم مصطفى الرافعي) على نحو ما كتب (ويلز) وأن الفكرة راقت له ولكنه يريد أن أتولى أنا كتابة هذا المقال فقبلت مشترطاً أن أكون وضميره . اللذكين المستنطقين إذا هو أصر على إقامتي حكما بينه وبين الحياة ، فضحك وقال : ما اخترتك لهذه المهمة إلا لعلمي بأن المحبة أشد صرامة في حكمها من العداء

وما كان الرافعي مخدوعاً بما أضمره نحوه من إخلاص مجرد وقد تحقق أنني قدرت روحه قبل أن أتعرف إلى شخصه

ولما حان ميعاد انصرافه شيعته وأنا أحس بغصة شعرت بمثلها في كلمة الوداع التي ألقاها إليّ وهو يزودني بآخر نظرة لم أزل أراها أمامي كآخر شرارة من أصفى الأنوار التي شاهدتها في حياتي

وفي أول مايو سنة ١٩٣٧ أخبرني صديق أن أحد أصحابه استعاد السمع وهو مصاب بالصمم بوضع صفحة من الجلاتين (وهو الجلاتين المستعمل لمردات السيارات) بين أسنانه وطيها قليلا حتى تنحدب بين الفم والصدر فيؤثر عليها اهتزاز الصوت تأثيره على ساعة الحاكي فيصل إلى طبلة الأذن الداخلية بواسطة أعصاب الفكين

بادرت بالكتابة إلى مصطفى وبت أنتظر الجواب بذاهب الصبر فوردني منه بعد يومين الكتاب الآتي ، وهو مؤرخ في ٢ مايو أى قبل وفاته بأيام قليلة :

عزيزى الأستاذ فليكس فارس

سرني كتابك لأنه كتابك ، وقد جربت الفائدة فاذا هي قريب مما وصفتم ، غير أن الصوت يبلغ إلى الدماغ مصمتاً غير مبين كأنه لا حروف فيه ، وتلك هي العلة من أولها . وسأزاول المران على هذه الطريقة ، فلعل لها عاقبة إن شاء الله ، ولعل فائدتها تأتى بالتدريج !

لماذا تفتر في ترجمة نيتشة فأصبحت تظهر وتختفى ...

أما اعترافات فتى المصر فهى جيدة جداً ، ولو كان مؤلفها هو المترجم لما استطاع أكثر مما استطاع المترجم الشيخ فليكس فارس

رسالتك وترجمة رؤيا في السماء قرأهما الأستاذ الفرنسي فأعجب بهما ، وقد سلمت الأصول للدكتور محمد ليرسلها إلى أستاذ الآداب في جامعة ليون

وحفظك الله للمخلص

مصطفى صادق الرافعي

طنطا في ٢ مايو سنة ١٩٣٧

مرت السنة على وفاة الرافعي وهو — بعد أن وفى قسط جهاده وانسحب من معاكس الاظلال في هذه الحياة — لم يعد إلا صورة

حفرها الحب فى قلوب أهله وأصحابه ، وإلا كتباً ورسائل وقصائد تتداولها الأفكار في العالم العربى ، فإن أنا أتناول الكلام عنه الآن فلا أواجه الصورة المحفورة منه فى أعماق القلب لأن النظر إليها يخرس بيانى ولا يستنطق سريرتى إلا الكلمة المجنحة الصامتة التى أناجيه بها ، بل أواجه منه التراث الأدبى الفخم الذى أقام به لنفسه خلوداً آخر قد لا يهتم له الآن بقدر ما نهتم له نحن لأنه يشق لنا أفقاً واسعاً من آفاق الضحي فى النهضة العربية الحديثة

لقد كان الرافعى فى الطليعة من قادة الرأى والبيان ، اختطت له فطرته العربية وثقافته العربية منهجاً لم يقتحم صعابه إلا النزر اليسير من حملة الأقلام فى بلاد العرب

وقد ظهر هذا العبقرى بشخصيته الفذة فى حقبة من الزمن كان الأدب فيها متلمذاً لمدرستين : إحداهما مدرسة الأدب العربى تحاول إنهاض اللغة من كبوتها وقد طالت قروناً فتحصر كل همها فى تنميق العبارات وتصحيح المفردات والتملص من الأسلوب السقيم الذى طغت فيه على البيان أسجاع المتحزلقين واجتاحته الألفاظ العامية . والأخرى مدرسة الأدب الدخيل تغترف من معين الغرب أوشالا تريقها بياناً مقلقلاً لا يمت إلى العربية الفصحي بسبب ، وليس فيه من الألفاظ الصحيحة ومتانة الأسلوب ما يقوى على اقتناص روائع التفكير من بيان الأجانب

كان الرافعى فى تلك الفترة يخطو خطواته الأولى بعيداً عن المدرسة الثانية متصلا بالمدرسة الأولى بجامع اختيار الألفاظ وتنميق الأسلوب غير أنه ند عن هذه المدرسة بإرسال نظراته إلى أغوار الأدب العربى القديم غير واقف عند لامعات الأصداف الطافية على سطوحه

إن للآداب أنواعاً من الجمال لا يمكن للنفوس على اختلاف أذواقها أن تتفق على ترجيح إحداها ، وليس للمتأدب المنصف ، إذا هو أدرك هذه الحقيقة ، أن يتعصب لذوقه فيضع فى ميزانه عبقريات الأدباء بالمقابلة والترجيح

لئن سر العبقرى الحقيق أن تتناول الأقلام تحليل تفكيره وخياله وديباجته بعرضها على الفن ، (بالرغم من أن الفن نفسه ليس ناموساً ولا قاعدة ولا مقياساً) ، فإن هذا العبقرى ليأنف أن يحشره كاتب فى كفة ميزان ليضع فى الكفة الأخرى عبقرياً آخر يطمح إلى الحط من قيمته وقدره

ما ضر الكاتب المتحزب لو قال إن مثله الأعلى من العبقريين يتدفق إنسانية وشعوراً دون أن ينكر هذه الصفات على أنداده بل على كل ذى قلب شاعر ورأس مفكر فى هذه البلاد ...

والله ، إننى لا أدرى أية نسمة مشئومة تهب على هذا الشرق العربى مقحمة الحزبية ميدان الأدب نفسه ، وما الأدب الرفيع إلا النسب الشريف والرابطة المكينة بين النفوس الحساسة الحائرة فى هذه الحياة تتلمس حقيقة القلب وتتطلع إلى أنوار الفكر

أفلا يكفى الأدباء ما يعانونه من مجتمع لما يزل فى بدء تكوينه وتكاد كتلته الكبرى تتبرأ من بيانهم ، حتى ليقوم التحاسد بينهم فيتنا كرون ، وعهدنا بالأدب دولة يتساند جنودها على الرتق ولا يستغنى حامل أكبر مشعل بينهم عن أنوار أصغر المشاعل المتألقة حوله فى اعتكار الظلمات

إن دولة الأدب ديمقراطية فى روحها ، بل اشتراكية ، بل إباحية بأعمق معاني الكلمة ، لأن لا حطام فيها لمالك ولا تخوم لحد شخصية تجاه شخصية أخرى ، وما الفكر إلا نسمة لا نعرف لها مهباً ولا ندرك لها مستقراً

وعندى أن كل أديب ينشىء لنفسه بلاطاً لينظر إلى من حوله نظرة الأمير إلى أتباع يسيرون فى ركابه ، إنما هو مدع دخيل يسد على نفسه كوى الالهام ويقيم بغروره عقبة فى سبيل اعتلائه

الأدب رسالة لخير الأمة وخير المجتمع الانسانى ، والأدباء متضامنون فى تأدية هذه الرسالة وإن اختلفت مراتبهم ، وأرقى الأدباء مرتبة من يرسل نظراته مفتشاً عن أديب يحاول الصعود ليمد إليه يده ويسدد خطاه ويصحح أخطاءه ، لا من يزدرى أترابه المساوين له ويحتقر المتحفزين للحاق به

إن أقطاب الأدب قادة فيالق فى عالم التفكير ، وشر القواد من احتقر الجنود لأن عظمته تقوم على شجاعتهم ، وخلوده يبنى على كواهلهم

فاذا كان الرافعى لم يسلم فى حياته الأدبية من ثورات غضب حولت عبقريته إلى النضال المنيف ؛ فما كان ذلك إلا لأنه وهو يتسلق المرتقيات ويمد بساعديه إلى ما فوق لم تعثر يداه إلا على أرجل ترفس استكباراً وحسداً ، فاضطر إلى تصفيح قبضتيه فولاذاً

البقية فى العدد القادم

فليكس فارس

هل ينبغي أن تزاحم المرأة الرجل؟

للآنسة زينب الرافعي

(بقية ما نشر في العدد القادم)

وأنا موقنة أيها المؤيدون أنكم يومئذ لن تسمعوا من المرأة إلا رأياً واحداً عن وظيفتها فى الحياة؛ ستقول لكم كلمتها الحاسمة فى هذا الموضوع حين تقول: « إننى ملكة فى مملكتى الصغيرة فهيهات أن أخضع للاغراء فأنزل إلى مرتبة السُّوقة فى الأعمال ! ! »

أرأيتم تلك المدرة الأجنبية التى استخدمتها تلك السيدة الرَّجُلة لتدير بيتها، أرأيتموها هناك إلا لتطلّع على عوراتنا وتكشف عن عيوبنا حتى إذا عادت إلى قومها قالت مالا يسركم أن يقال !

* * *

لقد ذهب فلان إلى أوربا فعاد بزوجته أجنبية، ومثل فلان هذا كثير من شباب مصر، وتسأله: لماذا آثرتها على بنات العم وبنات الخال؟ فيجيب: لقد تزوجت أجنبية لأنى لم أجد مصرية واحدة أهلا لأن تكون لى زوجة !

لماذا؟ لجمالها؟ لا، إن فى مصر لجميلات يُزْهين على جميلات العالم. لأدبها؟ لا، إن المصرية لأكثر أدباً من صاحبته، إن مقاييس الآداب تختلف باختلاف البلاد، فما رآه منها لا يمكن أن يُعَدّ أدباً عند المصرى. لثقافتها؟ لا، إن الرجل المصرى لا ينظر إلى ثقافة المرأة حين يهمُّ أن يختار الزوجة. لحسبها وأهلها؟ ولا هذه أيضاً أيها السادة، فليس يبحث عن الحسب والأهل من لا يعرف خالاً لأولاده. إذن فلماذا لماذا؟

لشىء واحد أيها السادة، قد يكون له شُبهةُ من الحق فى الاحتجاج به، هو أنها سيدة بيت، وسيدات البيوت بين بنات مصر قليل.

ويلى عليكن أيتها المصريات! أين حيلتكن فى مزاحمة المرأة الأجنبية التى غلبتكن على قلب أبناء العمومة وأبناء الخئولة من المصريين فاستأثرت باحترامهم من دونكن؟

أرينا أيتها الفتاة كيف تنجحين فى هذه المزاحمة بادئ بدء. فاذا بلغت الغاية فانظرى إلى الناحية الأخرى وطالبي بما شئت من الحقوق فى مزاحمة الرجل ...

* * *

أرانى أنظر إلى موضوعى نظرة محلية، وأحصر فكرى منه فى محيط ضيق؛ وظنى أن منافسىّ فى الرأى لايعنون إلا الكلام العام فى المحيط الكونىّ العام إذ يتحدثون عن مزاحمة المرأة الرجل فى ميدانه

معذرة: إن بيتى يحترق، أفيكون من حقى حينئذ أن أتحدث فى شئون جارى وأنا أولى بنفسى وأحق بالنظر إلى شأنى الخاص؟ كم يغيظنى ويُحرجُ صدرى أن يسألنى سائل: لماذا تؤهلين نفسك من وظائف الحياة بعد التعليم؟

ليس عندى إلا جواب واحد أيها السائلون الملحفون، هو جواب كل مصرية تعتز بجنسها وتباهى بكرامتها: « إننى أؤهل نفسى لأكون امرأة، امرأة كاملة تعلم أن الطبيعة زودتها بأسلحتها لتكون امرأة وحسب، فاذا انحرفت بى ظروف الحياة فكنت غير ذلك فلا علىّ، ولكنكم تسألوننى عما أريد، فهذا ما أريدهُ وما علىَّ أن أعمل له، وعلى الله ما سيكون ! »

حدثونى عن المتعلمات اللاتى يعملن عمل الرجال: كم واحدة منهن نجحت فى إنشاء بيت وتكوين أسرة؟ لديكم الاحصائيات العامة فارجعوا إليها ثم حدثونى حديثكم.

ستحاول واحدة أن تفلسف وتملل وتزعم وتدعى، ثم تقول فى النهاية: إن هؤلاء لم يخفقن فى حياتهن حين أخفقن فى إنشاء بيت، إنهن لم يظفرن بالأزواج ولكنهن ظفرن بما هو أغلى عند المرأة من الأزواج !.

أحقاً تقلن يا زميلاتى؟ فليكن! ولأزعم ممكن أنهنّ حين أخفقن فى إنشاء البيت ظفرن بما هو أغلى، وأغلو فى الزعم فأقول إنهن ظفرن بما هو أغلى وما هو أغلى، وإن خيراً للمرأة أن تكون رَجُلة من أن تكون زوجة. ولكن .. ماذا يكون إذا صارت هذه هى القاعدة؟ أيتها الطبيعة، لِدِى للأمة أطفالاً من غير أمهات، لأن النساء يتأبين على وظيفة الأمومة، أو فاعدلى أيتها الطبيعة وقولى للرجال:

لماذا لا يلدون للأمة ما دام للنساء عمل غير الأمومة ... ؟

أنى أستحى لكم أيها المؤيدون ! إننى لأشفق عليكم أن تكون هذه وظيفتكم فى غد !

وإنى لأخاف يا زميلاتى العزيزات لو صحت هذه الدعوة أن أراكن وحدكن فى الميدان وقد هرب الرجال إلى البيوت ليقوموا بعمل آخر ... ! أرأيتن لو أن الرجل آمن وأطاع وأعطاكن الحق فى أن تعملن عمله فى السوق ، وفى الديوان ، وفى الحقل ، وخلا لكن الميدان فليس فيه إلى جانبكن رجل واحد ، أكنتن حينئذ تصررْن على هذه الدعوى فتزعمن أنكن أقدر على عمل الرجال ؟ أم تمدن معولات باكيات تشكون عسف الرجل وقسوته وجبروته ؟

وهل تطيب لكن الحياة يومئذ بناحيتيها : ناحية العمل وناحية العاطفة ؟

الآن لا أسمع إلا جواباً واحداً : لقد انتصرْت ، لا ، بل قد انتصرت الطبيعة ، لا ، بل قد انتصرت المرأة وعزّت مكاناً عند نفسها وعند الرجال .

* * *

ولكنّ صوتاً واحداً فرداً ما زال يهمس هناك ، إننى أسمع من يقول : وحين يذهب الرجال إلى الحرب فلا يبقى فى المدينة إلى جانب النساء أحد إلا ... ؟ وحين تأكل الحرب الشباب فيربى النساء عدداً على الرجال ؟ هذا سؤال ...

إن فى الاسلام العلاج لكل مشكلات البشرية ، وهذه مشكلة أعد لها علاجها منذ ألف وثلثمائة وخمسين سنة ، يوم أعطى المرأة التى لا تجد لها زوجاً ، الحق فى أن تطالب أختها المتزوجة — أعنى أختها فى الانسانية ... أن تطالب أختها هذه بنصف رجلها أو ثلثه ، أو ربعه ، ولا تبذل نفسها فى عمل ما لا ينبغى أن تعمل ، أعنى عندما أباح تعدد الزوجات للرجل الواحد

إن تعدد الزوجات ضرورةٌ لِتُعالِجَ ضرورة ، وهو نِعمة على المرأة وإن عدّتها أكثرُ النساء نِقمَة ، وما يجعلها نقمة إلا لأن أكثر الرجالِ مع الأسف لم يفهم حكمة الله فيما أباح وشرع . اسألوا المرأة التى تكسد سُوقها فى مثل هذه الضرورات الحربية ولا تجد من يعولُها : أخير لها أن تكون بلا زوج ، أو أن يكون لها نصف زوج ؟ إنكم تعرفون الجواب .

ولكن مالنا نتحدث عن الضرورات ، ومالنا نستشهد بفلانة وفلانة ممن زاحمن الرجال فزحمنهم ، وطاولنهم فطُلْنَ عليهم . إننى لا أريد أن أعرِضَ لذلك .

هبوا أن المرأة تقوى على عمل الرجل كالرجل ، بل هبوها أقوى منه ، وهبوا نساءً كثيراتٍ نجحن فيما أخفق فيه الرجال وبرزن فيما قصّروا فيه ، فهل هؤلاء كل النساء وكل الرجال ؟ وهل هذا يعطينا الحق فى أن نقول لكل امرأة : إنك تستطيعين أن تكونى رجلا إذا أردت ؟ هيهات إلا أن يستطيع كلُّ رجل أن يكون امرأة وأمًّا ومدبرة بيت .

هيهات ! هيهات ! إن المرأة هى المرأة مافى ذلك شك ، وإن كل امرأة لَتشعُرُ فى نفسها بأنها امرأة ، حتى لو استطاعت أن تصطنع لوجهها شاربا ولحية ، ولكنها مع ذلك تحاول أن تكون رجلا ، وفى هذه المحاولة نفسها البرهانُ كل البرهان على أنها لا تستطيع ، ولقد يدفعها الغلوّ فى هذه المحاولة إلى أن تبالغَ فى كل مايُخَيَّل إليها أنها تقترب به من صفات الرجولة ، حتى لَتُوشِكُ أن تكونَ رجلا أكثرَ من الرجل ... !

هذه الأذرع العارية ، وهذا الصدر المكشوف ، وهذا الصوت الذى يجلجل فى الترام وفى السيارات العامة بالأحاديث الخاصة ، إن هو إلا مظهر من مظاهر المرأة التى تزْعُم لنفسها أنها لن تبلغ منزلة الرجل إلا أن تخلع الحياء الذى هو أخص صفات المرأة وأجمل زينتها .

ماذا أقول وبماذا أتحدث ؟ أرأنى قد وصلت إلى موضع الاقناع فى نفوسكم ولما أنته إلى ما أريد ، فحسبى هذا الآن وحسبكم ، وحسبُ كل فتاة أن تعلم أن الله خلقها أنثى وركّب فيها غرائز الحب والرحمة والحنان والعطف والمواساة والترفُّق ، هذه الصفات التى اجتمعت للفتاة ، وإنها لفى كل فتاة ، هذه الصفات ليست من صفات القاضى ، ولا النائب ، ولا الحاكم ، ولا المدير ، قد تكون الرحمة شيئاً جميلاً ولكن الحاكم الصارم أقرب إلى عدل السماء

زينب الرافعى
كلية الآداب

عدو المرأة

للسيدة وداد سكاكيني

ما لأيدينا حيلة بأبي العلاء ، فلقد أتى على وفاته ألف سنة أو ما نزيد . لقد كانت المرأة بغيضة إلى نفسه ، كريهة على سمعه ، ولو استطاع أن يبيد من الدنيا كل أنثى لفعل . فواحربا مما فى لزومياته عن بنات حواء ! ما لنا حيلة به فلقد مات وخلد علينا مقابح الوصف ومطاعن الهجاء . ولعل له عذراً فى امرأة أساءت إليه فعد كل النساء مسيئات ، وغضب عليهن ، وقد عرفه القوم فيلسوفاً متشائماً ناقماً على الحياة والناس أجمعين . ثم أتى على أدب العرب حين من الدهر استراحت فيه المرأة من أعدائها والساخرين منها حتى كان زمننا وجاء توفيق الحكيم

يقول الناس عن توفيق الحكيم إنه عدو المرأة ، ويقول هو ذلك عن نفسه تياهاً مباهياً ، ثم جد فى قوله حتى كتب قصته (عدو المرأة) فعجبت له وقد ألقى سلاحه أمام ناتالي الراقصة البولونية ، وعجبت من مذهبه فى البغضاء فسألته هل أبغض أمه وأخواته وخالاته وعماته ؟ وهل كان رجلاً من حمل به ثم ولده فملأ الدنيا بتوفيق الحكيم وشغل الناس بأدبه الرفيع ؟

إذا أقام توفيق الحكيم على رأيه واستبد به فليعش فى عالم غير عالمنا ، فإن من جنسنا الشمس والأرض ، ومن أنوثتنا الحياة . وليحص الأسماء فى المعاجم فيجد فيها الكثير مؤنثاً كالمرأة ، وليترك الزهرة لا يشمها والتفاحة لا يأكلها ، وليعش وحده فى كون من الرجال ممن طالت لحاهم وعرضت مناكبهم وخشنت أصواتهم وقست قلوبهم ، وليترك النساء الرعابيب ، والغيد الأماليد لغيره من الرجال

ولكن على رسله ! ألم تلهمه المرأة رواياته الرائعة ، ومقالاته البارعة ؟ ألم تكن شهر زاد من النساء ؟

إن من عرف باريس وفيها الغوانى الحسان لا يكون عدو المرأة إلا إذا نهل منها حتى ارتوى وقاء كالمثخن الجريح يخرج من القتال وهو عدو له ، ولكنه لا يظل محارباعظيما ، فأهل الفروسية أبداً يدفعهم الشوق إلى استعادة الحرب

المرأة ريحانة من السماء عطر الله بها جنات هذه الأرض وجملها فيض الحنان وفتنة الوجود . أتمارى - وأنت تنشد الحق - فى سلطانها المطلق ومعانيها التى لا تحد ؟ انظر إلى المتنبى فإن خلود شعره من وحى خولة . وتطلع نحو بيرون فقد مات فى سبيل امرأة من اليونان . وتذكر وريث التاج بالأمس أدوار كيف انطلق من قيود العرش ليخضع للمرأة . وإذا كنت مسلماً فإن رسولك أحب كثيراً من النساء

لِمَ تصيخ بسمعك إلى أعداء المرأة وغلاظ القلوب ؟ ألاسامح الله المعرى وشوبنهور ، فلقد أورثاك الشنآن ، وطبعاك على التشاؤم . إنهما يسولان لك هذه البغضاء ليعطلا قصصك من مباهج الأرواح ، ومتع الحياة . إنهما يريدانك على الخمول والفتور ، ولئن كنت فى ريب مما أقول ، فاجمع كتبك واحرقها ثم أعد صفها وطبعها ، وهى خلو من ذكر المرأة ، كل من فيها من الأبطال ، رجال فى رجال ، ثم انظر ماذا يكون ، إنها ستبلى ويعلوها الشحوب ، وهى معلقة بأبواب الوراقين ، حتى إذا يئس الباعة من عرضها على المعرضين عنها نبذوها وراءهم ، وطرحوها جنبات الدروب حتى يمر بها الكانس فيلمها ويرميها فى مطارح الإهمال والبلى . وستمر بك أيام أشد سواداً من الليل تهدهد كبرياءك وتخمد صيتك ، فينساك بعدها الناس ، وتنطفئ من الأدب العربى الحديث شعلة ساطعة ، فإذا صرت إلى هذا الدمار جن جنونك ، وضربت بيدك منضدة الكتب ، فمادت بما عليها واندلع الحبر من دواتك على القراطيس البيض ، فيثور ثائرك وتحطم قلمك وتقذف به إلى حيث لا تمسك به ماحييت

أنت يا عدو المرأة فيك طبع المرأة . يقول الفلاسفة الذين أفسدوا قلبك عليها : إذا أجابت المرأة بلا فإنما هى قائلة فى سرها نعم . وإذا أبغضت فقد أحبت ، وإن كثيراً من النساء كن يكرهن الرجال فهوين على أقدامهم مقبلات ، وما أنت يا توفيق الحكيم إلا أشد محب للمرأة وأصدق نصير لها ، تملأ أحلامك بالرواء والبهاء ، وتطوف بروحك كما يطوف الجمال بفنك ، وتراها تسكب فى فكرك سراجاً وهاجاً يضيء عبقريتك ، ويلهمك البراعة والابداع . ومن يدرى فلعل وراء آثارك العظيمة امرأة تهزك وأنت تحلم ، وتوحى إليك وأنت تكتب ، من عندها تفجر

نبوغك ، ومن أنوثتها لمع نجمك حتى شهدناه مشرقاً فى آداب العرب ، متألقاً فى سماء هذا العصر . ومن غيرك أجدر بأن يحب المرأة ويحن إليها ويحنو عليها ؟ بل ما يليق بالكاتب المبدع أن يعيش فى الأرض التى لا تمطرها المرأة وتزهو على حواشيها النضرة

ليس كل النساء كجوديت ؛ ولكم بين الرجال من هو « لاندرو » ! ولن تكون الحرب إلا ليكون السلم ؛ فإذا شئتها عواناً مأيمة كحرب البسوس فستجدن من بيننا الكثيرات تقول كل واحدة لك : أنا عدوة الرجل

« دمشق » وداد سكاكيني

بين الرافعى والعقــــاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

قرأت ما كتب الأستاذ سيد قطب في العددين السالفين من الرسالة ، وكنت حرياً ألا أعبأ بما يكتب عن الرافعى في أوانِ حولِ وفاته ، وقد تهيأ أهله وأحباؤه وأصحابه تتلفت قلوبهم لذكراه الأولى بعد أن سله الموت من بينهم اغترارا

والأستاذ سيد قطب قد أبى له حسن أدبه ، وجيل رأيه ، ومروءة نفسه ، ونبل قلبه ، وشرف مقصده ، وإشراق نقده ، إلا أن ينبش ماضى الرافعى وما سلف من أمره ، ليستخرج حلية يتحلى بها إذ يكتب عن خصومة بين رجلين : أما أحدهما — أنسأ الله فى أجله وأمتع به — فما برح يتلطف للناس بمـا يستجيد من عمل يجدد به مطارف آخرته ؛ وأما الآخر — رحمة الله عليه — فبين يدى ربه يتقرب إليه بعمل قد أبلى به أثواب دنياه . فلولا أن الميت لا يدفع عن نفسه فى ساعة موته مثل الذي كان يدفع فى أيام حياته ، وأن ذكر الحى أقرب إلى الناس من ذكر الميت — لكان جديراً بنا أن ندع الأستاذ المهذب الفاضل يتكلم بالذي يهوي على ما خيلت له . فليس للأدب اليوم من الحرمة ، ولا فيه من النبل ، ولا عليه من الحياطة والحرص ، ما يحفز أحداً للمراصدة دونه أن يُمتهن أو يسترذل

هذا ... ، وقد جمل الأستاذ الفاضل يستثير دفائن الإحن والأحقاد كانت بين الرافعى والعقاد ، ليتخذ منها دليلَهُ الذى يفزعُ إليه فى أحكامه ! ! على الرافعيّ . لا بل على قلب الرافعيّ ونفسه وإيمانه بعمله وعقيدته فيه ! ! ثم لم يرض بذلك حتى نفخ فيها من روح الحياة ، ما جعلها ممـا يكتب الأحياء عن الأحياء للإيلام والإثارة ، لا للجرح والتعديل والنقد ؛ وكأن الفتنة عادت جَـذَعةً بين الرافعى نفسه وبين العقاد . ولقد بدا لبعض الناس رأىٌ فيما كتب الأستاذ المهذب ، ولكننا نفيناه إذ سُئلنا عنه ، فنحن نعلم أن العقاد لا يرضى اليوم أن يكتب مثل هـذا الذى كُتب عن الرافعى . ولقد ساء ظن امرئٌ بالعقاد ألا تكون للموت فى نفسه حرمة ، حتى يكون هو يعين عليه أو يرتضيه أو يسكت عنه إلا سكوت الغضب والاستهانة

فنحن إذ نكتب فى ردّ كلام هذا الأستاذ الفاضل سيد قطب لا نبغى أن نسدّد له الرأى فيما يحب أن يرى ، فما علينا ضلّ أو اهتدي ، ولا أن نقيم مذهب الرافعيّ على أصله وقد ذهب سَببهُ وبقى أدبه ؛ ولا أن نسوء العقاد حفيظة تتوارثها له عن الرافعى أو من ذات أنفسنا ، فما من شيمتنا مثل ذلك ؛ كلاً ، بل نكتب لنميط الأذى عن حُرَم الموت ، وكفى بالموت حقاً وجلالاً

ورحم الله الشعبيّ فقد كان يقول : « تعايش الناس زماناً بالدين والتقوى ، ثم رفع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمم ، ثم رفع ذلك فما يتعايش الناس اليوم إلا بالرغبة والرهبة . وأظنه سيجىء ما هو أشـد من هذا » ولقد جاء وفات ما نحن فيه ظنونَ الشعبي . فما يتعايش الناس اليوم إلا بثلب الموتى !

وإلا فما الذى رمى فى صدر الأستاذ سيد قطب بهـذه الغضبة الجامحة من أجل العقاد ؟ ألم يكتب الرافعى للعقاد يوم كان يملك يكتب ويقول ؟ أولم يكتب العقاد للرافعى ما كتب ؟ ثم نامت الثائرة ما بينهما زمناً كان حده الموت . يقول الاستاذ: إنه — هو لا العقاد — « كان مستعداً للثورة والحنق ، لو تنـاول بعض هؤلاء — يعنى الرافعى ثم مخلوفاً — أدَبه ؛ بمثـل هذا الضيق فى الفهم ، والاستغلاق فى الشعور ... » أفكان كلام سعيد العريان — وهو يؤرخ أحقاداً قد سلّها الموت إذ سَلّ أسبابها — هو الذى أثار هذا الحىّ المستعد للثورة على ذلك الميت العاجز عن دفع الثورة ؟ ثم ما الذى يحمله على أن يُلبسَ هذه الثورة جلد النقد ؟ والعجب أن يثير ما كتب « سعيد » حبًّا

ليس شيئاً فى الخصــومة بين الرافعى والعقاد ، وهو ليس يثير العقاد أحدَ طرفى الخصــومة ، وهو الذى يملك أن يقول لسعيد أخطأ أو أصاب ... ! أشهد أن ما بالاستاذ قطب النقد ، ولا به الادب ، ولا به تقدير أدب العقاد أو شعره . فما هو إلا الانسان وجه يكشفه النور ويشف عما به ، وباطن قد انطوي على ظلماته فما ينفذ إلى غيبه إلا علم الله

وأنا أقدّمُ بين يدى كلامى حقيقة لابدّ من تقريرها عن الرافعى والعقاد ، وذلك أن الرافعى — رحمه الله — لو كان يرى العقاد ليس بشيء ألبتة ، وأن أدبه كله ساقط ذاهب فى السقوط ، وأنّ وأن... مما كان يكتب ليغيظ به العقاد من جراء العداوة التى ضربت بينهما — لما حمل الرافعى عناء الكتابة فى نقد العقاد وتزييف أدبه وإبطال أصل الشعر فى شعره . ولو كان العقاد يرى الرافعي بعض رأيه الذى كتب لما تكلف الرد على الرافعي ولا التعرض له . وكم من رجل كتب عن الرافعى وعن العقاد ونال منهما وأوجع ! ولأنه ليس يدخل فى حسابهما ، ولا يقيمان لأمثاله وزناً ، ولا يعبآن بقوله ونقده وثورته — فقد تركاه يقول فيكثر فيملُّ فيسكُت . ولم يكن بين أحد منهما وبين مثله كالذى كان بين الرافعى والعقاد

فالرافعى والعقاد أديبان قد أحكما أصول صناعتيهما ، كلٌّ فى ناحيته وغرضه ، وأفنيا الليالى والأيام والسنين فى ممارسة ما هو فيه وإليه ، وكلاهما يعلم عن عمل صاحبه مثل ما يعلم عنه ، ولا يُظن بأحدهما أنه يجهل قيمة الآخر . فلما كانت العداوة بأسبابها بينهما بدأت قوّة تعارضُ قوة ، ورأىٌ يصارع رأياً ، وكان فى كليهما طبيعة من العنف والعُرام والحدّة ، وولع العقاد بإرسال العبارة حين يغضب على رِهينتها صريحة لا صنعة فيها ، وأُغرى الرافعي بالسخرية والمبالغة فى تصوير ما نصبه لسخره وتهكمه على طريقة من الفن ؛ فمن ثمّ ظهرت العداوة بينهما فى النقد وفى أذيالها أذى كثير وغبار ملؤه القواذع والقوارص من اللفظ ، وعلى جنباته صور ينشئها أحدهما لصاحبه للكيد والغيظ والحفيظة ، لا يراد بها إلا ذلك . ولقد شهدت أن الذى كان يكتبه الرافعى عن العقاد لم يكن عندى مما يحملنى على الحط من منزلة العقاد التى كان ينزلها فى نفسى ، بل أستيقن أن الذى يكتبه إنما يراد به النيل من غيظ العقاد لا من العقاد نفسه . وعلى مثل ذلك كنتُ أجد ما يكتبه العقاد عن الرافعى ، فلم يكن نيل العقاد من الرافعى — وأنا أحبه — مما يحملنى العداوة له أو يدفع بى إلى الغيظ والحنق والثورة

وخليق بنا وبآدابنا أن نطوى الآن سيئة رجلين قد تفارط أحدهما فى غيب الله ، وبقى الآخر تحوطه الدعوة الصالحة بطول البقاء وامتداد الأجل وسداد العمل

والكلمة الأولى من كلمتى الأستاذ سيد قطب ، إنما تدور رحاها ورحى (بغضائه) للرافعى — أو كما قال — عن نفى الانسانية عن ذلك الانسان رحمة الله عليه ، وخلوه من النفس ، وفقدانه الطبع ، وفقره إلى الأدب النفسيّ — وما إلى ذلك من لفظ قد ضل عنه معناه ، وتهافت عليه حده — وأنه كان (رحمة الله عليه) ذكياً قوي الذهن ، ولكنه كان مغلقاً من ناحية الطبع والأريحية ، وأن أدبه كان أدب الذهن لا أدب الطبع ، فيه اللمحات الذهنية الخاطفة ، واللفتات العقلية القوية ، ولكن الذى ينقصها أنه ليس وراءها ذخيرة نفسية ، ولا طبيعة حية ، إلى غير ذلك مما حفظه الأستاذ من شوارد اللفظ ، وأوابد المعانى ... وأسمع جعجعةً ولا أرى طحناً

وأنا كنت أنتظر بالاستاذ أن يأتى فى كلمته الثانية بشىء من النقد يُنسى إليه ما قدم فى الاولى من سوء العبارة وشنعة اللفظ فى ذكر الرافعى الميت ؛ ولكن خاب الفأل ، وجاءت الثانية تدل من يغفل عن الدلالة البينة ، على أن هذا الاستاذ الجليل لا يزال يستملى ما يكتب من بغضائه . وهان شيئاً أن يكره الاستاذ الجليل رجلا كالرافعى حتى يأكله السلّ من بغضه ؛ ولكن الامر كل الأمر حيث ذهب يزعم فيما يكتب أن هذه البغضاء التى يستملى منها هى النقد ، وأن أحكامه على الرافعى إنما هى أحكام قاض قد لزم المتهم حتى أنطقه وأشهد عليه لسانه ، فاستوعب كلامه ، واستنبط الحجة عليه من ألفاظه ، واستوثق للتهمة من قوله ، ثم بنى (الحيثيات) من فحوى عباراته ، ثم حكم وما حكم على المتهم إلا كلامُه ، ولا شهد عليه إلا لسانُه

فلهذا كان علينا لزاماً أن ننظر فى الذى أتى من كلام الرافعى ، ثم قوله فى فيه ، واستنباطه الدلائل منه ، وتحليله نفس الرافعي من لفظه حتى جعله مستغلق الطبع مسلوب العقيدة . ثم هو فوق ذلك لا يزال يبدئ ويعيد فى كلامه ذِكرَ أصدقاء الرافعى

أهمية الترجمة وحركاتها فى التاريخ

٢ – الترجمة فى الاســـلام

صفاتها وفهمها في أوربا

للأستاذ عبد العزيز عزت

نظرة رينان

وتتلخص آراء رينــان ومدرسته فى فهم التراث الإسلامى الذى بنى على الترجمة فى القرن التاسع الميلادى فى ثلاثة أفكار يجدها القارئ فى المحاضرة التى ألقاها رينان بباريس عام ١٨٨٣ (٢٩ مارس) ، وعنوانها « الإســلام والعلم » ، والذى أوحى إليه هــذه المحاضرة هو مرور الشيخ الأفغانى بباريس فى ذلك الحين . فرينان نفسه يقول فى كتابه «مقالات ومحاضرات» صفحة ٤٠٣ « منــذ شهرين عرفت الشيخ جمال الدين بفضل مساعدنا الفاضل المسيو غانم ، وقليل من الناس تركوا فى نفسى أثراً كأثره . ان مناقشاتى المتعددة معه هى التى دعتنى أن أحول موضوع محاضرتى عن العلم والاسلام » هذه المحاضرة رد عليها الشيخ الأفغانى بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٨٨٣ فى جريدة الدبيا وعقب على هذا الرد فى اليوم التالى رينان فى نفس الجريدة :

أولا — يقول رينــان ما ترجمته : « يمكن أن يقرر الانسان بسهولة تامة التأخر الواقعي لبلاد الإسلام ، وتدهور الحكومات القائمة على هذه البلاد ، و « انعدام الفكر » فى تلك الشعوب التى تخضع لهذا الدين فقط فى ثقافتها وفى تعليمها ، لأن الطفل المسلم حتى العاشرة أو الثانية عشرة من عمره يلحظ فيه نوع من الذكاء ، وفجأة عند ما ينتبه إلى تعاليم دينه ، تأخذه نزعة صوفية تنتقل به إلى نوع من الاغماء العقلى كنتيجة لتلك النعرة الجنونية : ان الاسلام هو الحق والحق وحده . لهذا يشعر المسلم فى أعماق نفسه بنوع من الاشمئزاز للتعلم والعلم ، وكذلك لفكرة الجنس والقومية لأن الأسلام يرفع الفوارق بين الأمم [1] »

ثانياً — يقول رينان ما ترجمته « إذا كانت فى الحضارة الاسلامية علماء وفلاسفة ، وكانت هي أثناء عدة قرون سيدة الغرب المسيحى ، وإذا وجد حتى عهد ابن رشد تراث فلسفى يسمى تراثا عربيا « لأنه كتب بالعربية » ، فكل هذا في واقع الأمر كان تراثا يونانيا فارسيا أو بالأصح يونانيا، لأن العنصر الأساسى فيه أقبل من بلاد اليونان . إن الفلسفة وجدت دائمــا فى بلاد الاسلام ولكنها بعد عام ١٢٠٠ طغت عليها الموجة الدينية وقضت عليها ، وساد بعد ذلك علم « النجوم » لأنه وسيلة لتحديد أوقت العبادات [2] »

ثالثاً : يقول رينان ماترجمته « حركة الترجمة العجيبة التى وجدت إبان ذلك كانت كلها من وضع الفرس والنصارى ، واليهود والحرانيين ، والاسماعيليين ، والمسلمين الذين ثاروا على دينهم ، وهذه الحركة لم تلق من علماء الاسلام إلا كل اضطهاد ، لأن الاسلام فى واقع الأمر يعادى دائماً العلم والفلسفة ، وانتهى بالقضاء عليهما . الاسلام صارم يتحكم فى العبد وفى دنياه وفى آخرته ، هو ذلك القيد الثقيل الذى لم تصب بمثله الانسانية فى تاريخها... لايمكن أن نطالب من العلم ولا من الفلسفة احترام الاسلام ، كما لايمكن أن نطالب من المكتشفات الحديثة والعلم الحديث احترام رجال الدين عامة [3] »

(١) أنظر كتابه « مقالات ومحاضرات » صفحات ٣٧٦ و ٣٧٧

(٢) أنظر فى نفس المحاضرة وفى نفس الكتاب المتقدم ذكره صفحات ٣٧٨ و ٣٨٦ و ٣٨٩ و ٣٩٠

(٣) أنظر نفس المحاضرة فى كتابه « مقالات ومحاضرات » صفحات ٣٩٢ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦

وأصحابه ويسخر منهم ويتحداهم ، ويحملهم على مركب وعر ، ويضطرهم بين خُطتى خسف فى أحكامه على الرافعى ، ويخيرهم أن يختاروا للرافعيّ طرفاً من طرفين يحسب أنه يُلزمهم شناعةً من شناعاته التى سمّاها أحكاماً على الرافعى . وسنتولّج فيا لانحب ، لا كرامةً للأستاذ الجليل أو استجابة لدعائه ، بل لنميط الأذى عن نفس مطمئنة لحقت بالرفيق الأعلى راضية مرضية

ولولا أن يقال هَجَا نميراً ... ولم نسمع لشاعرهم جوابا

رغبنا عن هجاء بنى كليب ... ...

محمود محمد شاكر

الرد على نظرية رينان

أولا — إن ماياخذه رينان على بلاد الأسلام من تأخر لايمكن أن يرجع إلى الأسلام ومبادئه ، لأن هذا الدين وهذه المبادىء كانت في يوم ما من أيام التاريخ وسيلة للانتشار والحضارة والتقدم أثناء ازدهار الأسلام خاصة فى عهد الرشيد والمأمون وهو مايشابه عهد شرلمان فى أوروبا ، وأن هذا الانتشار وهذا التقدم كان له الأثر الطيب الذى لم ينكره الأوربيون أنفسهم خصوصاً فى حركة الترجمة التى قام بها علماء اليهود الأعلام في أسبانيا وآباء الكنيسة إبان القرن الثالث عشر الميلادى ، وأن مرجع هذا التأخر يعزي فى واقع الأمر إلى أسباب تاريخية محضة لا مذهبية هى : أن إغارة الترك والتتار والمغول ، وهى أمم من « نجر » الشعوب بائسة فى الفهم والحضارة ، قد عاقت تقدم الإسلام ومنعت ازدهاره (اقرأ فاجيرى عن الإسلام) ، وبجانب هذا فان الإسلام دين كسائر الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية ، فما يؤخذ عليه يمكن أن يؤخذ على هذه الأديان ؛ ومع ذلك فهو يمتاز عنها بأنه لا يمكن للباحث أن يعثر فيه على نص يحرم به العلم والتعلم كالذى نجده مثلاً فى « الإنجيل » باب القديس بولس ، البند الخامس . ثم لا تجد فى الاسلام قوة تتوسط بين الله والعبد تسيطر عليه باسمه تعالى كسيطرة الكنيسة إبان القرون الوسطى . وكذلك فى العهد الحديث تجد فرقاً بين أن يطلع القارىء على ما كتبه شيخ الاسلام فضيلة الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى عن « الأخاء فى الاسلام » — وقانون الكنيسة الصادر فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٨ الذي به يحرم بيوس العاشر على أتباعه المساهمة فى الحركة العلمية الحديثة ، واضطهاد روح التجديد فى كل شىء .

ثانياً — أما أن تكون الثقافة الإسلامية فى أساسها ثقافة يونانية ، فهذا ليس بعيب على الإسلام ، لأن المطلع على نهضات الأمم فى التاريخ يقرر أن هذه النهضات بنيت دائماً على عنصرين أولاً : عنصر الإيمان الذى هو السبيل الوحيد للتسيطر على النزعات الجامحة « لقطيع » البشر والوصول بهذا الجمع الحاشد من عباد الله إلى أنبل الغايات الدنيوية والأخروية . وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق الدين [1] والثانى : هو عنصر العقل الذى هو السبيل لتهذيب ملكات السادة من الناس ومن يتصدى للرياسة وهذا عن طريق العلم ، والعرب فى هذا الباب أصل من الرومان والأمم الأوربية الحديثة أولا : لأنهم خلقوا هجرة الإيمان بخلق دين « جديد » يمثل « عبقريتهم الخاصة » وطابعهم الخاص وفرضوه على الناس بالخيار ، وهذا مالم يصل إليه من تقدم ذكرهم من الشعوب . ثانياً : أنهم مهدوا لخلق هجرة العقل وهم فى ذلك مثل سائر الأمم وإنما فاقوهم فقط فى أن ترجماتهم كانت أكمل وكانت أصح ، وعن هذه الترجمة نقلت الترجمات اليهودية والنصرانية ، وعن هذه الترجمات الأخيرة خلق أرسطو من جديد فى أوروبا إبان القرن الثالث عشر فكان « بدعة » وثنية فى وسط سادت فيه المسيحية بنزعتها الصليبية ، وهذا مهد حرب العقل الحديثة بين باكون وديكارت من ناحية ، وأرسطو العربي المغترب من ناحية أخرى [2]

ثالثاً — أما أن يأخذ رينان على حضارة الإسلام أنها حضارة بنيت على عناصر خارجية كالفرس والنصارى واليهود ... وهلم جرا ، فالتاريخ يحدثنا أن الحضارة المسيحية فى القرون الوسطى بنيت أيضا على مثل ذلك ، فالمذهب الرسمى للتفكير في المسيحية هو مذهب للقديس توماس (اطلع على مكتوب الكنيسة الصادر فى ١٤ يناير سنة ١٩٠٤) وهذا المذهب يتأثر بمذهب أرسطو وبنى فى أصله على حركة الترجمة فى القرن الثالث عشر فى باريس ، وزعيم هذه الحركة وأستاذ القديس توماس نفسه : هو القديس البير الكبير وهو ألمانى الأصل وساعده فى أبحاثه علماء اليهود فى اسبانيا لأن علم العرب انتقل إليهم فى ذلك الحين ، (اقرأ منك فى كتابه « الفلسفة العربية واليهودية ») ولهذا عندما يهتم الكردينال مرسيه بإصلاح التعليم الكاثوليكى ضد حركة التجديد فى القرن العشرين يقول حسب تعاليم الكنيسة بتعلم اللغة العربية حتى يقف المسيحيون

---

(١) إقرأ جوسان « نفسية الجموع البشرية »

(٢) اقرأ أستاذنا جلسن بالكليج دى فرانس « نزعة الفلسفة فى القرون الوسطى » وأيضاً « أثر فلسفة القرون الوسطى على فلسفة ديكارت » وأيضاً مقالة بويع « هل قرأ باكون الكتب العربية »

فى أوروبا على وصول مذهب القديس توماس (إقرأ مكتوب الكنيسة الصادر فى ٢٧ مارس سنة ١٩٠٦) ، ثم إن العناصر الخارجية فى أى زمان وفى أى مكان هى قانون عام بين الأمم لتبادل الثقافة. فالآن الخبراء العالميون ينتقلون من وطن إلى وطن فى أرقى الأمم المتحضرة ، والجنود المأجورة أو المساعدة فى الحروب تفعل مثل ذلك ، وفى فرنسا مثلا الآن كثير من زعماء الفكر من أصل أجنبى كالفيلسوف الخالد برغسون وكذلك مدام كربيه ، العلامة المشهور ميرسن ، بل إن أستاذ اللغة الفرنسية نفسها فى السربون (سيبويه الفرنسى) من أصل خارجى وهو العلامة فرتينا ستروفسكى ، ومع ذلك فإن أحداً من الناس لا يمكن أن يشك فى أن هناك حضارة فرنسية قائمة وأن أثرها معروف فى العالم

ومجمل القول أن رينان هذا رجل يؤمن قبل كل اعتبار بالمذهب الوضعى ، وهو مذهب « العلم » الحديث الذي يبنى على المنهج التجريبى الرياضى فى العلوم الطبيعية ، ويسعى أن يجعل من علوم الإنسان الأدبية علوماً لا تقل دقة فى أبحاثها عن العلوم المتقدمة . وهذا الفهم فى نظر أتباع هـذا المذهب يناقض فى أصوله ما ساد فى تاريخ البشرية من نزعات الفكر التى تتلخص فى نظرهم فى نزعة دينية قالت بالوثنية تارة ، وبعبادة مظاهر الطبيعة تارة أخرى ، وبالتأليه تارة ثالثة ، ونزعة تجريدية خالصة يمثلها العهد اليونانى وهى تبنى كأساس على منطق أرسطو ، والفلسفة الاسلامية تتبع هذا العهد . لهذا خرج رينان على المسيحية ، ولهذا أيضاً اعتبر الترجمة فى الاسلام كنقل حرفى أى الفلسفة اليونانية « مخطوطة » بحروف عربية ، وهـذه الترجمة ما هى إلا ترجمة مؤلفات أرسطو « بالذات » ، وتعاليم هذا الفيلسوف هى « الوحيدة » التى سادت التراث الاسلامى من أوله إلى آخره ، وأن هذه الفلسفة لاقت الاضطهاد من علماء الاسلام لأن هذا الدين ضد حرية الرأى والتفكير ، فعداء رينان للاسلام وترجمته وفلسفته ، عداء يتعلق إذاً بمذهبه العام الذى ساد فى فرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر . لهذا لزم أن يضاف إلى ردود من عقّب على كتاباته من المسلمين رد جديد ملخص يشتق من طبيعة الآراء والمعارف فى القرن العشرين .

عبد العزيز عزت
عضو بعثة الجامعة المصرية لدكتوراه الدولة



فى ورقة منفصلة بين مخلفات « بتهوفن » وجدت هذه الأسطر الدامعة : « الحب ، ليس غير الحب ، هو وحده الذى يستطيع أن يجعل حياتك سعيدة . آه يا إلهى ، دعنى أجدها أخيراً ، تلك التى فى مقدورها أن تدعم فضائلى ، تلك التى قد سُمح لى أن تكون زوجتى »

ومات بتهوفن ولم يُسمح له . أترى الطبيعة عدوة الفنان، تضن عليه بما تمنحه للآخرين ؟ نعم . إنها لتقسو عليه، وإنها لتغار منه أحياناً وتقول له فى لغتها الصامتة البليغة :

— أنت تطلب إلىّ أنا أن أمنحك الحب ؟ لا ، إنى أمنحه كل الناس إلا أنت . إنى أمنحه أولئك المساكين الذين لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً ؛ أما أنت فتستطيع أنت نفسك أن تخلق « الحب » . إنك مثلى عبقرية خالقة . كل عملك فى هذا الوجود أن تصنع « الحب » وتمنحه الناس .

وهكذا تتخلى الطبيعة غالباً عن الفنانين العظام ، وتتركهم يبحثون سدى عن السعادة فلا يجدونها كما يجدها الآخرون ملقاة كالفاكهة الناضجة ساقطة تحت الأشجار . إنما هى شىء بعيد ، كلما مدوا إليه أيديهم ابتعد عنهم وتركهم يائسين . عندئذ ينكبون طول حياتهم على كنوز نفوسهم وحدائقها اليانعة يستخرجون منها للناس فاكهة من ذهب وفضة ، تقصر الطبيعة أحياناً عن تقديم مثلها . ولكن الطبيعة تنظر إلى الفنان نظرة التشفى مع بسمة السخرية

— أفهمتنى الآن ، وعلمت أن كلينا يعيش فى الحرمان ، وأن سر وجودنا أن نعطي ولا نأخذ ؟

فيقول لها الفنان فى نبرة ألم :

— نعم ، ولكنك أنت الطبيعة . أما أنا فآدمى مسكين . إنك لا تتألمين ، أما أنا فأتألم ؛ إذ أرى الحياة تزول من تحت قدمى ، ولم يسمح لى بحظ قليل من الهناء الذى يسخى به على الآدميين ! على الآدميين ؟ ومن قال انك منهم ؟ عند ما وضع على منكبيك رداء « العبقرية والخلود » خلع عنك فى الحال بعض خصائص الآدميين !

توفيق الحكيم

إيضاح وتعليق

بحث في الرمزية

للأستاذ زكي طليمات
مفتش التمثيل بوزارة المعارف

نشر الأستاذ الدكتور بشر فارس تعليقاً ضافياً فى المذهب الرمزى نشرته الرسالة فى عددها رقم ٢٥١ جاء تكملة لبحثه القيم الذي صدر به روايته « مفرق الطريق »

والحديث فى الرمزية شيء يطول ، فلا تحلو مطالعته في مجلة تحرص على أن تقدم لقرائها نبعة من كل ينبوع

بيد أنه يعنينى من تعليق الأستاذ شيئان لهما اتصال وثيق بما سبق أن نشرته عن الرمزية فى هذه المجلة منذ ثلاثة أسابيع ..

الأمر الأول هو ابتهاج الدكتور بشر بأن رانى أعمد إلى بعض تراكيب جرت فى توطئة مسرحيته المذكورة فى التعبير عن معان وألوان فى الرمزية . وهأنذا أبادر بتسجيل ما يزيد فى ابتهاج الأستاذ الدكتور ، بل ويبعث زهوه ، فأصرح بأننى حقاً عمدت إلى اقتباس تركيبين أو ثلاثة تراكيب وجدت فيها التعبير الكامل عن خلجات وآراء كانت تجول فى نفسى منذ أن كنت أدرس الرمزية فى الاخراج والتمثيل فى معاهد أوربا . ولا يسعنى إلا أن أهنئ الأستاذ الدكتور على توفيقه فى إيجاد هذه التراكيب وإطلاقها حية قوية تنبض بالمعنى البكر ، وتشق طريقها بين التراكيب الفنية والأدبية لتستقر فى صلب اللغة العربية

أما الأمر الثانى ، فالتباس عرض للأستاذ الدكتور حينما أردت أن أفرق بين طبع الدكتور فارس وطبع غيره ممن عالجوا الرمزية من قريب أو من بعيد ، فأجريت فى مقالى الثانى ما نصه: « فبشر فارس وتوفيق الحكيم يغترفان من مصدر واحد ، الأول يكتب متثبتاً بما تلقنه ... »

ولا يسعني أن أعلق على هذا قبل أن أبدى عجبى من ذلك الالتباس الذى خالط ذهن الدكتور ؛ إذ المعنى جلى واضح العبارة ، يزيده إيضاحاً ما أوردته فى صلب ذلك المقال ، وفى نقدى السابق لمسرحيته « مفرق الطريق » التى نشرته الرسالة قبل بحثى فى الرمزية .

قلت : إن بشر فارس وغيره من الكتاب الشرقيين يغترفون من معين واحد ؛ وإذا اغترف كاتب من معين ، فمعناه أنه تلقن مبادئ وأساليب معينة . إلا أن هناك من يكتب وقد أخذ متثبتاً بما تلقنه ، ومن يكتب وقد خالط ما تلقنه خيال طارئ

هذا وقد أعطيت الشيطان حقه حينما أنصفت بشر وتوفيق الحكيم بما نصه : « إلا أن لكل منهما طرائقه فى التعبير عن رمزيته » فالأستاذان كاتبان مجيدان فى الرمزية ، ولكل منهما سحره فيما يكتب ، ولا يضير الاثنين أنهما يصدران عن نبعة واحدة مادامت طرائق كل منهما تحمل طابع شخصية مستقلة

وزيادة فى الإيضاح أقول إن منحى بشر فارس في الرمزية هو منحى يقوم على التأثر الدفين تمازجه الوجدانيات والفلسفة ، فى حين أن منحى الأستاذ توفيق الحكيم يأخذ سمت السخرية بالمواطف ليدلل على إفلاسها أو ليناقش عابثاً هازئاً بمدركات مجردة ؛ وكلتا الرمزيتين لها طلاوتها ، ولها فلسفتها ، ولها أسلوبها فى الكشف عن الغامض والمبهم والتائه فى لفائف الروح

أما ماذهب إليه الدكتور فارس من أن مسرحيته تستقر فى الرمزية المستحدثة Néo-symbolisme فأمر لا يغير شيئاً من منحى مسرحيته مادامت تصعد إلى الرمزية الأولى التى شرحناها أنا والدكتور بشر . فروايات « إدمون روستان» مثلاً تعتبر من صميم الرومانسية ، وهي مع ذلك من الرومانسية المستحدثة (Néo romantisme) كما يقول النقاد

وما الرمزية إلا خلجة من خلجات النفس خرجت ولها طابع خاص لم يلبث أن خالطته ألوان نفسية جديدة قد تحور من مظاهرها وتبدل من أشكالها ، ولكنها لا تطغى على صميمها ؛ وشأنها فى ذلك شأن أية عاطفة بشرية . ولو أردنا أن نحصى الألوان التى داخلت الرمزية منذ نشأتها لتعذر علينا البحث ولأعيانا الأمر ولوقفنا موقف من يريد أن يقسم الشمرة الواحدة من الرأس إلى أربعة أقسام كما يقول الفرنسيون !

يبقى بعد هذا أن أبدى سرورى بأننى كنت فى طليعة من نوه بمقام مسرحية « مفرق الطريق » وأنا الرجل الذى يشغله

جوله في معرض الفنون (١)

بقلم نصرى عطا الله سوس

يقولى بول فاليرى فى معرض الكلام عن قصيدته « المقبرة البحرية » إنه ليس من حق الشاعر أن يفرض على قارئه معنى خاصاً لقصيدته ولا أن يفسرها له . فالشاعر قد فسر شعوره فى أبياته فما معنى تفسير هذه الأبيات بعد ذلك ؟ إن التفسير لايكون إلا فى حالة العجز والقصور. فلكل قارىء أن يستخلص مايشاء إلا إذا كان ممن عناهم المتنبى بقوله : —

ومن يك ذا فم مرٍ مَريض   يجد مُراً به الماءَ الزُّلالا

فالشاعر قيثارة تستنطقها الطبيعة ألحاناً تختلف النفوس فى تلقى موحياتها وتفسير معانيها؛ والنفس الانسانية أوسع وأرحب من أن يحدها تفسير . وما يجهله الانسان من نفسه ومما حوله أكثر مما يعرفه معرفة اليقين . والفن رسالة توحيها النفس الباطنة أكثر مما توحيها النفس الواعية . والنفس الباطنة كثيراً ما تلغز وترمز دون أن توضح

وكان الموسيقى الكبير « رافيل » يقول : ليس هناك « فنون » بل هناك « فن » ، فن واحد يبدو طوراً ألحاناً خالصة، وطوراً كلمات منظومة ، وطوراً خطوطاً وألواناً ، صور مختلفة تعبر فيها الروح القوية عن مشاعرها وإحساساتها — ومن هنا ترى أن ماقاله بول فاليرى عن الشاعر ينطبق تماما على الفنان . ولما كنت أعتقد أن الفن تعبير قبل كل شىء ، فقد ذهبت إلى معرض الصور وأنا أقول لنفسى : « انتبه . تبين أى الصور ستوجه نفسك إلى نواحى جديدة فى الحياة لم تسعفك تجاربك بتمليها ؟ وأى الصور ستجدد وتعمق إحساساتك بما عرفته وخبرته . . »

* * *

يتفاوت مستوى الإجادة الفنية بين العارضين تفاوتاً كبيراً ؛ فالى جانب الصور القوية الناضجة نجد صوراً تذكرنا بما كنا نلقاه فى كتب الطالعة الابتدائية من صور ؛ ولا ندرى كيف تسربت هذه إلى المعرض . ونسبة العارضين من الطلبة كبيرة جداً . وقد راعنا فقدان الروح الفنية بينهم تماما . والفنان كالشاعر يولد ولا يصنع . ومدارس هؤلاء تعلمهم إتقان الرسم والتعبير ، ولكن التعبير عن ماذا ؟؟ هذا مانحب أن نسأل عنه فنانى الجيل المقبل . . وأغلب من حادثتهم من العارضين لايهتمون إلا بطريقتهم فى رسم الصورة. وهذا قصور بارز ، ولعله أكبر آفة تحل ببعض الفنانين المعروفين . فكل يريد أن يكون زعيم مدرسة وصاحب طريقة خاصة يعرف بها وتنسب اليه. وهذا جميل ومعقول بشرط أن يكون تلقائياً ويتطلبه مثَل الفنان الأعلى ومنزعه. وأما أن يركب الفنان الشطط لالغاية أكثر من الشهرة والاختلاف عن غيره ، فهذا مالا يرضاه الفن . فلست أدرى ماالذى يدعو الأستاذ راغب عياد مثلاً إلى أن يقصر فنه على دراسة الأسواق وما شاكلها من نواحى الحياة المصرية التى سيأتى عليها الزمن بعد حين . قيل لنا إن عياداً يود أن يخلق فناً محلياً . وهذه رغبة نبيلة دون شك ، ولكن الفن المحلى الذي يموت لتوه إذا نقل إلى بلد آخر ، غير جدير باسم الفن . ومحلية الفن لاتتنافى مع عاليته . فالفن الإغريقى القديم له مميزات خاصة (وكذا المصرى القديم والإيطالى فى عهد النهضة) تمليها البيئة التى نشأ فيها ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يكون فناً عالياً يدرس ويستوحى فى كل مكان

ويظهر أننا نخطىء فهم كلمة «محلى» كثيراً . فالفنان عالمى الذات بطبعه وروحه؛ والفن القوى يحقق شرطين : (١) القدرة على البقاء والاستمرار (٢) العالميه . ولكن عندما يعمد الفنان إلى رسم رقصات روحه وهمسات نفسه مضطر إلى أن يختار لها أشكالا وألوانا مما حوله أى من البيئة التى يعيش فيها . وكذا « روح العصر » تدفع الفنان إلى أن يبرز ويؤكد بعض نواحى الحياة ويترك بعضها . فهو يبين لنا تفاعله مع عصره بتوجيه

(١) معرض القاهرة الثامن عشر . افتتح يوم ١٦ ابريل سنة ١٩٣٨ وتنتهى مدته يوم ٨ مايو سنة ١٩٣٨

المسرح عن كل شىء عداه . ويسرني أيضاً أن أرى هذه المسرحية تشغل تفكير نخبة من الأدباء أمثال أمين الريحانى ، وميخائيل نعيمة ، وحافظ محمود ، وكامل محمود حبيب ، والأب العلامة الكرملى ، وصديق شيبوب وغيرهم . وأعجب وفى مصر نخبة من الأدباء الذين يجردون أقلامهم لكل حادث أدبي ، كيف أن هذه المسرحية الطريفة لم تحرك أقلامهم بالكتابة لها أو عليها ، والرواية كما قلت من قبل حدث فى الأدب العربى الحديث ! زكى طليمات

الأنظار إلى ما هو خافٍ، وتشنيع ما هو مستهجن، وتمجيد كل ماهو نبيل، وهكذا. ولكن عناصر الحياة هي هي في كل زمان ومكان. والبيئة والعصر عاملان لا يكتمل فن بدونهما، ولكن جوهر الفن واحد في كل زمان ومكان

وحسبنا بعد ذلك أن نذكر أهم الفنانين :

لامراء في أن الأستاذ محمود بك سعيد أبرز العارضين وأعمقهم شاعرية وإحساساً، وفنه يفرض نفسه عليك فرضاً : فن ممتلئ قوة ودماً، ورسوم تكاد من فرط حيويتها تترك لوحاتها وتشارك الأحياء حركة وكلاماً. والفنان يشعرك أنه يحب الحياة حباً لا نهاية له، ويمجد جمالها تمجيداً تقصر عنه الكلمات وتقربه الألوان إلى النفس بعض الشيء، وألوانه القوية تقول لك إنه يعتقد أن الحياة جميلة غنية محببة عميقة لا تعرف نفسه سبيلاً إلى الارتواء والاكتفاء مهما عب من معينها. وتجتمع عند الأستاذ سعيد خواص قلما تجتمع عند غيره، أهمها التوفيق بين التعبير العاطفي القوي مع محاكاة الطبيعة. وفنه خير مثال للتعريف القائل بأن الفن هو الطبيعة وشعور الفنان مجتمعين

ولا أعرف أقصداً أم صدفة جاءت لوحات السيدة إيمي نمر قبالة لوحات سعيد بك، وفن السيدة الفاضلة فن قوي ولكنه نقيض فن سعيد تماماً. ألوان سعيد تدل على الحيوية والفرح ؛ أما فن السيدة إيمي فهو قاتم حزين، وألوانها توحي للنفس تأمل الفيلسوف الزاهد الذي يركز بصره على الناحية القاتمة من الحياة. وأي نفس لا تهش لمنظر البحر وبطربها انعكاس الألوان والأضواء على سطحه، وتسلسل أنغامه، وجيشان أمواجه وما ترسم على وجهه الريح من رموز وأسرار، ولكن الفنانة تتغاضى عن كل هذا وترسم لك « منظر تحت سطح البحر » وماذا تعرض عليك ؟ عدة هياكل عظيمة « ومنظر طبيعي » يمثل الخريف بأقفاره وهمومه ووجومه، « والأمومة » يخالط الأم فيها البؤس والشقاء وعبء الأمومة مع ما فيها من حنان، « ومكتوفة اليدين » أبلغ ما يمثل لك الحيرة والبؤس والأسى وتفاهة الحياة مجتمعة — ولوحاتها تدل على أن طاقتها الفنية عميقة جداً

وفن السيدة برسيلون نوس (مصرية) فن ناضج، ويتمثل نضوجها في اختيار الألوان بحيث تعبر عن الجو العاطفي للصورة. وأحسن مايبدو هذا في « الكهولة » حيث يغلب اللون الأصفر المزوج بالأحمر ؛ وفي « الرجل والزجاجة » — أما « رأس صعيدي » فتمثل روح الوجه القبلي تماماً، و « رأس امرأة مصرية » تكاد تنطق روعة وشباباً. وبالجملة فهي رسامة شاعرة

وقد قال لي بعض من يعرفون الأستاذ حسين محمد بدوي إنه لا يعرض « فناً » وإنما يعرض طريقته الخاصة. وعلى كل فرسومه تدل على مقدرة فائقة، ولكن هذا ليس كل شيء، فما فائدة مقدرة لا يعرف صاحبها كيف يستخدمها. وطريقة الأستاذ لا تتفق إلا وموضوعات وحالات نفسية معينة لو تعدتها إلى غيرها تضر ولا تنفع. ولو عني الأستاذ بهذه الناحية لكان فنه أوقع وأمتع وأبدع. وفن الأستاذ نجيب أسعد يغري بالمقارنة بفن الأستاذ حبيب جورجي ؛ إلا أن الأخير أرحب روحاً وأعمق نفساً. فمناظر الكنائس والأديرة التي رسمها الأستاذ جورجي يبدو فيها جلال الدين وقداسته. أما تلك التي رسمها الأستاذ أسعد ففيها تبدو الوحشة والكآبة التي تخيم على مثل هذه الأماكن. وهناك رسوم تدل على تمكن أصحابها من الرسم، ولكن تنقصهم الرحابة الفنية. وأهم هؤلاء هم الأساتذة محمد محبوب، ولبيب أيوب (وحسبه « العود » فهي لا عيب فيها) ونعيم جاب الله، وإن كانت رسوم الأخير تدل على فهم تام بطبيعة الألوان وذوق دقيق في اختيارها

وهناك طبقة أخرى اكتفت بأن حاكت الطبيعة محاكاة تامة، ولوحاتهم تدل على تمكن من الصنعة ودقة ملاحظة، ولكن لا أثر للفن فيها، لأن الفن شيء والمحاكاة الفوتوغرافية شيء آخر. وأبرز هؤلاء الأساتذة ادموندصوصه، وهيدايت دانش وجورج صباغ

وعدد الصور الآدمية Portraits في المعرض كبير جداً. وهذه ناحية من نواحي الفن التي يقل فيها المجيدون، لأن الغرض منها ليس نقل الملامح فقط بل نفسية الشخص ومميزاته الخلقية. ولذا فالفنان مجبر على دراسة من يتصدى لرسم صورته دراسة نفسية عميقة قبل أن يتناول ريشته. ولهذه الكثرة تفسير نفسي مقبول، وهي أن النوازع النفسية التي تدفع الفنان إلى رسم الأشخاص تختلف، وبعض هذه الدوافع تنتج فناً أصيلاً، وبعضها ينتج فناً زائفاً — مثال هذه الأخيرة حب المدح وحب السيطرة والتملك. والفنان الأصيل يحلل مشاعره قبل أن يرسم

وهناك فنان شاب هو موريس فريد، ولفنه ميزات بارزة أهمها اندماجه النفساني في جو الموضوعات التي اختارها للوحاته، وألوانه

بعد عام

مصطفى صادق الرافعي

للأديب أحمد فتحي

تلكَ أنغامُه ، وهذا نشيدُهْ   رَنَّ فى مِسمَعِ العُلَى ترديدُهْ
أَسْعدَ الليلَ بالأغاريد ، حتى   غمر الليلَ بالمنى . غِرّيدُه !
هاكَ أعوادَهُ تمايَلُ فى الرَّوْ   ضِ ، فتهفو إلى ذُراها وُرودُه
كلما هَمَّ بالغناء تثنّى   مثل ليلايَ فى المشارفِ عُودُه
طائر دَفَّ فى الدُّجى بجناحيْـ   ـهِ على النَّهْلِ يُسْتَساغ ورودُهْ
كلما شارف الموارِدَ ردَّتْـ   ـهُ شجونٌ يضجُّ منها جليدُهْ !
قَبَّلَ الطلُّ خدَّهُ ، وتَمادى   نحو ثغرٍ يحكى الرِّضاب بَرودُهْ
وترامى الدجى على قدميـه   والليالي كأنهن عبيدُهْ !
وهو هيْنٌ ما يَرُدُّ سؤالاً   بيض أفكارِهِ سواءٌ وسُودُهْ
إن طَوَتْ ذِكْرَهُ الليالى فما زا   لَ عزيزاً ، قديمُهُ ، وجديدُهْ

* * *

إيه يا مصطفى ، وقد ضِيَ العا   مُ ، ورَفَّتْ على البرايا بنودُهْ
كيف أصبحْتَ فى مكانك بالخلْـ   ـدِ ، وأَينَتْ صلاتُهُ وسجودُه
عيشُنا عارياتُ ربك فى الدنْـ   ـيا ، وللمتّقِين فيها خُلودُهْ
يعشقُ الناسُ فى مباهجهِ المجْـ   ـدَ ويَفْنَى طريفُهُ وتَليدُهْ
ما ترى فى معاشرٍ جحدوا الشِّعْـ   ـرَ وقد طابَ فى ذُراهُمْ جُحودُهْ
إنَّ منه لحكمةً تترك القلْـ   ـبَ قعيداً يملُّ منه قعودُهْ !
فيمَ سَعْيُ الأنام والعيشُ نجمٌ   يبهرُ العين نحسه وسُعُودُهْ ؟
زخرفٌ كُلُّها الحياةُ احتواها   أَمَلٌ يَخْدَعُ الرجالَ شرودُهْ !
ما ترى العينُ غيرَ مُلْكٍ من الوَهْـ   ـمِ تناهَتْ سهولُهُ ونجودُهْ
سَرِّحِ الطرف ، هل تَرَى غير خلق   يتباكى شقيُّهُ وسعيدُهْ ؟!
كذب كلها الحياةُ ، وعمرٌ   ليس يبقى قصيرُهُ ومديدُهْ !

* * *

يا فقيدَ البيان ، والشعرُ وَحْيٌ   مِنْ عُيونِ السماء تَهْمِي قصيده
قد حفظنا عهودَهُ ، لم نُضِعْها   ولقد طالما أُضيعَتْ عُهُودُهْ
ظلَّ فينا القريضُ قُدْسَ تراثٍ   أنا بَشّارُهُ ، وأنتَ لبيدُهْ !
شَدَّ ما ضلَّ فتيةٌ رغبوا التَّحْـ   ـرِيرَ فيه ، وشاقَهُمْ تجديدُهْ
زعموا الشعر كالثياب ، بعصر   يَتَشَهَّي استحداثَها فيه غِيدُهْ
قلَّدُوا الغَرْبَ فى نظم القوافى   وهي عقدٌ ما ينبغى تقليدُهْ !
أين تلك الحصباءُ من ذلك الدُّرْ   رِ صحيحاً يتيمُهُ وفريدُهْ ؟!

* * *

يا حبيبَ القرآن ، وهو بيانٌ   لاحَ إعجازُهُ وَعَيَّ حَسُودُهْ
لم تزلْ هاتفـاً به تتغنَّى   يبعثُ السِّلْمَ فى النفوس نشيدُه
لك من طهر آيه بركاتٌ   تُجْزِلُ الأجر للتقى وتزيدُهْ
إن شكوتَ الجحودَ فى ظل دهر   قد تساوَتْ جِراؤُهُ وأُسُودُه !
فلكَ الغاية التى وَعَدَ اللهُ   ويا حُسْنَ ما أعدَّتْ وعودُه
جنَّةً عرضُها السموات والأرْ   ضُ ، وظلاًّ ما ينطوى ممدودُه

« القاهرة »   احمد فتحي

وخطوطه تمتازان ببساطة معبرة تلائم روح المناظر الطبيعية التى تمثل سلام الطبيعة وسكونها وصفاء شمس مصر

أما فى فن النحت فمن أحسن العارضين الفنان الشاب فتحى محمود على ؛ وحسبه «الأمومة» ، ففيها كل العناصر التى يتألف منها الفن الناضج ؛ وأديب يس يوسف وإن كان فنه فجاً بعض الشيء إلا أنه يحتوى على العوامل التى تصلح أساساً متيناً لفن قوى ممتاز ، والفنان الايطالى فيتوريو روسين

* * *

وأرجو أن يتاح لى أن أنشر فى الرسالة قريباً سلسلة من المقالات أبين فيها فلسفة الفن الحديث وأصوله ومذاهب الفنانين المختلفة ومميزات كل مدرسة ، وأعرض للنواحى البارزة لفن كل أمة . ورغبتى المتواضعة هى أن يتاح لدارس الفن ومحبيه الاطلاع على هذه النواحى ودرسها فقد لاحظت انها مجهولة تماما بين كل من تعرفت اليهم . كما أن صور أغلبية من لا أعرفهم لا تدل على عرفانهم إياها

نصرى عطا الله سوس



مطالعات فى « ألف ليلة وليلة »

عبد الله البرى وعبد الله البحرى

قصة فلسفية دينية

للدكتور حسين فوزى

إننى أراه هذا الصياد المعدم وقد عاد من صيده فارغ الجعبة ينتظره بالبيت تسعة عيال وأمهم التى وضعت فى هذا اليوم بالذات مولودها العاشر . أراه فى عودته واقفاً بباب الخباز وسط الزحام وكان « وقت غلاء ، ولا يوجد عند الناس من المؤن إلا القليل فى تلك الأيام »[1] ، يرمق الأرغفة المتراصة بنظر زائغ ، ويستعبر رائحة « العيش السخن » تشتهيه نفسه . أراه ماثلاً أمامى هذا الصياد « الغلبان » خرج صباح اليوم باقى الشبكة « على بخت المولود الجديد » فلا تصيد إلا رملاً وحصى وأعشاباً . وهو يتساءل « كيف يخلق الله هذا المولود من غير رزق » وقد حفظ من أقوال الأقدمين : « من شق الأشداق ، تكفل لها بالأرزاق . فالله تعالى كريم رزاق »

وإذا بالخباز يناديه ويسأله إن كان يطلب خبزاً . ثم يلح عليه فى أن يحمل منه ما يريد فهو صابر عليه حتى يأتيه الخير . ويرضى الصياد على شريطة أن يقدم شبكته رهناً ، فيرفض الخباز احتجاز الشبكة التى يقوم عليها أود الصياد ، ويعطيه خبزاً بعشرة أنصاف فضة ، ويقدم له عشرة أنصاف فضة « ليطبخ بها طبخة » . على أن يجيئه بسمكة فى الغد .

وفى اليوم التالى يخفق فى صيده كما أخفق فى اليوم السابق ، فيخجل أن يقف بباب الخباز . بل هو يعجل بخطاه أمام حانوته ولكن الخباز يناديه قائلاً « ياصياد ، تعال خذ عيشك ومصروفك فإنك نسيت » . ودام الحال على هذا أربعين يوماً حتى سئم الصياد هذه الحياة ، وود أن لم يكن المخبز فى طريقه إلى البحر حتى لا يضطر إلى المرور بالخباز الكريم . ولكن زوجه تشجعه على المضى إلى البحر ، وتشكر الله الذى قيض لهم هذا المحسن

ويذهب الصياد إلى البحر فى اليوم الواحد والأربعين وهو يدعو الله أن يرزقه « ولو بسمكة واحدة يهديها للخباز » : وإذا بالشبكة متثاقلة يسحبها فى مشقة . حتى إذا هى عادت إليه ألفاها تحمل . . . حماراً ميتاً ! وهرب من الرائحة الكريهة إلى ناحية أخرى من الشاطىء . وتثاقلت عليه الشبكة أكثر من المرة السابقة ، حتى إذا ما جذبها إليه خرج منها رجل حسبه الصياد « عفريتاً ممن اعتاد سليمان أن يحبسهم فى القماقم يرمى بها إلى البحر » . وصاح الصياد :

— الأمان ، ياعفريت سليمان !

فيجيبه الرجل :

— تعال ياصياد ، لاتهرب منى فأنا آدمى مثلك . خلصنى لتنال أجرى .

يخلصه الصياد و يعلم من أمره أنه ليس عفريتاً من الجن . فيسأله عمن رماه فى البحر ، ويجيبه بأن البحر مقره ومثواه . فهو من « أولاد البحر » وقع بالشبكة صدفة ، وكان بوسعه أن يقطعها ليخلص نفسه ، لولا أنه « راض بما قدر الله » . ويسأل الصياد أن يعتقه « ابتغاء لوجه الله » . ويتفق وإياه أن يجتمعا فى ذلك الموضع كل يوم ، فيأتيه الصياد بفواكه البر « وعندكم منها العنب والتين والبطيخ والخوخ والرمان وغير ذلك » ويأتيه هو

(١) الفقرات الموضوعة بين أقواس مقتطعة من النص الأصلى للقصة كما هى دون تبديل . وكذلك الأحاديث باقية كما هى فى الأصل . وكل ما أخذته بشأنها هو ترتيبها حسب الأوضاع العصرية المتبعة فى القصص .

« بمعادن البحر من مرجان ولؤلؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وغير ذلك » .

ويقرآن الفاتحة ، ويخلصه الصياد من الشبكة ثم يتفقان أن ينادى الصياد عليه من البر كما أراد ، قائلاً « أين أنت ياعبد الله يابحرى ! » فيلبى .

— والآن مااسمك أيها الصياد ؟

— اسمى عبد الله

— أنت إذن عبد الله البرى ، وأنا عبد الله البحرى . إنتظر حتى آتى لك بهدية

ويختفي عبد الله البحري في الماء هنيهة تبدو لعبد الله البرى كأنها دهر . ويتأسف على تركه هـذا المخلوق يفلت من يديه ، وكان في استطاعته أن يأخذه إلى المدينة يعرضه في الأسواق ، ويدخل به « بيوت الأكابر »

ويعود عبد الله البحري باللؤلؤ والمرجان والزمرد والياقوت ملء اليدين . ويعتذر لأخيه عبد الله البري عن عدم تمكنه من أن يحمل إليه أكثر من ذلك . ولو أن « عنده مشنة لملأها له » ويتواعدان على اللقاء في الأيام التالية

وغدا عبد الله البرى رجلاً واسع الثروة بفضل صداقته لسميّه البحري . وقد أخفى سره إلا عن الخباز الذى أحسن إليه في عسره . وراح يقاسمه الجواهر البحرية

ولكن هذه الثروة المفاجئة تستثير شكوك الناس . وينتهي الأمر إلى أن يتهمه شيخ الجوهرية بسرقة حلى ابنة الملك . ويقتاده الحرس إلى القصر ، فتنكر الأميرة أن هذه جواهرها . وترسل إلى والدها من يقول له بأن بعض اللآلىء أجمل من لآلىء عقدها . فيغضب الملك وينهر شيخ الجوهرية وأتباعه . فاذا اعتذر الرجل بأن « الصياد كان فقيراً فاستكثرنا عليه هـذا الغنى المفاجىء » صاح الملك فيه وفيمن حوله : « أتستكثرون النعمة على مؤمن ؟ اخرجوا لا بارك الله فيكم »

وسأل الصياد عن قصته فسردها عليه . وهنا يطاطىء الملك الحكيم رأسه هنيهة ثم يرفعه قائلاً :

— يا رجل ، هذا نصيبك . ولكن المال يحتاج إلى الجاه ، وأنا أسندك بجاهى

ثم يزوجه ابنته ويقيمه وزيراً له ، ويحنو على أطفاله العشرة وتكون زوجة الصياد موضع تكريم الملكة « فتنعم عليها ، وتجعلها وزيرة عندها »

وغداة الزواج يطل الملك من النافذة فيرى وزيره وصهره عبد الله حاملاً على رأسه « مشنة » ملأى بالفواكه فينكر عليه ذلك ، ويجيبه صهره بأن لا قبل له بإخلاف ميعاد صديقه عبدالله البحري ، خصوصاً في الظرف الحاضر إذ يحق له أن يتهمه بأن « إقبال الدنيا عليه ، قد ألهاه عنه »

يحافظ عبد الله البرى على عهد صاحبه البحرى ، ويواصل قسمة الجواهر بينه وبين صاحبه الخباز . ثم ينتهي إلى التحدث بشأنه مع الملك الذى يقول له « أرسل إلى صاحبك الخباز وهاته لنجعله وزير ميسرة »

وربما حسبت القصة منتهية عند هـذا الحد . والواقع أن مجرد استقرار الحال قد يؤذن بختامها ، فعبدالله البرى يذهب كل يوم بسلة الفواكه يستبدلها بجواهر البحر . وحين تخلو البساتين من الفواكه يحمل إلى صاحبه الزبيب واللوز والبندق والجوز والتين . ويدوم الحال على هذا عاماً تتطور القصة في آخره تطوراً جديداً أسرده عليك

جلس عبد الله البري ذات يوم على شاطىء البحر يتحدث إلى صديقه عبد الله البحرى فيبادره هذا قائلاً :

— يقولون يا أخى إن النبى صلى الله عليه وسلم مدفون عندكم في البر ، فهل تعرف قبره ؟

— نعم ، فهو في مدينة يقال لها طيبة

— وهل يزوره أهل البر ؟

— نعم .

— هنيئاً لكم يا أهل البر بزيارة النبى الكريم . فمن زاره استوجب شفاعته . هل زرته أنت يا أخى ؟

— لا ، فقد كنت فقيراً لا أجد ما أنفقه في الطريق . ولم أصبح غنياً إلا منذ عرفتك . والآن وجبت عليّ زيارته بعد أن أحج إلى بيت الله الحرام . وما منعنى عن ذلك إلا محبتى لك

— وهل تفضل محبتى على زيارة قبر رسول الله الذى يشفع لكم يوم العرض على الله ؟

— إن زيارته والله مقدمة عندى على كل شىء . وأطلب منك إجازة أزوره هذا العام

— أعطيك الإجازة بزيارته . وإذا وقفت على قبره فاقرئه مني السلام . وعندي أمانة فادخل معي في البحر حتى آخذك إلى مدينتي وأدخلك بيتي ، وأعطيك الأمانة لتضعها على قبر الرسول

— يا أخي ، أنت خلقت في الماء ، ومسكنك الماء فهو لا يضرك . فهل إذا خرجت منه إلى البر يصيبك ضر ؟

— نعم ، يجف بدني وتهب عليّ نسمات البر فأموت

— كذلك أنا ، خلقت في البر ومسكني البر . فإذا دخلت البحر يدخل الماء في جوفي ويخنقني فأموت

— لا تخف ، فإني آتيك بدهان تدهن به جسمك فلا يضرك الماء ، حتى لو قضيت فيه بقية عمرك

وعبدالله البري رجل كله إيمان واستكانة . فهو راض أن يأتيه بذلك الدهان يجربه . ويحمل عبدالله البحري « المشنة » ويغوص في البحر . ثم يعود بها ملأى « شحماً مثل شحم البقر ، لونه أصفر كلون الذهب ، ورائحته زكية » . ويخبر صاحبه بأنه شحم نوع من الأسماك يقال له « الدندان ، أعظم أصناف السمك خلقة »

— وهو أشد أعدائنا علينا ، وأكبر من أي دابة من دوابكم في البر . ولو رأى الفيل لابتلعه

— وماذا يأكل هذا المشؤوم يا أخي ؟

— يأكل من دواب البحر . أما سمعت المثل القائل : مثل سمك البحر ، القوي يأكل الضعيف ؟

— يا أخي ، إني أخاف إذا طوفت معك في البحر أن يصادفني هذا النوع فيأكلني

— خفف عنك ، فإنه متى رآك عرف أنك ابن آدم تخاف منك وهرب . فالدندان أشد ما يكون خوفاً منكم . لأن شحم ابن آدم سم قاتل له . بل يكفي أن يسمع صياح ابن آدم فيموت هلعاً

« وتوكل عبدالله البري على الله ، وخلع ملابسه ودفنها في رمال الشاطئ . ثم دهن نفسه بشحم الدندان وغاص في الماء . وفتح عينيه ومشى يميناً وشمالاً والماء لا يضايقه . وجعل ينزل إلى القرار ثم يرتفع بكل سهولة »

واندفع عبدالله البحري أمامه دليلاً له في تلك النزهة البحرية النادرة . فرأى عن يمينه وشماله جبالاً . وشاهد أصنافاً عديدة من الأسماك « البعض كبير ، والبعض صغير . منها ما يشبه الجاموس ، ومنها ما يشبه الكلاب ، وشيء يشبه الآدميين . وكلما قرب عبدالله البري من نوع هرب هذا منه . فيسأل صاحبه :

— يا أخي ، ما لي أرى كل هذه الأسماك تهرب منا ؟

— مخافة منك يا أخي . فجميع ما خلقه الله يخاف ابن آدم

ووصلا إلى جبل عال ، فمشى عبدالله البري بجانب الجبل . وإذا بصيحة عظيمة اتجه إلى مصدرها بنظره فرأى شيئاً أسود منحدراً نحوه من الجبل ، وهو « أكبر من الفيل والجمل » . وسمع صديقه عبدالله البحري ينادي عليه :

— دونك وهذا الدندان ، فهو متجه إلينا في طلبي ليأكلني . صح به !

وصاح عبدالله البري فزعاً وطائماً في آن واحد . فإذا بالدندان يقع ميتاً . يتعجب عبد الله البري ويقول : « سبحان الله ! لم أضربه بسيف ولا بسكين . وها هو ذا على ضخامة جسده لا يتحمل صيحتي ! »

ويدخل الصاحبان مدينة « بنات البحر » ، فيهتم عبدالله البري بأمر هذه الإناث لا ذكور لها ويتساءل كيف تستطيع أن تخلف نسلاً

— إنهن منفيات في هذه المدينة بأمر ملك البحر . ولا يمكنهن الخروج من هذا المكان ، أو تلتهمهن دواب البحر

— هل في البحر غير هذه المدينة ؟

— كثير

وجعل عبد الله البري « يتفرج على عجائب البحر » . وقد رأى لبنات الماء « وجوها كالأقمار ، وشعوراً كالنساء . ولهن أيد وأرجل نابتة في بطونهن ، وذنب كذنب السمك امتد من مؤخرتهن » . وكان هذا شأن رجال المدن البحرية

— يا أخي ، إني أرى الإناث والذكور مكشوفي العورة .

— لأن أهل البحر لا قماش عندهم

— وكيف يصنعون إذا تزوجوا ؟

— أهل البحر — فيما عدا المسلمين منهم — لا يتزوجون . وكل من تعجبه أنثى ...

وما زال عبد الله البحري بصاحبه يدور به على المدائن وأهلها في أغوار البحر مدى ثمانين يوما . فيسأله عبد الله البري

— يا أخي ، هل بقيت في البحر مدائن ؟

— لو كنت فرجتك ألف عام ، كل يوم على ألف مدينة ، وأريتك فى كل مدينة ألف أعجوبة ، لما أظهرتك على قيراط من مدائن البحر وعجائبه .

— يكفينى هذا ، فقد سئمت أكل السمك ، وأنت لا تطعمنى صباحا ومساء إلا سمكا طريا ، لا مطبوخا ولا مشويا . فرجتنى على مدائن كثيرة ، فأين مدينتك منها ؟

ويبلغان مدينة عبد الله البحرى ، فيقوده إلى مغارة ويقول له:

— هذا بيتى . وكل من أراد أن يكون له بيت ذهب إلى الملك وعين الموضع الذى اختاره مسكناً . فيرسل معه الملك طائفة من السمك تعرف بطائفة « النقارين » ، لأن لها مناقير تفتت الجلمود

وإذ يدخلون البيت ، تتقدم ابنة عبد الله البحرى وتبادر أباها بالسؤال ، وقد نال منها العجب أن ترى مخلوقا لا ذنب له :

— يا أبى ، ما هذا الأزعر الذى جئت به ؟

— هذا صاحبي البري يا بنيتى ، من كنت أجىء لك من عنده بالفاكهة البرية . تعالى سلمى عليه

وتتقدم إليه الغادة ، وتسلم عليه « بلسان فصيح ، وكلام بليغ » وتقدم له القرى ، سمكتين كبيرتين « كل واحدة منهما مثل الخروف » فيأ كل متبرما بهذا السمك النيء

وتحضر امرأة عبد الله البحرى ، وهى « جميلة الصورة . ومعها ولدان ، كل ولد فى يده فرخ سمك يقرش فيه كما يقرش الإنسان فى الخيار » . وما أن رأت عبد الله البرى حتى صاحت :

— أى شىء هذا الأزعر ؟

وتتقدم هى وولداها ، يطيلون النظر إلى مؤخرة عبد الله البرى ويقولون « أى والله إنه لأزعر » ويتضاحكون طويلا حتى يضيق ذرع عبد الله البرى بهذا الضحك فيلتفت إلى صاحبه ويقول :

— يا أخى ، هل جئت بى إلى هنا سخرية أولادك وزوجك ؟

ويعتذر عبد الله البحري عنهم مؤكداً له أن المخلوق الذى لا ذنب له فى البحر نادر . وانه إذا وجد واحد من غير ذنب فانهم يأخذونه للسلطان ليضحك عليه . فلا تؤاخذ هذه المرأة وهؤلاء الصغار ، فعقولهم كما تعرف ناقصة »

وبينما هم فى الحديث يفد عليهم عشرة أشخاص كبار شداد، ويقولون لعبد الله البحرى « لقد عرف الملك بأنك جئت بأزعر من زعر البر ، وهو يريد أن يراه حالا »

ويأخذونه إلى الملك فيتلقاه ضاحكا وهو يقول « مرحباً بالأزعر » . وجمل من فى حضرة الملك يتضاحكون مرددين « أى والله إنه لأزعر ! »

ويقص عبد الله البحرى على الملك قصة صاحبه ، ثم يستأذنه فى أن يعود به إلى البر « لأنه سئم أكل السمك نيا ، ولا يحب أكله إلا مطبوخا ومشويا » . ويأذن الملك له بالرحيل بعد أن يزوده بهدية عظيمة من درر البحر وجواهره

ثم يعود به عبد الله البحرى إلى مغارته ، ويسلمه الهدية التى يرجو أن يوصلها إلى قبر النبى ، ويصطحبه عائداً إلى البر

وبينما هما فى طريقهما وسط الماء ، يلتفت عبد الله البرى إلى جماعة من أهل البحر يغنون ويرقصون حول سماط ممدود من السمك . فيسأل عما إذا كان عرساً هذا ، ويجيبه عبد الله البحرى : إنما هو مأتم

— أو إذا مات عندكم ميت تفرحون له ، وتغنون وتأكلون؟

— نعم . وأنتم يا أهل البر ، ماذا تفعلون ؟

— نحن نحزن عليه ونبكى . وتشق النسوة جيوبهن ، ويلطمن ويندبن الميت

وهنا يحملق عبد الله البحرى فى صاحبه البرى ، ويستأذنه فى أن يسترد الأمانة . وعند وصولهما إلى البر يقول له :

— لقد قطعت صحبتك وودك ، فلن ترانى بعد اليوم

— لم هذا الكلام ؟

— ألستم يا أهل البر أمانة الله ؟

— نعم

— كيف يحزنكم أن يأخذ الله أمانته ؟ وكيف أعطيك أمانة النبى وأنتم إذا أتاكم المولود تفرحون به ، وقد أودع الله الروح فيه أمانة . فاذا استردها تندبون وتولولون ؟ كلا ، مابى حاجة إلى صحبتكم بعد اليوم يا أهل البر !

ويختفى عبد الله البحرى وسط الأمواج

ويعود عبد الله البرى إلى صهره الملك يقص عليه ما رأى من عجائب البحار

وقد لبث زمناً طويلا يذهب إلى الشاطىء ينادى صاحبه عبد الله البحرى فلا يلبى النداء

وتنتهى القصة بالصيغة التقليدية إذ تقول بأنه أقام والملك نسيبه

وأهلهما فى أسعد حال ، حتى أتاهم هادم اللذات ، ومفرق الجماعات ، وماتوا جميعاً . فسبحان الحي الذى لايموت ، ذى الملك والملكوت

أما أن الموت مفرق الجماعات فليس من شك فى ذلك . ولو أنه يشترك فى هـذا مع الحياة ذاتها ، فقد تكون الحياة مفرقة الجماعات ، ويمتاز الموت عنها بأن تفرقته نهائية لا مرد لها فى هذه الدنيا

وأما أن الموت هادم اللذات ، فهو أيضاً نهاية الآلام . وصاحب أو أصحاب قصص « ألف ليلة » هم آخر من يتكلمون عن اللذات ، وعن أن الموت هادمها . فان أبطال قصصهم يلاقون الأهوال ، ويعانون آلام النوى والبعاد والفقر ، وغير هذا من متاعب الحياة . نعم إن القصص تنتهى فى الغالب إلى خاتمة سعيدة ، يحاول المؤلف أن يلقى فى روعنا دوامها حتى مجىء مفرق الجماعات وهادم اللذات ، إلا أن هذا أمر نشك فى صحته كثير الشك

وهذه مسألة ثانوية على أية حال . والأهم لنا أن نكشف عما فى قصة « عبد الله البرى ، وعبد الله البحرى » من نفحة دينية عميقة ، تجعل لها مقاما خاصا بين قصص « ألف ليلة »

فهذا رجل معدم كثير العيال تقول القصة بأنه لا يمتلك إلا شبكته ، يروح بها كل يوم إلى البحر . فان اصطاد قليـلا باعه وأنفق على أولاده بقدر ما رزقه الله . وإن اصطاد كثيراً « طبخ طبخة طيبة ، واشترى فاكهة ، وما زال يصرف حتى يأتى على آخر ما معه وهو قائل فى نفسه : رزق غد يأتى غدا » ويوم تضع زوجته مولودها العاشر يخرج على بركة الله تعالى إلى البحر « على بخت هذا المولود الجديد » فتقول له امرأته « توكل على الله »

يمارس هذا الرجل الفقير وزوجه إذن فضيلة من الفضائل الدينية بإيمان كامل . ولـكن التجربة فى الولد العاشر كانت شديدة الوقر على الصياد . فقد مضى عليه أربعون يوماً لايجد فى شبكته رزقا .

وهنا تنتقل بنا القصة إلى طبقة اجتماعية أرقى قليلاً من طبقة الصياد . وتقدم لنا مثلا جديداً من أمثلة الطيبة والورع فى صاحب الخبز الذى يتكفل بأود الصياد وأسرته أربعين يوماً دون تذمر وفى لباقة مؤثرة إذ يؤكد للصياد أنه لايعطيه إحساناً . بل هو محاسبه يوماً على ماقدم من خبز وعشرات فضة ، ولـكن عندما يأتيه الخير ، لاقبل ذلك . ولندع القصة نفسها تتكلم ، فتفصح لنا عما انطبعت عليه نفس هذا الخباز من الخير :

« ووقف الصياد ينظر ويشم رائحة العيش السخن . فصارت نفسه تشتهيه من الجوع . فنظر إليه الخباز وصاح عليه : تعال ياصياد . أتريد عيشاً ؟ فسكت . فقال له : تكلم ولا تستح فالله كريم . إن لم يكن معك دراهم فأنا أعطيك ، وأصبر عليك حتى يجيئك الخير »

ثم انظر إلى امرأة الصياد يشكو لها زوجها أمره مع الخباز فتقول له : الحمد لله الذى عطف قلبه عليك . هل آذاك بكلام ؟ فيجيبها : كلا ، وهو يقول لى دائماً ، انتظر حتى يأتيك الخير . وأنا أسألك ، متى يجىء الخير الذى ترتجيه ؟ ويكون رد الزوجة : الله كريم . فلا يتردد الصياد فى القول : صدقت . ويحمل شبكته إلى البحر فى اليوم الأول بعد الأربعين .

فاذا بها تصيد حماراً ميتاً « منفوخاً ورائحته كريهة » فيقول « لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » ثم يكاد إيمانه يتزعزع وهو يخاطب نفسه « قد عجزت وأنا أقول لهذه المرأة ، مابقى لى رزق فى البحر ، دعينى أترك هذه الصنعة . وهي تقول: الله كريم سيأتيك بالخير . فهل هذا الحمار الميت هو الخير ؟ »

ويتوجه فى غم شديد إلى مكان آخر مبتعداً عن رائحة الحمار ويلقى شبكته فتحمل إليه الخير كل الخير ، فى صورة سميّـه البحرى يبادله فاكهة البر بجواهر البحر .

ويقينى أن صاحب القصة لم يختر اسم عبد الله اعتباطاً . وهذا الاسم يعزز ماأنا ذاهب إليه من أن القصة يحركها روح دينى ، ويسرى فى أعطافها إيمان عميق . فلم يختص المؤلف عبد الله البرى وعبد الله البحري بهذا الإسم . فهذا الملك يسأل صهره عمن يكون صديقه الخباز وما اسمه ، فيجيبه الصياد « اسمه عبدالله الخباز . وأنا اسمي عبدالله البرى . وصاحبي اسمه عبد الله البحرى » فيقول الملك « وأنا اسمى عبد الله ، وعبيد الله كلهم إخوان »

وهانحن أولاء نرى شخصاً آخر من أشخاص القصـة — وليس من الطبقة الفقيرة كالصياد ، ولا من الطبقة الوسطى كالخباز ، بل هو ملك البلاد بالذات — مفعماً إيمـاناً وثقة بالله ، فهو قائل لشيخ الجوهرية ومن جاءوا يتهمون الصياد بالسرقة « ياقبحاء ! أتستكثرون النعمة على مؤمن ؟ لـماذا لم تسألوه أولا ؟ ربمـا رزقه الله من حيث لايحتسب . أخرجوا ، لابارك الله فيكم »

وهو القائل بعد سماعه قصة الصياد « يارجل ، هذا نصيبك ولكن المال يحتاج إلى جاه ، فأنا أسندك بجاهى » ثم يزوجه الأميرة ابنته

وماذا تتوقع أن يكون اسم الأميرة بعد هذا ؟ أم السعود : لو أن كاتباً رمزياً كتب قصة الايمان لما اختار للأميرة اسماً أفضل من هذا . « أم السعود » ، السعود الذى يلمع فى طالع المؤمن القانت .

وتعال معى إلى القسم الثانى من القصة ، ماذا نرى؟

هذا عبد الله البحرى يسأل صاحبه عن قبر النبي ويقول : « هنيئاً لكم يا أهل البر بزيارة هذا النبي الكريم » . ثم يدعو عبد الله البرى أن يغوص بصحبته فى أغوار البحر ليحمله هدية إلى قبر النبي

وتتجه القصة بعد ذلك اتجاهاً فلسفياً واضحاً لمن يطالع ما وراء السطور . فهذا البحر مظهر من مظاهر الكون تتضاءل حياله الأرض التى نعرفها . وها هو ذا « الدندان » أكبر أحيائه طرا يأكل من دواب البحر « أما سمعت المثل القائل : مثل سمك البحر القوى يأكل الضعيف ؟ » حكمة الخالق يصدع بها المخلوق

ويخشى عبد الله البرى إذا نزل مع صاحبه إلى البحر « أن يصادفه هذا النوع فيأكله » . وهنا يكشف صاحب القصة عن مرماه الفلسفى ، إذ يؤكد لنا بأن « الدندان » يموت لساعته إذا أكل ابن آدم . ويكفى أن يصيح فيه الانسان صيحة ليموت . أى تأمل ما تميز به الانسان الضعيف بجسمه ، فهو يستطيع بعقله أن يتغلب على المخلوقات الأخرى . وهذا عبد الله البرى يسبح فى أمواه البحر فيرى جميع الأحياء البحرية تهرب منه . ويسأل صاحبه عن هذا فيجيبه « مخافة منك ، لأن جميع ما خلقه الله يخاف ابن آدم »

ويشهد بطل القصة عجائب البحار كما تخيلها المؤلف . وخياله فى أغلبه شبيه بتخيلات الشعوب الفطرية التى ترى فى آلهتها صوراً مما تشاهده حولها ، إنساناً أو حيواناً أو جماداً . ففى هذا البحر الخيالى جبال ووهاد ومدائن . وفيه « شىء يشبه الجاموس وشىء يشبه البقر ، وشىء يشبه الكلاب ، وشىء يشبه الآدميين » وخيال صاحب القصة قائم على الـ anthropomorphisme حسب ما اصطلح عليه الباحثون فى نفسية الشعوب الفطرية . فهو يصور بعض الأحياء البحرية تصوراً آدمياً مع تغيير طفيف اقتضته حياتها فى الماء : كالزعنفة الذنبية ، وتلك الأطراف النابتة من بطونها . ولهذا التصوير أصل من الواقع . وربما سمع صاحب القصة أو رأى نوعاً من الفقم يعرف بالدوجونغ Dugong لا تزال تعرض بعض نماذجه على شواطئ المحيط الهندى باعتبارها « أبناء البحر وبناته » . وقد عرض علىّ بعض اليمانيين فى عدن ذكراً أو أنثى من تلك الحيوانات اللبونة على هذا الاعتبار

وللقارئ أن يفاضل بين قصة « عبد الله البرى وعبد الله البحري » وبين قصص « السندباد » — وربما عالجت تلخيصها على هذه الصفحات يوماً — ليرى فى هذه الأخيرة خيالاً أغزر مادة وأبرع أسلوباً . وفى رأيى أن الخيال فى قصص « السندباد » غاية ينتهى إليها الوصف . بينما هو فى قصة « عبد الله » واسطة لغاية هى ما نحن بسبيله من المرامى الفلسفية للقصة

وأود بهذه المناسبة أن أشير إلى قصيدة « شيللر » وعنوانها « الغواص » [1] . وفيها يرسم لنا خيال الشاعر « الرومانتيكى » صورة لأعماق البحر من نوع يختلف كثيراً عما نحن بصدده فى قصة « عبدالله البحرى » . إذ يطلق « شيللر » العنان لخياله فى أسلوب جمع كافة المميزات الشعرية . بينما ينهج صاحب قصة « ألف ليلة » نهجاً واقعياً مباشراً فى وصف عالم البحار . كأن عبدالله البحرى أحد الأدلاء يشرح للسائح عبدالله البرى ما تقع عليه باصرته تباعاً

ورغم هذا الأسلوب الواقعى ، يلقى علينا المؤلف درسه الدينى من طرف خفى . ويظهرنا على قدرة الخالق بما يسرده علينا من وصف أنواع غريبة من المخلوقات . وإذ يبدى عبدالله البرى عجبه لكثرتها ، يجيبه عبدالله البحري « وأى شىء رأيت من العجائب . أما سمعت المثل القائل : عجائب البحر أكثر من عجائب البر ؟ » . وهذه حقيقة لا مغالاة فيها ، يعرفها كل من درس علم الأحياء

ويدخل الصديقان مغارة عبدالله البحرى . وهنا منظر عائلى كله أنس وبهجة . تأمل كيف تتندر الأسرة بالضيف «الأزعر»

---

(١) أعلن رجائى أن يتفضل حضرة الدكتور محمد عوض بترجمة هذه القصيدة لمجلة « الرسالة » . ومع يقينى بأن ترجمة كائنة ما كانت لا تستطيع أن تنم عن توقيعها الموسيقى الرائع ، إلا أن ما نعرفه عن مترجم « فاوست » و « هيرمن ودوروتيا » يدفعنا إلى الأمل أنه لا يحرم قراء العربية من قصيدة شيللر Der Taucher



المغرب الأقصى كما هو اليوم

في الأسبوع الفائت ألقى ضيف مصر الكريم الأستاذ محمد المكي الناصري مدير معهد الابحاث المغربية فى تطوان محاضرة عن « المغرب الأقصى كما هو اليوم » بدأها بالكلام عن المغرب قبل دخول الاسلام إليه وقال إن هذه الكلمة كانت تطلق على الجزائر وتونس ومراكش قبل أن يفصلها الاستعمار الأوربي بعضها عن بعض فأصبحت كلمة المغرب تطلق على مراكش فقط . ثم تكلم عن حدود البلاد ومناخها وخصب تربتها وغناها بالمعادن ومما هو كفيل بايجاد نهضة زراعية وصناعية كبيرة لو أتيح لها ما تصبو إليه وتجاهد من أجله وهو نيل الاستقلال التام وإدارة شؤونها بنفسها . ثم تكلم عن أهل البلاد وعناصرهم الأولى قبل الاسلام وقال إن الفتح الاسلامى لما دخل هذه البلاد وحد عناصرها المختلفة

ثم ألقى المحاضر نظرة على الأسر التى تعاقبت على الحكم فى المغرب . ثم تكلم عن عهد الاحتلال الحالى وأفاض فى وصف مطامع المستعمرين وجشعهم وقال إن فرنسا لما دخلت البلاد أدخلت نظاماً من مقتضاه إيجاد سلطتين سلطة مغربية والأخرى فرنسية وهما سلطتان متباينتان كثيراً ما تتغلب إحداهما على الأخرى ولهذا قضى على الوحدة فتجزأ المغرب وأعطيت لفرنسا المنطقة السلطانية ولأسبانيا المنطقة الخليفية واعتبرت منطقة طنجة منطقة دولية

وتوجد بجانب كل إدارة وطنية إدارة أخرى أجنبية تهيمن عليها وتكاد تجعلها صورية ، فالسلطة التشريعية فى يد الأجانب ، أما السلطة التنفيذية فيوجد فى كل مدينة إلى جانب الحاكم الوطنى حاكم يطلق عليه لقب « الباشا » وحاكم القرية يلقب « بالقائد » ويلقب الحاكم في المنطقة الخليفية (بالمراقب) وفى المنطقة السلطانية

وانظر إلى دخول ولدى صاحب البيت « وفى يد كل ولد فرخ سمك يقرش فيه كما يقرش الإنسان فى الخيار »

فهذه القصة اشتملت على عناصر كثيرة تجعلها فى رأيى من أحسن قصص « ألف ليلة وليلة » بل ومن أفضل القصص فى آداب العالم . كتبت بأسلوب واقعى يتجنب فيها الكاتب الارتفاع الشعرى . وصاحب القصة مع هذا يتدرج بك من عالم الواقع حيث الصياد كثير العيال يكدح لكسب قوته وقوتهم ، إلى عالم بين الواقع والخيال حين يقع عبد الله البحرى فى شباك عبد الله البري، إلى عالم كله خيال حين ينزل الصاحبان إلى أغوار البحر يتجولان فى أرجائه دون أن يغير فى أسلوبه كأن الأمر عادى ، وكأن الصاحبين غادرا البصرة أو مسقط إلى بلاد السند أو زنجبار

والكاتب فى هذا لا يغفل عن غرضه الفلسفى الأول : قدرة مبدع الكون ، وقوة الايمان ، والخضوع لأحكامه . ومع أنه لا ينسى أن يميز الانسان على سائر المخلوقات كما رأينا ، إلا أنه يلقى عليه درساً كبيراً تختتم به القصة . ذلك حين يغضب عبد الله البحرى إذ يسمع بأن الانسان يبكى موتاه ، وهم فى البحر يفرحون إذا ما استرد الله أمانته ، أى « الروح التى أودعها الجسد » .

لا مراء إذن فى أن قصة « عبدالله البرى وعبدالله البحرى » من أولها إلى آخرها تختلج بروح دينى عميق تميزت به عقائد أهل الشرق عن عقائد أهل الغرب . هو روح استكانة المخلوق للخالق ، واعتباره الخضوع لأحكامه صورة مثلى للايمان

ولسنا فى حاجة أن نعرف إذا كان صاحب القصة قصد إلى ذلك أو لم يقصد . فأمامنا القصة بنصها فى الجزء الرابع من كتاب « ألف ليلة وليلة » . وقد حللنا العناصر التى تتألف منها واستخرجنا من بين سطورها ذلك الروح بلاعناء ، ودون أن نجد فيها ما يناقض أو ما يضعف الاستنتاج الذى خرجنا به . حسين فوزى

(بالحاكم) وأسهب فى وصف مساوئ هـذه الادارة المزدوجة وقال إنه توجد هناك محاكم للأحوال الشخصية تصدر أحكامها وفقاً لمذهب الامام مالك وتوجد إلى جانبها « محاكم القواد » للفصل فى قضايا الجنح والسرقات وغيرها . ويوجد مجلس أعلى تستأنف إليـه أحكام محاكم الجنح ومجلس شرعى تستأنف إليه أحكام المحاكم الشرعية

ويوجد قسم كبير من الأراضى موقوف على التعليم الدينى ولـكن الاحتلال وضع يده عليها لحول كثيراً منها فى غير الوجهة التى أوقفت عليها ماعدا المنطقة الخليفية فقد سلمت الأراضى الموقوفة فيها إلى يد الخليفة . وقال إن التعليم فى البلاد ينقسم إلى ثلاثة أقسام رسمى ودينى ووطنى ؛ فالرسمى مهمته الـكبرى فى المنطقتين هى بث روح الاستعمار بين الأهالى ، وقد استصدروا أمراً فى المنطقة الخليفية بتعريب التعليم فيها ولا يزال الـمى مبذولاً لتنفيذه ، أما التعليم الوطنى فيشمل جميع البلاد ، ولـكن الاستعمار أصدر أمره فى اكتوبر الماضى بأن يقتصر هذا التعليم على مادة تحفيظ القرآن فقط ، وأما التعليم الدينى فنحن نطالب بتجديده وتنظيمه وفق النظام المتبع فى الازهر الشريف فى مصر

وبعد ما تكلم المحاضر عن كثرة الأحزاب فى المغرب قال إن البلاد فيها نهضة أدبية وفنية وفيها كثير من الأدباء والمثقفين الذين يعتمد عليهم فى الجهاد لتخليص بلادهم من أيدى المستعمرين . وقد تألفت فيها كتلة العمل الوطني لهذا الغرض بزعامة الأمير محمد بن عبد الـكريم المعتقل الآن ، وهى تتأثر فى عملها بمصطفى كامل وسعد زغلول وغيرهما من زعماء الشرق

وهنا قويت حماسة الخطيب البليغ فاندفع كالسيل يقول إن ما ننتظره الآن من المشارقة ومن مصر خاصة باعتبارها زعيمة الشرق أن يتجهوا بأبصارهم الى بلاد المغاربة باعتبارها أوسع رقعة فى بلاد شمال أفريقية ومن أكثرها تمدنا ورقيا وأقواها جلداً على الجهاد فى سبيل رفعة شأن الاسلام

فلسطين والأستاذ الأكبر شيخ الأزهر

فلسطين (فيها بيت المقدس) وفى هذا موطنُ (الإسراء) ومتَّـصَلُ (قوة الأرض) ب (قوة السماء) « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى »

إنما (القدس) منزل الوحى مغنى كل حبر من الأوائل عالمْ
كُنفِت بالغيوب فالأرض أسرار (م) مدى الدهر والسماء طلاسم
وتحلّت من (البراق) بطغراء (م) ومن حافر البراق بخاتم[1]

فإذا قرأت اليـوم الـكتاب المبين من الأسـتاذ الأكبر (الشيخ محمد مصطفى المراغى) إلى رئيس الوزراء فى الدولة المصرية فقل : إنمـا هو شيخ الإسلام يغضب للدين ، وإنمـا هو إمام المسلمين يرفرف — وقلبه خافق — على إخوته المؤمنين ، والله تعالى يقول : « إنما المؤمنون إخوة » ، فالملّة ملّته ، والأمة أمته ، والقوم فى الدين إخوته . وليست هذه المائدة بأول يد لمصر على فلسطين ، فشكراً ثم شكراً ، ثم شكراً . محمد اسعاف النشاشيبى

تقريب مناهج التعليم بين مصر والشرق العربى

أشرنا من قبل إلى الاتجاه الذى بدا أخيراً فى وزارة المعارف وهو التقريب بين المناهج التعليمية فى مصر والبلدان العربية الشرقية ، والاقتراح القائل بوجوب عقد مؤتمرات دورية تضم المبرزين فى شئون التربية والتعليم فى الحـكومات المختلفة ، ليتذاكروا فيما يتصل بالنهضة العلمية والتعليمية

ونضيف اليوم أن صاحب المعالى محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف ، قد طلب الملف الخاص بتلك الفكرة ، وباحث فيها صاحب العزة وكيل الوزارة

وقد وافق معاليه على الاقتراح من حيث المبدأ ، وطلب وضع تفاصيل للتنفيذ ، حتى يمكن البدء به فى أول فرصة مناسبة

العلاقات الثقافية بين مصر والمغرب الأقصى

قدم إلى مصر الأستاذ محمد المكى الناصرى مدير المعهد الخليفي للابحاث الاسلامية فى مدينة تطوان للتفاهم على إيجاد علاقات علمية وثقافية بين مصر وبلاد المغرب الأقصى وتمكينها بين البلدين الشرقيين الاسلاميين بواسطة وزارة المعارف المصرية والأزهر ومن المشاريع التعاونية التى قدم للتفاهم عنها الاتفاق مع

(١) شاعر الاسلام أحمد شوقى رحمه الله

مشيخة الأزهر على العمل لنشر الثقافة الاسلامية فى بلاده بالطرق النظامية الحديثة التى أدخلت على الأزهر . وإرسال بعثة من بعض أصحاب الفضيلة علماء الأزهر لتدريس علوم الشريعة واللغة وفق هذه الأنظمة وبصفة رسمية ، والعمل لنشر ثقافة الأزهر والاسلام بصفة عامة

ومن هذه المشروعات أن يقبل الأزهر بعثة من الطلبة المغاربة الذين أتموا دراساتهم فى مدارس الحكومة هناك لدراسة علوم الشريعة والتخصص فيها . وقبولهم بكلية الشريعة الأزهرية بصفة نظامية . وستوفد هذه البعثة رسمياً حكومة المغرب

بين العقاد والرافعى

جاءتنا المقالة الثالثة من مقالات الأستاذ سيد قطب ، فرأينا إرجاء نشرها إلى العـدد القادم احتراماً لذكرى الرافعى . ونذكر بهذه المناسبة أننا تلقينا عشرات من المقالات فى هذا الموضـوع لم يراع كاتبوها الأفاضـل خطة الرسالة فى اجتناب فحش القول ومفسول الكلام . لذلك نستميحهم العذر إذا لم ننشر منهـا إلا ما نرى فيه فائدة للقراء وخدمة للأدب

حول كلمة « هال ها » أيضاً

سيدى الاستاذ الجليل صاحب الرسالة

بعد التحية : لاحظ الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى العدد الأخير من الرسالة (٢٥٢) على الشاعر « الخفيف » بُعْـد كلمة « هال » عن المعنى الذى يقصده . وقال فى ختام كلمته تلك إن كلمة « هال » هذه تقال لزجر الإبل . والذى أعرفه أن الـكلمة التى تقال لزجر الإبل ليست « هال » ولـكنها « هلا » وقد استعملها المرحوم شوقى بك فى مسرحيته الخالدة « مجنون ليلى » حيث قال :

هـلا هـلا هيـــا اطو الفـــلا طيا
وقـــربى الحيـــا للنازح الصـــب

ولقد خشيت أن يكون الأسـتاذ الفاضل قد اشتبه عليه الحديث ولـكننى اتهمت نفسى فعدت إلى كتب اللغة أستلهمها الصواب فأيد القاموس والصحاح رأيى . فهل للأستاذ الفاضل أن يدلنى على المرجع الذى قرر أن كلمة « هال » تستعمل لزجر الإبل أو الخيل بدلاً من « هلا » وله منى مزيد الشكر وخالص التحية

عبد المؤمن محمد النقاش

الموسيقى العربية للبارون رودولف ديرلانجيه

قد نشرنا فى العدد الماضى من الرسـالة (٢٥٢) نقداً بقلم الأستاذ بشر فارس الدكتور فى الآداب من جامعة باريس فى المجلد الثانى من مجموعة التآليف الموسيقية العربية المنقولة إلى اللغة الفرنسية على يد البارون رودولف ديرلانجيه . وقد سألنا بعض القراء عن ناشر هذه المجموعة وعن اسمها باللغة الفرنسية . ونحن نذكرها هنا :

Baron Rodolphe d'Erlanger — La Musique arabe. Tome II. Edition Paul Geuthner, Paris.

ذكرى الرافعى فى محطة الإذاعة الفلسطينية

سافر أمس إلى فلسطين الأستاذ محمد سعيد العريان ، إجابة لدعوة مصلحة الإذاعة الفلسطينية بالقدس ؛ ليذيع فى تمـام الساعة السابعة من مساء اليوم (الاثنين ٩ مايو) من محطة القدس ، حديثاً أدبيًّا عن فقيد العربية الـكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى ، لمناسبة تمام سنة على وفاته



جولات ومطالعات

فى المسرح والسينما

بقلم محمد على ناصف

اللغة العربية فى السينما

اقترح بعض حضرات النواب المحترمين سن قانون يقضى بوجوب استعمال اللغة العربية فى مختلف الشركات والمتاجر التى تنشأ فى مصر سواء كان أصحابها أجانب أم مصريين . وهذا واجب مشكور أعتقد أن إهماله هو إهمال لكرامتنا ونسيان لقوميتنا وإلغاء لأبسط قواعد استقلالنا

وليس يخفى أن مثل هذا القانون المقترح يحتاج إلى خطوات أو مهلة محدودة يتم فى نهايتها تنفيذه . ولكن هناك نواحى أخرى لا يحتاج الأمر فيها لرعاية لغة البلاد واحترامها إلى مثل هذا الامهال ، كالسينما مثلا

فالأفلام الأجنبية التى تعرض بمصر وترد إليها من عدة أمم مختلفة ، تعرض هذه الأفلام بداهة بلغتها الأصلية ، ولكنها تصحب بترجمة على نفس الشريط بلغة ثانية . المفهوم بداهة وعقلا أن هذه الترجمة تكون بلغة البلاد التى تعرض فيها الأفلام . فالفلم الانجليزى مثلا حين يعرض بفرنسا تصحبه ترجمة فرنسية والعكس . والفلم الألماني يشهده الجمهور الايطالى بترجمة إيطالية والعكس

ولكننا مع الأسف الشديد والعجب الأشد نختلف عن الأمم جمعاء ؛ فالترجمة التى تصحب كل فلم أجنبى يعرض بمصر تكتب باحدى لغتين إما الفرنسية وإما الانكليزية كأنما هذه الأفلام لا تعرض للمصريين ، وكأن المصريين الذين يدفعون — شعباً — إلى أصحاب هذه الدور ويتسامحون — حكومة — مع الشركات المنتجة فلا تقيدها بضرائب مرتفعة ولا بنسبة تحدد من إنتاجها ولو بحجة حماية الانتاج المحلى كما تعمل دول كثيرة؛ وفى مقابل هذا الكرم لا نكون إلا الاساءة وإلا الاهمال

وما من أحد يستطيع أن يصف هذا الأمر إلا بأنه إساءة وإهمال . فأى عذر تتعلل به هذه الشركات أو أصحاب هذه الدور الذين ينتفخون على حسابنا ومن أيدينا ؟

إن العذر الوحيد الذى قد يقوم نصف قومة فى مثل هذه الحالة هو أن تكون لغة البلد غير معروفة إلا لدى قلة لا تستأهل جهداً خاصاً ، ولكن شيوع العربية على ألسنة الملايين وبين كثير من الشعوب ينفى مثل هذا العذر . ولقد رأينا بعض الأفلام القليلة النادرة المترجمة إلى العربية على نفس الشريط فكانت مؤيدة لوجهة نظرنا فى هذا الموضوع وهى الوجهة التى قدرها أصحاب هذه الأفلام من حيث ضمان مصلحتهم المادية فضلا عن مصلحتهم الأدبية فى اكتساب احترامنا وودنا

هناك حقاً لوحة صغيرة من القماش توضع بأحد جانبي الشاشة لعرض ترجمة عربية ركيكة مقتضبة نسميها ترجمة على سبيل المجاز ؛ وكثير من الدور لا تكلف نفسها وضع هذه اللوحة فتكتفى بانعكاس الترجمة على الحائط .

ولكن هذه الوسيلة الحقيرة لا تجدر مطلقاً بلغة البلاد لغة الدين والعرش والحكومة . هذه الوسيلة الثانوية جديرة بأية لغة أخرى يشاؤها صاحب الفلم ، أما لغة البلاد ففوق مشيئته ولها المكان الأول ، وإلا فنحن فى غنى عنه وهو ليس فى غنى عنا . ولقد اجتمعت فى هذه الوسيلة كل النقائص ؛ فهى تجهد بصر المتفرج باضطراره أن يتتبع الصورة والترجمة فى اتجاهين بدلاً من اتجاه واحد ، كما أن الترجمة كثيراً ما تتخلف عن الصورة أو تتقدمها لأن لكل منهما جهازاً خاصاً — فيضيع بذلك كثير من الفائدة على متتبع الفلم ، هذا فضلاً عن نقص الترجمة وعدم الاعتناء بها

إننا لن نسكت بعد عن هذه المهزلة ونرجو ألا يسكت عنها

كذلك أولو الأمر ورجال الصحافة . وكل امرىء يهمه احترام نفسه وبلاده .

الأديب والمخرج

فى حديث عن شئون المسرح والسينما للأديب الانجليزى وليام جرارد مؤلف كتاب الشهر (ابريل) My Wife's The Least of It يرى الأديب أن الوضع الصحيح لمخرج المسرحية أو الفلم أن يكون نفس المؤلف لأنه أقدر من أى إنسان آخر على اختيار الممثلين لشخصياته التى خلقها وعرف صفاتها وللمناظر التى رسمها وتمثل مشتملاتها ودقائقها وللجو الذى ابتدع فيه الحوادث . وهذا رأى له رونقه وبريقه ولكنه يفتقد الحقيقة فى كثير من نواحيه .

فالاخراج فن آخر غير فن التأليف . وهو ليس مقصوراً على اختيار الممثلين ورسم المناظر وحبكة الجو . ولكنه يشتمل على أمور كثيرة لا يستطيع اكتناهها أى فرد بينما قد يستطيع القارىء العادى أن يفهم ما كتبه وماتمثله المؤلف من كل سطر ومن كل شخصية من شخصياته ، وقد لا يعوزه تصور الجو الحقيقى للحوادث وكذا تعرف الممثلين الذين يليقون بشخصيات المؤلف . وكثير من المخرجين يخلقون من أعمال المؤلف حياة أخرى هي فى الواقع أقوى من الحياة التى تدب بين سطور كتابه وإن كنت لا أنكر أن كثيرين من المخرجين يمسخون بعض المؤلفات لأسباب شتى بعضها يخرج عن طاقة الاخراج

وبعض المؤلفين يخرجون مسرحياتهم أو أفلامهم بأنفسهم ولكن أكثر هؤلاء ليسوا فى المرتبة الأولى بين الأدباء أو المخرجين وندر من يوفق منهم فى كلتا العمليتين

محمد على ناصف

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى ٧

6 me Année, No . 254

Lundi - 16 - 5 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٥٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ ربيع أول سنة ١٣٥٧ — ١٦ مايو سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

مصطفى صادق الرافعي

بمناسبة ذكراه الأولى

— ٢ —



كان الرافعي رحمه الله حجة فى علوم اللسان، ثقةً فى فنون الأدب، عليما بأسرار اللغـة، بصيراً بمواقع اللفظ، خبيراً بمواضع النقد، محيطاً بمذاهب الكلام. وقلما تتهيأ هذه الصفات لغير المطبوعين من الأدباء الذين تعاطوا مهنة التعليم فاستنزفوا أيامهم فى درس القواعد وحفظ الشواهد وفقه النصوص بحكم الصنعة. فكنت إذا ذاكرته فى شيء من دقائق النحو وخواص التركيب وفروق اللغات وجدته على ظهر لسانه كأنما انصرف من مراجعته لوقته. ودراسة

الكاتب أو الشاعر لغته وفنه هي في رأيه ورأى الحق شرط لوجوده؛ فلا يكون النبوغ والأستاذية بدونه، ولا تجزى الطبيعية ولا المحاكاة عنه. وكان — شهد الله — في بينه وبين أخصائه يرفع أدب العقاد لوضوح هذه المزية في كل ضرب من ضروبه.

ولقد بلغ علم الرافعي بالعربية وآدابها حد الاجتهاد والرأى، فكان يقف في التعليل والاستنباط من ثقاتها ورواتها موقف الند: وقد يتعظّم أحياناً فيقف منهم موقف الأستاذ. فهو في أدبه مطلق الحرية مستقل الارادة في حدود المأثور من بيان العرب؛ ولكنه في فلسفته مقيد النظر مسيَّر الفكر لنزوله في الرأى على حكم الدين

على أنك لا تعدو الصواب إذا قلت إن حرية أدبه أشبه بعبودية فكره، لأن مصدرهما وموردهما واحد هو القرآن. والقرآن من جهة الأدب غاية الجمال، ومن جهة الفضيلة غاية الخير، ومن جهة الفلسفة غاية الحق. لذلك كان قوله في القديم والجديد قول العربي الذي يؤمن أن لغته التي تكلم بها الله نامية بذاتها لأنها حية، ومتطورة بطبعها لأنها قوية؛ وكان قوله في المرأة والرجل قولَ المسلم الذي يعتقد أن دين الله حق لا يُبطله قدم، وأن شرعه قانون لا يعطله شهوة. وما دام العرب أحياء فأدبهم متجدد، وما دام القرآن خالداً فدينه قائم

على هذين القطبين كانت تدور فلسفة الرافعي الأدبية والاجتماعية. ولعلى تساهلت إذ قلت فلسفة الرافعي، فليس للرافعي فلسفة؛ إنما هي فلسفة القرآن وأدبه قام منها مقام ابن رشد من أرسطو: يقرر ويحرر ويدافع من غير أن يكون لمنطقه حكم ولا لرأيه اعتراض

***

كان الرافعي في بعض حالاته يفتنُّ في الصورة التي يرسمها افتنان المصور الخيالي. يضيف إليها من المشاهد ما لا تقره الحقيقة، ويضع فيها من الألوان مالا تعرفه الطبيعة. وقصده القاصد من ذلك أن يريك قدرة ذوقه على الملاءمة، وقوة ذهنه على التوليد، ويعطيك للشيء أو للشخص صورة إذا لم تكن كانت، فهي التي ينبغي أن تكون. فهو إذا كتب في موضوعٍ ما سمح لعاطفته أن تجرِ، ولهواه أن يدفع، ولفنه أن يزخرف، ثم يستخدم براعته في التدليل على صحة العاطفة ونزاهة الهوى وصدق الأداء، فيكون من امتزاج الخيال بالواقع، واشتباه الغلو بالقصد، والتباس البهرج بالصحيح صورة غامضة الدلالة، خافتة الروح، ولكنها بديعة الإطار، رائعة اللون، منمنمة الخطوط؛ وذلك أكثر ما تراه في حديث القمر والسحاب الأحمر، والمساكين، وأوراق الورد. أما إذا اتصل فنه بشعوره، وافتنانه بطبعه، ورأيه باعتقاده، فانك ترى الاشراق في اللفظ، والجلال في المعنى، والسمو في الروح، والإعجاز في الصنعة.

وهنالك تجد الرافعي في جلوة الإلهام التي تشدهه هو نفسه فيقول لي ولمن يأنس إليه: إن حالا تشبه حالات الوحي تقوم به في بعض ساعات الليل حين يكتب في إعجاز القرآن أو في الدفاع عن أدبه، فلا يكون فيما ينشئ إلا وسيطاً ينقل عن قوة من وراء الغيب. وأكثر ماوقع له ذلك في كتابيه (تحت راية القرآن) و(وحي القلم). وكان من شذوذ العبقرية في الرافعي اعتداده بنفسه إلى حد الصلف، واعتقاده بالغيبيات إلى حد السذاجة. وله في ذلك حوادث وأحاديث ربما عرض لها صديقنا العريان في ترجمته له

والرافعي بعد ذلك كله كاتب من الطراز الأول قلما يجود بمثله هذا العصر المجنون الذي يتبجح بالسرعة ويريد أن يأخذ حظه الضروري من المعرفة مختصراً في رسالة، أو معتصراً في مقالة

***

هذه كلمة مجملة كتبناها عفو الخاطر وفيض الذاكرة في ناحية من نواحي أدب الرافعي، اعتمدنا فيها على خِلاطه وحديثه وقراءته؛ أما دراسة الشرح والتفصيل، والنقد والتمثيل، والدعوى والدليل، فتلك لها طريقة غير هذه الطريقة، ومناسبة غير هذه المناسبة. ولعلى أرجع إلى الرافعي في عدد قريب فأعلن ما أفضى به إلى من الرأى الحق في خصميه طه والعقاد

احمد حسن الزيات

مات الرجل العظيم

محمد إقبال

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

في اليوم الحادي والعشرين من أبريل الماضي والساعة خمس من الصباح، في مدينة لاهور مات رجل كان على هذه الأرض عالَماً روحياً يحاول أن يُنشئ الناس نشأة أخرى، ويسنّ لهم في الحياة سنة جديدة؛ وسكن فكر جوّال جمع ما شاءت له



محمد إقبال

قدرته من معارف الشرق والغرب، ثم نقدها غير مستأسر لما يُؤثر من مذاهب الفلاسفة، ولا مستكين لما يُروى من أقوال العظماء؛ ووقف قلب كبير كان يحاول أن يصوغ الأمة الاسلامية من كل ما وعى التاريخُ من مآثر الأبطال وأعمال العظماء؛ وقرّت نفس حرّة لا يحدّها زمان ولا مكان، ولا يأسرها ماض ولا حاضر، فهي طليقة بين الأزل والأبد، خفّاقة في ملكوت الله الذي لا يُحدّ.

مات محمد إقبال الفيلسوف الشاعر الذي وهب عقله وقلبه للمسلمين وللبشر جميعاً. الرجل الذي كان يخيّل إليّ وأنا في نشوة من شعره أنه أعظم من أن يموت، وأكبر من أن يناله حتى هذا الفناء الجثماني

فاضت روح الرجل الكبير المحبوب في داره بلاهور ورأسه في حجر خادمه القديم الوفيّ (الاهي بخش) وهو يقول: إني لا أرهب الموت. أنا مسلم أستقبل المنيّة راضياً مسرورا

كنت أقرأ كلام إقبال في الحياة والموت، وأرى استهانته بالحِمام، واستهزاءه بالذين يرهبونه. وما كان هذا خُدعة الخيال، ولا زُخرف الشعر فقد صدق إقبال دعواه في نفسه حين لقي الموت باسماً راضياً

جد المرض بإقبال منذ سنة، وكان يقترب إلى الموت وهو متقد الفكر، قوي القلب، يصوغ عقله كلمات يوقظ بها النفوس النائمة، وينثر قلبه شَراراً يشعل به القلوب الهامدة. وكان يعني بنظم كتابه (آهنگ حجاز): لحن الحجاز. وكان قلب الشاعر يهفو إلى الحجاز وقد تمنى في خاتمة كتابه (رموز بي خودي) أن يموت في الحجاز. ومما نظمه في أشهره الأخيرة:

آية المؤمن أن يلقى الردى باسم الثغر سروراً ورضا

وقد أنشد هذين البيتين قبل الموت بعشر دقائق، وهما مما أنشأه أخيراً:

نغمات مضين لي، هل تعود ونسيم من الحجاز سعيد؟
آذنت عيشتي بوشك رحيل هل لعلم الأسرار قلب جديد!

وآخر ما أنشأ من الشعر بيتان أترجمهما نثراً:

« قد أعدّت جنة لأرباب الهمم، وجنة أخرى لعُبّاد الحرم. فقل للمسلم الهندي لا تحزن، فكذلك للمجاهدين في سبيل الله جنة »

— ٢ —

كان تشييع إقبال إعرابا رائعاً عما للرجل الفذّ في قلوب أهل الهند عامة ومسلميه خاصة. احتشدت عشرات الألوف تودّعه بالبكاء والزفرات، وشاركت النساء بالعويل والنحيب، وتنافس الحاضرون في حمل النعش فوضع على خشبتين طويلتين ليتسنى لكثير من المشيّعين أن يشرفوا بحمل الرجل العظيم إلى مثواه الأخير. وقد بلغت الجنازة شاهي مسجد وخلفها زهاء أربعين ألفاً، فوقف الناس ساعة كاملة حتى تيسر لهم أن يصطفوا للصلاة على الفقيد الجليل، ثم نقلت الجنازة الى حديقة متصلة بالمسجد. وهنالك والساعة عشر إلا ربعاً من المساء غربت شمس إقبال في جدثها، وطُوي الجهاد الذي ملأ الدنيا في لحده، وأُدرجت الحكمة والشعر والحرية التي تأبى الحدود والقيود في جَنَبَتها وضع محمد إقبال في قبره

وغشى القبر الذي تضمن روضة الشعر بضروب الزهر والريحان، ثم نثرت عليه أزهار أخرى من أقوال الخطباء والشعراء الذين أطافوا بالشاعر الخالد

وتجاوبت أرجاء الهند بأقوال الكبراء يعربون بها عما أحسوا من لوعة، وما دهى الهند من مصيبة، بموت شاعرها الأكبر. اجتمع على هذا المسلمُ وغير المسلم؛ فهذا جواهر لال نهرو يقول: « لقد دهتني وفاة إقبال بصدمة هائلة. شرفتُ بلقاء إقبال

ومحادثته منذ قليل ؛ وكان مستلقياً على فراش المرض ، ولـكن كان لفكره العالى ونزعته الحرة فى قلبى أثر بليغ . لقد فقدت الهند بفقد إقبال كوكباً لألاء مضيئاً ، ولـكن شعره سيخلد فى قلوب الأجيال الآتية ، وذكراه العظيمة لن تموت »

وهذا الدكتور محمد عالم يقول :

« لا تستطيع أرض البنجاب أن تخرج إقبالاً ثانياً فى عصور طويلة » . ويضيق المجال عن الإكثار من أقوال أعلام الهند فى فقيدهم

وأرخ بعض الشعراء وفاة إقبال (سنة ١٣٥٧) فى قوله : تاريخ « بور إقبال شاعر مشرق » — كان إقبال شاعر الشرق . وأرخ آخر بقوله : كنه علامة إقبال سوى بهشت برين : ذهب العلامة إقبال شطر الجنة العالية .

ترك الشاعر النابغة ابنين وبنتاً وأخاً وثلاث أخوات

— ٣ —

ولد محمد إقبال فى سيالكوت سنة ١٨٧٦ م من عشيرة قديمة دخلت فى الاسلام منذ ثلاثة قرون ، وكانت تقيم فى كشمير ثم اضطرتها الحوادث أن تهاجر إلى البنجاب واستقرت أسرة اقبال فى سيالكوت

وبدأ تعلمه فى البلد الذى ولد به ، ودرس على العالم الكبير مير حسن فأذكى فى قلبه حب الآداب الشرقية . ثم انتقل إلى لاهور للدراسة العالية فكان من أساتذته السير توماس ارنولد أستاذ الفلسفة الاسلامية . وقد سمعت أرنولد يفخر بأن اقبالا تلميذ . وفى ذلك الحين شدا اقبال الشعر ، فرجا الناس فيه شاعراً خطيراً . ونال درجة أستاذ فى الأدب (M.A) وصار مدرس الفلسفة فى إحدى الكليات

وسنة ١٩٠٥ م سافر إلى أوربا فتعلم فى كمبردج القانون ، ثم ذهب إلى ألمانيا فدرس الفلسفة . وبعد ثلاث سنين من خروجه من وطنه رجع إليه مرجواً لأمته محبباً إليها . وعمل فى المحاماة وقصده النــاس لاستشارته والاستعانة به فى كثير من الأمور التى كانت تهم المسلمين . وما زال نجمه يسطع ، وصيته يذيع ، وشعره يجوب أرجاء الهند ويستقر فى كل قلب حتى اجتمعت قلوب المسلمين عليه ، ورددوا أقواله فى خطبهم ومقالاتهم ، وتقبّلوه فى أعمالهم ، وكأنما أذكى الشاعر العبقرى فى كل قلب جذوة ، وملأ كل رأس فكراً ، وكل نفس حرية وعظمة ، حتى مات وكلٌّ يتشبه به ، ويطمح إلى أن يكون من المهتدين بهديه

وسأعود إلى الكتابة عن فلسفته وأدبه ان شاء الله

والله يعوض الأمم الاسلامية ويعزيها عن اقبال بالاستجابة لدعوته والسير على أثره

عبد الوهاب عزام

من برجنا العاجي

منذ عشرة أعوام عُقدت معاهدة على جبل « أولمب » بين « أبولون » و « كوبيدون » تتعلق بى . ولا أعرف على وجه التفصيل نصوص تلك المعاهدة . فلقد كانت معاهدة سرية . ولـكن يخيل إلى أن « آله الفن » أراد أن يعتبرنى من « مناطق نفوذه » ، فحرم على إلـه « الحب » أن يلقى سهما واحداً من قوسه الذهبى إلى هذه المنطقة . وقد تبين لى فى مواقف كثيرة من حياتى أن إلـه « الحب » قد احترم حقاً هــذه المعاهدة . وفى أحيان أخرى رأيت كأن « كوبيدون » ينظر إلى « قلبى » نظرات ملؤها المطامع الاستعمارية ، وأنه يتحين الفرص والظروف . وإلـه الفن ، كما هو معلوم ، ينادى دائماً بالحرية ، إذ لا فن بغير حرية مكفولة فى كل زمان . وإلـه الحب ينزع إلى السلطة والسيطرة والعنف والتقييد بالسلاســل والأغلال . ولست أدرى لمــاذا يذكرنى هذا الصراع بينهما بالصراع القائم بين « انجلترا » و « ايطاليا » ؟ فانجلترا بلد الديمقراطية والحرية ، وايطاليــا رمز الدكتاتورية والسلطة الطاغية . ولقد وقع حديثاً نزاع بين الطرفين ، فأغفلت المعاهدة وألقيت السهام ، وأعلن الدكتاتور أنه افتتح المنطقة « الحرام » . فلم يعترف له منافسه بهذا الفتح . وسارت الأيام سيرها وأنا راض مطمئن اطمئنان « النجاشى » المسكين ، إلى أن قرأت فى البريد الأخير أن انجلترا ستحمل العالم على الاعتراف بالفتح الايطالى « للحبشة » ، فوضعت يدى على « قلبى » وأدركت أن « الحرية » الجميلة ليست إلا حَمَلا ضعيفاً تنتظره دائماً أنياب الذئب ، وأن « المعاهدات » ليست إلا « محطات » انتظار لساعات الوثوب

توفيق الحكيم

صفحة من تاريخ

استيطان العرب لمصر

للدكتور حسن إبراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

كان العرب في مصر جلّهم من الجند المقاتلة وقت الفتح ، ولم يزد عددهم على ستة عشر ألفاً في هذا الوقت . ولم تكن سياسة الخلفاء الراشدين تسمح بنزول الجنـد في ريف مصر بقصد إقطاعهم الأراضي حتى لا يصرفهم ذلك عن الجهاد . وزاد عدد الجند العرب في مصر فبلغ أربعين ألفاً في عهد معاوية بن أبي سفيان

ولا شك أن هذا العدد أخذ يزداد بازدياد العنصر العربي في مصر ، وهذا نتيجة طبيعية لما كان من لحاق نساء الأجناد وأولادهم للإقامة معهم في هذا البلد ، واتخاذهم إياه وطناً جديداً ، وما كان أيضاً من التزاوج والاندماج في سكان البلاد الأصليين . ولعل العرب لم يفطنوا لأمر إحلال الكتائب بعضهم محل بعض في الأقاليم الإسلامية ، اللهم إلا ما كان من تناوب الأجناد الإقامة في الثغور كل ستة أشهر . وليس لدينا من المعلومات التاريخية ما يثبت أن قاعدة استبدال الكتائب في الولايات كانت معروفة عنـد غير العرب كالرومان والفرس . بيد أن عدم احتمال هذا الأمر أقرب إلينا من جواز احتماله لما كان يتطلبه من كثرة الأسفار

غير أن العرب في مصر — على الرغم من زيادة عددهم كما بينا — كانوا في أوائل القرن الثاني للهجرة من القلة بحيث رأى عبيد الله بن الحَبْحَاب عامل الخراج على مصر أن يشير على الخليفة هشام بن عبد الملك أن يأذن له في إسكان العرب من قيس في أرض الحوف الشرقي ، وأكد للخليفة أن نزولهم لا يضر بسكان البلاد . وكان يقيم في هذه الكورة نفر يسير من جديلة

نزلت قيس جهة بلبيس . وسرعان ما قارب عددهم خمسة آلاف ، وأخذوا يستثمرون الأرض ويتجرون في الإبل والخيل ، وكانوا يحملون عليها غلات أرضهم إلى القلزم حيث تشحن إلى بلاد العرب . هذا وقد كان لقيس (1) ضلع كبير في الفتن التي أقامها المصريون في وجه الولاة حين هموا بزيادة الخراج (1)

ولقد وفدت القبائل العربية على مصر تدريجيًا ، فجاءت قبيلة الكنز من ربيعة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري فأقاموا في الصعيد ، واندمجوا في السكان بالمصاهرة ، وكانت لهم ضلع في الثورات والفتن التي قامت بمصر وعلى الأخص في أواخر عهد الفاطميين إذ ثاروا على صلاح الدين الأيوبي بعد أن تولى الوزارة بقليل

على أن اندماج العرب بالمصريين اندماجاً فعليًا لم يتم إلا بعد أن أسقط المعتصم العرب من الديوان ، وأحل مكانهم جنداً من الأتراك ، فانتشر العرب في الريف واحترفوا الزراعة وغيرها طلباً للرزق ؛ وازداد اندماجهم في السكان بالمصاهرة ، ومن ثم أخذ التمييز العربي يتلاشى شيئاً فشيئاً ، وبدأ ظل الولاة من العرب يزول بإحلال الولاة من الأتراك محلهم ؛ ولم يحكم مصر بعد ذلك عربي إلا إذا استثنينا عنبسة بن اسحق (٢٣٨ — ٢٤٢ هـ) والخلفاء الفاطميين

تم فتح مصر على أيدي جند العرب ، ولم يشأ عمر أن يقطعهم أرضها ليكونوا على أهبة الاستعداد لتلبية نداء الجهاد وفتح البلاد المجاورة لمصر لتأمن مصر نفسها وليستقر بذلك سلطان العرب فيها . وقد فتح العرب في ولاية عمرو بن العاص الأولى بلاد برقة سنة إحدي وعشرين للهجرة وطرابلس في السنة التالية وغزوا إفريقية سنة ٢٧ هـ تحت قيادة عبد الله بن سعد (٢٥ — ٣٥ هـ) والى مصر إذ ذاك ، وهزموا الروم في هذه البلاد وقتلوا ملكهم ، وخربوا قاعدة ملكه وتوغلوا في بلاد إفريقية وصالحوا أهلها (2) ، وغزوا بلاد النوبة سنة ٣١ هـ حتى وصلوا دنقلة ، وفي هـذه السنة اشتبك الأسطول المصرى مع أسطول الروم فانتصر الأول في واقعة ذات الصوارى ، ثم غزوا طرابلس مرة أخرى في ولاية عمرو بن العاص الثانية

ويظهر لنا أن هـذه الغزوات لم يكن القصد منها الاستعمار لهذه البلاد وإدخالها في حوزة العرب كما كانت الحال بالنسبة إلى مصر ، وإنما كان قصد الخلفاء وولاتهم على مصر القيام بها تأمين

(1) قال الكندى (ص ٩٤ — ٩٦) : إن قيساً قامت في وجه مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية حين جاء إلى مصر هارباً من وجه العباسيين = وقال المقريزى (الخطط ج ٢ ص ٨) : إن قيساً هذه مالأت مروان

(1) أنظر الكندي ص ٧٦ والخطط للمقريزى ج ١ ص ٨٠ — ٨١

(2) قيل إن أهل إفريقية صالحوا عبدالله بن سعد على ٢,٥٠٠,٠٠٠ دينار ثم شرطوا له بعد أن توغلت جنوده في داخل البلاد ٣٠٠ قنطاراً من الذهب على أن يخرج من بلادهم ففعل بعد أن أقام المسلمون سنة وثلاثة أشهر

مصر من الغرب والجنوب ولذلك كان فتح بلاد المغرب

وكان العرب يقنعون بما يصيبونه من الأسلاب والغنائم وظلوا على ذلك حتى تحولت وجهة نظر الخلفاء، فأخذوا يهتمون بأمر بلاد المغرب بوجه خاص، فأرسلوا إليها الجند للمحافظة عليها، وقلدوا ولايتها ولاة مستقلين في الحكم عن أمراء مصر أو نائبين عنهم في حكم هذه البلاد إذا جمع بين مصر والغرب لوال واحد[1]

وقد قام المصريون بدور هام في الغزوات البحرية في هذا العصر، فقد بنى مسلمة بن مخلد (٤٧ — ٦٢ هـ) في جزيرة الروضة داراً لصناعة السفن وإصلاحها. وكان لبناء هذه الدار فوائدها في حروب مصر البحرية، فقد غزا رودس الأسطول المصري، جهزه عقبة بن نافع سنة ٤٦ هـ وتم له فتحها سنة ٥٣ هـ ولما جاء عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ) أصبح لمصر أسطول قوى شارك أسطول الشام في غزو القسطنطينية وإن كانت هذه الغزوة قد عادت على الأسطولين المصري والشامي بالفشل

ولقد خاض الجند العرب غمار الفتن السياسية التي قامت في هذا العصر بين الخلفاء الأمويين والخارجين عليهم، وكذا بين بني العباس ومناوئيهم، وكان لتدخلهم أثر ظاهر في هذه الفتن.

حسن ابراهيم حسن

(١) جمع مسلمة بن مخلد والى مصر الصلاة والخراج والمغرب فأقام بمصر وبعث مولاه أبا المهاجر ديناراً عنه في المغرب، وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان

فلسفة التربية

تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٦ —

« كاد المعلم أن يكون رسولا ..! » « شوقى »

« إنما الصعوبة هي في إيجاد أولئك الأساتذة الأفاضل الذين يستطيعون أن يحملوا الشعلة وأن يناولوها غيرهم بجرأة وحماس وإخلاص وإقدام . ! »

« قد نبني المدارس ونتفق في تشييدها وإعدادها ملايين الجنيهات، ولكنا قد نعجز مع ذلك عن تكوين الرجل المنشود! »

« أفضل النظم جدير بالفشل التام إذا لم يقم بتنفيذه من هو كفؤ له . ! » « من رسالة الدكتور جاكسون »

٦ — المعلمون

رأيت في المقال السابق بعض أسباب فشل النظام في المعاهد الدراسية وتبينت أثراً لمسئولية النظار والمدرسين في ذلك الشأن. وسترى اليوم ناحية أخرى لها من الخطورة والطرافة في عملية التربية ما يجعلنا نهتم بها كل الاهتمام، ونصرح فيها بأشياء ما كنا لنذكرها لولا حرصنا على المصلحة العامة، ولولا أملنا في أن يقابل الجميع الحقائق — على مرارتها — بصدر رحب وتقدير نزيه :

١ — مفاتيح

قال المرحوم شوقي بك :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا !
أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشىء أنفساً وعقولا !

وأحسب أن معنى ذلك الشعر العذب واضح لا يحتاج إلى بيان، وصادق لا مبالغة فيه ولا تهويل ! فترى هل يشعر المعلم عندنا بكل ما فيه من معنى ؟ أو هل تساعده الظروف على أن يتمثل به ويحققه في حياته الخاصة والعامة ؟ ذلك هو السؤال العسير الذي فكرت فيه كثيراً وتألمت من أجله طويلاً، ولست أدري متى يقف تفكيري فيه وألمي من أجله !!

إن المعلم أيها القارىء هو الطرف الأول في عملية التربية والتعليم، فإذا لم يستطع أداء عمله كما ينبغي فقل على الأمر السلام ! فترى هل يجوز أن يكون ذلك الطرف مجرد ناقل علم فحسب، ما إن يدخل الفصل حتى يتكلم ويتكلم، ويكتب بالحكك ويكتب، ثم يخرج ويدخل هكذا كل يوم ويخرج، دون أن تقوم بينه وبين الطلبة عاطفة من ود ولا وشيجة من إخاء ؟؟

وترى هل يجوز أن يكون ذلك الطرف متبرماً من عمله، ساخطاً عليه، ثائراً على القدر الذي ابتلاه به، حاسداً لنظرائه في المهن الأخرى حيث الراحة والجاه، والكسب الوافر والنعيم الموموق[1] ؟؟

وترى هل يجوز ألا يقبل ذلك الطرف على تلك المهنة الخطيرة إلا مضطراً لا ميل يدفعه، ولا غرام يحببه، بل هي الوظائف قد أقفلت بعد الجامعة أبوابها في وجهه، وهو « المعهد » قد فتحها

(١) أذكر أني كنت أستمع يوما مع بعض الزملاء إلى محاضر يتحدث عن حياة الأرواح في العالم الآخر ويقرر أن هناك مدارس ومعلمين، فما كان من الزملاء إلا أن ضجوا وتبرموا خيفة أن يكون نصيبهم بعد الموت هو تلك المهنة الشاقة التي ملأت عليهم حياتهم هما وشقاء وعسراً ونصباً !!

ورحب به نائماً وآكلا ودارساً دون ما أجر[1] ؟؟

وترى هل ينبغى أن يكون « بعض » هذا الطرف فى المدارس الأهلية ، وهى لا تقل عن مدارس الحكومة فى عدد طلبتها ، مجرد طالب عيش لا يفقه من أمور التربية شيئاً ، ولا يدرى عن طبيعة الطفل قليلا ولا كثيراً ، ولا يستطيع إلا أن يرسل القول محفوظاً ، فلا عقلا يكوّن ، ولا شخصية يبنى ، ولا خلقاً يغرس ، ولا نظاماً يصون[2] ؟؟

٢ — أسباب :

تلك حقائق مرة لها خطورتها الكبرى فى عملية التربية كما قلنا ، وهناك من الحقائق غيرها مالا يتسع المجال لذكره أو ما لا يليق به أن يذكر !! ، ولما كانت التربية الصحيحة شيئاً آخر غير حشو العقول بالكتابة والقول ، وتنفير القلوب بالجمود واليأس ، وتشويه الشخصية بالجهل والحمق ، فمن الخير أن نتلمس بعض أسباب هذه الحقائق علنا نستطيع أن نجد لها علاجا .

أتعرف ماذا هو عمل المعلم فى المدارس الثانوية على وجه الخصوص ؟ أتعرف أنه دروس تُحضّر ، وحصص تُدرَّس ، وكراسات تصحح ، ثم أعمال إدارية أو كتابية بغيضة يملأ فيها الأستاذ الكشوف بالأرقام المجموعة وغير المجموعة ، ثم ينقلها إلى كشف آخر وكشوف أخرى ، ثم يبعث بها ثلاث مرات فى العام إلى أولياء الأمور كما لو كان كاتباً يسجل ويجمع ويكتب كل شئ حتى العنوان ؟؟

ثم أتعلم ماهو قدره فى عين الدولة والمجتمع بعد كل هذا العناء الذى يبذله ليل نهار ، ومع خطورة وشرف المهنة التى ينسب إليها ؟؟

لعلك تدرى أن قدره في عين المجتمع دون قدر رجل العدالة أو رجل الطب بكثير؟ هذا ينطق بالحق وذاك يعنى الجسم ، أما هو فماذا يفعل غير إلقاء الدروس ؟ وعسير عليك جداً أن تفهم الناس أن التعليم قد يغنينا عن القاضى[1] أو الطبيب دون أن يغنى كل من هذين عن الأستاذ . وعسير عليك جداً أن تدخل فى الأذهان أن صاحبنا يبنى وينشئ أنفساً وعقولاً كما قال أمير الشعراء

ثم لعلك تدرى أن قدره فى عين الدولة كان وما يزال دون قدر رجال القضاء وغير رجال القضاء ؟ وأين المسكين من أولئك وهؤلاء ؟ ألم يخطب يوماً أحد الزعماء ليعبر عن جماعة المعلمين بمثار الجد وسوء الفعل كما لو كانوا جماعة من العمال أو الزراع ؟ أولم يرتفع صوت المعلمين مدوياً طالباً المساواة والانصاف دون أن تستجيب له الحكومات بتلك السرعة وهذه الأريحية التى تستجيب بهما لرجال القضاء أو النيابة أو المحاماة ؟ أولا ينظر المعلم اليوم إلى زميله بالأمس فى الدراسة الثانوية فيجده فى مجال القضاء يقفز القفزات ، أو فى ميدان الجيش يتناول « العلاوات » ، وهو هو فى فناء المدرسة تمضي عليه السنون فى الدرجة الواحدة ، وتتسع الهوة المالية والاجتماعية بينه وبين زميليه هذين ، إلى حد يخيل إليه أن لاعدل هناك ولا مساواة ، مع أنه يبذل من الجهد ويؤدى من الواجب ، مالا يقل قيمة وضرورة وقدراً عن أعمال هذين الندين العزيزين ؟[2]

قل ما شئت وما لم تشأ فى ذنب المعلم وتقصيره ، ولكنك لن تستطيع أن تقول إنه فوق البشر فلا يؤذيه الظلم ولا يميته الاغفال ... ! ثم أنت تنشد بعد ذلك للتعليم إصلاحاً ! أفلا يليق بك أن تتدبر هذا الأمر بنتائجه البعيدة والقريبة قبل كل شئ وبعد كل شيء ؟

محمد حسن ظاظا
مدرس الفلسفة بالمدارس الأميرية

(١) وقد بدأت الوزارة تعمل على إصلاح ذلك الحال باختيار نخبة خاصة من خريجى الجامعة ليلتحقوا بالمعهد .. ، ولكن مما لاشك فيه أن كثيراً من رجال التعليم الحالى لم ينشدوا مهنتهم عن ميل صحيح أو لم يجدوا فيها ماقد يخلق فيهم من الرضاء والارتياح ما يشجعهم على تحمل مشقاتها باسمين والقيام بأعبائها مطمئنين . وحسبك أن تقوم بعمل استفتاء عام كما فعل مرة أحد الزملاء فلن تجد جواب الأغلبية الساحقة خارجا عن دائرة الأسف والسخط والندم واليأس . فهل بهذه الروح ينبغي أن يعمل المعلمون ؟ وهل بمثل هذه الروح نستطيع أن نرجو إصلاحا للأجيال القادمة والحاضرة ؟؟

(٢) لقد رأيت وسمعت من أحوال بعض المدارس الاهلية كل عجيب مضحك . وسأفرد مقال العدد الآتى انشاء الله لهذا الشأن . ولكنى أعترف هنا أن قليلا من حضرات الأساتذة غير الفنيين فى هذه المدارس يبذل من المجهود الخصب ما يكشف عن حسن استعداده وقوة خلقه . وجدير بالدولة على أية حال أن تقوم هنا بتصفية سريعة مضبوطة لا لين فيها ولا هوادة ، وأن تدبر بقدر المستطاع عملا لمن لا يصلحون لهذا العمل الفنى الدقيق

(١) أثبت الاحصاء أن التعليم يقلل من الجرائم الكبرى أيما تقليل وصدق المثل القائل إن من أقام مدرسة فقد أغلق سجناً ، أو القائل إن من هدم ركناً من أركان الجهالة فقد شيد ركناً من أركان الوطن !

(٢) وقد بدأ فعلا تنفيذ « الكادر الجديد للمعلمين » ولكن هوة ما تزال سحيقة بين رجال القانون ورجال التعليم . وما زلت أعرف كثيرين قد مضى عليهم أكثر من العشرين عاماً وهم ما زالوا فى الدرجة السادسة ، وما زلت أجد حظ المعلم فى مجانية المدارس مغبوناً إلى حد مروع وأعتقد بعد هذا أن كل إصلاح ميئوس منه إذا لم يسو بين المعلم وبين غيره من رجال الدولة تسوية عادلة

بين الرافعي والعقاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٢ —

نقل الأستاذ الأديب سيد قطب في كلمته الثانية بعض ما نقده الرافعي في قصيدة للعقاد في ديوانه بعنوان (غزل فلسفي ؛ فيك من كل شيء) ، وذلك حين يقول في حبيبته :

فيك منّي ومن الناس ومن كلّ موجودٍ وموعودٍ تُؤام

فقال الأستاذ قطب : فلا يرى الرافعي في هذا البيت الفريد إلا أن يقول : « قلنا فإن (من كلّ موجود) البق والقمل والنمل والخنفساء والوباء والطاعون والهيضة وزيت الخروع والملح الانجليزي إلى واوات من مثلها لا تمدّ ، أفيكون هذا كله في حبيب إلا على مذهب العقاد في ذوقه ولغته وفلسفته ؟ »

ثم يعودُ فيقول : «إن هذا المثال هو «مصداق رأيي في أن الرافعي أديب الذهن لا أديب الطبع ، وأنه تنقصه « العقيدة » ! التي هي وليدة الطبع أولاً ؛ فأيّ « طبع » سليم يتجه إلى تفسير بيت غزليّ في معرض إعجاب شاعر بحبيبته ، واستغراق في شمول شخصيتها بأن « كلّ موجود » هو البق والقمل والنمل .. الخ » غافلاً عما في هذا الاحساس من « حياة » ! « واستكناهٍ » ! لجوهر الشخصية ، و « خيالٍ بارع » تثيره طبيعة فنية ، فيرى في هذه المرأة من متنوّع الصفات ومختلف النزعات وشتى المزايا عالماً كاملا من كل موجودٍ وموعود

أحد أمرين :

إما أن الرافعي ضيق الاحساس مغلق الطبع بحيث لا يلتفت إلى مثل هذه اللفتات الفنية بالشعور

وإما أنه يدرك هذا الجمال ، ولكنه يتلاعبُ بالصور الذهنية وحدها ، غافلاً عما أحسّه وأدركه

وهو في الحالة الأولى مسلوب « الطبع » وفي الثانية مسلوب « العقيدة ! » فأيهما يختارُ له جماعة الأصدقاء »

ثم أتمّ الأستاذ علينا نعمة نقده بأن قال « إن هذا المثال « يمثل تلاعب الرافعيّ بالصور الذهنية ، واستغلاق طبعه دون تملي الإحساس الفني »

وقد آثرنا أن ننقل في كلامنا كلّ هذا لا نبدّله ولا نحرّفه لنقطع بذلك مادة الشك في صحة النقل من كلام الأستاذ قطب ، وليجتمع للقارئ فكرهُ على رأي متصل حين ينظرُ في أعقاب كلامنا بالتعرُّف أو الانكار

ونحن حين قرأنا قصيدة العقاد لأول مرة في مجلة المقتطف (يناير سنة ١٩٣٣) زعمنا أنها قصيدة مؤلّفة من مادة غير مادة الشعر ، وأن الغزل الفلسفي الذي فيها حديث يتهالك ، والفلسفة منطق يتماسك ، فهي على ذلك ليست من شعر ولا فلسفة . وهذا هو بديهة الرأي لمن يقرأ هذه القصيدة ويتدبر معانيها ، ويقيسها إلى غرض صاحبها فإنه سماها أول ما سمى « غزلاً فلسفياً » ثم أتبع هذا — وفي رأسها — مما يشبه التفسير لهذا العنوان ، وما يتضمن نحوي القصيدة ، ويحدد جملة معانيها ، وذلك قوله : « فيك من كل شيء »

ولسنا الآن بسبيل من نقد القصيدة كلها ، وبيان ما أشرنا إليه قبل في أثنائها وتضاعيفها ، وإنما نجتزيء بالقول في البيت الذي نقده الرافعي ، ثم عقب على نقده الأستاذ سيد قطب بما شاء له «طبعه» المفتوح غير المغلق ، و«عقيدته» الكاملة غير المسلوبة ، و « خياله البارع » غير المتخلف

وهذا البيت بعينه :

فيك منّي ومن الناس ومن كلّ موجودٍ وموعودٍ تُؤام

إنما هو تكرار لقوله في صدر القصيدة : « فيك من كل شيء » حين أراد الشاعر أن يزيده بياناً ووضوحاً ، ويجلوه جلاء المرآة لتصف شخص صاحبته ، أو كما قال الأستاذ القطب (لاستكناه جوهر شخصيتها !)

وقد ذهب الرافعي في نقد هذا البيت مذهب العربي حين يسمع الكلام العربيّ لا ينحرف بألفاظه إلى غير معانيها ، ولا يتسع في معاني الألفاظ بغير دلالة ظاهرة أو مُسوّغ مُضمر ، ولا يقبض من معانيها إلا بمثل ذلك مما يجيز انقباض بعض معاني اللفظ عن سائره . وقد قال العقاد لصاحبته في الغزل الفلسفيّ « فيك من كلّ شيء » و « فيك من كل موجود » . والعرب

والفلاسفة جيماً يزعمون أن لفظ (كلّ) إذا دخل على النكرة أوجب عموم أفرادها على سبيل الشمول دون التكرار . فكذلك أوجب الشاعر على صاحبته أن يشمل (جوهر شخصيتها) جزءاً من كلّ ما يمكن أن يسمى (شيئاً) ، ومن كل ما يسوغ أن يسمى (موجوداً وموعوداً) . وهذا الاطلاق من (فيلسوف يتغزّل) يقتضى شمول الأفراد من (كلّ شىء) ، ومن (كلّ موجود) . وليس يشك أحد — ممن لم يسلبهم الله « الطبع » و « العقيدة » ولم يحرمهم « الخيال البارع » — فى أن ما ذكره الرافعىّ فى كلامه — من البق إلى الملح الانجليزى — شىء من الأشياء وموجود من الموجودات . والفيلسوف حين يتغزل لن يريد هذا بغير شك ، ولكن أين تذهب بمعنى اللفظ (كلّ) فى العربية ؟ وفى حدود الألفاظ التى تدور على ألسنة الفلاسفة ؟ وأى دلالة توجب قبض معنى الشمول من هذا اللفظ ؟ أو أىّ مُسَوِّغ يجيز الحد من الاحاطة التى يقتضيها هذا الحرف فى مجرى قول الشاعر « فيك من كل شىء » وفيك « من كل موجود » ؟ !

هذا بعض القول فى فساد ألفاظ هذا البيت ، وبطلان معنى الفلسفة فيه . ولا يفوتنى فى هذا الموضع أن أدل على موضع الضعف فى فهم الأستاذ قطب لكلام الرافعى . فالرافعى يقول : « قلنا ، فإن من — كل موجود — البق ... الخ » ، والأستاذ الأديب البارع يقول وكأنه يشرح معنى الرافعى : « فأى طبع سليم يتجه إلى تفسير بيت غزلى ... بأن « كل موجود » هو البق والقمل ... الخ » ؟ غافلاً عما فى هذا الإحساس من « حياة » و « خيال بارع » ، تثيره طبيعة فنية ، فيرى فى هذه المرأة من متنوع الصفات وشتى المزايا عالماً كاملاً من كل موجود وموعود » . والرافعى رحمه الله لم يقل إن (كل موجود) هو البق ... الخ ، وإنما قال إن من (كل موجود) ، أى من أفراد الموجودات ما يسمى بقاً ... الخ ، فالحرف (من) فى كلام الرافعى ليس هو الحرف (من) الذى فى شعر العقاد حتى يجوز ما ذهب إليه الأستاذ قطب بما ساء من تعليقه

وقد أطلت القول فى تقرير نقد توحى بصحته سلامة الفطرة ، وحسن الذوق ، وصفاء القريحة ، ويوجبه اصطلاح المنطق ، وحد الكلام ، وإتقان الفلسفة ، ويقتضيه ما ذهب الشاعر يسرده مما هو « فى صاحبته » معدداً مبيناً مفصلاً حتى انتهى إلى إجمال المعانى فى هذا البيت . فقد قال لها : فيك من الشمس والبدر ، ومن الربيع والشتاء ، ومن غناء الطير ونوح الحمام ، ومن انسياب الماء ، ومن طبائع الوحش ، ومن حركة الأسماك ، وفيك من جوارح الطير ، ومن النعام ، ومن نار الحياتَيْن ، ومن الموت الزؤام ، ومن نقص الدنيا ، وكمال الآخرة ، ومن الملائكة ، ومن الشياطين ، ومن الخمر ، ومن القوت ، ومن الماء ، ومن الجوع ، ومن الأرض ، ومن السماء ، ومن عمل الأيام والدهور ، ومن الهندسة ومن الفن ... ثمّ

« فيك منى ومن الناس ومن كل موجود وموعود توأم » !!

أفلا يدل هذا على أن الشاعر الفيلسوف كلَّ التفصيل فرَمى بالجملة فى (كل شىء) من (موجود وموعود) بعد الذى تعب فى بيانه وتفصيله وذكره وتمداده ؟ ؟ وأى شىء بقى له لم يعدده من متنوع الصفات ومختلف النزعات وشتى المزايا والعالم الكامل » ! إلا هَنات هينات كذا وكذا ... وما ذكر الرافعى

هذا ... وقد اقتصر الأستاذ على نقل بعض كلام الرافعى فى نقد هذا البيت ونحن نتمه للقراء بعد ذلك :

« إن ذلك المعنى الذى بَنى عليه هذا المسكين غزلَهُ الفاسق قد مرّ فى ذهن أعرابىّ لم يتعلم ولم يدرس الفلسفة ، ولا قرأ الشعر الإنجليزى والفرنسى والألمانى والفارسى ، وليس له إلا ذوقه وسليقته وطبيعته الشعرية ، فصفى المعنى تصفية جاءت كأنما تقطر من الفجر على ورق الزهر بقوله :

فلو كنت ماء كنتِ ماء غمامة ولو كنت درًّا كنت من درة بكر

ولو كنتِ لهواً كنتِ تعليل ساعةِ

ولو كنت نوماً كنتِ إغفاءة الفجر

ولو كنت ليلاً كنت قمراء جُنْبَت

نحوس ليالى الشهر ، أو ليلةَ القدر

(ولو كنت كنت) هذا أبدع عنوان لأجمل قصيدة فى فلسفة الغزل . وانظر كيف جعل الأعرابى حبيبته أصفى شىء ، وأغلى شىء ، وأسعد شىء ، وكيف صورها شعراً للشعر نفسه . ثم قابل هذا الذوق المصفى بذوق من يجعل حبيبته من كل شىء ، ومن كل موجود وموعود توأماً وزؤاماً وبلاء عاماً » انتهى كلام الرافعى

فإن شئت أن تعرف كيف يتناول الشعراء هذا المعنى المغسول من الشعر « فيك من كل شيء » فانظر حيث يقول جرير ، وهو فيما نعلم أول من افتتحه :

ما استوصف الناسُ (من شيء) يروقهم
إلا أرى أمَّ عمرو فوقَ ما وَصَفوا
كأنها مُزنة غرّاء واضحة أو درة لا يواري ضوءها الصدف

وقد أحسنَ جرير تحديد المعنى وتجريده من اللغو (من شيء يروقهم) وجعل فى صاحبته من ألوان الجمال ما تهفو إليه نفوس الناس على اختلاف أذواقهم وتباين أنظارهم . وكأن أبا نواس نظر إلى هذا المعنى حين قال :

لك وجه محاسن الخلق فيه ماثلاتٌ تدعو إليه القُلوبا

على أن جريراً قد ناقض وأحال وأفسد ما استصلح من شعره حين رجع فقال فى البيت الذى يليه : « كأنها مزنة ... أو درة » فإن هذا الحرف (كأن) للتشبيه ، والتشبيه يدعى قصور المشبه عن المشبَّه به ، وهو قد ادعى أنه يرى صاحبته فوق ما يصف الناس (من شيء) يروقهم أو يروعهم أو يفتنهم

ثم جاء مسلم بن الوليد بعقب جرير يقول :

مثالها زهرة الدنيا مصوَّرةً فى أحسن الناس إدباراً وإقبالا
أستودع العينَ منها كلما برزت وجها من الحسن لا تُلقى له بالا
فالعين ليست ترى شيئاً تسرُّ به حتى تُريني لما استودعتُ تمثالا

ففارق مسلم جريراً حيث جعل صاحبته (زهرة الدنيا مصورة) أى محاسنها وتهاويل جمالها ، وأنه يجد عندها تمثالاً لكل حسن تسر به العين

ثم جاء أبو نواس فألبس الشعر والمعنى من توليده وحسن مأخذه ولطف عبارته فقال :

لها من الظرْف والحســن زائدٌ يتجــدَّدْ
فــكل حُسْن بديع من حُسنها يتولَّدْ

ثم جاء أبو تمام فقَصَّر ، ولم يحسن اختيار اللفظ ، وأضعف روح الشعر فيه فقال :

أنظر فما عاينت فى غيره من حَسَن فهو له كله

وتناوله البحترى ، فزاد فيه معنى ، ولم يجوِّد نسجه فقال :

وأهيف مأخوذ من النفس شكله ترى العينُ ما تحتاجُ أجمعُ فيه

فالزيادة فى قوله « مأخوذ من النفس شكله » وهى جميلة لولا شناعة قوله (مأخوذٌ) ، ولو عدل فيها إلى مثل نهجه فى صفة الخمر

أُفرغتْ فى الزجاج من كل قلب فهْى محبوبة إلى كلِّ نفس

لأجاد وبذَّ من سبقه . وقد فطن ابن الرومى إلى معنى البحتري فاتخذه لنفسه وسبّق حين قال :

وفيك أحسن ما تسمو النفوس له فأين يرغب عنك السمع والبصر

وقد قصر ابن الرومى فى الشطر الأول عن المعنى الذى أراده البحترى ، ولكنه جاوز البحتري ورمى به خلفه فى مقابلة قوله (ترى العين ما تحتاجُ أجمعُ فيه) بما قال (فأين يرغبُ عنك السمعُ والبصرُ)

ثم أدار ابن الرومى هذا المعنى ونقَّلَهُ من سواه حين قال :

لا شيء إلا وفيــه أحسنهُ فالعينُ منه إليــهُ تنتقلُ
فوائد العين منــهُ طارفةٌ كأنما أُخرياتهُ الأُوَلُ

ولقد كنت أتعجب لبيت العقاد كيف نزل مع كل هـذا الشعر ، وكيف خفى عنه موضع التقييد من مثل قول جرير « من شيء يروقهم » ، وقول مسلم (زهرة الدنيا) و « شيئاً تُسرُّ به » وما إلى ذلك ، ووجهتُه مع سائر القصيدة فلم يزل مختلاً ناقصاً معوجاً لا يستوى . وزادنى عجباً قوله فى نهاية الشعر (تُؤام) ، ولم أجد للفظ معنى ولا رأيت له وجهاً يتوجهُه مع مقاصد الغزل الفلسفى حتى وقعت لى أبيات ابن الرومي فإذا قوله (تؤام) ترجمة للفظ آخر هى لفظ (معاً) فى قول ابن الرومى ينحو إلى هذه المعانى بعينها

فالعين لا تنفكُّ من نَظَرِ والقلب لا ينفكُّ من وَطَرِ
ومحاسن الأشياء فيكِ (معاً) فَلاً لتيك مَلاَلتى بَصرِى
مُتعاتُ وجهكِ فى بديهتها جُدُدٌ وفى أعقابها الأُخَرِ
فكأنّ وجهكِ من تجدُّدِه مُتنقّلٌ للعين فى صُوَرِ

وقول ابن الرومى (ومحاسن الأشياء فيك معاً) هو عمل الشعر فى معنى غسيلٍ قدّم به العقاد لقصيدة غزل فلسفىّ وهو قوله : « فيك من كل شيء »

ورحم الله الصولى الذى يقول :

أعرفُ مِنها شَبهاً في كلِّ شيء حسَنِ

فقد أتى بالمعنى عامياً لطيفاً مجفواً غير صنيع ، وهو على ذلك أرق من فيك منى ومن الناس ...

فهذا مذهب الشعر من لدن جرير إلى يومنا هذا ولم نستقصه فى غرض واحد من أغراضه ، وذاك مذهب العربية فى معانى ألفاظها ، وسبيل الفلاسفة فى تحديد معانيها ، وفى ثلاثتها قصر بيت العقاد وفسد واستحال معناه وتهالك منطقه . فمن أين يمكن وصف الرافعى — إذا نقد هذا البيت — بأحد أمرى الأستاذ قطب : إما أن يكون ضيق الاحساس مغلق الطبع بحيث لا يلتفت هذه الالفتات الفنية بالشعور ... (وأين وأنى وكيف نجدها يا أستاذ الأستاذين ؟) وإما أنه يدرك هذا الجمال ولكنه يتلاعب بالصور الذهنية وحدها ، غافلا عما أحسه وأدركه ... وما ندرى كيف كان يحسه الرافعي رحمه الله ؟

أكان يحسه ويدركه بقوة الجوع والعطش فى البيت الذى يليه

كيف بى أعزلُ إن أغنيتنى أنتِ ، حتى عن شرابى والطعام !

وأخيراً ، فقد خير الأستاذ قطب أصدقاء الرافعى بين أن يحكموا عليه باحدى كلمتيه أن يكون رحمة الله عليه مسلوب « الطبع » أو مسلوب « المقيدة » وقد تبين بعد الذى قلنا أن نقد الرافعى نقد « محكم » فى سياق العربية ، وفى جوهر الشعر ونزيد فنقول إن قارىء القصيدة (غزل فلسفى) حين يقرؤها إلى أن ينتهى إلى هذا البيت : « فيك منى ومن الناس ... » لا يجد فيها من « الحياة » ولا من « الخيال » ولا من « غنى الشعور » ولا من « الاحساس الفنى » — إلى آخر ما يتنبل به الأستاذ قطب — ما يجمل نقد هذا البيت بعينه دليلا على ضيق الاحساس واستغلاق الشعور ، والغفلة عن الجمال ، وفساد الانسانية فى قلب ناقده

وعلى هذا فقد سقط الدليل الأول من أدلة أحكامه على الرافعى وبان فى ذلك ما امتاز به الرافعى من الدقة وصدق الاحساس فى إدراك معانى الشعر وما فيه من غضارة ورُوقة وجمال

محمود محمد شاكر

بين الأديب وبين الناس

للآنسة فلك طرزى

(مهداة إلى الأستاذ توفيق الحكيم)

سيدى الفاضل صاحب الرسالة الغراء :

القطعة الأدبية التى أبعث بها اليوم إليك لتنشر على صفحات مجلتك الراقية ، استوحيتها من السلسلة الأدبية الأولى التى ينشرها تباعاً الأستاذ توفيق الحكيم فى الرسالة تحت عنوان « من برجنا العاجى »

وقد كتبتها يوم كنت فى حلوان أنعم بجو هذه المدينة الساحرة وأنفس عن صدري بنشق أرج النسيم المطر بعبير الزهر المتدلية عناقيده وباقاته فى روضات حدائقها النضرة ، فأشعر بأثر الصحة يتغلغل بين جوانب هذا الصدر قوياً حاراً يبعث فيه السرور والبهجة والنشاط . ولا غرو فان أسعد أيام حياتى الماضية هى تلك التى قضيتها على شاطىء وحدة هذه المدينة الفاتنة تحت بواسق نخيلها وفى ظل صمتها وسكونها

كتبتها يومئذ ثم حالت شواغلى دون نشرها فطويتها بين أوراق إلى أن عثرت عليها اليوم بينما كنت أقلب فى هذه الأوراق ، فرأيت أن أرسلها إليك لتنشرها فى « رسالة » الفن العالى والأدب الصادق الحى ، ولو أن نشرها سيجيء متأخراً

لو علم الناس كيف يعيش كل أديب أو مفكر فى هذا الوجود ، ولو علموا نوع الحياة التى يقضيها هذا الأديب أو ذاك المفكر مرتبكا حائراً بين متناقضات تتركب منها نفسه ، لكفوا عن توجيه الملام إليه ، ولاقتصروا عن نعته بمختلف النعوت والصفات التى لا تنطبق ألبتة على حقيقته مكتفين بالاقرار أن نفسه غير نفوسهم ، وأن إحساسه لأبعد غوراً وأعمق نفاذاً من إحساسهم ؛ ولكن يظهر أن الحياة التى منحتهم إياها القدر حين شيعهم إلى باب الوجود قائلا لهم : اذهبوا فان لكم الحياة ولكن ... قد غشت أبصارهم بغشاوة الجهل فلم يدركوا مغزى « لكن » هذه التى يخفى باطنها وينم على معان كثيرة فاتهم إدراكها ، كما فاتهم أيضاً رؤية البسمة الساخرة التى ارتسمت على ثغره المازىء المتهكم ساعة شيعهم إلى باب الوجود ! فما علموا أن القدر منحهم أشياء وسلبهم شيئاً هو أعظم أشياء الدنيا

وأغلاها قيمة ! وما دروا أن القدر حرمهم نعمة لا يبلغ قمتها العالية سوى من ذاق مرارة الألم التى يولدها الفكر والاحساس ، ومن شعر بقلبه يهتز بين جنبيه مختلجاً حائراً بين إحساس وإحساس وبين فكرة وفكرة

غير أن « لكن » نابتة كما قلت يا سيدى قد نطق بها القدر أيضاً حين دفع بالأدباء والمفكرين إلى الوجود وأرفقها بصيحة ألقاها فى وجوههم قائلاً : « إذهبوا فإن لكم الفكر ولكن.. » فبلغت « لكن » هذه من شدة دويها مبلغاً جعلهم شديدى الإنصات إليها ، حريصين على ألاّ يفوتهم سماع الصدى الهائل الذى ينبعث من انفجاره فى أنفسهم ، فيتفتح فيها من جراء هذا الانفجار منافذ وأبواب على العالم الغامض . لينطبع على صفحات هذه النفوس كل صورة ومشهد من صوره ومشاهده ، وكل ما يحوى من حقائق مُرة لاذعة ، وخيالات جميلة عذاب

ولا إخال الجماعة الذين أدركوا معنى « لكن » هذه وسبروا غورها العميق فعرفوا أن باطنها يحوى متعاً من الحياة قد سلبهم إياها الفكر والشعور ليمنحهم نعمة الشقاء ومتعة الألم — قد يحسدون يوماً من الأيام بقية الناس الذين نعموا بالحياة وبكل ما تحويه الحياة وحرموا نعمة واحدة هى أسمى النعم وأرفع اللذات وأعنى بها نعمة الشعور الذي يولد التفكير الصحيح

وإذا حملهم أحياناً فيض شعورهم لشدة ما ينتابهم من جرائه على حسد أولئك ، فإن هـذا الحسد لا يدوم إلاّ لحظات ، ولا يطول أكثر من فترات . ذلك لأن « النوع » الرفيع العالى الذى يطبع سعادة جماعة الفكر والأدب بطابعه السحرى ، لا يستطيع غيرهم من الناس إدراك كنهه العميق وليس بوسعهم بلوغ قمته العليا

وهل بإمكان البواعث التى يسعد بها الناس أن تبعث فى نفس الأديب أو المفكر أية سعادة ما ؟

وهل تسر هذا الأديب أو ذاك المفكر نفس المسرات التى يغتبط بها بقية الناس ؟

قد تسعد الأديب ذات البواعث التى تسعد الناس ، وقد تسره الأسباب التى تسرهم ، غير أن ما يميزه عنهم ويجعل فروقاً بين سعادته وسعادتهم وسروره وسرورهم هو ما يمكن أن تخلفه هذه السعادة وذاك السرور فى نفسه من عميق الأثر وما قد ينتج عن هذا الأثر من معان وفكر قد تحولها — أى السعادة والسرور — إلى عكسهما بعد أن يخضعهما الأديب إلى قوانين التحليل والتدقيق

ولكم سخر أدباء من سعادة كثير من الناس وفضلوا عليها شقاوتهم وحيرتهم ! ولكم لام المفكرون ونقدوا أساليب ووسائل يستعين بها أشخاص لبلوغ أمنية السعادة المنشودة دون التفريق بين أسلوب وأسلوب والتدقيق بين وسيلة ووسيلة !

فإذا كان الفكر الانسانى قد حكم على كل مفكر وأديب أن يحبس نفسه فى مقر ذاته العميق ، وأن يرسل نبرات صوته بين أرجاء السكون الذى يملأ هذا المقر ، ثم لا يسمع غير صدى هذه النبرات !

وإذا كان قد قضى عليه أن يعيش فى تلك العزلة الموحشة عزلة نفسه التى يحرسها « تنين » الوحدة ، فعزاؤه عما فاته من متع الحياة أنه يصغى فى كل لحظة من لحظات عمره القصير بعدد السنين المديد بمقدار الدقائق إلى كل همسة من همسات ضميره ونفسه ، وينصت إلى كل نغمة من نغمات الحياة التى لا تنفك أوتار قلبه تعزفها على قيثارة الضلوع

فلنتغنَّ إذن بين جدران أنفسنا الشاهقة ، ولنرسل ألحان هذه الأغانى موسيقى تحوى أنغام الحياة على أنواعها فتتحول عند سقوطها فى القاع — قاع أنفسنا — صوتاً قوياً تنبعث منه نبرات الحياة حارة بليغة

« دمشق » فائك طرزى

آراء حرة

بين العقاد والرافعي

للأستاذ سيد قطب

كنت قد أعددت هذه الكلمة قبل أن أقرأ كلمة الأستاذ سعيد العريان الأخيرة ، ومقدمته لها . فلما قرأتها لم أجد أن أغير في كلمتي شيئاً ...

وبقي أن الأستاذ يقول عما كتبت : « ومع ذلك فان ما أتى به من النقد ليس بشيء عندنا » . فان كان يكفي في الحكم أن يقول الانسان هكذا فيكون ذلك قضاء ، فاننا — على طريقته — لانتكلف أكثر من حذف أداة النفي فنقول : هو « (بشيء) عندنا » وبذلك تنتهي !

وبقي أنه عرض بي في ثنايا مقاله بعد ماتخلي عن الرد وقال إنه مؤرخ .. تعريضا غير لائق . فما مثلي بمن يحتاج لمن يفهمه أدب الرافعي وليس فيه شيء لمثلي غير مفهوم ، وماهو بصاحب طريقة في الفكر والفن ، إنما هو صاحب طريقة في التعبير ، وأنا أحد الاخصائيين في اللغة التي يعبر بها

على أن هناك مايضيع حداً للجدل . أليس الأستاذ سعيد العريان يفهمه ؟ . بلى . فأنا إذن من باب أولى أفهمه .

سيد قطب

— ٣ —

حين قال الأستاذ سعيد العريان عن نقد الرافعي لوحي الأربعين : إنه بلغ فيه ذروته ، وجمع كل فنونه ، كان صادقاً في قوله ، وكنت مخطئاً في الاعتراض عليه ، كما انضح لي الرأي في هذا الأسبوع الأخير !

وحين قلت : إن الرافعي أديب « الذهن » لا أديب « الطبع » وأنه ينقصه « القلب » المهيأ للحب ، وأنه لا يعنيه إلا أن يصور الحقائق الوقتية الصغيرة في صورة خلابة ، لم يكن هذا المعنى واضحاً محدداً في ذهني كما اتضح في هذا الأسبوع الأخير !

وحين ذكرت أن الرافعي ذكي ، قوي الذهن ، كنت متسامحاً جد التسامح أو مبالغاً جد المبالغة ، ولم أعلم ذلك كله علم الأسبوع الأخير ! وإليك البيان ...

حينما أمسكت بالقلم لأكتب الكلمة الأولى بهذا العنوان ، كان في ذهني ونفسي صدى مطالعاتي القديمة للرافعي ، وهو صدى غامض يدل على الجملة ، ولا يعد الناقد بالتفصيل .

وحينما كتبت الكلمة الثانية ، لم يكن بين يدي إلا نقده لوحي الأربعين ، فأبديت رأيي فيه كما رأى قراء الرسالة

ولكنني حين رحت أتلمس الأمثلة من بعض كتب الرافعي وأخترت أن أبدأ « برسائل الأحزان » ، اصطدمت بالرافعي من جديد ، واختلف الصدى الغامض القديم ، عن الصوت الواضح الجديد . (أحسست صدق الأستاذ سعيد في نعته لنقد وحي الأربعين ، فإنه — على مابه — في الذروة من نتاج الرافعي كله كما قال !

وأحسست أنني أخطأت في عدم تحديد « الذهن » الذي قلت إن الرافعي يصدر عنه في أدبه ، فمن الذهن ماهو سليم أو مريض ، وماهو مشرق أو خابٍ ، وما هو متفتح أو مغلق ... إلى مالا نهاية له من ألوان الأذهان !

وأحسست أنني خدعت في « قياس ذكاء » الرافعي ، ومعرفة طبيعته ودرجته ، حتى ردتني إلى القياس الصحيح « رسائل الأحزان » ! وإنني لأحس بالغضاضة في هذا التراجع ، فيعزيني عنه « الصدق » الذي أعبر عنه حين أنصت لاحساسي وأصور حقيقة رأيي .

***

الرافعي أديب الذهن ، ولكنه الذهن الملتوي المماظل الداخل الذي لا يستطيع أن يسلك أقرب طريق إلى ما يريد ، بل يتخذ الدروب والمنحنيات ، ويلتف حول نفسه ، ويعصر نفسه ، مرة ومرة ، قبل أن يصل إلى الحقيقة الهينة الصغيرة ، التي تعثر بها الأذهان المستقيمة مدى ذراع .

والرافعي يصدر في أدبه عن ذكاء ، ولكنه ذكاء اللمحة والومضة ، لا ذكاء الاشراق والصفاء . الذكاء الذي يخبط بجناحه هنا ، ويخبط بجناحه هناك ، فيهيء للناظر أنه يرفرف ويطير ، والواقع أنه مكب على الثرى ، وما هي إلا خفقات الجناح

والرافعي في رسائل أحزانه يتراءى كأنما يتمطى في أغلال ، أو يتنزى في وثاق ، يحاول أن يتفلت من هذا وتلك ، وهو ينفض رأسه ويضرب بقدميه ، ويضرّس أنيابه ، في حركات عصبية ، ليخلق اللفظة بعد اللفظة ، والجملة بعد الجملة ، والخاطرة بعد الخاطرة ، في جهد وعناء !

وإنك لتسأل بعد قراءتها : أهذه رسائل حب ؟ أو ذكرى حب ؟ وأنت خليق أن تفتقد فيها الانسان قبل الفنان

* * *

إسمع قصيدة صدر بها أحد كتبه ولا شك أنه معجب بها ، إسمع الشعر الذي يعجب من ينقد شعر العقاد فى الحب :

من لمحب ومن يعينه ؟ والحب أهنأه حزينه
أنا ما عرفت سوى قسا وته فقولوا كيف لينُه
إن يقض دين ذوى الهوى فأنا الذى بقيت ديونه
قلبى هو الذهب الكر يم فلا يفارقه رنينه
قلبى هو الألماس يعـ رف من أشعته ثمينه
قلبى يحب وإنمـا أخلاقه فيه ودينه

فهذا الشاعر الذى ينقد شعر العقاد فى الحب ، هو الذى يعجبه ما يقلد من شعراء الدول المتتابعة والمماليك فى مصر ، وشعراء أواخر العهد العباسى فنسمع رنين شعرهم فى :

« إن يقض دين ذوى الهوى فأنا الذى بقيت ديونه »

يعجبه هذا الذى لا يرتفع مستواه الفنى على أن يذكر « قلبه » فى سوق « الجوهرات » من الذهب والألماس ، معتقداً أن تلك « المعادن » أغلى من « القلوب » لأنها تقوَّم بالمال الكثير فى السوق

وما عن تهكم أصدر فى هذا التعبير ، فهى حقيقة تعززها الأمثلة الكثيرة فى « الرسائل » وسيأتى هذا فى موضعه

أما القصيدة بعد هذا فخطبة منبرية ، لا تعرف إن كان صاحبها محباً حياً يثير الحب فى نفسه وأعصابه دفعات الحب ، وينبه خوالجه وخواطره ، ويعمق إحساسه بالحياة ، ويضاعف شعوره ، أم إنه واعظ يدعو فى جفاف وجفوة إلى « عدم الاعتداء على الأعراض » بأسلوب لا يتصل بالقلوب ، كمعظم خطباء المساجد فى هذه الأيام :

يا من يحب حبيبه ويظنه أمسى يهينه
وتعف منه ظواهر لكنه نجس يقينه
كالقبر غطته الزهو ر وتحته عفِنٌ دفينه
ماذا يكون هواك لو كل الذى تهوى يكونه
دع فى ظنونك موضعاً إن الحبيب له ظنونه
وخذ الجميل لكى تزيـ ـن الحسن فيه بما يزينه
إن تنقلب لص العفا ف لمن تحب فمن أمينه

الخ ... الخ

ولعل أصدقاء الرافعى فى نشوة حين يطالعهم بهذه الصورة الذهنية :

كالقبر غطته الزهو ر وتحته عفِنٌ دفينه

ولكن أين هذا أيها « الاحياء » فى عالم الحب الحى ، وإن هو إلا « اللعب على الحبل » فى هذا الميدان ؟

* * *

ثم ماذا ؟ ثم اسمع الشاعر الذى لا يعجبه شعر العقاد فى الحب:

حسناء خالقها أتم جمالها سألته معجزة الهوى فأنالها
لما حباها الله جل جلاله بالحسن منفرداً أجل جلالها
تضنى المحب كأنما أجفانها ألقت عليه فتورها وملالها
هيفاء قد شب النسيم قوامها غصناً فإن خطر النسيم أمالها
سيالة الأعطاف أين ترنحت تطلق لكهربة الهوى سيالها

هكذا نعود إلى شعراء الدول المتتابعة فى التكلف والمعانى المطروقة التى يباع كل عشرة منها بقرش فى هذه الأيام ! ولا نرتفع عن « الأجفان التى تلقى على المحب فتورها وملالها » ، ولا عن « النسيم الأعمى أو الأصم أو الثقيل الحس الذى يحسب المحبوبة غصناً ، لعماه أو صممه أو ثقل حسه ، فيميلها عند مروره !

وهكذا لا ندخل أبداً فى زحمة الحياة وتياراتها ، ولا نحس الحياة فى خالجة أو خاطرة ، ولا « نعيش » فى هذا الحب عيشة الأحياء الذين يتأثرون بحسهم وأعصابهم وخوالجهم بجانب أذهانهم ، أو حتى الأحياء الذين تلتفت أذهانهم وحدها إلى صور الحياة وأشكالها ، ودوافعها وأمواجها ولو لم يندمجوا فيها ، ويتأثروا بها !

ولكن لا ، فقد كسبنا التفاتة ذهنية رخيصة ، لا بل التفاتة عرفية أو كلامية ، فان هذه الحبيبة لما « انفردت » فكانت لها صفة « الوحدانية » فى الحسن « أجل جلالها » الله « جل جلاله » فليلق بالهم إلى ذلك علماء « الكلام » ، فما كتب إلا لهم

وحتى لا تفهم أن الشاعر قديم ، اقرأ التجديد الذى تندق دونه الأعناق !

سيالة الأعطاف أين ترنحت تطلق لكهربة الهوى سيالها

أفبعد « الكهرباء » وهى آخر ما كشف من قوى الطبيعة قولة لقائل من المجددين الذين ينقدهم الرافعى النقد الشديد ؟

فمن يكن فى شك أو ظل من شك فليقرأ ، ليعرف أنها لم تكن خطرة عابرة فى التجديد ، وإنما هى عن تعمد وسبق إصرار

يا نجمة أنا فى أفلاكها قمر من جذبها لى قد أضللت أفلاكى

هناك الكهرباء ، وهنا الجاذبية ، أبعد هذا يكون شك أو ظل من الشك ؟ لا . وألف مرة لا !

ولا شيء وراء هذا العبث الذى لا نريد له نقاشاً وإن كان فيه — لو شئنا سلوك طريقة الرافعى فى النقد — مجال لعشرات الغمزات والتهكمات

***

وقد قلت لك : إن الرافعى يغالى « بالجوهرات » فاسمع :

يقول للصديق المفروض أن هذه الرسائل تكتب إليه . إنه سيقص له قصة حبه لا بالترتيب

« فإن هذا مما يحسن فى تاريخ صخرة تتدحرج ، أما أنا فسأقدم لك تاريخ لؤلؤة فريدة »

ولست أدري الفرق لدى الفنان « الحي » بين أن يقص تاريخ صخرة وتاريخ لؤلؤة إلا أن يكون « الثمن » هو الفارق بينهما . أفهم أن يقول : « إن هذا مما يحسن فى تاريخ صخرة ، أما أنا فسأقدم لك قصة حياة . أو قصة بنية حية يدخل فى تأليفها ودوافعها شيء غير الزمان والمكان ، هو الحس والشعور . أو تاريخ نبتة تنمو من داخلها أكثر مما تنمو في خارجها » أو أى تعبير آخر يدل على أن القائل يستشعر الحياة فى أعماقها ، أو ظواهرها على الأقل ، ويرى « القلب » شيئاً حياً ، جماله فى حياته ، وإن لم يقوّم فى سوق الجوهرات بعشر ماسة أو قطعة صغيرة من الذهب ! ثم اسمع : يقول فى إحدى الرسائل : « أما سمعت بذلك الأعرابى الذى قيل له : ما بلغ من حبك لفلانة ؟ » فقال : والله إنى لأرى الشمس على حائطها أحسن منها على حيطان جيرانها ... ، قد والله صدق وبرت يمينه » فإن فى كلمته الشعرية لأثراً من « عينيه » ، إذ يرى الشمس على حائطها كالشمس على « البلور الصافى » لا على الحجر والدر »

إن الأعرابى ليرتفع إلى الذروة الفنية فى قولته الساذجة ، ويخيّل إليك الحياة المشرقة فى « ضميره » ، — لا عينيه وحدهما — وهو ينظر إلى الشمس على حائط حبيبته ويكشف عن « الخصوصية » الدقيقة التى ترى « شمس حبيبته » وكأنها خلقة خاصة بهما لا يشاركها فيها سواها ... الخ ما يتسع له التصور من ألوان الامتياز الوجدانى فى هذا الأعرابى

ولكن صاحبنا لا يرى فى هذا إلا أن « الشمس على حائطها كالشمس على البلور الصافى ، لا على الحجر والدر »

فدار الجمال إذن هو نفاسة ما تطلع عليه الشمس وغنه فى السوق ، ولا شك أن البلور أغلى من الحجر والدر !

ولعله هو أو أحداً من أصدقائه لا يستطيع أن يصدق أن الشمس على « الحجر والدر » الرخيصين أجمل ؛ أو على الأقل قد تكون فى وضعٍ ما أجمل من الشمس على « البلور » الغالى الثمن ، وذلك عند « الطبع » الحى ، الذى يعيش فى الحياة الرحبة ، لا فى سوق الجوهرات !

واسمع ... فى رسالة أخرى :

« ثم يجرى كلامه فيها شعراً خالداً مطرداً كنهر الكوثر فى رياض الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت »

أرأيت ؟ الذهب والدر والياقوت !

ولا يتشكك صاحبنا فى أن النهر الذى حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت أجمل من النهر الذى حافتاه من العشب الأخضر ، ومجراه على الرمل والطين .

لا يلتفت إلى أن الأول مصنوع قد يبهج العين لحظة ثم لا تحس وراءه حياة ، ولا معني أعمق من ظاهره ، فتمله النفس ؛ أما الثانى فهو لا يأخذ « العين » بالبريق والوهج ، ولكنه يملأ « النفس » بالروعة والجمال ، ويتيح لها التأمل العميق فى الطبيعة ، والاندماج بين الحياة الجارية فى النهر والحياة الجارية فى النفس ، لقرب النشأة والتكوين

لا لا . فالمهم هو البريق الذي يخلب الحس ، والأهم هو « السعر » المقدر للياقوت والطين . وشتان شتان !

***

وبعد فقد كان فى هذه الأمثلة الكفاية لتوضيح نظرتى فى الرافعى والبرهان عليها ، وكل مثال يغني عن سواه . وقد تعمدت أن أختارها من اللفتات الصغيرة الخاطفة ، ومما يستجاد عند مدرسته ، وهى أدل على طبيعة الفكر ومعدن الذهن

ولكن لدى أمثلة فى نهج آخر يؤدى إلى النتيجة نفسها ، وموعدى مع قراء الرسالة فى ذلك كلمة أخرى بعد أن طال هذا المقال

(حلوان) سيد قطب

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ١٨ —

— كان فضيلة الشيخ دعاس الميسوى والد عبد الحسيب يقيم بالزمالك ، أعنى فى بولاق

— ما هذا الخلط يا ظمياء ؟

— كنا نفهم أنه يقيم بالزمالك ، ثم عرفنا أنه يقيم فى بولاق ، وقد فهمنا أن سكان بولاق يحبون أن يسموا محلتهم زمالك

— شىء غريب !

— وما وجه الغرابة فى ذلك ؟ إن بولاق تشرف على النيل كما تشرف عليه الزمالك

— ولكن بولاق فى الضفة الشرقية ، والزمالك فى الضفة الغربية ، فبولاق شرق ، والزمالك غرب ، والشرق والغرب لا يلتقيان

— إيش لون ؟

— هذه معان لا يفهمها غير الفلاسفة يا ظمياء

— وكنت أذهب فى صحبة ليلى إلى منزل الشيخ دعاس الميسوى ، وكان شيخاً يقارب الستين ، ولكنه كان أعجوبة الأعاجيب فى منازلة النساء . كان يصوّب بصره إلى ليلى ويقول: « يا بنت يا كهرباء » وكانت ليلى ترتاح لهذا الوصف الطريف . ولعلها كانت تود لو سمعت هذه العبارة الطريفة من عبد الحسيب ، وكانت السيدة نجلاء ...

— هل تعرفين شيئاً من تاريخ نجلاء ؟

— أعرف كل شىء : كانت فتاة خفيفة الروح عرفها الشيخ دعاس وهو يصطاف في لبنان قبل الحرب بأعوام طوال ، فتزوجها ونسى من أجلها زوجته وأبناءه في (شمون)

— وهى أم عبد الحسيب ؟

— بالتأكيد ، وعنها ورث خضرة العينين

— فهمت . هاتى بقية الحديث

— وكانت ليلى ترفض الجلوس على المائدة مع الشيخ دعاس وابنه عبد الحسيب ، ثم استأنست بعد حين ، فقد اطمأنت إلى شرف القلوب فى ذلك البيت . وكان فضيلة الشيخ دعاس يتناول على المائدة دواء كُميت اللون يصلح الأمعاء . وكان هذا الدواء يُحفَظ فى صِوان خاص ويُقدّم إليه فى الغداء والعشاء . وفى ظُهر يوم طُرق الباب وأعلن الخادم قدوم الشيخ الزنكلونى فأسرعت ربة البيت وأخفت زجاجة الدواء . ودخل الشيخ الزنكلونى فرأيناه رجلاً عليلاً وعجبنا كيف يبخل عليه الشيخ دعاس بقطرة من الدواء الذى يصلح الأمعاء

— عمن تلقيتِ دروس اللؤم يا ظمياء ؟

— تلقيتها عن طبيب مصرى يقيم في بغداد

— وأين عيادة هذا الطبيب ؟

— هو طبيب بلا عيادة ، على وزن وزير بلا وزارة

— فهمت . ويسرني أن يكون تلاميذى جميعاً أذكياء . وماذا صنع الشيخ الزنكلونى حين رأى ليلى ؟

— قبّل جبينها وقال : أنت درية ؟ فلما عرف أنها فتاة من العراق قبّل جبينها مرة ثانية وقال : أنا أحب العراق ونسائم العراق وجميع ما يرد من وطن أبى حنيفة النعمان . إسمى يا بنيتى ، أنا من الشافعية ، ولكني أستظرف الحنفية

وهنا تدخل الشيخ دعاس فقال : ولكن أبو حنيفة كان يبيح النبيذ

فثار الشيخ الزنكلونى وقال : هذه دسيسة مذهبية ، فما أباح أبو حنيفة النبيذ ، وإنما أباح المرقسوس

وتشجعت ليلى فقالت : رحم الله أبا حنيفة فقد كان يعرف أن المرقسوس يصلح الأمعاء

وكانت أول مرة فهم فيها الشيخ دعاس أن ليلى لم تكن من الغافلات

ثم دعانا الشيخ الزنكلونى لزيارة منزله فى حارة أم الغلام

— وزارته ليلى هناك ؟

— وعدتْ ثم أخلفتْ ، فقد رابها تظرف المشايخ

— ضيعتم فرصة ثمينة يا ظمياء . فما الشيخ الزنكلونى متظرفاً وإنما هو ظريف

— سنزوره حين نرجع إلى مصر يا مولاى

— ومتى ترجعون إلى مصر ، يا ظمياء ؟

— حين تسمن الأسماك

— ومتى تسمن الأسماك ؟

— حين ينضج التوت

— ومتى ينضج التوت ؟

— حين تعقل ليلى وترجع إلى التلطف مع طبيبها النبيل

— إذاً لن ينضج التوت ولن تسمن الأسماك

— صبراً يا دكتور فان الله مع الصابرين

— سأصبر يا طفلتي الغالية ... ولكن كيف كانت ليلى مع عبد الحسيب ؟

— كانت تتغطرس عليه كما تتغطرس عليك ، فتتجاهل ما تملى عليه الصبابة من نظرات وأحاديث . والمحبون يتغطرسون لأنهم أذلاء ، ولو كانوا على شيء من العزة لاحتقروا الكبرياء . وهـذا هو السبب فى أن الأحباب يُحرم بعضهم عطف بعض . فالحبيب يريد أن يذل له المحب ، والمحب يريد أن يذل له الحبيب ؛ وفى ظلمات هذا العناد السخيف تنفصم الأواصر والصلات . وكان المسكين عبد الحسيب يسلك إلى قلب ليلى كل سبيل . كان يحتال ليظفر منها بابتسامة . كان يُغرب فى سرد أخبار الشيخ كراوية

— ومن الشيخ كراوية يا ظمياء ؟

— أستاذ كان يدرس اللغة العربية بمدرسة المساعى المشكورة بالزقازيق .

— أنت جاهلة يا ظمياء ، فمدرسة المساعى المشكورة في شبين الكوم لا فى الزقازيق

— أؤكد لك أنهـا فى الزقازيق . ولك أن تسأل ليلى فعندها الخبر اليقين

— إذا أخذت العلم عن ليلى فعلى العلم العفاء

— وكان عبد الحسيب يقف فيقلد صوت الشيخ كراوية وهو ينشد قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به   وهنّ أضعف خلق الله إنسانا

وكان يصوّب بصره إلى ليلى حين يصل إلى عبارة « وهن أضعف خلق الله إنساناً » ، وكان يرضيها أن ترى هيامه بها فتبالغ فى التغطرس والازدهاء

وفى إحدى المصريات دخل عبد الحسيب غضبان فأزعج الشيخ دعاس وانزعجت السيدة نجلاء ، فنظرت إلى وجه ليلى فرأيته يشبه دجلة فى أيام نيسان

— إيش لون ؟

— وأنت يا مصرى تقول « إيش لون ؟ »

— إيش لون ؟ إيش لون ؟

— دجلة فى نيسان تحاول من فرط الشوق والحيوية أن تلطم وجه بغداد

— وكانت ليلى تحب أن تلطم وجه عبد الحسيب ؟

— كانت تهمّ بافتراسه لأنها كانت تنكر أن يدرك معنى البؤس وهى فى دنياه

— كانت تحبه ؟

— وأي حب ؟ وهل فى الدنيا فتاة تحبس قلبها عن فتى وافر الرجولة متين الأخلاق ؟

— وماهى أسباب ذلك الغضب الذى سيطر على عبد الحسيب؟

— قال إنه تلقى محاضرة فى مدرسة البوليس ألقاها الصاغ على حلمى عن « القوة المعنوية » فثار صدره وعجب كيف يعجز عن التسلح بالقوة المعنوية ، وجلس على المائدة وهو فى غاية من العقل ، فلا نوادر ولا فكاهات ، ولا الشيخ كراوية ولا عبد الله شعيب . فعرفت ليلى أن الشاب ابتدأ يحاربها بلا رحمة ولا إشفاق . آه ، ثم آه !

— لا تتأوهي يا ظمياء فقد مزقت قلبي

— تحبنى يا مولاى ؟

— استحى يا ظمياء فأنت في حضرة طبيب

— وبعد ليال دعتنا السيدة نجلاء لسماع المغنى عبد اللطيف البنا فى ملاهى المعرض فسمعناه يقول :

« سلامة القلب من حبك يا قاسى »

فتحدرت مدامع ليلى وأصابها إغماء . وكانت ليلة قضيناها فى كروب وأشجان . وفى الليـلة التالية صممت ليلى على أن نذهب وحدنا إلى ملاهى المعرض ، فسمعنا أم كلثوم تغنى

يا للى شغلت البـال   ياليتْ أكون على بالك
الوجـد له أحوال   يا ليتنى أعرف حالك

فأخذت ليلى تبكى بكاء لا تجود بمثله عيون الأطفال ، فخشيت أن نفتضح وأخذتها فى سيارة إلى المنزل الذى كنا نقيم فيه بشارع قصر النيل ، واحتبسنا عن جميع الناس ثلاثة أسابيع

— ثم ماذا ؟

— ثم تفضل الشيخ دعاس والسيدة نجلاء والآنسة درية بالسؤال عنا فتشجعت ليلى وسألت عن عبد الحسيب ، فابتسم الشيخ دعاس وقال : تحبينه يا ليلى ؟ فقالت : ما أحبه ، وإنما أشتهى أن يحدثنى مرة ثانية بحكايته يوم تشيطن فأخذ زجاجة الزيت وملأ بها حابر زملائه من التلامذة الأقباط حين كان تلميذاً بمدرسة المساعى المشكورة الثانوية

وقهقه الشيخ دعاس وهو يقول : وما رأيك يا ليلى إذا كان التلامذة الأقباط أصبحوا يرحبون بوضع الزيت فى محابرهم على أيدى التلامذة المسلمين ؟

ولم تفهم ليلى ما يريد ، فاستطرد الشيخ دعاس قائلا : نحن ائتلفنا يا بنيتى على يد الشيخ الصالح سعد زغلول ، وأنا وضعت قواعد الائتلاف قبل سعد زغلول، فزوجتى نجلاء كانت مسيحية وأسلمت لترتبط بين مصر ولبنان . فما رأيك لو خطبتك لعبد الحسيب ؟

فاستأنست ليلى وقالت : هل قرأت يا فضيلة الشيخ أخبار عمر بن أبي ربيعة ؟

فقال : ما قرأتها ، لأن أخبار عمر بن أبى ربيعة لا تدرس فى الأزهر الشريف

فقالت ليلي : كان ابن أبى ربيعة يستهوى جميع النساء اللائى يشهدن موسم الحج ، إلي أن فتنته امرأة عراقية ، فراودها عن نفسها فاستعصمت ، فخطبها لنفسه فأبت وقالت : تعال إلى العراق واخطبنى من أهلى . وكان ابن أبى ربيعة ماجناً فلم يتبع معشوقته إلى العراق ، وحرمه المجون من التشرف بمصاهرة أهل العراق . فان كان عبد الحسيب صادقاً فى حبي فليمض إلى العراق وليخطبنى من أهلى هناك

وعرف الشيخ دعاس أن هزل الحب جد ، فانصرف وهو مكروب !

— ثم ما ذا يا ظمياء ؟

— ثم انتظرنا أسابيع فلم يسأل عنا الشيخ دعاس ولا ابنه عبد الحسيب ، فرجعنا إلى العراق ونحن نبكى سلامة الأخلاق فى بلاد الفراعين

— شيء مزعج ، شىء مزعج !

— لا تحزن يا مولاى ولا تبتئس ، فقد وقعت أعاجيب

— أفصحى يا ظمياء

— فى اليوم الثالث والعشرين من تشرين الأول سنة ١٩٢٦ طرق الباب زائر غريب، فنظرنا فاذا هو الضابط عبدالحسيب بعينيه الخضراوين وقوامه الرشيق ؛ وهجمت ليلى عليه فقبلت جبينه وخديه بلا تهيب ولا استحياء ، ودعوناه للنزول فى ضيافتنا فرفض، وقال إنه جاء لخطبة ليلى، وإنه ظفر بدبلوم مدرسة البوليس، وإنه مرشح لرياسة نقطة النمناعية ، فنظرت ليلى إليه بعيني اللبؤة العادية وقالت : لن أقبل يدك أو أختبر أخلاقك!

— ثم ماذا ؟

— ثم استيأس الشاب المسكين وقال : وبأى صورة أعيش فى بغداد ؟ فقالت ليلى : ذلك إلىّ

— ثم ماذا ؟

— ثم تحمّلتْ ليلى بأهلها ومعارفها إلى نورى باشا السعيد وكان يومئذ وكيل القائد العام ، وكان برتبة زعيم فألحق الضابط عبد الحسيب بالجيش العراقى بحجة التقريب بين مصر والعراق

— شىء جميل !

— انتظر يادكتور ، فقد أفسدتْ ليلى كل شىء

— وماذا صنعت الحمقاء ؟

— بثّتْ من حوله العيون لترى كيف يفكّر وكيف يصنع، فصح عندها أنه كافر بالحب وكافر بالعروبة فأصلته نار الصدود

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم رحل المسكين إلى مصر بدون أن يستأذن رئيسه نورى باشا السعيد

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم خلت حياة ليلى من حبيبها الغالى فلم تعد تعرف طعم الحياة وحالفها الضنى والنحول

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم علم الشاب المسكين بمرض محبوبته الغالية فلاذ بأمه الرءوم فمضت إلى الأستاذ خليل مطران تستفتيه ، فكان من رأيه

أن يُنتقم من ليلى بطريقة دولية تضجّ لها المشارق والمغارب ، وصحّ عنده أن تغنى السيدة نادرة هذا البيت :

يقولون ليلى فى العراق مريضة فياليتنى كنت الطبيب المداويا

ولم يقف عند هذا الحد ، بل أشار بوضع هذا الصوت فى شريط « أنشودة الفؤاد »

— ثم ما ذا يا ظمياء ؟

— ثم تنكّر أهل العراق لذلك الشريط وقاوموه غيرةً على ليلى فلم يعرض فى بغداد غير مرات معدودات

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم لطف الله بليلى فجاء الدكتور زكي مبارك لمداواتها منتدباً من الحكومة المصرية

— وما الرأى ياظمياء إذا عوفيت ليلى ومرض الطبيب ؟

— الأمر يومئذ لله

* * *

ليلى ، ليلاى

أنت تعلمين أننى تركت فى سبيلك وطنى وأهلى . أنت تعلمين أن صحتى اعتلت وأننى أعيش على منقوع الفواكه منذ أسابيع وأسابيع . أنت تعلمين ما أنا صائر إليه إن دام هذا الصدود . أنت تعلمين أنى ضحية الواجب والعقيدة والوجدان . فما هذا التجنى ياليلى وأنا ما خنت المروءة ولا كفرت بالحب ؟

أحبك ياليلى ، أحبك ، فاصنعى بقلبى ومصيرى ما شئت وشاء الهوى وشاء الدلال

أحبك ياليلى فى غضبك ورضاك . أحبك حبّاً ماسبقنى إليه سابق ، ولن يلحقنى فيه لاحق . أحبك ياليلى وأحب من أجلك جميع مافى الوجود حتى قيظ بغداد . أحبك ياليلى وأرى وجهك مسطور الملامح والتقاسيم فى كل ماتقع عليه عيناى . أحبك وأحب من أجلك نعيم الحياة وبؤس الحياة ؛ وما أحب الحياة لنفسي ياليلى فقد شبعت منها ورَوِيت ، وإنما أحب الحياة ليبقى لك فى الدنيا محب صادق يرى الضلال فى هواك أشرف من الهدى، ويرى الظلام فى هواك أكثر إشراقاً من بياض الصباح

أحبك ياليلى وأخشى ألا تحبينى ؛ فما يرضينى أن تعانى فى الهوى بعض ما أعانى

أنا أكره لك يامعبودتى أن تذوقى ملوحة الدمع ، وأن تهيمى بعدُ نجوم الليل ، وأن تقفى موقف الجمود أمام الأزهار والأشجار والأنهار فلا تدركين كيف يبتسم الوجود

* * *

— ظمياء !

— عيونى !

— ظمياء !

— عيونى ، دكتور زكي ، عيونى !

— خذى زمامى إلى الجحيم

— وأين الجحيم يا مولاى ؟ حماك الله ونجاك !

— أين الجحيم ؟ أماتعرفين؟ خذى زمامى إلى دار ليلى علّنى أعرف مصيري فى هوى تلك الظلوم

— فى هذا المساء ؟

— فى هذه اللحظة

— إنتظر حتى أراها وأرجع إليك، فان اصطدام العاشقين فى فورة الغضب قد يحملك على أن تمن عليها أو تجرها إلى أن تمن عليك ، والمن يصنع بالحب ما تصنع النار بالحلفاء

« للحديث شجون » زكي مبارك

مصطفى صادق الرافعي

بمناسبة مرور سنة على وفاته

للأستاذ فليكس فارس

بقية ما نشر في العدد الماضي

لكل كاتب منهجه، ولكل مفكر تقديره . وما أذهب إليه في تحديد الرافعي هو ما تيقنته فيه قبل أن تنشأ بيننا أية علاقة شخصية ، إذ رأيت فيه الأديب المطبوع المتمرد على كل مشايعة وتقليد . فهو مثال جديد للأدب العربي القديم يستلهم أجواء الشرق ويُلبس تفكيره حلة من لغة الجنان لايسع كاتباً من عباقرة سائر الأمم أن ينسج على منوالها

الرافعي هو أحد أعلام العرب المدودين ، أحد الأئمة السائرين في الطليعة من فيالق الأدباء في عصر النهضة الجديدة . ولا يجوز لأي كاتب منصف أن يصوره للتاريخ متخلفاً خطوة واحدة عن رفاق جهاده . فمن الجناية على الحق أن نقيم في وهمنا حلبة نستركض عليها عباقرتنا ونتسلى بالنظر إليهم كأنهم جياد السباق يتجهون إلى أمد واحد . فليس الأدب حلبة اختط المراهنون عليها طريقاً واحداً لتغلب فريق على فريق ؛ إن الادب إلا أجواء تتطاير فيها القرائح فراشات تستهويها أنوار وأنوار ... ولكل نور جذبته، ولكل نور جماله ، إذا هو اقتاد المنجذب إليه نحو الحق والخير . وما أدري أن بين كتابنا وشعرائنا أمواتاً وأحياء من بز مصطفى في إيمانه ووطنيته وقوميته وإشراق بيانه ومتانة أسلوبه ولطافة شعوره وعمق تفكيره

هذه قطعة (رؤيا في السماء) إن وجدت لها مثيلا من حيث الفن بين ما كتب أشهر الرمزيين من أبناء الغرب ، فانك لن تجد ما يشبه روعة بيانها ولا إشراق إلهامها وقد تلألأت في سطورها من الأحاديث الشريفة ، ومن حكم السلف الصالح ما يدفع بك وأنت تتلوها إلى السجود كأنك تصلي بأصوات القبور المتعالية من خفايا فطرتك وأعماق روحك

اسمع صرخة الإلهام في روح الرافعي تخرج من فم ملاك يؤنب رجلا فضل العزوبة على الزواج ووقف في البرزخ الفاصل بين العالمين متخذاً من تنسكه وتعبده زلفى إلى الحق

قال الملاك : (جئتَ من الحياة بأشياء ليس فيها حياة ، فما صنعتَ للحياة نفسها إلا أن هربت فيها وانهزمت من ملاقاتها؛ ثم أنت تؤمل جائزة النصر على هزيمة .. عملت الفضيلة في نفسك ونشأتك ، ولكنها عقمت فلم تعمل بك . لك ألف ألف ركعة ومثلها سجدات من النوافل ، والخير منها كلها أن تكون قد خرجتْ من صلبك أعضاء تركع وتسجد)

أسمعت كيف يعتز الرافعي عن أيمانه فيدعوك إلى الايمان ؟ فاسمع الآن كيف يهيب بالشباب إلى إقامة الوطن المنشود !

(ياشباب العرب ، لم يكن المسير يعسر على أسلافكم الأولين كأن في يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها . أتريدون معرفة السر ؟ السر أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلوق فصاروا عملاً من أعمال الخالق . غلبوا على الدنيا لما غلبوا في أنفسهم معنى الفقر ومعنى الخوف والمعنى الأرضي . وعلمهم الدين كيف يعيشون باللذات السماوية التي وضعت في كل قلب عظمته وكبرياءه القوة القوة ياشباب العرب ! القوة التي تقتل أول ما تقتل فكرة الترف والتخنث . اجعلوا رسالتكم إما أن يحيا الشرق عزيزاً وإما أن تموتوا)

أسمعت كيف يلهب الرافعي النفوس شوقاً إلى المظمة التي تكشف لك في آن واحد عظمة الحياة الدنيا ومجد الحياة الخالدة ؟ فاسمع الآن كيف يصور لك الرافعي سعداً بأسطر وهو من يكاد ينوء التاريخ بإحصاء صفاته

« إن سعدا العظيم كان رجلا ما نظر إليه وطني إلا بعين فيها دلائل أحلامها ، كأنما هو شخص فكرة لا شخص إنسان . فاذا أنت رأيته كان في فكرك قبل أن يكون في نظرك، فأنت تشهده بنظرين أحدهما الذي تبصر به والآخر ذاك الذي تؤمن به . رجل الشعب الذي يحس كل مصري أنه يملك فيه ملكا من المجد. وقد بلغ في بعض مواقفه مبلغ الشريعة فاستطاع أن يقول للناس: ضموا هذا المعنى في الحياة وانزعوا هذا المعنى من الحياة)

أسمعت الرافعي في مجال العقيدة الروحية والوطنية ؟ فاسمعه الآن كيف يسبر غور معضلة الانتحار بقوله :

(وليس يخيب الانسان إلا خيبة عقل أو إرادة ؛ وإلا فالفقر

والحاجة والمرض والاختلال والذل والبؤس والعجز عن الشهوة وفساد التخيل، كل ذلك موجود في الناس يحمله أهله راضين به صابرين عليه، وهو الغبار النفسي لهذه الأرض على نفوس أهلها ويا عجبا ... إن المميان هم بالطبيعة أكثر الناس ضحكاً وابتساماً وعبثاً وسخرية، أفتريدون أن تخاطبكم الحياة بأفصح من ذلك..)

هذه عبارة من بحث طويل في الانتحار قد لا تجد ما يضاهيه من أبحاث الغرب تحليلاً وتصويراً واستنتاجاً

هـذا هو الرافعي الفيلسوف، فاسمع الآن إلى قلب الرافعي يتدفق حناناً ورقة وهو يصف طفلاً ماتت أمه :

(وطفت عليـه الدموع، فتناول منديله ومسحها بيده الصغيرة، ولكن روحه اليتيمة تأبي إلا أن ترسم بهذه الدموع على وجهه معاني يتمها . ونهض الصغير ولم ينطق بذات شفة، نهض يحمل رجولته التي بدأت منذ الساعة)

(انتهت، أيها الطفل المسكين، أيامك من الأم، هذه الأيام السعيدة التي كنت تعرف الغد فيها قبل أن يأتي معرفتك أمس الذي مضى إذ يأتي الغدومعك أمك. وبدأت، أيها الطفل المسكين أيامك من الزمن وسيأتي كل غد محجباً مرهوباً إذ يأتي لك وحدك، ويأتي وأنت وحدك)

وهذه عبارة من مقال (عروس تزف إلى قبرها)

(ودخلت أعودها فرأت كأنني آت من الدنيا، وتنسمت مني هواء الحياة كأنني حديقة لا شخص . ومن غير المريض المشفى على الموت يعيش بقلوب الناس لا بقلبه)

إلى أن قال :

(وباقتراب الحبيب المحتضر من المجهول يصبح من يحبه في مجهول آخر فتختلط عليه الحياة بالموت، ويعود في مثل حيرة المجنون حين يمسك بيده الظل المتحرك ليمنعه أن يذهب، وتمروه في ساعة واحدة كآبة عمر كامل تهيىء له جلال الحس الذي يشهد به جلال الموت ...)

وهذا أيضاً مقطع من (لحوم البحر)

(الفتاة ترى في الرجال العريانين أشباح أحلامها، وهذا معنى السقوط، والمرأة تسارقهم النظر تنويماً لرجلها الواحد، وهذا معنى المواخير ...

(أين تكون النية الصالحة لفتاة أو امرأة بين رجال عريانين؟ يا لحوم البحر، سلخك من ثيابك جزار ...

(والبحر يعلم اللائي والذين يسبحون فيه كيف يغرقون في البر لو درى هؤلاء وهؤلاء ممرة اغتسالهم معاً في البحر لاغتسلوا من البحر، فقطرة الماء التي نجستها الشهوات قد انسكبت في دمائهم وذرة الرمل النجسة في الشاطىء ستكبر حتى تصير بيتاً نجساً لأب وأم .

(يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار ...)

هذه نماذج تلمح الرافعي من خلالها لمحاً، نضمنها هذا المقال لتشهد هي له بأنه الكاتب المطبوع على سجية نفسه، والمفكر المبتكر للمعاني من حياة الشرق نفسها، لا مما صوره عباقرة الغرب من حياتهم في تآليفهم . وإذا أنت أردت أن تعرف الرافعي وتحيط بآفاق تفكيره وشعوره فإنك لتجد فيما كتب ما يستطير لبك ويشغل ذهنك حولاً كاملا . ولكن يكفيك لتخشع أمام الرافعي وتعلم في أي مقام يضعه بيانه من الأدب العالمي، أن تقلب مصنفاته ساعة فترى كأن أناملك تفتح لك من كامنات نفسك ما كنت تحس به غماماً فإذا هو الفلك الخفي يدور أمامك بكواكبه ويبهرك بأنواره ...

إن كتابنا البارزين ممن أجادوا لغات الغرب ووعوا تواريخها لا يسعهم، إذا نحن استثنينا النذر اليسير من المجددين بينهم، أن يلبسوا تفكيرهم وشعورهم بياناً عربياً دون أن تطفر من هـذا البيان صور وانطباعات تنقل إليك رواشم أصلها . فان في أدبنا اليوم ارتشاحات فرنسية وانكليزية وألمانية وروسـية الخ ... ولكم من قطعة أدبية لولا تفتك بعبقرية كاتبها لحسبتها مترجمة عن اللغة الأجنبية التي يجيدها لا مستلهمة من أجواء بلاده وأدب قومه . ولكم من رواية يكفيك أن تبدل الأسماء العربية فيهـا بأسماء إفرنجية ليصح أن يدعى تأليفها إلى كاتب أجنبي يصـوّر أخلاق الغرب ونظمه وعاداته

إذا كان التفكير العلمى المحض مشاعاً بين الأمم ولا قبل لك بالتمييز بين اكتشاف وفق إليه جرمانى، واكتشاف آخر يظفر به لاتينى أو عربى، فليس الحال كذلك فى الأدب، لأنه خطرات أفكار، وسانحات شعور، تخرج من صميم الفطرة وتتخذ حتما الصور والألوان الخاصة بلغة كل شعب وتقاليده وأخلاقه، فليس هنالك أدب عالى كما أنه ليس هنالك فن عالى وموسيقى عالية بما تدل عليه هذه الكلمة من الاطلاق. غير أن هنالك آداباً وفنوناً وموسيقى تبلغ الذروة من الإبداع، فإذا نقلت إلى أمة غريبة عن منشئها احتفظت بالقدر الكافى من الجمال لتؤثر فى نفوس الأمة الغريبة

إن بين آثار كتابنا فى هذا الزمان قطعاً فنية تتدفق روعة وجمالاً، ولكنك لا تجد إلا اليسير منها ما يمكنك أن تنقله إلى لغة أجنبية دون أن يقول لك أهلها إنهم قرءوا مثلها فى مؤلفات كتابهم ...

لكأن العناية قد أرادت بعث الأدب العربى صافياً ليجمع ما انفرط من شمل هذه الأمم التى تناهبت الأذواق العربية بيانها، فأرسلت من اختارت فى مطلع نهضتنا يبعثون لغة الجنان بعد طول هجوعها، يبعثونها ملهمة من الوحى ومما أبدعه استغراق المتقدمين حين كان شعورهم تسبيحاً وتفكيرهم صلاة وسجوداً. يبعثونها لا يكدر نهرها المتدفق بنبوع دخيل، ولا تشوه أساليبها عجمة، ولا يحتل إعجازها بإيجازها وإحكامها، ما لا قبل لها به من الأساليب الغريبة. لكأن العناية أرادت أن تفتح آذان الجيل الناشئ إلى أصوات الأجيال المتوارية، فاختارت لها رسلها وفى طليعتهم الرافعى، أنشأته فى بيئة خاصة، وقضت له بألا يجول إلا فى دوائر الأدب العربى، وبلته بالصمم كيلا يسمع صوتاً إلا صوت نفسه تتجاوب أصداء العروبة فيها من جميع حقبها وأطوارها، ليصرخ صرخته المدوية كأنها هتفة بوق النشور فى هذه الشعوب التى أضاعت استقلال تفكيرها، فتناهب بيانها الغريب من كل بيان حتى فقدت ثقتها بنفسها فقضت على ميزاتها وعزة حياتها

فليكس فارس

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

— ١١ —

يا شباب الوادى! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم

والحق أن مسألة العبيد تزداد تعقيداً كلما تقدمت الأيام؛ ولكن ابراهام لم يكن الرجل الذى يضل السبيل إذا تعقدت من حوله مسالكها. ورأى بنافذ بصيرته أن السماح بانتشار العبيد وراء الحد الفاصل معناه سيادة أهل الجنوب وبقاء نظام العبيد إلى أمد بعيد؛ ورأى كذلك أن الدعوة إلى التحرير تؤدى لا محالة إذا اشتدت إلى انسحاب أهل الجنوب من الاتحاد فينهار البناء، وتعصف بالوحدة القومية الأنواء. إذا فلينتظر وليحذر وليترقب ما تأتى به الأيام ...

انصرف دوجلاس ولكنه قبل أن ينصرف أبى إلا أن يأتى ما يدل على طبعه، فلقد نقض العهد وألقى بمديومين خطاباً جديداً حاول فيه أن يدافع عن آرائه، ولم يستطع لنكولن إلا أن يظل عند كلمته، فأبى أن يتكلم وقد جمل بينه وبين خصمه ميثاقاً أن يقطعا حبل الجدل

ولقد كان لانتصار لنكولن على دوجلاس المعظيم ذلك السياسى الملحوظ المكانة أثر بعيد فى حياة ابن الغابة قاطع الأخشاب بالأمس وعامل البريد، وفتى الحانوت البائس الفقير؛ ذلك أنه ازداد ثقة بنفسه فأخذ يشتد طموحه ويمتد بصره؛ وازدادت كذلك ثقة الناس فيه واشتد إعجابهم به واطمئنانهم إلى مقدرته وجدارته

ولذلك نراه يخطو خطوة جديدة فى مضمار السياسة فيطمع أن ينتخب عضواً لمجلس الشيوخ ويأمل بذلك أن يعود إلى وشنجطون. وهل كان يرى نفسه دون دوجلاس مقدرة ومكانة

وهو قاهره على أعين الناس فى أمر له عند الناس خطره ؟ ولقد انتخب أول الأمر عضواً فى مجلس المقاطعة ولكنه ما لبث أن استقال منه وأخذ يدعو لنفسه ليختار عضواً فى مجلس الشيوخ للولايات ... وكان منافسه فى هذا شيلدز ، ذلك الرجل الذي تحداه من قبل إلى مبارزة بالسيف لما كتبه لنكولن عنه فى إحدى الصحف وعدّه هو إهانة له

وكان الذين ينتخبون عضو مجلس الشيوخ هم أعضاء مجلس المقاطعة ، وكان المجلس يومئذ يجمع أنماطاً من الرجال فرقت بينهم الأهواء وباعدت الآراء ، ففيهم بقايا حزب الهوجز الذين يمقتون التطرف ، وفيهم الديمقراطيون أنصار مبدأ العبيد ، وفيهم المعارضون لقرار نبراسكا ، وفيهم غير هؤلاء وهؤلاء ممن تتذبذب سياستهم حسب ما يقوم فى رؤوسهم من الآراء فى مسألة العبيد

وكاد يظفر ابراهام بما يتوق إليه وبما باتت زوجته تمنى النفس به لولا أن دعا الديمقراطيون فى اللحظة الأخيرة إلى رجل غير لنكولن ومنافسه ؛ وعندئذ أشار لنكولن على نصرائه أن يمنحوا هذا الرجل الجديد أصواتهم ليفوت الأمر على منافسه الأول إذ كان هذا من أصحاب دوجلاس بينما الآخر ممن يعارضون قرار نبراسكا ؛ وهكذا يذوق لنكولن مرارة الفشل من جديد ؛

ولكن الفشل هذه المرة لم يبلغ من نفسه ما كان يبلغه فى الأيام السالفة ، فهو اليوم مطمئن إلى نصيبه من رضاء الناس وإلى حظه من الصيت والنفوذ . لقد قابل الأمر بدون اكتراث لولا ما أظهرته زوجته من غضب وحنق ، على أنها ما لبثت أن رضيت وسكنت ثورتها ، ذلك أنها كانت تكاد ترى رأى العين ما ينتظر زوجها من مستقبل عظيم ...

ولم يصرفه الفشل عن السياسة كما كان عسيًّا أن يفعل فى ظروف غير هذه ؛ فلقد عرف أن فشله يومئذ إنما يرجع إلى أسباب لا يستخذي لها ، ومن أهم تلك الأسباب ما فعله دعاة التحرير ، فلقد حشروا اسم لنكولن على غير علم منه فى معضديهم وراحوا يباهون به الأحزاب ؛ ولقد أدى هذا إلى ازعاج كثير من الديمقراطيين إذ حسبوه قد مال إلى الطفرة فى مشكلة العبيد، كذلك أنكر الهوجز عليه أن ينحرف عن سياسته القائمة على الحذر ، ولقد كانوا يحبون منه اكتفاءه بمقاومة انتشار العبيد ، أما أن يميل الى التحرير فجأة فيمهل مع المتطرفين على القضاء على الاتحاد فذلك ما لا يقبلونه منه ؛ وهكذا أخذ على الرجل ما لم يجنه فأصابه من الخذلان ما أصابه ...

لا جرم أنه اليوم رجل سياسة أكثر منه رجل محاماة ، ولا جرم أن معضلة العبيد قد صار لها المكان الأول من همه فهو لن يرجع حتى ينفس عن صدره بما يفعل فى هذه المعضلة التى صارت المحور الذى تدور عليه سياسة الاتحاد ، والعقدة التى يتوقف على حلها مصير البلاد ؛ وإنا لنرى فيه الرجل الذي يتطلبه الموقف شأنه فى ذلك كغيره من عظماء الرجال الذين يظهرون فى فترات الزمن ليتم بهم للتاريخ وسيلة تحركه، إذ يصبح لديه الرجل العظيم والفكرة العظيمة ، فما أن يتمثل العظيم الفكرة ويمزجها بنفسه حتى يقدم لا يلويه شئ عن الغاية فيصل أو يهلك دونها ويذر البقية لمن يليه ...

على أنه كان فى سنه يومئذ قد وصل من المحاماة إلى أوج الشهرة، فكان وهو فى السابعة والأربعين الرجل الذى يظفر فى مهنته باطباق الناس على توقيره وإجماعهم على التسليم له بالنبوغ وطول الباع وسعة الخبرة، هـذا إلى ما انفرد به من سجايا جعلته بينهم وكأنه أكثر من أن يكون منهم ! ...

وتوافت له فيما توافى من أسباب العظمة تلك الخصلة التى لا تقوم عظمة بدونها ؛ والتى تجعل العظيم يظهر بين الناس وفيه شئ يحملهم على إكباره طائعين أو كارهين ؛ شئ يحسونه وإن كان أكثرهم يجهلونه، شئ مبعثه ذلك السر العجيب الذى نعبر عنه بقولنا روح الرجل العظيم والذى يسميه بعض الناس الحماسة ويسميه بعضهم الإخلاص ويسميه آخرون الإيمان والذى هو فى الحق مزيج من هذا كله لاندري كيف يتم، مزيج ينبض به قلب العظيم ويجرى فى نفسه جريان الدم فى عروقه ... ومن الناس من وهبوا الذكاء الحاد والمهارة الفائقة ولكنهم حرموا تلك الخصلة فما استطاعوا فى أعمالهم أن يرقوا بأنفسهم إلى مستوى أعلى من مستوى غيرهم ؛ ومنهم من لم يعظم ذكاؤهم ولكن يمس قلوبهم قبس من ذلك السر العجيب فاذا هم غير الناس ، ثم إذا هم فوق

الناس ... ومن هؤلاء النفر ذلك الرجل الذى درج فى الغابة والذى بنى نفسه فسار فى الحياة على نهج من قلبه وعلى دليل من طبعه ، ذلك الرجل الذى لا يذكر لأحد عليه يداً والذى تنكرت له الأيام وعركته المحن فبقى كما يبقى الجوهر الحر لا تترك فيه النار من أثر إلا البرهان القاطع على أنه جوهر حر لا مظهر ...

وتشاء الأقدار أن تقوم عظمة أمريكا على كاهل رجلين من أبنائها درجا فى مدرج الشعب وبرزا من صفوف العامة وهما جورج وشنجطون وابراهام لنكولن ؛ أما أولهما فيرفع القواعد ويقيم الصرح ، وأما الثانى فيمسكه أن ينهار ؛ وتكون بذلك عظمة أمريكا عظمة ذات أصالة إذ لم تنشأ عن تقليد أو تستند إلى مبهرج من سلطان زائف ، ويكون صرحها كالجبل الذى هو من أوتاد الأرض ، لا كالبناء الذى يقوم على أسس يجوز عليها أن تجتث من فوق الأرض ...

ومضت الأيام تسير بابن الغابة سيراً معجلا وثيقاً ليؤدى رسالته ، ولعله أشرف من حاضره على ما يعده له الغد القريب. أجل لعله أخذ يدرك أن مسألة العبيد مفضية حتما إلى خطوة واسعة يخطوها غداً فيحس بعدها أنه ترك فى تاريخ بلاده ما تذكره به الأجيال . اقرأ كتابه إلى صديقه سبيد تقع فيه على رأيه وتتبين كثيراً مما كان يجول فى نفسه ، قال : «فى عام ١٨٤١ قمنا معاً برحلة مملة على صفحة ماء منخفض فى قارب بخارى من لوسفيل إلى سان لويس ، ولعلك تذكر كما أذكر أنه كان على ظهر القارب عشرة أو اثنا عشر عبداً مقرنين فى الحديد . ولقد كان هذا المنظر مبعث عذاب مستمر لى ، وإنى أبصر شيئاً مثله كلما لمست نهر الأهايو أو أى جهة من جهات العبيد . وخلاف الجيل منك يا صديقى أن ترى فى أنى لا أهتم بذلك الشىء الذى ينطوى على قوة تكربنى والذى لا يفتأ يسبب لى الكرب . لقد كنت حرياً أن تتبين إلى أى حد يقتل سواد الناس فى الشمال مشاعرهم حتى يستطيعوا أن يحتفظوا بولائهم للدستور وللوحدة »

فى هذه الكلمة القصيرة ، ينجلى لنا رأيه فى مسألة العبيد فهى مبعث ألم فى نفسه ، ألم استقر فيها منذ القدم فما يبرحها ، وهو على الرغم من هذا الألم يحرص على الوحدة وعلى الدستور وفى ذلك تلخيص دقيق لمناهجه الذى سيأخذ به نفسه حين يهم أن يهوى بالضربة الحاسمة فهو ضنين بالوحدة أن تتزلزل كما هو حريص أن يمحو كل أثر للعبودية فى البلاد ...

لن يضيره اليوم ألا يصل إلى مقعد فى مجلس الشيوخ بل ربما كان الشر فى أن يظفر بهذا المقعد ، فلقد كانت له بعد فشله جولات لها خطرها فى حياته ، جولات تنتهى به حتما إلى رياسة الجمهورية فلم يبق ثمة على الدرب إلا مرحلة ...

وكثيراً ما ييتئس المرء إذا فاتته فرصة كأنما أغلقت بفواتها مسالك الفوز من دونه ، وهو لا يدرى أنه ربما كان الخير فى فواتها ؛ والحياة مليئة بالأمثال حافلة بالعبر ؛ والعظماء وحدهم هم الذين لا يلويهم فوات الفرص وإن ابتأست لفواتها أحياناً نفوسهم ، بل إنهم ليحمون على الشدائد ويستمرون على الكفاح ويستشمرون اللذة فى النصر ، كما يستشمرونها فى ركوب الصعاب إلى ذلك النصر ، ولن ينقص منها ما قد يصيبهم من خذلان

ولقد كان لنكولن من هؤلاء البواسل الأفذاذ الذين لا يحفلون الصعاب ، والذين لا يحول بينهم وبين وجهتهم خذلان مهما عظم ؛ بقى فى سبرنجفيلد بعد فشله ليكون فى المدينة زعيم الحزب الجديد الذى تستقبل البلاد مولده ؛ وهل كان غيره يجتمع عليه القلوب والأهواء ؟

كانت البلاد تستقبل حزباً جديداً هو الحزب الجمهورى ؛ ولقد تألف هذا الحزب من عدة عناصر يجمع بينها حرصها على مقاومة انتشار العبيد حسبما جاء فى اتفاقية سورى ، فكان ينتظم عدداً من الهوجز وعدداً من الديمقراطيين وجماعة من دعاة التحرير ؛ وكان قيام هذا الحزب فى تاريخ البلاد فاتحة فصل جديد كما كان فى تاريخ لنكولن مبدأ عهد جديد

(يتبع) الخفيف

الرافــــعى

فى ذكراه الأولى

للأستاذ محمد سعيد العريان

« نص الكلمة التى أذاعها الأستاذ محمد سعيد العريان من محطة الاذاعة الفلسطينية بالقدس فى مساء الاثنين ٩ مايو سنة ١٩٣٨ لمناسبة تمام سنة على وفاة فقيد الأدب العربى المرحوم مصطفى صادق الرافعى »

سيداتى ، آنساتى ، سادتى

سلام الله عليكم أهل هذه الأرض الطيبة ... ومعذرة ، وشكراً ...

لكأنى بكم ترهفون السمع لتسمعوا ما يمكن أن أحدثكم به عن الرافعى فى ذكراه الأولى ، وما أنا بمستطيع فى هذه الفترة القصيرة من الزمن أن أبلغ ما أويد وتريدون من الحديث عن الرافعى

لم يكن الرافعى أديباً كبعض من نقرأ لهم من أدباء الصحافة ولكنه كان علماً من أعلام الأدب ، وإماماً من أئمة الدين ، وبرهاناً من براهين العربية تجالد به حين يعوزها البرهان

ولقد يكون من فضول القول أن أتحدث إليكم عن أدب الرافعى ، وآثاره الأدبية بين أيديكم وتحت أعينكم ؛ وإنكم لتعرفون أدبه وتعرفونه بأدبه . ولكنى قد صحبت الرافعى عمراً من عمرى ، فعرفته أكثر مما يعرفه الناس ؛ فليكن حديثى الليلة عن الرافعى الذى عرفته ...

لقد سمعت إسم الرافعى لأول مرة منذ بضع عشرة سنة ، وكنت يومئذ غلاماً حدثاً ، لا أكاد أفهم ما يأتى إلىّ ، سمعت به وأنا طالب فى الصفوف الأولى ، فسمعت اسماً له جَرْس ورنين ، وله نشيد تتجاوب أصداؤه فى جوانب نفسى ، فحبّب إلىّ من ذلك اليوم أن ألقاه ...

وقال لى رفيق : « وَيْ ! أتعرف من ذلك الذى أخذت عليه الطريق عامداً ؟ » قلت : « صه ، لا يسمعك فيسوءنى جوابه ! » قال : « لا عليك ! إن فى أذنيه وقراً فلا يسمع ! »

وتبدلت فى نفسى صورة بصورة ، وامحى ألم ليحل فى نفسى من بعده ألم آخر ... وعرفت وقتئذ لماذا لم يرفع عينيه إلىّ ولم يردّ التحية ...

ولقيته بعد ذلك مرات كثيرة فى الطريق ، وفى القهوة ، وفى السيما ؛ وقرأت له مرات أكثر فى الكتب ، وفى الصحف وفى المجلات ، وعرفته ولم أزل كل يوم أزداد عرفاناً به ، ولكنى لم أعرفه العرفان الحق إلا بعد هذه الحادثة بعشر سنين ... حين جلست إليه لأول مرة فى دار كتبه من داره ، عرفته على حقيقته وفطرة نفسه ، فكأنى لم أعرفه قبل ذلك اليوم ... وما فارقته من بعد حتى فرق بيننا الموت . يرحمه الله !

إننى لأحس حين أذكره الساعة كأننى لست وحدى ، وكأن روحاً حبيبة تطيف بى وترف حولى بجناحين من نور ، وكأن صوتاً ندياً رفيع النبرات يتحدث إلىّ من وراء الغيب حديثاً أعرف جرسه ونغمته ؛ وكأن عينين تطلان علىّ من عالم غير منظور لتأمرانى أمراً وتلهمانى الفكر والبيان ؛ ولكننى لا أرى ؛ ولكننى لا أسمع ؛ ولكني هنا وحدى ، تنفشانى الذكرى فتخيّل إلىّ ما ليس فى دنياى . هيهات هيهات لوهم الأمانى !

لقد كان هنا صوت يتجاوب صداه بين أقطار العربية . لقد كان هنا إنسان يملأ فراغاً من الزمان . لقد كان هنا قلم يصر صريراً فيه رنات المثانى ، وفيه أنات الوجع ، وفيه همسات الأمانى ، وفيه صرخات الفزع ؛ فيه نشيج البكاء ، وفيه موسيقى الفرح .. خفت الصوت ، ومات الانسان ، وتحطم القلم ؛ ولكن قلب الشاعر مازال حياً ينبض ، لأن قلب الشاعر أقوى من الفناء

فى كل يوم يموت أديب من أدباء العربيـة وينشأ أديب ؛ فأين ، أين الأديب الذى يقوم لما كان يقوم له الرافعى ؟ أين ... أين الأديب الذى ينتدب بعد الرافعى ليقف لكل من يحاول التقحم على قدس القرآن ؟ أين ... أين الأديب الذى يقف قلمه وبيانه للدفاع عن العرب والعربية والاسلام ؟ أين .. أين الكاتب الألمى الذى يصور طهر الحب ، وسمو الانسانية ، وآلام البشرية وأفراح الحياة ، فتنبثق نوراً فى كل قلب ، وتتفجر شعوراً فى كل وجدان ؟ أين خليفة الرافعى الذى يقوم على سداد هذا الثغر المعطل ؟ أين حامل اللواء ، وأين صاحب القلم ؟

لقد كان الرافعى عصراً بتمامه من عصور الأدب ، وجيلاً بناسه فى تاريخ العرب ، وفصلاً بعنوانه فى مجد الاسلام

***

كانت الدنيا تموج من حوله بأناسيها وحوادثها ، وتضطرب حواليه فى أمانيها ونوازيهـا ، وتصطخب فى محيطه بشهواتها ونوازعها ؛ وهو وحده يعيش من هـذا المحيط المضطرب المائج المصطخب فى دنيا وحده لا يسمع إلا همسات روحه ، ولا يحس إلا خلجات قلبه ، ولا ينظر إلا الهدف الذى يسعى إليه . وهيأه القدر بوسائله العجيبة لهذه الوحدة العقلية منذ صباه حين سلبه السمع ، فعاش حياته بعيداً عن دنيا الناس ، ومضى فى طريقه كما يمضى عابر السبيل : لا يُلقى باله إلى شىء مما حواليه أو يبلغ إلى غايته ...

***

لم يكن الرافعى ليعرف شيئاً فى سياسة الحكومات العربية المتعاقبة ، ولكنّ له هدفاً عاش يسعى جاهداً لتحقيقه : هو أن يبعث الحمية الإسلامية فى نفس كل مسلم ، ويوقظ النخوة العربية فى قلب كل عربي ؛ فكان بذلك رسـول العروبة والاسلام إلى كل مسلم وكل عربى ؛ فلا جرم كان بذلك أحب كتاب العربية إلى كل مسلم وكل عربى

حياته الأدبية كلها تدور حول هذا المحور ، ومنشآته الأدبية كلها يسعى بها إلى هذا الهدف ، ومعاركه الطاحنة كلها تنشب فى هذا المعترك ؛ وما عادى عدواً قط من أدباء العربية إلا للدين أو اللغة أو القرآن ؛ وما اتخذ صديقاً من رجال الأدب أو السياسة إلا للدين أو اللغة أو القرآن

وليس من عجب أن تـكون فلسطين هى أسبق بلاد العربية إلى تجديد ذكرى الرافعى ؛ فقد كانت فلسطين هى أحب بلاد العربية إلى الرافعى ؛ وما أحسبه كتب شيئاً يتصل بشأن خاص من الشئون القائمة فى بلد من بلاد العربية ، وإن له فى فلسطين لمقالات يذكرها كل عربى فى فلسطين !

لقد حاول كثير من مؤرخى الأدب أن يتحدثوا عن الرافعى فى حياته ؛ فقالوا شاعر . وقالوا كاتب . وقالوا أديب . وقالوا عالم . وقالوا مؤرخ . ولـكنهم لم يقولوا الـكلمة التى كان ينبغى أن تقال :

لقد كان شاعراً ، وكاتباً ، وأديباً ، وعالماً ، ومؤرخاً ؛ ولـكنه بكل أولئك ، وبغير أولئك ، كان شيئاً غير الشاعر والـكاتب والأديب ، وغير العالم والمؤرخ ؛ كان هبة الله إلى الأمة العربية المسلمة فى هذا الزمان ، لينبهها إلى حقائق وجودها ، وليردها إلى مقوماتها ، وليشخص لها شخصيتها التى تعيش باسمها ولا تعيش فيها ، والتى تعتز بها ولا تعمل لها

وكان يشعر أنه وحده فى الميدان والجميع إلبٌ عليه ، فعاش حياته كلها يصارع ويكافح ، ويقاوم ويناضل ، حتى خر صريعاً وفى يده الراية ؛ لم يتركها حتى انتزعها الموت من يده !

كثر ما قال عنه أعداؤه وغير أعدائه فى حياته : إنه حديد اللسان . إنه لدود الخصام . إنه لا يرعى اعتباراً مما تقوم به الصلات بين أهل الأدب ، حين ينزل إلى معترك من معارك النقد ... صدقوا ، ولـكن ... أرأيت مرة على البدوى الثائر لعرضه أن يسفك الدم ؟ إنه هو هو ؛ فمن ذلك كانت شدته وصرامته ولدده فى الخصام : فى سبيل القرآن ، ومن أجل العروبة ، ولـكرامة الإسلام . كان ذلك عرضه الذى يحرص عليه أن ينتهك ؛ فمن ثم كانت خصوماته الأدبية كلها فيها معنى الدم !

الدين ، واللغة ، والقرآن ، أو العروبة والإسلام : ذلك كان مذهبه فى الأدب ، وله كان جهاده ؛ حتى فى الحب — وللرافعى حب مشهور — وحتى فيما أنشأ من رسائل الحب ، لم يكن الرافعى يعتبر إلا مذهبه والهدَف الذى يسعى إليه : للدين ، وللغة ، وللقرآن ...

من شاء فليقرأ كتبه الثلاثة فى فلسفة الجمال والحب ، ليرى فيها كيف تسمو روح العاشق على شهوات البشرية حتى تتصل بخالقها الأعلى ؛ ثم ليرى العربية أسلوباً جديداً ، فيه عمق الفن ، ودقة التعبير ، ووضوح الأداء ، حتى فى الترجمة عن أعمق ما تجيش به خفايا النفس الإنسانية

***

ولأدب الرافعى ميزة ليست لـكثير من أدباء الجيل ؛ فهو أدب عليه طابع الخلود وتلك آداب إلى زوال . هذا أدبه بين أيدينا وتحت أعيننا ، ما تزال تدفعنا إليه دوافع من أنفسنا فى فترات متقاربة أو متباعدة ، لنعيد قراءته ونتملى ما فيه من جمال

وصدق وقوة. وذلك أدب الأدباء، ما يكاد القارئ ينتهى منه إلى ما يريد حتى ينساه فلا يعود إليه ولا يذكره، على ما فيه من لذة ومتاع!

لم يكن الرافعى يكتب تلك الكتابة الصحافية السوقية التى تلتمس للهو وإزجاء الفراغ؛ ولكنه كان يكتب ليضيف ثروة جديدة إلى اللغة، وينشىء أدباً يسمو بضمير الأمة، ويشرع طريقاً تسير فيه إلى عظمة الخلد، وسعادة الأبدية، ومجد التاريخ.

الرافعي! يرحمه الله! لقد عاش فى خدمة العربية سبعاً وثلاثين سنة من عمره القصير، وصل بها حاضرها الماثل بماضيها البعيد؛ فهي على حساب الزمن سبع وثلاثون، ولكنها على الحقيقة شطر من عمر الزمان، وباب من الأدب، وفصل فى تاريخ الاسلام.

لقد عاش غريباً ومات غريباً؛ فكأنما كان رجلا من التاريخ بُعث فى غير زمانه ليكون تاريخاً حياً ينطق بالعبرة ويجمع تجاريب الأجيال، يذكّر الأمة العربية الإسلامية بماضيها المجيد؛ ثم عاد إلى التاريخ بعد ما بلّغ رسالته... لقد خفت الصوت، ولكنه خلّف صداه فى أذن كل عربى، وفى قلب كل مسلم، يدعوه إلى الجهاد لمجد العرب، ولعز الإسلام.

« القدس » محمد سعيد العريان

الى الشباب

بين جوته وإيكرمان

للأديب نصرى عطا الله سوس

جينا — الثلاثاء ١٨ سبتمبر سنة ١٨٢٣

فى صباح الأمس وقبل أن يعود جوته إلى (فيمار) حظيت مرة أخرى بسعادة الحديث معه؛ وماقاله لى هذه المرة لا يُثمن بالنسبة لى؛ ويجب على جميع شعراء الشباب الألمان أن يلموا به بداء بسؤالى عما إذا كنت قد كتبت شعرا هذا الصيف، فقلت كتبت بعض القصائد ولكن كان ينقصني على العموم الؤاتاه الضرورية، فقال جوته: حذار من محاولة كتابة موضوع كبير. إن هذا هو ما يضر بأكبر العقول عندنا حتى أولئك الذين يمتازون بأذهان حادة ومجهودات جدية؛ ولقد عانيت شخصياً هذه العلة. وإنى لأعرف كم من أضرار أوقعت بى. وأى شىء لم أتركه يسقط فى البئر. ولو كتبت كل ما وددت أن أكتب ما كفانى مائة مجلد. يجب أن ينال الحاضر حقوقه. فالأفكار والاحساسات التى تجول فى نفس الشاعر يوماً بعد يوم يجب عليه أن يعبر عنها — ولكن إذا شغلت رأسك بموضوع كبير فلن تعيش أي فكرة أخرى بجواره. كل الأفكار ترفض وتصد، حتى لذة الحياة نفسها تفقد وقتئذ. وأى مجهود عقلى تبذل كي تنظم وتلم شعث موضوع كبير! وأى قوة وأية طمأنينة تحتاج حتى يتسنى لك التعبير عنه فى سلاسة لائقة! وإذا خانك التوفيق فى أى جزء منه فكل مجهودك ضائع. وإذا عالجت موضوعاً كبيراً ولم تكن على معرفة تامة بكل تفاصيله فسيكون إنتاجك ضعيفاً وتستهدف للملام. فبدلا من المكافأة والسيادة جزاء على ما بذل من مجهود وتضحية لا يحظى الشاعر إلا بالانزعاج وشلل قواه العقلية. وهاك « أرنست هاجن » ذهن رائع... هل قرأت كتابه « الفرد وليسنا » هناك نبذ بلغت الغاية من السمو، نبذ فخمة ولكن الكتاب لا يرضى أحداً. وأى مجهود وقوة أنفقها الكاتب! لقد أنهك نفسه! إنه يكتب مأساة الآن » وهنا ابتسم جوته وسكت برهة فقلت: « إذا لم تخن الذاكرة، فأنت قد نصحت هاجن بمعالجة الموضوعات القصيرة » فقال جوته: « حقاً! لقد فعلت، ولكن هل يتبع الناس نصائحنا نحن الشيوخ؟ كل يظن أنه أدرى بنفسه من الآخرين. وهكذا يفشل البعض فشلا نهائياً بينما يشرد البعض الآخر فى مهامه الزلل لمدة طويلة — لقد كان الماضى زمن العثار... ماضينا نحن الشيوخ. وما فائدة بحاثنا وأغلاطنا إذا سار الشباب فى الطريق نفسه من أوله مرة ثانية؟ بهذه الطريقة لا يمكن أن نتقدم أبداً. لقد كابدنا أغلاطنا لأننا لم نجد طريقاً واضح المعالم نسير فيه؛ ولكن ذلك الذى يأتى أخيراً ليس فى حاجة لأن يبحث ويدل. بل يجب أن يتبع تعليمات الشيوخ كي يسير فى الطريق السوى من البدء. ولا يكفى مطلقاً أن نخطو خطوات قد تؤدى إلى غاية يوماً ما، بل يجب أن نجعل كل خطوة غاية فى حد ذاتها »

« تأمل هذه الكلمات وتبصر كيف تعمل بها. إنى لست

قلقاً عليك، ولكن نصائحي ستساعدك على إنهاء مرحلة لا تلائم مركزك الحالي. فإذا ما عالجت الموضوعات الصغيرة، وإذا ما كتبت ما يعرضه عليك «الحاضر» يوماً بعد يوم فستنتج جيداً. وكل يوم سيجلب لك سعادة جديدة. إبعث بما تكتبه إلى المجلات ولكن لا ترضَ أبداً بكتابة ما يفرضه عليك الآخرون. إتبع وحى نفسك دائماً»

«إن في الدنيا من العظمة والفن والحياة والتنوع بحيث لا يمكنك أن تفتقد بواعث الشعر؛ ولكن الشعر يجب أن يكون له بواعث... أعني أن الحقيقة يجب أن تمد الشاعر بالدافع والمادة. إن الحادثة المعينة تصبح حادثة عالية وشعرية إذا ما تناولها شاعر. كل قصائدي لها بواعث، وقد دعت إليها الحياة الحقيقية، ولها في ذلك أسس ثابتة. أنا لا أعير أي اهتمام للشعر الذي ينتزع من الهواء»

«إن أحداً لن يقول إن الحقيقة تنقصها روح الشعر، وهنا يثبت الشاعر مقدرته بتمكنه من فن تناول الموضوع العادي من وجهة نظر خاصة بحيث يصبح مهمًّا. الحقيقة يجب أن تمد الشاعر بالدافع إلى الموضوعات التي يود التعبير عنها. النواة ووظيفة الشاعر هي أن يخلق من هذه المواد وحدة جميلة حية. هل تعرف «فرنستين»؟ إنه يدعى شاعر الطبيعة. لقد كتب أرق ما يمكن من القصيد عن زراعة حشيشة الدينار. لقد اقترحت عليه أن يؤلف أغاني على ألسنة أرباب المهن المختلفة، خصوصاً النساج. وإني لواثق من أنه سيجيد، لأنه عاش بين هؤلاء منذ صباه. ولذا كان سيد مادته. تلك هي ميزة الموضوعات الصغيرة. كل ما عليك أن تختار ما تعرفه جيداً. ولكن هذا لا يتأتى في الموضوعات الصغيرة، في هذه الحالة لا يمكنك أن تتفادى أي جزء. وكل ما يتعلق بتوحيد مادة الموضوع وما يدخل ضمن عناصره يجب أن يصور بدقة... وفي زمن الصبا ينظر الشباب إلى الأشياء من ناحية واحدة؛ والموضوع الكبير يتطلب إمكان النظر من نواحي عدة... ومن هنا الفشل!»

وأخبرت جوته أني كنت أفكر في كتابة قصيدة طويلة عن الفصول أضمنها الكلام عن أعمال وملاهي الطبقات كلها فقال: «هذا في قلب الموضوع. قد توفق في بعض الأجزاء، ولكن قد تخفق في البعض الآخر عند ما تكتب عما لم تبحثه أو تخبره جيداً، وقد تكتب عن (السماك) جيداً، ولكن قد يخونك الحظ في الكتابة عن (الصياد). وإذا أخفقت في أي جزء فالنتيجة هي الفشل مهما أجدت في بعض الأجزاء. وبذا تكون قد أنتجت إنتاجاً مبتوراً. اكتب كل جزء على حدة واقتصر على ما تعرفه. ومن المؤكد أنك ستنتج ما يرضي. وأحذرك خاصة من «الابتكارات» لأنها قد ترمي إلى التعبير عن فكرة خاصة عن العالم، والشباب قلما يكون من النضج بحيث يوفق في هذا. فضلاً عن أن الشخصيات والآراء التي يضمنها ابتكاراته تنفصل عن عقل الشاعر وتحرمه من «الامتلاء» اللازم لكتاباته المستقبلة. وأخيراً، كم من الزمن يفقدني الابتكار والترتيب والتركيب. هذا ما لا يمدحنا أحد عليه، حتى ولو كتبتا بنجاح. ولكن في حالة ما يعطي الشاعر المادة تكون الأمور أحسن وأسهل (1). فإذا ما مُد الشاعر بالشخصيات والحقائق يكون عمله أن ينفخ الروح فيها فقط، فيحتفظ بامتلائه ولا يفقد كثيراً من الزمن والمجهود. إني أنصح دائماً باختيار الموضوعات التي طرقت قبلاً. فكم من «أفيجينيا» كتبت ولكن كلهن مختلفات. كل شاعر يتناول القصة حسب طريقته. عليك أن تترك التفكير في الموضوعات الكبيرة الآن. لقد آن لك أن تعيش ذلك الطور البهج من الحياة، ولأجل أن تصل إلى هذا فعالج الموضوعات الصغيرة ...»

.... وكنا نسير في الغرفة جيئة وذهوبا ولم يسعني إلا التسليم شاعراً بصواب كل كلمة. ومع كل خطوة كنت أحس نفسي أسعد وأنشط. ويجب أن أعترف أن الخطط الكبيرة واللاتي لم يمكني أن أخلص الى فكرة واضحة بصددها لم تكن بالعبء الهين علي

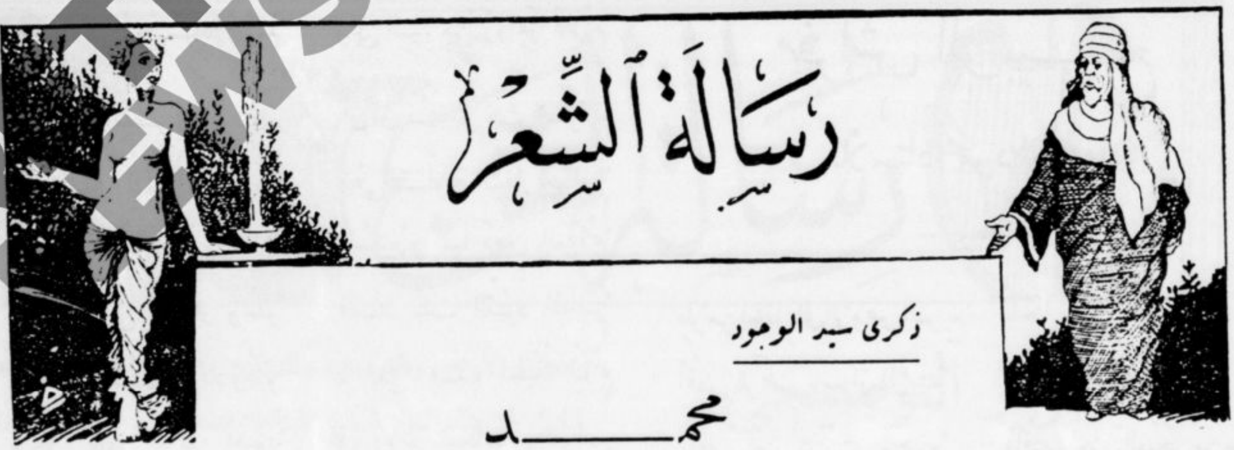
إني لأشعر أن كلمات جوته زادتني حكمةَ سنوات، وعرفت ما في مقابلة الأستاذ الحق من التوفيق والخير

نصرى عطا الله غطاس

(الرسالة) سألنا بعض القراء عن عنوان الكاتب الأديب فنرجو أن يبعث به إلينا

---

(1) يقصد جوته الهيكل العظمي للموضوع كما فعل هو في فاوست وكما فعل شكسبير في أكثر ما أنتجه



محمد

للأستاذ أنور العطار

نحن في مولد المتوج بالنو ... ر وفي ليلة الرضا والمغانم
حفلت بالطيوب فالعالم الوا ... سع حفل من الأزاهير فاغم
والنجوم المفضضات عيون ... شاخصات والكائنات مباسم
كل من في الوجود ران أخيذ ... ذاهب اللب مستطار ساهم
طفح الكون بالأذى والضلالا ... ت وضجت رحابه بالمآثم
فمن الحامل البشائر للأر ... واح، من ذلك الحبيب القادم
وهب البرء للقلوب الوجيعا ... ت، ونحى عن الحياة المظالم
وأعاد الإنسان روحاً نقياً ... خالصاً من حقوده والسخائم
صفوة الخلق أي نور على الأفـ ... ـق بهي، جم التلاميع، حائم
سطعت من سناك هذي السموا ... ت ورفت بك الدنا والعوالم
أنت نجوى الأرواح في كل جيل ... وشعاع الهدى، وروح النواسم
تتناجى بك القلوب الحيارى ... وتغنى بك النفوس الهوائم
يا سماء الجلال يا رفرف الخلـ ... ـد ويا صورة النعيم الدائم
لأصوغن من نداك الأناشيـ ... ـد، وأفتن في ضروب الملاحم
كل بيت يكاد يقطر بالرفـ ... ـق ويخضل بالدموع السواجم
يا نداء المعذبين الأسارى ... ودعاء المروعات النوادم
كلهم راكض إليك يرجيـ ... ـك، وكل موله بك هائم
ظفروا منك بالسماحات تترى ... وغنوا بالرضا الشهي المناعم
صغت للناس شرعة من علاء ... وحنان وطيبة ومراحم
الهدايات حانيات عليها ... والعنايات طائفات حوائم
لذت بالغار تتقي شرة النا ... س وتنسى العدوان من كل ناقم
وحراء بك استطال على النجـ ... ـم وتاهت به الصخور الجواثم
يشتهي الخلد لو تغلغل فيه ... حلماً فاتن المسرات ناعم
ضم في ساحتيه نوراً من الله ... تسامت به العلى والمكارم
وبنفسي عناكب ناسجات ... لك ستراً يقيك من كل آثم

* * *

سعدت بالهدى رحاب الصحارى ... وتلالت فيها الموامي الطواسم
أعشب القفر وازدهى الصخر الصـ ... ـلد وفاضت منه العيون النواجم
وتندت هذي الرمال العطاشى ... كاللآلي فرائداً وتوائم
تتغنى والكون يهتف جذلا ... ن فتهتز في العلاء الغمائم
فهي حلم على الليالي جميل ... وهي ناي على مدى الدهر ناغم
اسمع الرمل يملأ الأرض تسبيـ ... ـحاً بصوت مجلجل كالزمازم
رعدت في مداه تكبيرة الله ... وسالت به الجيوش الخضارم
قهرت بالكتائب الغلب كسرى
وهرقلا وكل ملك ضبارم
رفرفت راية النبي عليها ... فاستظلت بها الذرور القشاعم
فإذا الكائنات تسبح بالنو ... ر وتفتر عن ثغور بواسم

فعلى الأفق من سناها رسوم ... وعلى البيد من رؤاها علائم

* * *

يا صحابي ومعشري وقبيلي ... آن أن تستفيق تلك الصوارم

صدأ الدهر لم ينل من ظباها ... فهي مسنونة الشفار حواسم

فامنعوها غمودها وكراها ... واستثيروا بها دفين العزائم

لا تناموا على الإسار وتغفوا ... فلقد ملت القيود المعاصم

وانفضوا عنكم الرقاد وهبوا ... لم تلن هذه الحياة لنائم

يا لحلم منمق قد أضعنا ... في رؤاه تيجاننا والعواصم

فنيت في دجاه قافلة المجـ ... ـد وماتت فيه النفوس القواحم

* * *

يا بني الهدى لقد ذلت العر ... ب وقيدت إلى الردى بالشكائم

سلبت حقها وديس حماها ... واستكانت لكل أرعن ظالم

يا سماء اهبطي ويا أرض ميدي ... غصب الألأمون مجد الأكارم

أين قومي وأين ملك على الدهـ ... ـر أضاءت به الليالي القواتم

زينوا مفرق الزمان وتاهت ... بهم هذه النجوم الحوالم

يا بقايا السيوف، رمز الأضاحي ... وشعار الفدا، وسر العظائم

أوقدوها حمراء تلتهم الأفـ ... ـق فتشوى بها اللظى والسمائم

وامنحوها دماء كم تتنزى ... وامهروها أرواحكم والجماجم

واملكوا الأرض أنتم سادة الأر ... ض، وأنتم بنو الليوث الضراغم

أنتم الأسبقون في حلبة العز ... بكم تنجلي العوادي الغواشم

... كذبتنا أحلامنا والأماني ... فيا ضيعة الذليل الحالم

وخسرنا أمجادنا وعلانا ... وذللنا كما تذل البهائم

وأفقنا نهبى لكل أثيم ... وحمانا والساكنوه غنائم

يا لربع مهدم مستباح ... دنست قدسه نعال الأعاجم

وهو عرش الشموس، مهد البهاليـ ... ـل، ومثوى المنافحين الصلادم

قد ضججنا من البكاء كأنا ... قد سلبنا النواح هذي الحمائم

ولهونا عن العلى بمخازا ... ت شداد نهن فعل الأراقم

وأقمنا على العويل كأنا ... حشرجات تضيق عنها المآتم

بغداد ... **أنور العطار**

فراش الربيع

للأستاذ محمود الخفيف

طر من الحقل إلى الروض المريع ... باحثاً عن نشره

أفض للزهر بأسرار الربيع ... واسترق من عطره

وافه بين شتيت وجميع ... واقتبس وشي الضحى من سحره

* * *

مل إلى الجدول وارقص حوله ... غازل الشاطئ واشهد صوره

ثب إلى الدوح تفيأ ظله ... لاعب الغصن وداعب ثمره

ملعب يصبو له ... كل قلب خبره

خذ جناه كله ... زهره أو شجره

* * *

تتوافى لك أسباب المنى ... أيها الروح الدءوب الحائم

فهنا حيناً وحيناً ها هنا ... نازح طوراً وطوراً قادم

أمشوق هائم؟ ... أم خلي ناعم؟

أم شرود أنت لاه سائم؟

* * *

أنت يا رفاف موصول الجذل ... أي هم شغلك؟

ثمل ترقص من فرط الثمل ... إذ تلقى أملك

يا طليقاً ما درى معنى الملل ... أي حسن رائع لم يك لك؟

* * *

يا طروباً ليس يدري ما الشجن ... ويك يا هيمان ويك!

رف في مرآك مطوي الزمن ... فحنت روحي عليك

ما لقلبي بين شجو وسكن ... خافقاً يهوى إليك؟

* * *

ذكر العيش الذي لو يشترى ... اشترى الأيام منه بالسنين!



التصوير التوضيحى

فى المخطوطات الاسلامية

للدكتور أحمد موسى

– ٢ –

كان من حسن الحظ أن ساهمنا فى العدد الممتاز الذى أصدرته مجلة الرسالة بمناسبة العام الهجرى بموضوع أتينا فيه على بعض ماللعرب فى مختلف الفنون التصويرية لتوضيح النصوص وتصوير كتب العلم والأدب مما يجلو غوامضها للقراء والراغبين فى العلم ، فنشرنا بضع صور ضوئية منقولة عن بعض المخطوطات القيمة فى علم تخطيط الأرض والفروسية والتوقيت والكيمياء . وقد وعدنا القراء فى ختام المقال السابق باستيفاء هذا الموضوع الطريف حقه من البيان . وها نحن أولاء قد وفقنا بعد البحث إلى ثلاثة كتب مخطوطة زينها مؤلفوها بالتصاوير والأشكال الحقيقية تارة والرمزية طوراً ؛ ففى كتاب « نهاية الإدراك فى دراية الأفلاك » لمؤلفه قطب الدين محمد بن مسعود الشيرازى جملة صور فلكية أهمها صورة كسوف الشمس وقد جاء فيها :

« لكون القمر هو الكاسف والتوالى من المغرب إلى المشرق وهذه صورة الكسوف ، الفصل الرابع فى أزمان مابين الخسوفين والكسوفين ، أما الأول فمعرفته مبنية على معرفة حدود الخسوفات وهى مقدرة باثنى عشر جزءاً من بعد القمر عن إحدى المقدتين

فيكَ مَرْآهُ وفى دُنيا الكرى ... وادِّكارِ النفسِ حيناً بعدَ حِين

***

حينما كُنَّا صغيرين معاً ... لا نمَلُّ الوثْبَ فى ظِلِّ الشَّجَرْ

و نرَى الرَّوْضَ جميعاً مرْتعاً ... كم تمَلَّيْنَا بِهِ أبْهَى الصُّوَرْ

زهْرَتى فيهِ تبدَّتْ أرْوَعا ... من سَنَا الصُّبْحِ ومِنْ سِحْرِ الزَّهَرْ !

***

آه ! كم توجعُ نفسى « حينما » ... يا خليَّا لَيْسَ يدْرِى مابِيَهْ

وَيْكَ يا قلبى ! أتهفو كلَّما ... طافَتْ الذِّكْرَى وتصبو ثانيه ؟!

كُفَّ ياقلْبُ عن الشكوى فما ... ينقعُ الآلُ قُلُوباً صادِيهْ

***

كم جهدْنا وجرَيْنا فى الضُّحَى ... لا نرَى فى لهونا إلا لديك

ومللنا الرَّوْضَ إلا مسرَحا ... تتهاوى فيهِ بالأيدى عليك

***

انأ يا هيمانُ عنِّى واقتربْ ... كالرؤى طافت بحُلْمِ الناعِسِ

هِجْتَ يا لاعِبُ نفسى لِلَّعِبْ ... ماغَنَّى من زَمانى الدَّارِسِ ؟

***

ويك ! إنا نلعب اليومَ كما ... قد لعِبْنا أمس فى غَيْرِ مَلَلْ

نبدأُ الشَّوْطَ ونمْضى كلَّما ... رفَّ يارَفَّافُ للنفسِ الأمَلْ

***

لهْوُنا اليوْمَ بهاتيك المنى ... تتراءى بَيْنَ نَشْرٍ وَعَدَمْ

نحْنُ كالأطْفالِ إلا أننا ... نقْتُلُ اللذّةَ فيها بالألَمْ !

نقْرَعُ السِّنَّ على مافاتنا ... ونذوقُ الصّابَ مِن كأسِ النَّدَمْ

***

رفَّ يالاعِبُ وارتع وانْعَم ... واقْضِ من عيشِكَ فى الزَّهْرِ الوطَرْ

اجْتَنِ اللذَّاتِ واخْتَرْ واغْنَمِ ... لكَ فى نورِ الضُّحَى عُمْرُ الزَّهَرْ

***

وَيْحَ لِلإنسانِ ماأجْدَرَهْ ... بِهُيامٍ مِثْلِ هذا ومِراحْ

عُمْرُهُ المكْدُودُ ماأقصَرَهْ ... خفقاتٌ من مَساءٍ وصَباحْ

الخفيف

فى أى جهة كان ، لأن عرضه إذا جاوز هـذا الحد زاد على



ش ١ — مقر النيرين فى وقت الكسوف

نصفى القطرين ، لأن غاية عظم نصف قطر دائرة الظل وهو إذا كان القمر فى حضيض التدوير ست وأربعون دقيقة . وغاية عظم نصف قطر القمر ثمانى عشر دقيقة، والعرض المساوى لمجموعهما وهو أربع وستون دقيقة إنما حصل على بعد اثنى عشر جزءاً وكسر من العقدة أو على بعـد إحدى عشرة درجة ونصف بالتقريب يكون العرض درجة فبعد تجاوز العرض عن الحد يزيد على نصفى القطرين ولا يمكن الخسوف حينئذ وبهذا الاعتبار ينقسم المائل إلى أربعة أقسام ... الخ[١] »

وقد زين هذا المتن بصورة القمر والشمس من أعلاه والأرض من أسفله ، ورسم دائرة كبرى كتب على محيطها الفلك المثل ومركز محيطها بمركز الشمس ، وداخلها دائرتان متساويتا القطرين تقابل محيطاهما فى مركز القمر . وكتب على محيط اليسرى منهما منطقة ممثل القمر ، وعلى اتجاه مركز القمر وفى استقامة اتجاه مركز الشمس رسم الأرض مبيناً مركزها ، وعلى محيط الأرض اختار موضع الناظر ، كما أظهر مخروط القمر ومخروط الظل

ويرى الناظر المتأمل أن هذه الصورة لا تختلف شيئاً عن التصوير العلمي لمقر النيرين فى وقت الكسوف ، فضلا عن الدقة التى اتبعها المؤلف فى رسم الدوائر الست بالرغم من أن عصر المؤلف يرجع إلى القرن الخامس عشر الميلادى

أما الكتاب الثانى فهو فى الكيمياء القديمة ويرجع تاريخ تأليفه إلى القرن الخامس عشر على الأرجح ، وهو يتناول ضمناً تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب. ونص الصفحة التى ننقلها هو « صفة ما نقل من صحف ووسيموس وأوتاسيا : خـذ من حجر — كا — ما شئت وهو الكبريت الأحمر الذى لا يخلو منه مكان والتى من الكبريت الأبيض مثله واسحقه فانه يذهب



شكل ٢ — تحويل الزئبق إلى ذهب

بصلابته والتى مثلهم زيتقاً يحذرواعملهم فى النار ساعة ثم أعيد

(١) راعينا أن يكون النقل طبق الأصل

عليهم السحق والسقى إلى أن يعجبك لونه ، فألق منه على حجر (؟) يصير ذهباً إبريزاً والحمد لله تعالى ... » وتحت هذا المتن متن آخر انفصل عنه بصورة تمثل ستة رجال بوجوه كاملة الاستدارة (ش ٢) ، وإلى يمين هذه الرؤوس صورة الهلال وإلى يسارها صورة البدر ، وإلى يمين ويسار المتن وقف رجلان أمسك كل منهما بسلسلة التفت حول عنق الستة الرجال الذين وضع كل منهم يسراه على صدره . وفى نهاية الصورة رموز شملت بعض حروف إغريقية وهيروغليفية وعربية ، فكانت إلى الطلاسم أقرب منها إلى الكلام المفهوم . ويرى المتأمل فيها بعض صور أشبه شيء برسم القلب والسيف والصليب



شكل ٣ — عن كتاب صور الكواكب للطوسى

والصورة (ش ٣) منقولة عن كتاب صور الكواكب لعبد الرحمن بن عمر الطوسى ويرجع تاريخه إلى منتصف القرن السابع عشر الميلادي . وهى تمثل النسرين الواقع والطائر . وقد جاء فوق صورة النسر الأيمن ما أوله : المجرة عند القدر الخامس بينهما مقدار شبر من رأس العين ... الخ وحلّى كل نسر منهما بعدد الكواكب المشرقة فى بدنه وجناحيه وذيله ومخالبه

يرى القارئ مما تقدم أن التصوير كان مستعملا عند العرب لتفسير ما غمض فى المؤلفات العلمية بقصد تمام التوضيح على قدر ما سمحت به وسائلهم ولا سيما فى علمى الكيمياء والفلك ، فإن أدوات الرصد كانت معدومة تقريباً ، ولم يكن لدى الفلكى منهم سوى قواعد الحساب على الطريقة القديمة ، كما كانت الأدوات الكيميائية ووسائل الصهر غير موجودة بالصفة التى نراها الآن

وإذا كان العرب قد اجتهدوا فى تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب وأخفقوا ، فإن نظريات الكيمياء والطبيعة الحديثة أثبتت إمكان تحويل المعادن بالصهر . ولا ننس آخر الأنباء من أن عالماً ألمانياً هو الأستاذ ميتا أمكنه تحويل الزئبق إلى ذهب بالحرارة ، فكأنه بذلك سجل الأقدمية لعلماء العرب

وفى مقالنا القادم سنتناول ناحية أخرى من نواحى التصوير الإسلامى

أحمد موسى



كارنا و كونتى

للشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور الهندى

للأديب شكرى محمد عياد

(كان لكونتى ملكة «بنداوا» قبل زواجها ولد هو كارنا الذى أصبح فى رجولته قائداً لرهط الكيراويين ، ولكى تدفع عن نفسها العار هجرته عند مولده فرباه حوذى اسمه أجيراتا)

كارنا — إننى أنا كارنا ، ابن الحوذي أجيراتا ، أجلس هنا على ضفاف الكنج أعبد الشمس الغاربة ، فمن أنت ؟

كونتى — إننى أنا المرأة التى فتحت عينيك لأول مرة على هذا النور الذى تعبده

كارنا — لست أفهم ، ولكن عينيك تصهران قلبي ، كما تقبّل الشمس ثلجاً على قمة جبل ، وصوتك يبعث فى حنايا صدرى حزناً أعمى ، ثوى السر فيه بنجوة من ذكرياتى الأولى . خبرينى أيتها المرأة الغريبة ، أى لغز يصل مولدى بك ؟

كونتى — صبراً جميلاً يا بنى . سوف أجيبك حين تنسدل أجفان الظلام على عيون النهار المستطلعة . أما الآن فاعلم أننى كونتى

كارنا — كونتى ! أمّ أريونا ؟

كونتى — نعم بلا ريب ، أمّ غريمك أريونا . ولكن لا تُبْغِضَنِّى لذلك يا ولدى . إننى ما برحت أذكر يوم السلاح فى هاستينا ، حين قفزت إلى الحلقة فى جرأة وأنت غلام مغمور ، فكنت كشعاع الفجر بين نجوم الليل . آه ! من كانت تلك المرأة التى قبلت عيناها جسدك العاري الرشيق من خلال دموع كانت تباركك وهى جالسة بين نساء القصر الملكى وراء السجوف ؟ كيف ؟ لقد كانت أم أريونا ! حينذاك برز البرهمى أستاذ السلاح وقال : « ليس لشاب وضيع النسب أن يبارى أريونا » فوقفت لاتتكلم ، كسحابة برق تألق عند الغروب بنور مكتوم . ولكن من هى المرأة التى اشتعل قلبها لعارك وغضبك وأرسل فى سكون لهيبَ النار ؟ هى أم أريونا !

رعى الله دريوجانا الذى عرف قدرك ، وتوجك ثمة ملكا على الأنجا ، فكسب للكرواسى بطلا . لقد ملأ الفرح قلب أجيراتا ، فشق الحشد نحوك ، فهرعت إليه وألقيت عند قدميه تاجك ، وإذا البنداويون وأصحابهم هازئون ضاحكون . ولكن امرأة واحدة من بيت البنداويين توهج قلبها فرحا بما فى تواضعك من كبرياء البطولة — لقد كانت أيضاً أم أريونا !

كارنا — ولكن ماذا جاء بك هنا وحدك يا أم الملوك ؟

كونتى — لقد جئت أسألك معروفا

كارنا — مرينى ، وأيما سمحت رجولتى وشرفى الشاترى فسوف ألقيه عند قدميك

كونتى — لقد جئت لآخذك

كارنا — إلى أين ؟

كونتى — إلى صدرى الظامىء لحبك يا بنى

كارنا — أيتها الأم السعيدة بخمسة ملوك أشاوس ؛ كيف تجدين فى قلبك متسعاً لحبى وما أنا إلا قائد وضيع النسب ؟

كونتى — إن مكانك فيه قبل كل أبنائى

كارنا — ولكن بأى حق أحتله ؟

كونتى — بحقك الموهوب من لدن الله في حب أمك

كارنا — ها هى ذى غبشة المساء تنتشر على الأرض ، والسكون يرن على الماء ، وصوتك يرجع بى إلى دنيا من الطفولة تتناهى فى الذكريات . فليكن هذا حلما ، أو فليكن شعاعاً من حقيقة منسية ، ولكن تعالىْ وضعى يمناك على جبيني . إن الناس يتناقلون أن أمى هجرتنى . وكم من ليلة زارتنى فى نومى ، ولكن

حين كنت أصيح بها : « إرفعى عنك القناع ، أريني محياك ! » كان شبحها دوماً يتلاشى . فهل زارنى الليلة عين ذلك الحلم وأنا يقظان ؟ أنظرى ! هاك المصابيح تلوح عن بعد وراء النهر مضاءة فى خيام ابنك ؛ وعلى هذه الضفة خيام أصحابى الكيراويين كأمواج عاصفة فى البحر علقها ساحر . لماذا يجيئنى صوت أم غريبى أريونا برسالة من الأمومة المنسية ، فى رهبة هذا المرج حيث يدوى طنين معركة الغد ؟ ولماذا يسكب لسانها فى أسمى هذه الموسيقى فيجتذبنى إليه وإلى إخوته ؟

كونتى — إذن فلا تتريث يا بنى ، تعال معى !

كارنا — أجل ، سوف أجئ ولن أسألك سؤالا ، فلا تساورك إذن ريبة . إن روحى نستجيب لندائك ، والكفاحُ فى سبيل النصر والذكر ونارُ الشنآن قد عادت أمام عينى أوهاماً وضلالات ؛ كما يتلاشى هُذَاء الليل فى جلال الفجر . خبرينى أنّى تقودينى ؟

كونتى — إلى الضفة الأخرى من النهر حيث تشتعل هذه المصابيح فى شحوب الرمال المرُوع

كارنا — أوَسوف أجد هناك حتى الأبد أمى المفقودة ؟

كونتى — آه يا بنى !

كارنا — إذن فلماذا طردتنى شريداً جُثّ من أرض أجداده ، صعلوكاً يرَجحِنُّ فى تيار من الخزيان ؟ لماذا ضربت بينى وبين أريونا هوة لا تُجتاز ، ورددت أزكى ميول الدم إلى أنكى عواطف البغضاء ؟ إنك تبقين صامتة . إن عارك يسرى فى الظلام البعيد ويبعث فى أطرافى رعدة لا ترى . أبداً لا تذكرى لى ما جملك تسلبين ولدك حب أمه ! ولكن خبرينى لماذا جئت اليوم تسترجعيننى إلى أطلال سماء تلت عروشها بيديك ؟

كونتى — إن لعنة تحل علىّ هى أشق من لومك . إنى وإن تكنّفنى خمسة أبناء ليرفرف قلبى كعقاب أم حرمت بنيها ؛ ومن هذا الجرح الذى انشق على أول أبنائى ، ولّت كل مسرات حياتى . فى ذلك اليوم اللعين حين خنت أمومتى ، لم تكن أنت تستطيع أن تفوه بكلمة . واليوم تضرع إليك أمك الغادرة أن تمنحها من لدنك ألفاظاً كريمة . دع غفرانك يحرق قلبها كالنار ويلتهم خطيئته

كارنا — أماه ، تقبلى منى دموعى ؟

كونتى — ما كان أملى من المجىء أن أعيدك إلى ذراعى ، بل لأعيد إليك حقوقك . تعال وتقبل كابن ملك مكانك بين إخوتك

كارنا — إنه أحب إلى أن أكون ابن حوذي . إني لا أتوق إلى مجد نسب أعظم من نسبه

كونتى — فليكن ذلك كما تريد . ولكن تعال واسترجع مملكتك فهي حقك !

كارنا — أتعزيننى بمملكة وأنت التى استكثرت علىّ حب أم ؟ إن صلة الرحم التى اجتثثت جذورها قد ماتت ، ولن تستطيع أن تحيا مرة أخرى . لى العار إن أنا ناديت أم الملوك أماً ، ونبذت أمى فى بيت الحوذى !

كونتى — أنت عظيم يا بنى ! لكم ينمو قصاص الله من بذرة ضئيلة إلى حياة حافلة ! ها هو ذا الوليد الذى نبذته أمه يعود فينبعث من ظلام الحادثات رجلاً يسحق إخوته

كارنا — أماه لا تخشى شيئاً ! إنى لعلى يقين من أن النصر للبنداوبين ، وفى هذا الليل الهادئْ الساجى يمتلئْ قلبى بموسيقى من المغامرة اليائسة والنهاية الغامضة . لا تسألينى أن أنسل من بين أولئك الذين حقت عليهم الهزيمة ؛ فليكسب البنداويون العرش إذا لم يكن من ذلك بد ، ولأبعد أنا مع اليائسين والمحزونين . لقد تركتِنى للخزى ليلة ميلادى ، عارياً غير مُسمّى ؛ فاتركينى مرة أخرى بغير شفقة أنتظر الهزيمة والموت فى هدوء !

شكرى محمد عياد



في معرض الفنون

سيدي صاحب الرسالة

في « الرسالة » رقم ٢٥٣ مقال عنوانه : « جولة في معرض الفنون » بقلم نصري عطا الله سوس . وقد كنت أعددت للرسالة مثل هذا المقال ، فاذا المقال المنشور يوافق ما كنت أعددته ، فرأيت إهماله . غير أني أحب أن أزيد على ما جاء في مقال الأستاذ نصري عطا الله سوس النفيس أن أبرز ألواح المعرض إنما هي من صنع السيدة إيمي نمر وطريقتها التأثرية الرقيقة البعيدة عن تعقيدات « المدارس » ، ثم الصديق محمود بك سعيد وإن أصبح ينسج على منوال واحد من التعبير ، ولكنه تعبير قوي أقرب إلى فن النحت التمثيلي منه إلى التصوير . ثم إني لأشارك الأستاذ سوس في ذهابه إلى أن أسلوب إدمون صوصة لا يعدو المحاكاة الضاربة إلى « الفوتوغرافية » . وأما جورج صباغ فأسلوبه فوق هذا ، لأن محاكاة الطبيعة عنده إنما يجري بين جوانبها ماء الفن ، إلا أنه فن يرجع إلى الحذق والدراية لا إلى التأثر الدفين واستلهام ما وراء المنظور وتدوين اللوائح والهواجس . وذلك لأن جورج صباغ — على نباهته — أو قل من أجل نباهته يندرج في سلك « الأكاديميين »

بقي أن الأستاذ سوس وعدنا أن ينشر في الرسالة « سلسلة من المقالات يبين فيها فلسفة الفن الحديث وأصوله ومذاهب الفنانين المختلفة ومميزات كل مدرسة ، إلى غير ذلك مما يتصل بالتصوير والنحت والرسم » لأنه « لاحظ أنها مجهولة تماماً بين كل من نعرف إليه » . وهذا قول حق ، فان من المتعذر على ناقد الفن أن ينشئ المقالات وجمهور القراء عن أصول الفن وتاريخه متغافلون قليلا أو كثيراً . ولقد أفضت في هذا الموضوع لسنتين مضتا في صحيفة الأهرام (١٨ مايو سنة ١٩٣٦) : « على هامش معرض الصور » . فعسى الأستاذ سوس أن ينبري للكتابة فيما يشغل صدره وصدر المشتغلين بالفن أو بنقده .

بشر فارس

المصريون واللغة الحبشية

من مآثر الشباب المصري الذين يطلبون العلم الرفيع في جامعات أوربا ذلك السِّفر النفيس الذي نشره لشهرين مضيا الأستاذ الدكتور مراد كامل وهو ممن بعثته الجامعة المصرية لتلقي اللغات السامية في ألمانيا

وموضوع هذا السفر (ويقع في ٣٨١ ص من القطع الكبير) « تاريخ اليهود » ليوسف بن كريون المشهور بيوسفوس ، وقد طبع باللغة العبرية غير مرة وباللغة العربية مرتين . وأما باللغة الحبشية فلم يطبع منه سوى صفحات معدودة ، فرأى الدكتور مراد كامل أن يطبع الترجمة الحبشية لهذا الكتاب ، واعتماده في ذلك على اثنتي عشرة مخطوطة أصابها في برلين وفرانكفورت أم مَيْن ولندن وباريس وشتراسبرج . وقد عمل للكتاب مقدمة علمية غاية في الدقة وصف فيها المخطوطات وبحث في الأصل العبري والترجمة العربية له ، ثم زاد على هذا جدولاً أثبت فيه ماسقط في النص العربي وهو مدون في النص الحبشي ، ثم ماسقط في هذا وهو مدون في ذاك إتماماً للفائدة

ونشر الكتاب دليل ناهض على رسوخ الدكتور مراد كامل في معرفة الحبشية والعبرية والعربية وتمكنه من فن الاستشراق وأساليب البحث العلمي وطرق معارضة الأصول ونشر المخطوطات . ثم إن هذا السِّفر النفيس نال به ناشره الدكتوراه في العلوم الفلسفية من جامعة توبنجن بألمانيا على يد المستشرق الكبير الأستاذ لِتمن من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكي . وسيقفل الدكتور مراد كامل إلى مصر بعد أشهر معدودة ليقوم بتدريس

اللغات السامية فى الجامعة المصرية ، وهو يطبع الآن فى ألمانيا رسالة أخرى لنيل إجازة التدريس العالى (الأجربجاسيو) ، وموضوع الرسالة « الفعل الرباعى فى اللغات السامية »

مستشرق يسطو على كاتب شرقي

نشر المستشرق الفرنسى الأستاذ إميل درمنجهيم فى المجلة الفرنسية le mois (عـدد مارس ، ابريل ١٩٣٨) بحثاً عنوانه : « الحالة الحاضرة للأدب العربى » وقد نقلته جريدة « المكشوف » البيروتية الى اللغة العربية . والحق أن هذا البحث لا يعدل المباحث القويمة التى يكتبها كبار المستشرقين أمثال كراتشكوفسكى وجب ّ وماسينيون وكامفماير ؛ وإنما هو عرض جاف لا ينم على اتصال بالحياة العربية ، ولا على تفهم لأسرار اللغة العربية ، ولا على تذوق لتآليف كتابنا المحدثين . والسبب فى ذلك أن المؤلف لم ينظر فى الأصول نفسها ولم يدرس حياتنا الاجتماعية عن كثب ، ولـكنه اعتمد على ثلاثة مباحث ، فجاءت كتابته ضرباً من الفضول . وأما المباحث الثلاثة فالكتاب الذى ألفه كامفماير وخميرى باللغة الانجليزية سنة ١٩٣٠ وعنوانه « الزعماء فى الأدب العربى الحديث » ، ثم المقالات التى نشرها الأستاذ رجب ْ فى « صحيفة مدرسة اللغات الشرقية » حول الأدب نفسه ونقلتها جريدة السياسة إلى العربية ، ثم المحاضرة التى ألقاها الأستاذ الدكتور بشر فارس فى معهد الدراسات الاسلامية فى السوربون ثم نشرتها « مجلة الدراسات الاسلامية » لمنشئها الأستاذ ماسينيون سنة ٩٣٦ (الجزء الثالث) فى باريس . ولما كانت هذه المحاضرة موقوفة على الأدب العربى الحديث جداً وتتناول موضوعات مهمة مثل الصعوبات التى يلقاها الكاتب العربى الحديث فى ميادين اللغة والثقافة والاجتماع ، فقد سطا عليها المؤلف بغير دراية دفينة بالموضوع ، فأخذ منها كلامه على المشكلات اللغوية ، ومصاعب الحياة الاجتماعية ، وطرائق الكتاب فى التأليف ، وألوان معالجة الموضوعات وخصائص الأساليب من قديمة وحديثة ، وتأثير اللغة الافرنجية فى الانشاء العربى ، وظواهر النضال القائم بين أنصار التقليد وأنصار التجديد . وكأن المؤلف شعر بأنه غلا فى الأخذ فذكر صاحب المحاضرة مرةً واحدة فى الهامش . وذلك لأنه اقتبس عنـه نصف صفحة كاملة بحروفها عند الكلام على جمود اللغويين عندنا ، فلم يكن بد من الاشارة إلى الأصل . فان اتهم بعض كتابنا بالسطو على تآليف المستشرقين ، فهؤلاء المستشرقون يسلطون أيديهم على تآليف بعضنا ! ب . س

كتابة الهمزة

فى (الهلال) الغراء — جزء مايو ٣٨ — هذا القول لسعادة الدكتور بهى الدين بركات باشا : « ان الهمزة وطرق رسمها من المسائل المعقدة التى يبذل تلاميذ المدارس مجهوداً شاقا فى فهمها وحفظ قواعدها . ومع ذلك فكثيراً ما يقع الخطأ فيها حتى من جهات لا ينتظر أن تقع فيه . وإلا فما القول فى أن وزارة المعارف بحتفل بعيد المدرسة الخديوية المثينى وتوزع على طلبتها السابقين استمارات تكتب فيها لفظ (يعلوها) خطأ ، اذ ترسمها على (ألف) بدل الواو

أقول : كتابة (يعلأها) والهمزة فوق الألف مثل كتابة (يعلؤها) والهمزة فوق الواو ، كلتاهما صحيحة . ومن قول ابن قتيبة فى ذلك في (أدب الكتاب) : « وإنما اختار الألف لأن الوقوف على الحرف اذا انفرد وأبدل من الهمزة — على الألف ، وكذلك يكتب منفرداً ، فتركه على حاله إذا أضيف »

وقاعدة الهمزة أسهل قاعدة فى الدنيا ، وتعليمُ معظمها الطلابَ لا يقتضى أكثر من ربع ساعة . وهذه قاعدتها بالقول المسهب : دع الهمزة ، وتلفظ بالكلمة تلفظا مقبولا ، ثم ضعها فوق حرف العلة ان كان

تصويب

جاءت « من عبقرية نابغة العرب » فى مقالة (أبو العلاء حرب الظالمين) فى أول المقدمة لاقواله وانما هى العنوان الثانى ، وفى الشذرة (١٠) « ستر ضوؤها » وهو ضوؤها ، وفى الشرح « الفداء » وهو الغراء

بين العقاد والرافعى

قرأت ما كتبه « العضو المنتدب » الأستاذ محمود محمد شاكر فرأيت أنه فى الصفحتين الطويلتين اللتين كتبهما ، لم يقل فى الموضوع الذى أكتب فيه شيئاً ، إنما هو تعريض وغمز ولمز ، وجمل إنشائية ، وقولة مأثورة من هنا وبيت شعر من هناك على نظام موضوعات الانشاء ، مما لا يتمشى وروح العصر الذي نعيش فيه . ولا أستطيع أن آخذ نفسى به

وقد آثرت أن أذكره برأس الموضوع الذى نتحدث فيه : فهو « أدب العقاد وأدب الرافعى ، ومايدل عليه أدب كليهما من نفسه » . ثم أنتظر أن يكتب شيئاً فى الموضوع ، فان فعل ناقشته وإن لم يفعل فهو وشأنه ، وسأستمر فى طريق

وتلك خطتى كذلك مع من كتب فى العدد نفسه ، يعرّض بين السطور !

سيد قطب

حول كلمة (هال ها)

أشكر للأستاذ محمد عبد الغنى حسن لقاءه الكريم لقصيدتى «البعث» ، وأعتذر من إبطائى فى الرد على رأيه فى كلمة (هال ها) وبعد فأجيبه أن هذه الكلمة كما ذكرت ابتدعها الأستاذ فريد ، ومادام الأمر أمر ابتداع فلا محل إذاً لردها إلى أصل لغوى. وإذا صح ما ذكره الأستاذ من أن كلمة هال نداء لزجر الابل فإنها محض مصادفة ، إذ لم يدر بخلد الأستاذ فريد عند كتابة هذه الكلمة فى رواية « ميسون الغجرية » أى أصل لغوى كما أخبرنى بذلك

وأما من حيث معنى كلمة Heigh Ho الانجليزية فهى أيضاً كلمة مبتدعة فى تلك اللغة ، فمدار معرفة معناها على استعمالها . وقد استعملها شكسبير وغيره فى بدء أغانيهم التى يريدون بها التعبير عن المرح والانطلاق من القيود كما جاء فى رواية As you like ولقد رجعت إلى قوم من أهل تلك اللغة فاتفقوا على أنها لا تستعمل إلا فى بدء الأغنيات . أما عن معناها بالضبط فلم أظفر منهم بتحديده ، ومرجع ذلك إلى أنها كلمة سماعية مبتدعة جرت فى الأغانى دون أى اشتقاق لغوى ... هذا وللأستاذ الفاضل شكرى على اهتمامه ودقته والسلام

الخفيف

جوائز وزارة المعارف لوضع كتاب فى تاريخ الأدب المصرى

من الفتح الاسلامى

رأى معالى وزير المعارف تمكيناً للدراسات المصرية وتشجيعاً للبحث الأدبى وضع مسابقة فى تاريخ الأدب العربى فى مصر من الفتح الاسلامى إلى الآن

ويتلخص موضوع هذه المسابقة فيما يأتى :

« للأدب العربى فى مصر طابع خاص اختلف فى العصور الأولى للفتح الاسلامى عنه فيما تلا ذلك من العصور وهو يتناول إنتاج الكتاب والشعراء الذين وفدوا من البلاد العربية والاسلامية إلى مصر وأقاموا بها كما يتناول إنتاج الكتاب والشعراء المصريين الصميمين

وقد تأثرت مصر بالطابع العربي فى أدبها فى حقب مختلفة ، وأثرت فى الأدب العربى بتفكيرها وثقافتها وبحكم البيئة المصرية فى حقب مختلفة أخرى

والذى تطلبه وزارة المعارف وضع رسالة فى نحو ٦٠٠ صفحة من القطع المتوسط حرف مطبعة بولاق بنط ١٥ تتناول تاريخ الأدب العربى فى مصر مقسما قسمين : أدب المصريين الصميمين ، وأدب غير المصريين ممن قاموا بمصر وأثروا فيها أو تأثروا بها ، مع إظهار صلة الأدب من إنتاج هؤلاء وأولئك بالحياة العامة اجتماعية وسياسية واقتصادية ، وإظهار الصورة التاريخية التى رسمها هذا الأدب المصرى فى عصوره المختلفة

أما الجوائز المقترحة فثلاث مجموعها ٥٠٠ جنيه توزع بين الفائزين حسب رأى لجنة التحكيم على أن تقدم الرسائل إلى الوزارة فى ميعاد لا يتجاوز آخر يناير سنة ١٩٣٩

عصر الفيلسوف ابن مسكويه

سيدى الأستاذ الفاضل محرر الرسالة

بعد التحية : ذكر حضرة الصديق الفاضل الأستاذ محمد حسن ظاظا فى العدد الماضى من الرسالة الغراء أن ابن مسكويه عاش فى العصر العباسي الثالث أى فى العصر الذى يمتاز بضعف الخلافة العباسية . ولعل حضرته يقصد العصر الرابع لأن ابن مسكويه عاش من سنة ٣٣٠ إلى سنة ٤٢١ . وهذه الحقبة من العمر تقع فى العصر الرابع لا الثالث

وقد ذكر حضرته أيضاً أن هـذا العصر يمتاز بتكوين المعاجم اللغوية ، وهذا الكلام القليل يحتاج إلى تفصيل ؛ فان علماء اللغة فى هذا العصر لم يبلغوا فى الكثرة والاحاطة ما بلغه علماء العصور التالية إلى القرن التاسع الهجرى

وأشهر لغويى العصر الرابع ابن دريد صاحب الجمهرة ، والأزهرى صاحب التهذيب ، والجوهرى صاحب الصحاح. أما علماء العصور التالية فأشهرهم ابن سيده صاحب المحكم وقد عاش فى القرن الخامس . والصاغانى صاحب مجمع البحرين ، وقد عاش فى القرن السابع . وابن الأثير صاحب النهاية ، وابن مكرم صاحب لسان العرب وقد عاشا فى القرن السابع أيضاً . والفيومى صاحب المصباح وقد عاش في القرن الثامن . والفيروزبادى صاحب القاموس وقد عاش فى القرن الثامن وأدرك طرفاً من التاسع

(المنصورة) محمد عبد الغنى حسن

ما نهم معرفته كل أديب عربى

تلوت فى جريدة المكشوف الأدبية كلمة تحت هذا العنوان منقولة عن حديث للأستاذ فؤاد أفرام البستاني ، وللأستاذ حفظه الله عندى مكانة متينة واعتقاد حسن بما يكتب ويقول ، لأنه لا يقول إلا بعد تثبت ، ولا يكتب إلا بعد دراسة وافرة . يعالج كل ذلك بصبر وجلد ونشاط . وقد وقع عندى موقع الغرابة رأى له فى المستشرقين لا أدرى كيف كونته له نفسه

يقول : « وإن أذكر شيئاً من هـذه المؤلفات المفيدة على ما فيها من خطأ وصـواب فلا بد من أن أنوه بمعلومات الأب — لامنس — وهى فى نظر كبار المشتغلين بالأدب العربى فى ذروة الأبحاث العلمية ... »

فالأب — لامنس — مستشرق كبير ولا سبيل إلى الشك فيه . ولكن هل كتب تاريخ العرب بالروح المجردة التى ينبغى أن يكتب بها ؟ (ولا سيما فى المسائل الاسلامية التى بالغ فى التعصب عليها ، مما جعل المؤرخين وعلى رأسهم المستشرقون يشكون فى أمانته العلمية ويتهمونه بركوب متن الشطط) . وهل يغنى فى الرجل سعة اطلاعه وقوة حجته عن الأمانة التى أفسدها ؟ (وهو الذى كان يسلب العرب الفضائل والصفات الخلقية الجليلة التى أجمع المستشرقون على نسبتهـا إليهم ، وكان فى خصومته هذه يعمد فى بعض الأحيان إلى السفسطة والمغالطة [1])

ومثل هذه المغالطات فى تفهم التاريخ ، أو قل فى تأويله بحسب النزعات الشخصية لا يغنى عنها ذكر كلمة — على ما فيها من خطأ وصواب — لأننـا نفهم من الخطإ والصواب شيئاً غير هذه المغالطات المبنية على حاجات هى فى نفس يعقوب . وإذا كانت هذه طريقة الأب — لامنس — فى كتابة التاريخ الاسلامى ، فهل يا ترى من المعقول أن تصبح آثاره في ذروة الأبحاث العلمية ، والأبحاث العلمية لا يجليها عادة إلا عقل متجرد عن كل هوى ، وروح طهرت نفسها من كل درن موروث

ويتم الأستاذ المحدث كلمته : « أما ما ينقل فى بعض الصحف العربية من ابحاث لغوستاف لوبون وسيديو وريتان ، يهول ناقلوها بنعوت المستشرقين يلصقونها بأولئك المؤلفين ، فلقد كان من الخير للاستشراق والناقلين وللصحف أن تدعها فى أماكنها من زوايا المكاتب . » وهذه كلمة ثانية كشفت عن السر الذى أملى الكلمة الأولى لأن التاريخ الذى كتبه هؤلاء المستشرقون هو تاريخ كأنما سطره الغرب للعرب . لأن هؤلاء استطاعوا أن يتجردوا من العوامل الموروثة والتقاليـد المذمومة ، فكتبوا كما أوحى إليهم ضميرهم ، ولم تعمهم محاسن النصرانية عن محاسن الاسلام ، ولم يطمس التعصب على قلوبهم شأن من طمس عليهم . ولا أدرى أكان هؤلاء ممن يسرون ما لا يعلنون ، أم كانوا يخادعون فيما يسطرون ؟ ولا أدرى أية حاجة تدفعنا الى إيثار المصادر التى تنهج نهج الطريقة الأولى فى الطعن على العرب والنيل منهم واعتبار هـذه الطريقة الطريقة العلمية الصحيحة ؟

أرجو من الأستاذ الكريم أن يفسر الأسباب التى دعته إلى إيثار هذا الرأى إذ ليس من الحق اعطاء نتيجة من غير أسباب . وأرجو أن يفيدنا عن قيمة النصوص التاريخية التى اعتمد عليها كل من أصحاب الطريقتين وعن العوامل التى جملته لا يزكى أصحاب الطريقة الثانية . حتى إذا كان فى رأيه ما يعتقد به العقل المجرد أودعنا ما عندنا من كتبهم فى زوايا المكاتب ، وإن أراد أطعمناها النار !

حقاً لقد تركنا المستشرقين فى حيرة من أمرهم، فهم إن كتبوا بما يلائم هوانا وعزنا قلنا عنهم : انهم يخادعون ويكذبون ؛ وإذا

(١) من فصل نشر فى مجلة المقتطف عن الاب — لامنس —

سطروا بما يجردنا من كل فضل وعزة رفعنا على فضلهم مناراً . وأقمنا لعلمهم علماً !

أما وقد كذبوا علينا مراراً فليخطئوا مرة واحدة

خليل هنداوي

نباتات الزينة العشبية

ظهر حديثاً في عالم المؤلفات الزراعية كتاب « نباتات الزينة العشبية » للأستاذ محمد كامل حجاج . والمؤلف هاو كبير ومحب عظيم للنباتات . وهو يكرس لها وقته وجهده وماله . وقد سلخ الشطر الأكبر من حياته في دراسة نباتات الزينة دراسة عملية مستفيضة يحدوه شغف عظيم بها وحب طبيعي لها حتى أصبح ثقة من ثقاتها القليلين في مصر

قدم للكتاب بمقدمة وجيزة ضمنها نبذة صغيرة عن تاريخ الحدائق بمصر ، وكذلك شيئاً عن المناخ والتربة وما ينجح من النباتات بمصر ومالا ينجح بها والظروف الملائمة لها ، ثم عن الأكثار والأسمدة مما لا غنى عنه لمبتدئ مسترشد

وبعد ذلك قسم النباتات إلى صيفية وشتوية وتكلم عن كل منها في ترتيب أبجدي شامل . ولم ينس في الآخر أن يخص تزيين الشرفات والموائد ببضع صفحات شائقة قيمة

ويمتاز الكتاب بشيئين بارزين :

أولهما : الايجاز التام في الشرح والأداء إيجازاً لا يخل عادته

ثانيهما : كثرة الصور الجميلة الواضحة مما يندر أن نصادف مثلها في مؤلفاتنا العربية

فالكتاب يصح أن يكون مرجعاً سهلا ثميناً للهاوي والمحترف . وأعتقد أنه سد ثغرة كبيرة كانت شاغرة في فلاحة الأزهار .

محمد بهجت



طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧

6 me Année, No . 255

Lundi - 23 - 5 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العــدد ٢٥٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٧ — ٢٣ مايو سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهــرس

جوائز وزارة المعارف

تشجيع التــأليف

أخذ صاحب المعالى الأديب الوزير هيكل باشا ينجز الملفوظ والملحوظ من وعوده . وكانت نفوس الأدباء ترقب هذا الإنجاز منذ قيل إن الأمر قد استوثق للحكومة أو كاد . ورأى الأستاذ الوزير أن يبدأ سياسة الإنعاش الأدبى بالجوائز ، لأنها لا تزال منذ كان الأدب أشد القوى المحركة له ، وأقوى العوامل المؤثرة فيه ؛ بلْهَ الامكان والسرعة ، لأن سَنَّها لا يحتاج إلى تصديق وزير المال ولا استشارة وزير العدل . ولكن الجوائز المالية لا تبلغ الغاية من وجودها إلا إذا قامت على فكرة صالحة وسارت على طريقة مؤدية . فهل الجوائز التى يقترحها وزير المعارف بنجوة عن مرامي الظنون ودواعى الفشل ؟

يقترح معالى الوزير جوائز وقتية عامة على وضع كتاب فى (تاريخ الأدب العربى بمصر من الفتح الإسلامى إلى الآن) ، وجوائز دائمة خاصة لتشجيع الإنتاج بين المدرسين بالمدارس الرسمية والحرة ؛ والفكرة التى أوحت إلى معالي الوزير هذين الاقتراحين

سليمة مستقيمة لا غبار عليها ولا جدال فيها . فإن الأدب المصرى لا يزال بجانب الأدب العراقى والأدب الأندلسى مطموس الأثر مجهول التأثير مشتت المادة ؛ فدراسته على الطريقة العلمية تثبيت لمعنى القومية فى نفوس النشء ، وكشف لناحية خصيبة من نواحى الأدب . وإن المدرسين كما قال قرار الوزير « هم فى جميع البلاد المتحضرة مصدر التجنيد العلمى والفكرى والعملى فى توجيه الحياة الاجتماعية إلى أحدث المبادئ وأدق الآراء العلمية والأدبية والفنية » فينبغى « حفزهم إلى البحث والتأليف فى موضوعات اختصاصهم ومايتصل به ، بما يؤدى إلى تقوية شخصيتهم العلمية وتكوين ذخيرة من الرسائل العلمية والأدبية تدعو إلى نشاط التفكير العام »

بقى أن ننظر فى الطريقة التى تريد الوزارة أن تسلكها إلى تحقيق هذه الفكرة . فهي ترى أن تصل إلى غايتها من طريق المسابقة والتحكيم ، وتنقسم فى ذلك الهيئات الأدبية الرسمية التى استشارتها إلى فريقين : فريق الجامعة ، ورأيه اختيار لجنة من الباحثين المعروفين تضع هـذا الكتاب المقترح فى سنة وأربعة أشهر ثم تعطى ألف جنيه مكافأة على وضعه ؛ وفريق دار العلوم وتفتيش اللغة العربية فى الوزارة ، ورأيه أن يترك وضع الكتاب إلى المسابقة الحرّة ، فإن فى ذلك حفزاً لهمم الشباب ، وتوخياً لمعنى العدل ، ومنعا (لاحتكار علمى) دلت السوابق على وقوعه بحكم العادة أو النفوذ أو المجاملة . وكلمة (الاحتكار) التى جرت على لسان دار العلوم تنم عن شىء من الحنق الدفين على اختيار اللجان الأدبية ، فقد أصبحت هـذه اللجان وقفاً على نفر من الأدباء لاتنظر الوزارة إلا إليهم ، ولا تعتمد فى أعمالها إلا عليهم . كأنهم طائفة المستوزرين لا تحل الأزمات إلا بهم ، ولا تؤلف الوزارات إلا منهم . ومرجع هذا الجمود إلى العادة الآلية التى تسير عليها السياسة والإدارة فى الحكومة

وفى رأينا أن إطلاق المشروع فى مسابقة أو تقييده فى لجنة لا يخلو من غميزة ، فإن الموضوع المقترح لا تجدى فيه المسابقة ولا تؤدي ، إذ الأدباء القادرون تعودوا ألا يدخلوا المسابقات تنزيهاً لكبريائهم الفنية عن حكم الأشباه ، وضنا بجهودهم المضنية على تحكيم المصادفة ، واكتفاء بما أخذوا به أنفسهم من الانتاج الذاتي المستمر . والجائزة بعـد ذلك كله ضئيلة لا تغرى إرادة الكاتب وإن ضمنتها قدرته . أما غير هؤلاء فسيعالجون الموضوع معالجة الدارس الناشىء ، يستزيد من دراسته ومعاناته علماً وفهماً لنفسه ، ولكن ما يكتبه فيـه قد يكون بعيداً عن قصد الوزير وخدمة الأدب وفائدة القارئ ، لما يعوزه من اللقانة الخاصة التى يكتسبها فقيه الموضوع بالمران والزمن . تلك حال المسابقة ؛ أما تأليف اللجنة فقـد يكون أوجه الرأيين لو جرى الأمر فيه على مقياس الكفايات لا على تمثيل الهيئات وتمييز المناصب . ومن قبلُ أراد صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد تأليف كتاب جامع فى تاريخ إسماعيل ، وكتاب ثبت فى تاريخ مصر ؛ فجاءه عن طريق المسابقة كتاب الأيوبى ، وعن طريق الاختيار كتاب هانوتو ؛ والفرق بين العملين هو الفرق بين السيرة والتاريخ ، وبين الحيرة والخبرة

ولكن أخوف الخوف — إذا غلب هذا الرأى — أن ينتهى الأمر إلى لجنة من اللجان الرسمية المحفوظة فلا نضمن التشجيع ولا الإجادة

ولعل أجدر الوسائل بالنظر أن تنشئ الوزارة هيئة أدبية دائمة تنتج وتقترح وتراقب ، ثم يوضع فى يديها ست جوائز مقدارها ثلاثة آلاف جنيه ، ويكون من عملها غربلة ماتخرج المطابع فى كل عام ، ثم توزيع هذه الجوائز على المجلين فى فنون الأدب المختلفة فى احتفال رسمى عام . ذلك أدنى إلى إنهاض الأدب وتجديده وتسديده . ولو أن مجمع اللغة العربية أُنف على غير الأسلوب الذى تؤلف به اللجان الرسمية لكان خليقاً بهذا الأمر ، ولكن ...وهيهات أن تبرأ أقوالنا وأعمالنا من لكن !!

الاصلاح المنشىء والاصلاح الآلى

للأستاذ عباس محمود العقاد

الإصلاح إصلاحان: منشئ تسيطر به الإرادة على العوامل الخارجية، وآلى بعيد من هذه السيطرة لأنه يبدأ بالتسليم وينتهى بالتسليم، وينقاد للعوامل الخارجية فى الأساس والجوهر، ولا يجترئ على مخالفتها وتعديلها إلا فيما هو عرض من الأعراض

الإصلاح فى الحالة الأولى هو مسألة حية أو مسألة نفسية، والاصلاح فى الحالة الثانية هو مسألة عدد أو مسألة تطبيق حسابى قلما تشترك فيها الارادة الإنسانية إلا بالمقدار الضرورى الذى لا يمكن منعه، لأن تجريد الأعمال الانسانية من إرادة وشعور كل التجريد أمر لا يستطيعه الانسان، إذ هو مستحيل

مثال ذلك فندق فى مدينة يراد إصلاحه واستحداث نظام غير نظامه

فعلى قواعد «الاصلاح الآلى» كل ما يفكر فيه المصلحون أن يعرفوا أن أثاثه قديم فهو محتاج إلى التغيير، وتلك معرفة لا تفتقر إلى ابتكار عظيم

وأن يعرفوا أن عدد النازلين به يزداد فهو محتاج إلى بناء جديد فيه كذا من الجوانب وكذا من الحجرات، وتلك معرفة أرقام وتطبيق حساب

وأن يعرفوا أن الخدم مقصرون أو قليلون، ومن السهل أن يصل الانسان إلى هذه المعرفة بغير قدرة على الانشاء والاختراع

أما الاصلاح على قواعد الانشاء والاختراع فهو يتناول فن البناء وموقع الفندق وموافقة الاضاءة والتهوية لأحدث الكشوف العلمية، ودراسة النفوس وما تهواه من منظر ورياضة وطعام وأساليب فى الخدمة، وإقداماً على سبق جميع الفنادق الأخرى فى الرغبات والمحسنات، وتفكيراً فى ترجيح المدينة كلها على المدن المرتادة للسياحة والتفرج والاستشفاء، لا يقتصر على انتظار السائحين والمتفرجين والمستشفين حتى يصلوا بحكم العادة إلى المدينة، فيجدوا الفندق الذى لابد أن يجدوه

كل إصلاحنا نحن يكاد ينحصر فى القواعد الآلية، ولا يجترئ على جانب الابتكار والاقتحام إلا من بعيد، وبعد فوات الأوان.

وقد ألقيت من يدى كتاب «على هامش السياسة» لمؤلفه صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا وأنا أضيف مثلاً جديداً على الأمثلة العديدة التى ترجح ما أقول

قرأت فيما قرأت من هذا الكتاب فصل التعليم الجامعى فاذا بالاصلاح المنشود ينحصر:

«أولاً» فى أن يجد جميع من أتم سلسلة من حلقة هذه الدراسة المكان الذى يطلبونه فى السلسلة التالية، بمعنى أنه يجب أن توجد محال كافية فى المدارس الثانوية لمن ينتهى بنجاح من الدراسة الابتدائية، وأن يجد من ينتهون بنجاح من الدراسة الثانوية الأمكنة اللازمة لهم فى المدارس العالية مندمجة فى الجامعة أو منفصلة عنها الخ الخ»

و «ثانياً» فى إيجاد التناسق المرغوب فيه بين أجزاء التعليم فلا تنشئ مدرسة ابتدائية أو ثانوية من الآن إلا بعد أن تنشئ عدداً من المدارس العالية الخ

و «ثالثاً» يجب أن يراعى فى هذا التعليم بجميع أجزائه ألا يزيد عدد الفرقة عن الحد المعقول الذى يسمح للمدرس بمراقبة سير تلاميذه، والذى يمكنه من متابعة الإشراف عليهم وتعهدهم وإدراكه مواطن الضعف والقوة فى كل منهم

و «رابعاً» ألا يزعج التلاميذ والمدرسون بنقلهم من بلاد إلى أخرى لتمضية الامتحان فى حرارة الصيف المحرقة حيث يحشرون فى أماكن تقام للضرورة تحت الخيام الخ

وقس على ما تقدم سائر الاصلاحات المنشودة فى نظام التعليم الجامعى وماير تقى إليه من تعليم المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية

أى انه إصلاح «ضابط» أو رئيس ضباط فى مدرسة واحدة أو مجموع مدارس مختلفة، وليس باصلاح سياسى يضع البرامج وينشئ العقول والنفوس

انتقل من مشكلة التعليم الجامعى والتعليم كافة فى نظر سياسى مصرى إلى هذه المشكلة بعينها فى أنظار الساسة الأوربيين،

واجتهد أن تقيس المسافة الشاسعة التى تفرق بين النظرتين

مشكلة التعليم فى الغرب هى : هل يتعلم الشاب على أساس الحرية الفردية ، أو على أساس غلبة الدولة وانغماس الفرد فى الأمة أو فى الهيئة الحاكمة ؟ فاذا تعلم على أساس الحرية الفردية فالنتيجة تشمل كل نظام فى الأمة من حقوق دستورية، وحقوق اجتماعية وطموح إلى النقد ، وقدرة على المخالفة ، وإيمان بالتقدم والفكر الانسانى والمناقشة العقلية

وإذا تعلم على أساس غلبة الدولة ، فالفضيلة الكبرى هى الطاعة والإذعان والإيمان بعصمة القادة ، وأن التقدم الإنسانى وهم من الأوهام ، وأن القوة هى السلطان الأعلى فى الزمن القديم وفى الزمن الحديث ، وأن التواريخ والآداب لا ينبغى أن تفهم ولا أن تدرس إلا على هذا الاعتبار

مشكلة التعليم فى الغرب هى : هل يتعلم الشاب على دين العصبية الوطنية والغلو فى تمجيد الذات وتغليب الوطن على جميع الأوطان ، أو يتعلم الشاب على دين المعاونة الانسانية والعقائد التى تمثلها عصبة الأمم ويبشر بها دعاة الوحدة العالمية

مشكلة التعليم فى الغرب هى : هل يتعلم الشاب على اعتقاد أن الآداب والفنون والأديان هى ترجمان طبقة واحدة أو سلاح طبقة واحدة فى حرب الطبقات ، أو يتعلم الشاب على اعتقاد أن الآداب والفنون والأديان هى ثروة بنى الانسان جميعاً من قديم الزمان ، وستظل ثروتهم جميعاً إلى آخر الزمان

تلك هى مشاكل التعليم الحقيقية أو هى بعض مشاكله الكثيرة فى العهد الحاضر ، وليست هى عدد الفصول وعدد المدارس والمدرسين وأماكن الامتحان

ومشكلة الامتحان عندهم ليست هى الخيام التى تقام أو لا تقام ، وإنما هى البحث فى الوسيلة الصحيحة لاختبار الملكات الذهنية والنفسية : هل هى بالسؤال والجواب ، أو هى بالملاحظة الطويلة فى أثناء العمل ، أو هى بالاختبارات « الإيحائية غير المباشرة » التى تكشف القوى الكامنة دون سؤال صريح فى ظاهر الموضوع

وقبل أن يصلوا إلى مشكلة الامتحان تقوم مشكلة أخرى وهى مشكلة المواد التى يجري فيها الامتحان وتقسيم الدارسين على حسب تقسيم الدروس

فهل العقول الانسانية لا تنقسم إلا إلى عقل عالم وعقل أديب ! أو هناك أقسام شتى يدخل فيها العقل الفنان ، والعقل الصانع ، والعقل الادارى ، والعقل المشارك فى المداورات الاجتماعية الذى يربح بحسن الدخول بين الناس مالا يربحه أعلم العلماء ولا أبرع الأدباء بالنجاح فى ميادين العلوم والآداب ؟

وهل حتم على العقول الانسانية جميعاً أن تتذوق الرياضة والجغرافيا والكيمياء وإلا كانت ناقصة معيبة ، أو هناك عوالم للتفكير والشعور وراء الرياضة والجغرافيا والكيمياء ، وهناك عقول تصلح لهذه العوالم وان كانت لا تصلح لما عهدناه من برامج الدروس

تلك أيضاً بعض مشاكل التعليم التى تدخل فى نطاق من يصلحون البرامج وينشئون الأفكار ، ولكنها لا تدخل فى وظيفة الضابط أو كبير الضباط

أذكر أن إصلاح التعليم العالي عرض للبحث منذ سنتين ، فكان بعض المصلحين « على الترتيب والتعقيب وخط المسطرة والبركار » يقولون إننا نبدأ بالتعليم الابتدائى حتى نعرف ما نحتاج إليه فى المدارس العالية ، كأنما المسألة مسألة بيت يبنى الدور الأرضى منه قبل أن تبنى الأدوار العليا ، أو كأنما المسألة مسألة طريق لا تصل إلى الميل الثانى منه قبل أن تجتاز الميل الأول ، أو كأنما هي أعمار لا تكون فى الثلاثين إلا بعد أن تكون فى العشرين ، وهى ليست بهذه ولا هذه ولا تلك ، وإنما هى مسألة غاية ترتب عليها البداية ونعرفها قبل أن نخطو خطوة واحدة فى طريقك إليها ؛ ومن ثم وجب أن تبدأ بالتعليم العالى ثم تعلم التلاميذ فى المدارس الابتدائية وفى المدارس الثانوية ليستعدوا له وينتهوا إليه ؛ ولا ضرورة على الاطلاق لانتظار السنة الأولى الابتدائية وأنت تفكر فى تقرير المناهج الجامعية ، وإنما هى ضرورة وهمية عند من يمشون على المسطرة ولا يخرجون على الترتيب المرسوم!

* * *

علينا أن نصلح المصلحين ونداوى أطباءنا وليس هذا بميسور أو علينا أن نكسر المسطرة القديمة ونترقب نوازع الاقتحام فى الجيل الجديد وان طاشت فى بداية اقتحامها ، وذلك أيسر الأمرين .

عباس محمود العقاد

المذهب الرمزى

أهو نزعة سليمة فى التفكير ؟

للأستاذ عبد العزيز عزت

يَعْزُو المذهب الرمزى اسمَه الفرنسى Symbolisme إلى موریاس فى نشرة طبعها عام ١٨٨٦[(١)] وفى أحد أعداد جريدة هذا المذهب عند أوائل ظهورها، واسمها «الرامز» Symbobste — بطبيعة الحال — يجد القارئ مكتوباً فيها — بحبر ! ! — ما ترجمته : «الشيء الموجود ما هو إلا مظهر ، مظهر خدّاع ، لأنه يكفى أن تتغير حالتى النفسية حتى يتغير وجوده » — هكذا ! — ويقول العلامة مارتينو مدير جامعة بواتييه فى كتابه وعنوانه « المذهب البرنامى والرمزى » ما نصه : « إننا نجد عند فرلين ، وعند ملارميه ، وعند رامبو وكثير من الرمزيين ، أن الشيء الواقع ومثوله ، حاضراً كان أم ماضياً ، لا قيمة له مطلقاً »

ولكن إذا كان المذهب الرمزى يبلغ من العجز أن يتعامى وينكر وجود الأشياء الواقعة ، ويجعلها إضافية إلى عوارض النفس وانفعالاتها ، فماذا يستعيض بها يا ترى ؟ ؟ يجيب مدير الجامعة السابق فى نفس الكتاب صفحة ١٤٠ بقوله : « إن عباقرة هذا المذهب يحلون هواجس النفس وشؤم التصور وإبهام الطلامس وضعف الإقدام ، فى مكان الرأى الواضح »

وعليه ؛ فالمذهب الرمزى فى الأدب وفى غير الأدب من فن ودين ، هو نوع من الغمز واللمز فى التفكير ، لا يستقيم له عود ولا تمتد له ظلال . ذلك لأنه مبدأ بنى على الالتواء والغموض الفكرى ، تنعدم فيه الصراحة ، ويفسد فيه الوضوح ، ويختل فيه ثبات الآراء بالمعنى الأفلاطونى . ولما كانت الصراحة والوضوح هما أساسى الحقائق الفكرية الثابتة التى بدونهما لا يستقيم للعقل منطق ، ولا للشعور انسجام ، كما يؤكد هذا ديكارت فى كتابه المعنون « مقال عن المنهج » فى إحدى قواعده الأربع العقلية ؛ ولما كانت الحقيقة والفضيلة متكافئتين متعادلتين فى فلسفة ديكارت ، فقد أضحى هذا المذهب يتناقض وأول أصول العلم الحديث ، ويتعارض وبديهيات مبادئ الأخلاق ، هذا من الوجهة النفسية

والرأى صحيح إذا نظرنا إلى المسألة من وجهة تطور التفكير الانساني ، على صفحة الزمان ، وتسلسل المعارف البشرية وتعاقب الملكات النفسية التى عملت على خلق التراث البشرى فى التاريخ . هذا التطور يؤكد لنا منطقاً لا يحيد مجراه ، فلا تختل له حقبة من الزمن ولا « ينفك له تماسك فى دورته » ، قد عبر عنه أبو التفكير الانسانى الحاضر القائم فى العلوم والآداب (أوجست كنت) فى كتبه المتعددة ، وخاصة فى كتابيه « الفلسفة الوضعية » و « التفكير الوضعى » (وهو يلخص كل فلسفته) ، فهو يثبت أن الانسانية تطورت فى ثلاث حالات : الحالة الأولى وتسمى حالة «التصوف» أو « الدين » ، والحالة الثانية « التجريد العقلى » التى تتمثل فى الحضارة اليونانية القديمة وعلى الخصوص فى فلسفة أرسطو العظيم ، والحالة الثالثة تسمى بالحالة «الوضعية» التى تحتل حالة العلم فى زماننا هذا أى عهد التجربة الذى يقوم على ملاحظة مظاهر الطبيعة ومظاهر النفس لتحديد «علاقاتها» وصوغها فى قوانين خاصة ، أو لا تؤدى حتما إلى قوانين عامة بها ، ولكن للانسان أن يستغلها عملياً ويتنبأ بما سيؤدى إليه نشاطها فى المستقبل القريب والبعيد [(١)]

والذى يهمنا من هذه الحالات الثلاث ، هى الحالة الأولى لما بينها وبين المذهب الرمزى من التشابه . فأوجست كونت يعرفها قائلاً : « إنها تمثل مظاهر الوجود ، كاحساسات نتخيلها . فهى بهذا الاعتبار فى مقدور تصورنا ، تتوقف على إدراكنا لها بالبصيرة » : أى إن الأشياء على اختلافها لا قيمة لوجودها الذاتى ، ولكن بالنسبة إلى حالة النفس وأهوائها فى مناسباتها المختلفة . ويقول إنها حالة نفسية تسود عند الزنوج والقبائل المتوحشة لعجزهم عن فهم الظاهر الخارجية ، ولقصر أفهامهم عن إدراك المعانى النفسية المجردة ؛ لهذا يستعيضون عن ذلك برموز يقدسونها لمدلولاتها ، وبحركات وطقوس يرددونها فى مناسبات معينة ، ظناً منهم أنها تفى بما يرتسم لها من عقيدة فى أذهانهم ، وبعناصر الطبيعة يفرضون عليها

(١) إقرأ مكسيم فرمون فى كتابه « الرمزيون » صفحة ٢٢

(١) اقرأ أيضاً مقدمة « علم الطب التجريبى » لكلود برنار)

الحياة ، ثم يؤلهونها باعتبارها قطب الاتصال الروحانى بنفوسهم الحائرة !

كذلك المذهب الرمزي يمثل نوعاً من الدخول إلى النفس والتغلغل فيها ، ونوعاً من الحرية الجامحة فى إمكان التصوير والتعبير لمظاهرها التى لا تستقر على قرار . لهذا كان « الرامز » لا يخرج إلى الناس فى وضوح العقل وانسجام المنطق ، فهو أضعف من أن يرتفع إلى هذا المستوى الانسانى وكان لا يتبادل الخير وفضل المعاملة الفكرية مع بنى الانسان فى المجتمعات البشرية ؛ وكان لغموض إحساساته الانسانية وتضارب نزعاته لا يقبل على تفهم أمر الوجود العالمى ماديا كان أم تاريخياً وإنما كان يمثل حالة نفسية هى أقرب إلى المرض منها إلى شىء آخر ، يسودها محض الخيال والوهم والأنانية الفردية بعينها ، لأن العالم فى كل نواحيه وفى كل مدلولاته الصحيحة ، وكذلك التراث الانسانى الذى اتفق على استقامته العلماء والحكماء منذ العهود الأولى يصبح باطلا ؛ ويجب أن تبتدئ الخليقة دورتها من جديد ، وأن تتخذ فى ذلك من « هواجس » هذا الرامز أسسها الأولى . وليس بعد ذلك من دليل على الخروج على إجماع السلف والخلف وقلب الحقائق والوجود فى كل شىء؛ فالتاريخ يكذب ، والمنطق يحتضر ، والاجماع ينكر ... وإنها لنزعة تذهب بالانسانية إلى عهد تهيم فيه على وجهها فى الأرض ، فلا تخرج عن حد الفطرة والعراء !

وثالثاً — فان الرأى صحيح كذلك من الوجهة الاجتماعية ، لأن العلم فى نظر أبى الاجتماع الحديث (دركيم) هو التعاون المشترك بين العلماء . ونشوء المدارس الفكرية ، التى تبنى إقامة قوانين ثابتة لمظاهر الوجود فى كل شىء ترتكز على نظريات يدعمها البحث والاستقصاء . وهو أيضاً إشراك الناس فى مفهوم الحقائق المكتشفة ، ورفع الغموض والالتباس عن أفهامهم ليقروا فى إجماع الحقائق واضحة . فالعلم إذاً مظهر من مظاهر الاجتماع البشرى مهمته خلق التماسك الفكرى فى عقلية الفرد عن طريق الوضوح ، وخلق نفس هذا التماسك فى عقلية الأفراد عن طريق ثبات الآراء والنظريات ، لأنه كلما رفع الجهل والغموض والابهام عن عقول الناس زاد « الوفاق » فيما بينهم ، لاتحادهم فى نفس وجهات النظر والتفكير

وأكبر دليل على صحة ما نقول هو أنه عندما ساد مذهب السوفسطائية فى المجتمع اليونانى القديم الذى يرتكز على مبدأ « الشك » ومرض « الحيرة » الفكرية ، لأنهم كانوا يبشرون بنظريات يصح أن يلقنوا الشبيبة نقيضها فى الغد ، فالعلم فى نظرهم هو علم « الفرد » وعلم « المناسبات » ، وعلم الفصاحة والثرثرة والرغاء ، لهذا ساد الفهم « النسبى » للحقائق فى ذلك الزمان ، وأدى المنطق الفاسد إلى سوء الأخلاق لعجزهم عن تصور علم واحد ذى منهج واحد يوجد بين الناس ويوجه أفكارهم إلى الغايات المتحدة فى الفهم ، فلزم للقضاء على السوفسطائية قيام ثلاث ثورات لتنظيف المجتمع اليونانى من أدران أفكارهم : الأولى ثورة سقراط فى الأخلاق ، والثانية ثورة أفلاطون فى الطبيعة ، والثالثة ثورة أرسطو فى المنطق . والمذهب الرمزى كالسفسطة ينعدم فيه الفهم الاجتماعى ، لأنه يرجع الحقائق إلى محض « الفرد » أى هواجس نفس الرامز وتصوراته الملتوية وغموض إحساساته التى تخرج عن أساليب النطق ، وتتناقض وعرف المجتمعات البشرية . لهذا كان هو مذهباً أنانياً أشد خطراً من الشيوعية بل ومن الفوضوية ؛ لأن هذه المذاهب على ما بها من قبح دنىء تبنى فى النهاية نوعاً من الخير للمجموع فى نظامها الخاص المبتور

ويؤيدنا فى رأينا هذا مدير جامعة بواتييه السابق الذكر ، فى كتابه صفحة ١٤٢ إذ يقول : « المذهب الرمزى مذهب ثورى يركن إليه الشبان باسم التجديد لهدم النظام السياسى والاجتماعى والعقلى والفنى الذى قد ورثوه عن سلفهم الصالح فى بلادهم . ولهذا يجب أن يتخذ القائمون بالأمر فيها الحذر من مثل هذه النزعات الطائشة والصرخات الجامحة ، التى تبنى قلب نظم المجتمعات الهادئة التى تساير التطور العام لدورة النشاط المتزن فى سائر أمم العالم »

« ويقول هذا العلامة كذلك فى صفحات ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ من نفس الكتاب : إنه بالرغم من قيام مبادئ الحرية التامة فى التعبير عن الآراء فى بلد كفرنسا ، وبالرغم من أن هذا البلد يعيش خاضعاً لمبادئ الثورة الفرنسية التى يدين بها نظام الحكم الجمهورى فيها ، فإن المذهب الرمزى عند ما ابتدأ ظهوره

وأخذت « أبواقه » ترتب الدعاية والنشر له ، قامت قائمة الناس فى فرنسا وسموه « النزعة الجنونية » لما يتضمنه من القضاء على الروح الاجتماعية والتضامن بين أهل البلد الواحد . ولهذا أجمعت الناس فى فرنسا على جوحه وشره الفتاك ، وقاوموه بكل ما عندهم من قوة ، وأمكنهم — كما يذكر العلامة المدير — أن يقضوا عليه فى عشرة أو خمسة عشر عاماً من ولادته ، ودفنوه « غير مأسوف عليه »

وأقول بعد ذلك : إن مذهب « الرمزية » من أصول الكثلكة (١) . فهى تذهب إلى نوع من التصوف يغمض كثيراً على عقول تابعيها . لهذا تعمد لتقريبه إلى أفهامهم إلى رموز خارجية محسوسة ، كل منها له معنى بعيد يكفل لهم نوعاً من الترجيح فى التصور . وهى فى هذا تسير على الخصوص مع تعاليم القديس أوغسطين الذى كان يعتقد أن ليس هناك دين صحيح أو باطل ، إلا وله ولتابعيه اتفاق محدود على رموز معينة لها مدلولات خاصة تنحصر فيها أفهامهم . وهذا ما دعا بعض الناس الى اتهام الكاثوليكية بالوثنية ، وعلى الخصوص عند ما صرح رؤساؤها بأن المذهب الغالب فى تعاليم الكنيسة هو مذهب القديس توماس ؛ لأن هذا الحبر الكبير كان يخضع فى تعاليمه إلى فلسفة أرسطو . والكل يعرف أن هذه فلسفة أرسطو هى فلسفة الصنم ، لأن أساسها كأساس سائر الفلسفات القديمة . وكذلك فلسفة ديكارت فى العهد الحديث هى علم الألهيات ، وهذا العلم تنحصر ابحاثه فى تحديد طبيعة العناصر الأولية التى بها يجب أن يتحقق الشكل الكامل فى الهيولا العارية فيبدو ناصعاً كحقيقة وكغرض . وصحة قولنا هذا تؤيده نظرية تقسيم العلوم فى هذه الفلسفات ، وما كتبه على الخصوص العلامة المشهور رافينسون وهاملان عن أرسطو .

عبد العزيز عزت

عضو بعثة الجامعة المصرية لدكتوراه الدولة

---

(١) إقرأ كتاب القسيس جيرودوت وعنوانه « شرح المذهب الكاثوليكى » طبعة « بلون » صفحات ٣٢٨ ، ٣٨٢ ، ٣٢٠ . وأيضاً « قاموس الرمز » لقساوسة البندكتين للقديس لويس

من برجنا العاجى

ينبغى أن نحترم أولئك الذين يحترمون الفكر . رأيت هذا الأسبوع واحداً من هؤلاء : هو طبيب فاضل ، طلبنى فى منزلى بالتليفون مرات ، ثم زارنى فى مكتبى مرتين دون أن يظفر بلقائى . ولم ييأس ، فحضر الثالثة فوجدنى ، وأخبرنى أنه يحتفظ بكل كتبى إلا كتاباً واحداً ، بحث عنه كثيراً فلم يجده . وهو يدفع فيه الآن أبهظ ثمن حتى لا تنقص مجموعته المجلدة أفخر تجليد . فلم يؤثر فى نفسى أيضاً هذا الكلام ، وأحلته فى اختصار إلى مكتبة باعته النسخة بضعف ثمنها . وإذا بخطاب شكر واعتراف بالجميل يصل الى من هذا الرجل فى اليوم التالى . شكر على ماذا ؟ لست أدرى . ولكنى تأملت قليلا فخجلت . إن هذا الرجل يحترم الفكر فى ذاته وينفق فى سبيله الجهد والمال . إن هذا الرجل يشكرنى وقد دفع ثمن النسخة بينما أرانى قد أهديت كتبنى تورطاً أو حمقاً الى أناس لم يعنوا حتى بارسال بطاقة شكر . وتذكرت أولئك الذين لا يفعلون شيئاً إلا أن ينتظروا أن نهدى اليهم كتبنا ليقرأوها متفضلين ، أولا يقرأوها مهملين . مثل هؤلاء ينبغى أن نحتقرهم مهما كانت مكانتهم . إن الفكر ما ارتفع قدره يوما إلا على أيدى رجال من طراز ذلك الطبيب الفاضل . وما صغر شأنه إلا على أيدى هذه المخلوقات التى تبذل مالها فى كل شىء إلا فى كتاب !

ولقد سرت عدوى هذا « التسول » الأدبى إلى الهيئات العلمية والثقافية . فقد جاءنى كذلك هذا الأسبوع خطاب من دار الكتب الحكومية تطلب نسخاً من كتابى الجديد هدية أو « صدقة » ! وقد علمت أن الدار لها « مال » مخصص لاقتناء الكتب . ولكن ما ذا نقول فى زمن هانت فيه قيمة الفكر حتى بين الهيئات العلمية الرسمية ؟ إلا فليعلم الناس منذ اليوم أنى سأبطل عادة « الهدايا » ابتداء من كتابى القادم ، وأني لن أقدم جهدى إلا لقرائى المخلصين الذين يقدمون إلىّ جهدهم وعنايتهم ومالهم . أما الآخرون فلن أعترف لهم بوجود . وإنى منذ اليوم لن أحترم إلا من يحترم فكرى ويسعى إليه ويبذل فيه ما يستطيع

توفيق الحكيم

قاسم أمين

هل كان كردياً ؟

لأستاذ جليل

قرأت فى (الرسالة) الغراء قصيدة (الأستاذ على الجارم بك) فى (ذكرى قاسم أمين) العالم الفقيه المشهور ، فلما جئت إلى هذا البيت :

يا فتى الكرد ، كم بزت رجالا من صميم الحى ومن أعرابه[١]

استعجبت من القول ومن القائل . والأمر حقيق (والله) بالاستعجاب والاستغراب ؛ فانى أعرف المعرفة البلينة أن (قاسماً) كان عربياً مصرياً ، ولم يكن كردياً ولا أرمنياً ، وقد ولد فى مصر فى القاهرة ، وتثقف فيها ، وعمل لسلطانها ، فكان قاضياً يحكم بين الناس بالعدل ، وكان خدين إمام المسلمين كلهم أجمعين وسيد العرب المصريين فى زمانه الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) وحميم تلميذه نبي الوطنية العربية المصرية (سعد) العظيم . وكتب بالعربى كتباً ، ولم يكتب بالكردى سطرا ؛ ولن يضيره عند الله ولن يضع منه عند العقلاء أن القوم لم يعقلوا مقاصده فضلوا ولم يهتدوا . وذهبنا[٢] نردّد صباح مساء قول أستاذ الدنيا جار الله[٣] «استعذ بالله من شر ما أنت راء ، فان الدنيا كل يوم إلى وراء» وأبصر بحرُ الاسكندرية فى صَيفه فى سِيفه[٤] مشاهد لم يبرح من أجلها ملتجًا مصطخب الوج مزمجراً يوشك أن يعيدها نوحيّة ... وها قد أقبل الصيف وبدت هناك جنادعه[١] ...

وربما أراد الأستاذ الجارم أن يقول : (يا فتى أصله من الكرد) فلم ينجده الوزن الموروث هو وأخته القافية المتقفاة منذ أكثر من (١٤٠٠) سنة . فهو يعنى — إن أراد ذاك القول — أصل الرجل لا الرجل

وهذا القول مفنَّدٌ قائله مدفَّع فالمرء بفضله وفصله[٢] ، لا بزخرفه وأصله . والأمة إنما هى بلغتها وأدبها وعقيدتها ومصلحتها . وقد قال أحمد بن الحسين الهمذانى صاحب الرسائل والمقامات: «المرء من حيث يوجد، لا من حيث يولد . والانسان من حيث يثبت . لا من حيث ينبت » وقاسم قد وُجد وولد فى مصر ، وثبت ونبت فى مصر . وإنا إذا فتحنا هذا الباب وأنشأنا نقول : يافتى الأكراد ، ويافتى الأتراك ، ويافتى الأعراب ، ويافتى الاغريق ، ويا فتى الشركس ، ويا فتى الألبان ، ويا فتى الفرس ، ويا فتى الهند ، ويا فتى الصومال ، ويا فتى المغرب ، ويا فتى الشام ، فقد تشظت الأمة (العربية المصرية) — يا أخا العرب — وهفت هُفُوًّا[٣]

وإذا أحب الناس أن يفتشوا عناصرهم ، ويفحصوا مستقصين عن جراثيمهم صاروا إلى المقالة العربية المشهورة التى لخصها ابن خلدون وأوضحها الأئمة دروين والأستاذ (أرنست هيكل) وهكلسى وبخنر وغيرهم وفصلوها تفصيلا . وهذا تلخيص المقالة :

« أنظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج . آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش ومالا بذر له . وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط . ومعنى الاتصال فى هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد الغريب

---

(١) وردت (بزت) فى البيت بالزاى . وبزه يبزه بزا غلبه وغصبه ، وبذ — بالذال — القوم يبذهم بذا سبقهم وغلبهم ، والعرب تقول : بذ فلان فلاناً إذا ما علاه وفاقه فى حسن أو عمل كائناً ما كان كما قال (اللسان)

(٢) ذهب يفعل بمنزلة طفق يفعل وليس ثم ذهاب (الزمخشرى)

(٣) صاحب الكشاف والأساس والفائق

(٤) نزلوا بالسيف : بالساحل ، وهم أهل أسياف وأرياف ، وحكى الفارسى : أساف القوم : أتوا السيف (الأساس ، اللسان

وقد زين لى ذات يوم شيطان من الانس أن أذهب إلى ذاك السيف والمصيفون والمصيفات مسيفون ومسيفات فذهبت ، ولما شاهدت ما شاهدت هربت وأنا أقول : ياله من مشهد ! اللهم اشهد ...

(١) يقال : رأيت جنادع الشر أى أوائله (اللسان) وفى (مجمع الأمثال) بدت جنادعه : يضرب مثلا لما يبدو من أوائل الشر

(٢) لا أصل له ولا فصل أى لا نسب له ولا لسان (الأساس)

(٣) هفا الشىء فى الهواء إذا ذهب ، وهفت الصوفة فى الهواء تهفو هفواً وهفواً (الفائق ، اللسان)

لأن يصير أفق الذى بعده ، واتسع عالم الحيوان ، وتمددت أنواعه وانتهى فى تدريج التكوين إلى الانسان »

وقد سمعت العلامة الأستاذ الكبير السيد عبد العزيز الثمالبي أيده الله وقواه يقول في أحد مجالسه فى الاسكندرية :

« إن الناسخين حذفوا عبارة مهمة من قول ابن خلدون مستحين منها »

« والله لا يستحى من الحق » وهل فى الدين والعلم حياء يا أبناء ... يا عترة الفلْحس واخوة الرُّباح [1]

والأمة الفرنسية — وما غيرها إلا مثلها — ملفقة مؤلفة (كما ذكر كاتب فى مبحث فى مجلة أسبوعية قبل الحرب الملعونة — من ثلاثة وعشرين جنساً ، منها العربى . وكل واحد من القوم يقول اليوم منتفخاً : أنا فرنسى ، أنا فرنسى . أنا ابن الغول (Gaulois) . وقد يكون (المقيم) فى تونس ووالى الجزائر والضيزن [2] الفرنسى فى المغرب الأقصى (مَرّاكُش) المنكمشون [3] الجادون فى تثبيت دين محمد ... وإرساخ اللسان المبين ... فى الأقاليم المغربية — من قحطان . وقد يكون ظهراء (الظهير البربري) من قريش الظواهر أو من قريش البطاح [4] فهل نقول لهم : يا سلالة عدنان ، ويا فتيات قحطان ...

وبعد فالقصيدة علَوّية جارمية ، وعربية عُلْوية [5] والأستاذ الجارم أديب كبير ، و (عربى مصرى) كريم ، وما ظلم على قومه العرب المصريين، ولكن القافية — والقصيدة على الباء — كانت من الظالمين ...

الاسكندرية

***

(١) (الفلحس) : الكلب ويوصف به الحريص . (الرباح) : القرد وهو بضم الراء وتثقيل الباء وتخفيفها . وقد حملتنا نفرة الناس من أسماء ذوى القربى على استعمال لفظين غريبين لهذين القريبين ...

(١) يقال : جعلت فلاناً ضيزناً لفلان وهو أن ترسل بنداراً — حافظاً — ثم ضاغطاً عليه ، وهو الآخذ على يديه دون ما يريده (الفائق)

(٢) انكمش فى سعيه وتكمش : أسرع (الأساس)

(٣) قريش الظواهر الذين نزلوا بظهور جبال مكة ، وقريش البطاح هم الذين نزلوا بطاح مكة : الشعب : بين أخشبيها : جبليها (اللسان)

(٤) غنى النعمان بشيء من دالية النابغة فقال : هذا شعر علوى أى عالى أى عالى الطبقة ، وقيل من عليا نجد (الأساس)

فلسفة التربية

تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٧ —

« يجب أن يكون « الربح » آخر ما يفكر فيه أصحاب المدارس الحرة ! ! »

« أترى تلك مدارس للتربية والتعليم . أم هى مزيج من الفوضى والاضطراب ، والغش والخداع ، والحشو التافه والاعداد السقيم ؟ ؟ »

٧ — مثال سيء للتعليم الحر

أشرت من قبل إلى بعض نواحى النقص فى « التعليم الحر » ووعدت القراء بكشف ما أعلم من أسرار هذا التعليم فيما بعد ، وأنجز اليوم وعدي فى حدود تجربتي الماضية القاسية التى كنت فيها ناظراً لإحدى مدارس جمعية تعمل فيما تدعى للخير و كرم الأخلاق ! !

١ — وظيفة التعليم الحر

وأحسبك تدرى — قبل أن أتكلم — أهمية التعليم الحر فى بلد لا تستطيع معاهد حكومته أن تتسع لأكثر من نصف النشئ الراغب فى التربية والتعليم : بل أحسب أنك ترى معى أنه ما دام الأمر كذلك فيجب ألا تقل مدارس ذلك التعليم عن مدارس الحكومة ولاسيما فى الغاية النزيهة، والنظام المأمون، والكفاءة المنشودة . ولكن الأمر ياعزيزى كان وما زال على غير ما يجب أن يكون ! أو قل إنه ما يزال مضطرباً فى الكثير من هاتيك المدارس التى لم يؤسسها أصحابها إلا لتكون لهم تجارة رابحة قبل أن تكون للوطن حصناً وللتربية موئلا [1] . وهأنذا أخوض بك فى مثال سيء لهذه المدارس مؤكداً أن بعض ما به من شر موجود فى غيره وغيره من مدارس العواصم والمراكز ، وأنه لا يكاد يخلو من هذا الشر إلا مدارس تلك الجمعيات الخيرية

(١) وغير خاف عمل مدارس التبشير فى المراكز الصغيرة

المحترمة ، أو مدارس اولئك الذين للعلم عندهم كرامة ، وللخلق رهبة وجدارة !

٢ — مثالنا السيء

ويؤسفني كل الأسف أن أرى نفسي مضطراً — إزاء المصلحة العامة — إلى أن أصرح بهذه الحقائق القاسية التي لا تشرف هذه المدارس ولا ترضى أصحابها . وأعلم تماماً أن بعض هؤلاء الأصحاب والمديرين سيثور عليَّ ، وسيحاول عبثاً أن يدافع عن نفسه وعن مدرسته بمختلف الأعذار وشتى الادعاءات . ولكن ما حيلتي وهذه الحقائق الصارمة الصارخة تعلن عن وجودها على لسان المدرسين والطلبة وأولياء الأمور جميعاً ؟؟

مثالنا السيء هو جمعية تعمل للخير وكرم الأخلاق كما قلت ، وتتخذ من بعض الشخصيات الكبيرة الساذجة أصناماً تتقدم بها للجمهور كيما يغفل عن أسرارها ومخازيها . وقد رأت هذه الجمعية أن المدارس من أربح الوسائل وأشرفها مظهراً ، فراحت تفتح منها ما تستطيع فتحه وتحشد فيها ما يزيد على الألف تلميذ وتلميذة ! ! فهل تدرى من يدبر أمور هؤلاء التلاميذ ؟ ومن يقوم بتعليمهم ؟ وأين تذهب أموالهم ؟

أما المدبر أو المدير كما يدعونه فهو رجل متعلم ولكنه عجيب الأطوار ، محب للسلطة والاستبداد ، سماع للأكاذيب والوشايات ، معتوه أو كالمعتوه ، لأنه سب يوماً أمامي وأمام التلاميذ جميعاً في (طابور) الصباح أستاذ الدين ورئيس « المطبخ » سبًّا مقذعاً بينما كان الأستاذ المسكين واقفاً وسط التلاميذ ، ولأنه أخذ هراوته مرة وجرى بها خلف خادم صغير على مرأى من بنات المدرسة وكن واقفات يتأهبن لسماع نصائحه الغالية في الفناء الكبير ! ثم هو فضلاً عن ذلك مادي جشع قد احتكر لنفسه إيراد المطعم والمقصف وتنظيف الأحذية لقاء ما يقوم به من إدارة ريشة وإشراف نزيه ! . وقد لا يكون في ذلك إثم كبير لو لا ما يقدم للتلاميذ من طعام سيء ، ولو لا ما يحملهم به على هذا الطعام وذلك التنظيف من ألوان العسف والامتهان والحرمان والتعنيف مما لا أول له ولا آخر (١)

(١) ولا تذكر هذه الحقائق إلا كمثال لأنواع الاستغلال المرذول في هذه المدارس ، ولأنواع الشخصيات التي لا تستطيع بحالها هذه أن تنجح في كسب احترام المدرسين وعماد المدرسة

وأما المدرسون فهم مجموعة متنافرة يطغى فيهم العنصر غير الفني على الفني ، لأن فيهم راسب الكفاءة والبكالوريا أو حاملها مع فريق من سيدات ورجال التعليم الإلزامي ممن لم يجدوا عملاً في الحكومة فجاءوا إلى هذه المدارس الابتدائية الأهلية يلتمسون فيها عيشاً (١) . ويضاف إلى أولئك وهؤلاء واحد أو اثنان من الفنيين لإدارة حركة المدرسة بهذا « الطقم » العجيب الذى لا استعداد فيه للتعاون والعمل بتلك المبادئ التي اصطلح الناس على أنها أصول للتربية الصحيحة والتعليم السليم ! فماذا تريد بعد هذا وقد رأيت الرأس ممتلاً والأعضاء خائرة منهوكة ؟ قل ماشئت من إرهاق لهؤلاء المدرسين ومن انتدابهم ليعملوا ككتبة في شئون الجمعية الخاصة والعامة . وقل ماشئت من تضافر القوى في الجمعية على امتهان المدرس ذى الكرامة وإحراجه بتلفيق التهم ونصب الأشراك . وقل ما شئت من تدخل المدير العجيب في الشئون الفنية الخاصة وصبغه للنظام العام بهراوته المضحكة وبشخصيته المادية المتناقضة وبعيوله النهمة الغادرة ، حتى لتشعر أنك في عصابة أو مارستان . ثم قل أيضاً ما شئت من التظاهر أمام حضرات المفتشين بما ليس موجودا ، ومن وضع خزانات بغير ماء في المراحيض كدليل على النظافة وتوفية الشروط !! .

أما التلاميذ المساكين فما أقل ما يتناولون من الكتب والكراسات ! وما أكثر مايدفعون من الضرائب والأتاوات ! وما أشد ما يتحملون من الكلمات والضربات ! وما أخطأ ما يعاملون به من طرق لا تكوّن العقل ولا تبنى الشخصية ولا تهذب الشعور !

ستعجب مما أقول ، وستتخيل أنه إنما كان بالأمس البعيد ولا وجود له اليوم . وسأقول لك إنى لمسته بيدى منذ عامين اثنين ولقيت منه الأمرين وخرجت ثائراً عليه عندما لم أقو على العيش

(١) ولا يزال في المدارس الثانوية الأهلية الكثير من غير الفنيين ، وأقصد بهم من لا يحملون دبلوماً في التربية والتعليم ، أو من يحملون دبلوماً لا يصلح للمدرسة التي يعملون بها . والواقع أن مثا كل التربية الحديثة تتطلب الالمام الواسع بعلمى النفس والتربية لا مجرد التجربة التي لا يسندها دليل . ويخطئ من يظن أن كل حامل علم قادر على أن يكون مدرساً بالمعنى الصحيح . إذ لا بد هنا من تدريب كاف تحت إرشاد أستاذ قدير . لذلك كان الخطر من ازدحام المدارس الأهلية بغير الفنيين غير يسير ، وواجب الحكومة كما قلت هو أن تدبر لغير الفنيين أعمالاً تناسبهم ، وتسلح جميع المدارس بالمعلم الكفؤ ، والوزارة سائرة في هذا الطريق ولكن سيرها لم يزل بطيئاً

فيه . وإذ كانت الوزارة قد خففت كثيراً من مثل تلك الفوضى بأعمال رقابة التعليم الحر فإن العيب لم يزل جسيماً ، ومجال التلاعب والعبث واسع عريض ، وممارسة التربية كفن صحيح سليم لا تكاد تتحقق فى هذه المدارس إلا فيما شذ وندر (١)

وقد تسأل بعد هذا عن تلك الأقوال الكثيرة التى تجنيها الجمعية من إعانة الوزارة ومصروفات التلاميذ ؟ وسأقول لك سل العمارات الشاهقة التى يبنيها المدير أو يفاوض فى شرائها . وسل المدرسين المساكين الذين يتناولون الأجر الضئيل ويشاهدون التضخم الهائل الشديد . وسل تلك الأبنية الرطبة القذرة التى يحشدون فيها التلاميذ بغير حساب !!

ثم ليت الوقت يتسع لأقص عليك طريف ما يحدث فى تلك الدور ، أو ليته يسمح بإخبارك أن الطلبة فى المدارس الثانوية الأهلية كالوحوش يرهبهم الناظر لأنه يبنى ما لَهُم ، ويخشاهم الأستاذ لأنهم لا يرهبون أحدا ؛ ثم ليته يتسع أو يسمح بذكر هاتيك المخازى الكثيرة التى أسمع عنها كل يوم هنا وهناك فحسبك اليوم ذلك ، وإلى اللقاء حيث أحدثك عن ناحية أخرى

(يتبع) **محمد حسن ظاظا**

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

---

(١) والسر فى ذلك واضح . فغاية المدرسة هى الكسب لا التعليم ، وصاحب المدرسة يريد أن يستغل المدرسين والطلبة إلى أبعد الحدود . وكلما شعر المدرس بالظلم والارهاق احتقر صاحب المدرسة وتبرم بعمله وأداه على نحو ميكانيكى بحت . ولولا تدخل الوزارة أخيراً فى ضبط مرتبات المدرسين لظل أغلبهم لا ينال أجره كاملا

وأعتقد بعد هذا أن بعض المدارس التى تعطيها الحكومة إعانات سنوية تستطيع أن تستغنى عن هذه الاعانات تماماً بمصروفات التلاميذ ولكن مال الوزارة فيما يبدو كثير !

بين الرافعى والعقاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٣ —

ثم ماذا ؟ ثم يقول الأستاذ سيد قطب فى ثالث أدلته على أحكامه : « يقول العقاد فى طرافة ودُعابة عن حِسان شاطئ استانلى ! !

ألقى لهُنَّ بقوسه قُزحٌ وأدبر وانصرفْ
فلبسْنَ من أسلابه شتَّى المطارف والطُّرفْ

فلا يجد الرافعى فى هذه الطرافة إلا أن يتلاعب بالألفاظ فيقول : فقزح لا يلقى قوسه أبداً إذ لا ينفصل منه . قال فى اللسان : « لا ينفصل قُزَح من قوس » . فاذا امتنع فكيف يقال : « أدبر وانصرف » . أما قزح العقاد ، فلعل الخواجه قزح الماالطى مراقب المجلس البلدى على شاطئ استانلى الذى قيلت فيه القصيدة

ثم يقول إن هذا المثال « فيه تلاعب وروغان ، وهو فى هذه المرة (التلاعب) أخسُّ من السابقة ، ففى الأولى كان تلاعباً بصور ذهنية ، وهو هنا تلاعبٌ بألفاظ لغوية ! »

أوَّلا ، فمن ذا الذي يغفُل عن طرافة هذا « الخيال » الذى يتصور « قُزحاً » ملقياً بقوسه لهؤلاء الحسان ، وهن يتناهبن هذه الأسلاب ، بينما هو مدبر منصرفٌ ، مغلوب على أمره ، لا يستطيع النصفة ممن غلبَ جاهلٌ جاهله !

ألا تستحق مثل هذه الطرافة ، ومثل تلك الحيوية ! من الناقد إلا أن يذهب إلى القاموس أو اللسان ، ينظر هنالك ، هل ينفصل قوس عن قزح أو لا ينفصل ؟ ثم يكمل الكلام بتهكم بارد لا يرد على الفطرة المستقيمة فى معرض هذا الجمال ! !

أهذا هو النقد الذى هو « أقرب إلى المثال الصحيح » ؟ وماقلته فى المثال الثانى يقال بنصه هنا ، فلترجع إليه جماعة الأصدقاء

ثم يعود فيقول عن هذا المثال أنه يمثل « تلاعبه بالألفاظ اللغوية ، والوقوف بها دون ما تُشيمُّه فى الخيال من صور طريفة » انتهى كلام الأستاذ الجليل

***

ومن أعجب العجَب أن يُعدّ اعتراض الرافعى ونقده هذا البيت تلاعباً بالألفاظ اللغوية ، ولا يكون هذا الشعر نفسه قد بُنى على التلاعب فى غير طائل ، وعلى تكلف اللفظ لترميم قافية البيت . وأول ما نقول فى هذا أننا نخالف بعض رواة العربية ثم الرافعى فى أن يلزم أحد هذا الحرفين صاحبه على كل حالة وفى كل ضرب من ضروب القول

وبيان ذلك أن لأصحاب العربية فى هذا الحرف (قُزَح) ثلاثة أوجه من الرأى :

الأول : أن (قُزَح) اسم شيطان ، أو اسم ملك موكل به

والثانى : أن (القُزَح) هى الطرائق والألوان التى فى القوس ، والواحدة قُزْحة

والثالث : أن يكون من قولهم : قزح الشىء وقحز إذا ارتفع

قلت : وكأنهم أرادوا أن يجعلوه معدولا به عن (قازح) ، وهو المرتفع

فى الوجه الأول لا يضير أن ينفصل الحرفان ؛ إذ كان (قوس) اسم جنس ، و (قزح) اسم علم بعينه ، وأضيف أحدهما إلى الآخر إضافة نسبة . فهو بمنزلة قولك (كتاب محمد) . ومن هنا جاز أن يبدلوا تسمية العرب الأوائل فقالوا له : « قوس الغمام » و « قوس السحاب » . ويقول ابن عباس رضى الله عنه : « لا تقولوا قوس قُزَح ، فان قزح من أسماء الشياطين . وقولوا (قوس الله) عز وجل . وعلى هذا يجوز قول القائل : « ألقى قُزح قوسه » باضافة القوس إلى ضميره . على أن الشيطان ، أو الملَك الموكل بالقوس قد ألقى (قوسه)

وأما الوجه الثانى والثالث فلا يجوز الفصل معهما ألبتة على إرادة (الاسم) الذى تعرفُ به هذه الطرائق المتقوّسة التى تبدو فى السماء . فان الحرفين على حالتهما ينزلان منزلة الكلمة الواحدة إذ ذاك . وللقول فى هذا مجال ليس هنا مكانه ولا أوانه

ونحن نرى أن العقاد قد ذهب — وإن لم يرد ذلك — إلى الوجه الأول ، وأن شعره يحمل على رأى جائز فى العربية

هذا ، وقد ذهب الرافعىُّ فى نقد بيت العقاد إلى رأى أصحاب اللغة فى امتناع الفصل بينهما ، وأن الحرفين كالكلمة الواحدة على تتابعهما . وعلى ذلك لا يقال « ألقى (قُزح) قوسه » وأولى إذن ألا يقال إن (قُزَح) أدبر وانصرف ، لأنه ليس بذاته يدُلّ على معنى ، أو يقع اسماً لشىء بعينه ؛ فهو إذن لا يجوز عليه الاسنادُ إسناد الخبر أو الفعل كالالقاء والادبار والانصراف . فأين التلاعبُ فى هذا الرأى باللفظ اللغوىّ ؟ ولو قد كان وقع فى بعض كلام الرافعى فصل أحدهما عن الآخر لأمكن أن يقال إنه يتلاعب باللفظ ، ولكن ذلك لم يكن ... !

وأما الأستاذ العقاد فقد نقد رواية قمبيز فى سنة ١٩٣٢ ، وجعل من ملاحظاته أن هذه الرواية « لم تخلُ من مخالفة للنحو والصرف فى القواعد المنصوص عليها » ، وأتى فى هذا الموضع من نقده بما خطأ فيه شوقى ، وليس بخطأ

يقول شوقى على لسان أحد المجان (ص ٣٢)

أَلَقَدَحا أَلَقَدَحا الخمرُ تنفى التَّرَحا
قصراً أرى أم فَلَكا وشجراً أم قُزَحا

ثم علق (شوقى) فى الوجه (٣٢) نفسه فقال : « قالوا : إن قزح لا يفصل من قوس ، ولكن الناظم لم يرَ بأساً فى فصله لسهولته وكفاية دلالته » انتهى . ونحن نجيز هذا فى العربية ولا ننكره

قال ذلك شوقى فى التعليق ، ثم جاء الأستاذ العقاد فى كتابه (رواية قمبيز فى الميزان) يقول ص ١٥ « ... ويقول (قُزَح) ولا تذكر قُزَح إلا مع قوس » . وبيّن أن كلام الأستاذ العقاد ليس عربى العبارة ، فإن أصحاب العربية منعوا (فصل) قُزح من قوس ، ولم يمنعوا (ذكر) قزح إلا مع قوس . والفرق بين اللفظين كبير . وبينٌ أيضاً أن هذا ليس نقداً فإن لم يأت بأكثر من تكرار ما ذكره شوقى فى تعليقه ، وكان الوجه أن يبين فساد رأى (الناظم) إذ لم يرَ بأساً فى الفصل للعلة التى ذكرها

ومع ذلك ... فقد كان نقد العقاد فى يونيه سنة ١٩٣٢ ، ولم تمض ستة أشهر أى فى يناير سنة ١٩٣٣ حتى فصل العقاد نفسه بين (قزح) وقوس فى شعره هذا !! فلعل هذا أن يكون بالتلاعب بالألفاظ اللغوية أشبه ، وبتصريف النقد على الهوى أمثل .

وأما بيتا العقاد :

ألقى لهنّ بقوسه قزحٌ وأدبر وانصرف
فلبسن من أسلابه شتى الطارف والطرف

فقد بنيا على ألفاظ يدفع بعضها بعضاً عن معنى يولده — من

لفظ (القوس) التي هي من آلات القتال. وكان سبيل التوليد هكذا: القوس من آلات القتال، واستميرت للطرائق في السماء مضافة إلى (قُزَح)، فيكون ماذا لو أنشأ من لفظ هذا القوس صورة للقتال بين (قُزَح) وبين جميلات شاطىء ستانلي؟ ويكون ماذا لو زعم أن الجميلات انتصرن على (قُزَح) صاحب القوس، فألقى سلاحه ثم أدبر وانصرف؟ ويكون ماذا لو جعل ألوان (قوس قزح) أسلاباً كأسلاب المحاربين في القتال ظفر بها الجميلاتُ بعد انهزام (قزح)؟ ويكون ماذا لو زعم أنهن اتخذن هذه الألوان مطارف وطرفا يلبسنها ويتحلين بها؟ وهكذا

وهو توليد كما ترى وتوليدٌ من لفظ واحد. ونحن لا نرى بأساً — وإن كنا لا نرتضيه — أن يأتي الشاعر بالمعاني مولدة من ألفاظ اللغة، فإن من بعض اللفظ في العربية لما يُضرم الفكر ويُورِث المعاني ويستفزُّ الخيالَ إلى أعلى مراتبهِ. على أن هذا لا يتحقق إلا أن تستقيم الطريقة للفكرة، ويتراحب المجال للمعاني، ويسمو المدى بالخيال، على أن تصحَّ المقابلةُ بين معاني اللفظ وسائر الصور التي تتولد منه

والمقابلة في هذا الشعر فاسدة باطلة. فهي مقابلة بين (قزح) وبين الجميلات على شاطئ استانلي، ثم بين الطرائق المقوسة ذات الألوان في السماء (القوس) وبين ما ترتديه الجميلات من مطارفهن. وكان حق المقابلة أن يكون (قزح) هذا مشتهراً بالجمال موصوفاً به، حتى إذا ما ذكر في معرض الكلام عن الحسان الجميلات تمت المقابلة بينه وبينهن. فإن لم يكن ذلك كذلك، فلا أقل من أن يكون في الشعر ما يدل على سبب (حالة الحرب) التي أنشبها الشاعر بين حسان شاطئ استانلي، وبين العم (قزح)، ثم ما كان من علة لالقاء سلاحه ثم انهزامه وإدباره

فأما إذ لم يكن (قزح) جميلاً، ولم يأت الشاعر بسياق جيد لهذا التوليد، فقد بطلت الأفعال التي أسندها إلى (قزح) من إلقاء قوس وإدبار وانصراف، وما أضافه إليه من الأسلاب، وصار كله لغواً لا فن فيه. وهذا الضرب خاصة من ضروب الشعر الذي يتضمن التصوير والوصف لا يأتي جيده إلا على دقة الملاحظة، وتقدير النِّسب بين الألفاظ والمعاني والصور. فلو اقتصر الشاعر فجعل (قزح) يهدى إلى الحسان تحاسين قوسه، فاتخذن منها (شتى المطارف والطرف) لكان أجود وأقرب إلى الاتقان. أما إعلان الحرب بينهما فليس جيداً ولا براعة فيه كما رأيت

وقد أجاد ابن الرومي — ويقال إنها لسيف الدولة — إذ يقول:

وقد نشرت أيدي الجنوب (مطارفاً)
على الجو دُكناً، والحواشي على الأرض
يطرِّزُها (قوس السحاب) بأصفر
على أحمر في أخضر وَسْط مُبْيضِ
كأذيال خودٍ أقْبلَتْ في غلائل
مُصَبَّغَةٍ والبعض أقصر من بعض

وهو قريب جيد في الوصف

ونحن لا نذهب مع الأستاذ قطب فيما يتخير من اللفظ لوصف هذا الشعر وما فيه، بذكر (الطرافة) و (الدعابة) و (الخيال) و (الحيوية) و (معرض الجمال)، وما إلى ذلك من ألفاظ لو أقيم ضدها مكانها لقام، إذ كان لا يبين أسبابها ولا يوجه معانيها ولا يأتي كلامه في مثل ذلك إلا على طريقة صاحب كتاب (الوشى المرقوم في حل المنظوم) إذ يقول: «أولا فمنذا الذي يغفل عن طرافة هذا «الخيال» الذي يتصور «قزحاً» ملقياً بقوسه لهؤلاء الحسان ... الخ»

وقد وضح الآن أن ليس في كلام الرافعي تلاعب بالألفاظ اللغوية، وأنه ليس في هذه الألفاظ ما يجعلها «تشع في الخيال صوراً طريفة»، وذلك لما ذكرنا من تخالف ألفاظها وتدافعها وبُعد صورها عن جودة التوليد، إذ كانت هذه الصور مولّدة من اللفظ على غير نسق متصل أو طراز جميل

ثم .. أتى الأستاذ قطب بالمثال الرابع فقال: «ويسمع العقاد صيحات الاستنكار لهو الشواطئ، وما تعرض من جمال، فيصيح صيحة الفنان الحي المعجب بالحيوية والجمال:

عيد الشباب، ولا كلا م، ولا ملام، ولا تَخرف

فاذا الرافعي يقول: «إن غاية الغايات في إحسان الظن بأدب العقاد أن تقول إن في هذا البيت غلطة مطبعية، وأن صوابه:

عيد الشباب، فلا كلا م، ولا ملام، (بلا قرف)!

ثم يقول بعد إن هذا المثال يغنيه الرافعي عن الحديث فيه

« فهو لم يزد على أن أورد البيت ، ثم استغلق دون استيعاب ما يعبر عنه من روح الفنان الحى، الموكل بالجمال حيثما وجد، وكيفما كان ، المازىء بخرف التقاليد ، وقيود العُرف ، ولم يجد ما يقوله إلا « بلا قرف » وهو قول لا تعليق لنا عليه »

ثم يعود فيقول : إن هذا يمثل هروب الرافعى « من مواجهة النقد الصحيح إلى المراوغة وكسب الموقف — فى رأيه — بنكتة أو تهكم أو شتيمة »

وأنا لا أعجب لكلام الأستاذ سيد قطب ، لأنه على طريقته فى حل المنظوم ، وإن أعجب فعجبي لصاحب « وحى الأربعين » كيف ارتضى أن يثبت البيت فى قصيدته ، وفى عقب هذه القطعة بالذات ، وينتقل من الوصف والتأمل وإمتاع النظر ، وإمداد الفكر بأسباب من الجمال ، أو كما يقول الأستاذ قطب من الطرافة والدعابة والخيال والحيوية ! إلى صيحة الاستنكار والتفزع بقوله: « فلا ملام ولا كلام » ثم الغضب الذي لا يتورع فى قوله : « ولا خرف ». إن هذا الانتقال ليس من منطق الفن ولا من نهجه وسبيله

وما أظن الرافعى أراد أن ينقد البيت — لأنه ليس بسبيل مما يحسن أن يُنقد ، وإنما وضعه هكذا للعقاد وهو يريد ما قلناه فى كلمتنا الأولى مما جرَّته المداوة التى اضطرمت بينهما

* * *

وبعد فقد قرأت كلمة الأستاذ الجليل المهذب سيد قطب فى البريد الأدبى من العدد السالف من الرسالة ، وقد أعلن فيها بعض رأيه فيما نكتب ، وحكم بحكمه على ما قلناه ، وحاول أن يتهكم ، ووعظ وذكر . ونحن ندعه لما به عسى أن يرى يوماً غير هذا الرأى ، وله الشكر أحسن أو أساء

محمود محمد شاكر

بين العقاد والرافعي

للأستاذ سيد قطب

— ٤ —

الآن تحدث الأستاذ شاكر — حديثاً ما — فى الموضوع الذى نحن بصدده ، وإن كان حديثاً « رافعيا » على الطريقة التى بينت ما فيها من استغلاق وقصور، ولكنه على أية حال شىء غير اللمز والتعريض — وإن لم يخل منهما — فالآن يستطيع الانسان أن يلقى باله إلى هذا الذى قيل

ولما كانت لى بقية من حديث عن الرافعى، فأجعل تماشى مع الأستاذ شاكر ، بقية لهذه البقية فى كلمة أخرى

وعدت أن أعرض من أساليب الرافعى نماذج غير ما عرضت تأخذ فى نهج آخر ، ولكنها تصل إلى الهدف الأول ، من إثبات طبيعته كما عرفتها ، بالنماذج والأمثلة

وأنا ماض فى طريقى هذا ، لا يحولنى عنه ما يبدو من بعض أصدقاء الرافعى من تمريض أو إثارة ؛ ولن يستفزني ما يكتبون فأحيد عن نهجى الهادىء

وطريقتى فى هذا الموقف أن الرافعى قد مات ، وله نوع من الأدب ، فسأناقش أدبه هذا ، وما يدل عليه من نفسه وذهنه نقاش الناقد المطمئن لما يقول

وله أصدقاء أحياء ، فسأناقشهم حسبما يكونون هم : نقاداً أو متهجمين . ولن أخلط بينه وبينهم فى الحساب ، فلا ذنب للرجل فيهم ، ولا تبعة عليه بعد موته فيما يصنعون !

تلك طريقتى . وهى ترضينى ...!

* * *

قلت : إن الرافعى أديب الذهن ، ولكنه الذهن الملتوى الماظل الداحل . واليوم أقول هذا ، وأزيد عليه : أنه « الذهن الشكلى » الذي تلهيه الأشكال والسطوح عن الكنه والأعماق ، والذى لا يلمح فرقاً بين صورة وصورة ، ما دام ظاهرهما متشابهاً . فإن أراد أن يطبق أمراً على أمر ، أخذ فى قياس الزوايا والخطوط ولم يلق باله لحظة إلى ما فى طبيعة كلا الأمرين من خلاف أو زيادة ونقص في بواطن الأجزاء . وإليك البيان :

« القمر » كوكب لا يشرق إشراقه إلا فى الليل والظلام ،

و « الحبيبة » تعود الناس أن يشبهوها بالقمر

و « هي » لا تشرق إشراقها إلا فى إبان « الحب »

فاذا شاء الأديب أن يعقد من هذه الأطراف تشبيهاً ، وجد قمراً يشرق إذاجن « الظلام » ، ووجد حبيبة تشرق إذا « توهج الحب » فكان لا بد له من التصرف فى التشبيه

ولكن الرافعى لا يتصرف ؛ فما دام القمر يجلوه الظلام ، فالحب إذن « ظلام » لأنه يجلو حبيبته ، وسينساها متى انقطع عهد الحب وتختفى من أفقه ، كما أن القمر يخفى إذا طلع الصباح . وهكذا يقول :

يا من على الحب ينسانا ونذكره   لسوف تذكرنا يوماً وننساكا

إن « الظلام » الذى يجلوك يا « قمر »   له « صباح » متى ندركه « أخفاكا »

فأما البيت الأول فأخوذ عن العقاد الذى لا يعجب الرافعى شعره ! وأما الثانى فهو الذى يعنينا . وفيه ترى « الذهن الشكلى » الذى يستسيغ أن يجعل فترة الحب « ظلاماً » كالليل ، وفترة انقطاعه « نوراً » كالصباح ، لا لشىء إلا لأن القمر المشبه به يشرق فى الليل ويخبو بالنهار

والحب الذى هو ظلام ، لا يحتاج للتعليق ، فما يوجد حب فى الدنيا تظلم به الأرواح ولكن الرافعى هكذا يقول ... !

وليست هذه خطرة عابرة تلتمس لها الأعذار فان لها أشباهاً فى هذه « الخاصية »

يقول الرافعى عن « حبيبته » بعد عدة جمل مملوءة بقياس الأبعاد والجهات والزوايا :

« فكأنها فى كل ذلك دائرة مرسومة من الفكر ، لا يهديك البحث إلى موضع طرفيها وهى محيطة بروحك من ثلاث جهات ، فلم يبق لك إلا الجهة التى تتصل روحك منها بيد الله »

فدعك من مدلول هذا الكلام وقيمته من « إنسان يحب » أو « يصف الحب » ؛ ودعك من أنه كلام ذهنى لا ينبض بحياة ، ولا يدل على خلجة فى الشعور ، أو نبضة في الضمير ، ولا يتعدى أن « متكلماً » يصور فى « الذهن » أشكالاً تقع أو لا تقع ، ولكنها يمكن عقلا أن توجد ، كفروض المناطقة

دعك من كل هذا ، وتعال انظر كيف يتصور الرجل العوالم الروحية ، أو العوالم الذهنية ... إنه يتصور لها جهات . ولا بد أن تكون هذه الجهات أربعاً كالموسومة فى علم الجغرافيا بالجهات الأصلية ، وإنه متى أحيط الانسان بثلاث منها فلن تبق له إلا واحدة وهى الجهة الرابعة !

ولا يتأتى له أن للحياة — ولا سيما فى فترة الحب — ألف جهة وألف منفذ ، وأنها تؤتى من هذه الجهات والنافذ ، ومن مسارب أخرى ومنعرجات و كُوًى ومداخل لا عداد لها . لأن الذي يتأتى له ذلك لا بد له من « نفس » ، ومن « حس » . أو لا بد له على الأقل من « ذهن » مشرق مرهف ، لا تحده الأشكال الصماء

على أن هناك خطأ نكشفه من باب الدعابة ، « فالدائرة » ليست لها أربع جهات كما تصور الرافعى ، حتى إذا أحيط الانسان من ثلاث لم تبق إلا الرابعة ، إنما يكون ذلك فى « الأشكال » الأخرى ، كالمربع والمستطيل ! !

وبسبب من هذا يأخذ قوله عن الناس :

« وألبسهم على تفصيلهم قصاراً أو طوالا ، كما خرجوا من شق المقص : الجتمعين من الليل والنهار تحت مسمار الشمس »

أرأيت إلى « استيفاء الأشكال » فى التشبيهات ؟ الليل والنهار كالمقص ، فى تفصيل الناس قصاراً وطوالا ... لا بأس ! ولكنه تذكر أن للمقص المستعمل « الآن » مسماراً فى وسطه فلا بد إذن من « مسمار » فى المشبه ! وهذا المسمار هو الشمس . وبذلك يتم « الشكل » بالدقة بين عمل المقص ، وعمل الليل والنهار ، وبين تركيبه ، وتركيبهما مع الشمس كذلك !

ولن يخطر على بال الرافعى أن الليل والنهار تحت الشمس من الظواهر الأزلية العميقة ، وأن بناءها هكذا عمل سرمدى دائم من بدء الخليقة إلى نهايتها . أما بناء المقص فهو شكلى وقتى ؛ ليس بلازم أن يكون هكذا أبداً ؛ كما أنه ليس بلازم أن يكون « التفصيل » بأداة واحدة هي المقص وهى على هذا الشكل ؛ وما بين يوم وليلة تتغير الأدوات والآلات ! فما تكون الشمس إذ ذاك ؟

لا . لا شىء من ذلك يخطر على الذهن ، ما دام الشكل مستوفى بكامل أجزائه وأوضاعه . وتلك هي العناية بتصوير الحقيقة

الوقتية العارضة دون التفات إلى الحقيقة الأزلية الدائمة . وهذا ما أشرت إليه في أول مقال !

ويبدو لي أن الرافعي كان شديد الأثر في تلاميذه من ناحية « الأشكال » ؛ فها هو ذا الأستاذ سعيد العريان يكتب عنه في كلمته الأخيرة بالرسالة فيقول :

« فكان يرسل عينه وراء كل منظر ، ويمد أذنه وراء كل حديث ، ويرسل فكره وراء كل حادثة ، ويلقى باله إلى كل محاورة »

فهو قد أراد بهذا أن يستوفى جميع أشكال التنبه والاستيعاب دون أن يلاحظ الصدق والواقع وما يمكن تحققه من هذه الأشكال بالنسبة لمن يتحدث عنه . ذلك أن المرحوم مصطفى صادق الرافعي لم يكن « يمد أذنه وراء كل حديث » كما يعرف من يعرفه ؛ ولم تكن هذه الحاسة من أدواته في التنبه والتأمل ، فكان من « الصدق » ألا تذكر دون أن يضيره هذا أو يعيبه ، إذ كان هذا مما لا يعاب . غير أن حب استيفاء جميع الأشكال والفروض هو الذى يدفع الأستاذ سعيداً إلى هذا التفصيل

وليس ذلك بقليل الدلالة على هذه الظاهرة في مدرسة الرافعي ؛ وما قصدت باثباتها أن ألمز الرجل كما قد يفهم بعض ذوى الطبائع المنحرفة ، فأخلاق — على الأقل — لا تسمح لى باللمز ، ولكنى أردت إثبات الظاهرة في أحد تلاميذه ، بفلتة عارضة غير ملتفت إليها ، وهى عميقة الدلالة على اتجاه المدرسة كلها

* * *

وقد أسلفت أننى تلقيت نبأ «حب الرافعي» بكثير من الدهشة لأن « الحب » يتطلب « قلباً » وهو ما كنت أفتقده فيه

والآن أقول : إننى بعد أن خضت عن هذا « القلب » في « رسائل الأحزان » لم أجد له ظلا ؛ ثم وجدت هنالك رجلا لا « يفهم » عن الحب شيئاً ، ولا يدرك أثره في « النفس الحية » ولو من باب الدراسة والملاحظة

وإليك البرهان :

ليس أدل على الجهل بطبيعة الحب من تصوره ظلاماً كما مر وهو النور المشرق الذي يفتح النفس والذهن والعين على عوالم لا عداد لها ولا شطآن . فاذا جاز أن نقول من باب الدعابة : إن التشبيه هناك كان أعز على الرافعي من الحب ، وإن « الصنعة حكمت » كما يقولون ! فكيف نقول في تشبيه الحب بعد ذلك بالموت حين يقول :

« ولكن هناك موتاً لا ينقل من الدنيا إلى الآخرة ، بل من نصف الدنيا إلى نصفها الآخر ... وهو في أسرار الانسانية عكس ذلك (الموت) لأنه أظهر ما خفي وهو الحب »

فما معنى أن الحب « موت عكس الموت ؟ » وأنه لا ينقل من الدنيا إلى الآخرة ولكن من نصف الدنيا إلى نصفها الآخر؟ ألعب بالألفاظ أم « شقلبة » في الأشكال ؟ وعلى أية حال فأين الحب في كل صوره وأشكاله ، من الموت في كل صوره وأشكاله ، حتى يسوغ لإنسان أن يجد وجهاً للشبه بين هذا وذاك ؟

إن الحب من صميم الحياة بكل ذراته وآثاره ؛ ولن يكون موتاً أبداً ، لا في الخارج ولا في الضمير . وألف سفسطة في التخريج لا تفسر اقتران الحب بالموت في «ذهن» من الأذهان !

ويقول :

« وما من أحد في الأرض يستقيم طبعه على الجمع بين هم الحب وهم الحياة ، فان قام بواحد زاغ من الآخر لا يبالى به ، إذ هما حقيقتان متدافعتان ، كتيارى الكهرباء ، لو أمكن شيء من المستحيل ، لما أمكن أن يطردا في سلك واحد ، اطرادهما في السلكين »

هذه قولة الرافعي وهى دليل لا ينقض على أنه لم « يحس » الحب في حياته ، ودليل كذلك على أنه لا « يفهم » إحساس الحب في سواه ، ولا يحسن تعليل ظواهره وتفسير دوافعه ، ككل ذى ذهن مشرق مستقيم

هو يرى أن الذى يحب يستخف بهموم الحياة ، حتى يخيل اليه أنه نسيها . فيفهم من ذلك أن هم الحب قد طرد هم العيش ، لأنهما متناقضان متدافعان . وذلك في « الظاهر » وفي « الشكل » صحيح

ولكن الحقيقة الباطنة أن الحب يضاعف القوى الباطنة ، ويفسح في الحياة ، ويعمق جوانبها ، فتخف تبعا لذلك على النفس هموم الحياة ، حتى يخيل لصاحبها ذاته أنه ينساها

فليس عن تضاد بين الهمين ولا تدافع ينشأ هذا الشعور ، ولكن عن فسحة في النفس ، وقوة في الحس ، لا تضيق ولا تتبرم بهموم الحياة ، لأن النفس أصبحت أكبر وأرحب منها ، فلا تحس بها . وكل شيء نسبى بين القوة والمقاومة

وهذا هو التعليل « الانسانى » والتمليل « النفسى » الذى لا يدركه أدباء الذهن الكليل . ومن هذا النحو قوله :

« فان فى كل عاشق معنى مجهولا ، لا يحده علم ، ولا تصفه معرفة ، وهو كالصباح المنطفىء ينتظر من يضيئه ليضيء ، فلا ينقصه إلا من فيه قدحة النور ، أو شرارة النار . وفى كل امرأة جميلة واحدة من هذين »

فهكذا يتصور الرافعي أن المحب عند تهيئه للحب ، يكون كالصباح المنطفىء الخامد الهامد، وقدحة النور أوشرارة النار ، إنما تأتى له من « الخارج » وليست كامنة فى « ضميره » . وهذا التصور يتمشى مع خواء الرافعى وسطحيته

أما الحقيقة الروحية التى يفهمها ذوو « النفوس » فهى أن الحب فيض في النفس ، وامتلاء فى الشعور ، يحس معه الانسان أنه بحاجة إلى صلة إنسان آخر ، لكى يفيض على هذا الانسان من القدر الفائض فى نفسه ويعطيه مما يزخر به شعوره ؛ فالمصباح حين التهيؤ للحب لا يكون منطفئا خامدا هامدا بل يكون موقدا مشرقا يبحث عمن يفيض عليه من نوره ، ويبذل له من اشراقه ووميضه . وحقيقة أن « الجميلة » التى يصادفها إذ ذاك تزيد فى اشراقه وتوهجه ، ولكن كما يزيد الزيت فى لألأة المصباح الموقد ، لا كما تصنع الشعلة فى المصباح المنطفىء

وهذا هو الحب فى الحياة ، أما الحب فى « الذهن » وحده فقد يكون ذاك !

***

والرافعى في زحمة الحب ، وفى فيضه وانبساطه ، لاينسى عالم الحقد الضيق ، ولارقعة الغيظ المحدودة ، فتلمس فى كلماته ونبراته صوت تضريس الأسنان من الحنق ، وتنزى الأعضاء من الضغن ، وذلك شأن غريب

نعم غريب ، فقد كان مفهوما أن يبلغ به الضغن والحقد على العقاد أن يحجم عن شراء « وحى الأربعين » كما حكى تلميذه العريان ، ولكن الذى لا يفهم أن تلازمه طبيعة الحقد وهو فى معرض الحب . والحقد تيبس فى الشعور

ومن أراد أن يعرف أهم أسباب الحقد فى نظر الرافعى ، وأظهر دوافعه ، فليعلم أنه فوقان إنسان على إنسان في النتاج الأدبى ! ولعل هذا سبب ما بينه وبين العقاد ! فهو يقول عن « حبيبته »

« ولو أن الله مكنها من لغة كتابه الكريم ، لغص منها فى هذا الشرق العربى كل كاتب وكاتبة غصة لا تساغ ولا تتنفس »

أى لو أن هذه المرأة كانت متمكنة من دراسة اللغة العربية لما كان الأثر الذى تخلفه فى نفس كل كاتب وكاتبة بلا استثناء إلا الغصة التى لا تساغ ولا تتنفس

هكذا لا تسمح طبيعة الحقد الأصيلة أن تتصور أن إجادة الأديب تهيىء له معجبين بأدبه ، أحباء اليه ، كلا ، بل لا بد من الغصة فى صدورهم . وأية غصة ؟ هى التى لا تساغ ولا تتنفس ...

وهكذا كان الرافعي مع العقاد !

إن فلتات اللسان ، تظهر كوامن الانسان ؛ وهذه فلتة كشفت عن الرافعى فى أعماقه ، وأرتنا أهم عناصر حقده ، ولكنها ليست الوحيدة فاسمعه يقول :

« نصيحتى لكل من أبغض من حب ، ألا يحتفل بأن صاحبته « غاظته » وأن يكبر نفسه عن أن يغيظ امرأة . إنه متى أرخى هذين الطرفين سقطت هى بعيداً عن قلبه ، فانها معلقة إلى قلبه فى هذين الخيطين من نفسه »

أرأيت ؟ ... إن الحبيبة بعد انقطاع الحب ، لا تتعلق بنفس من كان يحبها إلا بخيطين اثنين : غيظها له ، وغيظه لها ! ولا شىء وراء ذلك !

أما أن تكون معلقة بالذكريات المختلفة الألوان ، وبالساعات والدقائق والثوانى التى ضمتهما فى عمرهما ، وبالآمال المحطمة فى قلوبهما ، وبالفجيعة الدامية فى حبهما ، وبالصور المتعاقبة من إقبالهما وإدبارهما ... ومن . ومن . مما لا يستطاع حصره بعد أن تهدأ فورة الحب فى النفس ، ويأخذ الحب في الاستعادة والتذكر والاحصاء والتسجيل — أما كل ذلك فلا وجود له عند الرافعى . وإنما يوجد خيطان اثنان من نسيج واحد ، هو نسيج الغيظ والغل والحقد ، والتيبس فى الشعور !

***

وبعد فقد طال الحديث ، ووراء هذه الأمثلة التى ضربتها ، أمثلة أخرى من نوعها ، وفى كل صفحة من الكتاب أمثال غيرها فلا داعى للتكرار

على أن هناك حديثاً عن « ذوق الرافعي » فى التعبير وذوقه فى النقد وموعدى به كلمة أخرى

(حلوان)

سيد قطب

نزاهة النقد

للأستاذ عبد الفتاح غندور

رأينا ما كتبه الأساتذة خصوم الرافعي وأنصاره فسرنا أن نلتمس النقد وساءنا أن نجد ما لا يرضى . وما كان لمثلى أن يلج هذه المعركة ناقداً أو حكماً قبل أن تنتهى لئلا يفوتنى شيء من مواقفها فأصدر عن جهل فيما أحكم وأقايس ، فأقع فى ألسنة النقاد وأقلامهم ، وبالها من ورطة حامية الوطيس إذ ذاك . غير أنى آثرت الإقدام إذ وجدتنى مضطراً — بعد تفكير — لتقديم رأيى قبل أن تنتهى هذه المعركة ، ويلوح لى أنها لا تنتهى ، لعلى أصل إلى بعض ما يمكن أن يصل إليه حكم عدل وناقد برىء . فأقول :

قبل كل شيء يجب أن نعرف أن كل إنسان يستطيع أن يسيء وليس كل إنسان يستطيع أن يحسن . وإذاً فلا يصح أن يعتبر السوء يوماً ما أداة لمفخرة أو نكاية لمكرمة ، لأن الناس كلهم فيه سواء ولأنه سوء أيضاً ؛ وعلينا أن نتوسع فى معنى السوء — كما نتوسع فى معنى الحسن — ولندرك جميع شظاياه التى تفتك وتؤذى . وإذا توسع الأديب فى ذلك أدرك الخطر وتسنى له أن يطير — كما يطير فى كل مجال — إلى خيالاته العذبة ليفصل على جسم هذه الحقيقة ثوباً يليق ، حتى إذا ما رأى حقيقة ماثلة بثوبها الخيالى الفخم أعطى كل شيء حقه ثم اهتدى إلى أن هذا الضرب من المعاملة الخشنة لا يجدى ولا يفحم ، بل يؤذى ويؤلم ، ولا سيما إذا كان مصدره الأدب والأدباء والنقد والنقاد

عاش الرافعى ليكتب أدبه ثم يموت ؛ وقد أراد الله للرافعى أن يكون فى هذه الدنيا عجباً ، وشاء أن يجعل أدبه نسخة عجيبة لم ينسج على منوالها قلم لتكون مشكلة من المشاكل التى يختلف عليها الناس فيذهبون فى تأويلها مذاهب شتى ، وللناس مذاهب فيما يعشقون

أما الرجل فقد مات ، وأما أدبه فموجود ، وأما آراء الناس فيه فكثيرة ؛ ويعجبنى التقدير للجهد والاحترام للأدب والإنصاف فى النقد والحسن فى الخلق . وإذا تم للرأى هذا القانون الكامل أصدر عن روية ونقد فى نزاهة وسبر غور الموضوع كالطبيب الماهر الذى يعرف كيف يحتال للجراحة وتفاصيلها ليصح المريض على يديه لا ليموت . وبعد ما مات الرافعى جعلت أرقب أقوال الناس ، أرهفت أذنى وأيقظت نفسى ؛ وكان أن كتب الزيات وغيره مقالاتهم فى هذا الشأن فجشمت لقراءتها والتأمل فيها فاجتمع لى بعض الرأى ، وأعقب ذلك فترة طويلة كان العريان فيها يكتب تاريخ الرافعى . على أننى كنت أرقب حلول مفتتح هذا العام لأقرأ مقالات الأدباء بمناسبة مرور عام على وفاته ، فظفرت فى الرسالة بمقالة عنوانها « بين الرافعى والعقاد » للأستاذ سيد قطب فالتهمتها التهاماً ؛ ثم عدت مرة أخرى أروى تأملاتى فيها فلاذ لى من الأستاذ أدبه وذكاؤه وصراحة ضميره ، وتمنيت أن لو ضم إلى ذلك حسن المواجهة ولين المجابهة تجاه أخيه الأديب الذى هو شريكه فى الشعور والفكرة والقلم . وأخذت أفكر فى حسن هذه المواجهة وكيف يجب أن تكون ؛ وقلت ما كان ضره لو قال قولاً أرق وأحسن وأدعى لحرية النزاهة : ياليته ويا ليته ...

وأستميح الأستاذ أنى كنت أخذت عليه ما كتب كما أخذت على الأستاذ محمود محمد شاكر ما أملاه فى الرد أيضاً ، ولكنه معذور بعض العذر لأن الجروح قصاص . ولو كتب الأستاذ شاكر رداً جميلاً أرق مما كتب فهل كان الأستاذ قطب يستمر ويزداد فى غلوائه يا تُرى ؟ ولا أدرى هل يَحُجُّنى الأستاذ شاكر بأن الأستاذ قطب قد شن الغارة دفعة وغلا ثم غلا وتحدى أصدقاء الرافعى فكان لزاماً أن نحفظ كرامة الرجال وكرامة الشعور فرددنا عليه بما يلائم المقام ؟

وهنا يجدر بى أن أذكر ما كان وقر فى نفسى تجاه أستاذى الكبير « الزيات » حفظه الله عند ما كتب الأستاذ قطب حديثه هذا ... ليغفر لى سوء ظنى على رغم أن لى مندوحة عن هذا الغفران بالتوبة المستورة ، ولكن الأديب يلذ له إظهار ما يخفيه الناس . قلت فى نفسى كان يحسن بأستاذنا أن يعتذر من نشر مقال الأستاذ قطب أو يكتب له كلمة على الأقل فى هذا المعنى يبين له فيها وجه

الأجنبية وحسن الاختيار فى العدول عن هذه الخطة لا حباً للرافعى ، ولا بغضاً للأستاذ قطب ، بل تحرياً للأولى واحتياطاً لما سينجم عن ذلك كله. وللمصدر العدد ٢٥٣ والعدد ٢٥٤ وقرأت مقالى الأستاذ الزيات عن الرافعى أخذتنى — والله — هزة الطرب ونشوة الأدب لما فيهما من الصفاء النقدى النزيه الذى لاتشوبه ثورة ولا تخالطه كدرة ، حتى لكأن هذين المقالين صورة روحية للرافعى لو صُبتا فى قالب الحياة لكانتا هما الرافعى نفسه . لا تؤاخذنى ياصاحب الرسالة فيما رميتك من سوء الظن . وما كنت أدرى أن سماءك الصافية ستنفدق وابلا من الخير والجمال والحياة تعلمنا فيه — معاشر المتأدبين — كيف نرتع فى رياض الأدب الجميل الذى لا تصلح له إلا ملائكة السماء أو ملائكة الأرض ليكون مثلا أعلى للناس دائماً

ما ذا يضيرنى إذا قلت للمخطئ : إنك مخطئ ، بدلا من أن أقول له إنك غبى ... بليد ... لا، بل يجب علىّ — وأنا أديب — أن أحتال فى إفهام المخطئ خطأه من غير أن أصارحه به ما دام هناك شعور رقيق وإحساس مرهف . وما دمنا نحمل بين جوانحنا الانسانية المتأدبة التى تحتّم علينا الاحسان والرفق والمودة فلن نجد إلى غيرها سبيلا

أرأيت ما الذى أثار الرافعى والعقاد تلك الثورة المشهورة؟ أليس رضاء النفس والشهوة والكبرياء بما حصل ، أليست تلك زلة الانسانية التى ابتلى الله بها البشر ؟

آه ! ما أحوجنا إلى أدب صاحب الرسالة عسى أن نلتقى جميعاً ذلك اللقاء المحبب ونضم تلك الأجنحة بعضها إلى بعض لتطير فى آفاق الجمال واللذة والنور وندخل فى عالمنا الحافل الملىء بأعاجيب السحر وأناشيد الخلود ، ذلك خير مستقراً وأحسن موئلا

وأخيراً أرجو الأستاذ قطب أن يُحسن بى الظن ما استطاع ، وألا يظن أنى قصدته وحده فيما كتبت . إن ذلك عام ما خصصت به أحداً ، وإنما كان الأستاذ قطب السبب فى ذلك ليس غير ، فله شكرى وأخوتى ومحبتى هو وإخوانه الأدباء

« دمشق » عبد الفتاح غندور

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ١٩ —

طال انتظاري ولم ترجع ظمياء

وانقضى مساء وصباح ، ومساء وصباح ، ولم ترجع ظمياء

ومضت ثوان ودقائق وساعات وأيام وليال ولم ترجع ظمياء

وتقلبت دجلة من حال إلى أحوال ولم ترجع ظمياء

وطافت بالأشجار والأزهار والرياحين أطياف البؤس والنعيم ولم ترجع ظمياء

وطوّفت بجميع المعانى ، وتذوّقت صنوف اللواعج ، وتشوفت إلى جميع المطالع ، ولم ترجع ظمياء

وتلقيت مئات الرسائل فلم تكن من بينها رسالة عطف أو اعتذار من ليلى أو ظمياء

أيكون هذا آخر العهد بليلى وظمياء ؟

إنى إذاً لمن الهالكين . كتب الله لوطنى وأهلى جميل العزاء !

* * *

ولكن ما السبب فى هذه القطيعة الباغية ، وما أذكر أنى أسأت أو جنيت ؟

أيكون السبب تلك الكلمة الفكاهية التى داعبت بها ليلى بعد رجوعى من البصرة ؟

ربما كان ذلك ، فالمزاح كان ولا يزال من أشنع البليات ، وما استطاع إنسان أن يجرح قلبي إلا عن طريق المزاح . والأحباب ينسون واجب الأدب فيتطاول بعضهم على بعض باسم المزاح ؛ وذنبي فى هذه القضية غير مغفور ، لأنى انقطعت لدراسة الفلسفة عدداً من السنين ، وكان الظن أن أفهم أن المزاح على لطفه لا يخلو من أشواك ، وقلب ليلى رقيق تؤذيه خطرات النسيم ، فكيف لا يؤذيه المزاح ؟

لو رجعت إلى ليلى لأحسنت الاستغفار من ذنبي ، ولكن متى أرجع ؟

لقد داعبتنى ليلى ألف مرة فتقبلت دعاباتها بأحسن القبول ،

وكنت لجهلي أحسب أن ليلى سيرحب قلبها لمثل ما رحب به قلبي

فكيف أخلفت ظنوني يا مُنية النفس ويا روح الفؤاد ؟

ماهذا ؟ أنا داعبت ليلى قبل ذلك فلم تغضب ، فكيف تكون الدعابة الأخيرة بداية البؤس ونهاية النعيم ؟

إن من واجبي نحو هواي أن أدرس هذه القضية حق الدرس

وقد بدأت أفهم أن كلام الجرائد والمجلات أفسد مابيني وبين ليلى كل الإفساد ، فقد مضت الشهور الطوال والجرائد تهتف باسمي في الصباح والمساء ، وظن الأدباء العراقيون أن الفرصة سنحت لتصفية ما بيني وبينهم من حساب ، وكنت أقرأ ما أقرأ وأنا أبتسم . كنت أقول : هذه يقظة أدبية واجتماعية أردّ بها ديوني إلى العراق . كنت أقول : هذه أقلام صدئت وقد حان لها حين الصقال ، فليكن أدبي هو ذلك الصقال

كنت أقول وأقول ، ولكن التفكير في جوهره غير سليم

ما الذي كان يمنع من دفع مفتريات بعض الجرائد والمجلات ؟

ما الذي كان يمنع ؟ كنت مشغولا بواجبات ثقال تكاد تقصم ظهري . ولكن هل تفهم ليلى أني مشغول وأن لي منهجاً يفرض ألا أخرج من بغداد إلا وفي حقائبي خمسة مجلدات ؟

ينبغي أن أعترف بأن مركزي بين الأطباء لم يتزعزع بسبب الأدب وحده ، وإن كانت حرفة الأدب قادرة على زعزعة العروش ، وإنما وقعت النكبة وتقوضت عيادتي بشارع المدابغ وعيادتي بشارع فؤاد لعدم اكتراثي بما يكتب في الجرائد ، وعدم اهتمامي بما يتقول الناس

وأصل البلية أني كنت أحسن الظن بعقول بني آدم — وهذا أعظم خطأ ارتكبته في حياتي — فقد كنت أظن أن الناس يميزون بين الحق والباطل فيما يقرأون ؛ وكنت أتوهم أن أكاذيب المفترين لا تضرني ، فكنت أقرأ ما يكتب عني بلا اكتراث ، وأقول : هذه مفتريات ليس لها أساس ، وما قام على غير أساس فمصيره التهدم والزوال

وظل الحال على ذلك بضع سنين وأنا أصمّ أذنيّ عن الأقاويل والأراجيف إلى أن دخل عيادتي مساء يوم مريض له شأن في المجتمع ، ويكفي أنه أستاذ في أحد المعاهد العالية ، فلما فحصته وشخصت له المرض اطمأن واستراح ، فدعوته لتناول فنجان قهوة بالمكتب فتفضل بالقبول ، وفي الناس من يتفضلون بالقبول وأنت المتفضل عليهم بالمعروف

وفي أثناء الحديث فهمت أن زوجته عليلة وأنه كان يود أن أمضي لعيادتها لولا خوفه من كلام الناس . وبعد مراجعته فهمت أن مركزه العلمي لم يعصمه من تصديق كل ما يكتب في الجرائد.

وعرفت بعد فوات الوقت أن الاعتماد على عقول بني آدم ضرب من الخيال

إن من الجريمة أن نسكت عما يكتب عنا في أمة لا تنتقد ما تقرأ ، ولا تمحص ما تسمع . ومن الجريمة أن نسعى إلى الشهرة فان الشهرة أصل كل بلاء ، والرجل المشهور يصدق الناس فيه كل بهتان ، ولا سيما في الأمم التي تضعف فيها الثقة بالأخلاق ، ومصر التي نحبها راضين أو كارهين مبتلاة بهذه البلية ، فأهلها لا يصدقون أن العبقريين والنوابغ أصحاب أخلاق ، وما أزعم أني نابغ أو عبقري حتى أصبح أهلا لتلك الظنون ، ولكني بالحق أو بالباطل صرت من أشهر الرجال ، وللشهرة عقابيل

* * *

كنت أستطيع مع كثرة الشواغل أن أدفع مفتريات بعض الجرائد والمجلات ، ولكن صرفني عن ذلك إيماني بأن ليلى صديقة غالية ، وأنها خليقة بألا تفتح أذنيها لما يصوّبه الحاقدون من دسائس وأضاليل . ثم كتب الله أن أتلقى عن ليلى درساً لم أظفر بمثله وقد قضيت عشرين عاماً في الحياة الجامعية. تلقيت عن ليلى درساً عظيما جداً ، وأنا أقدمه إلى قراء هذه المذكرات بالمجان وإن كنت دفعت ثمنه من دمعي ومن دمي ، أنا العاشق الذي يعاني ظلام الحب وظلام الليل

استمع هذا الدرس يا قارئ هذه المذكرات . استمع فما أرجو منك جزاء ولا شكوراً ، وإن كنت أشتهي أن تسكب على قبري دمعة يوم أموت ؛ وسأموت ، فلكل أجل كتاب

تعلمت عن ليلى أن الصديق في حاجة إلى حراسة ، وأستطيع أن أقول إن حراسة الغنم أسهل من حراسة الأصدقاء ، ولا يغفل عن حراسة صديقه إلا غافل أو جهول ، وقد خلق الله لكل صديق أذنين طويلتين ، وهاتان الأذنان لهما سمع دقيق ، والصديق يحسبك من بعض ما يملك ، فهو يسمع فيك كل قيل ، كما يسمع

فى داره أوهام المهندسين ، وكما يجتلب لأملاكه صغار الساحين ، وهو يفرح لما يساق إليك من زور وبهتان ، لأنه من بنى آدم ، وابن آدم حيوان ضعيف لم يعش بفضل القوة كما عاشت الأسود ، ولم يعش بفضل الجمال كما عاشت الغزلان ، وإنما عاش هذا الحيوان الضعيف بفضل المكر والدهاء

استمع هذا الدرس يا قارئ هذه المذكرات من الفيلسوف المودّع ، فما فى دنيا كم ما يشوقنى يا بنى آدم حتى أستطيب فيها العيش

استمع يا غافل يا جهول

ليس فى أصدقائك من يسره أن تكون أعظم منه علماً أو جاهاً

ليس فيهم والله من يسره أن يكون إخلاصك فى هواه أعظم وأروع

فالصديق — وا أسفاه — يتشهى أن يثبت لديه أنه أعظم منك فى كل شىء ليتصدق عليك بالعطف والحنان

الصديق يرضيه أن يقول « أعطيتُ » ويؤذيه أن يقول « أخذتُ »

والأصدقاء يملكون فى إيذائك ما لا يملك الأعداء

العدوّ متهَمٌ — بفتح الهاء — وتجريحه إياك يتلقاه الناس ساخرين .

أما الصديق فمؤتمن — بفتح الميم — وتجريحه إياك يتلقاه الناس بالقبول

وللأصدقاء أساليب فى تجريح من يصادقون ، ويا ويل من ابتلته المقادير بلئام الأصدقاء ! يترفق الصديق فيقول : أنتم تعلمون أنى شديد العطف على فلان لما بيننا من متين الصلات ، وهو والله رجل مفضال لولا كيت وكيت !

ويتلطف الصديق فيقول : لا تثوروا على فلان فهو عبقريٌّ وللعبقريين بَدوات !

وتزداد البلية بالأصدقاء حين تصبح ولك نصيب من المجد . فالصداقة توهمهم فكرة المساواة فى الحظوظ والدرجات ، فان تقدمت وتخلفوا لم يكن معنى ذلك عندهم أنك أخذت ماتستحق، وإنما كان معناه أنك خدعت زمانك فانخدع ، وأن لك وسائل يعفون عنها لأنهم على تخلفهم شرفاء !

والصديق لا يصدّق أنك تصل إلى منازل المجد بالجهاد وسهر الليل وإقذاء العينين تحت ضوء المصباح ، وإنما يتخيل أنك اغتصبت المجد بالتهويل والتضليل ، ولا يرى لك رأياً طريفاً أو فكرة عبقرية إلا حدثته النفس بأن يغض منها بالتصغير والتزييف .

وأخطر أعدائنا هم الأصدقاء الأعزاء الذين جاريناهم فى ميادين المجد . فهؤلاء لا يتصورون أبداً أن ميادين الجهاد فيها سابق ومتخاف . ولعلهم كانوا يظنون أن من حقهم علينا أن نتخاف ليتقدموا . ولو أننا فعلنا طائعين لما ظفرنا منهم بكلمة تفصح عن حفظ الجميل ، ويكون فيها معنى العزاء ، وإنما نلقى منهم الصلف والاستطالة والكبرياء والعدوان

والأصدقاء يصنعون بمصايرنا ماتصنع جراثيم المرض المدفون ، فهم يقتلوننا عن طريق الاغتيال ، وما نجد فى إدانتهم شاهداً واحداً حتى نقدمهم إلى ساحة الجزاء

وفى الدنيا السخيفة تقاليد تحمى الصديق المخادع من انتصاف الصديق الصدوق . والتفكير فى محاسبة الصديق هو فى ذاته بلية ، لأنه يفتح الباب لأهل اللغو والفضول ، ويعرضك لمآثم الشبهات ومنكرات الأراجيف

والعدو اللئيم هو فى الأصل صديق حميم ... ولكن كيف؟ كان صديقاً يحب أن تكون فى خدمته كيف شاء ، وحين يشاء ؛ فلما التويت عليه بفضل مالك من وجود خاص تنكـر وتغير ومضى يضع فى طريقك الأشواك بلا رحمة ولا إشفاق

الصديق الحق هو الذى يعتقد أنك أفضل منه وإن كان فى الواقع أفضل منك

هذا هو الصديق . ولكن أين من يعرف هذا المعنى النبيل ؟

أين الصديق الذى يعرف قيمة التضحية بأهواء النفس ؟

أين الصديق الذى لا يريد أن يتخذ من شهرتك لوحة إعلانات؟

أين الصديق الذى يفهم أن من حقك أن تناضل لتسود ؟

أين الصديق الذى يدرك أن المودة كالصلاة يفسدها الرياء ؟

أين الصديق الذى يرى عيوبه ويعمى عن عيوبك ؟

بل أين الصديق الذى لا تخاف من أن يتزيد عليك ؟

وا أسفاه لقد انقضت أحلامى وأوهامي . كنت أرى الجمال

في وجوه الناس ، فأصبحت لا أراهم إلا وأنا متفزع متخوف كالذي يمسُّ الحية في غسق الليل . كنت كالطفل يأنس بجميع الوجوه ، ويتسمع لجميع الأصوات ، ويتشوف إلى كل ما في الوجود ، ثم أمسيت وأشهى مُناي ألا يطرق بابي طارق ، وأن لا تقع عيني على مخلوق

كذلك ابتدأت ، وكذلك انتهيت ، وعند الله والحب جزائي

***

آه ، ثم آه ! !

ماهذه الخطوط التي أسود بها وجه القرطاس ؟

هذه الخطوط هي نصيبي من حب ليلى ومن عبث ظمياء

وتلك نهاية من يحسب أن نهار الحب لا يعقبه ليل

تلك نهاية العاشق الغافل الذي قضى الأعوام الطوال في عبادة الجمال

ولكن ماهذا اللؤم الذي ينحدر إليه قلبي ؟

أمن أجل أيام في معاناة الصدود أكفر بالصداقة وبالحب ؟

أحبك ياليلى ، أحبك يا ليلاي

أحبك يا مسكينة لأني من المساكين

أحبك يا شقية لأني من الأشقياء

أحبك يا ليلى وسأنحت لك صنماً من ضلوعي

أحبك يا ليلى وسأنزف دمي قطرة قطرة ثم أتخذ من حديده خاتماً أقدمه إليك يوم يحين الفراق ، وما أصعب الفراق !

أحبك ياليلى وسأرقم اسمك الجميل على خد القمر وجبين الشمس

أحبك ياليلى وسأترحم عليك في صلواتي كما أترحم على أبي وأمي

أحبك ياليلى وسأستعذب في سبيلك محنتي وعذابي

أحبك يالئيمة يا غادرة يا ظلوم ، وأصفح من أجلك عن أهل اللؤم والغدر والظلم والجحود

أحبك ياليلى ، أحبك ، وما أتصدق عليك بالحب ، فأنا أهفو إليك بلا وعي ولا إحساس . وقد حاولت مليون مرة أن أتوب من هواك فما صحّت لي توبة ، ولا نفعتني عظة ، ولا عصمني عقل ، ولا هداني وجدان

أحبك يا روحي ويا ضناي . أحبك أصدق الحب ، وأبغضك أعنف البغض ، ولو رأيتك في هذه اللحظة لروّيت روحي بدمك الغالي ، ولكن متى أراك ؟ تلك أوهام وأضاليل !

لقد نجوت من يدي ياشقية ، فعليك غضبة الله ولعنة الحب !

***

أتريد ليلى أن أنتحر ؟

هيهات ثم هيهات ! فأنا طبيب ، ومن الحق أن أداوي الناس وأنسى نفسي

قرأت « شريعة الحب » فقرة فقرة ، وهي مسطورة على قبر الحلاج ، وقد فهمت من أسرار الحروف أن الحب له دواء . ودواء الحب أن تخلق لنفسك شواغل جديدة تصرف قلبك عن إطالة التفكير فيمن تحب

وكذلك فعلت فأقبلت على شهود موسم الحفلات في بغداد وهو موسم لا يعرف قيمته الا من يراه

شهدت بعض الحفلات التمثيلية التي أقيمت في المدارس الثانوية ، فعرفت أن التمثيل سيكون له مستقبل في بغداد . ورأيت أهل العراق يخشون ما يخشاه أهل مصر من اختلاط الجنسين ، ولكن أهل مصر احترسوا بعض الاحتراس، فهم يؤلفون للمدارس روايات تمثيلية تخلو من المرأة ؛ وليت أهل العراق يصنعون مثل هذا الصنيع إلى أن يفصل الزمن في قضية اختلاط الجنسين ، فقد رأيتهم يمثلون في المدارس روايات فيها المرأة ، والمرأة في هذه الحال شاب يلبس ملابس النساء . وأنا أرجو زملائي من نظار المدارس في العراق أن يفكروا في هذه القضية ، فظهور الشبان في ملابس النساء لايقل قبحاً عن ظهور النساء في ملابس الرجال. وما أقول إن الرجل أشرف من المرأة من حيث الجنس فلكل جنس خصائص ، وإنما أريد أن أقرر أن شرف الرجل في الرجولة وشرف المرأة في الأنوثة ، فالمرأة تجرم حين تلبس ثوب الرجل ، والرجل يجرم حين يلبس ثوب المرأة . والاشارة في هذا الموضوع الدقيق تكفي للبيان

وشهدت حفلة توزيع الجوائز بكلية الحقوق . وكانت حفلة رائعة خطب فيها الدكتور محمود عزمي خطبة جيدة، ولكنه لم يراع براعة المقطع ، فقد ختم الخطبة بإعلان الوفاة ، وفاة أحد المتخرجين. وصح للأستاذ محمود درويش أن يقول « ماهو خوش مقطع هذا » وعند تلاوة القسم أقسم المتخرجون دفعة واحدة بلا خشوع ،

وكان الرأي أن يقسموا واحداً واحداً . وقد تذكرت القسم الذى أقسمته على يد الأستاذ الدكتور طه حسين يوم ظفرت بالدكتوراه الأخيرة فى كلية الآداب ، فقد ترددت وتهيبت ، لأنى كنت أخشى أن يربطنى القسم وحدى ، فلتذكر ذلك أحجار كلية الآداب بالجامعة المصرية ، إن كان للاحجار وجدان

وألقى الطالب حازم المفتى خطبة فصيحة نوّه فيها بالأواصر العلمية بين مصر والعراق . وهنا أذكر أن العراق شرّف مصر حين ائتمنها على كلية الحقوق ، وهو شرف عظيم جداً ، ومن واجب الأساتذة المصريين أن يتذكروا فى كل لحظة قيمة هذه الثقة الغالية . من واجبهم أن يفهموا أن من الشرف أن يموتوا فى سبيل تلاميذهم فى العراق

ومن حسن الحظ أن ذلك الطالب نص على أن مصر تفقهت على يد الشافعي وقد رحل اليها بعد أن تفقه بالعراق

ولو كان لى مجال بين الخطباء فى ذلك اليوم لأضفت إلى هذا أن علماء مصر ظلوا مئات السنين وهم يهتفون : « قال البصريون وقال الكوفيون » وحصير الأزهر يشهد ، وهو فى هذا الباب من أصدق الشاهدين

أعتقد أن العراق أدى حق الأخوة حين وثق بمصر ، ولم يبق إلا أن يؤدى المصريون واجبهم فى حمل الأمانة وحفظ العهد

وخطب معالى وزير المعارف خطبة وجيزة جداً أعلن فيها ارتياحه إلى تبادل العطف بين الأساتذة والطلاب ، وهو معنى شريف

وبعد توزيع الجوائز وتناول الشاى غنى الأستاذ محمود توفيق مع فرقة الاذاعة أغنية طريفة . ثم غنت المطربة زكية جورج أغنية فيها اسم « ليلى » فاشرأبت أعناق الحاضرين للبحث عن مكانى ، وصاح سعادة الأستاذ محسين ابراهيم : أين الدكتور زكى مبارك ؟ فتقدمت على استحياء والدمع فى عيني ، وشكرت المطربة ، ورجوتها أن تغنى : « على بلد المحبوب وديني »

فلما وصلت إلى عبارة « وعيني تبقى فى عينيك » نظرتْ إلىّ وحدّقت بعطف وحنان ، وفهم الحاضرون الاشارة فضجت أكفهم بالتصفيق ، ورأيت موقفى صار فى غاية من الحرج فانسحبت وحرمت نفسى بقية الأطايب التى وعد بها منهج الاحتفال

وبعد أسبوع حضرت حفلة توزيع الجوائز بكلية الطب فرأيت الطلاب فى صف والطالبات فى صف ، وراعنى أن يكون الطالبات جميعاً من البيض ، فيارباه كيف جعلت ليلاى بالعراق سمراء ! ... أحبك ياليلى وأحب شعاع السمرة وهو يتموج فى سرائر وجهك الجميل !

وأقسم المتخرجون اليمين واحداً واحداً . وليتهم أقسموا دفعة واحدة ، كالذى وقع فى كلية الحقوق ، فقد قضيت نحو ألف ثانية وأنا أسمع « وأقسم أن لا أفشى سراً لمريض » وأدرك الأستاذ مهدى كبة حيرتى وذهولى فقال : تلك عاقبة من يفشى أسرار مرضاه من الملاح

فضحتنى يا ليلى ، شفاك الله وعفا عني !

ولما خرجت من الحفلة مضيت إلى محطة الاذاعة ، مضيت أستجدى الصوت المأثور :

يقولون ليلى فى العراق مريضة فيا ليتنى كنت الطبيب المداويا

ولكن سكرتير الاذاعة فى هذه المرة رجل له وجه الجاحظ ولو شئت لقلت إنه الصفوانى . وقد اعتذر عن إذاعة ذلك الصوت لأنه لا يريد أن يحول أهل العراق إلى مجانين . كأنه يعقل :

وخرجت مع الأستاذ ابراهيم حلمي راجياً أن يكون في سمره الطريف ما يخفف حزنى ، فما خفّ حزنى ولا تزحزح ، ورجعت إلى البيت وأنا مكروب

وقمت ُقبيل الفجر مرتاعاً لطرق الباب ، فتدثرت وخرجت فاذا الجار العزيز يسأل عن حالى وفى ذراعه زوجته المصرية النبيلة التى رعت غربتى أكرم رعاية . فقلت : خير ! ما عندك يا سيد داود ؟ فأجاب : لقد استيقظت السيدة وهى مرعوبة ، لأنها سمعتك تصرخ : آه ، آه ! يا ليل يا ليل ! وقد حسبناك مريضاً فحضرنا للاطمئنان عليك

فقلت : أنا بخير كما ترون ، وصوبت بصري إلى الزوج وقلت : الرفق لا يستغرب من عراقىّ مثلك . ونظرت إلى الزوجة وقلت : الأزهار المصرية رقيقة الأوراق

أنا كنت أقول : آه آه ؟ هذا صحيح ، ولكنى ما كنت أقول : « ياليل يا ليل » ؛ وإنما كنت أقول : « يا ليلى يا ليلى »

فضحتنى يا ليلى عند جيرانى ، وقد شفاك الله ، فمتى يمن على بالشفاء ؟

وفى ظهر ذلك اليوم المنيف مضيت لشهود حفلة الطيران ، وهى حفلة سنوية يستبق إليها أهل بغداد من رجال ونساء ، أقيمت الحفلة فى المطار المدنى ودامت ثلاث ساعات شهدت فيها الأعاجيب وعرفت أن فتيان العراق يعرفون معنى السيطرة على الهواء ، وكان فى المنهج صورة طريفة من التقاط الرسائل ، فألقيت بنفسى فى ساحة المطار وقدمت رسالة إلى الله عز شأنه أدعوه أن يزيح الكرب عن أهل فلسطين ، فإن شكاياتهم من الظلم كدرت جميع الناس ، وآذت المنصفين من أحرار اليهود . وأشهد صادقاً أنى رأيت ناساً من بنى إسرائيل يتوجعون لمصير العرب فى فلسطين ، وفلسطين الشهيدة لا تدافع اليهود من العرب ، وإنما تدافع اليهود الأجانب الذين يدخلون عليها بلا تسليم ولا استئذان فيغرسون الحقد على سائر اليهود فى الأقطار العربية . وشهدت الطيران القاصف ، طيران الهجوم ، فتمنيت لو ساد السلام وتحول الطيران فى جميع بقاع الأرض إلى وسائل اقتصادية

وشهدت تشكيلات الأسراب فرأيت كيف تقام الخطوط الهندسية فى أجواز الفضاء وفى الناس من يعجز عن إقامة الحدود الهندسية فوق القرطاس !

ورأيت الطيران الأهوج فتمنيت لو سموه طيران القلوب . فليس لأحوال القلوب ميزان !

كانت حفلة الطيران ممتعة من كل جانب. وقد خبلت عقلى فلم أتنبه إلى أن مكانى كان قريباً جدًّا من مكان جلالة الملك . ولو كنت تنبهت لتشرفت بمصافحته وهنأته بما وصلت إليه القوة الجوية فى العراق

وبعد أيام شهدت حفلة الكشافة ، وهى تجل عن الوصف ، وهى الشاهد على أن شبان العراق نقلوا إلى بلادهم أقوى مظاهر التمدن الحديث

وبفضل هذه الحفلة عرفت كيف أنشئ فى دار المعلمين العالية فرعاً للألعاب الرياضية

كان فى الحفلة كشافون وكشافات ، وكان من تقاليد الكشافين أن يحيوا المقصورة الملكية ، فيرد عليهم جلالة الملك بتحية أرق وألطف ، أما الكشافات فكن يمررن على المقصورة الملكية بلا تسليم

آه ثم آه من دلال الملاح !

* * *

داويت قلبى بهذه الشواغل التى أتاحها موسم الحفلات فى بغداد وحسبت أنى نجوت من عقابيل الصبابة الباغية

ولكن هيهات

ثم لطف الله فحضرت ظمياء

— إيش لونك يا دكتور ؟

— بخير وعافية ياظمياء ، لولا الذى تعلمين ، وإيش لون ليلى ؟

— فى عافية الفرس الجموح

— ومتى أراها يا ظمياء ؟

— لن تراها إلا إذا استغفرت من ذنوبك ؟

— وهل للأطفال ذنوب يا ظمياء ؟

— اسمع يا دكتور ، إن الدسائس حولك كثيرة جدًّا ، وليلى توجه إليك تهمات تهدّ الجبال

— أنا متهم ياظمياء ؟ متهم فى بغداد ؟ وعند ليلاى ؟ آمنت بالله ، وكفرتُ بالحب !

— تشجع واحتمل الصدمات ، فقد عشت دهرك من الشجعان ومن الصابرين

— وكيف تتهمنى ليلى يا ظمياء ؟

— هى تتهمك ، ولك أن تدافع عن نفسك إن استطعت !

— أفصحى يا ظمياء ، فقد طار صوابى

— اسمع يا دكتور ، إن ليلى توجه إليك التهم الآتية ، وكلها مزعج مخيف

أما التهمة الأولى فهى :

(للحديث شجون) زكى مبارك

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة في نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

— ١٢ —

وحدث أن كان مولد الحزب الجديد في نفس العام الذي كانت تختار البلاد فيه رئيساً جديداً للولايات ، فكان النشاط السياسي بذلك مضاعفاً ؛ وأحس الناس جميعاً أن مسألة العبيد قد أصبحت القطب الذي يدور عليه هذا النشاط السياسي فألقوا بالهم إليها على نحو لم تسلف بمثله فترة في تاريخ البلاد

وعرف الحزب الجديد كما أسلفنا باسم الحزب الجمهوري ؛ ولقد أخذ الداعون إلى إنشائه ينشرون الدعوة له في كل ولاية ؛ وكان أول اجتماع أهلي لهذا الحزب عام ١٨٥٦ في مدينة فيلادلفيا ؛ أما عن مذهب الحزب فقد اجتمع أيضاً مرة أول الأمر على فكرة مجملها في العمل على مقاومة انتشار العبيد كما جاء في اتفاقية مسوري ؛ وكان هؤلاء الأنصار في الولايات أخلاطاً من الأحزاب الأخرى تراهم وإن اتفقوا على المذهب أو كادوا ، لا يزالون مختلفين في الوسيلة

ولم تك الينوس تلك الولاية التي ينتمي لنكولن إليها بدعاً من الولايات . ولقد دعا أنصار الحزب الجديد فيها إلى اجتماع تمهيدي يتدارسون فيه الأمر ويحددون الغاية ويسددون الوسيلة؛ وانعقد هذا الاجتماع في مدينة ديكاتور وشهده لنكولن فيمن شهده من رجال السياسة البرزين ؛ وأدلى إليهم بما يرى ، وفطن المجتمعون إلى سياسته التي لن يتحول عنها والتي تتلخص في أمرين : مقاومة انتشار العبيد والمحافظة على كيان الاتحاد ...

ولكن لنكولن لا يزال من الوجهة الرسمية من رجال حزب الموجز ، فهو لم يعلن انفصاله عنهم بعد ؛ فلما كان يومئذ في طواف قضائي وقد دعا أنصار الحزب الجديد في الينوس إلى مؤتمر عام يعقد في مدينة بلومنجتن ؛ ووضع صديقه هرندن اسمه في الداعين إلى المؤتمر دون أن يرجع إليه ؛ فجاءه البرق بموافقته وبذلك أصبح ابراهام عضواً في الحزب الجديد

واحتشد رجال هذا الحزب في بلومنجتن لينظروا ماذا يرون ؛ وتطلعت أنظار المؤتمرين إلى لنكولن وفي روع كل منهم أنه رجل الساعة وأنه ابن بجدتها ؛ وبدأ فقال لمن حوله : « دعونا نجعل حجر الزاوية في بناء حزبنا الجديد إعلان الاستقلال » وهو يريد بإعلان الاستقلال ذلك الحادث التاريخي الذي ظهرت به الولايات المتحدة كأمة مستقلة في هذا العالم ؛ وكأنه يشير إلى ما يتضمن الاستقلال من معاني الوحدة والإخاء والحرية والمساواة ، تلك المبادئ التي جعلها رجال الثورة شعار ثورتهم ... وأصدر المؤتمرون قرارهم فقالوا : « أجمعنا أمرنا على أننا نعتقد وفق آراء وتجارب جميع رجال السياسة البرزين من كافة الأحزاب في السنوات الستين الأولى للحكومة ، أن المؤتمر في ظل الدستور يملك السلطة التامة ليوقف انتشار العبيد في الولايات ؛ وأنه كما سيحرص على كافة الحقوق الدستورية لأهل الجنوب ، نعتقد أيضاً أن العدالة والإنسانية ومبادئ الحرية كما نص عليها في إعلان استقلالنا وفي دستورنا القومي وما نتوخاه لحكومتنا من نقاء ودوام ؛ كل أولئك يستدعي أن يكون تنفيذ السلطة بحيث يمنع انتشار العبيد في الولايات التي تعد حرة حتى الآن »

وإننا لنرى سياسة لنكولن واضحة تمام الوضوح في هذا القرار الذي أعلنه المؤتمرون ؛ وفي ذلك الدليل على أنه كان غداة المؤتمر الرجل الذي ينبض بمبادئه كل قلب ويتحرك باسمه كل لسان! ونحن إذا نظرنا إلى مبادئ الحزب الوليد في جميع الولايات نجدها لا تختلف كثيراً عما جاء في قرار رجال الينوس ، وبعبارة أخرى نجدها لا تختلف كثيراً عما يري لنكولن ، وفي ذلك دليل آخر على عبقرية الرجل وعلى أصالته ...

ونظر إبراهام إلى المؤتمر فإذا رجاله على اتحادهم في الغاية ، يختلفون في الوسيلة التي تتحقق لهم بها تلك الغاية وأذاهم باعتبار ما سلف ، فئات متباينة آراؤها ؛ وإنه ليخشى الخلف في الوسيلة

إلى ضياع الغاية ، بل إلى طمس صُوى الطريق وركوب الظلام وفى ذلك سوء المنقلب ؛ وإنه ليتحرق شوقاً أن يرى هؤلاء القوم وقد اجتمعت على الوسيلة كلمتهم كما اجتمعت على الغاية ؛ إنهم إذاً لفائزون ، وإن لهم بذلك لبأساً يهون كل أمر عسير ، ثم إنهم لخطب فادح لا يطيقه المتمسكون بالعبيد من أهل الجنوب

وكأنما أحس المجتمعون بما أحس ، وإلا فاذا دعاهم أن يهتفوا به ؟ لقد تجاوبت باسمه جنبات المجتمع ، فراح الرجال يتصايحون لنكولن ... لنكولن ... نريد أن نسمع لنكولن ! وما كان له أن يتخلف وهو الخطيب الذى تهيب به مثل هاتيك المواقف وتواتيه عبقريته كلما أحست نفسه جلال الحادثات ! لذلك ما لبث أن وثب من مكانه ووقف فيهم وقفة الخطيب وهو لا يدرى ماذا يقول . وسكتت الأصوات بعد جلبة ، واستقر الرجال بعد أن كان بعضهم من فرط السرور والحماسة يموج فى بعض ...

وقف الخطيب أول الأمر صامتاً كأنما أغلقت من دونه مسالك القول ؛ والناس ينظرون إلى قوامه السمهرى وقد مال برأسه إلى الخلف وبرز بصدره إلى الأمام ، والتمعت عيناه وتشكلت أساريره فبدت فى مظهر يقصر عن وضمه معنى الجمال . وصفه أحد الحاضرين فقال : « كان في تلك اللحظة أوجه من رأت عيناى أبداً »

وتكلم فاذا المستمعون كأنهم رجل واحد ، لا فرق بينه ولا اختلاف ، وقد سرت إليهم من الخطيب موجة قوية من السحر ! وسرى إليه منهم تيار شديد من الحماسة ؛ وهو يرسل فيهم القول يجمع بين العاطفة تهز المشاعر ، والحجة تبهر العقول ، والأمثلة تبهج النفوس ؛ وكانت تشتد العاطفة حيناً فتفيض عيون ، ويلتمع الدليل آونة فتصفق الأكف وتنطلق بالهتاف الحناجر ، ويروق المثال أو تملح النكتة بين هذا وذاك فتجلجل الأفواه بالضحكات .. والخطيب يلعب بالأفئدة ويستهوى المشاعر ويستمر لايفتر حماسه ، ولا يكل منطقه ، ولا يضعف صوته ، والسامعون مأخوذون عن أنفسهم بما يقول حتى لقد ألقى مندوبو الصحف أقلامهم وأقبلوا بعقولهم وقلوبهم عليه يحرصون ألا تفوتهم كلمة من هذا السحر الحلال ...

ذلك ابن الغاب قاطع الأخشاب ! ذلك هدية الاحراج إلى عالم المدنية ؛ كأنما قد هيأته الأقدار لرسالته فبعثته من موطنه قوياً قوة الطبيعة واضحاً كالشمس لا يحجبها غيم ، ولكن أودعت في نفسه سراً عميقاً تحس لديه بما تحس به إذا وقفت فى مدخل الغابة

أوضح فى خطابه سياسته فلم يترك مجالاً للبس أوشك ؛ وكان إلى التحذير والانذار أقرب منه إلى التفاؤل والتمنى ؛ حذر الناس أن يشتطوا فيؤدى شططهم إلى انسحاب أهل الجنوب من الاتحاد فانه ليحس فى الجو ما يسبق العاصفة ، وأنذرهم أن يتهاونوا أو يتخاذلوا فتذهب ريحهم وتضيع أصواتهم بدداً ؛ وهو فى كل ما زجى من القول صريح كأعظم ما تكون الصراحة ، واضح كأتم ما يكون الوضوح

تعرض لمسألة كنساس فقال فى قوة اليقين وفى جلال الحق : ستكون كنساس حرة ؛ وأردف فذكر السامعين أن الخروج على اتفاقية مسورى والسماح بانتشار العبيد وراء الحد الفاصل مؤد حتماً إلى جعل مسألة العبيد مسألة قومية عامة ، ولذلك فانه للفوز أبداً أو الهزيمة أبداً ، فانه ليشعر بتزايد قوى المتمسكين بمبدأ انتشار العبيد بينما يتراخى الداعون إلى مقاومة تياره . وكان فى خطابه يبدو منه ما يبدو من رجل مقبل على موقف حاسم فى تاريخ حياته ، ففى نبراته رنة الاخلاص ، وفى مقاطعه وابتداءاته لهجة اليقين وبينات الحرص الشديد أن يتدبر كلامه المنصتون ، وعلى وجهه علامات الاهتمام حيناً وأمارات القلق حيناً ومخايل الحذر والخوف واللهفة أحياناً ، وكذلك العظيم إذا تكلم كان كلامه من وجدانه ومن لبه ، وكانت حركاته حركات جوانحه وخفقات قلبه

ولقد تنبأ ذلك الرجل العظيم فذكر للناس أن مسألة العبيد سوف لا تحل حتى تنتهي إلى أزمة تجتاز بفضل إرادة الأمة ، فان تلك الارادة متى أوقظت اجتاحت الصعاب ؛ وكأنه كان يرى ما سيحدث عما قريب فى صورة حرب أهلية ضروس

وانجلت المعركة الانتخابية عن فوز بيوكانون مرشح الحزب الديمقراطى ، ولقد ظهر فيها على منافسيه أحدهما مرشح الحزب الجديد ، والآخر مرشح حزب آخر كان يعرف بالمحايد ، وبضم عدداً كبيراً من الموجز ، ولكن نجاح الحزب الديمقراطى كان ينطوى على معنى الضعف ، فان ثلث أصواته انضمت إلى الحزب الجديد كما أن هذا الحزب قد نال على حداثته عدداً من الأصوات

بلى فى مقداره عدد أصوات الحزب الفائز ، حتى لقد اعتبر الكثيرون من المفكرين أن الفوز الحقيقى إنما هو للجمهوريين

ولقد انضم إلى هذا الحزب الوليد كثير من أهل الثقافة وأولى الأبصار ، فكان من رجاله فى مجلس الشيوخ نفر من الأماثل الذين أشربت قلوبهم حب بلادهم والذين فطرت نفوسهم على العدالة وجبلت على الرحمة والانسانية ، والذين كانوا يمقتون نظام العبيد من أعماق وجدانهم إذ يرونه نظاماً لا يوائم ماينشدونه لوطنهم من نهوض وقوة ...

وبدرت يومئذ فى البلاد بوادر الطلمة الكبرى فلقد تلاحقت الأحداث وجرت الشائعات بالسوء وانبعثت الأحن والحزازات وتنابذ الناس وتباغوا وأصبح بأسهم بينهم شديداً ؛ فما هى إلا رجفة ثم ينفجر البركان ويزلزل البنيان ...

وكانت أولى تلك الأحداث ما كان فى مجلس الشيوخ فلقد كان فى المجلس رجل يدعى سمنر عرف بقوة الجنان وذلاقة اللسان وتوقد القريحة ، وهو ممن يكرهون أشد الكراهية نظام العبيد، حمل فى جرأة وقوة على قرار نبرسكا، وأهاب بالناس أن يتمسكوا باتفاق مسورى. ولقد كانت لهجته لاذعة وحجه قاطمة وعباراته مقذعة ؛ فلما كان ذات يوم بعدها جالساً إلى مكتبه فى المجلس يكتب فى سكون هجم عليه عضو من أهل الجنوب فضربه على أم رأسه بعصا غليظة فسقط على الأرض مغشياً عليه ، فكانت الضربة فى الواقع أولى ضربات الحرب الأهلية ، فأهل الجنوب بدل أن يستنكروا هذه الفعلة هللوا لها واعتبروا صاحبها بطلا جديراً بالتوقير . وقدم له جماعة من الطلبة عصا ذات رأس من الذهب ! أما أهل الشمال فلك أن تتصور مقدار مابلغته النعلة من نفوسهم وما تركته من الغيظ فى صدورهم فذلك مالا ينهض لتصويره كلام

وحدث بعد ذلك حادث آخرج البلاد من أركانها ، وذلك أن أحد العبيد ، رحل مع سيده إلى ولاية من الولايات الشمالية الغربية ، وكانت أسرة ذلك العبدمعه، وكان عبداً ذكياً له حظمن من التعليم أدرك أنه وراء الحد الفاصل بين ولايات العبيدوالولايات الحرة ، فرفع أمره إلى القضاء يطلب أن يتمتع هو وأسرته بالحرية ما داموا فى ولاية حرة ؛ وانتقلت القضية من محكمة إلى محكمة حتى استقرت فى المحكمة العليا فى وشنجطون ؛ وأصدر القاضى الأعلى حكمه ، فقضى بأنه ما كان لأى عبدزنجى أن يرفع قضية أمام محكمة من محاكم البلاد كما يفعل الرجل الأبيض ، وأنه ليس للمؤتمر ولا لأى مجلس من مجالس الولايات أى سلطة تخوله أن يمنع أى شخص أن يعود بعبيده من الولايات الحرة إلى ولايات العبيد . .

ولقد هز هذا الحكم البلاد هزا عنيفاً ؛ واستقبله أهل الجنوب طربين يطفرون من الفرح ، أما أهل الشمال فكان فى نفوسهم غمة وفى حلوقهم شجى ؛ ذلك أنهم رأوه يجعل اتفاق مسورى اتفاقا غير دستورى ، كما رآه يقضى على قرار نبراسكا الذى يجعل لمجلس الولاية الحق فى تقرير ما يريده فى مسألة العبيد ؛ وبه أصبح العبد كقطمة من الأدوات ليس له حتى فى نفسه أى حق أو شبه حق

وكان خطر هذا الحكم أنه صادر فى تلك المسألة التى تشغل الأذهان من المحكمة العليا للبلاد ، وأن صدوره جاء فى تلك الآونة التى كان الخلاف فيها على أشده بين الناس ؛ وسرعان ما انتشر بين الطبقات صغيرها وكبيرها ، وانشغل به الساسة عن كل أمر سواه فلا حديث لهم أينما تلاقوا إلا ما يحمل من المعانى ! أدرك الجميع أن قد أزفت الآزفة واقترب اليوم الذى يحتكم فيه الفريقان إلى السيف ؛ وأيقن لنكولن أن الحوادث تؤيد ما ارتأى ولعله كان يحس بينه وبين نفسه أن قد اقتربت الساعة التى يتناول فيها معولا لا ليقطع به الأخشاب كما كان يفعل من قبل بل ليهوى به على ذلك النظام البغيض فيضربه الضربة الحاسمة . . .

« يتبع » الخفيف

أسبوع فى فلسطين

للأستاذ محمد سعيد العريان

لما بلغتنى دعوة مصلحة الإذاعة الفلسطينية بالقدس ، لأذيع حديثاً عن المرحوم الرافعى لمناسبة تمام سنة على وفاته ... تهللت نفسى وُسُرِّىَ عنى وقلت : هذا قطر من أقطار العربية لم يزل على وفائه لـكاتب العربية والإسلام ...

ثم عادت إلىّ الذكرى ، فتغشّانى خزىٌ وألم حين ذكرت أن مصر العربية المسلمة لم تستطع — بعد عام — أن تقوم للرافعى ببعض حقه حتى فى الدعوة إلى حفلة تأبين تذيع فضله وتذكر به... إلا محاولات فاشلة لا تغنى ولا تقوم ببعض الوفاء !

وازدحمت فى رأسى صور وخواطر، وتتابعت على عينى ذكريات وذكريات، وتدافعت إلى صدرى آلام وأشجان ؛ وقالت لى نفسى: بعض هذا يا صاحبى ؛ وماذا كنت تنتظر أن تصنع مصر للرافعى ؛ وإن بينه وبين كل أديب فى مصر ثأراً لا يخفف الموت من عنفوانه وشدته !

وكأنما كانت مقالة صديقى الأستاذ سيد قطب فى ذلك الوقت لتذكرنى بالحقيقة التى يعيش فيها بعض أدبائنا حين يحاولون أن يجعلوا من بعض المداوات الأدبية ثأراً يتوارثه الأبناء عن الآباء، فيجعلون من دروسهم الأدبية إلى تلاميذهم ما كان بينهم وبين الموتى من العداوة والبغضاء !

... وهممت أن أعتذر إلى الداعى من حياء وكبرياء ، خشية أن يسألنى سائل هناك : ماذا فعلت مصر للرافعى ولها كانت حياته وفيها مثواه ؟ فتمنعنى العزة القومية أن أتهم قومى بالعقوق ونكران الجميل

ولكنى جمعت عزيمتى وأقنعت نفسى بأن العلم لا وطن له ، وأن بلاد العربية كلها وطن واحد لمن يستشعر فى نفسه عزة المسلم ومجد العربى . وأجبت الدعوة ...

وكنت ثالث ثلاثة من المصريين دعتهم مصلحة الاذاعة بالقدس منذ كانت لإذاعة أحاديث أدبية ؛ أما السابقان فهما الدكتور هيكل باشا والأستاذ المازنى .

* * *

فلسطين هى تلك البلاد المقدسة التى تربطنا بها أواصر وثيقة منذ أقدم عصور التاريخ ، من أيام الفراعين ، إلى صدر الاسلام، إلى عهد صلاح الدين ، إلى تاريخ المماليك ، إلى زمن محمد على وابراهيم الفاتح ... إلى اليوم الذى مزقت فيه الحرب العظمى دول الاسلام ، وتوزعتها أطماعُ السياسة الأوربية !

بيننا وبينها وحدة الدين ، وآصرة اللغة ، وعاطفة الجوار ، وواشجة الدم والنسب من لدن عمرو بن العاص إلى عهد الفاروق . لا يفصلها عن مصر فاصلٌ من جبل أو بحر أو حد مصنوع ، إلا أن تكون تلك القناة الملعونة فى التاريخ — قناة السويس — التى كان إنشاؤها غُنما للعالم وغرماً على مصر ؛ ومنها كان الرمز الأول للقطيعة بين مصر وبلاد الاسلام ، حين شاعت على ألسنة المصريين تلك الخدعة المأثورة : « مصر قطعة من أوربا ! » فكانت دسيسةً سياسية بارعة ، فرَّقتْ بين الأخوين لأبٍ وأمٍّ حيناً من الزمان !

* * *

ركبت القطار من محطة القاهرة فى منتصف الساعة السادسة من مساء السبت ٧ مايو ، وفى وهمى أننى مسافر إلى بلد بعيد ؛ فما أشرق صباح اليوم التالى حتى كنت فى مدينة القدس المطهرة عاصمة فلسطين ، قبل أن تبلغ الساعة التاسعة . ست عشرة ساعة بين القاهرة والقدس ، فى قطار يدب على رمال الصحراء دبيب السلحفاة بطيئاً وانياً ويقف فى الطريق أكثر من أربع ساعات

إن المسافر من القاهرة إلى بعض الأقاليم الجنوبية من مصر نفسها لا يبلغها فى ست عشرة ساعة فى القطار السريع ؛ وإنك مع ذلك لتسأل نفسك : كم مصريًّا رحل إلى هذه البلاد الشقيقة ليتعرف إلى أهله من أهلها ؟ فلا يأتيك الجواب بما يؤكد لك معنى من معانى الاخاء والقربى بين مصر وفلسطين !

لماذا؟ لأن السياسة التى تسيطر على مصر وفلسطين لا يرضيها أن تكون بين مصر وفلسطين رابطة من الود والاخاء . وقد بلغت هذه السياسة فى مصر ما لم تبلغه هناك ، فنسى المصريون

إخوانهم فى فلسطين ولم ينس الفلسطينيون إخوانهم على ضفاف النيل ، وفى كل سنة يفد إلى مصر مئات من شباب فلسطين ، وأدباء فلسطين ، وتجار فلسطين ، ليمتعوا أنفسهم برؤية إخوانهم وأهليهم فى وادى النيل ، ثم يعودون إلى بلادهم ينتظرون ردّ الجميل فلا يجدون الجميل !

ست عشرة ساعة ، لو اطرد الطريق وقلت محطات الانتظار مابلغت ثمانى ساعات ، هى كل ما بين مصر وفلسطين .

ما أقرب وما أبعد !

وصل بى القطار المصرى إلى محطة القنطرة على القناة ، فى منتصف التاسعة مساء ؛ وركبتُ من ثَمَّ قطار فلسطين ، فلم يتحرك للسير قبل منتصف الثانية عشرة . ثم مضى بنا بين كثبان الرمل فى صحراء سينا إلى غايته . فلم يكن لنا مع الظلام الدامس ووحدة مناظر الصحراء ، إلا أن نأوى إلى مضاجعنا — غير الوثيرة — فما استيقظت إلا فى الخامسة صباحاً وقد اجتزنا الحدود المصرية ووقف القطار فى (غزّة) أولى مدائن فلسطين . ونبهتنى أصوات الباعة على رصيف المحطة ؛ ففتحت النافذة لأستقبل أول شعاعة من أشعة الشمس البازغة من وراء الجبال ، تداعب أجفان النائمين خلف نوافذ القطار ؛ وهبّ النسيم ندياً معطّراً بأزهار النارنج كأنه يحمل أريجاً من أنفاس أهل الجنة . وسرّحتُ الطرف فيما أمامى ؛ فاذا صفحة مشرقة تتحدث عن جمال الطبيعة وقدرة الخلاّق ، لم ير المصريون لهاشبيهاً فيما رأوا من جمال الطبيعة المصرية بين الأسكندرية وأسوان .

بيوت مبعثرة على رؤوس التلال وفى سفوح الجبل ، وسهول رملية فيحاء قد نبتت فيها شجيرات القمح والشعير ، وحدائق خُضر ناضرة قد ملأتها أشجار البرتقال والنارنج والمشمش ، ونخلة قائمة هنا ، وخيمة مضروبة هناك ، وكروم زاحفة على الأرض ، وأعشاب نامية على الصخر ، وأخاديد خدّدتها الأمطار فى خدود الجبال ؛ والقطار يسير فى طريق ملتوية بين منحنيات الجبال ، صاعداً منحدراً ، ومشرّقاً مغرّباً ؛ كأنما اتخذوا له هذا الطريق ليجلوا على المسافر كل ما يمكن أن تجتليه العين من رُواء الطبيعة فى فلسطين ؛ فما مللت النظر إلى هذه المشاهد الفاتنة واقفا فى نافذة القطار ثلاث ساعات ، حتى وصلت إلى محطة اللّدّ فى الساعة الثامنة صباحاً ؛ ومحطة اللّدّ هى المحطة المركزية فى فلسطين ، ومنها تتفرع سكة الحديد فروعها إلى مختلف أنحاء البلاد ، أو يستمر القطار سائراً فى طريقه إلى دمشق ...

وانتظرت فى محطة اللّد زهاء ساعة ، قبل أن يتحول بى القطار فى طريقه إلى القدس المطهرة ؛ وفى الطريق بين اللّد والقدس ، صحبنى شاب من أدباء فلسطين أُنسيتُ اسمه ؛ فأخذ منى فى حديث طويل عن السياسة وآخر أنباء الثورة ومصير فلسطين ؛ وكان يتحدث إلى فى حماسة وقوة وانفعال كأنه خطيب على رأس كتيبة يحمّسها إلى الجهاد ؛ فوالله ماأدرى أكانت شدة أسره فى الحديث أم روعة المناظر من حولى أحب إلىّ ...

واقتربنا من بيت المقدس فسكت محدثى قليلاً ثم سأل : هل لى أن أتشرف بمعرفة سيِّدى ؟ قلت : مصرى ! قال : نعم لقد عرفت ذلك من حديثك ، ولكن ... يخيّل إلى أنى أعرف أكثر من ذلك عن سيدى ... ولولا أن الجرائد تقول إن الأستاذ سعيد العريان لا يقدم إلى القدس إلا غداً ، لقلت إنك هو ... إننى أعرفه بصورته من مجلة الرسالة ... !

وكانت أول تحية كريمة يلقانى بها أديب من شباب فلسطين ، وكانت مفاجئة ؛ فأحسست شيئاً من الخجل والارتباك ، لم أجد معهما إلا أن أمد يدى إلى صحفة فى يده مستأذناً ، فدفعها إلى ؛ وفيها قرأت أننى قدم إلى القدس فى صباح الغد ... وهو الموعد الذى كنت حدّدته من قبل لمحطة الاذاعة ، ثم بكرت فى السفر قبل ميعادى بيوم ...

إننى لم أكن أقدّر — وأنا من أنا فى نفسى — أنى سأجد من يعرفنى فى فلسطين أو يهتم لمقدمي ؛ ولو أننى بلغت بنفسى من الغلو أقصى ما تبلغ إليه أمنية شاب مثلى ، لكان ما رأيت من حسن استقبال المقدسيّين وحفاوتهم فوق ما تبلغ منية المتمنى ولا أزهو بنفسي فأزعم أننى أهل لبعض ما لقيت ، ولكنه كرم الفلسطينيين العرب يأبى إلا أن يستعلن فى كل مناسبة ولكل مجال

وفى دار شيخ أدباء العروبة الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى كان مقامى طول المدة التى قضيتها فى فلسطين . لقد دخلت فلسطين وأنا خفيف الظهر فما فارقتها حتى كان علىّ من الدين لهذا الرجل الكريم ما ينوء به كاهلى ؛ فشكراً له ثم شكراً ثم شكراً ... ومعذرة إليه إن عجزت عن الوفاء !

وصحبتنى طائفة كريمة من الأدباء فى غُدُوى ورواحى ، لتهيّئ لى أسباب التمتع في الرحلة بين المشاهد المقدسة والبيوت الأثرية ، فزرت المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، ومصلَّى عمر ،

وكنيسة القيامة، ومصعد المسيح، وبيت لحم، والمتحف الإسلامي، وكلية الروضة، والنادي المصري؛ وتمتعت برحلات عدة كان رفيقي في أكثرها الأستاذ الأديب إبراهيم طوقان وكيل القسم العربي في محطة الإذاعة. ولن أنسى ماحييت فضله وفضل الأصدقاء الكرام: الدكتور إسحاق الحسيني، والشيخ يعقوب البخاري افندي، والأستاذين داود حمدان، وعبد الحميد يس، وغيرهم من أدباء فلسطين وأهل الرأي والجيل

وإذا كان لي أن أذكر شيئاً بخصوصيته في هذه الرحلة؛ فان اليوم الذي خطبتُ فيه في كلية روضة المعارف الاسلامية بالقدس سيظل أبقى أثراً وأخلد ذكراً بين أيامي

وكلية روضة المعارف الاسلامية في القدس، هي مدرسة حرة يشرف على شئونها المجلس الاسلامي الأعلى، ولها منهج خاص يُعدُّ شباب العرب ليكونوا في مستقبل أيامهم رجال العربية والاسلام. ومدير هذه المدرسة هو الأستاذ عبد اللطيف الحسيني ورئيسها الأستاذ الجليل الشيخ محمد الصالح افندي، وتضم بضع مئات من فتيان العرب جمعهم إلى منهل في الثقافة العربية الإسلامية أكثرَ ملاءمة لحال البلاد في هذه الأيام. وفيها طائفة من المدرسين الأكفاء عرفت منهم الأستاذ عبد الفتاح لاشين المصري، والأستاذ عبد الرحمن الكيالي الفلسطيني، وهما من خريجي مدرسة دار العلوم في مصر

زرت الكلية صباح الاثنين ٩ مايو مع الأستاذ طوقان؛ وما بدٌّ لمن يزور فلسطين من أهل العربية من زيارة هذه الكلية... وقضيت ساعة ... ثم انصرفت على موعد للغداء وإلقاء محاضرة في بهو المحاضرات بالكلية عن: «المثل الأعلى للشاب المسلم» بعد ظهر الأربعاء

لا تحدثني عن شباب مصر وطلبة العلم في مصر إذا ذُكر شباب فلسطين وطلبة العلم في كلية الروضة. هنا شباب يحسنون الزينة ويفتَنُّون في وسائل الأناقة والتجمُّل، وهناك رجال قبل سنّ الرجال يعرفون لأي غاية يتعلمون، ويفكِّرون لغدهم قبل أن يفكروا في مطالب الصِّبي وأمانيّ الشباب...

وعرفتُ أولَ من عرفتُ في فلسطين، شبابها العربي المسلم في كلية الروضة...

(لها بقية)

محمد سعيد العريان

رسالة مسلمي الصين
الى مسلمي العالم

عن حقائق الحرب الصينية اليابانية القائمة

إخواننا الأعزاء المسلمين في العالم

أصدقاءنا الأجلاء المحبين للسلام

السلام عليكم وعلينا وعلى جميع المظلومين والمنكوبين في العالم!

إن بلاد الصين الجمهورية تحب السلم كما أحبته وهي ملكية. فهي تسير على نصيحة الحكماء الصينيين بعدم القتال وتقليل الجيش، وكانت تحسن معاملة البلاد المجاورة لها شاعرة بالشرف المشترك حريصة على حياة الجميع، وهذه كلها حقائق تاريخية لدى الأمم الاسلامية

إن اليابان أخت الصين الصغيرة مشتركة معها في الجنس واللغة مجاورة لها كالشفة والسن، وهي متقدمة اليوم باستنارتها من الآداب والتعاليم الصينية

هذا وإن اليابان تذكر دائماً ولا تنسى تلك الفكرة الاستعمارية القديمة فكرة الآباء والأسلاف، فبدأت تثير الحرب بينها وبين الصين منذ ٣٠٠ سنة، ولكن لم تصل إلى حلمها هذا لقلة قوتها في ذلك الوقت. وقد تضاعف جهدها في هذه الأيام القريبة للسعي في إثارة الصينيين فاتكأت على قواها الحربية سائرة على طريقة غير مشروعة وأخذت أراضي صينية كثيرة منذ ٦٠ سنة وقهرت أهاليها واستبدت بسكانها. على أن حكومة الصين الملكية في ذلك الوقت تساهلت وتجاوزت عن هذا الاعتداء، فاضطرب الشعب كله وهاج هائجه واتحد وثار سنة ١٩١١ على تلك الحكومة الملكية الاستبدادية المفرطة

ولما قامت على أنقاض الملكية حكومة صينية جمهورية سارت تلك الحكومة الجديدة في طريق البناء والعمران. وبعد القضاء على مبدأ الملكية وانحدار المحافظين عليه. جاءت الحرب العظمى فانتهزت اليابان فرصة سوء الحال في الصين وكثرة مشاغل الدول فعرضت على الصين معاهدة تحتوي على ٢١ مادة كلها ترمي إلى إخضاع البلاد اقتصادياً وأدبياً، وأجبرت الحكومة الصينية على قبولها وتوقيعها. فثار لذلك الطلبة الصينيون ونشروا دعاية وطنية

وبدءوا حركة المقاومة واجتهدوا في المخالفة والكفاح فلم تنجح اليابان كما كانت ترجو وتتمنى

وفى سنة ١٩٢٣ حدث فى اليابان زلزال شديد فعاونتها الصين والصينيون بكل قواهم وعطفوا عليها وجمعوا الأموال لمساعدتها ولكنها جزت الحسنة بالسيئة فأرسلت سنة ١٩٢٦ جيشاً كبيراً إلى الصين ليمنع تقدم الجيش الصينى الذى أرادت الحكومة الصينية أن تخمد به المشكلين

واتفق أن كتب رئيس وزراء اليابان الأسبق عريضته السرية التى عرضها على امبراطور اليابان فى شأن استعمار الصين فآسيا كلها ، وقال فيها :

« إن فى خطة امبراطوريتنا الثالثة أن نستعمر منشوريا ومنغوليا والصين كلها . ولكن قبل أن نستعمر الصين الداخلية يجب أن نستعمر منشوريا ومنغوليا كما أننا نستعمر آسيا بعد أن نملك الصين كلها ليعلم العالم بذلك أن آسيا الشرقية آسيانا فلا يعتدى عليها أحد »

وبهذا ترى اليابان تصرح بإرادتها فى استعمار آسيا كلها

ولما كان الفيضان سنة ١٩٣١ عم أغلب البلاد الصينية وشمل أكثر من ١٠٠ مليون نسمة عطف عليها العالم أجمع وساعدها مادياً وأدبياً إلا اليابان التى لم تحرك ساكناً فى تلك المساعدة ناسية حق الجوار متناسية الجميل ، لم تفعل هذا فحسب بل قد اغتنمت تلك الفرصة وتلك الحالة المحزنة في الصين واحتلت مكدون عاصمة منشوريا ورفضت قرار عصبة الأمم بل وانسحبت منها كأنها تثور على العالم أجمع

وبعد ذلك حاصرت اليابان سواحل الصين وضربت شنغهاى واحتلت ولايات الصين الشمالية الأربع وكونت حكومة غير مشروعة . وهى مع ذلك تساعد على نشر المخدرات فى المناطق التى احتلتها وتساعد المهربين بجنودها المسلحة وترسل الجيوش إلى الصين بدون استئذان وتطير فى الجو الصينى بطائراتها ، فاحتجت حكومتنا على هذا التصرف السيء غير المشروع وفاوضتها ، ولكن الاحتجاج والمفاوضة لم يجديا نفعاً ولا فائدة

لم تزل اليابان تسير على خطتها الاستعمارية فبعثت رسلا إلى شمال الصين يحرضون حكام الولايات الشمالية على الانفصال عن الصين فلم ينجحوا . فغيرت خطتها البطيئة الخفية بالسريعة المكشوفة فأرسلت جيوشها فاحتلت مدينة وانبين بجوار بكين (٧ يوليو سنة ١٩٣٧) وقت استعراض الجيوش اليابانية قرب لوكاوتشا و ، ولم ينجح الصينيون فى منعهم ، فكان ذلك بدء الحرب المدمرة الطاحنة الغاشمة المخربة الحالية

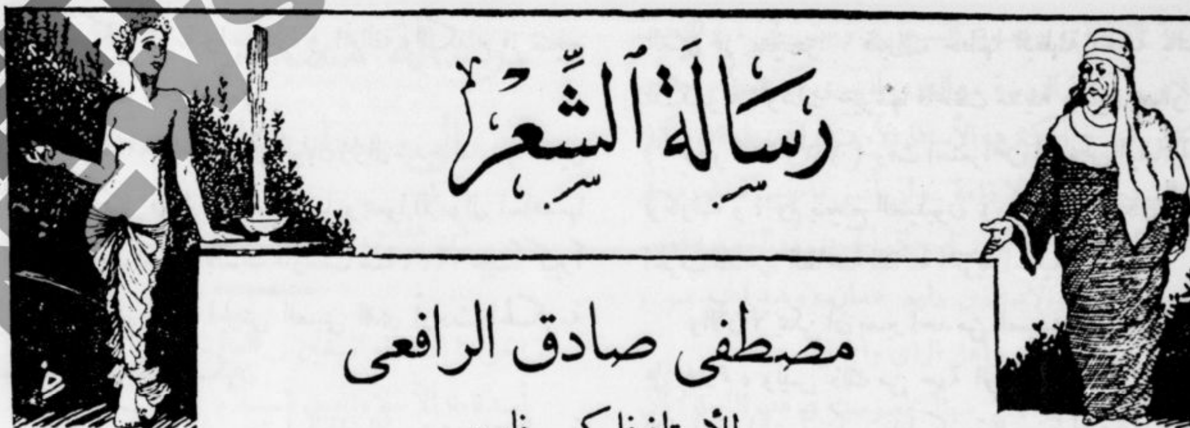
والآن لا يمكن أن يصبر أحد من الصينيين على اعتداء اليابان على بلادهم ، وليس ذلك من جهة الوطنية فقط بل ومن جهة الانسانية والحق أيضاً . فالحكومة الصينية لا يمكنها السكوت على ضياع بلادها واقتطاعها جزءاً جزءاً مع حبها للسلم ، لأن الصبر على ذلك يهين الحق ويعذب الانسانية ويسم الصينيين بسمة الجبن فلابد إذاً من المقاومة ، وقد قال القائد العام المارشال تشانغ كاى شيك : لانترك السلم ما كان لنا أمل فيه ولا نقوم بالتضحية ما دام وقتها لم يحن . والآن قد انقطع أمل السلم وحان وقت التضحية فبدأت تتجمع قوات الحكومة الجرارة فى الدفاع عن البلاد حتى تنال الفوز الأخير ولو غرقت البلاد الواسعة العريقة فى الحضارة كلها والأهالى جميعاً فى الدماء

لهذا قد اتحدت الصين حكومة وشعباً فى الدفاع عن البلاد ومقاومة اليابان

والمسلمون فى الصين كذلك متحدون مع غيرهم فى الدفاع عن الوطن لأنهم يعرفون أن حب الوطن من الايمان وأن الجهاد فى سبيل الحق والانسانية هو الجهاد فى سبيل الدين الصحيح

وقد اشترك بعضهم فى الحرب تحت إمرة القواد المسلمين المشهورين ، وقام غيرهم على إنقاذ المنكوبين وشئون التمريض وغير ذلك وسعى آخرون فى نشر الدعاية للصين واتحاد المسلمين فى العالم ليقفوا إلى جانب المسلمين فى الصين فى وجه المعتدين المخالفين للانسانية والحق والدين الصحيح

والآن لا يمكننا أن نصبر على اعتداء دولة أجنبية على وطننا ولا على إضرار المعتدى الأثيم بإخواننا المسلمين فى بلادنا ، فلذلك وضعنا هذا الخطاب لنبين لإخواننا المسلمين فى العالم ومن أحب السلام والحق ما لاقاه المسلمون وغيرهم فى الصين من المحنة العظمى والحرب المشئومة رجاء أن يحكموا بالعدل وأن يقوموا بعمل إيجابى يعاقب به المعتدى أدبياً ومادياً فيعادية السلام العالمى ويحقق



مصطفى صادق الرافعى

للأستاذ فليكس فارس

تواريتَ فى الملأ الأرفعِ ... فأنتَ هُناكَ وأنتَ معى
هتكتَ عن الروح سترَ الترا ... بِ وسترُ ترابى لم يُقشعِ
أماطَ القضا أحدَ البرقُعيـ ... ـنِ ومازلتُ أُدرج في برقعى
ورسمُكَ قد غارَ فى ناظرى ... وصوتُكَ قد غارَ فى مسمَعى
فأصبحتَ أقربَ منى إلى ... قرارةِ نفسىَ فى أضْلُعى
كأنكَ من قبلُ كنتَ الخيا ... لَ فصرتَ اليقينَ بما لا أعى

***

أراكَ ، فيا ويحَ مَنْ لا يرى ... حبيباً تولّى ولم يرجعِ
يسائل عنه طِباقَ الثرى ... وليس سوى الوهمِ فى المضجعِ
أراكَ طليقاً كما كنتَ فى ... حياتك فى عيشِكَ الموجعِ
وما يأسرُ الدهرُ غيرَ الأُلى ... يضلّون فى العالمِ الأخدعِ
فمَن عاش عبداً بدنيائه ... سيُبعثُ عبداً على المَطلعِ
ومَنْ لم يكن ههُنا أروعاً ... فليسَ هنالك بالأروعِ

***

عرفتك يا مصطفى مثلما ... أراكَ وقد جُزتَ للمصرعِ
عرفتك روحاً يدور بها ... من الدهرِ جيشُ الشقا المُفزعِ
وأنتَ تحدّى صروفَ الزما ... نِ وتهزأُ فى حصنكِ الأمنعِ
وكيف تصيبك فى مقتلٍ ... إذا لم يَكُنْ فيكَ من مطمعِ
غنمتَ من الأرضِ أرواحها ... وعفتَ التهاويلَ للمدّعى
إذا الروحُ نالت معانى الوجو ... دِ تخلّت عن الحرفِ والمقطعِ

به غرض الاسلام الأسمى لأن الله يأمرنا بالتعاون على الخير والمصلحة إذ قال : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وقال سبحانه وتعالى أيضاً : (إنه لا يحب المعتدين)

نور محمد دابوسين — ناظر مدرسة المعلمين الاسلامية بشنغهاى ورئيس الجمعية الاسلامية الصينية

محمد ابراهيم شاه كوجين — رئيس البعثات الصينية بالأزهر الشريف بمصر

***

هذه هي مقدمة الكتاب الذى وضعه الحاج الامام الأستاذ نور محمد دابوسين والحاج الأستاذ محمد ابراهيم شاه كوجين والذى ترجمه الأستاذ أبو بكر الصينى من اللغة الصينية إلى اللغة العربية وهذا الكتاب مشتمل على مقالات خطيرة مفصلة متعلقة بالحرب الصينية اليابانية القائمة الآن وأسبابها ونتائجها المتوقعة من الوجهة العسكرية والاقتصادية والسياسية .

وفيه فصل يبين فظائع اليابانيين فى الصين منذ بدأت الحرب إلى الآن من تدمير المدارس والجامعات والمساجد والمباني الخيرية والصالح الأدبية وقتل الطلبة والشبان والمدنيين غير المحاربين والفجور بالنساء والفتيات ونهب الأموال والحلى واستعمال الغازات السامة فى الحرب وغير ذلك

وفيه فصل عن استماتة الصينيين فى دفع الأعداء عن وطنهم العزيز واستشهاد المسلمين منهم فى محاربة اليابانيين وهم تحت إمرة قواد مسلمين وغير مسلمين فى الجنوب والشمال وعددهم يفوق المليون . وجهاد القائد المسلم المشهور فى الصين الجنرال عمرباى تسون هسى ودفاعه عن الوطن بكل قواه . فاذا انتصرت الصين انتصر المسلمون فيها

وفيه فصول أخرى

هذا وقد كتب الأستاذان فى آخر الكتاب رجاء المسلمين فى الصين إلى المسلمين في العالم ألا يشتروا بضائع اليابان ولا يبيعوا إليهم المعادن ولا المواد الغذائية حتى يرجع اليابانيون عن خطتهم الاستعمارية وأن يساعدوهم أدبياً ومادياً بواسطة (جمعية الهلال الأحمر) بكل ما يستطيعون

وبما أننا مسلمون فعلينا واجباتنا الدينية ومنها المعاونة على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان — بذلك ننشر هذه الصيحة العالية بين المسلمين كي تجد صداها الحسن عندهم وردهم الجميل عليها

(***)

لم يطب للنبوغ فيك مقام...

لحن حزين هزته ذكرى الأديب العربي الخالد مصطفى صادق الرافعي

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لم يَطِبْ للنُّبوغ فيكِ مُقَامُ — لا عَلَيْكِ ـ الغداةَ ـ منِّي سَلامُ
المنارَاتُ تَنْطقُ بَيْنَ كَفَّيْكِ! ويزْهو بشاطئَيْك الظَّلامُ
والصَّدَى مِنْ مَناقِرِ البُومِ يحْيا — ويموتُ النَّشيدُ والإلْهامُ
قد حبَوْتِ النَّعيبَ ظِلَّكِ لكِنْ — أيْنَ قرَّتْ بِشطِّكِ الأنْغامُ؟
في هَجيرِ الأيَّامِ تمضى أغانيكِ حيارَى، يؤُجُّ فيها الضِّرامُ
عَبَرَتْ مَسْبَحَ الجداوِلِ، والنَّهرِ، وغابَتْ كأنَّها أوْهامُ
تَسْكُبُ السِّحْرَ مِنْ شِفاهٍ عليْها — مَصْرَعُ السِّحْرِ: لَهفَةٌ! وأُوامُ!
تَسْكُبُ العطرَ والخمائلُ صُفْرٌ — ماتَ في الأيْكِ نوْرُها البسَّامُ!
تَسْكُبُ البُرْءَ مِنْ جراحٍ عليْها — تُرْعِشُ العمْرَ شَكْوةٌ وسَقامُ!
أنْتِ يا (مِصْرُ): واصْفَحي إنْ تعتَّبْتُ واشجاكِ مِنْ نشيدي المَلامُ..
.. قدْ رعَيْتِ الجميلَ في كل شيءٍ — غيْرَ ما أحْسنَتْ بِهِ الأقلامُ!
مِنْ رَوابيكِ خفَّ للخُلْدِ رُوحٌ — قد نعاهُ لِمصْرِكِ الإسْلامُ
لَبِسَتْ بعدَهُ العروبَةُ ثوْباً — صِبْغُ أسْتارِهِ أسًى وقتامُ
لم تُفِقْ مِنْ شُجونِها فيهِ (بغْدا — دُ) ولا صابرَتْ أساها (الشامُ)
وعلى (بلدةِ المعِزِّ) دمُوعٌ — خلَّدَتْ ذِكْرَهُ بها الأهرامُ
صاحِبُ المعْجزاتِ أعْيَتْ حجا الدُّنْـ
ـيا، وعَيَّتْ عن كشْفِها الأفهامُ
يَخْبأُ الحِكمةَ الخفيَّةَ في الوَحْيِ كما تَخْبأُ الشذى الأنسامُ
ويزُفُّ البيانَ كالسَّلسلِ المسكوبِ تهفو بشطِّهِ الأحْلامُ
فإذا رقَّ خِلْتَهُ قَبْلُ الفجْرِ على نارِها يلذُّ المنامُ
أوْ حديثَ النَّسيمِ للزَّهْرةِ السَّكْرى، من الطَّلِّ كأسُها والمُدامُ
أوْ حفيفَ السَّنابِلِ الخُضرِ.. رفَّتْ
في رُباها قنابِرٌ ويمامُ
أوْ دُعاءَ النُّسَّاكِ.. أبلَتْ صداهُمْ — في حِمَى اللهِ سَكْرَةٌ وهُيامُ
وإذا ثارَ خِلْتَهُ شُهُبَ اللَّيْلِ أطارَتْ لهيبَها الأجْرامُ
أوْ شُواظاً مسطَّراً... قذفَتْهُ — مِنْ لظَى العقلِ هَيْجَةٌ وعُرامُ
أتْعَبَ الجاهدينَ خلفَ مَراميهِ بقَصْدٍ منالُهُ لا يُرامُ
أصْيَدُ الفِكْرِ والبراعةِ والوَحْيِ.. على كِبْرِهِ يفُلُّ الحُسامُ
حيَّرَ النقدَ أنْ تروغَ المعاني — عَنْ مُريديهِ، أوْ تنِدَّ السِّهامُ
فانزَوى الحاسدُونَ.. إلاَّ فُضولاً — لا يُداريهِ عائبٌ شتَّامُ
قد سقاهُمْ مِنْ سِنِّهِ مصْرَعَ الرُّو — حِ وإنْ لم تُلاقِهِ الأجْسامُ
فلتقُمْ بعدَ موْتِهِ ثورةُ الشَّا — نئِ فقدْ فارقَ الوغَى الصَّمْصامُ
ولهُ الشَّأنُ.. عِزَّةٌ وخُلودٌ — ولهمْ شأنُهُمْ صدًى وكلامُ
إيهِ يا ساقيَ «المساكينِ» كأساً — لمْ تُسَلْسِلْ رحيقَها الأيَّامُ

وعاينْتِ الحقَّ نورَ الهدى — بكلِّ مُصلٍّ على مركعِ

***

فقدناكَ يا مصطفى جامعاً — شتيتَ بني العُربِ في الاربُعِ
فقدناكَ تهدى شعوباً مضت — إلى القفرِ للمنبتِ المُمرعِ
بدا الآلُ يشعلُ سعَّارها — فقُدتَ العطاشَ إلى المنبعِ
ورحتَ ترمُّ من صرحِهمْ — بما أنهارَ من متنهِ الأنصعِ
وغيرُكَ قد ضلَّ عن ردمِهِ — فرقَّعَ بالحجرِ الأسفعِ
وطفلُ العروبةِ في بعثِهِ — يسيرُ ضلولاً على المهيعِ
هديتَ الرضيعَ إلى أمِّهِ — وغيرُكَ أهداهُ للمرضعِ

***

فقدناكَ يا مصطفى صورةً — لجيلٍ بأصلابِنا مودَعِ
لجيلٍ سيعرفُ أنسابَهُ — فينكرُ كلَّ دخيلٍ دَعي
إذا نازعتهُ الدُّنى روحَهُ — يهبُّ بهوجائهِ الزعزعِ
يثورُ وفي قلبِهِ ربُّهُ — فيمشي على السيفِ والمدفعِ

***

سلامٌ على غائبٍ حاضرٍ — تكفكفُ ذكراهُ من أدمعي
إذا ما سلا الناسُ موتاهمُ — بنسيانِ فقدهمِ المفجعِ
سلوتُكَ بالذكرِ يا مصطفى — وأنتَ بروحي فأنتَ معي

فليكس فارس

قد جعلتَ الآلامَ وحيَك حتى ... فجرتْ نبعَها لكَ الآلامُ

ما الذى كان فى سحابتِكَ الحمـ ... ـراءِ إلاّ الشجونُ والأسقامُ

كنتَ فى عزلةٍ مع الوحى تشكو

ولشكواكَ كاد يبكى الغمامُ

تمسحُ الدمعَ من عيونِ اليتامى ... وببلواكَ ينشِجُ الأيتامُ !

صنتَ عهدَ البيانِ لم ترخصِ القوْ ... لَ ، ولا شابَ سحرَكَ الإعجامُ

وتفرّدتَ بالصياغةِ .. حتى ... قيلَ فى عالمِ البيانِ : إمامُ !

ووهبتَ (الفرقانَ) قلبَكَ .. حتى ... فاضَ من قدسهِ لكَ الإلهامُ

فبعثتَ الإعجازَ كالشمسِ منه ... يتهدّى على سناهُ الأنامُ

قمِ اليومَ ! وانظرِ الشرقَ . ضاعتْ

من يديهِ مواثقٌ وذمامُ

مزّقتْ قلبهُ الذئابُ من الفتـ ... ـكِ .. ونامَ الرعاةُ والأغنامُ !

فى (فلسطين) لو علمتَ جراحٌ ... ما لها فى يدِ الطغاةِ التئامُ

وطنُ الوحى والنبوّاتِ والإلـ ... ـهامِ .. أودى ! فعاثَ فيه الطغامُ

جذوةٌ فى جوانحِ الشرقِ تغلى ... فيروعُ السماءَ منها اضطرامُ

يذبحُ القومُ فى المجازرِ - فرطَ الظـ ... ـلمِ فيها - كأنهم أنعامُ

ويهانُ (المسيحُ) فى موطنِ القدْ ... سِ ، ويشقى بأرضهِ الإسلامُ

وحماةُ البيانِ خرسٌ .. كأنَّ الذّ ... وْدَ عن كعبةِ الجدودِ حرامُ!

إيهِ يا «مصطفى» وفى القلبِ أشجا ... نٌ ! وفى الصدرِ حرقةٌ وضرامُ

ليتَ لى سمعَكَ الذى كرّمَ اللـ ... ـهُ صداهُ ! فمتَّ فيه الكلامُ

كنتَ والوحى عاشقَينِ فماذا ... بعدَ نجوى السماءِ يبغى الغرامُ؟

كنتَ والوحى فى سكونِ نبىٍّ ... عادهُ فى صلاتهِ إلهامُ

تتلقّاهُ خاشعَ الهمسِ عفّاً ... مثلما رفَّ بالغديرِ حمامُ

لا ضجيجٌ ! ولا اصطخابٌ ! ولكنْ

هدأةُ الروحِ قد جلاها المنامُ

هكذا نعشُكَ الطهورُ تهادى ... كالأمانى ، لا ضجةٌ لا ازدحامُ!

فاذهبِ اليومَ للخلودِ كما كنـ ... ـتَ .. تغاديكَ هدأةٌ وسلامُ

لم يمتْ من طواهُ فى قلبهِ الشرْ ... قُ ! وغنّى بذكرهِ الإسلامُ !

محمود حسن اسماعيل

راقصة

للأستاذ محمود غنيم

هنا الغرامُ والولَهْ ... يا منظراً ما أجملَهْ

أتلك أنثى خطرتْ ... أم فتنةٌ منتقلهْ

مقبلةٌ مدبرةٌ ... مائلةٌ معتدلهْ

كأن تحت إخمصيـ ... ـها جمرةً مشتعلهْ

باسمةٌ يحسبها ... كل فتى تبسم لهْ

تدورُ حول نفسها ... كما تدورُ العجلهْ

وتنثنى كأنها ... عن نفسها منذهلهْ

أبدلها خالقها ... بكلِّ عظمٍ عضلهْ

يا حسنها إذ عركتْ ... أنملةً بأنملهْ

أناملٌ من فضةٍ ... لينةٍ منفتلهْ

جميعُ ما فى جسمها ... يغريك أن تقبّلهْ

كم مقلةٍ شاخصةٍ ... همّتْ به لتأكلهْ

والسحرُ كلُّ السحرِ فى الأ ... نوثةِ المكتملهْ

من ترْمِهِ بلحظها ... أدنت إليه أجلَهْ

كم ارتقت مسرحها ... فصيّرتهُ مقصلهْ

دقّتْ على مسرحها ... بساقها منفصلهْ

كأن فى المسرح حرْ ... باً هى فيها البطلهْ

زلزلةٌ قد أحدثت ... فى كل قلبٍ زلزلهْ

تستر نصف جسمها ... غلالةٌ مشكّلهْ

يشفُّ عن أعضائها ... من تحتها مفصّلهْ

جسم كموجِ عيلمٍ ... تسبح فيه الأخيلهْ

تحسَبُ فيه كلَّ عضـ ... ـوٍ وحدةً منفصلهْ

فليس بين خصرها ... وبين صدرها صلهْ



في تاريخ آداب اللغة العربية

الأستاذ كارل بروكلمن حجة المستشرقين العليا في الآداب العربية، واسمه معروف مستطير في الدوائر العلمية سواء في الغرب أو في الشرق العربي . وقد ظفر بتلك النباهة من طريق تآليف غاية في التدقيق العلمي والاطلاع الوافر . وعلى رأس هذه التآليف كتابه الفريد أيام برز (سنة ١٨٩٨) « تاريخ الآداب العربية » باللغة الألمانية . وقد استفاد من هذا الكتاب الخصب عدد غير قليل ممن ألفوا في الموضوع عينه . وإذا تقضى على بروز الكتاب زمن رأى صاحبه أن ينشر له تكملة يورد فيها ما فاته ويستدرك ما فرط منه ويثبت ما جاء به العلم منذ سنة ١٨٩٨ . وقد ظهر من التكملة الجزء الأول وبعض الجزء الثاني . وستقع التكملة فيما يزيد على ألفي صفحة من القطع الكبير . ومما نذكره اليوم على سبيل الإشارة — مرجئين الكتابة إلى حين صدور التكملة كاملة — أن الأستاذ كارل بروكلمن أثبت فيما أثبت من المصادر والمراجع طائفة من المؤلفات أصحابها علماء وأدباء من لبنان والشام والعراق ومصر خاصة ، منهم : حفني ناصف وجورجي زيدان وأحمد الاسكندري ومصطفى صادق الرافعي وأحمد زكي (باشا) وأحمد حسن الزيات وطه حسين وسلامه موسى وزكي مبارك ومحمد فريد وجدي وبشر فارس ثم شفيق جبرى وفؤاد أفرام البستاني والأب الكرملي ومعروف الرصافي

في مرقص لا يعرف الـ ... همَّ فؤادٌ نزَله
كأنه في بقعة ... عن الدنى منعزله
بين الدنى وبينه ... ستائرٌ منسدله
الهمّ فيه واقفٌ ... خجلانَ يُخفي خجلَه
دعني أضلُّ ساعةً ! ... عبء التقى ما أثقلَه
ما كنتُ من أهل المسو ... ح والذقون المسبلَه
كم ورَعٍ مصطنَعٍ ... وعفةٍ مفتعَلَه

(كوم حماده) محمود غنيم

جوائز وزارة المعارف لتشجيع التأليف بين المدرسين

أصدر صاحب المعالي الدكتور حسين هيكل باشا وزير المعارف القرار التالي :

بما أننا نرى ضرورة العمل على تشجيع الانتاج بين المدرسين بمدارس الوزارة وبالمدارس الحرة من طريق حفزهم إلى البحث والتأليف في موضوعات اختصاصهم والموضوعات المتصلة بها بما يؤدي إلى تقوية شخصيتهم العلمية وزيادة حيوية دروسهم وتكوين ذخيرة من الرسائل العلمية والأدبية ، تدعو إلى نشاط التفكير العام ، اذ ينتفع بها الطلاب والجمهور المثقف على السواء ، وتكون بعيدة عن التقيد بالمناهج وان اتصلت بموضوعاتها

وبما أن المدرسين والأساتذة هم في جميع البلاد المتحضرة مصدر التجنيد العلمي والفكري والعملي في توجيه الحياة الاجتماعية إلى أحدث المبادىء وأدق الآراء العلمية والأدبية والفنية

بما أننا نرى من خير ما يمهد لهذه الغاية ، ويدفع إلى السير في طريقها رصد جوائز سنوية تمنح للمدرسين الذين يضعون رسائل في موضوعات علمية أو أدبية على أن يكون لنيل هذه الجوائز أثر في تقدير كفاية المدرس وما يستتبعه هذا التقدير من التشجيع قرر

المادة ١ — تعقد وزارة المعارف كل عام مباريات للتأليف بين المدرسين تخصص لها جوائز ثمان قيمة كل منها مائة جنيه ، تمنح للمتبارين الذين ترى لجان التحكيم أن رسائلهم جديرة بالمنح ويكون تخصيص هذه الجوائز على الوجه الآتي :

جائزة للموضوعات الأدبية ، وجائزة للموضوعات الاجتماعية،

وجائزة للموضوعات الفلسفية ، وجائزة للموضوعات الجغرافية ، وجائزة للموضوعات التاريخية ، وجائزة للموضوعات الطبيعية ، وجائزة للموضوعات الرياضية ، وجائزة للموضوعات المتصلة بالتربية وعلم النفس

المادة ٢ — يشترط في الرسائل التي يتقدم بها واضعوها لنيل الجائزة أن تكون باللغة العربية وان تكون موضوعاتها بعيدة عن التقيد بالمناهج وإن اتصلت بموضوعاتها ، بعيدة عن طبيعة الكتب المدرسية ، وإن تبدو فيها روح الابتكار في طريقة معالجة الموضوع على الأقل ، وأن يكون لها اتصال بحياة البلاد العلمية والأدبية أو تاريخها القومي ، وأن تصطبغ بالصبغة القومية في الأمثلة والتطبيق ، وأن يراعى في التأليف التبسط واستيفاء البحث من جميع أطرافه والأمانة العلمية في إيراد الآراء والنظريات ، وأن يتبع واضع الرسالة أسلوب البحث العلمي الحديث ، وطرائق النقد الحديثة في ايراد نظرياته ومناقشتها . كما يشترط أن تكون الرسائل قد وضعت خصيصاً لهذه المباريات ولم يكن قد سبق طبعها ونشرها ، والا تقل عن مائتي صفحة من القطع المتوسط

المادة ٣ — تحدد لهذه المباريات في كل عام مدة غايتها ستة شهور تبتدىء في أول يونيو وتنتهي في آخر نوفمبر ، يتقدم فيها المتبارون برسائلهم للوزارة غير مطبوعة

المادة ٤ — تشكل في كل عام عقب انقضاء الأجل المحدد للمباراة لجان للتحكيم ، تقوم ببحث الرسائل التي تقدم في المباراة ويكون أعضاؤها من الإخصائيين في موضوعاتها

المادة ٥ — يجوز للجان التحكيم الا تمنح جائزة ما عن كل أو بعض الرسائل إذا لم تتوافر فيها الشروط المطلوبة ، أو اذا لم تصل الرسالة إلى المستوى الجدير بالجائزة

كما يجوز لهذه اللجان أن تقسم الجائزة الواحدة على أكثر من رسالة إذا تساوت قيمتها العلمية أو تقاربت

المادة ٦ — تتولى وزارة المعارف نفقة طبع الرسائل التي تنال الجوائز ونشرها وتحفظ للمؤلف قسطا من أرباحها

المادة ٧ — على وكيل الوزارة تنفيذ هذا القرار

مشروع المسابقة في تاريخ الأدب العربي المصري

نشرنا في العدد الماضي خبراً عن مشروع المسابقة التي وضعه معالي الدكتور هيكل باشا وزير المعارف في موضوع « تاريخ الأدب العربي بمصر من الفتح الاسلامي إلى الآن » وقد رأى معالي الوزير أن يستطلع آراء المشتغلين بالدراسات الأدبية في المشروع قبل إقراره . وقد تلقى ردود الأساتذة وكلها متفقة على تشجيع الفكرة واعتبارها عاملاً قوياً من عوامل التمكين للمعاني القومية والنهضة الأدبية. ويمكن تلخيص مختلف الآراء فيما يلي :

يؤيد فكرة المسابقة تفتيش اللغة العربية ، وأساتذة دار العلوم ، والأستاذ أمين الخولي من كلية الآداب

ويؤيد بحث الموضوع ويخالف فكرة المسابقة ويطلب اختيار لجنة من الباحثين المعروفين الدكتور طه حسين بك والأستاذ أحمد أمين . وتخالف دار العلوم فكرتهما وترى أن فيها تثبيطاً لهمم الشباب وتحقيقاً لما يصح أن يسمى احتكاراً علمياً

ويطلب تفتيش اللغة العربية مد المدة إلى سنة ، ويتفق معه في ذلك الأستاذ أمين الخولي ؛ ويطلب الدكتور طه حسين بك والأستاذ احمد أمين جعل المدة سنة وأربعة أشهر . وترى كلية الآداب زيادة المبلغ المقرر للجوائز . ويرى تفتيش اللغة العربية وضع برنامج للمتسابقين ، في حين يرى الأستاذ الخولي ترك الحرية المطلقة لهم

وستؤلف لجنة لبحث هذه الآراء برياسة وكيل الوزارة ثم تقدم تقريرها الى معالي الوزير ويصدر القرار على أساسه

شاعرة مصرية تفوز بجائزة الشعر الفرنسي

وزع في الاسبوع الماضي « بيت الشعر » وهو الهيئة التي تضم شعراء فرنسا جوائزه السنوية برياسة المسيو فالي بابيس السكرتير العام السابق للكوميدي فرانسيز

وقد منح الشعراء الفرنسيون الجوائز الثلاث المخصصة لأبناء فرنسا أما الجائزة الرابعة ؛ وهي جائزة ادجار بو المخصصة للشعراء الأجانب الذين ينظمون الشعر باللغة الفرنسية وقدرها خمسة آلاف

فرنك — فقد منحتها السيدة نيلي فوشيه زنانيري على كتابها الأخير « الظهر تحت السماء المحرقة »

وقد ألقى المسيو فالي بابيس كلمة قال فيها : « إن هذه الجائزة — وهي موجودة منذ عشر سنوات — تفوز بها اليوم لأول مرة شاعرة مصرية . وكان الذين نالوها قبل الآن من الشعراء البلجيكيين والسويسريين واللبنانيين والكنديين

وإننا لنغتبط اليوم بأن تنال هذه الجائزة شاعرة مصرية ، هي السيدة نيلي فوشيه زنانيري ، من أجل كتابها الممتع الطريف

وكانت قد تقدمت لهذه المسابقة عدة مرات وها هي الآن تجنى ثمرة ثباتها ومواهبها الشعرية الصافية الفياضة بالشعور

وإننا سعداء اليوم بأن تكون جائزتنا من نصيب مصر ، حيث للثقافة الفرنسية مكانة كبيرة ، وحيث يقابل الكتاب والمحاضرون الفرنسيون بكثير من الحفاوة »

ثم هنأ المسيو فالي بابيس الصحافة المصرية على نموها وازدهارها في السنوات الأخيرة وأشار إلى أن المسيو روبير فوشيه صهر السيدة الفائزة ومدير مكتب « الأهرام » في باريس انتخب من بين ٢٥٠ من الصحافيين الأجانب سكرتيراً عاماً لجميعهم . وهكذا فان الصحافة المصرية والشعر المصري يحتلان مكانة عالية في باريس

وأشار السكرتير العام بعد ذلك إلى أن السيدة زنانيري منحت الجائزة باجماع الآراء ، بين ٤٦ متسابقاً أرسلوا ١٥٠ مؤلفاً

وقد أرسل « بيت الشعر » كتاباً رسمياً إلى محمود فخري باشا وزير مصر المفوض في باريس يبلغه فيه أن الجائزة منحت لشاعرة مصرية

بين الرافعي والعقاد

قرأت ما يدور الآن من الجدل بين أنصار الرافعي وأنصار العقاد ، وقد أردت أن أدلى بهذه الكلمة الصغيرة في البيت الذي يطعن فيه أنصار الرافعي من قصيدة العقاد في الغزل الفلسفي :

فيك مني ومن الناس ومن ... كل موجود وموعود تؤام

فقد ذهب الرافعي رحمه الله في نقده إلى أن من كل موجود البق والقمل والنمل والخنفساء والوباء والطاعون والهيضة وزيت الخروع والملح الانجليزي ، إلى واوات من مثلها لا تمد ، أفيكون هذا كله في حبيب إلا على مذهب العقاد في ذوقه ولغته وفلسفته ؟

ورأيي في هذا أن العقاد يمشي في بيته مع بعض الفلاسفة الذين يرون كل شيء في الطبيعة جميلا ، ويذهبون فيها مذهب الهيام الذي يبدي كل شيء فيها حسناً ، وهذا شأن كل محب مع حبيبه إذ يبلغ به الهيام فيه إلى حد لا يرى فيه نقصاً أو عيباً ، بل إلى حد أن يرى نقصه كمالاً وجمالاً :

وعينُ الرضا عن كلِّ عيب كليلة ... ولكنَّ عين السخط تُبدى المساويا

فبيت العقاد من هذه الناحية منسجم مع موضوع قصيدته في الغزل الفلسفي ، ولم يكن فيه محتاجاً إلى تقييد جرير في قوله :

ما استوصف الناس من شيء يَرُوقُهم ... إلا أرى أمَّ عمرو فوق ما وصفوا

لأن جريراً لم يكن يتغزل على ذلك النحو الفلسفي ، وإنما كان يذهب في غزله المذهب الظاهر في الشعر العربي

ولا بد أن نشير بعد هذا إلى أن كل شيء في هذا الكون لا يخلو من حسن يسوغ إجراء بيت العقاد على عمومه ، وقد ذهب إلى هذا بعض العلماء في تفسير قوله تعالى : (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) قال العلامة الزمخشري : إنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة ، وأوجبته المصلحة ، فجميع المخلوقات حسنة ، وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن

عبد المتعال الصعيدي

حول الفيلسوف « مسكويه » وعصره

سيدي الأستاذ الفاضل محرر الرسالة الغراء

بعد التحية : أشكر لكم وللأخ الفاضل الكريم الأستاذ محمد عبد الغني حسن ما قدمتماه من استدراك جميل حرصتم فيه من جانبكم على أن تسموا الفيلسوف « بابن مسكويه » بدلا من « مسكويه » ، وحرص حضرة الأخ الكريم على أن يجعل حياته في العصر « الرابع » لا « الثالث » ، وعلى أن هذا العصر لم يكن عصر تكوين للمعاجم اللغوية بالمعنى المضبوط

فأما استدراككم بشأن الاسم فما رأيكم في أن كثيراً من المؤرخين والمترجمين القدماء والمحدثين قد ذكر الرجل مجرداً عن

« الابن » فدعاه آنا « مسكويه » ، وآنا « أبو علي أحمد بن محمد ابن يعقوب مسكويه » ؟ وما رأيكم أن من بين من دعوه كذلك القفطي وياقوت وابن أبي أصيبعة والوزير أبو شجاع والمستشرق مرجليوت ؟ وما رأيكم في أن « التوحيدي » « معاصره » كان يدعوه دائماً « بمسكويه » كما جاء في كتابه المخطوط « الإمتاع والمؤانسة » وكتابه المطبوع « المقابسات » ؟ وما رأيكم في أن مخطوط « جاويدان حزو » وهو أقدم مخطوط يحمل اسم الفيلسوف ينم على أن الرجل كان يسمى نفسه بهذا الاسم ؟

وأما استدراك الأستاذ الصديق بشأن العصر فلست أذكر في الواقع المؤرخ الذي أخذت هذا الأمر عنه . وأحسب أنه قد تقيد في قوله بالقوة والضعف أكثر مما تقيد بالزمن نفسه . وها هو كتاب المفصل في تاريخ الأدب العربي يعتبر أن شعر ابن سينا وهو معاصر لمسكويه يقع في العصر العباسي الثاني لا الثالث ولا الرابع

وأما استدراكه بشأن تكوين المعاجم اللغوية فالواقع أني لم أعن بدرس هذه الناحية لأنها على هامش بحثي . ولكني على أية حال اعتمدت فيما ذكرت على مؤلف ثقة هو المرحوم جورجي زيدان القائل في كتابه : آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٢٣ أن هذا العصر يمتاز بنضج العلم وتكوين المعاجم اللغوية ؛ فإذا كان الأستاذ الفاضل يرى أن علماء اللغة في هذا العصر لم يبلغوا من الكثرة والاحاطة ما بلغه علماء العصور التالية فأظن أن كلام زيدان لا يبقى مع ذلك صحيحاً

محمد حسن ظاظا

(الرسالة) لعل القراء الفضلاء يشاركوننا في تحقيق هذا الخلاف

اكتشاف آثار مدينة من قبل المسيح

كتب إلى جريدة الديلي تلغراف مراسلها من نيويورك يقول إن الأثريين الأمريكيين الباحثين قرب شاطئ البحر الأحمر اكتشفوا آثار مرفأ كان زاهراً هناك حوالي ألف سنة إلى ثمانمائة سنة قبل المسيح

أما المدينة المكتشفة آثارها فهي ازيونجيبر التي يدعوها العرب تل الخليفة . وهي واقعة عند الطرف الشمالي لخليج العقبة . ويرجع الفضل في اكتشافها إلى جهود الدكتور جلوك مدير المعهد الأمريكي للأبحاث الشرقية في القدس



عصفور من الشرق

تأليف الأستاذ توفيق الحكيم

بقلم الأستاذ محمود الخفيف

هذه نفحة أخرى لصاحب أهل الكهف وشهر زاد ، نفحة فيها روح توفيق الحكيم وفن توفيق الحكيم ، حتى لو أن الكتاب الذى يزجيها إليك كان غفلاً من اسم مؤلفه ما استطعت أن ترده إلا إليه ...

ولقد انتظرت هذا الكتاب منذ أن أعلن عنه ، فلما تفضل مؤلفه الفاضل بإرساله إلى أقبلت عليه فتلوته ، ولشد ما رغبت لو أنه طال عما هو عليه ليطول بذلك استمتاعى بتلك اللذة الساحرة التى لن يظفر بها المرء إلا فى أمثال تلك القصة من الآثار الفنية العالية ؛ وهأنذا أقدم الكتاب لقراء الرسالة لا أبتغى إلا أن أدلهم على متعة قوية أحب لهم — من فرط ما أعجبت بها — أن يشاركونى فيها

ولو كان المجال هنا مجال نقد يبسط موضوع الكتاب ويعرض لدقائق الفن فيه ، لخشيت أن يحملنى إعجابى به على الغلو ، ولكنى الآن بنجوة من هذا ، فقصاراى هنا الوصف المحدود ؛ ذلك أن الكتاب كغيره من الآثار القيمة جدير أن يفرد له صفحات أوسع من هذا المجال الذي تتركه لى الرسالة اليوم ...

قوة هذا الكتاب وخطره منحصران فيما يتضمنه من فكرة تستطيع أن تجملها فى مسألة هى روحية : الشرق ومادية الغرب ؛ أما القصة فى ذاتها فبسيطة سهلة لا التواء فيها ولا جلبة ولا حركات مثيرة ولا مفاجآت قوية ولا غير هذه من ضروب الاستهواء التى نصادفها فى بعض القصص ؛ ولقد جاءت تلك البساطة نوعاً من الجمال فى الكتاب فكان كآثار راسين سحره فى عمق الفكرة ودقة الفن لا فى مثيرات الحكاية

هذا محسن فتى شرقى يقيم فى باريس ويعرفه الناس بأنه « عصفور من الشرق » تقع عيناه على حسناء من حسان باريس فتستأثر بلبه ويأخذ حسنها بمجامع قلبه ؛ فإذا به يعيش بخياله الشرقي وروحانيته الشرقية عيشة أهل الجنة على هذه الأرض ؛ وتتهيأ له سبل الاتصال بالفتاة ومجالستها ومصاحبتها حتى يصطدم بالواقع ويرى أنها لا تحبه وأنها تخدعه فيكون موقفه — كما صوره المؤلف — موقف آدم عند خروجه من الجنة ...

تلك هى الحادثة ، وهى كما ترى بسيطة غاية البساطة ، ولكنها على بساطتها مليئة بألوان السحر والفن فوصف شعور محسن فى حبه يبهج النفس ويملأها نشوة ، وبراعة الحوار والمناجاة هى السحر بعينه ، بله دقة الفن وحسن سبكه

على أن خطر الكتاب وقيمته — كما قدمت — فى فكرته ؛ ولقد استطاع قصاصنا الكبير أن يدلى بآرائه على ألسنة أشخاص صورهم أحسن تصوير وأبرعه ، فهذا هو محسن وهذا هو أندريه الغربى الذى لا يعرف خيالاً ولا شعراً ؛ والذى يعتبر نقيضاً لمحسن يهزأ به وبأحلامه يسوقهما المؤلف لترى فيهما روح الشرق وروح الغربى ، ثم هذا ايفانوفتش الروسى العامل الذى يجرى المؤلف على لسانه الجزء الأكبر من فلسفته ، ثم هذه هى سوزان الباريسية الحسناء التى أحبها محسن ، إلى غير هؤلاء من الأشخاص الذين صورهم المؤلف أصدق تصوير وأجمله ؛ ولو أنى أردت أن أدلك على مواضع الجمال والقوة فيما جرى على ألسنتهم من آراء لدللتك على الكتاب كله ، ولست — شهد الله — أغلو فى ذلك ولا أسرف ؛ ولم يقتصر المؤلف الفاضل فى تصوير حياة الغرب على الآراء التى أجراها على ألسنة هؤلاء الأشخاص ، بل لقد صور لنا عدة مناظر من الحياة ذاتها كالأسرة التى كان

يعيش فيها قبل انتقاله إلى النزل وكالمسرح وحفلات الموسيقى وغيرها فأحاط كتابه بجو بديع ؛ ولم يكن — شأنه فى ذلك شأن الفنان المتمكن من فنه — يعرض من الصور والمناظر إلا ما يستلزمه إبراز الفكرة الفلسفية التى تدور عليها القصة ؛ انظر إلى الولد الصغير يوحى إليه بمحاربة البوش والشيخ المسن يبدى تذمره واستياءه إذ يعرض لحال العمال وربة الأسرة تخشى أن يرحل محسن إلى جهة أخرى ولا مرتزق لهم إلا ما يدفع من أجر ، تر صوراً قوية أخاذة لحياة الغرب يقدمها المؤلف بين يدى فكرته فى مهارة تحملك على الاعجاب ...

ولقد كان فى التعبير عن فكرته بهذه الطريقة موفقاً جهد التوفيق ، فليس أوقع من الإيحاء والاشارة فى تصوير المعنى الفلسفى المراد ؛ تجد ذلك فى الشعر وهو الصور القائمة على اللفظ وتجده فى التصوير بالألوان ، وتجده فى الموسيقى ؛ ولعمرى ما يستطيع عالم من علماء النفس مهما اتسعت آفاق علمه أن « يصور » لك الأمانى أو المخاتل أو الغيران أو الجشع أو اللئيم أو غير هؤلاء كما يستطيع أن يفعل رجل الفن ، فرسم الصور الحية عمل ذلك الفنان ومنها تأخذ من المعانى ماشئت وشتان بين الصورة الحية والمعانى المجردة ؛ وهل قامت عظمة شكسبير ودكنز وجوته وهوجو وراسين وأضرابهم إلا على ذلك الفن الذى يخلق من المعانى الحياة ؟ وإنك لتستطيع أن ترد نجاح توفيق الحكيم ونباهة شأنه إلى هذه الموهبة الفنية أكثر مما ترده إلى أى شىء آخر

وأحب أن أشير هنا أن شخصية محسن هى كما يدرك القارئ دون عناء شخصية المؤلف نفسه تتجلى هنا كما تجلت فى قصة « عودة الروح » كما أحب أن أشير على الرغم من ضيق المجال أن هذا الكتاب يقدم لنا دليلا جديداً على أن فن توفيق الحكيم فى القصة فن غير مقصور على ناحية معينة ، ولقد قدم لنا فى أهل الكهف وشهر زاد لونين من ألوان القصة المسرحية ، ثم أرانا فى عودة الروح لوناً من ألوان القصص غير المسرحية ، وفى يوميات نائب فى الأرياف أتى بنوع جديد يعد من القصص الاصلاحية ، ثم هو فى هذه القصة الأخيرة يأبى إلا أن يبتدع فهو كما ترى لا يتخصص فى نوع واحد ، ولكنه مع ذلك يسمو فى كل نوع سمواً يشعرك فى كل قصة كأنه أوقف على لونها فنه ومواهبه ، ولقد يحسب بعض النقاد هذا مستحيلا أو يعدونه نقصاً ويستشهدون على ذلك بأن كثيراً من كبار القصاصين يقتصر الواحد منهم على لون لا يحسن غيره ، ولكن توفيق الحكيم يقيم الدليل القاطع على غلوهم فى هذا الزعم ، وما ذا عسى أن يحول بينه وبين الاجادة فى كل نوع والمسألة كلها مسألة قصص وهذا فن ركب فى فطرته وإن له من قوة روحه وعمق فلسفته وسعة ثقافته لمعين لا ينضب ؟ إننا لا يسعنا كما أسلفت فى معرض آخر إلا أن نعتز بفن توفيق الحكيم كمظهر من مظاهر نهضتنا الثقافية وما أحوجنا إلى أمثاله فى جميع نواحى حياتنا الأدبية والعلمية . أجل ما أحوجنا إلى أمثاله النابغين الذين يردون بالعمل الناضج الفذ على الذين يرموننا بالقصور وينكرون علينا استعدادنا للتفوق . فليتقبل منى الأستاذ النابه هذه العجالة تحلة معجب وتحية صديق

الخفيف

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧

6 me Année, No. 256

Lundi - 30 - 5 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٥٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٧ — ٣٠ مايو سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

حول اقتراح وزارة المعارف

توحيد الثقافة العامة

ونريد بالثقافة العامة القدر المشترك من المعرفة بين النشء فى طورى التعليم الابتدائى والثانوى . وهذا القدر أشبه بأغرار يُطبع عليه آحاد الشعب فيتحدون فى الهوى ويتفقون فى الطبع ويتقاربون فى الرأى ويتسايرون إلى غاية واحدة تتجه إليها القوى وتصلح عليها الجماعة . وهذا المثال أو المنوال فقدته مصر والعالم العربى منذ اقتبسنا المناهج الحديثة فى التعليم ، والنظم الأوربية فى الحكم ، فكان فى كل قطر من أقطار الإسلام ثقافتان مختلفتان فى الخطر والأثر ، إحداهما تقوم على الدين المشروع والسنة الموروثة وما يتصل بهما من خصائص الجنس وتقاليد الشرق وأساطير التاريخ ، والأخرى تقوم على أساس سطحى من أدب الغرب ومدنيته وعقليته ونظمه . والثقافة الأولى غالبة لصدورها عن الفطرة والعقيده والوراثة والبيئة . أما الثانية فكانت لنبوها عن الطباع تنال العقول والقلوب فى أناة ورفق ، وتغزو الرسوم والأوضاع فى حذر وحيطة ، حتى تم للغرب فتح الشرق فنشر فيه حضارته وثقافته بالإيحاء والإغراء والقوة .

وهنالك أخذ التنازع بين هاتين الثقافتين يفعل فى الحياة فعله ، فغير الوجهة وعوّق السير وشعَّب الرأى وشتت الوحدة ؛ فلم يكن للقائمين على سياسة التعليم بد من الطب لهـذه العلة تفادياً لما ظهر من سوء أثرها فى سياسة الدولة وإنهاض الأمة

وهاهى ذى وزارة المعارف تفكر أخيراً فى توحيد القالب الثقافى فى المدارس المدنية والمعاهد الدينية على وضع لاتزال تفاصيله مجهولة ، لأن الفكرة ما برحت تتردد بين دار الوزارة وإدارة الأزهر . فإذا عرضنا لها اليوم فإنما نعرض للأساس الذى لا يتغير فى التفصيل ولا فى الجملة :

ليس بسبيلنا أن نبحث في أى الثقافتين أدنى إلى الإصلاح وأولى بالأخذ ، فإنا نؤمن بأن لقانون التطور حكما لا يدفع ، وأن للتلاقح الاجتماعى بين الحضارات والثقافات أثراً لاينكر فى تمدن الإنسان وتقدم العالم . ولكننا نعتقد أن تغليب التعليم المدنى بمناهجه الحاضر على التعليم الدينى أمر لا يُعقبُ غير الضرر ؛ فإن التعليم المدنى لايزال عاجزاً يتلمس طريقه المطموس بين الاضطراب والفوضى ، لايقف عند تقليد ، ولا يطمئن إلى تجربة ، ولا يستقر على نظام . وقد أسفرت أكلافه وجهوده مدى نصف قرن عن جيل مشيأ[1] الخلق مشوش العقل ناقص الكفاية مشكل الوضع ، فلا هو قارى ولا أميّ ، ولا هو شرقي ولا غربى ، ولا هو دينٌ ولاملحد . وقدوسمه كلُّ عمل بالعجز ، ورماه كل مشروع بالفشل ، فلم يستطع إلا بث الضجر فى الناس ، ونشر الفساد فى المجتمع ، وإشاعة السخط على الحياة .

وأما التعليم الدينى فكان على جوده وقصوره أهدى سبيلاً إلى الإصلاح ، وأرجى منفعة للأمة ؛ فقد دأب دهره الطويل بثقف الأفئدة ، ويقوّم الألسنة ، ويزود أتباعه بالأسلحة المواضى لمحاربة الرذيلة والأمية ، فيرجعون إلى قومهم فى المدن والقرى والضياع يتغلغلون فيها تغلغل النيل ، فيرشدون الغوى ، ويعلمون الجاهل ، ويؤاسون المصاب ، وينشرون ظلالاً من الدين والمعرفة

(١) المشيأ : الممسوخ

والمدنية على حياة الفلاح فيسعد بالسلام والوئام والبركة ، بينما تجد (الأفندية) يتسكعون على أفاريز الطرق ، أو يتقمعون[1] على موائد المقاهي ، ينتظرون وظيفة يعيشون عليها ، أو جريمة يدخلون فيها

* * *

على أن التعليم الدينى ليس صالحاً كله ، والتعليم المدنى ليس فاسداً كله ؛ وملاك الأمر هو مزج الخير فى هذا بالخير فى ذاك ، فيكون منهما قوام صالح تتماسك عليه الأخلاق وترتقى به المدارك . وليس فى التعليم الأزهرى خير إلا فى عناصره الأساسية الثلاثة : الدين والعربية والشرقية . فاحتفظوا بها واجعلوا ماعداها درج الرياح . اجعلوها بعد تنقيتها وتقويتها أساساً للثقافة العامة ، فإن فى الدين رياضة الروح ، وفى العربية ثقافة الشعور ، وفى الشرقية سلامة الشخصية . ولا يضيرنا إذا قام التعليم على هـذه الأسس الثلاثة أن يكون ما نتعلمه أوربياً محضاً لا أثر لعلومنا فيه ، ولاصلة لكتبنا به

نريد أن تبسط (المعاهد) سلطانها على التعليم فى هذه الأمور الثلاثة ، ثم تعلن للمدارس إذعانها فيما عدا ذلك . ولا يتحقق هذا السلطان إلا إذا كان لمادتي الدين واللغة حظ موفور من منهج المدرسة وكفاية المدرس وعناية الوزارة

فاذا سار الأمر فى تعليمهما على الوجه الذي يسير عليه فى المدارس الابتدائية والثانوية ، اضطربت القواعد فى الجامعة الأزهرية وأصابها من وهن الأساس وتصدع الجوانب ما أصاب كليـة الآداب فى الجامعة المصرية ، فتبنى على الرمل ، وتعتمد على الخواء ، وتكتفى بهذه العناوين الضخمة والألقاب الفخمة والمظاهر الخداعة ، ثم لا نكون قد فعلنا أكثر من أننا عمدنا إلى نظام مستقر يفيد بعض الفائدة ، فحولناه إلى نظام مضطرب يضر كل الضرر

هـذه كلمة عجلى فى المشروع لا فى الموضوع كتبناها توطئة لما ستنشره الرسالة متى وقفت على قرار الرأى فيه

(١) تقمع إذا قعد يطرد عن نفسه الذباب من التبطل

الماضي والحــــاضر

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

لقيت مرة صديقاً قديماً أثيراً عندي فسألني : « يا أخي أين أنت » قلت : « حيث تراني » قال : « إنا لا نجدك في أي مكان » قلت : « ذاك لأنك تبحث عني في حيث يوجد الناس عادة ، وأنا لا أحب أن أكون حيث يكثر الناس ويزدحمون كالمواشي في الحظائر »

بعد هذه الفاتحة ذهبنا نتمشى واستطردنا في الطريق من حديث إلى حديث فكان مما أذكر أني قلته له أني حرٌ كهذا الهواء لا سلطان لأحد عليَّ غير طبيعتي — أعمل ما أشاء ، وأترك ما لا أرضى ، ولا أكون في أي حال إلا على هواي . وأنا حريص على هذه الحرية الشخصية وضنين بها وفي سبيلها ومن أجلها أهمل ما يعنى به الناس غيري ، وأصرف نفسي عما تتعلق به النفوس مخافة أن يجني ذلك على حريتي ولو استطعت أن أبت صلتي بالعالم وأحيا بمعزل عنه لفعلت

وكان صديقي يسمعني أفشر وأمعر على هذا النحو ، فيقول : « صحيح صحيح » ولم أكن أعلم في تلك الساعة أني أفشر أو أمعر ولا كان قصدي إلى شيء من ذلك ، وإنما كنت أتكلم بأول ما يجرى في الخاطر كما هي عادة الناس حين يتحدثون ، فقلما يكلف الناس أنفسهم في المجالس عناء يستحق الذكر في التفكير فيما يقولون

وعدت إلى البيت وخلوت بنفسي وشرعت أراجعها وأحاسبها قبل النوم على عادتي فاني أعنى في آخر كل ليلة بتدبر ما كان مني في يومي ، وأكره أن أنام قبل أن أفرغ من هذا الحساب ، وما دامت صفحة اليوم قد انطوت فلماذا أبقيها مفتوحة . فأنا كالتاجر أو البنك الذي يحب أن يسوى حسابه يوماً فيوماً ويصفي ماله وما عليه في آخر كل نهار

وفي ساعات هذا الحساب الليلي الذي لا يحسه أو يدري به أحد ، يخيل إلى أني أخرج نفسي وأجلسها وأجلها أمامي وأقدم لها سيجارة أو أناولها فنجان قهوة وأحييها وألاطفها أولا كما يقضي بذلك الذوق والأدب بين المتمدينين ، ثم أفرك كفي وأقول لها بابتسامة عريضة : « والآن تعالي نتحاسب قليلا » فتمتعض أو على الأصح لا يبدو عليها أنها ترتاح إلى هذا الحساب الذي لا أختار له إلا وقت النعاس ، ولكنها لا تبدي لي هذا النفور بل تبتسم متكلفة مثلي وتقول : « ألا ترى أن الوقت متأخر قليلا » فأقول : « أشكر لك هذا الرفق ولكننا ما زلنا قبل نصف الليل فلا بأس من حديث قصير » فتقول : « ولكنك تعبت في يومك ... اشتغلت كثيراً وكددت رأسك جداً ، فخير لك أن ترتاح وفي الصباح ... قبل طلوع الشمس تكون قد استعدت نشاطك وانتعشت فنستطيع أن نتحدث كما تشاء ... هذا فيما أعتقد خير لك » فأقول لها : « إنك يا نفسي طول عمرك رقيقة عطوف ولولا هذا لما رضيت أن أتخذك ولما طالت بيننا الصحبة إلى اليوم ولكن لماذا نرجئ إلى الغد ما نستطيع أن نفعله اليوم كما يفعل التلميذ البليد » فتقول : « إن المدارس لا تعلم حكمة الحياة وليس صحيحاً أن على الانسان أن يتقى إرجاء ما يمكن عمله وإنما الحكمة أن نرجئ إلى غد كل ما يمكن أن نرجئه مما نريد أو يجب أن نفعله اليوم ، ولا سبيل إلى الراحة في الدنيا بغير ذلك وإلا صرنا كالآلات لا نستطيع أن ننعم بحياة أو أن نحس لها طعماً وأصبحنا كالذي زعموا أن زوجته فتحت له دكاناً وأقامته فيه وحده ولم يكفها هذا فجملت تكلفه أن يعمل كل ما يخطر لها فأصبح الرجل لا يعرف رأسه من رجليه فهو أبداً رائح غاد يعمل في الدكان أو في البيت أو يجرى في الطريق ليقضي حاجة مستعجلة فشكا إلى بعض إخوانه ما تجشمه زوجته من الجهد والكرب وما تحرمه من الراحة فسأله صديقه ولماذا لا تطلقها وتريح نفسك من هذا العناء كله ؟ فكان رد المسكين : « وهل تركت لي وقتاً أطلقها فيه »

فضحكت فقالت نفسي : « إنك تضحك ولكن هذا حال من يقبل على العمل إقبالك ويعمل بما علموه في المدرسة من عدم إرجاء ما يمكن عمله »

وتظل نفسي تحاورني وتداورني على هذا النحو وبأمثال هذه السفسطة لتهرب من الحساب فيضيق صدري بها وأهم بزجرها بعنف لولا أن هذا لا يليق وأقول الحق إني أساعدها أحياناً على الهرب لأني في تلك الأحيان أشعر بأن الحساب سيكون عسيراً عليَّ أيضاً وأن الموازين ليست خفيفة عندي

وفى تلك الليلة قلت لها بلهجة رقيقة : « هل كان من الضرورى جداً لسعادتك أن تجرى لسانى بهذا الكلام الفارغ »

فسألتنى : « أى كلام فارغ » فقلت : « إنى حر كالهواء وإنه لا سلطان لأحد علىّ وإنى وإنى إلى آخر ما أطلقت به لسانى من الهراء »

فقالت متهربة : « إن هذه لهجه فى خطاب النفس لا أظنها لائقة »

فقلت بضجر : « لا تحاوربنى كما يفعل هذا الضمير المتعب »

فغمزت بعينها إن هس لئلا يتنبه الضمير الراقد فتكون ليلتنا سوداء ثم قالت بصوت مسموع : « ولكن أى كلام ليس أكثره على الأقل فارغاً »

قلت : « صحيح ولكن أنى حر كالهواء؟ هذا لا يطاق ولا أدرى كيف أزدرده صديقى بلا اعتراض »

قالت : « إما أن الصديق لم يفهم أو لم يدرك حق الادراك واما إنه فهم وأثر المجاملة وإتقاء المصادمة أو هو كغيره يقشر ويمر فهو يحملك جيل الصبر على قشرك لترده إليه حين يقشر هو »

فكادت تفحمنى ولكنى كابرت وقلت : « ولكنى لا أحب أن أكون قشاراً »

قالت : « لا عليك فما أراك كنت قشاراً جدا . إن كل ما قلته هو أنه لا سلطان لأحد عليك غير طبيعتك وهذا صحيح وهو يصدق فى كل حالة وعلى كل إنسان »

فسكت وما ذا عسى أن أقول ، وخطر لى أنى قد أباهى ماشئت بحريتى المزعومة فى التصرف فلن أكون إلا مخادعاً لنفسى فى حقائق الحياة وما دام أنى مسير بطبيعتى التى تسيطر علىّ وتوجهنى فأنا لا أستطيع أن أكون إلا ما تسمح لى به هذه الطبيعة فأنا أبدا مقيد بها وفى سجن منها لا باب له ولا أمل فى فكاك أو خلاص فى هذه الدنيا . وقد تثور نفسى وتمور عواطفى وتفور خواطرى ولكنها لا تستطيع أن تفعل ذلك إلا بالقدر الذى تسمح به طبيعتى الخاصة وإلا فى محيط هذا السجن . ومهما تكبر البحيرة وتعظم فان لها من شطئانها حواجز ولا بد من زلزال يغير معالم الأرض لتغيير هذه الحواجز أو توسيعها أو إبادها

وعلى أنها تبقى بعد ذلك حواجز إلا إذا غارت البحيرة كلها واختفت من الدنيا

وخيل إلىّ وأنا أفكر فى هذا أن طبيعتنا أو فطرتنا تجعلنا فى حياتنا خاضعين لسلطان يد أو أيد تمتد إلينا من وراء القبور وأن الماضى هو الذى يسيطر علينا لا الحاضر وأنه ليس لنا أن نتجه فى سيرنا فى هذه الدنيا إلا إلى حيث تدبرنا هذه الأيدى الخفية التى تمتد من ظلام الماضى

وتذكرت وأنا أدير هذا المعنى فى رأسى كيف تزوجت ، وأقص الخبر لأن له دلالته وعلاقته بهذا المعنى . كنت صبياً فى الرابعة أو الخامسة — لا حين تزوجت من فضلكم — فزارنا خالى وامرأته ومعهما طفلة لهما من الله بهما عليهما فتناولها أبى ووضعها على حجره وقبّلها ، وأخذ يداعبها ويلمس خدها الطري الصغير بأصبعه الناشف الكبير لتبتسم ثم ردها إلى أمها ونظر إلى أمى وقال : « هذه إن شاء الله لابننا »

ولم أشهد أنا هذه الجلسة فقد كنت فى الكتّاب ولكنهم دعونى حين صعدت إلى رؤية « عروسى » فلم أزد على النظر إليها ثم انصرفت عنها غير عابئ بها لأنها لا تستطيع أن تلاعبنى ولم أكن أعرف فى ذلك الوقت أن هذه التى احتقرتها هي التى ستكون زوجتى يوماً ما . ولو أن أحداً بيّن لى هذا يومئذ وكشف لى عن الغيب فيه لما فهمته . وقد قصت أمى على ما دار فى هذه الجلسة فيما بعد ولم يخطرلى قط أن أشك فى صدقها ، فقد كانت رحمها الله لا تكذب . ولا تعرف المحاورة والمداورة أو اللف إلى أغراضها . وقد مات أبى بعد سنوات قليلة ولم يمش لينعم بهذا الزواج الذى رتبه وقرره لابنه الذاهل فى طفولته . ولكن ابنه — وأعنى نفسى — ظل بعد أن سمع هذا الحديث وعرف رغبة أبيه يدور فى نفسه أن أباه كان يشتهى أن يزوجه هذه الصغيرة بعد أن يكبرا فاتجهت نفسى مع هذا الخاطر وصرت أنظر إلى بنت خالى نظرتي إلى زوجتى المستقبلة . وكانت امرأة خالى على عادة بعض الأمهات — تبديها لى تارة وتحجبها عنى تارة فأثمرت هذه المحاورة ثمرتها وتعلقت نفسى بالفتاة وصبوت إليها فلما صرت ذا عمل أكسب منه رزقى حققت رغبة أبي وهكذا سيطرت علىّ إرادة أب مات قبل سنوات عديدة ، وقولوا ماشئتم

في تأويل ذلك ، فلن تخرجوا به عن كونه مظهراً لتحكم الموتى في الأحياء

ومنذ بضع سنوات قليلة دعاني صديقي الأستاذ سليم بك حسن العالم الأثري المشهور إلى زيارة ما كشف عنه من الآثار القديمة عند الهرم في المنطقة التي اتخذتها الجامعة لحفائرها ، وقد طاف بنا ساعات طويلة وهو يشرح ويفسر ، ولكنه لم يستوقفني من كل ما رأيت سوى أثرين أو نوعين من الآثار : فأما الأول لجدران بيوت قديمة لعلها كانت سكنى لكهنة المعابد أو خدمهم ، وقد وقفت مذهولاً أمام هذه الجدران فقد سكنت بيوتاً جدرانها مدهونة على هذا النحو وبهذه الألوان عينها . والذين سكنوا البيوت القديمة قبل أن ترتفع هذه العمائر الجديدة يعرفون ولا شك كيف تدهن الجدران من الداخل باللون الأبيض أو الوردي أو الأزرق ، وكيف يجري خط عريض بلون آخر كالحزام للجدار وفوقه خط آخر ، وتحت هذين على مسافة عشرين سنتيا أو نحو ذلك خط عريض آخر ، وكيف يملأ ما بين الخطين العريضين بالرسوم أو النقوش أو يترك ما بينهما بياضاً

هذا الذوق في زخرفة الجدران ليس جديداً وإنما هو ذوق انحدر إلينا وورثناه من آلاف السنين وعشرات القرون . وقد طغت علينا في السنوات العشر الأخيرة موجة من الغرب ، فنحن نقلده في هندسة البناء وفي طراز الزخرفة ، ولكنا بدأنا نستنكر أن نظل مقلدين ونستهجن أن نفقد بذلك خصائصنا القومية وذوقنا الخاص الذي نتميز به بين الأمم . وعسير أن يتنبأ المرء بما تؤدي إليه هذه النزعة الجديدة إلى التحرر من أسر الغرب والرغبة في أن نرجع إلى ما تمليه علينا طبيعتنا ومزاجنا القومي الخاص ، ولكن المهم أن هذا التقليد ليس إلا نتيجة الشعور بقوة الغرب وضعفنا حياله وتوهمنا من أجل ذلك أن كل ما درجنا عليه مظاهر للتأخر ، وأن بقاء ذلك معناه بقاؤنا متأخرين فيجب إذن أن نعجل بتغييره بل بمحوه . ولكنا سنستقر على الأيام فتتغلب علينا خصائصنا أو تؤثر على الأقل فيما ننقله ونقلد به الأمم الأخرى . وما الحاجة إلى الذهاب إلى الهرم للعثور على مثل لتحكم الميت في الحي وسيطرة الماضي على الحاضر؟ هذه الأديان كلها في الدنيا جميعها أهي وليدة العصر الحاضر؟ الاسلام والمسيحية واليهودية والبوذية والكونفشيوسية وغيرها ، أحدثها يرجع إلى أكثر من خمسة عشر قرناً . ولست أصدق أن في الدنيا ملحداً بالمعنى الصحيح ، ورافضاً لكل دين وكل عقيدة . كان لي صديق لا يزال يفاخر بأنه ملحد لا يؤمن بشيء ، وكنت ألومه وأقول له ماذا يعني الناس منك إذا كنت تؤثر لنفسك أن تكون ملحداً . الحد ما شئت فان هذه جنازتك كما يقول الانجليز ، ولكن أرح الناس من الأثقال عليهم بهذه الآراء التي لا يرتاحون إليها . فكان يضحك مني ويصر على حماقة الفاخرة بشدة إلحاده . ومضت سنوات والتقينا على ظهر باخرة ذاهبة إلى جنوه ، واضطرب البحر عصر يوم ورمانا لجه بالزبد ، وأنا ممن لا تدور رؤوسهم في البحر مهما بلغ من اصطخاب أمواجه ، ولكن صاحبي الملحد أصيب بدوار شديد ألزمه سريره ، فقلت أزوره لأطمئن عليه ولأرى ماذا أستطيع أن أصنع له ، فدخلت عليه فألفيته ممتقع اللون جداً من طول ماجشأت نفسه ونهضت بلا انقطاع تقريباً ، وكان مغمض العين ولكن شفتيه كانتا تتحركان أو تختلجان بما لا أسمع من فرط الخفوت ، فملت عليه لأسمع ما هو قائل حتى كادت أذني تلمس فمه ، فاذا به يذكر الله ويتوسل إليه أن ينقذه ويخفف عنه . وقد ترددت بعد ذلك ، أأعيره بما سمعت منه أم أدعه لنفسه ؟ ثم رأيت أن أتركه وشأنه وأن أدع الأيام ترده إلى اتزان الحكم واجتناب التطاول بعقله القاصر المحدود على ما لا يدرك

ولغاتنا ... أليست شجرة أصلها في الماضي السحيق ... وكل لغة تتحكم في عقول أبنائها وتصوغها لهم وتصبها في قوالبها ، ونحن نفكر على طريقة خاصة يضطرنا إليها احتياجنا إلى التعبير وفق أحكام خاصة للغتنا الموروثة بألفاظها ونحوها وصرفها وتراكيبها وقوالبها ومجازاتها ، أي أننا نفكر على نحو ما كان يفكر الأقدمون من أبناء هذه اللغة . ولا سبيل إلا إلى ذلك ولا مهرب منه

ونظام الوقف ماذا هو ... إنه ليس إلا نظاماً يستطيع به رجل مات أن يحكم إرادته بعد زواله وخروجه من الدنيا في أجيال متعاقبة من الأحياء . ومن كان يشك في أن الموتى يتحكمون في الأحياء فليذكر هذا الوقف . رجل له مال سيتركه ويرحل عن الدنيا وكأنما يعز عليه أن يده سترتفع وأن ماله سيتولاه أيد غير يديه فينشئ وقفاً يقضي فيه بأن يرث الذكور ولا يرث الاناث

أو يرث الاناث ولا يرث الذكور ، ويخرج طبقة ويدخل طبقة ويهب من يشاء ويحرم من يشاء، ويتحكم بهذه الوسيلة فى إرادات ناس لم يرهم فى حياته ولم يعرفهم ولم يحببهم أو يكرههم ... أليست هذه يداً ممتدة من وراء القبر توجه الأحياء إلى حيث تريد ، وتصرفهم عما لا تريد ؟ وهنا موضع التحرز من خطأ قد يسبق إلى الأوهام، فلست أحاول أن أنتقد نظام الوقف أو غيره من النظم، وإنما أنا أسوق مثالا لسيطرة الماضى على الحاضر وخضوع إرادات الأحياء لإرادات من أدرجوا فى القبور . وأملى لو كنت ذا مال لسرنى أن أنشئ وقفاً وأن أعطى وأمنع ، وأنعم على هذا وأبخل على ذاك ، فان السرور بذاك التحكم طبيعى والأمم التى لا تعرف الوقف تعرف ما يشبهه مثل الوصية، وليس الوقف إلا ضرباً من الوصية أو لعل العكس هو الأصح

ولا يتسع المقام لتقصى وجوه الحياة ومبلغ السيطرة الواقعة عليها من الماضى . ثم إن هذا لا ضرورة له فإنى أظن الأمر واضحاً ، وفى وسع من شاء أن يقيس على ما ذكرت

وليس معنى هذا أن حياتنا تتغير وأن الحاضر صورة دقيقة من الماضي وأن عصراً يذهب وآخر يجيء ، بلا اختلاف ولا تفاوت ولا تقدم . كلا فان القول بهذا لا يكون إلا سخافة . ونحن نشهد التطور بأعيننا فى زماننا فمن التعنت أن يحاول أحد أن ينكر أنه لا يزال يحدث فى الدنيا . وإنما معنى ما أسلفت من الأمثلة أن الكتلة البشرية لا ترمى بزمامها إلى كل من يدعوها إلى تغيير حالها وذلك بأن تقاومه وتناهضه ما وسعتها المقاومة لأنها تجرى على عادة ، والحرص على المعادة أسهل من الأخذ بالجديد غير المألوف، ولكنها مع ذلك تتزحزح شيئاً فشيئاً عن مألوفها ولكن ببطء شديد ، أو قل ببلادة إذا شئت . فلا يستطيع من يدعوها إلى الجديد أن يحملها على الأخذ به كلا ، فانها لا تستطيع ذلك ولا تقوى عليه ، ولهذا نرى الدعاة إلى الجديد يسرفون فى الطلب ونرى الجماعة البشرية تسرف فى الرفض أو المقاومة وبذلك ينتهى الأمر بالوصول إلى حد وسط معقول

وقد كانت الكتل البشرية فيما مضى تنتظر أن يجيء الدعاة إلى التغيير من أبنائها، ولكنا صرنا فى زمن توثقت فيه الصلات بين الأمم قاطبة وصرنا لفرط السهولة فى الاتصال وسرعته كأننا أمة واحدة، فاذا قام داع إلى جديد فى انجلترا فان صوته يسمع فى الوقت نفسه فى مصر والصين ، وقد لا يحدث فى مصر والصين مثل الأثر الذى يحدثه فى بلاده؛ والأمر فى هذا يرجع إلى درجة التهذيب فى كل شعب ومبلغ استمداده لتقبل الدعوات الجديدة لا إلى بطء وصول الدعوة ، ومن هنا قلت حاجة الأمة إلى داع خاص من أبنائها، لأن كل داع إلى جديد فى أى قطر تبلغها دعوته كما تبلغ أهله ، ومن هنا أيضاً صار التطور في زماننا أسرع لأن وسائل التبليغ والالحاح على الشعوب صارت أسهل وأسرع وأقوى وأفعل، وحسبنا الصحف والمطابع والاذاعة اللاسلكية مما لم يكن له وجود فى الماضى

رأيت منذ أيام سيدة عجوزاً من معارفنا تمشى فى الطريق مع زوجها الهرم وفتاتها الناهد ، وكنت أعرف هذه الأسرة شديدة الحرص على تقاليد الحجاب . ولكن الزمن جرفها بسرعة التطور الحادث فيه فخرجت الأم العجوز سافرة تنافس بنتها الحديثة فى الزينة وسار معهما الأب الهرم لا ينكر شيئاً من هذا الذى كان مثله قبل عشر سنوات يدفعه إلى التفكير فى القتل . فهذا مثال لسرعة التطور من جراء السهولة التى تصل بها الموجات الجديدة من الأمم الأخرى

وأعود الآن إلى بداية الكلام فأقول إن هذه الخواطر وأمثالها أرتنى أن الحرية التى أزعمنى ناعماً بها فى حياتى أكثرها وهم ومغالطة للنفس فى حقائق كبيرة ، والقصد على العموم أولى وأسلم ، وإن الحياة لأسر ، وكثير على الأسير أن ينادى أنه حر طليق وفى يديه الحديد وله حين يتحرك صلصلة ورنين

ابرهيم عبد القادر المازنى

لو كنت الرافعي !

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

كنت أقرأ بعض كتابات الرافعي رحمه الله في بعض أعداد الرسالة حركني إلى قراءتها أني وقعت على « وحي القلم » في مجلد واحد نسيه الأستاذ عزام عند الدكتور الدرديري في جمعية الشبان المسلمين، فأخذته أجيل الطرف فيه ، وكان كتابي وحي القلم قد استعاره أخ لي فلم أقرأه مجموعاً وإن قرأت أكثره متفرقاً في « الرسالة »

قرأت من تلك المقالات الحسان مقالة « دعابة إبليس » ولقد ضحكت لبعض تصويره للمواقف ما لم أضحكه من زمن طويل؛ وسرني أن إبليس شغله الأوربيون يوم الأحد فترك الرافعي يكتب هذا المقال بعد أن ظل يحاوره ويداوره ويماجزه حتى كاد يعجزه ، لو لا أن الأوربيين لم يتركوا له وقتاً يوم الأحد !

ورجعت إلى المنزل أردد هذا المقال في خاطري وأجد له تطبيقات وتوجيهات عندي . ومن ذا الذي لا يشاغله إبليس ويماجزه فيما يروم وفيما يحاول ؟ ومن ذا الذي لا يسخر منه إبليس إذ يخدعه المرة بعد المرة عن الشيء بعد الشيء بنفس الطريقة وبنفس النتيجة ؟ ومن ذا الذي كلما خدعه إبليس مرة لم يزل يرجو ويؤمل أن تكون تلك آخر مرة ثم يقع في نفس الشرك الذي وقع فيه من قبل — وهو يعلم أنه قد وقع من قبل فيه — يستزله الشيطان بالأمل والرجاء حتى يقع ؟... كلنا ذلك الرجل. فليس فينا مثلاً من لم يخدع مرة بعد المرة عن صلاة العشاء وهو متعب لينام، أو لكي يؤديها بعد في جوف الليل فيجتمع له بذلك مع الفريضة التهجد ، فينام ولا يقوم — إن نام — إلا بعد الفجر . وليس فينا من لم يخدع عن الفجر ، بل عن الصبح بتسويفه القيام خمس دقائق يتذوق فيها في يقظته بقية الراحة التي كان يجدها في نومه أو ليهدأ فيها جسمه ، أو ليجف فيها عرقه ، فلا يستيقظ بعدها إلا عند طلوع الشمس . كلنا ذلك الرجل على اختلاف تجاربنا مع الشيطان . وللشيطان طريقته في خدع كل إنسان ، لكنني لا أشك في أنه وإن اختلفت خدعه وطرائقه التي يستزل بها الناس، لايزال يسوي بينهم جميعاً في شيء واحد هو كرُّه على الواحد منهم المرة بعد المرة بنفس الأسلوب وبنفس النتيجة ؛ فإذا خطر لأحدهم في موقف وقفه من قبل أن هذا من الشيطان وأن الشيطان خدعه بهذا من قبل ففوت عليه غرضه ، مهد له الشيطان سبيل الانخداع عن طريق الرجاء وأوقع في نفسه أنه إن يكن فاته ما فاته في الماضي فإن ذلك لن يفوته هذه المرة فسيستيقظ أو سيكتب أو سيعمل عمله الذي ينوي ، ولكن فقط بعد أن ينام أو يهدأ أو يستريح أو يفرغ مما هو فيه من موقف في قصة أو في لعبة أو في حديث . فينام أو يهدأ أو يستريح أو يفرغ ولكن غالباً مع تفويت ما كان يمني به نفسه أن يعمله بعد النوم أو الهدوء أو الراحة أو الفراغ . وهكذا دواليك. وليس أعجب في العراك بين خصمين من هذا النوع من الخدع والانخداع بين الشيطان والإنسان ، فلو وزن كيد الشيطان هذا بأي ميزان غير ميزان الإنسان لشال فيه أقبح الشيل . وما كان للشيطان أن يغلب الإنسان أبداً بهذا النوع من الكيد بادي الضعف لو لا أن الإنسان يعين الشيطان على نفسه بتصديقه إياه فيما قد ثبت له بالتجربة أنه يكذبه فيه . وما أظن الحديث الشريف : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » إلا منظوراً فيه في باطن الأمر إلى سد هذا الباب من كيد الشيطان وهو أوسع أبواب كيده . ولكن ما أبعد الإنسان من الوجهة العملية عن صفات الإيمان !

رجعت إلى المنزل ولمقال الرافعي هذا صدًى يتردد في قلبي وذهني . وكنت أجد في نفسي إعجاباً بطريقته في التصوير وحنكته في التعبير وغوصه في التفكير . وكانت طرفة الطرف عندي في ذلك المقال الطريف خاتمته حين اشتد عجب الرافعي من ترك إبليس إياه يوم الأحد ، يوم عطلة الأوربيين كأنهم لم يتركوا له وقتاً ! وهي مفاجأة لم يكن يتوقعها القارئ ، تدل على لطف ما للرافعي من فن . وتصورته وهو يكتب جاهداً ليفرغ من مقاله قبل أن يسترد إبليس بعض وقته الذي استغرقه الأوربيون ذلك اليوم ! وإذا كنا كلنا سواء في الانخداع لإبليس فلسنا كلنا سواء والرافعيُّ في عدم الإلقاء إلى إبليس باليدين وفي التيقظ له وانتهاز الفرصة منه إن لاحت كما انتهز هو انشغال إبليس بالأوربيين يوم الأحد فكتب — رحمة الله عليه — للرسالة ذلك المقال الطريف

دخلت المنزل وفى النفس ميل إلى القراءة فذهبت إلى أعداد الرسالة ألتمس ما كتب الرافعى فيها . وقبضت منها قبضة فإذا بيدى الأعداد ١٣١ إلى ١٤٠ فقرأت مقالة « اجتلاء العيد » ، وكنت وأنا أقرؤه أعجب لانثيال كريم المعانى على ذلك العقل ، وانحياز نبيل العواطف إلى ذلك القلب ، أو بالأحرى تجدد عجبى مما جمع الله للرافعى رحمه الله من حظ فى عمق الفكرة ونبل العاطفة ودقة العبارة ، وعجبت لبعض من لا يقدرون الرافعى كيف لم يقرأوا له ، أو كيف وقد قرأوا لم يقدروا ما كتب عن الطفولة يوم العيد فى مقالة « اجتلاء العيد »

ثم أخذت فى قراءة المقال الثاني من مقالات المشكلة ، انظر إلى استخراجه معنى النيب من كلام المصلح المنتظر ، ونابغة القرن العشرين ، وإذا بصوت أسمعه رفع عينى وأرهف أذنى ، وأصغيت أتسمع لذلك الصوت ولآخر يجيبه ، ولم يستغرق الصوتان إلا هنيهة أرخيت بعدها جفنى أتأمل رنين الصوتين فى نفسى فوجدتها مهتزة بحنان شعرت أنى لا أحسن تصويرها لو حاولت . فقلت : قضية ولا أبا حسن لها . لو كنت الرافعى !

وكان الصوت ينادى : « ما - ما » وكان الذى يجيبه صوت أمه هبت من منامها تقول : « نعم - حاضر » وقد رشح الصوتان إلى من خلال الجدار

كان الصوت صوت ابنى المريض قد تماثل للشفاء بحمد الله ينادى أمه لبعض شأنه ، فكان جوابها ذينك اللفظين تفصل بينهما لحظة . وكان أحد اللفظين جواباً على النداء الذى سمعت ، والثانى على الطلب الذى لم أسمع ؛ وكان حس حركة في الغرفة يشير إلى بقية الجواب . وكان للنـداء والجواب وقع فى نفسى وشجن لا عهد لى به . ولست أدرى أهى الرقة التى يجدها الوالد لطفله المريض ، أم هى روح الرافعى فى ماقرأت وفى ما كنت أقرأ هيأت نفسى فازداد تأثرها بذينك الصوتين حتى جاشت لها ؛ لكن الذى أدريه أنى لو كنت الرافعى فى ساعتى الحاضرة لأخرجت للناس من خير ما أخرج لهم رحمة الله عليه فى « وحى القلم »

محمد احمد الغمراوى

من أسبوع العروبة والاسلام بالعراق

رسول المجـــد (١)

للأستاذ عبد المنعم خلاف

يا مجد مولانا محمد ! لقد فنيت فى تصويرك ألفاظنا المسموعة والمقروءة ، ولكن كلماتنا النفسية الهائلة بقيت كما هى مكتومة لم يقرأها الناس ولم يسمعوها ...

وهأنذا أسأل قلمى الميت الجامد التافه ... ومدادى الأسود المظلم ، أن يعينا على تصويرك أيها المجد ، وتصوير فتنة النفس وسحرها بك ...

ولكن تُرى هل القصب الميت يتكلم ... والحبر الأسود ينير ؟ تُرى هل تسمح الأقدار أن نكشف العلاقات الخفية بين نفوسنا وبينك على ضيقنا ورحابتك ؟

هيهات . هيهات ... فإن تلك منطقة حرام على النطق والتصوير بالكلام !

* * *

يا مجد محمد ! تجسم تجسم بأشكال القرن العشرين وأثوابه .. أخرج من الكتب والتاريخ مرة أخرى ... عُدْ عجيباً غريباً كما بدأت غريباً عجيباً ... كن أجساداً تمشى على الأرض فى أشخاص أبنائك الذين أضواهم جوعهم إليك ... كما تمثلت فى أجساد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسين وخالد وسعد والمثنى وابن عبد العزيز وعلى الرضا والرشيد وصلاح الدين وغيرهم وغيرهم من الرجال المصابيح الذين لم تر لهم الدنيا شبيهاً إلا تحت جناحك ..

يا مجد محمد ! إنك مجد دنيـا عاجلة فاتنة يحن أبناؤها إليها ويحبون أن يتحدثوا عنها أحاديث البطولة والجيوش والقواد والعلماء وفتوح الأقلام وفتوح السيوف ...

كما أنك مجـد دين وروح وأخرى وملكوت خفى يتصل بالنبوة والرسالة وما وراء الطبيعة ... إنك مجد الظاهر والباطن والمعلن والخفى ...

(١) ألقيت فى حفلة جمعية الهداية الاسلامية مذاعة بالراديو العراقى

إنك محمد اليتيم الفقير الراعى الحيى الأمى الذي وقف وحده فى جوف الصحراء يقول للعالم الأرضى كله : إلى أين أيها العالم ؟ إلى أين ؟ أنت مصروف عن وجه الله ذى الجلال ، وعن الحق الذى قامت به السموات والأرض .. !

إنكم جميعاً أيها الناس تطلبون الله .. ولكنكم جميعاً أخطأتم السبيل إليه . فليس الله حجراً ينصب ويعبد ، وليس إلهاً خاصاً ببني إسرائيل يحب الدم والذهب ، وليس له صاحبة ولا ولد ، وليس كوكباً يشرق ويغرب وينطق يا عبدة الكواكب ، وليس يرمز إليه بالنار التى توقد من الطين وشجر الطين أيها المجوس ، وليس يطلب عذاب الجسد أيها الهنود ، وليس القوة كل شىء فى سياسة الحياة أيها الرومان ، وخففوا من الفلسفة الشاردة وبلبلة الأفكار أيها اليونان ...

فتقول له الوثنية العربية والجاهلية العريقة : يا ابن أبى كبشة .. أأنت تكلم من فى السماء ؟! أألقى الذكر عليك من بيننا ؟! إنك لمجنون ... إن أنت إلا ساحر ... إن أنت إلا مسحور ...

وتقول له الأديان والمذاهب والفلسفات : من أنت أيها الصحراوى الأمى حتى تكون المهيمن على الأديان والمذاهب وصاحب البلاغ الأخير من السماء إلى الأرض ؟ ماهى ثقافتك ؟ أتعرف فلسفة سقراط وطب بقراط وحكمة أفلاطون وأفلوطين ..؟

فيقول لهؤلاء جميعاً : « لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله »

« إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ ... » « إنما أعظكم بواحدة : أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ... »

وتقول له السماء : « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن » . « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا » « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا »

فيمضى فى طريقه المملوء بالأشواك والأوعار والمؤامرات والمكايدات حتى يظهر الله كتابه ويبسط سلطانه على مراكز الحضارات . وها أنتم أولاء تسمعون صدى ذكراه فى جوف الليل .. بعد ألف وكذا من السنوات . وسيسمع الدنيا حديثه دائماً

سيداتى سادتى :

لماذا ندير حديث الذكرى المحمدية مثنى وثلاث ورباع وأكثر؟

لماذا نملأ الأجواء بضجة التهليل والتمجيد لروح محمد ومجد محمد؟

لماذا نرغم بغداد ودمشق والقاهرة وصنعاء وأنقرة وطهران وكابل وكل عاصمة عربية وإسلامية على السجود تحت أقدام مكة والمدينة ؟

لماذا ننثر من تراب مكة والمدينة قبضات فى أجواء العالم الاسلامى حتى تكتحل به كل عين ويتوضأ منه كل وجه وتمتلئ به كل رئة ؟

لماذا نرسل من أرواحكم الآن أيها السامعون والسامعات وفوداً وفوداً إلى أرض محمد ومعاهده ومواقع جهاده ومشاهد تاريخه ؟

لماذا كل هذا ؟

كل هذا لأننا نريد ونتوقع أن يرجع مولانا محمد إلى الأرض مرة ثانية فى أشخاصكم أنتم أيها المسلمون ، لأن الأرض حبلى مجنونة تلد كل يوم فرادى وتوائم من الجرائم والنكبات والشناعات والقساوات وحرب الآراء والجماعات ؛ ولن ينقذها إلا دكتاتورية رحيمة عادلة معقولة مثل دكتاتورية محمد كما يقول برناردشو الكاتب الأشهر ... ولأننا نريد أن يؤمن المسلمون بأن المستقبل لهم لا محالة إذا ما بدأوا نهضة نفسية مبنية على تعاليم رسولهم التى تميت النزعات الآثمة الدنيئة التى تدور حول حب الحياة حباً يذهب أخص مميزات طالبي المجد ...

ولأننا نريد أن تثبت دعائم النهضة العربية والاسلامية فى النفس أولا حتى لا تعبث بها الرياح أو يتسرب إليها السوس

وقد ضربت وضرب كثيرون على أوتار جديد فى أحاديث الذكرى النبوية ، ذلك لأننا نريد أن يفهم المسلمون أن الاسلام إن لم يكن مطلوباً ضرورياً لنا كدين نحن مقتنعون بصحته ، ومكلفون التعبد به حتى نصفى نفوسنا ... فهو على أقل تقدير أولى المبادئ التى يجب أن نمتنقها حتى نزيح عن أنفسنا وديارنا كابوس الاستعمار وضغطه الذى لا يرفعه عنا إلا مبادئ الاسلام

العملية الصارمة التى أولها امتلاك كل منا نفسه ووضعه قلبه على كفه ، واعتبار كل منا نفسه قوة هائلة تستطيع أن تفعل الأعاجيب فى الأرض

ومتى امتلك المرء نفسه وملكها لمحمد ، فلا والله أن تصل إليه قوة أرضيــة بسيف حديدى أو ذهبى ... ومتى وضع كل امرئ قلبه على كفه ، فليست هناك قاذفات قنابل أو مدمرات بارود تستطيع أن تدنو من ذلك القلب الصغير الذى صنعه الله من معدن سماوى لا يصل إليه كيد إلا من داخله ...

وإلا فخبرونى لماذا حتم القرآن فى بعض آياته وظروفها على المسلم ألا يفر أمام عشرة من المشركين بل يجابههم ويجالدهم حتى يقتلهم أو يقتل ؟

وخبرونى : كيف حلا لأهل بدر وهم ثلاثمائة ليس معهم إلا فرسان وسبعون بعيراً أن يقابلوا جيش المشركين ، وهو ألف معهم عتادهم وخيلهم ورجلهم ... ثم تنتصر الفئة القليلة وتأكل أرض بدر سبعين جسداً من يآفيخ الشرك ؟

بل خبرونى كيف حلا لسبعين عراقيًّا ومثلهم من الفلسطينيين ومثلهم من الأردنيين والسوريين أن يواجهوا جبابرة البر والبحر فى ثورة فلسطين الماضية ؟

وكيف استعصى على مالكة العبــاب والتراب والسحاب والكلاب البوليسية أيضاً أن تتعقب تلك الشراذم المفرقة على شعاب الجبال كالنسور والصقور ، والتى تدير رحى ثورة ما عرف التاريخ لها مثيلاً فى ضلاعة الرجال وصبرهم وإيمانهم بحقهم ؟

وقد أخبرنى هنا فى العراق أحد كبار الصقور الذين كانوا يجاهدون فى الثورة الماضية قبل تدخل ملوك العرب ، أنهم كانوا يفعلون الأعاجيب ... وأن الأقدار الإلـهية كانت معهم بالتوفيق والالهام ، وأنهم لم يعرفوا تفسير آيات الجهاد التى وردت فى القرآن الكريم ، والتى تجرد المسلم من منطق الضعف ووسواس الحذر إلا فى هذه الثورة ... وأنهم اكتشفوا سرًّا خطيراً هو أن المسلمين يستطيعون أن يفعلوا أشياء عظيمة تثبت كيانهم وتعجل استقلالهم وتعيد إليهم مجدهم ، ولكنهم يجهلون أنهم يستطيعون ، أو لا يجهلون ... ولكن سادتهم و كبراءهم ورجال سياستهم هم سبب الضعف والشلل وأصل الخوف والبلاء ، وأنهم يفرطون ولا يستطيعون أن يلعبوا أدوارهم فى الوقت المناسب ، وأن سياستهم — إن كانت لهم سياسة — مكشوفة يقصد بها الشهرة وأنهم غافلون عن الأسباب السريعة التى تحيل النفوس الخزفية إلى نفوس حديدية ، وأنهم يجهلون بتاتاً روح « محمد » ، أو يعرفونها ولا يستخدمونها خوفاً من الاتهام بالرجعية والتعصب ... وأنهم فوق ذلك وأدهى من ذلك متفرقون مختلفون متناطحون كالثيران التى فى الجزرة وهى لا تعلم لماذا هى فى الجزرة !

أيها السادة :

إننا لسنا هازلين فى نهضتنا . لقد طال رقودنا وركودنا وقد عزمنا أن نحيا أولاً جامعتنا العربية المكونة من ثمانين مليوناً هم فى مركز الأرض كما تحيا أى جامعة ... لنؤدى رسالتنا السامية فى الحياة . ولن يعوقنا عائق مهما كان ملفقاً بالحديد والنار والذهب لأننا القوة التى اختارها الله لحمل رسالته الأخيرة وقوة الله لا تغلب « والله أعلم حيث يجعل رسالته » وقد تكهرب الجو وتكهربت نفوس المسلمين والعرب ، وامتلأت الأفواه باللعنات والسخط والحقد ، ودب دبيب إحساس جديد فى جميع الأقطار العربية . وأقسم بالقدر وقوانينه وبسنن الله التى لا تتخلف نتيجة فيها عن مقدماتها ... أنى أحس أن الزمن يتمخض عن شىء هائل ! وأن أجواف المسلمين وقلوبهم تغلى الآن لأنهم يوقدون على قلوبهم بالحديد والنار فى فلسطين !

أيها المسلمون ! أيها العرب ! تربصوا واستعدوا واغسلوا قلوبكم بتراب محمد الذى فى كل ذرة من ذراته قطرة دم مقدس هريق فى سبيل مجدكم وعزكم . ولا تهابوا شيئاً ولا تفرضوا الفروض الوهمية أيها السياسيون

يا أسبوع الذكرى ... ذكرى مطهر الأرض من قذارة الروح وقذارة العقل وقذارة الجسم ... طهر نفوس المسلمين ، واغسلها من الأوهام والضعف والجهالات !

أيقظهم من تخدير البنج المعطر الذى خدرتهم به سحرة أوربا لاجراء عملية جراحية عظيمة فى جسومهم إلا وهى إخراج

قلوبهم العظيمة الموروثة من ميراث محمد ، ووضع قلوب صغيرة حقيرة منخوبة كافرة فى موضعها !

ارفع عن عيونهم المناظير الملونة المكبرة للتوافه التى تريهم الهر أسداً والحبل جبلا ، والجزية حرية ، والرصاص ذهباً !

ارفعها عن عيونهم حتى لا يخدعوا بالعناوين التي لا وراء منها وحتى لا يخدعوا بالتراب المزوق عن اللباب المحض والصفو الخالص !

يا أيتها الأيام السبعة كونى صلوات سبعاً تعيد إلى المسلمين الإيمان بأن منقذهم فى السياسة والأخلاق والاقتصاد والحرب والسلم لن يكون غير محمد صاحب الذكرى ورجل الدنيا !

إجعلى صباحاتك السبع إشراقاً وضياء بالأمل والعمل

إحفظى كل كلمة من كلمات الخطباء الشعراء والمنشدين من الضياع . سجليها فى أعصاب سامعيها حتى تستحيل إلى أجراس دائمة الرنة والدعوة إلى استحضار صوت النبى فى الضمائر آمراً : جاهدوا وادأبوا وكابدوا ، صارخاً : طالبوا وغالبوا وصابروا ورابطوا . كونوا نظيفى المادة قديسى الروح . كونوا علماء وجنوداً وتجاراً . كونوا تجاراً ... كونوا تجاراً ... ولا تعبدوا الوظائف الحكومية التى يؤكل فيها الخبز بدموع الذلة وخيانة الواجب

أيها السادة :

يجب ألا يتغير المثل الأعلى الذى وضعه مولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم للمسلمين لأنه المثل الأعلى للانسانية . ويجب أن يفهم كل مسلم ذلك حتى يعرف قيمته ومركزه فى البشرية ، كما يجب على أرباب الأديان الأخرى أن يرحبوا بعودة المسلمين لدينهم ، فمن الخير لأرباب الأديان أن يعود قلب المسلم كما كان فى عهده الأول

وليعلموا يقيناً أن المسلم بغير دينه يكون وحشياً متعصباً مؤذياً أنانياً قذراً ... أما بدينه فهو إنسان رحيم قائم على نفسه وعلى الناس بالحق والعدل كما أوصاه الله

وليعلم المسلم أن أول ما يبدأ به فى الاصلاح : البيت . البيت

عبد المنعم خلاف

فلسفة التربيـــة

تطبيقات على التربية فى مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٨ —

« ... وثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ، ولكن بمقدار ما أفاده العلم ، وبمقدار علو المستوى الذى يشرف منه على العالم ، وبمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو فى الشعور وتذوق للجمال ! »

« أحمد أمين »

« للرجل المثقف جسم خاضع لارادته ، وعقل صافٍ متئد القوى سهل العمل ملىء بما فى الطبيعة من حق عظيم وقوانين كلية ، هذا إلى امتلاء بالحياة المنسجمة الخادمة لضميره الحى ، وإلى حب للجمال وكره للقبيح ، وإلى احترام للنفس وللناس ، وإلى وفق تام مع الطبيعة يفيدها فيه ويستفيد منها ، ويسير معها كوزيرها أو ترجمانها وهى كأمه الحنون ! »

« هكسلى »

٨ — خريج اليــوم

أقرأت هذين القولين العظيمين فيما مرَّ عليك من قواعد وأصول ؟ وهل أدركت ما يرميان إليه من معنى سام دقيق هو قوام الشخصية الكاملة التى تنشدها التربية الحديثة فى الجماعة الديمقراطية ؟ إن يكن أفليس من الخير أن أبحث معك عن نتائج ذلك « المجهود الهائل » الذى تبذله الدولة فى التربية والتعليم ، كيما نستطيع أن نقدر هذه المدارس بطرائقها ، وتلك المعاهد بأساليبها ؟ . أليس من الخير أن ننشد جماعة « الخريجين » لندرسهم ما داموا هم غرض التربية الأول والأخير ؟ ألحق أن كل نظام يغفل درس نتائجه وتقويمها وتقديرها قدرها الصحيح يعرض نفسه دائماً لآفة الرجعية والجمود والفشل والاضطراب ! فترى ماذا عسانا واجدين إذا شئنا أن ندرس « خرِّيج اليوم » على ضوء هذه الأصول العامة التى قدمنا بها لذلك النقد المر البرىء ؟ سأحاول جهد المستطاع أن أرسم لك صورة واضحة شاملة ترى فى خطوطها المتكسرة ظلا لما يمكن أن يكون عليه « السواد الأعظم » من مدارسنا . ولك بعد هذا أن تحكم على ذلك المجهود الهائل » بما تريد ، وأن تلتمس لملاجه كل ما يمكن أن يفيد !

١ — الشخصية الكاملة

ولقد علمت فيما مضى أن التربية الصحيحة تنشد تكوين « الشخصية الكاملة » بكل ما فى الكمال من معنى ، وأن كمال الشخصية إنما ينحصر فى « عقل » منطقى سليم التفكير مستقل الحكم رائده الحق وحده ، وفى عاطفة مصقولة مهذبة تغذى الخلق القويم وتسكب على الحياة من أسرار الجمال ما يعلوها نعيما ورغداً ونخاراً وشرفاً ، وفى جسم قوى العضلات مفتول الساعد يقوم كهيكل مقدس للروح الخالدة وكأساس وطيد للعقل السليم والعاطفة المستقيمة ، أجل ! لقد علمت ذلك فيما مضى ، فتعال إذا يا صاح نبحث عنه فى تلك الشخصيات القائمة فى « الديوان » وغير الديوان علّنا نسمع أو نرى ... ! !

٢ — العقل

وقد مر بك أيضاً أن « العقل » هو ما جعل الإنسان إنساناً ، وأنه يجب أن يقوم فى النفس مقام السائق فى العربة ، حتى لا يجمح بها جوادها ! وأنه يجب أن يصيب من الغذاء الصالح كل ما يشبع نهمه المطلق حتى يستطيع صاحبه أن يدعى بحق أنه يحيا حياة إنسانية رفيعة ، وأن غايته الفريدة إنما هى « الحق البريء » فى شئون الكون وشئون الحياة على السواء ! وأن الخطأ الذى قد يتعرض له فى أحكامه الخاصة والعامة يمكن أن يُجتنب بقوانين المنطق وطرق التدريس إذا حَسُنَ استعمالها ؛ وأن وأن وأن مما قد لا يتسع الوقت لذكره ! فأين ذلك كله أو بعضه يا عزيزى فى « خريج » ذلك التعليم ؟؟ أين هو العقل المسيطر ؟ وأين هو العقل العاشق للعلم ؟ وأين هو العقل السليم فى أحكامه ؟ وما لحياتنا تمج بأنواع الفوضى ؟ وما لعقولنا تمتلئ بالقشور والسطحيات ؟ وما لها تخطئ كل يوم فيما تكيف به الحوادث والحقائق خطأ قوامه الجهل أو الميل أو ماشئت غيرهما ؟ لست أتكلم عن سواد الشعب ولكنى أتكلم عن المثقفين وحملة الشهادات المتوسطة والعالية ! أين فيهم ناشد الحق للحق وحده ؟ وأين فيهم محب العلم للعلم فحسب ؛ وما بالهم لا يقرأون بعد تخرجهم ولا يبحثون ولا يؤلفون ؟ ؟ ومالك لا تجد فى أيديهم — إذا وجدت — غير الأوراق التافهة من كتب ومجلات ؟ ؟ وما لك لا تجدهم إذا بحثت عنهم فى غير أوقات عملهم — إلا مكدسين فى القهوات يتكلمون كثيراً فى غير ماشيء ، ويضحكون كثيراً على لاشيء ؟ ! مالهم لا ينتظمون فى الجمعيات الاصلاحية المختلفة ؟ وما لنواديهم تبقى خاوية على عروشها بينما هم يعمرون ما تحتها مقاهٍ وحانات ؟ ! ثم ما لآرائهم الاجتماعية والسياسية تضطرب فهي آناً مع الحق الذى لا تعرفه ! وآناً مع الحق الذي لها فيه غنم أو لذويها فيه نصيب ! وآنا ثالثاً مع كل قوى التعبير جعجاع القول مموه الخطابة زائف المعنى ؟ ! الأدب الرفيع فى مصر هل له حياة عند غير أهله وعارفيه وهم أقل القليل ؟ والعلم الدسم فى مصر هل يجد له شارباً حتى من أولئك الذين درسوا فيه شيئاً ، فلما نالوا « الشهادة » وكسبوا الوظيفة ركلوه بأرجلهم ومضوا يشبعون كل شيء غير العقول ؟ !

ذلك وكثير غيره واقع وملموس ! ! فالمتعلمون هنا يتعلمون للعيش فحسب ؛ والعلم عند أكثرنا وسيلة لا غاية قط ، والطريقة التى « نتعاطاه » بها كانت وما زالت فى بعض نواحيها رثة بالية لا تحببنا فيه ولا تحببه فينا ، ولذلك ما نلبث أن نهجره وما يلبث أن يهجرنا ! . ومن هنا لا تعجب قط إذا أدركت فى متعلمينا عقول العصافير ، وسمعت منهم زقزقة الطير ، وتبينت فى أنوفهم هذا الكبرياء وذلك الغرور ، ولاحظت فى حياتهم هذا الاقفار الأليم من « دنيا العقل » وسلطان العلم !

لست أنكر أن فى الجامعة بعض ما قد يبشر بجيل جديد ! ولكنى ما زلت أخشى أن تطغى الحياة القاسية على الشباب الموموق فتزيل من نفسه ذلك التعلق بالحياة العلمية كما قد أزالته حتى فى الكثير من رجال البعثات أنفسهم !! ذلك أن هذا التعلق مصطنع ودخيل وحديث ، ولذلك ما يلبث أن يخمد فى الكثيرين فاذا هم يسيرون فى التيار العام ناسين أو متناسين آمالا باسمة وأطماعاً هائلة !! ولست أنكر أن فينا من يؤلف وينتج ويخرج من الآثار الأدبية والعلمية كل ثمين قيم ؛ ولكن ألا ترى معي أن علمنا مازال عالة على علم الغرب ، وأن تأليفنا يقل فيه « الابداع » أيما قلة ، وأن الكثير من رجالنا إما « معربين » فحسب ، وإما « ملخصين » لا غير ، وإما « قارئين » مع « الهضم » أو « عدمه » ؟ ثم ألا ترى معى أيضاً أن الدولة مقصرة فى حق

رجال الأدب والعلم أيما تقصير ، وأنها إذا كانت لا تعمل على تكوينهم تكويناً سليما ، فهى ماتزال تتركهم بكالحون الحياة القاسية بسواعدهم ، وينفقون زهرة عمرهم ويوجهون نشاط عقولهم وقلوبهم إلى كسب قوتهم وقوت عيالهم فحسب ، وإن هي تنبهت وقصدت إلى الأخذ بيدهم ، فقلّ أن يأتى ذلك منها خالصاً سليما ، لأنها إما أن تعطيهم الأجر الضئيل ، وإما أن تقذف بهم فى عمل بغيض لاصلة له بعلمهم أو فنهم قط ، وإما أن تسىء تقدير عملهم بالقياس إلى الأعمال الأخرى ، إلى حد يزهق نفوسهم ويميت حماسهم (١)

وها أنت ترى أن « المعلمين » فى مصر هم خير رجال العقل وأجدر الناس جميعاً بالمساعدة والتشجيع ، وأن النهضة العلمية إنما قامت وتقوم على كواهلهم

فماذا فعلت الدولة لهم وماذا قدمت غير ذلك العمل المرهق الذى يحرق أعصابهم (٢) ، وغير ذلك الأجر الضئيل الذى لا يقارن بأجر غيرهم من رجال الدولة العاملين (٣) ! ؟ وإلى اللقاء حيث أحدثك عن نواحى أخرى ...

« يتبع » **محمد حسنى ظاظا**

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

---

(١) ونذكر بالشكر والتقدير مسابقة الوزارة الأخيرة فى التأليف

(٢) وقد فصلنا الكثير من أمره في المقال الأسبق

(٣) وتجرى الوزارة رغماً عن عدم مساواتهم فى كدرهم بكادر رجال القضاء على نظام الترقية تبعا للأقدمية . ومعنى هذا أن المدرس الشاب المتلئ نشاطاً وحماساً والذى يستطيع أن يضاعف بجهوده العلمى أضعافاً مضاعفة أملا فى حسن الجزاء وزيادته لا أمل له فى الترقية قط إلا عند ما يحل دوره . ومن هنا ينشأ اليأس ويؤدى العمل بنفس غير راضية ولا مطمئنة . والحق أنه قد آن الأوان للعناية التامة بهذه الناحية ، لأن المعلم لا يستطيع على أى حال أن يقدم أكثر مما يأخذ ... ! !



ما أجمل « المكرسكوب » إذا وضع إلى جانب « الكمنجة » ! ! فى مصر والشرق العربى قلما نجد هذا المنظر . فان رجل العلم ذا النفس الحساسة بالجمال الفنى قليل . أعرف مع ذلك واحداً هو الدكتور حسين فوزى مدير إدارة الأبحاث المائية فى الاسكندرية ، فهو عندى أثمن ما فى الاسكندرية . ما أكاد أضع قدمى فى هذه المدينة حتى أسرع إلى « معمله » أشاهد أسماكه الغريبة تلعب فى أحواضها البلورية ، وأراقب مخلوقاته العلميـة تنبض تحت المكرسكوب . إلى أن يحين وقت الغداء فيخلع رداء المعمل الأبيض ويقودني إلى مسكنه حيث يطعمنى خير الطعام ويحمل « الكمنجة » ويعزف لى إحدى « سوناتات » بيتهوفن التى أحبها . على أن هناك متعة نفسية أخرى طالما انتظرتها منه وطالما أغريته بها : القلم . لكنه كان يماطلنى ويهرب منى كالعصفور الذى يهرب من الشبكة ؛ وأخيراً وقع وحمل القلم ونشر كتابه « سندباد عصرى » يصف الجانب الانسانى من رحلته العلمية فى بعثة السر جون مرى إلى المحيط الهندي ، بأسلوب كالبحر الذى أمامه زاخر بعناصر الحياة وأنواع الصور مع خفة روح ورشاقة تعبير

وذهبت مع الدكتور فوزى منذ أيام أقدمه إلى وزير المعارف فابتدره الوزير قائلا :

— حذار من توفيق الحكيم أن يفسد عليك العلم ويغريك بالأدب !

فابتسمت أنا ابتسامة ماكرة . وأخرج صاحبي من تحت إبطه « كتابه » وقدمه دليلاً ناطقاً على أن الافساد قد تم وأن الأغراء قد حصل !

أما أنا فسرورى كذلك قد تم . فانى سوف أرى فى زيارتى القادمة للاسكندرية « المكرسكوب » و « الكمنجة » و « القلم » جنباً إلى جنب : أجمل رمز لاجتماع العلم والفن والأدب فى كائن آدمي واحد . وتلك إحدى معجزات الظروف التى لم تتهيأ إلا لمثل « إينشتين » اللاعب بالفكر واللاعب بالكمنجة . أما اللعب « بالقلم » فلم يغره به بعد شيطان من الشياطين ! فطوبى لحسين فوزي الذى اكتملت فيه الهبات الثلاث !

توفيق الحكيم

محمد إقبال (*)

شاعر الاسلام وفيلسوفه

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

ينتسب إقبال إلى أسرة قديمة برهمية دخلت فى الاسلام منذ ثلاثة قرون. وكانت تقيم فى كشمير، ثم اضطرتها الحادثات أن تهاجر إلى البنجاب. واستقر بيت إقبال فى سيالكوت من إقليم البنجاب حيث ولد سنة ١٨٧٦؛ وبدأ تعليمه فى هذا البلد وظهرت فيه مخايل النبوغ، وكان يسبق أقرانه ويظفر بمكافآت الحكومة التى تمنحها النابغين من التلاميذ. وفى سيالكوت درس الأدب الفارسىّ والعربى على مير حسن أحد الأدباء النابهين

ثم انتقل الشاب النجيب إلى لاهور فدخل كلية الحكومة ولقى بها السير توماس آرنولد فأخذ عنه الفلسفة. وقد سمعت الأستاذ آرنولد يفتخر بأن إقبالاً تلميذ له. وأتم إقبال دراسته متفوقاً ظافراً بالجوائز الكثيرة. ثم نصب مدرساً للفلسفة فى الكلية الشرقية بلاهور

وقد شدا إقبال الشعر وهو تلميذ فانتظر الأدباء منه شاعراً عظيماً. وفى سنة ١٩٠٥ سافر إلى أوربا فدرس فى كمبردج ثم فى ميونخ حيث نال درجة دكتور فى الفلسفة. وكان فى أوربا مثال الجد والمثابرة وموضع ثقة أساتذته. وقد استخلفه أستاذه آرنولد حينما غاب عن كمبردج شهوراً. ولم ينس فى أوربا أن يدافع عن الإسلام ويبين مزاياه فألقى فى انكلترا محاضرات فى هذا الموضوع

ورجع الدكتور إقبال إلى الهند سنة ١٩٠٨ فأحسن قومه استقباله راجين فيه خيراً لأمته ودينه. وعمل فى المحاماة واستعانه المسلمون فى كثير من شؤونهم. ومازال يزداد مكانة فى السياسة والأدب حتى بلغ ما بلغ من المجد وذاع صيته فى الهند وغيرها. ولا يتسع المجال لتفصيل الكلام فى تاريخه وسياحته فى الهند والأفغان وفى الأندلس وأوربا وذهابه إلى مصر والقدس

بدأ إقبال نظمه فى اللغة الأوربية فنشر فى الصحف وأنشد فى المجامع قطعاً كثيرة جمعها بعد فى ديوانه الذى سماه (بانك درا) أي (صوت الجرس)

فى هذا الديوان أول أشعاره، ولكنه لم يكن أول دواوينه انتشاراً. وهذه كتب إقبال على ترتيب نشرها:

١ — أسرار خورى
٢ — رموز ابن خورى
٣ — بانك درا
٤ — بيام مشرق
٥ — زبور عجم
٦ — جاويد نامه
٧ — مسافر
٨ — ضرب كليم
٩ — بال جبريل

وقد مات وهو ينظم: أهلك حجاز

ومن هذه المنظومات السبع ثلاث فى اللغة الأوردية، هي: بانك درا، وضرب كليم، وبال جبريل. والأخريات فى الفارسية وله غير ذلك مؤلفان باللغة الانكليزية، الأول تطور ما وراء الطبيعة فى فارس، والثانى: محاضرات حاول فيها أن يبني العقائد الاسلامية على فلسفة جديدة وجعل عنوانهـا: إصلاح الأفكار الدينية الاسلامية

فأما منظوماته: بانك درا، وزبور عجم، وضرب كليم، فقد ضمنها قطعاً كثيرة تبين عن مناح كثيرة من فلسفته وعواطفه يتناول فيها العالم والانسان والأخلاق، ويحاول جهده إيقاظ الشرقيين عامة والمسلمين خاصة، وتبصيرهم بطرائق الحياة وإشمال الحماسة والغيرة والاقدام فيهم

وأما منظومتاه الصغيرتان: مسافر وبال جبريل فقد سجل فى الأولى ما أثارته فى نفسه زيارة أفغانستان إذ دعاه ملكها المرحوم نادرشاه هو وبعض مفكرى الهند ليستشيرهم فى إنشاء جامعة فى كابل، وفى الثانية مشاهده فى بلاد الأندلس

وأما جاويد نامه فهي رحلة فى الأفلاك، دليله فيها جلال الدين

(*) ذلك نص المحاضرة التى ألقاها الدكتور عبد الوهاب عزام بدعوة من جماعة الأخوة الاسلامية في دار الشبان المسلمين. وقد سمعها كثير من رجال الأقطار الاسلامية فى مصر

الروسى لقى بهـا عظماء المسلمين من ملوك وأدباء وعلماء ، ومنهم بعض رجال العصر . كالسيد جمال الدين الأفغانى وسعيد حليم باشا ومهدى السودان وقد سماها باسم أحد أنجاله جاويد ، وأراد بها بناء جيل جديد

وأما پيام مشرق فقـد جعله جواباً للشاعر الألمانى الكبير جوته عن ديوان الغرب الذى أسف فيه لما أصاب المدنية الغربية وتمنى أن يمدها المشرق بعقائده وعواطفه

وإذا عبرنا هذين الكتابين عرفنا فلسفة إقبال وآراءه ومذاهبه فى الحياة وخياله وفنه فى الأدب :

نشر پيام مشرق سنة ١٩٢٣ وكتب على صفحته عنوانه : « ولله المشرق والمغرب » وكتب تحت اسم الكتاب « فى جواب الشاعر الألمانى جوته » . والديوان أقسام :

الأول : لاله طور : أى شقائق الطور ، وفيه ١٦٣ رباعية

والثانى : أفكار ، وفيه عناوين مختلفة مثل الوردة الأولى ، تسخير الفطرة وهى محاورة بين آدم وإبليس ، فصل الربيع ، الحياة الخالدة ، أفكار النجوم ، محاورة العلم والعقل ، الحكمة والشعر ، قطرة ماء ، العبودية

والثالث : من باقى — أى الخمر الباقية ، وهي قطع متشابهة فيها نزعة التصوف ممزوجة بفلسفة الحياة

والرابع : نقش فرنك ، وفى هـذا القسم يتكلم عن عظماء الفلاسفة والشعراء فى أوربا ويبين رأيه فيهم

وهذه أمثلة من شعر إقبال فى هذا الديوان بعد أن تذهب الترجمة النثرية بكثير من جمالها وروائها

الحياة

بكى سحاب الربيع فى جنح الليل فقال : هذى الحياة بكاء مستمر فتلألأ البرق الخاطف :

قد أخطأت ! إنهـا لمحات من الضحك

ليت شعرى من روى للبستان هذا الحديث فهو حوار مستمر بين الندى والورد

البراعة

سمعت البراعة تقول : لست كالنملة ينال الناس شرها ؛ ولست كالفراشة تصطلى بنار غيرها . أنا أشتمل بنفسى ولا أحمل لأحد منًّا . إذا صار الليل أحلك من عين الظبي أنرت بنفسى لنفسى الطريق

الحقيقة

قالت العقاب بعيـدة النظر للعنقاء : إن الذى تدركه عينى سراب . أجابت العنقاء : أنت ترين ذلك ، ولكنى أعلم أنه ماء . فنادت السمكة من لجة البحر : هنا وجود لاشك فيه ، وهو فى هياج واضطراب

الحكمة والشعر

ضل أبو على فى غبار الناقة ، وأمسكت يد الرومي ستر الهودج . هذا غاص حتى ظفر بالجوهر اللألاء ، وذلك دار مع الغثاء على وجه الماء . الحق إن لم تكن فيه حرقة فهو حكمة ، وهو شعر إذا قبس من القلب ناراً

الوحدة

ذهبت إلى البحر فقلت للموج المصطخب : أنت فى سعى دائم فما خطبك ؟ فى جيبك آلاف اللآلى فهل فى صدرك جوهر من القلب كالذى فى صدرى . فاضطرب وجزر ولم يحر جواباً

* * *

ذهبت إلى الجبل فسألت : ما هذا الجمود ؟ ألا ينال سمعك صيحات المكروبين وآهات المحزونين ؟ إن يكن العقيق الذى فى أحجارك قطرات من الدم فحدثنى فإنى محزون

فانقبض وصمت ولم يحر جواباً

***

قطعت طريقاً بعيدة ... وسألت القمر : يا جوّاب الآفاق ! هل قُدر لك فى سفرك قرار ؟ العالم حديقة ياسمين من شعاع وجهك ، فهل نور وجهك من قلب يتجلى ؟ فرأى رقباء بين الأنجم فلم يحر جواباً

* * *

تخطيت القمر والشمس إلى حضرة الخلاق فقلت : ليس فى عالمك ذرة تعرفنى . العالم خلو من القلب وأنا قبضة من التراب ، ولكنها كلها قلب

إن هذه المروج جميلة ولكنها ليست أهلاً لنغماتى . فتبسم ولم يحر جواباً

نسيم الصباح

إنى آتية من صفحات البحار وقمم الجبال ولكن لست أدرى من أين أهب . إنى أبلغ الطائر المحزون رسالة الربيع وأنثر فى داره فضـة الياسمين . وأتقلب فى المرْج وألتف على أغصان الشقائق

فأبعث اللون والرائحة من مسامّها ، وأتملق رفيقة رفيقة بأوراق الورد والزهر حتى لا أثقل على أغصانها ، وإذا رأيت شاعراً هاجته هموم العشق خلطت بنغماته نفساً بعد نفس

العشق

عندي خبر هذه الكلمة الأخاذة للقلوب التي هي سر وليست بسر . أنا أنبئك من سمعها وأين سمعها ! استرقها الندى من السماء فأوحاها إلى الورد ، وأخذها عن الورد البلبل ، ونمّتها عن البلبل ريح الصبا

نغمة حادي الحجاز

يا ناقتي الخطّارة وظبيتي المطّارة
وعدّتي والشارة
والمال والتجارة يا دولتي السيارة !
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

جميلة الرواء مطرية الرغاء
محسودة الحسناء وغيرة الحوراء
بنية الصحراء !
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

كم غصت في السراب في وقدة اليباب
وسرت لم تهابي في الليل كالشهاب
والنوم عنك نابي
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

قطعة غيم غادي سفينة الرواد
كالحظر في البوادي تمضين في سداد
فلذة قلب الحادي !
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

هيامك الزمام وسيرك الأنغام
يتعبك القام لا الجوع والأوام
والسفر المدام
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

ممسية في اليمن مصبحة في قرن
ترين حزن الوطن كالحز تحت الثفن
إيه غزال الحسن !
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

بدر السماء نمسا خلف التلال خنسا
والصبح قد تنفسا مزق هذا الغلسا
والريح تزجى نفساً
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

***

لحنى دواء السقم والروح ملء نغمى
يحدو الركاب كلمى من جارح وبلسم
هلم بنتَ الحرم !
حتى الخطى قليلاً منزلنا قريب

(البقية في العدد القادم) عبد الوهاب عزام

حول المذهب الرمزى

للأستاذ محمد فهمى

تناول الأستاذ عبد العزيز عزت المذهب الرمزى فى مقاله الأخير بالعدد « ٢٥٥ » من الرسالة « الغراء » فجاء بآراء تجعل القارئ يقف متسائلاً ... ماذا يقصد الأستاذ عزت بهذا ؟ ! هل يقصد الرمزية فى الفلسفة أم يقصد الرمزية في الأدب والشعر ؟ فان كان يقصد الأولى فانه لم يحدد غرضه ، لأن ماساقه من آراء العلامة مارتينو فى كتابه « المذهب الرمزى والبرناس » « إننا نجد عند ڤرلين وعند ملارميه وعند رامبو وكثير من الرمزيين أن الشيء الواقع وقبوله حاضراً كان أم ماضياً لا قيمة له مطلقاً » وليس فى هذا اشارة إلى رمزية فى الفلسفة . اذن فالأستاذ يقصد رمزية الأدب والشعر وهو ما يفهم من ثنايا مقاله ومن الأمثلة التى ساقها وأسماء زعماء الرّمزية الذين ذكرهم . ومن العجيب أن يخلط الأستاذ فى الاستشهاد والرد والتجريح هذا الخلط الذى يبعده عن خاصيّة تحديد الموضوع تلك الخاصية التى يتوخاها كل دارس للفلسفة مثل الأستاذ الفاضل .

فالمعروف أن الفلسفة شيء والشعر والأدب شيءٌ آخر . وأن المذاهب الفلسفية غير المذاهب الأدبية وان كان التفاعل متصلاً بين هذه وتلك ، ولكن عن طريق الاحتكاك والتأثير لا عن طريق الاندماج ؛ فلكل ميدانه ومنطقته . فالفلسفة مظهر نشاط التفكير العقلى ؛ وأما الآداب والشعر فظاهر لانفعالات الحسّ وهواجس الروح

فما شأن آراء أوجست كونت « فى كتبه المتعددة عن الفلسفة الوضعية والتفكير الوضعى برمزية الأدب والشعر ؟ ! وما شأن رأى أبى الاجتماع الحديث « دوركيم » فى العلم برمزية الأدب والشعر ؟ ! وما كانت الرمزية التى تناولها الأستاذ مذهباً من مذاهب العلوم ! بل ما شأن مذاهب فلاسفة السوفسطائيين والثورات الثلاث التى أثارها على التعاقب سقراط وأفلاطون وأرسطو ؟ ما شأن كل هذا بالمذهب الرمزى الذى يتحدث عنه الأستاذ فى مقاله ؟ حقاً لقد هدّمت هذه الثورات الثلاث الكثير من آراء السوفسطائيين حتى صدّعت مذهبهم ، ولكن هل غيرت أو هدّمت فن سوفوكليس واريستوفان ويوريبيد ؟ كلاً ، لأنها كانت ثورات فى الفلسفة ولم تكن ثورات فى الفنون والآداب ! وقد عاصر هؤلاء الأعلام فى الأدب الاغريقى كلا المذهبين السوفسطائى والسقراطى فما تهدم فنهم بهذا ولا بذاك !

وأظننا لسنا بحاجة إلى القول أن العلم شيء والأدب شيء آخر . فالعلم لا وطن له، وإن النظرية العلمية يبتكرها عالم فى أى بلد من بلاد العالم ، وعند ماتثبت بالتجربة والبرهان تصير ميراثاً مشتركاً لكل عالم على وجه الأرض من أى مملكة هو ولأي جنسية يتبع وبأىّ دين يدين . وما هكذا الشأن فى الأدب . فلكل أمة أدبها ونوازعها ومظاهر بيئتها وتراث تاريخها ودياناتها وتقاليدها . فكيف يسوق الأستاذ تلك الآراء والأدلة الطويلة العريضة لرجال الفلسفة والعلم فى موضوع هو من أخص خصائص الآداب والشعر !!؟

أما استشهاد الأستاذ برأي العلامة « مارتينو » « ... فان المذهب الرمزى عند ما ابتدأ ظهوره وأخذت أبواقه ترتب الدعاية والنشر له قامت قائمة الناس فى فرنسا وسموه « النزعة الجنونية » لما يتضمنه من القضاء على الروح الاجتماعية والتضامن بين أهل البلد الواحد ، ولهذا أجمت الناس فى فرنسا على جوحه وشره الفتاك وقاوموه بكل ما عندهم من قوة ، وأمكنهم — كما يذكر العلامة المدير — أن يقضوا عليه فى عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً من ولادته ، ودفنوه (غير مأسوف عليه) »

هكذا يقول العلامة مارتينو الذى يستشهد به الأستاذ عزت . وما أظن العلامة المدير إلا ناقداً مجرحاً قاسياً ، أو مفكراً قريب الشبه بطائفة المحافظين عندنا الذين يقيمون الدنيا ويقعدونها « دنياهم وحدهم طبعاً » كلما نشأ اتجاه جديد سواء فى الأدب أو الشعر أو الاجتماع . وإلا كيف ساغ للعلامة الكبير أن ينساق مع رأى الناس في تسمية الرمزية « النزعة الجنونية » إذ على هذا القياس يكون من ذكرهم فى كتابه « المذهب البرناسى والرمزى » من الأعلام أمثال ڤرلين وملارميه ورامبو وكثير من الرمزيين إلا مجانين ! ولا أظن العلامة الكبير يوافق على هذا ولا الناس فى فرنسا ولا القراء ولا الأستاذ عزت !

ثم ما ذا يقصد من أن المذهب الرمزى قضى عليه فى عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً من ولادته ؟ هل معنى هذا أن آثار الرمزيين قضى عليها تماماً « غير مأسوف عليها » وأنها الآن فى

حيز الكتابات الهيروغليفية قبل اكتشاف شمبليون لحجر رشيد؟ أم أن الرمزية قد قضى عليها كمذهب قائم بذاته له أنصاره ومدرسته ! إن كان الأخير فهذا أمر طبيعي وهو مآل كل مذهب قائم الآن . فالآداب والشعر تتغير بتغير المجتمع والبيئة في الأمة في عصورها المتعاقبة . وإنك لتشاهد الآن في انجلترا أن مذهب الرمانتيكية وكان من أعلامه شكسبير وملتون، وفي فرنسا هوجو ولامارتين، قد أخلى الطريق لغيره من المذاهب التي خلفته شأن مذهب الرمزية وكل مذهب أتى أو قائم أو سيأتي ...

ولكن لا ينكر أحد فضل الرومانتيكية في الأدبين الانجليزي والفرنسي وأنها كانت من العوامل المؤثرة في نشوء المذاهب التي أعقبتها . وهكذا فعلت الرمزية إذ أثرت فيما خلفها من المذاهب

بل إن مذهب السوفسطائيين في الفلسفة الذي ذكره الأستاذ في مقاله كان له أكبر الفضل في نشوء الفلسفة السقراطية وتلك الآراء والتعاليم القيمة التي ابتدعها سقراط وحمل لواءها أفلاطون من بعده؛ ثم كانت أساساً لتلميذه الفذ أرسطو . ولا يخفى أن من السوفسطائيين من كانوا يلمسون الحقيقة في بعض المواقف حيث يخطئها سقراط نفسه. « أنظر محاورة بروتا جوارس » بين سقراط وشيخ السوفسطائيين الذي سميت المحاورة باسمه

ولعلي في هذه الكلمة قد جلوت بعض نواحي الأشكال والغموض اللذين أثارهما مقال الأستاذ عزت الأخير؛ ولعله في مقالاته الآتية يتفضل بمراعاة التحديد وعدم الخلط بين المذاهب الفلسفية وآراء الفلاسفة وبين المذاهب في الآداب والشعر

« القاهرة » محمد فهمي

تحت الطبع :

حياة الرافعي

للأستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى إدارة الرسالة ، أو إلى المؤلف بعنوانه :

شبرا مصر . شارع مسرة رقم ٦

ثمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشاً

أسبوع في فلسطين

للأستاذ محمد سعيد العريان

تتمة ما نشر في العدد الماضي

لن أتحدث عن مشاهدات في هذه البلاد رأيتها بعيني ، فذلك شيء يستطيعه كل ذي عينين ؛ وفلسطين اليوم هي فلسطين التي رآها من قبلي عشرات من الكتاب والرحالين وتحدثوا عن مشاهدها وآثارها ومعالمها ؛ فهذا المسجد الأقصى ، وهذه قبة الصخرة ، وذاك مهد المسيح في بيت لحم ، وذلك — فيما يزعمون — مصعده ومسْراه على الطور ، وهذا حائط البرق ، وذاك مصلًّى عمر ، وتلك كنيسة القيامة ... مشاهد كما وصف الواصفون وتحدَّث الرحَّالون وتغنَّى الشعراء ؛ فلس بيَ من حاجة إلى الاعادة والتكرار . ولكني سأتحدث عن المشاهدات الأخرى... مشاهدات رأيتها بفكري وسمعت صداها في نفسي، وتحدث معناها إلى قلبي ...

لقد أحسست أول ما هبطت هذه البلاد كأنما نضوت عن جسدي ثوباً كان يحتويني فأنا فيه غير من أنا : حسًّا ومعنًى وفكرة ؛ فما ألقيتُه عن جسدي حتى تواثبت نفسي منطلقةً على سجيتها في عالم غير محدود ، لا تعرفه ولا تنكره ، ولكنها فيه هي شيء غير ما كانت في هذا الثوب الذي يضم أطرافي منذ ثلاثين سنة أو تزيد ...

أمصري أنا ؟ لا ؛ إن وطني لأكبر من ذاك . إن لي أهلاً هنا وأهلاً هناك . إن تراث الأجيال ليتحرك في دمي الساعة فيذكرني مالم أكن أعرف. ما هذا ...؟ لكأن لي في كل مكان ذكرى قريبة وما رأته عيناي قبل أن تراه عيناي . إن قوة من وراء التاريخ تربطني إلى هذا المكان ، وتستوقفني عند ذاك الأثر، وتقف بي عند ذلك المنعطف ، وتذكّرني بشيء في هذا الحي . إن هنا قبساً من روح أعرفها ترفّ حولي ، ونفحةً من عطر أتنسَّمها تلامس روحي ، وإن لي هنا لخفقة قلب ، وإن لي هناك لدمعة عين ، وإنني لألْـقَى خواطر وذكريات لم تكن من خواطري وذكرياتي ؛ وإنني لأحس ... وإنني لأشعر ... فما أشك أن لي

تاريخاً قبل تاريخي في هذا المكان ، وأن لي ذكريات أبعدَ من ذكرياتي في هذا الحي ، وأن الماضي الذي كان قبل أن أكون ، هو إرث في دمي تحدَّر إليَّ في أصلاب أسلافي ذكرياتٍ غامضة لا تكاد تبين إلا خفقات في القلب وزفرات في الفؤاد ... !

أيها البلد الطيب ! أيتها الأرض المقدسة ! لقد عرفت بك أهلي ووطني وتاريخ قومي . لست من فرعون ولا فرعون مني . كفرت بالوطنية إن لم أومن بأني منكِ في أهلي ووطني ... !

يابلاد العربية والاسلام ، انشرى لواءكِ وابعثي ماضيك حتى تنتظم رايتُك كلَّ مسلم وكل عربي !

ياأهل العربية والاسلام ، لستم من الوطنية في شيء حتى تؤمنوا أن وطنكم هو كل بلاد العربية والاسلام !

ياأهلي وإخواني على ضفاف النيل ، لقد عققتم إخوتكم عقوقاً غير جميل حين زعمتم أن أرومتكم غير الأرومة التي أنجبت عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعبيدة بن الجراح !

يا أساتذة المدارس المصرية ، لقد ظلمتم التاريخ ظلماً غير قليل حين ذهبتم تزعمون لنا منذ كنا أننا من سلالة خفرع ومينا وآمون !

وياقومي وعشيري هناك ، معذرة إليكم مما كان ، وعهداً عليَّ أن أكون ، وإلى اللقاء ! إلى اللقاء تحت راية الاسلام ...!

***

هذا شاب من أدباء فلسطين يحدّثني عن مصر ، وعن أدباء مصر ، وعن السياسة في مصر ، وعن النشاط العلمي في مصر ، حديث العارف المتتبّع ، لا يفوته شيء مما يعرفه المصريون عن أنفسهم ؛ بل مما لا يعرفه المصريون أنفسهم ... فماذا يعرف المصريون عن فلسطين ؟

وهذه جرائد مصر ، ومجلات مصر ، ومطبوعات مصر ، تملأ السوق في فلسطين ؛ فهي في كل دار ، وفي يد كل قارىء . فماذا يقرأ المصريون من جرائد فلسطين ، وماذا يعرفون عن أدباء فلسطين ؟

« مصر زعيمة الشرق العربي ! »

هذه عبارة تسمعها بين كل اثنين يتحدثان عن مصر والأقطار العربية ؛ فهل عقلها من قالها ؟ وهل عَناها من تحدث بها ؟ ... أما هناك فَنَعم ؛ فما يقولها عربي في غير مصر إلا مؤمناً بها مستيقناً حقيقتها ؛ وأما هنا فهل تسمعها إلا في معرض الزهو والعُجْب والخيلاء ... ؟

مصر زعيمة الأقطار العربية ، ما في ذلك ريب ولا جدال . ولكنها زعامة الجاه والغنى والصيت البعيد ... زعامة ليس لها تكاليف ، وليس عليها واجبات ، وليس من ورائها مشقة ... زعامة الدعاوى الفارغة ، والتشدّق الكاذب ، ولغو الأحاديث ... وإلا فهل ذكرت مصر ما عليها للأقطار العربية حين سرَّها أن يقول القائلون إن مصر زعيمة الأقطار العربية ؟

ومعذرة يا بلادي ! إنك لأهلُ للزعامة والجاه والسلطان ولكن ... ولكنك لا تريدين أن تفرضي على نفسك ما تفرضه الزعامة على أهلها من مشقات وتكاليف . وهيهات هيهات أن تدوم الزعامة لزعيم لا يفرض على نفسه أن يبذل أكثر مما ينتفع ... وفي الحياة عبر وأمثال ...

***

وجلستُ في مجلس طائفة من الأدباء أستمع إلى أحاديثهم ومداولاتهم ، فإذا شباب هناك يسبقون الكهول عندنا في البحث والمطالعة والاستقراء ، وإذا علم وأدب واطلاع ، وإذا طرائق في البحث لا يعرفها إلا الأقلون من أدباء المصريين ... وسمعت أسماء كتب مصرية جديدة في السوق ، لم يعرفها بعدُ في مصر إلا مؤلفها والصفوةُ من أصحابه . ودار جدال حول معارك أدبية في جرائد مصر لم يكن مبلغ علمي بها إلا عنوانها وكاتبها ... وجرت مصاولات ، وتداولت آراء ، وتنوعت أساليب الحديث ؛ وخرجتُ بالصمت عن لا ونَعم ، وطارت خواطري إلى مصر ، وإلى مجالس الأدباء في مصر ، وإلى حظ الأدب والأدباء في مصر ؛ وأطرقتُ من حياء ...

مصر زعيمة الأقطار العربية . نعم ، إن فيها لكُتاباً وأدباء وشعراء ، وإن فيها لجرائد وكتباً ومجلات ، وإن فيها لتملها ومدارس وجامعتين ، وإن فيها لمطابعَ تخرج كل سنة مئات من الكتب في مختلف العلوم والفنون والآداب ، ولكن... ولكن مصر ليس فيها قراء ...

مصر ! ... إن لمصر فضلا على العالم العربي لا ينكره جاحد ، ولكنه فضل المطبعة والجريدة والكِتاب لا فضل المصريين ...

مصر ...! هل يعلم كتابها وشعراؤها ومؤلفوها أن كتبهم ودواوينهم ومؤلفاتهم أشهر وأذيع فى الأقطار العربية منها فى بلادهم ؟

رجاء إليكم أيها الكتاب والشعراء والمؤلفون : لا تسموها زعيمة الشرق العربى ، ولكن سموها « مطبعة » الشرق العربى !

***

ولا تجلسُ إلى عربىٍّ فى فلسطين إلا سمعت له حديثاً فى سياسة بلاده ، ورأياً فى سياسة بلاده ، وحماسةً فى الدفاع عن حق بلاده . وفى مصر (كانت) حركة وطنية ، وكان لها حدةٌ وشدةٌ ، فما طغت فى يوم من أيامها على آراء المصريين ولا فرضت سلطانها على مجالسهم بمقدار ما شغلت الحركة الفلسطينية خواطر العرب فى فلسطين . وتسأل : لماذا ؟ فيجيبك قائلهم : « لقد كانت ثورتكم الوطنية فى مصر للاستقلال ، والاستقلال عندكم ترف سياسى ؛ ولكن ثورتنا الوطنية فى فلسطين للحياة . إن السياسة العامة فى فلسطين هى سياسة كل فرد فى أهله ، وفى دينه ، وفى ولده ، وفى حقله ، وفيما يملك ؛ إننا إن لم نكافح كفاح الموت فى هذه الثورة الوطنية ، فلن تجد منا غداً عربياً واحداً فى فلسطين ... ! »

وصدق القائل ؛ فما فى فلسطين اليوم ثورة وطنية كبعض ما نعرف من الثورات السياسية فى التاريخ ، ولكنه جهاد الأحياء للحياة ، كما يجاهدون للطعام والشراب ، فاما ظفروا فعاشوا فى بلادهم آمنين كما يعيش كل شعب فى بلاده ؛ وإما ... وإما كانت فلسطين هي الأندلس الثانية : لا يُذكر فيها اسم الله ولا ينطق فيها بكلمة التوحيد ... !

***

وحاولتُ أن أعرف فى فلسطين من حال المرأة العربية المسلمة التى سمعت بجهادها وبسالتها فيما تنقل جرائدنا من أخبار الثورة العربية فى فلسطين ؛ فاذا بينى وبينها حجاب ؛ فلا ترى فى الطريق واحدة منهن فى مثل حال أختها المصرية : تسير فى الطريق شبه عارية فى ثوب مهلهل إن لم يشفّ يصفْ ، ولكن وجوهٌ إلا يكن عليها حجاب فان فيها حياء... إلا وجوهَ الغواني من بنات صهيون ونساء المهاجرين

***

ومحطة الاذاعة فى فلسطين غيرها فى مصر ؛ فهى هناك مصلحة حكومية وهنا شركة يربطها بالحكومة عقد تجارىٌّ ؛ على أن أول ما تلاحظه من الفرق بين المحطتين هو عناية محطة فلسطين بالأدب والأدباء وإغفال شأنهما فى مصر ؛ فلولا محاضرة أو محاضرات يذيعها كل سنة من محطة القاهرة الأساتذة طه حسين والمازنى وهيكل والبشرى — ليس غير — لما درى السامع من بعيد أن فى مصر أدباً وأدباء . على أن أكثر ما تذيعه القاهرة من موضوعات الأدب بعيد عن مناسباته ؛ فما هو إلا إعلان عن كتاب، أو تعريف بانسان، أو حديث معاد، أو خطبة منبرية ذات مواعظ وأمثال ... أو فكاهة رخيصة ... وقلما يتنبه القائمون على تحضير برنامج الاذاعة فى محطة القاهرة ، إلى مناسبة من المناسبات الأدبية العامة ليجعلوا لها موضعها من البرنامج فى ميعاده ، إلا أن يتقدم إلى ذلك من يتقدم من الأدباء وفى يده موضوعه كأنه طالب إحسان !

وأحسب ذلك يرجع إلى سببين : أولهما أن الأدب فى مصر عامة ليس له سوق نافقة بحيث يغرى محطة القاهرة بالحرص على إرضاء مستمعيه . والثانى أنه ليس فى القائمين على شئون محطة القاهرة أديب متخصص له فى الأدب معرفة واطلاع يحملانه على أن يعدّ نفسه واحداً من الأسرة الأدبية فى مصر بحيث يعرف اتجاه الجماعة فى الأدب فيسير مع تطوراتها على نهج سواء

على أن الاذاعة اليوم هى وسيلة من أجدى الوسائل فى نشر الثقافة وتوجيه الرأى العام ؛ فما ينبغى أن يحملها انصراف جمهور المستمعين عن الأدب على إغفاله ؛ فإن لها من السلطان ما تستطيع به أن تحمل مستمعيها على العناية بالأدب والأدباء لو سارت على برنامج مرسوم إلى هدف مقصود . ثم إن مصر ليست هى وحدها التى تستمع إلى محطة القاهرة ، ولكن أقطاراً أخرى من أقطار العربية لها علينا من الحقوق الأدبية ما يحملنا على إرضاء مستمعيها وكلهم يرفعون الأدب أسمى مكان

وإذ ذكرت هذا فما ينبغى أن يفوتنى ذكر الشاعر الأديب الأستاذ إبراهيم طوقان وكيل القسم العربى فى محطة القدس ؛ فانه من خيرة شباب فلسطين ثقافة وأدباً وتحصيلا ، وله فى الأدب آثار باقية ؛ وبمثله فى محطة القاهرة يمكن أن نتلافى هذا التقصير فى حق الأدب والأدباء

***

والمصريون فى فلسطين عدد غير قليل يعيشون فى أمن وسعة

ولهم في القدس نادٍ جميل في حيٍّ عامر يتبعه مدرسة ليلية وفرقة كشافة . دعاني إلى زيارته سكرتيره الأستاذ عبد الفتاح لاشين المصري المدرس بكلية الروضة في مساء الأربعاء ١١ مايو فذهبت إليه مع الأصدقاء الأساتذة عبد الرحمن الكيالي ، والشيخ يعقوب البخاري ، وداود حمدان ؛ فوجدت النادي مزيناً أبدع زينة احتفالا بالمولد النبوي ، وثمت شيوخ يقرءون قصة المولد ، والنادي مزدحم زاخر بالمصريين وضيوفهم من الفلسطينيين ، يستمعون إلى ترتيل القارئ في خشوع وإيمان ؛ واستقبلتنا فرقة الكشافة على الباب استقبالا مصرياً كريماً . ثم ودَّعنا أعضاء النادي بعد مجلس قصير ، بكثير من الحفاوة والاكرام

* * *

وكان آخر طوافي في القدس ، في القنصلية المصرية . وما أنكر أنه كان عليَّ أن أجعل أوَّل خُطاي إليها غداة مقدمي ، وقد كان ذلك في نفسي ، لولا أنني كان لا بد لي من رفيق يرشدني إلى الطريق ، وكان احتياجي إلى الرفيق هو الذي جعل زيارتي للقنصلية آخر طوافي ؛ فمعذرة إلى الأستاذ الأديب محمد حامد بك قنصل مصر في فلسطين الذي جعل أول لقائه إياي عتاباً كريماً كان له في نفسي موقع جميل ، وكانت تحية صريحة لا تكلف فيها ولا رياء

زرت القنصلية في مساء الأربعاء ١١ مايو ، فوافقنا الأستاذ متري بك وكيل القنصل خارجاً لبعض شأنه ؛ فما رآنا حتى بدأنا بالتحية ، وتقدمنا عائداً إلى دار القنصلية ، فقضينا في كرمه وقتاً ما ثم لم يلبث أن حضر القنصل ، فما درى بمقدمنا حتى صعد إلى غرفته محتجاً على أن جعلتُ زيارته آخر طوافي ؛ ثم عاوده كرم المصري فأرسل يدعونا إليه ...

وكانت جلسة ممتعة ، شهدتُ فيها مالم أكن أتوقع ، ولقيت وأحبابي من عطف الأستاذ حامد بك وكرمه وأدبه ما أحرص على ذكرياته كأجمل ما شاهدت في فلسطين

والأستاذ حامد بك أديب واسع الاطلاع على رغم منصبه السياسي ؛ وإنه لتوفيق عجيب أن يكون قنصلنا في فلسطين العربية له مثل حظ الأستاذ حامد بك من الاطلاع في الأدب وفي الثقافة العربية . ولقد عجبت — شهد الله — أن يبلغ هذا المبلغ في الأدب مصري من رجال السياسة ؛ وكان آخر ما يدور في خاطري حين هممت بزيارة القنصلية أن يكون لي هناك حديث في الأدب وفي شئون الأدباء كالذي دار في مجلس القنصل الأديب ...

وأكثر من يذكر الفلسطينيون من رجالات مصر الراحلين ، محمد عبده ، ورشيد رضا ، والرافعي ، ولهم في نفوسهم منزلة من التقديس تضعهم في صف الخالدين من أبطال العربية والاسلام

وأحب كتاب العربية إليهم أسرة الرسالة ، فهم يعرفون كتابها فرداً فرداً ، ويقرءون لها ما يكتبون بشوق ، وقلما تجد شاباً من شباب فلسطين لا يقرأ الرسالة ويحتفظ بمجموعاتها . وهم يعجبون أشد العجب حين يسمعون أن طائفة من شباب مصر لا يقرءون الرسالة ! وأحسب لو أن أملهم تحقق وصارت نسبة قراء الرسالة من المصريين تعدل نسبتهم في فلسطين لكان على الرسالة أن تطبع من كل عدد مائة ألف في الأسبوع ...

وأكثر من يذكرون من الكتاب المصريين هم الأساتذة أحمد أمين ، وعزام ، والمازني ، والزيات ، وهيكل ؛ ولولا سابقة للدكتور هيكل في الدعوة إلى الفرعونية لكان أحب الكتاب المعاصرين إلى أهل فلسطين ؛ فما يغيظهم شيء فيما تكتب الصحف المصرية ما تغيظهم هذه الدعوة ، وما يرونها إلا وسيلة إلى تمزيق الوحدة العربية التي يدعون إليها ويرشحون مصر لزعامتها ، وإلا سبباً إلى تقطيع الأواصر بين مصر وبلاد الاسلام

* * *

وركبت القطار عائداً من محطة اللِّد ، بعد زيارة قصيرة للأخ الأديب الأستاذ داود حمدان ، ورياضة ممتعة في سيارة الأستاذ النشاشيبي بين اللد وبيت المقدس

وتحرك بي القطار عائداً إلى مصر ظهر يوم الخميس ١٢ مايو ، فبلغت محطة القنطرة قبيل الغروب ... ومعي من الذكريات لهذه البلاد المقدسة أغلى ما يحرص عليه إنسان ...

أيتها الأرض الطيبة ! أيها الاخوان الكرام ! يا بني قومي هناك ، وداعاً وداعاً إلى لقاء قريب ، والسلام عليكم ورحمة الله

« شبرا » محمد سعيد العريان

بين الرافعي والعقاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٤ —

وبعد، فقد فرغنا فى الكلمات السالفة من الحديث فيما هو « بين الرافعىّ والعقاد »، ممّا جاء فى كلام الأستاذ الفاضل سيد قطب. ثم رأينا الأستاذ يبدأ ضرباً من القول هو إلى رأيه فى كلام الرافعى وحده، ليس يدخله ذكر العقاد إلا قليلا. وقد كان بدء حديثنا محدداً بالرافعى والعقاد معاً. فنحن نرى أن عملنا قد انتهى إلى نهايته فى هذا الغرض من القول، ولذلك، ليس يضيرنا الآن أن نسكت إلى حين يفرغ الأستاذ سيد قطب مِمّا يسر الله له القول فيه مما يسميه نقداً

وأول ما يجب علينا أن نقوله للأستاذ الفاضل بعد الذى كتبناه أنه يسيء بنا الظنّ بلا دليل ولغير عِلّة. يتزعّم أن فى حديثنا (غمزاً ولمزاً وتعريضاً به) وكذا وكذا، ونحن نكرم أنفسنا وقلوبنا وضمائرنا وألسنتنا عن هذه الضرب من القول، ولو أردناه لمضينا على عادتنا من التصريح دون التلويح، ولقلنا له من القول ما هو حق لا كذب فيه ... حق يدافع عن حقيقته بالبيان والحجة والوضوح، والأدب الذى يعفّ عن دنيّات المعاريض وسفاسف الأخلاق

وليعلم الأستاذ قطب أنى إذا أحببت لا أغلو، ولا أتجاوز حد الحب الذى يصل القلب بالقلب، ويمد الروح بالروح، ويجعل النفس فى فرح متصل بسببه، أو حزن آت بعلته، فهذا أخلق الحب أن يخلو من سوء العصبية، وفساد الهوى، وقبح الغرض. فلا يجدنى أرفعُ الرافعى عن الخطأ، ولا أجله عن الضعف، ولا أنزهه عما هو فى عمل كل إنسان حىّ ناطق يأمل ويشتهى. مما يسمى بأسمائه حين يعرض ذكره. وفى كل أحد ممن خلق الله على صورة (الانسان) ضروب من الشمائل والسجايا والأخلاق والآداب، ليس يطلع عِلمها إلا الله جل جلاله، وربُّ رجل صاف كنور الفجر يخبأ من ورائه مظلمة من سواد الليل

ولقد عرفنا الرافعى زمناً — طال أو قصر — فأحببناه ومنحناه من أنفسنا ومنحنا من ذات نفسه، ورضيناه أباً وأخاً وصديقاً وأستاذاً ومؤدباً، فلم نجده إلا عند حسن الظن به فى كل أبوّته وإخائه وصداقته وأستاذيته وتأديبه. ولقد مات الرافعى الكاتب الأديب وهو على عهدنا به إنساناً نحبه ولا ننزهه، ثم جاء الأستاذ سيد قطب بحسن أدبه يقول فى الرجل غير ما عهدناه ... يؤوّل كلامه ويأخذ منه ويدع ويتفلسف ويحلل ويزعم القدرة على التولج فى طويات القلوب وغيب النفوس فيكشف أسرارها ويميط اللثام عما استودعت من خبيئاتها، ثم هو فى ذلك لا يتورع ولا يحتاط، ولا يَرعى زمام الموت، ولا يُوجب حق الحىّ

لقد كتب الأستاذ ما كتب، فقرأ كلامه من قرأ، أفيجد فى هؤلاء من يقول له أصبتَ؟ ومن يقول له أحسنتَ؟ ومن يزعم أن ليس له مندوحة عما اتخذ من اللفظ فى ذكر الرافعي وصفته والحديث عنه وعن أدبه وشعره؟ أما يجدر بالأستاذ الفاضل أن يعود إلى بيته هادئ النفس مُخَلًّى من حوافز الحياة الدنيا، فيقرأ ما كتب مرة أو مرتين، ثم يرى هذا الذى ترك الدنيا بالأمس وحيداً، وخلف من ورائه صغاراً وكباراً من أبنائه وحفدته وأصحابه واللائذين به، ثم يراهم يقرأون ما يكتب عن أبيهم وجدهم وصاحبهم بالأمس، ثم يراهم والدمع يأخذهم بين الذكرى المؤلمة والألم البالغ! ولو فعل، لعرف كيف أخطأ ومن أين أساء، ولوجده لزاماً عليه أن يقدُر عاطفة الحى، إن لم يعظِّم حرمة الموت. وهذا أمر لا نطيل القول فيه ولا نكثر من لوم الأستاذ عليه، فإن مرجعه إلى طبيعته وما تضمره نفسه، وإلى تقديره لعواطف الناس

ومهما يكن من شىء، فسندعُ الأستاذ سيد قطب يقول ما يقول، ويذكر من رأيه فى الرافعي ما يذكر، ويصف أدب الرجل وذهنه وقلبه ونفسه بما يوحى إليه، لا نعقب على شىء منها حتى يفرغ، وحتى يستوفى مادته، ويضع بين أيدينا كل حججه فى فن الرافعى. فيوم ينتهى نبدأ نحن القول فى الذى قال ... لا نرد بذلك عليه قوله، أو نسدد له رأيه، فما لنا بذلك حاجة ولا لنا فيه مأرب، ولكنا نريد إذ ذاك أن نضع رأيه بمنزلة الرأى يقول به فئة من الناس، أو شبهة تحيك فى صدر جماعة من

الأدباء ، فعلينا أن نبين مواضع الخطأ إذا أخطأ ، ومكان الصواب إن أصاب ، وذلك غاية ما نستطيع

أما ما يوعدنا به الأستاذ الفاضل ، وما يسخر به ويتهكم ، وما يضمر لنا من (بقايا) كلماته !! فليقل فيه ما شاء كما يشاء ، وسنرده على قدره وفي حد طاقتنا وآدابنا ، ولو اجتمع للأستاذ كل سلطان يستطيع به أن يسيء ، فأساء إلينا بمثل الذى أساء به إلى الرافعى رحمة الله عليه ، فنحن لا نزال — مع كل ذلك — نحترمه ... إذ ليس فى طاقتنا أن نفعل شيئاً إلا أن نحترمه كل الاحترام

محمود محمد شاكر

بين العقـــاد والرافعى

للأستاذ سيد قطب

— ٥ —

يقول العقاد فى قصيدة « خليج ستانلى » :

هذى معارض صـنعة لله تبهر من وصف
حى الجمـــال كما بدا أولا فدونك والجيف !

يقول هذا وهو يقف أمام هذه « المعارض » وقفة الفنان الحى ، المتذوق لكل صنوف الجمال فيها ، المتنبه لومضاته وخفقاته ، لا تكاد تعزب عن نظره ولا عن حسه لفتة من لفتات الجمال فى هذا الخضم العارى . ثم يسمع من ناحية أخرى صيحات « الخرف » التى لا تقدر هذه المعارض ، وتنحي باللائمة على بروز هذا الجمال ، فيصيح بهم : هذه معارض للجمال يتملاها الأحياء المفتونون بالحياة ، فمن شاءها فليحى الجمال فيها ، ومن أبى أن يعجب بالحياة الخافقة فليس له إلا أن يوكل نفسه بالجيف الهامدة !

ولكن « الرافعى » لا يلقى باله إلى شىء من هذه اللفتات ، فيأخذ منخره بين أصابعه ويزم شفتيه ، ويشيح برأسه ، ويروح يتصنع التأفف والمبالغة فيه ، لأن هناك رائحة لا يطيقها فى كلمة « الجيف ! »

طيب ! . ولا بد أن صاحبنا بلغ من إرهاف الحس — ولا سيما حاسة الشم — إلى درجة شديدة ، تقرب من الدائرة المرضية فالذين يبالغون فى التأفف كثيراً ما يكون الارهاق بلغ بهم إلى حد مرض الأعصاب ، وهو عذر على أية حال . ولا بد أنه متجنب فى أعماله الخاصة كل ما تنبعث منه أية رائحة !

ولكن ماذا عساك قائل ، إذا رأيت هذا الرجل الذى يمسك منخره بأصابعه ، لأن فناناً تهكم بخصوم الجمال ، فجعلهم ممن لا يحسنون إلا ملازمة الجيف ، إذا رأيته هو نفسه يصف فم حبيبته مستجملاً — وألق بالك إلى هذا — بأنه « حانة » !

أى والله ... « حانة » هى فم حبيبة « الرافعى » ، حانة ينبعث من روائحها ماينبعث ، ويفوح منها مايفوح ، ويمج بين جدرانها ما يمج . وفيها « من كل شىء » كما يفهم الرافعى وتلميذه الأستاذ شاكر . « من كل شىء » على حقيقتها وبمدلولها كما أوّلاه فى تعسف واستغلاق

وما أبعد بك فهذه قولته :

« مسكرة للعاشقين كأن نهر الخمر فى الجنة جعل فيها لهذا العاشق حانة »

ولعل أحداً من المتعسفين فى التأويل والتخريج ، حسب الأهواء والميول ، يروح يقول لك : يا لله ! إن نهر الخمر الذى فى الجنة هو الذى جعل فيها حانة . فهي حانة من خمر الجنة لا من خمر الدنيا !

ولكن أفما كان هناك معدى عن هذا التعبير وهذا التشبيه ؟ ألا يمكن أن تكون مسكرة حتى يكون فيها حانة ، لا كأساً لطيفة ، ولا قارورة مختومة ، ولا دناً أو « برميلاً » من الخمر ؟ ولا يكون حانة كاملة بما فيها من الدنان والكؤوس والشاربين والندمان ، وبما فيها من عبث الشاربين وأنفاسهم وما يلى ذلك من عواقب السكر وصرعة الخمر

الذى لا يطيق أن يرى فنان خصوم الجمال بأنهم غير أحياء وأنهم موكلون بالجيف ، هو الذى يطيق أن يرى حبيبته نفسه بأن فيها حانة بما فيها ؟ !

هو ذلك . لأنه لا عقيدة فيما يكتب ، فهو ينقد لشفاء الحزازات ويتلمس مواضع التشنيع التى لا سقطة فيهـا على الحقيقة ، وإن كان له هو على غرارها — مع الفارق — سقطات وسقطات !

* * *

ويقول العقاد متفكها ، فى فصل يسميه « فكاهة » ويمنون له بهذا العنوان

من رأى زهرة الجمال فهذى زهرة القبح أسفرت تتحدى
طلعة الشؤم من رآها يخلها خلقت من وجوه سبعين قردا!

فما يلمح الرافعى هذا القول ، حتى يغرق فى ضحك مصطنع طويل ؛ وهو يقول وما الفرق بين أن تكون طلعة الشؤم هذه خلقت من وجه قرد ، أو من سبعين أو سبعمائة ؟

والمسألة هنا ليست هكذا ، فوجه القرداليس كل مافيه قبيحا ، فشدة الاحتياط في « الفكاهة » جعل العقاد « طلعة الشؤم » مؤلفة من القبح المستخلص من وجوه سبعين قردا ، ليكون قبحا خالصا مركزا !!!

وهي على كل حال « فكاهة » والاغراق فيها يزيد حسن وقعها ، ولا يبطل من قوتها شيئاً ، وهو كل المقصود بالفكاهات.

أما الرافعى الذى يعيب ذلك فاسمعه يقول جاداً لا متهكما ولا متفكها . « وأصعب ما تكون الانسانية على من يعظم بحيوانيته وحسب ، فتراه وكأن مئة حمار ركبت منه فى حمار واحد ، ولكنه حمار عظيم ... »

أرأيت إلى حمير الرافعى المائة ، وعلمت ما شأنها هنا ؟ إنها لمجرد المبالغة فى شدة الحيوانية . والمبالغة فى موضع الجد والقصد ، لا فى موضع الدعابة والنادرة

فلماذا يباح للرافعى فى الحمير مالا يباح للعقاد فى القرود ؟ وهذه سبعون وتلك مائة . وهذه قرود تحمل الدعابة والخفة فى اسمها وجسمها ، وتلك — أعزك الله — حمير تحمل الغباء والثقلة فى « صورتها ونمتها ؟

إنه التعنت ، وشفاء الحزازات التى علمت سببها فيما أسلفت من حديث

***

وبعد فما أعني النقد بما أوردت من كلام الرافعى هذا ، فمثله لا يعد نقدا ، والذى يعنى بهذه المآخذ لا يكون إلا سخيفا ؛ وإنما أردت فقط أن أصور هذا العنت الذى كان الرافعى يلج فيه وهو واقع فى شرمنه ، وأن أبين كيف يصنع الحقد ببعض الناس ، وكيف ينكشف « الذوق » المتصنع عن ثقلة وغفلة

وأحسب أننى حتى الآن قد أوضحت رأيي فى الرافعى بالأمثلة الكافية كما وعدت فى أول مقال . وبقى أن أوضح رأيى فى العقاد على ذلك النحو

ولكنى قبل هذا سألقى نظرة على ما كتب الأستاذ محمود محمد شاكر متقيدا فى هذا بوعد أسلفته فى الكلمة الفائتة ، أكثر من اقتناعى بأن هناك ما يستأهل هذه النظرة

فلننظر ماذا قال ؟

***

كنت في حاجة أن أستعير أسلوب العقاد فى الرد على الرافعى وأمثاله ، أواجه به الأستاذ شاكر ، إذ كان الموقف لم يتغير . ولكنى لحسن الحظ أهدأ من العقاد ، وطبيعتى أقل حدة وضراما فلهذا كان أسلوبى هنا غير ما يحتاج إليه الموقف !

والأمر بينى وبين الأستاذ شاكر يمكن تقسيمه وتبويبه للاختصار

فهو « أولا » راح يطعنني فى « حسن أدبى ، ومروءة نفسي ، ونبل قلبي ، وشرف مقصدى ، فيما كتبت . وراح يتهمني بمجانبة « الدين والتقوى ، والحياء والتذمم » . وبأنه ليس ما بى « هو النقد ولا الأدب ، ولا تقدير أدب العقاد وشعره ، فما هو إلا الانسان وجه يكشفه النور ويشف عما به ، وباطن قد انطوي على ظلماته فما ينفذ فى غيبه إلا علم الله »

وكل ذلك والأستاذ شاكر لا يعرفنى ، ولا يعرف شيئاً عن أدبى ولا نفسى أو قلبى ، ولم تكن التهمة فى فهم الأدب أو فهم الحياة ، حتى يكون له مبرر فى مجال النقاش الأدبى ، وإنما هى تهمة خلقية محضة ؛ وأنا إنما كان حديثى عن نفس الرافعى فى أدبه

فماذا كنت أصنع للأستاذ ؟

أكنت أرد عليه شتائمه وأكيل له صاعاً بصاع ؟ إذن فما أنا بخير الرجلين !

أكنت أنفى عن نفسى هذه التهم ؟ ... لأنا إذن ظالم لنفسى فما هى مما يستحق النفى . وأنا أعرف نفسي ودوافعها فى الحياة — وهذا حسبي — وهناك مئات يعرفوننى معرفة الحقيقة والتقدير ، وهنالك ألوف يعرفون بالقراءة ونقد الكلام مايجب أن يعرف ، فما بى من حاجة بعد هذا كله إلى كلام

ولقد رددت على الأستاذ سعيد العريان ما عرض بى من جهل بأدب الرافعى . ولم أرد على الأستاذ شاكر فيما عرض بى من

شتائم خلقية ، إذ كان الأول بسبب من الموضوع الذى أتحدث فيه ، وإذ كان بينى وبينه من الصلات ما يبيح لى أن أتعتب عليه بشدة . فأما الأستاذ شاكر ، فلم يكن له عندى هذا ولا ذاك ، فتركته يقول :

على أنه ماذا يورد من حجة على انزلاقه إلى الطعون الشخصية الوبيلة ؟ إنه حدثنى عن الرافعى الميت فى إبان ذكراه الأولى

ولقد لقينى أديب كبير بعد هذا ، فقال يتفكه : إن هؤلاء الجماعة يجلسون فى المأتم ويرجمون المارة بالحجارة ، فإذا رجمهم الناس ، صاحوا وولولوا ، وملأوا الدنيا تسخطاً ونعياً على الأخلاق لأن الناس لا يقدرون حرمة المأتم ، وهم الذين استهانوا بهذه الحرمة حينما رجموا المارة !

ولقد كان ذلك فكاهة وحقاً !

فالمسألة أن الأستاذ سعيد العريان كان يكتب عن الرافعى ، حتى لقد بلغ رقم مقالاته السادس والعشرين ، فما رأيت ما يدعو أن أكتب أو أعلق ، فهو صديق وتلميذ يقوم بحق الوفاء ، وهو على هذا مشكور مبرور ؛ ولكنه بعد ذلك انحرف عن نهج المؤرخ إلى نهج الناقد ، فقال عن نقد الرافعى لوحى الأربعين إنه منزه عن العيوب ، وقال عن رد العقاد إنه سباب وشتائم ، فكان ذلك حكماً لا تاريخاً ؛ وقال عن دوافع العقاد للرد وطريقته كلاماً لا يصدق على العقاد ، ويخطئ تفسير دوافعه فى الحياة حسبما أرى ، وأنا بذلك أدرى

وعندئذ فقط تدخلت ، لأعيد إلى الأذهان شيئاً من النقد « المنزه عن العيوب » ولأفسر دوافع العقاد وخطته فى الحياة ، ولأبين الفوارق الأصيلة بين مدرسة العقاد ومدرسة الرافعى فى الأدب وفى الحياة

هكذا كان تدخلى ، وهو مفهوم ، ولم تكن هناك حاجة للتخمين والتأويل

* * *

وهو « ثانياً » شاء أن يدافع عن الرافعى ، وأن يثبت له ما نفيت عنه من الطبع والعقيدة فقال كلاماً لا أحسبنى قلت سواه فيما كتبت !

فهو قد قال : إنه كان للرافعي رأى فى أدب العقاد غير ما أبداه وإنما الملاحاة وحب الغيظ والكيد ، هى التى جعلته يقول ما قال .

وحكم على العقاد كذلك بما حكم به على الرافعي

فأما الشطر الأول فهو اعتراف يؤيد رأيى ، فى أن الرافعي لم يكن يصدر عن عقيدة فيما يكتب . وذلك حسبى

وأما الشطر الثانى فهو الذى أنكرته من قبل على الأستاذ سعيد ، وهو الذى لا زلت أنكره ؛ لأننى أعلم من حقيقة رأى العقاد فى الرافعى ، ما يؤكد نمته له ، ورده عليه . وما كان هذا الرأى ليختلف لو لم تقع بينهما جفوة وملاحاة ، إن صح أن التعبير عن هذا الرأى كان يمكن أن يتغير ، من لفظ قاس مكشوف ، إلى لفظ لين ملفوف

وليس العقاد هو الذى يبدى رأياً ويبطن آخر ، فهو رجل عقيدة يهمه التعبير عنها ، ولو لاقى فى ذلك كل عنت وملاحاة

هذا رأيى فى صاحبى ، لا زلت أنافح عنه ، وذلك رأيه فى صاحبه وهو به أعرف !

* * *

وهو « ثالثاً » أخذ نفسه بإبطال ما أوردت من نقد لنقد الرافعى . فلننظر ماذا قال

إنه راح يتقصى ماقيل فيما يقرب من قول العقاد :

فيك منى ومن الناس ومن ... كل موجود وموعود توأم

سائراً فى تقصيه على النسق الخالى من كتب النقد العربى لقدامة وأبى هلال العسكرى ، ومن ينقلان عنهما ... من تتبع المعنى تتبعاً زمنياً ، وحسبان كل شاعر متأخر أخذ هـذا المعنى عن شاعر متقدم ، وزاد فيه أو نقص ، وتصرف أو ولد ... الخ

وليس هنا مجال انتقاد هذا المذهب فى النقد ، ولكنى أكتفى بإثبات سوء رأيى فيه ، وظنى به القصور والجمود

إنمـا يهمنى ما قال الأستاذ من أن العقاد ذكر « من كل شىء » دون أن يضع للفظ المطلق شيئاً من الحواجز والحدود التى تمنع إرادة الإطلاق والتعميم ، فلم يبق إذن بد من أن يفهم الرافعى ، وأن يتابعه هو فى الفهم ، أن « من كل شىء » تشمل ما ذكر من قاذورات وأوحال

ويبدو لى أن الحواجز والحدود المقصودة لا يمكن أن تكون إلا من نوع الحواجز التى توضع للخيول والكلاب فى السباق ، أو الحبال والأسلاك الشائكة التى تصدم الجسم وتخز اللمس !

ويبدو لى كذلك أن « التذوق الانساني » الذى يمنع إرادة مثل تلك القاذر ، هو الأمر الوحيد الذى لا يحسب حسابه عند الرافعى وبعض متابعيه . وإلا فقد كان حسب الأستاذ أن يحيل حديث الرافعى فى هذا إلى ثورة حقده، وحبه للمكيدة والاغاظة، فيخرج من تلك الأشواك التى ألقى بنفسه فيها دون حساب !

ثم ماذا ؟

ثم ذكرنى بشىء كنت قد نسيت الالمام به ، بعد ما التفت خاطرى إلى فساده وسوء دلالته على فهم الرافعى للأدب الحى . وذلك بقية ما كان قد عقب به على هذا البيت من أن أعرابياً قال وقال ... فجمل حبيبته «أصفى شىء ، وأغلى شىء ، وأسعد شىء»

هذا فى الواقع مفرق الطريق بين الرافعيين والعقاديين ؛ أو بين المدرسة القديمة والمدرسة الجديدة على الاطلاق . ولا بأس من توفية الكلام فيه بعض حقه ، وربما عدت إليه فى كلمة منفصلة أو فى ثنايا كلمات أخرى

المبالغة عند المدرسة القديمة هى مناط البلاغة ، لا يستثنون من هذا إلا ما اعتبروه مغالاة ، تمس العرف أو الدين ، أو تناقض الحس والمشاهدة . والصدق الجميل هو مناط الاستحسان عند المدرسة الحديثة

فليس يهم الشاعر المجدد فى هذا العصر أو فى قديم الزمان ، أن يجمع فى حبيبته كل ما تفرقه الأوصاف فى الجميلات ، ولكن يهمه أن يصور محاسنها هى ، الخاصة بها ، وأن يعبر عن شخصيتها ومميزاتها كما هى فى نفسه

ومن هنا يختلف فى وصفه حبيبة عن حبيبته ، لأنه لا يتحدث عن تمثال من الرخام ، ولكن عن إنسانة حية تعيش فى نفسه بمميزات خاصة . هذه المميزات قد يكون بعض العيوب فيها أعز على نفسه من بعض المحاسن ، وأدعى لتعلقه بها ، كالوالد لا يحب أبناءه لهدوئهم وآدابهم وحدها ، وقد يكون الطفل المتعب أو الشاذ أكثر استمتاعاً بعطفه ، وقد يكون حبه لهم على حسب ما بذل مع كل منهم من جهد ، وما أنفق من علاج ، وتلك من أسرار النفس الانسانية

الصدق الجميل ، الذى يعبر عن الحقائق النفسية ، ويصور الحياة المتدافعة المتماوجة هو الذى أملى على العقاد ما كتب عن حبيبته ، لأنها كانت هكذا فى نفسه ؛ فما يهمه أن يختار لها أجود النعوت ، وأحسن الأوصاف ، بقدر ما يهمه تصويرها على حقيقتها فى نفسه

فمن شاء أن يلتمس المبالغة وجمع الصفات المستحسنة وحدها من كل ما يتخيل فيه الجمال ، فسبيله إلى ذلك شاعر آخر غير العقاد ، ممن لا يحبون بقلوبهم وأعصابهم ، بل بأذهانهم وأسماعهم . وهذا مفرق الطرق ، والرمز الذى لا يخطىء فى تمييز المدرستين

ثم شاء أن يتحدث عن قصة « قزح وقوسه » على مثال ما تحدث عن « من كل شىء » فلم يشأ أن يفهم ما فى هذه الدعابة من طرافة وحيوية ، لأن « قزحاً » هذا ليس « مشهوراً » بالجمال حتى تصلح المقابلة بينه وبين الجميلات

فهنا رجل يتصدى للنقد ، ولكنه يتوكأ على أحكام السلف ، فان وجد فيها أن قزحا مشهور بالجمال فذاك ، وإن لم يجده مشهورا فلا يمكن أن يكون جميلا ، ولا يستطيع هو أن يرى إن كان هكذا أو كان قبيحاً ، لأنه لا يستمد النقد مما يحس ويرى ، ولكن يستمده مما يقرأ ويحفظ

ومثل هذا لا نطمع أن يماشى العقاد فى سموقه وتفرده ، ولا أن يتابع كذلك شروحنا للعقاد وطريقته ، ولكنى سأتحدث لمن يشاء أن يستمع

إن العقاد فنان دقيق الحسّ فى تمييز الألوان والأضواء والظلال ، وفى نفسه غرام بالنور يجعله يلتفت أبدا لومضاته وخفقاته (وقد وفيت شرح هذا فى محاضرة لى عن وحى الأربعين عام ١٩٣٤ نشرت وقتها بالجهاد ، فليرجع إليها من شاء)

ومن هنا كان انتباهه لقوس قزح وألوانه وأطيافه ، وكان تشبيه « مطارف الحسان وطرفهن » بهذه الألوان والأطياف ، التى زاحمن قزحاً عليها حتى ظفرن بها منه ، فألقى لهن بها وأدبر وانصرف ! ومن هنا كانت الطرافة والحيوية التى حسبنا الاشارة إليها تكفى أول مرة للفت النظر والفهم ، فأخطأنا التقدير

وقد فهم الأستاذ شاكر أننا نعنى بتلاعب الرافعى بالألفاظ ، أنه قال مرة إن قزحاً لا يفصل عن قوس ثم عاد ففصلها ! وما إلى شىء من هذا قصدت ، وما كان يمكن أن يفهم ما قلته على هذا الوجه . إنما عنيت بالتلاعب أن يترك الناقد هذه الطرافة فى الحس

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدينة

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نفسها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

— ١٣ —

أحس لنكولن ذلك فهو وإن لم يكن يعرف الذهاب بنفسه يدرك اليوم أن قد صار له فى السياسة مكانة الزعماء ، فلقد انتشر اسمه خارج مقاطعة الينوس وتقبله الناس بقبول حسن ، فهم يضمرون لصاحبه المودة والإجلال . رشحه رجال الحزب الجمهورى فى مؤتمرهم الأهلى أثناء الانتخاب لمركز نائب رئيس الولايات على غير سعى منه إلى ذلك فنال من الأصوات عشرة ومائة وهو بعيد ؛ فلما جاءه نبأ ذلك تبسم ضاحكا وقال : « حسبت أول الأمر أن هنالك رجلا آخر عظيما فى مساشوست يدعى لنكولن »

ولقد تألمت نفسه وانكدرت لذلك الحكم ؛ تلمح ذلك فيما عقب به عليه ، إذ أخذ يقارن حال العبيد يومئذ بما كان يرجى لهم غداة إعلان الاستقلال قال : « فى هاتيك الأيام كان إعلاننا الاستقلال أمراً يعتبره الناس جميعاً مقدساً كما اعتبروه ينتظم الجميع ؛ أما اليوم فقد هوجم وسخر منه وأوّل وفق الأهواء ، ومزق شر ممزق ، حتى لو أنه أمكن أن يبعث صانموه اليوم من مراقدهم لما أمكن أن يتعرفوه ؛ وذلك بما فعلنا من محاولتنا جعل عبودية الزنجى أمراً عاماً أبدياً . فإن جميع قوى الأرض لتظهر كأنها تتحدسر بما عليه ؛ فإلـه المال (ممون) فى أعقابه ومن ورائه الطمع ، ثم من وراء هذا الفلسفة ، تتلوها جميع نظريات العصر التى تتكاثف جميعاً فى سرعة لتؤيد الصيحة ضده . لقد ألقوا به فى سجنه بعد أن فتشوه ولم يدعوا فى يده أى آلة ينقب بها الجدار ؛ وأغلقوا عليه الواحد بعد الآخر أبواباً ثقيلة من الحديد ؛ والآن يذرونه فى سجنه وعلى بابه قفل من الحديد ذو مائة مفتاح ، لايمكن فتحه إلا أن تتفق على ذلك كل هاتيك المفاتيح ؛ وإنها لنى أيدى مائة من الرجال مختلفين مبعثرين فى مائة مكان مختلفة سحيقة ؛ وإنهم ليفكرون فوق ذلك ليتبينوا أى اختراع فى كافة نواحى العقل والمادة يمكن أن يضاف إلى ذلك ليكون استحالة هربه أكثر توكيداً مما هو عليه .

وحق لأبراهام أن ينطلق لسانه بمثل هذا الغضب ، وأن يجزع نفسه لهذا الحكم فإنه ليراه ينطوى على كثير من المعانى وكلها على غير ما يحب لحزبه الوليد وللقضية الكبرى التى يتوقف على مآلها مصير البلاد . أليس يقضي هذا الحكم بأن المجلس التشريعي للولايات هو الذى يحدد من غير قيد ماذا تكون عليه حال الولايات من حيث مسألة العبيد ؟ وإذاً فما قيمة اتفاق سورى ، ثم ما نصيب هذا الحزب الجديد من القرب أو البعد من روح

والخيال ، ويعنى بتخريج الألفاظ اللغوية ، غافلاً عن النكتة المقصودة من فصل « قزح » عن « قوس » أو متجاهلاً لها ، وهو ما صنعه الرافعى

أما ما ذكره الأستاذ شاكر من قول شوقى ورأي العقاد فيه فالأمر فيه مختلف جداً . فشوقى فى بيته لا يذكر « قوس » أى ذكر ، وإنما يورد « قزحا » وحدها ويقصد بها « قوس » كما يفهم من معنى البيت :

قصراً أرى أم فلكا وشجراً أم قزحا ؟

فكان الحق مع العقاد أن يقول : « ولا تذكر قزح إلا مع قوس » ولكنه لم يوجب فى قوله هذه ألا تفصل منها كما أوجبه الرافعى خطأ . وفرق بين تحتيم ذكرها معاً وتحتيم اتصالها كما لابد أن يفهم الأستاذ !

على أنه يبقى بعد ذلك كله أن كلام شوقي لم يكن يتضمن « نكتة » خاصة كالتى تضمنها كلام العقاد ، وتوجيه الكلام يقتضى بعض التصرف فى عرف الأحياء !

هذا حديث قد أطلت فيه ، ولكنه ليس موجها لأن يكون رداً على الأستاذ شاكر فيما كتب ، وإلا فالمسألة أهون من هذا ؛ إنما أردت به تصفية الموقف فى طرق النقد ، وما يجب أن يتوفر لها من فهم ودقة ويقظة ... وحياة !

(حلوان) سيد قطب

القانون وهو الذى يجمل اتفاق سورى القاعدة التى يصدر عنها فى أعماله ؟

إنها فى الحق لمعضلة ؛ ولكن هل كان يضيق هـذا القلب الكبير بالمعضلات ؟ وهل يتخاذل إيمانه لدى الصعاب وهو الذى يفل الصعاب وينهض لجسيات الامور ؟ كلا ، إنه ليحس قوة نفسه تعظم بقدر ما تعظم الشدائد . وهو كغيره من أولى العزم من الرجال لا يتذوق حلاوة النصر إلا فى مرارة المقاساة ...

وظلت الأحداث تأتى بعضها فى أثر بعض ، فهذه كنساس تتوثب فيها الفتنة ويتحفز الشر ، راحت تضع لها دستوراً فأخذت تختار من رجالها من يعقدون مؤتمراً لهذا الغرض ، فانظر كيف يحال بين الأحرار وبين أمانيهم بالقوة المادية فيجرى الانتخاب فيهـا على صورة تشمر النفوس البريئة بالألم اللاذع أن ترى الأغراض الوضيعة تنزل فيها بالعقلاء من البشر إلى مرتبة البهائم ، ويبيت النـاس وكأنما لم يكن الوجدان يوماً ناحية من نواحى نفوسهم . فهم فى ضراوتهم وبهتانهم يظهرون فى مظهر تخجل منه الآدمية التى تشعر بحقيقتها

ويأبى الرئيس بيوكانون إلا أن يعتمد قرار المؤتمر فيقبـل الولاية فى الاتحاد على أنها إحدى الولايات التى تأخذ بنظام العبيد كما جاء فى دستورها ! ولشد ما تألم لنكولن لهذا ، ولـكنه كان عنده ذلك الألم الذي يلد العمل ويبتعث الأمل ويغرى المجاهدين بالجهاد ؛ ولو لا أن كان من المؤمنين الصادقين لتطرق إلى نفسه الوهن ومشى في عزمه اليأس ...

ووثب لمناهضة دستور كنساس رجل آخر يعد موقفه فى ذلك غريباً لأول وهلة ، وذلك هو دوجلاس عضو مجلس الشيوخ ومنافس لنكولن الشديد البأس . رأى أن قرار المحكمة العليا قد قضى على ما راح يدعو إليه من توطيد مبدأ سيادة الولايات في تقرير مصائرها . ذلك المبدأ البراق الذى ظل يخلب به الألباب ويلوح به لأهل الجنوب ليكونوا عدته في الوصول إلى الرياسة . ولقد بات من أمره فى حيرة شديدة ، فهو يخشى أن يفقد محبة أهل الجنوب إذا عارض دستور كنساس ؛ بينما هو يخشى كذلك أن يفقد ثقة أهل الينواس إذا هو نسى مبدأ سيادة الولايات وسلطانها فيؤدى ذلك إلى خذلانه فى الانتخاب لمجلس الشيوخ وقد أوشكت مدته فيه أن تنتهى ...

ولـكنه آثر الآن أن يحرص على ثقة أهل مسورى فأعلن عداءه لدستور كنساس ، ووقف يحمل عليه فى المجلس حملات شديدة بعثت فى قلوب الديمقراطيين الغيظ وأثارت فى عقولهم الدهش ، فهذا الرجل الذى يعدونه من أقوى رجالهم لا يستحي أن يخرج عليهم على هـذه الصورة ولا يتورع أن يعارضهم فى فى غير هوادة كأنما انقلب بغتة فصار من رجال الحزب الجديد !

ولقـد هلل بعض زعماء الحزب الجديد لموقف دوجلاس واستبشروا به ، بل لقد أخذوا يمهدون السبيل لانضمام دوجلاس إلى حزبهم ليزدادوا به قوة ومنعة ! وراح جريلي أحـد رجال الصحافة من قادة هذا الحزب يدعو القراء إلى انتخاب دوجلاس وأخذ يثني على صفاته ويتوخى فى مديحه الأطناب والمغالاة . وكان هذا الرجل من أشهر رجال الصحافة فى الشمال وكانت له عند الناس مكانته ؛ كما كان لصحيفته عدد كبير من المعجبين

ولـكن ابراهام قد أنكر على نفسه أن يقبل ذلك من رجال حزبه . وهنـا تعود للظهور خصلة من أبرز خصاله ألا وهى الاستقامة إذا صح أن تعبر هذه الـكلمة عن المعنى الذى نريد ، والذى نراه ينحصر فى إطلاق النفس على سجيتها وسيرها على نهج من فطرتها فى غير تناقض أو تذبذب أو اضطراب . وما كان ابراهام يتكلف شيئاً لا يتحرك به وجدانه أو تستشعره نفسه ، ومن هنا كانت خطواته بطبيعتها مسددة إلى الغاية مفضية إليها مهما كثر ما يعترضه من الصعاب . ثم من هنا كان خطره إذا تحرك . انظر إلى قوله حين سمع بتلك الدعوة الجديدة : « لقد أتى جريلي بحوى بما لا يعد عدلا . إنى جمهورى من صميم الجمهوريين ولقد وقفت دائماً فى طليعة الصفوف عند المركة . والآن أراه يفاوض دوجلاس خير من يمثل رجل الاتفاقات ، ذلك الذى كان مرة آلة أهل الجنوب والذى هو اليوم أحد معارضيهم ؛ ذلك هو الرجل الذى يحاول أن يضمه فى صفنا الأمامى ... انه يحسب أن مكانه الرفيع وشهرته وتجاربه ومقدرته إذا أحببت ، تقوم مقام حاجته إلى مركز جمهورى خالص ، بل وتزيد على ذلك ... ولذلك فأن إعادة انتخابه على أن يمثل قضية الحزب العامة أجدى علينا من انتخاب من هو خير منه من رجالنا الجمهوريين

الخلص الذين ليست لهم مثل شهرته ؛ ماذا تعنى «نيويورك تريبيون» بذلك الاطراء والاعجاب والتعظيم الذى تزجيه دائبة لدوجلاس ؟ هل تعبر بذلك عن شعور الجمهوريين فى وشنجطون ؟ هل وصلوا نهائياً إلى أن قضية الحزب الجمهورى على العموم تتقدم خيراً من ذى قبل بتضحيتنا هنا فى الينواس ؟ إن كان ذلك كذلك فنحب أن نعلمه عاجلا ؛ على أنى إلى الآن لم أعلم بجمهورى هنا يرغب أن ينضم إلى دوجلاس ؛ وإذا استمرت « التريبيون » ترن باسم دوجلاس فى مسامع الخمسة أو العشرة الآلاف من قرائها فى الينواس فأن ذلك يكون أكثر من أن نأمل معه أن يظل الشمل مجتمعاً ؛ إننى لا أشكو ولكنى أرغب فى أن أصل إلى بينة من الأمر »

ذلك هو لنكولن اليوم ؛ انظر كيف يجمع بين منطق المحامى وحصافة السياسى ، وانظر كيف يدفع عن نفسه بما نشأ عليه من دماثة ما يحس فيه عدواناً على شخصه ونيلا من كرامته ؛ فهو يطيق أن يكون دوجلاس خصما له ولكنه لن يطيق أن يراه مرشح حزبه فى الينواس ؛ نعم انه لن يستطيع أن يحمل نفسه على الركوب معه فى قارب واحد يراه يأخذ فيه مكان الربان وهو فيما يعتقد لا يرى كفايته تتقاصر عن ذلك المكان

وأرسل لنكولن بعض أصدقائه إلى الأقاليم الشرقية ليروا ما حال الحزب هناك ؛ وكان من هؤلاء صديقه هرندن ؛ وقد عاد إليه ينبئه بأن اسمه يقابل بالاحترام لدى الكثيرين من قادة الحزب بيد أنه يحمل إليه مع ذلك أنباء لا تسره ؛ فرجال الحزب منقسمون بعضهم على بعض ، فأن لجريلى آراءه ولستيورد أطماعه ولغيرهما من أساطين الحزب من أوجه الرأى ما يخشى منه انحلاله ...

هكذا صارت السياسة شغله الشاغل ، وهو لا يستطيع اليوم إلا أن يكون كذلك ؛ لا لأنه يتخذ من السياسة وسيلة إلى تحقيق أغراض شخصية كما عسى أن يفعل غيره ؛ ولكن لأن عقيدة تحرك نفسه وتستثير وجدانه ، ولأن رسالة من الرسالات الانسانية الكبيرة ينبض بها قلبه الكبير . وهل عهدنا عليه من قبل ما نحمل معه اشتغاله بالسياسة على غير محمله ؟ حاشا أن يكون ذلك من صفات أمثاله وإلا فما أضيع البشرية وما أهون أمرها .

على أنه لم ينفض يده من المحاماة بعد ؛ فحرفته التى يكسب منها قوته لا زالت حتى اليوم هى تلك الحرفة التى مال إليها بفطرته والتى ارتفع بهـا إلى مستوى إنسانى يحق معه لأربابها جيلا فى كل جيل أن يذكروا اسمه كعلم من أعلام المدنية ، وأن يضيفوه إلى ما يعتبرونه فى مهنتهم من دواعى الشرف وبواعث المفاخرة

ومن أفعاله فى المحاماة يومئذ حادثة نرويها لدلالتها على ما كانت تنطوى عليه تلك النفس الكبيرة من المعانى الانسانية ، تلك النفس التى لم يتطرق إليها ما يتطرق إلى النفوس فى هـذا العالم الخبيث من خبائث تشوهها وأوشاب تذرى بها وهى فى حال غريبة ، يحار معها هل تمدها آدمية أم تمدها بهيمية ؟

وقع بصره فى إحدى الصحف على جريمة قتل يدعى أحد المتهمين فيها أرمسترنج ، فدهش وتساءل هل يكون ذلك ابن متحديه ثم صديقه القديم عند ما كان فتى يبيع فى الحانوت وهو غريب فى نيو سالم . ولما تبين له أنه هو كتب إلى أمه يقول : « عزيزتى مسز أرمسترنج : علمت الآن بألمك العميق وبالقاء القبض على ابنك متهماً بالقتل ؛ ويصعب على أن أصدق أنه عسى أن يرتكب ما اتهم به . إن ذلك لا يبدو ممكناً . وإنى لأرجو أن يجري معه تحقيق عادل على أى حال ؛ وإن عرفانى بالجميل نحوك وما كان لى منك أيام شدتي من عطف طالت أيامه ليحدوني أن أتقدم فى سماحة نفس بخدماتى المتواضعة لصالحه ؛ فأن هذا سوف يتيح لى الفرصة أن أرد بقدر ضئيل تلك المبرات التى نلتها على يديك وبدى زوجك المأسوف عليه ، حينما لقيت تحت سقفكم مأوى كريماً بغير مال وبغير ثمن »

وتبين لا براهام براءته فعمد فى دفاعه إلى طعن حجج المبطلين من الشهود . ومن ذلك أنه سأل أحدهم كيف رآه ينفذ الجريمة فأجاب إنه رأى ذلك على ضوء القمر ، فطلب المحامى نتيجة ، ومنها تبين للمحكمة أن ليلة القتل كانت ليلة معتمة ؛ ودار الدفاع حول تسفيه آراء الشهود حتى أصدرت المحكمة حكمها بالبراءة

« يتبع » **الخفيف**

الأنبـــاط

وأطلال بترا الخالدة

للاستاذ خليل جمعة الطوال

— ١ —



الأنباط قوم من العرب الساميين . ويذهب المؤرخ الشهير فلافيوس يوسيفوس ، إلى أن نسبهم يتصل بنبايوت بن اسماعيل ، ابن هاجر ، (زوج سيدنا ابراهيم) ، (٢) ولكنّ المؤرخ الكبير مومسن يخالف هذا الرأى ، فقد ذكر أن الآراميين قد انشأوا قديماً من رعاياهم مستعمرة فى خليج العرب لتربط طرقهم التجارية مع الجنوب . وقد نزح سكان هذه المستعمرة فيما بعد ، واستوطنوا بترا الواقعة فى شبه جزيرة سينا ، بين خليج السويس وأيلة ، وأن هؤلاء الأنباط الذين يرجع أنهم أقرب إلى الفرع الآرامى منهم إلى أبناء اسماعيل (٢) . ولكن مومسن لايذكر إلى جانب هذا الزعم ، الذى اتفق جمهور المؤرخين على تخطئته ، أسباب نزوح هؤلاء القوم ، وتاريخ نزوحهم ، ولا أشار إلى عدد النازحين منهم ، وفى ذلك كله مجالٌ طويل للافتراض والشك ... على أنه مهما يكن من الغموض والاختلاف فى نسب الأنباط إلى نبايوت أو غيره ، فان المصادرَ جميعها متفقة على نسبتهم إلى الفرع السّامى ، بدليل طراز معيشتهم البدوية ، وعاداتهم وتقاليدهم العربية ، وبدليل أنهم كانوا يتكلمون العربية ، ولمْ يتكلموا الآرامية إلاّ بعد احتكاكهم

(١) راجع : The Works of Flovious Josephus

(٢) راجع : Mommsen : History of Rome. Vol. IV. P. 133

بالرومان (١) . وتدل الآثار والنقوش النبطية الكثيرة التى اكتشفت فى مدائن صالح على أن خط هجرتهم إلى بترا كان من الجنوب إلى الشمال ، أى أنهم نزحوا من أواسط سهوب البادية واستوطنوا جنوب الأمارة الأردنية الحاضرة ، وكانوا حيثما نزلوا يقيمون فى مضاربهم المصنوعة من الوبر والشعر ؛ دون أن يمدوا إلى الكهوف ، أو إلى إقامة الأبنية الحجرية . وإن فى خروجهم من قلب البادية لأكبر دليل على ساميتهم ، وعلى نسبتهم إلى أصل عربى . أماَّ المستر هورسفيلد فيخالف هذا الزعم في مبدإ هجرتهم ، ويزعم أنها كانت من الشرق لا من الجنوب (٢)

كان الأنباط فى أول أمرهم يشتغلون بالقرصنة على سواحل البحار وبالسلب والنهب ، ولكنهم عند ما سكنوا بترا وأجلوا عنها الآدوميين ، وجهوا هممهم نحو التجارة ، لأنّ بلادهم كانت معقلاً للقوافل التى كانت تسير بين أواسط آسيا ومصر ، ومركزاً لتبادل المتاجر والبضائع التى كانت تمر بها من الجزيرة والهند ، وأهمها التمر ، والبن والأبسطة ، وريش النعام ، والعاج والبخور ، والتوابل ، والبهارات — بالمنسوجات والمصنوعات الخزفية ، والحرير ، والأدوات التى كانت ترد من سواحل فلسطين الفينيقية ، ومن سوريا ، ومصر ، فاثروا من ذلك ثراء طائلا ، واستولوا على جميع الطرق التجارية ، واحتكروا النقل عليها بغير منافس مدة طويلة من الزمن ، حتى كانت جواسقهم تفهق بالمال ، وآبالهم تنوء بالخير والرزق ، فتجردوا عن بداوتهم وبدأوا بالتحضر رويداً رويداً فزادت معنوياتهم وقويت شوكتهم وهيبتهم ، حتى لقد خطب البابليون ودّهم وتحالفوا معهم فتخوف منهم الأشوريون وسيروا إليهم عام ٦٤٦ ق . م . قلة من جيوشهم فغلبت ملكهم ناطمو ، وأخضعوه لسلطتهم حيناً من الزمن . ولما اعتلى أشور بانيبال العرش الأشورى ، جرد جيشه ثانية وأعاد الكرة على البابليين ، فالتقى بهم فى عزاليا (٦٤٠—٦٢٨ ق.م) وقد انضم إليهم الأنباط ، فدارت بين الفريقين رحى الحرب ، وكان النصر أخيراً للأشوريين عليهم ، وذلك للمرة التاسعة . فأسروا امرأة

(١) راجع : Bouchier : Syria asa roman Province 1916

(٢) راجع : تاريخ شرق الأردن وقبائلها تأليف اللفتنت كولونيل فردريك ج . بيك

يوتحا وأخته وأمه ، وحملوهن إلى الشام، وقطعوا على الأنباط موارد الماء جميعها ، وذلك لانضمامهم إلى أعدائهم البابليين ، ولأنهم أجاروا ملكهم « يوتحا » ، ولما اشتد بهؤلاء العطش ولم تغنهم عن المال آبالهم العديدة التي نحروها، قبضوا على يوتحا وسلموه إلى أعدائه الأشوريين ، فأرسله إلى نينوى وشدوه من فكه إلى أحد أبوابها حيناً من الزمن

وفي عام ٣٣٤ ق . م . اكتسح الاسكندر المقدوني سوريا وفلسطين ، وكان الأنباط قد تحصنوا في بلدة غزة ، فلما جاءها قاومه النبطيون مقاومة شديدة ، ولكنه أخيراً تمكن من فتحها واكتساحها

وفي عام ٣١٢ ق . م . وجه ملك سوريا (أنتغونس) إلى الأنباط جيشاً لجباً مؤلفاً من ستمائة فارس وأربعة آلاف من المشاة وكان على رأسه القائد العظيم أثنيوس . فاخترق عمون ومؤاب بدون مقاومة ثم نزل بترا فجاءة واحتلها بسهولة ، ذلك لأن الأنباط كانوا يقاتلون في بعض الجهات الأخرى ، ولما عاد جيش النبطيين من جهاده حمل على الجيش اليوناني حملة غماء الجبين ، وهزمه هزيمة منكرة ، واستأصل شأفته ، حتى لم ينج من ذلك الجيش الجرار سوى خمسين فارساً

ثم جهز أنتغونس جيشاً آخر مؤلفاً من أربعة آلاف فارس ومثلها من المشاة بقيادة ابنه ديمتريوس ، وسيره ليثأر لأبطاله من الأنباط ، ولكن النبطيين هجروا المدينة (بترا) بأبلهم وأرزاقهم ولجأوا إلى الصحراء ، ولما دخلها ديمتريوس لم يجد فيها سوى العجزة ، الذين افتدوا أنفسهم بالمال، ورجع عنهم إلى دمشق

وفي عام ٢٨٦ ق . م . ارتقى عرش مصر بطليموس الثاني فأغار على بلاد الأنباط غير مرة ولم يتمكن من اكتساحها فعمد إلى محاربتهم اقتصادياً ، إذ استولى على طريق تجارة الهند ، فانحطت معنوياتهم ، ونالتهم الأزمة ، ثم دخل البطالسة حرباً جديدة ضد السلوقيين في سوريا ، فاستغل النبطيون هذه الفرصة إذ استرجعوا مكانتهم الاقتصادية وبسطوا نفوذهم حتى بصرى شمالا وفلسطين غرباً ، وأخيراً عهد إليهم المصريون البطالسة [1] بحراسة الحدود المصرية ، فصاروا أمة ذات هيبة وشأن

أما أشهر ملوكهم بعد ناطمو فكان (أرطاس الثاني) ، وفي عهد هذا الملك الذي امتد حكمه من (١١٠ — ٩٦) ق.م وفي عهد خلفائه : أوبيدس الأول ؛ ورويال الأول ؛ وأرطاس الثاني بلغت دولة الأنباط أوج رفعتها وعلائها ، إذ كانت متمتعة بالاستقلال الناجز التام ، كما كانت اقتصادياتها في حالة ممتازة ، وفي عهد اسكندر جانوس عمت الفوضى والانحلال الحكومة السورية البيزنطية ، واشتدت كراهية السوريين للمستعمرين البيزنطيين ، حتى إنهم كانوا عوناً لكل خارج عليهم أوطامع في مناوشتهم ، ولذلك لم يلق الحارث فيلهلين (٩٥ — ٥٠ ق. م .) مقاومة عنيفة . حين زحفه على الشام . بل سرعان ما سلم له السوريون مقادة أمرهم ومقاليد دولتهم ، ليتخلصوا من ظل الارهاق البيزنطي المقوت . وقد تولى سوريا من بعد الحارث خمسة ملوك نبطيون ، وهم : مالك (٥٠ — ٣٨ ق . م .) وعبادة (٣٠ — ٧ ق . م) والحارث الثاني الملقب بفلوديموس (٧ ق . م — ٤٠ ب . م .) ومالك (٤٠ — ٧٥ ب . م) ودابل (٧٥ — ١٠٦) [1]

(١) راجع Journal of Egyption Archeslogy Vol. XV.

(١) راجع Palestin Exploroition P. 69

وقد كانت مملكة الأنباط ممتدة من جنوبي أرنون إلى مدائن صالح ، والجزء الجنوبي من شرقي الأردن الواقع شرق الخط الحجازي حتى دمشق وبصرى ، وجبل الدروز ، وفي عام ٦٧ ق . م . اتفق الحارث فيلهلين مع الفرس على أن يساعدوه في استرداد بلاده التي اغتصبها اسكندر جانوس ، فجهز جيشاً مؤلفاً من الأنباط والفرس يبلغ (٥٠ ألف محارب) ، وسار على رأسه لحصار أرسبيلوس في قصره ، ولكنه رجع من حصاره مغلوباً

وفي عام ٦٤ ق . م . بينما كان بومبي مشغولا بتسكين ثورة اليهود في فلسطين ، جهز جيشاً بقيادة ماركوس سكوروس ، وسيره لمقاتلة الأنباط ، فتصادم معهم على شواطئ الأردن ، فناوشهم طويلا ، ولكنه لم يستطع قط أن يخترق بلادهم ويتوغل في جنوبي شرق الأردن . وانتهت هذه المناوشات بتدخل انتباتر الكاهن اليهودي ، إذ استطاع أن يقنع الملك النبطي (الحارث) بأن يدفع لسكوروس القائد الروماني مبلغاً معيناً من المال فدية لبلاده . (راجع تاريخ روما ص ١٣٨ — ١٣٩ لومسن) . وتخليداً لذكرى هذا الانتصار ضرب سكورس نقداً عليه صورة الحارث يقود جملا ، ويقدم إلى الرومانيين غصناً من الزيتون

وفي عام ٣٤ ق . م أهدى أنطوني ٦٧١ جزءاً من بلاد الأنباط إلى كيلوبطرا ، وهذه بدورها أهدته إلى هيرودس ؛ فكبر على الأنباط أن يروا بلادهم سلمة تتهاداها الملوك ، فجيش ملكهم المعروف « بمالك » عساكره ، وانقض بهم على كيلوبطرا فانتصر عليها في واقعة ، قرب السويس ، وأغرق أساطيلها التي كانت في البحر الأحمر . ولما بلغ أنطوني خبر اندحار معشوقته ، جهز جيشاً عظيما وسيره بقيادة هيرودس ليثأر لها من الأنباط ؛ وكان ذلك عام ٣٢ ق . م فانتصر عليهم في بادئ الأمر ، ثم امتد خط القتال حتى كاناثا وهناك أديل للأنباط من الرومانيين في معركة حامية الوطيس ، ثم جهز هيرودس جيوشاً جديدة والتقى بالأنباط قرب مدينة عمان (عاصمة شرق الأردن الحاضرة) وفتك بهم فتكاً ذريعاً ، فانسحبوا حتى تحصنوا بأم الرصاص (قرب مدينة مأدبا) تدل على ذلك النقوش والكتابات النبطية التي اكتشفت فيها والتي يرجع عهدها إلى عام ٣٩ م

ولما اعتلى عرش الأنباط الحارث الثاني المعروف بفلوديموس أخذ يخطب ودّ الرومان الذين كان قد امتد نفوذهم إلى المملكة النبطية ، فزوج ابنته من هيرودس التراكي ، ولكنها لم تلبث أن طلقته هاربة إلى أبيها في بطرا ، لأنها اكتشفت علاقاته الغرامية مع هيروديا زوج أخيه ، فاستشاط الحارث غيظاً لشرف ابنته وانقض على هيرودس وهزمه (1)

أما اليونان فقد ظلوا يهتبلون السوانح ويتحينون الفرص المناسبة ليثأروا من الأنباط لهزيمتهم عام ٢٥ ق . م . حتى كان عهد تروجن فجهز عام ١٠٦ ب . م . جيشاً لجباً بقيادة أولوس كرنيليوس ، حاكم سوريا ، وسيره إليهم ، فقضى هذا الجيش على تلك المملكة العظيمة التي دام عهدها التاريخي زهاء ستة قرون وأقصى آخر ملوكها وهو دابل عن العرش

(يتبع — شرق الأردن) خليل جمعة الطوال

(1) راجع : The Works of Jasephus Books XV. & XIII



فرنتس شوبرت

للأستاذ محمد كامل حجاج

أتشرف بالتحدث اليوم الى قراء الرسالة الأفاضل عن عبقرية نادرة ونابغة عالمي في الموسيقى وقد عرفه الشعب المصرى أكثر من غيره من كبار الموسيقيين من كثرة عرض فلمه « السانفونى الناقصة » ولا يخفى عليكم أن السينما لا تتوخى الحقيقة دائماً بل يتعمد الانحراف مبرراً موقفه ولو بأضعف الأسانيد المشكوك في صحتها إن كان في سردها ما يشوق النظارة أو يترك فيهم أثراً عنيفاً

ولد المترجم له في ٣١ يناير سنة ١٧٩٧ على مقربة من فينا وعاجلته المنية في ربيعه الحادى والثلاثين أى سنة ١٨٢٨ وقد ترك بعد هذه الحياة القصيرة كثيراً من مختلف أنواع التلحين إذ بلغت مؤلفاته في طبعة Mandezewiski سنة ٩٧ — ١٨٨٥ أربعين مجلداً

ولع منذ نعومة أظفاره بالموسيقى فتلقى تعليمه الأول على ميشيل هولزر وأخذ يدرس في الوقت نفسه البيانو وعدة آلات وترية حتى أتقنها، وعهد إليه بدور الكمان الأولى في الأوركستر وهو في الرابعة عشرة من عمره، ثم تلقى دروس الأرمونى على أورجانست البلاط الأمبراطورى Rueziczka وتلقى الغناء والتلحين على ساليرى Salieri مؤلف أوبيرا دانايد Danaides

ولقد أحصى ما ألفه في سنة ١٨١٥ وكان في ربيعه الثامن عشر فوجد ٦ مؤلفات للمسرح وقداسان و Stabat Mater و Salve regina (وهما نوعان من الموسيقى الدينية) و١٢ Wiener Deusche و ٨ Ecossaises و ١٠ تنويعات للبيانو و ٢ من السانفونى و ٤ سوناتات وأكثر من ١٣٠ من الأغاني المرونة باليدر فيكون المجموع ١٧٦ قطعة. وقد قال عنه بيتهوفن وهو على فراش الموت: « إن في هذا العقل لشرارة ربانية »

كان أبوه صاحب مدرسة وتزوج مرتين رزق فيهما من الأبناء والبنات ثمانية عشر. وإنه لمن الصعب أن يميز الإنسان أدوار حياة قصيره؛ ولكننا نستطيع أن نعتبر منها تاريخين بلغ فيهما أعلى ذرى مجده وهما سنة ١٨١٩ التى ظهرت فيها قطعته المشهورة « شكوى الراعى » وسمعها الجمهور لأول مرة وحازت قبولاً عظيما وعام ١٨٢١ إذ مثلت فيها « ملك الأون » Roi des Aulnes وهي من أوبيراته الشائقة وقد غناها المغنى المشهور ميكايل فوجل، ومن هذا المهد ذاع صيته وملأ الآفاق. ولقد كان مثل موزار في ذكائه المشتعل في صباه الباكر، ويظهر أن القواعد الابتدائية للفن قد نقشتها الطبيعة في عقله فما كان منه إلا أن يشعر بتطلبات الظروف مثل مبادئ العقل والأخلاق

ولقد قال أستاذه هولزر: « بماذا أستطيع أن أفيده؟ إذ حينما أريد أن أعلمه شيئاً وجدته عالماً به من قبل ». ولفخامة صوته وذكائه الموسيقى عين منشداً في كورس كنيسة الامبراطور وانتظم في سلك طلبة المعهد الموسيقى الملحق بها إلى أن خرج منه سنة ١٨١٣، ثم جعله والده مساعداً له في مدرسته ولبث فيها ثلاثة أعوام ولما كثر المعجبون به أرادوا أن يعرفوه للناس فأرسلوا جانباً من الليدر التى كتبها إلى جوته ولكنه لم يرد عليهم، فلم ييأسوا وأرسلوها إلى المغنى الشهير ميكايل فوجل فدهش منها وطفق يحضرها ويغنيها

وفى سنة ١٨١٨ استدعاه الكونت استرهازى ليعلم ابنتيه فذهب إلى قصر Zelesz بالمجر وقضى فيه الصيف في هناءة وسرور معجباً بتلميذتيه. إن أعظم المراجع التاريخية لم تذكر شيئاً عن غرام شوبرت بكارولين ابنة الكونت استرهازى والبعض قال: إن هذه الاشاعة مشكوك في صحتها إذ لم يؤيدها

أحد وغاية الأمر إنهم استنتجوا هذه الاشاعة من عناوين بعض القطع كالوداع وغيرها

وفى نوفبر سنة ١٨١٨ رجع إلى ڤينا ورفض متابعة التدريس وطرده والده ، فآواه أصدقاؤه وتدبروا له فى شراء بيانو . فكان يستيقظ مبكراً ويبتدئ التلحين فى الساعة السابعة صباحاً ويستمر إلى الأولى بعد الظهر فى الخلاء أو فى المدينة أو فى نزهة أو فى المقاهى ، وكان يمضي السهرة كلها مع أصدقائه الحميمين مثل : Spaun و Lachner و Schober و Senn و Bauernfeld وغيرهم . وكانت هذه الفئة من الموسيقيين والشعراء يصرفون الليل فى إلقاء الشعر والغناء ، ويشربون ويمرحون ، وكانت كؤوس الجعة تدور طول ليلهم وفى بعض الأوقات يرقصون ، وكانت حفلات الشباب هذه الأدبية يعيدها شوبرت إذ كان لها بمثابة الروح للجسد ، وأطلق عليها اسم : « شوبرتياد »

وقال صديقه Spaun « كنا جميعاً أخوة أصدقاء » وكان شوبرت يحب أصدقاءه حباً جماً حتى أنه كان يسكن معهم ويشاطرهم ملابسه ونقوده . وكان يحب اجتماعات الفتيات ويرتاح لسمرهن ولكنه كان يتحاشى أن يقع فى حبائل الحب أو يعكر صفوه وخياله بآلامه لأنه كان يطمح إلى الرقى لأعلى ذروة فى الموسيقى

وفى أبريل سنة ١٨٢١ تعاون أصدقاؤه على طبع كراسة من الليدر فى محل Cappi et Diabelli وكتب السانفونى التى من مقام Si mineur ، وهى من أعمق مؤلفاته . وقد حاول أن يقترب من بتهوفن ولكن هيهات الوصول إليه

أصابه مرض شديد سنة ١٨٢٣ نخاب رجاؤه وانقطعت آماله فقال فى إحدى رسائله : « إننى لأتعس وأشقى رجل فى العالم ، فتصور بائساً لا تعتدل صحته قط ، وقد خابت آماله ولم تسبب له مسرات الحب والصداقة إلا المتاعب والآلام ، ولا أدرى إنساناً يفهم آلام أو سعادة مثيله . ويظن دائماً أن الواحد يتجه دائماً نحو الآخر وغاية الأمر أنهما يسيران جنباً إلى جنب ، فيالعذاب من يشعر بهذه الحقيقة المرة المؤلمة

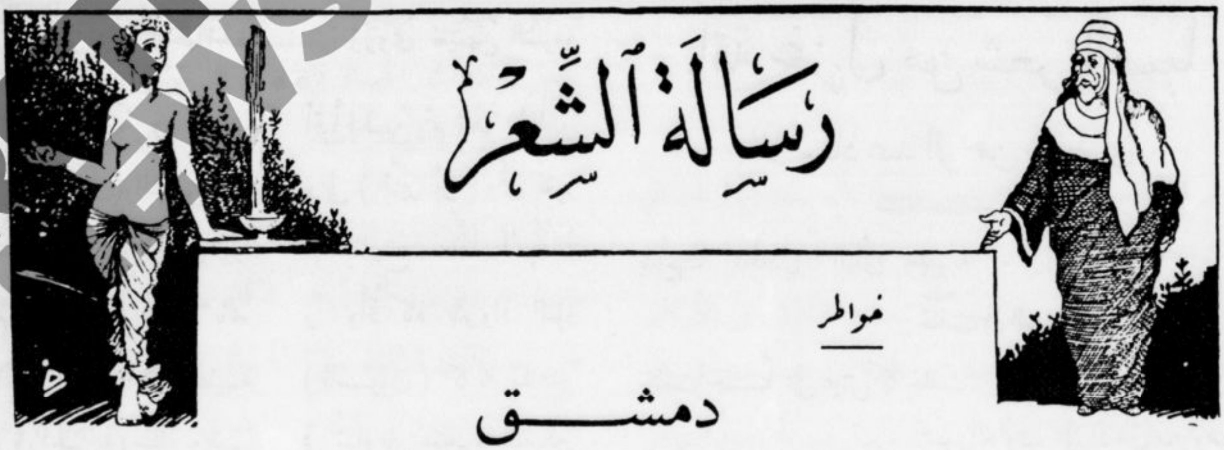
رفضوا له أوبيرتين وهما « المتآمرون » و « فيراراس » ولكن الرحلة التى قام بها مع المغنى الشهير ڤوجل فى النمسا العليا قد صادفت نجاحاً عظيماً

وبعد عودته كتب ليدر « الطحانة الجميلة » وفيها صورة حية ناطقة للآلام الانسانية ولكن أوبيرا Rosamunde التى مثلت فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٢٣ وكان عليها إقبال عظيم لم تمثل إلا مرتين

ساورته الكآبة والحزن لتدهور صحته وفقره ، ولسوء حظه ما كان يجد من يشترى تآليفه ، ثم ذهب سنة ١٨٢٤ إلى قصر الكونت استرهازى وقضى به فصلاً ثانياً وكان يبحث فى مخيلته عن شىء يتعزى به وكان يتصنع السرور رغماً عن كآبته وآلامه ، استمر فى العمل ولم يهجر المسرح وقد ربطته عرى الصداقة مع المغنية الشهيرة أناملدر هوبتمان وكانت تغنى فى مسرح « ملك بروسيا » . ثم قام برحلة جديدة مع ڤوجل المغنى ورجع ومعه عدة مخطوطات ثم أرسل إلى جوته كبير شعراء الألمان ثلاثاً من الليدر فلم يرد عليه وحاول أن ينال وظيفة الرئيس الثانى لكنيسة الملك فأخفق

(البقية فى العدد القادم)

محمد كامل حجاج
عضو مؤتمر الموسيقى العربية



رسالة الشعر

خواطر

دمشق

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

إلى صديقي العلامة الأستاذ محمد كرد على ذكرى احتفائه بالاخاء وتكريمه للصداقة ... ...

مَنْ عَذِيرٌ من الهوى ومُجِيرُ ؟ فَضَحَ الشَّوْقَ ما أَجَنَّ الضميرُ
أنا فى قبضة الجَمَالِ نَخُودٌ تَسْتبِينى وروضةٌ وغَدِيرُ



***

هذه (جِلَّقٌ) ، تبارَكَ ربى ! بَلَدٌ طيّب وربٌّ غفورٌ
الهوى والهواء ، والجدولُ الرَّقـراقُ والروضُ والسَّنا والحورُ
حَيْثما تغتدي فروضٌ أَرِيضٌ عَنْبَرِيُّ الشَّذا وماءٌ نَميرُ
وظِلالٌ ممدودةٌ وهْىَ تَنَدَّى وشعاعٌ يرِفُّ وهوَ مُنـيرُ
من سَنَا الشمسِ فوقَها ومن الزُّهْـر دنانيرُ عسجدٍ وعَبِيرٌ
يقْتَلُ القيْظُ فى ذَرَاها ولكنْ فى ذَراها يحيا الهوى ويَسُورُ
جئتُ آوى من الحَرُور إليها وإذا فى الحشا يشبُ الحَرُور
أنا منهـا ومن مَهَاها اللواتى يتكسَّرْنَ رقةً ، مسحورُ
كلُّ بيضاء فى لواحظَ سُودٍ رفَّ فى خدِّها الدمُ المستحيرُ
فى قوَامٍ لَدْنِ المعاطفِ ريّا نَ وخَصْرٍ من الضَّنى يستجيرُ
وصِبا ناضرِ الشبابِ غذاه ترَفُ العيشِ والنعيمُ الوثيرُ
وأديمٍ مُنعَّمٍ فى حَبيرٍ يوهم العينَ ماؤه والحبيرُ
لمَا كالسَّرابِ شفَّ فلم تَدْرِ أماءٌ لألاؤه أم نورُ
تنفُثُ السحرَ فى الخلىِّ فيشجى وتثير الهوى بِهِ فيثورُ
ولقد زانها النفُورُ ، وحُسْنُ الـحُسْنِ فى الغادة العَرُوبِ النفورُ
كرَّمَ اللهُ وجهَ كلِّ نوارٍ صانها الطُّهْرُ والحياءُ الوَقورُ !
لىَ من هيكلِ الجمالِ المعانى ولغيْرِى ألفاظُهُ والقشور !

***



وطَنُ العُرْبِ جَنَّةٌ و(دِمَشْقٌ) رَفْرَفٌ أقدسُ المطَافِ طَهُورُ

شرقت بالرؤى مسارحها الخضـ ـر وروّى نعيمهن السرور

***

رب ناد تخذته فى الروابى   أقرأ الحسن ثم وهو سطور

فعلى (الغوطتين) والشمس تبدو   وعلى (النيّرين) وهى تغور

فإذا (جلّق) رياضاً ودوراً   كالمصابيح حفّها الديجور

عالم من زبرجد طاف بالدّ   رّ وأذكاه بالرواء النور

ساحر المجتلى أطلّ عليه   (قاسيون) كأنه مذعور

يغرق الحس فى سناه ويفنى   فى تهاويل سحره التفكير

***

أنا إن أنس لست أنسى لياليّ (م)   إذ البدر ضاحك والثغور

وكأن الأكوان في دافق النو   ر بحور قد أغرقتها بحور!

يمرح القلب فى سناها كما يمـ   ـرح فى الماء سابحاً عصفور

قد تفرّدن بالصباحة لولا   وجنات نازعنها ونحور!

***

حبذا (الشام): ماؤها وهواها   ومسارى أنهارها والقصور

وميادين حسنها وهى شتى   ومغانى اللذات وهى كثير

جادها الغيث من معاهد لا اللطـ   ـف عداها ولا النعيم الوفير

محسنات الأوقات حتى ضحاها   وشحته بلطفهن البكور

وبنفسى هدير أنهارها السبـ   ـعة دوّامة عليها الطيور

تتلوّى كالأين ريع وتهتـ   ـز ارتعاشاً وترتمى وتمور

وهى آناً في السهل تعدو وآناً   فى الروابى المسلسلات تغير

تغمر (الغوطتين) بشراً وزهواً   مثلما يغمر النفوس الحبور

وغدت فوقها الطيور تغنّى   ربما يطرب الطيور الخرير

عشقت لحنها، وللطير لحن   يسكر السمع جرسه المخمور

حيث تغدو يلهيك منها سماع   ومن الروض مونق منضور

عرس قام للطبيعة فيهـا   يستخف الإنسان وهو وقور

تهزج الطير والأناسىّ فيه   ويمور السّنا ويذكو العبير

***

قف تمتّع مما تراه قليلاً   وقليل مما تراه كثير:

للأنوف الشذا أريجاً، وللسمـ   ـع الأغانى، وللحاظ البدور!

«بغداد»   محمد بهجة الأثرى

باقة غزل من شعر الصبا

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يا أيها الخاذل النائى بجفوته
خلّفت فى العيش سحر المنظر البهج

خلعت حسناً على عيش كما خلعت
شمس الغروب على الآفاق من وهج

***

فرص الحياة قليلة   فالى م صدك يا حبيبى

بينا جمالك يانع   فينان كالغصن الرطيب

إذ لا جمال ولا صبا   يصبي القلوب إلى الوجيب

والعيش خالد فى الشبا   ب فإن دنوت من المشيب

أحسست إقبال الردى   لخشوع قلبك فى المغيب

فترى الحياة قصيرة   كتلألؤ البرق الخلوب

وإذا الحياة كنغبة الـ   ـعصفور روّع بالرقيب

متلفتاً يحسو ويخـ   ـشى أن يفاجأ من قريب

بينا تراه على الغديـ   ـر تراه فى الأفق الرحيب

***

خلّفت فى القلب يا معذبه   ما خلّفت نغمة من الجرس

ذكراك فى نفس منصت يقظ   ذكرى غناء فى الأذن كالهمس

كأنما القلب نحوكم أبدا   لينوفر دائر مع الشمس

***

كنت روضى والعيش صيف وفىّ   حافل بالنعيم والآلاء

فلئن عادت الحياة شتاء   أنت فيها كزهرة فى الشتاء

فهى محبوبة وأندادها كثـ   ـر ومحبوبة بقفر عراء

وهي أشهى إلى النفوس وأحلى   لافتقاد الأنداد والأكفاء

***

أعر البدر طلعتك   علّم النجم نظرتك

وامنح الصيف من روا   ئك والزهر نضرتك

وهب الطير شدو صو   تك والفجر غرتك

وإذا ما هفا النسيم فعلمه خطرتك

امنح الكون نشوتك علِّم السحر قدرتك

* * *

أرى الزهر غضاً يانعاً طلّه الندى مَلِيًّا بأن يشجو ظِباء النواظر

فأحسبه دمعاً لذكرى غرامنا وأنفاس أيام اللقاء الغوابر

أتذكر وعداً باللقاء بذلته بمجتمع الأطيار بين الأزاهر

وليلا طرقناه سميرين فى الدجا كما جال سر الوحى بين السرائر

طرقتك يا ليل اللقاء فرقتنى بلذات حب كالنجوم الزواهر

* * *

يا زائري أعبقت منك محاسناً كالزهر يترك نفحة المرتاد

أخصبت تربة أنفسٍ ظمآنة شامت سناك فكان خير عهاد

وأفضت شؤبوب المحاسن والنهى

طيباً على المهجات والأكباد

يا زورة كالعيد إلا أنها جَلَّتْ عن الفرحات والأعياد

يا ليت أن النفس درة غائص أهديك من نفسى أعز عتاد

* * *

أنت عنوان لما أنشده فى الخطرات

كل كون كان أو لم يك من ماضٍ وآت

فيك لى منه أمانى النفوس الساميات

أنت فى الدهر ابتسام كابتسام الزهرات

ليت لي منك ائتلافاً كائتلاف النغمات

* * *

قد قلتُ للحب لا تعتب على سَكَنِي

لنبوة منه فى أيامك الأخرِ

كم لى وكم لك من يوم لنا بَهِجٍ بطلعة منه تحكي طلعة القمر

إنْ يَجفُ قلبك كالأثمار يانعةً ودون ذلك يُبْسٌ من نوى الثمر

فارجم بقلبك قلباً أنت مالكه فإن قلبك مثل الماس فى الحجر

* * *

البدر يكسو الأشياء حُلّتَهُ وَشْيٌ من السحر حاكه القمر

فاكسُ بأنوارك الورى حُللاً كى لا يبين الشقاء والعُسُر

يا شمس حسن حياتنا ثمر ينضج فى ضوء حسنك الثمر

أشعل بألحاظك الحياة فإ ن الصخر إمّا رمقته دُرَرُ

عَطِّرْتَ بُرْدَ الحياة قاطبة فكل شىء لمسته زهر

* * *

عيناك عيناك منبت الذكرِ كالزهر فى قاع رائق الغُدُرِ

فنعسة الطرف أنه أبدا كذاهل قد أصاخ للفِكَرِ

هل نعسة فى لواحظ حُلُمٌ بعالم الحسن طيب الخبرِ

بعالم أنت من بشائره بشرى طيور الربيع بالزهَرِ

عيناك من لمحة الزواهر أم مقبوسة الضوء من سنا القمر

أم من غدير الحياة حَفَّ به من هُدْبِ جفنيك باسق الشجرِ

* * *

فياليت لى من صخر قلبك آلة فاتلو عليها نَغْمَةً أى نغمة

يئن أنين العود من شجو ضارب فَيُسْعِدُ قلبى فى حنين وأنة

* * *

ياحسن من لى بسحر أتقيك به فالحسن يسحرنا والسحر يرقينا

ياحسن هل أنت ناس ليلة سلفت طاف الغرام بها ياحسن يسقينا

كأننا نَغْمَةٌ فى الليل سارية تهفو والليل أُذْنٌ فيه تبغينا

ورق فيه أديم البدر مؤتلقاً حتى كأن سناه من تصافينا

وبت ألحظكم طوراً وألحظه وفوق وجهك ضوء البدر يشجينا

ياحسن لا تحسبن البدر يشغلنا ياحسن لولاك ما ابيضت ليالينا

* * *

ياعين من أهوى رعاك الكرى فليلتى منكِ ليال طوالْ

عودى بلحظ صادق ضوءه يجلو دجا العيش وليل الخبال

يا طاقة أبصر منها النعيم فى جنة الخلد وريف الظلال

عودى بلحظ أحتسى خمره فالكوثر العذب شهيُّ المنال

ولا يلن برقك لى خُلَّباً أهكذا حَظِّىَ آلٌ فآلْ

* * *

صنم الملاحة والرشا قة واللذاذة والألم

ناجيت قلبك كى يرق (م) فما أحس ولا رحم

يقسو فؤادك ياصَنَمْ أو ليس من حجر أصم

عبد الرحمن شكرى



توحيد التعليم في المدارس المدنية والدينية

أخذ صاحب المعالى وزير المعارف يدرس برامج التعليم فى المدارس المدنية والدينية ، بقسميها الابتدائى والثانوى ، قاصداً بذلك إلى وضع برامج يشترك فيها التعليم المدنى والتعليم الدينى

وقد كتب معالى الوزير إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر يستطلع رأيه فى هذا الصدد ، تمهيداً لانتخاب لجنة من رجال المعارف والأزهر ، يعهد إليها وضع البرامج اللائمة . والغرض من تحقيق هذه الفكرة إيجاد التقارب بين عقول المتعلمين وخلق جيل جديد متفاهم ، لا تشعر جماعاته بفوارق بينها ، ولا تتعصب فيه كل طائفة لنفسها ، وبهذا تتفادي أسباب النفرة بين الجماعات المختلفة

الى الأستاذ فليكس فارس

جاء فى العدد ١٦٦ من الرسالة الغراء فى مقال الأستاذ الكبير (نهضة المرأة المصرية وكيف توجه للخير العام) ما يلى :

« لا ينهض بالشرق إلا حضارة شرقية تستمد نظمها من المبادئ الأدبية العليا التى أنزلت وحياً على رسله وأنبيائه ، وإلهاماً على فلاسفته وشعرائه »

وقد قامت اليوم دعوة تدحض هذه النظرية . وقد نشر فى الأهرام قريباً مقال عنوانه (هل يوجد اليوم شرق ؟) للاستاذ توفيق الحكيم وقد استشهد الكاتب فى هذا المقال بحديث نقله من كتابه الحديث (عصفور من الشرق) يدور بين روسى ومصرى

فإلى الأستاذ فليكس فارس الذى قال بأن الشرق لا ينهض إلا بحضارة شرقية أطلب أن ينفحنا برأيه ويدلنا على جواب شاف عما إذا لم يزل الشرق شرقاً والغرب غرباً ؟ وهل فى الامكان تلقيح الشرق بحضارة غربية ؟ وهل فى الامكان أن يلتقى الشرق مع الغرب ؟ وأى الحضارتين أفضل — إن كانت هناك حضارتان شرقية وغربية — الأولى أم الثانية ؟

إن قراء الأستاذ المعجبين بصدق آرائه وصواب نظرياته وصحة حججه ليرجون أن يرويهم بحديثه العذب وأدبه الفياض

عبد العزيز عبد الكريم

عصيون جابر لا أزيونجيبر

جاء فى العدد الفائت من الرسالة الزاهرة فى البريد الأدبى ما يأتى

« إن الأثريين الأمريكيين الباحثين قرب شاطئ البحر اكتشفوا آثار مرفأ كان زاهراً هناك حوالى ألف سنة إلى ثمانمائة سنة قبل المسيح ! أما المدينة المكتشفة آثارها فهي أزيونجيبر التى يدعوها العرب تل الخليفة ! »

وهذا كلام لا غبار عليه ، والاستكشاف حق ، والمدينة أثرية تضرب فى أعماق الدهر بتاريخ مجيد ، ولكن لفظها العبرانيّ السامىّ قد تناولته أقلام المترجين بالتحريف والتغيير

فقد جاء فى الاصحاح التاسع عدد ٢٦ من سفر الملوك الأول من التوراة ما يأتى بالنص العبرى : « فآنى عاشا همّلخ شلموه بعصيون جابر إيشر أتْ ألوُت علْ شفة يَمْ سوُف بآرص أدوم » وترجمة ذلك : « وصنع الملك سليمان سفناً فى عصيون جابر التى تقع على شفة (شاطئ) بحر (سوف) بأرض أدوم

فالتوراة هنا حددت موقعها ، وجاء الاستكشاف مصداقاً لهذا التحديد ؛ وبحر سوف الوارد ذكره فى الآية هو البحر الأحمر ، ومعنى هذا « الهلاك » فى اللغة العبرية ، ولعله يشير إلى هلاك فرعون وجنوده عند ما اتبع سيدنا موسى فسمى لدى العبرانيين بهذا الحدث فى التاريخ والله أعلم !

أما عصيون جابر المدينة المستكشفة ، فقد ذكرت فى مواضع عدة من سفر الملوك بهذا اللفظ العبرانى الأصيل ، وهى من أعظم

الموانى الواقعة على خليج العقبة فى ذياك الزمان بأرض الآدوميين إذ كانت فى أيام سليمان عليه السلام مركزاً ممتازاً لتجارة الأعواد والأطياب والذهب الوارد من أوفيرا فى مملكة سبأ بالجنوب

«دار العلوم» محمد عبد الله العمورى

تبسيط قواعد النحو وطريقة الكتابة العربية

تشتغل وزارة المعارف بجمع المقترحات والبيانات المختلفة التى تتلقاها الآن عن المشروعين الخاصين بتبسيط قواعد النحو وطريقة الكتابة العربية

وتنوي الوزارة قبل اتخاذ قرار نهائى في هاتين المسألتين الاستئناس بآراء مجمع اللغة والمستشرقين

وينتظر أن يطول الزمن بهذين المشروعين نظراً لخطورتهما وصعوبة الوصول إلى الغاية التى تقصد إليها الوزارة

وقد يكون المشروع الأول أسهل من الثانى . ومهما يكن من أمرهما فان الاتجاه يذهب إلى تبسيط النحو فى المدارس المصرية ابتداء من العام الدراسي القادم حتى ترتفع شكاية الأساتذة من ضعف التلاميذ

جبران والرمزية

قرأت فى مجلة الرسالة الغراء فى العدد ٢٥١ مقالا للأستاذ بشر فارس ألمع فى هامشه إلى أن الكاتب الرسام جبران خليل جبران قد سار على نهج الشاعر الانجليزى وليم بليك Wiliam Blake فى رمزيته

وإنه لمن المعروف عن جبران أنه لم يكن رمزياً بالمعنى الدقيق الذى يفهم من هذا اللفظ ، بل كان أكثر ميلاً إلى الرومانتيكية منه إلى الرمزية ، وكثيراً ما كان يمزج بينهما فى كتاباته، وعلى الأخص فى كتابيه النبي ويسوع ابن الآفاق . أما فى رسومه فقد كانت الرمزية غالبة فيها

والملاحظ فى الشاعر « بليك » أنه كان غامضاً مسرفاً فى الغموض والابهام لدرجة يتعذر معها الفهم والغوص على المعنى الذى يريده والفكرة التى يقصد إليها ، مهما أجهد القارئ عقله . فأنت إذ تقرأ ديوانيه أغانى الطهارة Songs of Innocence والاختبار Experience يبهرك ضوء قوى من الجمال ، ولكن أنى لك أن تعرف سر هذا الضياء وما الذي يبهرك من حسنه ؛ وقصاراك أن تستثمر كثيراً من اللذة المعنوية فى هذا الغموض وجماله .

وما كان جبران على هذا النهج فى الغموض والاسراف فيه . وقليلاً ما نعثر على قطعة كتابية حاكى فيها الشاعر الانجليزى الغامض . فهل للأستاذ بشر فارس — إذا تفضل — أن يفصح عما إذا كان الغموض والابهام من مستلزمات الرمزية ؟ وهل بدونهما لا تكون؟ وله وافر الشكر على غزير علمه والسلام

السيد كامل الشرقاوى
المفتش بوزارة المالية

العيد الألفى للجامعة الأزهرية

كان مجلس الوزراء قد قرر فى عهد المغفور له توفيق نسيم باشا تأليف لجنة لتنظيم المسائل الادارية والتاريخية الخاصة بالاحتفال بالعيد الألفى للجامعة الازهرية ، وهو الاحتفال الذي سيقام فى سنة ١٣٦٠ هجرية . وقد باشرت هذه اللجنة مهمتها بضعة أسابيع ثم أرجأت أعمالها بعد ذلك

وقد علمنا أن إدارة المعاهد الدينية تشتغل فى هذه الأيام بوضع مشروع جديد لإقامة مهرجان إسلامى كبير يليق بتاريخ أقدم جامعة إسلامية ، على أن يشترك العالم الاسلامى فيه

وسيعرض هذا المشروع بعد الفراغ منه على مجلس الوزراء للموافقة عليه واعتماد المبالغ الخاصة بتنفيذه

والمفهوم أن الرأى مستقر على توجيه الدعوة الى مختلف الجامعات العلمية الأوربية التى دعت الأزهر إلى الاشتراك فى حفلاتها

بين الرافعى والعقاد

فى هذه الصفحة من عدد (الرسالة) الغراء رقم ٢٥٥ قرأت دفاعاً كتبه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى عن بيت العقاد :

فيك منى ومن الناس ومن كل موجود وموعود توام

ولست أريد أن أتناول البيت من نواحى ضعفه ليرى سيدى أن البيت يتداعى من أى ناحية أتيته ، ولكنى أريد أن أشير إلى آخر ما جاء فى كلمته حيث قال :

« ولا بد أن نشير بعد هذا إلى أن كل شيء فى هذا الكون

لا يخلو من حسن يسوغ إجراء بيت العقاد على عمومه ، وقد ذهب إلى هذا بعض العلماء فى تفسير قوله تعالى : (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) قال العلامة الزمخشرى : إنه ما من شىء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة ، وأوجبته المصلحة ، فجميع المخلوقات حسنة ... »

وهى التفاتة جميلة حقًّا لو لا أن قول الزمخشرى رحمه الله قد ضمَّ على تفسير لا يضل فيه رأي . ولسنا ننكر أن كل شىء مرتب على ما اقتضته الحكمة ، وهذا معناه الدقة فى الصنع والاحكام . وإن الانسان يدرس علوم النبات والحيوان ليرى فى بعض ما خلق الله ما يحير الألباب ، وهذه هى دقة الصنعة وجمال الخلق . وهذا هو مذهب الفلاسفة الذين يرون كل شىء جميلاً ...

أما الجمال الذى يجذب القلب ويأسر الفؤاد ، فأين تجده — يا سيدى — فى الدودة وفى الذبابة وفى ... وفى ... مما تشمئز النفس ويعافه الذوق وهى فى تمام التكوين وبراعة الخلقة

وإذا كان بيت العقاد هو على مذهب الفلاسفة — كما يقول الأستاذ الصعيدى — أعنى على مذهب التشريح ، فلعل الحبيبة كانت عالماً صغيراً فيه ... وفيه ... مما ذكره الأستاذ الرافعىُّ — يرحمه الله —

ولا زلت أصر على أن الشعر الفلسفى ليس شعراً إلا على مذهب ألفية ابن مالك

كامل محمود حبيب

وسام فرنسى للأستاذ توفيق الحكيم

منحت الحكومة الفرنسية الأستاذ توفيق الحكيم وسام « أوفيسيه دا كاديمي » . وقد أوفد المسيو دى فيتاس وزير فرنسا المفوض بمصر مسيو ليبريت لتقديم براءة هذا الوسام إلى الأستاذ الحكيم مع كتاب رقيق ذكر فيه النجاح الكبير الذى لقيته ترجمة « شهرزاد » و « عودة الروح » لدى الجمهور الفرنسى ، ونوه بتقديره الشخصى للكاتب الذى يعده من خيرة كتاب مصر البارزين، وشفع ذلك بأصدق تهنئاته

ذلك ما يلقاه أدباؤنا فى غير مصر . أما فى مصر فقد أرادت وزارة المعارف أن تشترى مقداراً من بعض كتب الأستاذ الحكيم جرياً على عادتها فى تشجيع الأدب من هذه الطريق ، فطلبت منه تسعين نسخة ! ! بثمن حددته لا يكاد يبلغ نفقة الطبع ، فلم يسعه إلا أن يرفض شاكراً لها حسن نيتها على كل حال !

بين أبى العلاء والخيام

كتب صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام مقالا تحليلياً فيما بين أبى العلاء وعمر الخيام من النظر المشترك فى بعض وجوه الفكر نشرته الهلال فى عددها الخاص بالمعرى الذى سيصدر فى أول يونيه ، ولكن وقع فيه من التقديم والتأخير والتحريف ما أخل بسياقه وشوه من معانيه ، فرأى الأستاذ أن يعيد نشره فى عدد الرسالة القادم

مكافحة الأمية

قدم صاحب المعالى وزير المعارف إلى صاحب المقام الرفيع وزير المالية مذكرة عن مكافحة الأمية ، عرض فيها للمشروعات المختلفة التى وضعها فى هذا الشأن وزراء المعارف السابقون منذ عام ١٩١٧ إذ كان صاحب الدولة المغفور له عدلى يكن باشا وزيراً للمعارف إلى عام ١٩٣٧

وقد ألمت المذكرة إلى أن المشروع الذى وضع فى العام الماضى يتطلب تنفيذه خمسة وعشرين عاماً ، بينما كان مشروع عدلى باشا يتطلب عشر سنوات فقط

وبعد أن بسط معالى الوزير الأسباب الداعية إلى القضاء على الأمية ، أخذ يشرح مشروعه الذى وضعه للقضاء عليها فى مدى خمس سنوات ، وقد قرر فيه أن يبدأ تعميم التعليم الالزامى فى المحافظات وعواصم المديريات والمراكز ، فالقري الكبري والصغرى فالكفور والعزب

ثم طلب إلى وزارة المالية ، فتح اعتماد قدره ١٥٠٫٠٠٦ ج فى الميزانية الجديدة . وهى النفقات اللازمة لانشاء ٤٠٠ مكتب

وعلى أثر اعتماد هذا المال ، تأخذ وزارة المعارف فى فتح هذه المكاتب ، للعمل فيها ابتداء من العام الدراسى المقبل

6 me Année, No. 257

Lundi - 6 - 6 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٥٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٥٧ — ٦ يونية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

سحر الصحراء

للأستاذ عباس محمود العقاد

السحر هو أن يختار الإنسان الشيء وهو مرغم على اختياره، فهو مزيج من حكم الإرادة ومن حكم القضاء

ليس بسحر أن نختار الشيء ونحن قادرون على تركه

وليس بسحر أن نرغم عليه ولا رغبة لنا فيه

إنما السحر أن نرغب في الشيء حتى نحاول أن نكف عن الرغبة فيه فنعلم يومئذ أننا غير أحرار، وأننا مسحورون أو مأخوذون

وإنما السحر أن نحسب أننا مكرهون على ذلك الشيء وأننا نضجر منه ونتململ ونفرح بالخلاص، حتى إذا أوشكنا أن نخلص منه علمنا أننا نكره الخلاص كما نكره البقاء

وحيثما وجد السحر وجدت الحيرة في أمره. فإذا فتن الرجل بالمرأة وحار الناس سائلين: والله ما ندرى ما يفتنه منها فذلك هو السحر

وإذا أقدم الرجل على الخطأ وهو يعلم أنه خطأ ويعلم أنه مدفوع إليه غير مختار في الرجوع عنه، حائر فيما يدفعه إليه كما يحار من حوله في سر اندفاعه، فذلك هو السحر

وقوة السحر أنه هو قوة الإنسان وقوة القضاء مجتمعتين ، متحدتين ، سائرتين في طريق واحد . فاذا تنازعتا فذلك هو ابتداء الخلاص منه أو ابتداء بطلانه وانحساره ، ولو كان لا ينحسر إلا بهلاك المسحور

* * *

كذلك سحر الصحراء

تسأل لماذا يسكنها أبناؤها ؟ وتسأل لماذا يألفونها وهي جرداء خاوية تلهبهم قيظاً في الصيف وتجمدهم قرة في الشتاء ، وتظمئهم وتجيعهم إذا امتنع الغيث وهو كثير الامتناع مجهول المواعيد مكذوب الوعود ؟

والصحراء — بعد — ساحرة لأنك تسأل هذا السؤال ؛ فلو أنك استغنيت عن سؤاله وعلمت سبب هيام البدوي بقفاره وجباله لما كان ثمت سحر ولا ساحر ، ولا باطن للأمر غير ما فيه من ظاهر ، بل هو شيء يجري في مجراه ، ولا يلتبس عليك أصله ومغزاه

لماذا يشرب الماء ويأكل التمر ويستجيد الهواء حيث يجود ، وينعم بالصيف والشتاء حيث تتهيأ فيهما النعمة ، ويفعل ما ينبغي أن يفعل ، ويسأل وهو لا ينبغي أن يسأل

لماذا ؟ أتسأل لماذا ؟ إن هذا لهو العجب الذي يحوجنا إلى استفسار ، وليس هو هيام البدوي بالصحراء حين تكون على ما نهواه نحن ويهواه كل إنسان

* * *

عرفت الصحراء منذ الطفولة ؛ وأحسبني ورثت عرفانها في دماء الآباء والجدود ؛ وقاربت حدودها وشارفت أعاجيبها وهي مما يظهر على حافتها في بعض الأحايين

فعند ضاحية أسوان خيام يسكنها بعض البجاة ، وكان على الجانب الشرقي منها بناء مسوَّر في وسطه فضاء فسيح ، وفي وسط الفضاء خيمة يأوي إليها صاحبها ولا يأوي إلى ما بني من حجارة وحجرات ، ونحن نحسب أن الإنسان لا يأوي إلى الخيمة إلا لقلة البناء . فها هو ذا رجل يؤثر الخيمة والبناء في وسعه وعلى مقربة منه : هنا بدأت في العجب في أمر للصحراء ونقائض أبناء الصحراء . ثم قرأت أن للصحراء سحراً فحسبت أنني وقعت على السبب وأبطلت العجب ، ولم أدر يومئذ أن كلمة « السحر » إنما هي تلخيص الأعاجيب التي لا نفقه أسبابها ، وليست هي بتفسيرها ولا بالدليل على إدراكها وتعليلها ، ومضيت من ثم في سؤال الصحراء عن مفتاح سرها ، وفي علاج الباب الذي أنكره ابن من أبناء الصحراء حيث قال :

ما إن سمعت ولا أراني سامعاً ... أبداً بصحراء عليها باب !

وكل صحراء عليها باب ، وعلى بابها مفتاح ، وهذا هو المفتاح الذي بحثت عنه فاهتديت بعض الهداية ، ونفذت إلى بعض الاغلاق

* * *

كل صحراء عاش فيها الرعاة فإنما كان إجدابها على التدريج بعد أزمان طوال تبدلت فيها طبيعة الأرض والجو ، فندرت الأمطار بعد كثرة ، ويبست المروج بعد نضرة ، وقلت الأرزاق بعد وفرة ، ثم أجدبت بعد ذلك إلا من قليل زرع هنا وقليل ماء هناك ، وأهلها مع هذا قادرون على تعويض ما فقدوه بالاغارة على جيرانهم من سكان الحواضر وأصحاب الأنهار والمزارع ، حتى تأصلت عادة المعيشة ، وتمكنت طبيعة الترحل ، واستقامت البنية على هذه العادات والطبائع فجاءت ضرورة الانتقال بعد استقامة الطبيعة على هذه الأحوال ، وفعل سحر الورائة فعله غير مفطون إليه ولا مقدور على منعه ، فكان منه ذلك القيد الذي يربط صاحبه في مكانه برضاه وهواه ، ويلوح للناظرين كأنما يربطه هنالك على غير رضاه ولا هواه

وتنازع أبناء الصحراء حين قلت خيراتها فغلب الأقوياء منهم ضعفاءهم على جانب الخصب والري والرخاء ، وتراجع الآخرون إلى جانب القفر كارهين حتى ألفوه طائعين ، فذلك مع الورائة هو السحر الذي يمتزج فيه الاكراه بالاختيار

* * *

على أن الورائة — أو الألفة — عقدة واحدة من عقد السحر الكثيرة في كل صحراء ، ولا سيما الصحراء التي هي أوفى إلى الجدب والخلاء ، فمن عقدها ما يشبه التنويم المغناطيسي ، ومن عقدها ما يشبه الخمر ، ومن عقدها ما يشبه الشعوذة ولعب الحواة ؛ وهذه عقد قلما يجمعها سحر واحد في نسق ، فاذا اجتمعت فأخلق بفعلها أن يطغى على صواب العقول

* * *

ينام الانسان النوم المعروف بالمغناطيسى إذا أثار نظره إلى الشيء الواحد لا يتحول الشيء عن مكانه ولا هو يتحول عنه بنظره . وتنقضى هنيهات على ذلك فيخدر الحس وتشتمل عليه حالة من حالات الغيبوبة ، وتنقاد الواعية لذلك الذى نومها هذا التنويم انقياد المعبود للعابد أو المفتون للفاتن ، ملكها وملأها فلا مشيئة لها معه ولا فراغ لها من وحيه وسلطانه

فماذا تصنع الصحراء بالذى يدمن النظر اليها إلا أن تنومه هذا التنويم وتشمله بمثل تلك الفتنة وتقوده بمثل ذلك القياد !

انه لينظر إلى مائة شيء فيها فاذا هو ينظر إلى شيء واحد لتشابه المناظر وتقارب الألوان والهيئات ؛ وإنه لينتقل ميلا بعد ميل وساعة بعد ساعة وكأنه قائم في موضعه لا يتزحزح منه قيد خطوة ، لأن العبرة بما يقع فى الواعية لا بما تقع عليه الأقدام ، وان النائم لينام بعد هنيهات قليلة فكيف يكون الحال بمن تنقضى عليه فى تلك النظرة أعوام ، ومن تنقضى على آبائه وأجداده فى تعاقب تلك الفتنة أجيال ؟ ؟

تلك هى العقدة المغناطيسية فى سحر الصحراء

أما عقدتها التى تشبه الخمر فما هى الخمر إن لم تكن نشوة الطلاقة وعزة الافلات من القيود ، وتوهم القدرة على كل مطلب فى غير حذر من رادع ولا مبالاة بملام ؟

تلك الطلاقة هى سكرة الآفاق الواسعة أو سكرة الصحراء التى لا تقوم فيها الحواجز ، ولا تصطدم فيها الحدود ، ولا يشعر فيها المرء بين الأرض المديدة والسماء الرفيعة بطغيان مخلوق أو خضوع مقهور

ثم شعوذة الحواة وحسبك منها السراب ! !

مضينا فيها بالسيارة من الضحى إلى الغروب ثمانى ساعات بين مرسى مطروح وسيوة فلم يغب قط عن أبصارنا منظر هذا السراب يعلو ويهبط ، ويبدو ويختني ، ويتراءى حتى لا شك فى فى صدقه ، ويتوارى حتى لاشك في كذبه وزوره

السراب السراب ! ! ما أشبه الحقيقة فيه بالكذاب ، وما أولاه منا بالعجب العجاب !

لقد عدنا وعلى الأفق غاشية من سحاب رقيق فلم نر سرابا فى طول الطريق

فقلنا لبعض أصحابنا فى السفر : أرأيت كيف يكون النور سبيل الضلال فى بعض الأحايين ؟ ترجم هذا لأعداء الحديث من الشعر وقل لهم : ان الذى يتحدث عن « ضلال النور » لا يتحدث بالأحاجى والألغاز ، ولا يقول إلا ما تبصره العين فكيف بالضمير وكيف بالخيال ؟ وقل لهم إنهم لا يفهمون الصحراء وهم يعيشون منها بين ذكريات النوق والوهاد ، وأساطير الأفراس والجياد . وقل لهم بالايجاز انهم لا يفهمون !

مراب الصحراء ، هذه الشعوذة البارعة

وخمر الصحراء ، هذه الشعشعة الصارعة

وغيبوبة الصحراء ، هذه المنومة الفارعة

وعراقة الصحراء هذه القديمة فى الآناء ، القديمة فى الآماد والأجواء ، القديمة فى العروق والدماء

ذلك هو سحر الصحراء !

عباس محمود العقاد

بين الشرق والغرب

للأستاذ فليكس فارس

« إذا لم تكن لنا قدرة على خلق حضارة شرقية فلنفعل على الأقل ما فعلت تركيا وتنخرط بكل بساطة فى سلك الأمم الأوربية »

« توفيق الحكيم »

هذه كلمة جمعت خلاصة المقال الذى نشره فى الأهرام تحت عنوان « هل يوجد اليوم شرق ؟ » كاتب مفكر له ثقافته الواسعة وعلمه العميق . وقد أعجبت بالمقال وما يعرض من الاعتبارات على المفكرين وشكرت لكاتبه صراحتـه ودعوته إلى الصراحة فى موقف يتحتم فيه على الشرق العربى أن يختط له سبيلاً سوياً فى ثقافته وحضارته

إن الأستاذ توفيق الحكيم لا يجهل أننا إذا عجزنا عن خلق الحضارة الشرقية وعن إحيائها بتعبير أصح فإن انخراطنا فى سلك الأمم الأوربية لا يوصلنا إلى الهدف الذى تتجه إليه الأمة التركية ولما تصـل إليه . فإن بين الفطرة التركية والفطرة العربية من الفروق مالا يصح معه أن يتخذ العرب الترك قدوة . لذلك ، لا أحسبنى مخطئاً إذا ذهبت إلى أن الأستاذ الحكيم لم يخيِّر العرب بين حضارتين ، إلا ليثبت لهم أن فى أعماق قلوبهم شرقاً لا حياة لهم إلا بالاتجاه إليه واستجلائه وراء ظلمات الأحقاب

***

كنت أخذت القلم لأجول جـولة بين نظريات الروسى والمصرى اللذين دفعهما الأستاذ الحكيم إلى حوار خطير بين الشرق والغرب ، ولـكننى تذكرت أننى كنت ناظرت صديق الدكتور اسماعيل أدهم منذ أشهر فى حفلة حافلة فى جمعية الشبان المسيحيين فى الاسكندرية وكانت الوجهة الايجابية من الموضوع « من الخير لمصر أن تأخذ بالحضـارة الغربية » فرأيت أن آخذ من ردى على المناظر ماله صلة وثيقة بالمسألة التى أثارها مؤخراً الأستاذ الحكيم

***

بدأت فى الرد بالتفريق بين الثقافة والعلم ، فقلت إن العـلم مشاع لـكل الأمم ولـكل الأفراد فهم يتفقون فيه على ما بينهم من اختلاف بعيد فى نظريات الحياة فى حين أن الثقافة مستقرة فى الشـعور فهى (دماغ فى قلب) ولا قانون لها لأنها راسخة فى الفطرة ، والفطرة فى الفرد كما هي فى الأمم ميزة خاصة فى الذوق واستعداد خاص لفهم الحياة والتمتع بها . فإذا كان العقل رائداً لبلوغ الحاجة ، فليست الفطرة إلا القوة المتمة للإنسان بتلك الحاجة بعد الظفر بها ؛ وكما أن لـكل فرد ثقافته التى تتجلى فطرته فيها ، هكذا لـكل أمة ثقافتها المستقرة فى فطرتها . فلا ريب إذاً فى أن سعادة الفرد والمجموع وشقاء كل منهما يتوقفان على ملاءمة الحياة أو عدم ملاءمتها لما فطرا عليه . وسواء أكان المرء مخيراً أم مسيراً فى إرادته وأعماله فإنه على الحالين غير مخير فى ذوقه فى الحياة وفى لذته وألمه منها . فكل فرد خالفت طريقة حياته ما استقر من الحوافز فى فطرته يفقد الشعور التام بتلك الحياة ويتعرض للسقوط فى المعترك . وهكذا الأمم إذا خدعت نفسها وسارت فى حياتها على ما يؤلم فطرتها فانها تفقد قوة الارتقاء بذاتها فتميت شخصيتها دون أن تتدفق إلى الانبعاث فى شخصية تستعيرها من سواها

وبعد أن وضعت هذا الحد بين الثقافة والعلم توجهت إلى تحليل عناصر الحضارة فى الشعوب فقلت إن الخلاف الذي ينشأ بين باحثى مسألة الشرق والغرب إنما ينشأ من عدم التفريق بين المدنية الآلية وبين المدنية الأدبية . فعند مايقوم أنصار الاتجاه إلى مدنية الغرب بدعوة عامة إلى « التفرنج » يثور عليهم أنصار الحضارة العربية مسفهين رأيهم داعين إلى مقاومة هذه الحضارة على وجه التعميم أيضاً . وهكذا يقع الفريقان فى خطأ، لأن كلا منهما يؤاخذ الآخر بتطرف يرتكبه هو. ولو أنهما ميزا بين الحضارة الآلية المبنية على العلم وبين الحضارة الأدبية المبنية على الفطرة التى كونتها السلالة والاقليم وتسلسل حوادث التاريخ لتوصلا إلى حل الخلاف !

***

بعد أن مهدت للرد على مناظرى بهذه المقدمة وفصلت فيها فصلا تاماً بين الحضارة الآلية والحضارة الذهنية ، تناولت نظرياته متتالية واتجهت إلى تفنيدها. وهذه خلاصة من الرد أعرضها لبحث من يقدرون خطورة هذه المسألة

***

بعد هذه المقدمة التى حددت فيها الثقافة ووضحت بينهما وبين العلم الوضعى ما أراه من فروق لا إخال مناظرى معترضاً عليها أتناول بحثه فى موضوع المناظرة سائراً معه خطوة لخطوة على السبيل الذى أدى به إلى الاعتقاد بأفضلية الثقافة الغربية على الثقافة الشرقية العربية

وأول عبارة أراه يذهب منها إلى الاختلاف معى هى قوله :

إن للشرق روحه الذى يستوحيه أبناؤه نزولا على فطرتهم، وللغرب منطقه الذى يستنير به أفراده نزولا على وحى مشاعرهم »

فمناظرى إذاً يبدأ بحصر المنطق فى الغرب منكراً على مصر وسائر الأقطار العربية أساس العلم ، والعلم كما سبق أن أوضحت فى تحديده تجاه الثقافة ، إنما هو مشاع بين كل ؛ الأمم وما اخترع الغرب المنطق ولا هو أوجد التفكير العلمى لنعترف له بثقافة قوامها التفكير ينفرد بها بين ما على الأرض من شعوب

ثم يجيء مناظرى بعد ذلك إلى تحديد الثقافة المصرية فيقول: إن الحياة العملية التى يحياها المصرى الآن تجرى على غرار ما كان يحياه أسلافه الفراعنة

وأنا لا أرى فى حياة المصريين اليوم أثراً من الحضارة الفرعونية، لا فى الحياة العملية ولا فى الحياة الأدبية ، كما لا أرى شيئاً من حضارة الفينيقيين فى حضارة أهل سوريا ولبنان ، وما تبقى من هذه الحضارات المستغرقة فى القدم إلا أهرام ومعابد وأعمدة وقصور وقبور

ولكننى لا أجد بداً من الاعتراف ببقاء رواسم للفطرة القديمة فى سرائر أبناء هذا المصر على ضفتى البحر الأبيض يتجلى فيها كثير من الصفات النفسية والجسمية التى اتصف بها أجدادهم الأقدمون

غير أن الثقافة التى يدور البحث عليها فى هذه المناظرة إنما هى العوامل التى تتوحد فى أى مجتمع ، وتتماثل فى سريرة كل فرد من ذلك المجتمع ؛ وهذه العوامل هى التى تقوم عليها الحضارات المختلفة بين الشعوب . ولا أرى داعياً للسير إلى أبعد من هذا التحديد بعد أن رأيت مناظرى الكريم يأخذ بمثله ويقف فى بحثه عند الثقافة الشرقية العربية دون تناول ثقافة الشرق الأقصى، فهو إنما يقصد الثقافة السامية العربية عند ما يقول بوجوب تلقيح « الذهنية » المصرية بثقافة غربية تبعث فيها النشاط وتدفع بالأمة إلى الحياة

أما السبب الذى يراه المناظر موجباً لهذا الانحراف إلى ثقافة الغرب فقائم على اعتقاده بأن الثقافة العربية ذاتية تدفع بالانسان إلى الذهاب مع الخيال ، فردية تذهب بالفرد إلى الانعزال عن المجتمع، فى أنه حين يرى ثقافة الغرب أو « ذهنيته » تستجلى حقائق الحياة بالتفكير الفلسفى والبحث العلمى

وهنا نقطة الخلاف فى بحثنا

إن مناظرى يقول بكل جلاء إن المدنية الغربية مستمدة من الثقافة الآرية العلميـة ، فى حين أن الشرق العربى يتوه ذاهباً وراء خياله

إذا صحت هذه المقدمة فللمناظر ملء الحق بدعوة مصر إلى الانسلاخ عن شرقيتها وعروبتها للأخذ بالعبقرية الآرية التى يراها مبعث العلم الصحيح ومنشأ التفكير النير المصيب ، ولكن الأمر ليس كذلك ، وإليكم البرهان أسنده أولا إلى حقيقة نطق بها مناظرى وأغفل الاسترشاد بها ؛ فهو يقول إن عصرنا عصر العلم، ولقد بدأ ذلك المصر بثورة نفر من رجال القرن السادس عشر على المقلية القديمة التى تبحث عن علل الأشياء الأولى فسبروا سنن الطبيعة وأقاموا عليها المدنية الغربية مستمدة من الذهنية الآرية

إذاً إن أصحابنا الآريين كانوا يغطون فى نومهم، ولم تزل تراود أحلامهم الآلهة التى خلقتها عقلية التماون فيهم فبلغ عدد هؤلاء الآلهة الثمانية آلاف فى الأساطير التى يراها المناظر غنية بالرموز والفن ، وما هى فى نظر الشرقي العربي إلا دلالة فقر مدقع فى التفكير وجوح فى خيال لم يدرك شيئاً من الوحدة التى تقوم حقائق الأشياء عليها

وفى هذه الأثناء كانت الحضارة العربية تحتضن العلوم القديمة وهى ممثلة بأرسطو فى الاستقراء، وبأفلاطون في القياسات العقلية. وما كانت هذه العلوم فى ذلك المصر إلا فى طور التدرج الأولى فاستولى عليها التفكير العربى لا ليدفعها إلى الارتقاء فحسب بل ليستنبط ويعدّل ويوجد . ومما يجدر ذكره هو أن العرب حين اقتبسوا من تراث اليونان ما يعززون به تفكيرهم العلمى لم تستهوهم الثقافة اليونانية ولا حضارتهم الأدبية إذ أحسوا بما بين الحضارة التى كانت تتمخض فى شعورهم وتقديرهم للحياة

وبين حضارة اليونان الاجتماعية من مهاو سحيقة فأعرضوا عن شعرهم وموسيقاهم ونظم اجتماعهم؛ لذلك لا تجد في شعر العرب شيئاً من إبهام بيندار وأوربيبد وهوميروس، وهذا الأخير بقي مجهولا حتى ترجمه البستاني في أوائل هذا القرن

فقد بز العرب من تقدمهم في علوم الآلات وتوازن السوائل ونظريات الضوء والابصار والهندسة وعلم الهيئة فوضعوا علم الكيمياء واكتشفوا أجهزة للتقطير وأوجدوا الأسطرلاب ووضعوا جداول الأوزان النوعية والأزياج الفلكية؛ وهم واضعوا علم الجبر والأرقام. وما كاد ينقضي القرن الثامن الميلادي حتى كان هرون الرشيد يسير شوطاً بعيداً في مضمار الرقي ليسلم إلى المأمون سنة ٨١٣ المدينة التي أصبحت عاصمة العلم الكبرى في في ذلك الزمان.

ويذكر التاريخ أن هرون الرشيد كان أرسل إلى شارلمان ساعة تدل على الزمان بحركة من الشريط المربوط فأفزعت حركتها هذا الملك حتى أمر بكسرها.

أنعيد إلى الذكر ما أحيا من العلوم الفلسفية والعملية العباسيون في آسيا والفاطميون في مصر والأمويون في اسبانيا؟

أبعد هذا يصح لقائل أن يقول ان رسالة الشرق روح وشعور فقط وان رسالة الغرب عقل ومنطق؟

إن مناظري قد ضيق عدسة منظاره وحدق على مجال من الزمان لا يزيد على قرن ونصف قرن متطلعاً إلى الرقي العلمي في طوره الأخير، فخيل له أن الغرب قد أوجد وأبدع وأكل بعقليته الآرية، ثم التفت إلى الشرق العربي وهو خارج محطماً من عبودية نيف وأربعة قرون، فحسب ان السامية العربية هي ما لمحه من عدسة منظاره.

ولقد شاء المناظر الكريم أن يقدم برهاناً على ان الحياة تقوم في العالم كله على أساس غربي ومنطق غربي فقال: ان هناك تجربة بجحت إذ كانت الدولة العثمانية تمتد حتى الدانوب وتعيش على غرار شرقي فكانت منبعاً للفساد في العالم، فلما استقطعت عنها المجر ورومانيا والبلغار واليونان واليوغوسلاف فأخذوا بمدنية الغرب تقدموا...

ونحن نجيب على هذا موافقين المناظر على قوله فان الدولة العثمانية التي «عاشت على غرار شرقي» إنما كانت آرية في روحها وما تسنى لها طوال حكمها الذي سحب أذياله قروناً أن تدغم فيها العنصر العربي السامي أو تندغم فيه فارتفعت عليه ولم تتمكن من الارتفاع به بالرغم من اعتناقها دينه المبين...

وليت الدولة العثمانية بعد أن بنت سلطانها على السطوة عرفت أن تحتفظ به بالعمل على ترقية الشعوب المستظلة بعلمها. ليتها لم تكتف بالمظاهر معرضة عن الصفات العليا التي أثار الخلفاء الأقدمون بها وجه الأرض وأقاموا عليها أروع حضارة عرفها التاريخ؛ إذن لما كانت الشعوب التي ذكرها المناظر لتتنفس الصعداء بزوال كابوس الدولة العثمانية عنها، وما كان اليونان والبلغار وسواهم مرهقين متقهقرين لاتخاذهم الثقافة العربية فانهم ما عرفوها وما عملوا بها بل كان موقفهم شبيهاً بموقف بلاد العرب تجاه دولة بينها وبين العدد الأوفر من رعاياها مهاو وأغوار. تلك حقائق لم تخف على الداهية أتاتورك فانه عرف ما هي فطرة الشعب التركي وما هي الحالة الاجتماعية التي تتفق وما كمن في حوافزه. ويعلم المفكرون ما رمى إليه هذا المصلح لدولته من إضعاف كل عنصر لا يجاري روحها حتى أنه ناصب العداء الحروف والألفاظ العربية التي كانت اللغة التركية في عراك مستمر معها

أما ما يقوله المناظر عن أن اليابان نهضت بالمدنية الغربية بعد أن أعرضت عن منطق الحياة الشرقية، ففيه حقيقة كبرى تقوم برهاناً على خطأ نظريته. فان اليابان لم تزل متمسكة بثقافتها كل التمسك وفي ذلك سر ارتقائها، فهي لم تأخذ من الغرب إلا الآلة والآلة فقط، وما الآلة إلا نتاج العلم العملي الوضعي الذي رافق الانسانية منذ اكتشف أول مكتشف شرارة النار في كهفه واتخذ في الصوان في العصر الحجري أوائل الآلات للحرث والقطع، وقد مرّ العلم على أدمغة جميع الشعوب على ممر الأجيال فليس للهندسة والكيمياء وعلوم الاحياء وسواها أي طابع قومي. ولو كان يصح أن تسند هذه العلوم إلى قوم دون سواهم لكان لنا أن نطالب بأن يطبع على كل آلة وجهاز إسم علَم من أعلام العرب، إذ لولاهم لما كانت الحلقة الكبرى التي وصلت بين سلسلتي الماضي والحاضر، ولكانت أوربا لم تزل أوروبا القبائل الغارقة في بحر الظلمات

البقية في العدد القادم — فليكس فارس

فلســـفة التربيـــة

تطبيقات على التربية فى مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

– ١٩ –

« ... وثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ، ولكن بمقدار ما أفاده العلم ، وبمقدار علو المستوى الذى يشرف منه على العالم ، وبمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو فى الشعور وتذوق للجمال ! »

« أحمد أمين »

« للرجل المثقف جسم خاضع لارادته ، وعقل صاف متئد القوى سهل العمل ملىء بما فى الطبيعة من حق عظيم وقوانين كلية ، هذا إلى امتلاء بالحياة المنسجمة الخادمة لضميره الحى ، وإلى حب للجمال وكره للقبح ، وإلى احترام للنفس وللناس ، وإلى وفاق تام مع الطبيعة يفيدها فيه ويستفيد منها ، ويسير معها كوزيرها أو ترجمانها وهى كأمه الحنون ! » (١)

« هكسلى »

٩ – خريج اليـــوم

عرضت عليك فى المقال السابق صورة لعقلية خرِّيج اليوم وما فيها من ضيق ونقص وجمود والتواء . وأحب اليوم أن أعرض عليك صورة أخرى لعاطفته بنواحيها الدينية والذوقية والخلقية لتتبين أنها مشوبة كذلك بألوان كثيرة من الشذوذ والانحراف

١ – العاطفة

وأحسب أنك تعلم جدارة العاطفة في حياة الإنسان، وأنها تلى «العقل» مباشرة فى الخطورة والأهمية ، وأن الحياة بدونها صحراء لا ماء فيها ولا شجر ؛ ولذلك نراهم يحرصون في الغرب على صقلها وتهذيبها وتهيئتها لأن تكون خير سند للعقل السليم والخلق القويم والذوق الجميل ، وخير معين يروى ظمأ الحياة ويسمو بها فوق الأدران والشهوات ، ويجعل نصيبها من الإنسانية الرفيعة موفور القدر عظيم الدرجات ! . فهيا إذاً نتحسس أثر « العاطفة » فى خريجينا لنرى إلى أى حد قد نجحت مدارسنا فى تكوين هذه الناحية الخطيرة من نواحى التربية والتعليم

(أ) الدين

والدين كما تعلم من أقوى مظاهر العاطفة ، ومن أبعدها أثراً في خُلق الجماعة والفرد ، ومن أعظمها قدراً فى تقدم الأمم وتأخرها . ولذلك قد عنيت الحكومات بنشره وتلقينه ودراسته واهتمت بجعله جزءاً أساسيًّا فى برامج التعليم الدينى والمدنى كيما يخرج النشء متمسكاً بدينه عارفاً لربه عاملاً بفضائل الكتب الدينية وأوامرها . ولكنك حين تبحث عن هذه الناحية فى مدارسنا وخريجينا ترى عجباً . فالدين فى المدارس المدنية ضئيل القدر سطحى النظرة ، لا شأن له فى نجاح التلميذ أو رسوبه ، والفروض الدينية من صوم وصلاة وإحسان مهملة إلى حد بعيد مع خطورة أثرها فى حياة التخرج الحاضرة والمستقبلة ؛ ولذلك لا تعجب إذا رأيت الكثيرين من أولئك المثقفين لا يعرفون صوماً ولا صلاة ولا زكاة ولا إحساناً ! ولا يدركون من دينهم إلا ألفاظاً وقشوراً ، ولا يحملون له من العاطفة إلا ما لا ينفع فى كثير ولا قليل . ولا تعجب كذلك إذا وجدت بين المصلين من يصلى دون أن تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، ودون أن تصده عن الكذب والرياء والتملق والادعاء مما تزدحم به حياة الدواوين وغير الدواوين على السواء !. ثم لا تجزع بعد هذا إذا تلمست الصبر والثقة بالله والاتكال والاحتمال فى خريجينا دون أن تجد منها إلا أشباحاً متضائلة وصوراً متزايلة . وإذا تساءلت عن الزواج فسمعت من يقول لك ما ضرورته وما جدواه والأزمة شديدة والنساء كثيرات !! نعم لا تجزع يا عزيزى ولا تعجب فتلك جميعاً صدى لهذه التربية المدنيـة التى تغفل الدين وتتهم بالحشرات ... !

أما الدين فى المعاهد الدينية فأحسن حالا وأقوم سبيلا. ولكنك إذا شئت أن تتلمس فيه نقصا فستجد وا أسفاه شيئاً كثيرا ؛ ذلك أن خريج هذه المعاهد ما يزال مشوبا بضيق الأفق فى تفكيره وتعصبه ونظرته للحياة الحديثة إلى حد هو الجمود أو ما يشبه الجمود! وما بالك بصديق لى منهم دعوته إلى رؤية قطعة من الأدب الحديث على مسرح الأوبرا أو مشهد من مشاهد التاريخ على الستار الفضى

(١) نرجو أن يعذرنا القراء فى تكرير هذين القولين لأنا نريد أن نجعل منهما مقياساً تقيس به الحالة الثقافية للمتخرجين فى مختلف المدارس والمعاهد . وأحسب أن البون شاسع جدا بين خريجينا وبين دلالة هذين القولين

فكان جوابه أن فى القرآن ما يغنيه عن رؤية كل ما فى دور التمثيل والسينما ؟؟ وما بالك بأئمة المساجد فى القرى يتلون على الناس خطباً منبرية لا يهبطون فيها إلى مستوى عقلهم إلا فيما شذ وندر ؟؟ وما بالك بتلك الروح روح التعصب [1] الدينى – ينفثها رجال الدين فى الصدور فتقيم بين أبناء الوطن الواحد حاجزاً من الكراهية وعدم الثقة والمقت والازدراء ؟ وأخيراً ما بالك بذلك الصدر الضيق لا يتسع للنقد ولا للاجتهاد ، وبتلك البدع الدينية الكثيرة التى ليست من الدين فى شىء ، وبهذه وبتلك مما تعرفه أنت وتعلم أنه يغضب الله والرسول ؟؟

تلك يا عزيزى نتيجة التعليم الدينى فى معاهدنا قد عرضتها عليك فى شىء من الجرأة والحياء فهلا ترى أنها نتيجة أليمة تحتاج إلى التعديل السريع ما دام الأمر لا يقتصر هنا على علاقة المرء بربه ، بل يمتد ويمتد إلى صلة الأفراد بعضهم وإلى رقى الدولة وانحطاطها ؟؟

(ب) – الأخلاق المدنية

والأخلاق مظهر قوى للعاطفة ؛ فاذا هى فقدت منبعها الدينى فماذا يتبقى لها غير الضمير الشخصى والاجتماعى ؟؟ لنبحث إذاً فى أخلاق الخريجين الموظفين منهم وغير الموظفين فسنجد كذلك عجباً . كم منهم من « يشعر بواجبه » شعوراً حقيقياً وينطلق إلى آداء هذا الواجب بإخلاص تام وهمة عالية ؟؟ وكم منهم قد وضع لنفسه « مثلا أعلى » فهو يسعى لتحقيقه ، ويُصدر عنه فى جميع أعماله ، ويتحمل الآلام فى سبيل الذود عنه ، ويعمل على نشره بين أهله وذويه متخذاً لنفسه فى حياته رسالة شريفة يحيا من أجلها ويموت ؟! الحق أننا مصابون فى هذه الناحية بأخبث الأمراض وأشنعها وأكثرها دماراً ووبالا . وحسبك أن تنظر فى قوائم الاهمال والتقصير ، والتزوير والتدليس ، والتلاعب والاختلاس ، والأقارب والأصهار ، حتى يقف شعر رأسك فزعاً ورعباً من تلك الفوضى الخلقية التى تسيطر على رجالنا وتسير بسفينتهم إلى بحر الظلمات !! ألا يختلس المختلسون آلاف الجنيهات من مال الدولة الحرام ؟ ألا ينحط الخلاف السياسى إلى جرائم الافك والزور والكذب والاحتيال ؟ ألا تباع الضمائر والأقلام فى سوق المال بيع الأغنام ؟؟ ألا ترتفع الشكوى لأولى الشأن دون أن يسمع سامع أو يستجيب مستجيب ؟ ألا يتخذ الأجانب من بعض رجالنا سواعد لهم فى الحكومة والشعب على السواء ؟؟ ألا يصبح رجل الحق أحياناً كاليتيم فى مأدبة اللئام ؟؟ ألا يميل ميزان العدل مراراً فاذا العدل ظلم والظلم عدل ؟ أليس فى المعلمين والأطباء والمحامين وغيرهم من يؤدى عمله أداء ناقصاً مشوهاً لا يعدل مطلقاً ما يتناول عليه من أجر ؟ أليس فى الموظفين من يكتم صوته ويطأطىء رأسه ويلوذ بالصمت الحقير إذا شعر أنه مهدد بمجرد النقل إلى بلد قريب فضلا عن الخصم أو الحرمان ؟؟ ثم ألا تذهب صيحات المصلحين عندنا كصرخة فى واد ؟ ألا يعف شيوخ رجالنا عن كل جديد يأتى من ناحية الشبان ؟ ألا تنمحى شخصيتنا المصرية فى رجال الثقافة المدنية محواً أليماً ؟ ألا نقلد الغرب فى كل تافه حقير ؟ ألا نترك صناعاتنا المصرية تنتحر من أجل المظهر اللائق والبهرج المرذول ؟؟ ألا يصمت الثائر منا ويمحو شخصيته ويندمج فى التيار العام وكله يأس وعجز وأسى وقنوط ؟؟

ذلك طرف من خلق كثير من الخريجين فهل تراه يرضيك ؟ وإذا كان كل خريج زعيماً للشعب فى دائرته فهل ترى للشعب زعماء صالحين [1] ؟؟ وحسبك اليوم ذلك وإلى اللقاء حيث أحدثك عن ناحية الذوق أيضاً

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) المسلمون منهم والمسيحيون واليهود على السواء ، وأظن أنه قد آن الوقت الذى يجب أن نترك فيه أمر الدين لله وننظر للناس من حيث خلقهم وكفاءتهم فحسب

(١) قال شوقى بك : وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلا

محمـــــد إقبـــال

شاعر الإسلام وفيلسوف

للدكتور عبد الوهاب عزام

بقية ما نشر فى العدد الماضى

ومن كلامه فى « نقش فرنك » وهو القسم الرابع من « بيام مشرق » :

جمعية الأقوام

يريد الرزّءون أن يسنوا سنة جديدة ليمحوا آية الحرب من هذا المحفل العتيق

فما عرف قبل اليوم أن جماعة من سرّاق الأكفان ألفوا جماعة لتقسيم القبور

نيتشه

خفق قلبه لضعف عناصر الإنسان، وخلق فكره الحكيم صورة أحكم وأمتن ، فأثار بين الفرنج هياجاً بعد هياج : مجنون ولج مصانع الزجاج

إذا بغيت نغمة ففر منه، فليس فى نايه إلا قصف الرعد . قد دفع مبضعه فى قلب الغرب واحمرت يده من دم الصليب . هذا الذى بنى معبداً للصنم على قواعد الحرم ، قد آمن قلبه وكفر دماغه

جلال الدين الرومى و هيجل

كنت ليلة أحاول أن أحل عقد الحكيم الألمانى . ذلك الذى خلع فكره على الأبدى كسوة الآنى ، والذى أخجل العالم إذ ضاق عن سعة خياله . فلما نزلت فى بحره صارت سفينة العقل طوفاناً، ثم سحرنى النوم فأغمضت عينى عن الفانى والباقى ، وازداد شوق وقدة فتجلى لى وجه الشيخ الإلٰهى : الشمس التى أضاءت آفاق الشام والروم ، والذى وضع شعلته مصباح هدى فى هذه الدنيا المظلمة ، الذى تنمو المعانى من كلماته كما تنمو شقائق النعمان قال لى كيف تنام . استيقظ ، إنك تجرى سفينة فى سراب . إنك تجتاز طريق الفسق بالعقل . إنك تبحث عن الشمس بمصباح

***

وأما أسرار خودى ورموز بن خودى : أى أسرار الذاتية ورموز اللاذاتية (أو أسرار الأنانية ورموز الإيثار) ، فهما المنظومتان اللتان شرح فيهما آراءه شرحاً مرتباً وجعل للبحث خطة واضحة

بين فى الكتاب الأول قوة الذاتية وضرورتها فى الحياة ، ودعا إليها : هذه الحياة جهاد مستمر ، والرجل الحى حقًا هو الذي يوقظ كل قواه ، ويستخرج كل ما فى فطرته ، ويتأهب بمواهبه وأدواته للجهاد . السكون موت ، والتقليد فناء ، والحركة حياة ، والاستقلال وجود ... الخ

وبين فى رموز بن خودى كيف تلتئم هـذه الفردية القوية الكاملة فى الجماعة ، وكيف تقوى الجماعة وتضعف ، وكيف تصلح وتفسد ، وكيف تهتدى وتضل :

يشرح فى أسرار الذاتية بعد المقدمة موضوعات منها :

أصل نظام العالم من الذاتية ، وتسلسل حياة أعيان الوجود موقوف على استحكام الذاتية

حياة الذاتية من تخليق المقاصد وتوليدها

الذاتية تستحكم من العشق والمحبة

« تضعف بالسؤال

« إذا استحكمت تسخر قوى العالم الظاهرة والخفية

فى الذاتية من اختراع الأقوام المغلوبة ليضعفوا من طريق خفى أخلاق الأقوام الغالبة

أفلاطون الذى أثر فى التصوف والآداب الإسلامية ذهب مذهب الخروفية ، والاحتراز من أفكاره واجب

ثم بين أن تربية الذاتية لها ثلاث مراحل : الأولى الطاعة ، والثانية ضبط النفس ، والثالثة النيابة الإلٰهية

فى المقطوعات الثانية يتكلم فى مثل هذه الموضوعات :

الأمة تظهر من اختلاط الأفراد ، وكمال تربيتها من النبوة .

أركان الأمة الاسلامية — الركن الأول التوحيد — اليأس والحزن والخوف أمهات الشرور ، والتوحيد يزيل هذه الأمراض الخبيثة . الركن الثانى الرسالة — المقصود من الرسالة المحمدية تأسيس الحرية والمساواة والاخوة بين بنى آدم — الأمة المحمدية مؤسسة على التوحيد والرسالة فليس لها حدود مكانية . الأمة المحمدية ليس لها نهاية زمانية أيضاً — حياة الأمة تحتاج إلى مركز محسوس ، وهو للمسلمين البيت الحرام

خلاصة معنى الكتاب وتفسير سورة الاخلاص

وهذه أمثلة من أسرار خورى :

نهر الكنج وهملايا

قال نهر الكنج يوماً لجبل هملايا وهو يجرى فى سطحه ! أيها المتوج بالبرد من فجر الخليقة والمنتطق بالأنهار الجارية ، جعلك الله نجى السماء، ولكن حرمك التبختر فى العراء ، ماغناء الرقاد والرسوخ والرفعة ، وقد سلبت الحياة والحركة ؟ الحياة سعى دائم كالموج : وجوده حركته الدائمة . فلما سمع الجبل تعبير النهر أرسل أنفاسه بحراً من نار وقال : يامن اتخذت صفحة مرآتى وأكننت مئات من مثاله فى صدرى . هذا التبختر زينة الفناء ! من ذهب عن نفسه فقد حرم البقاء . قد غفلت عن مقامك وفخرت بزوالك ياوليد الفلك الرفيع ؛ إن خيراً منك الساحل الوضيع . قدمت نفسك قرباناً للمحيط ، ونثرت روحك لقاطع الطريق . كن فى بستانك ورداً ولا تذهب وراء القاطف لتنشر عبيرك . إن الحياة أن تنمو فى مكانك ، وأن تنشر العبير فى بستانك

خلت القرون وأنا فى طينتى ثابت القدم ، وتحسبنى إلى الغاية لم أتقدم ؟ كلا قد عظمت حتى بلغت السماء ، واستراحت على سفحي الجوزاء . ضل وجودك فى البحر الخضم . وصارت ذروتى مسجد الأنجم . عينى بأسرار الفلك بصيرة ، وأذنى بطيرانه خبيرة . احترقت بنار السعى الدائم فجمعت فى صدري الجواهر « فى صدرى حجارة ، وفى الحجارة النار ، وليس للماء إلى هذه النار سبيل » إن كنت قطرة فلا ترق نفسك بيدك ، بل جاهد اللجة وحارب اليم لحياتك . كن جوهراً لألاء ، يزيد جيد الحسناء ضياء ، أوامسم بنفسك وأسرع المطار ، وكن سحاباً يرى البروق ويعطر البحار ، ليستجدى البحر إحسانك ويشكو ضيقه عن إنعامك ويرى نفسه أقل من موجة لديك ، ويرتمى على قدميك

قصة الطائر الذى أنهكه العطش

بلغ العطش من طائر جهده فاضطرب نفسه موجة من الدخان فى صدره ، فأبصر فى بستان شذرة من الماس الوضاء ، فخيل اليه العطش أنها ماء ، وخدعت الطائر المجهود هذه الشذرة المتلألئة كالشمس فتوهم الحجر الصلب ماء سائلا ، وغره من هذا الجوهر بريقه فضرب بمنقاره فلم تنقع غلته . قالت الماسة : أيها الطائر المسحور ! لشد ما ضربت بمنقار الغرور ! لست قطرة من الماء ، ولا مشربة للظماء ليست حياتى من أصل غيرى . إن محاولة التقاطى جنون وغرور ، وغفلة عن الحياة الذاتية الظهور . إن مائى يكسر من الطير منقاره ، ويصدع من الانسان جوهر روحه . خاب أمل الطائر فأعرض عن هذه الشذرة الوضاءة ، وانقلب الأمل فى صدره حسرات ، واستحالت أنيناً هذه النغمات . ثم بصر بقطرة من الطل على فنن من الورد تتلألأ كدمعة من عين البلبل ضياؤها أفناناً فى وهج الشمس وهى من خوف الشمس في رعده كوكب ولدته السماء فلبث لمحة فى نشوة الظهور والضياء ، وخدعته ألوان الأكمام والأزهار فلم يأخذ من الحياة نصيباً كدمعة العاشق العليل ، زانت الهدب لتسيل .

ويسرع الطائر إلى فنن الورد فيلتقط قطرة الندي

أيها المبتغي نجاة من الأعداء ! خبرنى أجوهر أنت أم قطرة من ماء . ألم تر إلى الطائر حين أذاب العطاش مهجته كيف وقي بحياه غيره حياته ؟ لم تكن القطرة فى صلابة الجوهر ، ولكن كانت الماسة صلبة المكسر

فلا تغفل عن حفظ الذاتية لمحة ، وكن قطعة ماس لا قطرة كن ناضج الفطرة راسخاً كالجبال وتحمل بحاراً من السحاب المطال . وجد نفسك تقوى نفسك واستحل فضة بجمود زئبقك . أظهر نغمة الذاتية من أوتارها ، وتجل للناس بأسرارها

في الكلام على الوقت

اسمع نكتة تضيء كالدر، لتعرف فرق ما بين العبد والحر: العبد ضال في الليل والنهار، والزمان في قلب الحر ضال. العبد ينسج من الأيام كفنه ويخيط الليل والنهار على نفسه، والحر يخلع نفسه من الطين ثم ينسج على الزمان محرابه المتين. العبد طائر في شبكة الصباح والمساء، حرمت روحه لذة السبح في الهواء وصدر الحر الهمام، قفص لطائر الأيام. فطرة العبد تحصيل الحاصل، وخواطره تكرار قاتل. مقامه من الجمود واحد، وصوته بالليل والنهار راكد. والحر كل حين خلاق، يسكب نغمه مجددة في الآفاق. فطرته لا تحتمل التكرار، وليست طريقة خلقة البركار. العبد في سلاسل من أيامه، والقضاء والقدر ورد لسانه، وهمة الحر مثيرة على القضاء قصور يده الحادثات كما تشاء. الماضي والآتي ماثلان لديه، والآجل عاجل بين يديه ...

نضر الله عهداً كان سيف الزمان، حليف أيدينا على الحدثان، فبذرنا الدين في أرض القلوب، ورفعنا الحجاب عن وجه الحق المحجوب ...

وحلت عقدة الدنيا أناملنا، ونضر وجه الأرض سجودنا، وشربنا الصهباء من دنّ الحق، ثم سرنا بنشوته بين الخلق. يامن أترعت كأسه الخمر المعتقة، وأذابت كأسه الصهباء المحرمة، وملأه الكبر والغرور، فعيّرنا بالفقر والمتربة. لقد كانت كأسنا كذلك زينة المحافل، يوم كنا وصدرنا بالقلب آهل، وثار من غبار أقدامنا عصر جديد، ينجلي بكل أمل بعيد، ورويت مزرعة الحق بدمائنا، وسعد عبّاد الحق ببلائنا، ودوى العالم بتكبيرنا، وعمرت كعبات مَن ترابنا. وأنزل الحق كلمة (اقرأ) فينا، ثم قسم رزقه بأيدينا. فإن يكن ذهب منا الخاتم والتاج، فلا تحقر ذلك الفقير المحتاج. إن نكن بزعمك مفسدين، وبالأفكار العتيقة مغرمين، فنحن لا نزال الأحرار أنصار التوحيد، قوامين على العالمين والله شهيد فرغنا من غم اليوم والغد، وحالفنا الله الأحد، فنحن في قلب الحق سر مكنون، ونحن ورثة محمد وموسى وهارون. لا نزال نورنا في الشمس والقمر مصوناً، ولا يزال سحابنا بالبرق مشحوناً إن ذات المسلم مرآة الحق. وإن وجود المسلم من آيات الحق

***

هذه أمثلة قليلة من شعر إقبال، ولإقبال من الآراء والفكر والخيالات ما يستعصى على الحصر. ولكن يستطيع دارس شعره أن يقول إن أدبه يتناول العالم كله، وأن فلسفته تقوم على قواعد أبينها القوة — قوة الفرد وقوة الجماعة وقوة الأخلاق — والاستقلال الذي لا يعرف التقاليد، والحرية التي لا تضيقها قيود، والجمال في الأنفس والآفاق.

ومقصده الأعلى تهذيب الإنسان وخاصة المسلم، يشرح له من حقائق الحياة، ويبين له من مثل الفضيلة، ، ويكشف له عن أسرار الإسلام ومجد المسلمين الأولين حتى يملأه قوة وحماساً وأملاً وإقداماً، ثم يوجهه في معترك الحياة إلى الغاية التي عندها شرف الدنيا والآخرة. وليس يتسع المقام لتفصيل الكلام في فلسفة هذا الرجل العظيم وأدبه. وعسى أن أوفق إلى الإفاضة في ذلك من بعد: « إن الذي يعرف إقبالاً يعرف مصيبة العالم الاسلامي والأدب البشري بموته »

عبد الوهاب عزام

في اللغة

مجبر ومجبور

لأستاذ جليل

اطلعت عند أحد معارفى من الطُّرَّاء[1] اللبنانيين فى هذه (البحرة[2]) على كراسة ظهرت منذ أسابيع لفاضل كان قد جاء إلى مصر قبل الحرب الكبرى — أعادها الله جذَعة[3] — وكتب فى مجلات القاهرة وجرائدها برهة، وهو الأستاذ (إدوار مرقص) من أعضاء المجمع العلمى العربى ومن المشهورين فى برّ الشام. والكراسة هى فى اللغة ونقد كلمات، وقد تصفحت صفحات منها، فوجدته يقول فى إحداها: « يقولون إنه مجبور على كذا، والصحيح مجبر عليه أى مكره عليه، والفعل أجبر »

وإن قول القائلين: (إنه مجبور على كذا) لصحيح، والتغليط غالط، لجَبر مثل أجبر، وكان ابن قتيبة قال فى كتابه (أدب الكتَّاب): « ويجىء أفعلت مخالفة لفعلت نحو أجبرت فلاناً على الأمر وجبرت العظم » فقال البطليوسى فى (الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب): « قد حكى أبو إسحق الزجاج وغيره جبرت الرجل على الأمر وأجبرته إذا أكرهته عليه، ومنه قيل للفرقة التى تقول بالاجبار: جبرية[4]، وجبرية لا تكون إلا من جبر »

وفى (القاموس): « وجبره على الأمر كأجبره »

وفى (اللسان)، قال الأزهرى: « كان الشافعى يقول: (جبر السلطان) وهو حجازى فصيح. فهما لغتان جيدتان جبرته وأجبرته »

وفى (الفائق): « فقيل: يارسول الله، أليس الطريق يجمع التاجر وابن السبيل والمستبضع والمجبور، المجبور المجبر على الخروج يقال: جبره على الأمر وأجبره » فسوّى الزمخشري بين اللفظتين ولم يقل أجبر هى أعلى وأكثر

وفى (الملل والنحل) للشهرستانى، — وهذا من مقالة الجهمية — وفيه مجبور: « إن الانسان ليس يقدر على كل شىء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور فى أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار[1]، وإنما يخلق الله الأفعال فيه على حسب ما يخلق فى سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس وغربت، وتغيمت السماء وأمطرت، وأزهرت الأرض وأنبتت إلى غير ذلك »

فالمرء مجبر، مجبور كل المجبور كما تقول (الجهمية) الجبرية الخالصة. و (الأشعرية والماتُريدية) جبرية متوسطة

جَبْران: جَبْرٌ فى الأرض، وجبر فى السماء. فقل لى — يا أخا العرب —: هل يتحرر الانسان بعد آلاف من السنين أو بعد آلاف من القرون فيعود[2] يقدر أو يريد كما تقول (القَدَرِيَّة)

« الاسكندرية » « *** »

---

(١) يقال للغرباء الطراء (اللسان) وهو من تساء تلك الكورة إذا كان أصله منها، ويقال: أمن تنائها أنت أم من طرائها (الأساس)

(٢) البحرة المدينة، يقولون: هذه بحرتنا أى أرضنا وبلدتنا (الفائق)

(٣) أعدت الأمر جذعاً أى جديداً كما بدأ (اللسان) وطفئت حرب بين قوم فقال أحدهم إن شئتم أعدناها جذعة (الأساس) وقد ورد هذا القول فى اللسان فحركت طاء طفئت بالضم وفاؤها بالكسر، والفعل هو ما سمي فاعله، وزيد قبله لفظة (إذا) فاضطربت الجملة

(٤) الجبرية بالتحريك خلاف القدرية والتسكين لحن أو هو الصواب والتحريك للازدواج (القاموس) فى الفصيح — يعنى الكتاب — قوم جبرية بسكون الباء، وهذا — أى لفظ الجبرية — فى قول المتقدمين وأما فى عرف المتكلمين فيقال لهم المجبرة (التاج)

(١) يقولون ليس للعبد قدرة وأن الحركات الارادية بمثابة الرعدة والرعشة (التاج)

(٢) العود بمعنى الصيرورة، وهو كثير فى كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد، ما عدت أراه، عاد لا يكلمنى ما عاد لفلان مال (الكشاف)

بين الرافعي والعقـــاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٥ —

« تحرقك النار أن تراها ، بله أن تصلاها »

منذ تسعمائة سنة قال الخفاجي حين ذكر البلاغة :

« لم أر أقل من العارفين بهذه الصناعة ، والمطبوعين على (فهمها) و (نقدها) مع كثرة من (يدعى) ذلك ، ويتحلى به ، وينتسب إلى أهله ، ويمارى أصحابه فى المجالس ، ويجارى أربابه فى المحافل . وقد كنت (أظن) أن هذا شىء مقصور على (زماننا) اليوم ، ومعروف فى (بلادنا) هذه ، حتى وجدت هذا (الداء) قد أعيا أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، وأبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قبله وأشكالهما حتى ذكراه فى كتبهما ، فعلمت أن (العادة به جارية) ، و (الرزية فيه قديمة) . ولما ذكرته رجوت الانتفاع به من هذا الكتاب ، أملت وقوع الفائدة به ، إذ كان (النقص) فيما أبنته شاملاً ، و (الجهل) به عامًّا ، والعارفون به قُرحة الأدهم بالإضافة إلى غيرهم ، والنسبة إلى سواهم »

***

ومع ذلك ... فالأستاذ سيد قطب أحد (الاخصائيين !!) فى اللغة التى نعبر بها

عاد الأستاذ الفاضل سيد قطب بحديثه عن الرافعىّ ، ثم عقب عليه بالحديث عنى وعما كتبت فى الكلمات السالفة . وكنت عزمت أن أدعه حتى يشفى ذات صدره من الرافعىّ ومنى ؛ وكنت أجمت الرأى على أمر ، ثم هأنذا أتحلل من عزيمتى ... ومرة أخرى أقول كما قلت فى الكلمة الأولى : إنى سأتولج فيما لا أحب ... لا كرامة للأستاذ أو استجابة لدعائه بل لميط الأذى ... بل لميط الأذى حسبُ

ولقد علم من لم يكن يعلم أنى كتبت ماسلف هادئاً لا أهاجم ، إلا أن أترفق وأستأنى وأتصبر على كلام ينفد معه صبر الحليم ... وأنا وإن كنت لا أبالى بشىء مما يصف الأستاذ الكامل به كلامى فأنا لا زلت أحفظ للقراء عهدهم قِبَلَ الكُتّاب ، فلا أدع القارئ عرضة لرجل يفهم القول الرفيع بالفهم الوضيع ، ولا لرجل يسيء القول فى الناس ويأبى عليهم أن يقولوا له أسأت فأجمِل ، ولا لرجل يرى الظل ممدوداً له — زمن القيظ — فيتجنبه إلى وقدة الشمس ...

فهكذا أبى الأستاذ أن يأوى إلى مأوى يقيه ، وتجرد يختال علينا ، ويقتال إلى نفسه جريرة شر . وما ظنى وظنك برجل يصف الرافعىّ بألفاظ ملفقة ، وهى على ذلك بينة الدلالة على قبح الغرض ، سافرة عن شنعة الاساءة ، قليلة التذمم فى حق الأحياء بَلْهَ الأموات ممن لم يجف عن قبورهم بعدُ دموع أزواجهم وأطفالهم وذراريهم ومن يمتون إليهم بالحب والمودة والأخاء ؟

وما ظنى وظنك بإنسان قد حُمِّل القلم ليستملى ، فيتنزل عليه القول من بغضاء مربدة باغيـة لا تتقى سوء المقال ولا مأثور الكلام ؟

وما ظنى وظنك بفهم يتعالى على سلاليم من القوارص والقواذع ، لا تجد لهـا فى الذى تعرف سبباً قديماً أو علة محدثة تسوّغ الأذى أو تحمل عليه ؟

ما ظنى وظنك بهذا الرجل الذى نترفق به ونستر (نفسه ودافعها فى الحياة) بالاشارة اللطيفة ، فيأبى إلا أن يترجم القول إلى غير معناه ... إذ يسمى ما كتبت له (شتائم) .. شتائم .. ! أنف فى السماء ... أأنا يدور فى نفسى أن أكتب للأستاذ الفاضل ما يسمى (شتائم) ؟ لأنا يا سيدى الأستاذ قطب أحسن ظناً بك من هذا . ولقد قلت ما قلت من أن الناس كانوا يتعايشون بالدين والتقوى ثم رفع ذلك — كما قال الشعبى — فتعايشوا بالتذمم والحياء ؛ ثم رفع ذلك ، ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة ، ثم رفع ذلك ، وجاء زمان يتعايش الناس فيه (بِشَلْب الموتى) ... وهو زماننا هذا . ولو قد كنت (إخصائياً !) فى اللغة التى يعبر بها لما زعمت أنى (رحت أتهمك بمجانبة الدين والتقوى ، والحياء والتذمم) فأنا لم أقصد إلى ذلك ، فهو أمر قد فرغ من الحكم فيه صاحبنا الشعبى . وما كان قصدى إلا أن الذى كتبت أنت عن الرافعى الذى مات وسكت ، والعقاد الذى بقى يتكلم ، بل عنهما معاً فى قران واحد ، هو ثَلب للموتى وزُلفى للأحياء . وحق لى أن أقول

ذلك فقد جمت بين الرجلين ، فوضمت الميت موضماً لا يتنزل إليه حيٌّ في الضمة ، ورفعت الحي مكاناً لا يسمو إليه أحد في الرفعة ، وضربت الكلام من هنا ومن هنا حتى استبان الغرض ...

أريد (الاخصائى !) الفاضل أن نبين له موضع الاشارة فى كلامنا هذا ... ؟ إذن فليسمع

حين قرأت الكلمة الأولى من حديثه فى الرسالة ، لم أشك ساعة أنه يختدع القارئ عن نفسه يبتغى أن يُفهمه أنه يريد النقد ، والنقد حسب ، ولا شىء غير النقد ! وألح فى ذلك إلحاح الظنين في الاكثار مما ينفى الظِّـنَّة عنه ، غافلا عن أن تكاف نفى التهمة بالإلحاح يثير الشك ويوقظ الريبة فى نفس من أراد الله له الخير ... ثم يشرع الأستاذ (الاخصائى فى اللغة التى نعبر بها) يأتى بالشواهد من كلام الرافعى فى نقد (وحى الأربعين للمقاد) ليثبت صدق ما ذهب إليه من الآراء فى الرافعى

كان يشك فى « إنسانية » الرافعي ، ويزعم أنه خواء من النفس

ثم قرأ ما كتب الأستاذ سعيد العريان فعدّل حكمه قليلا ! ولم يعد يستشعر البغض والكراهية للرجل وأدبه ، ولكن بقى الأساس سليما ... فما هو ؟

كان ينكر على الرافعى « الإنسانية » فأصبح ينكر عليه « الطبع »

وكان لا يجد عنده « الأدب الفنى » فأصبح لا يجد عنده « الأدب النفسى »

وكان الرافعى ذكياً قوى الذهن ، ولكنه مغلق من ناحية الطبع والأريحية

والرافعى أديب الذهن الوضاء ، والذكاء اللماع !

والرافعى مغلق القلب متفتح العقل وحده للفتات والومضات .

هذا فى المقالة الأولى ، ثم نزل درجة بالرافعى فى الكلمة الثانية ، ثم لم يكد يرى الثالثة حتى زعم أنه حين عاد بعد ذلك فقرأ رسائل الأحزان أحس أنه (خُدع !) فى — قياس ذكاء — الرافعى ! ومعرفة طبيعته ودرجته ! ولكنه يحس النضاضة فى هذا التراجع فيمزّيه « الصدق » ! الذى يعبِّر عنه حين ينصت لإحساسه ويصور حقيقة رأيه ... وتأويل ذلك عنده فى مقاله الثالث أنه أخطأ فى عدم ! تحديد (الذهن) ... فمن الذهن ما هو سليم أو مريض ، ومنه ما هو مشرقٌ أو خابٍ ، وماهو متفتح أو مغلق ، (أو كما قال) ...

لقد قال في الكلمة الأولى ما رأيت ، ثم قال فى الثالثة ما رأيت من تراجعه ؛ ولقد كان هذا التراجع فى الثالثة مطوياً تحت الكلمات فى الأولى وفهمناه وأدركناه ، وكان آخر الرأيين هو الغرض الذى يسعى إليه . وإلا فما أظن أحداً يستطيع أن يعقل أن (ناقداً) قد فرض على نفسه النقد — أى التتبع والاستيعاب وصدق النظر — يصف رجلا « بالذهن الوضاء » « والذكاء اللماع » والقوة فى الذهن ، والتفتح فى العقل ، ثم لا تمضى عشرة أيام ... فيقرأ أحد كتب هذا الرجل ، فيعود يقول فى صفته إن ذهنه مريض غير سليم ، «خاب غير مشرق» ، « مغلق غير متفتح »

أريد الأستاذ (الأخصائى فى اللغة التى نعبر بها) بياناً هو أوضح من هـذا على سوء غرضه ..؟ الناقد رجل عدل مُنصف لا يزال يتتبع شوارد اللفظ ، وأوابد المعاني يستنبئها أخبار أصحابها ويستنبط من قلوبها أسرار كتابها ، ويكشف عنها خبيئة قائليها .. ، ثم يحكم مميزاً مقدرا لا يجورُ فيتجاوز الغاية ، ولا يحيف فيقعُ دون المدى . وقد حكم هذا (الاخصائىُّ !!) فى كلته الأولى حكمه الأول حين (استطاع أن يكون ناقداً ، لا يكتفى بالتذوق والاستحسان أو الاستهجان ، ولكن يعلل ما يحس ويحلله) !! كما قال فى بدء كلامه

أوليس يقتضى هذا — على الأقل — أن يكون قرأ كل ما طُبع من كتب الرافعى دون ما تفرق من كلامه فى الجرائد والمجلات على كثرتها ..؟ بلى

أوليس يقتضي هذا — على الأقل أيضاً — أن يكون حين حُكمه قد استردَّ شتات ما بقى فى نفسه من آثار كلام الرافعى فيها ؟ قالوا بلى

أوليس يقتضى حق النقد والحكم — على الأقل أيضاً — ألا يصفَ الرافعى بالذكاء اللماع ، والذهن الوضاء ... وهـذا

الكلام المفخم — إلا أن يكون ذلك من آثار ما قرأ له من شيء ..؟ قالوا بلى

إذن فكيف — فى عشرة أيام ياسيدى — يستطيع كتاب واحد للرافعى هو « رسائل الأحزان » أن يقلب — هـذا (الأخصائى فى اللغة التى نعبر بها) ، وهذا الذى (استطاع !! أن يكون ناقدا) — رأسا على عقب ، فلا يكتفى بسلب النعوت المفخمة (كالوضاء واللماع والمتفتح) فيترك الذهن هكذا مجردا، بل يضع مكانها أضدادها فيجعله ذهنا « مربضاً خابياً غير لماع ولا وضاء ، مغلقاً غير متفتح »

هآه ... إنى لأشك كل الشك فى براءة الأستاذ مما غاظه من كلتى الأولى مما سماه (شتائم) . ولقد شهدت مرة أخري « أن ما بالأستاذ قطب النقد ، ولابه الأدب ، ولا به تقدير أدب العقاد وشعره ، فما هو إلا الانسان وجه يكشفه النور ويشف عما به ، وباطن قد انطوى على ظلماته فما ينفذ إلى غيبه إلا علم الله » . ولا زلت أقول له : « إنه لو عاد إلى داره مخلى من حوافز الحياة الدنيا» فقرأ ما كتب قراءة الناقد لوجد الاختلاط فى لفظه بيناً ، والغرض من ورائها متكشفاً . ولو شئنا أن نقول لقلنا فلم نكذب : إن كلامه لمشترك بين ضربين من العقل أحدهما ظاهر نعرفه ولا ننكره لأنه مما عهدناه زماناً ، والآخر ظاهر أيضاً ... نعرفه وننكره ، لأنه مما استحدث بعد الرافعى رحمة الله عليه

وأما الأديب الكبير ! الذى لق الأستاذ (الاخصائى فى اللغة التى نعبر بها) فضرب لنا الأمثال « بالجماعة الذين يجلسون فى المأتم ويرجمون الناس بالحجارة ، فاذا رجمهم الناس صاحوا وولولوا ، وملأوا الدنيا تسخطاً ونعياً على الأخلاق ، لأن الناس لا يقدرون حرمة المأتم ، وهم الذين استهانوا بهذه الحرمة حينما رجموا المارة » . فان شاء أن يختفى فى ألفاظ الأستاذ (الاخصائى!) فهو عتيق جبنه ، وإن شاء أن يظهر من ورائه فسيرى كيف عرفناه من لفظه ومن أمثاله

وأيما كان ... فالمثل فاسد من وجوهه كلها ... فان الأستاذ سعيد حين كتب لم يرجم أحداً ، وإنما كتب تاريخاً ؛ وحين قال إن رد العقاد على الرافعى سباب وشتائم ، فهو لم يكن إلا كذلك ، ولا يمكن أن يقال فيه إلا ذلك ... إذ ليس فيه شيء مما يسوغ أن يعد رداً أو نقداً ... حتى ولا على طريقة الأستاذ (الاخصائى!) فى حل المنظوم ووصفه بالدعابة والطرافة والحيوية ... وما إلى ذلك من اللفظ الذى لا يتخذه ناقد إلا بعد الابانة عن حجته وسبيله . أو كما قال الأستاذ (الاخصائى !) فى كلمته الأولى « فى الناقد الذى لا يكتفى بالتذوق والاستحسان والاستهجان ، ولكن يعلل ! ما يحس ويحلله »

ومع ذلك فهل يرى أحد أن (حل المنظوم) فى ألفاظ ملفقة مذيلة ، ثم نعته بالطرافة والحيوية ... الخ ، هو التعليل والتحليل الذى يتخذه النقاد أسلوباً لهم ؟

ومع ذلك أيضاً ... فلو فرض أن « سعيداً » رجم المارة ، والمارة ههنا هم الأستاذ العقاد وحده ، فلم تطفل الأستاذ (الأخصائى) فقاذف الأستاذ العريان ؟ ولم لم يدع ذلك للمرجوم نفسه ... ؟

ثم وراء ذلك كله .. تطفل (الأستاذ الأخصائى !) للقذف والرجم ، فلم لم يخص سعيداً وحده دون أصدقاء الرافعى وأصحابه يتحداهم ويتناولهم بالأذى غير متذمم ... كأن أصدقاء الرافعى وأصحابه هم الذين كتبوا لسعيد ما كتب ! !

* * *

وبعد فهذه كلمة كتبناها لنقرر حقيقة واحدة هى أن الأستاذ (الأخصائى فى اللغة التى نعبر بها) ، كان فى أول حديثه عني — حين انتهى من حديث الرافعي — يضطرب ويؤخذ ويتناوح كأنه قصبة مرضوضة معلقة على عود هش قد يبس ... أريد أن أقول بلفظ آخر إنه كان يضطرب لأن حججه التى يتعلق بها حجج فاسدة ، وإن أصل كلامه عن الرافعى خاو يتصدع ، وإن فكره فى الذى كتب لم يستقر على شيء صحيح لا يختلف عليه

وسيرى فيما يستقبل من كلامنا أنه قد عجز كل العجز عن الاتيان بشيء يمكن أن يسمى نقداً . وسيرى أيضاً أن النقد الذى نأخذ أنفسنا به لا يجور على العقاد ، ولا يميل بنا إلى الرافعى . ويكفيه مما مضى فى كلامنا وكلامه أن يعلم أنه نزه العقاد ورفعه أرفع درجة ، وأننا لم ننزه الرافعى ولم نقل فيه بعض ما يقول هو فى الشاعر الكبير صاحبه

محمود محمد شاكر

بين العقاد والرافعي

للأستاذ سيد قطب

— ٦ —

جاء فى حديث الأستاذ سعيد العريان عما بين العقاد والرافعى :

« أصدر العقاد ديوان « وحى الأربعين » فى سنة ١٩٣٣ ، والسياسة المصرية يومئذ تسير فى طريق مموج ، وحكومة صدقى باشا تمكن لنفسها بالحديد والنار ، و « الوفد » ومن ورائه الأمة كلها يجاهد حكم الفرد ويكافح للخلاص ، والعقاد يومئذ هو كاتب الوفد الأول ، يكتب المقالة السياسية فترن رنيناً ، ويتلقفها آلاف القراء بلهفة وشوق ، فى كل مدينة وكل قرية ، فلا عجب أن يكون العقاد بذلك عند عامة القراء ، هو أبلغ من كتب وأشعر من نظم ، حتى ليؤول أمره من بعد إلى أن ينحله الدكتور طه حسين بك الوفدى المتحمس ، لقب « أمير الشعراء » تملقاً للشعب ونزولا على هواه »

ثم قال كلاماً آخر يمت إلى هذا الكلام ، ويضرب على نغمته ويرجع انتصار العقاد على الرافعى فى المعركة عند غالبية القراء إلى هذه العوامل السياسية . وكان هذا وأمثاله من الأسباب الأولى التى حفزتنى للكتابة فى الموضوع الذى أكتب فيه ، لأنها ندت عن التاريخ إلى الحكم والتعليق والترجيح

* * *

يخطئ الذين يعتقدون أن العقاد يستمد قوته من ظروف طارئة أو قوى خارجة عن ذاته ، كالسياسة ، والحزبية ، والصحافة ... الخ

والبراهين على ذلك شتى

فلقد قيل إن العقاد كان قوياً بأن كان « كاتب الوفد الأول » ولكن العقاد خرج على الوفد أول الخارجين فى إبان قوته وسطوته ، وبعد تجربة فى الخروج عليه ذهب بها إلى عالم النسيان ثمانية من أعضائه يتابعهم ثلاثون من الهيئة الوفدية

وقد لقى من الكيد ، ووسائل النضال ، الظاهرة والخفية ، البريئة والشائنة ، ما لو وجه إلى هيئة كاملة لضعضعها . فماذا كانت عاقبة هذا الخروج ؟

لقد بقى العقاد هو « الكاتب الجبار » ، وتضعضع خصومه ووراءهم قوة العدد ، وقوة الحكم ، وقوة المال ، وقوة الماضى الوطنى ، وكل قوة مأمولة فى الوجود !

ثم قيل : إن العقاد يستمد قوته من الصحافة ؛ ولكنه طوى قلمه عامين كاملين وكان ذلك بعض ما دبره له خصومه الأقوياء . فماذا كانت العاقبة ؟

لقد بقى العقاد مع ذلك جهير الصوت ، مسموع الرأى ، وأخرج للناس فى هذه الفترة ثلاثة مؤلفات : أحدها « سعد زغلول » وهو يكفى وحده لخلود كاتب عظيم ، وبقى خصومه يحسبون حسابه ، ويتوقون قلمه ، وبقى كل فرد فى القراء يرتقب عودته إلى الميدان ... وقد عاد !

ثم لماذا يكون العقاد قوياً بالسياسة وحدها ، وخصومه — ومنهم الرافعى — كانوا يلجأون إلى الدين ، وهو أقوى أثراً من السياسة ، وأتباعه أكثر من أتباعها ، فلمَ لم تكن لهم الغلبة وسلاحهم أقوى وأبرز ؟

الحق ، أن كل هذه تعلات وأوهام ، وخطأ فى تقدير أسباب الغلبة ، ووسائل البروز ، وإغفال للقوى الذاتية الكامنة التى هى مدار كل نصر وظهور فى عالم الوجود

ألف حزب سياسى ، وألف صحافة ، وألف مناسبة طارئة ، لم تكن كفيلة بابراز العقاد ، لو لم يكن العقاد نفسه قوة من قوة الطبيعة ، وطاقة من طاقة الحياة ؛ ولو لم تكن فى أطواء نفسه ومواهبه ، بذور العظمة ، وخميرة التفوق ، ودوافع النهوض

إنما انتصر العقاد لأنه يكتب فى السياسة بالهام من الوطنية ، ثم يجنح بالوطنية إلى النزعة الانسانية ، وينفق فى هذا كله من ذخيرة روحية لا تفنى

والحقيقة أن العقاد — مع هذا — مغبون أشد الغبن ، فى مدى شهرته ، وفى نوع شهرته . مغبون لأنه فى بيئة بينه وبينها عشرات الأميال من الفوارق والخطوات ، وقل فيها من يتابعه فى سموقه ، أو يترسم خطاه على بعد المسافة . ومغبون لأنه ليس

معروفاً بخير ما فيه ، لأن خير إنتاجه يتطلب قراء من نوع مفقود أو شبه مفقود

ولو فهم ذلك بعض من نفسوا عليه وحقدوا ، لأراحوا بالهم بعض الشيء ، أو لعلهم كانوا يزيدون عداء وحقداً ...

* * *

ويخطىء الذين يحاولون أن يدرسوا العقاد — ولا أقول ينقدونه — وكل محصولهم من الثقافة ، كتب لغوية درسوها ، وكتب أدبية فهموها من آداب اللغة العربية . فليس العقاد أديب لغة وأديب أسلوب ، حتى تكفى اللغة ويكفى الأدب الخالص فى فهمه ، ولكن نتاج العقاد مجتمع ثقافات ودراسات قديمة وحديثة ، عربية وغير عربية ، مصهورة فى بوتقة طبيعة ممتازة ، ونفس رحبة ، وذهن مشرق ، ومواهب تنتفع بالثقافة ، وتعلو على حدود الثقافات !

ولقد رقيت إلى محاولة استيعاب العقاد — وأفلحت إلى مدى — على درج من دراسات شخصية جمة ، ليست دراسة الأدب العربى ولا اللغة العربية إلا أولى خطواتها . دراسات تشمل كل ما نقل إلى اللغة العربية — على وجه التقريب — من الآداب الأفرنجية : قصة ورواية وشعراً ؛ ومن المباحث النفسية الحديثة : نظريات العقل الباطن والتحليل النفسى والمشلكية .. الخ ومن المباحث الاجتماعية والمذاهب القديمة والحديثة ومن مباحث علم الأحياء — بقدرما استطعت — وما نشر عن دارون ونظريته ومن مباحث الضوء فى الطبيعة ، والتجارب الكيماوية . ومما استطعت أن أفهمه عن اينشتين والنسبية ، وعن بناء الكون وتحليل الذرة ، وعلاقته بالاشعاع ... الخ

ولا أفصل أو أتوسع فى هذا ، فحسبى أن أقول : إننى انتفعت بكل معرب أو مؤلف ، عن النظريات العلمية والفلسفية الحديثة فى شتى أنواع الثقافة ، مدفوعاً فى ذلك بميل طبيعى ، كان يسيّرنى — دون إرادة — حينما أتناول صحيفة كالمقتطف مثلاً أن أبدأ بقراءة البحوث النفسية ، ومباحث علم الحياة ، وما قد تتضمنه عن علم وظائف الأعضاء ، وعن تحطيم الذرة ... وما أشبه ذلك قبل أن أتناول ما بها من بحث أدبى أو قصيدة !

وبكل هذه الثقافات بعد الثقافة الأدبية ، وبعد استعداد نفسى انتفعت فى فهم العقاد واستيعابه إلى حد ما . وسأزداد له فهماً كلما اتسع مدى ثقافتى ، وتفتحت جوانب نفسى ، وقويت نوازع الحياة فيها

فالذين يحسبون الأدب مادة لغة أو أسلوب ، ويعتمدون على نفوس ضيقة وأذهان محدودة ، وثقافة من لون واحد ، لا يصح لهم أن يطمعوا فى دراسة العقاد ، ولا يجوز منهم أن ينقدوا العقاد ، لأن أدواتهم لا تزال ناقصة ، أو معدومة فيما يتصدون له . بينما الرافعى أستاذهم لغة وأسلوب متى فهما لم يبق شيء وراءهما غير مفهوم ؛ فهو سهل جداً لا يكلف مجهوداً ولا عناء .

واللغة والأسلوب وحدهما لم يكونا كافيين لدراسة أى شاعر عربى عظيم ، فى وقت لم تكن الثقافة الإنسانية قد بلغت مبلغها الآن ، والذين يراعون اللغة والأدب المحض وحدهما لا يستطيعون دراسة المتنبى ولا المعرى ، بل لا يستطيعون دراسة ابن الرومى وأبى نواس ، لأن جداول من الفلسفة ومن الفلك والطب والتنجيم وسواها ، قد صبت فى ثقافاتهم ؛ فكان لابد من قسط يعادلها عند نقادهم مع الاستعداد النفسى الأصيل إذا شاءوا النقد على حقيقته

وأقرب مثل على فساد النقد الذى يتصدى له اللغويون والأسلوبيون ، ما أورده الأستاذ محمود محمد شاكر عن قزح وقوسه ، وناقشته فيه فى العدد الماضى . فهو يأخذ على العقاد نقده لبيت شوقى :

قصراً أرى أم فلكا وشجراً أم قزحا

وذلك لأن العقاد قد قال بعد هذا :

ألقى لهنّ بقوســـه قزح وأدبر وانصرف

فلبسن من أســلابه شتى المطارف والطرف

وفساد هــذا المأخذ أن الأستاذ لا يفرق بين صورة لغوية وصورة ذهنية خيالية . فلفظة « قزح » فى بيت شوقى ، لا تزيد على أنها « لفظة » لغوية ليس وراءها صورة ذهنية متخيلة مقصودة . فالمرجع فيها إلى القاموس ، والقول قول القاموس ؛ أما هى عند العقاد ، فتعنى « حالة » خاصة مطلوبة ، فيها قزح ملك الألوان ، ممسكا قوسه ، وهؤلاء الحسان ينازعنه عليها ، فيغلبنه ، فيسلم

بالقبلة ، ويلقى قوسه وسلاحه وينصرف فلبسن منها شتى الطارف والطرف . فالمرجع هنا للذهن والذوق لا للقاموس

وقد عانى الرافعى ما عاناه شاكر ، وما تعانيه المدرسة الرافعية كلها فى تفسير العقاد ، لأن عدتها للنقد من استعداد طبيعى وثقافة مكسوبة ، شيء قليل

* * *

ولا حيلة فى فهم كثير من أدب العقاد بغير الاستعداد الطبيعى ، مع لون من ألوان الثقافة الإنسانية الحديثة . والأمثال على ذلك قد توضح ما سبق من إجمال . فها هى ذى قطعة من « وحى الأربعين » بعنوان : « سعادة فى قمقم »

هنا قمقم سابح فى الدم ... أسائلُ عنه ولم أعلم
جهلتُ خباياه حتى أنى ... عريف الطلاسم بالمعجم
ففيه كما قيل مسجونة ... سعادة بعض بنى آدم
يجن جنونا بنور الضحى ... وتذبل فى حبسها المظلم
وقد زعموا أن إطلاقها ... رهين بهمة ذاك الفم :
بسر على شفتى فاتن ... يباح إلى شفتى مغرم
فهل أنت مطلقها منعما ... فديتك أم لست بالمنعم ؟
وما أنا بالمشتهى قبلة ... ولا بالحريص على مغنم
ولكنما أنا أبكي أسى ... لتلك الشهيدة فى القمقم !

فهل فهم الرافعيون شيئاً من هذه القطعة مع وضوح كل لفظة فيها وكل عبارة ؟ وكيف يستطيع فهمها من لم يدرس شيئاً عن نظرية فرويد فى « العقل الباطن » ويكون مع هذا على استعداد لأن يحس ، بأن النوازع والرغبات المكبوتة فى النفس والأشجان والبلابل والاضطرابات التى تعتريها فى إبان ضرام الحب ، تظل تمتلج فى النفس ، وتقلقها وتهزها هزا كواد البركان المكتوم ، حتى ينفس عنها ، ويتاح لها التعبير ، فاذا هى سعادة وهدوء وراحة

هذا ما يقوله العقاد فى ثوب من الفن ، وجمال من التعبير ! عواطفه الثائرة ، وبلابله المضطرمة ، هي نفسها سعادة حبيسة إذا أتيح لها الكشف والتعبير ، وكيف يكون التعبير ؟ يكون بقبلة على « شفتي فاتن » تبيح السر إلى شفتى مغرم ، وعندئذ تنطلق « تلك الشهيدة فى القمقم التى يبكى لها أسى .

فهنا النظرية العلمية ، والحقيقة المدركة ، والفن العالى ، والدعابة القوية ، والغزل الشفاف ، تلتق كلها فى قطعة قصيرة ، يطلب بها قبلة !

وإليك مثالا آخر فى « عابر سبيل » تحت عنوان « ابنا النور — الزهر يخاطب الجوهر »

يا جوهر الحسن لا تضمنى ... لديك بالموضع المهان
فالزهر والجوهر المصفى ... صنوان فى النور توأمان
أشـعة النور فى يدينا ... وديمة أو وديمتان
لكننا بيننا اختلفنا ... يا جوهر الحسن فى الصيان
تصونها أنت من بعيد ... بالسيف والرمح والسنان
ولم تزل فى يدىّ كنزاً ... يصان بالعطف والحنان
ومعدن النور فىّ حى ... وفيك معنى الحياة فان
فيا زماناً بلا حياة ... إلى حياة بلا زمان
كل له من أبيه حظ ... ونحن بالحظ راضيان

فمن أين يدرك قارئ ما فى مثل هذه القطعة من جمال ، قبل أن يعرف المادة الخاصة لفهمها من دراسة « الضوء » وتوزيعه وأثره فى الأحياء وغير الأحياء ، ونصيب الزهرة منه ونصيب اللؤلؤة ، ثم يضيف إلى هذا عاطفته هو ، وإحساسه بمظاهر الحياة وعطفه على الزهرة الحية التى تحفظ كنز النور بالعطف والحنان ... الخ

* * *

وقد اخترت هاتين القطعتين ، تتطلبان دراسة علمية للنفس أو للضوء ، ووراءهما كثير مما يتطلب دراسات أخرى أعمق وأوسع وأرق فى مدارج المعرفة الانسانية ، فيحسن أن أنبه إلى أن هذه الدراسات ليست هى كل ما فى نتاج العقاد ، ولا هى خير ما فيه ، فان وراءها ذخيرة نفسية وطاقة روحية ، وإشراقاً ذهنياً ، وهذه المواهب هى التى تحيل تلك الثقافات فناً سائغاً ، ولكنه فن صعب المرتقى ؛ تبدأ درجاته بالثقافة وتنتهى بفسحة النفس ، ورحابة الحس ، وتوفز الشعور . وليس كل من درس تلك النظريات بقادر على فهم العقاد ما لم يكن ذا نفس وقلب وحياة !

وموعدى مع القراء كلمات أخرى ، لعلنى بها أوضح الفروق الأساسية بين المدرستين ، فينكشف سبب الخلاف الأصيل بينهما ، ومقدار أصالة كل منهما ، وحقه فى الحياة والاحترام .

(حلوان)

سيد قطب

كلمة على الهامش

للأستاذ على الطنطاوى

أنا لا أحب أن أنزل إلى ميدان المناظرة بين الأستاذين الفحلين شاكر والعريان ، والأستاذ قطب ؛ لأنه لا يقوم لأحدهما بَلْه أن يعينهما عليه معين ، على أن الحق لعمرى يعينهما . ومع الحق بيان يجلو الحق ، ولغة فخمة كأن فيها روحاً من روح الرافعى رحمه الله ، ولهذا البيان قراء يبلغون مائة الألف انعقدت قلوبهم على محبة الرافعي وإجلاله ، وآمن منهم من آمن بأن الرافعى رجل لم يكتب بالعربية من هو أبلغ منه بلاغة ... فما حاجة ضعيف مثلى أن ينزل إلى الميدان ؟

وفيم الخلاف ؟ فى (انسانية) الرافعى ! ...

الأستاذ قطب يشك فى (انسانية) الرافعى ... أى أنه يشك فى انه انسان ، فاذا يكون إذن ؟

ثم ماذا ؟ ثم انه (على رأى سيد قطب) تنقصه المقيدة ! والعقيدة مشتقة من العقد ، قال فى اللسان : عقد قلبه على الشيء لزمه ... واعتقد كذا بقلبه أى رآه ، فلابد إذن لتمام كلمة الأستاذ قطب من أن يبين الشىء الذى ينقص الرافعى رضى الله عنه اعتقاده ، وإلا فكلامه لا معنى له فى العربية .. فهل ينقص الرافعى العقيدة في الدين ، أو فى الوطنية ، أو ينقصه اعتقاد مذهبه فى الأدب . أو ماذا ؟

أو هى الفاظ تساق ولا يدرى لمساقها غاية إلا التهويل بها على القراء ؟

هذه مسألة لا يصح أن يكون عليها خلاف ، أو تدور عليها رحى مناظرة ...

أما جوهر الخلاف بين أدب الرافعى وشعر العقاد ، فهو الخلاف بين الأسلوب الذى يعتمد على البيان والصحة والصناعة والجمال ، وبين الأسلوب الذي يستند إلى المعنى المبتكر ، والصورة الجديدة ، لم يظهرهما لفظ قوى ، ولا أداء مستقيم . فالعقاد فى شعره مبتكر مجدد ، ولكنى أشبّه ألفاظه وهى تحمل معانيه ، بصبيان ضعاف مهازيل ، يحملون الصخور العظيمة فتسحقهم ويموتون تحت أثقالها ... كما أني أجد من الأساليب ما أشبه ألفاظه ومعانيه بعمالقة ضخام ، ولكنهم يحملون حفنة من الحصى

فالخلاف إذن على اللفظ والمعنى ، هذه المشكلة التى تكلم فيها الجاحظ ، ولم ينته القول فيها بعد . على ان فى إطلاق اللفظ والمعنى تجوزاً ، لأنه يستحيل أن يكون فى الوجود لفظ بلا معنى ، من يذكر كلمة السماء ولا يتصور هذه القبة الزرقاء ، أو يسمع اسم الكتاب ولا يذكر هذه الصحائف المجموعة ؟ كما يستحيل أن يكون معنى بلا لفظ ، لأن هذا المعنى يبقى خاطراً هاجساً فى نفس صاحبه لم يدخل نطاق الأدب . ولكن الكلام فى قطعتين أدبيتين ، إحداهما تزدان بالتعبير الجميل ، والأسلوب البارع ولكنها تصف شيئاً تافهاً ، أو تدور على معنى سخيف ، والثانية يتصور صاحبها ناحية من نواحى النفس البشرية ، أو ظاهرة من ظواهر الكون ، فتجيد التصور ولكنه يعجز عن التصوير ، فأى هاتين أسمى مقاماً وأدنى إلى الأدب الخالص ؟

هذه هى المسألة !

أما المتقدمون من نقدة الأدب العربى فأكثرهم على أن المعانى على قوارع الطرق ، وإنما يتفاضل الناس بالألفاظ . وليس معنى هذا احتقار المعنى وتهوين شأنه ، فإن للمعنى المقام الأول عند نقادنا . ونستطيع أن نقرأ الفصل القيم الذى عقده الامام الجرجانى فى الدلائل ، ولكن معناه أن الشعور بالجمال عام ، ولكن الناس يتفاضلون بالتعبير عنه ؛ إذا نظر جماعة من الناس إلى مغرب الشمس فى البحر ، أو بزوغ البدر من وراء الجبل ، أدركوا جميعاً جمال ما يرون (وإن كان كل يدرك على نسبة استعداده وهوى نفسه) ، وإن وقف جماعة فى موقف الوداع أحسوا جميعاً بالألم يغمر نفوسهم ، ولكن هذا الادراك وهذا الاحساس لا يسميان أدباً ، وإنما الأدب هو الصيغة اللفظية التى يعبر بها عن هذا الاحساس ؛ وعلى مقدار التوفيق فى هذه الصياغة تكون قيمة القطعة الأدبية

هذا هو الحق ، ولكن هذه الفئة من المجددين ، أرادت حين عجزت عن الأداء المستقيم والصياغة البارعة والديباجة الصافية أن تقلل من قيمتها وتحقرها ، وتسمى كل أديب يعرف للغته حقها وكل أديب آتاه الله ملكة قوية ، تسميه سطحياً فارغاً . ولقد

بلغ من فساد أذواق بعض هؤلاء المجددين أن قرأت مرة لواحد منهم فصلاً يقدم به لكتاب ، فوقع له فيه مجاز حلو أحسست لما قرأته بمثل ما أحس به حين تطلع على من الطريق فتاة جميلة ، وعجبت له من أين جاء به ، ولكن عجبي قد بطل حين رأيته يعتذر منه ، ويود أن يواريه كما يوارى المرء سوأته ، لأنه — زعم — يكون (بهلواناً) إذا جاء بمجاز حلو ، فليتصور القارئ أي شيء يكون الأدب إذا اطرح المجاز واقتصر على الحقيقة ؟

هذا سر الخلاف فى رأيي . والرافعيّ رضى الله عنه ، بلغ فى هذه الصناعة ، وفى توليد المعانى ، وفى نخل الألفاظ وتصفية الديباجة ما لم يبلغه كاتب عربى ، فلا عجب إذا أبغضه خصوم البيان العربى

***

والعجب من الأستاذ سيد قطب ! يأبى أن يناقش الأستاذ العريان لأنه لم يأت على أغراضه بدليل ... ثم ينقد أبياتاً للرافعى يقطر ماء السلاسة من أعطافها ، وتنطق كل كلمة فيها بألم صاحبها فى حبه ، وعذابه فى غرامه ، حين سمع أن للحب ليناً ووصالاً ، ولكنه لم ير إلا قساوته وجفاءه ، فهو يسأل المحبين كيف يكون هذا اللين ، وينظر حوله فإذا قد (قضى كل ذى دين فوفى غريمه) فيأسى ويألم لنفسه أن بقيت ديونه وحدها لم توف . ثم يمد يده ينظر هل من مسعد أو من معين ، ولكنه لا يريد مساعدة ولا عوناً ، هو هانئٌ بالحب لأن الحب أهناه حزينه ، قال :

من للمحب ؟ ومن يعنيه ؟ والحب أهناه حزينــه
أنا ما عرفت ســوى قسا وته فقولوا كيف لينــه
ان يقض دين ذوى الهوى فأنا الذى بقيــت ديونه

فلا يجد نقداً لهذه الأبيات الثلاثة (وثالثها مأخوذ من بيت كثير المشهور ، لم يتنبه لذلك سيد قطب) إلا أنها تقليد لشعراء الدول المتتابعة والمماليك فى مصر ...

هذا هو النقد الفنى عند الأستاذ سيد قطب !

***

ويقول الرافعي رضى الله عنه :

قلبي هو الذهب الكريم فلا يفارقه رنينــــه
قلبي هو الألمـــاس يعـ رف من أشعته ثمينــه

فلا يفهم سيد قطب من هذا التشبيه البليغ إلا (أنه يذكر قلبه فى سوق الجوهرات من الذهب والألماس معتقداً أن تلك المادن أثمن من القلوب لأنها تقوّم بالمال الكثير فى السوق) — مع أن الأستاذ قطب يدعى فى رأس مقاله بأنه أفهم لأدب الرافعى من الأستاذ العريان، فهو إذن يتعمد أن يتظاهر بأنه لم يفهم هذين البيتين لغرض فى نفسه ... ولا حيلة لنا معه فى ذلك !

والأنكى من ذلك كله ... أن ينقص هذا البيت الذى يعدل والله قصيدة ، بل ديواناً من دواوين الغزل :

قلبي يحب وإنمـــا أخلاقه فيــه ودينه

إن انتقاد هذا البيت وتشبيهه وما بعده بالخطب المنبرية الجافة تحقير للحب ، وتنزيل له إلى حيث يخالف الدين والأخلاق حتماً ، ودعوى ضمنية بأن الحب لا يستطيع أن يحتفظ بخلق ولا دين !

***

على أن الرافعي رحمه الله عيوباً ومزايا . وليس إلا الله خالياً من العيوب ، والرافعي مِلْك للنقد ، ولكن للنقد شرائط ... أولها أن يلقى الناقد عنه هواه ، ويطرّح بغضاءه . فان البغضاء تدفع إلى الظلم ، والهوي يعمى ويصمّ !

دمشق — علي الطنطاوى

ليلى المريضة في العراق

للدكتور زكي مبارك

— ٢٠ —

تأهبت ظمياء للكلام فاستوقفتها لحظتين لأنظر الأشرطة السينمائية التي يعرضها الشقاء أمام خيالي . فهالني أن أشهد ألوف المناظر وفيها المفرح والمحزن والأخضر والأسود ، وضجت في أذني تلك الكلمة الباغية التي قالها أحد الزملاء المصريين وقد ترامت الأخبار بما بيني وبين ليلى من خلاف ، قال ذلك الزميل وهو يلتهم حساء البقلة الحمقاء :

« كان رأيي من أول يوم أن الحكومة المصرية أخطأت في اختيار زكي مبارك لمداواة ليلى المريضة في العراق وهي تعلم أنه عجز عن مداواة ليلى المريضة في الزمالك »

أنا عجزت عن مداواة ليلى المريضة في الزمالك ؟

أنا ما عجزت ، وإنما رأيتها لئيمة لا تحفظ الجميل فضننتُ عليها بالطب والدواء ، وأخذت أدرس ماصرت إليه في هوى ليلى . فحب هذه المرأة هو أخطر ما عرفت في حياتي من ظلام وضلال

أحبك يا ليلى أحبك !

وإنما كان كذلك لأنه ابتدأ بالعطف ، عطف الصحيح على العليل ، والعطف يؤصّل جذور الحب ويهيّئ القلب للهيام المَشُوف

كانت ليلى تصح على يدي من يوم إلى يوم ، وكان حالي معها حال الجنّان الذي يتعهد إحدى الشجرات بالسقي والرعاية فتنمو عواطفه بنموها من حيث لا يعرف ، ثم تصبح الشجرة وهي معبودته من دون البستان

أحبك يا ليلى أحبك

ورأت ليلى شغفي فلم تفطن إليه ، ولعلها كانت تراه لوناً من ترفق الأطباء فمضت تناضلني نضال الصحيح للصحيح ، ولم تدر ما نقل المِشرط إلى دمي ، وآه ثم آه مما ينقل المشرط ، فالناس لا يفهمون كيف يعيش العليل وجسمه موبوء بالجراثيم على حين تكون جرثومة واحدة ينقلها المشرط إلى جسم الطبيب وهو صحيح كافية لقتل الطبيب

الناس لا يفهمون هذه الظاهرة وهي عندهم من الغرائب ولكن تعليلها سهل . وهي أول درس تلقيته بكلية الطب في باريس

السبب يرجع إلى شعور الطبيب بخطر الجراثيم ، فهو حين يشعر بانتقال العدوى إليه ينفعل جسمه كله دفعة واحدة فيصرعه المرض

وهذا يشبه تمام الشبه ما يقع في عالم الأخلاق ، فالرجل صاحب الوجدان السليم تؤذيه الهفوة الصغيرة فيقضي سائر عمره في استغفار وقد يقتله تأنيب الضمير ، ولا كذلك المريض بالجسم والوجدان ، فالأول يعاني العلل المهلكات ثم لا يموت قبل أوان الموت ، والثاني يُجرم نحو نفسه ونحو الانسانية ثم يعيش وهو مستور الحال ، لأنه يجهل خطر ما يصنع

ومن أجل هذه المعاني عشت شقياً في حياتي ، فأنا تلميذ قديم من تلاميذ الغزالي ، وكل شيء يجوز عندي إلا إيذاء الناس ، وقد يتفق في أحيان كثيرة أن أهجم على خصومي بعنف ، ولكنه عنف مصطنع ، لأني لا أحشو المسدس بغير البارود ، فيثور من حولهم الدخان ، ثم يسلمون لأن القذيفة لم يكن فيها رصاص

ويصنع خصومي غير ما أصنع ، لأني غبيّ وهم أذكياء !

هم يحشون المسدسات بالرصاص ثم يقذفون ، وكم يبقى الرمىُّ على النبال ؟ ! أولئك أعدائي ، والمداوة الأثيمة تستبيح كل قبيح

ولكن ما ذنبي عند ليلى حتى تفضحني بين قومي وتضيع مستقبلي في مداواة الملاح ؟

ما ذنبي عند ليلى التي هجرت في سبيلها وطني وأهلي ؟

ما ذنبي عند ليلى ؟ ما ذنبي عند عيونها السود وخدها الأسيل ؟

ما ذنبي عند ثناياها العِذاب وصوتها الرخيم ؟

أحبك ياليلى وأستعذب في هواك كل عذاب

— ظمياء ، ظمياء

— عيوني ، عيوني

— هاتي التهم الثقال التي تفضلتْ بها ليلاي . انقليها بترفق فما أحب أن أموت في بغداد ، فمقابرها مهجورة منسيّة ، كأنها مقابر المحبين ، وليس فيها مسجد أستروح بأن يصلّى عليّ فيه يوم أموت ، فمساجدها تعرف الجمال في القباب وتجهل الجمال في المحاريب

— أعرنى أذنيك يادكتور

— أعرتك قلبى ، يا ظمياء

— أنت متهم عند ليلى بالشيوعية

— بالشيوعية ؟ وكيف سكتت عنى إذاً حكومة العراق ، وبصرها أحدّ من بصر ليلى ولها عيون تنقل إليها كل شىء ؟

— حكومة العراق تحارب الشيوعية الاقتصادية ، وأنت متهم بالشيوعية الوجدانية ، وليلى تعاقب على ذلك

— وأين شواهد هذا الاتهام الفظيع ؟

— ما ظلمتك ليلى ، وإنما ظلمت نفسك ، فأنت الذى تقول

أصْباكِ ما خلفَ السّتار وإنما خَـلْفَ السّتارِ لؤلؤ مكنونُ
والناس فى غفلاتهم لم يعلموا أنى بكل حسانهم مفتون

— ما قلت هذا الشعر يا ظمياء

— هو فى ديوانك المطبوع

— هذا شعر دسه السفهاء

— وكيف سمحت بنشره فى ديوانك ؟

— ما أذكر كيف سمحت ، فقد كنت عضواً فى جمعية أبوللون ، وأرادت الجمعية أن تصحح انتسابى إلى الشعراء فلفقت باسمى طائفة من الأشعار وأخرجتها فى ديوان

— ولكن ليلى تقول إن فى نثرك ما يؤيد هذا المعنى

— وكيف ؟

— فى بعض ما نشرت فى جريدة البلاغ مقال تقول فيه إن الأطلال تملأ روحك بالمعانى لأنها تعيد إلى خيالك تاريخها القديم يوم كانت ملاعب تمرح فيها الظباء

— هذا أيضاً مدسوس

— وكيف ؟

— كان لى بجريدة البلاغ زميل يعطف على أدبى ، هو الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى ، وكان يؤذيه أن تخلو مقالاتى من المعانى الوجدانية ، فكان يضع اسمى على بعض ما يبدع من صور الوجدان

— أنت تسيء الدفاع عن نفسك يا دكتور

— دليني كيف أدافع عن نفسى ، يا ظمياء ؟

— أما تعرف كيف تدافع عن نفسك ؟ أنا ألقنك الدفاع عن نفسك . قل إنك تعشق جميع الصور وتهيم بجميع المعانى

— هاتى يدك أقبلها ياظمياء

— أعجبك كلامى ؟

— ما هذا كلاماً ، إن هو إلا سحر مبين ، فأنا حقاً أعشق جميع الصور وأهيم بجميع المعانى ؛ وظواهر الوجود هي عندى صور شعرية تموج بألوان السحر والفتون . الدنيا يا ظمياء لوحة فنية صاغها بديع الأرض والسموات ، فما فيها من حسن فهو صنع فنان ، وما فيها من قبح فهو صُنْع فنّان ، فأنا أدرس المحاسن والمساوى بذوق واحد . وقد أتفلسف يا ظمياء فأزعم أن خَلْق الوجه الدميم أصعب من خلق الوجه الوسيم . وعلى أهل الدمامة أن يشكروا خالقهم فقد سوّاهم بعناية ، ثم تلطف فأباحهم التقلب فى بقاع الأرض ، وجعل لهم فى دولة القبح سلطاناً . فان لم يشكر هؤلاء القِباح خالقهم فسأشكره بالنيابة عنهم ، وسأتصدق عليهم بالعطف والحنان

— دكتور ، أنا أحبك !

— وأنا أبغضك يا ظمياء !

— أقول لليلى إنك أحسنت الدفاع عن اتهامك بالشيوعية فى الحب ؟

— ما تهمنى ليلى ، وإنما يهمنى أن أحاسب خالق ليلى

— احترس يا دكتور ، فهذا كفران

— سأحاسب ربى قبل أن يحاسبنى ، فما قضيت شبابى فى دراسة الأدب والفلسفة إلا لأعرف كيف أناقشه الحساب ، وسوف تنظرين

— كفرت ، يا دكتور ، كفرت

— الكفر الحق هو أجل صورة للإيمان الحق

— وكيف ؟

— ما تعرفين كيف وأنت وصيفة ليلى وخدينة الدكتور مبارك ؟

— لست خدينتك

العفو ! العفو ! يا ظمياء

— تشتمنى يا دكتور ؟

— إنما أداعبك يا ظمياء ، فاغفرى ذنبى

— يغفر الله لك

— ويغفر الحب ؟

— أسأل ليلاك

— غضبة الله ولعنة الحب على ليلاى !

***

— ظمياء !

— عيونى !

— تلك التهمة الأولى ، فأين التهمة الثانية ؟

— ليلى تتهمك بما اتهمتْ به الضابط عبد الحسيب

— وكيف اتهمت ذلك المسكين الذى سارت أخبار شقائه مسير الأمثال ؟

— اتهمته بخيانة العروبة

— وهي تتهمنى بخيانة العروبة وقد أَذْوَيت شبابى فى خدمة لغة القرآن ؟ ؟

— إن ليلى قرأت خطبتك فى نادى المثنَّى عن العروبة المصرية وقد نشرتْها جريدة البلاد

— وما الذى عابته ليلى على تلك الخطبة ؟

— العيب فى ذلك أنكم فى مصر لا تفرقون بين العروبة وبين الإسلام

— هذا صحيح يا ظمياء

— وهذه جريمة عربية يا دكتور

— اسمعى يا ظمياء ، ثم بلغى ليلى ما أقول . العروبة يا طفلتى الغالية فى حاجة إلى أسناد قوية من الصداقة والعطف ، وأسناد العروبة لن تكون فى الممالك الأوربية ، وإنما ننشدها فى الممالك الاسلامية ؛ والسياسى الحكيم هو الذى يتعب في خلق الأصدقاء ، والأمبراطورية البريطانية لم تغنها جيوش البر والبحر والهواء عن التفكير فى خلق الأصدقاء . والاسلام قوة يتودد إليها هتلر وموسولينى ، وتشتق روما ولندن وباريس وبرلين فى التعرف إلى مدارج هواه ، وليس فى بلاد الله قوة سياسية إلا وهى تحسب ألف حساب لغضب المصحف فما ذنبى عند ليلى إذا أعلنتُ إسلامى ؟ ما ذنبى عند ليلى وأنا أخلق لقومى وقومها جيوشاً من العواطف والقلوب ؟

— ولكن الاسلام غير العروبة

— تلك يا ظمياء دسيسة استعماريه ، هى دسيسة حيكتْ شباكها لتقويض الأمبراطورية العثمانية . وقد تقوضت لأن الأتراك عجزت حيلتهم عن قرض خيوط تلك السياسة ، فهم اليوم أمة من الأمم ، وكانوا بفضل الاسلام سادة المشرقين

— إحترس يادكتور فهذه سياسة ، والسياسة محرمة على الموظف

أعترف أنى موظف فى حكومة العراق ، ولكن لاخوف . فأنا أتهيب الشر فى كل أرض ، إلا فى العراق ؛ وأعتقد أن حكومة العراق لا تصادر حرية الرأى إلا إذا صدرت عن المنافقين ، وقد حمانى الله من النفاق . وقد عجب ناس من أن تسكت عنى حكومة العراق على كثرة ما قلبت من وجوه الآراء فى الصحف والمجلات . فليفهم الدساسون أن حكومة العراق فوق ما يظنون ، والله من وراء الدساسين محيط ، وسوف يعلمون

— إن العراق يثق بك ويعطف عليك يادكتور

— وفى حماية تلك الثقة وذلك العطف أقول : إن أوروبا اللئيمة خلقت فكرة العروبة لتقسم أهل الشرق إلى عرب ومسلمين ، وقد أحسست هذا المعنى حين بدأت أتعلم اللغة الفارسية فى باريس سنة ١٩٢٧ فقد رأيت معجماً فارسياً فرنسياً نشر منذ أكثر من أربعين سنة وفى مقدمته تحريض صريح على قطع الصلات بين العرب والفُرس ؛ وأعتقد أن مقدمة ذلك المعجم هى السبب فى ثورة الأتراك والايرانيين على الحروف العربية

— أخطأ الأتراك وسيخطىء الايرانيون

— وماذا صنعنا لندفع هذا الخطأ ياظمياء ؟ لقد تجشمت مشيخة الأزهر ما تجشمتْ وأنفقت ما أنفقتْ ، لترسل بعثة من العلماء إلى الهند ، فهل فكرت هذه المشيخة فى إرسال بعثة إلى تركيا أو إيران ؟ هل فكرت مشيخة الأزهر فى إرسال رجل أو رجلين لتذكير الفرس بماضيهم فى خدمة اللغة العربية ؟ هل فكرت فى إرسال وفد إلى الغازى مصطفى كمال يذكره بأن الحقد على العرب الذين خذلوا تركيا فى الحرب لا يصح أن ينسيه فضل العرب الأبرار الذين نقلوا إلى تركيا بذور الايمان بالله والرسول ؟

هل قام رجل مؤمن يقول للأتراك : هبوا سيئات الحاضر لحسنات الماضى ؟

هل قام رجل مؤمن يقول لأهل إيران : إن العرب إخوانكم فى الله فلا تجرحوا إحساسهم بهجر الحروف العربية ؟

لقد قمت بهذا الواجب وحدى فأقنعت وزيرين فى العراق ، وفكرتُ فى الهجرة إلى إيران لأصلح ذات البين بين العرب والفرس . ولكن كيف وأنا رجل يرهقه جدول الدروس وتنهب عافيته دفاتر التلاميذ ؟

لقد زار بغداد منذ أشهر صحفى إيرانى ودعانى الأستاذ ابراهيم حلمى للتسليم عليه ، فلم أستطع مخاطبته بغير الفرنسية ، مع أنه نشأ فى وطن كان بعض أهله لا يعرفون غير العربية ، ولذلك الصحفى جريدة تصدر بلغتين هما الفارسية والفرنسية ، ولو كنا حفظنا العهد لكانت اللغة الثانية عربية لا فرنسية

— يظهر أنك مؤمن يا دكتور

— أنا ملحد يا ظمياء ، فما يسرنى أبداً أن أحشر نفسي فى زمرة المسلمين الغافلين الذين يفكرون فى إصلاح الوثنية الهندية ويغفلون عن هداية الثائرين على الاسلام في بلاد كانت من الدرر اللوامع فى تاج الاسلام

— أنت مؤمن يا دكتور

— أنا كافر يا ظمياء

— أعوذ بالله !

— وأنا أعوذ بالشيطان !

— تعوذ بالشيطان ؟ يظهر أنك ملحد حقاً وصدقاً

— اسمعى يا ظمياء ، الشيطان مخلوق شريف لأنه لا ينافق ، فهو يعلن في كل وقت أنه من الضالين المضلين ، ولو كشف كل انسان عن سريرته كما كشف الشيطان عن سريرته لأصبحنا جميعاً من الملائكة لا من الشياطين

— أنت إذاً تعبد الشيطان ؟

— أنا أعبد الله وأحب الشيطان

— قف عند هذا الحد يا دكتور

— سمعت وأطعت

« للحديث شجون »

زكى مبارك

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ....

— ١٤ —

وثمت حادثة أخرى لها دلالتها على عظمة الرجل ونبله وسمو نفسه ؛ ذلك أنه تقدم عن طيب خاطر ليدافع عن حفيد كارترايت ذلك الرجل الذى طعنه فى دينه قبل ذلك بعشرين عاماً وهو ينافسه فى الوصول إلى مقعد فى مجلس الولاية ؛ وكانت هذه التهمة أيضاً تهمة القتل ؛ ولشد ما تأثر كارترايت وهو اليوم شيخ كبير حينما شاهد حرارة دفاع خصمه لنكولن عن حفيده الذى ما لبث أن برئت ساحته ...

وأى شيء لعمرى أجمل من هذا ؟ ألا إنه الخلق العظيم يبهج جماله النفوس ويملك طيبة الأفئدة، إن للناس فيه لقدوة أى قدوة، وإن لهم فى صاحبه لأسوة لن يتسنى لهم مثلها إلا فى الأفذاذ القليلين الذين ظهروا فى هذا الوجود برهاناً على أنه ثمة من صلة بين هذه الأرض وبين السماء !

وندير الحديث بعد إلى السياسة فنذكر أن المؤتمر الذى انعقد من الجمهوريين فى سبرنجفيلد عام ١٨٥٨ لترشيح عضو عن الولاية لمجلس الشيوخ قد اجتمعت كلمة رجاله على ترشيح لنكولن ، ولقد فعلوا ذلك فى غبطة وفى حماسة شديدتين

وهكذا اتفقت كلمة الجمهوريين على لنكولن يقدمونه لينافس دوجلاس رجل الديموقراطيين فى الانتخاب لمجلس الشيوخ ؛ فيلتقى بذلك الخصمان ويكون بينهما هذه المرة جلاد دونه كل ما سلف من جلاد ؛ وينتهى الصراع بينهما فاذا دوجلاس يرى نفسه وقد ابتعد عن الهدف بقدر ما اقترب منه ابن الأحراج، ثم إذا هو يفطن إلى طعنة سوف تحول بينه وبين غايته المرجوة فلا يظفر بها أبداً ...

وعرف لنكولن مبلغ ما ينطوى عليه الموقف من خطر ، وأدرك أنه ملاق منه رهقاً شديداً وعنتاً . ولكنه يحس فى قرارة نفسه أن له فى ذلك ما يشفى نفسه ، فهو يحمى على الصراع وهو لاتظهر مواهبه على أحسن ماتظهر إلا حين يتعشها ضجيج الموقف وتستثيرها حرارة الدفاع

وكذلك أشفق دوجلاس وأوجس فى نفسه خيفة ، ولقد فطن وهو الخبير بأقدار الرجال ، البصير بأمور السياسة ، إلى دقة الموقف . وأدرك أن ابراهام اليوم غيره بالأمس ، فهو منه إذ ذاك حيال قوة لا تنفع معها حيلة ولا يجد فى مكر أو دهاء ، قوة منشأها عقيدة صقلتها الأيام وثقفتها التجارب وأمدتها الفطرة بمثل ما تمد به التربة الصالحة الشجرة الطيبة من الغذاء الصالح ؛ فليس ثمت مايحول بينها وبين امتداد الجذور وسموق الفرع . وكأنما كانت مارى يوم فضلت لنكولن على منافسه ورضيت به زوجاً ، تطلع على الغيب فترى هذا الصراع بين الرجلين ثم تصدر حكمها على هدي وبصيرة وعلى تجربة لا تدع مجالاً لوهم !

وهل كان انتخاب إبراهام لمجلس الشيوخ هو غاية ما يتمناه ؟ كلا فما أهون هذا الأمر إذا قيس إلى ما كانت تجيش به نفسه من آمال لم يكن يراها وقفاً على نفسه بل كان يراها لصالح غيره ؛ وهو لن يشعر لها بقيمة أو خطر إلا أن يتسع مداها حتى يشمل أمريكا كلها ؛ بل إنه ليرى رضاء نفسه فى أن يشقى ليسعد بنو جنسه ...

لذلك لم يكن عجباً أن يسير كما تملى عليه مبادئه وكما يوحى إليه قلبه ، لا كما يتطلبه الانتخاب من محاورات ومداورات وألاعيب وأكاذيب ومرونة وليونة وغير ذلك مما يتذرع به الكثيرون من أصحاب السياسة حين يجعلون غرضهم النجاح فى المعركة فحسب . وما كان إبراهام يرى فى الوصول إلى مقعد فى الشيوخ إلا إحدى الوسائل لتحقيق غرضه الأسمى وذلك كما محصته الأيام هو حل معضلة العبيد مع المحافظة على كيان الاتحاد

وفيما كان رجال حزبه يقدمونه ، كان هو يعد خطاباً حاسماً يعبر به عما فى نفسه ، ولقد ظل يثبت ما يجرى فى باله على قصاصات من الورق يدسها فى قبعته ، حتى استوى له موضوعه فجمعه بعضه إلى بعض ولم يفض به إلى بعض خلصائه إلا قبل إلقائه ببضع ساعات ؛ ولقد أخذهم الدهش لما جاء فيه حتى أنه لم ير رأيه منهم سوي صديقه هرندون ؛ ولكن لنكولن كان إذا صمم على أمر لن يلويه عنه شيء فقال لهم « أى أصدقائى : إن هذا الشيء قد أجل مدة طويلة أرى فيها الكفاية ؛ ولقد حان الوقت الذي ينبغى فيه أن أنطق بهاتيكم العواطف ، فاذا قدر لى أن يكون مصيرى السقوط بسبب هذا الخطاب فلأسقطن مربوطاً إلى الصدق ؛ دعونى ألتى حتفى فى الدفاع عما أرى أنه العدل والحق ... »

ولما انعقد ذلك المؤتمر الجمهورى الذى كان ينتخب عضو الشيوخ قام فيهم لنكولن يلقى خطابه فقال : « حضرة الرئيس ، حضرات السادة رجال المؤتمر : إذا استطعنا بادئ ذي بدء أن نعلم أين نحن وإلى أى وجهة ، أمكننا أن نعرف ماذا نصنع وكيف نصنعه . إننا الآن بعد خمسة أعوام منذ تلك السياسة التى اتبعت مع وجود ذلك الوعد الوثيق الذى قصد به أن يوضع حد لذلك القلق الذى تبعثه مسألة العبيد ، ولكن هذا القلق طالما أخذت تلك السياسة تفعل فعلها لم يقتصر أمره على أنه لم يوقف فحسب ، بل لقد ظل يتزايد أبداً ؛ وفى رأيى أنه لن ينتهي حتى يفضى بنا إلى أزمة نجتازها . إن البيت الذى ينقسم بعضه على بعض لن يقوم ؛ إنى أعتقد أن هذه الحكومة لا يمكنها أن تدوم ونصفها عبيد والنصف الآخر أحرار ، وأنا لا أبنى أن تنفصم عري الاتحاد كما لا أبنى أن ينهار البيت ، ولكنى أبنى ألا يستمر فى انقسامه ؛ ولسوف يكون كله إلى هذا الجانب أو إلى ذاك ؛ فأما أن يحول خصوم العبودية دون أى انتشار لها فى المستقبل ويضعوها حيث يرتاح الرأى العام إلى أنها وضعت فى الوضع الذى يفضى بها إلى الفناء النهائى ، وإما أن يدفعها أنصارها إلى الأمام بحيث تصير قانونية فى كل الولايات القديم منها والحديد والشمالى والجنوبى »

ذلك هو الخطاب الذى أفضى به لنكولن إلى رجال المؤتمر فى صراحة وجلاء ؛ ولقد أشفق أنصاره من لهجته الحاسمة ثم من تلك العبارة التى اقتبسها من الانجيل وخافوا أن يحملها خصومه على غير محملها فيظنون وهو يريد بالبيت المنقسم على نفسه الولايات الأمريكية أنه يشير إلى قطع العقدة لا حلها وأن سبيله إلى ذلك الحرب ...

وكان دوجلاس قد نزل بشيكاغو يدعو إلى انتخابه للشيوخ ، فوجد فى خطاب خصمه ومنافسه ، لنكولن ، فرصة يغتنمها فاتهمه أنه من دعاة التحرير بالقوة وأخذ يحذر الناس من انتخابه

واغتاظ لنكولن لتلك التهمة النكراء ، ولكنه لم يستكثرها على دوجلاس ، وإنه لواثق أن الأيام ستقذف بحقه على باطل خصمه فيدفعه فاذا هو زاهق

وما كان إبراهام ممن يقرون الثورة مهما بلغ من مقته لنظام العبيد ، ولسوف يبقى دستوره هو حل تلك المسألة بما يتفق مع الصالح العام على أن يكون ذلك في كنف الاتحاد وتحت رايته التي لا يرضى إلا أن تظل خافقة عالية تجمع على محبتها وإكبارها أبناء الوطن كله

وعول دوجلاس أن يخوض المعركة على أساس خصومته لبيوكانون فى مسألة دستور كنساس ، لا على أساس مخاصمته لنكولن أو مخالفته فيما جاء فى خطابه الجديد من آراء كأنه يستعظم أن يكون ذلك الرجل الذى ما زال شأنه منحصراً فى ولايته نداً له ؛ وإن كان دوجلاس ليحس بينه وبين نفسه مبلغ ما تنطوى عليه نفس الرجل من عظمة ومبلغ ما يحمله قلبه من إيمان

ولقد شاع خطابه فى الناس وتناقلته الصحف فى طول البلاد وعرضها ، فكان ذلك أبلغ رد على ترفع دوجلاس وذهابه بنفسه ؛ وأحس إبراهام مبلغ ما أحدثه ذلك الخطاب من أثر فى البلاد ، تبين ذلك فى قوله : « إذا كان لى أن أمر بالقلم على صفحات تاريخى ، وأمحو حياتى كلها عن الأنظار ؛ وقد ترك لى أن أختار شيئاً أستثنيه من هذا المحو فانى أختار هذا الخطاب فأدعه للعالم لم تذهب معالمه

وليس فى قوله هذا شىء من المغالاة ، فان خطابه كان أكبر حافز لأولى الرأى أن يقفوا من مسألة العبيد موقف الذى يريد أن يصل إلى غاية ، فلا تهاون ولا تلكؤ بعد اليوم ، وإلا تفاقم الخطب واستعصي الحل ، ودخلت البلاد فى طور من الفوضى الجامحة فيأتى على الأخضر واليابس ؛ كما أن هذا الخطاب كان أهم حادث فى تاريخ حياته فبعده صار للسياسة كل همه ، وبه قدر له أن يصير فى السياسة من رجال أمريكا كلها لا من رجال الينواس فحسب ...

ولقد خطب لنكولن بعدها في شيكاغو يرد على ما اتهمه به دوجلاس ؛ فأعلن أن الوثيقة الكبرى التى يجب أن يتقيد بها الأمريكيون ويسيروا على نهجها هى وثيقة إعلان الاستقلال وأنه يجب أن ينظر إلى مسألة العبيد نظرة إنسانية ، وأن يراعى اتفاق مسورى فيما يشجر بين الفريقين من خلاف

وتكلم دوجلاس بعد ذلك فى بلومنجتن ثم فى سبرنجفيلد، ورد لنكولن عليه فى المرتين ، حتى بدا له أن يخطو خطوة لم يسبقه إلى مثلها رجل من قبله فى التاريخ السياسى للبلاد ، وذلك أنه أرسل إلى دوجلاس رسولاً يعلن إليه أنه يتحداه أن يلتقى رأياه فى مبارزة خطابية يستمع فيها الناس إليهما ويحكموا بينهما حسبما يرون من كلامهما ...

ولقد ضاق دوجلاس بهذا التحدي وهو الذى يعرف أصالة صاحبه وشدة إيمانه ذلك الايمان الذي رسخ حتى ما يُحتال عليه بحيلة أو تزعزعه مطاولة أو يفل منه جاه أو إغراء ، والذى جعل كل وسيلة من وسائل المغالبة بحيث تكون منه كالموج من الصخر لا يلطمه إلا لينحسر عنه ولم يبق فيه من قوة الموج بشىء وأبى على دوجلاس كبرياؤه وغلواؤه أن يتخاذل فيتخلف عن هذا النزال فقبله على كره منه قال : « سوف تصبح يداى مليئة ؛ إنه رجل حزبه ذو البأس ؛ ملؤه الذكاء والحقائق والتواريخ ... وهو أمين بقدر ما هو أريب حذر ، وإذا قدر لى أن أظهر عليه فسوف يكون انتصارى بشق النفس » وقال فى موضع آخر « إنى لا أحس — بينى وبينك — إنى أرغب فى الذهاب إلى هذا الجدال ؛ إن البلاد كلها تعرفنى ولقد سبق أن قدرتنى وعرفت قدرى ؛ وأن لنكولن بالنسبة لي ليعد غير معروف ، فاذا أتيح له أن ينتصر علىّ فى هذا الجدل — وإني لأود أن أذكر أنه أقدر رجل فى الحزب الجمهورى — فانه يكسب كل شىء بينما أخسر أنا كل شىء ؛ أما إذا قدر لي الفوز فانى لن أغنم إلا قليلا ؛ إنى لا أحب أن أذهب فى تلك المجادلة معه ... »

ولكنه على الرغم من ذلك لم يستطع إلا أن يجيبه إلى ما طلب ؛ وحددت سبع مدن يلتقى فيها الرجلان فيتناظران والناس من حولهما يشهدون ما يكون بينهما . وفرح لنكولن وقد أتيحت له أعظم فرصة ليعبر عما فى نفسه ؛ وأى فرصة هي ؟ ألم يك دوجلاس فى الناس أكثرهم استفزازاً له وأدعاهم أن يبرز له ما استكن من مواهبه ؟ ثم أليست هذه المجادلة كفيلة أن تجمع إلى أنصاره ومحبيه أنصار دوجلاس ومحبيه فيكون الكلام فى حشد قلما يتسنى أن يلتقى على هذه الصورة ؟ فاذا قدر له أن يكسب هذه القلوب أو أن يصل إلى إقناع هذه العقول فأى فوز هو وأى فخر ؟

« يتبع » الخفيف

الأنبــاط

وأطلال بترا الخالدة

للأستاذ خليل جمعة الطوال

— ٢ —

ديانة الأنباط

لقد كان للأنباط ديانة مستقلة ، لها آلهتها العديدون ، وطقوسها الخاصة . وتدل النقوش والكتابات النبطية المكتشفة على الهيا كل والآثار العديدة فى بترا على أن الأنباط كانوا يعبدون الحية وبعض الأجرام السماوية . ففى طريق النبى هارون (الواقع بجوار بترا) لا يزال أثر الحية قائماً حتى اليوم بشكلها المخيف ورأسها المتفرع ، وفى كثير من المعابد والمقابر ، كأم الصناديق والصياغ وقبر الحديقة — وهى من آثار بترا الرائعة — رسوم عدة للثعابين والنجوم وما إليها . وقد وجد على بعض المعابد النبطية ، فى حوران ، تماثيل وأسماء لآلهة كثيرة ، كاموس ، وأنى ، وبعلمين ، وفقرة وثيندارتيس اليونانى ، وآليت . أما أشهر هذه الآلهة فهو الإله (ديشوره [1]) إله الشمس ، وواهب السرور والخصب ؛ وهو عبارة عن حجر صخرى أسود طوله أربعة أقدام ومقعده قدمان ، ولا يزال موجوداً حتى الآن فى مزار النبى هارون ؛ والبدو هناك يحيطونه بكثير من التقديس والاكرام ، ويعتقدون فيه القوة على شفاء بعض الأسقام . ويقدر المسترجون وايتنج ثمن البخور الذى كان يحرق فى بترا فى المراسيم الدينية بعشرة آلاف جنيه فلسطينى ، وهى قيمة وإن كان فى تصديقها مجال كبير للافتراض والشك ، إلا أنها تدل على مقدار تغلغل الروح الدينية بين الأنباط . وذكر المسترج . أدم سمث فى مؤلفه الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة ص٦٢٨ : أنه قد بلغ من قيمة هذا الإله (ديشوره) أن أقيم له نصبان أحدهما فى روما والآخر فى بوتيولى

---

(١) راجع: Robinson; Sarcophagus of ow etncient Civilization: P.P. 81. 104 & 232.

سيادة بترا التجارية

تقع بترا بحكم موقعها الجغرافى فى نقطة تجارية عظيمة ، وقد كانت حتى منتصف القرن الأول للميلاد نقطة التوريد والتصدير لمختلف البضائع الشرقية ، ومركزاً لتبادل المتاجر المختلفة التى كانت تمر بها سائرة بين الجزء الجنوبى لجزيرة العرب ، والهند ، ومصر ، وتدمر ، وفلسطين . ولما قدم إليها الأنباط وسكنوها سعوا إلى تحسينها وترقيتها ، فبنوا فيها القلاع والأبراج والمعابد والأسواق ، والمدارج الرائعة ، التى لا تزال قائمة حتى اليوم دليلاً على غابر مجدها ، وسالف عزها ؛ وقد ساعدهم على ذلك ميلهم الفطري لنقل المتاجر على قوافلهم ، وقلة المنافسين لهم ، وتفرع طرق تجارية عظيمه بين عاصمتهم وبين سائر الأقطار الأخرى ، فقد ذكر (موزل) فى كتابه الصحراء العربية ص ٥١٥ : أنه كان يوجد طريق معبّد بين تدمر وبطرا ، وأخرى بين بطرا وغزة إلا أن اشتطاط الأنباط فى الأجور الغالية التى كانوا يتقاضونها على النقل ، وكثرة المصارفات التى كانوا يرهقون بها المتاجر التى ينقلونها ، قد حدت بالناس إلى التفتيش عن طريق آخر لحمل البضائع الهندية ، فقامت بذلك تدمر وازدهرت حيناً من الزمن حتى عام ٢٧٣م . على حين تقهقرت حالة بترا التجارية الاقتصادية تقهقراً عظيماً . وفى عام ٤٥ م اهتدى هبالوس إلى طريقة الاستفادة من فعل الرياح الموسمية فى تسيير السفن ، فقل بذلك شأن الطرق البرية عامة ، وطريق بترا خاصة ، وقد كان ذلك نهاية لعصر بترا الذهبى

أسماء بترا التاريخية

يغلب على الظن أن أول من دعا بترا بهذا الاسم هم الرومان ؛ وذلك لأنها منحوتة فى الصخر الأصم ، ومعناه باللغة العربية « المدينة الحجرية » . وذكرتها التوراة فى سفر الملوك الاصحاح الرابع عشر ، والعدد السابع باسم (سالع) وفى اللغة العبرية باسم (سلاع) كما ذكرت أيضاً أن أمصيا ملك يهوذا قد هجم على الآدوميين فى وادى الملح وذبح منهم عشرة آلاف رجل وأنه زحف على سالع (بترا) واحتلها ودعاها « يوقتئيل » . وذكر المؤرخ جورجى زيدان فى كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام »

نقلاً عن المقدسي والمقريزي : أن من أسمائها المشهورة عند العرب « الرقيم » . وقد جاء ذكرها أيضاً في القرآن الشريف في سورة الكهف . وذكر المستر باري في كتابه « التاريخ الروماني المدرسي » ص ٤٩٧ : أن الامبراطور هادريان قد زار بترا عام ١٢٩ م ، وأنها دعيت بهذا الاسم تخليداً لذكراه ، كما ذكر أيضاً أنه أمر بسك نقود جديدة باسم بترا الجديد ، وقد نقش عليها (هادريان متروبولس)

موقعها وأطلالها :

تقع بترا في الشمال الغربي من معان ، وعلى بعد ٢٦٠ كم من عمان عاصمة الامارة الأردنية ، وهي طريق صالحة لسير السيارات في حين الجفاف وانقطاع الأمطار الغزيرة حتى قرية وادي موسى التي تبعد عن بترا مسافة كيلو مترين ونصف كيلو متر ؛ وهي قرية صغيرة يعتنى أهلها بتربية الدواجن ولا سيما الخيل والبغال والحمير ، التي يستفيدون منها في موسم السياح ، وفيها نبع ماء غزير يستقى منه أهلها ويستفيدون منه في زراعة بعض الخضر والحبوب . ويعتقد البدو الضاربون هناك أن النبي موسى قدم بهذه القرية ابان خروجه من مصر يقود اثنى عشر سبطاً من أسباط بني اسرائيل ؛ وإذ كان العطش قد اشتد بهم فقد أمر بنحر ما معهم من الابل والنوق ، وبفرى أكراشها وشرب ما في داخلها من الماء ، ولكن ذلك [1] لم ينقع غلتهم ، فكثر تذمرهم عليه ، وعلا لغطهم ، فركع وصلى لله [2] ، ثم انتصب وضرب بعصاه صخراً أصم كان إلى جانبه فتفجر منه ماء عذب زلال ، ودعى ذلك المكان بعين موسى . والبدو عامة يقدسون هذه العين ، ويعتقدون ان روح النبي موسي تقطن بجوارها وتحوم حولها دائماً وأبداً ، ولذلك أقاموا عليها قبواً صغيراً يلجأون اليه كلما انتابتهم آفة ، أو حز بهم مكروه ، لاعتقادهم أن روح النبي القاطنة حوله تشفيهم من أسقامهم ، وتسهل عليهم مشكلاتهم ومعضلاتهم . وكثيراً ما يحرقون داخل هذا القبو مقادير عظيمة من البخور ، وعرق الند الزكي الأرج ، ويضيئونه بمصابيح فخارية ، وزيت الزيتون الطيب النقي ، وذلك إجلالاً لروح النبي كليم الله . وقد حدثني بعضهم أنه في كل عام ينحر في هذا المكان ذبيحة أو أكثر ، ضحية عن موتاه ، وتقرباً إلى النبي في يوم تقوم فيه القيامة وينتصب الميزان . وتبعد هذه العين عن القرية مسافة ميل ونصف تقريباً .

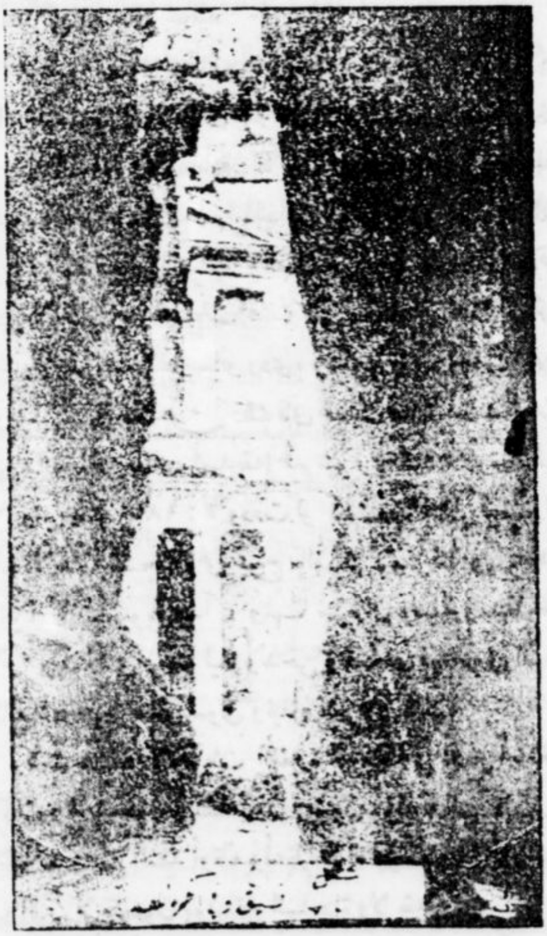
ويحيط بوادي موسى الحقول النضرة ، والحدائق الجميلة ، من جميع جهاتها . ومما يزيد في جمالها الأخاذ انبساط أطلال بترا أمامها ، تلك الاطلال الجميلة التي كأنما فرغ من زخرفتها الدهان بالامس . وأي منظر أبدع وأجمل ، وأكثر رونقاً وبهاء من أن يستقبل الانسان منظر هذه الطلول المبثوثة المنضدة أمام وادي موسى في اتساق غريب وبديع تحار فيه العقول ! هناك تقع الغزالة بأشعتها الذهبية أول ما تقع على أجمل وأبدع هيكل طبيعي ، ظل قائماً ومحافظاً على استوائه طيلة هذه الأحقاب التي لم تستطع قط أن تنال منه شيئاً . قمم مشمخرة في الفضاء تنعكس عليها أشعة الشمس صباح مساء ، فترتد في شكل قوس قزح بل وأبدع منه ، ومن فوقها قبة السماء الصافية الزرقة ، وقد انبسطت تحتها حلة سندسية جميلة من الأعشاب الخضراء تنساب خلالها شعبة من الماء الضحل ، فتظهر فوقها كالحسام الصقيل فوق بساط بديع الوشي والحيا كة تجثم فوقه أسراب الطيور البديعة الألوان ، المختلفة الحجوم ، الساحرة التغريد . إن منظر بترا من وادي موسى لمن المرئيات الجميلة التي تتوثب لها أحاسيس الحيوان الاعجم الهامد الشعور ، فكيف بفعلها في الانسان ذي الخيال المتوثب ، والاحساس المتيقظ ، والشعور المرهف ؟ وإن زورة هذه الأطلال الخالدة لأسنى ذخيرة يقدمها الشاعر إلى خياله ، والأديب إلى أدبه ، والرسام إلى فنه ، والعالم إلى سجله ومذكراته

يخرج السائح من وادي موسى ممتطيا فرساً يقودها دليل بدوي ماهر في حفظ الأسماء والمسميات ، ذكي يفهم من الاشارة الموجزة ؛ فيشاهد بعد مسير نصف ساعة قبور (بيلون العظيمة) وهي في طليعة الآثار ، وتتركب من حجر عديدة تزينها الأعمدة الجميلة المحفورة في الصخر الرملي الجميل ، والمسلات (المصرية الهندسة) الضخمة المدهشة ، تقوم بينها طائفة من التماثيل الفنية التي ما تزال

(١) لا نعتقد بصحة ذلك لأن موسى خرج من مصر بأسباطه فقط وبدون ابل ، ولأن الطريق التي سلكها ما تزال موضع الحدس والتخمين

(٢) راجع : Petra : by F. Atrash.

على روعتها وجمالها كأنما هي من عمل اليوم ؛ لم تشهد من الزمان أحداثاً ، ولا من الأيام عبثاً ودولاً . ومما هو جدير بالذكر والمشاهدة عند زيارة هذه القبور مشاهدة صورة الحية الجميلة الرائعة التي تبلغ ثلاثة عشر متراً طولاً ، والتي يتفرع من عنقها سبعة رؤوس فاغرة الأشداق حتى لكأنما قد رتبت لازدراد فريسة سائغة . وصورة أخرى تمثل جواداً ، وقد شدّ عليه سرجه وقرط لجامه ، وامتطى صهوته فارسٌ لم تبق الأيام من هيكله الرملي سوى بعض أطراف رأسه المهشم وأصابع قدمه المبتورة



شكل (١) باب السيق وفي آخره المعبد

السيق

ويبعد عن قبور بيلون مسافة ١٥٠ متراً تقريباً ، وهو نفق يخترق جبلين رمليين عظيمين ، كثير المنعطفات والتعاريج ، يبلغ أقصى اتساعه أحد عشر متراً ، وقد يضيق في بعض الأماكن حتى لا يكاد يتجاوز الأربعة أمتار ، وبالرغم من وعورة هذا النفق فإن خيول وادي موسى لاعتيادها عليه تسير فيه بكل سهولة . يبلغ طوله ميلاً وبعض الميل ؛ والراجح أنه كان مرصوفاً بالبلاط الرملي الجميل الذي لا يزال مطموراً تحت كثبان الرمال ورواسب المياه المتدفقة ، التي كانت تخترقه مارة من وادي موسى ، حتى تصب في وادي العربة . وحوالي عام ٥٠ ق . م . عند ما بنى الرومانيون معبد إيزيس في نهاية السيق (أنظر شكل ١) حولوا عنه مجرى الماء إلى أقنية فخارية رملية تمتد على جانبي السيق ، على طول كل من الجبلين العظيمين القائم بينهما ، وتوصل هاتان القناتان جبل خيتة بجبل الرملة ، وتوجد على امتداد كل منهما آثار جدران ضخمة متداعية ، كانت تقوم مقام السدود عند اشتداد تدفق الماء ، وعند حدوث الفيضان . ويبلغ علو كل من هذين الجبلين اللذين يخترقهما السيق نحو مائة متر تقريباً ، وينبت في وسطهما في بعض الجهات شجيرات صغيرة من الدفلي والتين البري العاقر ، ومما لا شك فيه أنهما كانا مزينين بطائفة من التماثيل البديعة التي تدل عليها مواضعها المحفورة ، والتي عبثت بها الأيام فيما عبثت من آثار بترا الرائعة . وقد كان مدخل السيق سابقاً مزيناً بالأقواس الرملية الجميلة التي تشبه شكل قوس قزح ، وبالمحاريب الشاهقة الجميلة التي لا تزال آثارها الرائعة تنطق بسالف عظمتها وغابر مجدها بدليل ما اكتشف عليها من النقوش النبطية الكثيرة ...

(يتبع) خليل جمعة الطوال



فرنتس شوبرت

للأستاذ محمد كامل حجاج

بقية ما نشر فى العدد الماضى

وقد أثر فيه موت بيتهوفن تأثيراً عميقاً ، وما فتئ يظهر عليه البشر والحنان ، ومن هذا الوقت ظهرت قطعة المرتجلة Impromptus والأوقات الموسيقية Moments musicaux .

ولكنه كانت تزيد حالته سوءاً وبؤساً من يوم لآخر ، فكان يشرب لينسى همومه ؛ ثم كتب الأربعة عشر لحناً التى يقال إنهم وجدوها فى أوراق بيتهوفن ، وقد جمعت باسم « غناء البجع » أى الغناء الأخير، إذ يقولون ان هذا الطير يغنى قبل موته . وفى ٢٦ مارس سنة ١٨٢٨ أقام حفلة موسيقية من مؤلفاته لأول مرة ، فكان الإقبال عظيما جداً والدخل وافراً . ولكن صحته كانت تتدهور من وقت لآخر حتى لزم الفراش في ١١ نوفبر ثم فاضت روحه المتألمة فى التاسع عشر منه سنة ١٨٢٨ وأصدقاؤه يحفون به، ودفن بجانب بيتهوفن . وفى سنة ١٨٨٨ نقل الاثنان إلى المقبرة المركزية بفينا بجانب موزار وجلوك

وكانت هيئة شوبرت كألمانى شريف ثقيل الحركة قليلاً، وكان ساذجاً مثل هيدن يلهو بأتفه الأشياء . له ولع شديد باجتماعات الأصدقاء التى تدار فيها كؤوس الجعة بكميات وافرة . يضع على عينيه نظارة. شعره جعد، كبير الوجه، غليظ الشفتين، ربعة ، كبير البطن. وكان متأجج الشاعرية نابغاً مبدعاً نقى القلب ملك الأغانى كما عبرت عنه مدام De Staël . ويظهر ان الحب لم يعبث بفؤاده إلا قليلا جداً . ومن صفاته المميزة انه كان ذا طبيعة سليمة كريمة مرهفة الحس لا تكتم فى باطنها شيئاً . وقد قالت أخته كالآتى : « كان طيب القلب جداً يأنف من الحسد، وكان لا يكتم سروره وطربه عند سماع الموسيقى الراقية ، ويمسك بيديه رأسه ليتفرغ للاصغاء . وكان اعجابه بموزار وبيتهوفن لا حد له . وقد جرى ذكر بيتهوفن على لسانه وهو يلفظ النفس الأخير ، وهذا ما أولوه من أنه أراد أن يدفن بجانبه

كان شوبرت شاعر النفس، وقد قال عنه لزت : « انه أكبر شعراء الموسيقى على الاطلاق » وكان اشهى مجتمع له هذا النادى الأخوى الصغير المؤثث بأفقر الأثاث ؛ وكان يرتجل فيه ألحانه الخالدة . وكانوا يسمون هذه الجلسات الرائعة «شوبرتياد» وكان النبوغ فيها ينير الشباب والصداقة . وقد قال ماير هوفر « إننى لا أنسى أبداً الساعات الهنيئة التى قضيناها فى هذا السكن الحقير ولم يكن عندنا غير بيانو ردىء ومكتبة فقيرة وأثاث حقير ونور ضئيل ؛ وفضلا عن ذلك فانى قضيت هناك أسعد أوقات حياتى »: وجاء فى خطاب لصديقه الحميم شوبر Schober أرسله اليه فى ٢ نوفبر سنة ١٨٢١ : « وددت لو كنت معنا لتنظر كيف تولد هذه الألحان الشجية وهى تموج بالفكر . وغرفتنا فى Saint Pollen كانت محبوبة جداً ، وبها سريران وصفة ومدفأ حار وبيانو؛ وكنا نأتي بالجعة ليلا وندخن ونتسامر فيما مر فى النهار ونطالع ؛ وحينما يحضر صوف ونيفل نشرع فى الغناء

كانت هذه الاجتماعات الفقيرة البريئة التى تجمع أصدقاء شوبرت وهم يمرحون ويتسامرون ويغنون مؤلفاته التى كان يرتجلها تمد من أسعد أوقاته وأعظم عزاء لبؤسه وشقائه وسط قومه الذين لا يفهمون موسيقاه الساحرة ولا يقدرونها

إننا نستطيع أن نميز في مؤلفات شوبرت عدة مجموعات غنية قيمة غير متساوية فى القوة

أولا : موسيقى البيانو — ثانيا : التريو والكواتوور والكنتيت . ثالثا : السانفونى — رابعا : المؤلفات المسرحية . خامسا : أغانى الليدر . سادسا : الموسيقى الدينية .

إن موسيقاه للبيانو لجديرة بأن توضع فى صف واحد مع شومان وشوبان وستيفن هيلير وهى تشمل السوناتات والفانتيزى و Impronptus أى المرتجلة . وقد كتب عشر سوناتات أشهرها

الست الأخيرة . ولا نزعم أنه جدد في الشكل شيئاً ولكنه بث فيها صفاته العادية من الحنان واسترساله في التأملات والخيالات الرقيقة العاطفية؛ وأهم ما كتب في السونات الخامسة . وهي من مقام لامينور.

وأما القطع المسماة Impromptus فهي تستحق ما نالته من الشهرة والذيوع ، وفيها من المهارة الفنية السهلة ما لا يوجد عند من سبقوه من كتاب قطع البيانو . ولكن بعض مواضيع منها يؤخذ عليها أنها عادية ، وهذا يرجع إلى سرعة الكتابة والتلحين ؛ ولكن بعض هذه الهنات لا تحجب فتنتها الساحرة . إن نظرنا إليها وجدناها كالماء الصافي العميق نشاهد في قراره كل الخصال الشريفة المحبوبة التي تختلج في روح شوبرت وهذا النوع يتفاوت في الأهمية والقيمة

أما موسيقاه الخاصة بالآلات الوتريه فانه أظهر في بعضها نبوغا مدهشا، ولو طال أجله لارتفع إلى ذروة الفن كبيتهوفن. وقد ابتدأ بكتب الكواتوور وهو في الرابعة عشرة وله منها عشرون؛ وكتب كثيرا من التريو والكنتيت يعد بعضها من خير ما جادت به القرائح الجبارة ، ولاسيما ما كتبه منها سنة ١٨٢٤ وسنة ١٨٢٦ وهما الكواتوور en La mineur والذي من مقام سي مينور

ولقد ترك لنا شوبرت ثمانية سانفونيات الأولى كتبها وهو في السادسة عشرة وأهمها اثنتان التي من مقام ut اى دو سنة ١٨٢٨ أو السنة التي مات فيها وقد هجرت في أول الأمر لصعوبة توقيعها ثم عثر عليها شومان في أوراق فرديناند شوبرت وكان من المعجبين به . وقد أغدق عليها شومان من أنواع التقريظ ما شاءت له حماسته وقال انها تكاد توضع في صف سانفوني بيتهوفن

الموسيقى المسرحية

كتب شوبرت ثمانية عشر مؤلفا للمسرح منها اثنان مفقودان ، وواحد لم يتم ، وأربعة منها أوبيريت ، واثنان موسيقى للمسرح وفيها كورس وفاتحات وانترا كت وميلودرام ورقص ويبقى بعد ذلك خمس أوبيرات بالمعنى الصحيح ، أهمها Alfonso et Estrella سنة ١٨٢٢ وفيرا براس سنة ١٨٢٣ وكل منهما ذات ثلاثة فصول . يتساءل الناس لِمَ لَمْ ينجح شيء من مؤلفات شوبرت المسرحية ؟ لأنه لم يوهب الذوق المسرحي ، وقد دهش منه ليزت إذ قال : « إن الذوق الأدبي الذي برهن عليه منذ صغره في اختياره لمتون الليدر قد فارقه وخانه في متون الأوبيرات إذ كان يظهر له الغث والسخيف قبيحاً حسنا ، وكان يكتب له متون أوبيراته أصدقاؤه الذين لم يضربوا بسهم وافر في البيان ولهذه الاعتبارات لم تعش موسيقاه المسرحية

لقد نبغ شوبرت في موسيقى الغناء حتى صاغها بمعنى عميق من التعبير الصوتي؛ وقد كتب نحو خمسين نشيداً (كور) لأصوات الرجال وعشرين لأصوات مختلفة ، ولكنه قبل كل شيء صاحب الصولجان في الليدر التي سبكها في نحو مائة شكل من التعبير إذ تناول جميع أنواع الشعر فلحنها على جميع أنواع الأوزان إذ عالج كل ما وقع في يده من الشعر الوجداني والقصصي والدرام ؛ ورغماً من مرونة عبقريته وسهولتها كان يسود على موسيقاه تعبيره الشخصي إذ كان الرجل الحساس في القرن الثامن عشر

إن ليدر شوبرت تمثل كل صفات الابداع والابتكار التي أوجدتها الطبيعة فلا تجد فيها شيئاً مصطنعاً لأنها ليست نتيجة الثقافة ، ولم تتفتح في حدائق المدنية بل تفجرت كالسيل في محراب عميق بطبيعة لم تنتهك حرمتها ؛ وترى موج الالحان يسيل منها كنبع لا ينضب ماؤه . تتسرب موسيقاه إلى أعماق النفس فتهيمن عليها ويشعر الانسان حينما ينصت إليها بتأثير لا يستطيع أن يثبت أمامه كما نفتتن بصباح جميل عليل النسيم من أيام الربيع وقد كسا الطبيعة بأبهى حلله وعطر الأرجاء بعبقه الشذى. وقد تناول في تلحينه ليدر جوت وشيلر وهين وولترسكوت وأوسيان وغيرهم من الشعراء

الموسيقى الدينية

يذكر الناس أن شوبرت عرفنا بحالته النفسية في خطابه الذي كتبه في يولية سنة ١٨٢٥ عند ما لحن نشيد العذراء Ave Maria إذ قال : « لا يمكنني أن أتناول موضوعاً دينياً ما لم أشعر بالتقوى حينما تتملكني. ولم يكفه أنه اقتعد أرفع مكانة في الليدر والسانفوني وموسيقى الغرف بل أراد أن يثبت للجمهور مكانة لا تقل عنها رفعة في الموسيقى الدينية

وخلاصة القول أن شوبرت يعد من أكبر الشخصيات التي يشار إليها بالبنان في عالم الموسيقى . وقد اختطفته المنية وهو في نضرة شبابه أى في الواحدة والثلاثين ؛ ولو عاش لجلس مع كبار النوابغ في صف واحد . وكأنه أحس بقصر عمره فطفق يسرع في إنتاجه بشكل أدهش الناس كما فصلنا ذلك في موضعه . وكان يتعزى في بؤسه وسوء حظه وسقمه بأصدقاء حميمين يحيون معه هذه الحفلات الفنية البريئة حتى ينسوه آلامه . وهناك كان



رسالة الشعر



حين أطرقت ملهمتي *

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« لفها صمت عميق فى مساء يوم من أيام اللقاء فبدت فى هالة من الجمال الحزين ... أشبه ما تكون بأغنية سماوية على شفة ملاك نائم !! »

أطرقَت كالخيال فى خاطري السَّا   جِى،وكالنَّبْع فى الظلال الحزينه
تتملى فى صمتها ، ذات جَفْن   شاعرٍ فى الدُّجى يُقاسى شُجونه
أطرقت ! يالكُرْبة النَّاى ! من يُذْ
كي هواهُ ؟ ومن يُناغى لحونه
مَنْ يواسيه إنْ طَغَتْ ثورةُ القلـــبِ فهاجت لها الهمومُ الدَّفينهْ
من لهُ : آهِ ! مَنْ لأنغامِهِ السُّو   دِ إذا شبَّتِ الليالى أنينهْ ؟
كم شدا فى ظلالها ناعِمَ اللَّحْـــنِ ، وألْقى على يديْها رنينهْ !

(*) من ديوان (هكذا أغنى) ... تحت الطبع

ريجل الميدر الشجية . تلقى دروسه الأولى بشكل ناقص لا يثمر ولكنه كان معلم نفسه . وكان أستاذه هولزر يبتدئ له بالقاعدة فيسبقه بتعريفها بالهامه وذكائه فكان يقول له : « إننى لا أستطيع أن أفيدك شيئاً ! » وقد وهب شاعرية موسيقية لم يوهبها غيره تفيض على تلحينه فتكسبه أرق العواطف وأبلغ التعبيرات وأدق الأوصاف ، هذا بخلاف رنة الحزن الحلوة التى تسود تلحينه وتصل إلى سويداء القلوب

كان طيب القلب مرهف الحس محباً للخير لا يحسد غيره من كبار الموسيقيين بل كان يعجب بهم ويغبطهم ؛ وكان محبوباً لدى الشعب قبل الاخوان . كانت موسيقاه في تقدم مطرد نحو الرق والكمال بدليل أن مؤلفاته فى سنيه الأخيرة كانت من أرق ما كتب ؛ ولو طال عمره قليلا لأتى بالمعجزات والدهشات   محمد كامل حجاج

ناغماً بالهوى كَتَمْرِية الفَجْـــر ، طَرُوباً كالنَّحْلة المفتُونهْ
مالهُ عادها فصدَّت أمانيهِ   وظَلَّتْ فى الصمتِ وَلْهى حزينه؟

* * *

أطرقتْ فى الظلام كالأبد الوسْـــنانِ ما فرَّت الدياجى سِنينهْ
صَمْتهُ الغيْب غلفتْهُ يدُ اللَّــهِ ، وأخفت عن العقول كمينهْ
مِثْلَ رَيْحانة المســاء جفاها   نَسَمٌ منه ، فاستطابَتْ سكونه
يعبقُ المرجُ فى الدجى من شَذاها   وَهْىَ وَسْنَى بين الروابى سجينه!

* * *

إيهِ مَنْ تُلْهم الأغاريد ، تَنْدى   مِن صفاء..يا بُؤس مَن تلهمينه!
ظمِئَ النَّايُ للتغنِّى.. فهاتى الــكأس ، وارْوِى لياعَهُ وحنينه
أنْتِ فى الصمت آيةٌ فجَّر اللَّـــهُ عليها من الجلال مَعينه
فاصْمُتى ! أوْ فعاوِدى الصبَّ بالسِّحْــــر ! وناغِى هُيامَهُ وَفتونهْ
بَيْتُ شِعرٍ على جبينك غافٍ   أيقظ الصمت سرَّهُ وفنونهْ
وفؤادى الذى تكشَّفَ نجوا   هُ ، وذَرَّى على الخيال دفينه..
وعلى الأعْيُن السَّواجي صلاةٌ   أنا منها فى خشعةٍ وسكينهَ
ما لنُسَّاكها وجودٌ ! ولكن   عابدُ الحسن ــ وَحْده ــ تعرفينه
وعلى الصدْر هزَّةٌ جاوَبتْها   ضجةٌ فى مشاعرى مجنونه
خِلْتُ منها وزَفرةُ الصمت تغلى   نارَ زِقٍ من الأمى تنفُخينه
وعلى الثَّغْرِ جدولٌ من أغانٍ   آه لوْ فى جوانحى تَسْكبينهْ!

نشرتْ مُهجتي القِلاعَ على شَطِّـــيهِ ـ شوقاً ـ فرَحْمتا للسفينه!
لم تجدْ مَرفأً لديهِ سوى الصَّمْـــتِ ، وشطٍّ مُغيَّبٍ ترقبينه!
وظلالٍ وراءَ كونٍ بعيـدٍ   فجَّرَ الصَّمْتُ فى رباها عيونه!
طيرُها نام فى رُفاتِ الأغانى   بعدما أسْكرَ التغنِّى غصونه!
فلأىِّ من الضِّفافِ سيمضى   سابحٌ فى هواكِ لا ترحمينه!
قدهجرْتِ الخيالَ والشِّعرَ والصَّمْــــتَ ... وخلَّفْتِ ناره وجُنونه
وامحى كونُكِ المجسَّمُ ... إلا   قبسٌ من صَبابةٍ تُشعِلينه
رُحْتِ تذْكينهُ من النظر السَّا   هى وفى معْبَدِ الهوى تُضرمينه!
رَحْمةً بالحبيب يا هالةَ الوحْـــى! وزفِّى ضياكِ يُسْنى عيونه
وابسمى! أوتكلّمي الا..و إن شئْـــتِ فلحْظاً على دمي تنشرينه
ينْشرُ السِّحْرُ والهوى والأمانى   فوقَ دُنيا بخاطرى محزونه
أوْ فصَمْتاً ... ورفْرِفى حوْلَ رُوحى
واسْكبى الوحْىَ فى ظِلال السكينه
أنتِ نسِّيتنى هدوئى فى « الكو   خِ » وأفنيْتِ لى ضجيج المدينه
وجعلتِ الأكْوانَ لحناً خفيًّا   ليتَ ـ ياروْعةَ المُنى ـ تعزفينه
وترى مات فى يدَيَّ حنيناً   وغليـلُ الهُيامِ أبلَى متونه
فابعثيه من البلَى يتغنَّى   مثلما كنتِ دائماً تسْمعينه
لفظةٌ منك فتنةٌ وحياةٌ   تتهادى بها الأغانى السجينه
أنتِ يا سلْوتى على نكَدِ الدنيـــا وصفْوي على الليالى الحزينه
شابَ عمرى وَلاتَ .. والرُّوح أضحتْ
مِنْ أساها يتيمةً مسكينه
والزَّوايا أقفرْنَ عُرْساً لحظّى   لا تمنَّيْتُ مرَّةً تشهدينه!
أتعـايا بشقْوتى! والمزامير   ر بكىٌّ شقيَّةٌ موْهونه
يتسلَّى بنا الوُجودُ ... ولكنْ   سلْوةَ الذِّئبِ بالشِّياه السمينه..
وتغنِّيه مُلْهَمين حيارى   بين رِجْسٍ ، وغفلةٍ ، وضغينه
فاعذُرينى إذا ألحَّت بىَ النَّجْـــوى لصوتٍ مقدَّسٍ تكتمينه
فأنا ظامئٌ ... وصوتُكِ للرُّو   حِ عبيرٌ تذيعهُ (ياسمينه)

محمود حسن اسماعيل

مداعبة صديق

للأستاذ محمود غنيم

تعزية موجهة إلى صديقنا الشاعر (...) عن سبعة جنيهات احتال عليه دجال فسلبه إياها أحوج ما يكون إليها

هوِّن عليك وجفِّفْ دمعك الغالى   لا يجمعُ اللهُ بين الشِّعر والمالِ
إنَّا لفى زمنٍ فقْدُ النقود به   يُدمي العيون كفقد الصحب والآلِ
أدِّ التعازى فى مالٍ وفى ولدٍ   لا فرق ما بين أموالٍ وأنجالِ

***

منْ أين أصبحتَ ذا مالٍ فتُسْلَبَهُ   يا أشبهَ الناسِ بى فى رقَّة الحالِ؟
فيالها سبعةً من جيبك انطلقت   وأنت أحوجُ مخلوقٍ لمثقالِ
فريسةٌ من فم السنور قد نُزِعتْ   شتَّانَ ما بين سِنَّوْرٍ ورئبالِ
عوِّذْ نقودك واعقِد حولها عُقَداً   وثيقةً تتحدى كلَّ حلَّالِ

***

قالوا خلت يدُه من كل ما ملكت   فقلت بل رأسُه من عقله خالِ
لم يبْقَ عندك ما تخشى عليه فنَمْ   كما أنامُ قريراً ناعمَ البالِ
نفسى فداؤُكَ ليت اللصَّ صادفنى   قد يغلبُ اللِّصَّ بالأفلاس أمثالى

***

ياليت شعرىَ ماذا أنت صانعُهُ؟   أتزمعُ الصومَ حتى شهرِكَ التالى؟
عش من قريضك فى رىٍّ وفى شبعٍ   إن كان ينتفعُ الظمآنُ بالآلِ
أقسمتُ ما سلبت تلك النقودَ يدٌ   بل ودَّعتْ هرباً من جيبك البالى
الذئب لا يشتهى لحمَ ابنِ جلدته   فكيف غرَّرَ دجَّالٌ بدجَّالِ؟

« كوم حمادة »   محمود غنيم



مجمع أدبي مصري

منذ دخل صاحب المعالى الدكتور هيكل باشا عضواً فى هذه الوزارة وهو يفكر جدياً فى إنهاض الأدب وتوجيه الثقافة إلى الوجهة المنتجة . وقد طالع بهذا العزم فريقاً من أصدقائه الأدباء فبحثوا معه الأمر ورسموا له مشروعاً . فلما ولى الأمر فى وزارة المعارف عقد النية على دراسة هذا المشروع فأصدر القرار التالى بعد الديباجة

بما أنه قد لوحظ أن الحركة الأدبية فى مصر وان كانت قد نشطت وأصبح لها أثر ظاهر فى تثقيف الجمهور وتوجيهه ، إلا أنها لا تزال يعوزها التنظيم الذى يكفل لها اطراد التقدم وحسن التوجيه. وبما أنه قد نبتت فكرة الدعوة إلى انشاء مجمع أدبى مصري يقصد به على الأخص إلى تنظيم الحياة الأدبية فى مصر وإيجاد صلة منظمة تربط الأدب والأدباء بالجهود التى تبذلها وزارة المعارف فى تنشيط هذه الناحية وتعاون على تنمية الثروة الأدبية فى البلاد — على غرار ما هو متبع فى البلاد ذات النهضات الأدبية الكبيرة . وبما أننا نرى تكوين لجنة تقوم بدراسة هذا المشروع والتقدم باقتراحاتها فى نوع الوسائل الكفيلة بتحقيق الأغراض المتقدمة

لذلك قرر :

مادة وحيدة — تؤلف لجنة برياستنا وعضوية : — حضرة صاحب المعالى الشيخ مصطفى عبد الرازق بك والدكتور طه حسين بك والأساتذة احمد امين وخليل مطران وعباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى وتوفيق الحكيم : لبحث وسائل تنظيم الحركة الأدبية فى مصر

الأدب العربى فى مصر منذ الفتح الاسلامى

أصدر وزير المعارف القرار التالى . وهذا نصه بعد الديباجة .

بما أن للأدب العربى فى مصر طابعا خاصا اختلف فى العصور الأولى للفتح الاسلامى عنه فيما تلا ذلك من العصور ويتناول هذا الأدب انتاج الكتاب والشعراء الذين وفدوا من البلاد العربية والاسلامية إلى مصر وأقاموا بها كما يتناول انتاج الكتاب والشعراء المصريين

وبما أننا نرى ضرورة العناية بدراسة هذا الأدب فى مختلف عصوره ، وعلى الأخص تاريخه وصلته بالحياة العامة المصرية — اجتماعية وسياسية واقتصادية — وإظهار الصورة التاريخية التى رسمها هذا الأدب المصرى فى عصوره المختلفة

ولما كانت دراسة هذا الموضوح تتطلب الاستعانة برأى طائفة من المشتغلين بالأدب العربى فى مصر لتعرف الوسائل التى تؤدى إلى حفز الهمم لابراز هذه الناحية قرر :

مادة وحيدة — تشكل لهذا الغرض لجنة برياستنا وعضوية : حضرة صاحب المعالى الشيخ مصطفى عبد الرازق بك ووكيل وزارة المعارف العمومية . والدكتور طه حسين بك . والأستاذ احمد أمين . والأستاذ على الجارم بك . وأستاذ الأدب العربي بدر العلوم

وسائل مكافحة الأمية بين طبقات الشعب

أصدر وزير المعارف قراراً بانشاء لجنة لبحث وسائل مكافحة الأمية ، بين طبقات الشعب ، سواء منهم من كان فى سن الالزام أو من تجاوزه . وهذا هو القرار :

بعد الاطلاع على التقرير المقدم من اللجنة التى عهد إليها بحث مشروع مكافحة الأمية

وبما أن جهد وزارة المعارف فى مكافحة الأمية بنشر المكاتب العامة يقتصر أثره على الأطفال الذين فى سن الالزام ، ومن نتيجة الاقتصار عليهم أن تبقى أغلبية الشعب الساحقة غارقة فى غمار الأمية

وبما أننا نرى ضرورة اتخاذ الوسائل الكفيلة بالقضاء على الأمية لتهيأ لسواد الشعب المصرى وسائل الاستنارة واكتساب قسط من الثقافة يرفع من مستواه ويصله بالحياة الصالحة الجديرة بالشعوب الناهضة

وبما أننا نرى تشكيل لجنة تعنى بدراسة هذا الموضوع من جميع نواحيه وتتقدم باقتراحاتها لتحقيق الغرض المتقدم

لذلك قرر :

مادة وحيدة — تشكل لهذا الغرض لجنة برياستنا وعضوية : وكيل وزارة المعارف ، الوكيل المساعد لوزارة المعارف ، مراقب التعليم الأولى ، محمد فهيم بك ، إبراهيم تكلا بك ، الأستاذ محمد مظهر

مشروع اعداد المعلمين لمدارس التعليم غير الأولية

بين المشروعات التى اشتغلت بها وزارة المعارف ، مشروع إعداد المعلمين للمعاهد غير الأولية . وقد اتخذت الوزارة القرار التالى فى صدد هذا :

بعد الاطلاع على الاقتراحات المقدمة من اللجنتين اللتين شكلتا لبحث موضوع إصلاح دار العلوم ومعهد التربية للبنين

وبعد الاطلاع على التقرير المقدم من وكيل الوزارة المتضمن رأيه فى وسائل إعداد المعلمين للمعاهد غير الأولية

وبما أننا نرى وجوب العناية القصوى بحسن إعداد المعلم وذلك بوضع الأساس الصحيح الذى يقوم عليه كل إصلاح فى وسائل التربية والتدريس

وبما أننا نرى — لتحقيق هذه الغاية — تشكيل لجنة تقوم بدراسة هذه المشروعات والاقتراحات وتتقدم برأيها فى خير الوسائل لحسن إعداد المعلم وإصلاح المعاهد التى تقوم بهذا الاعداد

لذلك قرر :

مادة وحيدة : تشكل لهذا الغرض لجنة برياستنا وعضوية وكيل وزارة المعارف . الوكيل المساعد لوزارة المعارف . مراقبى التعليم الابتدائى والثانوى وتعليم البنات والتعليم الحر بالوزارة . عميد كلية الآداب . عميد كلية العلوم . ناظر دار العلوم ناظر معهد التربية للبنين

حول الرمزية

يسألنى الأديب الفاضل السيد كامل الشرقاوى (الرسالة ٢٥٦) « هل الغموض والابهام من مستلزمات الرمزية وهل بدونهما لا تكون ؟ »

فالرمزية — حسبما بينت فى الرسالة رقم ٢٥١ — على ألوان . فإن كانت الرمزية ناهضة على ما وراء الحس أو الطبيعة غلب الغموض بل قل الاستغلاق عليها (عند مالارميه وفاليرى وكلوديل مثلاً) ، وإن كانت ناهضة على التأثر والإيقاع والتخيل المنسرح قلّ الغموض فيها (عند فرلين ودى رينييه مثلاً) . وأما الرمزية الناهضة على الدقائق والخواطر والواردات من حيث القابلية والابهام والتلويح والتمثيل من حيث الأداء فإنما ينبسط على نواحيها ظل لطيف . ولتجدن بيان هذا فى « التوطئة » التى صنعتها لمسرحيتى « مفرق الطريق »

وأما قصة جبران و (وليم بليك) W. Blake فإنى لا أزال عند رأيى (ارجع إلى الرسالة ٢٥١) . ومما يعزز هذا الرأى قول (رودان) النحات فى جبران ، وتصيبه فى المقدمة التى عملتها فنانة أمريكية (لا يحضرنى اسمها الآن) لمؤلف لجبران يضم عشرين صورة وعنوانه : Twenty Drawings (وهو مطبوع فى الولايات المتحدة)

وبعد ، فهذه الرمزية تشق طريقها فى الأدب العربي ، إذ تطّرد الكتابة فيها (ولا سيما فى الرسالة) . إلا أن بعض ما كتب لا يمحصه نقد ولا يمدّه اطلاع ، وليس بالقارئ اللبيب حاجة إلى التنبيه

بشر فارس

بين الرافعي والعقاد

جاء فى مقال الأستاذ سيد قطب المنشور فى عدد (الرسالة) الغراء رقم ٢٥٦ ما يأتى :

« ... إنه راح يتقصى ما قيل فيما يقرب من قول العقاد : فيك منى ومن ... سائراً فى تقصيه على النسق الخالى من كتب النقد العربى لقدامة وأبى هلال العسكرى ومن ينقلان عنهما (كذا) ... من تتبع المعنى تتبعاً زمنيـاً وحسبان كل شاعر متأخر أخذ هذا المعنى عن شاعر متقدم وزاد فيه أو نقص ، وتصرف أو ولد ... الخ »

وأنا لا أريد أن أخوض غمار المعركة وقد أرادني الأستاذ الزيات على الصمت حيناً ، غير أنه يؤسفني أن أجد فينا من يحاول أن يحط من قدر القدماء من أجدادنا وأن ينظر إلى تراثهم الغالي نظرة احتقار وهو ما يزال في أول الطريق ... ثم إني أريد أن أنصف الأدب والتاريخ ؛ فالذي يقرأ هذه الفقرة من كلام الأستاذ قطب يخيل إليه أن قدامة بن جعفر كان يعرض للبيت من الشعر (فيتتبع المعنى تتبعاً زمنيًّا) وأنا قرأت كتابي نقد الشعر ونقد النثر لقدامة فما وقعت عيني على شيء من هذا ، بل هو نقد وتحليل يستطيع الأستاذ قطب أن يرى رأى الذين يفهمون الأدب لو قرأ في المقدمة التي كتبها الدكتور طه حسين لكتاب نقد النثر الفقرة الأولى ص ١٧ والفقرة الأولى من ص ١٨ من طبعة دار الكتب المصريه ، ثم لو قرأ في التحقيق الذي كتبه الأستاذ عبد الحميد العبادي الفقرة الأولى ص ٣٥ والفقرة الثانية ص ٣٦ من نفس الطبعة ... وإني أرجو الأستاذ قطب أن يمعن في قراءة كتابيّ النقد لقدامة لعله يرى خطأ هذا الرأي ، فهو في كتابيه لم يكتب حرفاً في الطريقة التي أشار هو إليها والتي لزمها القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وهي طريقة لا تخلو من فائدة جليلة ...

أما أبو هلال العسكري فلقد قرأت له كتاب الصناعتين ، وكتاب ديوان المعاني ، وكتاب محاسن النثر والنظم فما عثرت على شيء مما قال الأستاذ قطب

ولست الآن بسبيل أن أعرض لكل كتاب فأكشف عن الغرض الذي رمي إليه المؤلف وعن طريقة الكتابة وأبواب الكتاب ، ولكني أريد أن أطلب إلى الأستاذ قطب أن ينبئني عن تفسير قوله « ومن ينقلان عنهما » ثم عن مواضع النقل البارزة في الكتب السابقة

فهل لي أن أسمع منه كلمة هادئة في هذا الموضوع دون أن يتحدث عن القديم والجديد ، فهذا باب آخر ...

كامل محمود حبيب

تجميل وزارة المعارف وتشجيع رجال الفن

رأت وزارة المعارف أن في مصر طائفة كبيرة من رجال الفن الذين يبتدعون مختلف اللوحات الفنية الرائعة والتماثيل المنحوتة الجميلة ، ثم لا يجدون الاقبال عليها مما يجعلهم في حالة يستحقون من أجلها المعاونة حتى يمكنهم النهوض بفنهم

وقد اعتزمت الوزارة إزاء هذا تجميل مكاتب كبار الموظفين بوضع اللوحات الفنية لرجال الفن المصريين كما اعتزمت تجميل حديقتها بوضع التماثيل فيها

وتأمل الوزارة أن تحذو الوزارات والمصالح الأخرى ، والأسر الكريمة الراقية حذوها في اقتناء تلك الآثار الفنية الرائعة التي يضيق عنها متحف الفن ، رغبة في تربية ملكة الذوق السليم في النشء من ناحية ، وفي تشجيع رجال الفن من المصريين على المضي في ابتداعهم وإنتاجهم من ناحية أخرى

منح المجلس البريطاني لخمسة من طلبة الآداب

تلقت الجامعة المصرية ، كتاباً من المجلس البريطاني ، ذكر فيه أنه يمنح خمسمائة جنيه لخمسة من طلاب قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب ، تقسم بينهم بالمساواة فتتاح لهم بفضل هذه المعاونة المادية زيارة انجلترا لتوثيق عرى الصداقة وتمكين الأواصر العلمية بين مصر وانجلترا

وقد أعد لهم المجلس مقراً صيفياً في أكسفورد لهذه الغاية ، وقد عرض هذا الكتاب على مجلس الكلية ، فتقبله شاكراً ، وسيعرض على مجلس الجامعة في اجتماعه يوم الثلاثاء القادم ، ثم تختار كلية الآداب الطلاب الذين يسافرون في هذه البعثة الثقافية

بين الرافعي والعقاد

قرأت ما كتبه الأستاذ كامل محمود حبيب فيما رأيته من صبحة قول العقاد :

فيك مني ومن الناس ومن ... كل موجود وموعود تؤام

لأن كل شيء في الكون لا يخلو من حسن يسوغ إجراء بيت العقاد على عمومه ، فلم يسعه إلا أن يعترف بعموم هذا الحسن ولكنه فسره بمعنى الدقة في الصنع وجمال الخلق

وهو يرى أن هناك جمالين : أحدهما جمال بهذا المعنى الذي ذكره من دقة الصنع وجمال الخلق . وثانيهما جمال لم يستطع تفسيره ، بل قال إنه الجمال الذي يجذب القلب ، ويأسر الفؤاد ، ولا يمكن أن يجده الانسان في الدودة وفي الدبابة وغيرها مما تشمئز منه النفس ، ويعافه الذوق

وإنى لأقول للأستاذ الفاضل إنه لا جمال فى الدنيا إلا بمعنى دقة الصنع ، وجمال الخلق ، وهو عام فى كل ما خلق الله تعالى ، وإن كان لكل نوع من ذلك جماله الذى قد يكون قبحاً فى غيره

ولا شيء بعد هذا فى أن يقول العقاد إن معشوقته فيها من كل شيء من هذا الكون الجميل ، وهذا كما تقول إن زيداً فيه جزء من كل حيوان فيصح لك هذا القول ، لأن الحيوانية العامة جزء من زيد ، وهى جزء من كل حيوان

بل يجب أن نقبل هذا من العقاد كما نقبل منهم تشبيه الوجه الحسن بالبدر ، مع أنك إذا ذهبت تستقصى فى البدر ما تستقصيه فى بيت العقاد يضيع منك هذا التشبيه الجميل ، ويكون لك فى البدر من الجبال والكهوف وما إلى ذلك ما فى بيت العقاد من الدود والذباب ونحوهما

على أن الأمر لا يقف فى بيت العقاد عند الصورة الحسية من معشوقته ، بل يتناول مع هذا صورتها النفسية ، فهى حلوة ومرة ، وهى نعمة وبلاء ، وهى سعادة وشقاء ، وهى فى مرارتها أشد من الصاب ، وإن شئت قلت من اللح الانجليزى الذى تهكم به الرافعيُّ رحمه الله ، وهى فى هذا حلوة وجميلة أيضاً ، ومثلها فى هذا مثل ذلك الممدوح الذى قال فيه بعض الشعراء :

هو عسل إذا ياسرته وإن عاسرته فهو صاب

ولست بعد هذا فى حاجة إلى إعادة الكلام فى بيت الأستاذ العقاد ، وليس عندى من التعصب له أو للرافعى ما يدعونى إلى إطالة هذا الجدال

عبد المتعال الصعيدى

وفاة عالم بريطانى

فقدَ قسم العاديات المصرية والأشورية فى المتحف البريطانى ، عالما فى الآثار المصرية من العلماء الحديثين الذين كان يرجى لهم مستقبل عظيم ، بوفاة المستر الان وين شورتر الذى قضى نحبه بذات الرئة وهو فى الثانية والثلاثين من عمره

وقد التحق المستر شورتر بالمتحف البريطانى فى سنة ١٩٢٩ فوجه أكثر عنايته منذ ذلك الوقت ، إلى دراسة النصوص الدينية المصرية وقد وضع بضعة مؤلفات عن الحياة الدينية عند قدماء المصريين وأنجز أخيراً الجزء الأول من « كتالوج » أوراق البردى المصرى وفى عامى ١٩٢٨ و ١٩٢٩ اشترك فى بعثة جمعية الاستكشافات بمصر



كيفما اتفق ATRANDOM

كتاب بالانجليزية للدكتور أحمد زكي أبو شادي

للأديب نصري عطا الله سوس

الدكتور أبو شادي شخصية فريدة كل مافيها معجب محبب ، وهو مثال باهر للكاتب الذي يحيا حياة عامرة بمختلف أنواع النشاط الناهض. وحسب الطبيب الشاعر أنه إحدى الشخصيات القلائل التي تمددت نواحي أذهانها دون أن تطغى ناحية على أخرى . وهو مثل حي بليغ لاستحالة المداوة بين الفلسفة والدين والعلم والشعر . وإن الخلاف بين نوعين من أنواع المعرفة لايجد له مكاناً إلا في الذهن الـكليل الذي لا يمكنه أن يفهم إلا جزءا من كل ، والذي توفرت له بعض المؤهلات ولم يتوفر له البعض الآخر ؛ ولـكن العقل الـكبير يدرك بالبديهة قبل أن يثبت بالبرهان (إذا فرض إمكان الاثبات عن طريق العلم) أن العالم وحدة لا تتجزأ وأنه من المستحيل أن يناقض بعض أجزائها البعض الآخر

ويعجبني في الدكتور أبي شادي أنه كائن حي قائم بذاته يتفجر إيمانه بالحياة وربها وما بعدها من أعماق ذاته ولا يتقبل تعاليم السلف مغمض العينين . والاستقلال الذاتي صفة نادرة ؛ ولـكن الحياة بدونها تصبح باهتة رثة عديمة الطعم عديمة القيمة .

وقد اتجه الدكتور إلى التأليف بالإنجليزية وبين يدي الطبعة الثانية لكتابه « كيفما اتفق » وقد تناول بالبحث في كتابه هـذا أهم المشاكل العالمية مثل تحسين النسل ، العوامل التي يجب أن تتوفر في الشخص المتمدين ، العبقرية ، الديمقراطية والحكم المطلق ، الدين ، المساواة بين الجنسين، الاقتصاد، التعاون ، والأخلاق ، ويجب على كل شخص يحس بوجوده أن يدرس هذه الموضوعات ويكوّن له رأياً خاصاً فيهـا ؛ وغرض الـكاتب هو خير الفرد وسعادة المجموع . غير أني أختلف معه في بعض ما يقترحه من وسائل وغايات

تطغى شخصية العالِم في هذا الـكتاب على ماعداها. وأي عالم ؟ ذلك الذي لا يؤمن إلا بالعقل وحده والمنطق والمقاييس المضبوطة — وعهدي بأبي شادي شاعراً كبيراً ولـكن شخصية الشاعر اختفت تماماً من هذا الكتاب ، وفي هذا خسارة لا كسب . وقد تطرف الـكاتب في بعض آرائه تطرفاً عنيفاً وهاجم بعض النواحي التي لا يسهل مناقشتها في مصر وإن كانت هذه النواحي أكثر الأشياء افتقاراً إلى البحث والتمحيص . ولا شك في أن كل مثقف يؤمن بما قاله المؤلف عن « الأساطير » وأن اعتناق الجماهير إياها مصدر الـكثير من الضرر ، ولـكنه لن يجد من يؤمن بالعلم وحده . العلم الذي يتخذ المقاييس والرياضيات أساساً له — ومن المسف أن نهاجم عقائد الشخص العادي ونحاول تشكيكه فيها مهما كان فيها من خلط وزيف قبل أن نمده بمـا يشغل مكان هذه العقائد — والعلم لن يقوم مقام العقيدة ، وكل حضارة لا تستند إلى إيمان قوي لا يمكنها أن تثبت لإرهاصات الزمن — ولا شك في أن العلم ركن قوي من أركان الحضارة ولكنه لا يمد الانسان بالايمان الذي يريح القلب ويطمئن الضمير ، ولـكن الايمان ينبع من أعماق النفس ولا حيلة للمنطق معه ! وستمر دهور ودهور قبل أن يترجم الانسان العادي النور وتغريد الطيور وجمال الزهور إلى معان إلهية . ومن هنا صعوبة مهاجمة « الأساطير » في الوقت الحاضر — وعندي أن كل إصلاح لا يبتدئ بالفرد مصيره الفشل المحتوم — فيجب على المصلحين أن ينموا شعور الفرد بانسانيته وأن يستخدموا العلم في تحريره من ربقة المادة ، وأن يفتحوا أمامه

سبيل تهذيب الضمير بواسطة الآداب والفنون حتى يتفجر إيمانه بالقوة الخالقة من أعماق ذاته المحرَّرة . وعندئذ يمكنه أن يُنزل الأساطير مكانها الحقيقية؛ ومتى وصل إلى هـذا المستوى وشعر بكرامته الانسانية فسيشعر بواجبه شعوره بحقه وسيفهم معنى الحياة الانسانية الحقة، ويخصص نفسه لخدمة مثلها العليا، ولن يؤمن بالدكتاتورية أو يسمح بها. أما الايمان بالعلم وحده فمظهر من مظاهر الصلف والاغترار الذهنى

وأعتقد أن العالم الذى حوى صدره علم الأوائل والأواخر ، والذى يقول « إن الحياة على هذه الأرض محض صدفة » أو يبلغ به التبجح إلى أن يقول : « إن الله عالم رياضى » إنسان بائس مسكين ، والشخص العادى الضعيف الذى يرى أن مظاهر القدرة الالهية مبثوثة فى كل شىء أسعد منه بمراحل . والظاهر أن المؤلف تأثر بكتابات الذهنيين Rationalists ونظريات برتراند رسل عن وحدة الروح والجسم وهلا كهما معاً. وحسبي أن أذكر مثلامن هذه النظريات يرينا خلل وضلال القياس الذهنى :

يقول رسل إن حالة « الاشراق والصفاء » والمعانى اللطيفة التى تترقرق فى قلب الانسان أثناءها تشبه حالة السكر وما يخالج النفس أثناءها من نزوات، لأن السكر حالة شاذة تقع بواسطة مؤثر خارجى هو الخمر ؛ وكذا حالة الاشراق أيضاً لأنها تقع بواسطة مؤثر خارجى هو الصوم ! وهذا هو مايؤدى إليه الايمان بالعلم وحده

ولا شك أن هـذا الكتاب خطوة حسنة فى سبيل توطيد العلاقات الثقافية بين مصر وبريطانيا؛ غير أن القارئ الغربى لن يجد فى هذا الكتاب جديداً ولا يمكنه أن يتبين أن المؤلف رجل شرقي ، لأن «الشخصية» بمعناها الأدبى معدومة الأثر فى الكتاب. وقد عالج المؤلف موضوعات معروفة مطروقة فى الغرب ولا فضل له فيها إلا الجمع والترتيب والاختيار ؛ ثم عرض لبعض المظاهر الاجتماعية فى مصر. ولعله ينحو فى كتاباته المستقبلة نحواً جديداً بحيث تبدو فيها خصائص الروح الشرقية الحرة ، وهـذا ميدان واسع تعود الكتابة فيه بالفائدة على الشرق والغرب، لأن مظاهر العلم والفن والأدب فى أوربا الحديثة متأثرة بمـا ترزح تحته هذه القارة من أنواع المحن والبلاء ، ولا يمكن للشخص الغربى المنشأ في حلقة هذه الظروف أن ينظر إليها نظرة أصيلة فاحصة ولكن الرجل الشرقى الذى لم يتأثر بهذه الظروف يمكنه أن ينظر إلى هذه الأحوال نظرة أقرب إلى الحق والصدق ، ويجب على الكاتب الشرقى أن يهتدى إلى الغرب مما عندنا لا مما يستعيره منه

بقي أن نقول إن الشرق مفتقر إلى مثل هذا الكتاب أكثر من افتقار الغرب إليه ، ويقول المؤلف فى مقدمته أنه يعنى بكتابه القارئ العادى (الغربى طبعاً) ثم يعود فيقول إنه لا يعنى بكتبه عموماً إلا الخاصة ، وإنه لا يهتم بسواد القراء فى الشرق ؛ ولما كانت خاصتهم تعرف الانكليزية فلا ضير عليه فى الكتابة بها ؛ ولكن المؤلف يدعو إلى التعاون العالمى، وهذا لن يكون إلا إذا ارتفع القارئ الشرقى العادى إلى مستوى القارئ الغربى العادى ولعلنا نرى الكتاب مترجماً إلى العربية بعد تعديل يلائم الشرق

نصرى عطا الله سوس

بونا انطون

للآنسة وداد سكاكيني

لما قرأت رواية « بونا انطون » للاستاذ كرم ملحم كرم لمت بخاطرى رواية نوتردام دو بارى لشاعر الفرنسيس فيكتور هوجو، وخفق أمام عيني مسوح الراهب كلود فرولو وقد ملأها الهواء فانتفخت حتى بدت وراء ظهره كالقربة ؛ تمثلته بالخيال يصعد بجلال سلالم الكنيسة ، لاحقاً بالراقصة الحسناء « ازميرالدا » ملحاً عليها بأن تحبه فيجثو أمامها ضارعاً لهيفاً ، كما يجثو أمام المذبح فى المعبد ، ويناشدها الغرام الأثيم ثم يقول لها : تخيرى أحد أمرين : إما شهوتى العاتية وإما الموت الزؤام ، فاختارت الثانى فطوح بها هذا السفاح فى مهاوى الردى وقد اتهمها بالقتل ، وما قتلت إلا يده الجانية وغيرته الطاغية فهو الذى طعن حبيبها الأمير فوبوس من خلفه إذ كان إلى جنبها يناجيها فى ليلة هادئة مقمرة

ذكرت هذا كله حين قرأت رواية « بونا انطون » لنابغة القصة العربية فى لبنان كرم ملحم كرم وقلت : بأبى الحق وأمى إن جاء من أهله ! لقد كتب الأستاذ كرم روايته عن كاهن خبيث فصور لنا حياته الخفية التى لا يراها الناس ، وعبر عن نزواته الصارخة واحتياله الوضيع بأسلوب رشيق أخاذ . لقد كان هذا الأب يغدو كل صباح إلى سيدة مهذبة فاضلة فيبارك بهاولا يكاد يقترب المساء حتى يهب فى ديره إلى ارتداء قلنسوته ومسوحه فيمسح بيده طيباً ، وينطلق إلى بيت السيدة التى سبته وسامتها وخلبته براعتها ، فأصبح لها عاشقاً وامقاً ، فيبارك عليها مرة أخرى ويرمقها خلسة بعد خلسة بلحاظ لاهبة ذاهلة

كان هذا الكاهن يتابع زوراته واعظاً باسم الدين ، ذئباً فى صورة إنسان ، حتى كشفت المرأة الذكية عن نيته وطويته ، فاذا هو يحمل لها فى قلبه حباً أقوى من حب روميو ، ويكظم فى نفسه شهوة لها أشد من شهوة كازانوفا ؛ ولكن ماذا تفعل به وهى من المحصنات ولها زوج كريم ؟ فصدته عن السوء ، وكفته عما أخذ بأطرافه من مراودة عن نفسها ، فلم يستعصم ، وما يئس . وحين لم تستطع على جماحه كبحاً ، أمرت الخادم أن لا تفتح الباب للكاهن . فلما أحس مقتها ونفورها ، فار الدم فى عروقه من الغيظ وثارت فى صدره وساوس الحقد والثأر ، فآلى على نفسه أن يهدر سعادة المرأة الشريفة ويذيقها العذاب الأليم ، فنصب لزوجها شراك الشر وشباك الضلال ، بتسخير امرأة خليعة ماجنة تغريه بالمعصية وتغويه بالفجور ، وقد ترضاها الكاهن بشفاعته وغفرانه فأذعنت له وصرفت الزوج عن امرأته وبيته ، ثم عاود الكاهن زوراته لعل المحبوبة الأنوف تخفف من غلوائها وتفىء إلى حبه ، فتبرمت به وهدمت بعفافها زهادته الكاذبة وتبتله الموهوم

هذا طرف من سياق الرواية الطريفة « بونا انطون » وهى رواية حافلة بالتحليل العميق والوصف الدقيق ، وقد فاضت بالحياة الصاخبة ونضحت بالصراحة العارية . كل سطر فيها كالعرق النابض ، وكل قارىء لها كالطبيب الحاذق يستطيع أن يعرف حالة كل عرق فيصف دواء الأخلاق المريضة

لما نشر الأستاذ كرم ملحم كرم روايته فى بيروت قامت عليه قيامة رجل من رجال الكنيسة فأقام الدعوى على الأديب القصصى ، وادعى فيها أنه هو المقصود بالأب انطون ، وأخذ يؤلب الحكام عليه ويسخر بعض الموتورين لذمه وتسفيه روايته واستهجان ما فيها ، فذكرنى مرة ثانية بما كان من أمر القصصيين الغربيين وكيف أقام عليهم الدعاوى أناس ظنوا أنهم هم المقصودون فى القصص ، ثم خرج كتابها أبرياء ، ونفضوا عن أكتافهم غبار الاعداء ، فطاح به الريح وأذراه فى هبوبه وذباب رغاؤهم وزبدهم ، وبقى القصاص وضاح الجبين مرهف القلم رفيع الهدف ، لأنه هو الذى ينفع الناس ، وهكذا خرج الاستاذ كرم ظافراً منبراً فى وجوه حساده وأعدائه ، وبقيت روايته حية خالدة

إن القصة العربية آخذة فى السمو والاشراق ، ولا يمضى عليها ردح من الزمن حتى تسابق القصة الغربية وتماثلها قيمة ومقاماً ؛ فالاقلام تمارسها بقوة ورغبة ، والقراء يتقبلونها بشوق ولذة . ولا بدع إذا نهضت القصة والرواية فى لبنان فان الاستاذ كرماً مهد السبيل لهذا الفن العريق وفتح فيه عهداً جديداً . وها إن المطبعة العربية فى لبنان تزجى الينا القصة أثر القصة ، والرواية تلو الروايه ، وقلم الاستاذ كرم لا ينقطع عن قرطاسه فما تقع عيناه على أحداث الحياة فى لبنان وما جاوره من بلاد العرب حتى يستوحى جوها ويستنطق بيئتها ، فيسبر غورها ، ويبادر إلى تصويرها بما فيها من قلق واضطراب ونقص وإخفاق . وان له من ثقافته الادبية وتضلعه من اللغة العربية وفطرته فى القصة معيناً لا ينضب . ومصداق القول قصصه العديدة الرائعة ورواياته ، وآخرها « بونا انطون » التى كتبها على ضوء الفن والواقع والجرأة وخلع عليها أسلوبه الحر الصقيل ، فنزهها عن مزالق اللهجة الصحافية والكلام الدخيل .

وداد سكاكيني

6 me Année, No. 258 — Lundi - 13 - 6 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العــــدد ٢٥٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ ربيع الثانى سنة ١٣٥٧ — ١٣ يونية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهــــرس

من ذكريات الريف

ليـــالى الحصاد ...

يا حبةَ الأمح زيدى — واملى المخازنَ علينا
إنت دَهبْ مَلو إيدى — لولاكْ مرُحْنا وجينا
يا شمعة العز إيدى — واجلى بنورك عِنينا
دا عيدْ حبايبى وعيدى — يا رب عودهُ عَلينا

***

بهذه الأغنية الرقيقة كان صوت أمينة الوترىُّ الرخيم يموج لذيذاً فى مِسمع الليل المقمر الساجي ؛ وكان أترابها يُرجِّعن عليها اللحن ومناجلهن فى أيديهن تجز سيقان القمح فتسمع لها فى خلال النغم خشخشة آلة موسيقية غريبة !

كان ذلك فى ليلة بين أواخر مايو وأوائل يونية ، والزرع قد استحصد وتهالك بعضــه على بعض من الذبول واليبس ، فلم يعـد يقوى على حمل سنُبله . وكان الحاصدون والحاصدات قد خرجوا عشاء إلى الحقول الذهبية ، في أيديهم المناجل ، وعلى أكتافهم الأردية ، وهم يوقِّعون على طرق الربيع العشيبة أهازيج الجذل والأمل ، فباتت القرية هامدة كأنما ضرب على آذانها الموت فلا تسمع سامراً على مصطبة ولا نابحاً علي تل . فأخذنى

منها ما يأخذ السائرَ الوحِدَ من الغابة اللفة أو المقبرة الفسيحة.

فخرجت أنشد الفرجة والأنس فى حقل من حقولنا القريبة ، وكنت أعلم أن فى حُصَّاده جوقة من الأوانس الحسان الوجه والصوت. فلما غمرنى ليل الحقول ، وملكنى سلطان الطبيعة ، أحسست فى نفسى دنيا جديدة لم أحسها من قبل فى نهار الناس ولا فى ليل القرية ! فقد كان القمر حينئذ فى الفخت يرسل أضواءه اللينة الرخية ، هادئة كإشعاع الحِلم ، شاحبة كإسفار الأمل ، فيلوّن الغيطان والغدران والطرق بلون الفضة الكابية ؛ ونسيم آذار النديُّ العبهريُّ ينفح بطراءة الفردوس الإنسان والحيوان والشجر ، فينتعش الهامد و يتنفس المكروب وتتندّى الحصائد ؛ فتسمع الجنادب تصر فى هشيم البرسيم ، والضفادع تنق على حفافى الترع ، والسواقي تنوح على رءوس الزروع ، والحاصدات يغنين فى مزارع القمح ، وطيور المساء تبغم على أعالى الدوح ، وكلاب الحراسة تنبح على أطراف البيادر ، فيكون من كل أولئك إيقاع موسيقيّ عجيب يبعث الروعة فى النفس، ويُلْقِى الشعر على الخاطر !

على أن هذه الأصوات المتجاوبة على نشوزها لم تكن هي مبعث السحر الذى غلب على مشاعرى ؛ إنما كان مبعثه ذلك السجوُّ العميق السحيق الذى ضرب على حياة الليل فهيمن على كل حس وسيطر على كل حركة ، فما نسمع الأصداء فى جوف هذا السكون ، إلا كما ترى الأنداء فى رمال المفازة

* * *

كنت أمشى بين هذه الظواهر الليلية وئيد الخطو رزين الخيال مرهف الحساسة ، لا أجد فى طبعى ما كنت أجد فى النهار من مرح الصبى وخفة الحداثة ؛ فكأنما يضع الليل من ثقله على الجسد والفكر والشعور فيتغلب على المرء الهدوء والبطء . ذلك إلى أن الجو الاجتماعي فى القرى ليالىَ الحصاد ، يختلف عنه فيها أيام الجنى . فنى حصاد القمح يأخذ القرويين حالٌ من التدين الذاكر الشاكر ، لأنهم يتقبلون فضل الله فى هذه الحبة المقدسة ليحفظوا بها البدن ، و يمسكوا عليها الروح ؛ فهى عندهم مرادفة للحياة، يسمون خبزها (العيش) و (النعمة) ، ويتحرون فى كسبها الحل والحرمة ، ويذكرونها فيذكرون الرزق والصدقة والزكاة والبركة

أما فى جنى القطن فيدر كهم مسٌّ من الطمع والغرور فيحبون الدنيا و يعشقون المال و يرغبون اللهو و يذكرونه فيذكرون الربا والثراء والرواج والزواج والهم

* * *

كنت لدى ساقية الغيط الراقدة فى كِلَّةٍ من أغصان الصفصاف المرسلة حين ارتفع صوت أمينة الحنون بالأغنية التى ذكرت بعضها فى مطلع هذا الفصل . وكان الحصَدَة من رجال ونساء يزحفون إلى القمح بمناجلهم صفاً فيتركونه وراءهم أضغاثاً من الحصيد منظومة الأسافل والسنابل ، ثم يعودون الحين بعد الحين فيركمونها حُزَماً غليظة ويَدَعونها تنتظر النقل على الجمال إلى البيدر

وأجمل مافى ليالى الحصاد منظر الحقول المنبسطة على مدى الطرف وقد ضربت فى صفرتها أضواء القمر فابيضت ابيضاض المصريات الحسان ؛ ومجالسُ الشباب والشوابّ على حصائد القمح الوثيرة يديرون بينهم سقاط الحديث الفكه ، و يتبادلون فى احتشام كنايات الغزل الحيي ؛ وغناء الفتيات وزمْرُ الفتية يتواردان على سمعك من قريب ومن بعيد ، فيفعلان فى نفسك ما لا يفعله الموسيقار الحاذق ؛ ثم نوم هؤلاء وهؤلاء فى الهزيع الأخير على فُرُش من الحصيد تكلاهم عين العفاف وتتمثل فى أحلامهم صور الفضيلة . فإذا ما تنفس الصبح على وجوههم المطلولة هبوا إلى القناة يتوضأون ويصلون ، ثم يعودون إلى مناجلهم على أنشط ما يكون الفتى ، وأرضى ما يكون المؤمن

* * *

أبداً لا أنسى أننى قضيت معهم تلك الليلة ، ثم نمت هذه النومة ، وقمت هذه القومة ، وأسفر علىَّ ذلك الصباح الضاحك المنضور فأبصرت مسالك القرية تسيل بحاملات الفطور للحصاد ، وسائقات الماشية للمرعى ، ولاقطات السنبل من بنات الفقر ، فكان لي من جمال تلك العشية وضحاها ، لذة لا أزال أنعم بذكراها ، وأتمناها !

احمد حسن الزيات

تأملات فى الأدب والحياة

للأستاذ إسماعيل مظهر

شذوذ

تاريخ الصراع الأدبى فى مصر ، وتاريخ الصراع السياسى ، يتلخصان فى معارك تقوم بين أشخاص ، ولقد أدركت هذه الظاهرة النقد أيضاً . فتاريخ النقد فى مصر عبارة عن موازنة بين كاتبين أو شاعرين يحاول الناقد أن يعلى أحدهما على الآخر . أما مذاهب الأدب ومذاهب السياسة ومذاهب النقد . فهذه لا قيمة لها فى نظر الأديب ولا فى عرف السياسى ولا فى تقدير الناقد وعامة ذا شذوذ ، بل خروج على طبيعة الأشياء

أفهم أن يقوم الصراع الأدبي بين مذهبين يمثلهما كتاب أو شعراء يعتنقون في الأدب مذهباً محدود المرامي بيِّن الغايات . وأفهم أن يقوم الصراع السياسى بين أحزاب تقتتل على مبادئ عامة تتعلق فى أكثر الأمر بالخير المنشود للعدد الأكبر من الناس . وأفهم أن يقوم النقد على فكرة منطقية يقتنع الناقد بصلاحيتها وحقها فى البقاء ، فيمضى فى نقد الكاتب أو الشاعر انتصاراً لتلك الفكرة . وأفهم فوق هذا كله أن يقتتل كاتبان ولكن انتصاراً لمذهبين يعتنق كل كاتب مذهباً منهما ، والغلبة للأصلح من المذهبين . أما الذى لا أفهمه ولا أستطيع أن أفهمه يوماً من الأيام، فأن يتطوع ناقد لنصرة كاتب على آخر ، أو شاعر على شاعر غيره احتساباً لوجه الله الكريم ، من غير أن يكون الناقد فى نقده مخلصاً أول شيء لمذهب بيِّن فى الأدب يعتنقه الكاتب المنتصر له

وما أبرئُ نفسى ؛ فإن عدم قدرتى على فهم هذه الأشياء قوة لم أشهدها في نفسى إلا منذ عهد قريب ، وما بعثها إلا ذلك الصراع الذى قام على صفحات (الرسالة) بين أنصار صديقى الأستاذ العقاد، وصديقى المرحوم الأستاذ الرافعى، صديقان مات أحدهما وأدعو الله أن يمد في عمر الآخر . سكت أحدهما وطواه الزمن ، وصمت الآخر على ما كان بينه وبين الأديب الراحل تجلة للموت وتحية لذكرى أديب جاهد فى سبيل الأدب ، ودفناً لحزازات ما أجدر الموت أن يكون ماحياً لآثارها وذكرياتها

لقد صمت صاحب الحق الأول ؛ وما كان ليتكلم وقد خلا الميدان من مناظره ، وهو يعلم أن الكلام فى مثل هذا الظرف جريمة فى شرعة الأدب ، بل خطيئة من المنكرات

صمت صاحب الحق وتكلم غيره احتساباً ، وحاشا أن أقول هنا لوجه الله ، لأن الله لا يأمر بأن تنبش الحزازات وتحتفر الضغائن ويكشف عن السيئات دون الحسنات . أم نقول قولة أنطونى على جثة قيصر : « إن الشر الذى يعمله الناس يعيش من بعدهم ؛ أما الخير فيدفن مع عظامهم ؟ ! »

ولست أدرى أى وصف توصف به هذه القضية لو تقدم بها خصم ثالث إلى مجلس حسبي ينصب لمحاكمة الأدباء ؟

لتغير التاريخ

قرأت ، كما قرأ غيرى ، قول بعض المؤرخين : « لو لم يكن كذا لتغير التاريخ » . وهو قول ظاهره خلاب جميل ؛ قول سمته الحق ، ولكنى لم أر حقاً يراد به باطل أكبر من هذا الحق

قيل مثلاً : لو أن أنف « إقليوفطرا » كان أقصر قليلا مما شاءت الطبيعة لتغير التاريخ . ولماذا ؟ لأنها كانت بأنفها «الأقصر قليلا » تستطيع أن تنوى « أوكتافيانوس » كما أغوت « أنطونيوس » من قبله . وإن نظرة أولية فى هذا الكلام تدلنا على أن ما فيه من الحق إنما هو بمثابة البرق الخلب ، يبهر النظر ويأخذ باللب ، ثم لا يترك فى نفسك من الأثر إلا أثر اللمحة العابرة تستذكرها ، ولكنك قلما تفكر فيها قليلا . فمن ذا الذى أعلمنا أن أوكتافيانوس ، قائد الرومان المعظم ، وأول أباطرتهم العظام ، كان يستهويه أنف دقيق ولا يستهويه أنف طويل ؟ وعلى أية قاعدة نحكم بأن ذلك القائد كان على استعداد لأن يُغوى ، دق أنف الملكة المصرية أو كبر ؟ أما الحق فإن أنف « إقليوفطرا » قد ظلم

وقيل أيضاً : لو لم يظهر نابليون لتغير التاريخ . وجملة ما فى هذا القول من الحق فى معتقدى أن التاريخ ما كان ليتغير إلا بأن يحذف منه اسم نابليون ليحل محله قائد آخر يفعل من الأشياء ويحدث من الأحداث ما قد أدت إليه أعمال نابليون بالذات ،

وما يصح عن نابليون يصح عن هينيبال وعن الاسكندر الأكبر وعن غيرهم من العظماء الذين نقول اعتباطاً إنهم غيروا التاريخ

لو صح قول القائلين: «لو لم يكن كذا لتغير التاريخ» لبدت الانسانية فى صورة مجاوات تضرب فى فيافٍ وقفار، وتخبط فى ظلمات مدلهمة خبط عشواء، تقبض على زمامها شهوات الأفراد وتقودها نزواتهم وانفعالاتهم، وتصرف أمورها أخيلة قلة من الناس فى مقدرتهم أن يخلقوا التاريخ ويبتكروا المستقبل ابتكاراً من غير أن يتقدم ذلك الابتكار أية مقدمات تسوق إليه، على العكس من كل تناسب فى نظام التطور الاجتماعى، وعلى الضد من المنطق المدرك من نظام الطبيعة

أما إذا أردنا أن نثبت هذا المذهب فينبغى لنا أن نحلل مثلا أو مثلين مما ذكرنا. أما مثل «إقليوفطرا» والقائد الرومانى، فان حوادث التاريخ ذاتها تدل على أن الحنق كان قد ملأ قلب أوكتافيانوس تلقاء ملكة مصر وزوجها أنطونيوس حتى ليتعذر معه أن يجد جمال إقليوفطرا أو فتنتها طريقاً إلى قلبه

كان أنطونيوس وأوكتافيانوس صديقين اقتسما القوة والبطش فى رومية، وقضى أنطونيوس على قتلة قيصر فى سلسلة من المواقع المشهورة، ثم نزا الشيطان بينهما ففرقت بينهما المكائد والدسائس، ثم تصافيا وتزوج أنطونيوس من شقيقة أوكتافيانوس توثيقاً لصداقتهما، ثم سافر إلى الشرق فالتقى بالملكة المصرية وتزوج منها وهجر رومية ومن فيها، ثم استبان الرومان أن ملكة مصر تحاول من طريق عشيقها الرومانى أن تذل رومية وأن تصبح ملكة الدنيا، فقام الصراع بين مصر ورومية وانتهي بمصرع العاشقين. فهل هذه مقدمات يمكن أن تؤدى إلى غير ما حكم به منطق الواقع؟ وهل كان من المستطاع أن يغير أنف الملكة المصرية من مجرى هذا التاريخ شيئاً، قصر أم طال؟

وكذلك الحال في نابليون. فإن الثورة الفرنسية وما طلّ فيها من الدماء وما أحدثت من تخريب وما ذاع فيها من الخيالات وشاع من الأوهام، وتفكك بلاد ألمانيا وضغط إيطاليا وانحلال أسبانيا، وتيقظ الروح الحربى فى فرنسا لما أن هاجها أعداؤها ومراجل الثورة يغلى فى بطنها؛ جماع هذا كان من شأنه أن يبث «نابليوناً» مّا، لو لم يكن بونابرت لكان غيره، ولأحدث من الأحداث ما كان من الطبيعى أن يؤدى إلى نفس النتائج التاريخية التي أدت إليها أعمال نابليون هذا بالذات

وإن شئت فقل إن هذا كان شأن الاسكندر الأكبر. فان الصراع بين بلاد فارس وبلاد الأغريق فى آسيا الصغرى وفى أغريقية الأوربية بالذات من طريق البحر كان صراعاً مأثوراً بين الأمتين قبل عصر الاسكندر. وكذلك كانت السياسة التى اتبعها الملك فيلبس والده، فقد كانت سياسة حربية رمى بها إلى توحيد كل العالم الهلِّينى تحت لواء مقدونيا، فجيَّش الجيوش ونشَّأ القواد وأحيا روح البطولة في رجاله، وهم بطبعهم من سلالة جبلية فيهم شيمة القبيلة وطابع العنصرية. ولما مات فيلبس ورث عنه الاسكندر فيما ورث جيشاً منظماً كان قد أعده للزحف على الشرق عشية مقتله. ولو أردنا أن نعدد الوقائع الكبرى فى تاريخ الاسكندر لما عدونا الثلاث عداً. هى: موقعة غرانيقوس وموقعة إسُّوس وموقعة أربل. أما ما بقى بعد ذلك فليست مواقع كبرى، وما عدا ذلك من حياة الاسكندر فحصار لبعض المدن ومخاطرات هى إلى الجنون أقرب منها إلى العقل. فهل جميع هذه المقدمات المادية الثابتة، والتى يزيدها ثباتاً تقلقل الامبراطورية الفارسية فى عصر دارا الثالث واستخدامه لمرتزقة من الأغارقة عملوا فى جيشه جنوداً وقوّاداً، كانت تمحي وتزول لو لم يظهر هذا الاسكندر؟ إني أعتقد أن الأسكندر لو لم يظهر لظهر غيره ففعل فعله، وبقى غدير التاريخ متدفقاً فى نفس الاتجاه وإلى الغايات التى رسمها جميع هذه المقدمات التى ذكرنا

إن الانسانية ولا شك تقودها يد خفية، ما الاسكندر وهينبال وأوكتافيانوس إلا ألاعيبها، ماهم إلا الكرات التى يضربها الصولجان إلى الأهداف المرسومة؛ ماهم إلا اللحن الذى يسجله القدر على صفحات التاريخ.

فلسفة وفلسفة

الصورة التى تلابس الفلسفة لا تحكها الطبائع الخاصة لكل جيل من أجيال البشر ولا طبيعة البقعة التى يحتلها ذلك الجيل من كرة الأرض لا غير، بل إن للنظامات المدنية وأثر المعاهد فى حياة الحكومات والأفراد أثراً فيها كبيراً. أما إذا أردنا أن

نجلو عن هذه القضية فينبغى لنا أن نمضى فى مقارنة نسوقها فى الفارق بين أمتين كبيرتين من أمم العصر الحاضر ، امتازتا بضربين من الفلسفتين لكل منهما طابع مستمد من خصائصهما الأصيلة ، هما انجلترا وألمانيا

إن نظرة دقيقة لتثبت لنا أن فلاسفة الألمان يشغلون فى عالم الآداب الانسانية مكاناً غير المكان الذى يشغله الانجليز . وأول شىء يستلفت النظر أن النبع الذى يفيض بالفلسفة فى انجلترا ، بصرف النظر عن بعض الشواذ ، لم يكن الجامعات الانجليزية ، ولا الرجال الذين اشتغلوا بمهنة التلقين فيها . هذا على العكس مما هو فى ألمانيا ، فإن كنز الفلسفة ومشعل الحكمة كان على الدوام فى أيدى أساتذة الجامعات

ونظرة أخرى . فانه لا شك مثلاً فى أن إسرافاً كبيراً يحل بالجهود العقلية،وانحرافاً عظيماً يعتور البحوث الفلسفية إذا لم يهيمن على أمثال هذه الاشياء النظام المدرسى والروح الأقاديمى . ولكن فى التحرر من هذا النظام وذلك الروح لقيماً أخرى لها من الشأن مايعوض على الآداب ما تفقد بالتحرر من الروح الأقاديمي الصرف. فان الباحث الذى يلم بنفسه ويشعر بكرامة العصامية العلمية التى يحوزها بجهده الذاتى لهو بذاته من تدعوه «المفكر المستقل» المتحرر من آثار تلك الظاهرة التى تدعى الائتمارية ، ومعناها الأقرب الاتفاق بين فئات من المفكرين على الترويج لمذهب بعينه أو فكرة بذاتها أو نزعة ما . فان المفكر المستقل ، وتلك أولى مميزاته ، إنما يكب على درس مشكلات الفكر والحياة ، لا لأن من الواجب عليه أن يقول شيئاً فيها ، كما يحتم النظام على أصحاب الوظائف ، بل لأن تأملاته أدت به إلى إدراك معضلات حقيقية ، فهو يعمل على حل مُغلقها وفك طِلسماتها .

وفى الفلسفة الألمانية ظاهرة أخرى . فقد تقيدت تلك الفلسفة خلال عدة قرون متتالية بتقاليد خاصة وانتزعت اصطلاحات بعينها واستعمالات بذاتها ، تنزل من الفكر منزلة تسمو على عقول الأوساط من المتعلمين ، وتقيد عقول الخاصة بنظام يجعل الخروج على مقرراتها من أصعب الأشياء . وعلى الجملة تمتاز الفلسفة الألمانية باحكام الفكرة وأسلوب التفكير ، مشفوعة بقوة ممتازة فى التحليل المنطقى ولكن هذه المميزات لها ما ينتقصها . فقد قيل ، وقيل بحق ، إن الفلسفة فى ألمانيا يكتبها الأساتذة ، إما لأساتذة ، وإما لفئة يحاول أفرادها أن يصبحوا أساتذة . وكاتب الفلسفة الألمانى من أجل أن ينال الحظوة عند الخبراء بالفلسفة أمثاله ، يبتعد عن الاتصال بجمهور القراء ، فلا يكون لما يكتب أثراً فى الحياة العامة ولا في تكييف الذوق العام للأمة

هنالك مظهر آخر . فإن الفلسفة الألمانية لشدة ارتباطها بالنظام القائم فى بيئتها ، التصقت أيما التصاق باللاهوت ، وتلونت فى غالب الأمر باللون الذى يوائم ذوق الدولاب الحكومى . لقد اتخذت الفلسفة الألمانية وسيلة لصب النشء فى قوالب خاصة ترضاها الحكومة . لهذا اتصفت تلك الفلسفة بشىء من الجمود ولبست ثوباً حكومياً شل اتجاهاتها الطبيعة ، على الرغم من أنها كانت الأثر الفعال ترقية الأهلية الحكومية فجعلتها تتجه نحو المثل العليا

أما الفلسفة فى انجلترا ، وهى كذلك في فرنسا ، فقد كانت اللسان الناطق بالمعارضة لكل المعتقدات الرسمية للدولة ، ومنابذة صور الفلسفة القديمة التى اتخذت معاقلها الحصينة فى حدود المؤسسات الكنسية . ولفظة فيلسوف فى انجلترا وفرنسا ، قد اقترنت دائماً بمعنى حرية الفكر والتحرر من قيود المأثور ، بل فهم منها معنى الألحاد ومعاندة كل ما تقرر فى الأذهان من العقائد والآراء . وعلى الرغم من مختلف الصور التى لابست الفلسفة الانجليزية منذ عصر هوبز إلى بنتام ، ومن لوك إلى هيوم ، فان الغرض الذى رمت إليه لم يتغير ، ولم يخرج يوماً على حرية الفكر وهي مصدر الابتداع والابتكار

ونحن إذ نرى أن الفلسفة الألمانية قد التزمت مصطلحات بعينها واتخذت لنفسها لهجة بذاتها . إذا بنا نجد أن الفلسفة الانجليزية قد كتبت باللغة الدارجة فى الأدب . وعلى الضد من هذا تجد الأولى ، فإنك لا شك واقع فى فلسفة « كَنت » وفى كتابات الكثيرين ممن عقبوا عليه ، على عبارات هى عند أهل لغتهم أنفسهم كتاب مغلق بسبعة أقفال

لقد اعتقد بعض النقاد ، ولعلهم اعتقدوا بحق ، أن هؤلاء الفلاسفة قد اكتفوا فى كتابة الفلسفة بأن يفهم بعضهم بعضاً ، غير آبهين بأن يفهمهم غيرهم . لقد هام فلاسفة الألمان بالغموض

حتى لقد نعتهم أهل بلادهم أنفسهم بأن فلسفتهم تعميه مقصود

في سبيل العلم

في سبيل العلم ما احتمل غليليو ، فقد قال إن الأرض هي التي تدور حول الشمس ، على الضد من المفيدة اللاهوتية التي اعتنقتها الكنيسة الرومانية . لما همّ رؤساء الكنيسة باتهام غليليو كان مؤلفه قد ذاع في أنحاء أوربا ، فزاد ذلك غضبهم عليه وتبرمهم به . وكان على رأس الكنيسة « إربان الثامن » . ولم يكن بابا لاغير ، بل كان أميراً من بيت « بَرْبَرِيني » ، فأخذته العزّة بالاثم وأمر بأن يمنح غليليو وكتابه هبة منه لمحكمة التفتيش

وعبثاً حاول « كاستللى » البندكتي أن يقنع رجال الكنيسة بأن غليليو يحترم الكنيسة ولا يهزأ بمبادئها ؛ بل سدى ضاعت كل جهوده في سبيل أن يثبت لرجال الدين إذ ذاك « أنه مامن شيء يمكن عمله ، من شأنه أن يمنع الأرض من الدوران » . ولكنه طرد ونفي منضوباً عليه مقصيًّا به عن الكنيسة ، وقسر غليليو على أن يقف أمام تلك المحكمة الرهيبة واحداً فرداً بلا مدافع أو نصير . وهنالك عذّب مراراً حتى اضطر إلى أن يعلن جاثياً على ركبتيه الاعتراف الآتي :

« أنا غليليو ، وفي السبعين من عمري ، سجين جاث على ركبتي ، وبحضور فخامتك ، وأمامي الكتاب المقدس الذي ألمسه الآن بيدي ، أعلن أني لا أشايع ، بل ألعن وأحتقر ، خطأ القول وهرطقة الاعتقاد بأن الأرض تدور[1] »

إنه ولاشك قد غُلبَ على أمره ، لأنه قسر على أن يظهر أمام كل الأجيال القادمة بمظهر الحانث بعلمه المضحى بعقله ويقينه ومن أجل أن يتم انتصار الكنيسة عليه ، وأن يودى بكل ما بقي له من شرف النفس ، اضطر برغم منه أن يقسم بأن يفضيَ إلى محكمة التفتيش بأمر كل رجل من رجال العلم ، يقول بهرطقة القول بدوران الأرض

ولقد أثار قسم غليليو هذا عجب الكثير من أهل زمانه ومن المؤرخين ، حتى أن ذلك كان سبباً في أن ينكر عليه بعض أبناء عصر نعت « الشهيد » . غير أن هؤلاء لم يقدروا ظروف الرجل قدرها . فلقد كان شيخاً كبيراً عُمِّر إلى السبعين من السنين المثقلة بالهموم والأحزان ، وحطمته آمال الدنيا ومخاوفها ، وهدّمته متاعبها وواجباتها . وكم سيق متلهفاً من « فلورنسا » إلى « رومية » مكباً على وجهه ونصب عينيه تهديدات البابا ، بأنه إذا تأخر عن القدوم « أخذ في الأغلال » . وكان فوق ذلك مريض الجسم منهوك العقل ، سُلِّم إلى أعدائه بيد الدين كان من الواجب أن يحموه . ولم يكد يبلغ « رومية » حتى احتوته غرف التعذيب وانصبت عليه الآلام ألواناً . ولقد كان يعرف جيداً ماهي محكمة التفتيش . وكان يلوح له شبح « جيوردانو — برونو »[2] بين اللهيب ماثلاً أمامه ، كأنما ذلك كان بالأمس الفارط ، وفي نفس تلك المدينة ومن أجل « هرطقة » العلم والفلسفة . وكان يتذكر أنه من قبل ثمانية أعوام أحيط برئيس أساقفة « إسبالاترو » وسلم إلى محكمة التفتيش متهماً بهرطقة العلم ، وبقي بين براثنها إلى أن مات في غيابات السجن ، وإن جثته أحرقت بعد الموت مع ما كتب برأي من « المؤمنين »

ولقد استمر اضطهاد « غليليو » كل أيام حياته ، بل بعد مماته . لقد بقي في المنفى بعيداً عن أسرته ، بعيداً عن أصدقائه ، مقصياً عن صناعته النبيلة ؛ وقسر على أن يظل خاضعاً لعهده بألا يتكلم في نظريته . ولما أن توسل إلى أعدائه ، وهو بعد يعاني أشد آلام المرض وأعظم تباريح السقام ، مقرونة بأقسى الآلام النفسية التي سببتها الكوارث التي نزلت بأسرته ، طالباً أن يمنح من الحرية بعض الشيء ، كان التهديد بإلقائه في غيابات السجن ، الجواب على ملتمسه الصغير . ولما أن قررت لجنة خاصة عينتها السلطات الكنسية بأنه أصبح أعمى لايبصر ، وأنه ذهب ضحية المرض والحزن ، منح بعض الحرية ، ولكن بحدود جعلت تلك الحرية استعباداً

ولقد أجبر على أن يواجه هجات أعدائه على ذاته وعلى نظريته هجات الازدراء والسخرية والتضليل ، من غير أن ينبس ببنت شفة أو يحرك بالرد لساناً . ورأى الذين محضوه الصداقة والحب والاحترام ، ينزل بهم العقاب الصارم والظلم الفادح . فنفي « كاستللى » . ورأى « ريكاردى » رئيس البلاط المقدس و « شيامبولى »

(١) يقال إن غليليو بعد أن أعيد بعد اعترافه إلى السجن ضرب الأرض بقدمه قائلا « ولكنها تدور »

(٢) فيلسوف أحرق حياً بأمر من محكمة التفتيش

سكرتير البابا يبعدها « إربان الثامن » عن وظيفتيهما محقرين ، ورأى عضو محكمة التفتيش فى « فلورنسا » يوبخ أقذع توبيخ لأنه أمر بطبع كتابه . وعاش ليرى الحقائق التى استكشفها تكتسح من الكليات الكنسية ومن كل جامعات أوربا ، بل ليرى عضو محكمة التفتيش يأمر بأن يستبدل كل نعت طيب يردد به ذكره فى أى كتاب يراد طبعه ، بأخبث النعوت وأحط الذكريات

ومات غليليو . فطلب إلى رجال الكنيسة أن يدفن فى مقابر أسرته فى « سانتا كروتشى » فأبوا . وأراد أصدقاؤه أن يقيموا فوق قبره أثراً تذكارياً فلم يسمح لهم . وقال البابا « إربان الثامن » « لنيكولينى » وهو السفير الذى كلف بأن يعرض بعض المطالب الخاصة بغليليو الميت عليه ما يأتى :

« إنه لأسوأ مثل يعطى للناس ان نسمح بتكريم رجل وقف من قبل أمام محكمة التفتيش الرومانية لأنه روّج فكرة مثل فكرته المملوءة بالخطأ والكفران . ولم يقصرها على نفسه بل أقنع بها غيره ، فأحدث بذلك أعظم فضيحة عانت أمرها النصرانية »

ونفذت إرادة البابا ورجال محكمة التفتيش ، فدفن غليليو من غير تكريم بعيداً عن أسرته ، ومن غير تأدية أى واجب دينى ومن غير أن يقام على قبره نصب أو تاريخ يشير إلى العظمة المخبوءة فى ذلك الرمس الذى ضم رفاته

ومضى على ذلك أربعون عاماً جرؤ بعدها « بيروزى » أن ينقش على قبره تاريخاً يشير إلى حيث دفنت تلك العظام النبيلة . وبعد مائة سنة استطاع « نيللى » أن ينقل رفاته إلى مسقط رأسه ليضعها فى مكان لائق بها ، وأقام عليها نصباً . وكانت النار ماتزال مستعرة والعداء مستحكما ، فقد طلب إلى رجال محكمة التفتيش أن يحولوا دون هذا التكريم « لرجل اتهم بمثل ما اتهم به غليليو من السيئات والخطيئات » ولهذا رفضت السلطات الكنسية أن يكتب على قبره الجديد أى تذكار ما لم يعرض نصه على هيئتهم المختصة بمراقبة المطبوعات

فياله من علم ويالها من حياة !!

اسماعيل مظهر

فلسفة التربية

تطبيقات على التربية فى مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٢٠ —

« ... وثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ، ولكن بمقدار ما أفاده العلم ، وبمقدار علو المستوى الذى يشرف منه على العالم ، وبمقدار ماأوحت إليه الفنون من سمو فى الشعور وتذوق للجمال! » (١)

« أحمد أمين »

« للرجل المثقف جسم خاضع لارادته ، وعقل صاف متئد القوى سهل العمل ملئ بما فى الطبيعة من حق عظيم وقوانين كلية ؛ هذا إلى امتلاء بالحياة المنسجمة الخادمة لضميره الحى ، وإلى حب للجمال وكره للقبح ، وإلى احترام للنفس وللناس ، وإلى وفاق تام مع الطبيعة يفيدها فيه ويستفيد منها ، ويسير معها كوزيرها أو ترجمانها وهى كأمه الحنون ! » (١)

« هكسلى »

١٠ – خريج اليوم

« تابع ما قبله »

عرضت عليك فى المقالين السابقين صورتين لخريج اليوم واحدة لعقله وأخرى لخلقه . وسأعرض عليك فى هذا المقال صورتين أخريين إحداهما لذوقه والأخرى لجسمه :

١ — الناحية الذوقية

وأحسبك لا تشك فى جدارة هذه الناحية فى حياة المثقفين وغير المثقفين على السواء ، كما أحسبك ترى معى أن « الحياة الرفيعة » محتاجة إلى « فن » دقيق عظيم قوامه الذوق السليم والعاطفة المصقولة ، والشعور الحي ، والعقل المتزن جميعاً . فترى هل يعرف خريجونا هذا « الفن » فى حياتهم الخاصة والعامة ، كما يعرفه الانجليز والألمان والفرنسيون على الخصوص ؟ ؟ الحق أن دراستى الاجتماعية فى مختلف البيئات الأوربية قد كشفت لى عن فقر مدقع وفوضى أليمة يسيطران معاً على حياة المثقفين عندنا

(١) عذراً لتكرير هذين القولين فى هذا العدد أيضا لأنهما كما قلنا المقياس الذى نقيس به خريج اليوم

ويعلاّنها بشتى صنوف العبث والاسفاف والجهل والاضطراب ؛ وهاك بعض ما يثبت ما أقول :

الوقت والفراغ والذوق

والوقت كما تعرف سيف قاطع ؛ فهل ترى الخريجين يستغلون كل ساعاته ودقائقه فيما يعود عليهم بالخير ؟ ؟ ألا كم من ساعات وأيام وأسابيع تمر عليهم دون أن يخرجوا منها بشيء ! ! وألا كم من لحظات تسألهم عما يفعلون فيها فيجيبونك بأنهم إنما « يمضون الوقت » فحسب ، ومعني هذا أن الوقت عند خريجينا لا قيمة له ولا خطر ، وأنهم لا يحرصون بعد إذ ينالوا درجاتهم العلمية على حسن الاستفادة منه في كثير ولا قليل ، فان هم قصدوا بعد ذلك إلى الترويح عن نفوسهم أثناء فراغهم من عملهم اليومي فقلما يأتى ذلك الترويح على ما ينبغى أن يكون ! ذلك أنهم قليلا ما يغشون الحدائق العامة، أو يزورون المعارض الفنية والمتاحف العلمية، أويطرقون المواقع الهادئة الخالية من الحركة والضجيج، ونادرا مايمارسون الرسم أو التصوير أو القراءة الأدبية أوالأشغال اليدوية الفنية وشبه الفنية ؛ وأغلب ماعساك واجدهم فيه بعدهذا هوالمقاهى حيث يتحدثون حديثاً تافهاً أو يهذرون هذراً فجاً . أو المسارح الخليعة حيث يصفقون للرقص المبتذل ، ويضحكون على النكات السمجة ، ويعجبون بالفن الذى هو والتهريج سواء[1] ، أو دور السينما حيث يشهدون ما تزدحم به الحياة الغربية من حب غير مشروع ومن استهتار أليم يغذى خلق الفتيات والفتيان عندنا بأسوأ الدروس! أليس كذلك ؟ حدائقنا الجميلة العامة من يملؤها وينعم بها كل يوم وكل أسبوع غير الأجانب ؟ وتمثيلنا الفنى الراقى ألم يكد ينتحر تحت ضغط المسارح المبتذلة والأفلام الكثيرة ذات المعنى السطحى والعرض الخلاب ؟ ومعارضنا الفنية الراقية من يزورها ويطيل الوقوف فيها ويشجع ذويها بالشراء والاعجاب غير أقل القليل من المثقفين ؟ ومحاضراتنا العلمية أو الفنية من يتردد عليها ويستفيد منها غير جمهور « الطلبة » على وجه الخصوص ؟

والاطلاع الأدبي الفنى هل تجد له أثراً عند غير رجال الأدب كالمحامين والأطباء والمهندسين وغيرهم من أولئك المثرين بثقافتهم ومهنتهم إعتزازاً لا يرون معه أن للأدب أو الفن فضل فى الحياة أو نفع ؟ ومجالسنا الخاصة ألا يدور فيها الحديث التافه والنكات المبتذلة ، وألا يعلو فيها صوت المتحدثين أحياناً على صوت الغناء المنبعث من آلة الراديو حتى ليتعذر عليك أن تطرب للموسيقى والإنشاد وتفنى فيهما تماماً وأنت فى وسطها ؟ ثم ومنازلنا ؟ أفى كل منها مكتبة كما فى المنازل الأوربية ؟ وأترى حجراتها تلك الصور البديعة التى لا يكاد يخلو منها منزل غربى ؟ وأخيراً أترى طريقة نقاشنا وأسلوب معاملاتنا يتفق وأصول الذوق السليم والحس الرقيق والشعور الحى ؟ أترى نرسل اللفظ بقدر وحساب ونعامل الزوجة والولد والخادم والقريب والبعيد بما ينبغي أن تكون عليه المعاملة المثلى ، فنعطى لكل حقه ، ونرعى لكل عهده ، ونحفظ فيما بين هذا وذاك قدرنا فى عين الجميع ؟

يقول الانجليز إن « الرجل الدمث » الأخلاق هو ذلك الذى يعطف على الخجول ، ويرحم السخيف ، ويرعى الجميع فلا يثير ما يجرح الشعور ولا يعلو لصوته فى المناقشات ، ذلك الذى لا يفخر بما يعمل ويبدو فى إعطائه كما لو كان هو الآخذ ، ذلك الذى لا يستمع للوشايات ويفسر كل شيء من ناحيته المشرقة! » فترى أين هو ذلك الرجل فينا ؟

ستقول إنك تطلب من التربية كل شيء وترهقها من أمرها عسراً ؟ . وسأقول وما جدواها إذا هى اكتفت بحشو العقول وتركت الذوق لجفاء غير مصقول ؟ وهل نعيش فى حياتنا بالعقل فحسب ؟ ألا إن جانب العواطف والشعور أقوى فى الحياة من جانب العقل ، فإذا هى تركت هذا الجانب وأهملته فلن يكون تقصيرها إلا فادحاً شنيعاً ! إذ ماعسى أن تكون الحياة بغير عاطفة مهذبة وذوق سليم وشعور حى ؟ وإلى أين نلجأ فى صحراء « العقل » إذا لم نلجأ إلى واحة « الشعور » ؟ وكيف نوفق فى معاملة الناس وفى حفظ قدرنا بينهم إذا لم يكن لنا ذوق سليم وشعور حى ؟

٢ — الناحية الجسمية

أما هذه الناحية فأحسب الكلام فيها يسيراً ! . الرياضة عندنا غير محبوبة عند الأكثرية الساحقة ، والأقلية التى تمارسها

(١) ولا تزال أغلب رحلات خريجينا فى أوربا مشوبة مع الأسف بالاهتمام الزائد بهذه النواحى الفنة فى الحياة الأوربية . أما المعارض الفنية والعلمية فهم لا يزورونها إلا لماما ولا يعرفون عنها إلا قشوراً ، وحسبك أن تستمع إلى حديث حضراتهم لتصدق ما أقول

فى المدارس تسيء أحياناً استعمالها وقلما تستمرئها إذا شغلتها الحياة وتقدم بها الزمن . ولذلك لا تعجب إذا رأيت أجسام الخريجين عندنا غير رياضية ، وإذا وجدت من الخريجين تقصيراً هائلاً فى أوليات الرياضة البدنية اليومية وفى كل ما يقى الجسم غائلة الأمراض ويحفظ عليه مناعته الطبيعية ! وها أنت ترى أن الطلبة موبوئين بالعادات السرية ، وأن الخريجين مسرفين فى النواحى الشهوية عزاباً كانوا أو متزوجين ! وها أنت ترى أن طلبة المعاهد الدينية محرومين أو شبه محرومين من التربية الرياضية إلى حد عجيب كأن الدين لا يقر الرياضة ولا يعرفها ! وأن المدارس الأهلية كثيرة التقصير فى هذه الناحيـة إلى حد شديد ! ثم ها أنت ترى أن قليلاً منا من يدقق فى اختيار الغذاء اللازم لجسده ، ومن يعنى بتعرف حالته البدنية كل عام حتى بعد المدة لاتقاء الخطر ، وأن أقل القليل من ينامون مبكرين ويستيقظون مبكرين ولا يأكلون حتى يجوعوا فإذا أكلوا لم يشبعوا ... ! ثم ها أنت ترى أن الكهولة والشيخوخة يزحفان على شبابنا بسرعة عجيبة ، وأن الكثير من خريجينا يتناول الخمر إلى جانب التدخين فى سهولة ويسر ... !

فهل ترى بعد هذا أن مدارسنا قد نجحت فى تكوين « الشخصية الكاملة » المنشودة ، ذات العقل المنطقى المستقل ، والعاطفة النبيلة المشبوبة ، والجسم السليم القوى ؟

« يتبع » **محمد حسن ظاظا**

بين الشرق والغـــرب

للأستاذ فليكس فارس

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

يقول الناظر الكريم إنه كان يتمنى لو اتسع المجال لديه ليشرح لكم الثقافة الغربية والذهنية الآرية . فهو لم يزل يأخذ بالنظرية التى جاء الاستقراء العلمى واضحاً جداً لتبجح الآريين بها وما تلك النظرية إلا توهم اتخذ به نحو جينو وأشياعه إذ قالوا بتفوق السلالة الآرية على سائر سلالات الأرض لتفردهم بشكل خاص فى جماجمهم ، وبنوع خاص فى شعرهم ، وبلون فارق فى جلودهم ، فادعوا أن هـذا الشكل دون سواه من بنى الانسان يملك صفاء الذهن وقوة الاختراع والعبقرية بأنواعها . غير أن الاستقراء قد اضطر دهاقنة علماء — الأحياء — إلى الاعتراف بفساد هذه النظرية بعد أن رأوا أن الجماجم التى ينطح بها الآريون السحاب إنمـا يحمل مثلها تماماً أقزام أفريقيا الوسطى ، وأن شعورهم وجلودهم وسائر مميزاتهم الجسدية يتمتع بها كثير من القبائل والشعوب المنتشرة على وجه الأرض ...

ثم يقول الناظر لنا أننا إذا ما أخذنا بما اكتشفه الغرب من علم يمكننا التحكم بمقدراتنا فإننا نستطيع أن ننير عقليتنا لنقتبس طرائف الغرب التى توصلنا إلى خير النتائج

ولمـاذا يجب أن تعمل الشعوب العربية على تغيير عقليتها وإنكار فطرتها وحوافزها التى تكونت من أعظم حوادث التاريخ طوال ألوف السنين ما دامت هذه العقلية نفسها قد أنارت الدنيا بعلومها وآدابها واكتسحت الغرب كله بروحانيتها وشرائعها ؟

ولقد أورد الناظر استفهاماً إنكارياً بقوله ومتى أصلحت روحانية الشرق النفوس ما دام العالم هو هو لم يتغير بشروره ؟

ونحن نقول له إن روحانية الشرق هى التى أسقطت ألوف الآلهة فى الغرب عن عروشها ، وأن الشعوب الآرية بدون استثناء أى عنصر منها إنمـا اهتدت إلى الحق والجمال فى منشأ حضاراتها بتفكير الشرق ووحيه وإلهامه

فإذا نحن رجعنا بالذكر إلى حضارة أوربا الوثنية التى بنيت

على خرافات الأساطير لا يسعنا بعد ذلك أن ننكر الواقع ونقول بأن الانسان كان سيهتدى دون أن يهدى

أما ما قاله الدكتور بازوفيل للمناظر مصرحاً له « بأنهم سيصلحون بالعلم من البشر ما عجزت الأديان عن إصلاحه منذ ألوف السنين » فقول يطرح على بساط البحث مسألة خطيرة لا نرى بدأ من إلقاء نور المنطق السامى عليها .

إن العقلية الآرية المعززة بالعلم والثقافة العالية ستقطع دابر الاجرام بوسيلة علمية هى تعقيم المجرمين .

وأما أحد أبناء هذه الأمة العربية التى يدعى الآريون قصورها فى ميدان التفكير ، أنا على ما أنا عليه من ضيق الاطلاع وفى قومى من رجال العلم من لا يُشق لهم غبار ، أستنير بعقليتى السامية وباعانى فى العربى المكين فأقول لعلماء الغرب لقد ضللتم وأقول بخاصة إلى الدكتور بازوفيل إنه مغرور بعلمه وإنه لا يداوى من العلة إلا أعراضها

إن الغرب يرى تكاثر عدد المجانين والبلهاء والمجرمين فى شعوبه فلا يبحث عن منشأ العلة ليداويها بل يعمد إلى تعقيم ضحايا مدنيته وثقافته ظناً منه أن هناك بعضاً من الأسر المصابة بداء وراثى وإنه إذا قضى على تناسلها خنقت العلة فى منشأها !

ويلٌ لهم ! إنهم إذا استمروا على هذه المعالجة فانهم سيعقمون ثم يستأنفون التعقيم إلى أن يقضوا على النسل بحجة تحسينه

إن للأجرام وللجنون وللبله جراثيم لم تتولد أصلاً من الأرحام.

ليفتشوا على هـذا الجراثيم فانى أراها بعين الخيال الشرق والالهام العربى مكبرة كالثعابين تتململ فى المراقص وفى الحانات وفى المواخير التى أراها تكتسح هذه المعامل التى فتحت فيها الآلات أسواق النخاسة الفاتلة ، أراها فى كل مكان لا تسود عقليته الرحمة الموحاة من السماء ، بل أراها حتى على فراش الزواج الذى أصبح تجارة وشركة بين أنانيتين .

ليعقموا ما شاءوا من المجانين والمجرمين ، فإن هذه الحضارة التى أقامت العجل الذهبى لها إلهاً ستقذف للدكتور بازويل وإخوانه بألوف من الزبائن لا ينتهى عددهم حتى ترجع مدنية الغرب إلى عقلية الشرق وثقافته

أما فرويد فنظريته صحيحة فى هذه الأمراض النفسية التى تفتك فتكا ذريعاً فى أبناء المدنية الغربية ، وما كانت مثل هـذه الأمراض لتعيب أبناء بلادنا فى العصور الماضية إلا فى القليل النادر لأن الذهنية الشرقية لم تحارب الغريزة الجنسية بل اعتبرتها جزءاً من إيمانها . وما التبتل إلا بدعة طرأت على تعاليم عيسى فاحتضنها الغرب وجعلها على ما هى والشرق منها براء ، وهذه شريعة النبي الكريم قد أتت بما لا حاجة لنا معه بمنظار الذهنية الغربية الذى كشف للعالم كما يقول المناظر إن الحياة الجنسية نور الحياة . وإننى لواثق من أن مثل هـذه الأمراض النفسية التى تنشأ من كبت الغرائز لا يمكنها أن تصيب مؤمناً عربياً يعمل بشريعته لأن الدين دين الفطرة قد أنزل لتنظيم قوى الحياة لا لقتلها

وأخيراً أراد المناظر الكريم أن يثبت لنا أن الموسيقى الغربية خير من موسيقى الشرق وحجته العلمية فى ذلك أن الغناء العربى إنما هو هتاف بصوت واحد فى حين أن الغناء الأفرنجى غنى بما فيه من طباق بين عدة أصوات

ونحن إذا ما صرفنا النظر عن الغرائز المستقرة فى العقل الباطني والتى يصدر عنها الفنى الخاص بكل أمة وبحثنا الموسيقى من وجهة علمية استقرائية نجد أن الموسيقى العربية أصدق تعبيراً للطبيعة وأدق تصويراً للمشاعر بعديد نغماتها فى الصوت المنفرد فان الموسيقى العربية تمثل فى نغماتها السبع الأساسية ألوان الطيف يتفرع منها ما يزيد على السبعين نغمة تخضع مرنة ناعمة للعاطفة فتظهر خفاياها كصورة اختطفت عن الأصل جميع أنوارها وأظلالها. أما العروسان الغربية التى تسجن الصوت فى مقام ونصف مقام أعلى وأدنى ، ولا تستوعب ربع الصوت وثمنه بل و ١٦/١ منه B تتناوله الموسيقة العربية إنما هى أشبه بالفرشاة الخشنة فى يد رسام لا يمكنه أن يصور من المرئيات غير خطوطها الأولية .

إن الموسيقى الغربية رست على الطباق أو المطاوعة فكان لابد لها من كبت النبرات الدقيقة المتمردة على الطباق ومن الاكتفاء بنغمات معدودات هى محل ثروتها . أما الموسيقى العربية فانها هتاف عميق من النفس منفردة تجاه الوحدة المتجلية فى مسلهمات الشرق ديناً وفناً. فهى وإن نقصها الطباق لعدم ملاءمته لحريتها ودقة نبراتها لا تزال حتى فى دور انحطاطها اليوم، أغنى بأوزانها ونغماتها من الموسيقى الغربية الفنية بالصخب والفقيرة بالتنوع المنفرد !

.إما أن تكون موسيقى الطبيعة أشبه بالموسيقى الغربية كما يقول المناظر فذلك ما لا نوافقه عليه وليس فى الطبيعة أجواق تتوافق على الهتاف بنشيد يطربك فانك إذا ما أصغيت إلى بلبل

واستسلمت نبراته المتناسقة الصافية وهو منفرد يذهب إنشاده إلى أغوار مشاعرك فتشاركه بما يلهمه النشر من شعر حنينه كلمات وتلاعبه معانى لايدركها إلا المستغرق المطل على وحدة الوجود . ولكنك إذا وضعت عشرين بلبلا أو عشرين مداحاً من أنواع الأطيار وأطلقوا جميعهم أصواتهم فمندئذ ندرك أن الطباق ليس من روح الطبيعة بل هو من أوضاع فنانى الغرب الذين لم يهتدوا إلى الوحدة المليئة بالتنوع فاخترعوا لهم موسيقى مبنية على المطاوعة ليسدوا مجاعة إنشادهم المركب الفقير

وما أطول ما أقوله عن جهل للموسيقى الغربية فاننى قد ألفتها منذ كنت طفلا وقد ألفت أناملي طويلا استنطاق أوتار عودى العربى فأنا أفهم الأنغام التى قسمها الفارابي كما أفهم موسيقى موزار وبيتهوفن بل وموسيقى باغ أيضاً . ويمكنني أن أؤكد لكم أن الفن الغربي على ما بذل فيه من جهود لا يرتكز على أساس من الموسيقى الطبيعية التى تتجلى بكل روعتها فى الانشاد العربى المنفرد. ولو أن رجال الفن عندنا أدركوا هذه الحقيقة وانصرفوا إلى شرقية موسيقانا على أساسها دون أن يستهويهم ما يتوهمونه رائعاً فى الموسيقى الغربية لكانوا ينتزعون من الطبيعة أروع موسيقاها ولكن أكثرهم كمن لديه ثروة يطبق خزانته عليها ليذهب مستجدياً من الغريب كسرات تتخمه ولا تسد جوعه

لعلنى بعد هـذا البيان الموجز تمكنت من إقناع مناظري الكريم

أولاً : إن العرب عند ما رقوا العلوم ونشروها وأوجدوا أهمها ، إنما عملوا بعقليتهم الشرقية العربية . وإننا لسنا بحاجة لتقليد الغربيين فى أسلوب تفكيرهم لنجاريهم فى مضمار العلوم . ومن العرب اليوم فى أوربا وأميركا ومصر وسائر الأقطار العربية علماء فى كل فن يفتخر العالم بأسره غربه وشرقه بسمة اطلاعهم وعبقريتهم وما بلغ هؤلاء الأعلام مقامهم إلا بعقليتهم العربية

ثانياً : إن العلوم الوضعية مشاع بين البشر جميعهم فليس على الأرض سلالة خصها الله بالعلم دون سواها

ثالثاً : إن لكل شعب ، فطرته وهي ميزة خاصة فى الذوق واختصاص فى فهم الحياة والتمتع بها ، وإن كل أمة تستبدل ثقافة غريبة بثقافتها إنما تؤلم فطرتها وتميت شخصيتها

رابعاً : إن الأخذ بالعلم عن أى شعب لا يستلزم مطلقاً اقتباس طرق حياته فى الأسرة والمجتمع وتقليد ذوقه وسكناته وحركاته فان العرب عند ما احتضنوا العلوم الاستقرائية عن اليونان لم يأخذوا الفطرة اليونانية ولا ذوقها ولا معتقداتها كما أن أوروبا عند ما تلقت هذه العلوم عن العرب لم تتعرب بل بقى فيها كل شعب محتفظاً بثقافته . هذا فضلاً عن أن فى الغرب ثقافات قد يراها من يحدجها من بعيد على شيء من التقارب غير أن من يدرسها عن كثب ليدهشه ما بينها من فروق تتناول صميم الذوق والعقيدة والشعور ، فأى هذه الثقافات يشار على الشرق بأن يتبع وهل يظن المناظر الكريم أن تجربة التقليد شيء جديد لم يتضح لنا زيفه بعد . أفلا نرى فى كل بلد من هذا الشرق العربى عدداً من المتفرنسين والمتألنين والمتأ كلزين والمتروسين الخ خرجوا عن الثقافة العربية وامتنع عليهم أن يتصفوا بالثقافات التي استهوتهم فأصبحوا لا الغرب يعرفهم ولا الشرق يعترف بانتمائهم إليه . وهنالك ظاهرة غريبة نشأت من هذا التقليد وهى النعرة التي استحكمت بين هؤلاء المقلدين وهم أبناء البلد الواحد ؛ فانك لن تجد متفرنساً يمكنه الاتفاق مع متألن أو سواه من المستغربين

كل إنسان يجبن أمام الحوادث فى حياته فيلين لها حوافزه وفطرته إنما هو شخصية تائهة فقدت ذاتها ، إنمـا هو الشبح الباكى ، والحى المستجبي ؛ ولقد تلمع إحداق مثل هذا الانسان بالظفر والمجد ، ولكن أنوار السعادة تبقى منطفئة فى عينيه ، ونحن كأمة لا قبل لنا بأن نتحكم فى هذا الناموس الثابت لأن فطرتنا مقدورة علينا كامنة فينا ؛ كل أمة تحيا على غير ما تسوقها فطرتها إليها فهى أمة باكية بدموع صامتة ، هى أمة مستضعفة مستعبدة لا معنى لحياتها ولا سعادة لها فيها

إن شعوب الشرق العربى مسؤولة أمام تاريخها بالمحافظة على ثقافتها وإحيائها والأخذ بما وضع لها وحى أنبيائها وإلهام عباقرتها لتجديد حضارتها ، وإن كانت مدنية الغرب الحديثة ؛ ترى أن الارتقاء يقوم على العلم وحده ، على الاستقراء دون الاستلهام فان للشرق العربى المستحفز للوثوب دستوراً يتضمن الحكمة علمته وفى العمل بها العظمة الحقيقية لكل إنسان ولكل شعب وهى:

اعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، واعمل لدنياك كأنك لا تموت أبداً

فليكس فارس

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعى (١)

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٢٩ —

« مضى الأستاذ سيد قطب فيما سماه الموازنة بين الرافعى والعقاد على نهجه وطريقته ؛ وقد آثرت الصمت رعاية لما بينى وبينه من صلات الود ، وأغضيت فى سبيل ذلك عن أشياء تنالنى من قريب أو من بعيد ...

« ولقد كان حرصى منذ بدأت هذا التاريخ أن أكون مؤرخا وحسب ، مجرداً من هوى الصاحب وميل الصديق ؛ فما كان من حسنات الرافعى أو عيوبه فقد رويته على ما رأيته ، إذ كان حق الأدب على أكثر من حقه . فلما كانت أولى مقالات الأستاذ قطب ، هممت أن أقول شيئا فخشيت ... وخشيت أن يكون لى فى الدفاع حماسة توقظ هواى وحبي للرافعى فتغلبنى عاطفتى على روح التجرد الذى أحرص عليه حتى أفرغ من هذا التاريخ ... وكفانى الأستاذ شاكر هذه المئونة حين انتدب لتزييف هذا النقد

« ولكن الأستاذ قطب استمر مسرفا فى التجنى ، ومضى يقول ... ويقول ... ويتهمني فى النهاية بأنني انحرفت عن منهج المؤرخ ، وكنت عنده شبيها بمن يجلس فى المأتم ويرى الناس بالحجارة ... وعفا الله عنه ... !

« فان كان هذا هو كل عذر الأستاذ قطب من تمزيق أكفان الموتى بأظفاره فقد بلغ وأبلغ ، وسيذكر عذره هذا غداً فيما يؤثر من لطيف الأعذار ، ولكنه لن يبلغ من القوة أن يمحو التاريخ الذى كان ، وإن ساءه وأحفظه أن ينسب هذا التاريخ إلى صاحبه الذى يحاول أن يدفع عنه أو يدفع به ... »

« العريان »

عود على بدء

لم تكن الكتابة عند الرافعى فكرة ومعنى وعاطفة فحسب ؛ بل كانت إلى ذلك فناً وأسلوباً وصناعة ؛ والأدب العربى منذ كان إلى أن يُطوَى تاريخه بين دفتين ، هو فكر وبيان ، ما بدٌّ من اجتماع هاتين المزيتين فيه ليكون أدباً يستحق الخلود . ذلك كان رأى الرافعى ومذهبه ؛ فمن ذلك لم يكن يعتبر المقالة وقد انتظمت فى خاطره معنى وفكرة ، مقالةً تستحق أن تكتب وتنشر إلا أن يهيئ لها الثوب الأنيق الذى تظهر به لقرائها ؛ وهذه هى المرحلة الأخيرة

وأول ما يعنيه فى ذلك هو بدء الموضوع وخاتمته ؛ لست أعنى العبارة التى يبدأ بها والتى يختم ، ولكنى أعنى طريقة البدء والختام فى الموضوع . شأنه فى ذلك شأن القاصّ : تجتمع له أسباب القصة بمقدماتها وحوادثها وما آلت إليه ، مرتّبة ترتيب الحادثة بما بدأت وما انتهت ؛ حتى إذا أراد أن يحكيها لمن يسمع أو يكتبها لمن يقرأ ، قدّم وأخّر ، وأظهر وأخفى ، وبدأ القصة بما لم تبدأ ، ليعقد (العقدة) ويُرصد للحل والنفس مستشرفة إليه متطلعة إلى خاتمته ... وكذلك كان الرافعى يفعل فى مقالاته

... فإذا عقد العقدة ورتّب موضوعه ترتيب الفصول فى الرواية ، آن أوان الأداء فأخذ له أهبته ، فيطوى وريقاته ساعة ، ليرجع إلى كتاب أيّ كتاب من كتب العربية يقرأ منه صفحات كما تتفق ، لإمام من أئمة البيان العربى ، فيعيش وقتاً ما قبل أن يكتب فى بيئة عربية فصيحة اللسان . وخير ما يقرأ فى هذا الباب ، كتابات الجاحظ وابن المقفع ، أو كتاب الأغانى لأبي الفرج

وسألته فى ذلك فقال : « نحن بابنى نعيش فى جوٍّ عامى لا يعرف العربية ، ما يتحدث به الناس وما ينشئ كتاب الصحف فى ذلك سواء ، واللسان العربى هنا فى هذه الكتب . إنها هى البادية لمن يطلب اللغة فى هذا الزمان ، بعدما فسد لسان الحضر والبادية ... »

على أنه كان لا يُفيد من هذه القراءة اليسيرة قبيل الكتابة إلا الجوّ البيانىّ فقط . أما حروف اللغة ، وأما أساليب اللغة فلم تكن تعنيه فى شىء ؛ فيقرأ عجلانَ غير متلبّث كما يطالع صحيفة يومية ، حتى يفرغ من الفصل الذى بدأ ؛ ثم يطوى الكتاب ويستعد للاملاء

وإذا كان كثير من الكتاب تزعجهم الحركة والضوضاء وتعوقهم عن الاستمرار فى الكتابة ، فان الرافعى كان — على ما فى أذنيه — يزعجه أن يمر النسيم على صفحة خده ... كان

---

(١) العدد ٢٠٢ من الرسالة

مكتبه إلى جانب باب الشرفة ، وكان لى نضد صغير إلى جانب مكتبه حيث أجلس ليملى علىّ ؛ فكان يلذنى أحياناً والجو حار أن أفتح باب الشرفة لأتروّح ، فلا تكاد تهب نسمة بجانبه حتى يكف . وعرفت عادته هذه فكنت أغلق الشرفة والنافذة معاً ، لأصلى حرّ الغرفة أربع ساعات أو يزيد حتى يفرغ من إملائه . وكان يؤذينى من ذلك أننى كثير التدخين ؛ والحر والمجهود العصبى يزيدان الرغبة فيه ، فلا يمضى ساعتان منذ بدأنا حتى يفسد جو الغرفة ، فأفتح الشرفة برهة لتجديد الهواء نتبادل فيها الحديث ثم أعود فأغلقها ليملى علىّ ... على أنه فى غير وقت الكتابة كان يحب أن يقضى فى الهواء الطلق أكثر وقته ، حتى فى برد الشتاء القارس ؛ فكان إذا فرغ من إملائه خرج إلى الشرفة البحرية يفتح صدره للهواء يعبه عبا كما يُقبل الشارب الحرّان على الماء فى يوم قائظ ...

ولم أكن أقاطعه حين يملى علىّ مقاطعةً ما ، إلا حين أشعر أنه يهم بالانتقال فى الموضوع من فصل إلى فصل ، فألقى إليه ما أريد أن أقوله مكتوباً فى ورقة، لأحاوره فى عبارة أو لأستوضحه معنى ... ثم يعود إلى إملائه وأنا أكتب صامتاً وهو لا يرفع عينيه إلىّ ... كأنما يتحدث من وراء ستار إلى سامع غير منظور ، أو كأنه فى نجوى خاصة ليس فيها سامع ولا مجيب . ولقد كان يخيّل إلىّ أحياناً وأنا صامت فى مجلسى والقلم يجرى فى يدى على الصحيفة وأذنى مرهفة للسمع — كأنه فى شبه غيبوبة يتحدث إلى نفسه والمجلس خالٍ إلا منه، فما أنا فيه بشىء إلا إدراكاً غير مجسّد . وأحيانا أخرى كانت تتسع روحه وتنبسط حتى تشملنى ، فما أكتب كلاماً يمليه علىّ ، ولكن تمليه نفسي على نفسى وإن صوته ليرنّ فى أذنى بما سبق إليه خاطرى .

ولم يكن يملى مسترسلا ، ولم يكن يملى وانياً متمهّلا ، ولم يكن فى كل أحواله سواء ؛ فحينا يطاوعه القول ، وحيناً يتأبّى عليه فيسكت وهو يدق على المكتب بحديدة فى يده ويغمغم بصوت لا يبين ؛ فاذا طال عليه الإرتاج تناول كتاباً أىّ كتاب على مكتبه ، فيفتحه فيقرأ كلمة أو سطراً أو جملة ؛ ثم يطوى الكتاب ويعود إلى الاملاء . ولقد يراه من يراه فى هذا الوقت فيحسبه يملى مما يقرأ وما به ذاك ، ولكنها كانت لازمة من لوازمه تعوّدها حين يُرتج عليه وتعوّد أن يجد فيها مفتاح القول ...

ولقد أرتج عليه مرة فطال به الصمت ، فمد يده إلى كتاب على مكتبه وهو يقول ضاحكا : « يا أخى ، لقد تعوّدتُها وما أجد لها علة ، وتعوّدت بها أن أجد ما أريد عند أول كلمة أقرؤها ولو كان الكتاب معجماً لغويا ... » وكان الكتاب الذى مدّ إليه يده هو (القاموس المحيط) ، قلت : « إن في بعض الأشياء مثل المفاتيح المصبية ... » قال : « صه ، هذه هى الكلمة التى أريدها : المفاتيح المصبية ... » ثم طوى الكتاب وعاد إلى الاملاء

وكانت له عناية واحتفال بموسيقية القول ، حتى ليقف عند بعض الجمل من إنشائه برهة طويلة يحرك بها لسانه حتى يبلغ بها سمعه الباطن ، ثم لا يجد لها موقعاً من نفسه فيردّها وما بها من عيب ، ليبدل بهـا جملة تكون أكثر رنيناً وموسيقى . وكان له ذوق فنى خاص فى اختيار كلماته يحسه القارئ فى جملة ما يقرأ من منشآته ، ولكنى كنت أجد الاحساس به فى نفسى عنـد كل كلمة وهو يملى علىّ . هـذا الذوق الفني الذي اختص به ، هو الذي هيّأه إلى أن يفهم القرآن ويعرف سر إعجازه فى كل آية وكل كلمة من آية وكل حرف من كلمة . وحسب القارئ أن يعود إلى تفسير الرافعى لقوله تعالى : « ولقد راودته التى هو في بيتها عن نفسه ...»[1] ليرى نموذجاً من هـذا الذوق الفنى العجيب فى فهم اللفظ ودلالة المعنى ، يقابله وجه آخر من هذا الذوق فى اختيار ألفاظه عند الانشاء . وكان إلمـامه بمتن اللغة ، وإحاطته بأساليب العربية ، ومعرفته بالفروق اللغوية فى مترادف الكلام — معينة له عوناً كبيراً على البلوغ بعبارته هـذا المبلغ من البيان الرفيع . احتاج مرة أن يعبر عن معنى فى أسلوب من أسلوبه ، فأرتج عليه ، فأخذ يغمغم برهة وأنا منصت إليه ؛ فاذا هو يقرأ لنفسه من ذاكرته باباً من كتاب المخصّص لابن سيده ثم دعا بالكتاب فأخرجتُه إليه ؛ فما هو إلا أن فتحه حتى وقع على مراده ، فطوى الكتاب وعاد إلى إملائه ... وهو على صحة عبارته وسلامتها قلما كان يلجأ إلى معجم من المعاجم ليبحث عن كلمة أو معنى كلمة . ومع حرصه على أن يكون قوىّ العبارة عربىّ الديباجة قلما كان يستعمل عبارة من عبارات الأولين . وكم أجدّ على العربية من أساليبه ومعانيه . وكان له فى إنشاء (الكناية) إحسـاس دقيق . وأحسب لو أن واحداً من أهل البيان أراد أن يتتبع ما أجدّ الرافعى على العربية من أساليب القول، لأخرج قاموساً من التعبير الجميل يعجز عن أن يجد مثله لكاتب من كتاب العربية الأولين ؛ إذ كان مذهب الرافعى فى الكتابة

(1) وحى القلم جـ 1 ص 106 : (سمو الحب)

هو أن يعطى العربية أكبر قسط من المعانى ويضيف ثروة جديدة إلى اللغة، وقد بلغ ما أراد. إننى لم أعرف كاتباً غير الرافعى يجهد جهده فى الكتابة أو يحمل من همها ما يحمل؛ وما أعرفه حاول مرة واحدة أن يسخر من قرائه أو يشعوذ عليهم ليملأ فراغاً من صحيفته يريد أن يمتلئ. على أنه أحياناً كانت تدعوه دواع إلى كتابة لم يتهيأ لموضوعها أو يفرغ لها باله، فيمليها على عجل بلا إعداد ولا توليد، ولكنك مع ذلك تجد عليها طابع الرافعى وشخصيته، فتعرف كاتبها وإن لم يذيلها باسمه. والعجيب أن هذا النوع من المقالات التى كان الرافعى يكتبها بلا إعداد ولا احتفال كان أحب إلى كثير من القراء، وكان الرافعى يرتفع به عن منزلته درجات عند طائفة من القراء ...

والشاى أو القهوة هما كل المنبهات العصبية التى يطلبها الرافعى عند ما يكتب، وفنجانة أو اثنتان هما حسبه فى هذا المجلس الطويل. وعلى أنه فى أخريات أيامه قد ولع بتدخين الكركرة (الشيشة) فانه لم يكن يدخن إلا دخينة (سيجارة) أو دخينتين فى مجلس الكتابة؛ فكان يشترى العلبة فتظل فى درج مكتبه شهراً إذا لم يزره فى مكتبه زائر ...

... فإذا فرغ الرافعى من إملاء مقاله، تناوله منى فطواه قبل أن يقرأه، ثم يودعه درج مكتبه إلى الصباح ويخرج إلى الشرفة يشم نسيم المساء ... ثم يأوى إلى فراشه ...

وأول عمله فى الصباح بعد صلاة الفجر أن يعود إلى المقال الذى أملاه علىّ فى الليل فيقرأه ويصححه ... ثم يسعى به ساعيه إلى حيث ينشر ... ويفرغ يوماً لنفسه قبل أن يهيئ فكره لموضوع جديد ...

مقالة ... هى عمل الفكر، وكد الذهن، وجهد الأعصاب وحديث النفس فى أسبوع كامل؛ ولكنها مقالة ... ومع ذلك فقد أنشأ كتاب «رسائل الأحزان» فى بضعة وعشرين يوماً، وكتب «حديث القمر» فى أربعين، وكتب «السحاب الأحمر» فى شهرين ...

وقال قائل من خصومه: «إنه يقاسى فى هذه (الكتابة) ما تقاسى الأم من آلام الوضع ...!»

وقال الرافعىّ يجيبه: «أتحداك أن تأتى بمثلها أو بفصل من مثلها ... وعلىّ نفقات القابلة والطبيبة متى ولدت بسلامة الله!»

(شبرا) محمد سعيد العريان

صحيفة أدب وأمثال

عطفة القاياتى

للأستاذ حسن القاياتى

عطفة القاياتى فيما ننتهى ونتوسل ، و « عطفة الألايلى » فيما تسمى ولا نحب ، تلك عطفتنا المتيدة ، قاعة حيث يحتضنها « باب زويلة » عند ملتقاه بالسكرية ، فهى على يُسرى المقبل من حى الحسين بن على ، الذاهب إلى « باب زويلة »

عن يسارى إذا دخلت من البا ب وإن كنت خارجاً عن يمينى

تلك « عطفة الألايلى » فى بُهرتها دارنا القديمة الصغيرة «دار القاياتى»: مسلك ضنك مُلتوٍ كمجرى النفس وجحر الأفعي؛ أشدُّ من عرين الليث ظلمة ورهبة، وأضيق مسلكا من لهاة الليث يتصدر المطفة ربع قديم عادى البنية ، ترحل عنه أهلوه من قدمه وخلوقته فهو خلاء قفر قام حرباً على المجتازين خشية التزلزل والتهادى .

أجل أيها الربع الذى خف آهله لقد بلغت فيك النوى ما تحاوله

ربع ممطل خلاء، عُطِّل من الغيد والصباحة ، لا يطل اليوم من شرفاته ولا نوافذه الحسن ، ولا تشرف كمهدهار َبّات الدّل. فنوافذه الخالية الساجية كالعيون الثاكلة المفجمة لا يشرف منها الحب ولا تطّلع الفتنة

يُناوح هذا الربع المطل بيت واهن متهالك ، طالما تهدم وابتنى، وابتنى فتهدم، أحوالاً وأفانين حتى انتسخ البيت الأصيل وأُعيد خلقاً آخر بالترقيع، فهو البيت وليس هو البيت كما قيل فى طيلسان ابن حرب :

بقى الرفو وانقضى الطيلسان ، لكثرة عرضه على الرفو والرفاء

يُسلم عطفتنا هذا الربع إلى ربع ثان يسايره أعرق منه فى البلى والخلوقة يملك حيزها الأكبر؛ شهدت بالأمس قُطّانه من الطبقة الدنيا المبتئسة يترحلون عنه خشية التداعى ويتناشدون بكاء على المطفة أو بكاء على الربع وعطفه

ما ربع ميّة معموراً يطيف به
غيلان أبهى رباً من ربعها الخرب

ثم تتسلسل يمنة ويسرة منازل المطفة بعد هذين الربعين بيتاً بيتاً فتنشا كل حى كما تنشا كل أهلوها وهناً وضعة . وناهيك ساكنو الربوع حتي تشافه بيتنا الصغير فإذا هو معها كما قيل للعبادى : أى حماريك شر ؟ قال : هذا ثم هذا . تشابهت هذه البيوت فى الرثاثة والزراية حتى لتحسبها من التشابه بيتا واحداً مردد الصورة ، أو تحسب كل بيت منها إيطاء مع جاره وصاحبه، وليس فى الحارة كلها بيت للقصيد

على هذا الذى نصف تمضى فتتصل الطليمة الأولى من حارتنا حتى تفضى إلى منزل قائم تبلغك هذه الكلمة حديثاً عنه : منزل يتصدر كأنما تختتم به العطفة أو تُسد ، ولكنها تستمر فتطّرد بعده ؛ بيد أنها تتشعب إلى شعبتين ، تأخذ إحداهما ذات اليمين والثانية ذات الشمال كما تبسط ذراعيك للعناق !

تبارك الله ما أشرف وأنبل ! ما شهدنا كهذه المطفة عطفة زهراء سامية ولا قطان عطفة جُلهم بل كلهم من الطبقة الدنيا المتواضعة الوادعة ، «إسكاف» إلى جانب « كناس »، و « نجار » لدى « أديب » ، وما إلى هؤلاء . أجل ، لقد تنجب الحارات ولا كمن أنجبت حارتنا من « عزام » الإسكاف و « موسى » الزبّال و « كريمة » النجار و « السيد » الشاعر

وما شر الثلاثة أمّ عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا

تلك حلية السكان فى عطفتنا . ألست تشهدهم أيها القارئ ملء النفس ، فكيف ظنك بزميلك الشاعر الفحل وقد خرج على هذا الملأ فى وجاهته وزينته؟ أليس يزدهيك منه أنه أظهر أهل الحى نبلاً وأبينهم وجاهة ؟

لم أر شيئاً حسناً منذ دخلت اليمنا
فيا شقاء بلدة أجمل من فيها أنا

ليس هذا وحده مما يشق على النفس والبصر فقد انتحى قاصية من المطفة حمام عتيق ومستوقد حمام سالت عليهما (الصحة) عجلات ومركبات تحمل القمامة ذهابا وجيئة ، حتى إذا التقت مركب فى مسالكها بمركب غصت بهما حلاقم المطفة وسدّ متنفس الطريق فقل فى حبسة بل غصة صادعة كغصة الماء لا يسيغها الماء !

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

إذا راح سدنة حمامنا أو اغتدوا عليه يحملون قدور « الفول المدمس » المنتفخة السوداء فقل فى أشباه الحلاليف تحمل الحلاليف ! !

أما ابن الذي لا تنزل الدهر قدره وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

على أننا وإن تناولنا قدور « الفول المدمس » بهذه الدعابة فما تتعمد لها فضيلة ولا ننفض من قدر، تلك أسوة البائسين بالسراة ومائدة المفلوكين معاً والمالكين، على حالة من المدنية شحيحة مناعة ليس لنا فيها طعام ابن جدعان ولا جفنة آل المحلق

نفى الذم عن آل المحلق جفنة كجابية السَّيْح العراقى تفهقُ

لقد رمتنا هـذه الحضارة والمدنية بمأدبات ومطاعم باخلة جُلّ ما تتسمح به قدور وصحاف قدّرتها الصناعة تقديراً فهى دقيقة زهراء كالدراهم والدنانير، غالية كأنما تطبخ فيها الدراهم والدنانير:

رأيت قدور الناس سوداً من الصَّلى وقدر الرقاشيين زهراء كالبدر

إذا ما تنادوا للرحيل سعى بها أمامهم الحوليّ من ولد الذر

يعصف بنا مستوقد الحمام عصفته ويهب إعصاره، فحسبك أن تتعرف أن الله إنما أجرى الهواء طلْقاً ليشتمّه الناس غيرنا نسيما عليلا وحياة ولا تتجرعه نحن إلا حرقة أو غلة، فهو زفرة حرّى أو تنهد. طالما أظلتنا غاشية كثيفة هوجاء من دخان هذا المستوقد بل جبل النار يظلم لها يومنا الطلق الأضحيان حتى ليخيل إلينا أن يومنا قد رغب عن لونه الأبيض الوضاح، أو كأنما صيغت لنا خاصة شمس سوداء تقدُّ من أديم الليل ! !

أما وقع العجلات من مركبات (الصحة) زائرات المستوقد لا فى الفينات والفترات بل فى اليوم الأطول والليل الأليل فإنما يكون على أشده إذا تحين الأديب لخواطره الشعرية ساعة من فترة الأحياء وهدأة الحياة ! !

يميناً لقد عشت هذا الزمن الحفيل لا أتفهم كلمة المعرى فى شعر « ابن هانئ الأندلسى » حيث يقول : « ما أشبِّه شعر ابن هانئ إلا برحى تطحن القرون » حتى إذا رصفت عطفتنا بالحجر وتخطرت عليها مركبات الصحة، أيقنت أنما نحن فى مطحن للقرون

هذا بعد أن رصفت العطفة بالحجر، أما قبل ذلك فقد كانت تستهل علينا السماء فى الشتوة شآبيب كأنما تخرقت بها السماء حتى تتوحل الأرض فأكثر مشية السكان إذ ذاك مشية المقيد فى الوحل

عليّ وإلا ما بكاء الغمائم وفيّ وإلا فيم نوح الحمائم ؟

حمام السكرية وناهيك: حمام صحب الزمن حتى تحدث به التاريخ وظل ماثلا حتى زرناه، انقسم بنصفين فهو حمامان، قسم للجنس النشيط له باب من السكرية، وقسم للجنس اللطيف الدخلة إليه من عطفتنا؛ بيد أن شطره الجميل قد عطل عندنا من العمل فعطل الحي من الحسن

كانت تبتكر إلى حمام السكرية هذا أسراب من الغيد الفواتن بل زهرات الصباحة من كل رشيقة القد نفاثة العينين بالسحر، فيلتقى لأجلهن عنده فصائل من عَبَدة الحسن رواد الغزل قوامها شباب من الطبقة الدنيا، فاشاء الحسن، لا، بل ماشاء الفحش من كلة غزل حارة أو قالة عوراء إلى نظرة خائنة أو تجميشة باليد، ثم ماشاء الشغب والفتنة من تهاتر والحاد في الحسن. فكم صريع هناك فى معترك الغزل والجدل بأعين الفتيات الساحرات وأيدى « الفتوات »

فتية تلك للشغب والشر خليقة بهذه الكلمة الفكهة من زميلنا الأديب الأستاذ على شوق قال:

« وملطمين » على الطريق تراهم يتحرشون برائح أو غادى
فئة تقول لها إذا حييتها : يا معشر السفهاء والأوغاد

إن للغزل فى مصر كلها مغانى ومواقف غراء مشهورة، منها حمام السكرية. فان عد العرب من مغانى صباباتهم وما ألف غزلهم بانة الوعساء والرقمتين، عددنا المحملين وبين النهدين، أو تذاكروا « نجدا » « وسفح زرود » ، نخرنا « بالمحمدى » و « أبى السمود » ،

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام مائلة أوراكهن صقيلات العراقيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن غير مجلوب

لم يكن للعطفة فيما سلف عهد بالنور فكانت الحوذية والمكارون يربطون حميرهم ومركباتهم فى جَنْبَتَيْها، فاذا أقبل الداخل إلى أهله فى الظلمة لم يرعه إلا صدمة من مركبة مسندة أو رمحة من حمار مرتبط

أنا أعمي وصاحب القوم أعمى   فدعونا فى ظلمــة نتصادم

فاذا هو دامى الجبين ، دامى الفؤاد من شجى ولوعة

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

زيّن لنا هذا بل زين لنا حسن الجدّ ولا نكذب الله، أن نكتب إلى ولاة الأمر فى طلب النور ، ونمى إلينا حديث ذلك الكاتب الكبير الذى طلب إليه أن يكتب رسالة إلي ولىّ أمر في طلب النور للمساجد فارتج عليه ولم يدر كيف يكتب ، فبينما هو نائم جاءه إبليس فقال له أكتب : إن فى النور أنساً للسابلة ونفياً للريب والوحشة عن بيوت الله . فبدا لنا أن نساجل هذا الكاتب ونساير أسلوبه هذا فى استجداء النور لعطفتنا وبيوتنا لا لبيت الله ، وهممنا بأن أكتب هذه الكلمة على طرازه الابليسى؛ بيد أننى قنَـنْيت الحياء فلم أكتب وليتنى كتبت :

أيتها الوزارة الأريحية :

نحن أهل « عطفة الألايلى » فى ظلمة مطبقة ، المشتكى إلى الله منها ثم إليك ، فهل أنت متسمحة فمحسنة إلينا بخطرة من النور ولمحة من الضوء فان فى النور تنويهاً بمواقف الغزل عندما والصبابة، وأنساً لما آلف الصبوة، وهداية لمواقع القبلات والنظرات فلا يجمل أن يسلم الجمال ومناغاته إلى الظلمة وحيرة الموقف وإلى مثل كلمة الشاعر :

وبان بارق ذاك الثغر يوضح لى   مواقع اللثم في داج من الظلم

على أن فى النور عدا هاتيك الخلال النذر، من رمح الحمير ، والنجاة من المركبات .

فلما استجابت الوزارة لهذه الضراعة والتخشع بعد أن كتبنا إليها — ولكن فى غير هذه اللغة — استجابت لنا بمصباحين ضئيلين فاترى اللمح باهتى اللون كان العهد بالنور قبلهما أن تتحلل الظلمة تحته ، ولكنه نور افتر من « بارق ذاك الثغر » يتحلل تحت الظلمة

أما صرعى الكلاب والهررة الأليفة المفدّاة وما إليها من الفيران وبنات عرس فما تطوى لها جثة من جنبات العطفة وأقطارها ولا تكتم رائحة وإنما تحشر في بطون الهوام والطير وتصعد معها أرواح الساكنين من صرعى الجراثيم والعلل

ستقبرنى الطير كيلا أكون   سواءً وأمواتهم فى الرجم

ليست صناديق القمامة التى ترصدها الوزارة فى الطرقات والميادين إلا صورة كاذبة مختالة للنظافة كأنما تدفع بها عن العاصمة معرة النقص من القادرين أو تكف بها لذعة العيون والحدَق على فرط القذر والدمامة ، كما تعلق تميمة القروية البلهاء الغريرة على محيّا وليدتها الدميمة خيفة العين

ليس لدينا شئ معجب بحمد الله بل كل ما تباشره العين مما يشق على النفس والبصر ، سوي مدرسة أولية وسبيل أثرى تحت المدرسة يتصدران العطفة . أما المدرسة فتحمل إلينا من ذكر العلم والتربية ماينديى على الكبد الحرّى برداً وروحا ؛ وأما السبيل فان يكن عطل آنفاً حتى ما يبض بقطرة ماء فى طاعة المدنية والوقاية فهو يذكرنا بإحسان أسلافنا الأولين وبرّهم كالمحيا الفاتن شيّع عهد الصبا والفتنة وغيض منه ماء الحسن ربما أذكرك بتقاسيمه أيام كان يشرق بماء الحسن والفتنة

تبتكر الشمس فيبتكر معها قطمان من الباعة والصناع من صائح بالبامية والقلقاس ، إلى مبيض النحاس ، فينعقون بسلمهم المتعارفة تناهق الحمر فيمنمون القائلة الشهية يومهم الأطول، حتى إذا تمشت الشمس إلى المغيب ، خلفتهم فصائل أخرى من الطراز الساخر تدق الدفوف، وتضرب بالكفوف ، ثم تتغنى بكل ماتتغنى به الإذاعة العامة ، فهم إذاعة متنقلة ليس يدرى المستمع إليهم : أباعة هم يتغنون ، أم مغنون يبيعون ؟ !

طال ليلى وبتُّ كالمجنون   واعترتنى الهموم بالماطرون

هذا بعض ما نأتى فى عطفتنا وفى دارنا ، إلى أطفال من نشء الغوغاء والسوقيين، لهم عدة التراب كثرة، فى خسة التراب، مباءة أمراض، ومسيل أقذار، وخريجو شغب وقحة، ونبت تشرد وجهل ، كأنما عوض أهلوهم بكثرتهم ما افتقدوا من عزة العلم والجلال

يا فراخ المزابل   ونتاج الأراذل

إسمعوا لا سمعتمو   غير زور وباطل

نشء من الغوغاء لهم على ضؤولة الجراثيم فتك الجراثيم ، تفتك بالعلات ويفتكون بالعلات والجهالات

أليست هذه الطفولة العابثة اللاهية هى الطفولة العاطلة المتشردة حذوك النعل بالنعل ؟ وإذا كان يجمل بالدولة أن تحمل نشء الأمة على العلم والثقافة بسيف الاكراه القانوني فليس بمستنكر عليها أن تحمل هذا النشء على حذق الصناعات والفنون بالاكراه القانونى ، ولئن كان العلم سبيل العيش والحياة ، فإن الصناعات والعمل عيش وحياة

(البقية فى العدد القادم)

حسن القاياتى

بين العقاد والرافعي

العقـــاد

للأستاذ سيد قطب

— ٧ —

عاد الأستاذ شاكر إلى خنته التي تركناه لها . وتركـه من أجلها ، وما أحسبه ولا الأدب بمفيدين من هذه الخلة شيئا ، وما أحسبنى ولا رأيى بخاسرين بها كذلك . فيبقى إذن ، ما دام القول هكذا يريحه — وإنا لنبغى له الراحة إن شاء الله — ولسواه !

أما أنا فعلى منهاجى فى تقسيم الموضوع سأسير . فإن أتى الأستاذ بشىء ، غير ما يحلو له أن يفرط علينا به . فسأجعل ختام حديثى عن العقاد نقاشا له فيه ، كما صنعت فى ختام حديثى عن الرافعى ، وهذا آخر ما نستطيع أن نكرم الأستاذ به

وأما الأستاذ « الطنطاوى » فأنا أكرم « دمشق » وجيرتها أن أكسب خصومته إذا أنا شئت الجد فى وصف كلمته ، ووضعتها حيث ينبغي وضعها من الأدب والرأى ، فى مدارج الآداب والآراء . ولعلى بصمتى عنها أكون قد شئت له أفضل مما شاء لنفسه . وليسأل فى ذلك « المتقدمين من نقدة الأدب » الذين يقف عند آرائهم . سيد قطب

من الناس من يقف عند ظواهر الأشياء والآراء ، كما يقف الميزان من الموزونات ، لا يميز بين أنواعها ، ولكن يميز بين كثافاتها . وهؤلاء هم « الشكليون » فى إحساسهم وأحكامهم ، وهم والميزان الميت الجامد سواء

وفى مثل هؤلاء يقول العقاد ، مصدراً عن « طبع قوى يخلق المبادئ الخلقية ، ويختار ما يناسبه ، ويرفض ما لا يرتاح إليه ، ولو تواضع الناس عليه » كما قلت فى أول كلمة :

إنا نريد إذا ما الظلم حاق بنا عدلَ الأناسىِّ لا عدلَ الموازينِ
عدلُ الموازين ظلم حين تنصبها على المساواة بين الحرِّ والدون
ما فرَّقت كفة الميزان أو عدلت بين الحلىِّ وأحجار الطواحين

هؤلاء العادلون — على طريقة الموازين — يقولون : إن للعقاد مدرسة ، وللرافعى مدرسة ؛ ولكل من المدرستين تلاميذ وأنصار ، فمن الغلو إذن أن ينكر أنصار إحدى المدرستين طريقة الأخرى ، وأن يقسوا فى نقدها والزراية عليها

ومن هؤلاء من يقول عنا : « ويكفيه مما مضى فى كلامنا وكلامه أن يعلم أنه نزه العقاد ورفعه أرفع درجة ، وأننا لم ننزه الرافعى ولم نقل فيـه بعض ما يقول هو فى الشاعر الكبير صاحبه » يقول هذا وهو يحسب أنه نصب ميزان العدالة الحساس فى تورع وتنطس وإحكام

المسألة أيها الناس ، ليست هى الاعتقاد فى أمر من الأمور ، ولكنها قيمة هذا الاعتقاد وحظه من البصيرة ، وحقه من الاحترام والبقاء . والمسألة ليست مسألة طريقة خاصة فى الأدب أو الرأى — أياً كانت قيمتها — ولكنها حقيقة هذه الطريقة وصلاحيتها للحياة والدوام

فلتكن للرافعيين مدرسة فى الأدب ، ولتكن عقيدتهم فيها ما تكون ، فيبقى بعد ذلك أننى حين أنكرتها عليهم ، لم أكتف بإشارات الصم البكم في القبول أو الانكار ، ولكنى نقدت ما فيها من نقص الحيوية ، واستغلاق الطبع ، وأتيت على هذا بالأمثلة التى تثبت موت هـذه الطريقة ، وعجزها عن مسايرة الحياة . وهذا هو منـاط الحكم ، وهذا هو « عدل الأناسى » الذى يحسب حساباً للكيف والنوع ، لا عدل الموازين الذى لا يحفل بغير الكم والوزن

أما قولة أحدهم إننى رفعت صاحبى ، ولم يقل هو فى صاحبه بعض ما قلت ، فلكأننا فى معرض مفاخرة على طريقة القدماء ، لا يهم فيها الواقع والصدق ، إنما يهم فيها الفخر و « النخع » ؛ وكأنما الحكاية كلام يقال ، ثم لا ينظر ما وراءه من دليل

أنا يا سيدى أقول ما أقول ، وأشفعه بالمثال والدليل ، فان كان لك قول فلتناقش هذه الأمثلة والأدلة ، أو لتأت بغيرها مما يدل على نقيضها . فأما التظاهر بالتورع والتنطس ! فقد يدل على غير العدالة النفسية التى لا تحفل الظواهر والشكليات ، متى قام لها من حقيقة الموضوع ما يدعمها ويقنع بها

ولعل الذين يعدلون — عدل الموازين — يقنعون بهذا ، ويفهمون أن المسألة ليست طريقة وطريقة ، ولا رأياً ورأياً ، وإنما هي قيمة هذا الرأى وتلك الطريقة

***

ومن الناس من هم عوام فى تقديراتهم الاجتماعية ، لا تبلغ قداسة الرأى عندهم ، ولا دفعة اليقين بأمر من الأمور ، أن يتغلبوا بهما على ما تواضع العوام عليه من رسميات وشكليات ، والموت عند هؤلاء يكفي لأن تطبق فمك عن كل حق ، وأن تضم شفتيك عن كل رأى ، ولو وجدت مناسباته ودواعيه

وفى هؤلاء يقول العقاد متعالياً على القيود الاجتماعية العامية :

أرى فى جلال الموت إن كان صادقاً ... جلالة حق لا جلالة باطل
فلا تجملن الموت حجة كاذب ... لمدحة مذموم ورفعة سافل

ومع تعديل فى كلمتى « مذموم وسافل » تنطبق الحالة على ما نحن فيه اليوم من حديث عن الرافعى ونقده وأدبه . فا دام الرافعى قد مات ، فيجب حينئذ أن يقول أنصاره عنه ما يقولون فلا نتعرض لتزييف مدائحهم فيه ؛ ثم لا يكتفون بهذا بل يقولون عن خصومه ما يقولون فلا نتعرض كذلك لشيء مما يقولون ! أليس الرافعى قد مات ؟ فلئن كان الموت هكذا فليبطلن إذن عمل التاريخ ، وعمل النقد ، ولتتحطم مقاييس الرأى ومعايير الأدب ، وليكونن الموت « امتيازاً » من الامتيازات التى يلوذ بها كل مخطئ ، وكل متخلف !

والحمد لله أن بنا من الشجاعة مانواجه به عامية العوام فى هذه الاعتقادات ، ونصدر به الرأى خالصاً من كل تنطس مصطنع ، وتكلف ذميم

***

ومن الناس من لا رأى له فيما يحس ويرى ، أو لا عقيدة له فى رأى أو اتجاه ، أو لا حماسة له فى عقيدة ، فهو من هذا يحسب الناس سواه كذلك ، ولا يستطيع أن يلمح فى عمل من أعمالهم دفعة اليقين ، وحماسة الاعتقاد ، ولا يفهم إلا أن خلفهم آخرين يدفعونهم ويزجونهم . ذلك أنه ناضب العقيدة ، فاتر الحماسة ، فقير العاطفة ، لا يفهم ما لم يكابد ، ولا يتخيل ما لم يحس

وليس عندى لهؤلاء ما أقوله ، لأنهم منطقيون مع نفوسهم ، ومع طبيعة مدرستهم .

ولكنى أقول لمن يستطيعون أن يفهموا شيئاً عن دوافع النفوس الانسانية : إنه لم يكن من الحتم أن أنتظر تأذى العقاد مما كتب الأستاذ سعيد لأشعر أنا بالتأذى ؛ وأن العقاد ليس صاحب القضية وحده فيما يكتب عن أدبه وردوده ، ونقده سواه له ، وإنما صاحب القضية هو كل ذى رأى فيها ، وكل صاحب عقيدة فى الرافعى أو العقاد ، وتلك فسحة فى « النفس » لا نطمع أن تدركها المدرسة الرافعية . فبحسبها الفسحة فى تنميق العبارات وتبخر الكلمات ، وتثنى الأساليب !

***

ثم نأخذ فى الحديث عن العقاد تكملة لحديث البارحة ، وتدليلا على ما أوردنا من نظريات مجملة ، فيما يصب فى نفس العقاد من ثقافات عالمية ، وماينضح به أدبه من هذه الثقافات ، وما تخلقه طبيعته خلقاً من اتجاهات ، تبدو فيها آثار الثقافة البصيرة ، مما يحتم على دارسه — بله ناقده — الالمام بالمعارف الإنسانية العامة ، فوق فسحة فى الضمير ، وتوفز في الشعور .. يقول العقاد

بك خف الجناح يأيها الطيـ ... ـر وما كنت بالجناح تخف
لطف روح أعار جنبيك ريشا ... فمن الروح لا من الريش لطف

فتحس هنا لطف الاحساس ، ونفوذ البصيرة ، ورفرفة الروح الفنية ، وهى تتبع القوى الحية الكامنة فى روح الطائر ، وترى رفرفتها من الداخل ، وتحس خفتها ورشاقتها فى ما هيتها الأولى ، حتى لتمير جانبيه ريشا

وهذه هى ميزة الفنان الحيّ فى الشعور بالحياة الباطنة لا بمظاهرها الخارجية وحدها ، وفى الالتفات إلى خلجاتها فى الضمير ، لا فى السطوح بمفردها

ولكنك خليق أن تجد بجانب هذه النظرة مصداقها من الروح العلمية ، فعلم وظائف الأعضاء يقول : إن الوظيفة تخلق العضو . فوظيفة الطيران هي التى خلقت الريش وقبله الجناح

وقد لا يكون الفنان الصادق فى حاجة للعلم بهذه النظرية ليقول هذا القول . ولكن المفسر والناقد فى حاجة ماسة إليها ، ليدركا جمال الخاطرة كاملا ، ويستوثقا من صدق الفطرة واضحاً ، ولكي لايخطر لهما أن ينظرا إلى الأشكال الخارجية وحدها فيريا الطائر يطير بالجناح ، فهذا إذن سبب الطيران !

ودراسة الأحياء هى « العلم » التى يلذ لمادة « الفن » فالشاعر العظيم لا بد له من قسط منه ، لأنه أصيل فى طبعه ، إذ كانت « الحياة » أجمل ما يلفت نظره وحسه ، ويخالج وجدانه وضميره . وأنت واجد فى شعر العقاد لفتات شتى إلى دراسة الأحياء علما وفنا . وديوان « هدية الكروان » أحفل دواوينه بهذه الناحية فى دراسة الطيور والتطلع إلى الحياة النابضة فى ضمائرها وكيانها ، وإلى عوامل التفاؤل والاستبشار فى عيشها وتصرفاتها ، مع مزج ذلك بالنظريات الفلسفية منقولة إلى الصورة الفنية . وفى « وحى الأربعين » لفتات كذلك إلى الغرائز والطباع فى الأحياء عامة فى فصل « تأملات فى الحياة » وقد فصلت رأيى فيها فى محاضرتى عنه سنة ١٩٣٤ . وكذلك قد حوي « عابر سبيل » كثيراً من هذا.

يقف أمام « الجيبون » فى حديقة الحيوان ، فتنثال على نفسه الخواطر ، وتلمح فيها نظريات علم النفس الحديث ، إلى جانب الفلسفة الصوفية ، ومزاجهما الاحساس بالحياة النابضة فى ضمير هذا « الجيبون » ، والآمال المترائية فى خياله ، والأشواق الفائرة في أحلامه ، وهو يقفز ويرقص : وبجانب هـذا كله أثر الدراسة لدارون ونظريته :

أيهـذا الجيبون أنعم سلاما   ياأبا العبقـري والبهلوان
كيف يرضى لك البنون مقاما   مزريا فى حـديقة الحيوان !

***

ألبث الآن وانتظر بعد حقبا   ترق فى « سلم الرقى » وتعل
كيف لم تصعد السلالم وثبا   أيهـا الصاعـد الذى لايكل

***

يا عميد الفنون صبراً ومهلا   وارض حظ الهتاف والتهليل
مرحباً مرحباً وأهلا وسهلا   والهدايا ما بين لب وفول !

***

انتظر يا صديق شيئاً فشيئاً   تطبخ القوت كله بيـــديكا
غير أنى إخال ما كان نيئاً   منه أجدى فى الحالتين عليكا

***

انتظر يا صـديق مليون عام   أو ملايين لست والله أدري
إن تدانيت بعدها من مقامي   فقصارى المطاف أن لست تدري!

***

واصطبر إن عناك نثر ونظم   سوف تتلو نثراً وتنظم شعراً
وغـدا يطفر الخيـال ويسمو   والذراعان لا تطيقان طفراً

***

وإذا ما درست أوزان رقص   بعد لأى فالرقص فيك انطباع
هل تنال الكمال من بعد نقص   إن أقلتك فـكرة لا ذراع

***

انتظر سوف تفهم الشيء باسم   بعد رسم وغابر بعـــد حال
فاذا ما طلبت باطن فهم   يا صـديق طلبت أى محال

***

ولا تقف الاشارة إلى نظرية النشوء والارتقاء فى هذه القطعة — بجانب الاحساس الفنى فيها — عند ظاهرها الذى يعلمه كل من سمع بها ؛ فالمقاطع من الرابع إلى الثامن تدل على فهم تام لها وهى تشير إلى أن الطبيعة لا تسرف فى المواهب ، فهى حين تمنح موهبة تسلب ما كان يقوم مقامها . فهذا الجيبون حينما يطفر خياله فى المستقبل فالذراعان لاتطيقان طفراً ، وحينما تقله الفكرة ستخذله الذراع . ثم هناك بيان لمدارج الرقى بين الانسان والحيوان ، فهذا يفهم الشيء برسمه ، وذلك يفهمه باسمه ، وهذا يتذكر الحاضر وحده ، بينما ذلك يتذكر الغابر ويستعيده ، ثم فيها الاقرار بالعجز الانسانى أمام الغيب المجهول ، والسخرية بالمعرفة الانسانية القاصرة ، فقصارى الجيبون حين يصل إلى مرتبة الانسان أن يعرف الأشياء بالأسماء ويتذكر ما فات وأن تقله الفكرة لا الذراع ويطفر خياله ويسمو

فاذا ما طلبت باطن فهم   يا صديق طلبت أى محال !

أو :

إن تدانيت بعدها من مقامي   فقصارى المطاف أن لست تدرى !

وهناك الايمان بالغريزة والإعجاب بطابعها الخالص :

وإذا ما درست أوزان رقص   بعد لأى ، فالرقص فيك انطباع !

والنيء أجدى من المطبوخ فى حالتى هذا الجيبون الصديق.

وهناك بعد هذا كله ذلك التعاطف بين الحى والحى ، والشعور بالآصرة التى تربطهما ، واستعراض الآمال والأشواق فى أبى العبقري والبهلوان !

وللقصيدة بقية تنحو هذه المناحى

وهذه قطعة واحدة من شعر العقاد ، تزدحم بكل هـذه الدراسات واللفتات ، وذلك بعض ما عنيناه برحابة نفسه ، وتوفر شعوره ، وصدق فطرته ؛ وذلك مالا يعنى المدرسة الرافعية ، لأنها مشغولة عن مثله بمآرب أخرى فى تطريز الأساليب وتوشية التعبير واستعارة الحكم والأقوال المأثورة

ولعل فى هذا رداً على « المتقدمين من نقدة الأدب » الذين يرون المعانى ملقاة على قارعة الطريق ... ! وقد تكون كذلك ولكن ليس كل من يمر بالطريق مفتوح العينين ليراها ويدرك ما فيها من جمال وتعبير عن حقيقة ثمينة ؛ حتى لا يكون أمامه بعد هذا إلا أن ينصرف لتجويد الأسلوب . وها هو ذا « الجيبون » فى حديقة الحيوان يمر عليه الرائح والغادى ، ويراه الرافعيون كما زاروا الحدائق . ولكن العقاد وحده هو الذى يقف أمامه ملتفتاً هذه اللفتات ، لأن فى نفسه ذخيرة ينفق منها ، وحياة يفيضها على ما يراه ؛ وتلك ميزته عمن عداه

« حلوان »   سيد قطب

كلمة أخرى على الهامش

أهذا نقد؟ أهذا كلام؟

للأستاذ علي الطنطاوي

أنا رجل له عمله الذي يملأ يومه، ونهجه الذي يدير حياته، وليس من عمله ولا في منهجه الدخول في هذه المناظرة التي يقوم سوقها بين الأستاذ الكاتب الفحل محمود شاكر، وبين الأستاذ سيد قطب. وأنا رجل عرف شاكراً وعرف الرافعي العظيم رحمه الله، وغدا لطول ما قرأ لهما ووثق بهما يقبل كل ما جاءا به. ولكني لم أعرف الأستاذ قطب قبل اليوم [1] ولم أعلم له وجوداً، فهو عندي كاتب جديد أرى اسمه للوهلة الأولى فلا أضعه في منزلة من نفسي، ولا أجدني من قرائه، ولا أعلم لآرائه من القيمة والخطر ما يدفعني إلى مناقشتها. فلا شأن لي في هذه المناظرة، وليس عليّ خوض غمارها، ولكن ما قرأته للسيد قطب في هذا العدد الأخير (٢٥٥) حفزني إلى سوق هذه الكلمة أسأل فيها: أهذا نقد؟ أهذا كلام؟

لقد تعلمت (وعلمت تلاميذي) أن النقد يستند إلى دعامتين: دعامة من اللغة وعلومها — نحوها وصرفها وبيانها — يعرف بها خطأ الكلام من صوابه، ودعامة من الذوق يعرف بها جماله من قبحه. أي إن النقد (علم) حين يدور على الخطأ والصواب، و(فنّ) حين يبحث عن الجمال. أما (فنّ النقد) فلا يمكن الجدال فيه لأن أداته الذوق، والذوق شيء شخصي ومداره على الجمال، والجمال لا يتبع قاعدة، ولا يعرف له مقياس. فإذا قال سيد قطب: إن هذا البيت من أبيات الرافعي قبيح، كان معنى قوله أن هذا البيت لا يوافق المثل الأعلى الذي أتصوره أنا في الشعر. وإذن يحق لغيره أن يقول له: بل هو جميل عندي. (أما علم النقد) الذي يستند إلى علوم اللغة فالجدال فيه ممكن بل واجب، والحق فيه معروف ظاهر، لأن لهذه العلوم قواعد وأسساً، فما قام عليها فهو صواب، وما حاد عنها فهو خطأ ...

فلننظر بعد هذا في نقد الأستاذ قطب بيت الرافعي رضي الله عنه:

إن الظلام الذي يجلوك يا قمر ... له صباح متى تدركه أخفاكا

حين يقول: (والحب الذي هو ظلام لا يحتاج للتعليق، فما يوجد حب في الدنيا تظلم به الأرواح، ولكن الرافعي هكذا يقول) ...

فهل في الدنيا قارئ يفهم أساليب العرب يذهب إلى أن المراد من هذا البيت تقرير أن الحب ظلام؟ وهل يدل هذا على فهم صاحبه ووقوفه على علم البيان العربي وسنن العرب في كلامها؟ إن صغار الطلبة يعرفون من دروس البلاغة أن هذا (تمثيل) يراد منه تشبيه صورة كاملة بصورة كاملة ووضع أحداهما مكان الأخرى على الأسلوب المجازي المعروف؛ ولا يمكن أن ينفك جزء من أجزاء هذه الصورة عن جزء. ومعنى هذا البيت: أن الحب الذي يجعلك مثل القمر، ملء ناظري وملء الدنيا، لابد أن تكون له نهاية، شأن كل حب في الدنيا، كالليل يبدو فيه القمر مجلواً وضاء، ولكن الصباح الذي لابد منه يخفي هذا القمر ويمحوه

وفي الكتاب المدرسي المقرر في مصر لطلاب السنة الرابعة الثانوية ما يكفي العلم به لتجنب الوقوع في هذا الخطأ الذي وقع فيه الأستاذ سيد قطب. ومن أمثلته أن تقول لمن يقصر في عمله ويرقب (العلاوة): إنك لا تجنى من الشوك العنب. فهل يصح لرجل أن يسخر مثلما سخر، وأن يقول هذا خطأ لأن العلاوة ليست عنباً؟ ولا دخل للعنب في هذه المسألة ... أو تقول لتلميذ قصر في الاجتهاد: الصيف ضيعت اللبن. فهل يجوز لناقد من طراز سيد قطب أن يقول له: هذا خطأ لأن الدراسة تكون في الشتاء لا في الصيف، وأنه ليس في مقرر الصف لبن؟

أهذا نقد؟ أهذا كلام؟

* * *

ومثله انتقاد سيد قطب تشبيه الرافعي رضي الله عنه الليل والنهار بشقي المقص (المجتمعين تحت مسمار الشمس)، ورده عليه بأن (الرافعي لم يخطر على باله أن الليل والنهار من الظواهر الأزلية العميقة. وأن بناءها هكذا عمل سرمدي دائم من بدء الخليقة إلى نهايتها) وإنهما ليسا شقي مقص

برافو سيد قطب! لقد كشفت أميركا؟

وما قولك بتشبيه شوقي الشفتين بشقي مقص من عقيق. ألم يخطر على باله إن الشفتين ليستا شقي مقص وإنما هما شفتان؟ والمجاز كله؟ ألم يخطر على بال أصحابه أن له حقيقة قد صرفوه عنها ببراعتهم وحدة أذهانهم؟ أيهدم المجاز كله يا سيد قطب؟

(١) وليس يضيره إن كنت لا أعرفه، وكان في ذاته شيئاً، وليس ينفعه أن يعرفه ألوف وهو ليس بشيء.

ليلى المريضة في العراق

للدكتور زكى مبارك

بقية المقال العشرين

— ظمياء
— عيونى
— أترينى أحسنت الدفاع عن نفسى ؟
— بعض الاحسان
— وأنا مكتف بذلك ، فما هى التهمة الثالثة ؟
— ليلى تتهمك بالخداع
— وكيف ؟
— لا تدرى كيف وأنت أعظم مخادع ؟
— آمنت بالله وكفرت بالحب ، أفصحى يا بلهاء
— اسمى ظمياء
— أفصحى يا ظمياء

— رأتك ليلى تقول فى كتاب (الموازنة بين الشعراء) ان الدمع فى عين العاشق كالسم فى ناب الثعبان ، ثم شرحت رأيك فقلت ان العاشق يخدر محبوبته بالدمع كما يخدر الثعبان فريسته بالسم . وتقول ليلى إن هذا هو السبب فى ألا تخلو قصيدة من قصائدك أورسالة من رسائلك أو كلمة من كلماتك من ذكر الدموع . ولك كتاب اسمه (مدامع العشاق) وأنت فى كل يوم تقول : « أكتب والدمع فى عينى » أو تقول : « ودعت أحبابى بقلب خافق ، ودمع دافق » أو تقول « غسلونى بدموعى يوم أموت »

أو تقول : « ان ملوحة الدمع أشهى مذاقاً من الشهد » ولك من أمثال هذه التعابير عشرات أو مئات أو ألوف ، فأنت بشهادتك على نفسك مخادع عظيم

— ظمياء ، هذا دمى ، فكيف ترين ؟

— هو السم فى ناب الثعبان ، وسنخلع أنيابك فلا تقول انك تفنيت لؤلؤة فى بغداد

— أنت جاهلة يا ظمياء ، وليلى أجهل ، فما تعرف ولا تعرفين أن عرض بغداد هو عرضى ، وأن عرائس بغداد هن أخواتى وبناتى . لا تعرف ليلى ولا تعرفين أن كل مكان فى بغداد هو عندى محراب ، وحيثما توجهت فثم وجه التاريخ ، وأهل العراق هم فى أنفسنا حماة الأدب فى العصر القديم وأنصار الأدب فى العصر الحديث

والمصرىّ فى العراق يرى وجه مصر في كل مكان : يراه فى المدارس والمعاهد والمكاتب والملاهي والملاعب والأغانى والأناشيد، وجرائد مصر ومجلات مصر تقرأ فى بلادكم وكأنها عراقية لا مصرية ، فثقي يا ظمياء بوفائى وثقي بأدبى فسأحفظ ما طوقتم به عنقى من جميل

وقد نظرت فرأيت صحبة العراق كانت خيراً لكل من تشرف بها من أهل مصر ؛ وما عاش مصرى سنة واحدة فى العراق إلا أصبح وفى دمه ذخيرة من النار والحديد ؛ وما رآكم مصري واستطاع أن يذكركم بسوء فى سر أو علانية

فماذا تريد ليلى أن تصنع معى يا ظمياء ؟

ما ذا تريد ليلى ؟ ما ذا تريد ؟

إذا كان دمى شاهداً على خداعى ، فأين أجد الشاهد على وفائى؟ إن النساك يتقربون إلى أربابهم بالمدامع ، فكيف لا يتقرب العشاق إلى أحبابهم بالمدامع ؟

أواه من مصيرى فى هوى ليلاى !

سأرجع إلى وطنى وأهلى مصدوع القلب مفطور الفؤاد وستعيش ليلى بعافية ، وستنسى طبيبها الوفىّ الأمين

وكذلك كان حالى فى كل أرض . كنت أغرس العافية فى الأرواح والقلوب، وما عرفنى إنسان إلا تحوّل من غىّ إلى رشد، أو من هدى إلى ضلال . كنت أذيع الشرك فى قلوب الموحدين، وأذيع التوحيد فى صدور المشركين ، كنت مَلَكا ، وكنت شيطاناً، ثم أصبحت وأنا مجرد من سماحة الملائكة وسفاهة الشياطين أدبتنى ليلى ، وبلائى فى ذلك التأديب . أحبك ياليلى وأهواك

أهذا نقد ؟ أهذا كلام ؟

إن الذي يجب الآن على الأستاذ شاكر وجوباً لا هوادة فيه ، هو ألا يخط فى هذه المناظرة حرفاً بعد اليوم . كلا . ما هذه مناظرة ، ولا هذا مناظر [1] ! ولا أدب الرافعى بيت من الورق لينهار من نفخة ؛ إن أدبه قصر من الصخر ، سيبقى بقاء الدهر !

« دمشق » على الطنطاوى

---

(١) إنما المناظر أو الناقد من أتقن وسائل النقد واستكمل أدواته ، وسبيل الاستاذ قطب إذا أراد نقد الرافعى رضى الله عنه أن يدرس كتبه كلها ويحكم عليه حكما عاما ، ويبحث فى أسلوبه وفى ألوان أدبه ، ويشرح مزاياه وعيوبه لا أن يأخذ كلة من هاهنا وبيتا من هاهنا ليملأ بهذا النقد صفحات من الرسالة خير للقراء لو ملئت بما ينفعهم أو يمتعهم !

— وتحبنى أيضاً يا دكتور ؟

— وأحبك أيضاً يا ظمياء ، وأحب كل مخلوق فى العراق حتى القيظ والزوابع والأعاصير . أحب البلد الطيب الذى أرهف قلبي ، وصقل وجدانى ، واستطعت بفضل الله وبفضله أن أقنع أهلى فى مصر بأن لى قلباً يعرف معانى الشوق والوفاء

— دكتور

— ظمياء

— لقد أحسنت الدفاع عن نفسك فى هذه التهم الثلاث ، ولكن هناك تهمة رابعة لن تستطيع لها دفعاً ، لأنها فى خلقتك والخلقة لا تغيير لها ولا تبديل

— فهمت ، فهمت . إن الجرائد المصرية تصورنى دميم الوجه ولا ينبغى يا ظمياء تصديق كل ما تنشر الجرائد

— لا ، لا ، إن ليلى تراك أجمل مخلوق ، ولكنها تقول إنك أخضر العينين ، وهنا وجه الخطر ، فالعيون الخُضر تهتاج الثعابين ، وما رأى ثعبان إنساناً أخضر العينين إلا اغتاظ واهتاج واستعد للقتال

— ومن أجل هذا تثور علىّ هذه الرقطاء ؟؟ إسمعى أيتها الطفلة . اسمعى . اسمعى . إنى ورثت خضرة العينين عن أمي ، سقى قبرها الغيث ، وأمى ورثت خضرة العينين عن جدتى ، وكانت تركية الأصل ، فممن ورثت ليلى سواد عينيها ؟ إسمعى ياظمياء ، لقد أطلتُ التودد إلى أهل العراق ، وسأصارحهم اليوم بحقيقة لم يتنبه إليها أحد سواى . ليس فى العراق كله طرف كحيل إلا وهو مسروق من عيون الظباء ، وجيرتكم للصحراء هى التى مكنتكم من هذا الانتهاب الفظيع ، ولكن هذه السرقة لن تطول ، فسيأتى يوم قريب أو بعيد يشتد فيه ساعد « عصبة الأمم » المقيمة فى جنيف ثم تحول بينكم وبين انتهاب السواد من عيون الظباء

اخرجى ياظمياء ، ولا ترجعى إلىّ بعد اليوم ، فهذ آخر العهد

* * *

خرجت ظمياء محزونة وهى تعتقد أن ليلى جانية وأن العراق كله قد وقع فى سرقة دولية حين انتهب السواد من عيون الظباء

وبقيت أنا فى كروبى وأشجانى ، فأنا فى سريرة نفسى أعتقد أن الظباء هى التى سرقت سواد العيون من أهل العراق ، وقد عاش العراق كريما فى جميع عهود التاريخ ، فمن حنين غوانيه عرف الحمام كيف يسجع ، ومن صيال أبطاله عرف الدهر كيف يصول

ولكن كيف أصحح خطأى فأسترد ليلى واسترجع ظمياء ؟

كيف ؟ كيف ؟

إن ليلى لن ترجع بسهولة لأنها عراقية ، والعراق مفطور على العناد

أحبك يا ليلى ، أحبك يا روحى ، واشتهى أن أخاصرك مرة ثانية تحت ضوء القمر وفى سكون الليل . أحب أن أسامرك مرة ثانية تحت النجوم فى مطالع حزيران قبل أن أرجع إلى مصر وطن الجفاء والعقوق

أحبك ياليلى وأحب ذلك الطبع المتقلب الذى لا يستقر على حال

أحب أن أنشدك مرة ثانية قول الشاعر احمد رامي :

يا من أخذت فؤادى أخذ العدو الحبيب
قلبي لديك فقل لى ما حاله فى القلوب

أحب أن أصرخ مرة ثانية ، أحب أن أصرخ صرخة الوجد فى رحاب الكاظمية .

أحب أن أفتق بصراخى قلبك الأغلف وأذنك الصماء

أحب وأحب ، ولكن أين السبيل إلى قلبك الظلوم !

* * *

طال شقائى بهجر ليلى ، فما ذا أصنع ؟

إن بغداد تحقد علىّ ويسرها أن يطول فى حب ليلى عذابى

فأين شفعائى إلى ليلاى ؟ أين لا أين ؟

الحمد لله والحب ! هذا خاطر لطيف قد ينفع بعض النفع ، إن ليلى لها فى الموصل بنات خالات ، وبنات الخالات يقدرن على ما يعجز عنه أبناء الأعمام والأخوال ، فلأمض إلى الموصل لأشكو إلى ظبياته جروحى وآلامى

إلى الموصل ، إلى الموصل

إلى الموصل الجميل أمتطي قطار الصباح بين اليأس والرجاء

— ٢١ —

طال بلائى بغضب ليلاى ، وتهدم ما كنا رفعنا من صروح الأمانى ، وأمسى الحزن يصهر قلبي كلما تمثلت أطياف تلك الصروح

وطال حنينى إلى كلمة كانت تقولها ليلى في لحظات الصفاء ، وهى كلمة « تعال » فكنت أهوى إلى صدرها كما يهوى الطفل إلى صدر أمه الرءوم ، وما كان أدبى يسمح بأن أقترح شيئاً على ليلاى وإنما كنت أنتظر عطفها فى صمت كما ينتظر المشب جود السحاب

وكنت خدعتها فزعمت أن تقاليد الأدب فى فرنسا تقضى بأن يقبل الرجل يد المرأة ، وقد انخدعت فكنت أقبل يديها فى كل

لقاء ؛ ولكنى مع ذلك حفظت وقارى فلم أكن أقبل يديها فى السهرة الطويلة أكثر من سبعين مرة

وقد حملنى الطيش فى إحدى الليالى على أن أقترح تقبيل خديها فرفضت

وعند ذلك أنشدت :

يا غزالاً لى إليه شافع من مقلتيه
والذي أجلت خديه فقبلت يديه
أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

فقالت بعد تمنع : أقبلك أنا

فقلت : وما الفرق يا روحى ؟

فقالت : القبلة منك حب ، والقبلة منى عطف

فقلت : أقبلك قبلة عطف .

فقالت : إبحث عمن يصدق دعواك يا فاجر !

ورضيت بالقليل فقبلتنى ليلى قبلة كادت تشوى جبينى .

تلك قبلة العطف فكيف تكون قبلة الحب ؟

أشهد أن الله قدر ولطف !

ذلك نعيم ضاع ، وما أدرى كيف ضاع ، فما كانت هفوتى خليقة بأن تصيرنى إلى ما صرت إليه من الحرمان ، ولكن متى طاب زمانى حتى تطيب ليلاى ؟

آه من كيد الزمان ! وآه من غدر الملاح !

***

شاع فى بغداد أني ذاهب إلى الموصل لأستشفع بالحور العين من قريبات ليلى ، فللشقية هناك بنات خالات . وسمع بذلك أخ صادق فقال : خير لك أن تسافر إلى النجف ، فهو أقرب من الموصل ، وملاح النجف أرق وأظرف ، وهن يعطفن على بلواك ، وهذا اليوم أصلح الأيام

وسألت عن السبب فعرفت أن أهل النجف يحتفلون بميلاد الرسول في السابع عشر من ربيع الأول ، وفى المولد النبوى تزدحم ساحات الحرم الحيدرى بالعرائس فأختار من الشفيعات ما أشاء...

وماهى إلا لحظات حتى عبرت الجسر إلى الكرخ ، الكرخ الذى كان فيه قمرا بن زريق ، والذى سامرت فى رحابه قمراً غادراً لا يحفظ العهد ، ستفيض مدامعه بالدم يوم يتلفت فلا يرانى . وهل كنت إلا طيفاً زار فى السَّحَر بساتين الكرخ وبغداد ؟

ومن الكرخ ركبت سيارة إلى كربلاء

وفى الطريق مررت على الاسكندرية وكنت مررت عليها فى طريقى إلى الحِلة منذ أشهر ، ورجّحت أنها البلدة التى ينسب إليها أبو الفتح الاسكندرى فى مقامات بديع الزمان ؛ ولكنى فى هذه المرة حاولت أن أعرف مكانها من الماء لأن عيسى بن هشام جملها من الثغور الأموية ، فاهتديت إلى أصلها بعض الاهتداء ، وقد أصل إلى جوهر الحقيقة بعد حين

لم أقض فى كربلاء غير لحظات ، وهى مدينة تحيط بها الخضرة من جميع النواحى ، وفيها قتل الحسين كما هو معروف ، وللحسين فيها ضريح لم أزره ولكنى شهدت قبته العالية ، وهى مكسوة بالذهب الوهاج ، وفى كربلاء ضريح آخر للعباس أخى الحسين ، وهذان الضريحان يفيضان النور على كربلاء ، وقتل الحسين كان نعمة على هذه المدينة ؛ فقد أصبحت بفضل مرقده من مواسم القلوب

ومن كربلاء أخذت سيارة إلى النجف فأسلمتنى إلى صحراء رأيت فيها الضب أول مرة ، فتذكرت ما صنع الشعوبية حين وصموا العرب بأكل الضباب واليرابيع ، والشعوبية كانوا جماعة من الأدباء لا يعرفون العواقب ، وقد زعزعوا ما كان بين العرب والفرس من متين الصلات وسيلقون جزاءهم يوم يقوم الحساب

وأخذت تلك الصحراء تصنع بخيالى ما صنعت البادية بين دمشق وبغداد فكان فيها ألوان من خداع السراب . وبعد ساعة رأيت فى الأفق ذهباً يتوهج ، فحدقت فيه النظر لحظات ولحظات فرأيته يزداد إشراقاً إلى إشراق . فصح عندى أنه ذهب القبة العالية ، قبة ضريح أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعطر مثواه

ثم عبرت إلى النجف وادي السلام وهو مقابر طوال عراض عرفت ملايين الناس من سائر الأجناس

وأهل النجف يعتقدون أن من يدفن فى وادى السلام لا يسأل فى البرزخ ، وهو اعتقاد لطيف ، فمن عزاء الانسانية أن تعتقد أن لها معتصماً من الحساب ولو إلى حين

(للحديث شجون)

زكى مبارك

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج إلى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خـذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ......

— ١٥ —

واتخذ دوجلاس للأمر عدته ، لم يدع وسيلة أو يغفل عن حيلة ، أما ابراهام فلم تكن به حاجة إلى ما يحتال به من أساليب التأثير المتكلفة الخادعة ، فما هو إلا أن ينصت له الجمع حتى ينبعث اليقين ما قر فى نفسه فيحرك به لسانه فاذا هو كالنهر الحادر يفهق بما لا يفتأ يواتيه به المنبع ، ويجيش بهذا الفيض ويهدر ، ويتدفق لا يصده عن وجهه شيء ...

وكان لدوجلاس من بعد الصيت ما جعل اسمه ملء الأسماع فى طول البلاد وعرضها ؛ وكان فى رأى الأمريكيين أقدر رجال حزبه وأكثرهم فطنة وأطولهم فى السياسة باعاً وأقواهم بمصاعبها اضطلاعاً ، بل لقد كان عند الكثيرين من ذوى الرأى أعظم رجال أمريكا كفاية وأعلاهم كعباً وأعزهم مكانة ، وكان يلقب « بالمارد الصغير » أن كان له على صغر جرمه وقصر قامته قوة المارد وسلطان المارد ودهاء المارد ، وكانت له حيوية غريبة تنقطع دونها حيوية الرجال ، وتتقاصر عنها هممهم . والحق لقد كان دوجلاس يومئذ أنبه الناس شأناً وأعزهم نفراً وهو من عهد قريب لم يكن يسمع به أحد خارج الينواس

لذلك كان للناس عجباً أن يطاوله ابراهام وأن يدعوه إلى نزال . وأخذ من لم يكن يعرفه منهم هذا الفعل من جانبه على أنه ضرب من الغرور أو نوع من الغفلة ، ولو أنهم عرفوا دخيلة صاحبهم الذى افتتنوا به وتبينوا ما هجس فى نفسه من الخواطر إزاء هذا التحدى الجريء لأيقنوا أن جبروت ماردهم وأساليبه ما كانت لتغنى عنه شيئاً من هذا العملاق الذى درج من الغابة ليقف أمامه كأنه السنديانة !

وكانت أُتاوا أولى المدن السبع التى اختيرت ميادين لذلك الصراع ؛ وقد جاءها الناس ليشهدوا ما لم تقع عليه من قبل أبصارهم أو تتعلق به أوهامهم ، وقد أُتِّفق أن يكون الكلام أول الأمر لدوجلاس فيخطب الجمع ساعة ، ثم يعطى من بعده ابراهام ساعة ونصف ساعة ؛ ويختم دوجلاس هذا الدور بعده بحديث يستغرق نصف ساعة

وكان دوجلاس فى انتقاله بين المدن فى ألينواس يتخذ مركبة فخمة يجرها ستة من كرائم الخيل ، وحوله ثلة من الفرسان يتزيد بهم من الهيبة والأبهة ؛ وكان إذا دخل مدينة من المدن يقف فى مركبته وقد تكلف أكثر ما يطيق من الصرامة فما يكاد يلمحه الناس ويقبلون عليه مصفقين مهللين حتى تنقلب صرامته وسامة فيحيي الجموع بيديه وإيماءاته وابتساماته ، ويلتفت لهذا ويهش لذاك كأنه ملك يتدلى من عليائه ليطلع على شعبه ، وإذا هو حل بقوم أو سار إليه قوم عرف كيف يوحى إليهم تبجيله والاعجاب به ، فهو بين الصلف وخفض الجناح ، وبين الاحتشام والتبذل يحيي وجوههم وكبراءهم ويغمرهم بنعمة منه وفضل

أما لنكولن فكان ينتقل بين الناس كأحدهم ؛ وكثيراً ما يكون دون بعضهم ، فإذا أخذ مكانه فى قطار أو فى مركبة عامة مزدحمة كان بين ركابها كما كان بين الناس فى نيو سالم حين كان يدير الحانوت أو حين كان يوزع البريد يتبسط لهم فى القول ويسترسل معهم فى شتى الأحاديث ، ويقص عليهم من قصصه ، وإن له فى هذا كله لمتاعاً ولذة لن يحسها إلا من كان له مثل قلبه

والتقى الرجلان فى أتاوا ؛ واحتشد الناس فى الموعد المضروب فضاق بهم مكان الاجتماع ؛ وحانت ساعة الكلام ، فوثب المارد الصغير إلى موضع مرتفع أطل منه على الناس فتمزقت بالتصفيق أكف أنصاره وتشققت بالهتاف حناجرهم ، وهو يرسل نظراته فى جنبات المكان ويوزع إيماءاته هناك ، وهنا ، حتى سكنت ريحهم فبدأ الكلام ...

وكان يومئذ فى الخامسة والأربعين ، بادى الفتـوة مرموق الشباب يتهلل وجهه لولا كدرة طفيفة هى مما فعلته به ابنة العنقود وسكنى المدن ولكنها كدرة كانت تنقشع حين تلتهب بالحماسة وجنتاه ؛ وكان فى موقفه بارز الصدر قوى الكتفين

تتجه نظرات الإكبار إلى رأسه الضخم فما تلبث أن تلتقي بعينيه الزرقاوين السريعتين فترتد حاسرة كأنما غشيت من ضوء وهاج، وكانت تفتن الأنظار أناقة ملبسه ونظام هندامه، كما كانت تسحرها لفتاته وحركاته كأنما كانت تقع الأبصار منه على ممثل قدير عرف سبيله إلى قلوب محبيه فهو يحرص ألا ينحرف قيد شعرة عما يشيع في نفوسهم السحر من مظهره ...

وتكلم دوجلاس فكان في كلامه ثبت الجنان زلق اللسان وكانت له في هذا الاجتماع خطة بالغ في إحكامها وتسديد خطاها، ومؤداها أن يرى لنكولن والمتشيعين له بأنهم من المتطرفين الذين يريدون حل مسألة العبيد بالقوة، ثم يحمل على بقية رجال الحزب الجمهوري فيرميهم بالتذبذب ... وراح يخطو في سبيل ذلك خطوات؛ فيتحمس ويعلو بصوته ويكثر من الإشارات، ولكنه كان يسمو بعباراته أحياناً فلا ترقى إليها أفهام الكثيرين؛ على أنه كان له من جاهه ونفوذه وهيبته في قلوب الجماهير عوض عن ذلك، فحسبهم أنهم يستمعون إلى ذلك الذي بات يتحدث باسمه كل إنسان، حسبهم أنهم يستمعون إلى دوجلاس السياسي الأشهر ورجل الثورة العزيز الجانب! وإن في كثير من النفوس البشرية لما يميل بها من غرائزها إلى الخضوع للسلطان والانقياد لكل ما يشير به ولو كان مما هو جدير أن يقابل بالعصيان

وجاء دور ابراهام فطلع على الناس بقامته الطويلة فهتف باسمه أنصاره وتحمسوا له، واتجهت إليه الأنظار وإنه ليبدو كأنما أخذته من الموقف ربكة فليس له تطلع دوجلاس وتحفزه! ونظر الناس إلى شعره الأشعث وإلى ملابسه المتهدلة وخاصة إلى سرواله الذي يقصر عن ساقيه فيكشف عن جزء منها، وقارنوا دون أن يشعروا بين تلك الملابس وبين حلة دوجلاس الأنيقة فبدت أكثر حقارة مما هي عليه! وكانت تستقر الألحاظ برهة على محياه وقد ازدادت مسحة الهم فيه وضوحا، وبدا عليه ما يشبه المسكنة والانكسار.. ولكن الناس على الرغم من ذلك يرتاحون إلى مظهر ذلك المحيا ويشعرون نحوه بالحب!

ويبدأ الخطيب في صوت أجش تتخلله حشرجة ثقيلة؛ ثم ما هي إلا برهة حتى تنطلق نفسه على سجيتها، فاذا ذلك المحيا يتهلل ويشرق وتتشكل أساريره بما يهجس في خاطره، وإذا تلك العينان الواسعتان المتسائلتان تنفثان بسحرهما إلى أعماق القلوب، وإذا الرجل يبدو في هيئة يتقاصر عن وصفها لفظ الجمال. وتتفتح مسالك صوته فينطلق رائقاً له رنين يتشكل حسبما يعبر عنه من المعاني، وكان يعلو صوته إذا تحمس فيدوي في أرجاء المكان

وينساب السيل لا يصده عن وجهه شيء ولا تمنى في صفائه كدرة على تدفقه وجيشانه! والناس مفتونون وإن هم لم يفطنوا على وجه التحديد إلى سر فتنتهم، فهم مأخوذون بما يسمعون عن أن يفكروا أو يحللوا؛ وإنهم لفي سكرة أشبه بما يجدون أنفسهم فيه عند إصغائهم إلى لحن من تلك الألحان التي تسحر الأنفس وتملك الألباب

تدافعت إلى ذهنه الألفاظ وتزاحمت عليه المعاني وقد أسفرت عن وجوهها ومشت إلى غايتها في غير تحرج أو التواء؛ ولقد برزت في ذلك اليوم مواهبه على أتمها فكان له ما شاء من سهولة اللفظ مع بلاغته ودقة المنطق مع سلامته؛ هذا إلى يقين ينفث في قوله الحرارة؛ وتمكن يذيع فيه الروعة؛ وأمثلة يسوقها من الحياة العادية فتستقر في قلوب سامعيه ومعظمهم من عامة الناس ومن وراء ذلك العبقرية التي تستعصى على التحليل وتسمو على التأويل ...

ونزل لنكولن وله في قلوب السامعين من أنصاره وخصومه مكانة غير ما كان له قبل من مكانته، فلقد استطاع أن يقنعهم، كما استطاع أن يشمرهم بما هو أقوى من الاقتناع وأبعد أثراً ألا وهو الاعجاب؛ وإنهم ليتهامسون بعضهم إلى بعض قائلين: ليت لسادتنا وكبرائنا قلوبا مثل قلب ذلك الرجل ... مثل قلب أيب الأمين ...

وتكلم دوجلاس بعد ذلك مسافة نصف ساعة أعلن بعدها أن الاجتماع الثاني سوف يكون في فريبورت

ولقد ارتكب دوجلاس من الخطأ في هذا الاجتماع الأول ما عد عليه أنه أفحش أخطائه في ذلك الجدال؛ وذلك أنه أبرز مكتوباً موقعاً عليه باسم لنكولن يفهم منه أن إبراهام من زعماء المتطرفين؛ ولكن سرعان ما أقام إبراهام في دوره الدليل على أنه

زائف وأنه مما جاء فيه براء . وكانت لطمة قوية استخذى لها دوجلاس فى سامى منزلته ، وفقد بعدها ثقة الكثيرين ...

وحل موعد الاجتماع الثانى فتسابق الناس إليه أفواجاً وقد اشتهر أمر ذلك الصراع إذ لم تبق صحيفة إلا وقد أسهبت فى الحديث عنه ؛ وفى هذا الاجتماع طمن لنكولن خصمه تلك الطمنة التى سلفت الاشارة إليها ؛ فلقد أعد له سؤالا يلقيه عليه : أ إذا أرادت ولاية أن تلغى نظام العبيد فيها فهل هى مستطيعة أن تفعل ذلك دون أى حرج ؟ ولقد أنكر عليه أنصاره هذا السؤال إذ لم يفهموا الغرض الذى يرمى إليه منه ، وهو يعلم أن دوجلاس سيجيبه: بلى تستطيع الولاية ذلك . فقال لهم ولكنه بذلك يفقد عطف أنصار مبدأ التمسك بالعبيد من أهل الجنوب فلا يمنحونه أصواتهم إذا هو تطلع للرياسة ؛ ولن يضير لنكولن أن يظفر دوجلاس اليوم بمقعد فى مجلس الشيوخ

ووجه لنكولن السؤال إلى دوجلاس فأجاب بقوله « نعم تستطيع الولاية أن تفعل ذلك فى غير حرج » ؛ وفرح لنكولن بتلك الاجابة التى يعلم أنها ستنفر أهل الجنوب منه . ولقد أيدت الأيام رأيه وبرهنت على بعد نظره. ومما قاله لنكولن فى ذلك «إن دوجلاس ليتبعه عدد كبير من العميان ، وإنى أريد أن أجعل بعض هؤلاء يبصرون »

وفى الاجتماعين الثالث والرابع لم يأت كلاهما بشىء جديد ؛ وإنما اجتهد لنكولن أن يدفع عن نفسه ما رماه به خصمه من الاتهامات ؛ وخرج لنكولن من هذين الاجتماعين وقد أضاف إلى أنصاره أنصاراً جديدين ...

وفى الخامس من هاتيك الاجتماعات اتخذ لنكولن خطة الهجوم ، بعد أن أخذ ينشر خصمه ويطويه فى الاجتماعين الماضيين حتى دوّخه ، وكان هجومه تلك المرة شديداً ، ضاق به دوجلاس وانخلع عنه مكره ؛ عاب عليه إبراهام أنه لا يحفل بالاعتبار الخلقى من مسألة العبيد، مع أن هذا الاعتبار بعد الخروج على اتفاق مسورى ، هو السبيل الوحيد الذى يعوّلُ عليه فى منع انتشار العبيد ؛ وعلى ذلك يكون دوجلاس داعية إلى أن تصبح مسألة العبيد مسألة قومية عامة لا تحرج منها ولا تأثم فيها ...

وأحس دوجلاس مهارة الرمية وقوة الاصابة فراح يرد على رمية برمية، وعاد فاتهم لنكولن والحزب الجمهورى أنهم من دعاة الثورة وأنهم يدفعون البلاد إلى الدمار ...

ولكن لنكولن جعل الاجتماع السادس لتحديد مذهب الحزب الجمهورى فقال فى جلاء : إن الجمهوريين هم أولئك الذين يعتبرون نظام العبيد خطأ من النواحى الخلقية والاجتماعية والسياسية ؛ ولكنهم يتمسكون بدستور الاتحاد ويسيرون فى تحقيق أغراضهم على نهجه ؛ أما الذين لا يرون عيباً فى نظام العبيد فهم الديموقراطيون ؛ وهم ليسوا من الجمهوريين فى شىء ... لذلك ليس من الجمهوريين من لا يعبأون بالدستور فى موقفهم من نظام العبيد مهما بلغ من مقتهم لذلك النظام ...

وحار دوجلاس ماذا يفعل أمام تلك القوة وأمام ذلك الوضوح الذى لا يدع مجالا لمستريب فأخذ يداجى ويعبث وقد تملب بعد ما سبق أن استأسد

وضيق لنكولن عليه الخناق فطلب إليه أن يجيب على هذا السؤال البسيط فى غير مداجاة « أيعتبر نظام العبيد صواباً أم خطأ » ؟ وازدادت حيرة المارد الصغير وأحس أنه على جبروته يتلوى فى قبضة ذلك المملاق وكأنه أمامه جذع من تلك الجذوع التى ما كانت تقوى على فأسه مهما بلغ من متانتها يوم كان يضرب بفأسه فى الغابة قبل أن يعرف كيف يضرب بقلمه أو بلسانه

وعجب الناس لهذا الرجل الذى لا يرى نظيره فى الرجال ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون: ماذا دهى المارد الصغير ؟ وكيف تسنى لابن سبر نجفيلد المتواضع الذى لم يعرف سلطاناً ولا جاهاً أن يأخذ الطريق هكذا على ابن وشنجطون الجبار المدل بماله ومنمته ونفوذه ؟

ولكن هاجساً يهجس فى ضمائرهم أن للحق سلطاناً دونه كل سلطان، وعزة يستخذى أمامها كل اعتزاز، ومنعة تردعنها كل مطاولة ؛ وأن الباطل مهما تنمر واستمدى على الحق من أساليب بهتانه وألاعيب مكره ، لا يكون منه إلا كما يكون الليل من وجه الصباح ...

وأدرك الناس أن خير خادم للناس من يدرج من بينهم فيحس

إحساسهم ، ولا يزال مهما بلغ من سمو منزلته واتساع ثقافته ، قادراً أن يشاركهم عواطفهم وألا يضيق بأحلامهم وإن صغرت حتى يتلمس فيها السبيل إلى هديهم وشفاء أنفسهم ؛ وأى هذين الرجلين ينطبق ذلك عليه ؟ أهو دوجلاس الذى أثرى بغتة بحيلة لم تتطلب منه إلا أن يشترى قطعاً من الأرض بأبخس الأثمان ثم يعمل بنفوذه على أن تتخذ سكة الحديد فيها مجراها فيبيعها بما تمتلئ به خزانته ؟ والذي باعد بينه وبين الناس وتكلف مظهراً أرستقراطياً تطرب له نفسه ولا ترتاح إلا له ؟ أم هو لنكولن الذى ما برح يأكل من كده والذى ظل فى الناس على رجاحة عقله وعلو همته أحد الناس ، والذى لا يطيب له العيش إلا إذا استشعرت نفسه آمال الناس وآلامهم ، ولا يحلو له السمر إلا حيث يجلس فى قوم ارتفعت بينهم وبينه الكلفة وازدادت الألفة مهما يكن من الفوارق العلمية أو الفوارق المدنية ؟ ...

تحدث ابراهام مرة يصف دوجلاس فقال : لقد سوته الطبيعة بحيث أن ضربة السوط إذا نزلت على ظهره هو تؤلمه وتؤذيه ، بينما هى لا تؤلم ولا تؤذى إذا نزلت على ظهر أى شخص سواه » ؛ وما كان ابراهام مسرفاً فى قوله ؛ وما نحن بمسرفين إذا قلنا إن إبراهام قد سوته الطبيعة بحيث يحس ضربة السوط على ظهره هو إذا نزلت على ظهر أحد سواه من الناس ...

« يتبع » الخفيف

الأنباط

وأطلال بترا الخالدة

للأستاذ خليل جمعة الطوال

— ٣ —

معبد ايزيس

وينتهى السبق أمام معبد عظيم هو فى الحقيقة أجمل وأخلد ما فى الشرق الأدنى من الآثار النبطية الرومانية الرائعة . وقد حفر — معبد إيزيس — قبيل الفتح الرومانى (بقرن ونصف القرن



(شكل ٢ معبد إيزيس)

تقريباً) أي بين عام ٥٠ ق . م . و ٥٠ ب . م . وقد كانت بترا إبان ذلك فى أوج عظمتها . يبلغ علو هذا المعبد (٢٦) متراً ويتركب من طبقتين (انظر الصورة شكل ٢) أما الطبقة السفلي

فتتألف من ستة أعمدة رملية ضخمة متوجة بالتيجان الأغريقية الشكل ، ومن فوقها جميعاً قوس روماني مثلث غاية فى الرونق ، والزخرفة ، ويقوم المعبد فى وسط هذه الأعمدة الهائلة وهو بهو واسع كان يجتمع فيه المتعبدون لإقامة شعائرهم الدينية وإحراق البخور فى المجامر الحجرية المحفورة على جدرانه الأربعة ، وإلى جانبه غرفتان كبيرتان ، وهما للتعبد فى الأيام العادية

أما الطبقة العليا فتتألف من ثلاثة هياكل رائعة ، تقوم بين أعمدة رملية بديعة ، متوجة بالأقواس الرومانية المثلثة ، ويدعى الهيكل الأوسط بمزار إيزيس ، ولا يزال تمثال إيزيس قائماً فى وسطه برونقه وبهائه ، وتتوج هذا الهيكل قبة مخروطية الشكل يبلغ علوها ثلاثة أمتار ، ويسميها البدو قبة فرعون ، أو خزنة فرعون ، وهم يعتقدون أن فرعون قد وضع تحتها كنزاً ثميناً ، ولذلك فقد شوهوا جمالها بما أطلقوه عليها من الرصاص طمعاً فى الحصول على هذا الكنز الموهوم ، بهدمها وتحطيمها . ويشتمل القسم العلوي أيضاً على تمثالين آخرين يحيطان بتمثال إيزيس من اليمين والشمال . ومما يدعو إلى الدهشة حقاً محافظة هذا المعبد بتماثيله وأعمدته على رونقه وبهائه طيلة هذه الأحقاب بالرغم من تعرضه لعوامل الطبيعة الهدامة ، ولعبث البدو السذج

الملهى الكبير

ويقع فى الجهة الغربية من معبد إيزيس — أو الخزنة — وعلى مسافة قصيرة منه ، وهو مدرج كبير يحتوى على (٣٤) صفاً مستديراً ، ويتسع لنحو ثلاثة آلاف متفرج . وقد حفر فى الصخر الرملى الملون حفراً متقناً فى المدة التى تقع بين ٤٠ق.م و ٤٠ ب . م . وهو من الآثار الرومانية المديدة . ويقال إن هذا المدرج كان كسوق عكاظ لا يؤمونه إلا فى المواسم الخاصة به

أم الصناديق

تقع فى الجهة المقابلة (للملهى الكبير) وهي قبور هائلة الحجم محفورة فى جبل رملى كبير على شكل مساكن تتألف من ثلاث طبقات (انظر شكل ٣) عالية تتمثل فيها جميع تطورات الفن البزنطى العربى ، وذلك باختلاف أعمدتها ، ونسق ترتيبها ، وطريقة حفرها ، إذ فيها البسيط الهين ، والمظيم الرائع ، ويتصل بعضها ببعض بمدارج صغيرة متعددة ، وإلى الجهة الشمالية من أم الصناديق مدرج صغير آخر كان يجتمع فيه الناس عند



(شكل ٣ أم الصناديق)

حدوث وفاة أو جنازة . وفى أم الصناديق نقوش ورسوم كثيرة يمثل أحدها فتاة مستلقية على سريرها

قبر التماثيل

وهو بناية هائلة ، يبلغ علوها تسعة عشر متراً ، تحيط بها أربع أعمدة كبيرة ، وفى واجهتها بين الأعمدة ثلاثة تماثيل كبيرة ويقال إن هذا الهيكل الفخم ، (وأم التركمانية) التى تقع فى طريق الدير هما من القبور الخاصة بالعائلات الملكية والأرستقراطية . ويؤيد هذا النقوش النبطية الكثيرة المحفورة على عتبة التركمانية حفراً بارزاً . (شكل ٤) . ومن القبور العظيمة : (قبور السريان ، وأم الصياغ ، والسرايا ، والمدحلة) وسنأتى على وصفها جميعها فى مقال آخر



(شكل ٤ قبر التماثيل)

قصر فرعون (قصر البنت)

ويقع فى وسط الساحة الرومانية العامة (الندوة) ويمتاز عن غيره من الآثار بأنه مبنى من الحجارة الكبيرة وليس محفوراً

فى الصخور كنفيره ، يبلغ علوه ٢٠ متراً . وقد تداعت أكثر جدرانه ؛ ويوجد فى وسطه أريكة حجرية ، ومقاعد صغيرة كثيرة ، وله مدخل كبير واسع تحيط به بعض شجيرات من المرعى . ويقابل هذا القصر مسلتان طويلتان : الأولى على بعد ٣٠ متراً منه ، وتعرف بمسلة فرعون ، وهى تتألف من تسعة أعمدة ، طول العمود الواحد نحو ثلاثة أمتار تقريباً . والثانية على بعد كيلو متر واحد من الأولى ، وهى أطول منها وأضخم ، وتدعى (مسلة النصارى) . والراجح أن هذه التسمية قد أطلقت عليها خلال عام ٤٦٠ ب . م . فى زمن أحد مطارنة اليونان ، كما تدل على ذلك الكتابات والنقوش التى عليها (شكل ٥)



(شكل ٥ قصر فرعون (قصر البنت)

السبق البارد

وهو محطة صغيرة للقوافل النبطية التى تروح وتغدو من الشمال ، تقع بين جبل البيدا ونفره ، وقد عثر الدكتور نيلسون فى هذا السبق على مخطوطات مجرية ذات قيمة فنية فى تاريخ الديانة النبطية ، إلا أنها — مع الأسف — قد نقلت إلى أوربا فيما نقل من آثار شرق الأردن الثمينة

المذبح الكبير

وهو من أماكن العبادة الرئيسية يقوم على جبل يبلغ علوه ١٥٠ متراً ، ويصعد إليه بمدرج طويل يزيد على ٢٥٠ درجة . وهو عبارة عن حضيض محفور فى قمة الجبل المنبسطة ، عمقه قدم واحد ، وطوله ثمانية أمتار ، وعرضه ستة أمتار ، وتقوم فى وسطه حجرة ناشزة كانت هيكلاً للإله (ديشورة) ، ويقع المذبح فى الجهة الجنوبية من هذا الحضيض ، وهو مستدير الشكل ، وفى وسطه جرن صغير يتجمع فيه دم الذبيحة ويسيل فى قناة صغيرة ضيقة حتى الهيكل . وقد كان الناس يجتمعون على قمة هذا المذبح



(شكل ٦ المذبح الكبير)

مرة فى كل عام ، يقدمون قرابينهم وضحاياهم للآله ديشورة ويتلون أمامه صلواتهم وأدعيتهم الكثيرة ، وذلك في طقوس وترتيبات عبادية خاصة

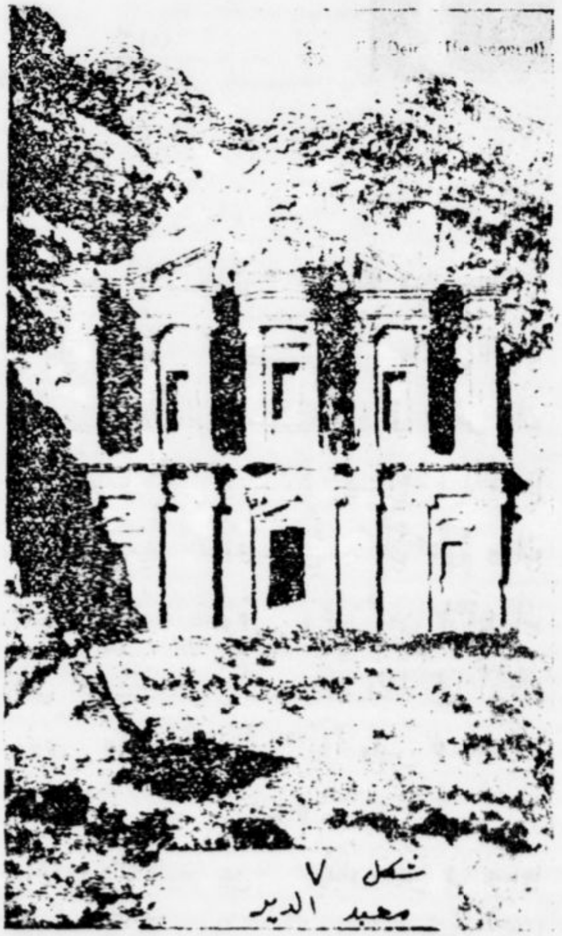
معبد الدير

ويقع فى أقصى الآثار من الجهة الشمالية ، وهو أعظم أطلال بترا روعة وبهاء ، ودقة وجمالا ، وضخامة وعلواً ، حفر خلال القرن الواقع بين ٥٠ ق . م . و٥٠ ب.م يبلغ علوه (٤٠) مترا ، وعرضه (٥٠) متراً . وهو يتألف من ثلاثة أقسام هى : البهو ، والهياكل ، والقبة ، (انظر شكل ٧) ، أما البهو فيقع فى القسم السفلى منه ، طوله (١٠) أمتار ، وعرضه (١٢) متراً ، وارتفاعه (١٤) متراً ، وتزين وجهه الأمامية ثمانية أعمدة إغريقية التيجان ، ضخمة الشكل ، يربط بعضها ببعض أقواس جميلة ، تقوم بينها طائفة من التماثيل المشوهة ، وفوق البهو (الكنيسة) الهياكل الثلاثة وهى تشبه هياكل معبد إيزيس إلاّ أنها أكبر منها حجماً أما القبة فتتوج الهيكل الأوسط منها ، وهى تتألف من قسمين يبلغ علوهما معاً تسعة أمتار ، ومحراب يناهز هذا العلوّ أيضاً . وتتسع مساحة القسم الأسفل من القبة لنحو (٥٠) رجلا أو أكثر . وهى ما تزال مشمخرة فى الفضاء ، ساخرة من عبث الأقدار وكر الحوادث الكبار .

أساطير طريفة

يسكن بترا فريق — عشيرة — من البدو ، وقدسلمت إليهم يد الدهر والأقدار أطلال حضارة عريقة ، لا عهد لهم بمرئياتها ،

ولا طاقة لهم على تقليدها ؛ فاختلفوا فى تعليل تلك القوة الخفية التى شيدت ذلك البنيان المظيم الذى يعجزون عن تقليده ، واختلفوا أيضاً فى تعليل مصدر تلك القوة الهائلة ، فذهبوا لذلك يحيكون حولها مختلف القصص والأساطير ، بالشكل الذى يمليه عليهم خيالهم وتصورهم ، وبالكيفية التى توائم أذواقهم ومشاربهم فقالوا فى موضوع المسلتين :



(شكل ٧ معبد الدير)

« لقد كان لفرعون زوجتان ، وقد خرجتا ذات يوم بطفليهما إلى الجبل المقابل للملعى، وحدث أن استهانتا بنعمة الله الكبرى على الانسان ، إذ أنهما مسحتا غائط ولديهما بكسرة من الخبز ، فعاقبهما الله بأن حولهما إلى مسلتين حجريتين.

أسطورة قصر فرعون

حدثنى أحدهم ، قال : « كان لفرعون بنت بلغت سن الزواج، وقد حظر عليها والدها الخروج من القصر؛ وفى ذات يوم أجمعت أمرها على أن تتزوج من الشخص الذى يستطيع أن يجر إلى قصرها ماء أحد الينابيع . فقام لهذه الغاية شخصان ، وتمكن كل منهما من جر ماء أحد الينابيع إلى قصرها فى وقت واحد ويوم واحد . فسألت الأول : كيف تمكنت من جر الماء إلى قصرى فى مثل هذه المدة القصيرة ؟ فأجاب : بقوتى وبقوة بطانتى وعشيرتى ؛ ثم سألت الثانى . فأجاب : بعون الله الذي عضدني وعضد رجالي وجمالي ؛ فسرت من جوابه ، ودهشت لثقته بعون الله، وتزوجته. وفيما هى تفكر لتجمع عزيمتها على الزواج من أحدهما سقط جناح فراشة فى قناة الرجل الأول ، فتعطل الماء فيها عن الجريان ، ولم يستطع أحد أن يرجع الماء إلى مجراه ، فتيقنت الأميرة أن الله قد قدر هذه الأعجوبة لتكون برهاناً لها على حسن اختيارها للرجل الثانى »

* * *

تلكم هى آثارنا ، وذلكم هو تاريخنا ، تشهد بعظمته هذه الأطلال الخالدة التى شدناها، وليس عاراً على من أهدى إلى الدنية هذه الثروة الكبرى، وأسدى إلى الانسانية مثل هذه الخدمات الجلى ليس عاراً عليه أن يستريح ريثما يستجم ويسترجع نشاطه ، فيعيدها كرة عربية ، وصرخة عالية تعيد إلى هذه الأطلال نطقها وماضيها

(شرق الأردن) خليل جمعة الطوال



رسالة الشعر



من مشاهد المسرح

قلب راقصة[1]

للأستاذ ابراهيم العريض

في مَسرحٍ للغَرب حيثُ الشمسُ تُشرقُ في الليالي
ورِواقُه كالموجِ يزْ خرُ بالنساءِ وبالرجال
يتضاحكونَ ... فلا ترى إلا الكواكبَ في اشتعال
والبنتُ يجذبُها فتا ها فهْيَ تخطرُ في اختيال
طوراً هُنا ، طوراً هُنا كَ ، لكلِّ رُكنٍ فيه خال
والكلُّ منهم مُشرِقُ الـ ـوَجَنات محبُوبُ المثال
وقَفَ الفتى الشرْقيُّ لـكنْ قلبُه في غيْرِ حال
تحتَ الشعاعِ يرى الجسو مَ كأنها بعضُ الظِلال
ويكادُ يفصحُ طرفُه عمَّا يكِنُّ من السؤال
« يا عينُ حسبكِ هاهُنا ما تنشُدين من الكمال
تلك الحقيقةُ بينَهم تنسابُ في حُلل الجمال
هل ترقُبين بأن يُزا حَ السترُ إلا عن خيالي »

***

ومضى يُحدِّثُ نفسهُ لا يستقرُّ بهِ مكانُ
ويرى بناظرهِ مفا تنَ ظلَّ ينكرُها الجنان
« ما هـذه إلا السما ءُ وتلكَ أنجمُها الحِسان
في كل ركنٍ كوكبٌ وبكل زاويةٍ قِران »
حتى إذا أزِفَ الدخُو لُ وطال للجرَسِ الأذان
وتهلَّلَ البَهْوُ العظيـمُ بسرٍّ ماهمس البيانُ
فكأنَّ للأنغام أشْباحاً لها في الرقصِ شان
هي والصدى أبداً كنا رٍ يستقلُّ لها دُخان
دخلوا جميعاً صامتيـنَ ... كأنَّ صمتَهمُ بيان
فمشى يُوازنُ خطْوَهُ ويميسُ من طرَفيه بان
حتى تخيـلَ أنَّهُ ملَكٌ وتلك هِيَ الجِنان
ونوى على كُرسِيّهِ بُهْراً وليس له لسان

***

وانجابَ ذاك السترُ عن غيْداءَ ترفُلُ في صِباها
تمشي وئيداً والحريـرُ يشِفُّ عن أدنى خُطاها
ملمُومةً كالوردةِ الـبيضاءِ في ورَقٍ حواها
حتى إذا وقفَتْ إزاءَ الـخَلقِ يبهرُهم سناها
نشرَتْ مُلاءتَها الرقيـقةَ من حواشِيها يداها
ومضت تُلوِّحُ باليدَيْـنِ كأنها ترعى انتباها
وتدُورُ دَوْرتَها فينـعكسُ الضّياءُ على حُلاها
كم بالغَتْ في الميلِ حتـى كادَ أن يُطْوى قفاها
ثم استوتْ فوْقَ الأصا بعِ كالحشائش في رُباها

(١) مهداة إلى روح الأستاذ الرافعي

يهتزُّ منها كلُّ عُضْـــوٍ نعمةً حتى حشاها
وتهمُّ طوراً أن يُوا زِىَ موْضِعُ الإبهامِ فاها
فترى تفتُّحَ جِسْمِهـا كالأقحُوانةِ فى نـداها

***

كانت تمثِّـــلُ فِتْنَةً وتثيرُ فى الجمهورِ أخرى
وكأنَّ بينَ ضُلوعِهم قلباً أبى أن يستقِرّا
يشتدُّ فى الخفقانِ عنـــدَ دُنوِّها حتى تمرّا
لا ، بل يُتابعُ مَوْطِئَ الـــخطُوَاتِ بالأنغامِ تـترى
فإذا نأت أضحى بأعْـــيُنِهم يجاهِـدُ مُستمرا
حتى يُشاهِدَ من شبا بيكِ النواظِرِ ما تجرى
وكأنها ألِفَتْ بهـذا الـــحالِ منهم فهْىَ سَكري
تُغرى الشبيبـةَ بالفُتو نِ ولا تُبالى حينَ تُغرى
وتظـلُّ تلعَبُ بالمُــلاَ ءَةِ حَوْلها طيًّا ونشرا
حتى إذا عطفَتْ قبا لَهَ ذلكَ الشرْقِيِّ صـدرا
ألْقَى عليهـــا نظرةً كالطِّفْلِ بل كانت أبَرّا
فتحِسُّ مُهْجَتُهـا لأوَّ لِ وَهْلَةٍ بالحبِّ ... سِرا

***

بقِيَتْ لِقَى مثـلَ الفرا شَـةِ فى تهافُتِها السريعِ
والنـاسُ تحسَبُ أنهـا بُهِرَتْ من الرَّقْصِ البديع
لمـا رَأَوْهـا لا تُحَـــرِّكُ ساكناً غيرَ الضُّلوع
وعلى سِمَـاطِ الصـدْرِ فا كِهتانِ مِلْءَ يدِ الخليع
حتى إذا أبدَتْ فُتـو راً كالذى إثْرَ الهجوع
وتمايلت طرباً وهمَّتْ فى غِنـاها بالشروع
ساد السكونُ على الجمو عِ كأنهم صُوَرُ الخشوع
غنَّتْ غِناءَ الأمِّ أوَّ لَ ما تُهوِّدُ للرضيع
فتبثُّ مافى قلبهـــا من صورةِ الأمَلِ الرفيع
أرأيْتَ نورَ الشمس صُبـــحاً كيف يؤذِنُ بالطلوع

ومضت تُرجِّعُ باللُّحُو نِ كأنها طيْرُ الربيع
ظَلَّتْ لها الآذانُ تَشْـــرقُ كالنواظر بالدموع

***

ما أوشكَتْ أن تنتهي من نبْرَةٍ يحلُو صـداها
إذ رنَّ بالتصفيق ذا كَ البَهْوُ تصفيقاً تناهى
فتلفَّتَتْ مُحْمـرَّةَ الـــخدَّيْنِ من خجلٍ عراها
مضمومة الـكفَّيْنِ فوق الــــصدرِ — خائرةً قُواها
مُفترَّةَ الشفتَيْنِ عن برَدٍ جـلا للثْم فاها
فـكأنمـا معنى الأنُو ثَةِ قد تجسَّم فى رُواها
والـكل يهتِفُ أن تُعا وِدَ فنَّها ويقول : واها
وتسـاقطتْ باقاتُ زهْـــرٍ حوْلها خَضِلٌ جَناها
فتناولتْ زهَراً ولمَّــــا قرَّبتْهُ إلى لمـــاها
ألْقَتْ بِهِ صَوْبَ الجمو عِ لمنْ تعلَّقـهُ هواها
وإذا بزهرتهـــا يفو زُ بها ... أتدري منْ فتاها؟
هُوَ ذلك الشرقِىُّ فى أحضانه عبقَتْ شَـذاها

***

ثمَّ استقلَّ بهـا السِّتا رُ ... كأنه قبْرٌ حواها
وتألَّقَتْ في البَهْوِ أنْـــوارُ المشاعِلِ في قناها
وتحـدَّث الجمهورُ عنـــها ساعةً حتَّى سَلاها
وانفضَّ ذاك الجمْعُ ... لا عادت تراهُ ولا يراها

البحرين فى ٢١ مارس سنة ١٩٣٨ **ابراهيم العريض**



المصريون واللغة النوبية

في الرسالة رقم ٢٥٤ أخبرنا القراء أن عالماً مصرياً — لا يزال شاباً — هو الأستاذ مراد كامل الدكتور في الفلسفة واللغات السامية من جامعات ألمانية نشر « تاريخ اليهود » لابن كربون باللغة الحبشية

واليوم نشر الدكتور مراد كامل رسالة نفيسة على صغر حجمها في « مجلة الجمعية الألمانية للاستشراق » الصادرة في مدينة ليبتسش من مدن ألمانية (المجلد ٩١ ، الجزء الثالث) وموضوع الرسالة « تأثير اللغة العربية في اللغة النوبية » وهي باللغة الألمانية

ويستهل الدكتور كامل بحثه بقوله : « إن عدد الألفاظ العربية التي في اللغة النوبية موضع دهش عظيم ، ولا يوازن هذا العدد إلا بعدد الألفاظ العربية التي في اللغة التركية، ذلك أن القسم العربي في اللسان النوبي كبير أيُّ كبر ، حتى إن النوبي لا يستطيع أن يؤلف بعض جمل من دون أن يستعمل عدة ألفاظ عربية »

ويرد المؤلف هذا التأثير إلى الصلات التي بين بلاد النوبة ومصر : إما من طريق التجارة الجارية بين هذه البلاد ومدينتي أسوان وقنا ، وإما من طريق النوب الراحلين إلى القاهرة خاصة ليعملوا فيها « سفرجية » و « بوابين » ، وإما من طريق النوب الذين يطلبون العلم في الأزهر وما أشبهه من المعاهد الدينية حتى إذا رجع القوم إلى بلادهم جلبوا إليها معهم جانباً من اللغة العربية

وبعد هذا التقرير الصحيح يأخذ المؤلف في ثبت الألفاظ العربية التي تطرد في اللغة النوبية مع تبيين التحريف واللحن المتطرقين إليها ، ومع إثارة الجدال حول ما يذهب إليه غيره من المستشرقين في الباب نفسه

(ب)

مشروع انشاء المجمع الأدبي

اجتمعت في وزارة المعارف لجنة تنظيم الحركة الأدبية برياسة معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وبحثت أولاً في مهمة المجمع وفي الوضع القانوني له ، ثم درست مسألة استقلاله بنفسه أو تبعيته لهيئة أخرى ، وقد اتجه الرأي في هذه الناحية إلى الأخذ بالوضع الأول

وبعد أن وضع مشروع القانون بتأليف المجمع قرئ على حضرات الأعضاء فأقروا صيغته الأساسية ثم فوضوا إلى معالي الرئيس بحث هذا الموضوع قبل إقرار الوضع النهائي بتأليف المجمع

وقد تضمن هذا المشروع إدراج ٥٠٠٠ جنيه ميزانية سنوية للجنة ، منها ١٥٠٠ جنيه مكافآت للأعضاء بحسبان ١٥٠ جنيهاً لكل عضو، و١٥٠٠ جنيه لخمس جوائز سنوية تمنح إحداها لأحسن قصة تختارها اللجنة، والثانية لأحسن كتاب في الأدب، والثالثة لأحسن كتاب في الشعر ، والرابعة لأحسن كتاب في الأدب التمثيلي ، والخامسة لخير كتاب أدبي يظهر كل عام في العالم العربي و١٢٠٠ جنيه لاصدار مجلة و٨٠٠ جنيه مصروفات أخرى

تاريخ الأدب العربي في مصر الاسلامية

اجتمعت بوزارة المعارف لجنة تاريخ الأدب العربي في مصر الاسلامية التي ذكرنا خبر تأليفها في عدد مضى ، برياسة صاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف

وقد بدأ معالي الوزير هذا الاجتماع فتحدث عن ضرورة الالمام بتاريخ الأدب العربي في مصر ، وأبان أن هذا واجب وطني كما أنه واجب علمي ، وأنه يعتبر بمثابة الحجر الأساسي في بناء القومية المصرية . وبعد بحث الموضوع من مختلف نواحيه تقرر ما يأتي :

أولاً — تأليف لجنة من كبار الباحثين تتولى إعداد فهرس واف بالمراجع التي يركن إليها الباحثون ، على أن تبادر بالقيام بعملها لتحقيق الغاية المقصودة من تأليفها

ثانياً — تنظيم دراسة للأدب العربي فى مصر بكلية الآداب بالجامعة المصرية تبدأ بمعالجة العصور الأولى من تاريخ هذا الأدب ثم تتدرج إلى مايعقبها حتى يمكن فى النهاية من كل هذه الدراسات تأليف مجموعة من الكتب تكون موسوعة تامة فى تاريخ الأدب العربي المصرى

ثالثاً — إثارة همم الشبان المصريين وتوجيه عنايتهم إلى بحث هذ الأدب بوضع جوائز سنوية قيمتها ٥٠٠ جنيه توزع على ثلاثة حسب تقدير لجنة التحكيم

وسيصدر فى خلال هـذا الأسبوع القرار الخاص بدعوة المتسابقين إلى الاشتراك فى المسابقة ، وقد اتصل بنا أن الوزارة ستشترط في هذه الدعوة أن تكون الاجابة على هذه المسابقة فى شكل رسالة جامعية يتوفر فيها التجديد والابتكار

وبهذه المناسبة نذكر أن هذه المسابقة ستكون سنوية فى هذا الموضوع إلى أن يتم بعد سنوات وجود مجموعة كبيرة ثمينة من المؤلفات المصرية فى هذا البحث الأدبي القوى

شارل موراس فى الأكاديمية الفرنسوية

من أنباء باريس أن المسيو شارل موراس انتخب عضواً فى الأكاديمية الفرنسوية فى الدور الأول بأكثرية ٢٠ صوتاً ضد ١٢ صوتاً للمسيو فرنان جريج وقد امتنع أربعة أعضاء عن الاقتراع

والأستاذ موراس فى السبعين من عمره وهو من كبار رجال الفكر والأدب فى فرنسا بل فى العالم ، وهو يدير سياسة جريدة « الأكسيون فرانسيز » لسان حال الحزب الملكي مع زميله ليون دوديه منذ ثلاثين سنة وله فيها تلك المقالات السياسية اللاذعة

ولشارل موراس مؤلفات عدة منها : « طريق الجنة » « ثلاثة أفكار سياسية » — « شاتوبريان » — « ميشيلين » « المستقبل والذكاء » — « تحقيق عن الملكية » — « الموسيق الداخلية » — « كييل وطنجة » — « رحلة أثينا » — « من ديعوس إلى قيصر » وغيرها

وقد أنشأ شارل موراس جماعة أصـدقاء « الأكسيون فرانسيز » أي « العمل الفرنسوى » سنة ١٨٩٩ ، وهى جماعة أنصار إعادة الملكية إلى فرنسا . وهو صاحب حركة فكرية جديدة تقوم على أن الفكر الانسانى لا يستطيع أن يدرك الأشياء المطلقة . وقدرأت الكنيسة الكاثوليكية من انتشار هذه الحركة ما حملها على توقيع عقوبة الحرمان على صاحبها. وقداقتبس كثيرون من رجال الدول مبادئ موراس السياسية ولا سيما السنيور سالازار دكتاتور البرتغال الذي يجاهد بذلك فخوراً

الدكتور عبد الوهاب عزام فى محطة الإذاعة الفلسطينية

دعت محطة الاذاعة الفلسطينية صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام إلى إلقاء محاضرة عن شاعر الاسلام المغفور له محمد إقبال الهندى فى مساء اليوم الخامس عشر من شهر يونية ، وقد لبى الأستاذ الدعوة وينتظر أن يغادر القاهرة إلى القدس فى مساء الغد

مؤتمر الجامعات

اشتركت الجامعة المصرية فى مؤتمر الجامعات الذى سيعقد هذا العام ما بين ٦ و ١٠ يوليو سنة ١٩٣٨ فى سويسرا والغرض من هذا المؤتمر تقريب وجهات النظر بين الجامعات المختلفة فى العالم وتوثيق روابط الاتحاد والألفة بين الجامعيين فى الأقطار المختلفة ، والبحث فى الحالات الاجتماعية والصحيّة والفكرية

ولقد انتدبت الجامعة المصرية لتمثيلها فى هذا المؤتمر حضرات الدكتور ابراهيم رفعت ومصطفى السمدنى وابراهيم عبده والدكتور على طراف والدكتور محجوب ثابت . وسيعالج المندوبون المصريون الروح الجامعية فى مصر منذ إنشاء الأزهر إلى اليوم من نواحيها المختلفة

جبران والرمزية

قرأت رد الدكتور بشر فارس على ما وجهت إليه من أسئلة عن الغموض فى الرمزية ، وإننى أشكره على شرحه الموجز لهذه النقطة . إلا أنني أعود فأقرر أن جبران لم يسر على نهج الشاعر الانجليزى وليم بليك فى غموض أشعاره واستغلاق معانيها على القارئ مهما أجهد عقله فى فهمها ؛ وهذه كتب جبران كلها — وتبلغ قرابة العشرين — يستطيع كل مثقف أن يفهم ما ترمى إليه وما تهدف له وإن كانت ذات رمزية ! أو رومانتيكيـة ، أو كليهما معاً

وإذا كان الدكتور ينسب طريقة جبران فى الرمزية إلى

الشاعر الانجليزى بليك فما أولاه أيضاً أن ينسب كتابه «النبي» الرمزى والرومانتيكى معاً إلى كتاب الفيلسوف الألمانى نيتشة «هكذا قال زرادشت !» . أما استشهاده بما قال النحات رودان وبما كتبته عنه فنانة أمريكية فى مقدمته لكتاب لها (يضم عشرين صورة) فهو مما يؤيد رأينا : فى أن رسوم جبران فقط كانت تغلب فيها الرمزية على ما عداها

وأما قوله إن الرمزية تشق الآن طريقاً فى الأدب العربى ... (المستحدث) ... فهذا صحيح ولا يتفق مع قوله إن الرمزية فى مصر لم تفهم بعد حق الفهم فى طرائقها وتعبيراتها ووسائلها فكان نتيجة لذلك ما يشكو منه الدكتور من كتابات مضطربة ترمى إلى غير هدف وتسير فى غير طريق ؛ ولكن الواجب على زعيمى الرمزية فى مصر : الدكتور بشر والأستاذ الحكيم أن يضعا عنها كتباً مطولة تكشف عن مناهجها وما يحيط بها وما يندمج فيها من مؤثرات وما تؤثر هى به فى الأدب وما تزيده تقدماً وشمولاً وإحاطة ... لا توطئات مركزة دسمة إن هى أفادت فئة من الأدباء المطلعين على الثقافات الأجنبية اطلاعاً واسعاً فهى لا تكفى مطلقاً ذوى الثقافات المتوسطة من الأدباء ، بله عامة القراء

والرمزية — بعد — فى الأدب العربى المستحدث فى أول الطريق، فالحديث ذو شجون ولازم على من يشقون ويوسمون الطريق لها فيه أن يطيلوا الكلام والإبانة عنها للسالكين !

وما أحرى الدكتور بشر فى هذا المقام — إذا تفضل — أن يوالى مجلة الرسالة الغراء بمقالاته الثمينة عن الرمزية يوضح طرائقها ويترجم لزعمائها وقادتها ومدارسها منذ نشأتها إلى الآن توطئة لتأليف رسالة عنها بقلمه الفذ

وإنا لنشكر الدكتور بشر كل الشكر على علمه الغزير ، وله منا سلام واحترام وحب

السيد كامل الشرقاوى

صاحب السمو الامبراطورى ولى عهد ايران والعلم

كتب إلينا أحد الفضلاء من طهران يقول :

فى الرابع عشر من الشهر الماضى زار سمو ولى العهد فى إيران كلية العلوم العقلية والنقلية من كليات جامعة طهران زيارة رسمية يصحب سموه كبار رجال الحكومة

وكان معالى رئيس الوزراء (محمود جم) وفخامة وزير المعارف (حكمت) وسعادة رئيس الكلية (السيد نصر الله تقوى) والعلماء الأساتذة واقفين في باب الكلية فى انتظار سموه

وفى الساعة التاسعة مساء وصل موكب سموه إلى باب الكلية فاستراح قليلا فى غرفة خاصة ثم شرف بعد ذلك الخطابة وفيه كبار أساتذة الكلية وعدة من كبار أساتذة سائر الكليات الخمس الأخرى وعدة من ممثلى الصحف فشرف سموه الحاضرين بالتحية



(١) سمو ولى العهد فى إيران (٢) الأستاذ الشيخ أبو عبدالله الزنجانى وبعض أساتذة الجامعة بأزيائهم الرسمية (٣) الأستاذ السيد كاظم عصار حين التحية

وقام بين يديه الأستاذ (فروز انفر) معاون الكلية فعرض خلاصة ما قامت به الكلية من الأعمال العلمية فلما فرغ شرف سموه الأساتذة بخطاب حكيم قال فيه : «إن العناية من جلالة الشاه كبيرة بهذه الكلية والأمل وطيد أن تعيد إيران مقامها الرفيع فى العلم وأن تهيئ بهذا المعهد العلمى للعالم أساتذة كأسلافهم من أعلام الفرس المشهورين لتكون أفكارهم وآراؤهم خير هاد للأمم

ومن المزايا التى ميزت طلبة هذه الكلية عن طلبة العلوم فى العصور السالفة شدة الاهتمام بتربيتهم الجسمية بالرياضة البدنية فى جنب تربيتهم النفسية والعقلية

وأن الفرق بين هذا اليوم والأيام السالفة هو أن فضل كل شخص وشرفه من هؤلاء الطلبة قائمان بمزاياه الروحية من الخلق الحميد والعلم والأدب لا بالكساء الخاص والذهب

وليعلم الطلبة قبل كل شيء أن واجبهم الأول هو محاربة الأوهام والخرافات التي طالما أوهنت قوى هذه الأمة الروحية

من الحسن الجيل أن برنامج هذه الكلية شامل لجميع العلوم من الحكمة والأدب والتشريع والعلوم الرياضية

ويسرني أن أرى السادة الأساتذة باذلين جهودهم في تنوير أفكار الطلبة وصقل عقولهم وتربية نفوسهم ليهيئوا للمستقبل رجالاً يصبحون مصابيح للشعب الفارسي المجيد. ويجب على الأساتذة أن يجدوا غاية الجد حسب طاقتهم في تعريف هذا المعهد العلمي للشرق كافة، وأن يظهروا للعالم حقائق المعارف الاسلامية السامية التي طالما استترت وراء ستار الأوهام، ونطلب منهم أن يفصلوا لب الروحانية الحقة الاسلامية عن القشور الفاسدة بوسائل العقل والمنطق، وأن يهيئوا كل ذريعة للرقي العقلي والاجتماعي، ويكونوا قدوة صالحة للأمة وسعيهم مشكور إن شاء الله تعالى من جلالة الملك بقدر سعيهم

إنا نفخر كل الفخر بأن ديننا الشريف وهو الاسلام لامثيل له بين الأديان السماوية، وحقائقه المضيئة وأصوله السامية توافق الرقي الاجتماعي،وهو دين التوحيد ودين العقل، فيجب على السادة الأساتذة أن يكونوا مبلغي هذا الدين الحنيف، وأن يكونوا أعلاماً يهتدى بهم، وأن يبثوا روحاً صالحة جديدة في الطلبة »

ثم زار بعد ذلك سموه خزانة كتب الكلية وبها كثير من النسخ النادرة النفيسة والمخطوطات الأثرية بخط (ياقوت) و (أتيرك) وآلات فلكية واسطرلاب أثري نفيس ونسخة خطية من (ديوان) نظامي الشاعر الشهير، وهي نسخة أرسلتها الحكومة الفارسية إلى معرض لننكراد وكانت موضع إعجاب الزائرين، وهي تحتوي على صور بديعة من صنع أشهر المصورين في الصين والهند

من برجنا العاجي

اشتد الحر في البرج العاجي فلم يطب لراهبه المقام فيه. فأزمع السفر لتمضية الصيف في جبال الألب. وهو يودع قراءه إلى لقاء قريب

فرية أدبية

جاءنا من روما هذا الكتاب من الأستاذ صاحب الامضاء ننشره بنصه :

حضرة الفاضل الدكتور أمين حسونه

سيدي الدكتور! أحييكم أطيب التحية. وبعد فاليوم أطلعني مدير الإذاعة العربية بروما على خطاب منكم أدهشني بغرابته، فقد زعمتم في هذا الكتاب أن أحاديثي التي ألقيتها عن الأدباء الايطاليين قد اختلست كلها من سلسلة مقالات لكم كنتم واليتم نشرها في (الرسالة) الغراء. على أن الحق يا سيدي أن مطالعة مقالاتكم التي لا أرتاب في أنها كانت ممتعة قيمة ومنتجة خصبة، حظ قد فاتني. ولست أدري هل يؤلمكم أن أقول في صراحة وصدق إني ماقرأت لكم حتى اليوم كلمة واحدة في هذا النحي من مناحي الأدب أو في غيره. ولكني على أية حال لا أقصد إلى إيلامكم، وإنما أقصد إلى دفع تهمة جاءتني (من الهواء)

بيد أني لا أعلم في الحق مما أبرّئ نفسي؛ فقد جاء كتابكم الكريم خلواً من الاشارة الواحدة إلى الموضع الواحد من مواضع الشبه أو الشبهة. وكان خيراً لو دللتم على هذه المواضع ولو في إجمال وإيجاز، فاني أريد تقويض اتهامكم فلا أجد (أركانه) كما يقول أصحاب الفقه

إن الطعن على الناس جزافاً وبلا تعمق للحقائق زلل أخلق بالرجل الأريب ألايتورط فيه. وإذن فلعلكم أن تراجعوا النفس فيما زعمتموه، أو لعلكم تشيرون كما قدمت إلى منمز في أحاديثي كلها أو بعضها في غير إبهام ولا غموض. ولكي أبسط لكم الأمر أقول إني تناولت في أحاديثي السالفة دانتي وبيراندلو ودانتزيو وبوكاشيو وبترارك ومكيافلي وأريوسطو، وتناولت في حديث واحد أعلام (الحركة الابداعية) فأي هذه الأحاديث ياسيدي تتهمونه أكثر من غيره؟ وأيها تحبون أن أبعث إليكم بنصه لتظهروا الناس على ما فيه من انتهاب لحقوقكم في التأليف

بل لتحاكمونى فيه إلى القضاء أيضاً إن كنتم صادقين فى اتهامكم وإن كنتم لا تبغون حقاً سوى الانصاف ؟

إنى لأعجل عليكم فى الجواب حتى لا يطول بكم السخط علىّ والاشفاق على حقكم حيث لا موجب لسخط ولا إشفاق . وإنى لأرجو مخلصاً أن تتقبلوا منى أوفى التبجيل

« روما » محمد أمين

(الرسالة) لا نعرف أحداً بهذا الاسم كتب فى هذا الموضوع فى الرسالة إلا (محمد أمين حسونه) وهو بالطبع غير (دكتور) . فاذا صح أنه هو الذى كتب ما كتب إلى مدير الاذاعة العربية بروما كان ذلك عجيبة من عجائب الأخلاق . فانه لم يكتب فى الرسالة إلا شيئا عن بيراندللو . وهذا الذي كتبه عن هذا الشاعر لا يصح عقلا أن يكون مصدراً لمحاضرات تناولت سبعة من نوابغ الأدب الابطالى ذكرهم الكاتب فى كتابه ! !

لجنة المجلة فى مجمع اللغة العربية الملكى

كان مما قرره مجمع اللغة العربية الملكى أن يخصص فى مجلته قسم بنشر البحوث والمقالات التى تلائم أغراضه مما تجرى به أقلام الباحثين والكتاب حرصاً على التعاون العلمى الذى يجب أن يكون بين أعضاء المجمع وغيرهم من أهل العلم والأدب ، والحريصين على خدمة اللغة العربية وإعلاء كلمتها

ولجنة المجلة تتشرف بدعوة الذين يقدرون ذلك التعاون العلمى قدره إلى إرسال مقالاتهم باسم رئيس لجنة المجلة بدار المجمع بشارع قصر العينى رقم ١١٠ بالقاهرة

ولما كان الغرض الأسمى خدمة اللغة العربية والمحافظة على سلامتها ، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ، مسايرة لها فى تقدمها ، ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، مجانبة لما طرأ عليها من الفساد فى الألفاظ والتراكيب كان المأمول من حضرات الكاتبين أن يراعوا فى بحوثهم اللغوية هذه الأغراض السامية مع إيثار الطرافة والايجاز المفيد

هذا وإن للنشر فى المجلة مكافآت مالية معينة بحسب الصفحات للمقالات التى تقر لجنة المجلة صلاحيتها للنشر

ومن شاء زيادة البيان فليتفضل بمكاتبة رئيس اللجنة بالعنوان السالف الذكر



على هامش السياسة

تأليف الدكتور حافظ عفيفى باشا

للأستاذ محمد سعيد العريان

على هامش السياسة . هكذا يسميه سعادة مؤلفه الكبير ، تواضعاً وعزوفاً عن التعاظم بالألقاب والأسامى ، تسمية متواضعة إن دلت على شيء فى موضعها فإنما تدل على خلق المؤلف وطبعه ، لكنها لا تدل على الموضوع الهامّ الذى يتناوله الكتاب. ولقد كان أقرب دلالة على موضوعه أن يسميه « فى صميم السياسة » فليست السياسة هى هذا التطاحن الحزبى الذى نشهده فى اجتماعات الأحزاب السياسية ، والتراشق بالتهم والسباب الذى نقرؤه فى مختلف الصحف الحزبية ؛ وليست السياسة هى هذه المظاهرات التى تعج بها الشوارع وتضج بالهتاف لفلان وفلان من رجال الحكم والسياسة . إنما السياسة حكمة وتدبير ونظر بعيد ، وتفكير فيما يعود على الأمة أفراداً وجماعات بالخير ...

إن لكل أمة هدفاً تسمى إليه ، ولكن هذه الأهداف جميعها تلتقى فى كل أمة عند معنى واحد، هو التقدم بالأمة والسمو بها إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه ، والرقى بالشعب إلى المستوى اللائق به فى العلم والثقافة ، وفى الصحة العامة ، وفى شئون الاقتصاد ...

ولقد مضى على المصريين فترة غير قليلة وهم يجاهدون إلى غاية من غايات الشعوب الحرة ، هى الظفر بالاستقلال . وقد طالت هذه الفترة والمصريون فى جهادهم ، وتنوعت أساليب الكفاح والمقاومة ، حتى نسى المصريون ما وراء هذه الغاية ، إذ كان جهادهم للاستقلال وحده ، وطالت بهم الشقة حتى أوشك كثير منهم أن يوقنوا — سلباً أو إيجاباً — إن الاستقلال فى ذاته غاية ، فلما أذن الله أن تصل الأمة إلى هذه الغاية بعد طول الجهاد، أحس الشعب بشىء من القلق السياسى ، وتوزعت خواطرَ الناس شئونٌ وشجون ؛ أما طائفة فقالت — وهى الأكثرية من الشعب — : وماذا أفدنا من الاستقلال ؟ وماذا حصّلنا بعد هذا الجهاد الذى أريقت فيه الدماء ، وبذلت فيه الضحايا، وتحملنا فيه ما تحملنا من العنف والمشقة ؟ ... وأوشكت هذه الطائفة أن تكفر بعد إيمان ، وتعتقد أن ما بذلت فى ساحة الجهاد منذ سنين وسنين لم يكن إلا عبثاً وجهداً بغير ثمرة ...

وأما طائفةٌ — وهم المؤمنون بحق هذه الأمة فى الحياة — فقد بعدت مرامى همتهم ، وانبسطت رقعة الأمل أمامهم ، فقالوا لأنفسهم : هانحن أولاء قد اجتزنا الدرب الشائك ، ووقفنا على أول الطريق الذى يصل إلى المجد ويبلغ بنا مراقى السعادة ... وأعدت أهبتها للجهاد إلى هدف جديد ... فلم يكن ينقصها إلا الرائد الجرىء الذى تترسم خطاه فى هذا الطريق . وكان هذا الرائد هو مؤلف كتاب « على هامش السياسة »

***

على هامش السياسة كتاب تناول به مؤلفه أهم مسائلنا القومية فى الوقت الحاضر ، بأسلوب العالم الهادىء المتزن الفكر ، فوصفها وصفاً صادقاً ليس فيه مبالغة ولا إغراق ، ثم بين أسبابها وعللها ووسائل علاجها على ما هداه البحث . وتتلخص هذه المسائل فى أربعة أبواب : الصحة العامة ، والتعليم ، ومسائلنا المالية ، وسياستنا الاقتصادية

وقد تناول هذه الأبواب الأربعة فقسم كل واحد منها إلى فصول ، تقسيماً منطقياً واضح الأداء ، بحيث لا يكاد يفرغ قارئه من قراءته حتى يكون قد ألمّ بموضوعه إلماماً لا يدعه فى حاجة إلى سؤال ؛ كأنما يتحدث عن كل طائفة وفى كل مسألة واحدٌ من أهلها ، فلا تفوته صغيرة أو كبيرة من مشاكلها وأمانيها

وإذا نحن قررنا أن هذه الأبواب الأربعة مما لا تتأتى دراستها

مجتمعة على هذا الأسلوب لشخص واحد إلا إذا قُدِّر له أن يكون متخصصاً — عرفنا مقدار الجهد الذى بذله المؤلف حتى انتهى بمؤلَّفه إلى هذه الغاية من الكمال . وحمدنا له ما بذله من جهد وتضحية . وما لى طاقة فى هذا الحيز الضيق من الكلام أن أتحدث عن كل واحدة من هذه المسائل بذاتها ؛ إذ كان ذلك مما تضيق به صفحات الرسالة ؛ وإذ كانت كل مسألة من هذه المسائل فى حاجة إلى عناية فى العرض والتعليق لا تجزى فيها سطور

وإننا لنغمط هذا الكتاب حقه بأن نسميه كتاباً ؛ فما هو إلا مصر الحديثة كلها فى مشاكلها وأمانيها ؛ وما ينبغى أن نقرأه على أنه كتاب فيه ما فى الكتب من رأى صاحبه مما قد يلذ أو يفيد ؛ ولكنه مجموع المسائل التى تشغل أفكار الطبقة المثقفة من المصريين عامة . ولسنا نغلو فى تقدير هذا الكتاب إذا قلنا إنه ينبغى على القائمين بشئون الحكم فى مصر جميعاً أن يقرءوه ليعرفوا كثيراً مما فاتهم إلى اليوم أن يعرفوه من واجبات الحاكم المصلح . على أنه فى جملته — على وفائه بما وُضع له — ليس إلا تنبيهاً إلى الكُتّاب ورجال الفكر جميعاً أن يتناولوا مسائله بحثاً وتمحيصاً ودراسة ؛ فذلك هو الوقت الذى ينبغى أن ترسم مصر فيه لنفسه دستوراً قومياً تسير على نهجه إلى الغاية المأمولة فى السعادة والمجد ، وهذا الكتاب هو فاتحة البحث المنتج فى هذا الموضوع ...

* * *

ذلك عرض موجز لموضوع هذا الكتاب القيم ، لا يُعرِّف به كل التعريف ولكنه يدل عليه بعض الدلالة . وإنه لعجيب فى بلادنا أىُّ عجيب أن يكون من رجال الحكم والسياسة فى مصر من يرصد وقته لمثل هذا البحث والدرس والاستقصاء فى شئون لا تعود عليه فى خاصة نفسه بالفائدة العاجلة ؛ وإن أعجب منه أن يكون من هؤلاء الزعماء السياسيين عالم أو مؤلف أو أديب له فكر وبيان ومعرفة ؛ وأعجب من هذين أن يكون بحثه ودرسه واستقصاؤه فى شئون الطبقات الدنيا من الشعب بحيث يقف درسه على ما يهم سواد الناس ويكشف عن آلامهم وأمانى أنفسهم ...

ولكن هذه العجائب الثلاثة قد اجتمعت لسعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا فى مؤلفه القيم « على هامش السياسة »

* * *

ليس هذا فقط هو شأن هذا الكتاب ، ولكن فيه شئوناً أخرى تستحق الملاحظة والتعقيب ؛ فقد تعودنا وتعود الناس جميعاً ألا يروا ما تقع عليه أعينهم مرات متكررة فى كل زمان ومكان ؛ إذ كان الإلف والعادة فى المشاهدة مما يحملان على الغفلة والتعامى ؛ فلن تجد كثيراً من الناس يعنون بالبحث والتدقيق فى شأن ألفوه إلف العادة ورأوه بأعينهم عشرات المرات حتى صاروا يمرون به فلا يحسون وجوده ، ولكن الشئ الذى يسترعى الملاحظة ويبعث على التحرى والتدقيق وتكرار النظر ، هو الشئ الغريب الذى تشاهده العين أول مشاهدة ... فنحن مثلا نعرف فلاحينا وأحوالهم ومعايشهم ، وما منا إلا من عرف قليلا أو كثيرا عن القرية المصرية وشئون أهلها ، ولكن قليلا منا من فكر فى شئون هؤلاء الفلاحين أو نظر إليهم نظر الانسان إلى أهله : يتعرف آلامهم ويفكر فى سعادتهم ... ومثل هذا الشأن شئون كثيرة فى حياتنا ، تسترعى اهتمام الأجانب والغرباء الذين يحلّون بيننا ضيوفاً كل عام ولا تثير أقل انتباه فينا ، إذ كان هذا مما ألفنا أن نراه أو نسمع به ، حتى أورثنا هذا الإلف بلادة فى الملاحظة، فنمر به عميانا أو كالعميان ...

لذلك كان من عجائب هذا الكتاب أن نرى واحداً منا يحشد كل هذه المسائل فى كتابه ويتناولها بالبحث والتدقيق والملاحظة على هذا النحو البديع الذى تناولها به الدكتور حافظ عفيفى باشا فى كتابه ...

والحقيقة أن قارىء هذا الكتاب ليجد فيه أشياء كثيرة تدعوه إلى العجب والاعجاب ، وأشياء أخرى جديرة بأن تحمله على الفكر وإنعام النظر إلى مدى بعيد ...

ومن يدرى ؟ فقد يكون مما يتحدث به التاريخ غداً حين يذكر هذه الفترة فى الحياة المصرية ، أن كتاباً ألفه الدكتور حافظ عفيفى باشا ، كان هو الارهاص الأول لنهضة الاصلاح فى مصر المستقلة ؛ ورب كتاب ألفه مؤلفه لغير التاريخ فكان هو نفسه فصلا من فصول التاريخ ...

محمد سعيد العريان

* * *

ضاقت صفحة الكتب عن نشر كل ما كان معداً لها ؛ فالى الأعداد القادمة

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧ ﴾

6 me Année, No. 259

Lundi - 20 - 6 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٥٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ — ٢٠ يونية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

صفحة

بين العـــرب والفرس

بمناسبة المصاهرة الملكية

من دلائل التوفيق و بشائر النُجح فى توثيق ما أوهن الدهر من أواصر الأخوة بين دول الشرق الإسلامي، إصهارُ العرش الإيراني العريق إلى العرش المصرى المؤثَّل. فإن الغفوة الثقيلة الطويلة التى غفاها الشرق فى ظلال الضراعة والجهالة والخمول، قطعت الأسباب بين حاضره وماضيه ، ومزقت الأوصال بين قاصيه ودانيه ، فأصبح فلولاً لجيش باد ، وطلولاً لمجد تقوض . فلما أذن الله لليل الشرق أن يُصبح ، أيقظ العرب والترك والفرس ، وهم الأمم الثلاث اللاتي سطعت بهن شمسه ، وازدهر بمجدهن أمسه ، وانتشر بفضلهن نوره ، فانتعش ما ذوى من رجائه ، وتجدد ماخوى من بنائه ، وهبت العبقريات الساميَّة والآرية والطورانية تتفتح مرة أخرى فى ربيع الإسلام الدائم . وحضارة الإسلام ، وإن شئت فقل حضارة الدنيا ، كانت نتاجاً لازدواج الوحى العربى بالخيال الفارسى ، نشأ منه هذا الأدب الإنسانى الذي حلل نوازع النفس ، وهذا الفن العالمي الذى صور مدارك الحسّ ، وهـذا التصوف

الفلسفى الذى ترجم غوامض الروح ، وذلك النظام الاجتماعى الذى جعل الحياة فناً وتمدين الناس طريقة .

نعم كان لابد للفرس من العرب ليبصروا نور الحق، ويدركوا سمو النفس ، ويعرفوا كلمة الله ؛ وكان لابد للعرب من الفرس ليعرفوا الدنيا ، ويذوقوا النعيم ، ويتملوا الملك . فلما جمع الله الشعبين العظيمين بالإسلام ، وربط بينهما بالضرورة ، نزت فى رأسيهما عصبية الدم النبيل وعزة النفس الحرة ، فأدلَّ العرب بالدين والفتح والعروبة ، وتبجح الفرس بالسلطان التليد والتاريخ المجيد والحضارة الرفيعة ، فكان بين الأمتين ازورار طبيعى إذا اشتد كان عداوة ، وإذا خف كان مصانعة .

والشخصية العربية الغلابة التى استطاعت أن تذيب فى جنسها كل جنس ، وتبيد بلغتها كل لغة ، لم تستطع أن تعرّب الفرس ولا أن تقهر الفارسية . فبقى استقلال إيران فى القومية والطبيعة واللغة ، وزال أو كاد فى السياسة والعقلية والأدب . ثم تترّكت الخلافة فتترك هوى العرب ؛ وأرّث العثمانيون النار الخابية بين الشعبين بالخلاف المذهبى ، فانفرجت الحال وتنكر الأمر ، حتى قامت القيامة الصغرى فى الحرب العالمية الكبرى ، ووقف الشرق العزيز حيال الغرب المقتدر ، يحاوله فى وجوده ، ويصاوله على استقلاله ، فتخفف الترك من تكاليف الماضي المشترك ، وفروا بأنفسهم آوين إلى الأجواء الغريبه ، تاركين للعرب والفرس إنهاض الشرق الإسلامي اليوم ، كما أنهضوه من دونهم بالأمس ، فلم يكن للشقيقتين العريقتين بد من التكاتف على حمل هذه الأمانة العظيمة

* * *

إن الروابط الدينية والثقافية والتاريخية والاجتماعية التى تربط الفرس بالعرب لا يقوى على فصمها الدهر ، لأنها جزء من وجودهما العقلى والروحى لاسلطان لنعرة الجنس عليه ، ولا حيلة لأهواء السياسة فيه . وسيكون همُّ القيادة فى الشعبين إحكامَ هذه الروابط بالتآلف والتحالف والمودة، لأن وَحْدة الغرب تقتضى ضم الشتات بإزائها ، ونهضة الشرق تتطلب التكاتف على حمل أعبائها

* * *

إن مصاهرة إيران لمصر حادث جليل المغزى سيكون له فى سياسة الشرق الأدنى عظيم الأثر . وبحَسْبِك أن تعلم أن طهران كادت تنهج سبيل أنقرة فى مجافاة الإسلام ومجانبة العرب ، فاتصالها بالقاهرة المحافظة على عقيدتها وشرقيتها وتقاليدها يفصلها عن القافلة الشاردة، ويُمسكها على سَنَنِها الموروث، فتتطور ولا تتغير ، وتتقدم ولا تحيد . فإذا نظرتَ إلى ما وراء ذلك رأيت هذه العلاقة الملكية الكريمة سفير وئام وسلام بين دولتين تجاورتا خمسة عشر قرناً ولا تزالان تطويان الصدور على حزازات الماضى . وستكون فاتحة الخير أن ينعقد فى حاضرة النيل مجلس إسلامى عام ينتظم أقطاب الدين والعلم فى أقطار الإسلام ليديروا الرأى فيه على ما أصاب المسلمين من صَدَعات الشيَع وضلالات البدع واختلافات المذاهب . ومن اليقين الجازم أن الدين — وهو دستور الأمة الإسلامية — إذا خلص من شوائب الجهل والغرض ضمن لأهله وحدة الرأى ووحدة الهوى ووحدة الغاية

* * *

ذلك إلهام الله فى سياسة الفاروق المعظم . فهو يدبر الأمر ويمضيه على توجيه من فطرته ودليل من قلبه . وكأنما اصطفاه الله اصطفاء لهذه الساعة المشهودة من حياة الشرق ، فزوده بالقول الثابت والرأى الثاقب والسداد المرتجَل والتوفيق الملهَم . فهو يولى وجهه شطر النور الأزلى الأبدى الذى ينبثق فى مثل هذه الفترات المَريجَة فيبدد ظلام الحيرة ، ويجمع شتات الوحدة ، ويسدد الخطى الضالة فى الطريق الأمينة

إن دلائل الحال تعلن أن عهد الفاروق الموموق سيكون عهد الوحدة العربية ، والجامعة الإسلامية ، والعصبة الشرقية ؛ فهل آن لنصف الكرة الأول أن يهب من سباته . ويبرهن بيقظته على استمرار حياته ؟

أحمد حسن الزيات

تأملات فى الأدب والحياة

للأستاذ إسماعيل مظهر

الشعر والمادة

إن بين كثير من الأمور النفسية والعاطفية ، وبين كثير من الماديات تقابلاً ، حتى يخيل إليك أن الأشياء النفسية والعاطفية كأنها ماديات تحولت أشياء معنوية ، أو كأن الماديات أشياء معنوية استحالت جمادات

من ذلك أن بين الشعر والمادة تطابقاً من حيث أن لكل منهما « ماهية » لم يتوصل العلماء إلى معرفتها فى المادة ، ولم يتوصل الأدباء والنقاد إلى معرفتها فى الشعر . فإذا قيل مثلاً إن الأشياء الظاهرة فى المادة إنما هى أعراض ينبغى أن يحملها جوهر فيه تكمن الماهية ، فكذلك يستطاع أن يقال فى الشعر إن كل الصفات التي يقول الأدباء والنقاد إن من الواجب أن تتوفر فى الشعر حتى يحكم عليه بأنه جيد ، إنما هى أعراض يحملها جوهر فيه تكمن ماهية الشعر

فإذا كان اللون والحجم والوزن والطول والعرض والثقل وما إلى ذلك جميعها أعراض ينبغى لكى تظهر لحواسنا أن تكون محمولة فى جوهر ذى ماهية خاصة ؛ وإذا كان الوزن والقافية واللفظ والصناعة والمعنى والخيال وما إلى ذلك جميعها أعراض يحملها جوهر ، ما تلك إلا تعبيرات عنه ودلالات عليه ، إذن فأين المادة وأين الشعر ؟

أليس فى مثل هذا التقابل بين الماديات والعاطفيات النفسية ، مواضع للتأمل ومواطن للاستبصار ؟

شاعرية الألفاظ

ما أقوى العلاقة القائمة بين الشعر وبين الحالات النفسية ! وعندى أن التأثر النفسى بالشعر أقوى الأسباب التى تدعونا إلى نقد الشعر . ذلك بأن المعايير النقدية التى يخضع الشعر لسلطانها ، على اختلافها وتباينها ، تتضاءل جميعاً إذا قيست بالمعيار النفسى .

على أن للمعيار النفسى فى نقد الشعر عوامل كثيرة ، منها الموسيقى المستمدة من القافية والروى ، ومنها قوة الخيال ، ومنها الاتجاه الذى يتوجه فيه الشعر إلى غير ذلك ، وجميعها عوامل تؤثر فى المعيار النفسى فى نقد الشعر . غير أن أقوى هذه العوامل تأثيراً معيار النقد النفسى للشعر ، إنما ينحصر فى شاعرية الألفاظ

فقد نسمع من كثير من النقاد أن هذا الشاعر بارد الأنفاس ، وأن ذاك غير ماهر فى اختيار الألفاظ ، من غير أن نحدد المعنى المقصود من أمثال تلك العبارتين تحديداً يرضاه المنطق وتقره طبيعة العقل ، إذ هى ترمي دائماً إلى تحديد معنى لكل لفظ مفرد ، وإلى تحديد معنى لكل عبارة تكونت من ألفاظ . فإذا أردنا أن نحدد ما يقصد من عبارات تجرى بها فى العادة أقلام النقاد والكتاب ، وجب أن نرجع بها إلى أصولها النفسية ، حتى نستطيع أن نفسرها تفسيراً منطقياً يقبله العقل وتقره ما فينا من طبيعة الميل إلى تحديد كل المعانى التى نتخذ الألفاظ والعبارات وسيلة إلى التعبير عنها

والواقع إننا نقول إن شاعراً بارد الأنفاس ، وإن آخر غير ماهر فى اختيار الألفاظ ، إنما نعبر بهذا عن حقائق نفسية ، تنزل من أنفسنا منزلة أبعد الأشياء اندساساً فى أغوار الفطرة . فقد نعلم أن من الحقائق النفسية ما دعاه النفسيون : « تداعى الأفكار » . فان اللفظ الجميل المعنى يدعو إلى الفكر دائماً كل المعانى الجميلة التى تلابسه أو تقاربه ، ولفظاً قبيحاً أو محزناً يدعو إلى الفكر كل المعاني التى تدانيه أو تمت إليه بسبب من الأسباب . مثل ذلك إذا قلت : « الشاطىء المخضوضر » دعت هذه العبارة إلى ذهنك كل المعانى الجميلة التى تلابسها . فالنهر المنساب والماء الصافى والظل الوارف وصوادح الطير والرضا النفسى والأخذة الروحية ، كل هذه المعاني تواتيك غير مختار لمجرد أن العبارة الأولى قد حملها وعيك فدعا معها جميع المعانى التى ترتبط بها وجميع الملابسات المرحة الجميلة التى تلازم الشاطىء المخضوضر . وإذا قلت القبر الصامت — أو — « الصحراء المجدبة » دعت هذه العبارة إلى وعيك جميع المعانى المحزنة التى تلابس القبر والصحراء المحزونة الصماء .

هذه الحقيقة النفسية لها فى نقد الشعر أعظم الأثر . فان لفظاً جميل المعنى حسن الملابسات يدعو إلى الذهن شتى المعانى الأخاذة

الجذابة ، إن ورد فى سياق الشعر أحدث فى النفس شعوراً بالرضى والجمال وزاد إلى موسيقى الشعر القائمة على جمال الوزن والقافية ، موسيقى نفسية تزيد الشعر تأثيراً فى النفس ، وتفتق الخيال ، فيشرف الوعى من خلال ذلك اللفظ على آفاق من الجمال اللامتناهى تزيد من قيمة الشعر بقدر ما يكون لألفاظه من أثر فى استدعاء ألوان الجمال او التأمل أو العظة أو الحكمة إلى غير ذلك . وعكس هذا تماماً ما يحدثه لفظ ردىء الملابسات فاسد المعنى . وهذا ولا شك ما يقصد النقاد إذ يقولون بأن الألفاظ شاعرية . على أن شاعرية الألفاظ إنما يحددها دائماً استعمال اللفظ فى حيث ينبغى أن يستعمل فيكون مطابقاً دائماً لمقتضى الحال .

الشرق والثورة

حدثنى صديق ممن تجمعنى به ذكريات عزيزة : ذكريات الثورة المصرية ، عند ما كانت أنفاسنا حارة كاللهب المضطرم ، وكانت أرواحنا مشبوبة كاللظى المتأجج . لهيب الشباب ولظى الفتوة . لم يكن عهد الكهولة قد أصاب شيئاً من تأملنا أوحفزنا بعد إلى اللجوء إلى قواعد الرجحات العقلية التى هى عندنا اليوم أشبه شىء بقانون المرجحات الرياضية ، فاما أن نرضيها واما أن نعتقد اننا على غير صواب ، وإننا إلى الشطط أقرب . حدثنى ذلك الصديق عن الشباب وعن أيام الجهاد المستمر والسعى المتجدد فى سبيل إذكاء روح الثورة فى نفس الجماهير ، وذكرنى بما كان لنا من مواقف نعجب الآن كيف خرجنا منها وفينا نفس يردد أو عرق ينبض . كيف لم يحصدنا الرصاص . وكيف لم تسل أنفسنا على شفرات السيوف ؟ كيف هزأنا بالموت غير مقدرين أن الموت كان أقرب إلينا من حبل الوريد أشهراً طوالاً بل أعواماً ، وكيف خلصنا من جميع هذا بأرواحنا سليمة وجسومنا لم يصبها كلم واحد !

قلت له فى خلال الحديث ما أشهى تلك الأيام ! فان للمخاطرة بالروح لجمالاً لا يدركه الانسان إلا بعد أن يفوز بالسلامة . ذلك جمال أشبهه بجمال الفقر الذى لا يدركه الانسان إلا بعد أن يلوذ بالغنى . ولعل الأمر على عكس ما يخيل إلينا ؛ ولعل الواقع أن المخاطرة والنقد ليس فيهما من جمال، وأن ما نستشعر من جمال فيهما بعد الفرار من آثارهما قد يكون جمال الذكريات الماضيات إذ تحيى فى النفس جزءاً من ماضيها ، وتطبعها بطابع قديم كاد يبلى على الأيام.

قلت لصديقى من لنا يمثل تلك الأيام؟

قال الصديق : نعم نحن فى احتياج إلى ثورة . إلى ثورة طاحنة تمضى بكل ما يقف فى طريقها ، وتأتى على كل ما يقاومها ؛ ثورة شيطانية لا عقل فيها ؛ ثورة مبرأة من الرشاد والحب والنهى . ثورة طائشة مجتاحة تأكل الحرث والنسل ؛ ولكنها ثورة لا تنال من الجسوم ولا من الحطام ؛ ثورة لا شأن لها بنظام قائم ولا بحكومة ولا بجيش ولا بأسطول ؛ ثورة منزهة عن السيف والمدفع ، وعن الدبابة والخنجر ؛ ثورة لا يقوم بها جمهور من الناس ولا جماعات منهم ؛ بل ثورة فردية يشنها كل فرد منا على نفسه ؛ ثورة نفسية يتسلح فيها كل فرد منا بالارادة ويروح يهدم من أخلاقه ومن ميوله ومن نزعاته التى كونها فينا تاريخنا القديم ؛ ثورة تقتل فيها الارادة حبنا للسلامة وتواكلنا على الأقدار وصمتنا عن الحق والحق مهضوم مأكول ، كأنما قد أصبحنا جميعاً شياطين خرساً ، والساكت عن الحق شيطان أخرس ؛ ثورة تحطم مُثُلنا الأخلاقية القديمة ، لتتبدل بها مُثلاً عليا من تلك المثل التى قادت أوائلنا بجيوشهم ومدنيتهم وعلومهم من شاطىء بحر الظلمات إلى جوف الصين

وكان صديقى يتكلم متهدج الصوت منفعل النفس ثائر الوجدان . فلما فرغ من حديثه ، شملنا صمت عميق ظل يسود مجلسنا حتى افترقنا لم يجر لساننا بكلمة واحدة

الطغرائى الشاعر

هو من أفذاذ الشعراء ، ومن أهل البيان الذين يشار إليهم بالبنان . أنكره أهل زمانه على القاعدة السائدة فى هذه الدنيا . وليس فى ذلك عجب ؛ ذلك بأن نكران الأفذاذ في زمانهم سنة أهل الشرق منذ أقدم عصورهم . وهذا الطغرائى على جلالة قدره يقول :

مالى وللحاسدين؟ لا برحت ... تذوب أكبادهم وتنفطر
يغتابني عند غيبتى نفرٌ ... جباههم إن حضرت تنعفرُ
ألسنة فى إساءتى ذُلُقٌ ... يقتادها من مهابتى حصر
أنام عنهم ملء الجفون إذا ... أثارهم فى المضاجع الأَبَر
يكفيهم ما بهم إذا نظروا ... إلىَّ ملءَ العيون لا نظروا
تغيظهم رتبتى ويكمدهم ... جاهى فصفوى عليهم كدَر

فنعمة الله وهى سابغة   عندي من الحاسدين تنتصر
يعجبني أنهم إذا كثروا   قَـلُّوا غناء وإن هم كثروا

وليس من عجب فى أن يحقد جماعة على الطغرائى في زمانه ، وليس من عجب في أن يقول فيهم الطغرائى هذه الأبيات وأ كثر منها مما يتضمن ديوانه . ولـكن العجب فى أن يُهمل الطغرائى فى زماننا فلا يتناوله كاتب بنقد ولا يذكره أديب ببحث، كأن هذا الشاعر العظيم من مطويات الأدب ، تلك التى تطوى فلا تنشر ، وتنسى فلا تذكر . ذلك فى حين أن التأمل فى شعر هذا الرجل الفذ يدرك فيه سراً قلما تقع عليه فى غيره من الشعراء : لا فى شعراء عصره ولا فى الشعراء الذين تقدموه ، ولا فى الشعراء الذين تلوه.

وعندى أن هذا السر لا يشاركه فيه إلا شاعر واحد هو أبو العلاء المعرى . أما ذلك السر فهو الجمع بين قوة الشاعرية ودقة الاحساس وصادق الوجدان وبين هدوء الطبع . أما إن ذلك سر من أسرار العظمة فى الطغرائى ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه سر عظمته ، فذلك بأن الشعر عاطفة وخيال وحركة نفسية جياشة دافقة سيالة ، فاذا حكم هذه الصفات هدوء نفس طبيعى ، صفا الشعر ورق وانساب انسياب الجدول المترقرق الهادئ ، ولـكنه فى ترقرقه وهدوئه حادٌّ كالسيف قاطع كالفأس البارّة المحدودة

وأبو العلاء المعرى إن شارك الطغرائى هذا السر ، فلا شك فى أنه فى نفسية الطغرائى أرس وأذهب فى الوجدان . فان أبا العلاء شاعر حكيم بطبعه متشائم بفطرته . حمل على المرأة وطغى على الانسانية ، حتى لقد أراد أن يهدم كل قائم من غير أن يعرف كيف يقيم غيره ، وأن يدك كل أساس عملى فى الحياة من غير أن يرسم للحياة طريقاً جديداً . ذلك على العكس من الطغرائى فانه عاش مع المرأة واندفع فى غمرات الحياة وشرب من أفاويقها حلوة ومرة ، فكان من صميم أهل الدنيا . فاذا لازم أبا العلاء شيء من هدوء الطبع ظهر أثره فى شعره فذلك طبيعى بمقتضى النشأة والاتجاه الفكرى . أما أن يلازم الطغرائى ذلك الهدوء وتحكمه تلك الطمأنينة ، وهو بعد مغمور فى الحياة محب لها هائم بمباهجها لَمَّـاحٌ لمـا فيها من مغريات ومفاتن ، فذلك سر من العظمة لا تألفه فى الشعراء

ولقد يظهر أثر هذا السر في مرثياته ، وهي أبعد الأشياء عن أن يلزم فيها شاعر هدوء نفسه وطبعه فلا يغلب عليه خيال جماح إلى غايات من الشعر يسبح من خلالها الشاعر فى عالم من الخيال البعيد الملتق بآفاق الوهم القصية . وله فى الرثاء مقطوعة رثى بها عزيزة عليه ، تلمح من خلالها مقدار ما لاقى فى فراقها من لوعة عميقة الأثر بالغة الخطر ، ولـكنك تلمح فيها أيضاً ذلك الهدوء النفسى الذى يبلغ من قرارة نفسك مبلغاً لا تبلغه ثورة الشعر:

ولم أنسها والموت يقبض كفها   ويبسطها والعين ترنو وتطرق
وقد دمعت أجفانها فوق خدها   جنى نرجس فيه الندى يترقرق
وحلَّ من المقدور ما كنت أتـّقى   وحُمّ من المحذور ما كنت أفرق
وقيـل فراق لا تلاق بعـده   ولا زاد إلا حسرة وتحرق
فلو أن نفساً قبل محتوم يومها   قضت حسرات كانت الروح تزهق
هلال ثوى من قبل أن تم نوره   وغصن ذوى فينانه وهو مورق
فواعجبا أنَّي أحم اجتماعنـا   ويا حسرتى من أين حلَّ التفرق
أحنُّ إليها إن تَرَاخَى مزارها   وأبكي عليها إن تداني وأشهق
وأبلس حتى ما أبين كأنما   تدور بى الأرض الفضاء وأصعق
وألصقها طوراً بصدرى فأشتفى   وأمسحها حيناً بكفى فتعبق
وما زرتهـا إلا توهمت أنها   بثوبى من وجدى بها تتعلق
وأحسبها والحجب بينى وبينها   تعى من وراء الترب قولى فتنطق
وأشعر قلبي اليأس عنها تصبرا   فيرجع مرتاباً به لا يصدق

هذا شعر صادق الدلالة على الحقائق التي أحاطت بالشاعر وعلى الاحساسات التى اختلجت بها نفسه . قد تكون فيه لمحات من شعر الرثاء فى شعر غيره من الشعراء ؛ ولـكن فيه إلى جانب هذا سر جديد عليك . ذلك ما تدرك من هدوء هذه النفس الثائرة كأنما ترى أرضاً انبسطت وغـا فوقها العشب وغشيتها الأزاهير ، وأنت تسمع من تحتها دوى البراكين وهمهمة الزلازل تغلى فى باطنها

ولقد حاولت أن أطلق على هـذه الظاهرة العجيبة فى شعر الطغرائى اسماً أميزها به ، فلم أجد اسماً أطلقه عليها أجدر بها من أن ندعوها « الواقعية الشعرية » فانها والحق يقال أقرب الأشياء فهماً مما ندعوه « الواقعية فى الفلسفة » على أن المقارنة بين واقعية الشعر وواقعية الفلسفة يحتاج إلى فراغ ليس هذا مكانه ، أما إذا

أردت أن تقف على طرف مما ذكرت فاقرأ له المقطوعة الآتية :

أقول لنِضوي وهو من شجنى خلو
حنانيك قد أدميت كلمى يا نضو
تعالى أقاسمك الهموم لتعلمى بأنك مما تشتكى كبدى خلو
تريدين مرعى الريف والبدو أبتغي وما يستوى الريف العراق والبدو
هناك نسيم الريح مثلك لاغبٌ ومثلى ماء المزن مورده صَفْو
ومحجوبة لو هبت الريح أرقلت إليها الغياري بالعوالى ولم يلْووا
صبوت إليها وهى ممنوعة الحمى فحتّام أصبو نحو من لاله نحو
هوى ليس يسلى القرب عنه ولا النّوَى
وشجو قديم ليس يشبهه شجو
فأسر ولا فك، ووجد ولا أسىً وسقم ولا برء، وسكر ولا صحو
عناء معنى وهو عندى راحة وسم زعاف طعمه فى فمى حلو
ولولا الهوى ما شاقنى لمح بارق ولا هدنى شجو ولا هزنى شدو

إن فى هذا الشعر لثورة يخيم عليها هدوء نفسى قلما تأنسه فى شاعر غيره . وعندى أن هذه الصفة لم تتجلّ فى شعر الطغرائى بقدر ما تجلت فى لاميته المعروفة ، وإن لنا لعودة إليها نحلل فيها هذا الشاعر الكبير على ضوء هذه الحقيقة الملموسة فى شعره .

ولقد يحفزنا إلى درس الطغرائى أنه شاعر فسيح الجوانب مديد الغايات وفي شعره تعلق بأسباب الأدب العالى ، وما أحوجنا إلى هذه الأسباب

اسماعيل مظهر

حـــــواء

ديوان شعر طريف فى الغزل العرفانى من نظم الأستاذ الحومانى تحت الطبع ، تحمل الرسالة منه إلى قرائها عدة نماذج قبل صدوره

ربَّ حواء !

ربَّ حواء ! حين صوّرتَ حوّا ءكَ هل كان قبلها تصويرُ ؟؟
والشعورَ اللاتى نشرتَ عليها هل طوى الليلَ قبلهن شعور؟؟
والعيون اللاتى شققتَ لها هل كان من قبلها عيونٌ حورُ ؟؟
أوَهل بعدها يشع على الأحـــداقِ من عالَم الملائك نورُ ؟؟
وتُرينا كثغرها وكعينيـــها السموات أعينٌ وثغورُ ؟؟
كبُرت أن تكون قبلاً و بعداً والذى خصها بذاك كبيرُ ؟
هى بيت القصيد من شعركَ المنـــظوم والكونُ شعرك المنثور

انبئينى

أنبئينى عمـــا يجول بعينيـــكِ وما لا يجول من أسرار
لا بعينى الملأى من النور أشرفـــتُ على كنهها ولا أفكارى
كلما ضجَّتِ الحقيقـــة فى أذ نىَّ أخلدتُ للخيال السارى
وتسنمتُ ذِرْوة الأُفق الأعـــلى إلى كل كوكب سيّار
فأرتنى عيناىَ أنك فى آ فاقها بعض هـــذه الأقمار
وعلى الأرض بعض هذى التماثيـــلِ من الناس أو من الأحجار
وأرتنى عيناكِ أنىَ والكو نَ غريقانِ منكِ فى تيّار

الحومانى

قصة الكلمة المترجمة

(القتل أنفى للقتل)

لأستاذ جليل

تلاقت عبقرية الأستاذ (الرافعي) — رحمه الله — في الأدب وعبقرية الأستاذ (العريان) في الوفاء ؛ وأوحت الأولى إلى الثانية (وحيها) فكانت (حياة الرافعي) ، أو هذه (المقالات الرافعية) في (الرسالة الغراء) وقد رآها الناس في هذا العام نجوماً ، وسيجتلونه بعد حين بدراً بل شمساً ذات أضواء في كتاب . ولم يجترئ هذه (المقالات) بخيرها العميم وفضلها العظيم — وإنهما لحسبان — بل جلب الخير خيراً ، وساق الفضل فضلاً ؛ فقال الأستاذ محمود محمد شاكر (مقاله) ، وجادل الأستاذ سيد قطب (جداله)، ولو لم يكن الرافعيُّ قطب أقطاب ماحدَّث عنه قطب... وما هذه الأحاديث التي أنصها اليوم في الرسالة

ونُصَّ الحديثَ إلى أهله فإن الوثيقة في نصِّه[1]

إلا من إحسان تلك المقالات التي أفضل بها إلى العربية فتى الفتيان وسيد الشبان الأستاذ محمد سعيد العريان

***

أشار الأستاذ محمد سعيد في (المقالة السابعة والعشرين) من مقالاته الرشيقة الأنيقة الرافعية إلى حكاية الكلمة الفارسية (القتل أنفى للقتل) وإني لأظن أن كثيرين من الأدباء والباحثين يودون أن يعرفوا تلك القصة بكمالها ، فهأنذا أحكيها ، وسأروى طائفة من الأقوال في الكلمة الفارسية ، وقد تقتضي الحال زيادة في هذا القصص للإفادة والتبيين و« الحديث ذو شجون » فأمليها

***

كتب صاحب (العثرات في اللغة والأدب) في الرابعة والرابعين من (عثراته) في جريدة (كوكب الشرق الغراء) في (٧ رجب ١٣٥٢) كلمة عنوانها (موازنة) قال فيها : « قالت العرب قديماً في معنى القصاص وأنه جُنّة من العدوان : (القتل أنفى للقتل) ، ثم أقبل القرآن الكريم على آثار العرب فقال : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » وقالت : (موازنة العثرات) : « هي — أي عبارة القتل — كلمة عربية جاهلية » ثم سطرت شيئاً ، محصوله[1] أن الكلمة الفارسية قد فاتت الآية القرآنية

والمقايسة بين الشيئين قد اختلف أيّما اختلاف قدْراهما ، وتفاوتت كل التفاوت حالتاهما — تذكرنا بهذه الأملوحة في (عيون الأخبار) لابن قتيبة : « نافر رجل من جَرم رجلاً من الأنصار إلى رجل من قريش ، فقال القرشي للجرمي : أبالجاهلية تفاخره أم بالاسلام ؟

قال : بالاسلام

قال : كيف تفاخره وهم آووا رسول الله ونصروه حتى أظهر الله الاسلام ؟ !

قال الجرمي : فكيف تكون قلة الحياء ... ؟ »

أُفظمت (موازنة العثرات) وارتقب المرتقبون البيان الحق والقول الفصل في ذاك الهزل ، فظهرت في جريدة (كوكب الشرق ١٢ رجب ١٣٥٢) كلمة عنوانها (قالته الفارسية ، وتنكره العربية ، القتل أنفى للقتل) أعلن فيها أن هذه المقولة ليست جاهلية ولا عربية ولا مولدة ، وأنها مترجمة . ومما قالته الكلمة : « أجل العربية المحكمة المبينة أن تقول هذا القول : (القتل أنفى للقتل) إنها لا تعرفه ، إنها تنكره ، ولو قالته — وهو يبدو حكمة ومثلاً — لرونه رواتها ، فلا الميداني صاحب (مجمع الأمثال) عرفه ، وقد جمع في كتابه أكثر من ستة آلاف مثل ، ولا ابن عبد ربه سمع به ، ولو نمى[2] في (الجزيرة) لانتظمته (جوهرة أمثاله) ولا أبو بكر البلاقلاني اشتمل عليه كتابه (إعجاز القرآن) ولا عبد القاهر أشار إليه في (دلائل الاعجاز) ولا (كشاف جار الله) وجدناه فيه . ودع كلام القائدين من (الكتاب) في إيراده معزوًّا إلى العرب وما سطروا . إنه قول ما قالته العربية ولا مولدوها ، وإنما هو كلام فارسي نقله الناقل — وربما أخطأت

(١) رواه الزمخشري في الأساس

(١) محصول مراده فيه وجهان أحدهما أن يكون مصدراً وضع موضع الفاعل ، والثاني أن يقال إن حصله بمعنى حصله بالتشديد (الأساس)

(٢) نمى ينمى ، ومنه نامية الله خلقه لأنهم ينمون ، وربما قالوا : ينمو نمواً (الاساس ، اللسان)

الترجمة — ورائحتها فيه تكاد تفوح . ولو قالته العربية ما قالت : (القتل أنفى للقتل) وهى تريد أن القتل يزيل القتل ، أو يستأصله أو يفنيه ، ونفى القتل لا يبيده ، ونفى المجرم القاتل لا يريح الناس منه ... ومادة (ن ف ى) كاشفة ما يلتبس »

وقالت الكلمة : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب — قول عربى ، قول قرآنى لا يستقل بوصفه — إذا احتيج إلى وصفه — إلا بلاغة النبى ، بل هو يصف نفسه ، ويعلن فضله ، وينادى إعجازه على إعجازه و (القتل أنفى للقتل) قول فارسى ، نقله مترجم عربى ، وفيه ضعف . معناه كريم ، ولفظه لئيم ، قاله (أردشير) الملك . قال الامام الثعالبي فى (الايجاز والاعجاز) : من أراد أن يعرف جوامع الكلم ويتنبه لفضل الاختصار ، ويحيط ببلاغة الايماء ، ويفطن لكفاية الايجاز — فليتدبر القرآن ، وليتأمل علوه على سائر الكلام ، فمن ذلك قوله (عز اسمه) : ولكم فى القصاص حياة . ويحكى عن أردشير الملك ما ترجمه بعض البلغاء أنه قال : (القتل أنفى للقتل) ففى كلام الله تعالى كل ما فى كلام أردشير وزيادة معان حسنة ، منها إبانة العدل بذكر القصاص ، والافصاح عن الغرض المطلوب فيه من الحياة ، والحث بالرغبة والرهبة على تنفيذ حكم الله والجمع بين القصاص والحياة ، والبعد من التكرير الذى يشق على النفس فان فى قوله القتل أنفى للقتل تكريراً ، غيرُه أبلغ منه »

وأشارت (الكلمة) في (الكوكب) إلى إعجاز الآية الكريمة وإعجازها ، وروت قولا لصاحب (دلائل الاعجاز) فى « الموازنة بين بعض الآى وبين ما يقوله الناس فى معناها » ونقلت كلام (الكشاف) فى تلك الآية المعجزة

ثم ظهر مقال بليغ فائق للأستاذ الرافعي (رحمه الله) فى جريدة البلاغ (١٥) رجب سنة ١٣٥٢ عنوانه (كلمة مؤمنة فى رد كلمة كافرة) قال فيه : « لقد تنبأ القاضى الباقلاني قبل مئات السنين بمقالة الكوكب هذى فأسلفها الرد بقوله : فان اشتبه على متأدب أو متشاعر أو ناشئ أو مرمد[1] فصاحة القرآن وموقع بلاغته وعجيب براعته — فما عليك منه ، إنما يخبر عن نفسه ويدل على عجزه ، ويبين عن جهله ، ويصرح بسخافة فهمه وركاكة عقله »

وقال الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : أنا أقرر أن هذه الكلمة مولدة وضعت بعد نزول القرآن الكريم وأخذت من الآية ، والتوليد فيها بيّن ، وأثر الصنعة ظاهر عليها ، فعلى الكاتب أن يدفع هذا بما يثبت أنها مما صح نقله عن الجاهلية »

ثم أوضح (رحمه الله) وهن الكلمة الفارسية أيما إيضاح ، ثم أبان ببيانه العالى فضائل الآية الكريمة ومما قاله :

« ومن إعجاز هذه اللفظة أنها باختيارها دون كلمة القتل تشير إلى أنه سيأتى فى عصور الانسانية العالمة المتحضرة عصر لا يرى فيه قتل القاتل بجنايته إلا شراً من قتل المقتول ، لأن المقتول يهلك بأسباب كثيرة مختلفة على حين أن أخذ القاتل بقتله ليس فيه إلا نية قتله ، فعبَّرت الآية باللغة التى تلائم هذا العصر القانونى الفلسفى ، وجاءت بالكلمة التى لن تجد فى هذه اللغة ما يجزئ عنها فى الاتساع لكل ما يراد بها من فلسفة العقوبة »

« إن لفظ (حياة) هو فى حقيقته الفلسفية أعم من التعبير (بنفى القتل) لأن نفى القتل إنما هو حياة واحدة ، أى ترك الروح فى الجسم ، فلا يحتمل شيئاً من المعانى السامية وليس فيه غير هذا المعنى الطبيعي الساذج ، وتعبير الكلمة العربية عن الحياة (بنفي القتل) تعبير غليظ عامي »

« جعلُ نتيجة القتل حياة من أعجب ما فى الشعر ، يسمو إلى الغاية من الخيال ، ولكن أعجب ما فيه أنه ليس خيالا بل يتحول إلى تعبير علمى يسمو إلى الغاية من الدقة ، كأنه يقول بلسان العلم : فى نوع من سلب الحياة نوع من إيجاب الحياة »

« فاذا تأملت ما تقدم وأنعمت فيه تحققت أن الآية الكريمة لا يتم إعجازها إلا بما تمت به من قوله (يا أولى الألباب) فهذا نداء عجيب يسجد له من يفهمه إذ هو موجه للعرب فى ظاهره على قدر ما بلغوا من معانى اللب ، ولكنه في حقيقته موجه لاقامة البرهان على طائفة من فلاسفة القانون والاجتماع هم هؤلاء الذين يرون إجرام المجرم شذوذاً في التركيب العصبي ، أو وراثة محتومة ، أو حالة نفسية قاهرة إلى ما يجرى هذا المجرى ، فمن

(١) مرمد فى رواية المقال فى البلاغ وفى النسخة المطبوعة من (إعجاز القرآن) وأظن أن أصلها مبتدئ ، وقد حرفت الكلمة فى مكان آخر فى كتاب الباقلانى : « وإن كنت فى الصنيعة مرمداً وفى المعرفة بها متوسطاً فلا بد من التقليد » والمرمد الفقير وبفتح الميم الثانية . الهالك وأرمد الله العين فهي رمدة وهو أرمد ورمد

ثم يرون أن لا عقاب على جريمة لأن المجرم عندهم مريض له حكم المرضى ، وهذه فلسفة تحتملها الأدمنة والكتب ، وهي تحول القلب إلى مصلحة الفرد ، وتصرفه عن مصلحة المجتمع ، فنبههم الله إلى ألبابهم دون عقولهم كأن يقرر لهم أن حقيقة العلم ليست بالعقل والرأي ، بل هي من قبل ذلك باللب والبصيرة ، وفلسفة اللب هذه هي آخر ما انتهت إليه فلسفة الدنيا »

« وانتهت الآية بقوله تعالى : (لعلكم تتقون) وهي كلمة من لغة كل زمن ، وممناها في زمننا نحن يا أولي الألباب ، أنه برهان الحياة في حكمة القصاص نسوقه لكم ، لعلكم تتقون على الحياة الاجتماعية عاقبة خلافه ، فاجعلوا وجهتكم إلى وقاية المجتمع لا إلى وقاية الفرد »

هذا بعض ما قاله فقيد العربية الأستاذ الرافعي (رحمه الله وكافأه) ولما اطلع الأستاذ النشاشيبي على هذا المقال البليغ في (البلاغ) بعث إلى هذه الجريدة بكلمة عنوانها : (إنها مترجمة) نشرتها في ١٩ من رجب ١٣٥٢ بعد مقدمة منها ، ومما جاء في تلك الكلمة : « قال الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في رده في (البلاغ) على [1] كاتب في (الكوكب) : (إن القتل أنفى للقتل مولدة وأنها مأخوذة من آية) ومعاذ الله أن تكون مولدة ، وأن تكون قد أخذت من آية ، ولو كان ذلك لوجدنا عليها مسحة [2] — وإن قلت — من الجمال القرآني وها هي ذي ، كما يراها رائيها ، لا تكاف أحداً في البشاعة وصفها فهي ليست بعربية ولا بمولدة ، ولم تبصر في يوم ضياء القرآن ، بل هي مترجمة ، وربما أخطأ الناقل في الترجمة »

(للقصة بقية)

* * *

(١) في القاموس واللسان : رد عليه : خطأه بالتشديد ، وللامام الجاحظ كتاب الرد على النصارى . وقد سمعت بعض الفضلاء يقول : لا يقال رد عليه بل رده ! وفي مقدمة (الكشاف) : وردد ورد عليه

(٢) على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال أي أثر ظاهر منه ، ولا يقال ذلك إلا في المدح (النهاية) الأزهري : العرب تقول : به مسحة من هزال وبه مسحة من سمن وجمال (اللسان)

فلسفة التربية

تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٢١ —

« يجب أن تكون المدرسة صورة مصغرة للمجتمع المنشود »

* ***

« الديمقراطية هي النظام الذي يمكن المجموع من تحقيق أقصى مجهوداتهم » « باستور »

« يجب أن تكون أعمال الفرد في الجماعة الديمقراطية شائقة جذابة » « وولف »

١١ — سبيل الاصلاح

واليوم ماذا أقول ؟ لقد عرضت عليك فيما مضى صورة واضحة لشخصية خريج معاهدنا بما فيها من عقل وعاطفة وجسم ، وبينت لك أن هذه الشخصية لا تتفق وروح التربية الحديثة في أقل القليل ، ولا تصلح لأن تحقق آمال الوطن في صون الاستقلال وتزعم الشرق وإحياء المجد القديم ! فلم يبق اليوم إلا أن أسير معك إلى طريق الاصلاح علنا نصيب هنالك شيئا :

١ — مجلس أعلى للتربية والتعليم

وكثيراً ما تناولت الصحف أمر هذا المجلس بالحديث ، ولكن قليلا ما عنيت الحكومة به وأخرجته إلى حيز الوجود ! وأنت لا تكاد تجد دولة راقية بغير هذا المجلس الخطير ، ولا تستطيع أن تتصور اتزاناً واستقراراً في ناحية البرامج المدرسية إلا إذا كان مصدر هذه البرامج لجنة فنية راقية ثابتة تمثل جميع الهيئات المتصلة بنواحي التعليم كالمدرسين والنظار ، وعمداء الكليات ورؤساء النقابات ، ورجال الأعمال وزعماء الأحزاب والأديان ؛ فإذا ما أوجدنا مثل هذا المجلس أمكننا أن نوفق بين تجارب المدرسين والنظار ورؤساء الأعمال ، وبين الخطط الدراسية والمناهج التعليمية وحاجات البلاد ، وبذلك تكون لدينا غاية معلومة لها فلسفتها الخاصة ، وخطة مرسومة توصل إلى هذه

الغاية ، واستقرار دائم يساعد على إحكام التجارب ويغذى مختلف النواحى بما يحقق نجاحها المنشود ! أما الاقتصار على عدة لجان تمحو اليوم ما قررته بالأمس ، وتسير بالسياسة العامة للتربية على غير هدى من التجارب الكافية أو الغايات الاجتماعية والاقتصادية والفنية المختلفة ، فذلك كما ترى فصل بين المدارس والمجتمع ، وإغفال لأسس وطيدة لا سبيل إلى النجاح والاستقرار بدونها

فترى هل يعمل معالى الوزير الحالى على تكوين هذا المجلس بعد أن توانى فى تكوينه الوزراء السابقون ؟ أملنا فى معاليه كبير !

٢ — قضية المعلمين

وأحسب أن أول ما يجب أن ينظر فيه هذا المجلس هو قضية المعلمين . وذلك أنك قد علمت فيما مضى أنهم اليد العاملة فى تكوين النشء الموموقين ، وأن عدم التدقيق فى اختيارهم ، وعدم إنصافهم فى أجورهم وترقياتهم وأعمالهم ، كل ذلك قد جعلهم متذمرين من مهنتهم ، ناقمين على القدر الذى ابتلاهم بها ، مؤدين لها أداء ناقصاً مشوهاً لا يكاد يتفق فى الكثير من الأحيان مع تلك الأصول النظرية العامة التى درسوها فى مدارس المعلمين ومعاهد التربية ! لذلك يجب أن تعمل الدولة على مساواتهم بطوائف القضاة والأطباء والمهندسين ؛ ويجب أن تقلل جهد المستطاع من عملهم الشاق العسير ؛ ويجب أن تحذف من حياتهم تلك الأعمال الكتابية الآلية التى تمطرهم بها إدارة المدرسة مراراً أثناء العام الواحد ! ، ويجب أن تشركهم إشراكا فعلياً فى وضع المناهج واختيار الكتب ، ويجب أخيراً أن تصغى لاقتراحاتهم كما تصغى لرجال الطب أو القانون !

أما المعلمون فيجب أن يتحدوا وينظموا أنفسهم تنظيما يعلى من شأنهم الأدبى والمادى ويرفع من قدر مهنتهم فى عين الحكومة والشعب ، كما يجب أن يحرصوا دائماً على التحلى بتلك « الشخصية الفنية » التى تنشدها الحياة الحديثة منهم كمثقفين بوجه عام وكمربين على وجه الخصوص !

٣ — مكافحة الأمية وتعميم التعليم الالزامى

ويلى ذلك فى الخطورة أو يعادله مكافحة الأمية وتعميم التعليم الالزامى مادمنا ننشد نهضة حقيقية قوامها الحياة الديمقراطية الصحيحة . ذلك أنه لاسبيل مطلقاً إلى الرقى المنشود إلا إذا تبدد ظلام الجهل وغدا الشعب مستنير العقل قوى الخلق متفتحة أمام ذكائه أبواب النشاط دون ما فارق بين غنى وفقير ! ، وإذا كانت الحكومة قد بدأت تفكر جدياً فى مكافحة الأمية فإن التعليم الالزامى ما يزال فى حاجة قصوى إلى الدعاية والمرونة والتعديل والاصلاح على النحو الذى بسطناه من قبل عندما كنا نوجز آراء الدكتور جاكسون فى الموضوع

٤ — التعليم الحر

ولما كان التعليم الحر يقوم بنفس الوظيفة التى تقوم بها مدارس الحكومة فان العناية به ، والتدقيق فى الاشراف على رجاله ، والامساك عن صرف الاعانات للذين يستطيعون أن يستغنوا عنها تماماً بمصروفات التلاميذ ، أو للذين لا يستحقون منها شيئاً لأنهم محتالون أو شبه محتالين ! ثم الحرص على تسليحه بالمدرس الفنى الكفء عن طريق إعداد أكبر عدد من المدرسين فى معهد التربية بأقصى ما يمكن من السرعة ، كل ذلك يجب أن تحققه الحكومة فى القريب العاجل حتى لا يكون هناك وجود لمدارس تسيطر عليها الفوضى ويشيع فيها الحشو التافه والاعداد السقيم !

٥ — توحيد الثقافة :

ولما كان تباعد العقليات فى أبناء الأمة الواحدة يقسم الشعب إلى قسمين ويعرقل بذلك عملية الاصلاح والتجديد ، فالواجب هو المبادرة بتوحيد الثقافة على قدر المستطاع كيما يكون التفكير متحدا والقلب مشتركا والتقدم متجانسا لا تخلف فيه ! على أنه يجب أن نحرص فى ذلك التوحيد على طابعنا المصرى دون أن نتعسف فى الجرى وراء كل جديد أو فى التمسك بكل قديم !!

٦ — خطة الدراسة :

أما خطة الدراسة ذاتها فيجب أن تتغير وتتطور حسبما تتطلب النتائج الباهرة التى تمخضت عنها طرق التربية الحديثة كطريقة « المشروعات » أو طريقة « دالتن » ؛ وقوام الطريقة الأولى هو جعل الدراسة عملية تجريبية ترتبط فيها المواد ارتباطا معقولا ، ويقوم الطلبة بدراستها كما لو كانوا يتعاونون معا فى دراسة مشروع

ما تحت إرشاد مرب حكيم ؛ وقوام الطريقة الثانية هو الاعتراف « بفردية » الناشىء وتعويده على الدراسة الشخصية ، وفتح المجال أمام ملكاته وقواه كيما يصير في طريقه الخاص مستنيرا بارشاد صديق قدير هو الأستاذ المربي !! هذا إلى أنه ينبغي كذلك أن نحرص على دراسة ميول الطلبة وعلى توجيههم توجيها سليما بفحص ذكائهم ، وكشف استعداداتهم ، وإسداء مختلف النصح لهم ولذويهم كيما يدرسوا وينبغوا ويوفقوا في حياتهم الخاصة والعامة توفيقا سعيدا ؛ أما حشد الطلبة في الفصول دون التفريق بين ذكيهم وغبيهم ، وصبهم جميعا في قالب واحد تنمحي فيه شخصياتهم ، وتيسير العلم لهم وحشوه في أدمغتهم على نحو يشل فكرهم ويميت حماسهم وشعورهم ، ثم جعل نظام المدرسة بعد هذا آليا لا وجود فيه للواجب والمسئولية والديمقراطية ، فذلك كما ترى أسوأ ما يمكن أن يتصور في هذه الأيام التي تقدمت فيها بحوث التربية وعلم النفس تقدما عظيما ، والتي يدوى فيها صوت رجال التربية والاجتماع بضرورة جعل المدرسة صورة مصغرة للمجتمع البشري في تطوره وتجدده وعلاقات أفراده بعضهم ببعض وبالدولة !

٧ — مراعاة حاجات البلاد :

وينبغي بعد هذا أن نعمل على مراعاة حاجة البلاد من الخريجين في مختلف نواحي النشاط المختلفة حتى لا نقع فيما نحن فيه الآن من أزمة المتعلمين العاطلين . وذلك بتحديد عدد المقبولين في المدارس الفنية المختلفة حسبما تتطلب الحاجة المستنيرة بحقائق الإحصاء الماضي والحاضر ، وحسبما تدل دراسة ميول المتقدمين الحقيقية واستعداداتهم . أما ترك الأمر فوضى وقبول الطلبة في كليات الطب والعلوم والزراعة والتجارة تبعا لارتفاع « مجموعهم » أو انخفاضه فذلك كما ترى السبب في قلة التبرز عندنا و كثرة العاطلين .

٨ — الامتحانات

ويبقى أيضاً أن نغير نظام الامتحان عندنا تغييراً شديداً لأنه بصورته الحالية لا يدل على كفاية الطالب العقلية فضلاً عن الخلقية والذوقية ، ولا يفعل أكثر من تحويل نظام الدراسة إلى عملية « حشو » هائلة لا نظام فيها ولا هضم ! وحسبك أن ترجع لأقوال العلماء الكثيرين في ذلك الموضوع لترضى بما أقول ، وحسبك أن تقرأ اقتراحاتهم بشأن هـذا التغيير لتعتقد أنه ينبغي لنا أن نهدمه هدماً !

٩ — تشجيع الخريجين

ثم لا نستطيع أن نختم القول دون الإشارة إلى وجوب تشجيع الخريجين على الحياة العلمية والعملية بتقديم الأعمال التي تساعدهم على تلك الحياة كما قد بسطت ذلك بإسهاب من قبل

١٠ — التربية الخلقية والدينية

كما لا نستطيع أن نختمه دون التنبيه على وجوب جعل التربية الخلقية والدينية أساسية ولا سيما في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي . وسبيل ذلك هو إدخال الدين في الدراسة إلى جانب الأخلاق وجعل التقدير الخلقي جوهرياً في النجاح أو الرسوب لا مجرد شكليات وقشور !

١١ — التاريخ والجغرافيا

وأخيراً ينبغي أن نعنى في الثقافة العامة بجعل تاريخ مصر وجغرافيتها محوراً لتاريخ العالم وجغرافيته . كما ينبغي أن نعنى بإبراز أجمل عصورنا إبرازاً تاماً ، وبتكوين العاطفة الوطنية المتأججة في قلوب النشء كيما نجد « رجالاً » يعيشون من أجل الوطن وفي سبيله يموتون ! ![1]

* * *

وبعد فتلك نظرة عاجلة في فلسفة التربية النظرية والعملية قد طبقتها على تربيتنا تطبيقاً سريعاً حال وقتى الضيق دون توفية حقه من البحث والتفصيل ، فلعلي قد وُفقت ولو إلى حد التنبيه فحسب ! ولعلك قد استطعت أن تلحظ مجمل نزعتي العامة من هذا المقال ومن المقالات الكثيرة التي سبقته ، ثم لعلك قد سئمت هذه الدائرة وتريد مني دائرة أخرى ، فإلى اللقاء إذا حيث أحدثك عن شيء آخر ، ولك و « للرسالة الغراء » وافر الشكر وعاطر التحية

محمد حسني ظاظا

---

(١) والحق أن طرق التربية الحديثة قد تناولت بالتعديل طريقة العرض والتدريس في كل مادة مما لا يتسع الوقت لذكره

ولا يخفى بعد هذا وجوب عنايتنا بالتربية الرياضية السليمة ووجوب إعدادنا بالتعليم الحربي لنظام الجيش

بين الغرب والشرق

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

— ١ —

« إن العقلية الغربية هى العقلية التى تتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا . ونحن نتبع وحى هذه العقلية بحكم أننا وجدنا فى هذه الحياة الدنيا . أما العقلية الشرقية فتلائم الحياة الباقية ، فإذا انتقلنا إلى الاخرى فهنالك نتبع وحى هذه العقلية »
هابل آدم

قرأت ما كتبه صديقى الأديب النابغة فليكس فارس فى عدد الرسالة السالف فى موضوع الشرق والغرب؛ وكان حريّاً بى ألا أرد على ما يكتبه صديقى ومناظرى من ردّ لآرائى التى سبق أن أدليت بها فى مناظرتى معه منذ عام أو أكثر من على منبر جمعية الشبان المسيحية بالأسكندرية والتى نشرتها فى وقتها (المجلة الجديدة) ، لأنى أعتقد أني فى حينها أعقبت عليها بما رأيت فيه الكفاية لإثبات وجهة نظرى فى الموضوع[1] . ولكن مناظرى وقد أخذ من ردّه علىّ ما رآه اليوم ذا صلة وثيقة بذلك الحديث الذى أجراه الأستاذ الكبير توفيق الحكيم على لسان الروسى والمصري حول الشرق والغرب فى روايته « عصفور من الشرق » التى صدرت خلال الشهر الماضى . ولقد أثار الأستاذ فليكس فارس فى مقاله مسائل أعتقد أنى بينت زعمها ومجانبتها لحقائق الأمور في تعقيبي عليه ، لهذا عمدت بدورى إلى تعقيبي على رد مناظرى الأستاذ فارس لآخذ منه ما يدفع آراءه التى يؤيد بها اليوم إيمانه بتفوق ثقافة الشرق

* * *

لكل شعب فى العالم تراثه التقليدى الذى خرج به من ماضيه، والذى يحف به فى حاضره ، والذى يكمن فيه مقدمات مستقبله — تلك التى نطلق عليها اصطلاح « روح الأمة » — وهو الذى يربط ماضى جماعة من الجماعات بحاضرها ويمضى بها إلى مستقبلها. ومصر لم تخرج عن كونها مجتمعاً استوحى روح الشرق عصوراً متطاولة وخرج ككل أمة بثقافة تقليدية كونها على مدى تاريخه الطويل . وإن وقف مجتمع مصر اليوم من سير الزمن يطل على حاضر افتقدت فيه عناصر الحيوية فى ثقافته التقليدية ، تلك الثقافة التى كوّنتها مصر بما ورثته عن أسلافها الفراعنة فى أصول الفن الفرعونى القديم ومظاهر الحياة الماشية التى ترتكز عليها حياتها الإجتماعية . ويكفينا للتثبت من هذه الحقيقة أن نلقى نظرة على الملايين العديدة التى تنزل ريف مصر والتى تنتشر على ضفتى النيل من الشلال حتى البحر الأبيض المتوسط ، فى حياتها الماشية التى يرتكز عليها المجتمع المصرى ، وأن نرجع ببصرنا إلى الماضى بعدئذ مستمدين من النقوش التى قرئت على الآثار والهيا كل والتى انبثت على جنبات الوادي فى مصر ، ومن الكتابات التى خطت على أوراق البردى والتى صورت حياة المصريين فى العهد الفرعونى ، لنخرج بصورة تمثل وحدة الحياة الماشية فى مصر من عهد الفراعنة إلى يومنا هذا . وذلك راجع إلى أن الحياة الماشية صورة من احتياجات البيئة التى يعيش فيها الإنسان ؛ والبيئة واحتياجاتها لا تزال على وتيرتها الأولى فى ريف مصر حيث ينزل معظم أبناء مصر . خذ إلي جانب ذلك منطق التفكير وأسلوب الصياغة ، وأعنى بذلك اللغة من حيث هى صوغ المعانى ، والدين ، مما اكتسبته مصر من العرب فكان ركناً من أركان الثقافة التقليدية لمصر . ولقد اختلطت هاتان الثقافتان ، الفرعونية من جانب والعربية من جانب ، فكان من ذلك مزيج . ذلك ما نعبر عنه بالثقافة التقليدية لمصر منذ أيام الفتح العربى

أما ما أثاره مناظرى الأديب فليكس فارس من اعتراض على قولى إن الحياة الماشية التى يحياها المصرى الآن تجرى على غرار ما كان يحياه أسلافه الفراعنة بقوله وأنا لا أرى فى حياة المصريين اليوم أثراً من الحضارة الفرعونية لا فى الحياة العملية ويعنى بذلك الماشية ولا فى الحياة الأدبية ، فإننى لا أجد صعوبة فى دفع اعتراضه فأقول وأنا أرى فى حياة المصريين اليوم أثراً

(١) كانت المناظرة مساء ٢٩ مارس سنة ١٩٣٧ بدار جمعية الشبان المسيحية بالاسكندرية ، وكان موضوع المناظرة « من الخير لمصر أن تأخذ بالحضارة الغربية » وكان يؤيد الوجهة الايجابية الدكتور اسماعيل أحمد أدهم ويعارضه الاستاذ فليكس فارس ، وقد نشرت المجلة الجديدة بعددها الصادر فى مايو سنة ١٩٣٧ كلمة الدكتور أدهم فى الموضوع ، ومن المهم أن نقول أن الآراء توزعت بين الرأيين بالتساوى فى المناظرة

من الحضارة الفرعونية فى حياة الشعب الماشية ! !

وأظن أن إثارة الاعتراضات ودفع الاعتراضات لا يقوم على مجرد القول بأنى أرى أو لا أرى ، إنما تقوم على البحث والتحليل والنقد المستقصى . فإذا قلت إنى لا أرى بى حاجة لدفع اعتراض مناظرى ، فذلك واضح لأنه لم يأت بأ كثر من قوله إنى لا أرى !

ومع ذلك أحب أن ألفت نظر مناظرى إلى أصول الرى عند الفلاح المصرى ونظام معيشته ومسكنه الريفى وجلبابه الأزرق وعاداته وتواكله وانصرافه عن كل شىء لقطعة الأرض التى يزرعها ، الشىء الذى لم يتغير فى مصر منذ سبعة آلاف سنة مما يتضح للباحث من أبسط مقارنة بين فلاح اليوم فى مصر الحديثة وفلاح الأمس البعيد فى مصر الفرعونية ، الشىء الذى يثبت أن الثقافة التقليدية تقوم على أساس من الفرعونية من ناحيتها الماشية ؛ وإذا قلت الفرعونية فانما أعنى أن وحدة الحياة الماشية تتمشى فى ثقافة المصريين التقليدية حتى العهد الفرعونى .

إذا صحّ هـذا ، فكأن الثقافة التقليدية لمصر من ناحيتها الماشية فرعونية ، أما من ناحيتها العقلية فهى فرعونية تكيفت تبعاً لها الثقافة العربية تكيفاً يتلاءم وما تحتاج إليه الثقافة الفرعونية فى عهد الحكم الرومانى من ملابسات لتجارى فن الحياة فى ذلك العصر . ومن هنا قامت أو قل استمدت اللغة العربية فى مصر قدرتها على صوغ المعانى بما يتكافأ ومحيط مصر ، فكانت اللغة العامية فى مصر ، وهى فى الحقيقة الفرعونية الآخـذة بأسباب التعرّب ، ثم كان الدين الاسلامى ومنطق التفكير مما يكافىء الطبيعة المصرية الفرعونية ، وهـذا ما يثبته دخول الكثير من عادات وتقاليد المصريين فى تضاعيف العقيدة الدينية . يقول الدكتور سليم حسن بك عالم الآثار المعروف :

« إن كل ما كان يحرزه المصرى القديم من عادات وفن ودين إلى عصر الفتح الاسلامى قد سلمه برمته إلى مصر الاسلامية ، اللهم الا اللغة والدين — على أن الأولى بقيت على قيد الحياة وأثرت فى اللغة العربية فى مصر إلى أن اندثرت فى القرن السابع عشر وأقصد بذلك اللغة القبطية . أما الدين المصرى القديم فقد ظهر عله الدين المسيحى ثم الاسلامى لفظاً وشكلا . والواقع أن معظم الطقوس الدينية فى مصر الحديثة ترجع فى أصلها إلى مصر القديمة وهى تعد فى الدين الاسلامى بدعاً » وأنت ترى أن الإخصائيين فى مصر الفرعونية يحكمون لنا فى قضيتنا أن ثقافة مصر العقلية التقليدية فرعونية الأصل تكيفت تبعاً للثقافة التقليدية العربية تكيفاً يتلاءم وما تحتاج إليه الثقافة الفرعونية من ملابسات لتجارى فن الحياة فى عصر الفتح الاسلامى .

وهذه الثقافة التقليدية التى تماثل صورها فى سريرة كل مصرى هى قرارة الذهنية المصرية . ولا يمكن أن تتقطع أوصال هذه العقلية من حيث هي تنزل عند حكم فطرة الشعب ما لم يهتز لذلك المجتمع المصري هزاً عنيفاً ويدلف إلى حياة جديدة تتقطع معها أحكام البيئة والمحيط التى احتضنت ثقافة مصر التقليدية نتيجة لتكافئها معها . وما دامت لم تفز مصر بثقافة جديدة تهز المجتمع المصرى فى صميمه ، فليس هنا لك سبيل لتقطع ثقافة مصر التقليدية .

إذن فلنصرف الكلام عن ذلك ولنبحث فى هل هنالك من سبيل لتلقيح الثقافة التقليدية لمصر بعناصر أجنبية تبعث فيها النشاط وتدفعها لآفاق جديدة تتفق وحالات هذا العصر . وإذن يكون موضع الخلاف الأساسى بينى وبين مناظرى : هل من الخير لمصر أن تلقح ثقافتها التقليدية بعناصر من الثقافة الغربية لتساير مجرى الحياة ، أم تمضى فى أخذها عن الثقافة الشرقية ؟

هذا هو موضوع الخلاف بين الشرق والغرب بالنسبة لمصر ، وإذا قلت مصر ، فانما أعنى مصر وحدها ، لأن لمصر ثقافتها التقليدية التى تباين ثقافة السوريين التقليدية أو ثقافة اللبنانيين التقليدية ، وما ينجح لمصر قد لا ينجح لغيرها

أما وقد وصلنا من البحث إلى هذا الحدّ ، فلننظر قليلا فى بحث معنى الثقافة ، لأنى أتبين خلافاً خطيراً بينى وبين مناظرى فى مفهوم الثقافة والعلم

وإنى لأشعر قبـل أن أدلف إلى أغوار البحث بخطورة ما سأدلى به ، ذلك لأنى أجد التفرقة بين العلم الوضعى والثقافة اعتبارياً . وإن كانت صبغة العلم موضوعية وصبغة الثقافة تتسم بطابع الذاتية . ذلك لأنه لا يمكن فى عالمنا الحاضر التفرقة بين الثقافة والعلم ، لأن الأولى نتيجة للثانى ، وليس ذلك نتيجة لاغترار ذهنى، وإنما نتيجة للنظر فى مجتمعنا الراهن حيث يسود

العلم الوضعى كل شىء، وينزل المنطق العلمى البحت أساساً لكل شىء . فان الحضارة الراهنة ... الآلية بصورها المادية نتيجة لاستخدام المنطق العلمى فى استغلال الطبيعة لصالح الانسان ، وكانت نتيجة استخدام المنطق العلمى أن نشأت حضارة تغلبها النزعة المادية تنزل منها ثقافتنا المصرية منزلة التاج ، ولا يمكن لمجتمع أن يأخذ من العلم الوضعى نتائجه فيستخدمها دون أن يأخذ منطقه الذى يؤدى إلى هذه النتائج إلا ويكون عالة على الانسانية. وأرفع مثال ذلك اليابان التى ضربت بها مثلاً على أن أمة من الأمم لا تأخذ بالثقافة الغربية إلا وتنهض ، فان اليابان ما نهضت إلا بأخذ الآلة والآلة فقط ، ولذلك كان نهوضها آلياً لأنها لم تأخذ منطق التفكير الأوربى نتيجة لاحتفاظها بشرقيتها ومنطق تفكيرها التقليدى . وهذه حقيقة كبرى كما يقول مناظرى ، ولكن تقوم برهاناً على صحة كلامى ، فاليابان اليوم عائشة عالة على أوربا وعلم أوربا ، لأنها لم تأخذ علم أوربا ومنطق تفكير أوربا ، فكان نجاحها وقفاً على الآلة التى استعبدت أهلها فعاشوا ثمانين مليوناً من البشر فى مرتبة أحط من السوائم والحيوانات إذ لم يرتفعوا إلى مرتبة الشعور بالحياة الانسانية وكرامتها والنضال من أجلها كما هو الحال فى أوربا حيث يعمل العامل للتحرر من استعباد الآلة

أظن أنى خرجت عن الموضوع

إن ثقافة اليوم من حيث أنها تتبع العلم لا يمكن تخليصها من آثار العلم ، والثقافة الأدبية يغزوها اليوم العلم بمنهجه الصارم ومنطقه ، فمن الخطأ أن نفرق بين الثقافة من حيث أنها نتيجة معاشية وأسلوب فى الحياة وبين العلم ومنطقه وهى أداة اليوم للعيش والحياة

إن الفرق بين الشرق والغرب ينحصر فى هذا وحده : الغرب يقيم الحياة على أساس إنسانى ويترك للعلم أن ينظم الصلات الانسانية بين البشر ؛ والشرق يقيم الحياة على أساس غيبى ويترك للغيبيات تنظيم الصلات بين البشر . الغرب يقيم حياته على أساس من التفكير فى إيجاد التكافؤ بين حاجاته ومحيطه مستخدماً فى ذلك العلم ؛ والشرق يقيم حياته على أساس من التواكل . ولهذا لما أخذت اليابان الآلة لم تعمل على إيجاد التكافؤ بين الحياة الجديدة التى دلف إليها اليابانيون وبين حاجات هذه الحياة الجديدة ، لأن التواكل هنالك يقوم مقام العمل والتفكير، فكانت نتيجة ذلك أن استعبدت الآلة أهل اليابان

لا أرغب فى التوسع أكثر من هذا فى هذا الموضوع الآن

***

فى ضوء ما قدمت يفهم معنى عبارتى : « للشرق روحه الذى يستوحيه أبناؤه نزولاً على فطرتهم ، وللغرب منطقه الذى يستنير به أفراده نزولاً على وحى مشاعرهم » ، تلك العبارة التى جعلت مناظرى يستغرب مقالى لأن فيه حصراً للمنطق فى الغرب . وفى الواقع ما هو حصر للمنطق فيهم ، ولكن شاء الشرقيون أن يحصروه فيهم متابعة لدعوات خطيرة مثل التى يقوم بها اليوم الأستاذ فليكس فارس !

المنطق مشاع بين الأمم ، ولكن يجب أن تمرن الأمم عليه قبل أن تصبح متغلغلة فى تفكيرها ، إذ ليس المنطق أسلوباً فى التفكير يتبع وأقيسة يجرى عليها ، إنما هى قبل هذا كله ميل عقلى واتجاه ذهنى يمكن أن يكتسب

أما قول مناظرى « وما اخترع الغرب المنطق ولا هو أوجد التفكير العلمى » فذلك مجانب للحقائق المعروفة فى التاريخ من أن الاغريق هم أول من عرفوا المنطق وأوجدوا التفكير العلمى وعنهم أخذ العالم المنطق . ولا أظن أن هذا موضع نقاش ، وإنما يظهر أن الروح الشعرية تغلب مناظرى فتجعله يتناسى كل حقائق العالم !

أقف عند هذا الحد فى هذا المقال فى دفع اعتراضات مناظرى الأستاذ فليكس فارس ، ولنا فى المقال الثانى عودة لموضوع الثقافة والعلم وثقافة العرب وثقافة الغرب

وأنتهز هذه الفرصة لأدعو أنصار الثقافة الغربية للكتابة فى موضوع الأخذ بثقافة الغرب لهذا الشرق النائم ، وفى مقدمة هؤلاء أدعو صديقى الدكتور حسين فوزى صاحب « سندباد عصرى » أن يبدى آراءه بصراحة فى الموضوع ، ولعل فى هذا النقاش يكون الحد الفاصل بين القول بالشرق والغرب !

اسماعيل احمد أدهم

صحيفة أدب وأخلاق

عطفـــة القاياتى

للأستاذ حسن القاياتى

بقية ما نشر في العدد الماضى

إنا ليملكنا الزهو باطلا بالكمالى البحث من ابتناء الضخم وإصلاح الطرقات ولا نعمل على الحاجى الحتم من ابتناء النشء وإصلاح العقول، ولولا النبل فى بناة الأهرام لما فخرنا بالأهرام

يبني الرجالَ وغيره يبني القرى　　　شتان بين قرى وبين رجال

ما أبين الرياء الخلقى والاجتماعى فينا ! هذه حالنا من القذر الجسمانى والمنزلى والشعبي لا ما تسمع أيها القارئ، بل ما تشهد وما تلمس لا ما تحدث. وقد حدثنى ناظر أولى أن طبيب مدرسته رأى إحدى النافذات فى المدرسة بدون أسلاك كما الدقيقة فغضب لصحة التلاميذ غضبة كادت تعطل الدراسة لولا توسل صاحب المدرسة إليه واستخذاؤه

إنا لأمة لا قوام لأمرنا ولا اعتدال ، فينا ينبت نَشْؤُنا على المذابل وشواطئ المستنقعات، ولا يقنعنا الصلف أن يدرس هذا النشء إلا فى الروضات والجنات !

ونحن أناس لا توسط بيننا　　　لنا الصدر دون العالمين أو القبر

أما وقد أجرت كلمتنا حديث الحمامات القديمة فطالما عرفتنا وعرفناها كما عرف المصريون حماماتهم وعرفتهم . دخلنا نحن حماماتنا قديماً وآنفاً ودخل المصريون حماماتهم ، وتجردنا لهـا داخلين وتجردوا داخلين إليها وخارجين ، ودخلناها جنساً واحداً ودخلوها ومعهم الجنس اللطيف ، فإن تصعَّد فى حمامنا نَفَس أو ندِيَ جبين فإنما يتصعد النفس أو يندي الجبين فى الحمامات المصرية من بعض ما يجد أصحابنا من حرقة على الحسن التجرد السليب أو غضاضة على الحسن

ما أفتن الحمامات فى مصر، أندية ترفيه، ومجالى نعمة وغضارة! بل مبتعث حكمة آونة وعظة، يقبل عليها شيع متباينة من الناس حتى إذا نكـَّرهم فى سورهم التجرد من الثياب وهى مظهر الجلال الزائف ، نكرهم فى نفسياتهم وطبقاتهم فلا يستبين للناظر المتوسم فيهم أيهم السيد السرىّ ، وأيهم السوقي الزرى، ومن العالم الخطير والعامى القـَدَم ؟ فربما شهد رجلا عليه مسحة من طراوة العيش وبضاضة المتجرِّد، وشهد آخر تعلوه طبقة من التقشف والشحوب وفقد التطرية والنضرة، فأقبل يحسب ذاك سيداً ضخماً من رجالات الشعب ويعتبر هذا رجلا من عرض الجماهير أى رجل هذا، حتى إذا أفضت بهم خاتمة المطاف إلى ملابسهم ورجع كل مستحم إلى ثيابه وحليته فشد ما يهول هذا المتوسم بل يملأ فمه ابتسامة من أمر صاحبيه أن أمثلهما فى حكم نظره وتوسمه حوذى أو سائس بغل أو قرد، وأن ثانيهما الزّرى عنده سيد نبيل من تقتدى بهم الأمم ومحاضر الملوك

ترى الرجل النحيف فتزدريه　　　وفى أثوابه أســـد هصور

ويعجبك الطرير فتبتليه　　　فيخلف ظنك الرجل الطرير

أكبر اليقين لا الظن أن الله ينظر إلى خلقه كنظرتك إليهم فى حمامهم مجردين من كل عظمتهم المصنوعة الساحرة ، أنبلهم عنده أنبلهم نفساً لا ثوباً

أجل . إن الحمامات هذه خليقة بأن تُجدّ لنا هذه الحكمة والعظة :

إذا أنت وزنت الرجال وقدرتهم فانظر إليهم مجردين من كل مظاهرهم الخداعة كما تنظرهم فى حمامهم ، ثم ليكن قضاؤك على الألباب لا الثياب

ناهيك من الحمام بيت نعم أنيق يقطر بنضرة ورفاهية كما يقطر بمـاء وحرارة ، ويتنفس بدفء وفتور ساحر معجب كأنه فتور الجفون كله حسن وطلاوة وتنهدات كتنهدات الصبابة بيد أنها برد وغبطة ، ذلك إلى ما في سجيته من إرسال النفوس على السجية والتحلل ساعة من قيود الكلفة والتمل الاجتماعى وخلع شيء من التوقر القائل فى خلع الأثواب إلى ما فيه من سويّة فى المكانة وأسوة بين الطبقات

بيد أن حمامنا القديم ربما تكشف عن هنات شائنة لو تجرد منها لكان نعيماً دنيوياً . أناشدك الله أيها القارئ ماذا أنت قائل إلا الشر فى ذلك البخور الكريه البغيض الذى يحرقونه أو يطلقونه كما يقولون ليطير الأرواح الخبيثة وقد شهد الله أنه من بغضه وكراهيته خليق بأن يطير الأرواح الطيبة قبل الخبيثة

ليس يَقَرُّ بعيني عصرى متأنق صقلته الحاضرة أن يشهد فى جنبات الحمام هذه الصراصر والحشرات سباحة حواليه تغذى

بها عينه ، ولا يطيب قلب هذا المتحضر أن يتولى نظافته وصقله شيخ متوقر أشمط اللحية فيمتهن جلال هذه السن أو يذكر به جده الأعلى فيغضي على استحياء

ضحوا بأشمط عنوان السجود به   يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

حدثني أزهري عصري النزعة حلو الفكاهة حار النادرة قال : دخلت الحمام فاستدعيت الخادم « صاحب الكيس » فأقبل عليّ شيخ أشيب دالف يحبو إلى التسعين ذكرت به جدي الأعلى ، فلما دنا مني ليأخذ في مهنته جعلت أقطع النظر بينه وبين صورة في نفسي لأستاذي العالم في الأزهر أستاذ البلاغة ، فإن عليه مسحة منه أَبْيَنُها هذه اللحية المسترخية ؛ ثم تقبلت خدمته على تكرُّه ومضض ، وقد رمت رأسي بالإطراق وكسر الجفون ذكرى جدي الأعلى وتشابه شيخي الأكبر . قال محدثي الرقيق : لم أكد أتعرف حاجة للحامات بخدمة هؤلاء الشيوخ الفانين خاصة وهذه اللحي المسترسلة حتى ابتدرت نظرة إلى ساحة الحمام فإذا الصراصر تمرح فيها فقلت : لقد علمت الآن: هذه المكانس لهذه الحشرات

ولحيـة يحملهـا مائق   مثل الشراعين إذا أشرعا
لوغاص في البحربها غوصة   صاد بهـا حيتانه أجمعا

حُبِّبَ إلى راقصة فنانة بعيدة مسرى الصيت من معبودات الجماهير كما يقولون أن تزور حمامنا هذا فكان لها ما تشهت من تلك الزورة، فلما قضت منه كل حاجة خرجت إلى الطريق ، وكان قد تسمع إلى خبر زورتها هذه فصائل من ولدان الحارة ونشئها الصغار يحبو أكبرهم إلى العاشرة ، فلم تكد الفنانة تبدو خارجة من الحمام حتى تلقوها بالتحية فاصطفوا فريقين ، قطعة هنا وقطعة هناك ، وقد احتملوا بأيديهم الشموع موقدة تزهر نهاراً يحتفلون للزائرة المفداة ، وأقبلت هي بسامة الثغر مزهوة تخطر تخطرتها على المسرح بين سنى نور وإجلال

لقد تقضى زمن بعيد من لدن هـذه الذكرى وما يتقضى العجب منها ، أتساءل : هل استخف الصبية لتحية هذه الفنانة نباهتها ، إذن فليس العجب أن تسحرهم النباهة وقد سحرت آباءهم من قبل ، إن النباهة لسحّارة ، وإن كانوا إنما احتفلوا لحسن في الراقصة وفن ، فما أبدع أن ترف حتى القلوب الطفلة على الحسن والفن

ومشبه بالغصن قلبي   لا يزال عليه طائر

إن الحامات قطعة من التاريخ القديم ، إن تمهدها العصر بالتطرية والصقل كانت قطعة من النعيم :

وحمـام دخلنـاه لأمر   حكى سَقَراً وفيه المجرمونا
فيصطرخون فيه اخرجونا   فإن عدنا فانا ظالمونا

هذا عهد للمطفة ، ولقد تصرّم قبله عهد كانت تشهد فيه حياة شيخ معمم من كُشَّاف الغيب طلائع المستقبل ، شرّق اسمه وغرّب ؛ وجاء الثناء على حذقة بالغيب من كل لغة ومنطق، يفضى إليه الناس كافة من شرقي وغربي ، سيان في قصده حملة العمائم وحملة القبعات ، أهل قينا عنـده وباريس ، كأهل أدفينا وسنتريس .

كنا نشهد الباريسية المتحضرة الحاميية إلى جانب القروية المصرية داخلتين إلى الشيخ تستقرئانه رسالة المغيَّب فنقول : آمنَّا بالله ! ما أشبه الناس بالناس! وما أقرب العلم من الجهل إذا تبرأ من العقل !

كان « السيد رمضان » صاحب ذلك البيت المتصدر نضر الله مثواه طليعة وعيناً على الغيوب والخفيات قلما تشهد في فصيلة الشيوخ والمعممين شيخاً مثله حلاوة شمائل ورقة هندام ، ذلك إلى أنه كان قرارة مزايا وملتقى خلال حسنة قلما تتهيأ لسيد غيره إلا بتوفيق من الله

كان السيد رمضان يحمل نفسا طروبا مرحة وأذناموسيقية، صَنَاع اللسان صَنَاع اليد بالبيان العربي الساحر والتغني ونقر الأعواد والموسيقيات ، كما هو صناع اللب بتكشيف المحجبات والخفايا، إذاجسّ أوتاره لمس بها القلوب، كما يلمس بأسراره الغيوب

فلمـا عبثن بأوتارهن   قبيـل التبلج أيقظنني
دعون هنـاك بأعوادهن   فأصلحنهن   وأفسـدنني

شدّ ما حفلت داره هذا المتجسس على الغيب في « ليالي حضراته » حتى فاضت بجمهرة ضخمة من العلية والسوقيين معا، وأمتها لأجلهم صفوة شائقة من نابغة المطربين في الشرق كله . ناهيك منها « يوسف » و « عبده » و « عثمان » و « صالح العربي » وأين عهد صالح ؟؟؟ فمن دون هؤلاء من المطربين إذ ليس فوقهم أحد، ثم اختلف إليها معهم أسراب فاتنة من بنات الكناس وأسرى الحجال من كل مخبأة لعوب ميالة القد سحارة الطرف

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغو   ص ميزت من لؤلؤ مكنون

حشدت هذه الغانيات هناك حتى غصت بها نوافذ بيت الشيخ

وشرفاته، وأقبل الذاكرون ومعهم المنشدون فذكروا كل شيء إلا الله ولم ينسوا النوافذ والشرفات

وكن متى أبصرتني أو سمعن بي   سعين فرقعن الكُوى بالمحاجر

هنا لك كل ما خيل إليك من غمزات الجفون وعمل الفتون.

بينا القوم على ذلك تكلمت الأوتار وتصعدت آهات المطربين الفتانة وتصعدت معها « أنفاس محترقة » من الحشيشة المباحة لتلك المهد فلم ينصرف القوم إلا بقلوب محترقة:

قالت حكمة عتيدة:

« لو أمكن الغيب من نفسه لاستبدل باسمه » أجل: لو أن الغيوب مما يستشف أو يقرأ لما استحقت أن تسمى غيوبا وإنما هي إذن شهود

لقد صبّ الله على هذا الشيخ التأنق في مشافهة الغيّب قرويا حقيرا من صفوف النمال فطريّ الطابع فطريّ الروح واللُّب، فأخذ يقبل به في الخدعة ويدبر، فلم يعتصم ولا شافهه غيبه بدخيلة أمره مع هذا التحيّل عليه حتى استنزله هانئا قرير العين عن ثلثمائة دينار مصرى كاملة زعم أنه مشترٍ له بها عقارا في الريف إذا هو رجع إلى أهله، فذهب بها طليقا مُرَفَّهاً إلى اليوم ولم يشتر لعلاّمة الغيب إلا العار والسوءة: فهل ترشد الأمة المخدوعة؟

إن العلم والعقل ينصرهما الدين لم ينيرا سبيلاً إلى الغيب فما أجدر الحاكمين بأن ينزلوا بالشعوذة فتكة صارعة تغسل معرة الاجتماع وتثلج صدر العلم والعقل

هذه التي نصف، عطفتنا « عطفة الألايلى » فيما تُسمى و « عطفة القاياتى » فيما نريد، ضنكة مظلمة نأوى إليها مشتهاة فاتنة للألُف كما يأوى النحل إلى بيته وخلاياه، ورُبّ مملول لا يستطاع فراقه

ولى وطن آليت ألاّ أبيعه   وألاّ أرى غيرى له الدهر مالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم   مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو   عهود الهوي فيها فحنوا لذلكا

شيئان من هذه الحارة مكروهان عندنا جدُّ بغيضين، ولا كتمان للحق، أول الشيئين الحارة نفسها، والثاني اسمها. أما الحارة فلسنا نملك تبديلاً لخلق الله فيها، وأما الاسم فهو لأسرة تركية عريقة كانت تقطن فيها وقد ترحلت عنها قديماً فما يتضنع اسمها أحد اليوم ولا يختلج به صدرٌ ولا فمٌ حتى لتحسب كلمة « الألايلى » هذه اللغز الذى لا يحل

من أجل ذلك مشى الحي إلى ولاة الأمر بمقترح شهي لديهم أن يأذنوا في تسمية « عطفة الألايلى »، « عطفة القاياتى » أنساً بجيرانهم المعاصرين لهم واستئناساً بأن ذكر بيت القاياتى قد صاحب التاريخ في مصر فترة وامتضغ اسمه من قبل أيام كان جدهم الأعلى « شمس الدين القاياتى » قاضى القضاة بمصر ينزل في هذه الأحياء في سنة خمسة وثمانين وسبعمائة هجرية

مشي الحى بهذا المقترح المرجوّ إلى من يملك الأمر فلم يؤذن له أن يسمع ولا حظى عنده، والحاكم الله

إن كان ولاة الأمر قد اصطفوا « عطفة الألايلى » لأنهم يُغلون بقدرها ويحتجزونها لتوسم « بعطفة الحرّية » أو « عطفة الاستقلال » ليوسم بها عهد الاستقلال والحرية فهنيئا لنا بالحرية والاستقلال وبارد هذا على الكبد، وإن لم يكن بهم إلا الضن علينا وحده فليعلموا أن سنة من يكتبون إلينا ويتحدثون عنا قد مضت بأن يكتبوا إلينا « عطفة القاياتى » ويقولوها، وألسنة الخلق أقلام الحق، فلن يكون إلا ما نريد، ولن يكون الاسم الذى يحمله صدر العطفة وهو « عطفة الألايلى » إلا كذبا رسميا كالدم على قميص يوسف، ولن تكون عطفتنا إلا « عطفة القاياتى »

حسن القاياتى

بين الرافعي والعقاد

العقـــاد

للأستاذ سيد قطب

— ٨ —

لم يعجب الأستاذ « اسماعيل مظهر » ما نكتبه تحت هـذا العنوان . ونحن نأسف أن لم ننل إعجابه أو رضاه ؛ ولكن يعزينا عن هـذا الفقدان أنه يعجبنا نحن ويرضينا — مع الأسف كذلك !

يقول الأستاذ :

« أما الذى لا أفهمه ولا أستطيع أن أفهمه يوماً من الأيام، فأن يتطوع ناقد لنصرة كاتب على آخر ، أو شاعر على شاعر غيره ، احتساباً لوجه الله الكريم ، من غير أن يكون الناقد فى نقده مخلصاً أول الشىء لمذهب بيّن فى الأدب ، يعتنقه الكاتب المنتصر له »

هكذا يقول الأستاذ ، أما نحن فنقول :

« إن الذى لا نفهمه ، ولا نستطيع أن نفهمه يوماً من الأيام فأن يكون رجل كالأستاذ اسماعيل مظهر ، أو أقل منه درجات ، يقرأ ما كتبناه ، ثم لا يتبين منه أننا ننقد مذهباً معيناً فى الأدب ونعتنق مذهباً بيّناً منه كذلك، وأن الكاتب الذى ننتصر له ، يمثل مذهباً بيّناً يدعو إليه منذ خمس وعشرين سنة ، وما يزال يشرحه ويقرره ، ويعود إليه فى نثره وشعره كله ، وأننا من أخلص تلاميذ مدرسة هذا الكاتب لطريقته ، وأشد الناس فهماً لها ، واقتناعاً بها ، ونسجاً على منوالها »

ويتحدث الأستاذ عن الشذوذ فى نصرة كاتب على كاتب ، فإن شاء أن يعرف الشذوذ حقاً ، فنحن محدثوه عنه :

إنه يا سيدي فى تقديم هذه السوأة الأدبية الخلقية الانسانية المسماة « على السفود » ، في تقديمها ذاته ، وفى طريقة تقديمها ، وفى نشرها ، دون تأذ ولا تأثم ، ولا خشية على آداب الحديث فى الأمة ، ولا آداب الطريق (ودعك من آداب النقد) ودون رحمة بأسماع الناس وأبصارهم وآنافهم !

وإذا شاء الأستاذ أن يعرف نوع هذا الشذوذ ، فليعلم أن هذه السوأة التى كشف عنها من قدّمها للناس ، لم يستطع أشد تلاميذ الرافعى إخلاصاً له أن يلمها ، ولقـد حاول أن ينحيها — فى خفة — عن أعين النظارة ، وهو يزن حسنات الرافعى ، ويزعم وزن سيئاته ، حتى لا تهبط هـذه السوأة بالكفة إلى الحضيض لو هى لامست الميزان . وكان هذا عدالة منه من هذه « العدالات » الفريدة التى يتشح بعض الناس بوشاحها

فالأستاذ سعيد العريان يقول : « من قرأ « على السفود » فعابه على الرافعى وأنزله غير ما كان ينزله من نفسه ... الخ »

وإذا قال الأستاذ سعيد مثل هذا ، وهو يدغم الكلام، ويدحرجه ليبعد بهذه السوأة عن الأنظار ، فالذين لم يصابوا بعد بداء العدالة التاريخية يستطيعون أن يعرفوا مقدار شنعتها

ولولا أننى أكرم أسماع القراء وآدابهم وإنسانيتهم من التدهور أو التأذي والتأفف ، لنقلت لهم شيئاً من « على السفود » الذى لا يعتبر تقديمه ونشره وترويجه شذوذا ، ولا مناصرة لأديب على أديب ، ولا تدخلاً فى الشخصيات ، وإنما يعتبر نصرة لمذهب بيّن على مذهب بيّن فى الآداب والآراء !

أما قصة الموت والموتى ، فقد أسلفت الحديث عنها فى الكلمة الفائتة ، وبهذه المناسبة أقول للزميل الودود الأستاذ سعيد : إن زميله سيد قطب ليس هو الذى يمزق الأكفان بالأظفار ، والذى يمزق بظفره ، مخلوق آخر ، أكرم آدابى وآداب الناس أن أقول: إن الأستاذ أو أحد زملائه من فصيلته ! خشية أن نتدهور خطوة أو خطوتين بعدها فيصبح من النقاش « الأدبى » المعترف به ، أن يقول الواحد للآخر : « يا ابن ال... » ويكون هذا من أساليب النقاد !

بقى الرجل « الذى له عمل يملأ يومه ونهج يدير حياته » . وقد أكرمته وأكرمت « دمشق عن مناقشة قوله فأبى ، وما زلت على رأيى الأول .

ولكنى أرى من حق سوريا الشقيقة علىّ ، وأنا ممن يحفلون بالدعوة إلى الرابطة الشرقية ، أن أنفى عن « دمشق » وأهلها ، ما قد يتبادر إلى نفوس المصريين من تقدير لها ولأهلها على أساس كلمات الأستاذ .

فليس كل من فى « دمشق » يجهل الأدب والأدباء فى مصر ، ولا يطلع على كل الصحف الراقية هنا ، حتى يكون ممن لم يروا « سيد قطب » إلا للوهلة الأولى . ولعل للأستاذ عذرا من « عمله الذى يملأ يومه ونهجه الذى يدير حياته »

وليس كل من فى « دمشق » يقرأ لكاتب معين « فيقبل كل ما جاد به » هكذا بدون ترو ولا تفكير ولا رأى خاص . ولا يقرأ لكاتب معين ، فاذا ما قرأه « لم يعلم لآرائه من القيمة والخطر ما يدفعه إلى مناقشتها » مع أنها بين يديه ، وتحت سمعه وبصره

وأنا أعرف من معارفى وأصدقائى السوريين ، من لهم فكر ورأى ومن لهم شخصية مستقلة ، فليطمئن المصريون على عقيدتهم فى جيرتهم !

وليس أدل من صواب رأيى باديء ذى بدء فى ترك مناقشة هذا الأستاذ من ظنه أنه متى جاء لى ببيت لشوقى على مثال تشبيه الرافعى الذى انتقدته ، فقد انتهى القول ، وبطل الجدال !

لا . ياأخانا . بقول ألف رافعى ، وألف شوقى ، وبقى بعد ذلك مجال للنقد والتعليق والكلام ... !

وقد فهمت من كلامه أن « عمله » الذى يملأ يومه ، ونهجه الذى يدير حياته ، والذى يمنعه — وهو معذور — من متابعة خطوات الأدب والأدباء فى مصر ، وربما فى دمشق ، هو التدريس بالمدارس

فأنا — فى إخلاص — أقول لحضرته إنه يؤدى مهمة جليلة يجدر به الاقتصار عليها ، فليس من الضرورى أن يكون كل إنسان أديباً وناقداً ، والمدرس ليس عاطلاً ولا فارغاً ولا صاحب مهمة نافلة يتركها لسواها

فأما إذا لم يسمع هذه النصيحة ، وأصر على الاشتغال بالأدب فله ذلك ما دام القانون لا ينص على شروط معينة فيمن يشتغلون بالآداب ... !

***

وبعد فقد هممت أن أعاهد القراء على ألا أشغلهم بالالتفات إلى هذا الناس ، بعد ما أصبحت يائساً أشد اليأس من فهمهم لما أقول ، أو استعدادهم لمتابعة المدرسة العقادية فى خطواتها . لو لا أننى أعتقد أن للرسالة قراء آخرين غير الرافعيين ، فلهؤلاء القراء أكتب ؛ ولولا أننى أضطر تأدباً أن أرد على من يوجه إلى الخطاب مهما كان شأن ما يقول

ولكن هذه فى الحق خطة متعبة ، وتأدب يكلف جهداً ومشقة ؛ وأغلب الظن أننى سأعدل عنه ، وسأسرع فى استعراض البرنامج الذى وضعته للبحث منذ المقال الأول ، وقصدى منه إبراز صورتين متقابلتين للمدرسة العقادية والمدرسة الرافعية ، فى فهم الأدب وفهم الحياة

ولو لا أننى اعتدت أن أضع الخطة وأنفذها ، دون اعتداد بما يجد فى الطريق ، لآثرت الوقوف عند هذا الحد ، فقد فهم من لديه استعداد للفهم ، وبقى ناس لاحيلة فى تبديل طبائعهم وخلق نفوسهم وأذواقهم من جديد

والآن إلى تتمة الحديث :

***

يعنى العقاد — إمام المدرسة الحديثة — بالحياة النابضة فى ضمائر الأشياء قبل الحياة الظاهرة على سطوحها ، ويعنى بالحياتين معاً قبل العناية بأشكالها وصورها ، ويلتفت للخوالج النفسية قبل أن يلتفت إلى الصور الذهنية ، ويعنى بهاتين قبل العناية ببهارج الأسلوب وزخارف الطلاوة

ولا يعنى هذا أن الأسلوب الفخم والتعبير الجيد بعيدان عن شعر العقاد . ولهذا مبحث خاص ، سأفرد له كلمة ، ربما كانت الأخيرة

يؤم المسجد يوم الجمعة للصلاة حشد حاشد ، كلهم مصل ، وكلهم خارج من المسجد بعد الصلاة ، ويمر هذا المنظر على الشعراء والأدباء فى مصر وغير مصر ، ويتكرر الأسبوع تلو الأسبوع . ولكن العقاد وحده هو الذى يلتفت التفات الفنان المثقف ثقافة نفسية واجتماعية ، إلى ما يجول فى خواطر هؤلاء المصلين ، وما تهتف به نوازعهم فتكتمه عقولهم الواعية ، وما يسرب فى ضمائرهم أو يغشاها . ذلك أنه يروى فيتخيل ، ويلاحظ فينفذ ، ويحس فيحلل ؛ ثم هو بعد هذا وذاك يمثل ويجسم خفايا النفوس الإنسانية ، ويعرض نماذجها المختلفة فى معرضه الفني الحافل بصور النفوس :

بعد صلاة الجمعة

على الوجوه سيمة القلوب فانظر إلى المسجد من قريب
وقف لديه وقفـة اللبيب في ظهر يوم الجمعة المحبوب
إنك في حشد هنا عجيب

***

هـذا الذى يمشى . ألا تراه كأنما قد حملت يداه
سفتجة [1] صاحبها الاله ؟ ذاك هو الدين . وقد وفاه
فليس للدائن بالمطلوب !

***

وذلك المبتسم الرصين كأنه بسره ضنين
أصغى إليه سامع أمين فهو إذا صلى كمن يكون
فى خلوة النجوى مع الحبيب !

***

وانظر إلى صاحبنا المختـال فى حلة ضافيـة الأذيال
أ كان فى حضرة ذى الجلال أم كان فى عرض أو احتفال
يزهى على المحروم والسليب !

***

وكم مصل خافت الدعاء كأنما نص إلى السماء
رسالة فى عالم الخفـاء فلا بنى يبدو لعين الرائى
كالمترجى أوبة المكتوب !

***

ورب شيخ من ذوى الخلاق [2] فرحان بالجمع وبالتلاقى
كأنه التلميـذ فى انطلاق بين تلاميذ له رفاق
عادوا إليه عودة الغريب

***

هذه هى الصور الباطنة لتلك السحن الظاهرة ، وليس فيها ما لا نعرفه الآن ، فى مشاهد الصلاة ، بعد أن أشار إليها العقاد. وهذه ميزة الشاعر ذى « النفس » الذى يلمح ما فى النفوس ، فيطلعنا على ما كان بين أيدينا غائباً عنا من صور الحياة وأنماطها ، لأنه يجلوه فى مرآة نفسه الخاصة

ثم يمضى بعد هذا الاستعراض ، يطرق الفلسفة العامة ، فى دعابة وفسحة فى النفس ، تتلق هؤلاء الأحياء المختلفى المطامع والأهواء تلقى الوالد العطوف لأبنائه ، وهم يختلفون منازع واتجاهات ، وهو يبسم ابتسامة التهكم الرفيق

تجمعوا فى بيته تعـالى وافترقوا فى جمعهم أحوالا
وهل نسوا فى أرضه النزالا فيحتويهم بيته أمثـالا
على اختلاف السمت والنصيب !

***

لعلهم صلوا له ارتجالا فاختلفوا ما بينهم سؤالا
فلو أجاب السائلين حالا صب على رءوسهم وبالا
والحق المخطئ بالمصيب

هذه قطعة واحدة من « عابر سبيل » يمسها مشهد مألوف للجميع . وهو « على قارعة الطريق » ولكن المارة لابد لهم من عين وذهن ونفس لتراه ثم تدركه ، ثم تتغلغل فيه . وأنت خليق أن تجد عند العقاد كثيراً من هذا النوع ولاسيما فى « عابر سبيل »

***

وللعقاد عناية بتصحيح مقاييس الأحكام على الطبائع والنفوس منشؤه أنه صاحب « نفس » خاصة ، و « طبع » أصيل ، فهو لا يتلق المبادئ والأحكام من الخارج ، ولكن يفيض بها من الداخل ، ويسمع فيها منطق الحياة الخالدة ، ووحى الانسانية الدائمة ، لا منطق الفرد العابر ، ولا الجيل القاصر . ومن هذا النحو قوله عن « عدل الموازين » و « جلال الموت » وقد استعرضتهما آنفاً ومنه :

من ساء بالناس ظناً دون ما ألم أحق عندى بسوء الظن والتهم
أسيء ظنونك لكن مكرهاً أبدا كمن يظن بيمض الآل والحرم

هذه قولة رجل « إنسانى » تزخر نفسه بالعطف وتفيض بالثقة ، فينكر فلسفة سوء الظن ارتجالاً وتطوعاً ، فسوء الظن عنده بالانسانية أمر مكروه لا يقدم عليه الانسان وله منفذ إلى رجاء فيها ، كمن يظن بيمض الآل والحرم ، بعد ألا يجد بداً من الظنون ، وبعد أن ينفد معين الثقة والتعاطف والتنزيه الفطرى للآل والحرم ... ويقول :

إذا ما تبينت العبوسة فى امرئ فلا تلحه واسأل سؤال حكيم
أجل سله قبل اللوم فيم انقباضه وفيم رمى الدنيا بطرف كظيم
لعل طلاب الخير سر انقباضه وعلة حزن فى الفؤاد مقيم

(١) ورقة التحويل المالى
(٢) الخير الوافر

فما تحمد العينان كل بشاشة   ولا كل وجه عابس بذميم
قطوب كريم خاب فى الناس سعيه   أحب من البشرى بفوز لئيم

وهذه قولة رجل ، معنىٍّ بالغايات النفسية ، لا بالمظاهر البادية على الوجوه ورجل يعدل « عدل الأناسى لا عدل الموازين » فى الحكم على قيمة العبوسة والبشاشة فى الجبين . ورجل عطوف يتقصى أسرار النفوس ويقدر أحوالها ، ويوسع صدره لبدواتها ولا يتسرع فى سوء الظن بها ، وبذلك ينفذ وصيته السالفة .

ويقول :

لا تقل : فاجر وبرٌّ . ولكن   قل: هو الصدق والمراء صنوف
رُبَّ حق فيه نفيس ومرذو   ل ، ومَيْن يرجى ومَيْن يخيف
إنما الفاضل الذى فضله فى الخيـ   ـر والشر فاضل وشريف

وهذه أبيات لا تكتفى بتصحيح مبدأ فى الأخلاق ، بل هى تخلق مبدأ . ويطول بنا الحديث لو ذهبنا نشرح هـذا المذهب ونناقشه ، ونوازنه بمذاهب الأخلاق ، وتعريف الحسن والقبيح ، وبيان أسباب هذا الحكم ، الخ . فنكتفى بشرحها فى اختصار :

ليست عناوين الأخلاق المتواضع عليها هى الحكم الفصل فى تقدير قيمة هذه الأخلاق ، فالصدق مثلا لا يعنى أن كل ما ينطوى تحته ، فاضل وشريف ، والكذب لا يعنى أن كل ما ينطوى تحته مرذول وخسيس ، ومثلهما بقية عناوين الفضائل المتعارفة . إنما مناط الحكم على الصدق وعلى الكذب ، أمر آخر غير عنوانهما . ففى الصـدق ما هو شريف ومرذول ، وفى الكذب كذلك ما يكون هذا أو ذاك ؛ وفى سواهما مثلهما

وكم من كذبة عظيمة ألقاها مصلح ، أوفاه بهـا بطل ، أو زخرفها فنان ، هى أشرف وأعظم ، من « صدقة » حقيرة ، ألقاها جاسوس ، أوفاه بها مجرم ، أو طرحها مطموس لا يعنى بها قصداً

وكم من « بوهيمية » عاش فى ظلها فنان تمده بالخصوبة والإلهام ، هى أشرف من استقامة عاش فى ظلها جلف يقنع بها عن ضعف ، أو انطماس بصيرة ، أو فتور حيوية

وعلى أية حال فتلك نظرية تمر هكذا فى ثلاثة أبيات ، بين الركود العقلى والنفسى فى مصر ، ولو وجدت حياة زاخرة لكانت موضع جـدل ومناقشة ، ومثار انقلاب فى مبادئ الأخلاق . ولـكننا فى مصر حيث الركود والاستهتار

والذى يهمنا منها الآن ، هو دلالتها على طبيعة العقاد ، التى لا تحفل الظواهر والأشكال ، إنما يهمها تقدير العامل النفسى الباطن فى الأعمال والأقوال

* * *

ومثل هذه الخطرات هى التى يسميها بعض ذوى النفوس الضيقة ، والأحاسيس الضامرة ، فلسفة لا شعراً . ويعنون أنها صور عقلية عمل فيها الفكر وحده . وقد اتضح من شرحنا لها ، أنها تقوم على العامل « النفسى » أول ما تقوم ، وأن الطبع الحى البصير هو الذى يوحى بها

وكل ما ينقص هذه الخطرات لتكون من العاطفة فى الصميم ، أن صاحبها لا يضع لها لافتة (يافطة) مكتوب عليها : « هنـا شعر عاطفى » !

أما أصحاب النفوس ، فيحسون ويقدرون : أى نفس تلك التى تلتفت مثل هذه اللفتات ، وأى عاطفة عميقة فى ثنايا هـذه الأبيات

« حلوان »   سيد قطب

بين الرافعي والعقاد

في منطق التحليل

للأستاذ عبد الجليل محمد المحجوب

يريد الأستاذ « سيد قطب » أن يثير معركة تكون فاتحة لإظهار أدبه « النفسي » ، وترويجاً له بين الشباب الحديثين . ولا يمنعه الحذر أن يعلن هاته الظاهرة خشية الاستخفاف وضياع الأمل . وهو — كما يبدو من تحليل مقاله(١) — رجل خضوع لنفسه ، سهل الانقياد لعصبيته القديمة ؛ تؤثر فيه العلاقات الشخصية أكثر من علاقات الحقيقة بالعقل ، والايمان بالقلب ؛ وبشريته المظامية تقوده للتقرب مما يدفعه إليه شعوره ، وعاطفته المتمردة . ويقول إن له أدباً وشعراً ، وملكة نقد وقادة تجعله يثور على كل من يتطاول إليه ، أو يحاول أن يمس عبقريته بخطأ شائن ، كما ثار العقاد على الرافعي ومخلوف إجابة لعلوّ النفس ، وحفظاً لها من النزول إلى عقلية السوقة . ويعيب على الناقدين — دون نفسه — جهلهم بطبيعة الكاتب ، وقساوتهم في الحكم قبل اتصالهم به واكتناه بواعثه !

ثم يذكر أنه كان « يكره نفسه على مطالعة الرافعي » لأنه عند ما قرأ « حديث القمر » أحس بالبغضاء له ! ويكذّب الأستاذ سعيداً في تسميته ما كتبه العقاد في رده شتماً وسباً للرافعي . وفي تسمية ما كتبه عن « مخلوف » سباباً وشتائم » ويقول بعدئذ — في غير تحفظ — « إذا كتب (يعني العقاد) عن « مخلوف » يتهكم به ، ويشنع بسوء فهمه للأدب ، فبعث ذلك عظم الفرق بين طاقة العقاد وطاقة مخلوف ، والحنق على أن يكون مثل هذا ناقداً لمثل ذاك ...

« والحق أن هذا مما تضيق به الصدور الخ ... »

وحديث مثل هذا يفسر ، بكل صدق ، بأن حضرة الأستاذ سيد ليس له مبدأ في الجدال وأنه يتلاعب بالحقيقة ، فطوراً ينفيها ويكفر بها ، وطوراً يتوب ويعتذر !

وفي فقرة أخرى يأخذ على الأستاذ سعيد « تعرضه » بلقب « أمير الشعراء » الذي ينحله الدكتور طه حسين للعقاد « تملقاً » للشعب ونزولاً على هواه ، ويرى أن هـذا « اللقب » دون منزلة العقاد لأن « المسافة بينه وبين شعراء العربية في هذا العصر أوسع من المسافة بين السوقة والأمراء »

وهذا — لو كان للأستاذ شيء من المنطق — يحط من منزلة العقاد إلى حدّ هائل ، إذ كيف وهو هو في علوه ورفعته لم ترض بامارته سوقة ؟ ! !

كما أنه يحمل على الأستاذ سعيد أيضاً فيما كتبه عن العقاد لأنه « يجهل طبيعة العقاد ودوافعه في الحياة وعوامل الكتابة في نفسه » ويلتمس له العذر في ذلك لأنه « لم يختلط بالعقاد أولاً . ولأن نفسه لم تتفتح لأدب العقاد فيفهمه ثانياً » ويسمح هو لنفسه أن يكتب عن الرافعي ما يشاء وهو كما يعترف لا يعلم عن حياته شيئاً ولا يشعر في قراءته له بغير الكراهية والنفور ! ..

وأعجب من هـذا أنه كان « ينكر » أن تكون للرافعي « إنسانية » و « نفس » ولكنه لما رأى الأستاذ سعيد يتحدث عن « حبه » و « عاطفته » ، وحين استطاع أن يكون ناقداً أصبح ينكر عليه « الطبع » بدل « الانسانية » ويريد منه « الأدب النفسي » بدل « الأدب الفني » . وفي هذا تناقض وسقم في الادراك . تناقض لأن في « الأدب النفسي » : الأدب الفني ، وفي أدب الذهن : « أدب الطبع » . وليس من يشك في أن الفن صورة لشعور النفس ، والطبع صورة لذهن الانسان .

ولعل حضرة الأستاذ سيد يذكر تجربة العالم Fopffer الذي أعلن هذه الحقيقة بكيفية مضحكة : فاستدعى خمسة وعشرين رساماً ، ورجا من كل واحد أن يصور له حماراً . وبعد الانتهاء لم يجد صورتين متماثلتين تماماً : فكل واحد صوره كما أوحاه إليه شعوره النفساني ، فهذا رسمه أبله . وذاك رسمه صبوراً . والآخر رسمه وديعاً . الخ . وكانت البراعة الفنية مترجمة عن خطرات النفس ، واحساساتها . ثم استدعى خمسة وعشرين كاتباً ورجا منهم أن

(١) الرسالة عدد ٢٥١

يكتبوا عن الحمار أيضاً فكانت النتيجة كالأولى . وساعتئذ قرر Topffer أن الفن صورة لإحساس النفس، وهما متلازمان تلازم العرض للجوهر . فما دام للانسان « فن » فلا بد أن تكون له « نفس »

وأما « الطبع » فهو خاصة من خصائص الذهن ، لأن الطبيعة أول ما تنشأ عن العقل ، وفي أرضه تنبت وتمد عروقها ، وللعالم النفساني R. André مائة وخمس وعشرون تجربة تؤيد هذا الاكتشاف ، منها : أنه وضع شيئاً من الحلوى في مكان مرتفع ، وجاء بطفل صغير ، وأغراه ليتناولها ، فجعل الطفل تارة يمد يديه ، وطوراً يقفز وأخرى ينظر إليها في صمت وسكون . ثم اهتدى إلى كرسي كان إلى جانبه ، وتمكن منها . فصار R. André كل يوم يضع قطعة أخرى من الحلوى ، والطفل يتناولها بالوسيلة المتقدمة بدون أدنى تفكير . ثم كان ذاك مرة كل أسبوع ، ثم كل أسبوعين ، ثم كل شهر . حتى كبر الطفل وأصبح يستطيع أن يتناول قطعة الحلوى بدون مساعد . ولكنه ظل على طبيعته المتادة يستعين بالكرسي .

وبعد حين أقصى عنه الكرسي ... فضحك الطفل ومد يده وتناولها . واستمر « R. André » على وضع قطع أخرى ، في أمكنة مختلفة ، واستمر الطفل على تناولها بيده . ثم أبعدها عنه حتى صار لا يستطيع أن يمسها بيده . وحينئذ فكر الطفل وأوحى إليه ذهنه أن يستعين بها ... وهكذا بقي « R. André » خمسين شهراً يكرر التجربة نفسها . وفي المرة الأخيرة أحضر جمعاً من علماء النفس والتربية وعلق قطعة من الحلوى في سلك مرتفع بحيث لا يقدر الطفل أن يتناولها ... وعند ما أمره بأخذها ، شرع يستعمل جميع الوسائل التي اعتادها قبلاً دون تفكير في إفادتها . وبعد لأي وقف قليلاً صامتاً ، ثم طفق يبكي ويلتفت إلى الحاضرين ... وعندئذ قام « R. André » وشرح أمره ، وصرح في النهاية بأن جميع الطبائع والعادات كالمشي ، والبكاء ، والضحك وما شاكلها منبعثة عن العقل . وعلى هذا فطبيعة الأديب مستمدة من الفكر ومسيرة بأوامره . كما يتعين أن يكون « أدب الطبع » جزءاً من « أدب الذهن »

وإني لأنصح لحضرة الأستاذ سيد قطب أن يرجع لمؤلف « R. André » (١) ، وإلى غيره من كتب البسيكولوجيا التطبيقية فإنه لواجد فيها ما يبطل زعمه ، ويعود به إلى حظيرة الحق والسكون

***

وبعد ، فهذه نظرة قصيرة أحببت أن أشعر بها حضرة الأستاذ بأنه — نظراً لكتابته (٢) وما حشاه فيها من « الأفكار » المضطربة مازال بعيداً عن النقد والحكم البريء ، عساه أن يجنح إلى السلم ، ويعدل آراءه على ضوء المنطق ، وبقين الملاحظة وإن لي رأياً في أدب العقاد ، وأدب الرافعي ، كونته من مطالعتي لهما . سأعلنه متى قضت الظروف

« تونس » عبد الجليل محمد المحجوب

(١) Origine du caractère

(٢) « الرسالة » عدد ٢٥١

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

(بقية المقال الحادى والعشرين)

وفى وادى السلام يقول الأستاذ على الشرق :

ثلاثون جيلاً قد ثوتْ فى قرارةٍ
تزاحم فى عُرب وفُرس وأكراد
فنى الخمسة الأشبار دُكّتْ مدائنٌ
وقد طُويتْ فى حُفرة ألف بغداد
عبرت على الوادى وسَفّتْ عجاجةٌ
فكم من بلاد فى الغبار وكم ناد !
وأبقيت لم أنفض عن الرأس تربهُ
لأرفع تكريماً على الرأس أجدادى

وكذلك كان الدخول إلى النجف من باب السلام ، أى الموت !

وبحثت عن فندق فكان فندق السلام فتشاءمت ، ثم أسلمت نفسى إليه ، لعلمى بأنى صائرٌ لا محالة إلى السلام ، أى إلى الموت !

ثم رأيت فندق السلام بالنجف شبيهاً بأخيه فندق السلام فى حىّ سيدنا الحسين بالقاهرة . رأيت الناس ينامون زرافات فى حجرة واحدة ، فأخذت أمتعتى وانصرفت ، وذهبت إلى فندق ثان فرأيته أعجب من الأول ، فمضيت إلى ثالث فرأيته أغرب من أخويه ، وانتهى بى المطاف إلى غرفة حقيرة فى فندق حقير هو أعظم الفنادق بالنجف

ولعل الفنادق كانت كذلك لقربها من وادى السلام ، فهي تروض المرء على قبول الدفن مع من يعرف ومن لا يعرف ، وتقرّب إلى ذهنه صورة المساواة فى دنيا الأموات

* * *

كان غبار السفر الذى دام أكثر من أربع ساعات آذاني ، وكنت أحب أن أصلح من شأنى فى الفندق لأستعد لمقابلة البهاليل من آل ليلى ، فلم أجد فى الفندق ما يسعف ، ولكن لا بأس فسيعلم النجفيون بعد ساعات أنى نزلت في فندق فيغضبون ويقولون (هذه فضيحة) وينقلون أمتعتى إلى منزل أحد الأصدقاء

وعندئذ أتذكر أن النزول فى الفندق كان عند أهل العراق علامة من علائم المسكنة ، يشهد بذلك قول الشاعر القديم

يا أيها السائل عن منزلى نزلت فى الخان على نفسى
آكل من خبزى ومن كسرتي حتى لقد أوجعنى ضرسى

ويشهد بذلك قول شاعر حديث هو الرصافي :

سكنت الخان فى بلدى كأنى أخو سفر تَقَاذفُهُ الدروبُ

وأصرخ فى وجه النجفيين قائلاً : إن المدينة التى تخلو من فندق نظيف لا تسمى مدينة ، والذين عاشوا فى أوربا كما عشتُ لا يستطيعون النزول فى منازل الأصدقاء ، والفندق النظيف هو المأوى الطيب للضيف ، والحكومة المصرية لا تنزل ضيوفها فى غير الفنادق ، لأنها تعرف قيمة الفنادق ، وكذلك تصنع حكومة العراق حين تستقبل ضيوفها فى بغداد

فيا أهل النجف ، تذكروا أن مدينتكم فى حاجة إلى فندق نظيف ، وتذكروا أن مثل ذلك الفندق ينقل مدينتكم من حال إلى أحوال

* * *

خرجت من الفندق أتلفت ذات اليمين وذات الشمال لأرى شبيهات ليلى ، شفا الله ليلى وشفاني ، ومنحنى وإياها العزاء يوم الفراق ، إن كان لنا سبيلٌ إلى التلاقى قبل الفراق

وساقتنى قدماى ، بل هداني قلبى إلى الحرم الحيدرى

وقفت بصحن الحرم كالأرقم ، والحمد لله على نعمة العافية ، وليته يتفضل بحفظ هذه العافية ولو عشر سنين لأداوى جميع المرضى من الملاح

وقلت فى نفسي : أنا تلميذ الشريف الرضى الذي يقول :

لو أنها بفناء البيت سانحةٌ لصِدتُها وابتدعت الصيد فى الحرم

فإذا كان الشريف استباح الصيد فى الحرم النبوى فأنا أستبيحه فى الحرم الحيدرى

ودرت حول الضريح مرتين ، ثم وقع البصر على فتاة ساجية الطّرف مشرقة الجبين تخفق القلب

ثم وقفت

أصاول عينيها بعينى والهوى يشيع الحيا فى فؤادى وأعضائى

وظنت الفتاة أنها أقدر منى على الفتون ، فحاولت قتلى ، ثم لطف الهوى فصرعتها ، فجمعت ما تبدد من قواها ، وفرت فرار الغزال المطعون

وعَدَوْتُ لاقتناصها فلم أفلح . وكيف يعدو النشوان وهو كالمقيد فى الشوك !

من أى سحر صيغت تلك العيون ؟

وإلى أية غاية تسير تلك العيون ؟

ولأية حكمة خلقت المقادير تلك العيون ؟

لقد أفلح الدساس الظريف الذى نقلنى إلى النجف ، وهو على ظرفه لئيم خبيث

وبالنجف الحارىّ(1) إن زرت أهله
مهاً مهملات ما عليهن سائس
خرجن بحب اللهو فى غير ريبة عفائف باغى اللهو منهن آيس

ثم طفت بالحرم مرة ثانية فوجدت ناساً يقرأون أدعيات وصلوات وحولهم نساء يبكين ورجال يبكون، فوقفت أسمع وأبكى، وهل فى الدنيا بلاء مثل بلائى ؟ أنا العاشق المهجور الذى غدرت به ليلاه . ولو كانت ليلى واحدة لصبرت ، ولكنهن ليليات !

فيا بديع الملاحات ويا فاطر السموات ، كيف ترى حالى !

ويا خالق النخيل والأعناب، كيف سكبت الصهباء فى روحى؟

ويامجرى الدمع فى الشؤون، كيف علمتنى وعلمت الحمائم النُّواح

وما الذى أعددت لتكريمى يوم ألقاك وقد سبّحت بحمدك فوق أفنان الجمال !

وما عندك لسلامتى من الناس ، وقد خاصمت فيك جميع الناس !

* * *

وطفت بصحن الحرم مرة ثالثة فوجدت ضريح الحبوبى الذى يقول :

اسقنى كأساً وخذ كأساً إليك فلذيذ العيش أن نشتركا
وإذا جُدت بها من شفتيك فاسقنيها وخذ الأولى لكا
أو فحسبى خمرةٌ من ناظريك أذهبت نسكى وأضحت منسكا
وانهب الوقت ودَعْ ما سلفا واغتنم صفوك قبل الرَّنق
إن صفا العيش فما كان صفا أو تلاقينا فقد لا نلتقى

وعند ذلك الضريح طال بكائى ، فهذا شاعر قضى حياته فى التغنى بالجمال ، ثم رآه النجفيون صوفياً فدفنوه بجوار أمير المؤمنين ، وأنا أفنيت شبابى فى التغنى بالجمال ولم أجد غير العقوق !

فمتى يعرف قومى أنى صوفىٌّ يؤمن بوحدة الوجود؟

ومتى يعرف قومى أنى أصدق تلاميذ ابن الفارض فى هذا الزمان ؟

اللهم لطفك ورحمتك ، فقد طال بلائى بالناس !

* * *

يئستُ من الصيد فى الحرم الحيدرى بعد فرار تلك الغزالة ، وبدأتُ أعتب على سيدنا على بن أبى طالب ، فمثلى لا يُكرَم فى رحابه بالماش والجلاّش ، وإنما يكرم مثلى بالهيام فى أودية الفتون ، وما كنت فى حياتى من الفاسقين ، وإنما كنت مؤمناً يتقرب إلى ربه بعبادة الجمال

وفى حومة هذا العَتْب تذكرت أن لى فى النجف صديقاً من تلاميذ الأستاذ محمد هاشم عطية هو السيد محمد تقى آل الشيخ راضى ، فقلت أذهب إليه عساه يجد السبيل إلى الظبية التى نفرت منى ، ولكنى ما كدت أصل إلى منزله بعد طول البحث حتى وجدته فى ارتياع ، فقد علم أن الشرطة فى النجف تبحث عنى ، لأنى فى ظنهم وردت النجف لمطاردة الظباء ، وقد رأى بفطرته السليمة أن ينفى الشبهة فدعا علماء النجف للتسليم على العالم العلامة الدكتور زكى مبارك !

وما هى إلا لحظة حتى كانت الدار تموج بالغرّ البهاليل من أقطاب النجف

وجلست بين القوم جلسة العالم الحق ، وما يصعب علىّ أن أمثل هذا الدور الفظيع ، فانتقدت صاحب مجلة الحضارة لأنه يدعو إلى تعديل المذاهب القديمة فى التعليم ، وقلت إن مذاهب التعليم فى النجف كمذاهب التعليم فى الأزهر لا ينبغى أن تزول

وعجب القوم من أن يصدر هذا القول عن رجل متخرج فى السوربون

ولكنى فى الواقع لم أكن مرائياً ، فقد صح عندى أن الأساليب الأزهرية والنجفية أساليب تنفع أجزل النفع فى رياضة

(1) الحارى نسبة إلى الحيرة على غير قياس . وفى معجم ياقوت (الجارى) وهو تحريف

العقل ، يضاف إلى ذلك أن الأزهر هو الذى حفظ اللغة العربية فى عهد المماليك ، وأن النجف هو الذى حفظ اللغة العربيـة فى عهد الأتراك ، ورعاية العهد توجب الابقاء على تلك الأساليب التى استطاعت أن ترسل النور الوهاج فى دياجير الظلمات

وبعد طول الحوار فهمت أن فى النجف ثورة فكرية تشبه الثورة التى وقعت فى الأزهر منذ أكثر من ربع قرن ، وعرفت أن طلبة العلم فى النجف يريدون أن يغيروا حالهم ليسايروا مناهج التعليم فى العصر الحديث

وقد تأكد ذلك المعنى حين قال الأستاذ الصورى : ما رأيك يا دكتور فى أن أخلع عمامتى ؟ فقلت : أنا أبغض المعممين الذين يخلعون عماماتهم ! فقال : هل تعرف ما قلتُ فى العمامة ؟ لقد قلت : إنها منعت رزق ورفـق

فابتسمت وقلت : وكيف تعيش يامسكين بلا رزق ، وبلا فسق ؟ !

وتقدم الأستاذ البلاغى صاحب مجلة الاعتدال فقص أحاديث يشيب لها الوليد ، ومنها عرفت أن طلبة العلم فى النجف يعيشون فى بؤس . وقد طفر الدمع من عينى حين سمعت أن عالما نجفيا أشرت إليه فى كتاب (عبقرية الشريف الرضى) جلس فى صحن الحرم الحيدرى يبيع كتبه ليسدّ ما عليه من ديون ، ديون لم يجنها لهوٌ ولا مُجون ، وإنما جناها الخبز والماء

وكان هذا العالم المحقق لقينى فى الـكاظمية منذ أشهر ، لقينى لقاء المساكين ؛ ولما لقينى فى النجف تبسم وقال : كنت فى الـكاظمية غريباً ، وأنا اليوم فى بلدى ، وأنا حاضر لخدمتك

وكنتُ أحب أن أقبل دعوته الكريمة ، ولكنى واأسفاه كنت عرفت ترجمة حاله منذ لحظات ففررت من كرمه بترفق وتلطف

لا تحزن أيها الزميل ؛ فسيكون لى ولك مكانٌ بين الصابرين

لا تحزن ، فالدنيا أحقر من أن يبكى على نعيمها أحرار الرجال

لقد سمعت أنك بعت دارك بثمن بخس لتسدد ديونك . فهل علمت أن لك عُقبى الدار يوم يجزى الله الصابرين ؟

* * *

ثم مضيت فطوّفت بالنجف وحولى جيش من أهل العلم والأدب والبيان ، وفى أحد المنعطفات وقع البصر على طفلة من قريبات ليلى ، فمددت يدى أمسح خدها الأسيل فصرخت ، وتضاحك الرفاق ، ولكنى سأرجع باذن الله إلى النجف لأعرف أهل تلك الطفلة وأخطبها لأحد أبنائى ، وبيت أهلها يقع فى دربونة متصلة بدربونتين إحـداهما توصِّـل إلى الرابطة الأدبية ، والثانية توصِّـل إلى الحرم الحيدرى ، ولذلك البيت روشن عليه بَرّادة ، وبداخله بئرٌ وسرداب ، وفوق الروشن حمامتان تسجعان ، وفوق عتبات ذلك البيت تتحدر مدامع العشاق

ياشبيهة ليلى فى حسنها ودلالها ولؤمها وغدرها ! ترفقى بقلبى فقد تركته فى الدّربونة تدوسه فى كل صباح أقدامك الرقاق

ياشبيهة « كريمة » الغالية التى تداعب أباها فى الأحلام تذكّرى أن طيفاً زارك فى النجف ولن يعود . ياأخت « زينب » ، تذكري أن الرجل الذى مدّ يمينه ليمسح خدك الأسيل لم يكن فاجراً ، وإنما هو مجاهد ترك وطنه وأهله فى سبيل العقيدة والوجدان

اليك دمى ياحلوة ياجميلة ، وهو دمعٌ تمرّد على الخطوب ، ثم أذلّـته عيون الملاح . أحبك أيتها الطفلة الوسيمة وأشتهى أن أسمع صراخك مرة ثانية ، فما كان وحق الحب إلا صراخ الدلال

واستيقظت فى اليوم التالى مبكراً لأرى الـكوفة ، ولأقف بأطلالها كما وقف أستاذى ماسينيون ، وكان أكبر همى أن أرى مسجد الـكوفة الذى طُعن فيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، والذى فار فى زاويته التنُّـور لعهد نوح عليه السلام ، والذي صلى فيه ألف نبىّ وألف وصىّ ، والذى فيـه عصا موسى ، والذى هلك فيه يغوث ويعوق ، والذى يحشر منه يوم القيامة سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ، وفى وسطه روضة من رياض الجنة

كذلك تقول الأساطير

وما كانت فى عينى وقلبى أساطير ، وإن كنتُ تلميذ منصور فهمى وطه حسين

لقد شهدت بعينى كيف طُعنَ على بن أبى طالب ورأيت دمه رأى العيان

ورأيت المكان الذى خطب فيه الحجاج خطبته المشهورة ، الحجاج الهائل الذى أصلح العراق ، وأفسد العراق

ورأيت قبر مسلم بن عقيل رسول الحسين ، ورأيت كيف يبكى الناس على قبره وكأنما قُتل بالأمس ، فتذكرت أن العراق

يحوى ثروة عظيمة جداً من الحماسة الوجدانية ، وتذكرت أن العراق تغلب عليه سرعة الانفعال ، فهو يقتل المصلح بلا ترفق ، ثم يجمل البكاء عليه شريعة من الشرائع

تذكرت أن العراق كالقوة الكهربائية التي تحيي وتميت ، وهو ينتظر رجلا فى طغيان الفرات وسماحة النيل

إن العراق من قوى العروبة والاسلام، ولكن أين من يعرف؟ لقدهدانى العراق وأضلنى، وكان على الدهر مصدر هداية وضلال

* * *

ثم مضيت ألتمس آثار الحيرة البيضاء ، مضيت ألتمس آثار الخورنق ، فلم أعرف ولم يعرف رفاقي أين الخورنق

وكان هيامى بأطلال الحيرة موسماً من مواسم الشعر والخيال، وفى ذلك الهيام عرفت شيئاً من مدنية العرب فى الجاهلية

ولو كان لى شيء من الأمر فى حكومة العراق لأجريت نهر السدير من جديد لأنقش فى وجه الزمن ذكريات النعمان

مضينا إلى أطلال الخورنق مع سائق جهول فقادنا إلى مكان موحش ، فقال الرفاق : ليس هذا مكان الخورنق . فقال السائق : أنتم تبحثون عن أحجار ، وههنا أحجار !

صدقت أيها الجهول ، فنحن نبحث عن أحجار ، ولكننا نبحث عن أحجار نواطق !

عندئذ تذكرت فراعين مصر ، فقد كانوا يدركون أن الزمن لئيم غدار ، وأن التاريخ كلام فى كلام ، فبنوا أهرامهم وقصورهم بأساليب يعجز عن فهمها الزمان

وقد تقوضت آثار الملوك فى المشرقين والمغربين وعجز الدهر الغادر عن هدم آثار الفراعين

ما أشقاك فى دنياك وأخراك أيها النعمان ! أنت قتلت سِنِمّار ليبقى سر الخورنق ، فهل بقى الخورنق ؟

ليتك استعنت الجندى المجهول فى وادى النيل ، ليتك بنيت هرماً يعجز اللئام عن نقل أحجاره ليبنوا بيوتهم الخاوية

أيها النعمان ، سلام عليك من شاعر مصرى يبكى لمصيرك فى التاريخ !

أيها النعمان ، أيها الملك العربى العظيم ، أين الخورنق وأين السدير ... ؟

إعترف أيها الملك بعظمة الشعر والشعراء ، فنحن الذين حفظنا مكانك فى التاريخ ، ولولا الشعراء لطمس الزمن مكانك فى التاريخ

وفدت على أطلال قصرك وأنا جائع ظمآن فما تزودت غير الأسى والأنين

وفدت على أطلال أنكرتها العين ، وعرفها القلب

وفدت على أطلال لم يعرفها جيرانك من أهل النجف ، وعرفها شاعر مصرى مظلوم ينكره أهله ، كما أنكرك أهلك

فيا زميلى فى البؤس والشقاء ، سلام عليك

ثم مضينا نمتع النظر بطغيان الفرات ، وأين طغيان الفرات من طغيان قلبى !

هذه الكوفة الاسلامية ، وتلك الحيرة الجاهلية ، وأولئك الغافلون من العرب والمسلمين . فيا رب الأرباب أنقذ عبدك المسكين من ظلم الجحود والعقوق

* * *

ورجعت إلى النجف أسأل عن أخوات ليلى ، ولكن كيف ؟ إن النجف كله يطارد العاشق المسكين الذى ضيع مستقبله فى سبيل هواه

ويصمم النجفيون على إقامة حفلة تكريم للدكتور زكى مبارك فأرفض، لأن تلك الحفلة كانت توجب أن أتخلف عن دروسى فى دار المعلمين العالية ، وتخلفي عن دروسى أمر مستحيل . وكذلك أقهر علماء النجف وأمتطى السيارة إلى بغداد

رجعت فى زى المساكين لأنى لم أجد الشفيع إلى ليلاى

رجعت ذليلاً مقهوراً ، فماذا أصنع ؟

آه من حبى وغرامى وبلواى !

لقد هجرتنى ليلى وصدفت عنى ظمياء

فلأذهب إلى الموصل لأستشفع بقرييات ليلى هناك

إلى الموصل الذى رقدت فى ثراه عظام أبى تمام أمتطى قطار المساء ...

(للحديث شجون) زكى مبارك

إشـــتراك الصيف

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ....

— ١٦ —

وما كان إبراهام كما أسلفنا يطمع من وراء هذا النزال أن ينال لنفسه شيئا ؛ وهل عُرفتْ فى خلقه غميزة منذ كان يقطع الأخشاب ليشترى بالمئات منه سروالا ؟ أو ليست كراهته لنظام العبيد ترجع إلى صدر شبابه ؟ أو لم يتنز بالألم قلبه يوم سافر إلى نيو أورليانز فى تجارة لأحد الناس ورأى هنالك أسواق الرقيق ووقعت عيناه فيما وقعتا على تلك الفتاة التى عرضت نصف عارية على الأنظار كأنها مهرة كريمة ؟

منذ ذلك اليوم وهو يسير إلى غاية ، شعر بذلك أو لم يشعر به ؛ فلقد استقر فى نفسه مالا تقعد معه عن العمل أو تنصرف عن الغاية ، فكانت ثمة عزيمة تهون أمامها جسيمات الأمور ، وكانت ثمة رسالة يحلو فى سبيلها الجهاد ويطيب الاستشهاد ؛ ومرد ذلك كله إلى قلب إنسانى كبير ونفس مطمئنة صابرة ، وبصيرة كأنما تشرف من حاضرها على المستقبل فلا تقف من دونها حجب الغيب ...

إنه اليوم كما أراد حزبه ينافس دوجلاس على مقعد فى مجلس الشيوخ فهل كان ذلك قصارى همه ؟ كلا . وما كان بعض همه أن يرق إلى كرسى الرياسة ذاته ؛ وإنما كان همه أن تتحقق مبادئه ولو بدل فى سبيلها نفسه ؛ ولن يكون مقعد الشيوخ أو كرسى الرياسة عنده أمراً ذا بال إلا أن يكون وسيلة إلى السير بمبادئه إلى حيث يعتنقها الناس ؛ وإلا فما الجاه والثراء والحكم عنده إلا من صغيرات الأمور ؛ وهو إنما ينفر من كل أولئك بطبعه الذى يعزف عن الزهو ، ويتخوف دواعى البطر ...

وإن أمثال ابن الأحراج هذا فى تاريخ البشرية لقليلون ، ولكنهم هم الذين رسموا لها طريقها ، وولوها قبلتها التى ارتضوها لها وأشاروا بأيديهم إليها ، وما كان أتعس البشرية لو أنها افتقدت هؤلاء الذين يتمثل بهم ضميرها أناساً يمشون على الأرض

قال إبراهام ذات يوم من أيام ذلك النزال « لست أدعى أيها السادة أنى غير أنانى ، ولن أتظاهر بأنى لا أحب أن أذهب إلى مجلس الشيوخ ، كلا لن آتى هذا الادعاء المنافق ، ولكنى أقول لكم إنه فى هذا الجدال الصارم ، ليس يعنيكم ولا يعنى عامة الناس من هذه الأمة ما إذا كان القاضى دوجلاس أو ما إذا كنت أنا بحيث تستمعون عنا بعدهذه الليلة أو لا تستمعون . ربما كان هذا أمراً تافهاً بالنسبة لكلينا ، ولكنه إذا اعتبر من حيث علاقته بتلك المسألة العظيمة التى ربما كان يتوقف عليها مصير هذا الشعب فانه يكون فى حكم العدم »

هذا هو ابراهام رجل المبدأ لا يعنيه أن يظفر أو أن ينهزم ، وإنما تعنيه تلك المسألة العظيمة ؛ ولن يهدأ له بال حتى تحل أو تسير فى سبيلها إلى الحل

وأنى لدوجلاس أن يقف فى وجه تلك القوة المانية ؟ أنى له أن ينال من ذلك الذى يتكلم فيخيل إلى سامعيه كأن الأخلاق نفسها تقول كلمتها . حاول دوجلاس أن يعبر مرة عن عدم المبالاة من جانبه فى مسألة العبيد فانبري له ابراهام قائلا : « إننى أبغض مثل هذا المظهر ، مظهر عدم المبالاة ... إن من شأنه أن يضعف حاسة العدالة فى دولتنا ، وإنه ليعطى أعداء النظام الدستورى السلمى شبه حق أن ينظروا إلينا كأننا منافقون ، كما أنه فى نفس الوقت يمد أنصار الحرية الحقيقيين بسبب وجيه لتشككهم فى إخلاصنا » ... وقال فى معرض آخر :

« إنكم باعتيادكم أن تطأوا حقوق غيركم إنما تفقدون بذلك حقيقة استقلالكم أنتم ، وتصبحون طعمة لكل طاغية يخرج من بينكم . دعونى أخبركم أن مثل هذا إنما يمده لكم منطق التاريخ ، إذا جاءت أدوار الانتخاب الآتية بحيث تجعل الحكم فى قضية درد سكت التالية وغيره من الأحكام أمراً يقبله الناس. إنكم تستطيعون أن تخدعوا كافة الناس ردحاً من الوقت وبعض الناس طول الوقت ، ولكنكم لن تستطيعوا أن تخدعوا جميع الناس طيلة الأبد »

بمثل هذا المنطق السائغ، وبمثل هذه العبارات السهلة الأخاذة كان ابراهام يأخذ الطريق على دوجلاس فى غير مشقة ؛ وكان الناس كأنهم يلمسون الصدق فى هذه العبارات وأمثالها ؛ وهم واثقون من نزاهة غرضه وشرف مقصده ...

ويريد ابراهام أن يصور موقف كل من الولايات القديمة والولايات الجديدة من نظام العبيد، فيصل إلى غايته فى وضوح ويسر بعبارته الآتية التى أعجب بها السامعون، قال: «إذا أنا أبصرت ثعبانا قاتلا يزحف فى الطريق فان أى رجل يقول بأن لي أن أعمد إلى أقرب عصا فأقتله ؛ ولكنى إذا وجدت هذا الثعبان فى السرير بين أطفالى فان المسألة تتخذ وضعاً آخر فانى ربما آذيت أطفالى أكثر مما أوذي الثعبان وربما عضنى ذلك الثعبان . وتختلف المسألة أكثر من ذلك إذا أنا وجدت ذلك الثعبان فى سرير أطفال جارى وكنت على اتفاق وثيق مع ذلك الجار ألا أتدخل فى شؤون أطفاله مهما يكن من الأمر ... ولكن إذا كان هناك سرير قد صنع حديثاً وأزمع حمل الأطفال إليه واقترح أن يحمل إليه عدد من الثعابين توضع مع الأطفال، فليس فى الناس من يرى أن هناك اختلافا فى أى الطرق أسلك »

ولقد عرفنا فيما سلف من خلال ابراهام قدرته على التهكم، ورأينا كيف يرشق خصومه فى ساحة القضاء بتهكماته حتى يزلزل أقدامهم، كل ذلك فى عذوبة روح وترفع عن الاساءة وحذر شديد أن يجرح إحساس أحد ؛ وها هو ذا اليوم فى مناظرته دوجلاس يعمد إلى ذلك السلاح فى مهارة يضيق عنها ذكاء خصمه وتتخلف دونها بديهته، ويذهل عندها مكره. استمع إليه كيف يسفه وسائله ويزيف آراءه، وقد رأى منه أنه غيّر رأيه وأنكر رأيا سالفا له « أقول إنك خلعت قبعتك، وإنك تثبت أنى كاذب بوضعها على رأسك من جديد ؛ وهذا هو كل مالك من قوة فى هذا الجدال » ثم انظر إليه كيف يحمل الناس على الضحك بأن يستخرج من إحدى عبارات دوجلاس ما يشبه القانون الرياضى، قال دوجلاس: « إذا كان النضال بين رجل من البيض وبين زنجى فاني أقف إلى جانب الأبيض، أما إذا كان بين زنجى وتمساح فانى مع الزنجى » فأجاب ابراهام بقوله « يستنتج من ذلك أن الرجل الأبيض من الزنجى كالزنجى من التمساح، وعلى ذلك فبقدر ما يكون من الحق فى معاملة الزنجي للتمساح يكون منه فى معاملة الرجل الأبيض للزنجى »

ولم يدع إبراهام قولاً مما ساقه دوجلاس مساق المبادئ إلا حمل عليه وكشف عما فيه من بهرج، ومن ذلك ما أعلنه دوجلاس فى مسألة نبراسكا وأبى إلا أن يسميه مبدأ سيادة الشعب ؛ قال إبراهام: « مبدأ سيادة الشعب معناه حق الشعب أن يتولى حكم نفسه، فهل اخترع ذلك القاضى دوجلاس ؟ كلا؛ فلقد اتخذت فكرة سيادة الشعب طريقها قبل أن يولد صاحب مشروع نبراسكا بعصور، بل قبل أن يطأ كولمبس بقدميه أرض هذه القارة ... فاذا لم يكن القاضى دوجلاس هو مخترع ذلك المبدأ فدعنا نتتبع الأمر لنتبين ماذا اخترع . أهو حق المهاجرين إلى كنساس ونبراسكا فى أن يحكموا أنفسهم وعدداً من الزنوج معهم إذا أرادوا ذلك ؟ يظهر فى وضوح أن ذلك لم يكن من اختراعه، لأن الجنرال كاس قد أعلن ذلك قبل أن يفكر دوجلاس فى مثله بست سنوات ... وإذاً فماذا اخترع المارد الصغير ؟ لم يخطر على بال الجنرال كاس أن يسمى اكتشافه بذلك الاسم القديم ألا وهو سيادة الشعب . أجل لقد استحى أن يقول إن حق الناس أن يحكموا الزنوج هو حق الناس أن يحكموا أنفسهم . وهنا أضع تحت أنظاركم اكتشاف القاضى دوجلاس بكل مافيه ؛ لقد اكتشف أن تربية العبيد والاكثار منهم في نبراسكا هو سيادة الشعب »

رأى دوجلاس يعمد إلى المداجاة، ويجهد أن يلبس الحق بالباطل فشبهه بنوع خاص من السمك من خصائصه أن يفرز مادة سوداء كالمداد يضل بها الصيادين، فهو لا يفتأ يرسل من العبارات الجوفاء ما يرمى به إلى التعمية وطمس الحقائق... والناس يضحكون مما يقول أبراهام معجبين به مستزيدين منه ...

ولقد رأى أبراهام فى ذلك الصراع فرصة قلما تتاح له مثلها فعول ألا يدع فى مسألة العبيد شيئاً غامضاً، وأخذ يقلبها على وجوهها فى سهولة تستهوى الألباب، تلمس ذلك فى مثل قوله عن المتمسكين بمبدأ العبيد، قال: « إن مبدأ الاستعباد عندهم يظهر لى كما يأتى: ليست العبودية صواباً من جميع الوجوه، وليست كذلك خطأ من جميع الوجوه، وإن من الخير لبعض الناس أن

يكونوا عبيداً ، وأنهم في هذه الحال يكونون خاضعين لإرادة الله ... حقـًا ما كان لنا أن نعارض مشيئة الله ، ولـكن لا تزال هناك صعوبة فى تطبيقها على بعض الحالات الخاصة ، فمثلاً لنفرض أن هناك شخصاً اسمه الدكتور روس الموقر يملك عبداً اسمه سامبو فاما نتساءل هل مشيئة الله أن يظل سامبو عبداً أم هى أن يطلق صراحه ؟ وإنا لن نظفر من الله باجابة مسرعة عن هذا السؤال ، ولن نجد في كتابه الانجيل جواباً لذلك ، أو لا نجد فى الغالب إلا ماهو من شأنه أن يثير الجدل حول معناه ... ولا يفكر أحد أن يسأل مارأى سامبو فى ذلك . وعلى ذلك يترك الأمر فى النهاية للدكتور روس ليفصل فيه ؛ وبينما هو يفكر فى الأمر تراه يجلس فى الظل وعلى يده قفازه يقتات بالخبز الذى يكسبه سامبو تحت الشمس المحرقة ، فاذا هو قرر أن مشيئة الله هى أن يظل سامبو عبداً فانه بذلك يحتفظ بوضعه المريح ؛ أما إذا قرر أن مشيئة الله هي أن يصير سامبو حرًا فان عليه أن يخرج من الظل وينزع قفازه ويكدح من أجل خبزه ؛ فهل يفصل الدكتور روس فى الأمر بما تقضى به النزاهة التامة التى لا بد منها فى كل فصل حق؟ »

وانتهى ذلك الصراع الذى اشتهر أمره ، فكان نصيب الجمهوريين من المؤيدين مائة وخمسة وعشرين ألفاً ؛ ونصيب الديمقراطيين دون ذلك بأربعة آلاف ؛ ولـكن مجلس الولاية التشريعى هو الذى كان يختار عضو مجلس الشيوخ ، وكان بهذا المجلس أربعة وخمسون عضواً من الديمقراطيين وستة وأربعون من الجمهوريين ؛ ولذلك فاز دوجلاس فصار عضو مجلس الشيوخ ! ولقـد عد انتصاره فى نظر بعض المؤرخين بعد هذا الصراع أعظم انتصار شخصى فى تاريخ أمريكا السياسى . . .

***

وهكذا يفشل ابراهام مرة أخرى فى الحصول على مقعد في مجلس الشيوخ ، ويحظى دوجلاس دونه بذلك المقعد ؛ ولـكن ابراهام على عادته لا يعبأ بهذا الفشل ، بل إنه ليستشعر الراحة بينه وبين نفسه أن استطاع أن يسمع تلك الآلاف صوته ؛ وإنه ليحس أن مبادئه قد أخذت سبيلها إلى قلوب الـكثيرين منهم على صورة طالما منى نفسه بها ، وأى شىء هو أحب إليه من ذلك ؟

لقد أصبح اسمه على كل لسان ، وصـار يعتبر من رجال أمريكا المعدودين ، وأضاف الناس فى الشمال إلى ألقابه لقباً جديداً فقالوا لنكولن « قاتل المارد » ، وطنطنت باسمه الصحف ؛ ومن ذلك ما قالته نيويورك ايفننج بوست ، « لم يصل رجل فى هذا الجيل إلى الشهرة فى قومه بمثل تلك السرعة التى وصل بهـا لنكولن فى هذا الانتخاب » ؛ وكتب إليه رجل غريب عنه يقول : « إن مثلك اليوم كمثل بيرون الذى أفاق ذات يوم من نومه ليجد نفسه ذائع الصيت ؛ إن الناس يستنبؤون عنك بعضهم بعضاً ، لقد قفزت دفعة واحدة من محام له الصدارة فى الينواس إلى الشهرة القومية »

أما هو فقد وصف شعوره يومئذ بقوله : « مثلى مثل الصبي الذى اصطدم أصبع قدمه بشىء آلمه ، فكان الألم أشد من أن يصحبه ضحك وكان الصبى أكبر من أن يبكى » ...

ولاقي إبراهام عنتاً من بعض خصومه في تبرسبرج ، فلقد أرادوا إيذاءه فتصايحوا ضده ، وأسمعوه من البذاء ما أعرض عنه إعراض المؤمنين الصابرين ... ولـكنه في أناوا استقبل استقبال الفاتحين فحمله شباب المدينة على أعناقهم والألوف تهتف به ؛ وهو ضائق بهذا يقبله على رغمه ولو أنه استطاع أن يفلت منه لفعل ذلك مسرعاً ولـكنه لا حيلة له فيه ؛ وما كان أشبهه ساعتئذ بالخليفة الثانى عمر حين صاح بقومه أن كاد يقتله الزهو !

أجل ؛ لقد تبرم لنكولن بهذا الزهو ، فما كان من شيمته أن يزهى ، ولا كان من خلقه أن يترفع أو أن يطغى ؛ بل كان لا يتزايد حظه من الصيت إلا تواضع ، ولا يعظم نصيبه من النفوذ إلا خفض جناحه وألان جانبه للناس جميعاً ، أولياؤه وخصومه فى الرأى فى ذلك سواء ...

وعاد إبراهام إلى سبرنجفيلد بعد أن قضى فى ذلك النزال أكثر من شهرين ؛ عاد إلى زوجه وأولاده فلقيته مارى راضية عنه على الرغم من إخفاقه فى الحصول على مقعد فى مجلس الشيوخ . أو ليست ترى الصحف كلها تذكر زوجها وترى أكثر صحف الشمال تطنب فى مدحه وتعده بطلاً من أبطال قومه ؟ أو ليست هذه هى النغمة التى يحلو لها سماعها ؟ وأى شىء أحلى فى قلبها وقعاً من أن ترى نفسها زوج رجل عظيم يعترف الناس بعظمته ...

وأقبل على المحاماة من جديد فلقد أنفق فى هذا الصراع من المال ما أرهقه من أمره عسراً ؛ هذا إلى أنه بانقطاعه طيلة تلك الأيام عن مهنته لم يكسب من المال شيئاً ؛ وهكذا يعود ابن الغابة إلى كدحه ليقيم أوده وأود أسرته بينما يذهب دوجلاس الثرى يرفل فى النعمة إلى وشنجطون ويجرر ذيل الخيلاء السابغ الضافى

(يتبع)

الخفيف

حديث الرمزية

للدكتور بشر فارس

حديث يأبى أنّ ينقطع سلكه ، إلاّ أنه منزّه عن الفضول واللغو لطرافته ثم لتنوع مستطرداته . ووراء الأمر ظاهرتان : الأولى انجذاب نخبة من الأدباء والقراء إلى الجديد كأنهم يفطنون أن أعواد بعض أساليب الإنشاء القائمة الآن قد شظفت أي شظف حتى إنها أمست تعجز عن حمل الثمر ؛ أو كأنهم يلمحون فى المذهب الرمزى بما قرأوا عنه — قلّ أو كثر — أداة فيها ما فيها من التأنة والاستقامة ، وإن بدت ضرباً من ضروب الافلات من قيود المنطق « الجليل » صاحب السلطان الأعلى فى التأليف والتفكير . وأما الظاهرة الثانية فاستعداد القراء لتفهّم مذهب لا يكاد يتصل بما ألفوه من الأدب العربى الحديث ، فكلنا نشأ على قراءة الهزْل الموضوعى عند المويلحى ، والتصنع اللفظى عند البكرى ، والابتداعية (romantisme حسب ترجمة الأستاذ الزيات) المفرطة حتى الازعاج عند المنفلوطى . ثم قامت بعد ذلك طرائق ، فكانت الطريقة التحليلية الواقعية فى مصر ، والطريقة التخيُّلية فى المهجر

والظاهرتان دلالة على ارتجاج الذهنية الاتباعية ، وشهادة لارتقاء شأن الاستحداث المطَّرد في الأدب . فأبْشِرْ بهما !

***

يقول الأديب الفاضل السيد كامل الشرقاوى فى الرسالة (رقم ٢٥٨ — البريد الأدبى) « والرمزية — بعد — فى الأدب العربى (المستحدث) فى أول الطريق ، فالحديث ذو شجون ولازم على من يشقّون ويوسّعون الطريق لها فيه أن يطيلوا الكلام والابانة عنها للسالكين . وما أحرى الدكتور بشر فى هذا المقام . . . أن يوالى مجلة الرسالة الغراء بمقالاته . . . عن الرمزية يوضح طرائقها ويترجم لزعمائها وقادتها ومدارسها منذ نشأتها إلى الآن توطئة لتأليف رسالة عنها بقلمه . . . »

إني أشكر للأديب الفاضل رقة كلامه وحسن ظنه بى . غير أنى أرى غير رأيه . فالذى عندى أن المنشئ المنصرف إلى الاستحداث فى التأليف يُخرج ما يُخرج ثم يقبل النقاد ينظرون فيه، ويُطلعون القراء على خصائصه ، ويدنون لهم طريقته إن هي بعدت عما خبروه ، ويسوقون لهم قصتها، ثم يبرزون لهم انحراف المنشئ من هنا وهناك عن تلك الطريقة إن هو قدر على أن يدسّ فيما يكتب ما يشف عن شخصيته . هذا وإن ظفر إنشاؤه بالقبول وجدرت العناية بطريقته، قام العلماء بتاريخ الأدب والمنقطعون للبحث فى فنونه وأساليبه يؤلفون المقالات والرسائل ، فيدفعون إلى القراء ما غاب عنهم ، ويبذلون لهم ما أشكل عليهم

والذى جرى للرمزية أنى ألّفت مسرحية على طريقتها مع شيء من الاستقلال بما نفسي إليه ترفّ وقلمي له ينساق . ثم جاء النقاد فأحست فئة منهم بغرابة الطريقة عن أذهان قراء العربية ؛ فاستهل الأستاذ صديق شيبوب النقد بالكتابة فى الرمزية (جريدة البصير) ، وأردف الأستاذ الفنان زكى طليمات النقد ببحث لطيف فيها قائم برأسه (مجلة الرسالة) ، ونشر الأستاذ أبو شهلا التوطئة التى عملتها المسرحية ذهاباً منه أنها وافية (مجلة الجمهور البيروتية) ، ونوّه بشأن هذه التوطئة الأستاذ الأب الكرملى والأستاذ الصيرفى (فى المقتطف) والدكتور زكى حسن (فى الأهرام) والأستاذ كامل محمود حبيب (فى المقطم) والأستاذ ادجارجلاد فى (Le Journal d'Egypte) ، ثم نبه الأستاذ نجيب شاهين إلى اتصال الرمزية بالتصوف وخروجها عن الوضوح التام (فى المقطم)

ثم فزّ أحد من المتخرجين فى كلية الآداب للجامعة المصرية ومن طلبة العلم فى « جامعات فرنسا » ، وإذا هو يؤلف مقالة عجيبة قد بين مبلغ اضطرابها الأستاذ محمد فهمي فى مجلة الرسالة (رقم ٢٥٦)

والرأى إذن أن للمنشئ عملاً وللناقد عملاً وللعالم ثالثاً ؛ غير أن المنشئ ربما حق عليه أن يؤلف المقالة أو الرسالة فى الكتاب الذى يخرجه دفاعاً عنه أو توضيحاً له ، وذلك ما أقدمت عليه فى مجلة الرسالة يوم آنست من جانب النقاد ميلا إلى إدراج الرمزية المستحدثة التى فى « مفرق الطريق » فى الرمزية الأولى إدراجاً لا استدراك فيه ، فشرحت يومئذ خاصية الرمزية التى فى مسرحيتى وميزتها فى تفاصيلها من الرمزية الأولى

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)



رسالة الشعر



الشعاع المقيد !! *

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

« إلى هالة الوطنية التي تتفجر أنوارها من تمثال
رسول الجهاد الأول مصطفى كامل ... وهو
يرسف في قيوده بين ظلام النسيان والجحود »

خُذْ أماناً منَ الشعاع المُقيَّدْ   فهْوَ في القيْدِ جَمْرةٌ تتوقَّدْ
مِلْء ذرّاتِهِ أناشيدُ مجْدٍ   بصداها مُحرِّرُ النيل أنشدْ
ذرّةٌ ترْعِبُ الحديدَ علَى الصّمْـ
ـتِ ! وأُخْرَى في الهوْل ترْغى وتُزْبِدُ
غلّتَهُ بالأمْسِ كفٌّ ضَلولٌ   تَنْصُرُ البَغْيَ بالحُسام المجرّدْ
شدَّ طُغيانَها عتيٌّ منَ الغرْ   بِ ، على النّيلِ كم طغى وتمرّدْ !
ملّكتهُ — والملكُ لله ! — دُنْيا   ظِلُّها عاجلُ الفناءِ مُبدّدْ
فمضى في مسابح الشّرْق كالأقْـــدار يُشْقي كما يشاء ويُسْعِدْ !
كمْ عدا فاتِكاً ! وأحكمَ أغلا   لاً عليها الرّقابُ في الشّرْق تَشْهدْ !
في « فِلَسْطين » ظُلْمُهُ أقلق الدُّنْـــيا وما هزّهُ الصّراخُ المردّدْ
وعلَى « مصرَ » كمْ أذلّ ! وأزْدَى !   وتمطّى على النُّجوم وهدّدْ !
عبقريٌّ في الخَتلِ يُدْمي ويرْتَـــد على الجرْح باكياً يتوجّدْ
كم سَقَى النيلَ مِن ضَراوتِهِ الهوْ   نَ وعيشاً من الذلّةِ أنكدْ !
وتمادَى ... فكُنْتَ يا « مُصْطفى » الهوْ
لَ على هوْلِهِ تثورُ وترْعدْ
في غباء السّنين ، والنيل مُغْفٍ   وبَنُوه من سكرَة الضّيم هُجَّدْ
قُمت كالعاصف المجلجِل تجتا   حُ فلا تنثنَى ولا تتردّدْ
تُلْبِسُ القيْدَ مِن جنانك قيْداً   حَزُّهُ في الحديدِ نقشٌ مُخلَّدْ
هتفاتٌ بِحُبٍّ (مصر) وموتٌ   في هواها ! ونشوةٌ ! وتعبُّدْ

* من ديوان (هكذا أغنى) الذي يظهر هذا الأسبوع

يريد الأديب الفاضل السيد كامل الشرقاوي أن يؤلف المنشئ « كتباً مطولة عن الرمزية تكشف عن مناهجها وما يحيط بها لا توطئات مركزة دسمة إن هي أفادت فئة من الأدباء المطلعين على الثقافات الأجنبية اطلاعاً واسعاً فهي لا تكفي مطلقاً ذوي الثقافات المتوسطة من الأدباء ، بله عامة القراء »

إن الأديب الفاضل يومئ ههنا إلى « التوطئة » التي صنعتها بياناً للمسرحية ، وقوله فيها حق ! فإني أردت أن تكون التوطئة كما يصفها الأديب الفاضل ، وإني لفرح بالنجاح إذ كنت أعلل النفس بأن أؤلف توطئة طريفة تدخل في جانب الأدب « المركز الدسم » لا توطئة مقصورة على عرض المذهب الرمزي « من الخارج » كما تقول الفلاسفة ، بأن أسود تاريخها وألم تفاريقها في أسلوب موضوعي بصبيح : « إن هذه التوطئة ملفوظة من الكتب فما هي بثمرة تأمل وروية واجتهاد »

إنما المأمول في المنشئ أن يدفع للقارئ غذاء روحانياً لا مواد كتب ، وكلما « دسم » الغذاء و« تركز » جمل المنشئ القارئ يشاطره فنه .. وتلك غاية الانشاء العالي الناهض على الروية والتأثر الدفين

فأبعد — إذن — بأدب الاطلاع وأدب التسلية !

(الاسكندرية) بشر فارس

رجع — وأما الجدل الذي أثاره الأديب الفاضل حول طريقة جبران خليل جبران فليقف عند تمسك كل منا برأيه

وَصلاةٌ بمجدِها.. كُنتَ فيها الْــعابِدَ الصَّبَّ، والشواطئُ معبدْ

وَذِيادٌ عن حُرمةِ الوطنِ الشا كى بعزم «كَنيلِه» ليس ينفدْ

وَدِفاعٌ عن الحِمى كُنتَ فيـه ما لِغيرِ الحمى تَرومُ وتقصِدْ

فارسٌ فى قَتامَةِ النيلِ تمضى بشِهاب من السَّماءِ مُؤَيَّدْ

مِشعَلٌ فى يدَيْكَ شرَّدَ بالأضـــواءِ جنحاً على الشّواطئِ أربَدْ

كُنتَ تَسرى به فتُنهضُ فانيـــنَ عليهم شيخُوخَةُ اليأس تُقعِدْ

بضِياءٍ منَ الهدَى أنعشَ الشَّرْ
قَ وطَرفُ الزَّمانِ فى « مصر » أرمَدْ

وَبيانٍ كأنه لهبُ « البُرْ كانِ » تَختارُ جَمرَه وتُنضِّدْ

كلُّ لَفظٍ منَ الصراحةِ سهمٌ فى حَشا الغاصبين ماضٍ مُسدَّدْ

هاتِ لى مِن صَداهُ نبراً لعلّى أنفثُ النّارَ من صَداىَ المغرِّدْ

هاتِهِ فالجحود وَاراه فى سجْـــن على شاطئِ الليالى مُشرَّدْ

فى زوايا النِّسْيان قبرٌ ... وذِكرٌ ...
ورَخامٌ فى الصَّمْت لهفَان مُكمَدْ

كاد يَنضو الأستارَ عنـه وينعى
أنا رَمزُ الفخار يا « نيلُ » فاشهَدْ !

أنا علَّمتُكَ الوُثوبَ على القيْـــد ! وعلّمتَنى الأسى والتنهُّدْ !

ما الذى فى الضّفاف نسَّاكَ رُوحاً
ذاقَ من أجْلكَ الرَّدى واستُشهِدْ ؟

أشيُوخٌ على الكَراسىِّ هاجُوا وَهْيَ من بَغْيهم تَميدُ وترْعَدْ؟

أمْ شبَابٌ على تُرابِكَ يمشى حول ساقيه كالأسير المصفَّدْ؟

خانعٌ فى حِماك ... ينتظرُ البَعْـث ليمضى إلى الامام وَينهَدْ

عَلّهُ..الأرزاقُ فى«مصر»رَهْنٌ بِرجاء ! وذِلّة ! وتودُّد !

كيف يُلقى بعزمه تحت نَعلَيــه وفى الذلِّ يستنيمُ ويَرْقُد !!

ما الذى فى الضفاف نسّاك يا«نيل» هَوى ذَلِك الشعاع المقيَّدْ ؟

فَنحت التِّمثال شِبراً ، عَليه تائهُ الدود فى البِلَى يتمرَّد !

وَحرَمتَ الجهاد فجراً من النُّو ر ، يُهَدِّي إلى عُلاكَ وَيُرشِدْ؟!

محمود حسن اسماعيل

صوفيـــة الفن

للأستاذ زكى المحاسنى

ما لعينيك تسموان إلي الجـــو كطير لم يلقَ فى الجو حدّا

وتبيت الدجى كأنك شبْح خافق فى ظلامه ليس يَهـدا

شُدهَ الناس من لقَاك فظنـــوك سليباً فى جاحم تتردى

ورآكَ الحبيب تدلف سهـــوان فبكّى وراح يلطم خدا

أنظـرُ الغيبَ فى مداه فلا تمـــلك عينى عن وجهه الحلوِ ردا

أسمـعُ اللحن خلفـه فأرانى
هالكاً من صداىَ أبصرت وِردا

وإذا لفّنى الظلام ترنّحْـ تُ على عِطفِه وقد نمت سُهدا

إن يقولوا إنى جننت يصيبوا فأنا قد فقدت بالعقل رشدا

والجميـــل الذى تحسر لو كا ن حبيباً لصار لى اليوم ندا

أنا روحٌ خرجتُ منّى إلى الأفـــقِ البعيد البعيدِ قد عفت قِدا

طفت فوق الربى على الزهر أحنو وتخِذت الغمائم البيض مهدا

وهفا بى إلى الجمال خيـال فتراءى فماً وعيناً ونهـــدا

والصباح النـدىُّ عطر أنفا سى وكانت لى العشيات أندى

***

أيها الفن ما تقربت من عا ليك إلا وازددت بالقرب بعدا

أنا أهـواك فى السماء وفى الأر
ض وأسعى إليك ما اسطعت جهدا

زكى المحاسنى



مجلس اسلامى أعلى بمصر

يهتم العالم الاسلامي فى سورية والعراق وإيران والهند بالكتب التى أرسلها صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر إلى رجال الدين فى الأقطار الاسلامية يواضمهم الرأى فيها على إنشاء مجلس إسلامى أعلى بمصر لينظر فى إزالة ما أحدثته العصبيات والأهواء والبدع من الفروق بين أبناء الملة الواحدة ليعود المسلمون إخواناً فى الهوى والرأى والعقيدة . وقد علمنا أن أهم أغراض المشروع هى :

(١) تقوية روابط الأخاء بين المسلمين فى جميع أنحاء العالم

(٢) إيجاد التعاون بين الهيئات التعليمية فى البلدان الاسلامية على نشر الثقافة على وجه العموم والثقافة الاسلامية على وجه الخصوص

(٣) تبسيط الكتب الدينية ليتسنى لعامة المسلمين فهم دينهم على الوجه الصحيح

(٤) تقريب وجهات النظر بين الطوائف الاسلامية حتى يشعروا بالأخوة الاسلامية التى تساعد على التناصر والتضافر والوحدة

والمفهوم أن سيتألف هذا المجلس من علماء المسلمين فى جميع الأقطار الاسلامية على اختلاف مذاهبهم ثم ينعقد بالقاهرة فى وقت معين من السنة فتعرض عليه المسائل والمشاكل والمقترحات فيضع فيها الرأى الموفق

بين مصر والمغرب

قدم القاهرة منذ أسابيع الأستاذ محمد المكى الناصرى مدير معهد الأبحاث المغربية فى تطوان حاملاً من سمو مولاى الحسن خليفة المنطقة المغربية المشمولة بالحماية الاسبانية إلى رجال الحكومة المصرية وإلى قادة الفكر بمصر — هذا الكتاب الذى يحدد الغرض من مقدمه ، ونصه :

من سمو خليفة جلالة سلطان المملكة المغربية أعزه الله وأيد أمره « الحسن بن المهدى بن اسماعيل بن محمد » :

يعلم من هذا الكتاب الرفيع قدراً ومقاماً أننا أرسلنا حامله خديمنا الأرضى مدير معهدنا الخليفى بالعاصمة التطوانية الأستاذ الدراكة الألمعى الفقيه السيد محمد المكى الناصرى مبعوثاً خاصاً من سمونا المعظم إلى مصر القاهرة رغبة منا فى أن يقوم هنالك بتأسيس مثوى خاص لبعثاتنا العلمية التى عزمنا على إرسالها إلى القطر المصرى الشقيق ، وأن يضع الحجر الأساسى لمكتب ثقافى صرف ملحق بمعهدنا الخليفى نفسه لترتكز فيه العلاقات الثقافية التى تربط بين الغرب الجديد ومصر الحرة الناهضة ، الحاملة للواء الزعامة فى العالم العربى ؛ وبالاجمال أرسلناه ليتخذ كل الوسائط المناسبة التى تجعل نخبة مواطنينا المغاربة على اتصال تام بالنهضة العلمية الكبرى التى أمد الله بها وادى النيل المحبوب ، وليفسح المجال لمعهدنا الخليفى حتى يبلغ فى ميدان المعرفة أقصى ما يمكنه من كمال . فالرجاء من رجال الحكومة المصرية الموقرة ، ومن قادة الفكر المصرى المباقرة ، أن يساعدوا مبعوثنا الخاص حامل هذا الكتاب السامى على مهمته الثقافية المجردة ، وأن يتفضلوا فيقابلوه بما هو أهله من العطف والتأييد والتقدير . أبقاهم الله تعالى لخير العروبة ومجد الاسلام ، وحفظهم الله ذخراً للكنانة حتى يحرسوها على الدوام ، والسلام

تطوان فى ٢٨ محرم عام ١٣٥٧

وقد قدم الأستاذ المكى هذا الخطاب الملكى إلى صاحب المعالى الدكتور هيكل باشا وزير المعارف فصرح له بما يأتى :

« إن مصاير الأمم التى تتكلم اللغة العربية متحدة تمام الاتحاد من الوجهة الروحية ، ولذا فانا نغتبط كل الاغتباط بربط العلاقات

الثقافية مع جميع البلاد الشقيقة ، وليس هذا الاتجاه اتجاه حزب من الأحزاب ، بل هو اتجاه جميع الحكومات المتعاقبة فى مصر فهو اتجاه ثابت دائم . ونحن مستعدون كل الاستعداد لمساعدة المغرب الأقصى فى جميع ما يطلب من الناحية الثقافية سواء بارسال المدرسين المصريين إلى مراكش أو بقبول البعثات المغربية فى مصر . وإني لأغتبط بالموافقــة على مطالبكم التى قدمتموها للوزارة ، وكونوا مطمئنين إلى أن مصر ستقوم بأكثر مما تنتظرون منها »

وقد تم الاتفاق بينه وبين وزارة المعارف على إيفاد بعثــة مغربية إلى مصر لا يقل عدد طلابها عن العشرين للدخول فى المدارس والمعاهد المصرية ، وإيفاد بعثة من الأساتذة المصريين تنتدبهم الوزارة للتدريس فى المدارس المغربية . وسينفذ هذان المشروعان اعتباراً من بدء السنة الدراسية الجديدة

معهد للثقافة الإسلامية فى اليابان

تقدمت الثقافة الاسلامية فى حكومة اليابان خطوة أخرى فتألف فيها معهد رسمى للثقافة الإسلامية . والغرض منه تعريف البلاد الإسلامية والشرقية أحوال تلك البلاد وعاداتها وطبائع سكانها وتنمية الروابط الثقافية والأدبيــة بين اليابان والبلاد الإسلامية كافة

وقد تلقينا العدد الأول من مجلة يصدرها هذا المعهد باللغة العربية جاء فى مقدمته عن أغراض المعهد والمجلة ودعوتهما للبلاد الإسلامية ما يأتى :

« إن الأمم الإسلامية التى اكتسبت فضائلها النفسية من محاسن الدين الاسلامى الحنيف لابد لها أن تطرب لهذا الصوت الذى يناديها من أقاصى الشرق طالباً منها المعونة والتأييد لتحقيق غرض مشترك سام يجلب الخير والبركات لا على اليابان والشعوب الاسلامية فحسب ، بل على العالم الانسانى بأسره

إن أملنا بشعور هــذا العالم السامى الحى وطيد بأنه سيتقدم نحونا بنفس الشوق الذى نتقدم نحن به إليه للعمل جنباً لجنب فى إنشاء عالم جديد يسوده السلام ويغمره الخير فى آسيا يعيش الجميع فى ظلاله بصفاء ووئام ويتمتع الكل بالراحة والنعيم المنشود والرخاء

إن هــذه المجلة ستعنى عناية خاصة فى أن تجعل نفسها همزة الوصل بين اليابان والاسلام وشعوبه ليعرف كل منهم الروابط الثقافية والودية ليتم التفاهم على أساس صحيح . وفى ذلك الخير للجميع والله ولى التوفيق »

التعاون العلمى بين مصر والأقطار الشرقية

تألفت فى دمشق هيئة أطلق عليهــا اسم « المكتب العربى القومى » ، ومن أغراضه توطيد صلات العلم والثقافة بين البلاد العربية المختلفة

وقد طلب هذا المكتب إلى وزارة المعارف إمداده بما يصدر عن الجهات الرسمية العلمية والثقافية من مؤلفات وكتب وقوانين إلى غير ذلك لضمها إلى مكتبه

وقد كتبت وزارة المعارف إلى وزارة المالية تطلب إليها رأيها فى هذا الطلب ، ذاكرة فى هذا الصدد أن ما يطلبه المكتب المشار إليه لا يكلف الحكومة شيئاً يذكر

رحلة علمية لدرس طرق القوافل

من أنباء لندن أنه وصل إلى ميناء سوثمبتون المستر سمبتش والمستر مور من الأمريكيان ثم ســافرا إلى الاسكندرية بالطائرة « كابيلا » . وسيقومان برحلة تستغرق ثلاثة أشهر من النيــل إلى دجلة والفرات يتفقدان فى خلالهــا طرق القوافل القديمة ويقارنان بينها وبين طرق النقل الحديثة التى تستعمل اليوم

سفر بعثة علمية ألمانية من كوبنهاجن الى جرينلند

من أخبار برلين أن بعثة علمية ألمانية سافرت أخيراً على الباخرة « جرترودراسك » من كوبنهاجن إلى جرينلند للقيام بمباحث جغرافية وجيولوجية ونباتية وحيوانية وقد وردت منها البرقية الآتية : « لا يوجــد الآن جليد على سواحل جرينلند الشمالية . وقد نزلنا إلى البر بكل راحة والطوالع حسنة للقيام بأعمال مثمرة والجميع فى خير حال »

الاستكشافات القطبية

تلقت وزارة الخارجية دعوة موجهة للحكومة المصرية ، للاشتراك في مؤتمر دولى خاص بالاستكشافات القطبية ســيعقد

فى مدينة برجن عاصمة النرويج فى ١٥ مايو إلى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٠

وقد أحالت وزارة الخارجية تلك الدعوة إلى الوزارات المختصة للوقوف على رأيها فى هذا الشأن ، وستعرض أيضاً على لجنة المؤتمرات والمعارض فى اجتماعها القادم

العالم العربى كما تصوره جريدة انجليزية

نشرت جريدة إيكونومست مقالا رئيسياً بحثت فيه أحوال العالم العربى وأشارت إلى الاقتراح القائل بوجوب عزل فلسطين عن جوارها بسياج من الأسلاك . لكنها أوضحت أن فلسطين غير قابلة للعزل على الاطلاق ، لأنها محاطة من كل جانب بالعالم العربى ، وما من حاجز مادى يستطيع أن يمنع مليون عربى مقيمين فيها من الشعور والتفكير والعمل بالاتفاق مع أربعين إلى خمسين مليون عربى يعيشون فى مناطق واسعة من الأرض الداخلية

ثم قالت إن اللغة العربية هى اللغة الوحيدة فى ذلك الفضاء الواسع ، بل هي أم اللغات الشائعة بين الأهالى الحاليين فى آسيا الجنوبية الغربية وأفريقيا الشمالية ما خلا بضع جزائر غريبة اللسان باق بعضها من الأزمنة السابقة لعهد العرب

فما هي الآمال القائمة اليوم فى بعض الصدور ؟ هل النزلاء الأوربيون الذين حلوا أخيراً فى مملكة العرب القديمة سيزيدون عدداً حتى يملأوا الأرض التى كانت إلى الآن عربية ؟ وهل يدفعون سكانها العرب أنفسهم على تخلية المدن والقرى والرجوع القهقري إلى الصحراء الجرداء القاحلة ؟

لا شك أن فى الدنيا بعض الصهيونيين يحلمون فى أن يجعلوا اللسان العبرانى لسان الشرق من حيفا إلى تل أبيب على الطرف الغربى من الصحراء السورية ، كما يوجد أيضاً بعض الفرنسيين الذين يحلمون مثل هذا الحلم ويرجون نقل لغتهم الفرنسوية من وهران والجزائر إلى الطرف الشمالى من الصحراء الأفريقية وتحويل من هنالك من البرابرة الذين لم يصيروا عرباً حتى الآن إلى فرنسيين

فهل هذه الأحلام الأوربية بالتوسع المظيم على نفقة العرب تخيلات وهمية أم سياسة عملية ؟

إن الرد على هـذا السؤال يتوقف على كيفية تأثر العرب بهذا الاندفاع الأوروبى . ان اشتراك اللغة وحدها لا يترتب عليه اشتراك فى الشعور الاجتماعى ولا اشتراك فى الغايات ولا فى الأمانى . وقد كان العرب حتى الآن متباعدين . ويستدل على عدم تضامنهم باختلاف الألوان الكثيرة على خريطتهم الجغرافية

فان فى العالم العربى اليوم أربع دول : السعودية واليمن والعراق ومصر ، مستقلة استقلالاً تاما ، وثلاثا على مقربة من الاستقلال وهى سوريا ولبنان وشرق الأردن ، واثنتين ممنوعتين من الاستقلال مكرهتين على قبول نظام الحماية الفرنسوية وهما : تونس والمغرب الأقصى ، وثلاثا محكومات فعلا بصفة مستعمرات مع أنهن فى الواقع ذوات أحكام مختلفة . ففلسطين تحت الانتداب البريطانى ، والسودان تحت السلطتين الانجليزية والمصرية ، ولوبيا تحت السلطة الايطالية . وأخيرا الجزائر فان فيها ثلاث مقاطعات معدودة فرنسية كأراضى فرنسا الأصلية .

« وهكذا نرى العالم العربى فى حالته الحاضرة لا يختلف عن أيام الصليبيين . بل إن الخريطة الحاضرة تشبه خريطة تلك الأيام إلى درجة مدهشة

ففى تلك الأيام كانت فلسطين وتونس كما هما اليوم النقطتين العربيتين اللتين رسخت فيهما قدم الغزاة الأوربيين ، وكانتا كما هما اليوم تقطتى الخطر المميت . ومنهما انبعث قبلا كما ينبعث اليوم النداء العـام إلى تعاون العرب الذي كان محسوبا مستحيلا وقتئذ كما هو محسوب الآن .

ان النورمان أخرجوا من تونس بقوة منقذين أقبلوا لنجدتها عليهم من المغرب الأقصى . وصـلاح الدين الأيوبى استطاع وقف الحملة الصليبية الثالثة بقوات متحدة تحت سيطرته من سوريا والعراق ومصر .

فهل ترى التاريخ يعيد نفسه ؟ ـ إن الأدلة التى تشير إلى ذلك عديدة .

نداءات الباعة في القاهرة

في العـدد الأخير من مجلة مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن بحث قيم طريف عن نداءات الباعة في شوارع القاهرة تحت عنوان A Selection of Cairo's Streets Ories وهو ما يسمعه الجالس على المقاهي أو الجائل خلال شوارع القاهرة ودروبها وأزقتها من مختلف النداءات التي يحاول الباعة أن يجتذبوا الجمهور بها إلى بضائعهم ، والتي يبذلون غاية جهدهم في تنميقها حتى تكون مشوّقة ، وهـذا البحث جديد في بابه لم يلتفت إليـه أو يُعْنَ به أحد قبل كاتبه مستر Heyworth Dunne ، فهذا المقال الطريف بمـا حوى من مختلف النداءات التي تقرب من مائتي نداء تصور جانباً من الحياة النفسية في القاهرة للباعة المتجوّلين ، ويطلّ القارئ منها على أساليب العيش في مصر ، إذ أنها تمثل صميم الحياة الاجتماعية ، ويذكرنا هـذا البحث بكتيب صغير الحجم ألفه أحد الأمريكيين منـذ أمد غير بعيد وقدمه رسالة لجامعة كاليفورنيا بأمريكا تناول فيـه الأمثال الدارجة عند أهل الشام وترجمها إلى الانجليزية وعلق عليها ، فمنحته الجامعة لقب دكتور في الآداب

وعلى ذكر مجلة اللغات الشرقية نقول إن هـذه المجلة إحدى نشرات جماعة المستشرقين القيمة التي تعنى بالدراسات الشرقية على وجه العموم ، فنلتقي على صفحاتها أقلام أعلامهم ، متناولة شتى جوانب الحياة الشرقية والتفكير الشرقي ممثلين في آدابه ودياناته وحركاته الاجتماعية ، ولقـد ظل الأستاذ سير دينسون روس أستاذ اللغة العربية بجامعة منشستر محرر هذه المجلة منذ نشأتها حتى العام المـاضي ، ثم تولاها من بعده الأستاذ تبرز وهو من أفذاذ المستشرقين الانجليز





التجديد في الشعر

ارجوحة القمر

للشاعر اللبناني صلاح لبكي

للأستاذ فليكس فارس

لا أحب هؤلاء المدعين التجديد في الانشاء المرسل والشعر المرسل الذين يحسبون أنهم يجيئون بالعجب العجاب إذا هم قلبوا أوضاع اللغة وتصرفوا بلهجاتها وروعة اتساقها، فكأن تفكيرهم وشعورهم لا يقويان على الظهور إلا إذا خلقوا لنا لغة جديدة تقوى على اقتناص شوارد الخيال وجامحات التفكير فيهم؛ وكأن البيان العربي الذي اتسع لأقدس وحي وأروع إلهام، قدفقد روحه وانحطم جناحاه في هذه الأيام

لا ريب في أن لشاعر الحضارة ما لم يكن لشاعر البداوة من الانطباعات الذهنية والتأثر؛ ومن وقف عند القديم في مجال التصور والانفعال كان مقلداً يجره البيان إلى المعنى إذ لا يملك تحكيم معناه ببيانه

نحن اليوم في مرحلة يتنازع فيها إلهام الشاعر قوتان: قوة تفكيره وشعوره في بيئة تختلف عن البيئة التي ألهمت الشعراء الأقدمين، وقوة الأسلوب العربي الذي لا يسلس قياده إلا لمن اهتدى إلى مواضع المرونة في قوته

إن من الشعراء الذين وفقوا إلى حد بعيد في إلهامهم وبيانهم الأستاذ صلاح لبكي وهو ابن المرحوم نعوم لبكي صاحب جريدة المناظر (جدة صحف المهجر) الذي قضى حياته محلقاً في أجواء السياسة والأدب فما جاراه إلا العدد القليل في أوائل النهضة بلاغة وجراءة وإخلاصاً. وقد طوى جناحيه في أواخر أيامه على صخرة جرداء كانت كرسياً لأول رئيس للمجلس النيابي في لبنان

والأستاذ صلاح محام لامع قدير لم ينضب القانون معين شاعريته، فالشاعرية الأصيلة كدوحة السنديان تنشب أصولها في كل تربة وتتغذى حتى من الصخور

وقد نشر مؤخراً في ديوان صغير بعض مقطوعات تعد بحق من نماذج التطور الذي لم يضل سبيله في الشعر العربي فاسمعه يقول في مقدمته:

ورب شعر نام عنه القضا ... من جيل بعد أجيال
يحمل مني زفرة مرة ... مرثاة أحلامي وآمالي
ردده عني فتى لم تدع ... منه الرزايا غير أسمال
مستأنساً بي جاهلا من أنا ... إني أخو الباكين أمثالي

وإذا ما وصلت إلى مقطوعة العاصفة فاقرأها كلها فهي ستة أبيات تقرأ فيها قصيدة طويلة

إسمعي الإعصار يدوي في الجبال ... إسمعي للغاب أنات طوال
إسمعي كم طائر تحت الظلام ... تائه بلله القطر السجام
يتوخى مأمنا حتى الصباح ... من ثرى ينجيه من كف الرياح
إفتحي الكوة في وجه السما ... وانظريها لبست ثوب الشقاء
وتوارت رهبة خلف الغيوم ... بعد أن أطفأت الريح النجوم

أغلقي الكوة في وجه الرياح

للصباح

خبئي رأسك في صدري ونامي

يا غرامي

وعند ما تستوقفك قصيدة تشويق بمقدمتها الصوفية فاتل منها بصوت مرتفع هذه الأبيات لتشرك أذنك بما يتمتع به تفكيرك وشعورك من روعتها وسلاستها

رب يوم تمشين فيه إلى مغـ ... ـرب عمر الحياة دون رجاء
يلفح الريح في طريقك والقر ... ويرسو عليك هم الشتاء
وتصيرين والضحى كبقايا ... علم رث تحت ستر الخفاء
نسجوه لكل مجد فلم يخـ ... ـفق بجو ولم يصن بدماء
وتبيتين دون ذكرى غرام ... كان دفء الصبا عجوز شقاء
فتعالي إني فرشت لك الحب ... وعطرت بالحنان هوائي
نتساقى الهوى ونذخر للتذ ... كار نوراً لساعة الإمساء
حينما لا نعود نسكر بالحب ... ويمسي التذكار كل العزاء

فليكس فارس

الحروب الصليبية (*)

فى نهاية العصور الوسطى

تاليف الدكتور عزيز سوربال

الدكتور عزيز سوريال عطية أحد القلائل — بين المؤرخين العالميين — الذين كرسوا جهودهم لدراسة الحروب الصليبية فى عهدها الأخير، ولإيضاح الصراع الهائل الذى كان بين الشرق والغرب إبان العصور الوسطى، والذى كانت تذكي حماسته عوامل مختلفة بعضها مادي وبعضها روحى. ولقد أصدر منذ بضعة أعوام كتابه عن «حرب نيقوبوليس الصليبية» فاق من تحبيذ الهيئات العلمية والجامعات الأوربية ما دفع مؤلفه للسير في هذا السبيل الشائك برغم ما يعترض سبيل الباحث من عقبات كأداء تكاد تصرفه عن متابعة البحث فى تلك الناحية

واليوم يفاجئ المؤلف المصرى باحثي التاريخ بكتاب آخر يضمه فى مصاف أقطاب مؤرخى هذه الناحية الصعبة الولوج، إذ أصدر فى الشهر الغابر كتابه الثانى الضخم «الحروب الصليبية فى نهاية العصور الوسطى» فى قرابة ٦٢٠ صفحة من القطع الكبير، أصدرته مطبعة ماثيون فى انجلترا فى طبعة أنيقة، ولقد شمل الكتاب من اللوحات الفنية الملونة وغير الملونة عدداً لا يستهان به، وقد نقلت هاتيك اللوحات من المخطوطات الأصلية الموجودة فى المتحف البريطانى ومكتبة الفاتيكان بروما وليدن وغيرها من مكاتب أوربا، ولا مشاحة في أن هذه اللوحات تعين القارئ على تفهم كثير مما يلقاه فى ثنايا هذا السفر الضخم، كما أضاف المؤلف لكتابه خرائط عدة منقولة عن مخطوطات الرحالة التركى بيرى رئيس، الموجودة فى مكاتب برلين ودرسدن، ولاشك فى أن الدكتور عطية قد ذلل للقارئ السبيل بما قدمه له من خرائط رسمها بنفسه حتى يتفهم المرء من غير عسر مضمون أبحاث هذا الكتاب

وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام كبيرة، استعرض المؤلف فى أولها تاريخ الشرق والغرب من حيث الحروب الصليبية وعلاقتها بالتاريخ العام فى تلك الفترة، وشمل ثانيها تحليلاً للأصول الأوربية فى الدعاية لهذه الحروب ومشروعاتها المختلفة، وألمّ المؤلف فى ثالثها بموقف الشرق بما فى ذلك أمم التتر والطوائف المسيحية الشرقية إزاء الحروب الصليبية؛ أما الأخير فيفصل تاريخ الحملات الصليبية نفسها واحدة فواحدة. كل هذه المباحث فى عشرين فصلاً، أضاف إليها الدكتور ع. س. عطية خمسة ملاحق منها ما هو منقول عن مخطوطات لاتينية لم تنشر بعد، ورأت النور لأول مرة على صفحات الكتاب، ومنها ماهو تحليل لما اكتشفه المؤلف من رسائل سلاطين المماليك فى ذلك العهد النائى لملوك أرغونة، وينتهى الكتاب بفهرس للمراجع الخطية والمطبوعة من عربية وتركية ولاتينية وفرنسية وانجليزية وإيطالية وألمانية. الخ

ولقد جاء فى تقدمة الناشرين: «إن مؤلف هذا الكتاب الهام — الذى برهن على مقدرته في تناول البحث بمجلده السابق عن حرب نيقوبوليس — يستعرض اليوم فى كتابه الحاضر ذلك التاريخ الذى تعتبر نيقوبوليس آخر فصل فيه، ونحن نعتقد أن المشاق التى تجشمها فى هذا الصدد قد أسفرت عن عمل ذى قيمة علمية عظمى، ولقد واصل المؤلف سلسلة دراساته لهذه الغاية فى المخطوطات» العربية بقارتى أوربة وأفريقية، وهو إلى جانب إجادته لأحدث طرق البحث العلمى فى أوربة، فإنه يتكلم الانجليزية كأنها لغته الأصلية، ومن ثم كانت نتيجة بحوثه سفراً علمياً دقيقاً، وهو بالاضافة إلى كل هذا صورة حية للكفاح بين الشرق والغرب فى القرن الرابع عشر، وتصوير لحال العالمين الإسلامى والمسيحى فى ذلك العهد السحيق. ومن ثم لم تكن ثمت مندوحة عن هذا الكتاب للمؤرخ والسياسى ولكل مشتغل بدرس الشؤون العالمية وتفهم أصول الصراع الحاضر فى شرق البحر الأبيض المتوسط» هذه هى كلمة الناشرين، أما نظرية المؤلف فتتلخص فى أن الحروب الصليبية لم تنته بسقوط عكا — وهى آخر حصن للصليبيين — فى يد المسلمين عام ١٢٩١، وإنما بقيت هذه الحركة قوية حتى سنة ١٣٩٦، يدل على ذلك الاهتمام الشامل فى أوربا بأمر غزوة بيت المقدس والحروب التى قامت بها الدول ضد المسلمين فى مصر وشمال إفريقية وسورية وتركيا، فكأن المؤلف بذلك ينفى الفكرة التى شاعت بين المؤرخين فى هذه الناحية حتى وقتنا هذا، وهو بذلك يضع أساساً جديداً لاستعراض تلك الدراسة. ومن رأيه أيضاً أن نتيجة هذه الحركة قيام الامبراطورية المصرية بالقضاء على ملك المسيحيين بالبحر الأبيض المتوسط وتوغل الأتراك فى أوربا نفسها

والمؤلف المصرى جدير بما أحلته إياه جامعات أوربة وتسابقها فى الاحتفاء به، وهو بعد كل شىء فخر لمصر فى عالم البحث والتحليل

* Or Aziz S. Atiya : The Crusade in the Later Middle Ages (Methuen) 30

عصفور من الشرق

تأليف الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ علي الطنطاوي

الأستاذ توفيق الحكيم أكبر أدبائنا القصصيين . لا يكاد ينازع فى ذلك أحد ، ومن أكثر الأدباء إنتاجاً وأخصبهم قريحة . عالج أنواعاً من القصة فوفق فيها وأتى بالمعجب المطرب، ومن ذلك قصته الأخيرة « عصفور من الشرق » التى فرغت من قراءتها الآن ، فأحسست كأنى كنت في جنة سحرية ، ثم هبطت إلى الأرض ، وتمنيت لو طال نفس الأستاذ فيها حتى ما تنتهى .

وأكبر ما أعجبنى فيها هذه النظرة إلى الغرب وماديته ، وهذه القولة الجريئة فى بيان حقيقة الغرب وتخلفه فى ميدان الروح ، على سبقه فى مجال المادة، تلك التى لو قالها غير الأستاذ توفيق الحكيم لاتهمه هؤلاء المفتونون بالغرب من شباننا بالجمود والرجعية وما إلى ذلك من الألفاظ التى حفظوها حفظ الببغاوات ، وما فتئوا يرددونها ترديد الحاكي ، فلما قالها الأستاذ الحكيم وهو الذى يعترفون بأدبه ، ويقرون بسمو منزلته ، ويتمثلون بأقواله ، سكتوا ولكن على مضض . وهذه ميزة كبيرة للقصة ترتفع فيها إلى صف القصص العالمية التى لم تنشأ لمجرد اللهو ، ولا لإمتاع القارئ بالجمال الفنى ، وإنما جمعت إلى الجمال الفنى نظرة تحليلية إصلاحية عميقة ؛ غير أنى أخذت على القصة أشياء ، منها ما يتصل بالفن ، ومنها ما يمس الدين ، ومنها ما يعود إلى اللغة . أسأل عنها الأستاذ الكبير ، ليوضح منها ما خفى ، ويفتح ما استغلق

أولها : إن القصة تكاد تكون مؤلفة من حلقات ثلاث لا صلة بينها إلا صلة محسن الذى يمر فيها جميعاً ، أندره وأمه العجوز وزوجها الهرم ، ودارهم التى وصفها المؤلف وبيّن أنه لا مورد لشيخى الدار إلا ما يأتى من محسن ، وبدا للقارئ أن بين محسن وأهل الدار أكثر مما يكون بين مستأجر وبين أصحاب المنزل . فلما انتقل محسن إلى المنزل ، انقطع الحديث عن والدى أندريه وعن منزلهما ، على حين أن القارئ يتشوف للعودة إلى حديثهما ، وما كان من أمرهما بعد انتقال محسن

والحلقة الثانية : سوزى التى أحبها محسن وشغف بها ثم انتهت العلاقة بينهما على هذا الشكل ، ولم يرجع لها فى القصة ذكر ، مع أن القارئ يحب أن يسمع شيئاً عنها ويعجب من محسن هذا الذي كان مستهاماً عاشقاً ، لا يفكر إلا في هذه التى يحبها ، كيف ينساها أبداً ولا يجرى اسمها على لسانه ولا تمر صورتها فى جنانه ، ولا يبقى لها أثر فى نفسه ؟ ما هكذا عهدنا المحبين يفعلون ، فأى حب هذا ؟

والحلقة الثالثة : إيفان الذى أنطقه المؤلف بأصح الآراء وأعمها فى حضارة الغرب ومذاهبه الفكرية ، وهى حلقة منفردة عن الحلقتين ، ولكنها حلقة مفرغة ، ليس فيها نقص ولا خرم

أما ما يتصل بالدين ، فهو أن الأستاذ ينظر إلى السيدة زينب نظر المسيحيين إلى القديسين والشفعاء ، فيسميها حامية ، وينسب إليها الضر والنفع ، ويطلب منها ويتوسل إليها ؛ وهذا كله يخالف لروح التوحيد الذى جاء به الاسلام ، فليس فى الاسلام حماة ولا وسطاء بين الله وعباده ، ولا ينفع ولا يضر إلا الله ، وإذا كان الله يقول لرسوله الأعظم : (ليس لك من الأمر شيء) وإذا كان النبي يقول لابنته فاطمة : (يا فاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئاً) فماذا تصنع السيدة زينب للأستاذ الحكيم ؟ وكيف تحميه من الله الذى لا يشفع عنده واحد إلا بإذنه ، فهل أذن لها الله بحماية الناس ، أم إن من الناس قوماً (شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ؟

أما ما يعود إلى اللغة ، فشيء يعرفه الناس من لغة الأستاذ ، لا حاجة إلى بيانه

هذا وإنى أهتبل هذه الفرصة لأرفع إلى الأستاذ الكبير تحياتى وإكبارى

علي الطنطاوي

6 me Année, No. 260

Lundi - 27 - 6 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٦٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ — ٢٧ يونية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

المعرفة ســـيادة

للأستاذ عباس محمود العقاد

المسافة بين منشية الاسكندرية ومحطة الرمل قصيرة ، ولكنها على قصرها تريك من أى طريق سلكتها عظم المسافة بين الأمم التى تسود والأمم التى تساد

عشرون أو ثلاثون مكتبة فى هـذه الطريق بين فرنسية وانجليزية وإيطالية ويونانية ، وفيهامن الكتب الأدبى والقصصى والفلسفى والعلمى وكل ما يبحث فيـه الباحثون ويصنف فيه المصنفون

والبلاد عربية ، فأين هى المكتبة العربية بين جميع هـذه المكتبات ؟

لا ترى هناك مكتبة واحدة ؛ وإن رأيت بعض الكتب العربية فقد تراها معروضة فى إحدى الوجهات الأفرنجية فرعاً من الفروع الصغيرة ، لا أصلا من الأصول الكبيرة التى تتشعب عليها الفروع

لم هذا ؟

أَلِأن الأسكندرية مدينة تجارية كما يقولون فلا شغل فيها للمصريين غير التجارة والسوق ، وغير البضاعة والأسمار ؟

الفهـــرس

إن كانت التجارة صارفاً عن الثقافة فالأجانب فى الاسكندرية تجار أو عاملون فى التجارة ، ولعلهم هم القابضون على أزمة السوق وهم الظافرون منها بحصة الأسد ، وما من أجنبي فى الاسكندرية إلا وهو طالب مال ومشتغل بحرفة من حرف الاتجار والصناعة . فلم كثرت الكتب الافرنجية وقلت الكتب العربية فى المدينة ؟؟

أم هى كثرة الصحف والمجلات كما يقولون قد صرفت المصريين عن دراسة الكتب إلى لهو القراءة وتزجية الفراغ ؟

ليس هـذا أيضاً بصالح لمذرة ولا لتفسير ، فإن الصحف والمجلات الأجنبية التى تظهر فى القاهرة والاسكندرية ، أو ترد إليها من لندن وباريس ورومة أكبر عدداً وأوسع انتشاراً من صحفنا ومجلاتنا العربية ، وهى مع هذا لا تصرف القراء عن مطالعة الآداب ومتابعة العلوم والأخذ بالنصيب المطلوب من الثقافات والفنون

لا هـذا ولا « الأمية » سبب معقول لشيوع الكتب الأفرنجية وندور الكتب العربية فى عاصمة القطر الثانية ، أو فى عاصمة الثقافة الشرقية على عهـد من عهود مصر الغابرة ، فان العارفين بالقراءة من المصريين فى الاسكندرية لا يقلون عدداً عن العارفين بالقراءة فيها من النزلاء والغرباء ، وإن كان فرق بينهما فى العدد فليس هو الفرق الذى يكون بين صفر وثلاثين

إنما الفرق الصحيح هو فرق بين أمم تسود وأمم تساد

أو هو فرق بين من يطلبون المعرفة شوقاً واستطلاعاً ، ومن يطلبونها تكليفاً واتباعا ، لأن التكليف فرض على المسودين حتى حين يعرفون

بل هو فرق بين النفس التى يبقى فيها جانب يطلب الغـذاء بعد أن تشبع المعدة بالخبز والماء ، وبين النفس التى يشبع منها كل جانب حين تمتلىء الأحشاء بالطعام والشراب

وذلك هو الفرق الصحيح لا مراء

* * *

وفى الطريق من مصر إلى الاسكندرية على جانب الصحراء أديرة قديمة نعلم عنها من كتب الأجانب ما لسنا نعلم من الكتب العربية جماء

ذهبت إلى الاسكندرية ومعى كتاب ضخم بالانجليزية عن هذه الأديرة يقع فى نيف وخمسمائة صفحة كبيرة بين كتابة ونقوش

لمن كتبه الكاتب ؟

وماذا يعنى القراء مما كتب ؟

كتبه للمعرفة ، ويقرأه القراء للمعرفة ؛ وليس من سبب غير المعرفة يساوى الجهد المبذول فيه والثمن المقدور له والوقت الذى انقضى فى تحضيره وتأليفه وضبط نقوشه ورموزه وتواريخه

أما هذا السبب فلعله آخر الاسباب التى تدفع الجمهرة عندنا إلى فتح كتاب ، فضلاً عن تأليف كتاب

* * *

من يطلب المعرفة لفائدة يحصرها فى المأكل والملبس والمسكن وما هو فى حكم الطعام واللباس والبيوت ، فإنما هو مسوق إلى ما يطلب ، وإنما هو عبد فى جهله وعبد فى معرفته على السواء

ومن يطلب المعرفة لأنها المعرفة ، فذلك هو السيد وتلك هى السيادة ؛ وحسبه أنه هو يريد أن يعرف ثم تأتى الفائدة فى الطريق ، وليس ؛ يراد على معرفة شىء كما يراد على جهله ، لأنه مسوق بسلطان الضرورة القاهرة إلى ما يريد

ولست أعنى بسيادة العارف أن المعرفة سلاح فى يديه يصل به إلى السيادة كما يصل المرء إلى السلطان بالسيف والمال والحيلة

كلا . فلو كان كل ما فى المعرفة من سيادة أنها كالسلاح فى هذا المطلب لكانت أداة تؤدي إلى غيرها ولم تكن غاية تتأدى إليها المقاصد وتنتهى إليها اللبانات

ولكنما عنيت أن طلب المعرفة للمعرفة هو هو السيادة ، وهو العلامة على أن الانسان « سيد » ، يفهم ما يفهمه لأنه طبيعة فيه ووظيفة من وظائف عقله وتكوينه ، لا لأنه مغرى به إغراء الطمع ، ولا لأنه مسوق إليه سوق الاجبار والاكراه

لم تعرف النفس ؟

الا تسأل : لم تنظر العين ؟ ولم تسمع الأذن ؛ ولم يشم الأنف؟ ولم تدرك الحواس ؟

إن العين لا تنظر لسبب غير أنهـا حاسة فيها قوة النظر ، والأذن لا تسمع لسبب غير أنها حاسة فيها قوة السماع ، وكذلك الأنف وكذلك كل حاسة فى الانسان أو الحيوان

فما بالنا نبتغى سببا للعقل أو للبصيرة حين يدركان ويعرفان ؟ لماذا تنظر العين لغير علة ولا مطمع ولا فائدة ، ثم نأبى على العقل أن يدرك ما يدرك إلا للعلل والمطامع والفوائد ، وإلا لهذه العلل

والمطامع والفوائد التي نحصرها في أضيق الحدود وأقرب الحاجات

لأحرى بنا أن نسأل : لماذا يحجم العقل عن المعرفة ، وأن نسأل لماذا تحجم العين عن النظرة ، وأن نسأل لماذا تعجز الحواس عن الادراك

عندئذ نفهم الجواب ولا يطول بنا العناء في فهمه ، فذاك أن الحواس عاجزة مكفوفة ، وأن العين عمياء ، وأن العقل معدوم أو ضعيف

أما أن نسأل لماذا يعنى العقل بالمعرفة فذاك هو اللغو والفضول، وذاك هو السؤال الذي يشبه سؤالنا : ما بال العين تقع على ما تراه ولا تنحرف عنه ولا تأبى النظر إليه

حسب الشيء أنه يرى ليكون ذلك حقاله في رؤية العيون

وحسب الشيء أنه يعرف ليكون ذلك حقا له في معرفة البصائر والعقول

فان جعلنا للمعرفة ثمنا من الحطام أو ثمنا مما يشبه الحطام فهي إذن معرفة اضطرار أو معرفة عبيد وأتباع ؛ وهي إذن شيء وطبيعة السيادة شيء ، ولو نجح صاحبها في السيطرة على الآخرين كما ينجح الجبان في يده الدفع وخصمه أعزل من السلاح

قال الأستاذ طمسون عن آراء أرسطو في علم الأحياء ما معناه: إن الفضل كل الفضل للفيلسوف الاغريقي العظيم أنه شعر بالحاجة إلى مراقبة الحشرات والأسماك في الحاجات، وفهم أن تقييد حركاتها وتسجيل ولاداتها ونحوها معرفة تحسن بالحكيم ؛ وليس الفضل أنه أتى بآراء في علم الأحياء يعول عليها الناس في العصر الحديث

ولو أن الفيلسوف الاغريقي لم يشغل عقله في زمانه إلا بما يفيد لتوه وساعته لما وصلنا إلى علم أحياء يفيدنا اليوم ، أو لا يفيد

ليست الآفة عندنا أننا مشغولون بالتجارة عن القراءة ، فالأوربيون أعظم منا اشتغالا بالتجارة واجتناء لخيراتها

وليست الآفة أن الصحف اللاهية تصرفنا عن كتب العلم والأدب والدراسة ، فان الصحف اللاهية سبقتنا في أوربا ويسبقنا بها الأجانب في بلادنا المصرية

ولكنما الآفة أن التجارة تجارتان: تجارة أحرار فهم مسيطرون عليها ، وتجارة اتباع فهي مسيطرة عليهم ، وأننا إذا طلبنا المال أو المعرفة طلبناها مسوقين ولم نطلبهما طلب السادة الذين يملكون من أنفسهم بقية يشغلونها بما يحبون

عباس محمود العقاد

تأملات في الأدب والحياة

للأستاذ إسماعيل مظهر

أديب طبعة ثانية

عرضت في كلمة سابقة إلى تلك المعركة القائمة على صفحات الرسالة بين الأدباء حول أدب الأستاذ العقاد وأدب الأستاذ الرافعي رحمه الله ؛ وسقت نقدي مساق من لا يبرِّئ نفسه مما تناول ذلك النقد من رأي واتجاه . فلم أخرج ذاتي من مجال النقد الذي سقت ، معترفاً بأن ذلك رجوع إلى الحق ، واطمئنان إلى اتجاه جديد . ولكن هذا كله لم يرض الأديب سيد قطب فراح يتهكم ويسخر لا ليقول شيئاً جديداً ولا ليحاسب نفسه حساب الرجل القادر على كبح عواطفه ليجعل لعقله بعض القدرة على وزن الموقف بميزان لا يميل مع الهوى ولا ينساق مع الانفعال

غير أن انفعال الأديب سيد قطب فيما كتب لم يكن ليجعل لعقله محلاً من الأثر في صوغ المعاني التي أرادها ، فأخذ يرى الجمل والكلم ذات اليمين وذات الشمال وعن أمام وعن خلف ، شأن الثائر لا شأن الناقد ؛ ثم خانته ثورته وخذله انفعاله ، فاستيقظ عقله الباطن استيقاظة طفيفة ، فرجع إلى قوله: « أنا » ، كأنما طبيعته لم تقو على احتمال تلك الثورة ولم تستطع مقاومة ذلك الانفعال ، فتبدت في ثوب ذي ألوان – ألقى إليه به قزح وأدبر وانصرف » – كان أبين لون فيه ذلك اللون الذي نتخيله من قوله :

« وإننا من أخلص تلاميذ مدرسة هذا الكاتب (أي الأستاذ العقاد) لطريقته ، وأشدّ الناس فهماً لها ، واقتناعاً بها ، ونسجاً على منوالها »

إذن فالأديب سيد قطب أشد الناس فهماً لأدب الأستاذ العقاد ، وليس ذلك فقط فهو أيضاً أشد الناس إقتناعاً بطريقته ؛ وليس هذا ولا ذاك فقط ، بل هو فوق هذا وفوق ذاك أقدر الناس على النسج على منوال الأستاذ العقاد . وإذن يكون الأديب سيد قطب ، أديب طبعة ثانية ؛ فهو باعترافه أديب ، غير أنه عبارة عن نسخة من أديب آخر ؛ أديب شخصية صورة من شخصية

أدب آخر ، وأدبه لوحة من أدب شخص آخر ؛ أدب أسلوبه كالطبعة التي يتركها في الرمل قدم أديب آخر ؛ أدب نفسيته وطبعه وذاتيته كالصورة الموهومة التي تلتقطها المصورة الضوئية وتطبعها على الرق المعروف ، ولكنها صورة وهمية

هذه الصورة الوهمية ، قد أفرغ عليها الأديب سيد قطب صفات وحلاّها بفضائل ، لا أنكر أنه نسبها إلى الأستاذ العقاد ، كما لا أنكر أنه إنما نسبها إلى الأستاذ العقاد ، لتكون نسبتها إليه منصرفة بالتبعية إلى « الطبعة الثانية » من الأستاذ العقاد ؛ وتلك الطبعة هي الأديب سيد قطب

أما هذه الصفات وتلك الفضائل ، فلا أنكر أنها قد نخمت وحليت ، حتى إذا لابست أدب الأستاذ العقاد ، لابست بالتبعية « طبعته الثانية » سيد قطب . يقول الأديب سيد قطب في مقاله الأخير :

« يُعنى العقاد (والأديب سيد قطب باعتباره طبعة ثانية) إمام المدرسة الحديثة (والأديب سيد قطب باعتباره إمام المدرسة الحديثة طبعة ثانية) بالحياة النابضة في ضمائر الأشياء قبل الحياة الظاهرة على سطوحها ، ويعني بالحياتين معاً قبل العناية بأشكالها وصورها ، ويلتفت للخوالج النفسية قبل أن يلتفت إلى الصور الذهنية ، ويعنى بهاتين قبل العناية ببهارج الأسلوب وزخارف الطلاوة »

ثم يقول :

« وللعقاد (والأديب سيد قطب باعتباره طبعة ثانية) عناية بتصحيح مقاييس الأحكام على الطبائع والنفوس [1] ، منشؤه أنه صاحب « نفس » خاصة ، وطبع « أصيل » [2] ، فهو لا يتلقى المبادئ والأحكام من الخارج ، ولكن يفيض بها من الداخل ، ويسمع فيها منطق الحياة الخالدة ، ووحي الانسانية الدائمة ، لا منطق الفرد العابر ، ولا الجيل القاصر » — ومن عندنا — تعبيرات الاختلاجات المستقوية على النفسانيات في كلن سمفص قرشت

هذا الكلام المغلق بسبعة أبواب كما يقولون ، وأشباهه في كلام الأديب سيد قطب كثير وكثير جداً وجداً كثير ، هو الذي يحاول أن يجلو به أستاذاً كالعقاد في مجال الكلام عن مذهبه ، فإذا به يطمس المعاني ويرسل التعميمات التي لا حدود لها لتكون حدوداً لمذهب أدبي . غير أن لهذا الأمر حقيقة خفية ؛ حقيقة تختفي وراء هذه الضربات القاسية المصمّة التي تخرج من هذه الطبلة التي يضرب عليها الأديب سيد قطب . أما هذه الحقيقة فهي أن الأديب قطب لا يتكلم عن الأستاذ العقاد ، وإنما يحاول أن يتكلم عن نفسه متخذاً من الأستاذ العقاد دريئة يحتمي بها . كيف لا والأديب سيد قطب « من أخلص تلاميذ هذا الكاتب لطريقته ، وأشد الناس فهماً لها ، واقتناعاً بها ، ونسجاً على منوالها » ؟ أما أن الأديب سيد قطب « أشد الناس فهماً لطريقة الأستاذ العقاد واقتناعاً بها ونسجاً على منوالها » فأمر جدلي ، ودعوى من السهل أن يدعيها أي إنسان ؛ والدعوى شيء وإثباتها شيء آخر . وأما أنه يتكلم عن الأستاذ العقاد ليتكلم عن نفسه ؛ وأما أنه لم يمدح الأستاذ العقاد إلا ليمدح نفسه ، وليقول صراحة إنه خليفة العقاد في طريقته ، وإنه أشد الناس فهماً لها واقتناعاً بها ونسجاً على منوالها ، فدعوى نقولها ونثبتها بكلام ذلك الأديب نفسه .

وحيث أن الأديب سيد قطب أثار النقع متخذاً من خصومة أدبية قديمة بين أديبين ذريعة للكلام في أشياء بعيدة عن مذهبيهما

وحيث أنه نصر الأستاذ العقاد على الأستاذ الرافعي رحمه الله في حماسة متقدة دلت على أنه يحاول من ورائها كسباً أدبياً

وحيث أنه قضى بأن الأستاذ العقاد صاحب مذهب ، وأن مناظره لا مذهب له من غير أن يقيم الحجة على ذلك

وحيث أنه اتضح أن السبب في ذلك إنما يرجع إلى غرض خفي هو أن يدعي لنفسه أنه أشد الناس فهماً لطريقة الأستاذ العقاد واقتناعاً بها ونسجاً على منوالها

وحيث أن المنطق يسلم بأنه لم يقصد من وراء ما كتب كله إلا بلوغ هذه الغاية الشخصية ، وهو أن يكون خليفة الأستاذ العقاد ، محاولاً أن يستل مجد أديب خدم الأدب ربع قرن ليدعيه لنفسه ببضع مقالات

---

(١) أليس هذا الكلام كقولك « أشكوك كوك نكى تنفك عن كلكي » ، وكقول البرابرة « أره بره كنكره ؛ كرا كرى مندره

(٢) سبحان الله من طبعك ؟ وهل يكون الطبع إلا أصيلا ؟

لهذا كله يكون الأديب سيد قطب « طبيعة ثانية » ولكنها طبيعة مزورة من الأستاذ العقاد

هذا الاستقراء صحيح تحت مسؤوليتي ، ولا أتكلم في هذا الموضوع مرة ثانية . فإن الحقائق التي نمت عنها كلمات الأديب تجعل كل نقاش في الموضوع فاقد القيمة ، ما دام أن « أنا » هي المحور الذي تدور من حوله تلك البحوث

عن فولتير

(١) من أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ وما هو عملك ؟ وما الذي سوف يحل بك ؟ عامة ذي أسئلة ينبغي أن يفكر فيها كل مخلوق في هذا الوجود ؛ ولكن لم يجب عنها كائن ما . أتساءل عن النباتات بأي سر تنمو ، وكيف أن الأرض الواحدة تؤتي بالثمر المتباين المختلف ؟ إن هذه الكائنات غير الحساسة — مع إيماني بأنها قد زودت بسر إلهي — تتركني أمامها شاعراً بالجهل العميق ، سابحاً في فروضي العميقة . إني أقف حائراً أمام هذه القطعان الغفيرة من الحيوانات ، فكلها ذات قدرة على الحركة والانتقال ، وفيها من الاحساسات ما أجد مثله في نفسي ، ولها انفعالات تمتد إلى حيث تكون الأفكار والذكريات . ومع هذا فإنهم بأنفسهم أجهل مني بنفسي . فلأي شيء وجدوا ؟ وإلى أي شيء سوف ينقلبون ؟ لقد أظن أن السيارات وتلك الشموس المظيمة التي تملأ رحاب الفضاء ، يأهل بها مخلوقات مفكرة واعية . ولكن دونها حاجز أبدي يفصلني عنها ، فإن واحداً من سكان تلك الكرات العظام ، لم يستطع الاتصال بعالمنا

قال رئيس الدير ، متجلياً في الطبيعة ، للفارس : إن النجوم قد صنعت من أجل الأرض ، وإن الأرض والحيوانات صنعت من أجل الإنسان . ولكن هذه الكرة الأرضية الصغيرة إذ تدور مع بقية السيارات من حول الشمس ؛ وإن هذه الحركة المنتظمة المتسقة التي تسيرها الأجرام السماوية إذ ربما تستمر ولو لم يكن ناس ؛ وإذ كان في سيارنا الصغير من الحيوانات عدد أعظم من عدد أبناء آدم ؛ فقد أتصور أن رئيس الدير قد شمله حب الذات وعمّه الغرام بالنفس ، فخيل إليه أن كل شيء قد صنع من أجله . وإني لأرى أن الانسان عرضة لأن يلتهمه أي حيوان إذا لم يتقها بالسلاح ، وإن كل الحيوانات تأكله بعد أن يموت . من أجل هذا داخلني الشك في أن رئيس الدير والفارس هما سيدا الطبيعة . وباعتباري كائناً هو يحكم وجوده عبد لكل شيء يحيط به ، لاسيداً آمراً مطاعاً ؛ كائناً مكبلاً حيث ذهب وكان ؛ كائناً تحيط به اللانهايات ، أبداً بحثي عن طبيعة نفسي

٢ — ضعفنا

إني حيوان ضعيف ؛ ولدتُ بلا قوة وبلا معرفة وبلا غريزة . كنت عديم القدرة حتى على الزحف إلى ثدي أمي ، على الضد من كل ذوات الأربع . استوعبت قليلاً من الفكرات ، وحزت قليلاً من القوة عندما أخذت أعضائي تبرز وتتكون . ومضت القوة تزيد فيّ ، حتى إذا بلغت حداً اكتملت فيه ، أخذت من ثمّ في التناقص . وتلك القوة التي مكنتني من إدراك الفكرات أخذت بدورها تزيد وتستفحل حتى بلغت حدها الأقصى ، ثم أخذت تتخاذل بعد ذلك ، حتى لأشعر بأنها تفنى شيئاً فشيئاً

ما هي تلك القوة الآلية التي تزيد من قدرة أعضائي في حدود هذا الهيكل الجسمي ؟ إني لأجهلها . وأولئك الذين قضوا أعمارهم في الفحص عنها ، ليسوا أكثر مني معرفة بها

وما هي تلك القوة الأخرى التي تحمل الصور إلى ذهني ، ثم تخزنها في ذاكرتي ؟ أما أولئك الذين أُجِروا بالمال لكي يعرفوا شيئاً ، فقد ذهبت كدُودُهم أدراج الرياح . ونحن وهم في الجهل سواء بالمبادئ الأولية التي تقوم عليها طفولتنا

٣ — كيف أفكر

هل علمتني تلك الكتب التي حُبِّرت في خلال الألفين الفارطين من السنين شيئاً ؟ قد تشبُّ في نفوسنا بعض الأحيان رغبة في أن نعرف كيف نفكر ، وقلما تقوم في أنفسنا رغبة في أن نعرف كيف نهضم أو كيف نمشي . لقد تساءلت ما هو عقلي ؟ والحق أنه سؤال كثيراً ما أربكني

لقد حاولت أن أكشف بقوة عقلي ما إذا كانت المصادر التي تجعلني أهضم وأمشي ، هي بنفسها المصادر التي تجعلني أتقبل الفكرات . ولم أستطع أن أدرك كيف وإلى أين تذهب تلك الفكرات عندما يعضني الجوع بنابه السام ، وكيف تعود وتتجدد بعد أن أسد نهمة الجوع بالأكل

استبنت فارقاً كبيراً شاسعاً بين الفكر والاغتذاء ، بغيره لا أستطيع التفكير ، حتى لقد اعتقدت أن في كياني مادة تفكر وأخرى تهضم . ومع هذا وبالرغم من أني رضت نفسي دائماً على الاعتقاد بأن في وجودي شيئين ، فإني من الوجهة المادية أشعر شعوراً صادقاً بأنني شيء واحد . على أن هـذا التناقض يؤلمني ويؤذيني .

سألت بعضهم ، وكانوا من أولئك الذين يفلحون الأرض ، أمنا العظمى ، عما إذا كان كل منهم شيئين ، وعما إذا كانوا قد استكشفوا بفلسفتهم الخاصة أن فيهم جوهراً خالداً باقياً ، ومع ذلك فهو مؤلف من لاشيء ولا امتداد له ، وأنه يؤثر في أعصابهم من غير أن يلمسها ، وإن هـذا الجوهر قد حلَّ فيهم بعد أن حملت فيهم أمهاتهم بستة أسابيع ؟ فظنوا أني أهزل ، ومضوا يفلحون الأرض مبتسمين من غير أن يحيروا جواباً

٤ — أمن الضروري أن أعرف

لما أن وجدت أن عدداً عظيما من الناس ليس لهم أية فكرة في تلك المشكلات التي تساورني، وهم مع ذلك لا تختلجهم الشكوك فيما يتاتى في المدارس أو في الوجود عامة أو في المادة أو في الروح إلى غير ذلك ؛ ورأيت أنهم يهزأون من رغبتي التي تدفعني إلى معرفة هذه الأشياء واستيعابها ، شرعت الريبة تداخلني في ضرورة معرفتها ؛ وتخيلت أن الطبيعة قد أعطت لـكل مخلوق نصيباً هو حقه الطبيعي غير زائد ولا منقوص ، وإذن تكون تلك الأشياء التي لا نستطيع أن نعرفها ، ليست من نصيبنا ، ولـكن بالرغم من هذا اليأس ، فاني لا أقدر على أن أجرد نفسي من الرغبة في أن أتعلم ، فان حب الاستطلاع نزعة سوف تظل غير مكفية في نفسي

٥ — أرسطوطاليس وديكارت وغسندي

بدأ أرسطوطاليس كلامه بالقول بأن الشك نبع المعرفة ، وتابعه ديكارت فانتقل بهذه النزعة خطوة أخرى حتى لقد علمنا كلاهما بألا أعتقد في شيء يقولانه . وديكارت هذا على الأخص بعد أن ادعى أنه يشك ، مضى يتكلم بأسلوب تقريري حاسم في أشياء لا يفهمها . يقول إنه موقن بالحقائق ، بينما نجده على خطأ كبير في طبيعياته . لقد بنى ديكارت عوالم وهمية ، فان حلقاته الزوبعية وعناصره الثلاثة [1] ، أمور تثير الضحك ، حتى لقد أشك فيما قال في النفس ، إذا قست علمه بها على علمه بالأجسام

هو يعتقد ، أو بالحري يظن أنه يعتقد ، أننا نولد مزودين بفكرات غيبية، فهل يحق لي أن أقول بناء على هذا أن هوميروس قد ولد مزوداً بالالياذة ، وأنها كانت كامنة في تضاعيف ذهنه . مما لا شك فيه أن هوميروس قد ولد وذهنه مهيأ لأن يستوعب فيما بعد فكرات شعرية ، بعضها جميل ، وبعضها متضارب ، وفي بعض الأحيان مصبوغة بالمغالاة ، وفي النهاية استطاع أن يؤلف الالياذة ، إننا إنما نولد في هذه الدنيا وفينا البذرة التي تتمخض عما سوف نكون ، ولـكن الحقيقة أننا نولد وليس فينا من الفكريات الفطرية أكثر مما كان عند روفائيل وميكال انجلو [2] من أقلام وألوان عند مولدهما

يحاول ديكارت أن يوحد بين خيالاته تلك ، بأن يفرض بأن الناس يفكرون دائماً . من هنا أستطيع أن أفرض أيضاً أن الطيور تطير على وجه الدوام ، وأن الـكلاب تجرى فلا تقف ، لأن في الطيور القدرة على الطير ، وفي الـكلاب القدرة على الجرى إننا لا نحتاج ، لـكي نقتنع ، بما يتناقض هذه الأقوال ، إلا لفتة إلى تجاربنا ، وأخرى إلى الطبيعة البشرية، فليس في الانسانية برمّتها واحد بلغ منه الجنون مبلغ أن يعتقد أنه مضى يفكر كل حياته ليلا ونهاراً بغير انقطاع ، من يوم أن كان جنيناً حتى مرضه الأخير ؛ أما الملجأ الذي يلجأ إليه الذين يدافعون عن تلك الأقصوصة ، فقولهم إننا نفكر على الولاء ، وبغير انقطاع ، من غير أن تدرك أننا نفكر ، ومن هنا يمكن أن نقول إننا قد نشرب ونأكل ونركب الخيل من غير أن ندرك أننا فعلنا ذلك ؛ وإذا كنت عاجزاً عن أن تدرك أنك تحوز فكرات ، فكيف تعتقد أو توقن بأن فيك منها شيء ؟ لقد سخر غسّندي من هـذا المذهب المتطرف ، جهد ما يستحق أن يسخر منه . ولـكن أتعلم ما ذا كانت النتيجة ؟ كانت أن ديكارت وغسندي قد رميا بأنهما من الملاحدة المنكرين لله

اسماعيل مظهر

(١) يقول ديكارت إن المادة حلقات زوبعية وأن العناصر ثلاثة

(٢) رساما ايطاليان عاشا في القرون الوسطى

قصة الكلمة المترجمة

(القتل أنفى للقتل)

لأستاذ جليل

— ٢ —

قرأ الأستاذ الرافعى (رحمه الله) كلمة الأستاذ النشاشيبى فأرسل إلى الجريدة بمقالة عنوانها (ليست مترجمة) — البلاغ ٢٠ رجب ١٣٥٢ — قال فيها :

« قال الأستاذ الكبير محمد إسعاف النشاشيبى فى كلمة للبلاغ إن عبارة (القتل أنفى للقتل) ليست بعربية ولا مولدة بل هى مترجمة . ولكن هذه الكلمة لم يشر إلى أصلها غير (الثعالبى) وهو مع ذلك لم يقطع فيها برأى ، بل أشار إلى ترجمتها فى صيغة من صيغ التمريض المعروفة عند الرواة فقال : (يحكى فيما ترجم عن أردشير) و (يحكى) هذه ليست نصاً فى باب الرواية ، ولو كانت العبارة مترجمة لتناقلها الأئمة معزوة إلى قائلها أو لغتها التى قيلت فيها . ولقد ذكرها العسكرى في كتابه (الصناعتين) على أنها (من قولهم) أى العرب أو المولدين، ونقلها الرازى فى تفسيره فقال : إن للعرب فى هذا المعنى كلمات منها (قتل البعض إحياء للجميع) وأحسنها (القتل أنفى للقتل) وكذلك جاء بها ابن الأثير ، ولم يعزها . وكل ذلك صريح فى أن خبر الترجمة ما انفرد به إلا الثعالبي ، ولا يقوم الدليل على ترجمتها إلا بظهور أصلها الفارسى ! فان كان علم ذلك عند أحد فليتفضل به مشكوراً مأجوراً »

قلت : هذه أقوال الذين أشار إليهم الأستاذ الرافعى (رحمه الله) أرويها وغيرَها بعدها فوائدَ يرغب الأدباء فى علمها :

قال أبو هلال العسكرى فى (كتاب الصناعتين) : « والايجاز القصر والحذف، فالقصر تقليل الألفاظ وتكثير المعانى وهو قول الله (عز وجل) : — ولكم فى القصاص حياة — ويتبين فضل هذا الكلام إذا قرنته بما جاء عن العرب فى معناه وهو قولهم : (القتل أنفى للقتل) فصار قول القرآن فوق هذا القول لزيادته عليه فى الفائدة » ثم بيّن هذه الزيادة

وقال الرازى فى تفسيره (مفاتيح الغيب) : « اتفق علماء البيان على أن هذه الآية فى الايجاز مع جمع المعانى باللغة بالغة إلى أعلى الدرجات ، وذلك لأن العرب عبروا عن هذا المعنى بألفاظ كثيرة كقولهم : (قتل البعض إحياء للجميع) ، وقول آخرين (أكثروا القتل ليقل القتل) ؛ وأجود الألفاظ المنقولة عنهم فى هذا الباب قولهم : (القتل أنفى للقتل) ؛ ثم إن لفظ القرآن أفصح من هذا ، وبيان التفاوت من وجوه » وهي ستة وقد ذكرها ، منها : « أن قول القائل : القتل أنفى للقتل لا يفيد إلا الردع عن القتل ، وقوله (القصاص حياة) يفيد الردع عن القتل وعن الجرح وغيرهما فهو أجمع للفوائد . إن القتل ظلماً — قتلٌ، مع أنه لا يكون نافياً للقتل . إنما النافى لوقوع القتل هو القتل المخصوص وهو القصاص ، فظاهر قولهم باطل ، أما الآية فهى صحيحة ظاهراً وتقديراً، فظهر التفاوت بين الآية وبين كلام العرب »

قلت : نسبة الرازي قولهم (قتل البعض إحياء للجميع) إلى العرب باطلة مثل نسبة عبارة القتل إليهم ، فقد أطبق الأئمة المحققون على أن العربية الأولى ، عربية (الجزيرة) لم تقل فى وقت : (الكل والبعض) . قال الجوهرى في (تاج اللغة وصحاح العربية) : « وكل وبعض معرفتان ، ولم يجىء عن العرب بالألف واللام ، وهو جائز لأن فيهما معنى الاضافة أضفت أو لم تضف » ونقل قول (الصحاح) صاحب (المختار)

وقال ابن منظور فى (اللسان) : « وقال أبو حاتم : قلت للأصمعى : رأيت فى كتاب ابن المقفع : (العلم كثير ، ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل) فأنكره أشد الانكار ، وقال الألف واللام لا يدخلان فى بعض وكل لأنهما معرفة بغير ألف ولام . قال أبو حاتم : ولا تقول العرب الكل والبعض وقد استعمله الناس حتى سيبويه والأخفش فى كتبهما لقلة علمهما بهذا النحو فاجتنبْ ذلك فانه ليس من كلام العرب »

وفى (القاموس) : « بعض لا تدخله اللام خلافا لابن دُرُسْتُويه(١) »

وفى (شرح القاموس) : « قال ابن سيدة : وفيه مسامحة ،

---

(١) هكذا قيده السمعاني وقال غيره هو بفتح الدال والراء والواو (ابن خلكان)

وهو فى الحقيقة غير جائز . وفى العباب : وقد خالف ابن درستويه الناس قاطبة فى عصره . وقال الناقدى :

فتى درستوى إلى خفض أخطأ فى كل وفى بعض
دماغـه عفـنه نومُـه فصار محتاجاً إلى نفض

وقال ابن أبى الحديد فى شرح النهج : « وقد استعملت فى كثير فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة ألفاظ القوم مع علمى بأن العربية لا تجيزها نحو قولهم الكل والبعض والصفات الذاتية والجسمانيات ونحو ذلك مما لا يخفى على من له أدنى أنس بالأدب ، ولكنا استهجنا تبديل ألفاظهم فمن كلم قوماً كلمهم باصطلاحهم »

وقد روى أبو العلاء هـذا البيت فى (رسالة الغفران) مستحسنه :

رأيت الغنى والفقير كليهما إلى الموت يأتى الموت للكل معمداً

لكنه قاله فى (الرسالة) قبل ذلك : « وكذلك قوله : الكل (أى قول ابن القارح) إدخاله الألف واللام مكروه ، وكان أبو على يجيزه ويدعى إجازته على سيبويه ، فأما الكلام القديم فيفتقد (١) فيه الكل والبعض »

وفى (المصباح) : « قال الأزهرى وأجاز النحويون إدخال الألف واللام على بعض وكل » وتجويز نحوى لا يثبت عربية قول بل يجيز أن يقوله المولد وإن لم يرد

فقولهم : (قتل البعض إحياء للجميع) مولد محدث ، وقد روى الجاحظ فى كتاب الحيوان هذا القول : « وقد قالوا : بعض القتل إحياء (٢) ، وبعض العفو إغراء ، كما أن بعض المنع إعطاء . وهو كلام حسن من حكم المولدين المنشئين

* * *

وقال ابن الأثير فى (المثل السائر) : وهو — أى الايجاز بالقصر — أعلى طبقات الايجاز مكاناً ، وأعوزه إمكاناً ، وإذا وجد فى كلام بعض البلغاء فانما يوجد شاذاً نادراً . فمن ذلك ما ورد فى القرآن الكريم (ولكم فى القصاص حياة) فان قوله تعالى (القصاص حياة) لا يمكن التعبير عنه إلا بألفاظ كثيرة . ولا يلتفت إلى ما ورد عن العرب من قولهم : (القتل أنفى للقتل) فان من لا يعلم يظن أن هذا على وزن الآية ، وليس كذلك ، بل بينهما فرق من ثلاثة أوجه » ثم ذكرها ثم قال : « وقد صاغ أبو تمام هذا المعنى الوارد عن العرب فى بعض بيت من شعره فقال :

وأخافكم كي تغمدوا أسيافكم إن الدم المغبر يحرسه الدم (١)

فقوله : إن الدم المغبر يحرسه الدم أحسن مما ورد عن العرب من قولهم : القتل أنفى للقتل »

وممن مشى وراء غيره فى نسبة العبارة الفارسية إلى العرب يحيي بن حمزة صاحب (الطراز) فقد قال : « ومن هذا قوله تعالى : (ولكم فى القصاص حياة) فانظر إلى اللفظة الجيلة كم يندرج تحتهـا من المعانى التى لا يمكن حصرها ، ولا ينتهى أحد إلى ضبطها ، فأين هذا مما أثر عن العرب من قولهم : القتل أنفى للقتل وقد تميزت الآية عنه بوجوه ثلاثة » ثم ذكرها

ومنهم الأسيوطى فقد قال فى (الاتقان) : وقد فضلت (يعني الآية الكريمة) على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى وهو قولهم (القتل أنفى للقتل) بعشرين وجهاً أو أكثر ، وقد أشار ابن الأثير إلى إنكار هذا التفضيل وقال : لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق وإنما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك » ثم ذكر العشرين وجهاً

وصاحب (المفتاح) قال : « والعلم فى الايجاز قوله (علت كلمته) — فى القصاص حياة — وإصابته المحز بفضله على ما كان عندهم أوجز كلام فى هذا المعنى وذلك قولهم : القتل أنفى للقتل » ونقل القزوينى فى (التلخيص والايضاح) كلام المفتاح فقال : « عندهم »

وقد ذكر ابن الطقطقى فى كتابه (الآداب السلطانية والدول الاسلامية) قول الله وتلك العبارة قال : « قال الله تعالى : (ولكم فى القصاص حياة) وقيل : القتل أنفى للقتل » وروى بعد ذلك هذا البيت غير منسوب إلى أحد :

---

(١) افتقد : فقد

(٢) جاءت فى النسخة المطبوعة لفظة (الجميع) بعد لفظة (إحياء) وهى زيادة طبع أو نسخ

(١) قلت : رويت (المغبر) فى طبعة للمثل السائر و (المعتر) في طبعة بيروتية ومنها فى مختارات البارودى ، وفى شرح ديوان أبي تمام للصولى فى النسخة المخطوطة فى دار الكتب (عمرها الله) ووردت (المفتر) بالغين والتاء فى المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام لعبدالقاهر الجرجاني

بسفك الدما ياجارتى تحقن الدما وبالقتل تنجو كل نفس من القتل

وهو أفصح من الكلمة الفارسية وأبين وأجود ، وهو محدث وأضبط الروايات فى نسب تلك العبارة رواية (غرر أخبار الفرس وسيرهم) للثعالبى . قال فى الصفحة ٤٨٣ : « فصول من كلام أردشير فى كل فن : القتل أنفى للقتل [1] الخ »

و (غرر أخبار الفرس وسيرهم) كتاب جليل ترجمه كله أجمع إلى الفرنسية م. زتنبرج H. Zotenberg وقد قال فى ترجمة عبارة أردشير :

"La mise a mort est la meilleur moyen de prévenir"

***

ونشرت البلاغ (٢٠ رجب ١٣٥٢) بعد مقالة الأستاذ الرافعى (رحمه الله) كلمة للشيخ عبد العزيز الأزهرى ، عنوانها : (هى عربية) ومما قال فيها :

« نشرتم أمس فى صحيفتكم أن جملة (القتل أنفى للقتل) يراها الأستاذ النشاشيبي مترجمة فهي ليست عربية ولا مولدة فى رأيه . والذى أراه أنها عربية لما يأتى : أولا — لأنها وردت بين ثنايا عهد القضاء الذى بعث به سيدنا عمر إلى أبى موسى الأشعرى . ثانياً — لأنها مما يوافق طباع العرب قبل غيرهم موافقة تامة فليسوا بحاجة إلى من يقرضهم أمثال هذه المعانى التى طفحت بها سيرهم وأملتها الدماء المهراقة بين لابتى الجزيرة العربية . فهى عربية لامولدة ولامترجمة، وقد يكون المترجم كلة أخرى تشبهها هى : الاستعداد للحرب يمنع الحرب ! فهذه معقول أن تكون مترجمة وخاصة فى العصور الحديثة ؛ لا بالعصور القديمة أو الوسطى التى كانت تضطرم نيران الحروب فيها لأوهى الأسباب »

قلت : قال الشيخ عبد العزيز الأزهرى : (بين ثنايا عهد القضاء) والثنايا جمع الثنية . قال (الصحاح) : « والثنية واحدة الثنايا من السن ، والثنية طريق العقبة » . وقال اللسان : « كل عقبة مسلوكة ثنية وجمعها ثنايا . الثنية من الأضراس أول الفم ، وثنايا الانسان فى فمه — الأربع التى فى مقدم فيه ، والثنى من الابل الذى يلقى ثنيته ، وذلك فى السادسة ، ومن الغنم الداخل فى السنة الثالثة تيساً كان أو كبشاً »

فلا ريب أن الشيخ يريد أن يقول : (فى أثناء عهد القضاء) و « الثنى واحد أثناء الشيء أى تضاعيفه . تقول : أنفذت كذا فى ثنى كتابي » كما قال (الصحاح) ، وفى (الأساس) : « ومن المجاز فى أضعاف الكتاب : فى أثنائه وأوساطه »

وقال الشيخ عبد العزيز : « بين لابتى الجزيرة العربية » . والجزيرة العربية ليست بين لابتين وإن كانت فيها لوب كثيرة . ونحوها فى البر والبحر معلومة . والتى بين لابتين هى المدينة ، يثرب ، مُهاجَر سيدنا ومولانا رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) . وفى الحديث : « إنه حرم ما بين لابتى المدينة » وهما حرتان يكتنفانها . قال صاحب (النهاية) : « اللابة الحرة وهى الأرض ذات الحجارة السود التى قد ألبستها لكثرتها وجمعها لابات ، فاذا كثرت فهي اللاب واللوب مثل قارة وقار وقور ، وألفها منقلبة عن واو . والمدينة ما بين حرتين عظيمتين »

(للقصة بقية) (***).

(١) الأقوال الاغريقية والفارسية التى أخطأ كثير من الرواة فى نسبتها — لا تحصى ، ومنها هذا القول

جورجياس لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١ —

« تنزل « جورجياس » من آثار أفلاطون منزلة الشرف لأنها أجمل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة »

M. Renouvier

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائماً وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس — أفلاطون »

نبدأ اليوم فنقدم لقراء الرسالة الغراء ترجمة « محاورة جورجياس لافلاطون » وهي من أجمل وأكمل محاورات الفيلسوف الخالدة إن لم تكن أجلها وأكملها جميعاً كما يقول الأستاذ « رينوفيير » ؛ ولقد شئنا أن نختار هذه المحاورة على وجه خاص لأننا وجدنا فيها الكثير الجم من تلك المبادئ الخالدة التي هي جديرة تماماً بإنقاذ العالم من بحر المادية الصاخب الذي يغرق فيه اليوم ، ومن تلك الفوضى الاجتماعية والسياسية والفكرية التي يعاني منها أشد العناء وينتحر على مذبحها انتحاراً أليماً !! ولما كان الكثير من القراء لا يعرف شيئاً عن هذه المحاورة فقد قصرنا هذا المقال على التعريف بها

مقدمة

ولد أفلاطون حوالى عام ٤٢٧ ق . م فى أسرة أرستقراطية عريقة . وشغف أثناء حداثته بالشعر ، ثم ما لبث أن تركه بعد أن عرف أستاذه سقراط وأعجب به وبحواره المذب الطريف ؛ وقد شهد فى عصره عهد فوضى الحكومات الأرستقراطية والديمقراطية ، كما رأى الكثير من أحوال أولئك السفسطائيين الذين كانوا ينادون بأن الفرد مقياس كل شيء ! وبأن الحواس أساس المعرفة ! وبأن حقائق الأشياء لا يمكن أن تعرف معرفة يقينية ! بل والذين كانوا يعلمون أبناء الأثرياء الفصاحة والبيان ليجعلوا منهم خطباء قادرين على إقناع الناس واستهوائهم آناً بالباطل وآناً بالحق ، كيما يفوزوا بمناصب الدولة ويمد الصيت وكيما يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم ويبرروا سلوكهم إزاء هجمات الخصوم والمنافسين ، وأمام القضاة والجماهير !

شهد أفلاطون ذلك كله ، وسمع بأذنيه قول القائلين بأن القوة حق ! ، ورأى بعينيه كيف زج « الشعب » بأستاذه العظيم سقراط فى السجن وكيف راح يستمع إلى تمويه « أصحاب الدعوى » ويصم أذنيه عن صرخة الحق التى كان يجلجل بها صوت ذلك الأستاذ المظلوم ! . فكان لنا منه تلك المحاورات الكثيرة التى جعل بطلها سقراط ، والتى تناول فيها أولئك السفسطائيين بالسخرية والتصوير ، والتى دعا فيها إلى تلك المبادئ التى كانت ولم تزل ولن تزال نوراً تهتدي الإنسانية بضوئه الساطع فى مجال العلم والفن ، والسياسة والاجتماع ، والآداب والأخلاق على السواء (١)

* * *

أما « جورجياس » فكان من أئمة السفسطائيين ومن أشهر خطبائهم ومعلميهم . ولد سنة ٤٨٥ ق . م . وزار أثينا حوالى سنة ٤٢٤ ق . م . وكان يدعى أن فى استطاعته أن يجيب على كل سؤال ! ، وكان يقول إنه ليس من الضرورى أن تعلم شيئاً عن الموضوع لتجيب على الأسئلة التى توجه إليك بشأنه ! ؛ ولقد حاول بعد هذا أن يثبت فى كتابه « اللاوجود » أنه لا يوجد شيء ! ، وإذا وجد فلا سبيل إلى معرفته ! ، وإذا أمكن أن يعرف فلا سبيل إلى إيصاله للغير ! ! (٢)

لذلك نرى أفلاطون يكتب عنه محاورة خاصة هي المحاورة التى نبدأ بتقديمها اليوم للقراء الأعزاء . وقد نقلت هذه المحاورة إلى جميع اللغات الهامة كسائر محاورات أفلاطون . والترجمة التى سنعتمد عليها هنا هي الترجمة الفرنسية للدكتور « بول لمير

(١) ويلاحظ أن فلسفة أفلاطون تمثل العقل الفلسفى وهو فى دور التكوين (ولا سيما محاورات الشباب) بعكس فلسفة أرسطو التى تعطينا مبادئها ونتائجها على نحو ناضج تمام النضوج . ولذلك كانت قراءة أفلاطون بدقة مما يساعد كثيراً على تنمية روح الفلسفة والنقد لدى المختصين وغير المختصين على السواء

(٢) إذا شاء القارئ أن يزداد فهماً لعصر السفسطائيين فليرجع إلى كتب تاريخ الفلسفة المختلفة ككتاب تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ يوسف كرم وكتاب قصة الفلسفة اليونانية للأستاذين أحمد أمين وزكى نجيب محمود

« Paul Lemaire » أستاذ الفلسفة المعروف . ولكننا نرجو على أية حال أن تصلنا قريباً ترجمة أخرى من باريس كيما نقارن الترجمتين ونخرج منهما بالنص المضبوط

وقد جاء فى مقدمة هذه الترجمة للأستاذ « بول » ما يلى :

موضوع المحاورة

« يصعب جداً تحديد الوقت الذى تحدث فيه سقراط مع السفسطائى ، وربما كان ذلك أثناء زيارة جورجياس لأثينا . وتعتبر هذه المحاورة من المحاورات التى ألفها أفلاطون فى شبابه . وهى تبدأ بوصول كل من سقراط وشيرون متأخراً ، وكانا يريدان سماع محاضرة لجورجياس

ومن ثم يريد سقراط أن يعرف من المحاضر مفتاح فنه وطبيعة تعاليمه ، فيطلب منه المناقشة. أما موضوع المحاورة فهو فن البيان ويريد أفلاطون أنه فن إقناع الناس بالحق والعدل لا بالباطل والظلم ، كما يرى أن وسائله فى الاقناع كثيرة ، إذ أنه إما أن يضع الظواهر مكان الحقائق ويشير إلى الحواس والخيال والشهوات ثم العقل ، وإما أن يشير إلى العقل ولكن بالمنطق السفسطائى الزائف كيما يخدعه . وبهذا يقتنع الشعب الوادع الجاهل ، المخدوع دائما بأولئك « الاستغلاليين » الذين يتملقونه ! ؛ والبيان بهاتين الوسيلتين دنىء حقير لا يعدو فن « الطبخ » فى كثير ! ولا يخرج عن أن يكون خطابا زائفا منصبا على اللذائذ والشهوات فحسب ؛ أما البيان الرفيع الصحيح فهو الذى يعنى فقط بنصرة الحق والعدل ؛ وتلك هى الناحية الايجابية فى المحاورة ، ذلك أن الخطيب الحق عند أفلاطون ، هو ذلك الصادق العادل الذى يستعين بالفلسفة فى دراسة العدالة ونشرها ، والذى يدعو لأن نكون أخيارا فى السر والعلن ، ولأن نكون عادلين دون أن نطمع فى الجزاء !

« ولم يكن أشجع بعد هذا ولا أجرأ من أن يعلن أفلاطون فى وقت اختفت فيه فكرة الواجب وانتهكت حرمة النظام والقوانين بالبلاد اليونانية ، أن الأخلاق الفاضلة تحيا دائما وتسود لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! ، بل لم يكن أعظم ولا أجل من أن تشيع هذه اللهجة السامية فى جمهور متكبر إعتاد السياسيون أن يتملقوه ، وامتلأ إيمانا « بحقه الأعلى » فى شئون الدولة الصغيرة والكبيرة بغير استثناء ! »

تحليل المحاورة :

أما الأستاذ « رينوفيير Renouvier » فقد حلل المحاورة تحليلا بديعا فى كتابه « Manuel, de, Philosophie » ولذلك قد آثرنا أن نقدم هذا التحليل للقراء كيما نعدهم للترجمة أتم إعداد :

يقول « الظلم أفدح الشرور ، وارتكابه أفدح من احتماله ! وذلك هو الموضوع الذى يدعمه سقراط ويدافع عنه أمام ثلاثة من السفسطائيين ! ، أحدهم جورجياس أستاذ البيان ، وكان يدعى أنه يعلم الناس العدالة وأنه يعرفها حق المعرفة ، ولكنه كان يقول إن البيان يعلمنا كيف نقنع الناس بالعدل والظلم ، وكيف ندهشهم ونذهلهم ونضللهم ونحكمهم ! ؛ ولذلك يريه سقراط أنه يجهل العدل. فيتقدم إليه متحدث آخر بحماس ، ويقول له إنه يعترف بأنه لا يعلم الناس العدالة وإنما يعلمهم فن القوة والسعادة ، وإنه يعتبر ظالما جبارا « كأرشليوس » (الذى قتل أخاه وعمه وابن عمه ليصل إلى العرش) — أسعد الناس ... فما يلبث سقراط أن يقرر أن الظلم شر ، وأن العقاب بسببه خير ، وأن أسوأ النفوس وأشقاها هى تلك التى تكون غارقة في بحر الظلم وتأبى مع ذلك أن ينقذها منقذ يبعدها عن العقاب ! ، وهنا يشك السفسطائى الثالث فى أن سقراط يعنى حقاً ما يقول و ... ، ثم يعلن أن الأفضل لنا هو أن نكون ذلك « المرقل » الذى تصبح إرادته قانونا ! ، وأن الضعفاء هم الذين يسنون القوانين ويسمونها عدلا ! ... ، وأن العدل فى الطبيعة هو حق « الأقوى والأحسن » فيسائله سقراط : إذا كان الأمر كذلك فهل تصبح إرادة « الجماعة » عدلا ما دامت هى الأقوى ؟ »

وهكذا يأخذ سقراط فى إحراج المتحدثين الثلاثة وفى تضييق الخناق عليهم حتى يفسد عليهم حججهم ، ويعلن « أننا نستطيع أن نستمد من العقل كل ما هو مشروع بالنسبة للجماعة والفرد ، وأن الشخص العفيف يكون عادلاً وطيباً وشجاعاً ، وأن غير العفيف يكون شقياً لا صديق له من الله والناس ، لأنه خارج عن نطاق ذلك الكون الذي قد ربط الحب بين أرضه وسمائه وآلهته وأناسه بصلات وثيقة اقتضاها نظامه العام ؛ فالظلم إذن أفدح الشرور لمن يرتكبه ، ولن يكون سقراط العادل شقياً فى يوم من الأيام ، لن يُسرق أو يجلد أو يباع بيع الرقيق ، ولكن

حول أصل قاسم أمين

للأستاذ محمد محسن البرازي

قرأت في العدد رقم ٢٥٥ من الرسالة الغراء مقالة الأستاذ الجليل الذي أجهل اسمه — فهو لا يوقع اسمه — وأقر بفضله وأعجب بأدبه وسعة معارفه ودقة ملاحظاته . وعنوانها « قاسم أمين ، هل كان كردياً ؟ » وكنت اطلعت قبل ذلك على قصيدة الأستاذ الجارم بك

أما بيت القصيدة الذي يشير إلى أصل قاسم أمين الكردي :

يا فتى الكرد ، كم رزت رجالاً
من صميم الحمى ومن أعرابه

فقد كنت ، شأن الأستاذ الجليل ، استعجبت منه ومن قائله ؛ ولكن عجبي قد يختلف عن عجب الأستاذ بعض الاختلاف تعجبت من هذا القول ، بل استنكرته ، لأن فيه استخفافاً بقوم من الأقوام ، فكأن الأستاذ الجارم سامحه الله يقول في بيته : « على الرغم من أنك كردي ، أيها القاسم الأمين ، فقد فقت العرب ، وعلى الرغم من أنك غريب فقد سبقت أهل البلاد »

إنني لا أدري إذا كان قاسم أمين كرديّ الأصل حقاً أم عربياً . ولكني أستفظع أن ينقص أصله لأنه كردي . فالكرد ليسوا من حيث المواهب والمؤهلات دون غيرهم من الشعوب .

ولئن كنت أسلم مع الأستاذ الجليل ويسلم كل رجل يدين بالديمقراطية ويخضع لسلطان العقل والعلم ، بأن « المرء بفضله لا بأصله » وأن « الانسان — كما قال بديع الزمان — من حيث يوجد لا من حيث يولد » . بيد أني لا أرى مجالاً لهذا الاستشهاد بصدد أصل قاسم أمين ، لأنه ليس يزري بقاسم أمين أن يكون كردياً لا من حيث العلم والفضل ، بل من حيث المنبت والأصل

فهل طيب الأرومة وكرم العنصر وقف على قوم دون قوم وعرق دون عرق ؟

إنني كما ينتقد الأستاذ الجليل من يقول من أبناء فرنسا مباهياً « أنا فرنسي ، أنا ابن الغول » آخذ أيضاً على كل من يقول من المتكلمين بالعربية : « أنا عربي ، أنا من نسل قحطان أو عدنان » بمعرض المفاخرة على غيره من أبناء العربية المستعربين ، أكراداً كانوا بالنسب ، أم شراكسة ، ألباناً ، أم صقليين

إنها العصبية تسربت إلى الأستاذ الجارم في بيته « يا فتى الكرد » والعصبية نزعة قديمة بعثت حديثاً في بعض البلاد ، كافحتها في القديم الأديان السماوية العالمية كالإسلام ، والنصرانية ، وتحاربها الآن جميع المذاهب التي ترمي إلى التقريب بين بني الإنسان وإحلال الوئام والسلام محل البغضاء والخصام

لقد كانت العصبية في الجاهلية مبدأً سائداً تقوم عليه الحياة الاجتماعية والسياسية فقد كانت الوحدة القبلية قبل الاسلام شبيهة بالرابطة تجمع بين أفراد الدولة الواحدة في عهدنا هذا . وقد بعثت العصبية من جديد في عهد بني أمية ، بالرغم من مخالفتها روح الاسلام لغاية سياسية ، خلاصتها دعم العرش الأموي ومقاومة خصوم الأمويين من آل البيت الذين كان أكثر دعاتهم وأقوى أنصارهم من غير العرب وجلهم من الفرس والأكراد

اضمحلت العصبية بعد بني أمية . ولم يعد لها أثر يذكر إلا في الأدب العربي . وخاصة في الشعر لأسباب لا محل لتفصيلها الآن أجلها تقليد الأوائل ولا سيما الجاهليين

ولئن قامت في بعض البلاد الأوربية نزعات ومذاهب تشبه العصبية العربية كالقومية . « racisme » في ألمانيا فهي تبرر عند أربابها على الأقل بأسباب حيوية لا نظير لها في البلاد العربية — ما خلا فلسطين التي نزلت بها من الصهيونية نازلة خاصة —

الذي يشقى ويذل هو الذي يسرقه أو يجلده أو يبيعه بيع الرقيق (١) ! . . .

« لهذا يجب أن نحفظ أنفسنا من ذلك الشر . . . وأن نكسب الفضيلة بكل ثمن ، وأن نبحث عن فن يساعدنا على ذلك الاكتساب ونمضي حياتنا في دراسته . . . الخ »

وتنتهي المحاورة بخرافة كما تنتهي أغلب محاورات أفلاطون . وهو يصور لنا في هذه الخرافة ما تلقاه النفوس الظالمة الشريرة من عذاب الجحيم !

فإلى اللقاء حيث أقدم لك أشخاص المحاورة وأبدأ الترجمة بعد إذ قدمت لها بتلك المقدمة

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) لعل أفلاطون يعرض هنا بمن باعه يوماً بيع الرقيق !

فقد يكون للألمان بعض العذر بأن يتسلحوا بالقومية لمناوأة اليهود . لأن اليهود يتظاهرون فى كل بلد يقيمون فيه بأنهم من صميم أهله فى حين أنهم رغم السنين والقرون تمر عليهم ، ورغم ما يفيدون من البلاد التى تلقتهم وآباءهم قبلهم من حقوق سياسية ومدنية يظلون يهوداً قومياً وعاطفياً تجمعهم جامعة قومية يهودية ، ويبقون أمة داخل أمة . على أن العصبية أو القومية — أنى كانت وفى أى زمن وجدت — إذ تتخذ شكل رجحان عرق على عرق وجنس على جنس ، ممقوتة ظالمة خاطئة ، تنقضها الفكرة الحرة ويفندها العلم وتستنكرها المثل العليا الانسانية

لقد قام الاسلام الذى يدين به أكثر العرب على أساس غير قومي، فدين الاسلام كما قلنا فيما تقدم عالمى لا قومى، ومحمد (ص) لم يرسل للعرب وحدهم بل أرسل للبشر عامة ، ولا فضل فى نظر صاحب الرسالة « لعربى على عجمى ، ولا لعجمي على عربى ، ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى » . ولكم نهى النبى (ص) عن العصبية بالتصريح ، فقال « ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل عصبية »

فاستحقار الأقوام غير العربية بالنسبة للعرب لا يقره إذن الاسلام الذى رفع من شأن العرب وأكسبهم مجدهم الخالد

وفى نظر علماء الاجتماع والمتشرعين ما خلا الألمان لا تقوم الأمة على العرق والجنس ، بل إن ما يكوّن الأمة حقاً الآن بعد أن ضعفت الرابطة الدينية ، ولم يعد الدين العنصر المؤلف للأمم ، هو الرضاء والرغبة في العيش عيشة مشتركة فى الحاضر ، مضافة إلى ذكريات ماضية مشتركة ، وآمال مستقبلة واحدة (نظرية رنان)

إذن فلا الإسلام يقر مبدأ القومية وتفوق قوم على قوم أو جنس على جنس ، ولا العلم الحديث والمثل العليا الإنسانية تؤيد هذا المبدأ وهذه النظرية

ولئن كنا نستنكر ادعاء فئة من الغربيين تفوق العرق الآرى — والكرد آريون — على العرق السامى ، فاننا نأنف أيضاً من الاعتقاد برجحان السامي على الآرى . فاستحقار الأقوام غير العربية بالنسبة للعرب لايقره الإسلام الذى رفع من قدر العرب وأكسبهم مجدهم الخالد ، ولا يقبله العلم ، ولا يرضى عنه الشعور الإنسانى . بل إن فكرة الوحدة العربية التى تعلق عليها الأمم العربية آمالها لتحرر وتقوي وتستعيد مجدها الغابر ، لا يمكن أن تتخذ العصبية أو القومية لها سنداً . وليس من العقل والحكمة فى شىء أن يلهج بصددها بفكرة الجنس والعرق لأن الأقوام الآهلة بها البلاد الناطقة بالضاد مؤلفة من شتيت من الأجناس والأعراق . فالرابطة التى توحد بين أفراد كل أمة من هذه الأمم العربية ليست العصبية أو القومية ، والجامعة التى تقرب بين الدول والأقطار العربية لا يمكن أن تكون آصرة جنسية ، بل إنها رابطة سياسية عاطفية ، قائمة على الإرادة والشعور والمصلحة

اردت من عرض هذه الفكرة أو التذكير بها — لأنها ليست مجهولة — أن أؤيد ما جاء به الأستاذ الجليل من تفنيد التفريق بين أفراد الأمة الواحدة بحسب أصولهم ، وأبين الخطأ فى النظر — لقاسم أمين إذا عدّ كردياً — ولكل من يحسب غير عربى من أشباهه كرجل خامل بنسبه وإن كان نابهاً بحسبه .

فليس بضر القاسم الأمين رحمه الله أو غيره من رجال الأمم العربية أن يكون أصله كردياً ، بعد أن كان أمثال صلاح الدين بطل الشرق والاسلام والعرب ، وكثير ممن تلاه من الملوك الأيوبيين ذوى الفضل العميم على مصر والشام اكراداً ؛ بل له الفخر كل الفخر إذا جاز لانسان أن يفخر بأصله بجانب فضله أن يمت بالنسب إلى قوم أخرجوا أمثال هؤلاء الرجال وأشباه أولئك الأبطال الذين مازال تاريخ العرب والاسلام والانسانية يباهي بعظمتهم وعبقريتهم .

هذا وإني على يقين من أن الأستاذ العالم الجازم لم يقل البيت الذى حملنا على كتابة هذه الكلمة عن عصبيته ، أو إيمان بمذهب « القومية » بل اعتقادى أنه نظم هذا البيت من قصيدته تأثراً بنغمة طالما سمعها فى شعر العرب ، وتلذذاً من حيث لا يشعر بالطباق بين العجم (أو الكرد) والأعراب . وقصيدة شاعرنا اللغوى النحوى فى جلالة الملك فاروق سليل الأسرة العلوية الألبانية الأصل التى حبت مصر مجداً طريفاً يضاف إلى مجدها التالد ، دليل على أن العرب العاربة والعرب المستعربة فى نظره سواء

دمشق

محمد محسن البرازى
دكتور فى الحقوق
وأستاذ فى الجامعة السورية

بين الغـــــرب والشرق

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

تتمـة

كان ذلك منذ أشهر وكنت أحاضر جمهوراً من الأدباء بكلية الليسيه بالاسكندرية ، وكان موضوع المحاضرة « الحياة الانسانية بين قضاء وقدر الشرق ومذاهب الغرب فى حرية الارادة » . وقد جاء فى محاضرتى كلام جيد عن الفروق بين أهل الشرق وبين أهل الغرب ، لهـذا رجعت وأنا أجول جولتى فى كلام مناظرى الفاضل إليها آخذ منها لردّى على المناظر ما أراه ذا صلة وثيقة بالمسألة التى أثارها فى العلم والثقافة

قلت فى محاضرتى ما نصه :

(هنالك فرق أساسى فى منطق التفكير بين الشرقي والغربى، وهذا الفرق ينحصر فى أن الشرق يبدأ بحثه من الوحدة المتجلية حوله فينتهى للخالق ومنه للطبيعة . بعكس الغربى الذى يبدأ بحثه من التغاير الذى يكتنفه فينتهى للطبيعة ومنها للخالق)

هذا الفرق المشهود فى أن الشرق يبدأ من عالم الغيب لينتهى للعالم المنظور ، بعكس الغربى الذى يبدأ من العـالم المنظور لينتهى لعالم الغيب — كان سبباً لظهور اللاهوت عند الشرقيين والفلسفة عند الغربيين

وهـذا التباين فى منزع التفكير ذهب بالعقل الشرقى إلى الاعتقاد بأن العالم حادث كما انتهى إلى أنه قديم عنـد الغربيين ، ذلك أن الشرق بدأ بحثه من الخالق فانتهى كما انتهى متكلمة المسلمين إلى أن العالم حادث وأن الخالق مطلق التصرف فى الـكون منفصل عنه ومدبر له ، وأنه السبب لـكل ما يحدث والعلة الأولى والأخيرة لـكل ما يكون وما سيكون ، بينما البحث عن التغاير المشهود فى الـكون يدفع بالأخذ بأساليب الاستقراء والمشاهدة إلى جانب أسلوب الاستنتاج والنظر ، وهذا كله ينتهي بالانسان كما انتهى بمفكرى الغرب إلى أن لـكل حادثة سبباً فى الـكون، وأن للعـالم وحدته وانسجامه ، وأنه خاضع لنواميس وسنن ثابتة لا تتغير لا فى الزمان ولا فى المـكان ، فإذا انتهى إلى الله قيده بهذه السنن والنواميس، وتصبح بذلك إرادة الله مقيدة بنظام هذا الـكون وأفعاله قائمة على عنصر اللزوم والاضطرار

والانسان من حيث هو كائن فى العالم المنظور ، فهو فى نظر الشرق خاضع لإرادة عليا ، هى إرادة الخالق الحرة ، هو الذى يقضى فيكون ويقدّر فيحدث . وهـذه فكرة القضاء والقدر عند الشرقيين ، فإذا قضى الله أمراً فلا مردّ لقضائه، وإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون . غير أن الإرادة الإلهية لا تتعلق بالأمر الذى قضى بوقوعه إلا إذا تعلقت به إرادة الانسان المخلوق الذى وهبه الخالق حرية الارادة ، فى أن تتعلق بالأشياء فكأن للانسان اختياراً ، غير أنه عند النظر مقيد بالعلم الإلـٰهى الأزلى وبتعلق الارادة الالـٰهية لترجح

أما فى نظر الغربى فالانسان وإن كان يتبع فى تصرفاته وسلوكه نواميس الحياة ويخضع لها ، فإن فى قدرة الانسان تغيير المقدّر له عن طريق معرفة النواميس المتحكمة فى وجوده والعمل على إيجاد الملاءمة بين حاجات الانسان فى الحياة ومطالبه فى الوجود ، وبين المقدّر له عن طريق تغييره يتكافأ وصالحه

وخلاصة القول أن فى الشرق استسلاما محضا للغيب ، وفى الغرب نضالا محضا مع قوى الغيب ، وبين منطق الغرب وروح الشرق تسير البشرية فى قافلة الحياة

هذا الـكلام الذى لخصت فيه فى ختام محاضرتى كل ما قلته فى ذلك المساء ، أجده بليغاً فى الرد على مزاعم مناظرى الفاضل . وخشية أن يقف بعض الناس عند ظاهر هذا القول فلا ينزلون إلى أغواره القصيّة ، أحب أن ألفت أنظارهم إلى أشياء .

١ — إن ما نعنيه باصطلاح الشرق والغرب لا يقوم على أساس من تقسيم العالم إلى شرق وغرب فى تقويم البلدان ، إنما ترجع التفرقة عندنا إلى ما نلمسه من طابع ذهنى للغرب ومنزع ثقافى للشرق ، على اعتبار أن هذا الطابع عام للغرب وذلك المنزع عام للشرق . غير أن هذا لا يمنع أن نجد مجتمعاً غربياً ينزع منزع الذهن الشرقي فى قلب أوروبا فى زمن من أزمنة التاريخ نتيجة لغلبة الطابع الشرقي لأسباب خارجة وطارئة على المحيط الاجتماعى والبيئة الطبيعية ، فمثلاً يمكننا أن نقول إن طابع التفكير فى القرون الوسطى فى أوربا كان شرقياً فى العموم لغلبة المنزع الشرقى على الطابع الغربى نتيجة لبلوغ المنزع الشرقي شغاف أوربا وغزوها الغرب مع الدين المسيحى

٢ — إن هـذا المنزع الثقافى والطابع الذهني لـكل من الشرق والغرب إذا اعتبرناه . من الخصائص الأولية لشعوب الشرق والغرب، فذلك لا يرجع لعوامل بيولوجية أوانتروبولوجية كما حاول أن يثبتها بعض مفكرى القرن التاسع عشر ، إنما هى ترجع لأسباب طارئة على المحيط الطبيعى والبيئة الاجتماعية فلهذا لا يرد علينا بما كتبه المناظر فى الرد على غوبنيو

٣ — إن الفلسفة الاسلامية التى ظهرت على يد الفارابى وابن سينا وابن رشد وغيرهم من أعلام الفلسفة الاسلامية ليست شرقية الروح لأنها وليدة الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني . ويمكنك بكل سهولة أن تنزل بخطوط فلسفة فلاسفة الاسلام لأصولها عن أفلاطون وأرسطو وفلاسفة الاسكندرية من الأفلوطنيين ، فمن هنا لا يعترض علينا بأن هنالك من الفلاسفة الشرقيين من علقوا إرادة الخالق بسنن الوجود وقوانين الكون

كذلك لا يعترض علينا بالجانب العلمى من الثقافة الاسلامية لأنها نتيجة الأخذ بأساليب الفكر اليونانى

هذه أوليات ألفت إليها الأنظار حتى أكفى نفسى مقدماً الرد على ما سيثار حولها من رد وجدال

***

قد يكون من الأهمية فى مكان أن أستطرد قليلاً هنا وأنقل بعض فقرات من الأستاذ الحكيم استشهد بها على صحة ما أرى من الفرق بين منزع الفكر الغربى وطابع الذهن الشرقى

يقول الأستاذ توفيق الحكيم :

(إن الشرق قد حل معضلة وجود أغنياء وفقراء وسعداء وتمساء على هذه الأرض فى يوم ما ، هذا لا ريب فيه . إن أنبياء الشرق قد فهموا أن المساواة لا يمكن أن تقوم على هذه الأرض وأنه ليس فى مقدورهم تقسيم مملكة الأرض بين الأغنياء والفقراء فأدخلوا فى القسمة مملكة السماء ، وجعلوا أساس التوزيع بين الناس الأرض والسماء معاً ، فمن حرم الحظ فى جنة الدنيا فحقه محفوظ فى جنة السماء. هذا جميل. ولو استمرت هذه المبادئ وبقيت هذه العقائد حتى اليوم لما غلى العالم كله في هذا الأتون المضطرم)

(إن مذاهب الغرب حينما نزلت الميدان تحاول إصلاح الحياة ألقت قنبلة المادية والبغضاء واللهفة والعجلة بين الناس . لقد أفهمت النـاس أنه ليس هنالك غير الأرض ، يوم أخرجت السماء من الحساب، ذلك أن علم الاقتصاد الحديث لا يعرف السماء . أما أنبياء الشرق فقد ألقوا زهرة الصبر والأمل فى النفوس يوم قالوا للناس لا تتهالكوا على الأرض ، ليست الأرض كل شيء . إن هنالك شيئاً آخر غير الأرض يدخل فى التوزيع)

وليس من شأنى هنا أن أردّ على الأستاذ الحكيم آراءه وأقول له بأننا مادمنا فى الحياة فيجب أن نعمل من أجلها ومن أجلها وحدها ... اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وإننا إذا لم نحل مشاكلنا على هذه الأرض فلن نحلها فى وقت من الأوقات ولن نحل !

ليس هذا ما يعنينى ؛ أما الذى يعنينى من هذا الكلام أن أستوضح الفرق وأستبينه بين منطق الغرب الاثباتى وروح الشرق الغيبى بملاحظة أن المنطق الغربى ينظر للحياة الانسانية كما هى ، وعن طريق العقل وحده يحاول معرفة حقيقته وتنظيم الصلات بين أفراد المجموع البشرى . بعكس الذهن الشرقى الذى يدخل عنصراً غيبياً فى الحياة الانسانية ، وعن طريق هذا العنصر الغيبى يحاول تفسير الحياة وتنظيم الصلات الانسانيـة وإقامة العلاقات بين أفراد الهيئة الانسانية

ولنا أن نخلص من هذا كله بأن الثقافة الغربية إنسانية وأنها انتمت إلى المرحلة الأخيرة من مراحل التفكير الانساني الذى كشف عنه أوغست كونت ، بعكس الثقافة الشرقية التى وقفت عند حدود المرحلة الثانية حيث يمتزج فيها العالم المنظور بعالم ما وراء المنظور

وإذن من الخطأ التفريق بين مفهوم الثقافة ومفهوم العلم الوضعى باعتبار أن الثانى عام والأولى خاصة كما يريد أن يثبت مناظرى الفاضل ، والصحيح أن يقال إن العلم الوضعى رغم أنه عام يقوم بمنهجه الثقافى ، وإن العلم يتلون (بروح الأمة) وهذا ما نلمسه نحن المشتغلين بمسائل العلم من قيام مدارس علمية فى أمم متباينة الروح فتخرج متباينة المذاهب والطرائق والاتجاهات ؛ ولا أدل على ذلك مما نراه من مدارس فى العلم، كلٌّ تحمل اسم أمة بعينها . مثال ذلك المدرسة الألمانية والمدرسة الفرنسية فى الرياضيات والطبيعيات وبقية فروع العلم مما يعرفه كل من درس العلم فى أوربا فى جامعاتها الكبرى

***

إذا صح ما ذكرته كله ولا إخاله إلا صحيحاً — فمن العجيب أن يناقشنا الأستاذ فليكس فارس الرأى فيما قلناه من كون الثقافة الشرقية ذاتية بكلام يلقيه على عواهنه دون أن ينظر إلى ما قدمناه من أدلة استفاضت بها كلمتنا التى أدلينا بها فى مناظرتنا معه والتى شغلت أكثر من ثلاث صفحات من النص الذى نشرته (المجلة الجديدة). ومع ذلك أحب أن أنظر فى كلام مناظرى الفاضل، وأول شىء ألمسه أنه يعترف ضمناً بما نقول حيث كتب يقول:

(ومما يجدر ذكره هو أن العرب حين اقتبسوا من تراث اليونان ما يمتزون به تفكيرهم العلمي لم تستهوهم الثقافة اليونانية ولا حضارتهم الأدبية إذ أحسوا ما بين الحضارة التى كانت تتمخض فى شعورهم وتقديرهم للحياة وبين حضارة اليونان الاجتماعية من مهاو سحيقة فأعرضوا عن شعرهم وموسيقاهم ونظم اجتماعهم لذلك لا تجد فى شعر العرب شيئاً من إبهام بيندار وأوربيد وهوميروس)

وأنت ترى مناظرنا يعترف بأن العرب لم يتقبلوا تراث اليونان الأدبى، لوجود مهاو سحيقة بينهم وبين ثقافة اليونان التقليدية التى احتضنها روح اليونان، وهذا ما نقوله ونشرحه بأن ثقافة العرب ذاتية وأن الثقافة موضوعية عند اليونان. ولهذا لن تجد فى الأدب العربى شعراً قصصياً ولا شعراً تمثيلياً ولا شعراً تصويرياً لأن القصص والتمثيل والتصوير يستلزم الانسحاب من آفاق الذات إلى رحاب الموضوعية، وليس هذا فى مكنة الذهنية العربية كما شرحنا ذلك فى توطئة كتابنا «الزهاوى الشاعر» الذى صدر منذ عام وفي دراستنا الانجليزية لشعر الدكتور أبو شادى

***

يتساءل مناظرى بعد ذلك أين كانت العقلية الغربية قبل عصر النهضة — الرينسانس — أيام كانت الحضارة العربية تحتضن العلوم القديمة، ويسبقنا بالجواب فيقول: إنهم كانوا يغطون فى نومهم، ولم تزل تراود أحلامهم الآلهة التى خلقتها عقلية التعاون فيهم، فبلغ عدد هؤلاء الآلهة ثمانية آلاف فى الأساطير. وأقول أنا رداً عليه: إنه لو قلب وجوه النظر في ما أدليت به فى مناظرتى ما يجده منشوراً بالمجلة الجديدة، فانه ليجد الجواب موجوداً على ما أراده، وإذا أراد أن تنقل له الكلام بحرفه نقلناه

قلنا هناك ما نصه:

«قامت المدنية الرومانية على تراث الاغريق، غير أن المسيحية سرعان ما غزت روما وهبت عليها حاملة معها نزعات المنطق الأسيوى والروح الشرقية، إلا أن الحضارة الرومانية ابتلعت المسيحية وامتصتها ومثلتها، وكان فى هذا الابتلاع والامتصاص والتمثيل بعض الخلاص لمنطق الغرب من روح النسك الأسيوية، ولو لم تكن المسيحية ديانة روحية صرفة قابلة للكثير من التفاسير مرنة بطبيعتها غير حاملة فى طياتها منطق حياة اجتماعية معينة ونظم وشرائع مخصوصة، لقام النضال بين منطق الغرب وأصول مجتمعه وبين روح الشرق وشرائعه التى هبت بها على أوربا ... ولقد نضب معين مدينة روما لعوامل داخلية فهاجمها البربر من الجرمان والصقلب والسلاف والهون، وسقطت إمبراطورية الرومان على ضفاف التبر ... فكانت عصور ظلام فى أوربا؛ غير أن الشعوب البربرية التى ورثت إمبراطورية الرومان احتفظت بالكثير من نظم الرومان الادارية وعاداتهم؛ ولم يعد ما أحدثه البرابرة فى أوربا سوى القضاء على التجارة الواسعة النطاق وعلى الادارة العامة، وبذلك قامت بيوتات تجارية صغيرة تستطيع كفاية أهلها بمنتجاتها، فكان ذلك مقدمة للعهد الاقطاعى. وهكذا قدر لهؤلاء البرابرة أن يركزوا الحياة الاقتصادية فى العمل الصغير، وبذلك وضعوا النواة لعهد الانتاج الصناعى

ثم طغت موجة العرب على الغرب ... غير أن الغربيين نجحوا فى وقف الموجة العربية عند ما تفاقم أمرها ... وكان نجاح شارل مارتل على العرب على نهر اللوار كنجاح الاغريق على الفرس سبباً فى إنقاذ العقلية الغربية من طغيان روح النسك الأسيوية... فى ذلك الوقت كانت العقلية الغربية رازحة تحت كاهل اللاهوت الكنسى الذى قام بروما رقيباً على النفوس والعقول محملاً بكل سيئات روح التنسك الأسيوية ... غير أن العقلية الجرمانية لم تر فى رقابة روما وتسلط البابا إلا روحاً أسيوية بعيدة عن طبيعة الذهن الغربى، فعملت كل الجهد فى تقطيع أوصالها، وبدأ عهد الإصلاح بالصراع بين الذهنية الجرمانية الخالصة ممثلة العقلية الأوربية وبين العقلية البابوية التى تحمل فى طياتها شيئاً من روح النسك الأسيوية ... فى ذلك الوقت شق لوثر طريقه وكان عصر الاصلاح الدينى وعهد الاحياء الفكري»

ومن هنا أرى عن حق أن مناظرى الفاضل لم ينظر نظرة عميقة لـكلامى ، وما أتى به لا يعد نقاشاً لما قلته ، لهذا أستحسن أن ينظر فى كلامى وهو منشور بالمجلة الجديدة ، ثم ينظر فى كلامه المنشور بعددى الرسالة وردى عليه قبل أن يكتب رده ، فذلك أجدى لحسم نقط الخلاف فى الموضوع

ويبقى بعد ذلك كلة أو كلتان فى موضوع الوسيقى الذى أثاره المناظر ولم أجد له أصلاً فيا قلت ، ومع ذلك فأنا عند ظن المناظر أنتدب له الدكتور حسين فوزى وهو إخصائى فى فن الوسيقى وله من العلم الواسع فى هذا الموضوع ما يمكنه من بيان نواحى الزيف فى آراء المناظر ، وهو على ذلك قدير

(الاسكندرية) اسماعيل احمد أدهم

بين العقاد والرافعى

الرافعى ومظهر و «على السفود» (*)

للأستاذ سيد قطب

— ٩ —

أجلت الحديث فى الـكلمة الماضية عن طابع وناشر ومروج « على السفود » الذى يعيب « الشذوذ فى نصرة أديب على أديب » ليعرف الناس من أين تصدر الآراء ، وكيف تصدر ؛ وكم من الأعاجيب يكمن فى تقلب هذه الآراء وطريقة عرضها ، كلما دعا الغرض إلى عرض جديد

وأغلب الناس ممن يقرءون الرسالة قد يكونون من غير المطلعين على هذا الـكتاب ، الذى قدمت له «المصور» وطبعته ونشرته . وليس من المستطاع نقل عبارات منه اليوم إليهم فى الرسالة ، مما يصور شناعة التعبير ، ويكشف مقدار التبعة فى النشر ، لأن «الذوق . والأدب . والخلق» لا تسمح باستعراض تلك الأساليب ولـكنى سأتلطف لقراء الرسالة فى نقل بعض فصوله «البريئة» مع تقديم العذر ، فى شنعة هذه البراءة !

وسـيعرف الناس كيف يكون الإنسان ، سيئ الفهم ، قاصر الاطلاع ، ثم يناقش العلماء النيرى البصيرة المطلعين ؛ ولا يكلف نفسه الاطلاع على أصـل المسائل التى يناقش فيها ، ويجد من الجرأة فى نفسه أن يقول : إنه لم يطلع على هذا الموضوع ، ولـكنه يجزم بأنه كيت وكيت . أما الذى اطلع فهو جاهل و . . . . و . . . الخ

لشوبنهور رأى فى الجمال يلخصه العقاد ، فى أن هذا الفيلسوف يقسم الدنيا إلى « فكرة » و « إرادة » ويقول : إن الدنيا فى « الفكرة » هى الدنيا المكنونة قبل أن تظهر فى حيز الأسباب والقوانين ، وعلاقات الأشياء بعضها ببعض . وإن « الإرادة » هى هذه الدنيا التى نكابد أوصابها وقوانينها ، ولا نذوق السرور فيها إلا لسبب من الأسباب التى تدور عليها أغراضنا وشهواتنا ؛ ولـما كان سرورنا « بالجمال » سروراً بلا سبب ولا منفعة فهو من قبيل الفكرة المجردة ، ننظر إليها كما هى فى عالمها المنزه عن الأسباب والملاقات »

ثم يقول العقاد ما ملخصه : إن رأيه هو أن « الجمال » هو « الحرية » وأنه يلتقى فى رأيه هـذا مع رأى شوبنهور فى نقطة ويختلف معه عند أخرى . فهما يلتقيان حين يقول شوبنهور : إن الفكرة لابد أن تكون بعيدة عن عالم الأسباب والضرورات ، ومن ثم لا بد أن تكون « مطلقة » من أسر الأسباب والضرورات ؛ ويختلفان حين نذكر أن الحرية لا تكون بغير إرادة ، وأن شوبنهور يخرج الجمال كله من عالم « الإرادة المسببة » إلى عالم « الفكرة المجردة »

ثم يرجح رأيه على رأى شوبنهور بأن الجمال يتفاوت فى نفوسنا ويتفاضل فى مقاييس أفكارنا ، ولو كان المعوّل على إدراك « الفكرة » وحدها فى تقدير الجمال ، لوجب أن تكون الأشياء كلها جميلة على حد سواء

ثم يوضح هذا بأن الشجرة كفكرة ، تستوى مع الإنسان كفكرة كذلك ، ولـكن جمـال الأولى أقل من جمالُ الثانى — مع تساويهما لو أخذنا برأى شوبنهور — وذلك لأن الثانى

(*) أجلت الـكلام فى شرح العقاد لأكشف عن مبعث بعض الآراء فى هذا الزمان

أكثر حرية ، و « الحرية هي المعنى الجميل فى الفكرة أو هى التى تهب الفكرة ما فيها من جمال »

وهذا — كما ترى — كلام واضح ، وهو كذلك دقيق . ولكن الرافعى لا يفهمه . وهو فى عدم الفهم على درجات : بعضها يتعلق بالقصور النفسى عن تصور حالة من الحالات النفسية ، وهو ما نعذره فيه ، ولا نطالبه بفهمه . وبعضها يتعلق بالقصور فى فهم الأسلوب والكلمات وهو ما لا ندرى كيف نسميه .

والنوع الأول يبدو فى تعليقه بالهوامش على أن السرور بالجمال سرور بلا سبب ولا منفعة ، فهو يقول : « وهل فى الدنيا من يسر من الجمال « بلا سبب »

ونحن نقول له : نعم يا سيدى فى الدنيا من يسر من الجمال بلا سبب ، لأن بداهته وفطرته ، تتصل مباشرة بالجمال في « عالم الفكرة » كما يشرحه شوبنهور ، فيحس بالسرور . وفى هذا العالم لا توجد « أسباب » فهذه إنما تتعلق « بعالم الإرادة » أى العالم الموجود في الخارج . وهى على كل حال مسألة تتطلب « نفساً » فلا على الرافعى منها

وهو يعلق على شرح العقاد « للفكرة » فى رأى الفيلسوف الألمانى بأنها بعيدة عن عالم الأسباب والضرورات ، ومن ثم لا بد أن تكون مطلقة من أسر الأسباب والضرورات . فيقول : « ففكرة من تكون هذه الفكرة البعيدة عن عالم الأسباب والضرورات ؟ وكيف تسمى فكرة ؟ »

وهذا القول غريب من رجل يدعى أنه يفهم الثقافة الاسلامية ويدافع عن علوم الاسلام . وفى الفلسفة الاسلامية كثير من هذه المباحث ، وقد ورد فيها ذكر « الهيولى » و « الصورة » وهى تقابل مع تعديل « الفكرة » و « الارادة » . وفى مباحث « علم الكلام » كثير من مثل هذه التعبيرات عند الكلام على صفتى « القدرة . والارادة » فمن العجب ألا يفهم إذن أن « الفكرة » بعيدة عن عالم الاسباب والضرورات . وهى على ضوء الفلسفة — وتمثل بها وحدها لما يدعيه الرافعى عنها — تمثل فكرة الخالق التى لا تتعلق بالأسباب والضرورات ، لأنه منزه عن الضرورات وهى فى كلام شوبنهور تمثل فكرة القوة الخالقة — أيا كان اسمها — فدارس الفلسفة الاسلامية لا يعسر عليه فهمها ، ولا يسأل هكذا : « ففكرة من تكون ؟ »

وهذه أيضاً مسألة « ذهنية » تتطلب ذهناً مشرقاً . فلا على الرافعى منها كذلك !

إنما الطامة الكبرى أن يخطئ فى فهم الكلمات المفردة . وهنا فليأخذ القراء حذرهم ، فاننى سأنقل لهم بعض كلام الرافعى بنصه فى هذا الموضوع — مع ما يتضمنه من شتائم « بريئة » إذا قيست إلى سواها ، ونحن نكتبه بنصه وبعلامات ترقيمه :

إنه يقول :

« بيد أن العقاد يقول بعد ذلك : « أين نتفق فى هذا الرأى وأين نفترق ؟ (ماشاء الله أين يتفق العقاد وشوبنهور وأين يفترقان) وأين يتساوى القول بأن الجمال فكرة ، والقول بأن الجمال حرية ؟ يتساويان حين نذكر أن الفكرة في رأى شوبنهور لا بد أن تكون بعيدة عن عالم الأسباب والضرورات . ومن ثم لا بد أن تكون مطلقة من أسر الأسباب والضرورات »

« ثم أين يتعارضان . (الراحيفى ! وشوبنهور) ؟ يقول العقاد : يتعارضان حين نذكر أن الحرية لا تكون بغير إرادة ، وأن شوبنهور يخرج الجمال كله من عالم الارادة المسببة إلى عالم الفكرة المجردة »

« وما الذى يرجح رأى فيلسوفنا ! المراحيفى ! بأن الجمال هو الحرية ، على رأى شوبنهور بأن الجمال فكرة ؟ يقول العقاد : « يرجحه أن الجمال يتفاوت فى نفوسنا ويتفاضل فى مقاييس أفكارنا ؛ ولو كان المعول على إدراك الفكرة وحدها فى تقدير الجمال لوجب أن تكون الأشياء كلها جميلة على حد سواء »

« ونوضح ذلك فنقول : لو كانت الشجرة جميلة لأنها فكرة فقط ، لما كان هناك داع لتفضيل فكرة الانسان على فكرة الشجرة (افهموا ياناس) ولصح لنا أن نزعم أن الناس أجمل من الأشجار (برافو مراحيفى) ولكننا نعلم أن فكرة الانسان غير فكرة الشجرة (تمام تمام !!!) وأن الفكرتين تتفاضلان فى تقرير الجمال (صحيح لأن الشجرة تقدر جمال الناس كما يقدر الناس جمالها !) ولا بد أن يكون تفاضلها بمزية أخري فما هى تلك المزية ؟

« قال المراحيفى . هى الحرية : فالانسان أوفر من الشجرة نصيباً من الحرية (برافو . برافو !) ولذلك هو أجمل منها (ياسلام ياسلام على هذا المنطق . فى رأى من هو أجمل منها ؟ فى رأى الجبل

بالطبع لأنه لا بد من حكم بينهما يحكم أيها أجمل . وإلا فما الذى يمنع الشجرة أن تحكم لنفسها كما حكم الانسان لنفسه ؟) »

والتعليقات التى بين أقواس كبيرة هى كلام الرافعى . وهى كلها قد نشأت من عـدم فهمه للفظة واحدة في جملة العقاد : « لو كانت الشجرة جميلة لأنها فكرة فقط ، لما كان هناك داع لتفضيل فكرة الانسان على فكرة الشجرة » فالعقاد يريد بقوله « فكرة الانسان » الفكرة التى صُورت إنسانا . وبقوله « فكرة الشجرة » الفكرة التى صُورتْ شجرة . فيفهم صاحبنا « فكرة الانسان » بأن الانسان يفكر ، و« فكرة الشجرة » بأن الشجرة لها فكرة فى رأسها ! ولما كانت الأشجار لا تفكر ، فقد راح يقول : (افهموا ياناس) وراح يقول : (صحيح لأن الشجرة تقدر جمال الناس كما يقدر الناس جمالها) . وراح يقول: (فى رأى من هو أفضل منها ؟ فى رأى الجمل بالطبع) لأن الجمل كذلك يفكر وله فكرة !

والمسألة هنا مسألة قصور فى فهم ألفاظ ثم تعالم بعد ذلك وتهكم حيث يجب الخجل والازواء

* * *

ثم ماذا ؟ ثم أخذ يجمل هو رأى شوبنهور (الذى لم يطلع عليه باعترافه فى هامش الكتاب حين يقول : « نحن لا نثق أن ترجمة العقاد عن شوبنهور هي نص معانى شوبنهور ... إنما نذهب إلى (ما نظنه) الأصل فى غرض الفيلسوف ») !

فماذا قال ؟

« فان محصل كلام هذا الفيلسوف أن ما تراه بسبب من إرادتك وغرضك وشهواتك فجماله فيك أنت لا فيه ، لأنه فى هذه الحالة صورة الاستجابة إلى ما فيك ، فلو لم يكن معك أنت هذا الغرض لم يكن معه هو ما خيل لك من الجمال ، فهو على الحقيقة « باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه » (لاحظ هذا) إنما أنت صبغته وأنت أوقعته ذلك الموقع من نفسك فالنتيجة من ذلك أن الأشياء تحزننا (أى لا نراها جميلة) كلما ابتعدت من عالم الفكرة واقتربت من عالم الارادة ، وأنها تفرحنا كلما ابتعدت من عالم الارادة واقتربت من عالم الفكرة .

« وهذا الرأى هو الرأى الصحيح فى معنى الجمال وبه يؤول اختلاف الناس فى تقدير جمال الأشياء ، لأن الجمال فى أهوائهم وأذواقهم ومعانى نظرهم »

وإن الانسان ليفغر فاه عجباً من هذا التلخيص الرافعى لنظرية شوبنهور بل هذا المسخ الذى يمسخه للفيلسوف المسكين . ويحار في السؤال من أين وكيف يلتق هذا الملخص بأصل الرأى ، وما بينهما شبه ولا اقتراب فى أى لمحة من اللمحات

ثم هـذا الخلط بين الرأى الذى جاء به الرافعي وبين رأى شوبنهور ، ونسبة كلام إلى الرجل هو يقول ضده تماماً . الفيلسوف يقول : إن الأشياء « تسرنا » كلما قربت من عالم الفكرة وابتعدت عن عالم الارادة . فيقول الرافعى عنه : إن الأشياء « تحزننا » كلما ابتعدت من عالم الفكرة واقتربت من عالم الارادة . وهو عكس قول شوبنهور . ثم يعود فيقول : « وأنها تفرحنا كلما ابتعدت من عالم الارادة واقتربت من عالم الفكرة » وهو عكس كلام الرافعى الأول !! فأيهما يريد ؟ أغيثونا بالله يا أصحاب الفهم وقولوا لنا : متى تفرحنا الأشياء ومتى تحزننا ؟ وأى القولين ينسبه الرافعى لشوبنهور وأيهما ينفيه عنه ؟

ولا يقنع الرافعى بهذا ولكن اسمعه يقول :

« على مثل تلك الطريقة من الغباوة . وسوء الفهم وقبح الاجتراء والغرور والحماقة ، تجد كل ما يلده العقاد ، أو أكثره ، ثم يزين له لؤم نفسه وعمى بصيرته أنه هو وحده الذى يهدى إلى سرائر الأشياء ويلهم حقائق المعانى ... الخ »

ولو لا أننا نسمو بآدابنا وآداب المجتمع ، لرددنا هذه الكلمات إلى من يستحقها — بعد هذا البيان — من الرجلين !

* * *

وبعد فقد نشر صاحب « المصور » هذا الكلام فى مجلته ، ثم جمعه وطبعه وقدم له ممجباً مستحسناً . فهل كان يا ترى يعلم هذا الخطأ فى الفهم وذلك التخليط ، أم لم يكن يعلم ؟ وإن كانت الأولى فكيف لم ينبه صاحبه إليه ؟ وإن كانت الثانية ، فكيف يتفق هذا مع علمه واطلاعه ؟

ثم ألم يجد فيه جملة نابية ، ولا لفظة خسيسة ، في هذا النقد ؟ بل ألم يجد فيه « شذوذا » ولم يلمح أن ليس وراءه انتصار لمذهب بيّن فى الأدب ، وإنما وراءه ارواء حفيظة شخصية بحتة ؟

أفتونا أيها المنصفون ، المتعالون عن الشخصيات !

« حلوان » سيد قطب

كلمة ثالثة على الهامش

للأستاذ على الطنطاوى

لقد أكرم الأستاذ قطب دمشق وجيرتها ... وصمت عن تقويم كلمى (ووضعها حيث ينبغى وضعها من الأدب والرأى فى مدارج الآداب والآراء ، وشاء لى بهذا الصمت أفضل مما شئت لنفسى) فلم يسعنى إلا أن أشكر له ما تفضل به علىّ وعلى دمشق التى لن تنسى له هـذا الفضل ... ولكن متى سألت سيد قطب تقويم كلمى ومتى طلبت إليه رأيه فيها ؟ وهل بقى علىّ أن أصدر عن رأى سيد قطب فيما أكتب ؟ لا يا سيدى ، ما هكذا يكون النقد ولا هكذا تكون المناقشة . إني سقت رأياً إن كان خطأ عدتُ إلى الصواب الذى تكشفه لى فيه ، وإن كان صواباً وجب أن تعود أنت إليه فبين خطأه من صوابه ، وعدّ عن هذا الأسلوب أسلوب التعريض والسخرية ، واعلم أنى إن حططت عليك ساخراً ومعرضاً لم أدعك حتى تلتصق بالأرض ، وأنا من أقدر الناس على ذلك ، ولكن ذلك شىء يأباه الخلق الكريم ، وتأباه (الرسالة) ولقد كانت لى فى هذا الميدان جولات ، صرعت فيها كثيراً من الكتاب المدّعين المستكبرين ، ثم أقلعت عنها واستغفرت الله ، وأرجو ألا يضطرنى أحد إلى مثلها . ثم إن العهد بك تنكر من الأستاذ شاكر هذا الأسلوب ، فما لك لا تنكر على أحد شيئاً إلا عدت فانغمست فيه إلى أذنيك ؟

لقد أنكرت علىّ أن ذكرت المتقدمين من نقدة الأدب ، وما زلت تبدئ فى السخرية وتعيد ، كأن ذكر هؤلاء المتقدمين جريمة فى شريعـة التجديد ... وها أنت ذا فى مقالك الأخير (العدد ٢٥٨) تقر بصحة مذهبهم فى اللفظ والمعنى وتثبته بقولك فى آخر مقالك : « قد تكون المعانى كذلك » — أى ملقاة على قوارع الطرق — وها أنت ذا تنبه بفعلك : كانوا يأخذون البيت والبيتين فيتكلمون فيهما ، وأنت تفعل فعلهم ، تأخذ إذا تكلمت عن الرافعى بيتاً من الشرق وبيتاً من الغرب تتوهم أن فيه ضعفاً فتتخذه معولاً لهدمه ، ثم تأخذ للعقاد ما تظن أن فيه قوة وجمالا ، فتجعل منه وسيلة إلى مدحه ، فكأنك لم تسمع بنقد حديث ، ولم تدر به ... وإلا فأين شروط النقد ، وأين التجرد عن الهوى ، وأين (الموضوعية) فى البحث ، وأين الدراسة العامة التى تكشف عن أدب الأديب من كافة نواحيه ؟ أليس كلامك عن الرجلين هو المدح لهـذا والهجاء لذلك ؟ بل إنى لأظنك والله لا تريد بالعقاد إلا شراً حين تختار له ما اخترت

إنا والله نجل العقاد ، ونعرف له منزلته ، ونعده فى الأكابر من كتابنا ، ولـكن قوله :

أيها الجيبون انعم سلاماً   يا أخا العبقرى والبهلوان

هذا الشعر يشين طالباً ذكياً لو نسب إليه فكيف بالعقاد العظيم ؟

دع الابتداء بـ (أيهذا) وما فى هذا الابتداء من ثقل واستكراه ، ودع الجيبون التى لو حلف متزوج بالطلاق على أنها لا تدخل شعراً لما أحسبه يحنث . وانظر فى (أنعم سلاما) قالت العرب عم صباحاً ، جاء فى اللسان : (وأنعم الله صباحك من النعومة ، وقولهم عم صباحاً كلمة تحية كأنه محذوف من نعم ينعم (بالكسر) كما تقول : كل من أكل يأكل فخذف منه النون والألف استخفافاً) فالنعومة فى قول العرب مسندة إلى الصباح الذى هو زمان فاذاً نعم صباح المخاطب كان سعيداً مسروراً فما معنى إسناد النعومة إلى السلام ، هل المعنى أنه يطلب من هـذا الجيبون أن يسلم سلاماً ناعماً ؟ وماذا يعنى بذلك ؟

وانظر فى قوله (يا أخا العبقرية والبهلوان) ، ودع كلمة (البهلوان) وما فيها من صحة وجمال ! وانظر إلى اقترانها بالعبقرى تدرك مبلغ ما فيها من الغرابة والثقل على السمع وما فيها من غموض المعنى ، حتى أن القارئ لا يفهمها إلا إذا قرأ كتاب دارون ... مع أن الشعر يجب أن يفهمه كل من كان ذا شعور مرهف ، وكان واقفاً على لغة هذا الشعر ، فاذا جاوز الأمر هذين الشرطين صار علماً منظوماً ! لا فرق بينه وبين ألفية ابن مالك مطلقاً والبنون فى قوله (كيف يرضى لك البنون مقاماً مزرياً) من

هم هؤلاء البنون ؟ إن الاقرار حجة قاصرة ، وإنما نسأل الله السلامة من خذلانه ! إن هذه النظرية لم تثبت عند أصحاب العلم ولم تصبح بعد حقيقة علمية ، أفكلما ظهرت نظرية فى الفلك أو الطبيعة ، فنظمها أديب ، كان بنظمها شاعراً كبيراً ؟ فلم لا ينظم الدكتور ناجى إذن فى الطب ، والمهندس فى الهندسة ، وأبو شادى فى البكترلوجيا ، وعوض فى الجغرافيا ؟ وأى فرق بالله بين نظرية دارون ونظريات غيره من العلماء ؟

وتأمل قوله :

(يا عميد الفنون صبراً ومهلا) واترك مهلا التى لم تجىء إلا للقافية . وفكر فى هذه الفنون التى صار عميدها قرداً فى حديقة الحيوانات ثم انتقل إلى قوله :

مرحباً مرحباً وأهلا ومهلا والهدايا ما بين لب وفول

ألا تذكر بشاراً وربابة ربة البيت . . . أفيعقل أن يتصدر سيد قطب للنقد والكلام فى مثل الرافعى أبلغ من كتب فى العربية ثم يختار مثل هذا الشعر إلا أن يكون عدواً للعقاد يريد أن يذمه بما يشبه فى ظاهره المدح ؟ أو أن نكون قد فقدنا عقولنا فلم نعد نميز بين الحسن والقبيح ، ولم نعد نعرف أقدار الكلام ...

وبعد فانى أسأل الأستاذ البليغ صاحب الرسالة هذا السؤال الذى يتردد على فم كل قارئ للرسالة فى دمشق ؛ وأرجو أن يتفضل بالجواب : لماذا تنشر الرسالة هذه المقالات الأستاذ قطب؟ ألحقيقة ، والحقيقة لا ظل لها فى هذه المقالات ؟ أم من أجل الأستاذ العقاد وفيها من الايذاء للعقاد مثل ما فيها من المس بالرافعى؟ أم بغضاً بالرافعى والأستاذ صاحب الرسالة صديقه الحميم ، وهو شريكه فى التلبس بجريمة البلاغة والحرص على البيان المشرق الذى يسوء هؤلاء المجددين ؟ أم لماذا ؟

إننا لم نفد من هذه المقالات إلا فائدة واحدة ، هى أننا عرفنا أن الجديد إن كان كما يصوره سيد قطب فهو أهون شىء وأبعده عن الحق ، وإنا راضون بقديمنا ، مطمئنون إلى (رجعيتنا ...) عرفنا هذا ، أفلا يعفينا الأستاذ قطب من هذه المقالات ؟ ألا يتفضل فيعلم أن قراء الرسالة قد غدوا بفضل الرافعى والزيات وسائر من كتب فيها من البلغاء لا يعدلون ببلاغة القول وصفاء الديباجة شيئاً وأن كل سعى لتكفيرهم بالبلاغة و (التبشير) فيهم بهذا الجديد سعى ضائع !

فهل الغاية إذن ملء صفحات الرسالة بمقالات الأستاذ سيد قطب ؟

دمشق علي الطنطاوي

(الرسالة) والرسالة تجيب صديقها الأستاذ الطنطاوى بان من مبادئها أن تكون صورة صادقة لأدب العصر فلا تسجل مذهباً دون مذهب ، ولا تتوخى أسلوباً دون أسلوب . ومعارك النقد ظاهرة مألوفة فى عصور الأدب عفت الرسالة عنها حيناً ، ثم رأت من الخير أن تسجل هذه المعركة ؛ لأن أدب الرافعى وأدب العقاد يمثلان وجهتى الثقافة فى أقطار العروبة ؛ فالقول فيهما — إذا حسن — يعين المتأدب على الوجهة التى يوليها ، وينعش الأدب من الخمود الذى هو فيه . ومن حسن القول أن يتكلم الناظر فى الأدب بلسان الأدب ، وأن يعتقد أن أدب الرجل شىء آخر غير شخصه . فلا ينبغي أن يدخل الناقد فى حسابه الحياة والموت ، ولا الصداقة والعداوة

أما رأى الرسالة فى الكاتبين العظيمين فقد سجلته فى افتتاحياتها . فهى لا تحمل من تبعات ما تنشر غير ذلك الذى رأت

بين العقاد والرافعى

كلمة على الهامش أيضاً

للسيد عبد الوهاب الأمين

أوقفتنى كلمة الأستاذ على الطنطاوى فى التعقيب على المناقشة الأدبية الرفيعة بين الأستاذ سيد قطب والأستاذ محمود محمد شاكر حول منزلة العقاد والرافعى فى الأدب الحديث، ولو لا أنى كنت أخشى أن أفسد هذا الحوار وهو فى عنفوانه بين الأستاذين لما ترددت فى أن أقول كلمة، ولكنى احتبستها حتى قرأت تعليق الأستاذ على الطنطاوى فرأيت أن موقفى التزمت قد تحلل من قيوده

شاء الأستاذ على الطنطاوى أن ينتصر للأستاذ شاكر وأن يكتب له النصر، فلم يتوقعه، بل أكده لزميله، وليس فى ذلك بأس كبير، فقد يكون الأستاذ شاكر عبر عن خوالجه تعبيراً محكماً تخيل إليه أن ذلك هو فصل الخطاب. والحق أن الأمر لم ينته، وأن بوادر الحال تدل على قوة مستجدة فى كلام الأستاذ شاكر تنبئ بأن شدة المعركة لم تأت بعد، ولكن الأستاذ على الطنطاوى يريد أن يظهر الأمر للقارئ كأنه انتهى

ثم ماذا ؟

يأتى الأستاذ الطنطاوى مدافعاً عن « إنسانية » الرافعى فلا يجد ما يقول سوي أن الرافعى صاحب عقيدة، وأن العقيدة « مشتقة من العقد، قال فى اللسان . . . » كأن الرجوع إلى اللسان مشكلة لا يتوصل إلى حلها إلا أمثال الأستاذ الطنطاوى، ولست أدرى هل قرأ حضرته — على الأقل — كتاب « الآراء والمعتقدات » لكستان لوبوب وهو كتاب ترجم منذ سنين ليعلم أن خلافاً فى أمور العقائد لا يحله الرجوع إلى اللسان، ولو كانت الخلافات على العقائد تحل بالرجوع إلى القواميس لما قامت الحرب الأسبانية مثلاً !

ثم ماذا ؟

ثم يأتى كلامه فى الخلاف بين أدب الرافعى وشعر العقاد « فهو الخلاف بين الأسلوب الذى يعتمد على البيان والصحة والصناعة والجمال، وبين الأسلوب الذى يستند إلى المعنى المبتكر والصورة الجديدة، لم يظهرها لفظ قوى، ولا أداء مستقيم » فالأمر كله فى نظر الأستاذ الطنطاوى إنما هو أمر اللفظ القوى والأداء المستقيم. أما أننا نعيش فى عصر الحديد والنار، العصر الذى يتطلب من أدبائنا أن يكونوا طليمتنا فى إدراك الوضع الحاضر والاستمداد له وتلفف الفلسفات التى تنطوى عليها حضارة هذا العصر ومدنيته، فنتطلب من شاعرنا وأديبنا أن يكون شخصاً ذا رأى وعقيدة، فهذا أمر إن جاء فى حساب الأستاذ فإنما يأتى فى الدرجة الثانية أو الثالثة . . . وهو إذا أراد أن يقول كلمته فى أمر اللفظ والمعنى فإنه يعود تواً إلى الجاحظ والجرجانى ولا يزيد عليهما . . . أما الأعصر التى مرت على البشرية بعدهما فلا حساب لها عند الأستاذ . . . « أما المتقدمون من نقدة الأدب العربى فأكثرهم على أن المعانى على قوارع الطرق (! . . .) وإنما يتفاضل الناس بالألفاظ » . ولسنا ندرى على قارعة أى طريق وجد المعرى معانيه فى لزومياته ورسائله، أو المتنبى فى شعره الخالد !

ويعود حضرته فيؤكد ويقول « وإنما الأدب هو الصيغة اللفظية التى يعبر بها عن هذا الاحساس، وعلى مقدار التوفيق فى هذه الصياغة تكون قيمة القطعة الأدبية » فالأمر كله على الثوب ورحم الله جحا وثوبه فى مأدبته المشهورة !

ولو كان نقد الأستاذ موجها إلى أحد أدباء العربية غير العقاد لجاز أن يوجه بعض التوجيه، ولكن العقاد أديب لم يتهاون مطلقاً فى أمر اللفظ القوى والأداء المستقيم » وهو يتحرى ذلك فيما يكتب وينقد. وقد اضطر فى نقد له لجبران أن ينزل به لأنه كان فى نظره ليس بالمتين فى اللغة والاداء. وبيان العقاد فى العربية أنصع بيان وأقومه، ويشهد بذلك كل « بيانى » ولوشئت لأتيت بالأمثلة، ولكنها لن تغنى سادتنا « اللفظيين » لأن الفن فيها لا يستكنه بالرجوع إلى اللسان أو القاموس المحيط ! فاللفظ هو كل شىء فى أدب إخواننا أصحاب الرافعى. ولست أعلم ما رأى الأستاذ الطنطاوى فى كتاب « ألف ليلة وليلة » ، هل مرجع الأهمية فيه الصيغة اللفظية أم سمو الخيال ؟ وهل يرى الأستاذ أن قصيدة « ترجمة شيطان » للأستاذ العقاد هى « أشبه بالعمالقة الضخام ،

ولكنهم يحملون حفنة من الحصى » أم أنها ملحمة لا مثيل لها فى العربية ؟

ولنأت مع الأستاذ الطنطاوى إلى آخر حديثه فنسمعه يقول عن نقد هذا البيت :

قلبي يحب وإنما أخلاقه فيه ودينه

« ان انتقاد هذا البيت وتشبيهه بالخطب المنبرية الجافة تحقير للحب ، وتنزيل له إلى حيث يخالف الدين والأخلاق حتماً ، ودعوى ضمنية بأن المحب لا يستطيع أن يحتفظ بخلق ولا دين ! »

هذا آخر سهم فى الكنانة !

فان لم ينفع كل ما قيل فهناك الدين ، وما أسهل ما ينقلب الأمر إليه فيكون العقاد وتلامذته كفرة جاحدين ! وكذلك كان الرافعى رحمه الله يقول عن كل ما يقع تحت مبضعه فى النقد؛ فطه حسين والعقاد وسلامه موسى وسواهم كفرة؛ وإذا أراد العقاد أن يجادله فى مفهوم إعجاز القران بلغة هادئة كلها منطق وحجج ، فذلك لا يؤدى إلا إلى اتهامه فى عقيدته الدينية . ولست أفهم كيف يرى إخواننا المعجبون بأدب الرافعى فى النقد كالأستاذ شاكر والعريان والطنطاوى أن نقد العقاد للرافعى ما هو إلا « شتائم » ، وماذا كانوا يقولون عنه لو أنه كتب فى ثلب الرافعى رحمه الله كتاباً ككتاب « على السفود » وأقل ما فيه : وغد ، ونذل ، وزنيم ؛ ولم يفعل العقاد عشر معشارها فى نقد الرافعي ؟ أكانت تبقى للعقاد حرمة عندهم ؟ أم كانوا يسقطون منه فضيلة القول الجميل كما يريدون أن يسقطوا منه كل فضيلة ؟

إن الأستاذ على الطنطاوى لا يتجنى على العقاد وسيد قطب فحسب، بل هو يبتنى سابقة غير محمودة فى النقد، فليس من المروءة تأليب الطبقة المحافظة على كل أديب مجدد ، وليس الدين مدار البحث فى أدب الرافعى وشعر العقاد ، بل هو موضوع قائم بذاته متى جاء البحث إليه جاز أن يقول فيه الناقدون مقالتهم ، أما ونحن الآن فى عصر لم نتخلص فيه بعد من عصبية جاهلية قائمة عند الأغلبية فان من الجناية التى لاجناية بعدها أن يدور الأستاذ الطنطاوى ويحوم حتى يأتى بالأمر إلى الدين ؛ فيتهم الأستاذ سيد قطب من طريق غير مباشر بعدم الرعاية للخلق الدينى

***

وبعد فإن الحديث حول الرافعى والعقاد الآن حديث ذو دلالة فى الأدب العربى المعاصر ، ودلالته هذه فى أنه يمثل عصرين يتطاحنان ، ولا ريب عندنا فى الغلبة لأحدهما ... فالعصر الذى يمثله المرحوم الرافعى وإخواننا المنافحون عنه عصر يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وهو فى حالة احتضاره يصحو صحوة الموت ليهدأ بعدها الهدوء النهائى ، والعصر الذى يمثله العقاد وزملاؤه عصر الحاضر والمستقبل ، عصر الأدب المنتج الخلاق ، لا عصر التقليد والاجترار ، عصر هضم الحضارة الغربية وتمثلها ، لا عصر ازدرائها والابتعاد عنها ؛ وهو بذلك العصر الذى سيعيش حتماً

وما دمنا فى الحديث عن العقاد فإن له كلمة تدخل فى حديثنا هذا ، فقد لقيه أديب مشهور فى أثناء نقده لشوقى بهذا البيت :

شوقى تولاه عباس فأظهره والبوم يخمله فى الناس عباس

فقال له : « بل إنه عصر يخمل عصراً ، ولا غبة وهم تخفتها صيحة حق » فالأمر فى الخلاف بيننا وبين إخواننا المعجبين بأدب الرافعى كل هذا الاعجاب لا يقتصر على شخص العقاد أو الرافعى بل هو يمثل هذين العصرين المتطاحنين

بغداد عبد الوهاب الأمين

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ٢٢ —

ليت ليلى تعرف بعض ما ألاقى فى ليالى الصد من أهوال !

ليت ليلى تعرف كيف ندمت على التعرف إلى وجهها الجميل !

ليت ليلى تعرف كيف هدت عزمى وقوضت بنيانى !

ليتها تعرف أن هواها أورث جسمى وقلبى أسقاماً وعقابيل ستكدر ما بقى من حياتى !

وليتنى أعتبر بما صرت إليه فأتقى الله فى نفسى وأتصوّن عن الهوى والفتون !

ما أشد حزنى على ما ضيعت من شبابى فى التغزل بالعيون السود!

ما أشد ندمى على الغفلة التى خضت أوحالها يوم وثقت بعهود الملاح ... !

سيطول بكائى على العافية التى بددتها تبديد المسرفين على أنفسهم وأنا أتنقل من أرض إلى أرض فى سبيل الجمال

سأكتوى بنار الحقد على الدنيا وعلى الناس كلما تفكرت فيما ردنى الحب إليه من ظلمات

لم يبق لى رجاء فى غير الله

ومن سوء البخت ألا أعرف الايمان إلا فى أيام الضر والبؤس !

إليك أرجع يا ربى ، أرجع مقهوراً مدحوراً بعد طول الهيام بأودية الضلال

إليك أرجع ، ولا فضل لى فى هذا الرجوع ، فقد انهد كيانى ، وانشقت مرارتى ، وصار من الموجع أن أحمل إلى فمى كوباً من الماء

إليك أرجع ، فامنحنى من العافية ما أنقل به صور ذنوبى إلى ألواح خيالى ، عسانى أعرف كيف أستغفر وأنيب

***

لم أجد فى النجف شفيعاً إلى ليلاى ، فقلت أذهب إلى الموصل وتلك نهاية المطاف فى البحث عن الشفعاء

وعقدت العزم على السفر بالقطار الذى يقوم من بغداد فى الساعة التاسعة مساء

ولكن صديقاً موصليًّا طرق بابى فى الساعة السادسة وعرف نيتى فى الذهاب إلى الموصل، فنهانى ، ولما استوضحت السبب قال : إن أهل الموصل يحقدون عليك ؛ فانزعجت وقلت : كيف ؟ فأجاب: أنت أطلت التشبيب بالعيون السود فغنمت عطف أهل البصرة وأهل بغداد ، وخسرت مودة أهل الموصل ، لأن عيونهم شُهْل لا سود ...

فقلت : أتغزل بالعيون الشهل وأتناسى العيون السود

فقال : كان ذلك قبل اليوم

وتركنى وانصرف

وكذلك قضيت نحو ثلاث ساعات فى كرب وبلاء

أشهد أن ذلك الصديق طيب القلب ، فما تعمد يوماً إيذائى ، ولكنه سيئ التصرف ، فهو يزورنى من حين إلى حين ليكدر صفائى ، وهو يجد لذة فى تنغيص من يعرف ، ويشعر بارتياح حين يستطيع إلقاء صديقه فى أتون العذاب

وقد وصل فى إيذائى إلى ما يريد وخرج وهو جذلان

وفى غمرة هذا الحزن المظلم دخل موصلىٌّ آخر ، موصلىٌّ كريم كاد أهله ينسوننى أهلى ، موصلى صيغ قلبه من العطف والحنان ، فشاع الأنس فى روحى حين اغتبقت بروحه الرفيق

وما هى إلا لحظات حتى كنت فى القطار وهو يحملنى التحية إلى أقربائه بالموصل الجميل

***

وفى القطار رأيت رجلا بيده مجلة تسمى (الأندلس الجديدة) وهى فيما أتذكر تصدر فى البرازيل ، وفيها رأيت مقالة فى تجريح صديقى العزيز الدكتور زكي مبارك ، فابتسمت وقلت : جرّحوه كيف شئتم فستطيب الدنيا يوم يصل إلى فؤاد ليلاه !

وكان رأسى قد أثقله النعاس فلم أعرف شيئاً من معالم الطريق

وصلت إلى كركوك بعد عشر ساعات فى القطار ، وكركوك هى (شهر زور) فى كلام القدماء ، وفيها تشهد العين لأول نظرة مشاعيل اللهب ، لهب النِّفط ، فيدرك العقل أن هذا اللهب هو الذى يجذب الفراش ، الفراش البغيض الذى يفد من وراء البحار ليسيطر على ذخائر تلك الأرض ، وبعض البلاد تؤذى أهلها بفضل ما فيها من ذخائر وكنوز ، والجمال يجنى على أهله فى أكثر الأحيان .

ومضيت فسألت عن رئيس البلدية وهو الشيخ حبيب الطالبانى فعرفنى بأقربائه ودعانى للتنزه فى حديقته الفناء ، وهناك جرى الحديث عن اللغة العربية فعرفت أن أهل كركوك بعضهم من الأكراد وبعضهم من التركمان وأنهم يتكلمون الكردية والتركية بأسهل مما يتكلمون العربية

وبعد لحظات رجع أبناؤه من المدرسة فدعاهم للتسليم علىّ ، فوقفوا صفًا فى أدب واستحياء ، فسألتهم أن ينشدوا شيئاً مما يحفظون ، فأسمعونى نشيداً عربياً بديعاً ، دلنى على أن أطفال تلك الناحية سيكونون باذن الله من سواعد العروبة بعد حين

وكذلك عرفت أن الحكومة العراقية تستطيع بسهولة أن تؤلف بين عناصر العراق ، وأن تجعل منه شعباً مُوحَّد اللغة والتقاليد فى زمن قليل . ويؤيد ذلك أن العروبة هى فى الواقع فكرة لاجنس ، والكردىّ يتحول بعواطفه إلى العروبة بلا عناء

ومنظر كركوك جيل ولكن أهلها يشكون قلة المياه ، وفيها اليوم نحو أربعين ألفاً من السكان ، ودورها تبلغ ثمانية آلاف ، وبها حديقة للشعب ، وفيها مكتبة ، ولها ضواح صالحة لأن تكون من مرابع الابتهاج لو وجدت من يصلها بأصول التمدن الحديث

وفى شهر زور — وهى كركوك — يقول أحد الشعراء :

وعدتِ بأن تَزورى بعد شهر	فزُورى قد تقضَّى الشهر زُورى
وموعد بيننا نهر المعلَّى	إلى البلد المسمى شهر زُور
فأشهُر صدك المحتوم حقٌ	ولكن شهر وصلك شهر زُور

خطرت ببالى هذه الأبيات وأنا أطوف بكركوك فحزنت ، فذلك شاعر كان يشك فى صدق ليلاه ، كما أشك فى صدق ليلاى . ورأيت أن أبحث عن قريبات ليلى هناك ، ثم خشيتُ أن يصعب التفاهم باللغة العربية فمضيت إلى إربيل بلد المبارك بن حمد بن المبارك الذى يقول :

تذكَّرنيك الريح مرَّت عليلةً
على الروض مطلولاً وقد وضح الفجرُ
وما بعــدت دارٌ ولا شط منزلٌ
إذا نحن أدنتنا الأمانىُّ والذِّكرُ

وصلت إربيل فى وقت القيظ فلم أجد من النشاط ما أصعد به لرؤية القلعة التى تحدثت عنها كتب التواريخ ، وإنما اكتفيت بزيارة المسجد وشهود بعض الأسواق . وراعنى أن تقوم أكثر المنازل على ربوة عالية تستدرج شياطين الشعر والخيال

وفكرت فى تلقف بعض المعلومات عن إربيل فلم أجد من يسعفنى بما أريد ، حتى الشرطى حارس الميدان لم يعرف شيئاً عن عدد السكان فى إربيل ولم يستطع أن يرشدنى إلى بعض المدارس ، وهذا لا يمنع أن يكون فى إربيل أدباء نري آثار أقلامهم فى بعض المجلات المصرية من حين إلي حين

* * *

ثم اتجهت نحو الموصل فراعنى أن أرى حقول الحنطة على جانبى الطريق ، وهى تشهد بما فى تلك البقاع من خيرات ، وراعنى أن أرى السيارة تنتقل من نجاد إلى وهاد ، ومن وهاد إلى نجاد كأننا فى جبل لُبنان

الله أكبر ولله الحمد !

هـذا مسجد النبي يونس ، وهو فوق هضبة عالية ، وكأنه نوتردام دى لاجارد التى تروع من يدخل مرسيليا أول مرة

وعند الجسر يستوقفني الشرطى ليسأل عن اسمى فأقول : زكى مبارك . فيسأل : الدكتور ؟ فأقول : نعم ! فيبتسم ويقول : عرفت أخبارك ، ولكن حدثنى عند من تنزل ؟ فأقول : عند آل ليلى ! فيقول : وهذا وجه الإشكال !

وسأعرف بعد أيام لماذا يهتم الشرطة بمعرفة أسماء من يدخلون كركوك وإربيل والموصل

ألقيت أمتعتى فى الفندق وخرجت أدبر الوسائل للبحث عن قريبات ليلى . واتفق أن جلست لأشرب كوباً من الشاى فى

إحدى القهوات ففاجأني الأستاذ محمد بهجة الأثرى وهو يقول: أتراك تفلت من يدى يا دكتور؟ من جاء بك إلى الموصل؟ أذو نسب أم أنت بالحى عارف؟ ونقلنى إلى المدرسة الثانوية للتسليم على الأستاذ بهجة النقيب، وهنالك طالعتنا مجلة الرسالة فقرأنا فقرات من حديث ليلى المريضة فى العراق، وحددنا موعداً للتلاق بنادى الجزيرة فى المساء

ولم تمض ساعات حتى تسامع أهل الموصل بقدومى على غير ميعاد، فأقبلوا متفضلين للتسليم على الرجل الذى أحب العراق وأحبه العراق

تحدث أحدهم فقال: هل رأيت المنارة الحدباء؟

فقلت: لا. فقال: لقد هم الدكتور عبد الوهاب عزام بصعودها، وبعد أن صعد خمسين درجة دار رأسه فنزل

فقلت: يا فضيحة الجامعة المصرية!

وانتقلت إلى مجلس آخر فابتدرنى أحد الأدباء بهذا السؤال: هل رأيت المنارة الحدباء؟ فقلت: لا. فقال: لقد همّ الدكتور عبد الوهاب عزام بصعودها، وبعد أن صعد أربعين درجة دار رأسه فنزل

فقلت: يا فضيحة الجامعة المصرية!

وفى مجلس ثالث تحدث رجل فقال: هل رأيت المنارة الحدباء؟ فقلت لا. فقال: لقد هم الدكتور عبد الوهاب عزام بصعودها، وبعد أن صعد ثلاثين درجة دار رأسه فنزل

فقلت: يا فضيحة الجامعة المصرية!

ثم صممت على صعود هذه المنارة ولو كان فى ذلك حتفى، لأنقذ سمعة الجامعة المصرية، على حجراتها وغرفاتها ومدرجاتها أزكى التحيات!

سميت هذه المنارة حدباء لغلطة هندسية أورثتها الاحديداب ومن أجلها سميت مدينة الموصل «الحدباء» على طريق المجاز المرسل، وباسم الحدباء سمى نوع من الخمر يستقطره الموصليون، وكذلك انتقل الاسم من المنارة إلى المدينة إلى الشراب!

والمنارة الحدباء هى أعظم منارة فى أقطار العراق، ودرجاتها فيما سمعت مائة وثلاث وتسعون درجة، وهى منارة الجامع الكبير

ابتدأت فزرت الجامع، وهو قديم يرجع تاريخه فيما قيل إلى ثمانمائة سنة، ولمحرابه قبة عالية، وإقامة القباب فوق المحاريب طراز معروف فى العراق

وبذلك الجامع مقصورة خاصة بالنساء، ولا تقام فيه الصلوات لهذا العهد إلا فى الجمع والأعياد

وفى أثناء الطواف سمعت هديلاً يسجع بحنين فاجع يذيب لفائف القلوب، وسجع الحمام مألوف فى العراق وقد تحدث عنه مئات الشعراء، ولكنه فى هذه المرة كان حماماً موصلياً يعيش فى البلد الذى نسب إليه أبو إسحاق

وقد نظرت فرأيت الهديل يسجع ويجانبه ليلاه، فما الذى كان يصنع لو غابت عنه ليلاه! ليتنى فى مثل حالك، أيها الهديل البَـكَّـاء!

ثم توكلت على الله وصعدت المنارة بصحبة جماعة من الرفاق يحملون المصابيح، وآذانى أن أجد درجات المنارة مُهتّمة، وأن أعرف أن الصعود فوق الدرجات أمر صعب، ولو أننى حاولت ذلك وأنا فى سنّ أصغر أبنائى لكان الخطب سهلاً، ولكننى اليوم عالم علامة، والعلماء العلامون يصعب عليهم السير فى الطريق فكيف يصعدون المنارة الحدباء؟!

وبعد أن صعدت نحو سبعين درجة شعرت بالتعب، فقلت: أنزل!

وهل يعيبنى أن أعجز عن صعود منارة عجز عن صعودها الدكتور عزام؟

وشجعنى على النزول أن الدكتور عزام صديق عزيز والتعالى عليه ينافى الذوق، وهو بالتأكيد سينشرح صدره حين يعرف أننى عجزت عن صعود المنارة الحدباء، والضعفاء يعطف بعضهم على بعض!

وبعد أن نزلت درجتين مرّ بالبال خاطر مزعج: وهو أن ليلى قد تسمع بهذه القصة فتعرف أن طبيبها أصبح من الأشياخ

وكذلك انطلقت إلى صعود المنارة بعزائم الشياطين

وقفت فوق المنارة ونظرت إلى الأرض فعرفت خطرما أصيبت به من احديداب، فالذى ينظر إلى الأرض من فوق تلك المنارة

يتوهم أنها ستسقط به ، ولكن هذا الوهم لا يجوز على رجل مثلي!

ذلك كان من أمر الصعود ، ولكن كيف النزول ؟

إن النزول بدا لي أمراً خطيراً جدا ، ومن كان في ريب من ذلك فليجرب ، وقد خشيت أن تزل قدمي فأسقط ، لأن دَرَج تلك المنارة أصبح خيالا في خيال

واقترح السيد محسن جوهر أن أضع يدي على كتفه فرفضت لأن الاعتماد على الغير عند الشدائد هو بداية الانخذال

* * *

نزلت من المنارة بلا مساعد ولا معين ، فصح عندي أن عافيتي لا تزال باقية . وتطلعت إلى الهيام بأرجاء الموصل لأري ما فيها من بقايا السحر والفتون ، ولأبحث عن الشفيعات إلى ليلاى

وبدأت فزرت قبر أبي تمام ، وكنت كتبت كلمة عن إصلاح قبره في جريدة الأفكار منذ ثمانية عشر عاما ، وكان من رأيي أن تأليف كتاب جيد عن شاعرية أبي تمام أفضل من العناية بإصلاح قبره ، فمتى أشرع في تأليف هذا الكتاب ؟

كنت مبلبل الخواطر فلم أقرأ الفاتحة على قبر أبي تمام ، وإنما قرأت على قبر أبي تمام قول أبي تمام

أحبابُهُ لِمَ تفعلون بقلبهِ ... ما ليس يفعله به أعداؤهُ

وهاج حقدي على ليلاى فوقفت شارد اللب لا أعرف ما أصنع

ثم تلفت فرأيت جِنّيات الشط ، شط دجلة ، فسألت رفيقي :

ما بال هؤلاء الملاح يلقين الشط بلا احتشام ؟

فأجاب :

« للحديث شجون » زكي مبارك

حـــــواء

ديوان شعر طريف في الغزل العرفاني من نظم الأستاذ الحوماني تحت الطبع ، تحمل الرسالة منه إلى قرائها عدة نماذج قبل صدوره

في ليلة عرس

إسألي الروضةَ هل كا ... نَ بها إلاكِ غرسي
وهل العطر الذي يع ... بقُ منهـا غير نفسي؟
زهرها الذابل يا ميُّ ... غدِي والغضُّ أمسي
وعلى المخضرِّ من أو ... راقهـا سطرت يأسي
فبدت منـه على وج ... ه السما صبغة وَرْسِ
وهوى كالزَهَرِ المنـ ... ثور في ليلة عرس
وتوارى لم يَرُق عيـ ... ناً ولم يعلق بحسِّ
هو مثلي تعبق الآ ... فاق منـه وهو مَنسي

فراش يتبارى

ما تَمُرِّينَ بآما ... ليَ في الروض حياري
يترامين على الزهـ ... ـر كبار وصغارا
ويساجلن دواليْـ ... ـكِ على الدوح الهزارا
ويعـانقن متى شئـ ... ـن شقيقاً وبَهـارا
وإذا ألبسها من ... لونه الزهـرُ إزارا
وسقاها من سَقيط ... الطل شهداً وعقـارا
فبـدت ألوانها الزُّهـ ... ـر لجيناً ونضـارا
ومضت تختال من غصـ ... ـن إلى غصن سكاري
تتبـدى فوقه طو ... راً وطوراً تتواري
خِلتِهـا في أُفُق الرو ... ض فَراشاً يتبـارى

الحوماني

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة في نواحيها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

— ١٧ —

عاد المحامي يكدح من أجل قوته كدحاً شديداً ، ويأخذ قسطه من النصب مع صديقه هرندن ؛ وكان قد تركه وحده طيلة ذلك الصراع المنيف ، فهو بذلك يخرج من جهد إلى جهد ؛ والناس يعجبون من تلك القوة البدنية التي ما زال يتمتع بها قاطع الأخشاب في الغابة بالأمس وهو اليوم قد ناهز الخمسين أو كاد

وإن به بعد عودته هذه لحاجة شديدة إلى المال فهو اليوم ذو عسرة ؛ وإنه لن يطلب المال ليستعين به في الوصول إلى جاه كما يفعل دوجلاس ومن على شاكلته من الناس ، بل لينفق منه فيما باتت تطلبه السياسة من أوجه الأنفاق ؛ وإنه ليفطن إلى أن عودته إلى المحاماة إنما هي إلى أجل قريب ، فلقد خطا في السياسة خطوة لن يكون بعدها نكوص

ولم يجعل إبراهام للمحاماة كل همه كما كان يفعل من قبل حينما كان يمني بالفشل في السياسة ؛ فأن للسياسة اليوم نصيباً كبيراً من وقته ومن جهده ؛ فهو يقرأ الصحف قراءة تمعن ليرى ماذا يقول الناس في مسألة العبيد ، ولينظر في الأمر ليتعرف كيف يتطور وإلى أين يتجه البلاد فيه ؛ وهو يدعم بنيان حزبه في ألينواس ويمده ما استطاع من قوة يعتد بها في غد

ونظر الناس إليه اليوم نظرتهم إلى ذي جاه ، ويشيرون إليه في إعجاب وإكبار ، وهو يحس هذا فلا يزداد إلا دعة وليناً ؛ فيدل بذلك على أن عظمته عظمة حقيقية تبدو للناس في أبسط مظهر لها فتكون بذلك في أبهى مظاهرها ..:

والعظمة الحق كالذهب الحر في بساطة جوهره وبهاء منظره ولن يخرج الذهب عن صفته إذا وجد غفلاً من الزخرف ؛ والنحاس مهما أدخل عليه من النقش والزينة لن يكون إلا نحاساً ؛ والعظمة الحق هي التي تخلق الرجال وتبنيهم ، وليست هي تلك التي يختلقها الرجال فيكون الواحد منهم بما يتصنع ويتكلف كالذي يخطر في حلة رائعة وهو لا خلق له ؛ فلا تخفي الحلة سمته ، ولا يكون منها إلا أنها تظهره أقبح منظراً وأحقر أمراً ؛ فهو إنما ينبه الناس بما ينتحل ويدعي لنفسه من أوجه الكمال إلى حقيقته فيرون أنه ليس بالكبير ولكنه يتكبر ، ولا تقع أعينهم منه إلا على مظهر وإن كان ليخيل إليه أنه جوهر ...

ولقد كان لنكولن يفعل الفعل أو يرى الرأي في أمر من الأمور عن لقانة مدهشة وطبع معجب بكماله ، فاذا رددت فعله أو رأيه على ما تواضع الناس عليه من عرف وما اتفقت عليه عقولهم وقلوبهم ما وجدت فيه شذوذاً ولا نقصاً ؛ بل إنك لتراه حقيقاً أن يسير الناس كما يرسم ، كأنه في أعماله كوكب في هذا الفلك الدائر يتحرك وفق نظام محدود فلا يضطرب ولا يتذبذب إلا أن ينفرط عقد ذلك النظام

وكان من أحب الأشياء إلى نفسه أن يرفع الناس بينهم وبينه الكلفة ، فهو يصاحبهم ويباشرهم كأنه أصغرهم قدراً ؛ وهو على كثرة بره بهم لا يبتغي على معروف جزاء . وكان إذا غشي مجلساً لهم رآهم يتنحون له عن مكان الصدارة فيأبى إلا أن يجلس حيثما اتفق له ؛ وإنه ليستحي أن يناديه الناس باسمه مجرداً عن كل لقب يراد به التعظيم وهو عندهم أبيب الأمين أو أبيب العجوز أو هما معاً ، وهي ألفاظ لها في أذنه سحر الغناء لأن فيها جمال الصدق وجلال التواضع ...

وحسبك دليلا على جمال نفسه وطيب عنصره أنه طلب إليه يومئذ أن يكتب كلمة فيها ملخص حياته لتكون مرشداً إلى ترجمة توضع له فلم يشر إلا إلى أنه نشأ في الغابة من أبوين فقيرين ، وأنه عمل منذ صغره على كسب قوته فساعد أباه تارة واشتغل أجيراً تارة ، وأنه تعلم القراءة والكتابة دون مساعدة تذكر من جانب غيره ، وأنه ذهب إلى نيوأر لينز في تجارة لأحد الناس ، وأنه اشتغل بعدها صبياً في حانوت ، وأنه عمل في تخطيط الأرض وفي توزيع البريد ، وأنه عالج المحاماة حتى حذقها ، وأنه اختير عضواً

فى مجلس الولاية ... كل أولئك دون أن ترى فى كلمته هذه عبارة تشعر بفخر أو تنم على زهو ، حتى أنه ما استطاع أن يشير بكلمة إلى ما أصاب من نجاح فى السياسة ، وهو إن فعل لم يك يعدو الحقيقة فى شيء ...

رجع إبراهام إلى سبرنجفيلد ولكن اسمه ملء الأسماع فى كل مدينة من المدن الكبيرة وخاصة فى الشمال ؛ والصحف لا تفتأ تشير إلى ما كان بينه وبين دوجلاس ، ولا تكاد تذكر مسألة العبيد إلا مقرونة باسمه ؛ ثم إن مسألة العبيد تذكر اليوم معها مسألة أخرى هى مسألة الوحدة، فقد أخذت تزداد فى الجنوب دعوة الداعين إلى الانفصال عن الشمال ؛ وكان خصوم إبراهام يجتهدون أن يرجعوا إليه وإلى الحزب الجمهورى السبب فى هذا الانفصال إذا تم ، وكانوا يسمونه الجمهورى الأسود حنقاً عليه وكيداً له ...

وانهالت عليه الدعوات من مدن كثيرة فى الشمال ليخطب الناس فيهـا ، فأعرض أول الأمر عن إجابة هذه الدعوات قائلاً : إنه إن ترك عمله فى المحاماة مدة كما فعل من قبل فسوف يعدم قوته ؛ ولكن خصومه لن يدعوا الكيد له ولن يتوانوا عن تشويه مبادئه والطعن عليه بكل فاحش من القول وباطل من الاتهام ؛ وإذاً فالى مجادلتهم من جديد ما من ذلك بد ...

وكانت مارى على ما به من خصاصة تطلب منه الكثير من المـال لتظهر به فى المظهر الذى يليق بما أصبح له من مكانة ؛ وهى فى الوقت نفسه لا تنفك تستعجله فى السياسة وتحرص ألا يتهاون فى أمر من أمورها

ولقد عظمت ثقته بنفسه ؛ ولكن تواضعه يغلب عليه فيرى نفسه بين عاملين يتنازعانه، فبينماهو يفطن إلى قوته ويحس أن منطق الحوادث يسير به إلى حيث يصبح رجل الساعة ، إذا به — وكأنه يخشى الخيلاء — ينظر إلى نفسه نظرة لولا ماعرف عنه من الصدق والصراحة لأخذت على أنها نوع من المكر يلجأ إليه لغاية فى نفسه. فهو يسر إلى صديق له أثناء منازلته دوجلاس أن امرأته تتوقع أن سيصبح رئيس الاتحاد، ثم يقول لهذا الصديق وهو يضحك ملء نفسه ويداه تمتقلان ركبتيه وهو مستلق على ظهره: «صور لنفسك ياصاحبى كيف يصير أبله مثلى رئيسا »

يالله لهذا الرجل ! ولكن المبدأ عنده كما أسلفنا فوق كل اعتبار آخر ، وما الرياسة عنده إلا غرور مالم تكن وسيلة إلى تحقيق ما استقر فى نفسه ، لذلك كان يجهد ويدأب كما خاف على مبادئه أن تعصف بها الأهواء والمغالطات ، ولم يخطر بباله يوماً ما أن يخطو خطوة واحدة من أجل غرض شخصى

وكان لا يزال يرى فى دوجلاس أخطر خصومه ، لا لمـا كان بينهما من منافسة ، بل لما كان يمتاز به ذلك الرجل من المكر الشديد والمقدرة على أن يخدع الناس فى سياسة بلادهم ليصل من وراء ذلك إلى تحقيق أطماعه الشخصية وهو لا يرعى فى الحق إلاًّ ولا ذمة

وكأن دوجلاس لم يكفه ما كان من جدال فحمل فى أهايو على الحزب الجمهورى وقذفه بما شاء من اتهامات. فذهب لنكولن وخطب الناس فى كولمبس وسنسِنَّاتى ، وفى هذه المدينة أعلن سياسته فى صراحة وجلاء، قال : « إنى أعلن أول الأمر لأهل كنتولى أنى كما يقولون — ولكن كما أفهم أنا — جمهورى أسود ؛ إنى أعتقد أن نظام العبيد خطأ خلقى وسياسى ، وإنى أود ألا تنتشر العبودية من بعد فى هذه الولايات المتحدة !

ولم يقتصر كلامه على نظام العبيد بل تكلم فى شؤون أخرى كانت تهم الناس، منها رأس المال ونظام العمل ، ولقد أطرب فى ذلك السامعين وملك مشاعرهم ؛ ولما رأى إقبالهم على هذا الحديث أعاده فى سوق جمعية زراعية فى حفل أقامته بعد ذلك بأسبوعين فقال إنه يرى رأس المال مديناً فى وجوده للعمل ، فالعمل لذلك أهم وأعلى منزلة، وإن خير عمل هو ما يقوم به الفرد الحر الذكى المستقل الذى يعد ذخر البلاد وعتادها ...

وفيما هو ينافح عن حزبه ويجادل خصومه فى مبادئه إذ وقع فى البلاد حادث جديد زاد هياجها ، وكان مثله مثل الزيت يلقى به على النار وذلك هو حادث جون برون ، فان هذا الرجل على كبر سنه قد أعلن الثورة لتحرير العبيد ، ولقد كانت له قبل ذلك بثلاث سنوات حركة جريئة لنصرة قضيتهم فى كنساس ، ولقد عول اليوم أن يذكى نار الثورة فى البلاد إذ لم يطق صبراً على بقاء هذا النظام البغيض ، وكان أهل الجنوب قد قتلوا ابنه من قبل وباتوا يتربصون به ليقتلوه هو ...

خرج هذا الرجل في ثمانين لا أكثر من الرجال ، منهم خمسة من الزنوج ؛ وكان قلبه يفيض حماسة ، فأعلن خطته في جرأة الأبطال واستهتارهم بالموت ، ألا وهي حق كل زنجي أن يثور على مالكه ، فليس أمام هؤلاء الزنوج غير القوة ؛ ولكن جون برون لم يكد يخطو الخطوة الأولى ويستولي على مركز يجعله قاعدة لحركته حتى غلب على أمره فحوكم وأعدم . . . ولقد قابل الموت بجنان ثابت ونفس هادئة . ولما حانت منيته استنزل لعنة الله على الظالمين أعداء الحرية . . .

واغتدى جون بجرأته ثم بميتته هذه بطلا عند دعاة التحرير في الشمال ؛ وأخذوا ينظمون الأناشيد في بطولته ويجعلونه رمزاً لأحرار الشمائل ومثالاً يجب أن يحتذيه كل من كان له قلب يخفق بحب الحرية . . . ويرى دوجلاس في هذا الحادث فرصة يحذر أن تفوته ، فيعلن أن ذلك ليس بعجيب فلن تفضي مبادئ الجمهوريين إلا إلى مثله . . .

وأدرك لنكولن خطر التهمة ، ولو كان غيره مكانه لأخذته مما رمى المارد الصغير ورطة ؛ ولكن صوت الحق لا يضيع في ضجيج الباطل ؛ فهذا لنكولن يتاقى دعوة من جماعة في نيويورك فيلبي مسرعاً ويأتي خطاباً من أبدع وأروع ما واتته به عبقريته وفي جمع لم يسبق أن وقف في مثله

احتشد لسماعه في تلك المدينة العظيمة جمع من كبار الساسة وقادة الرأي وذوي الثقافة وأساطين الصحافة ، فكان لهذا الحفل بهم مهابة وجلال وخطر . . . واحتشد كذلك عدد هائل من عامة الناس ليروا لنكولن ، هذا الذي كان يشتغل نجاراً أول ما نشأ فاستطاع أن يرقى حتى يقف من دوجلاس الشهير موقف الند من نده وأن يظهر عليه في الخطابة والمجادلة . . .

ولقد ارتاع فؤاده عند ما بلغ مكان الاجتماع وذلك حينما رأى هؤلاء السادة في ملابسهم الأنيقة ، ورأى في وجوههم نضرة النعيم وفي أحاديثهم وتحياتهم روح المدنية ؛ ولما نهض للخطابة شاهد بعض الناس علامات الحيرة عليه ، فقد كان على غير ما ألف مشغول البال بملابسه المتهدلة العتيقة التفصيل والحيا كة والتي تبدو بمقارنتها بما يقع عليه بصره كأنما جيء بها من متحف وتطلع عامة الناس إليه في دهشة ، وتقسمت ألحاظهم بين قامته الطويلة ويديه الكبيرتين اللتين تدلان في جلاء على أنهما خلقتا للمعول لا للقلم ، ووجهه المصفار المسنون الذي تنشاه سحابة عميقة من الهم ، وعينيه الواسعتين اللتين تعبران عن وداعة الأطفال وحماسة الأبطال ، وأنفه الأشم الغليظ الذي يترجم عن صرامة عزيمته وشدته في الحق ، وشعره الأشعث الذي يعلو رأسه الكبير في غير نظام كأنه ألفاف الغابة . . .

وكان صوته في أول الأمر خافتاً ، ولكنه أخذ يعلو حتى ملأ الأسماع . وصفه أحد الحاضرين فقال : « أخذ وجهه يضيء بما في باطنه من نيران . . . وجلجل صوته وعظمت قوة خطابته ، واتفق له إلى حد كبير مثل سهولة الانجيل البائنة . . وكان يسود المكان صمت عميق بينما هو يتكلم حتى لقد كان إذا سكت يسمع هسيس الغاز منبعثاً من ثقوب المصابيح ، فاذا تحمس السامعون دوت في جنبات المكان رعود قاصفة من الاستحسان »

ولقد عد خطابه هذا من أبلغ الخطب السياسية قاطبة . قال عنه جريلي — وهو الذي رأيناه قبل ذلك بسنين يدعو إلى أن ينضم دوجلاس إلى الحزب الجمهوري ففقد بذلك مودته — : « ما من رجل استطاع أن يبلغ لأول مرة بخطابه إلى مثل هذا الأثر الذي بلغ إليه لنكولن أمام جمهور المستمعين في نيويورك »

عاد لنكولن فأوضح خطة الحزب الجمهوري بما لا يدع مجالا من بعد لدسائس خصومه ، ثم استنكر ما فعله جون برون ومما ذكره في ذلك قوله : « لا يمكننا أن نعارض في الحكم على جون برون جزاء خيانته ولاية من ولايات الاتحاد ، لا يمكننا أن نعارض في ذلك ولو أنه يوافقنا فيما يراه من خطأ نظام العبيد فان ذلك لا يبرر العنف وسفك الدماء والخيانة »

وأقبل عليه الناس كبيرهم وصغيرهم عالمهم وجاهلهم يهنئونه بما ظفر به من توفيق في هذا الحفل المشهود ، ويعلنون إليه حبهم وولاءهم وإعجابهم بمبادئه . ولقد طار صيته بهذا الخطاب على نحو لم ير مثله من قبل ، وأخذ الناس يحسون أنه الرجل الذي تجتمع عليه القلوب والأهواء . ولقد رأى الصحف وهو في طريقه إلى سبرنجفيلد تتحدث عن ترشيحه للرياسة في الانتخاب الذي يحل ميعاده في نهاية هذا العام . . .

« يتبع » الخفيف

تطور الحركة الأدبية
في فرنسا الحديثة

بول فاليرى P. VALÉRY

للأستاذ خليل هنداوى

يمكن القول إن شعر « بول فاليرى » لا ينحدر من ينبوع واحد . فهو طوراً رفيق البرناسيين ، وطوراً رفيق الرمزيين ولا سيا « ستيفان مالارمي » يغشاه عطف ناعم ، وتكتنفه أحلام وتأملات ورموز . وشعر (فاليرى) الطافح بالإبهام يبقى محافظاً على إيقاعه الموسيقى ولمعان صوره . وهنا سر عظمة الشاعر ! وقد جرب (فاليرى) أن يودع شعره « إلهامات » تجدد لغة العاطفة . وهذه الإلهامات قد أغنت عن كل الحريات ، من الشعر الرمزي إلى البرناسى فالوجداني . ويرى فاليرى أن هذه الحريات لم تنقذ الشعر ولم تمتقه من قيوده ، إذ الشعر لا يمكن أن يولد إلا من حالة قهر أو من شدة ، من صراع ومن ظفر . وقد يمتزج سهله مع النثر . ومقاطيع المقبرة البحرية — إذاً — قد بنيت وتحدرت كالشعر المدرسي ، وفيها وفى حركتها قدرة — لو أنها دقت وانجلت — على أن تحمل الفكرة بوثبة لا تقهر ، حتى فى الوطن الذى لا تفهم فيه الفكرة . لأنه شعر حُمل على الابهام . وفاليرى يعمل ضد المدرسة الرمزية والوجدانية باعطائه — الشعر — خاصة الترنم لا بالأهواء وإثارة المشاعر ولكن بالأفكار ! فالعاطفة يجب أن تقاد بالعقل . ويجب أن يكون محكوماً بصورة منظورة . على أن هذه الفكرة هى مولدة الشعر المدرسى . ولكن الشعر المدرسى لا يقيس من العقل إلا فكرة كبيرة واضحة . والعاطفة — وهي الشعر الصافى — إنما يجب أن تعبر عن العقل الصافى . وهذا العقل الصافى لا يربطه شيء بمنطق نصحائنا ، ولا بأي مظهر من المظاهر الواضحة لحياتنا العملية . فهنالك — فى منطقة منعزلة بعيدة عن أنظمة هذه الحياة أو سطحيات اللغة العامة ، هنالك عالم « للأفكار الصافية » . فإذا ما استطعنا أن نستنقذ أنفسنا من هذه العبوديات فى المظاهر بما أوتينا من جهد ندخل حالاً في عالم الشعر . . . الشعر الذى اكتشفه أفلاطون ووجده مصوغاً من النور ومن هذا الخلود الحى للرؤى العقلية . فى هذا العالم لا يُفكر بمنطق كما يفكر نثرنا وشعرنا . وإنما هذه الرؤى العقلية تترابط ، أو تنحدر بحسب الايقاع الضرورى لها ، كالزهرة ثم الثمرة تنشآن من الغرسة ، لا كالقدوم يطرق المسمار . القصائد يجب ألا تُفهم بالنظر فى بنائها الظاهر كأنه مشهد نحن غرباء عنه ، ولكن يجب أن تفهم بالتأمل في باطنها ، بجهد يجعلنا نحس أننا قادرون على خلقها فى أنفسنا !

الشعر خَلق لا تأثير ولا حالات إحساس — كما هو عند الرمزيين — ولكنه قوة إحساس عقلى

إن شعر « فاليرى » هو أكثر تعلقاً من شعر (مالارمى) بالعاطفة التى تنحدر إلى ماوراء الطبيعة . هو جهد يضمنا فى اتصال ، — لا بأهواء إنسان ، ولا بهذا العدم الذى هو إنسان ، ولكنه يصلنا بنفس الوجود المنظور كامبة دقيقة من الأفكار السامية . وإن من الصعب التكهن عن مستقبل هذا النزوع المبتدع . فقد يمكن أن يتلاشى غداً ولا يبقى منه شيء . ولكن من المحتم الايمان بعبقرية فاليري الشمبية . . . ولا ينكرها عليه من لا يرون فى هذا النزوع إلا هزيمة متكبرة ، وإلا مقاطيع يتلقفها صاحبها من العمل المبهم وقبسات الجمال الخالد ، ولا يمكن جحود تأثير الشاعر الراهن ، ولكنه ما هو إلا شعر فئة مصطفاة ضئيلة العدد ، ولكن الذين يتلون سبينوزا وهيجل قليلون ، ولم يغض هذا من عظمتهما وعبقريتهما .

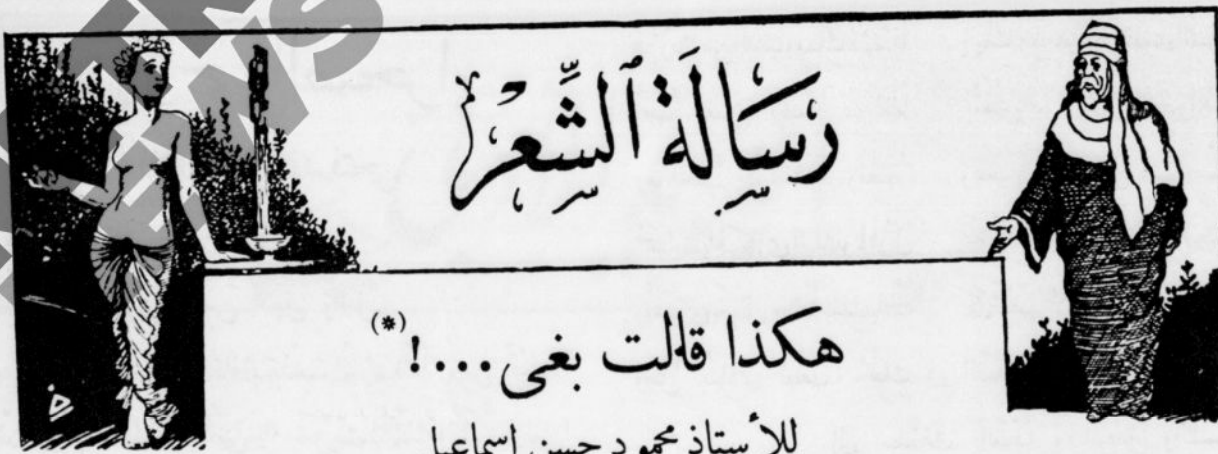
المذاهب الأدبية المضادة للمذهب المدرسى

لقد رأيت أن شعر « مالارى وبول فاليرى » ومن حذا حذوهما كان كله نزوعاً حاداً للانفصال عن تقاليد العقل والفن ، ومنها التقاليد التى تبدو لنا أنها متعلقة بطبيعة عقلنا ومعانينا . هنالك مدارس تري أن هذه التقاليد ليست إلا اصطلاحات بل أبسط اصطلاحات وأكثرها سطحية

الموسيقى يجب ألا تكون إلا لذة الألحان، فكل الموسيقيين إذاً وضعوا فيها أفكاراً وعواطف هي شكل مسهب لأفكارنا؛ والدهان يجب أن يكون اللذة الوحيدة للأشكال والألوان، فكل الدهانين إذاً وضعوا فيه مواضيع، منها موضوع زهرة أو رجل والزهرة تلقن فكرة زهرة، والرجل فكرة رجل! أما الفن فيجب أن يكون محضاً أوصافياً، أي تنظيم ألحان وألوان وأشكال. يكفي نفسه ويبدع لنفسه شرائعه الخاصة دون أن ينشأ أي سأم من تشابهه مع الحقيقة العلمية. وهكذا نشأ فن محض في أنواع الفن، ومنه الأدب الذي نشأت فيه مقاطيع وروايات يظهر أن هدفها ليس إلا إذهال نفس القارئ أو الناظر. وما شعر مالارمي أو فاليري إلا مشاهد ذات لون خاص، طليقة من كل تقاليد العقل والفن، ومنها التقاليد القائمة على عقلنا وحواسنا. ونشأ بين الروائيين (بروست) صاحب كتاب «وراء الزمن الغابر» وهو الروائي الذي ما عاش إلا ليلاحظ نفسه أو يلاحظ غيره.

وقد ذهل عن حياته ومطامعه وانجذب بتفهم نفسه وتفهم غيره. ولقد كان ملاحظاً محللاً تطغى فيه صفة التحليل على صفة الابداع، ولم يكن ميالاً إلى النظر العقلي أو النظرية الخفية، ليس هنالك في تحليله مواضيع فوق الوضع، ولا منحدرات في ظلمات اللاوعي ... وإن كان تحليله النفسي تحليلاً ظاهراً دقيقاً. وهو في كل مظهر له يبدو أنه ينطلق عن الأسرار المجهولة في النفس، وجل عمله يميل به إلى إظهار هذه الأسرار المتحركة وتوضيح المنطق الذي يقود حياته وحياة الآخرين. وهي ليست بأسرار خفية أو غير قابلة للتحليل؛ إننا نخفيها عن أنفسنا، و(بروست) يعمل على إظهارها من خفاياها. وقصصه إنما تخرج كحياة نفسه أو كالحياة. وهو لا ينتخب له طريقة معينة في القصة، فقد تأتي قصصه اعترافية، وهو فيها البطل. وقصصه مما لا يمكن تقليدها لما فيها من قوة وتحليق!

خليل هنداوي



هكذا قالت بغي . . . ! (*)

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

وَاسِ يا دهرُ ! وكَفكِفْ من صُرُوفي — وَأَعِـــنِّي !
طالَ بالعارِ عَلَى الدُّنيـا وُقُوفي — لاَ تَلُمْــنِي !
وَخبتْ من خزيِها تحتَ شفُوفي — نارُ حُزْنِي !
ما الذى فى زلَّةِ الجسمِ الضَّعيف — كان منى ؟
بِعتُ عِرضى - يا إلهى - بِرَغيفِ — فاعْفُ عنى ! . . .

* * *

قيـلَ : إنَّ الرِّقَّ قد ذابتْ قيُودُه — وَتَــصَرَّمْ !
كذبوا . . . هذا على جسمي حديدُه — يتــضرَّمْ !
كلمـا هلَّتْ على رجسِي وُفُودُه — تتنــم !
غاصَ بِي فى الشَّهوَةِ الدُّنيا عَبيدُهُ . . . — رَبِّ فارْحَمْ !
وَأنا . . . كالعودِ يُشجيهم نشيدُه — وَهْوَ مُلجَمْ ! . . .

* * *

سـاقَنِي القُوتُ وَساقَتكم إليَّ — شهــواتُ !
جذَبتكم للهوى من شفتيَّ — جمـــراتُ
أزهرتْ حُمْرَتَهَا من رِئتيَّ — زفــراتُ !
هى فى شرعِكُمُ الجـانى عليَّ — صـــبوات
وَهى لحنُ الزَّادِ غَنَّتْهُ لديَّ — قُبُـــلاتُ !

* * *

فى سبيلِ العَيْشِ يا شَرْعَ التُّرابِ — ما أُكابِدْ !
حرَّمَ اللهُ . . . وَحَلَّلتُمْ . . . شبابي — لِلمفاسِـدْ !
وَارْتَجلتمْ شِرعَةً سوَّتْ خَرابي — بالمعـابِدْ . . .
فى زحامِ الإثمِ لا يطْرُدُ بابي — أيَّ قاصِـدْ !
لا . . . ولا يُغضي حياءً من عذابي — طَرْفُ زاهِدْ . . .

* * *

أيُّ شرعٍ قالَ : فى القيدِ اسْلُكُوها . . — لِلفجُــورِ ؟
وَإلى سِجنِ المَواخيرِ ابْعثُوها . . . — لاَ الخُدورِ ! . . .
أَلِأَنِّي كُنتُ أُنثي خَدَعُوها — بالسُّفُـــورِ ؟
حِينما العِفة هاجتْ . . . . أغرَقوها — فى الخُمورِ . . . .
ليتَهُم — لما أفاقَتْ — شيَّعُوها — لِلقبُــورِ ! !

* * *

أنا رَيحانَةُ عارٍ قد رَواهـا — إثمُ أرضي !
بعْـدَ ما لوَّثَ جانِيها شَـذَاهَا — راح يُغضي . . .
نَجمَةٌ كَمْ أَسكَرَ الكون سَنَاهَا — مـاتَ وَمضي
هكذا الدُّنيـا على الدُّنيـا هَواهَا — راحَ يَقْضي :
حُرَّةٌ باللقمةِ العفراءِ — وَاهـاً ! — بِعتُ عِرضى ! !

(المجمع اللغوى الملكى بمصر) — محمود حسن اسماعيل

(*) من ديوان (هكذا أغنى) الذى ظهر حديثاً

من وحى الصحراء

للأديب أحمد فتحى

ظَمِئتُ ، عَلَى قُرْبِي ، مِنَ النَّهْلِ وَالعَلِّ
فَهَلْ عَافَ عَذْبَ الوِرْدِ ظَمآنُ مِن قَبْلِي ؟!

وَضِقتُ بليلي ، ساهداً ، ولو أنني تعزَّيتُ لم أشكُ التَّسَهُّدَ في ليلى !

وغشَّتْ حياتي وَحْشَةٌ ليسَ يَنْتهِي
مَداها ، وَدُوني سائرُ الصَّحْبِ وَالأَهْلِ

وأقبلتُ ، أشكو للصَّحارى لواعِجي
وآنَسُ بالإخـــلادِ في كَنَفِ السَّهْلِ

وقلتُ أُحِبُّ البيدَ ملءَ سكونها وأسمعُ هَمْسَ الريح في أذنِ الرمل

تُقَبِّلُها طوْرًا ، وطوراً تُريدها تَنَقَّلُ كالحسناءِ رِجْلاً إلى رِجْل

وأُبصِرُ بالشمس التي مَلَّتِ النَّوى
إلى الغَرْبِ تمشي مِشْيَةَ الواهِنِ الكَهْلِ

أراها ، حريقاً أضرَمَ اللهُ نارهُ لتأكلَ آجالَ السنين عَلَى مهل !

أُحِسُّ لظاها في ضلوعي وتنثني ويبقى اللظى يغرى مآقيَّ بالهَمْل

***

نَجِيَّةَ رُوحِي لا عَـدِمْتِ عواذلا !
فماذا يكونُ الحبُّ ، إن يَخْلُ من عَذْلِ ؟

وهل كان يُغرِي الشاربين بِرَاحِهِمْ
سِوَى أنهُمْ لَيْسُوا مِنَ الرَّاحِ في حِلٍّ ؟!

وما أنا والعُذَّالُ ، يمضى حــديثُهُمْ
ويَبقَى حديثُ الحبِّ في قولِهِ الفصلِ ؟!

أصيخِي إليَّ السَّمْعَ ، لا تتعجَّلِي بناتِ خيالى بل دعيها على رِسْلِ !

ولا تحسبِي نجوايَ من عَبَثِ الهوى
ولَغْوِ حديثِ الشِّعْرِ ، في الجِدِّ والهزلِ

فَرَرْتُ من الدنيا ومِنكِ تَشَوُّقاً إليكِ ولِلدنيا فيا لهوى النُّبلِ

أُطهِّرُ نفسى بالبِعَادِ ، لعلَّهُ يُعلِّمُنى صَبْرِى على الهَجْرِ والذلِّ

وما الحبُّ إلاَّ لهفةٌ ، وتَصبُّرٌ وطُغْيانُ تَبْرِيحٍ على عاشقٍ مِثْلِي

سَمَوْتُ بأفكارى إليكِ ولم أزَلْ نَجيكِ فى أحلامِ يقظانَ بالوَصْلِ

وأسرَى خيالى طائفاً بكِ باسماً كما تَبْسِمُ الأزهارُ فى الفجر للطَّلِّ

وظَلَّ يُنادِى لطفَ حُلْمِكِ فى الكرى
إلى سابقاتِ العَهْدِ ، بالوصل والشَّمْلِ

فهل لَقِيَ البَرَّ السَّمِيعَ نِدَاؤُهُ
تُرَى ، أم يعودُ الطيفُ بالمنعِ والخَذْلِ ؟!

***

نَجِيَّةَ رُوحِي قد رَمَتْ بي يدُ النَّوَى بخيلاً من البَيْداءِ يجزل فى البخل

تَلَفَّتُّ حَوْلِي ، لم أجِـــدْ لِيَ مُؤْنِساً
وقد كان كلُّ الأنسِ لو شئْتُ مِنْ حَوْلى

وأصغَيْتُ للصحراء يَنْشُــدُ مِسمعى
حديثاً ، ومَنْ لي بالحديث بها ، مَنْ لي ؟!

هُنا الصَّمْتُ حرَّانُ الجوانحِ مِثْلَما يُصعِّدُ صَبٌّ زفرةَ الشوقِ لِلوَصل

هنا مَلْعَبُ الذِّكرى وميدانُها الذى
تَشَعَّبَ بالعُشَّاقِ ، سُبلاً إلى سُبلِ

ومَسْرَحُ أفكارٍ تساءَلُ عن هوًى بعيدِ المرامي لا قريبٍ ولا سهلِ

ومَهْبِطُ إيحاءٍ ومَذْرَفُ أدْمُعٍ تحيَّرْنَ بين الكِبْرِ فى العَيْنِ والذلِّ

ومَعْبَدُ حُسْنٍ قَدْ تحكَّمَ فى الورى قضاءً جَرَي بالظلم حيناً وبالعدل

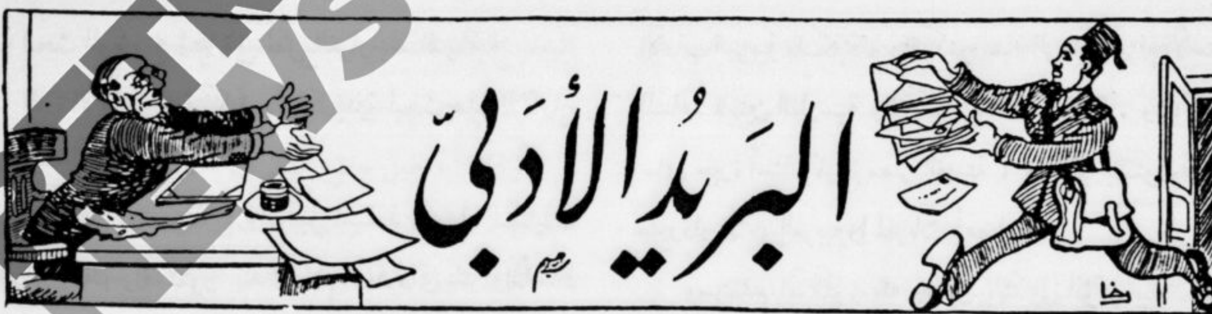
ورَوْضٌ مِنَ الأوهامِ لاذَتْ بِظِلِّهِ
قوافلُ فى الرَّمْضاءِ ، تَحْدَى إلى الظِّلِّ

ودُنيا من الحِرْمانِ ضَجَّ ضَجِيجُها
تَصايَحُ بالزَّمْرِ الطَّرُوبِ وبالطَّبْلِ !!

***

نَجِيَّةَ رُوحِي يا مُناها وسُؤْلَهَا هنيئاً لرُوحِي بالأماني والسُّؤْلِ

تَرَيْنَ شبابى ملءَ عينيْكِ ناضراً يُغنِّى كما تشدو الطيورُ على النَّهْلِ



توحيد الثقافة بين الشعوب الشرقية

تلقت وزارة الخارجية من وزير مصر المفوض ببغداد تقريراً عن زيارة صاحب العزة محمد العشماوى بك وكيل وزارة المعارف للعراق فى أثناء عطلة العيد الأضحى الماضى ، وعما نجم عنها من تفاهم مع رجال وزارة المعارف العراقية على الدعوة إلى مؤتمرات ثقافية ، تعقد كل عام لتوحيد الثقافة بين الشعوب الشرقية

وقد رفع صاحب العزة العشماوى بك وكيل المعارف إلى معالى الدكتور حسين هيكل باشا مذكرة يقترح فيها تشكيل لجنة لدراسة هذا الموضوع وقد جاء فى هذه المذكرة ما يأتى :

« عند وجودى فى العراق جرى الحديث مع كبار رجال التعليم فى موضوع توحيد المناهج والخطط فى البلاد الشرقية ، بقصد توثيق الروابط الثقافية بينها وانتفاع البلاد الشرقية بموارد بعضها العلمية . وإن مثل هذه الفكرة تؤدى إلى التفكير فى بحث تمهيدى للدعوة لمؤتمر يدرس شئون التعليم بين أمم الشرق ووسائل التربية والسياسة العامة فى نشر الثقافة ، ويواجه بعض المشاكل التى تعرض لهذه الأمم وتكاد تكون متشابهة

وقد أثار هذا التفكير فى العراق وسورية اتجاه هذين البلدين للاستعانة بموارد مصر الثقافية، وسعيها لأن تقتفي أثرها فى نهضتها العلمية وترسم خطاها

وقد كان عقد المؤتمر الطبى فى بغداد من المناسبات التى أثارت هذا البحث ، وشجع نجاح المؤتمر على زيادة العناية بهذه الفكرة. ولما تشرفت بمقابلة صاحب الجلالة الملك غازى الأول ، أثار سعادة وزير مصر المفوض هذه الفكرة فلقيت من جلالته كل تشجيع

وإننى أري أن الوقت قد حان لاتخاذ خطوة تمهيدية لتحقيق هذا الغرض وذلك بأن يعهد إلى لجنة من كبار رجال التعليم فى الوزارة والجامعة ببحث الفكرة من جميع نواحيها وتوحيد الموضوعات التى ينبغى العناية ببحثها ، حتى إذا أقرت هذه الفكرة بدأت مصر فى الاتصال بالبلاد الشرقية لمواصلة تنفيذها فى الوقت المناسب »

فلما عرض هذا الموضوع على معالى الدكتور حسين هيكل باشا رأى أن تحقيق هذه الفكرة يتمشى مع السياسة التى يعنى باتباعها فى هذه الأيام والتى ترمى إلى الروابط الثقافية بين ممالك الشرق المختلفة ولهذا أصدر معاليه قراراً بتشكيل

أعندكِ أنَّ القلب طفل وأنَّني ... أخافُ تباريحَ الغرام على طِفْلي؟

تبدَّى له النيرانُ ورداً وإنَّهُ ... من الخوف والنيران بالوردِ فى شُغْل

فلا تَفْجعيهِ فى الأماني وحُسْنِها ... ولا تُركبيه مَركَبَ الشَّطَطِ الهَوْل

خُذيه حَناناً فى يديك ورحمةً ... ولا تُغْلِظِي يومًا لطفلكِ فى قَوْل

وغَنِّى لَهُ الألحانَ فَرْحَى رقيقةً ... فَعَلِّى أن أحْظَى بأصْدائِها عَلِّى

وَرَاعِيه كالأمِّ الرَّؤُوم تَلَطُّفاً ... فَوَيْلِي إذا ما اليُتْمُ رَوَّعَهُ وَيلِي

ولا تُشْبِهِي الصحراء فى جَذْبِ قَلْبِها

إذا جاءها الظمآنُ للنَّهْلِ والعَلِّ !!

« القاهرة » أحمد فتحى

مدرس بالتعليم الفنى والصناعى

لجنة لبحث الموضوع وفيما يلي نص القرار بعد الديباجة

المادة الأولى — تشكيل لجنة تمهيدية لبحث هذا الاقتراح على الوجه الآتي :

وكيل الوزارة رئيساً ، والوكيل المساعد وعمداء الكليات ومحمد فهيم بك والدكتور عبد السلام الكرداني بك والأستاذ نجيب حتاتة أعضاء

على أن يكون محمد فهيم بك سكرتيراً عاماً لهذه اللجنة

المادة الثانية — تكون مهمة هذه اللجنة بحث الفكرة من جميع نواحيها ، وتحديد الموضوعات التي يتعين العناية ببحثها حتى إذا أخذ بهذه الفكرة بدأت مصر في الاتصال بالبلاد الشرقية لمواجهة تنفيذها في الوقت المناسب

فلما وقف حضرات أعضاء البعثة الايرانية السامية على هذا المشروع أبدوا رغبتهم إلى وزارة المعارف أن توافي وزارة المعارف الايرانية بجميع القوانين واللوائح والإحصاءات المختلفة عن الشئون التعليمية التي تضطلع بها وزارة المعارف والجامعتان المصرية والأزهرية، وذلك لتكون تحت نظرها أثناء البحث في المشروع الذي يرمي إلى التعاون العلمي والثقافي بين البلاد العربية ومصر

وقد تقدم حضراتهم إلى سعادة وكيل المعارف بالمقترحات التالية التي تنمي تلك الروح بين مصر وإيران

أولاً — عقد اجتماعات دورية في أوقات متباينة بين القاهرة وطهران تنتظم أساتذة الجامعات المصرية والايرانية دينية ومدنية

ثانياً — تبادل الأبحاث الخاصة بالكشف الأثري الذي يتم في كل من البلدين

ثالثاً — توطيد صلات العلم بين جماعات العلماء المشتغلين بالآثار والتاريخ والأدب في مصر وإيران

رابعاً — تبادل المطبوعات التي تصدر في كل من المملكتين

في مؤتمر المستشرقين

يعقد مؤتمر المستشرقين الدولي ببروكسل من اليوم الخامس إلى اليوم العاشر من شهر سبتمبر القبل ، ويمثل مصر فيه عميد كلية الآداب رئيساً ، والأساتذة أحمد أمين أستاذ تاريخ الآداب العربية بالكلية ، والدكتور عبد الوهاب عزام الأستاذ المساعد للغتين الفارسية والتركية في هذه الكلية ، والدكتور سامي جبرة أستاذ تاريخ مصر القديمة ، ومسيو جاستون فييت مدير دار الآثار العربية والحفريات أعضاء

وسيتقدم الدكتور طه حسين بك إلي المؤتمر ببحث عن تبسيط النحو ، والأستاذ أحمد أمين ببحث عن امتزاج الثقافات في البيئة المصرية ، وسيمثل الدكتور عبد الوهاب عزام الثقافة الفارسية ، والدكتور سامي جبرة ناحية الآثار الفرعونية ، ومسيو فييت ناحية الآثار الاسلامية

زيارة عضوين من البعثة الايرانية السامية لمجمع اللغة الملكي

زار حضرتا صاحبي السعادة الدكتور قاسم غني والدكتور مؤدب نفيسي من أعضاء البعثة الايرانية دار المجمع الملكي للغة العربية يرافقهما معالي الدكتور هيكل باشا وزير المعارف

وكان في استقبالهما صاحب السعادة توفيق رفعت باشا رئيس المجمع ، والأستاذ الشيخ عبد العزيز البشري مراقب المجمع ، والدكتور فارس نمر باشا ، والدكتور منصور فهمي بك، وعلي الجارم بك، وأحمد العوامري بك، والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمد الخضر حسين، من أعضاء المجمع. فزارا معهم غرفة معجم الدكتور فيشر اللغوي التاريخي وكان يشرح ما فيها لسعادتهما الدكتور منصور فهمي ، ثم زارا غرفة فيشات معجم الدكتور فيشر وهي تحتوي على معظم الألفاظ العربية ، وطافا بعد ذلك بغرف المكتبة واطلعا على كتب تاريخية قديمة وأخرى خطية مما يعني به المجمع لحصر كلمات اللغة

وأعرب معالي الوزير عن رغبة المجمع في ربط الثقافة الايرانية بالثقافة المصرية وأنه يسر المجمع المصري أن يعين فيه أربعة أعضاء إيرانيون مراسلون وطلب إلى سعادة الدكتور قاسم غني أن يقدم الأسماء التي يقع عليها الاختيار إلى المجمع لتتولى إدارته اتخاذ الاجراءات السريعة لتعيين حضراتهم فقدم سعادته كشفاً فيه أربعة أسماء فتسلمه الأستاذ الشيخ عبد العزيز البشري

واتفق كذلك على تعيين أربعة أعضاء مصريين مراسلين للمجمع الايرانى

متحف التعليم الفنى

يفتتح — بعد أيام — معالى الدكتور حسين هيكل باشا وزير المعارف القسم الأول لمتحف التعليم الفنى المقام بسراى المعارف بأرض المعارض بالجزيرة ، وهو المتحف الذى وضعت نواته الوزارة فى العام الماضى عندما احتفلت بعيدها المئوى

ويشمل هذا القسم ثلاثين مجموعة ، يحتوى كل منها نماذج بالحجم الطبيعى . ومن أبدع تلك المجموعات مدرسة نموذجية كاملة فى الهواء الطلق ، وكذلك حجرة مذاكرة لطالب من الأرياف يتلق علومه فى معاهد التعليم بالقاهرة

وإلى جانب هذا طائفة كبيرة من النماذج المصغرة المجسمة ، والتماثيل والصور المصبوبة صباً فى غاية الاتقان ، والرسوم البيانية التى أعدت على أحدث الأساليب ، والطرائق الفنية التى تمثل اطراد النهضة التعليمية فى مصر فى العصور المختلفة

الى الدكتور عبد الوهاب عزام

قرأنا مقالكم الرائع المنشور فى عدد (٢٥٦) من الرسالة الزهراء عن فقيد الشعر والشرق محمد إقبال ، وعند ذكركم مؤلفاته رحمه الله ، لم تذكروا سفرين جليلين له نظمهما قبل كتابه الأخير (أهلك حجاز) ، أحدهما باللغة الأردية أطلق عليه (صور إسرافيل) ؛ والثانى باللغة الفارسية سماه (پس چه بايد دكرداى أقوام شرق) أى (وماذا يجب أن نعمل أيتها الأمم الشرقية) . وقد وضعه متأثراً بالحرب الايطالية الحبشية الاخيرة واندحار الأحباش كما هو معلوم

هذا ما أردت ملاحظته على مقال الأستاذ الكريم ، راجياً الالتفات إليه ، داعياً الله أن يفسح له المجال ، حتى يحدثنا عن شعر إقبال وفلسفة إقبال ، إنه سميع مجيب

(بغداد — كرخ) محمود العبطة

الكلمة الأخيرة الى الأستاذ سيد قطب

أكتب هذه الكلمة جواباً عما تفضل به الأستاذ الناقد الأديب ... سيد قطب فى الرسالة (٢٥٩) ثم لن أعود إلى الموضوع لأن الكلام فيه مع الأستاذ عبث ...

تضمن جواب سيد قطب أموراً ثلاثة :

أولها : أنه جعل جهلى بحضرته (جهلا بالأدب والأدباء فى مصر) ، وطمأن المصريين بأنه ليس كل شاىء مثل (على الطنطاوى) فى هذا الجهل ... ومعنى هذا أن (سيد قطب) هو (الأدب والأدباء في مصر) من عرفه فقد عرف ذلك ومن جهله فقد جهله ، وهذا من الادعاء وعوج الفهم بمكان ؛ وأنا بحمد الله أعرف أدباء مصر شعراءهم وكتابهم : أعرف شوقى وحافظ رحمهما الله والجارم ومحرم ورامى والهراوى ، وأعرف الرافعى رحمة الله عليه والعقاد والمازنى وهيكل والزيات وطه والبشرى وأحمد أمين وكثيرين لاجدى من عدّ أسمائهم ؛ وقرأت لهم (كل ما كتبوه ولكنى لم أتشرف بمعرفة سيد قطب ؛ فهل يحوجهلي به علمي بكل أولئك ؟

وثانيها أنه لم يأخذ من كلامى أو لم يفهم منه إلاأني استدللت على صحة تشبيه الرافعى بأن لشوقى مثله ، مع أن كلامى بين أيدي القراء ، وأن الذى قلته هو أن الأستاذ سيد قطب لم يستكمل أدوات النقد ، ولم يرع المعروف من قواعد البلاغة ، وأنه اشتغل عنهما بما يبدئ فيه ويعيد من الدعاوى المريضة فى العلم والفن والتجديد، فلماذا ترك ذلك كله من كلامى وأخذ مثالاً عارضاً جئت به ، وعلماؤنا يقولون : (ليس من دأب المحصل المناقشة فى المثال)

وثالثهما أن الأستاذ ينصحنى بالاقتصار على التدريس وترك الأدب ، ويخرجنى من زمرة الأدباء ، وهذا كلام لا أحب أن أجيب عليه ، ولا أعود إلى البحث مع من يقوله ، لأنه لا يقوله إلا جاهل بأصول النقد بعيد عن المنطق ، لأن النقد لا يجيز شتم الخصم والكلام على شخصه ، وإنما يدعو إلى مناقشة الرأى الذى رآه، والمنطق يقضى عليه أن ينظر فى كلامى ويرد عليه أو يدع ، ويذكره المنطق (لو كان من أهله) بأن إقرار التحكيم والاعتراف بكفاية القاضى وسلطانه ، مقدم على إصدار الأحكام . فمنذا الذى نصب هذا المحترم قاضياً بين الأدباء وحاكماً فيهم ؟

وآخر ما أقوله للأستاذ سيد قطب تحية و ... « سلاماً » !

: على الطنطاوى

الى الأستاذ سيد قطب

عاب سيد قطب على الأستاذ شاكر أن نقده مملوء بالغمز واللمز والتعريض ، وعاب عليه أيضاً أنه لا ينفذ إلى صميم الموضوع عند ما يناقش . وكنا ننتظر من سيد قطب أن يرد على الكلمة التى كتبها الأستاذ الطنطاوى فى عدد مضى ، فيناقشها مناقشة هادئة تدل على أنه ناقد منصف ومناظر نزيه ... أو يتجاهلها فلا يذكر شيئاً . وإذا به يتصف بالخلة التى عابها على الأستاذ شاكر فيعرض بالأستاذ الطنطاوى تعريضاً ، ويكرم دمشق أن يكسب خصومته إذا وضعها حيث ينبغي وضعها من الأدب والرأى . فما ندرى أحسب سيد قطب أن كلة الأستاذ الطنطاوى وظيفة إنشاء ... أريد منه أن يتفضل فيدلى برأيه فيها ويضعها حيث ينبغى وضعها من مدارج الآداب ... ؟ وكأن دمشق قد فرغت من مشكلاتها ومصائبها ، وانتهت من قضية « المعاهدة » و « اسكندرونة » ولم يبق لها إلا أن تتفرغ لسيد قطب ! فنحن نريد أن يطمئن الأستاذ قطب وألا يجزع ، وأن يتنازل فيناقش الأستاذ الطنطاوى مناقشة هادئة منصفة أو يقبل ما جاء به ... ولن تنلق أسواق دمشق احتجاجاً بعد ذلك ... ! ثم لن ترسل البرقيات إلى عصبة الأمم ... ! فهل يكفى سيد قطب هذا التطمين ؟ إذن :

فقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لساناً قائلاً فقل

صلاح الدين المنجد
(دمشق)

نداء الباعث

قرأت فى العدد الماضى فى البريد الأدبى كلة حول هـذا الموضوع ، قال مسطرها : إن كاتباً انجليزيًّا نشر بحثاً ضافياً فى هذا الموضوع فى صحيفة إنجليزية ، وقد عنى فيه بالجانب النفسى عناية فائقة . ثم أثنى كاتب الرسالة على الباحث الانكليزى وأعجب بطرافة موضوعه

وأود — حفظاً لحق أدبى — أن أقول : إننى سبقت الكاتب الانجليزي إلى معالجة هذا الموضوع ، ولكني عالجته شعراً فى قصيدة تزيد أبياتها على الثلاثين ، بداءتها قولى :

نَطَقْتُمْ مقاطعَ لم أدْرِها ولم تكشف النفسُ عن سرِّها
وصُغْتُمْ نفوسكم هتفــةً تبينتكم من صدَى جَأْرِها !

ولا أريد أن أثبت تمام القصيدة فى تلك الكلمة القصيرة ، وسوف أنشرها — إن شاء الله — فى ديواني عند طبعه

العوضى الوكيل
(الاسكندرية — الشاطبى)

بين مذهبين

جاءتنا كلة بهذا العنوان من الأستاذ محمد سعيد العريان ، يرد بها على شىء تناوله به الأستاذ سيد قطب فى عدد الرسالة الماضى ، ولكنا لم نتمكن من نشرها لوصولها بعد إعداد هذا العدد وترتيب موضوعاته ، فوعدنا بنشرها العدد القادم

تصويب

فى (قصة الكلمة المترجمة) : « فى الرابعة والرابعين » وهى (فى الأربعة والأربعين) و « تذكرنا بهـذه الأملوحة » وهي (بهذه الأملوحة) و « أبو بكر البلاقلانى » وهى (الباقلانى) و « نفى القتل لا يبيده » وهى (القاتل) وفى الشرح : « وإن كنت فى الصنيمة » وهى (الصنمة)

منزلة الأدب

القصة الأدبية دعامة قوية يعتمد عليها الأدب الحى ويرتفع بناؤه الشامخ الوطيد ، وهى لون جميل من ألوان الحياة الفكرية ومظهر خلاب من مظاهر الثقافة والتهذيب ...

وإن أدب القصة يحتل اليوم المكانة الأولى والمنزلة السامية بين الآداب الأخرى ، كما أن القارئ المصرى ينظر الآن فى القصة لا « للتسلية » فحسب بل ليجد فيها المتعة الأدبية والغذاء الروحى والحكمة الموفقة والموعظة الحسنة

وقد حمدنا لبعض كتابنا عنايتهم بذلك الضرب من الأدب ، وبذل الجهود السامية فى سبيل نصرته وتقوية أركانه ، ووضع ما يكفل له الحياة والنمو !

بيد أن هناك كتاباً قد وجدوا فى ترجمة القصة « البوليسية » سوقاً نافعة وربحاً وفيراً ، فحبسوا جهودهم عليها . وقد انزلق بعض كتاب هذه القصة فذكروا فى قصصهم ما يعبد طريق الشر والفساد ، ويبعث فى نفس القارئ — الشاب — العوامل المختلفة المتباينة ، وقد تؤدى هذه العوامل إلى الوقوع فى مهاوي الجريمة . وحسبك أن ترجع إلى تلك القصص لترى فيها فساد الرأى ،



سندباد عصرى

تأليف الدكتور حسين فوزى

للأستاذ محمد سعيد العريان

فى صيف سنة ١٩٣٣ خرج الدكتور حسين فوزى مدير معهد الأبحاث المائية فى بعثة من رجال العلم الأوربيين للاستكشاف ودراسة الأحياء المائية فى البحر الأحمر والمحيط الهندى ؛ وقضت البعثة فى تجوالها تسعة أشهر ثم عادت ، وكان من نتائج هذه الرحلة كتاب سندباد عصرى . . .

ولكن كتاب « سندباد عصرى » لا يتحدث عن هذه الرحلة حديثاً علمياً ؛ إذ كان مؤلفه قد لخص أبحاثه العلمية ونتائجها فى تقرير قرّره من قبل ؛ ثم أنشأ هذا الكتاب من بعد ، ليقص به قصة هذه الرحلة كما هي فى شعوره وفكره ووجدانه ، بعيدة عن العلم ونظرياته وأبحاثه ونتائجه . على أنها ليست قصة بمعنى القصة تبدأ بَدْأها وتنتهى إلى نهايتها ؛ ولكنها خواطر وصور ومشاهدات مما اجتمع للمؤلف فى رحلته : مما وقع عليه نظره ، أو انفعلت به نفسه ، أو انطبع فى وجدانه ، أو بعث فى نفسه معنى من معانى الفن أو الشعر أو الجمال . فصول مفرّقة هى خفقات قلبه ، ونبضات روحه ، وخلجات نفسه ، وصورة من إحساسه وعواطفه فى هذه الرحلة منذ بدأت إلى أن انتهت

وقد قسّم المؤلف كتابه إلى مقدمة وأربعة أبواب : الباب الأول عبث وفكاهة ، والثانى صور ومشاهدات ، والثالث جدّ ودراسة ورأى ، والرابع عواطف ومشاعر وخيال وفن ؛ وتحت كل باب من هذه الأبواب فصول عدة ، يتحدث كل فصل منها عن موضوع بذاته ، ليس بينه وبين سابقه أو لاحقه صلة ، إلا الصلة التى جمعت بين كل هذه المشاهد تحت عينى كاتب فنان له روح وعاطفة وفى نفسه شعر وفن

على أن ما يحكيه المؤلف أو يتحدث عنه فى هذه الفصول ليس هو مشاهداتٍ صامتة كبعض ما يصف الرحالون والروّاد ، ولكنها حكاية نفس رأت فتأثرت فألقت ظلالها وألوانها وعواطفها على ما رأته ؛ فما يصف المؤلف مشاهداته ، ولكنه يصف نفسه فى مشاهداته ؛ ومن ثمّت فإن قارئ هذا الكتاب لن يعرف منه أولَ ما يعرف إلا نفسَ كاتبه قبل أن يعرف ما كُتِب عنه ؛ وهو بذلك كتاب له ميزته ، لأن فيه (صدق) الرواية ؛ وله خطره ، لأن فيه القدرة على خداع القارئ ليقوده إلى الإيمان بالرأى الذى لم يكن يؤمن به لو لم يتوقّ بالحذر واليقظة والانتباه . .

وأول ما تعرف من رأى مؤلف الكتاب ومن نفسه هو قوله الذى يصدّر به الكتاب :

وعدم التوفيق إلى فكرة صالحة ، تشاهد المجرم وقد صوره ألفاص فى صورة البطل الفذ ، وقدمه إليك فى مهارة وعبقرية ، بعد أن وضع على رأسه إكليل الغار

لا جدال فى أن ذلك الأدب الرخيص لا يؤدى إلى الغاية المنشودة ولا يحقق الرجاء المنتظر ، بل ينزلق بالقارئ إلى مكان سحيق لا نرجوه له ...

وبعد . فنحن فى صدر طفرة جديدة وعهد جديد ، فيجب علينا أن نتخير نوع الغذاء الروحى لأبنائنا ، حتى يتسنى لنا أن نجعل منهم جيلاً جديداً له من نبل أخلاقه وحسن صفاته ما يحمله على النهوض والتقدم

« بنى مزار » الطهطاوى

« درجتُ على حب الغرب ، والإعجاب بحضارة الغرب ؛ وقضيت أهم أدوار التكوين من عمرى فى أوروبا ، فتمكنت أواصر حبي ، وتقوّت دعائم إعجابى ؛ فلما ذهبت إلى الشرق ، عدت إلى بلادي وقد استحال الحب والإعجاب إيماناً بكل ما هو غربى ..! »

هذه الكلمة ، وفيها صراحة الرأى على ما يمكن أن يلاقي هذا الرأى من شدة المقاومة ، هى نهج المؤلف ورائده ورفيقه طوال مدة الرحلة ؛ وهى نفسه الصريحة التى تتراءى للقارئ فى كل صفحة من كل موضوع فى كل فصل مما أنشأ المؤلف من فصول هذا الكتاب . وإننى — على يقينى بأن هذا الرأى لن يجد له نصيراً عند كثير من القراء ، وبأن حظه من الاستنكار سيكون أكثر من حظه من الرضا — أكاد أوقن بأن كثيراً من القراء سيخرجون من قراءة هذا الكتاب أكثر إعجاباً بالكتاب ومؤلفه على ما بينهم وبينه من اختلاف فى الرأى والمذهب والعقيدة ، وأشد استمساكاً برأيهم ومذهبهم وعقيدتهم فيما بين الشرق والغرب . . .

وإننى لأبيح لنفسى وقد قرأت هذا الكتاب وحللت صداه فى نفسى — أن أتقحم على قدس هذا الرأى فى نفس الدكتور حسين فوزى ، فأزعم أنه مؤمن بالشرق وما فيه إيمان الرأي والعقيدة والدم الموروث ؛ وما هذا الرأى الذى يجهر به إلا صدى معكوس لبعض هذا الايمان ، أنشأه فى نفسه إحساس قوى بمحبة هذا الشرق ، ورغبة غالبة فى إنهاضه ، وأسف بالغ لما صار إليه ؛ ثم ثورة فائرة فى أعماقه على أكثر ما يرى ويحس من عادات الشرقيين وتقاليدهم ؛ فلما همّ أن يصيح صيحته قائلا : « يا بنى قومى ، ليست هذه روحانية الشرق وليست هذه مفاخره ... » عقّه البيان فلم يجد إلا هذه العبارة التى صدر بها كتابه يترجم عن ذات نفسه فى لغة من لغة الغرب الذى تعلم فيه فتكلم بلسانه ...

على أن هذا الشرق الذى رآه الدكتور حسين فوزى بعينيه ليس هو الشرق الذي ندعو إلى إحياء مجده وتجديد حضارته . إن للشرق حضارة أخرى لا تجتليها العين ولا تدركها المشاهدة فقد درست معالم هذه الحضارة فلم يبق منها فيما تراه العين إلا أرض وناس ، وتاريخ يتحدث عن ماض يخزَى من ذكر حاضره . وليس الشرق هو هذا الهند الغارق فى العبودية والأسر والهوان ، ولا هذه الجزر المبعثرة بين شواطئ المحيط الهندى والبحر الأحمر ؛ ولكن الشرق معنى عام إن لم يبد اليوم لعينيه فيما شاهد من نؤى وآثار وحجارة مركومة ، فان حَرِيًّا أن يشرق فى نفسه معناه إن حاول أن ينفذ بعينيه إلى ما وراء ما يرى من آثار وحجارة وناس ...

على أننى فى هذا الموضوع لست أريد الحديث عن شرق وغرب ، فما هو إلا معنى يستتبع معنى ، وإنما أردت أن أعرض هذا المؤلف الجديد بما فيه من رأى صاحبه وفكره ، وأحسبنى قد بلغت فى ذلك مبلغاً ما

ولا يفوتنى قبل أن أفرغ من هذا الحديث أن أنوه بالروح الأدبى الذى ألهم مثل الدكتور فوزى أن يؤلف هذه الفصول الشائقة فى مثل هذه الرحلة العلمية ، على أن هذا الموضوع كان حقيقاً بأن يكون أقرب إلى الكمال وأكثر جدوى وفائدة لو أن مؤلفه (العالم) لم يضن بعلمه على قرائه فيما أنشأ من فصول هذا الكتاب . ولعله حسب ذلك مما لا يهم القراء ، على أنه كان عندى وسيلة يكمل بها ، فما أجل أن يكون بين علمائنا الأجلاء أديب مثل الأستاذ فوزى فى دقة الملاحظة وصراحة الخلق وفكاهة الواقع وخفة الروح وسهولة الكتابة ، ليقدم لقراء العربية شيئاً من « الأدب العلمى » أو « العلم الأدبى » فان العربية فى حاجة إلى هذا اللون الجديد من أدب الانشاء الذى لا يقدر على مثله إلا مثل الدكتور حسين فوزى فى علمه وأدبه

وما أريد أن أتحدث عن هذا الكتاب فى أسلوبه ولغته ؛ إذ لم يكن مما يعنى الدكتور فوزي أن أتكلم فى هذا الكتاب عن أسلوبه ولغته ؛ وإذا لم يكن من حقنا أن نتحدث عن مثل هذا الكتاب فى أسلوبه ولغته ، لذلك نغضى النظر عما فيه من هذا الباب ، راجين أن يكون لنا حديث آخر عن كتاب آخر أو كتب أخرى يخرجها الدكتور حسين فوزي لقراء العربية ؛ فانه لما يؤسف قراء العربية أن يكون فيها مثل الدكتور حسين فوزى من الأدباء المجهولين لأنهم لا يخرجون ثمرات عقولهم إلى القراء ...

محمد سعيد العريان

فهرس الموضوعات للمجلد الأول من السنة السادسة

فهرس الكتاب للمجلد الأول من السنة السادسة

6 me Année, No. 261

Lundi - 4 - 7 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العــــدد ٢٦١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ — ٤ يولية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

بين مصر والعـــراق

تجرى أحكام القـدر على أسباب خافية من حكمة الله لا يؤثر فى منطقها مقتضيات السياسـة، ولا مناسبات الظروف، ولا مجاملات الصداقة . ولو كان لهوى النفوس ومشيئة العقول أثر فى تدبير الأحداث وتغيير الأقضية لما اختُبل فى ذلك الوقت هـذا الطالب العراقى المسكين فأراق على ثرى دار الحقوق البغدادية نفَس الدكتور سيف، ودم الدكتور عزمى، وهما يجاهدان غريبين فى سبيل العلم، ويؤديان مخلصين للعراق فروض المودة. وأقول فى (ذلك الوقت) لأن وقوع هذا القدر المروِّع فى هذه الساعة التى تنعقد فيها أواخى المصاهرة بين مصر وإيران أتاح لبعض النفوس الجاهلة أو المريضة أن توازن بين ما يفعل إخوان النسب وبين ما يعمل إخوان العقيدة . ومثل هذا الحادث المشئوم يقع فى كل قوم وفى كل يوم، فلا تضطرم له القلوب، ولا تضطرب به الألسنة، ولا تهتم منه العلائق، ولـكن وقوعه ظلماً على الغريب النافع، من القريب المنتفع، أعطاه معنى التضحية وجعل له تأثير الشهادة. وابن الوطن إذا قتل فى وطنه كان مصابه مصاب أسرته، وإذا قتل فى وطن غيره كان مصابه مصاب أمته . أضف إلى هذه

الملابسات شائعات مكذوبة وتعليقات مشوبة استطار بها السماع فدلَّست على الناس وجوه الحكم ، وآذت أصدقاء العراق وعارفيه فهبوا يصححون الخطأ في المجالس ، ويعلنون الصواب في الصحف ، رعاية لأسباب الإخاء ، وإدامةً لتعاون الفكر ، وضناً بأخلاق هذا الشعب النبيل على الأفواه القارضة

* * *

شهد الله أني قضيت بالعراق ثلاثة أعوام لم يبلغني فيها كلمة تؤذي ولا فَعلة تسوء ؛ إنما كنت أتقلب في بغداد كما يتقلب الطفل على أحناء الصدر الحنون ، لا أحس غربة ، ولا أستشعر وحشة ، ولا أجد في العيون ولا على الشفاه إلا العطف عليّ والإعجاب بمصر

وربما وجد المصري في غير مصر تناكرا بين وجه ووجه ، وتدابراً بين عاطفة وعاطفة ، إلا في العراق ، فإنه يجد وجهه في الوجوه ، وهواه في الأهواء ؛ ويحس أن الأدب الذي درس ، والتاريخ الذي قرأ ، يتمثلان لباصرته وذاكرته في كل شخص وفي كل شيء ؛ ويرى أن هؤلاء الناس الذين خُلقوا كما خُلق من النهر ذي الفرين الخصب ، وعاشوا كما عاش على الأرض ذات الطَّلع والحب ، لا يختلفون عنه في سَحنةٍ ولا خلق ؛ والعراقيون من جهتهم يؤيدون حسبانه ووجدانه بالطلعة الأنيسة ، والمروءة الجزْلة ، والكرم المحض

كانت مصر إذا ذكرها في المجلس ذاكر نزعت إليها قلوب القوم كما تنزع الأسْرة إلى عَصَبتها النازحين إلى بلاد الذهب والأدب والجمال . وكان المصريين في بغداد على قلتهم مَنزلة ملحوظة بين الجاليات الأخرى لا تحوم حولها شبهة

فهرس المجلد الأول من السنة السادسة

بهذا العدد ينتهي المجلد الثاني من السنة السادسة
وقد سهونا أن نلحق فهرس المجلد الأول بالعدد الماضي
وبهذا العدد. وسنوزعه إن شاء الله منفصلاً مع العدد القادم

الارتزاق ولاسُبَّة التشرد، لأن العراقي وإن كان ضنيناً ب الأجنبي الواغل ، يعرف عن المصري ما يعرفه كل الن عزوفه عن النقلة من قرية إلى قرية ، فكيف بالرحلة م إلى وطن ؟

وهذا الذي رأيته بعيني لا أزال أسمعه بأذني من ال المصريين الذين لا يزالون يسفرون بين الشعبين الشقيقين والمودة. فالأحاديث التي تندس اليوم إلى الأندية اندساس لا ترجع إلى حق ولا تذهب إلى منفعة. وهذا الحادث على ظاهرة من ظواهر المجتمع ، يحدث في الأمم المدنية كما يحـ الشعوب الهمجية ؛ ويقع من القريب على القريب ، كما المواطن على المواطن؛ وحقد النفس على النفس من طبائع الإ وضلال العقل ووهن الأعصاب من آفات الحي ، وما ي غير الله أن يعلم خوافي الصدور وخوائن الأعين

فماذا كانت تعمل حكومة العراق وأمة العراق لتدر العدوان الفردي المحتوم وقد تهيأت أسبابه خفية في نفس مـ وأعصاب موهونة ويأس مضل؟ إن الذين قالوا إنما كان هنال كُتب، وتهديد قِيل، لم يثبتوا أن الصديق الجليل عزمي بهذا الوعيد ، أو أخبر الحكومة بهذا التهديد . وإذن إلا نزق الشباب الذي لا طِبَّ له ، وقدر الله الذي لا حيل

إن العلاقة بين مصر والعراق طبيعية لم يفتعلها طمع الا ولا طموح السياسة ؛ إنما هي علاقة الدم واللغة والأدب وا والمجد والعقيدة ؛ فإذا طاشت يد هناك ، أو هفا لسان فلا ينبغي أن يقع ذلك من البلدين الأخوين إلا موقع ا الضروري الذي لا تكون الحياة دنيا إلا لوقوعه فيها يكون الإنسان بشراً إلا لوقوعه منه

هذه كلمة كنا نود ألا نقولها، فإن الحاجة إلى تقرير الو الصديقين مظنة لوقوع الشك فيه، ولكن قمائد البيوت وأحـ المقاهي لا يحبون أن يزجُّوا فراغهم الثقيل إلا بزخرفة الأحا على حساب الحق ، فلم يكن لنا ولهم بد من هذه الهمسة !

احمد حسن الزيات

الــكبريت

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

« أشعلي لي سيجارة »

وكنا نسير بسرعة ، فيداى لا ترتفعان عن عجلة القيادة مخافة أن يؤدي أضأل انحراف في التوجيه إلى اصطدام بشيء. ثم إن فمها حلو ، وشفتيها رقيقتان ، وليس عليهما شيء من الأحمر ، ولست أحب السيجارة المبتلة ، ولكني قلت لنفسي إن رضابها لا بد أن يكون عذباً

وكانت السجاير بيني وبينها على المقعد ، فتناولتها ، ثم جعلت تتلفت وتتحسس باحثة عن الكبريت فقلت :

« هو في جيبي — »

فدست يدها في الجيب ، ثم ضحكت

قلت : « ماذا ؟ أشركينا . . . »

قالت : « ثلاث علب كبريت . . . ! ما هذا ؟ »

فصحت ، والتفت إليها برغمي ، وأحسست وأنا أفعل ذلك أن يدي ترعش

« بس ؟ »

قالت مستغربة : « بس ؟ هل تريد أن تتجر بالكبريت ؟ »

قلت : « هذه سرقة . . . لا بد أني سُرقت . . . كان في هذا الجيب خمس علب ، فأين ذهبت الاثنتان ؟ هه ؟ طارتا ؟ لا يمكن ! احترقتا ؟ مستحيل ! واضح جداً أنهما سُرقتا . . . فمن هو السارق يا تري ؟ هذه هي المسألة التي تتطلب الحل السريع ... أهو أنت ؟ من يدري ؟ »

قالت : « والله ما أخذت شيئاً ، ولا كنت أعرف أن جيبك هذا فيه كبريت . . . بل لم أكن أدرك أن هنا جيباً . . . ثم ماذا أصنع بالكبريت وأنا لا أدخن عادة ؟ »

وكان في صوتها الفضي اللين من الجزع ما أضحكني فقلت :

« لا عليك يا فتاتي ... كوني سارقة أو لا تكوني ... فانت على الحالين ... ماذا ؟ هه ؟ قولي أنت ... »

فابتسمتْ — أحسست أنها تبتسم ، فقد كنت معنياً بالطريق الناص بالناس والسيارات والغنم والحمير ، والجمال . . . ولا سيما الجمال فانها شر ما أخاف، فان لها لفزعاً غريباً من السيارات

وصمتنا قليلاً ، ثم فركت جبينها الصابح ببنانها وقالت كأنما تذكرت شيئاً :

« قلت إنه كان في هذا الجيب خمس علب ، فهل تعني أن في جيوبك الأخرى كبريتاً ؟ »

قلت « لم يخب ظني فيك يا فتاتي ... ذكية والله ! »

وكنا قد بلغنا أول شبرا ، فاستوقفتني وزعمت أنها تريد أن تشرب ، فوقفت ، ونظرت إليها — حدقت في وجهها — متفرّساً ثم قلت :

« على بابا يا حميدة ؟ » وتناولت ذقني بيدي

قالت : « ماذا تعني ؟ »

قلت : « هل تريدين أن تشربي ، أو تريدين أن ترَيْ ما في جيوبي من الكبريت ؟ أنا أريحك ، وأرضي فضولك .. خذي ! »

وأخرجت من كل جيب بضع علب من الكبريت ، وألقيت ذلك كله على المقعد بيننا ، فصار كوماً صغيراً

فقالت : « إحدى عشرة علبة ! مدهش ! ما حاجتك إلى كل هذا ؟ لماذا تحشو به جيوبك ، وفي واحدة منه الكفاية ؟

قلت : « هذه أسئلة ليس لها عندي جواب . وما أضن بالجواب لو أني كنت أعرفه ، وأحسب هذا مظهراً لبعض ما يخفى على المرء من نفسه ، فما أبالي أن أخرج وليس معي فلوس ، وليس يكربني أن أكون في مكان منقطع وليس معي سجاير ، فإني أستطيع احتمال هذا الحرمان ، ولكن لا أطيق أن أمشي إلا إذا كانت جيوبي مفعمة بالكبريت ، وأشعر أن رأسي يدور ، وأني كالضائع التائه إذا نقص الكبريت الذي معي عن حد الكفاية في رأيي وإحساسي ... وحدُّها عندي أن تكون جيوبي ملأى ... وأن أتحسس هذه الجيوب من الخارج فأشعر بالرضى والارتياح ...

لا أدرى لماذا ولكنى هكذا ... والآن أما زالت بك حاجة إلى الماء تطفئين به ظمأك ؟ »

فضحكت وقالت « أهذا مظهر لشذوذ العبقرية ؟ »

قلت « لا تتهكمى ... إن لكل منا ولعاً بشىء ، وحرصاً على شىء ... وفي وسعك أن تقولى إن لكل منا موضع ضعف ، وأحسب أن مواطن الضعف عندى كثيرة ، ولكن هذا من أبرزها ، وإن كان من أخفاها على الناس ، فإن من حسن الحظ أن النـاس لا يبلغ من فضولهم فى العادة أن يتحسس بعضهم جيوب بعض ، وأظنهم يرون انتفاخ جيوبى فيظنون ما فيها ورقاً ولا يستغربون »

قالت « ولكنى لا أفهم ... »

قلت « ولا أنا ... ولا أعلم حتى متى بدأت هذه العادة ... لقد اعتدت أشياء كثيرة أستطيع تعليلها . مثلا فى وسعى أن أكتب والمدافع حولى تطلق قذائفها ، فلا أكاد أسمعها ، والمحقق على كل حال ، أنى لا أتأثر بها ، ولا أشتغل عما أنا فيه ... اعتدت ذلك لأن الضرورة قضت به وألزمتنيه . — ضرورة العمل فى الصحف اليومية التى يتخذ الزوار من مكاتبها مقهى أو مصطبة أو ناديا ... وأنا أستحيي أن أحجب نفسى أو أرد زائرا ، فلم يبق لى مفر من اعتياد العمل فى هذا البيمارستان ... ولكن الكبريت مسألة أخرى ... لا أذكر متى بدأت احتفظ به وأحرص عليه ... وأنت تسخرين وتقولين إن هذا مظهر لشذوذ العبقرية أو جنونها .. لا ياسيدتى ... لا عبقرية ولا يحزنون . إنما هو عندى مظهر لنزعة نفسية خفية كان من الممكن — لو أتيحت لها فرصة .. أن تظهر فى صورة أخرى ، ولكن ما هى هذه النزعة ؟؟ هذا ما لا أعرف ... ولكن أتعبنى كثرة الغوص فى أعماق نفسى على الأصل فى هذا الحرص على الكبريت ، فنفضت يدى يائسا ، وأسلمت أمرى لله ، وللمتهكمين والمتهكمات من أمثال حضرتك .... »

فضحكت ، فقلت « والآن هل نمضى ؟ »

وعدت بها إلى بيتها ، وقلت لأمها وأنا أسلم عليها « قد رددت الأمانة فاستودعك الله »

فتعلقت بى حميدة وقالت : « حتى تسمع ماما حكاية الكبريت » وسمعت « ماما » حكاية الكبريت ، واستغربت — كما كان لابد أن تفعل — وأسدت إلىّ نصحا كثيرا ، لاشك أنه نفيس ، وأكدت لى أنها تخشى على الاحتراق ، وأيدتها حميدة فزعمت أنى كالبركان الذى لا يؤمن انفجاره فى أية لحظة ، وكانت النتيجة التى لا معدى عنها أن حميدة وماما أخلتا لى جيوبى من الكبريت . . .

وانحدرت إلى الشارع ، وأنا أحس أنى كما قال القائل « خالى الوفاض ، بادي الأنفاض » وكان من المستحيل أن أعود إلى بيتى هكذا ، وماذا عسى زوجتى تقول حين ترى أن جيوبى فرغت من الكبريت ؟؟ إنها تكون حكاية لا آخر لهـا ، لهذا لم يسعنى إلا أن أعرج على دكان وأشتري مقدارا كافيا من رضى النفس وراحة البال ....

ابرهيم عبد القادر المازنى

التعليم الالزامى في مصر

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى

مدير دار الآثار العراقية

قرأت فى مجلة مصرية مقالة لأحد الأساتذة ، يقول فيها : « إن تقارير مفتشى التعليم ومراقبيه » أظهرت فى السنين الأخيرة شيئاً جديداً لم يكن ملحوظاً من قبل ، وهو أن الأولاد الذين يمارسون الزراعة فى الحقل أو الصناعة في المعمل أو التجارة فى السوق من متخرجى المدارس الالزامية ، لا تكاد تمضى عليهم أربع سنوات أو خمس ، حتى ينسوا القراءة والكتابة ، وتمحى من ذاكرتهم البقية الباقية من الحروف الأبجدية ، فيعودون بذلك إلى الأمية مرة أخرى ... »

إننى لم أطلع على نصوص التقارير التى يشير إليها صاحب المقال ، فلا أعرف تفاصيل مالاحظه المفتشون فى هذا الباب . ومع ذلك لم أجد فى هذه النتيجة شيئاً يستوجب الاستغراب ، نظراً إلى ماأعرفه عن الظروف المحيطة بالتعليم الالزامى فى مصر من جهة ، وعن التجارب التى مرت على الأمم الغربية فى هذه القضية من جهة أخرى ...

إنني لاأشارك المحرر فى الأسباب التى يعزو إليها هــذه النتيجة ، كما لا أوافقه على الوسائل التى يقترحها لمعالجة القضية . ومع هــذا لا أرى لزوماً لمناقشة الآراء الواردة فى المقال المشار إليه ، بل أفضل أن أبحث عن القضية من « أساسها » ، بقطع النظر عن آراء المحرر فيها

— ١ —

يظن الكثيرون أن « تعليم القراءة من الأمور البسيطة » التى يستطيع أن يقوم بها كل من « يعرف القراءة والكتابة » وبالأحرى كل من يعلم شيئاً من « مبادئ أصول التدريس » . فى حين أن هــذا التعليم من الأعمال الدقيقة المحفوفة بالمزالق الكثيرة التى لا يمكن تجنبها إلا بيقظة متواصلة وتمرين خاص .. لأن « تعليم القراءة » لا يعنى « تعويد الطالب على قراءة بعض الكتب المعينة » ، بل يعنى « إكساب الطالب مقدرة على قراءة أى كتاب كان »

ومع هذا، فكثيراً ما نجد أن المعلمين لا يقدرون خطورة هذا المبدأ حق التقدير ؛ فيوجهون جهودهم إلى تعليم القراءة من الكتب المدرسية المخصصة لهذا الغرض ، دون أن يمرنوا الطلاب على القراءة السريعة بوجه عام

فى حين أن الطلاب كثيراً ما يتعلمون قراءة تلك الكتب على طريقة الاستظهار، دون أن يجهدوا أنظارهم وأذهانهم فى تتبع الكلمات المطبوعة فى سطورها . وكثيراً ماينخدع المعلمون بسرعة هذه القراءة ، فلا ينتبهون إلى أن الطالب قد قرأ معظم ما قرأه عن ظهر الغيب ، دون ملاحظة الكتاب . وهــذه الحالة تتفشى بوجه خاص ، عند ما يكون الصف مزدحماً بالطلاب ، وعنــد مايتمشى المعلم فى تدريسه على طريقة ميكانيكية ، لا نصيب فيها لليقظة والاهتمام . يقرأ المعلم العبارة بنفسه بصوت جهورى ، ثم يطلب قراءتها من أحد الطلاب ، ثم من ثان ، فثالث ، فرابع ؛ ويكرر هذه العملية عشرات المرات .. وكثيراً ما تنصرف أنظار القسم الأعظم من سائر الطلاب ــ خلال هذه القراءة والتكرار ــ عن أسطر الكتاب إلى أشياء أخرى ؛ غير أن آذانهم تبقى مستهدفة لتأثير الألفاظ التى يلفظها المعلم ويكررها سائر الطلاب ، بطبيعة الحــال . وإذا ما تكررت قراءة العبارات عدة مرات ، يكون هؤلاء الطلاب قد حفظوا الشيء الكثير منها عن طريق السمع ؛ وإذا ماجاء دورهم فى القراءة ، أخذوا يقرأونها « قراءة ظاهرية » تكون حصة النظر فيهــا محدودة جدا ، ويكون العامل الأصلى فى سرعتها هو الحافظة السمعية وحدها ..

ولذلك كثيراً ما نري بعض الطلاب « يقرأون دون أن ينظروا» ؛ وإذا ما طلب إليهم أن يبدأوا القراءة من محل غير المحل المعتاد ، يضطرون إلى التهجي ، فيقرأون بتلعثم وتردد وبطء ؛ غير أنهم إذا ما تمكنوا من قراءة الكلمة الأولى بعد هذا الجهد ، فتذكروا الكلمة التى تليها ، أخذوا يستعينون بذاكرتهم السمعية ، فصاروا يقرأون مابعدهابسرعة واسترسال ... وكثيرا مالاينتبه المعلمون إلى « حقيقة الأمر » فى هذه القراءة الظاهرية وينخدعون بهذه السرعة ، ويظنون أنهم نجحوا فى تعليم القراءة..

شاهدت هـذه الحالة فى عدد غير قليل من المدارس فى دروس مئات من المعلمين ، وما أعرفه عن مدارس التعليم الالزامى فى مصر يخولنى حق الجزم بأن هذه الحالة ليست من الأمور النادرة هناك أيضاً ...

وعندما تـكون طريقة تدريس القراءة مشوبة بهذه الصورة بنواقص وشوائب كثيرة ، فلا حاجة للبيان بأن عدداً غير قليل من الطلاب عندما ينتهون من الدراسة الالزامية ، لا يكونون قد تعلموا القراءة بكل معنى الكلمة ، بل يكونون قد تعلموا قراءة بعض الكتب قراءة ميكانيكية ، لم تخرج من دور التهجى والتردد إلا باعانة الذاكرة السمعية ... فهل من مجال للاستغراب إذا ما فقد هؤلاء خلال بضع سنوات ما كانوا قد اكتسبوه من المقدرة السطحية فى القراءة الميكانيكية فعادوا إلى الأمية بصورة تدريجية ؟

فإذا أردنا أن ننجو من هذه المزلقة الأليمة ، يجب علينا أن نهتم باصلاح طرق تعليم القراءة ، ونسعى إلى حمل الطلاب على قراءة كتب متنوعة ، فنتجنب كل ما من شأنه أن يجعل القراءة ميكانيكية وظاهرية

— ٢ —

مع هذا يجب علىّ أن أصرح بأن كل ذلك أيضاً لا يضمن معالجة المشكلة التى نبحث عنها معالجة قطعية

لأن « مقدرة القراءة » فى حد ذاتها ليست من الأمور التى ترسخ فى النفس بمجرد اكتسابها ، بل هى من القابليات التى لا تعيش وتنمو إلا بالعمل والتكرار والمران .. إنها من القابليات التى تضعف وتتلاشى شيئاً فشيئاً عندما تبقى « عاطلة » ولا تجد مجالاً للعمل بصورة متصلة ...

إفرضوا أن طالباً مجتهداً ونبيهاً ، قد تعلم القراءة بصورة جيدة ، فأصبح قادراً على قراءة الكتب بصورة مرضية ... ثم تصوروا أن هذا الطالب ترك القراءة بعد خروجه من المدرسة ؛ فقد مضى عليه عدة سنوات دون أن يقرأ شيئاً ، ودون أن يجد فى بيئته دافعاً يدفعه إلى استعمال قابلية القراءة التى كان اكتسبها قبلاً . لاشك فى أن القابلية المبحوث عنها سوف لا تحافظ على قوتها مدة طويلة من الزمن ، بل ستكون عرضة للضعف بصورة تدريجية ... وسيزداد هذا الضعف على ممر السنين فيعود صاحبها إلى دور القراءة « بالتهجى » كالمبتدئين ؛ وإذا استمر الحال على هـذا المنوال مدة أخرى ، فسيفقد قابلية القراءة التى كان اكتسبها فى المدرسة ، وسيعود إلى الأمية مرة أخرى

وهـذا هو ما يحدث فى الحياة الاعتيادية . فى كثير من الأحيان ينتهى الطفل من التعليم الالزامى فيترك المدرسة ويذهب إلى الحقل أو المعمل ، للاشتغال مع والديه ... ولا يجد هناك فرصة لتغذية القابلية التى كان قد اكتسبها ، ولا يشعر بدافع يدفعه إلى قراءة شيء يحرك ويجدد تلك القابلية ، فينسى فى حياته الجديدة ، بصورة تدريجية كل ما كان اكتسبه فى حياته المدرسية ...

إن القول بأن « التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر » بصورة مطلقة ، لا يتفق مع الحقائق الراهنة : فان الدماغ ليس من نوع الأحجار الجامدة التى تحافظ على كل ما ينقش فيها ؛ والقابليات التى يكتسبها الدماغ لا تشبه النقوش التى تحفر على الحجر بوجه من الوجوه ؛ ولا سيما دماغ الطفل ، فانه يمتاز بمرونة كبيرة ، يكتسب بسرعة ، غير أنه قد يفقد أيضاً بسرعة

هذه حقيقة هامة يجب أن نضعها نصب أعيننا عند ما نفكر فى أمر التعليم الالزامى ومكافحة الأمية : يجب علينا أن نهتم بتغذية قابلية القراءة وتقويتها — بعد المدرسة — بقدر ما نهتم بتوليدها وتنميتها في المدرسة ... يجب علينا أن نتوسل بشتى الوسائل التى تدفع إلى القراءة — بعد الانتهاء من الدراسة الالزامية — خلال مزاولة أعمال الحياة الاعتيادية ...

وإلا ، فيجب علينـا ألا نستغرب إذا ما وجدنا « قابلية القراءة » التى بذلنا كل تلك الجهود فى سبيلها قد أخذت تندثر وتتلاشى شيئاً فشيئاً ... و « الأمية » التى قضينا كل تلك الأوقات فى سبيل مكافحتها داخل المدرسـة وفى سن الطفولة ، عادت إلى الحكم بعـد مدة ، فاستولت على النفوس تدريجياً فى ساحة الحياة ، وفى سن الرشد والشباب ...

— ٣ —

إن تجارب الأمم الغربية — المسطورة فى تواريخ معارفها — تؤيد الملاحظات النظرية التى سردناها آنفاً ؛ فان رجال معارف

تلك الأمم أيضاً كانوا قد اصطدموا بالمشكلة التي بحثناعنها، في بدء انكبابهم على تعميم التعلم ومكافحة الأمية؛ وهم أيضاً كانوا قد لاحظوا — عندئذ — أن معظم الطلاب الذين يتخرجون من المدارس الابتدائية ويدخلون معترك الحياة، ينسون بصورة تدريجية الكثير مما كانوا تعلموه في المدرسة خلال سني التعليم الالزامي. وكثيراً مايصل بهم الأمر إلى درجة «نسيان الأبجدية» والعودة إلى الأمية

إن هذه النتيجة تمثلت للعيان، على وجه أخص، عند ما أخذوا يفحصون معلومات الراشدين الذين يبلغون السن العسكرية فيدخلون الثكنات ... فقد وجدوا بين هؤلاء الجنود عدداً غير قليل من الذين لا يستطيعون أن يقرأوا شيئاً بالرغم من أنهم تعلموا القراءة والكتابة — في طفولتهم — في المدارس التي داوموا فيها

ولذلك أخذوا يبذلون الجهود الكبيرة لمعالجة هذه المشكلة، ويتوسلون بوسائل شتى لتوقي هذه النتيجة

وكان من جملة الوسائل التي توسلوا بها إحداث دروس ومدارس تجمع الراشدين أيام الأحد، أو أحد ليالي الأسبوع طول السنة، أو خلال بعض الأشهر منها بقصد «تكرار» و «ترسيخ» المعلومات التي كانوا اكتسبوها خلال دراستهم الابتدائية . . .

إن الألمان الذين كانوا أسبق أمم الغرب إلى تطبيق نظام التعليم الالزامي، أحدثوا مثل هذه الدروس منذ القرن الثامن عشر، وجعلوا المواظبة عليها من الأمور المحتمة على كل فرد، منذ انتهائه من الدراسة الابتدائية حتى دخوله الخدمة العسكرية ...

إن كثيراً من الأمم الغربية حذت حذو الألمان في هذا الباب، في القرن التاسع عشر، وأحدثت مثل هذه الدروس والمدارس، تحت أشكال وأسماء مختلفة . . .

في الواقع أن الحاجة إلى التوسل بمثل هذه الوسائل قد زالت من الغرب، نظراً إلى انتشار القراءة والكتابة بين جميع الطبقات، وازدياد حاجة الناس إليها في كل البيئات وفي جميع نواحي الحياة، وانتشار الكتب التي تلذ الناس وتفيدهم مع ازدياد المكتبات التي أصبحت في متناول أيديهم . . . فان كل ذلك لم يدع — في البلاد الغربية — حاجة لإدامة الدروس والمدارس التي كانت تستهدف «التكرار» و «الترسيخ» . . . ولذلك حدث تطور عظيم في أهداف الدروس والمدارس الخاصة بالراشدين .

غير أن الأهداف الحالية والتطورات الأخيرة يجب ألا تنسينا الغرض الأصلي الذي كان استوجب إحداث مثل هذه الدروس والمدارس . ويجب أن نلاحظ على الدوام أن تلك الدروس والمدارس لعبت دوراً هاماً في ضمان نجاح التعليم الالزامي، ومكافحة الأمية في عهودها الأولى

***

إنني أعتقد أن الملاحظات الآنفة الذكر تكفي لاظهار أنواع الواجبات التي تترتب على وزارات المعارف التي تهتم بأمر التعليم الالزامي ومكافحة الأمية :

يجب عليها أن تسعى لتحسين طرق تدريس القراءة، وتدريب المعلمين للقيام بأعباء هذا التدريس

كما يجب عليها أن تتخذ التدابير اللازمة لايجاد سلسلة كتب ونشرات ملائمة لحاجات الناس وميولهم، على اختلاف مهنهم وبيئاتهم . . .

ويجب عليها أن تتوسل بوسائل متنوعة لنشر تلك الكتب بين الناس، لتسهل تغذية رغبة المطالعة في نفوسهم ...

وأخيراً يجب عليها أن تتوسل ببعض الوسائل التي تضمن اجتماع الشبان في المدرسة من حين إلى حين — بعد انتهائهم من سني التعليم الالزامي — لإدامة علاقتهم بالدرس والمطالعة بصورة منتظمة . . .

وإذا لم تفعل ذلك يجب أن تعلم جيداً أن الجهود التي تبذلها والنفقات التي تنفقها في سبيل نشر التعليم في الأرياف وبين جميع طبقات الناس، لا تثمر الثمرة الكافية، ولا يبعد أن يذهب معظمها هباء منثوراً . . .

أنتهز هذه الفرصة لألفت أنظار وزارات المعارف في البلاد العربية — ولا سيما في مصر — إلى هذه الواجبات التي تترتب عليها لإتمام مهمتها في نشر التعليم ومكافحة الأمية بصورة فعلية

قلت : لاسيما في مصر ... لأنها المملكة العربية الوحيدة التي استطاعت أن تسن قانوناً للتعليم الالزامي، وأن تضع خطة عملية لتنفيذ أحكام ذلك القانون، وتحقيق نشر التعليم بين جميع طبقات الناس وفي جميع أنحاء البلاد . . . فعليها — قبل غيرها — يترتب واجب الاسراع في اتخاذ التدابير التي سردناها آنفاً . . .

(بغداد) ساطع الحصري

قصة الكلمة المترجمة

(القتل أنفى للقتل)

لأستاذ جليل

تتمة

انتشرت كلمة الشيخ عبد العزيز الأزهري (البلاغ ٢٠ رجب ١٣٥٢) فكتب الأستاذ الرافعي (رحمه الله) مقالة عنوانها (ليست جاهلية) — البلاغ ٢٢ رجب ١٣٥٢ — قال فيها .

« أثبت الأستاذ عبد العزيز الأزهري فيما نشره في البلاغ أن هذه الكلمة عربية واحتج لذلك بحجج أقواها : زعمه (أنها وردت بين ثنايا عهد القضاء الذي بعث به سيدنا عمر إلى أبي موسى الأشعري) ولا ندري أين وجد الكاتب كلمة (القتل) فضلا عن (القتل أنفى للقتل) في ذلك العهد المشهور المحفوظ ، وقد رواه الجاحظ في البيان والتبيين ، وجاء به المبرد في الكامل ، ونقله ابن قتيبة في عيون الأخبار ، وأورده ابن عبد ربه في العقد الفريد ، وساقه القاضي الباقلاني في الاعجاز ، وفي كل هذه الروايات لم تأت الكلمة في قول عمر ، بل لا محل لها في سياقه ، وإنما جاء قوله (فان أحضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا وجهت عليه القضاء . فان ذلك أنفى للشك) أما سائر حجج الكاتب فلا وزن لها في باب الرواية التاريخية وقد أصبح عاليها سافلها كما رأيت »

قلت : كتاب احمد ابن عبد ربه اسمه (العقد) والفريد زيادة نسخ ومطبعة . قال ابن خلكان : (وصنف كتابه العقد وهو من الكتب الممتعة) وقال الفتح ابن خاقان : (وله التأليف المشهور الذي سماه بالعقد) والكتب التي سميت العقد الفريد هي (العقد الفريد في أحكام التقليد ، العقد الفريد في انساب بني أسيد ، العقد الفريد في علم التجويد ، العقد الفريد في علم التوحيد ، العقد الفريد، للملك السعيد)

وقلت : جاء (القضاء) في البيان والتبيين ، والعقد ، وعيون الأخبار . ووردت (القضية) في الكامل ، وإعجاز القرآن . وجاءت (استحلت) في هذين الكتابين . والقضاء والقضية مصدران ، والاسم القضية فقط ؛ و (القضية المصرية) لا تعرفها العربية . والعبارة في العهد أو الرسالة (فان ذلك أنفى للشك) قول عربي متناسب ، و (النفي) نازل فيه منزله . ورسالة الفاروق إلى أبي موسى مشهورة ، وقد رواها رواة وعزوها إليه . وذكر الجاحظ في البيان والتبيين كتابا من عمر إلى الأشعري (رضي الله عنهما) فيه تعليم وإرشاد وتذكير ، والله أعلم

وقال الأستاذ الرافعي (رحمه الله) .

« والذي أنا واثق منه أن الكلمة لم تعرف في العربية إلا في أواخر القرن الثالث من الهجرة . وهذا الامام الجاحظ يقول في موضع من كتابه (البيان والتبيين) في شرح قول علي كرم الله وجهه : (بقية السيف أنمى عددا وأكثر ولدا) ما نصه : (ووجد الناس ذلك بالعيان للذي صار إليه ولده من نهك السيف وكثرة الذرء وكرم النجل . قال الله تبارك وتعالى : (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) وقال بعض الحكماء : قتل البعض حياة للجميع . ولم يزد الجاحظ على هذا . ولو كانت الكلمة معروفة يومئذ لما فاتته كما هو صنيعه في كتبه ، وهذه العبارة الأخيرة (قتل البعض...) هي التي زعم الرازي في تفسيره أنها للعرب ... فلا عبرة في هذا الباب بكلام المفسرين ولا المتأخرين من علماء البلاغة ، وإنما الشأن للتحقيق التاريخي »

قلت : في النسخة المطبوعة : (قتل البعض إحياءٌ للجميع) ولم تجيء هذه العبارة والآية الكريمة قبلها في شرح قول علي (رضي الله عنه) — أن قصد أنهما جاءتا شرحا له ، فالمقاصد مختلفة . وإيراد الجاحظ الآية والعبارة هو كعادته في إملاء ما يمليه في كتابه ، وقد وردت قبل جملة وكلمةٍ للمهلب في معناها أقوالٌ متنوعة ، وتلت الآيةَ والعبارة مقطوعةٌ لهمام الرقاشي ، ثم تبع الشعر قولٌ لخارجية يشا كل الجملة العلوية ، ثم خبر وشعر ، ثم أحاديث متنوعة . وإن حسب الجاحظ أن الآية والعبارة تحكيان (بقية السيف...) فقد أخطأ حِسبانه

ثم روى الأستاذ الرافعي (رحمه الله) قولاً للجاحظ في (حجج النبوة) في القوم الذين كانوا يولدون الأخبار ويطمئنون بها على (الكتاب) ثم قال : « وإن لم ينهض الدليل القاطع على أن تلك الكلمة مترجمة عن الفارسية بظهور أصلها في تلك اللغة ؛

ورجوعه إلى ما قبل الاسلام فهى ولا ريب مما وضع على طريقة ابن الراوندى الذى كان فى منتصف القرن الثالث »

قلت : الكلمة لم تظهر فى مصنفات نعرفها فى القرن الثانى أو الثالث فينسبها إلى أحد من العرب أو غيرهم ناسب أو يقصد بها مقصد ابن الراوندى وتلك الشرذمة شرّير . وما هى إلا قول من جنس الأقوال الفارسية والأغريقية التى ترجها النقلة وروى مثل الثعالبي وابن هند وطائفة منها

***

ظهرت مقالة الأستاذ الرافعى (رحمه الله) فنشر البلاغ (٢٥ رجب ١٣٥٢) كلمة للشيخ عبد العزيز الأزهرى عنوانها (القتل أنفى للقتل) قال فيها : « لأول مرة فى حياتي الأدبيـة أقرأ للأستاذ البحاثة مصطفى الرافعى كلاماً يخترمه التناقض ، وينسف آخره أوله . إن الأستاذ محق فى أن نسبة الجملة الماضية إلى وثيقة القضاء التى بعث بها سيدنا عمر إلى أبى موسى الأشعرى ليست حقيقية ، ومما لاشك فيه أن الذي أوقع فى حسبانها منها مشابهتها لمجز الجملة الآتية فى الرسالة : (فانه أنفى للشك) وقليلون هم أولئك الذين يشبهون الأستاذ فى قوة الذاكرة ، ووفرة كتب المراجعة ، وانفساح الوقت . و (ظروفى) المدرسية وأكداس الكراسات التى تنوء بالعصبة أولى القوة (أرغمتنى) على أن لا أتصفح الجرائد إلا إلماماً مثل حَسْو الطير ماء الثماد [1] ، فنى اللحظة التى كنت أتنجع فيها الراحة وقع نظرى على كلمة الأستاذ النشاشيبي وفيها يرى أن الجملة مترجمة لا جاهلية ولا مولدة، فكان ردى عليها أنها عربية ، وبرهنت على ذلك بعدة أدلة ، لهذا غشيتنى الدهشة عندما حكم الأستاذ بأن الأدلة التى ذكرت أصبح عاليها سافلها لنقض بعضها ، فهل عدم العثور عليهـا فى عهد القضاء (يترتب عليه) » ثم ذكر ما يثبت عنده جاهلية تلك الكلمة مفصلا

١ — عدم الحاجة إلى اقتراض هذه المعانى

٢ — خشونة الجملة

٣ — عنجهيتها البدوية

٤ — رنين لفظة القتل في المسامع

٥ — حالة العرب قبل البعثة أسالت على شباة ألسنتهم (يعنى حكماءهم) أمثال هذه المعانى ثم قال : « ومما أعجزنى فهمه ادعاء بحاثتنا الكبير أن الكلمة لم تعرف إلا فى أواخر القرن الثالث الهجرى » ثم قال : « الحق الذى لامرية فيه أن القتل أنفى للقتل كلمة عربية لحماً ودماً وعصباً ، وأن قلم الأستاذ خانه فى هذه المرة فكان من نتائج شطحاته ! أن (انزلق) به إلى هـذا الحكم . فليتقبل منى الأستاذ الأديب هذا الرأى وليثق أنه لم يؤثر في منزلته فى نفوسنا هذا الشطط ! إلا بمقدار ما تتداح دائرة »

قلت : وجدت كلام الشيخ فى الأستاذ الرافعى (رحمه الله) طرفة فرويته ، والله يشهد أنى ما قصدت بروايته تنقص قائله

***

ثم نشر البلاغ فى اليوم الثانى (٢٦ رجب ١٣٥٢) كلمة عنوانها (ليست جاهليـة ولا مترجمة !) للفاضل (أمين حافظ شرف بنيابة طنطا) قال فيها : « عاد الأستاذ الأزهرى إلى دعواه أن كلمة (القتل أنفى للقتل) جاهلية ، ولم يضف إلى براهينه الأولى شيئاً يعتمد عليه فى تأييد هـذه الدعوى رغم اعترافه بأنها لم ترد فى عهد القضاء من عمر إلى أبي موسى كما وهم أولا ونبه إلى وهمه الأستاذ الرافعى ، وكل ما جاء به ليبرهن على جاهليتها بعض استنتاجات فرضية لا تقوم عليها دعوى . أما وقد بيّن الأستاذ مصطفى صادق الرافعى أن تلك الكلمة لم تعرف قبل القرن الثالث الهجرى ولم يروها أحـد إلى ذلك العهد على كثرة ما روى عن الجاهليين فلا محل للقول بأن هناك أدلة عقلية أو منطقية ، فهى ليست جاهليـة ولا مترجمة ! إلا أن تؤيدها الرواية الصحيحة أو يعرف أصلها الأعجمى ! »

قلت : قول السيد أمين (رغم اعترافه) عربيته : رغم اعترافه أو على اعترافه) والمعروف الاعتراف بالذنب ، يقال : اعترف بذنبه وفى (الكتاب) : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » وفى حديث عمر : « أطردوا المعترفين هم الذين يقرون على أنفسهم بمـا يجب عليهم فيه الحد والتعزيز ، كأنه كره لهم ذلك ، وأحب أن يستروه

---

(١) ذكرنا هذا القول بأبيات لأعرابى جيدة ، وهى من مختار (الكامل) :

ما لعينى كحلت بالسهاد ... وجنبي نابياً عن وسادى
لا أذوق النوم إلا غراراً ... مثل حسو الطير ماء الثماد
ابتغى إصلاح سعدى بجهدى ... وهى تسعى جهدها فى فسادى
فتتاركنا على غير شىء ... ربما أفسد طول التمادى

على أنفسهم » كما ذكرت (النهاية) و (استنتاجات) فى كلمة (الأمين) غريبة فى العربيات

* * *

ثم ظهرت فى البلاغ (غرة شعبان ١٣٥٢) كلمة عنوانها (أسئلة القتل أنفى للقتل) للأستاذ (أزهرى ، المنصورة) قال فيها : « الظاهر أن الشيخ عبد العزيز الأزهرى يريد أن تكون (القتل أنفى للقتل) جاهلية ، فان يتشبث برأيه ولا يرجع عنه يُطالبْ بجواب هذه الأسئلة :

المجمع عليه أن اللغة العربية هى لغة الرصانة والأحكام فلن تضع كلمة إلا موضعها ، فهل يجوز أن تستعمل العربية (النفى) فى تلك الجملة ؟ وما معنى (القتل أنفى للقتل) ؟ وهل توضح ألفاظ الجملة معناها ؟ وما معنى (النفى) فى اللغة ؟ وهل استعملت مادة (ن ف ى) واللغة لغة والعرب عرب ، فى مثل هذا المقصد ؟

فاذا أقام الشيخ عبد العزيز دهراً طويلا يبحث فلا يجد للنفى فى العربية مثل هذا الاستعمال، فهل تبقى (القتل أنفى للقتل) جاهلية أو عربية ؟

قلت : النفى : التنحى ، التنحية ، الطرد الابعاد عن البلد ، التساقط : تساقط الشعر ، التغريب الذى جاء فى الحديث ، الجحد (ومنه نفى الأب والابن يقال : ابن نَفىٌ إذا نفاه أبوه) كما فى التاج ، الرد (نفيت الشىء إذا رددته ، وكل ما رددته فقد نفيته)

ولو استُبدل (القتل) بـ (النفى) فى العبارة الفارسية فقيل : القتل أقتل للقتل لصح اللفظ، ولكن تدمى الأذن والدماغ والعصب والجسم حينئذ داهيــة ، وتجىء ثلاث « قافات خشنة كل قاف كجبل قاف» كما قال أحمد بن الحسين الهمذانى[1] وتخالف العبارة قول المتنبي[2] :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيس ، كلهن قلاقل

قال العكبرى فى (شرح التبيان) : «عاب الصاحب اسماعيل ابن عباد أبا الطيب بهذا البيت وقال : (ماله – قلقل الله أحشاءه – وهذه القافات الباردة) قال أبو نصر بن المرزبان : ثلاثة من الشعراء رؤساء، شَلْشَلَ أحدهم، وسلسل الثانى، وقلقل الثالث. فالذى شلشل الأعشى[1] والذي سلسل مسلم[2] وأما الذى قلقل فالمتنبي . قال الثعالبي : فقال لى أبو نصر : فبلبل أنت . قلت له : أخشى أن أكون رابع الشعراء ... ثم قلت بعد مدة :

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل[3]

* * *

كان خطأ مطبى فى الكلمة السابقة (أسئلة) فنشر الأستاذ (أزهرى المنصورة) كلمة عنوانها (التطبيع) – البلاغ ٨ شعبان – قال فيها : « بعثت إلى (البلاغ) والقوم يقتلون فيه (القتل أنفى للقتل) بحثاً — وقد قُتِلت ، وقد رُمِست ، وللأقوال كما للقائلين آجال — بكلمة فيها أسئلة ، ولما جاءت إلىّ الجريدة وجدت وذكر الكاتب الخطأ المطبى (لا الأخطاء كما يقول بعض الأدباء) ثم قال : فعجبت وما عجبت ، وقلت هى المطبعة ، وهى السرعة فى العصر البراقّ . وقد أردت أن أسمي مثل هذا فقلت : لما كانت الصحيفة والصحف والصحائف والقلم الكاتب قالوا : (التصحيف) فهل لنا — واليوم يوم المطبعة — أن نقول (التطبيع) وقل من يستعمل هذه اللفظة فى هذا الزمان للمعنيين القديمين . والصحيفة الخطأ فى الصحيفة مولدة ، والتطبيع (الخطأ المطبى) عصرية بنت العصر ، وفى بنات العصر كريمات »

* * *

ثم ظهرت فى البلاغ ١٦ شهر رمضان ١٣٥٢ كلمة عنوانها (القتل أنفى للقتل مولدة لا جاهلية) للأستاذ محمود محمد شاكر قال : « كانت هذه الكلمة سبباً فى لجاج بعض الكتاب حين قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى مقاله الذى نشره فى بلاغ السبت (١٥ رجب سنة ١٣٥٢ — ٤ نوفبر سنة ١٩٣٣) بعنوان كلمة مؤمنة فى رد كلمة كافرة) : (أنا أقرر أن هــذه الكلمة مولدة

---

(١) صاحب المقامات والرسائل وهو عربى الأصــل كما قال الدكتور عبد الوهاب عزام فى (الرسالة) وقد أخبرتنا مجلة (المصور) الأسبوعية فى هذه الأيام أنه فارسى فجزى الله المحققين في دار الهلال خيراً . . .

(٢) أبو الطيب شاعرنا العظيم ، وهذا بيت فى أبيات قالها فى صباه فى وعكة أو مرض

(١) وقدغدوت إلى الحانوت يتبعنى شاو مشل شلول شلشل شول

(٢) سلت فسلت ثم سل سليلها فأتى سايل سليلها مسلولا

(٣) بلابل الأخيرة جمع بلبلة وهى الكوز

وضمت بعد نزول القرآن الكريم ، وأخذت من الآية ، والتوليد فيها بيّن ، وأثر الصنعة ظاهر عليها) وقد قال بعض الكتاب بترجمتها عن اللغات وقد بحثت طويلا عن أصلها وكنت أود أن أسوق الأدلة كلها على نفيها عن عرب الجاهلية ، ولكن لا يتسع وقتى الآن لذلك ، ثم وجدت أخيرا النص القاطع على أنها ليست من كلام الجاهلية فى كتاب الايجار والاعجاز لأبى منصور الثعالبي المطبوع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ مع رسائل أخرى « ثم نقل كلام الامام الثعالبي وفيه « ويحكى عن أردشير الملك ما ترجمه بعض البلغاء أنه قال : القتل أنفى للقتل » وقد رُوِيَ النصُّ كله من قبل فى كلمة الكوكب ثم قال الأستاذ محمود : « وهـذا نص يؤيد ما ذهب إليه الرافعى ولا موضع للجدل بعده »

***

فنشر الأستاذ (أزهرى المنصورة) بعد هذا القول كلمة عنوانها (الكلمة المترجمة ، الأقوال الفارسية فى العربية) — البلاغ ١٩ شهر رمضان ١٣٥٢ — ومما قاله : « هذا النص بنفسه قد أورده الأستاذ النشاشيبى فى جريدة (كوكب الشرق فى (١٢) رجب ١٣٥٢ وكان قول الثعالبي من جملة الأدلة على أن تلك الكلمة مترجمة ، ويظهر أن الأستاذ محمودا لم يقرأ المكتوب فى الكوكب إذ لو رآه ما كان أتعب النفس فى نقل ذلك النص . وكان قول الأستاذ الرافعي فى تلك الكلمه المترجمة فى (١٥) رجب ٣٥٢ وقد طلب الأستاذ الأصل الفارسى ، والظفر بالمطلوب فى هذا الوقت مستحيل . ولولا ذلك لسألنا العالم الهمام الدكتور عبد الوهاب عزام الأستاذ فى الجامعة المصرية أن يهدينا إلى مظنته.

الأقوال المنقولة عن الفارسية بعضها عزى إلى أهله فعرفناه، وبعضها جهل أصله فلم يدر أعربى هو أم فارسى . فهل للنابغة العالم بلغة العرب والأعاجم الدكتور عبد الوهاب عزام أن يطرف الناس بحثا مستفاضا فيه عن الأقوال الفارسية فى العربية

آباء عزام كان (قِرَى الأضياف سجيّتهم ، ونحر العشار دأبهم وهجيراهم[1]) وقد جمع الأبناء بين القِرَيَين : قرى الضيفان بالجفان[2] وقرى العقول والأذهان بالعلم والعرفان »

***

وفى (البلاغ ٨ شوال ١٣٥٢) ظهر قول عنوانه : (الكلمة المترجمة ، الأقوال الفارسية فى العربية) للدكتور عبد الوهاب عزام . وهذا هو القول : « نشر فاضل (أزهرى) كلمة فى البلاغ تحت العنوان المصدرة به هذه الأسطر ، تناول فيه الكلام عن الأقوال الفارسية المنقولة إلى العربية ، وطلب منى أن أكتب ما أعرف فى الموضوع ، وأحسن الظن بى وبآبائي ، فأثنى علينا بما شاء له خلقه الكريم وأدبه الرفيع .

وإنى ليؤسفنى أن فاتتنى هذه الكلمة فلم أطلع عليها حتى تفضل أديب العرب الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي فأرسل إلى من فلسطين قطعة من البلاغ تتضمن كلمة الأديب (أزهرى)

فالآن أبادر إلى شكر أستاذنا النشاشيبى والاعتذار إلى أديبنا (أزهرى) وشكره ، راجياً أن أشرّف باجابة دعوته إلى الكتابة فى هذا الموضوع حين يتيسر لى ما تصديت لمعرفته وجمعه من الكلمات فى هذا الصدد »

قرأ الأستاذ (أزهرى المنصورة) قول الدكتور عبد الوهاب عزام فنشر كلمة عنوانها (موهبة الله واهبها، الدكتور عبد الوهاب عزام) — البلاغ ١٩ شوال ١٣٥٢ — قال فيها : « قال المحبى فى (خلاصة الأثر) : تعلم العلامة البوريني اللغة الفارسية حتى صار يتكلم بها كأنه أعجمى ، وفى ذلك يقول:

تعلمت لفظ الأعجمىّ وإننى ... من العرب العرباء لا أتكتّم[3]

(١) من قول فى (المفتاح) عند الكلام عن الالتفات ، وبعده : افتراهم يحسنون قرى الأشباح فيخالفون فيه بين لون ولون ، وطعم وطعم ، ولا يحسنون قرى الأرواح فلايخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد

(٢) قلت : قال الكاتب الجلة إعرابية ، والكلام الصحيح : قرى الضيفان فى أكرم آنية شرقية وغربية فى المائدة ، فى الخوان أو على الطشتخان ، وهذا ما عاينّاه عند القوم فى حلوان

الطشتخان عربته الفاثور وهو الخوان من رخام وقيل من فضة أو ذهب كما فى الأساس

(٣) الذى وجدناه : كتم ، كاتم ، اكتتم ، كتّم — بالتشديد — استكتم ، فهل وجد البوريني تكتم فى كلام

وما كان قصدى غير صون حديثكم
إذا صرت من شوق به أترنم
وإن كنت بين المعجمين فمعرب وإن كنت بين المعربين فمعجم
فأغدوا بأشواقي إليكم مترجماً وسركم فى خاطرى ليس يعلم

وقد تعلم العلامة الأستاذ الكبير (الدكتور عبد الوهاب عزام) اللغة الفارسية والتركية وغيرهما من لغات الأعاجم وحذقها، كما نبغ فى العربية وأدبها ليستفيد نشء العرب — قل وشبانهم وشيبهم — من بحثه وتحقيقه، وتفتيشه وأدب درسه استفادتهم من سيرته وخلقه وأدب نفسه، وليهدى فى المشكلات من يستهديه، وليظهر للناس ذلك الكنز العظيم الذى أثرت به العربيـة. والكنز المعنى هو (الشاهنامه). قال ضياء الدين بن الأثير: (كما فعل الفردوسى فى نظم الكتاب المعروف بشاه نامه وهو ستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس؛ وهو قرآن القوم، وقد أجمع فصحاؤهم على أن ليس فى لغتهم أفصح منه)

إن الذى عند الدكتور عبد الوهاب عزام — قلت أو الدكتور موهوب عزام — هو موهبة، الله واهبها، والله (الوهاب) وهو فى الفضل والعلم من أولى (العزم) »

قال: انتهت القصة

(الاسكندرية) (***)

حـــواء

ديوان شعر طريف فى الغزل العرفانى من نظم الأستاذ الحومانى تحت الطبع، تحمل الرسالة منه إلى قرائها عدة نماذج قبل صدوره

اباعثتي

تَلَفَتُّ أسأل ماضيَّ عما وعيتُ فألفيته لا يعى
وأيقنتُ أنَّ ربيع الشباب تولَّى ولم يكُ قلبى معى
كأنَّ أناشيده قبلما خلقتُكِ لم تجرِ فى مسمعى
ولا فتق الصبح أكمامها عن الحب ريان من أدمعى
أباعثتى قبلَ الأربعين جديدَ الصبا قلقَ المضجع
مشت بى أيامُكِ القهقرى من الأربعين إلى الأربع
فأبصرتُ والشمس عند المغيـــب، تباشيرَها قبلَ المطلع
وأنضرَ فودىَّ من ناظريكِ شبابٌ تدفق فى أضلعى

رأيتك ...

يراكِ بعينيه مَن لا يرا كِ فى ظلمة اليأس فجرَ الأمل
يراكِ بنفسجة فى الحضيض وزنبقة فى سماء الجبـل
يراكِ ندى فى جيوب النسيم وبدراً تنقل حتى اكتمل
فيازهرة فى رياض الربيع وبدراً تكبّد قلب الحمل
حنانيك والزهر يجنى عليـه
ضحى الصيف والبدر يغشى الطفَل
رأيتكِ والعينُ لمَّا تَسَعْـــكِ أحجيَّة فى ضمير الأزل
رأيتُكِ، والعينُ ملء الفؤا دِ، ملء النهى عُقَداً لا تُحل
رأيتُكِ أنشودةَ العبقري وأضحيّة فى فؤاد البطل
رأيتكِ بين يديْ ناظريَّ فما أتلقّاه غضّ القُبَل
فماً وشَّعَتْ بسماتُ الخلود حواشيه باللثم حتى اشتعل

الحومانى

جورجياس

او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٢ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف لأنها أجمل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة »

« رينوفيير »

الأشخاص والمحاورة

بينت لك فى المقال السابق أهمية هذه المحاورة وموضوعها . وأقدم إليك اليوم أشخاصها، ثم أبدأ فى ترجمتها وفى التعليق على ما يحتاج منها إلى تعليق :

١ — الأشخاص

أولهم : « سقراط » Socrate ، وهو بطل المحاورة كما قلنا . وسنرى إفلاطون متقمصاً إياه ومعلناً تلك الأفكار السامية المتعلقة بطبيعة « البيان » و « الأخلاق » . وسنرمز له فى الهامش بالحرف « ط »

وثانيهم : « جورجياس » Gorgias وهو السفسطائى ومعلم البيان الذى يتخذ منه سقراط محوراً يدور حوله ويمطره وابلاً من أسئلته البارعة ليثبت له أن فلسفته قائمة على المغالطة والجهل والغرور والكبرياء . وسنرمز له بالحرف « ج »

وثالثهم : « شيروفون » Chérephon وهو صديق « سقراط » وتلميذه . وسنرمز له بالحرف « ش »

ورابعهم : « بولوس » Polus وهو تلميذ « جورجياس » وصفيه ، وسنرى أن « جورجياس » يتخذ منه محامياً يذود عن أفكاره أمام هجمات سقراط . وسنرمز له بالحرف « ب »

وخامسهم : « كاليكليس » Galliclès وهو من أهل « أثينا » . ويتخذ إفلاطون منه ومن تلميذى سقراط وجورجياس الآنفين همزة وصل لإحكام الحوار . وسنرمز له بالحرف « ك »

٢ — المحاورة

وتبدأ المحاورة فى منزل « كاليكليس » حيث يصل « سقراط » متأخراً وكان يريد أن يستمع إلى حديث جورجياس السفسطائى فيقابله صاحب المنزل بقوله :

ك — أو هكذا تجىء « بعد المركة » كما يقولون ياسقراط !؟

ط — وهل تأخرنا كثيراً عن « العيد » كما يقال ؟[1]

ك — نعم . ولقد جئتم بعد عيد كامل البهجة والظرف ! . إذ الحق أن « جورجياس » كان يسمعنا منذ لحظة أشياء جميلة لا حصر لها !

ط — إن شيروفون — الموجود بيننا الآن — هو المسئول عن ذلك التأخير يا كاليكليس لأنه أرغمنا على الوقوف فى الطريق

ش — ليس من ضير ياسقراط لأنى سأصلح الأمر على أية حال . إن جورجياس صديق ، ولذلك سيكرر الآن إذا ما أردت نفس ما قد قال ، أو هو سيرجئ الحديث إلى فرصة أخرى إذا فضلت

ك — ماذا يا شيروفون ؟ أو بسقراط فضول لأن يسمع جورجياس ؟

ش — لقد جئنا نقصد ذلك

ك — حسن ! هيا معى إذاً فهو يقيم هنا . وسيبسط لكم الموضوع .

ط — شكراً يا كاليكليس . ولكن أتراه يقبل التحدث معنا ؟ إنى لأريد أن أعرف منه معرفة تامة خواص الفن الذى يمتهنه ، وماذا يعد به وماذا يعلمه للناس ، أما ما عدا ذلك فسوف يحدثنا عنه كما تقول فى فرصة أخرى

ك — ليس أجدى من أن تسأله هو نفسه ياسقراط لأن هذه الناحية ليست بالدقة إلا جزءاً من الشرح الذى سيقدمه

— ليس أجمل من هذا . فعليك إذاً أن تسأله يا شيروفون !

ش — وماذا أطلب منه ؟

ط — أى شىء هو !

(١) التهكم هنا ظاهر « المعرب »

ش — ماذا تريد أن تقول ؟

ط — ألا تفهمني ؟ إذا كانت مهنته — مثلاً — صناعة الأحذية فسيجيبك بأنه صانع أحذية !

ش — لقد فهمت وسأسأله قائلا : أخبرني يا جورجياس ! أصحيح ما يقول كاليكليس من أنك تعد نفسك للاجابة على كل الأسئلة التي يستطيع أن يقدمها لك الانسان ؟ (١)

(يتقدم جورجياس)

ج — نعم يا شيروفون ، فهو نفس ما قد أعلنت منذ لحظة وأضيف إليه الآن أنني لم أتلق من أحد منذ سنين كثيرة سؤالاً واحداً يعتبر جديداً على مثلي !

ش — وإذا فيجب أن تكون إجابتك ياجورجياس متناهية السهولة والسرعة !

ج — ليس عليك ياشيروفون إلا أن تجرب !

ب — نعم . ولكن سلني أنا إذا أردت ياشيروفون لأنه يبدو لى أن جورجياس خائر القوى بعد إذ تحدث فى أشياء كثيرة .

ش — ماذا يابولس ؟ أتملق نفسك بادعائك أنك تستطيع أن تجيب بأحسن مما يجيب جورجياس ؟

ب — وماذا يهمك إذا كنت سأجيبك إجابة تكفيك ؟

ش — طبعا هذا لا يهم فأجب ما دمت تريد !

ب — سل

ش — ذلك ماسأفعل . إذا كان جورجياس ماهراً فى نفس الفن الذى يحذقه أخوه هيروديكوس Hérodicus فأى الأسماء يصلح لأن نطلقه عليه إطلاقا صحيحا ؟ أليس هو نفس الاسم الذي نطلقه على هيروديكوس ؟

ب — من غير شك !

ش — وإذا أنكون محقين إذا أسميناه طبيبا ؟

ب — بلا ريب .

ش — وإذا كان منهمكا فى نفس الفن الذى يشتغل به ايستوفون بن أجلاوفون أوفى فن أخيه فأى الأسماء نطلقها عليه ؟

ب — واضح أنه اسم « المصور » .

ش — حسن . ولكن فى أى فن قد صارجورجياس عالما، وأى اسم يصلح له فنطلقه عليه ؟

ب — للناس ياشيروفون فنون كثيرة، والانسان مدين فى كشفها للتجربة (١) لأن التجارب هى التى تجعل حياتنا متمشية مع قواعد الفن ، بينما عدمها يجعلها تسير مع الصدفة العمياء . والناس يختلفون فيما بينهم ، فالبعض ينهمك فى ذلك الفن ، والبعض ينهمك فى فن آخر ، ولكن أفضل الفنون هى ما كانت نصيب أفضل الناس كجورجياس لأن الفن الذي يشتغل به أفضل الفنون جميعاً !!

ط — يلوح لى حقا يابولوس أن جورجياس قد مهر جداً فى الخطابة لأنه (٢) لايواصل الحديث الذى وجهه إلى شيروفون !!

ج — وكيف هذا ياسقراط ؟

ط — يبدو لى أنه لا يجيب عما يسأله الناس !

ج — سله بنفسك، إذا لتجدنه مستعدا !

ط — إذا كان يسرك أن تجيب ، فانى أسائلك بسرور أعظم إذ يلوح لى أن ما يقوله بولوس يدل على أنه قدحذق فن « البلاغة » أكثر من حذقه فن المناقشة والاقناع !

ب — وماذا يحملك على هذا القول يا سقراط ؟

ط — ذلك لأنك — وقد سألك شيروفون عن الفن الذى مهر فيه جورجياس — رحت تمدح هذا الفن دون أن تخبرنا عن ماهيته كأن هناك من يحتقره ويحط من شأنه !! (٣)

ب — ألم أقل إنه أفضل الفنون جميعاً ؟

ط — ليكن كما تريد ! ولكن أحداً لم يسألك عن صفة هذا الفن وكيفيته . لقد سألناك فقط عن ماهيته ، وعن أي اسم يجب أن نطلقه على جورجياس ، ولقد دلّك شيروفون على الطريق بالأمثلة ، فأجبته فى المبدأ إجابة حسنة قليلة الكلمات .

(١) هنا يظهر جورجياس على المسرح ويبدأ القسم الأول من ذلك الحوار الطريف الذى يلجىء فيه سقراط جورجياس « أستاذ البيان » إلى التناقض المضحك بفضل أسئلته البارعة ، مما يجعل الرجل يخفى انكشاف عله الأجوف أمام فيلسوف رث الملبس وحافى القدمين كسقراط ، فيحيل الرد إلى تلميذه المخدوع « بولوس » « المعرب »

(١) يلاحظ هنا طريقة السفسط فى الاجابة . إنه أبدا يلف ويدور ويبدأ حديثه بمقدمات خلابة توهم أنه علامة بينا هو خاوى الوفاض

(٢) يحاول سقراط هنا أن يجذب السفسطائى إلى الكلام بسخريته اللاذعة .

(٣) وهكذا كثيراً ما يكون العلم مجرد ألفاظ لا يدرك عقل صاحبها من معناها شيئا «المعرب»

فقل لنا كذلك : أي الفنون يمارس جورجياس ؟ وأى الأسماء يصلح له ؟؟ أو — بالأحرى — قل لنا أنت يا جورجياس : أى الأسماء يجب أن نسميك به ؟ وبأى الفنون تشتغل ؟[1]

ج — بالبيان يا سقراط !

ط — إذاً يجب أن نسميك معلم بيان ؟

ج — نعم ، ومن المعلمين المجيدين يا سقراط ، إذا ما شئت أن تسميني بما أفخر به ، على حد تعبير هوميروس !

ط — لبكن ما تريد !

ج — حسن — سمني إذاً هكذا !

ط — أتقول إنك قادر على تعليم هذا الفن للغير ؟

ج — هذا ما أمتهنه هنا وفى كل مكان !

ط — وهل تريد يا جورجياس أن تستمر آناً مسئولاً وآناً مجيباً كما نفعل الآن ، مرجئاً هـذه الخطب الطويلة — كتلك التى بدأ بولوس بإحداها — إلى وقت آخر ؟ إن يكن نخذ فيما وعدتنا به ، واجمل إجابتك على كل سؤال قصيرة

ج — هناك يا سقراط من الإجابات ما يحتاج بالضرورة إلى سعة وبسط ، ولـكنى سأحاول مع ذلك أن أجيب بكل اختصار لأن من بين الأشياء التى تعجبنى من نفسى أنه لا يوجد من ينطق بنفس الاجابة فى أقل تعبير كما أفعل[2]

ط — هـذا ما يجب هنا يا جورجياس . فأرنى إذا ذلك الاختصار الفريد ولنترك الأقوال المطولة إلى فرصة أخرى

ج — سأسرك . وسترى أنك لم تسمع شخصاً يشرح بأخصر من قولى ؟

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) يلاحظ أن جورجياس يهرب من الاجابة ويصمت عند أول فرصة تتاح لتلميذه بولوس . ولـكن سقراط له بالمرصاد

(٢) أحسب غرور السفسطائى هنا واضحاً « المعرب »

بين مذهبين

للأستاذ محمد سعيد العريان

« لقد مات الرافعى — رحمه الله — فانقطع بموته ما كان بينه وبين خصومه من عداوات . وما أريد أن أوقظ فتنة نائمة يتناولنى لهيبها أولَ ما يتناول ؛ فما لى طاقة على حمل العداوة ، ولا اصطبار على عنت الخصومة ، ولا احتمال على مشقة الجدال ؛ وإنما هو تاريخ إنسانٍ له على العربية حق جحده الجاحدون فنهضت للوفاء به ؛ فإن كنت أكتب عن أحد من خصومه أو أصحابه بما يؤلم أو يسىء ، فما ذلك أردت ، ولا إليه قصدت ، ولا به رضيت ؛ ولـكنها أمانة أحملها كارهاً ، وأضطلع بعبئها مضطراً ، لأؤديها إلى أهلها كما تأدّت إلىّ . وإنى لأعلم أنى بما أكتب من هذا التاريخ أضع نفسى بالموضع الذى أكره ، وأتعرض بها لما لا أتوقع ؛ ولـكن حسبى خلوص النية ، وبراءة الصدر ، وشرف القصد ؛ ولا علىّ بعد ذلك مما يكتب فلان ، ولا مما يتوعد به فلان ؛ فإن كان أحد يريد أن يصل بى ما كان بينه وبين الرافعى من عداوة فانقطعت ، أو يربط بى رابطة كانت بينه وبين فلان فانفصمت ، أو يتخذ من الاعتراض علىّ زلفى إلى صديق يلتمس ودّه ، أو يجعل مما يكون بينى وبينه سبيلاً إلى غرض يرجو النفاذ إليه ، أو وسيلة إلى هوى يسعى إليه — إن كان أحـد يريد ذلك فليمضِ على إرادته ، وإن لى نهجى الذى رسمْت ؛ فلتفترق بنا الطريق أو تلتقِ على سواء ، فليس هذا أو ذاك بمانعى من المضىّ فى سبيلى ومن الله التوفيق !

« وهذه خصومة أخرى من خصومات الرافعى ، ومعركة جديدة من معاركه ؛ وإني لأشعر حين أعرض لنبش الماضى فأذكر ما كان بين الرافعى والعقاد ، أنى كمن يدخل بين صديقين كان بينهما فى سالف العمر شحناء ثم مسحت على قلبيهما الأيام فتصافيا ، فانه ليذكّر بما لا ينبغى أن يُذكر ، والموت يحسم أسباب الخلاف بين كرام الناس ؛ فاذا كان بين الرافعى والعقاد عداوة فى سالف الأيام فقد انقطعت أسبابها ودواعيها ، فان بينهما اليوم لبرزخاً لا تجتازه الأرواح إلى أخراها إلا بعد أن تترك

شهواتها وأحقادها وعواطفها البشرية . فهنا ناموس وهناك ناموس ، ولكل عالم قوانينه وشريعته ؛ فما تخلص ضوضاء الحياة إلى آذان من فى القبر ، ولا ينتهى إلى الأحياء من عواطف الموتى إلا ما خلفوا من الآثار فى دنياهم ... هنا رجل من الأحياء وهناك رجل فى التاريخ ، وشتان ما هنا وهناك ؛ فما أتحدث اليوم عن خصومة قائمة ، ولكنى أتحدث عن ماض بعيد . والرافعي الذى يحيا بذكراه اليوم بيننا غير الرافعي الذى كان ؛ فما ينبغى أن تجدد ذكراه ماضى البغضاء . وهذا عذري فيما أذكر من الحديث ... »

***

... ذلك قول قلته منذ بضعة أشهر وقدمتُ به للحديث عما كان بين الرافعي والعقاد ؛ وكأنما ألقىَ إليَّ من وراء الغيب أن كاتباً مثل الأستاذ سيد قطب سيحشر نفسه فيما لا يعنيه وما لا يصلح له ، وما لا يُحسن أن يقول فيه ، ليحاول أن يحمل التاريخ غير ما كان ، مظاهرة لصديق ، أو انتصاراً بالباطل ...

ولقد كنت أكرم (صديق) أن يكون هو الذى يحاول هذا العبث إسرافاً فى حسن الظن بفهمه وأدبه وسمو نفسه ، ثم كان ما لم أكن أتوقع ...

وإنى لأشعر الساعة — وقد خرجت من الصمت الذى فرضته على نفسى شهرين رعاية لحق الصديق وإبقاء عليه — بشيء من الألم يحزنى فى صدرى ويجعل القلم يضطرب بين أناملى ؛ فما سهلٌ على مثلى أن ينسلخ عن ماضيه وينكر صاحبه ليقول على ملأ من الناس : « يا هذا ، لستُ منك ولست منى ... ! » ولكن سيد قطب قد قالها فما بدٌّ لقائل أن يقول ...

لقد كان بين الرافعي والعقاد عداوة وشحناء سارت مسير المثل بين أدباء الجيل ، فهل كان من الحتم تبعاً لذلك أن يكون سعيد العريان وسيد قطب عدوين ، لأن أولهما يؤرخ للرافعي والثانى يجرى فى غبار العقاد ... ؟

ولكن سيد قطب يرشح نفسه ليكون فى غد شيئاً له فى الأدب خطر ومقدار ، وما يرى نفسه بالغاً هذه المنزلة إلا أن يجرى على نهج صاحبه ويتأثر خطاه ؛ فكان أول سعيه إلى غايته أنه احتقب كنانته وخرج إلى الطريق يرمى الناس باليمين وبالشمال لا يعنيه أين يصيب ولا من يصيب ولو كان أحرص الناس عليه وأرأفهم به ...! وكان إلى سعيد العريان أول ما راش من سهامه يا صديقى الذى كان ... لقد أخطأت الهدف المؤمَّل ... !

***

ما بى فى هذا المقال أن أتحدث عن الرافعي ولا عن العقاد ، ولكنْ مذهبين سماهما سيد قطب أريد أن أضرب لهما مثلين : أما أحدهما فقول سعيد العريان يعتب على صاحبه : « ... فإن كان هذا هو كل عذر الأستاذ سيد قطب من تمزيق أكفان الموتى بأظفاره فقد بلَغَ وأبلغ ... »

وأما ثانيهما فهو قول الأستاذ قطب نفسه يردّ على عتاب صاحبه : « ... إن سيد قطب ليس هو الذى يمزق الأكفان بالأظفار ، والذى يمزّق بظفره « مخلوق آخر » ، أكرم آدابى وآداب الناس أن أقول : إن الأستاذ (العريان) أو أحد زملائه من « فصيلته » ! خشية أن تتدهْور خطوة أو خطوتين بعدها فيصبح من النقاش الأدبى المعترف به أن يقول الواحد للآخر : « يا ابن الـ ... » ، ويكون هذا من أساليب النقاد ! »

تُرَى هل عرف القراء فرق ما بين المذهبين ؟

نعم ، ولكن لا بأس من زيادة البيان والايضاح ، فقد يكون فى القراء طائفة من أمثال الأستاذ سيد قطب ، لا يقنعون بغير ما هو صريح الدلالة فى موضعه وإن كانوا مثله (إخصائيين) فى اللغة وفى أساليب البيان ...

لقد ظل المرحوم الرافعي دائباً فى تجديد الآداب العربية سبعاً وثلاثين سنة ، يتردد اسمه فى المحافل والنوادى ومجامع الأدب ، فليس بين قراء العربية أحد لا يعرفه ، وسيد قطب واحد من قرائها الاخصائيين فى اللغة كما قد يعرف القراء ، ولكنه مع ذلك لم يشرع قلمه ليجرّد الرافعي من « النفس » ومن « الانسانية » ومن « العقيدة » وليزيّف أدبه ويكشف عيبه إلا حين غيّبه التراب وآن أوان ذكراه . فهل يكون ذلك شيئاً غير تمزيق أكفان الموتى بأظفار ... ؟

ليس الأستاذ سيد قطب — ولا شك — كلباً ، ولا ذئباً ، ولا ثعلباً ، ولا شيئاً من ذوات الظفر والناب ؛ ولكنه مع ذلك — عندنا — يمزق أكفان الموتى بأظفار . . .

هذه هى عربيتنا نحن أنصار المذهب القديم ، فبأىّ عربية

فهمها الأديب الناقد المجدِّد الإخصائى فى اللغة وفى أساليب البيان الأستاذ سيد قطب ؟ . . . لقد فهم أننا نجرِّده من إنسانيته وأننا نعنى أنه . . . أنه . . . أنه ذو ظفر وناب . . . !

وأساء الظن بآدابنا وبنفسه . . . وردَّ شتيمة بشتيمة ، وزاد فى الردِّ عبارة يريد أن يجعلها من أساليب النقّاد . . . وعفا الله عنه ؛ فما يملك أحدٌ يناله سيد قطب بالإساءة إلا أن يعفو عنه . . . !

. . . معذرة !

لقد فاتنى أن أنوِّه بفضيلة من فضائل سيد قطب تتصل بهذين الشَّكلين ، وإنها لبسبيل من مذهبه فى أدب « النفس » وأدب « الطبع » ، وإنها لتكشف عن أسلوب من أسلوبه . . . إن سيد قطب لم يشتم ، ولم يقل شيئاً يستحق العفو أو المؤاخذة . إنه يقول فيما يرد : « . . . إننى أكرم آدابى وآداب الناس أن أقول . . . » أتراه قال شيئاً ؟ لا ، إنه ليُكرم آدابه وآداب الناس أن يقول ؟ فمِن التجنِّى عليه أن نزعم أنه قال . . . أيعرف سيد قطب شبيهاً بهذا الأسلوب فيما يتحدث الناس ؟ . . . أما أنا فأعرف : أعرف (مجدِّدين) غيره من الصماليك والسوقة يهمّ أحدهم أن يشتم خصمه فيقول له ما ترجمته فى مثل لغة الأستاذ قطب : « إننى أكرم آدابى أن أقول . . . » ويكون بذلك عند العصبة المتجمهرين حولهما مؤدَّباً كريماً عفيف اللسان لأنه لم يقل شيئاً ، ويكون بذلك مجدِّداً فى أسلوب الشتم وإن لم يعترف سيد قطب بأن مثله من المدرسة الجديدة . . .

. . . ويبقى بعد ذلك قول الله تعالى : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟ » فيكون معناه على هذا القياس فى مذهب الأستاذ قطب : « من منكم تهفو نفسه إلى أكلة شهية فيها مسلوق وقديد ومشوىٌ من لحم بنى آدم ؟ » ويكون جواب هذا الاستفهام صوت « إنسان » يقول : « أنا . . . ! » فيمسخه الله كلباً أو ذئباً أو ثعلباً أو شيئاً من ذوات الظفر والناب . . .

أليس هـذا هو مدلول هذا الاستفهام عند من لا يؤمن بالكناية والاستعارة والمجاز فى أساليب البيان ؟ والله أعلم بمراده . . . !

***

أرانى أطلت فى شرح هذا المثال قبل أن أخلص إلى ما أريد ، وما تثبت القاعدة بمثال واحد ؛ فهذا مثال آخر : يقول سعيد العريان فى وصف المرحوم الرافعى حين يهم أن يجمع خواطره لموضوعه قبل أن يكتبه : « . . فكان يرسل عينيه وراء كل منظر ، ويمد أذنه وراء كل حديث ، ويرسل فكره وراء كل حادثة ، ويُلقى باله إلى كل محاورة . . . »

فيقول سيد قطب : « . . . إن المرحوم الرافعى لم يكن يمد أذنه وراء كل حديث كما يعرف من يعرفه ؛ ولم تكن هذه الحاسة من أدواته فى التنبه والتأمل ، فكان من (الصدق) ألا تذكر دون أن يضيره هذا أو يعيبه ، إذ كان هذا مما لا يعاب . . . »

فالأستاذ الأديب الناقد سيد قطب الاخصائى فى اللغة ، لا يفهم من كلمة « يمد أذنه وراء كل حديث » إلا معنى السماع بالأذن ؛ وإذا كان الرافعى معطَّل الأذن لا يسمع فان هذا التعبير ليس من الصدق فى الرواية . وذلك هو المذهب الجديد . . .

. . . ويبقى بعد ذلك قول الله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » فتكون دلالته عنده على معنى من معنيين : أن لله يداً ، أو أن ذلك ليس من (الصدق) فى تعبير القرآن . . . وأستغفر الله العظيم . . !

وقال لى قائل من صحابتى : « إنك لتتعسف فى هذا التفسير وفى تطبيقه على المذهب (الجديد) ؛ وإنك « لمعذور فى هذا الجهل لأنك لم تختلط بالعقاد أولا ، ولأن نفسك لم تتفتح لأدب العقاد فتفهمه ثانيا . . . ! » إن سيد قطب ليس من الجهل بحيث لا يفهم : « يمد أذنه وراء كل حديث » على وجهها ؛ ولكنه يعيب عليك فى التعبير أن تُعنَى بما سماه « استيفاء الأشكال » وتغض النظر فى سبيل ذلك عن (الصدق) فى العبارة . . . »

قلت لصاحبى : « لست أفهم ما يعنيه بقوله « استيفاء الأشكال » فما يكون الاصطلاح الجديد ؟ »

قال : « وأنت معذور فى هـذا أيضاً ، لأنك لا تستطيع أن « تماشى الأستاذ قطب فى سموقه » الفكرى وفى مبتكراته العلمية التى أثمرتها دراساته الشاملة لكل ما نُقل إلى العربية من الآداب الإفرنجية ومن المباحث النفسية الحديثة ونظريات العقل الباطن والتحليل النفسى والمسلكية ، ومن المباحث الاجتماعية والمذاهب القديمة والحديثة ومن مباحث علم الأحياء ونظرية دارون ومباحث الضوء وتجارب الكيمياء ونظرية اينشتين النسبية وتحطيم الذرة ووظائف الأعضاء وووو »

قلت : « حسبك ! إنمـا أريد أن أعرف معنى « استيفاء الأشكال » وما يقصد بها ! »

قال : « ألا تعرف فى « البديع » شيئا يسمونه . . . ؟ »

قلت : « يسمونه ماذا ؟ »

قال : « أنظِرني حتى أسأل سيد قطب فقد نسيت ... ! »

وحسب سيد قطب أنه جاء بجديد حين جاء بما سماه « استيفاء الأشكال » ، ونسي ما سماه به علماء البديع منذ كان ابن المعتز ؛ ثم نسي ثانية فسماه عيباً لأنه سمع العقاد مرة يعيب شاعراً بالتزام محسّنات البديع ...

ولكنه مع ذلك (إخصائي) في اللغة التي نعبر بها ... !

***

أما بعد فهذا شيء من أشياء تفرق بين مذهبين سماهما الأستاذ قطب ؛ وما كان لي أن أعنى بالحديث عنهما إلا لأنبهه إلى وجوب « استيفاء الوسائل » قبل أن ينتدب للنقد ؛ وما كان لي أن أعنى بتنبيهه إلى ذلك لولا علمي بأن ذلك يفيده ويجدي عليه ، ويعينه على فهم ما يكتب أهل الأدب فلا يتورّط فيما تورط من الحديث عن فصائل ذات الظفر والناب فيسيء إلى نفسه وإلى صحابته !

وليس يغنيه عن استيفاء هذه الوسائل أن يدعي ويستطيل ويبالغ في الإعجاب بنفسه ليكون أديباً وناقداً له مكان ملحوظ ومنزل مرموق

وإني على ما ساءني من صديق لأرجو أن يقبل نصحي خالصاً لله فيكف عما هو فيه ؛ فلقد كشف بهذا الذي يكتب عن أشياء في نفسه لم يكن يعرفها إلا الخاصة من أصحابه . ولقد جلا على القراء كل مايستطيع أن يجلو من ألفاظ « الطرافة والحيوية ، والسموق ، ولفتات الذهن ، والاستغراق » مما يجعل وراء كل بيت فارغ يحاول أن ينثره من شعر العقاد ليثبت له ما ليس فيه ؛ وقد نثر كل ما في كنانته من ألفاظ « الجمود ، والاستغلاق ، وضيق الفهم » مما يحاول أن يرمي به كل من يعرض له من مناظريه .

فإن سمع أراحنا وأراح نفسه ، وإلا فقد علمتُ وعلم القراء ما يدفعه إلى هذه المحاولات ؛ فما بي حاجة بعدُ إلى مناقشته والرد عليه ؛ ولقد أكرمته من قبل فسكتّ عنه حفاظاً عليه وحرصاً على مودته ، وإني لأكرمه وأكرم نفسي من بعدُ بالسكوت عنه حتى يفرغ ؛ لعل في ذلك شفاء أو وفاء أو قضاء لحاجة نفسه

والسلام عليه

« شبرا » محمد سعيد العريان

بين العقـــاد والرافعي

١ — صرخة مفزوع

٢ — ابن الرومي حياته من شعره

للأستاذ سيد قطب

— ١٠ —

نحن نعتذر لأخينا صاحب « المصور » وناشر « على السفود » ونحس في أنفسنا استعداداً للعطف على صرخته في العدد الماضي من الرسالة !

نحن نعتذر ، فالظاهر أن الضربة التي ووجه بها كانت أعجل مما ينتظر وآلم مما يحتمل ، لأنها خلعت عنه لحيــة الوقار المستعار وشعار العدالة المصطنع ، وقد شاء أن يلوح بهما في عام ١٩٣٨ فبدا للناس على حقيقته يحلل الأمر عاماً ويحرمه عاماً ، ويدور في التحليل والتحريم حول الأشخاص في الوقت الذي يعيب فيه نصرة الأشخاص !

هذه هي المسألة ياصاحب المصور ، ونحن نعذرك في الهاترة التي أجبتنا بها ، ونعذر أنفسنا إذا وقفنا لحظة على أول درجات السلم في هذه الهاترة ، لنرتفع بعـدها إلى مستوانا ، ونأخذ في القضية الأولى التي تهم القراء

ونحن حين نعتذر إليك عن توجيه تلك الضربة ، نعتذر لأنفسنا عن احترامنا لك إلى هـذا الحد الذي أوجب البطر ، ولو استطعنا من أول الأمر أن نهبط إلى المستوي الذي هبطت إليه في كلمتك الأخيرة لتغير وجه المسألة !

أنت يا سيدي — أولا — لا تفهم الكلام ، ومن هنا كان تفسيرك للجملة التي أقول فيها :

« وأننا من أخلص تلاميذ مدرسة هذا الكاتب لطريقته ، وأشد الناس فهماً لها ، واقتناعاً بها ، ونسجاً على منوالها » . ففهمت منها أن الذي يقول ذلك يكون « طبعة ثانية » للعقاد

وهنا كلام نقوله للناس ، وكلام نقوله لك :

فأما كلمتنا لمن يفهمون فان الاخلاص لطريقة فى الأدب والاقتناع بمذهب خص ، والنسج على منوال مدرسة معينة ، لا يعنى تقليد شخص معين فقد ينشأ إمام وينشىء له مدرسة ، ويكون لهذه المدرسة تلاميذ ، ثم يكون لكل تلميذ من هؤلاء طابعه الشخصى ومميزاته الذاتية ، ولاسيما إذا كانت هذه المدرسة هى مدرسة العقاد التى تقوم فى أساسها على الدعوة إلى أدب « الشخصية » وتنكر التقليد وتشتط فى إنكاره . فمن يخلص لطريقة هذه المدرسة ، فانما يخلص للاستقلال و « الخصوص » والتفلت من القيود والتقليد

وأما كلمتنا لك ، فنحن نسلم أننا « طبعة ثانية » من العقاد ، فماذا تكون أنت ؟ . إننا نقول لك : كن أنت – إن استطعت – طبعة ثانية من العقاد أو أى فنان سواه ، أو كن — على حد تعبيرك المؤدب — الطبعة التى تتركها فى الرمل قدم العقاد تكن خيراً مما أنت الآن عشرات المرات !

وأنت ياسيدى — ثانيا — لاتحترم نفسك. فلقد كنت تقول يوم نشرت كتاب « على السفود » إنك تريد به « مثالا يحتذيه الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص ووثنية الصحافة فى عهدها البائد » . فكانت مسألة نصرة الأشخاص يوم ذاك — على ماتدعى — بعيدة عن غرضك ، بل كنت ممن يقاومونها وينشرون هذه الكتب « الساقطة » لدفعها

ثم هاأنت ذا الآن تقول إنك كنت وقتها تناصر شخصاوأنك تبت مما عملت : « سقت نقدى مساق من لا يبرىء نفسه مما تناول ذلك النقد من رأى أو اتجاه . فلم أخرج ذاتى من مجال النقد الذى سقت ، معترفا بأن ذلك رجوع إلى الحق ، واطمئنان إلى اتجاه جديد » وتعنى بهذا أنك — إذن — ممن كانوا يناصرون الأشخاص على الأشخاص ، بينما كنت يومها تبرأ من ذلك .

قلها يامولانا كلمة صريحة أنت وأمثالك ممن لا يجدون فى أنفسهم الشجاعة الكافية لمواجهة من يريدون مواجهته ، فيلفون ويدورون ، ويتخذون طرائق المرأة فى الدفاع والهجوم .

قل : إنه ما دامت الشتائم توجه إلى العقاد فهى حينئذ نصرة مذهب على مذهب ؛ أما حين تكون مدافعة ورد لهذه الشتائم ، فهى — إذن — نصرة أشخاص على أشخاص !

وقل يامولانا : إنك تحقد على العقاد حقد ادفينا لا سبب له — إذ ليس بينكما منافسة على أدب ولا موهبة فنية — وأنك لهذا ترحب بشتائم الرافعى له وتطبعها وتروج لها وتسميها علوا عن الشخصيات . وأما حين يقوم « أديب » مثل «سيدقطب» ليكشف عن شنعة هذه الشتائم ، وليشرح بعض نواحى أدب العقاد بالقدر الذى تتسع له مجلة ، فانك تتألم وتثور حفيظتك فتسمى هذا الشرح وذلك الرد مناصرة للشخصيات ؟

قلها يامولانا واسترح . أراحك الله

قلها ولا تخش « صديقك » العقاد كما عبرت عن العلاقة بينكما قبل العدد الأخير ، وأنت تتخاذل وتتضاءل وتدخل بعضك فى بعضك ، وتدعى صداقة الرجل الذى ثلبته وشتمته ، ومهدت لشتمه بأحقر الوسائل .

قلها . ورزقك على الله !!!

أما سيد قطب . فسمه أديبا . سمه باسمه مجردا . فسيظل هو هو الذى أسقط عنك لحيتك المستعارة ، وأثارك كل هذه الثورة وكشف للناس عن خبيئة نفسك ، وحقيقة آرائك ، ثم هاهو ذا الآن يمتحن رجولتك التى لا تثبت على رأى ، ولا تواجه الخصوم و« الأصدقاء » بما يقابل به الرجال الرجال . أما أنك لم تفهم ما كتبت ، فان الرومى يقول فى هذا كلاما أحيلك عليه إن كانت لك دراية به !

وقل بعد هذا ما تشاء ، فلن أهبط مرة أخرى ، ولن أجرف « الرسالة » ولا قراءها إلى حيث تابعناك قليلا فى لغة الكلام

***

أما كلمتى اليوم عن العقاد ، فمن كتابه « ابن الرومى . حياته من شعره » وإنما اخترت هذا الكتاب بالذات لأمور :

الأول : ما يدعيه خصوم العقاد من أن الصحافة تساعده ، وتشهر مؤلفاته ولا تقبل مقالات النقد التى يكتبها نقاده

والثانى : أن هذا الكتاب مظهر من مظاهر عبقرية العقاد الفنان والناقد . والبصير بالطبائع والفنون

والثالث : أن فيه تصحيحاً لكثير من النظرات الفنية وشرحاً لكثير مما تتحدث عنه من « أدب الطبع »

فماذا كتب فى الصحف عن هذا الكتاب الفريد ؟

إنها بضع كلمات بين ثناء كالاعلان ، أو نقد كالشتائم . وهي في مجموعها لا تساوي ما يكتب عن مؤلف صغير لأديب ناشيء

والحقيقة أن ذلك نصيب كتب العقاد كلها من الصحف ، فاذا استثنينا « وحي الأربعين » والمعركة التي دارت حوله وجدنا ما يشبه التعمد في إدارات الصحف للسكوت عن كتب العقاد . وقد طالما سمعت أصدقاءه يشكون لأن مقالاتهم عنه دفنت في مكاتب رؤساء التحرير !

وتلك ضريبة العظمة التي يسددها العقاد !

وإنه لمن الفزع أن يعقد الانسان موازنة بين كتاب ابن الرومي وصداه في الصحف المصرية ، بين ضخامة الانتاج وضآلة الاستعداد بقوله حتى ليحس أنما ألقى به في موماة تائهة لاحياة فيها ولا إحساس. لا تستطيع إلا العبقرية دون سواها من المواهب الانسانية أن تخرج هذا المؤلف على هذا النحو

ولكي نعرف معنى هذا المقال يجب أن نستعرض « ابن الرومي » قبل هذا الكتاب وبعده ، ثم نستعرض فهم الأدب والحياة ، وفهم الفنون والطبائع قبل صدوره وبعده

فماذا كان ابن الرومي قبل كتاب العقاد عنه ؟

إنه كان بضعة أخبار متناثرة في ثنايا بعض كتب الأدب والتاريخ القديمة أغلبها عن طيرته وتشاؤمه ، وأقلها عن حياته ومعاشه . بضعة أخبار ضئيلة هي كما قال عنها الكاتب العظيم : « ومثلنا في ذلك كمثل المنقبين في المحفورات ، إذ يعثرون ببعض العظام المهمشة من جسم مدثور فهم يقيسون المفقود على الموجود ، ويصنون بما وجدوه على الضياع ، ولو لم يكن به قوام »

وماذا صار بعد كتاب العقاد ؟

إنه صار إنساناً حياً ، نراه ونأنس به ، وندرك خفايا ضميره وخوالج نفسه ، ونعرف حركاته وسكناته ، ومن ورائها أسبابها وبواعثها ، ولم تعد تخفى علينا ملامحه بين الملامح الكثيرة

وليس هذا بالشيء القليل ، ولا باليسور لكل كاتب . ولكنه ليس الكسب الوحيد الذي نخرج به ، فقد عرفنا شكل خلقته بمحاسنها وعيوبها ، وعرفنا أخباره وسيرته في لبابها ، وعشنا معه في داره ، ورافقناه في غدواته وروحاته ، وعلمنا أسفاره ورحلاته ، وشاهدنا ما حدث له من خير وشر ، وما لاقاه من نعيم وجحيم

ولم نعرف هذا وذلك وحدهما ، فقد تصورنا في لمحات سريعة صورة العصر الذي كان يعيش فيه ، بل عشنا في صميم هذا العصر بضع ساعات ، ولقينا شخصيات هذا المجتمع ، وفهمنا طباعهم الغالبة ، وسيماهم الظاهرة والباطنة ، وكدنا نكابد ما كانوا يكابدون من تقلب الصروف ، وألاعيب السياسة ، وأعاصير الانقلابات ، وتيارات الدسائس ... إلى آخر ما يعرفه المطلع البصير من مجتمع يعيش فيه فعلا ، ويدرج بين أهله وعشيرته

وما تستطيع غير العبقرية أن تنفخ الحياة في العظام النخرة بعد أن تكسوها لحماً وتملؤها دما ، وتنفث فيها من الخوالج والخواطر ما يفعمها حساً وفكراً . وما تستطيع غير العبقرية أن تنفخ في ميت العصور روحاً ، وتبعث هوامد السنين حية تتحرك وتمر مرها في الفلك ودورات النجوم من جديد

* * *

ولكن هذه القدرة الخالقة ، لم تقف عند هذا الحد ، ولم يكن ابن الرومي ولا حياته ، ولا فنونه ومزاياه ، هي التي أفادت من هذه القدرة حياة ... بل لم يكن هذا إلا أقل مافي الكتاب من مزاياه

وإنما المزية الكبرى — في نظرنا — هي البيان العجيب للفن والحياة والطبائع الانسانية ، وشرح العبقرية الفنية وحدود النظر للأدب نظرة صحيحة ، وتصحيح كثير من الأغلاط الشائعة في ذلك قديماً وحديثاً . بحيث تصلح فصوله أن تكون ديواناً للنقد البصير الحصيف في الأدب العربي ، ومقوماً للطبائع والأذهان والافهام ، لمن يجد في نفسه استعداداً للافادة

اسمعه يتحدث عن « عبادة الحياة » في أدب ابن الرومي :

« حب الحياة خليقة نادرة ، وإن ظن أنها أعم شيء بين الناس وعامة الأحياء ، فليس الحب — سواء حب حياة ، أو حب شيء من أشيائها — سهلا رخيصاً يطمع فيه كل من يريد . فمن الناس من يحب الحياة وكأنه مسوق إلى حبها ، ومنهم من يحبها كأنه مأجور على عمله ، ومنهم من يحبها كأنما يحب شيئاً غريباً عنه ؛ ومنهم من يحبها كما « يحب » الحيوان الأعجم ما هو فيه ؛ ومنهم من يحبها حب العاشق الذي يختار معشوقه ، أو يستوى عنده الحب على القسر والحب على المشيئة ، لأنه يريد ما يقسر عليه

ويأبى أن يفرض للفراق وجودا ، أو يتوقع لهواه تغيرا ، فهو سعيد بأن يحب ، وأن يسمح له بأن يحب ؛ وهو يحب الحياة لأنه حي لا موت فيه ، ولا عمل لكل حاسة فى نفسه إلا أن تحس وتحيا ، وتستجد إحساساً وحياة ، ولا تشبع من الاحساس والحياة . وهكذا كان ابن الرومى يعبد الحياة عبادة لا يبتغى عليها أجراً غير ما يبتغيه خلص العابدين . فكان حياً كله لا مكان فيه للموت إلا الخوف منه والتفكير فيه »

وإنك لتقرأ هذا فتعجب لانتباه العقاد لكل ألوان « حب الحياة » وفهمه لأصحاب هذه الألوان وطبائعهم ، وتعرف أن ذلك وليد إدمان اطلاع وملاحظة للنفوس والآداب ، ولكنك خليق أن تقدر وراء الاطلاع والملاحظة طبيعة فائقة مستمدة للنفاذ فى اطلاعها وملاحظاتها ، وفى تقييد ما تلاحظه ، وطريقة تقييده كذلك

وما التفت العقاد إلى هذا كله إلا لأنه فى خلة حب الحياة كابن الرومي ، مع الفرق بين طبيعته الصارمة ، وطبيعة ابن الرومى المتماوجة . نعم هذا سر التفاته للحياة ومحبيها وطرائق حبهم وطبيعتها . ودواوينه فائضة بدلائل هذا الحب بل العبادة للحياة

ثم يتحدث عن « حب الطبيعة » بمناسبة حب الشاعر القديم لها :

« وصف الطبيعة شعراء كثيرون ، ولم يمنحها الحياة إلا قليلون ! أما الذين منحوها حياة تحبها وتحبنا ، ونعطف عليها وتعطف علينا ، ونناجيها وتناجينا ، فأقل من هؤلاء القليلين .

وذاك أن الشاعر قد يؤخذ بأحمرها وأبيضها وأصفرها وأخضرها ، ويفتن بما فيها من الزراكش والأفانين ، ثم لا يعدو بذلك أن يمدح شيئا قد يجد مثله فى ألوان الحلى وأصباغ الطنافس ونقوش الجدران . أو نحن نخطو وراء ذلك خطوة فنقول : إنه لا يعدو بذلك أن ينظر إلى دمية فاتنة ، يروقه متماوجه مليح ، وقوام ممشوق وحسن مفاض على الجوارح والأوصال ولكنه لا يتطلع منها إلى عطف ، ولا يفتش فيها عن طوية .

وقد يستريح الشاعر إلى الطبيعة لأنها ظل ظليل ، ومهاد وثير ، وهواء بليل ، وراحة من عناء البيت وضجة المدينة ، فلا يعدو بذلك أن يستريح إليها كما تستريح كل بنية حية إلى الماء والظل والهواء . كذلك تهجع السائمة فى المروج وكذلك تهتف الضفدع فى الليلة القمراء .

وقد يمنحها الشاعر حياة من عنده ، أو من عند الخرافات والأساطير ، فاذا هي حياة بغيضة لا تصلح للتعاطف والمناجاة ، ولا يصدر عنها إلا الفزع والاحجام ، ولا تقوم بينه وبينها إلا الحواجز والمداوات .

أما الطبيعة التى تحب وتناجى ، ويتم التعاطف بين الشاعر وبينها عن ثروة غزيرة من الشعر والشعور فهى طبيعة الحور الخافقات فى الهواء ، والعرائس السابحات بين الأمواج ، والعذارى الراقصات فى عيد الربيع ، والجنيات الهامسات فى رفرفة النسيم ورقرقة الغدير وحنين الصدى وحفيف الأغصان ، أو إن شئت فقل : إنها هي الطبيعة العامرة بما فى البروق والرعود والسموات والأعماق من بطولة وعظمة ونضال جياش بالغضب الظافر والسطوة المجيدة والخطر المثير والشجاعة التى تقدم ولا تحجم وترجو ولا تخاف ، أو إن شئت فقل : إنها هى الطبيعة التى تبث الاغراء في كل شيء حتى ليحذر الملاح لجة البحار مخافة أن تستهويه بنات الماء من وراء زرقة الأمواج ، فيثب إلى أحضانها وكأنما يثب إلى أحضان عروس طال بها عهد الغياب

فعلى هذا النحو تتجلى الطبيعة للعبقرية التى تحبها وتمنحها الحياة فليست هى دمية ولا حلية ، وليست هى مروحة للهواء ولا مجلسا للمنادمة ، ولكنها قلب نابض وحياة شاملة ونفس تخف إليها وتأنس بها ، وذات تساجلها العطف وتجاذبها المودة ، ثم هى عمار لا خواء فيه ، وأسرة لا تبرح منها فى حضرة قريب يناجيك وتناجيه ، ويباطيك الاخلاص وتعاطيه

وقد كان ابن الرومى يحب الطبيعة على هذا النحو ويستروح من محاسنها نفساً تتصبى الناظر إليها وتتبرج له « تبرج الأنثى تصدت للذكر » ويرى وراء هذه الزينة التى تبدو على وجهها عاطفة من عواطف العشق تتعلق بها العفة والشهوة تعلقها بالعاطفة الانسانية الشاعرة »

هكذا يتحدث العقاد عن « حب الطبيعة » بالطاقة التى تحدث بها عن « حب الحياة » وبالشرح الوافى الذى تجده هناك

وليس من المصادفات أن يكون العقاد نفسه من محبي الطبيعة

فهو إن لم يكن على طراز ابن الرومى، فعلى طراز يتفق وإياه فى الأساس، ويختلف حين يكون حب العقاد ممزوجاً بالفلسفة ، والوعى الفنى لما يخالط نفسه من هذا الحب ، وهو في هذا يتفق مع طبيعته ، ويسير مع اتجاهه الخاص فى حياته وتفكيره

ثم اسمعه يتحدث عن « التشخيص والتصوير » فى ابن الرومى :

« القريحة المطبوعة على إعطاء الحياة ، مطبوعة كذلك على إعطاء الشخوص ، أو على ملكة التشخيص

ولكننا يجب أن نستثنى هنا ذلك التشخيص الذى تلجئ إليه ضرورة اللغة وتسهيل التعبير ، مع علم المتكلم بما فى كلامه من المجاز والمفارقة ، فقد يتكلم الشاعر أو غير الشاعر عن الشمس بضمير المؤنث وعن القمر بضمير المذكر ، وقد يسند إليهما أفعال الأحياء العاقلة وغير العاقلة ، ولكنه يعد تعبير لفظي ليس وراءه تصور ، وليس وراء التصور — إن كان — أثر من الشعور ، ولاسيما الشعور المتبادل بين طرفين متعاطفين

وإنما المقصود بالتشخيص تلك الملكة الخالصة التى تستمد قدرتها من سعة الشعور حيناً أو من دقة الشعور حيناً آخر . فالشعور الواسع هو الذى يستوعب كل ما فى الأرضين والسموات من الأجسام والمعانى فاذا هى حية كلها لأنها جزء من تلك الحياة المستوعبة الشاملة ؛ والشعور الدقيق هو الذى يتأثر بكل مؤثر ، ويهتز لكل هامسة ولامسة ، فيستبعد جد الاستبعاد أن تؤثر فيه الأشياء ذلك التأثير ، وتوقظه تلك اليقظة ، وهى هامدة جامدة صفر من العاطفة خلو من الارادة . وهذا الشعور الدقيق هو شعور ابن الرومى بكل ما حوله وسبب ما عنده من قدرة الاحياء وقدرة التشخيص : قدرة التشخيص التى هى ملكة مقصودة تكون عند أناس ولا تكون عند آخرين ، وليست قدرة التشخيص التى هى حلية لفظية تلجئنا إليها لوازم التعبير ويوحيها إلينا تداعى الفكر وتسلسل الخواطر »

وعلى هذا النحو البارع يمضى العقاد فى تصوير ملكات ابن الرومى مستطرداً إلى بحث كامل فى الملكات عامة ، يبين صحيحها من زائفها ، ويكشف عن وشائج هذا بذلك مستخلصاً الصحيح من النظرات ، ممحصاً خالصاً

ويمثل هذه البراعة يحلل الأمثلة التى يستعرضها من شعر ابن الرومى ، ويكشف عن نواحى القوة أو الضعف فيها ؛ فاذا الرجل شاخص وراء هذا التحليل ، تطالعك نفسه كالصفحة المبسوطة تحت المجهر الدقيق

* * *

هذه ومضات عن ذلك الكتاب الذي ظن أحد الكتاب عندنا أنه يمنحه أقصى حقوقه حينما قال عنه : « لو تقدم به صاحبه إلى أية جامعة لمنحته الدكتوراه ! »

هه ! الدكتوراه !

ومن يكون الأساتذة الذين يناقشون هذه الرسالة إذن ولمن يمنح « كرسى الأدب » فى أية جامعة من جامعات الدنيا إذ ذاك ؟

« حلوان » سيد قطب

بين الرافعي والعقاد

القـــديم والجديد

نقد وتحليل

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

— ١ —

لعل من أسوأ سيئات عصـور الانتقال ظاهرة التمرد التي تغلب على الناشئين فيها ، فقد كان الناس قبل أن يبتلوا بعصر الانتقال هذا يرجعون فيما يختلفون فيه إلى أصـول مقررة تستند إلى ما يسلمون به جميعاً من دين ، أو عرف مستمد من دين ، أو إلى أدب عريق تحددت أحكامه وتبينت معاييره ورسخت أصوله على طوال القرون . فلم يكن صغير يخرج على كبير في تحديد ما ينبغي ، ولم يكن ناشئ يتطاول على أستاذ فيما يعلم أنه ناشئ فيه وأنه حديث العهد به . فكان الصغير إذا خالف في سلوكه رأى الكبير يخالف وهو يعرف أنه مخطئ ، ولم يكن ناشئ مبتدئ في الأدب أو غير مبتدئ يخطر بباله — إذا لم يقتنع برأى أستاذه أو من هو في منزلة أستاذه في اللغة أو في الأدب أو في الدين في مسألة بدا له فيها رأى خاص — أن يعيب أستاذه أو يثلبه أو يصغره أو يحاول أن يعرضه لسخرية الناس . وكان الكبار إذا اختلفوا يتحاكمون إلى ما أجمعوا على التسليم به من الأحكام والأصول . فلم يكن الخلاف في المقاييس ولكن في طريقة القياس ؛ لم يكن في القواعد ولكن في التطبيق . فكانوا سرعان ما ينتهي خلافهم إلى اتفاق إن كانوا ممن يبتغون الحق للحق لا للشهوة ، أما الذين تأخذهم العزة بالإثم فلا ينزلون على حكم الحق وإن وضح فأولئك في كل عصر هم مصدر الشقاق والفراق ، سواء أكان العصر عصر استقرار في المعايير أم كان فيها عصر اضطراب يشبه الفوضى كعصرنا الذي نعيش فيه

كان الأمر كذلك وكان الناس في راحة من أجل ذلك . كان يكفي أن يحتج أحد المتناظرين لرأيه بآية كريمة أو حديث شريف أو رواية في اللغة ثابتة تشهد لأحد الرأيين حتى ينزل صاحب الرأي الآخر على رأى الأول من غير أن يجد في نفسه غضاضـة ، لأنه في قرارة نفسه يعرف أنه نزل على حكم الآية أو الحديث أو الرواية الصادقة ، وهذه عنده أحكام يجب أن تطاع وأصول يجب أن تتبع ، والغضاضة كانت عنده والهوان في مخالفة تلك الأحكام والأصول بعد أن وضح له وجه الحق منها ، لا في مخالفتها نزولاً على حكم الهوى والشهوة . وكان الأمر في ذلك كله مداره الدين وعلمُ المرء أن الله سائله عن الحق لِمَ لم يتبعه وقد وقر في نفسه ، وعن الباطل كيف اتبعه ولبس به الحق رغم ضميره ورغم قلبه . فكان هذا الوازع الداخلي حاملاً على الحق صارفاً عن الباطل حتى ضعف في الناس على الأخص بفشو هذا التجديد الذي يستمد كل قوته من جلال الغالب في نفس المغلوب

ومسألة القديم والجديد عمرها لا يكاد يزيد على ثلاثين عاما أثارها في الناس نفر تثقفوا ثقافة غربية من غير أن يكون لأكثرهم من الثقافة الاسلامية نصيب مذكور . والغرب والشرق على طرفي نقيض لا يلتقيان كما يقول رديارد كبلنج ، وإن كان من الممكن أن يلتقيا في العلم الذي هو مفخرة الغرب والذي هو جزء من الاسلام الذي يدين به الشرق . لكن الذين أثاروا مسألة القديم والجديد لم يكونوا يعرفون ، ولعل أنصارهم لا يزالون يجهلون أن العلم الذي ظهر به الغرب هو في الاسلام جزء من الدين ، وأن المدنية الغربية ليس فيها ما يستحق أن يطلب ويؤخذ إلا ذلك العلم الطبيعي الذي اهتدى إليه الغرب بالعقل والتجربة ، والذي يمثل فطرة الله التي فطر عليها الأشياء . أما فطرة الله التي فطر عليها الناس فتلك يمثلها الاسلام عن يقين . فكأن الغرب والشرق قد اقتسما علم الفطرة : عَلِمها الغرب في الماديات بالعلم والتجربة ، وعلمها الشرق في الروحانيات والاجتماعيات بالدين والوحي . فكان الشرق مخطئا حين لا يأخذ بعلم الغرب ، وكان الغرب ضالا حين يخالف الاسلام كما أنزله فاطر الفطرة على محمد عليه الصلاة والسلام . وكان سبيل الكمال لهما معا وللانسانية أن يجتمعا على العلم والدين ، علم الغرب الطبيعي ودين الشرق الاسلامي ، فيجتمع لهما بذلك علم الفطرة ونظامها في المادة والروح . وكان هذا أيضا هو سبيل التجديد الصحيح لمن يريد أن يكون مجددا مصلحا ، يجدد للشرق شبابه ومجده من غير أن يعرضه لشر مما يهدد الغرب من أخطار . وهذا هو السبيل الذي دعا إليه جمال الدين الأفغاني وسار على أثره

فيه محمد عبده . لكن دعاة التجديد الذين جاءوا بعدهما ممن لم يكن لهم مثل علمهما ولا بصرهما بالاسلام ضلوا سبيل الدعوة وصدّقوا الغرب فى ظنه الذى ظن بالاسلام من أنه كان سبب تأخر الشرق. ولما لم يطيقوا أن يهاجموا الاسلام مواجهة فيدعوا الناس صراحة إلى نبذه ، عمدوا إلى مهاجمته مداورة بدعوة الناس إلى قبول كل ما عليه الغرب إن كانوا يريدون أن يكون لهم ما للغربيين من قوة وحياة . وزعموا للناس أن المدنية الغربية كل لا يتجزأ ، فإما أن تؤخذ كلها أو تترك كلها، إما أن تؤخذ باجتماعياتها وأدبياتها وعلمياتها وإما ألا يؤخذ منها شيء . فوقع الناس بهم فى مصيبة طامة وفتنة عامة لأن الناس يلمسون قوة الغرب ويريدون أن يكون لهم مثل قوته لينجوا مما هم فيه من رقه واستعباده . فإن كان حقا ما يزعمه لهم دعاة التجديد الغربى من أن لا سبيل إلى ذلك إلا بأخذ المدنية الغربية بحذافيرها فليس لهم فيما يبدو مفر من ذلك ولو كان فى ذلك خروج على الاسلام . ونجحت حركة الالتفات التى قام بها دعاة الغرب ضد سلطان الاسلام فى نفوس من أصغى إليهم من الناس حين ألجأوهم إلى أن يميزوا أنفسهم ذلك التمييز بين الاسلام وبين القوة والحياة ، من غير أن يتعرض أولئك الدعاة فى سبيل ذلك للخطر الذى كانوا يتعرضون له من غير شك لو أنهم دعوا الناس مباشرة إلى نبذ الاسلام . وأصبح الذين أصابتهم فتنة ذلك التجديد كمن أحاط به العدو لابد له من الموت أو التسليم ، أو كمن وجد نفسه مضطرا إلى الاختيار بين قتل ولده وبين الحياة . ولقد كان سهلا على من وقف هذا الموقف من الناس أن يفك عن نفسه ذلك الحصار ويخرج من ذلك الاضطرار الوهمى لو أنه كان يعرف حقيقة دينه وتاريخه حتى صدر الخلافة الراشدة على الأقل ، لكن أولياء أمور المسلمين عفا الله عنهم وتداركهم بهدايته وتسديده كانوا ولا يزالون يهملون تعريف المسلمين بدينهم ، وتنشىء أبنائهم وبناتهم فى الروح الاسلامى بالتربية الاسلامية . ومن هنا كان المسلمون عوناً لعدوهم على أنفسهم . ومن هنا كان كل ما أصاب أولئك « المجددون » من نجاح ، وما يهدد الاسلام فى بلاده وفى نفوس أهله من خطر . ومن هنا أيضاً هب لدرء هذا الخطر فريق من المجاهدين المحتسبين الذين آتاهم الله فقهاً فى الدين وقوة فى الجنان وبسطة فى البيان ، وفى طليعة هؤلاء كان الرافعى رحمة الله عليه

فالمسألة بين القديم والجديد كما يسمونها ليست مسألة اختيار بين أدب وأدب وطريقة وطريقة ، ولكنها فى صميمها مسألة اختيار بين دين ودين . فالذين يسمون أنفسهم أنصار التجديد يؤمنون بالغرب كله ويريدون أن يحملوا الناس على دينهم هذا ولو خالف الاسلام فى أكثره . والذين يسميهم هؤلاء أنصار القديم يؤمنون بالاسلام كله وبالقرآن كله ويأبون أن يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض ، أو أن يدينوا للغرب مؤمنين به من دون الله . وكل الخلاف بين أنصار «القديم» وأنصار «الجديد» منشؤه هذا ومرده إلى هذا . هؤلاء مثلا يريدون متابعة الغرب في السفور والاختلاط لينعموا بالحب ! كيفما شاءوا ، وأولئك يرون السفور والاختلاط مفسدة أى مفسدة لأن الله وهو أعلم بخلقه نهى عنهما فى الكتاب . هؤلاء يريدون متابعة الغرب فى ألا يتزوج متزوج إلا واحدة ، وأولئك يرون إباحة تعدد الزوجات لأن الله سبحانه أباحه فى الكتاب . هؤلاء يريدون التسوية بين الذكر والأنثى في كل شيء ظناً منهم أن الغرب يسوى بينهما ، وأولئك يرون غير ذلك فيما لم يسوّ الله بينهما فيه فى الكتاب . هؤلاء يرون الاسلام ديناً عربياً أنزل للعرب ولا يلائم إلا العرب، وأولئك يعتقدونه دين الانسانية الكامل أنزل للناس كافة بما يضمن صلاح الناس كافة غير متقيد بزمان ولا متخصص بمكان كما نص الله عليه فى القرآن وكما يتجدد عليه فى كل عصر البرهان

ثم أنصار « الجديد » يضيقون ذرعاً بالقيود الأخلاقية التى قيد الدين بها الناس فيما يعملون وفيما يقولون ، ويريدون أن يتحللوا منها فيزعموا للناس أن هذه الأخلاق وقيودها إن هى إلا عرف وتقاليد ، وإن التقيد بالعرف والتقاليد فى الفن والأدب يعوق الفن ويحول دون ترق الأدب ، فيجب إذن إطلاق الفن وتحرير الأدب من تلك القيود . ومن هنا نشأ خلاف آخر بين الفريقين نقل العراك بينهما من ميدان الاجتماع إلى ميدان الأدب . فأنصار الجديد يدعون إلى الفن العارى والأدب المكشوف ويدّعون للفنان والأديب حرية في القول والفعل لم يأذن الله فيها لانسان، وأنصار قديم الاسلام يدفعونهم عن هذا ويحدون حرية الفنان والأديب بما حد الله به حرية كل

إنسان من قيود الدين والأخلاق وإلا عمت البلية بالأدب وصار شراً ووبالاً على الناس . واتسع الخلاف وتشعب بين الفريقين . يمضى أنصار الجديد الغربي فى توهين السد الاسلامي الذى يجدونه قائماً فى وجوههم أينما تلفتوا فيزعمون للناس من طرف خفى أن القرآن من صنع عبقرى لا من صنيع الله ، وأنه آية فنية لكنه آية فنية إنسانية لامعجزة إلهية ، وإذن فينبغى أن يخضع لما يخضع له كل عمل إنسانى من النقد والفحص والبحث العلمى فيما يزعمون ، ويهب لدرء هـذا الافك المظيم كل كريم نجد من رجال الأدب أو غير رجال الأدب من المسلمين ، ويقاتلونهم على إعجاز القرآن وحرمته وتقديسه ، ويدعونهم إلى خطة إنصاف ليس من إنصاف بعده : إما أن يتركوا القرآن وشأنه لا يتعرضون له بشىء إن كانوا لا يؤمنون به ، وإما أن يذكروه ويدرسوه إذا قدروا على دراسته ، ولكن بنفس روح الاحترام والاحتياط والاجلال الذى يدرس به العلماء الشمس والنجم والبحر وما إليهـا من الظواهر الكونية الثابتة التى لابد فى خلقها للانسان . وهي كما ترى كلمة سواء غاية فى الانصاف ، لو كان لدى أنصار الجديد الروح الذى يقضي بقبولها لما كانت هناك تلك المرارة فى القتال التى جلبها عدم قبولهم شطر الكلمة الأول ، ولاصطلح الفريقان وتحابا واجتمعا على التجديد الحق فى الأدب وغير الأدب لو أن أولئك قبلوا شطر الكلمة الثانى . وإذن لما كان هناك أنصـار جديد وأنصار قديم ، ولكن فئة واحدة من المجددين المصلحين الذين يعملون بالحق للحق ضمن دائرتى العلم والدين اللتين يشملهما الاسلام جميعاً

إن من أشد ما يؤسف له أن تفترق قوة أولى القوة فى الشرق هكذا فرقتين، إحداهما تهدم والأخرى تدفعها عن الهدم، فيشغل الفريقان جميعاً عن التجديد والبناء ، وعدوهما واقف لهما بالمرصاد . لكن التمنى لا يجدى والواقع هو الواقع . فستستمر المعركة بين أنصار جديد الغرب وأنصار قديم الاسلام كأشدو أحمى ما تكون حتى يقضى الله بينهما بحكمه . ومهما يكن من ذلك فالموقف بين الفريقين هو فى صميمه كما صورنا . وعلى أساسه يمكن النقد فى غير كبير عناء أن يضع الأمر بينهما فى نصابه فيما كان وفيما يجد من خلاف . وسنضرب فيما نستقبل من الكلمات مثلاً لذلك بتبيين وجه الحق فيما احتدم حول أدب الرافعي رحمه الله من جدال

محمد احمد الغمراوى

بين الرافعي والعقاد

على هامش المعركة

للأستاذ محمد رفيق اللبابيدى

سيدى الأستاذ محرر الرسالة

كتب الأخ الصديق الأستاذ الطنطاوى فى معرض التعليق على ما يكتبه الأخ الصديق والزميل الأستاذ سيد قطب . وآثر أن يشتد فيما كتب وأن يسرف فى سوء الظن فيما يكتبه الأستاذ قطب

وبينى وبين الأستاذين الطنطاوى وقطب من الدالة ما يسمح لى أن أقول كلمة فى الموضوع الذى بسطا القول فيه ، ومن حق كزميل للثاني عرفه حق المرفة أن أرد على أخى الطنطاوى برفق قوله : إنه لا يعرفه وإنه الخ ... فلقد سبق أن عرف الأستاذ الطنطاوى الأستاذ سيد قطب وزامله أيضاً حين كنا ثلاثتنا فى فصل واحد وفى سنة واحدة من مدرسة دار العلوم العليا ، على أني لست بسبيل تقرير هذه المرفة فهى ليست بشىء فى الموضوع الذى أريد أن أقول كلمتى فيه

* * *

كنت قبل أن يكتب الأخ الطنطاوى أوشك أن أكتب فى موضوع الخلاف بين الأساتذة العريان وشاكر وقطب ، وأنا أعرف رأى الأخ قطب فى الرافعي من قبل، وأعرف أنه رأى «غير تقليدي» ، فلقد كنت فى دار العلوم وكانت حلقـة الاخوان تضم قطباً وكنا دائماً على طرفى نقيض ، فجماعة منا مع الرافعى وأخرى عليه، وكان على ما أذكر الأخ قطب لسانها ، فليس حقاً أن يتهم الأستاذ قطب فى رأيه هذا، فهو رأي عقيدة — وإن كنا نخالفه فيها كل المخالفة — ثم إن الأخ قطباً من إخواننا النابهين المروفين فى البيئة الأدبية، وليس من العدل أن يجهل هـذا الجهل ويرمي بهذا النبز من القول الذى جاء فى مقال الأخ الطنطاوى

وإذا كان خطأ مناظرك فى الرأى مدعاة للتجهيل والوقوع فيه وفى فضله وفى علمـه فلم يبق ثمة مجال للجدل والنقاش

الأدبيين، وهنا اتهام صريح للرسالة ومحرر الرسالة في إفساح المجال لمن لا يعبأ بقوله أو رأيه . وأعتقد أن الأخ الطنطاوي على قدري إياه كل التقدير وإعجابي به كل الاعجاب قد تنكب أصول النقاش والنقد في الأدب في الوقت الذي يتهم سواه بهذا الجنوح ...

***

بعد هذا نحب أن نلج موضوع النقاش من بابه ولا نثب من النافذة ، فالأستاذ سيد قطب على ما نعتقد ونرى وعلى ما يتسع له علمنا واطلاعنا لم يوفق بعض التوفيق في رأيه في فقيد الأدب العربي المرحوم الرافعي، كما أنه لم يوفق ولا بعض التوفيق في نفاحه عن الأستاذ الكبير العقاد

وأصوله وقواعده التي اتجه إليها في كتابته في هذه الموازنة على تسامحنا بهذه التسمية ليست أصولَ اللهم بأدب من وضعهما في كفتي الميزان الفني . فلا هو يستطيع أن يقول : إنه قرأ كتب العقاد جميعها — على ما يذهب إليه من وجوب اجتماع أكثر من ثقافة واحدة لفهم ما يكتب أو يقول الأستاذ العقاد — ولا هو يطيق أن يقول أيضاً : إنه قرأ الرافعي قراءة المستوفي المستكمل

والأخ الأستاذ سيد قطب مني في أن ما تناوله من أدب الرافعي غيض من فيض ، ولعله جنح إلى ما يمكن أن يوقع فيه واختاره ليقول فيه قوله الذي قال ، وما يمكن أن يقال في مثل هذا من شعر الرافعي يقال في مثل هذه القصيدة التي أضعها بين يدي القراء من شعر العقاد ، قال الأستاذ من قصيدة يعارض فيها ابن الرومي[1] :

هل يعرف البيضُ أن الحسن جوهرة
لما اشتراه نواء النفس أثمانُ

يقنو نفائسه من لا يسومه — وقد يعز على الـلآل قنيان
يا جوهراً بت أرعاه على أمم — رعي الشحيح ومالي فيه سلطانُ
ما في يدي منه لا عينٌ ولا أثرٌ — ولي عليه مناليقٌ وأعيانُ
قد نلت ما نلت من حظ به عرضاً — وقد تولى لحظي منه فقدان
إني على الرمي من عينيك مفتقرٌ — ياضوء قلبي فان القلب مِـدْجانُ

وحسبي أن أسأل الأستاذ قطباً رأيه فيها دون أن يكون مني أي تعليق . . .

***

بعد هذا فالحق أن الأستاذ العريان كان منصفاً كل الانصاف فيما يؤرخ به حياة الرافعي — رضوان الله عليه — وليس معنى هذا العصمة من كل خطأ ، وأيُّ الكاتبين الكامل ؟ ؟

ومن الحق أن الأستاذ قطباً تقحم الموضوع على الأخ العريان وأراد أن يثير بين أنصار الرافعي وأنصار العقاد، والفريقان كثر، معركة أدبية لعل من الخير لو ثارت على غير هذا اللون من البحث، والجدلُ البعيد عن الأثرة يفتق القرائح، وربما جاء بخير كثير وأفاد منه النشء والبيئة الأدبية ، ولربما كشف عن مواهب كانت مستورة ، وعلم كان خبيئاً ، وفضل لم يكن يعرفه القراء

وقد قرأت ما كتبه الأستاذ قطب في نقده فوجدت ألمعية واستعداداً ذاتياً وقوة وبراعة واتساع أفق ، ولكني لم أجد في تضاعيف هذا كله الحجة التي تقنع أو تمسح ما في نفسي مما قرأت لها من أدب الرافعي وأقرأها إياه الكاتبون في أدب الرافعي

والرافعي — أحسن الله للأستاذ الزيات — كان كنزاً مخبوءاً في نثره كشفته الرسالة لقراء العربية عامة بعد أن كان معروفاً عند الخاصة في كتبه وفي نتف من بيانه الذي كان يتناقله الأدباء من هنا وهنالك

وقد يجوز للأستاذ قطب أن ينكر ناحية من نواحي أدب الرافعي وأن يدلل على ذلك بقوة، ولكن لا يجوز في منطق سائغ أن ينكره أديباً على الاطلاق

كما يجوز لي — على صغري وضيق أفق — أن أنكر شاعرية العقاد إنكاراً أود لو يتسع لي المجال من فسحة هذا العمل الآلي لأبرهن عليه بما يسعني من حجة أو تدليل ، على أن إنكاري هذا ليس بضائر فضل الأستاذ العقاد وهو في رأيي الكاتب الناثر الجبار في عمق مادته وسعة اطلاعه وغزارة ثقافته

أما أن أثب وثباً منقطع النظير فأنكر العقاد أديباً وأتجاهل رأي الكثرة الكاثرة من قرائه وأصحاب الرأي الحسن فيه فذلك مما لا يقفني موقف المسموع الرأي عند أهل البصر في الأدب

***

وقرأت للأخ قطب مقاله الأخير ومحاولته أن يجمل من

(١) ديوان العقاد ص ٤٠

الفروسة العربيـــة

للأستاذ جميل قبعين

— ١ —

محاضرة قيمة ألقاها الميجر كلوب قائد قوة البادية فى شرق الأردن بتاريخ ٢٥ تشرين ثانى سنة ١٩٣٦ فى الجمعية الأسيوية الملكية فى لندن ونشرتها مجلة الجمعية فى عدد يناير سنة ١٩٣٧

تحمل كلمة الفروسية معانى مختلفة فى انكلترا وتوقظ فى أذهان الكثيرين منا شعوراً مبهماً وانطباعاً خيالياً عن فرسان بأسلحتهم اللامعة وملابسهم الجميلة الجذابة، وقد نستعمل هذه الكلمة فى كثير من الأحيان للدلالة على احترام المرأة، ولكن إذا ما رجعنا إلى الحقيقة وجدنا هذا الاتجاه فى التفكير عن الفروسية سطحيا وخياليا لأن الفروسية نشأت وانتشرت كنظام خاص فى الحياة عند بزوغ فجر المدنية. ولكى أوضح ما أقصد باستعمال كلمة الفروسية يجب أن أرجع بكم إلى العصور الخالية عند ما كانت موارد الرزق تنحصر فى الزراعة وتربية المواشى، وكان الانسان فى انكلترا وأوروبا على العموم يستطيع أن يجمع بين العملين معا لأن جو هذه البلاد الرطب كان يهيئ كثرة الكلأ وخصوبة المرعى، ولذلك كان بامكان المزارع أن ينصرف إلى أعمال الحرث والحصاد، وفى نفس الوقت يقتنى المواشى التى ترعى بالقرب من مزرعته لكثرة الأعشاب. ولكن تطبيق هذه الطريقة فى تنظيم العمل كان متعذرا فى القارات الأخرى وعلى الأخص آسيا وافريقيا حيث تقل الأمطار وتعانى مساحات واسعة منها المحل والجفاف لقلة سقوط الأمطار وبطبيعة الحال تقل المراعى وتبعد المسافة بينها — ولذلك كان المزارع الذى لا يتمكن من ترك حقله غير واجد مرعى لأغنامه. وهكذا كان الجمع بين الزراعة والرعى غير ممكن. ولذلك بقى سكان تلك البلاد ألوف السنين منقسمين إلى قسمين متباينين الرعاة والمزارعين أو البدو والحضر، وهكذا أوجدت طريقتا المعيشة بينهما تباينا فى الأخلاق وتباعدا فى المجتمع فتأصل العداء.

قد يستغرب الرجل الانكليزى فى هذه الأيام أن يجد عندما يزور البدو تشابها عظيما بين عاداتهم وبين عادات الفرسان الاوروبيين فى العصر الاقطاعى، ولهذا ترون أننى استعملت كلمة «الفروسية» عنوانا لمحاضرتى.

وقد يكون غريباً أن تعلموا أنه لا توجد كلمة فى اللغة العربية للدلالة على الفروسية كنظام خاص مع العلم بأننا نرى البدو يعيشون بروح فرسان القرون الوسطى، والسبب فى ذلك أنهم لا ينظرون إلى نظام معيشتهم كنظام يمكن درسه بل كحياة طبيعية ولما كانوا لا يعرفون القراءة لم يتمكنوا من درس أنظمة غيرهم من الأمم، ولهذا لم يجدوا ضرورة لايجاد اسم خاص لطريقتهم فى الحياة. ولو وصفت الصفات المميزة للفروسية لمزارع أو حضرى من سكان هذه البلاد لأجابك على الفور أنك تتكلم عن حياة البدو. وعليه فإنى أرجو من حضراتكم أن تبعدوا المعنى الخيالى الذى يتصل بكلمتى الفروسية والفرسان لأنى أعنى باستعمال هذه الكلمة عادات البدو أى نظام الحياة اليومى ونظام الحكم الديمقراطى بينهم

قصيدة الأستاذ العقاد فى الجيبون دائرة معارف ثقافية ففيها من كل علم ومن كل فكر، فهل لو صح هذا كان شعراً. والشعر من الوجدان وإلى الوجدان وماله وهذه اللفتات إلى ما هو عميق متكلف ؟

وهل لو صح هذا الوزن لشعر الشعراء واصطنعنا هذه المقاييس التى يتفضل بها الأستاذ قطب نكون قربنا الشعر من الطبيعة الصادقة والفطرة السليمة والذوق الذى لا تشوبه شائبة النظريات العلمية القلقة ...

اللهم لا، ثم لا. وللحديث رجع إن شاء الله

(حيفا — فلسطين) **محمد رفيق اللبابيدى**

المدرس بمدرسة حيفا الثانوية الأميرية

حاشية : كان الأستاذ الطنطاوى قد التحق فى مدرسة دار العلوم العليا ولبث فيها قرابة الشهرين — على ما أذكر — ثم آثر أن يعود إلى دمشق ولعل الذاكرة خانت الأخ فنسى أن الأستاذ قطباً كان قيد خطوات منه فى حجرة الدرس

حياة البدو والمزارع

يمكننا عند دراسة أخلاق وطباع البدوى والمزارع أن نبدأ بدراسة وجهة نظر كل منهم نحو الحرب . تنحصر كل ثروة المزارع فى مسكنه وحقوله وأشجاره فإذا ماسلم أملاكه إلى عدو يصبح على الفورجائعاً منشرداً ، وهذه النتيجة المنتظرة تجبره على الاستماتة فى الدفاع إذا ما هوجم ، وفي نفس الوقت نرى أن الزراعة عمل مستمر يستوعب كل أوقات الفصول الأربعة بحيث لا يبقى له وقت يقضيه بالسفر والتنقل بحثاً عن المغامرة ، ولذلك نجده يدافع دفاع المستميت دون الاهتمام بقواعد الحرب أو بتطلب المجد الشخصى ، وحالة المزارع هذه تقوده إلى أن ينظر إلى الحرب نظرة الكراهية ، فاذا ما هوجم نرى أن همه الأول أن ينتصر بأسرع ما يمكن بطرق شريفة أو غير شريفة ، وبما أن غرضه الأسمى هو الدفاع لا المجد ، وبما أنه يقطن فى القرى نراه يفرض على كل شخص فى المجتمع أن يشترك فى الدفاع لكى يضمن السلامة والفوز . وهكذا يمكننا حصر نظرة المزارع إلى الحرب فيما يلى :

١ — الدفاع المستميت

٢ — كره المغامرات الحربية

٣ — التصميم على الفوز بطرق مشروعة أو غير مشروعة

٤ — فكرة خدمة المجتمع

أما نظرة البدوى للحرب فهى على العكس تماماً وذلك لأن ثروة البدوى هى الخيل والجمال والغنم وليست من الأملاك الثابتة كالبيوت والحقول والبساتين ، لذلك نراه غير مضطر لمقاتلة عدوقوى إلى الرمق الأخير بل على العكس قد يتمكن من انقاذ كل أمواله بتقهقر منظم سريع . وعلاوة على ذلك فان المواشى شىء مزعج فى الحرب إذ أنها قد تتشتت أو تذبح ولو كان صاحبها منتصراً فى الحرب . كل هذه الاعتبارات تشير إلى حقيقة واحدة وهى أن طريقة البدوى فى الدفاع ضد عدو قوى هى التقهقر السريع وليست الاستماتة فى الدفاع كما يفعل القروي

وهنا لا يسعنى إلا أن أتحول قليلا من البحث عن الحرب إلى السياسة . إن الفلاح يدافع عن بلدته ويقاتل قتال المستميت دونها ولكنه إذا غلب على أمره خضع واستسلم إلى العدو تمسكا بقطعة أرض يتركها له غالبوه ، وإذا ما سمح له بالبقاء يدفع الضرائب الفادحة صاغراً ويتحمل أنواع الذل والاهانة . أما البدوى فاذا وجد نفسه محاطاً بعدو قوى استكان دون مقاومة وتظاهر بتقديم الخضوع إلى كبير الفريق الغالب حتى إذا ما رأي من عدوه غفلة رحل بسرعة إلى مكان قصى أمين حيث يصبح حراً طليقاً . وهكذا نرى أن البدوي رغم ضعفه فى الدفاع ذو نفسية استقلالية تصبو إلى الحرية وهو أوسع حيلة وأعز نفساً وأعظم كبرياء من القروى

وفى الهجوم أيضا نجد البون شاسعا بين البدوى والمزارع فان هذا الأخير مرتبط بأرضه وبأعماله المستمرة ، أما البدوى فقليل المشاغل كثير الفراغ وهو بسائق فطرته وطريقة معيشته معتاد ركوب الخيل والجمال وتحمل الأسفار البعيدة الشاقة ولذلك كانت المغامرات الحربية موضوع فخر وتسلية له وكانت الشهرة والمجد مطمعه فى الحياة ، لأن نظرة البدوى إلى الحرب لا تتجه لخدمة المجتمع نراه يتطلب فى حروبه المجد والفخر والقيام بالأعمال العظيمة التى تنيله الشهرة ، فالمجد والشهرة هما غايته من الحرب لا سلامة المجتمع .

إن أساليب الحرب فى نظر البدوى أهم بكثير من النصر وكسب المعركة ، والمجد بالتسابق بأعمال البطولة على أساليب الشرف هدفه الأسمى فى القتال . وقد نشأ عن ذلك أساليب وعادات معقدة ورثنا بعضها فيما نسميه الروح الرياضية . فالبدوى لا يجد من الشرف أن يهاجم رجلا نائما أو أقل منه سلاحا ، وهكذا ظهرت تقاليد أهم صفاتها تطلب المجد والشهرة وإثارة روح التقدير والاعجاب فى الآخرين باتباع أساليب الشرف . ولا يجد البدوى غضاضة فى الاعتراف ببطولة العدو إذا كانت أساليب الشرف والاستقامة رائد هذا العدو فى الحرب . كما أنه ينظر بازدراء للقروى الذى يحارب بقصد النصر دون التمسك بأساليب الشرف .

توجد ناحية غير مستحبة فى طباع البدو الحربية وهى الانانية والحسد ، فالمحاربون البدو يحاربون لإظهار فروسيتهم ورجوليتهم وشجاعتهم الفردية بقدر الامكان ، وقد لا يشعر أحدهم بكراهية

نحو عدو بعيد ولكنه ينفجر حقدا إذا ما نافسه أحد رجال قبيلته بأعمال البطولة وسبقه بالشهرة . قد نرى نحن الأوروبيين أن هذا أمر غير مستحب، ولكن الحقيقة أن هذه الصفة كانت من أهم الصفات الظاهرة لدى النبلاء الأوروبيين فى العصر الاقطاعى ومع أنها صفة غير جذابة ولكنها إحدى صفات الفروسية .

معاملة المرأة

إن الشيء الثانى الذى يميز حياة الفروسية أو حياة البدو هو طريقتهم فى معاملة المرأة، فالمزارع مرتبط بعمله الممل المنهك فلا ينتظر منه أن يشجع زوجته على التجمل والراحة فى البيت بينما هو يقضى ١٢ — ١٣ ساعة يوميًا فى أعماله الزراعية ، ولذلك نجد أن نساء المزارعين كن دائماً خشنات الظاهر لاشتراكهن فى الأعمال الشاقة خارج البيت . ولربما أوجدت حياة المزارع الجافة فيه عقلية خاملة خالية من الجو الخيالى البهيج

ولكن نظرة البدوى إلى المرأة تختلف تماماً عن نظرة المزارع اليها لما ذكرنا فيما سبق من أن البدوى قليل المشاغل وغايته القصوى فى الحياة المجد وإثارة الاعجاب . ومن الطبيعى أن الانسان عند ما يتطلب ميزة خاصة على غيره يتطلب أن تعترف له المرأة بتلك الميزة ، وأن إعفاء المرأة البدوية من الأعمال الجسمية الشاقة المنهكة جعلها تحتفظ بنعومتها ورشاقتها ، ومن الممكن أن فراغ وقتها أعطاها الفرصة الكافية للتزين والتجمل ، ولذلك بقيت جميلة مشتهاة أكثر من زميلتها القروية الخشنة

ينظر القروى إلى المرأة كوسيلة للخدمة والولادة وواسطة للربح . أما البدوى فيرى فيها مخلوقاً يجب العطف عليه والتغنى به ويتخذها البدوي حكماً لتقدير أعماله . ومن المفيد أن نذكر أن المرأة البدوية بالرغم من كونها تعامل معاملة أحسن من زميلتها القروية ، فإنها لم تكن مساوية للرجل ، وأن التقدير والاعجاب اللذين كانا محيطين بها راجعان إلى اختلافها في التكوين والخلقة عن الرجل — فالرجل كان المحارب والحاكم، والمرأة هى الجمال . إن الفروسية لا تعترف بمساواة الجنسين لأنهما مخلوقان مختلفان والمرأة لم تحاول أن تشارك الرجل فى الحكم يوماً . وفكرة مثل هذه كانت غير مستحسنة من الطرفين

مزايا البدو الأخرى

إن طلاب المجد وحب الشهرة خلقا فى البدوى مزايا أخرى أهمها الكرم والسخاء. يعتمد البدوى فى حياته على قطعانه، وهى بطبيعة الحال عرضة للسلب والفقدان فى كل لحظة ، وهذه الحال قد تجعل الرجل الغنى الوفير الخيرات فى القبيلة يصبح فقيراً معدماً فى اليوم التالى — وفى نفس الوقت قد يسترجع ما فقد بغزوة ثانية موفقة يقوم بها ، ولذلك فان البدوى يشبه الأموال بالأوساخ العالقة باليد تأتي اليوم وتذهب غداً . إن حياة التنقل المستمر جعلت من الصعب على البدوى أن يحتفظ بكثير من ضروريات الحياة ، كما أن حبه للظهور وتعطشه للمجد كان لهما أثر كبير فى أعماله القريبة من الخيال ؛ فهو مستعد دائماً لأن يبذل كل ما يملك أو يمنح بسخاء جميع ما غنمه في غزوة شاقة خطرة لكي يظهر بمظهر شائق . أما القروي فهو بعكس ذلك تماماً لأن حياة الشقاء التى يعيشها واستقراره وتمكنه من التوفير أسباب كافية لجعله مقتراً

إن إحدى النتائج التى أوجدها الكرم هو حسن الضيافة . وإنى لا أجد ضرورة لأن أقول بأن كل بدوى يملك بيتاً مفتوحاً أو بالأصح خيمة مفتوحة للضيوف فى جميع ساعات الليل والنهار ، وتكون الخيمة مقسمة إلى قسمين أحدهما للعائلة والآخر للضيوف. ولقد جرت العادة أن يضيف البدوى ضيفه ثلاثة أيام قبل أن يسائله من أين أتى وما هى مهمته

وهذا الكرم يصل إلى الفقراء من القبيلة ، إذ أن من عادات البدو ألا يهملوا شيخاً ولا فقيراً ، ولا يمكن لإنسان يعيش بين البدو أن يموت جوعاً . وكثيراً ما نرى شيخ القبيلة يوزع بعد عيد أو وليمة اللحم والأرز بنفسه أو يرسله إلى بيوت المسنين والأرامل . ويمكننا تلخيص صفات البدو فيما يلى :

١ — السعى وراء الشهرة فى الحرب بالقيام بأعمال البطولة

والمغامرات الفردية دون الاهتمام بربح المعركة

٢ — تقدير المرأة واحترامها لأنوثتها واتخاذها وسيلة للتسلية والتمجيد وإن كان لا ينظر إليها كمساوية للرجل

٣ — وجود دافع داخلي في البدوي يدفعه إلى القيام بأعمال البطولة والكرم حتى تكون أعماله هذه أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة في أكثر الأحيان

٤ — الكرم وحسن الضيافة الحاتميان ويرجع سببهما أولاً إلى عدم الاطمئنان إلى بقاء الممتلكات بصورة مستمرة، وثانياً إلى حب التفوق والمجد اللذين يسمى البدوي إلى تحقيقهما في الحرب أيضاً

ولكي أشرح هذه الصفات الأربع سأستشهد ببعض قصص تصف لنا الفروسية العربية. والقصص التي من هذا النوع أكثر من أن تحصى. وقد أشاد بذكرها الشعراء وامتلأت بأخبارها كتب الأدب وتغنى بها العشاق والمطربون. ولقد كان هذا شأن التروبادور Troubadour في القرون الوسطى في أوروبا، واسمهم هذا مشتق من فعل طرب العربي. وقد كانوا يتجولون في البلاد مثيرين الحماسة برواية قصص الأبطال والأحاديث الغرامية

وسأقتصر على بعض القصص والحكايات كما أني سأذكر تجاربي الخاصة

« يتبع » جميل قبعين

ماضي القرويين وحاضرها

للأستاذ عبد الله كنون الحسني

— ١ —



(جامع القرويين)

كتب الأستاذ علي الطنطاوي في العدد (٢٣٦) من «الرسالة» بمناسبة إظلال العيد الألفي للجامع الأزهر يقترح على أبناء جامع القرويين والزيتونة والنجف أن يتحدثوا لقراء «الرسالة» عن شيء من تاريخ هذه المعاهد وما ساهمت به في خدمة الثقافة الاسلامية وفنون المعارف الأخرى، كما سيتحدث أبناء الأزهر في ذلك العيد القريب عن أزهرهم ويقومون بإحياء ذكراه الخالدة المحفوظة في ضمير الزمان ما بقي من يراعي الجيل من بني الانسان. وذلك لأن كثيراً من الناس يتشوفون إلى معرفة أحوال هذه المعاهد والأطوار التي اجتازتها منذ تأسيسها إلى الآن، وسيبلون عطشهم بالنسبة إلى الأزهر؛ أما بالنسبة إليها فسيبقون أعطش مما كانوا، لأن الذكرى تبعث الذكرى. فلا أقل من أن يحظوا ببلالة من العلم في كلمة أو كلمتين عن تلك الجامعات التي غبرت هي والأزهر مدى أجيال تشع على العالم أنوار العلم والمعرفة وتتدرج بالفكر الانساني في مدارج النمو والارتقاء.

وقد استحسنا اقتراح الأستاذ ولبثنا مدة ننتظر من يستجيب له ويمتعنا بالحديث عن أي جامع كان من تلك الجوامع فما ظفرنا

إلا بالخيبة والملل ، وأخيراً تكلم بعض أفاضل النجف عن جامعه وهو ثالث الثلاثة الأحق ببسط الكلام فيه والتوسع فى الحديث عنه، ولكن ذلك الفاضل اقتضب القول فيه اقتضاباً ووعد بالتبسط مرة أخرى وإنا لوعده لمنتظرون . وقد حبب إلينا لما بقى الميدان خالياً بل رأينا من الواجب أن نتقدم بكليات عن جامعنا القروى العامر يتعرف بها الجمهور العربى من قراء « الرسالة » عظمة تاريخ ذلك المعهد وما قام به من خدمات جلى للعلم والمعرفة طوق بها المدنية الغربية فى فجر نهضتها بأياد بيضاء :



جامع القرويين

فأولى الميزات التى تبعث على الفخر والازدهار ، ومى مما اختص به هذا الجامع،أن مؤسسه امرأة ، وامرأة من صميم الشعب ، لا ملكة ولا أميرة . وفى هذا ما يكفى لرد ما يتقوله المتقولون على المرأة المسلمة ويصمونها به من الجهل والتأخر عن مجاراة سنن الحياة ؛ إذ ما عهدنا فى تاريخ أمة من الأمم وفى العصر الحاضر أن يكون مؤسسو الجامعات العلمية العالمية من النساء . ولكن الاسلام الذى رفع من شأن المرأة وأعلى من قدرها إلى ما لم تبلغه فى أية شريعة أخرى سواء كانت سماوية أو وضعية هو الذى سما بنفس السيدة أم البنين فاطمة بنت محمد الفهرى — إلى هذا المقصد النبيل وبث فيها الرغبة الملحة إلى بناء جامع القرويين بمالها الحلال الذي ورثته من أبيها وزوجها ، لم تنفق فيه سواه احتياطاً منها وتحرجاً من الشبهة ؛ وذلك عام (٢٤٥) وكانت لم تزل صائمة منذ شرعت فى بنائه إلى أن تم وصلت فيه شكراً لله تعالى الذى وفقها لذلك العمل المبرور

وهذا التاريخ الذى بنى فيه جامع القرويين لا شك أنه أقدم من تاريخ بناء الأزهر الذى كان سنة (٣٥٩) . فقول الأستاذ فريد وجدى فى دائرة المعارف : « إنه أقدم مدرسة فى العالم بعد مدرسة بولونيا بإيطاليا فقد تقدمته بأكثر من أربعة قرون » غير صحيح ، لا بالنسبة للقرويين كما رأيت ، ولا بالنسبة إلى كلية بولونيا المذكورة لأن تأسيسها إنما كان سنة (١١١٩م) أى بعد الأزهر بنحو قرن ونصف . إذ أن مقابل تاريخ بنائه من الميلادى يكون حوالى (٩٧٠) وحينئذ فترتيب هذه الجامعات فى القدم يكون هكذا : القرويين فالأزهر فجامعة بولونيا

ومن المعلوم أن القرويين لأول بنائها لم تكن على ما هى عليه اليوم من السعة والفخامة ، فقد زيد فيها كثير ، وجدد بناؤها مراراً، وأولى الزيادات كانت فى أيام دولة زناتة سنة (٣٠٧) ، ثم فى أيام عبد الرحمن الناصر الأموى خليفة الأندلس الذى دانت له البلاد ردحاً من الزمن . وقع تجديد لبناء القرويين وزيادة أخرى فيه وذلك سنة (٣٤٥) ، ثم كان إصلاح جديد في أيام المنصور ابن أبى عامر حاكم الأندلس وحاجب الخليفة هشام بن الحكم سنة(٣٨٨) . ثم فى دولة لمتونة فى أيام أمير المسلمين على بن يوسف ابن تاشفين نقض المسجد كله وزيدت فيه زيادة مهمة من جميع جهاته واحتفل فى بنائه وزخرفته إلى الغاية وكمل ذلك سنة (٥٣٨) أى بعد وفاة أمير المسلمين على بن يوسف بسنة

ولما ملك الموحدون فاس سنة (٥٤٠) خاف فقهاء المدينة وأشياخها أن ينتقد عليهم الموحدون النقش والزخرفة التى فوق المحراب لقيامهم بالتقشف والتقلل ، وقيل لهم إن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على يدخل غداً المدينة مع أشياخ الموحدين بقصد صلاة الجمعة بالقرويين، فأتى الحامون الجامع تلك الليلة وغطوا على ذلك النقش والتذهيب الذى فوق المحراب وحوله بالورق ولبسوا عليه بالجص ودهن بالبياض فاختفى أثر ذلك ولم يبق ظاهراً إلا البياض

ونلاحظ هنا أن فقهاء المدينة وأشياخها إنما خافوا انتقاد الموحدين عليهم لما كانوا هم المباشرين لبناء المسجد وزخرفته ولم يكن ذلك من عمل المرابطين الذين قام عليهم الموحدون ؛ وكذلك كان هذا المسجد منذ تأسيسه من الشعب وإليه . فمعظم هذه الزيادات — إن لم نقل كلها — كانت مما قام به أفراد من الشعب فقهاء وأئمة وغيرهم ، بعد استئذان الحاكم طبعاً . ولشد ما كانوا يتحرون فى المال الذى ينفق على ذلك ، بل فى الآجر والماء والتراب الذى كان يدخل فى البناء فلا يصرفون فيه إلا ما كان من أصل طيب ؛ وربما اشتبه عليهم مال أحدهم فأدى الأيمان الغليظة على أنه من الحلال الخالص الموروث عن آبائه الذين صار

إليهم من عمل شريف إلى غير ذلك مما تراه مفصلاً عند ابن أبي زرع في القرطاس والجزنائي في زهرة الآس وابن القاضي في جذوة الاقتباس

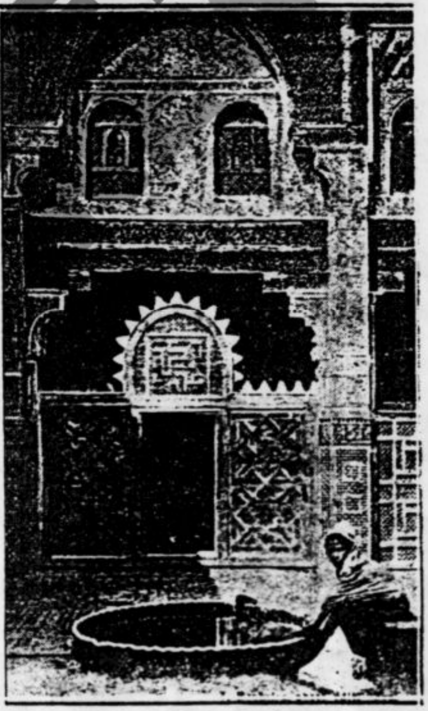
هنا كان قد بلغ الجامع كماله فأتى دور المصالح والمنافع والمرافق الملحقة به من فسقيات وميضآت ومستودعات وخزانات ومقاصير ومدارس وما إليها . وأهم ذلك خزانة الكتب التي أسسها به السلطان أبو عنان فارس المريني وأودعها كما يقول الجزنائي : « من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأبدان والأديان واللسان والأذهان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وتنوع ضروبها وأجناسها ووقفها ابتغاء الزلفى ورجاء ثواب الله الأوفى ، وعين لها قيماً لضبطها ومناولة ما فيها وتوصيلها لمن له رغبة . وأجرى له على ذلك جراية مؤبدة تكرمة وعناية وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٥٠ »



(مدرسة العطارين)

وأسس أبو عنان كذلك خزانة مصاحف احتفل في بنائها وتشييدها بما لم يسبق إليه، وأعد فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط وكلف بها من يتولي أمرها على أحسن الشروط . ثم لم تزل الملوك والسوقة تقف الكتب على خزانة القرويين بعد ذلك حتى اجتمع بها من المجلدات العلمية والأدبية والدينية ما لا يدخل تحت حصر ولا يستوفيه عد ولا حساب

وأما المدارس وهي بيوت الطلبة الملحقة بالقرويين ، فان من أقدم ما بني منها مدرسة الصابرين التي أسسها أمير المسلمين ابن تاشفين حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى (٤٥٠) . والمرينيون هم سباق هذه الحلبة الذين خلفوا لنا أكبر عدد من المدارس المتقنة الصنع المحكمة الوضع ، لا حول القرويين فقط بل في جميع أنحاء المغرب ولما كان كلامنا هنا إنما يساق إلى القرويين فلنذكر بالخصوص مدرسة العطارين التي بناها السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق. ومدرسة أبي عنان اللتين تعدان قطعتين خالدتين من فن العمارة والنقش والتخريم والتزويق المغربي . وقد تلحق بهما مدرسة الشراطين التي بناها مولاى رشيد من ملوك دولتنا العلوية العلية . أما غير هذه المدارس فانها وإن لم تكن مثلها في بداعة الشكل وجمال الصنعة إلا أنها لا تقل عنها فخامة بناء ورحابة فناء



المدرسة البوغدانية

هذه العناية الفائقة بالقرويين والاهتمام البالغ النهاية بأمره من الشعب ثم من الحكومة في كل عصر وفي كل دولة — تدلنا على ما كان له من مكانة سامية في النفوس منذ عهد تأسيسه وما كان يخص به من الاحتفال والاهتمام دون بقية المساجد الأخرى . وإلا فأخوه وشقيقه جامع الأندلس الذي بنته السيدة مريم أخت أم البنين وشقيقتها لم يظفر بعشر مما ظفر به هو من ذلك ، بل إنه ما لبث أن غطى على جامع الأشراف الذي أسسه المولى إدريس ثاني ملوك الدولة الإدريسية ومختط فاس وبانيها سنة (١٩٢) فنقلت خطبة العدوة القروية من مسجد الأشراف المذكور إلى القرويين وأصبح هو المسجد الجامع في تلك العدوة كلها

وابتدأ نجم القرويين يلمع في سماء العلم منذ أواخر القرن

الثالث وأوائل الرابع، وما كاد القرن الرابع يبلغ النصف حتى كان مثل عبدالله بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة والنوادر والذى يعرف بمالك الصغير يشد الرحلة إلى أحد رجاله وهو دراس بن اسماعيل المتوفى سنة ٣٥٧ ه وفى هذا المهد كان أيضاً أبو جيدة ابن أحمد وهو فقيه فاس ومحررها من سطوة عامل المنصور بن أبى عامر . ولا شك أنه كان أحد أساطين هذه الكلية وممن عملوا على رفعة شأنها وعلو قدرها

وتتوالى حلقات السلسلة حتى تصل إلى العصر الحاضر مؤلفة من رجال وقفوا حياتهم على خدمة التشريع الاسلامى تحت راية مالك وأصحابه فبلغوا به الغاية التى ما بعدها غاية فى الكمال ، وطارت لهم شهرة مطبقة فى أرجاء العالمين الشرقى والغربى . فما منهم إلا إمام فتوى ومجتهد مذهب مثل الفقيه ابن عمران الفاسى المتوفى سنة ٤٣٠ والفقيه ابن محمد صالح المتوفى سنة ٦٣١ والفقيه راشد الفاسى المتوفى سنة ٦٧٥ والفقيه أبى الحسن الصغير المتوفى سنة ٧١٩ والفقيه أبى عمران العبدوسى المتوفى سنة ٧٧٦ والفقيه القورى المتوفى سنة ٨٧٢ والفقيه المشارك أبى عبد الله بن غازى المتوفى سنة ٩١٧ والفقيه أبى على بن رحال المتوفى سنة ١١٤٠ والفقيه الرهونى المتوفى سنة ١٢٣٠ وغيرهم

وفى الحقيقة أن أكثر الجهود فى الكلية فى كل عصر كانت موجهة إلى هذه الناحية من التعليم، ومعظم إنتاج رجالها كان فى هذا العلم : علم الفقه وما إليه على مذهب مالك رحمه الله حتى ليصح القول إن أهل كل بلاد لم يخدموا مذهبهم بقدر ما خدمه أهل المغرب، وإن المذهب المالكى لم يصل إلى ما وصل إليه من الخصب والنماء والنضوج — حتى أن أتباع غيره من المذاهب ربما اضطروا إلى الأخذ عنه والاقتباس منه كما فى بعض قوانين المحاكم الشرعية بمصر — إلا بفضل القرويين وما أبدوه من الهمة الصادقة فى هذا السبيل

(يتبع)

«طنجة» عبد الله كنونه الحسنى



رسالة الشعر



فى حادث العراق

جناية الأقدار

للأستاذ محمود غنيم

كلمة أوحى بها إلى حادث العراق الأليم على أثر ما قرأته من حملات بعض غير المنصفين من كتابنا المصريين وعلى الأخص فى جريدة الأهرام

أمرٌ به سَبَق القضاءُ الجارى ... ما حيلةُ الإنسان فى الأقدارِ
لا تأخذوا بالذنب غيرَ جُناته ... إن الصوابَ تلمُّسُ الأعذارِ
الرُّزء يذهب بالعقول جلالُه ... فحَذارِ من شَطَطِ المقالِ حذارِ
إن تسرفوا فى الاتّهام جَنَيْتمُو ... أثم على القُطر الشقيق الجارِ
هى أمةٌ وِزرَ امرؤٌ من أهلها ... أفتثقلون الكلَّ بالأوزارِ ؟
اللهُ يعلم أنهم ما أضمروا ... للنيل غيرَ الحبِّ والأكبارِ
أوَلم يُصَبْ «سعدٌ» بأيدى أمةٍ ... تَفْديه بالأسماع والأبصارِ
إن الذين أصاب «سيفاً» سهمُهُمْ ... مِنْ دمعهم غسلوه فى أنهارِ
ولو استطاعوا لافتدَوْهُ من الحِما ... مِ بألف سيفٍ منهمو بتّارِ
قالوا: العراقُ ومصرُ قلنا: بل هما ... مِصْرانِ بل مصرٌ من الأمصارِ

* * *

هذا أبٌ أودى به نَزَقُ ابنه ... ماذا تقول لِصِبْيَةٍ أغرارِ ؟
ماذا تقولُ لنائبٍ عن رُشده ... يجنى جنايتَه وليس بدارِ ؟
ما حاد عن سَنَن العدالة آخذٌ ... لغريمه من نفسه بالثارِ
عُذرُ الشبيبة طيشُها والخطءُ ما ... فعلوه عن عَمْدٍ وعن إصرارِ
لا كان مخترع «الرصاص» فإنه ... باع المنونَ رخيصةَ الأسعارِ

* * *

بغدادُ عذراً للكنانة إن قست ... فى عَتْبها والعَتْبُ للأحرارِ
أوَ ما نظرت إلى الكنانة أعيناً ... تَهْمى وأفئدةً بغير قرارِ ؟
إنا لنرخصُ فى سبيل الوُدِّ يا ... بغدادُ ما يغلو من الأعمارِ
وهو الودادُ إذا عُراه توثَّقت ... أضْفَى على الآثام كلَّ ستارِ
إحسانُ من عاديتَ كلُّ إساءةٍ ... وكبارُ من صافيتَ غيرُ كبارِ

* * *

هـذا شهيد العلم عزَّزْنا به ... مَنْ راح من شهدائنا الأبرارِ
خلِقَ الجهادُ لنا سواءٌ عندنا ... مَنْ بالحديد يموت أو بالنارِ
والعلمُ مختلِفُ الضحايا كم طوى ... من سابحٍ وقضى على طيّارِ
يا رُبَّ مخترعٍ يروح ضحيةً ... للكشف عن سرٍّ من الأسرارِ
ومعلِّمٍ قد راح يبذلُ نفسه ... بذلَ الكرام لناشئين صغارِ
تمتصُّ أفواهُ الشبيبة روحَهُ ... مثلَ امتصاص النحل للأزهارِ

* * *

«عزمى» إذا التأمتْ جراحُك فى غدٍ ... وبرئتَ فاشكُر للطيف البارى
أنت ابتدأتَ رسالةً فأتمَّها ... واهزأ بما تلقى من الأخطارِ
املأ مكانك فى العراقِ وقل له ... لا يعرف الجبنَ الأثيمُ الضارى

محمود غنيم

أنت دير الهوى وشعرى صلاة (*)

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« إلى غمامتى الشاردة ... أهدى هذه الصلاة »

أقبلى كالصلاة رقرقها النسك بمحراب عابد متبتل
أقبلى آية من الله عليا   زفها للفنون وحى منزل
أقبلى فالجراح ظماى ! وكأس الحب ثكلى ! والشعر ناى معطل
أنت لحن على فمى عبقرى   وأنا فى حدائق الله بلبل
أقبلى ... قبل أن تميل بنا الريح ! ويهوى بنا الفناء المعجل
زورقى فى الوجود حيران شاك   مثقل بالأسى ، شريد مضلل
أزعجته الرياح ، واغتاله الليل بجنح من الدياجير مسبل
فهو فى ثورة الخضم غريب   خلط النوح بالمنى وتنقل
أقبلى يا غرام روحى فالشط (م) بعيد ! والروح باليأس مثقل
وغمام الحياة أغشى سوادى (م) ونور المنى بقلبى ترحل
أنا ميت تغافل القبر عنى   وهو إن يدر شقوتى ما تمهل
فاسكبى لى السنا وطوفى بنعشى   ينعش الروح سحرك المتهلل
أنت نبعى ، وأيكتى ، وظلالى   وخميلى ، وجدولى المتسلسل
أنت لى واحة أفىء إليها   وهجير الأسى بجنبى مشعل
أنت ترنيمة الهدوء بشعرى   وأنا الشاعر الحزين المبلبل
أنت تهويدة الخيال لأحزا   نى بأطياف نورها أتعلل
أنت كأسى وكرمتى ومدامى   والطلا من يديك سكر محلل
أنت فجرى على الحقول ، حياة   وصلاة ، ونشوة ، وتهلل
أنت تغريدة الخلود بألحا   نى .. وشعر الحياة لغو مهلهل
أنت طيف الغيوب رفرف بالرحمة والطهر والهدى والتبتل
أنت لى توبة إذا زل عمرى   وصحا الإثم فى دمى وتململ
أنت لى رحمة براها شعاع   هل من أعين السما وتنزل
أنت لى زهرة على شاطئ الأحلام تروى بمهجتى وتظلل
أنت شعر الأنسام وسوسة الفجـ   ـر ، وذابت على حفيف السنبل
أنت سحر الغروب ، بل موجة الإشـ   ـراق عن سحرها جنانى يسأل
أنت صفو الظلال تسبح فى النهـ   ـر وتلهو على ضفاف الجدول
أنت عيد الأطيار فوق الروابى   أقبلى ! فالربيع للطير أقبل ...
أنت هولى وحيرتى وجنونى   يوم للحسن زهوة وتدلل
أنت دير الهوى وشعرى صلاة   لك طابت ضراعتى والتذلل
أنت نبع من الحنان ، عليه   أطرق الفن ضارعا يتوسل
أعين للخشوع تغرى ، فخليـ   ـها على لوعتى تغض وتسبل
واتركيها وسحرها يتمادى   علما (1) « بابل » بنجواه تشغل
هو فنى ، وملهمى ... فابعثيه   فهو من زهوه شحيح مبخل
يتغافى على الجفون ، فإن رحـ   ـت أناجيه لج فى الكرى وتوغل
وانتشى من سناك وانساب فى لحـ   ـظك يحسو الضياء منه وينهل
وانبرى من جفونك البيض كالأقـ   ـدار يردى كما يشاء ويقتل
ليت لى من صراعه كل يوم   غزوة فى سكون قلبى تجلجل
ولك الصوت ناغما عاده الشو   ق فأضحى حنينه يترسل
نبرات كأنها شجن الأو   تار فى عود عاشق مترحل
أو حفيف الأذان فى مسمع الفجـ   ـر ندى الصدى ، شذى المنهل
أو غناء الظلال فى خاطر الغد   ران شعر فى الصمت عان مكبل
أو نشيد أذابه الأفق النا   ئى ، وغناه خاطرى المتأمل !
ولك البسمة الوديعة .. طهر   وصفاء ، وصبوة ، وتعزل
لذة (2) الهمس فى دمى تنقل الرو   ح لواد بصفو عمرى مظلل
فاسكبيها على جنانى ، وخلى   سحرها فى مشاعرى يتهدل !
ولك الهدأة التى تغمر الحـ   ـس فيروى من السكون وينهل
واحة للجمال ، قلبى فيها   من أسى الدهر ناسك متعزل
علمتنى ظلالها كيف أنسى   صخب الهم وهو عصف مزلزل
ولك العفة التى عاد منها   « مريمى » الستور فوقك مسبل

(*) من ديوان (هكذا أغنى) الذى يظهر حديثاً

(1) لعلما   (2) لذيذة



مؤتمر دولي للقوانين ودعوة الأزهر للاشتراك فيه

تلقى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر كتاباً من جامعة جوهانبرج يقول إن فريقاً من علماء القانون ومن أعضاء مؤتمر القوانين الذي عقد في السنة الماضية في هولندا واشترك فيه الأزهر فكروا في إقامة مؤتمر عالمي للقوانين يشترك فيه جميع الهيئات والجامعات التي فيها دراسات قانونية ويشترك فيه كذلك كبار علماء القانون والتشريع في العالم كله

ثم جاء في كتاب الجامعة أنها ترجو أن يستطيع الأزهر المساهمة في العمل لنجاح هذا المؤتمر بإبداء الملاحظات والاقتراحات التي يرى إبداءها على فكرته وموضوعاته وأن يساهم بقسط من المعاونة الأدبية فيه

ثم قال إن أبحاث المؤتمر ستشمل جميع القوانين والتشريعات والمبادئ التي تؤدي إلى تقدم البشرية وتقارب قوانينها ومن التشريعات التي تضمنت قسطاً كبيراً من المبادئ القانونية السامية في الشريعة الاسلامية

فتعالَيْ نغيبُ عن ضجّة الدُّنــيا ، ونَمضي عن الوجود ونرحَلْ
وإلى عُشِّنا الجميلِ ... ففيه هَزَجٌ للهوى، وظِلٌّ، وسَلْسَلْ
وعصـــافيرُ للمُنى تتغنَّى بالترانيمِ بين عُشْبٍ وجَدْوَلْ
وغرامٌ مُقدَّسٌ، كاد يَضوي نورُهُ العذبُ في سمانا ويُشعَلْ
ووفاهُ يكاد يَسْطعُ للدُّنــيا بِشَرْعٍ إلى المحبّين مُرسَلْ

***

عادَ للعُشِّ كلُّ طيرٍ ، ولم يَبــقَ سِوى طائرٍ شريدٍ مُخبَّلْ ..
هو قلبي الذي تناسَيْتِ بلوَا هُ فأضحى على الجراح يُوَلْوِلْ!
أقبلي .. قبلَ أن تميلَ به الريــحُ، ويهوي به الفناءُ المعجَّلْ!
« أقبلي ... فالجراحُ ظَمآى! وكأسُ الـ
حُبِّ ثكلى! والشِّعرُ نايٌ مُعطَّلْ! »

(المجمع اللغوي الملكي بمصر) محمود حسن اسماعيل

أندريه موروا في الخالدين

من أنباء باريس الأخيرة أن الكاتب الفرنسي أندريه موروا انتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية في المقعد الذي خلا بوفاة « رينيه دوميك » رئيس تحرير مجلة العالمين والذي كان سكرتيرا دائما للأكاديمية

وأندريه موروا ابن صاحب مصانع كبرى للنسيج في مدينة « روان » وهو اليوم يتولاها أيضا فتدور المصانع على خير وجه يدر المال ، وتدور المطابع في باريس بكتبه فتدر المال والمجد

لفت أندريه موروا الأنظار بقصة «صمت الكولونيل برمبل» إذ نجد فيها خلاصة تجاربه واتصاله بالانكليز في أثناء الحرب عندما كان ضابط اتصال نظرا لتضلعه في اللغة الانكليزية ، هذا التضلع الذي ما لبث أن ظهر أثره في كل كتبه بعد ذلك إذ جعل أكثرها لتاريخ حياة أبطال الانكليز في الأدب والسياسة مثل بيرون وشلي ودزرائيلي كما كتب حياة تورجنيف والماريشال ليوتي ، فضلاً عن « محاورات في القيادة » و « صور انكليزية » و « مطالعات في ديكنز » ثم محاضراته في جامعة اكسفورد التي لفتت إليه جميع الأنظار

هذا وقصص موروا من أروج القصص الأدبية والجمهور يتهافت عليها في كافة أنحاء المعمورة. ومن خير ما وصفه به صديقه أندريه بيلي قوله : إنه الذكاء ، وطيبة القلب ، والحساسية ، والاستعداد الدائم للفهم والعطف ... ليس فيه من التعالي أو التغالي شيء . وكان نجاحه العظيم السريع جاء مفاجئاً بحيث لم يتبينه هو ذاته ولم يقدره قدره ! »

وأندريه موروا صديق عزيز لمصر ، زارها أكثر من مرة

ويحمل لها كل مودة ، وفى نيته أن يخصص لها كتاباً من كتبه.

العربية الفصحى فى تدريس المواد

أذاعت وزارة المعارف على حضرات المراقبين والمفتشين ونظار المدارس الكتاب التالى :—

كثرت الشكوى من ضعف التلاميذ فى اللغة العربية الصحيحة فى تدريس المواد ، ولهذا توجه وزارة المعارف نظر حضرات المفتشين ونظار المدارس إلى مراقبة تدريس المواد التى تلقى باللغة العربية سواء أكانت علمية أم أدبية ، ووجوب إلقائها بلغة عربية سليمة، والبعد عن استعمال العامية حتى تتمكن فى نفوس التلاميذ ملكة اللغة الفصحى ويسهل عليهم الحديث والكتابة بها . وفى مكنة الأساتذة أن يبسطوا أسلوب اللغة الفصحى حتى تكون فى متناول جميع التلاميذ على اختلاف أعمارهم وثقافتهم

الثقافة الاسلامية فى المدارس الثانوية

يهتم وزارة المعارف بتعزيز برامج التعليم فى المدارس الثانوية ببرنامج مفصل عن الثقافة الاسلامية ، يدرس فى السنتين الرابعة والخامسة ، وقد عهد معالى الوزير إلى لجنة مؤلفة من بعض مفتشى اللغة العربية بالوزارة وكبار رجال التعليم وضع هذا البرنامج بحيث يمكن البدء بتنفيذه فى السنة الدراسية القادمة

وسيشمل هذا البرنامج بحوثا مهمة تدور حول التاريخ الاسلامى فى أزهى عصوره ، والبطولة الاسلامية والسيرة المحمدية الشريفة .

حول نظرية التطور

عرض الأستاذ على الطنطاوى فى نقده لشعر الأستاذ العقاد فى الجيبون لنظرية التطور وذكر أنها لم يؤيدها العلم ، وكنا نود لو يرشدنا الأستاذ الفاضل إلى عالم يحترم علمه يدحض هذه النظرية التى غزت جميع المعارف البشرية وبها سهل تعليل كل نظم الحياة. أما إذا كان اعتماد الأستاذ على ما ينشر فى الصحف الرخيصة من أخبار مشعوذى العلم الذين يعارضون النظرية ظناً منهم أنها تعارض الدين ، فهذا تملق رخيص لعقلية جمهور القراء لأن خصومها لا يعدون بعض جهلة القساوسة الذين يرون فيها الخطر الدائم على مذاهبهم ، فى حين أن الطبقة المستنيرة من رجال الدين فى انجلترا يرون فيهـا ما يؤيد دعوائم الدينية ، لذلك نرى المطران انج أبرز شخصية فى الكنيسة الانجليزية يعترف بها ، ويعظ بها فى كنيسته .

والنظرية ليست حديثة كما ذكر الأستاذ طنطاوى فقد بصر بها فلاسفة الاغريق والعرب حتى جاء دارون وجمع شتات الأدلة العلمية ونشر كتابه أصل الأنواع ١٨٥٨ ، فكان أول بحث مؤيد بالأسانيد العلمية فى هذا الموضوع تلاه أبحاث كثيرة من علماء آخرين أيدوا وجهة نظر دارون ، مثل هكسلى وولاس وهيكل والثير ارثر كيث . ومن المفيد أن أذكر أن ابن خلدون كان مغرقا فى إيمانه بالتطور فقد قال إن الجماد يتحول إلى نبات والنبات إلى حيوان والحيوان إلى إنسان

أما اعتراض الأستاذ على معالجة فنون العلم شعراً فهو اعتراض ليس له وجاهة لأن نظرية التطور علم وفلسفة ، فهى رغم حقائقها العلمية لها جانب فلسفى يبعث على التأمل ، وقد عاش فى القرن الماضى بانجلترا شاعر لا يحضرنى اسمه الآن أطلق عليه شاعر التطور لأنه عالج فلسفة التطور شعرا . وقد نظم المرحوم الزهاوى شعرا عن التطور أعجب به كل من قرأه

والدليل على أن لها فلسفة أن سبنسر بنى فلسفته على نظريات التطور فأطلق عليه فيلسوف التطور . وما يقال عن نظرية التطور يقال عن كل علم من أن له جانباً فلسفياً ، وعلى ذلك لا يمنع أن يعالج الدكتور ناجى نواحى الطب شعراً . وقد قرأت للعلامة ما كنزي كتابا فى الفيسولوجيا ختمه ببحث فلسفى بديع عن الموت لو وضع فى قوالب الشعر لكان تحفة فنية رائعة . وقد نشرت مجلة طبية فرنسية بباريس تدعى فيلسفون منذ أعوام شعرا لطائفة من أطباء فرنسا عن تأملاتهم فى الحياة من الوجهة العلمية يعد بحق نوعا جديداً فى الأدب الفرنسى . وقس على ذلك المهندس والرياضي ، ما دام وراء كل علم جانب فلسفى للتأمل . وبديهى أننى لا أقصد أن توضع حقائق العلم فى قوالب الشعر كما وضعت قواعد النحو فى ألفيه ابن مالك ، لأن هذا ليس من الشعر فى شىء

كامل نصيف

عضو بالمعهد الفلسفى البريطانى بلندن

الحلاج

جاء فى (قصة الكلمة الترجمة) فى الجزء الماضى : « لكنه قاله فى (الرسالة) قبل ذلك : « وكذلك قوله الكل (أي قول ابن القارح) ادخاله الألف واللام مكروه » (قاله) صوابه قال — أعنى

أبا العلاء — وقولى ابن القارح خطأ ، صوابه الحلاج . وقد وردت (السكل) فى أبيات له رويت من قبل فى (رسالة الغفران) قال الحلاج :

يا سرَّ سرٍ يدق حتى يجلّ عن وصف كل حىّ
وظاهراً باطنا تبدى من كل شىء لكل شىّ
ياجملة السكل لستَ غيرى فما اعتذارى اذن الىّ

قال أبو العلاء : « قوله (الىّ) عاهة فى الأبيات ، إن قيّدَ فالتقييد لمثل هذا الوزن لايجوز عند بعض الناس ، وأن كسّرَ الياء من (الىّ) فذلك ردىء قبيح . وأصحاب العربية مجمعون على قراءة حمزة : (وما أنتم بمصر خىّ) بكسر الياء ، وقد رُوى أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن ذلك فقال إنه لحسن تارة إلى فوق وتارة الى أسفل ، يعنى فتح الياء فى مصرخى وكسرها ، والذين نقلوا هذه الحكاية يحتجون بها لحمزة ويذهبون إلى أن أبا عمرو أجاز الكسر لالتقاء الساكنين ، وان صحت الحكاية عنه فما قالها إلا متهزئا على معنى العكس ، وهذا كما يقول الرجل لولده إذا رآه فعل فعلا قبيحا : ما أحسن هذا ! : وهو يريد ضد الحسن »

(***)
الاسكندرية

سؤال الى الأستاذ سيد قطب

تقول فى العدد (٢٥٩) من الرسالة ، إن العقاد (يعنى بالحياة النابضة فى ضمائر الأشياء ، قبل الحياة الظاهرة على سطوحها ، ويعنى بالحياتين معاً قبل العناية بأشكالها وصورها ، ويلتفت للخوالج النفسية قبل أن يلتفت إلى الصور الذهنية ، ويعنى بهاتين قبل العناية ببهارج الأسلوب وزخارف الطلاوة)

١ — فهل هناك حياة نابضة فى ضمائر الأشياء غير الحياة الظاهرة على سطوحها ؟ أو ليست الحياة واحدة فى الضمائر والسطوح ، وفى الأفئدة والقلوب ، وفى الجوارح والأعضاء ؟ وإذا كان للحى الواحد حياتان كما تقول ، فما حدّ كل واحدة منهما ، وما هو وصفها الذى تختلف به عن أختها ؟

٢ — وهل الحياة الظاهرة على سطوح الأشياء — على حد تعبيرك أنت — غير أشكال الحياة وصورها ؟ وما هو الفرق بينهما وكيف تكون العناية بهذه قبل تلك ؟

٣ — وما هو الفرق (العلمى) بين الخوالج النفسية والصور الذهنية ؟ وهل تعنى بالصور الذهنية المحاكمات العقلية أم تعنى بها ما يسمى بتداعى الأفكار ، والخيال المرجع ، فى علم النفس ؟ وما معنى قولك : أدب ذهن ، وأدب نفس ؟

٤ — وهل تريد من قولك إن العقاد يعنى بهذا قبل عنايته بالأسلوب والطلاوة — أن من كانت له هذه العناية بالحياة النابضة ، والخوالج النفسية ، كان شاعراً ولو جاء بأسلوب ركيك ، ولغة مرذولة ، وعىّ فاضح ؟

هذا ما نحب أن تبينه لنا ، فما فهمنا والله ما تريد منه . وإن فى كل فقرة لك لمجالاً لمثل هذه الأسئلة حين تتكلم فلا نفهم عنك ، وتأتى بألفاظ لا نعرف لها مدلولا ، وأنت بين شيئين : إما أنك تذهب بنفسك علواً حتى ما يتعلق بك قارئ ، وإما أنك لا تدرى (بالضبط) معانى ما تقول ...

(دمشق) ع . . .

بين الرافعى والعقاد

جاء فى بحث الأستاذ سيد قطب عن العقاد والرافعى فى (الرسالة رقم ٢٦٠) ما اعتبره الأستاذ تناقضاً بين تلخيص الرافعى لرأي الفيلسوف شوبنهور فى الجمال وبين رأى الفيلسوف الحقيق

وبرجوع القارئ إلى ذلك البحث وتدبّره لا يذهب مع الكاتب فيما ذهب إليه من وجود ذلك التناقض . ولعل الأستاذ قطب يقرنا على ذلك

فقد قال شوبنهور ما نصه : « إن الأشياء « تسرنا » كلما قربت من عالم الفكرة وابتعدت عن عالم الارادة » وقال الرافعي فيما اعتقده رأياً للفيلسوف « إن الأشياء « تحزننا » كلما ابتعدت عن عالم الفكرة واقتربت من عالم الارادة » ، ثم قال : « وإنها « تفرحنا » كلما ابتعدت عن عالم الارادة واقتربت من عالم الفكرة »

فانه واضح من مراجعة الكلام بأنه لا تناقض بين قولى الرافعى الأول والثانى فهما رأى واحد لا تناقض فى مضمونه . ولعل الأستاذ قطب قد اعتبر عكس الألفاظ فى شقى القول أساساً للتناقض وقد غاب عن خاطره أن « تحزننا » عكس « تفرحنا » . ثم نحن لانجد (مسخا) لرأى الفيلسوف لأن الرافعى لايناقض فى أى من قوليه رأى الفيلسوف « وهما ينطبقان عليه تمام الانطباق »

ونحن إن أخذنا على الأستاذ قطب عدم تدبره فى الحكم فى هذه الحالة فنحن نأخذ على الأستاذ الرافعى ، رحمه الله ، عدم وثوقه بترجمة الأستاذ العقاد مع أنه انتهى فى تلخيص رأي الفيلسوف إلى ما ترجمه العقاد

وليسمح لنا القارىء إن نحن طالبنا الكاتبين عن أدب الرافعي



إلهـــام

قصة مصرية

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

هذه قصة دفعها إلىّ صديق من أصدقاء المؤلف، ورجانى أن أقرأها وأرى رأيى فيها؛ وما سهلٌ على كاتب من الكتاب أن يتحدث عن كتاب هو مرجُوٌّ أن يتحدث عنه ويري رأيه فيه، فإن ذلك خليق أن يصبغ الرأى بلون من ألوان الهوى تختفى وراءه بعض الحقيقة؛ ولكنى مع ذلك سأحاول أن أكتب، وسأحرص فى هذه المحاولة أن أكون ناقداً وحسب . . . ؛ ولن يفوت القارئ بعد ما قدّمتُ أن يعرف الرأى فى هذا الكتاب على حقيقته، وأن يستخلصه مما قد يكون عالقاً به مما تزيّفه النفس على صاحبها لتخدعه عن رأيه . . .

وبعد فهذه قصة مصرية ألفها مؤلفها منذ إحدى عشرة سنة، ولم ينشرها إلا منذ أشهر، وكان مؤلفها يوم ألفها شاباً فى الثالثة والعشرين؛ وما بدٌّ لمن يؤلف مثل هذه القصة فى مثل هذه السن أن ينظر إلى نفسه قبل أن ينظر إلى ما يحيط به؛ وهذا شىءٌ لا ينكره المؤلف ولا يعترف به كل الاعتراف؛ فهو يقول فى تقدمة هذه القصة:

« أعددت قصة إلهام للطبع فى سنة ١٩٢٧ . . . . . . ؛ ثم أرغمنى كثير من ظروف الحياة على أن أهمل أمرها عشر سنوات، وفى هذه السنة أعدت قراءتها، وكنت فى أثناء تلك القراءة كمن يسير بين قبور عزيزة تضم رفاتاً مقدساً وذكريات تثير الأشجان

ومع أن هذه القصة لا تصور حياة المؤلف إلا أن فيها بعضاً من نفسه وتجاربه ومشاهداته ... »

أما الغاية التى يقصد إليها المؤلف من قصته فانه يقول عنها: « ... وسترى أنها قصة مصرية لا تدور حول غاية معينة من أنواع الاصلاح، يغلب عليها ذلك النوع التصويرى الذى يصور المناظر والشخصيات والميول والخواطر، لا سيما ما ينساب منها أحياناً فى الرأس بلا ترتيب . . . »

وهذا القول الذى يقوله هو حق إلى حد ما؛ فهو لم ينشئها ناظراً إلى غاية معينة من غايات الاصلاح وإن كان فيها كثير من الدعوة إلى الاصلاح مبثوث فى تضاعيف القصة وفى أثناء الفصول بلا ترتيب ولا نظام، ونجد أكثره فيما جعل من الحوار على ألسنة أبطال القصة؛ بل لقد كان حرصه على أن يثبت رأيه ودعوته إلى الاصلاح داعياً له إلى أن يقحم كثيراً من القول فى أساليب المحاورة لغير وقته، فكانت بعض المحاورات تطول أحياناً طولاً يدعو إلى الملالة ويبعد بموضوع المحاورة عن أصله وداعيه. والمحاورة كما يعرف كل من عالج القصة أو درس فنها — ليست موضعاً ملائماً للدعوة إلى الاصلاح وبيان أوجه الرأى فيه، ولكنها وسيلة من البيان فى أوجز عبارة تصل بين رأى ورأى أو حادثة وحادثة مما يفيض به موضوع القصة؛ ولن يكون الحوار أبداً وسيلة إلى بث فكرة أو دعوة إلى إصلاح إلا بقدر غير ملحوظ ولا مُدرَك فى جملته. إنما يكون ذلك فى الحادثة لا فى الحديث، وفيما يحكى لا فيما يُنطق به ...

على أننا وقد وافقنا المؤلف على أنه لم يكن له غاية من قصته فى الدعوة إلى نوع من الاصلاح، نقول إن « ذلك النوع التصويرى الذى يصور المناظر والشخصيات والميول والخواطر »

والعقاد ألا يتخذوا من عبارات وألفاظ مستهجنة (جاءت معبرة عن حالة عاطفية) أساساً يدعمون به حكمهم على كل من الأديبين الكبيرين. ونحن ندعوهم إلى بحث شخصيتيهما الأدبية فى مخلفاتهم التى تركاها وهم أكثر ما يكونان سكونا وهدوءا فيجىء حكمهم نزيهاً معتبراً فى نظر القراء ويسلمون من كثير من المهاترات التى تصيبهم بين الحين والحين

(فلسطين) على كمال

هو فى نفسه غاية من الغايات الرفيعة يقصد إليها كثير من أهل الفن ؛ وقد بلغ المؤلف فى ذلك وأجاد وانتهى إلى غاية . ولقد كنت أقرأ بعض ما كتب المؤلف من الفصول التصويرية فى هذه القصة فأشعر بكثير من اللذة والاعجاب ؛ وأجمل ما قرأت من هذه الفصول وصفه فى الفصل الأول عيد « شم النسيم » كما يحتفل به كثير من طوائف المصريين فى الريف والحضر ؛ وفى الفصل الرابع وصف حياة الشاب العزب تترامى الآمال حوله فى الزواج والمصاهرة ، وتمترك حوله أمانى الأهل والأصدقاء ؛ وفصول أخرى لا تقل عن هذين الفصلين جمالا وروعة

أما عناية المؤلف بالفن ومقدار توفيقه فيه ، فما أريد أن أسهب فى الحديث عنه ؛ فان من الظلم أن نكلف فتى فى الثالثة والعشرين أن يكون له من السيطرة على نفسه وعلى وجدانه ما يساعده على حبك قصة طويلة كهذه القصة على ما يقتضى فن الرواية على وجهه ؛ إذ كان كل هم الشاب فى مثل هذه السن أن يحشد كل خواطره وأمانى نفسه ومصورات خياله فيما يكتب ؛ فانه ليصعب عليه أن يغفل معنى أو فكرة أو حادثة تلحّ على نفسه ؛ ومن هنا جاءت قصته — كما قرأتها — وكأنها فى نفسى قصتان لا رابطة بينهما إلا فيما تبدأ القصة وفيما تنتهى ؛ أما فى العرض وفى تسلسل الرواية فإن القارئ يكاد يحسّ فى أكثر من موضع أنه انتقل من قصة إلى قصة فلا يشعر أنه فيما كان فيه إلا حين يوشك أن يبلغ نهاية الفصل . وذلك شىء حقيق بالنظر والتدبر عند من يريد أن يكون قاصًّا موفقاً ؛ فان أول شرط القصة هى أن تتسلسل بحوادثها تحت عينى القارئ حتى تبلغ بذلك أن تنقله من جو إلى جو فيسير فى قراءتها وكأنه يعيش بين أبطالها وعلى مقربة من زمانها ومكانها ؛ وما أنكر أن المؤلف قد بلغ إلى ذلك فى بعض الفصول ولكنه لم يبلغ إليه فى جملة القصة ؛ على أن هذا التنافر فى موضوع الرواية لا يستمر إلى نهايتها ؛ فما هو إلا أن ينتهى القارئ إلى حدّ ما ثم تسير القصة إلى خاتمتها طبيعية لا تكلف فيها ولا اصطناع ، حتى تنتهى إلى نهايتها فى حيلة موفقة

على أن هذه القصة — وهى مصرية المغزي والموضوع فى جلتها — تبتعد كثيراً فى بعض فصولها وحوادثها عن المألوف من عاداتنا وما نعرف ، فهى لا تصوّر صورة مصرية عامة يراها كل أحد ؛ ولكنها صورة خاصة قامت فى نفس كاتبها فى يوم ما فرآها على التعميم حقيقة بالتسجيل فى قصة يريد أن يجعل بها صورة لبعض ما فى مصر ؛ ولقد كنت أريد أن ألخص موضوعها فى هذا الفصل لأعرضها عرضاً جلياً لمن يريد أن يعرف ، ولكنى أوثر أن يكون تعريفى بها من بعيد حتى لا أقطع الطريق على من يريد أن يقرأها بقلم مؤلفها ليعرفها العرفان الحق

أما أسلوب المؤلف فى الأداء فهو الأسلوب السهل الطبيعي ، لا تكلف فيه ولا صناعة ؛ وفيه إلى ذلك روح وعاطفة وقلب نابض ؛ تقرؤه فتعرف نفس كاتبه بما تجيش به من أمانى وآلام تراها مصوّرة أدق تصوير وأبرعه ، فكأن وراء كل عبارة قلباً ينبض ، وكأن وراء الظلال من كل فصل نفسية سامية تؤمن بالمثل الأعلى إيمان الرأى والعقيدة ، وتقف جهدها على تحقيق المعنى الانساني العام في كل نفس وفى كل إنسان ؛ فهو أسلوب قصة ، وهو صرخات نفس حانقة ، وهو غيظ حبيس يتفجر نثراً وكتابة ، وهو أمانى وأحلام ، وهموم وأحزان ؛ وهو غبطة ورضا ، وسخط وألم . وإن فيه لمعانى جديدة وفكراً جديداً ...

ولكن ذلك كله لا يحمل الناقد المنصف على تجاهل ما فى أسلوب المؤلف من غلطات فى اللغة والنحو وفى استعمال الكلمات كان حرياً أن يتنزه عنها ؛ ولو أنها غلطات تعد لما كان من حق أن أشير إليها هذه الاشارة ، ولكنها غلطات عامة ومتكررة بحيث لا تكاد تخلو صفحة من غلطة ... وإنى وقد قرأت للمؤلف وتذوقت فنه وأدبه لأجد من الخيانة أن أغض النظر عن هذه الغلطات ؛ فان كاتباً مثل مؤلف هذه القصة حقيق بأن يكون فى غد من أصحاب القلم والفكر فى هذا البلد لو كان أحرص من ذلك على لغته وعبارته ؛ وإن ذلك الأمل فى مستقبله الأدبى ليحملنى على أن ألفته إلى ذلك ليستكمل أدواته ويمهد لمستقبله

***

أما بعد فانها قصة مصرية ، وما تزال القصة الطويلة فى العربية شيئاً نحاوله فلم نبلغ فيه حد الكمال أو ما يقرب منه ؛ وإنه لفن رفيع يستحق العناية من أدبائنا ليسدوا نقص العربية فى هذا الباب ؛ فما يغيب عنى وقد ذكرت ذلك أن أثنى على المؤلف الفاضل لهذه المحاولة ؛ وما يغيب عنى مع كل أولئك أنها قصة ألفها مؤلفها منذ إحدى عشرة سنة وما يزال يومئذ شاباً حدثاً يخطو خطاه الأولى إلى هذا المعترك الأدبي ؛ فاذا كنت اليوم أرى فيها مايستحق الملاحظة والتعليق ، فانها ملاحظات على الأديب الناشئ نقولا يوسف الذى ألف قصة (إلهام) سنة ١٩٢٧ وهو فى الثالثة والعشرين من عمره ؛ وهو عندى غير الأديب الفاضل (الأستاذ) نقولا يوسف في سنة ١٩٣٨ ، الذى عرفه القراء فيما أنشأ بعد ذلك من مؤلفات لها خطر ومقدار وهو مع ذلك غير الأستاذ نقولا يوسف الذي نرجو أن يكون فى غد ... (س)

6 me Année, No. 262
Lundi - 11 - 7 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٦٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ — ١١ يولية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

أسباب ما نعمـــل

للأستاذ عباس محمود العقاد

السيدة الأرمنية العجوز التى تسكن معنا فى الدور الأرضى من المنزل أزمعت النقل إلى منزل آخر على مقربة من الحى، وهى واقفة على الباب تراقب الحمالين وهم ينقلون الأثاث ويرتبونه. ولا بد من كلمة تحية ومجاملة فى الطريق. فوقفت وسألتها:

إلى أين يا سيدة؟ ما الذى أغضبك من منزلنا؟

قالت: قسمة!

قلت: ألعلك وجدت مسكناً خيراً منه فى هذا القيظ؟

قالت: لا. بل هى آخر قسمتنا فيه، وإنما هى كما تقولون أعتاب وأيام!

« سبب امرأة »

نعم. فقد تعودنا حين نسمع أمثال هذه الأسباب التى لا تعليل فيها أن نبتسم ونصرف الحديث قائلين: سبب امرأة، أو هو سبب من الأسباب التى لا يقنع بها غير النساء

والمتفق عليه بيننا معشر الرجال أن أسباب النساء هى الأسباب التى لا تعطيك تفسيراً ولا تزيدك علماً بعلة ما يصنعن وما يتركن. فاذا سألت امرأة: لم صنعت هذا؟ أو لم لم تصنعيه؟ فأغلب

الفهـــرس

ما يكون الجواب : هكذا ! أو هل ترانى عارفة ؟

هذا أو تعطيك جوابين نقيضين لتعليل العمل الواحد . فقد رووا أن رجلا صحب زوجته إلى متجر الملابس لينتقيا حلة تعجبها . فاختار لها لوناً من الحرير عرضه عليها ، فصاحت به : ما هذا ؟ إن جميع الناس يلبسون منه ... واختار لها لوناً آخر فصاحت به الصيحة الأولى: ماهذا؟ إنى مارأيت قط أحداً يلبسه !

فكان السببان النقيضان عندها صالحين لتعليل العمل الواحد وهو الإحجام عن شراء الحلة المعروضة عليها

***

لكن جهل الأسباب فى الواقع غير مقصور على النساء ، وكذلك هذا النمط العجيب من التسبيب

سعيد وابراهيم واسماعيل ثلاثة إخوة صغار يلعبون أمام المنزل فى معظم الأحيان ، أكبرهم في التاسعة وأصغرهم فى نحو الخامسة؛ فهو لا يذهب إلى المدرسة أو لا يريد أن يذهب إليها

لقيته يوماً يلعب مع غير أخويه فسألته :

ماذا تصنع يا إسماعيل ؟

قال : لا أصنع شيئاً

قلت : لكنى أراك تلعب ، فأين ذهب أخواك ؟

قال : إلى المدرسة ؟

قلت : ولم لم تذهب أنت معهما ؟

قال : هكذا ! !

قلت : هكذا ؟ هكذا كيف ؟

فأعادها مرة أخرى ، وأدركه طفل أكبر منه بالجواب ، فقال : إنه صغير ! وهو على كل حال جواب يحسن السكوت عليه

***

قد يقال : وأسباب الأطفال أيضاً هى أسباب النساء ..!

لكن الواقع أن جهل الأسباب على هذا النمط غير مقصور على النساء والأطفال ، وأن أناساً كثيرين بعضهم متعلمون وبعضهم غير متعلمين يجهلون أسباب ما يعملون وأسباب مالا يعملون ، وتسألهم عن أمر من الأمور التى تقوم عليها الحياة وتتصل بها الأرزاق ، فلا يعطونك سبباً، أو يعطونك سبباً قلما يغنيك عن التعليل

أعرف أسرة من الأذكياء المتعلمين ينتقلون من منزل إلى منزل كل ستة شهور أو كل سنة على أبعد أجل ، ويحيل أحدهم على الآخر فى بيان أسباب الانتقال ، فهذا المنزل كرهه فلان ، وهذا المنزل انتقاه فلان ، وآخر ما يقال فى تهوين هذه المشقة وتهوين ما يتبعها من خسارة ونفقة :

وما الفرق بين بيت مستأجر وبيت مملوك إن كان الانسان لا يتنقل بين البيوت ؟

ومن الواضح أن الانسان لا يزعج نفسه وأسرته بالانتقال وتحطيم بعض الأثاث وتجديد بعضه على حسب تنظيم السكن الجديد لغير شىء إلا أن يجد الفرق بين البيت المستأجر والبيت المملوك ، أو أن ينفس على شخص واحد أن يتقاضاه الأجر زمناً طويلا فيفرقه بين أشخاص متعددين

فلا بد من سبب ولا بد من باعث ، ولكننا نحن الآدميين جميعاً نعمل ولا نكلف عقولنا تبيين أسبابها ، وإن كنا نبالغ فى سؤال الآخرين عن الأسباب

وقد يسهل على الأكثرين أن يعرفوا أسباب ما يعملون إذا استقصوا هذه الأسباب . أما الذى يصعب على الأكثرين فهو عرفانهم أسباب مالا يعملون ، كأنما يحسبون أن الانسان يترك جميع الأعمال لغير سبب ، أو أنه لايحتاج إلى الأسباب إلا عند ما يعمل شيئاً أو يشرع فى عمل شىء ، فأما أن يكف عن العمل أو عن الشروع فيه فذلك طبيعة لا تحتاج إلى سؤال

هذه حالة إذا أفرطت من إحدى جهتيها انتهت إلى الاباحية التى تتساوى عندها جميع البواعث والدواعى ، أو إلى الاباحية التى وصفها ابن المعتز فى قوله :

قليل همـوم القلب إلا للذة	ينعّم نفساً آذنت بالتنقل
يعب ويسقى أو يسقى مدامة	كمثل سراج لاح فى الليل مشعل
ولست تراه سائلا عن خليفة	ولا قائلا من يعزلون ومن يلى
ولا صائحا كالعير فى يوم لذة	يناظر فى تفضيل عثمان أو على

وهى حالة قريبة مما نراه من قلة المبالاة أو قلة التمحيص أو قلة «التدقيق» على حد تعبير أبناء البلاد — عند أناس كثيرين فى العصر الحاضر يعملون وينظرون إلى غيرهم يعمل ثم لا يسألون ولا يفكرون ... وهذا إن كانوا يعملون وينظرون

أما إذا أفرطت هذه الحالة من جهتها الأخرى فنهايتها إلى الوسواس والمراجعة فى كل شىء والمحاسبة على أهون الأمور ، والتردد بين الخواطر حتى لا إقدام ولا احجام ولا فائدة من الاقدام والاحجام

إنما الحد القوام بين هذا وذاك أن يكون المرء قادرا على تعليل عمله والنفاذ إلى باطن مشيئته ، لأنه متى قدر على ذلك استولى على زمام نفسه ، وقبض على سكان سفينته فى زعازع هذه الحياة.

فمن عرف لماذا يعمل عرف كيف يجتنب العمل إذا وجب عليه اجتنابه

وعرف كيف يقنع به غيره إذا حسن عنده اقناعه

وعرف كيف يصنع على مثال أجمل وأكمل إذا لاحظ تقصيرا فيه

وكذلك من عرف لماذا لا يعمل شيئا من الأشياء ، فانه خليق أن يروض نفسه على عمله متى عرف مهولة المانع أو عرف ما فيه من مؤاخذة ونقيصة . وخليق أن يفهم دواعى الاحجام عنده فيعالجها بما يصلحها أو يقربها إلى الصلاح

بعض علماء النفس ينصحون طلاب الرياضة النفسية بتسجيل المذكرات اليومية ، لاثبات أعمالهم وقياس الفارق بين أمسهم ويومهم

والذى نراه أن تسجيل المذكرات اليومية لا يجدى جدواه مالم ينته إلى مساءلة النفس عن بواعثها ودواعيها . فليجرب من شاء أن يختار حادثة من حوادث الحياة كل يوم يسأل عن سببها ويستقصى دخائلها ويصمد على ذلك شهرا واحدا ثم ينظر فى نتيجة هذه الرياضة ، فانه واجد لا محالة أنه يتقدم فى طريق القدرة على النفس والقدرة على الحياة ، وأنه يصبح يوما بعد يوم سيد نفسه ومالك قياده ، وتلك بنية الرجل الكامل فى الثقافة وفى الرياضة وفى الآداب والأخلاق

عباس محمود العقاد

فأصبحتم بنعمته إخوانا

لأستاذ جليل

إلى حضرة الدكتور محمد محسن البرازى
الأستاذ فى الجامعة السورية

يا سيدي ، إن قولى : (المرء بفضله وفصله ، لا بزخرفه وأصله ، والأمة إنما هى بلغتها وأدبها وعقيدتها ومصلحتها) وتمثلى بحديث الهمذاني وجميع ما رقمته فى تلك القطعة من (الكلمة) — هو إعلان حقيقة قالوها ، وليس فى شاهدى من كلام (البديع) إزراء بأصل ما ، أو استصغار قبيل إن ظن أحد أن ذلك فيه

ولم أنع َفى (كلمتى) — كما لاح لأخى الدكتور — على مُمْتز إلى الفرنسية نخوته حين قال : (أنا فرنسى ، أنا فرنسي ، أنا ابن النول) إنّ له أنْ يقول وينتخى كما يقول الايطالى والجرمانى والبريطانى وغيرهم مزهوين . والمكتوب هناك هو شرح حال .

وأرى أن أذكر فى هذا المقام أن الأمة الألمانية فى تلفيقها وتأليفها إنما هى مثل الفرنسيس وغيرهم من الأمم . وكان صاحب مجلة جرمانية قد اعتزم قبل (الحرب الكبرى) على أن يبحث عن عناصر الجرمان بحث العلماء المحققين فمنعته [1] وزارة الحرب من ذلك

ألمانية نقية صافية خالصة مروّقة مصفّقة [2] ما كانت ولن تكون

والسلطان صلاح الدين [3] يوسف بن أيوب (خرّيج الملك نور الدين [4] محمود بن الشهيد رضى الله عنهم أجمعين) وسادتنا الأيوبيون ملوك العرب لا أعدهم — ونحن فى هذا الشكل من البحث — أكرادآ ، بل هم عرب ، بل هم أعرب من يَعْرُب [5]

---

(١) منعه كذا ومن كذا وعن كذا

(٢) روق الشراب : صيره رائقا بالتصفية ، وصفقه : حوله من إناء إلى إناء ليصفو (الأساس)

(٣) فيه قال الشاعر :

قل للملوك تنحوا عن ممالككم ... فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها

(٤) يقول ابن منير الطرابلسى فيه :

عقل الحق ألسن المدعينا ... أنت خير الملوك دنيا ودينا

(٥) بضم الراء ، يعرب كينصر

ابن قحطان . ونولى فى البرازيين الكرام ، فى بلاد الشام مثل قولى فى الأيوبيين . ولا أقصد بما أقول تفضيل عربية على كردية ، أو تفضيل كردية على عربية ، فلست فى حديثي هذا من (المفضلة)

وبعد فنحن نتلهى فى غيبة السلطان الأعظم (أعنى الإسلامية) بهذه السماة (جنسية وقومية ووطنية) ومشابهها من الفتن الأوربية ، فإذا جاء القرآن ، إذا جاء محمد ، إذا جاء الاسلام ، الاسلام الصحيح خرست العربية المصرية ، وخرست الاعرابية الجزَرية ، وخرست الكردية ، وخرست الشامية والعراقية ، وخرست البربرية والمغربية والغربية ، وخرست الهندية والفارسية والصينية والجاوية والتترية

« إنما المؤمنونَ إخوة »

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تَفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شَفا حُفرةٍ من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »

قل : نار الضلال والتمادى ، نار الجنسيات والقوميات والوطنيات والعصبيات والطبقات

***

قال الدكتور البرازى فى (مقاله) : « دين الاسلام عالمى » وهذا أظهر من الشمس ، وهذا واضح بيِّن مثل ضياء القرآن المضئ الباهر

« إنْ هو إلاّ ذِكرٌ للعالمين »

« قُلْ : يا أيها الناسُ إنى رسول اللهِ إليكم جميعاً »

ومن الأفاكيه التى تُروى للاطراف والتفكيه قول « طائفة من اليهود يقال لهم : العيسوية — وهم أتباع عيسى الأصفهانى — إن محمداً رسول الله صادق مبعوث إلى العرب وغير مبعوث إلى بنى اسرائيل [1] » وقد ذكر ابن حزم هذه الطائفة ومقالتها فى كتابه (الفِصَل فى الملل والأهواء والنحل) قال : « العيسوية هم أصحاب أبى عيسى الأصبهانى كان باصبهان ، وبلغنى أن اسمه كان محمد بن عيسى ، وهم يقولون بنبوة عيسى ابن مريم ومحمد (صلى الله عليه وسلم) ويقولون إن عيسى بعثه الله (عز وجل) إلى بني اسرائيل على ما جاء فى الانجيل وإنه أحد أنبياء بنى اسرائيل

(١) مفاتيح الغيب

وإن محمداً نبى أرسله الله بشرائع القرآن إلى بنى اسماعيل وإلى سائر العرب كما كان أيوب نبياً فى بنى عيص ، وكما كان بلعام نبياً فى بنى مواب باقرار من جميع فرق اليهود ، ولقد لقيتُ من ينحو إلى هذا المذهب من خواص اليهود كثيراً »

وفى (الفرق بين الفرق) للبغدادى : « وقوم من شاذكانية اليهود حكوا عن زعيمهم المعروف بشاذكان أنه قال : إن محمداً رسول الله إلى العرب وإلى سائر الناس ماخلا اليهود . وأنه قال : إن القرآن حق ، وإن الأذان وإقامة الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج الكعبة — كل ذلك حق ، غير أنه مشروع للمسلمين دون اليهود »

قلت : إن الله (عز وجل) يقول :

« وأرسلناك للناس رسولا [1] »

« وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين »

فهل ترى هــذه الطائفة أو ترى يَهودُ أنهم ليسوا من الناس . . . وليسوا من العالمين . . . ؟؟

الاسكندرية (***)

(١) فى (روح المعانى) : فيه رد على من زعم اختصاص رسالته (صلى الله عليه وسلم) بالعرب فتعريف الناس للاستغراق

جورجيـــاس
او البيان
لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٣ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفيير »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — شيروفون : صديق سقراط : « سه »

٣ — جورجياس : السفسطائى : « ج »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكلس : أثينى : « ك »[(١)]

ط — حسن ! وما دمت تُعجب بمهارتك فى فن البيان ، وبقدرتك على تعليمه للغير ، فأخبرنى ما هو موضوع ذلك الفن . إن لفن النسج مثلاً موضوعاً هو صنع الأقمشة . أليس كذلك ؟

ج — بلى

ط — وموضوع الموسيقى هو تأليف الألحان ؟

ج — نعم

ط — ياجينون[(٢)] ! إنى لمعجب جداً بإجاباتك ياجورجياس ! إذ لا يستطيع أحد أن يجيب بأقصر من ذلك !

ج — وأنا أغبط نفسى لنجاحى التام فى هذه الناحية !

ط — الحق أنك غير مخدوع فى ذلك قط ! فأرجو أن تجيبنى بالمثل عن علم البيان وأن تخبرنى عن موضوعه !

ج — موضوعه الخطب والأحاديث

ط — أية خطب يا جورجياس ؟ أتلك التى تشرح للمرضى قانون الغذاء الذى يجب أن يتبعوه كيما يتم لهم الشفاء ؟

ج — كلا

ط — إذا لا يشمل موضوع البيان كل أنواع الخطب ؟

ج — من غير شك

ط — ولكنه يعلم الناس — مع ذلك — الكلام ؟

ج — نعم

ط — وهو يعلم أيضاً التفكير فى سبب تعليمه الكلام ؟

ج — نعم دون ما تناقض

ط — ولكن ألا يبحث فن الطب ـ الذى اتخذناه مثلاً ـ ويتكلم فى الأمراض ؟

ج — بالضرورة

ط — وإذاً أيكون الكلام من موضوعات الطب كما يبدو ؟

ج — نعم

ط — أو بالأحرى الكلام الذى يتعلق بالأمراض على الأقل ؟ !

ج — تماماً !

ط — وبالمثل، ألا يكون موضوع « الرياضة البدنية » هو الكلام فى حسن استعداد الجسد أو سوئه ؟

ج — هذا صحيح

ط — وهل الأمر بالمثل في الفنون الأخرى يا جورجياس ؟ هل موضوع كل منها هو الكلام المتعلق بما تعالجه من شئون ؟

ج — يلوح ذلك

ط — ولم لا تطلق إذاً اسم « البيـان » على تلك الفنون الأخرى التى موضوعها « الكلام » ما دمت تطلق هذا الاسم « إطلاقاً »[(١)] على فن موضوعه الكلام ؟

---

(١) بدأت المحاورة فى العدد الماضى . وقد انتهت هناك بدخول جورجياس فى المناقشة مجيباً على أسئلة سقراط الذي أراد أن يعرف من السفسطائى موضوع الفن الذى يمتهنه ويدعى أنه أفضل الفنون وأجلها . وسنرى اليوم كيف يحاوره سقراط ويكشف عن جهله بحقيقة مهنته !

(٢) أحد آلهة اليونان (المعرب)

(١) قد زدنا هذا اللفظ من عندنا لتنبيه القارىء إلى قصد سقراط (المعرب)

ج — يرجع السبب في ذلك يا سقراط إلى أن الفنون الأخرى تكاد تتعلق فقط بأعمال اليد أو بما يشبه هذه الأعمال من إنتاج . أما البيان فلا ينتج أى عمل يدوى . ولا يقوم كل أثره ونفوذه إلاّ فى الكلام فحسب . وهذا ما يجعلنى أصرح بأن موضوع البيان هو الكلام ، وما يجعلنى أدعى أن قولى هذا صحيح !

ط — أعتقد أنى فهمت ما تريد أن تمنيه بذلك الفن . ولكنى أريد أن يزداد الأمر وضوحاً فأجبنى : أليست عندنا فنون كثيرة ؟

ج — بلى !

ط — ومن هذه الفنون — كما أظن — ما يقوم فى أساسه على العمل دون أن يحتاج لغير أقل قدر من الكلام ، أو دون أن يحتاج إلى كلام قط ؛ فيتم عمله فى صمت تام كالحفر والتصوير وفنون كثيرة أخرى مما قد قلت عنها — فيما يتراءى لى — أنها لا تتصل بالبيان قط ؟ أصحيح هذا ؟

ج — إنك لتمسك بفكرتى تماماً يا سقراط

ط — هذا بينا توجد على النقيض فنون أخرى تعتمد تقريباً على الكلام ولا تحتاج إطلاقاً إلى أي عمل action كالحساب والإحصاء والهندسة ولعب الشطرنج وفنون أخرى كثيرة ، إذ بين هذه ما يتطلب من الكلام أكثر مما يتطلب من العمل ، بل إن أغلبها يتطلب بالفعل « كلاماً » أكثر . ولذلك تقوم كل قوتها وأثرها فى الكلام فحسب . فترى هل البيان من ذلك النوع الذي ذكرتُ كما يبدو ؟

ج — إنك تقول حقاً

ط — ومع ذلك فقصدك — كما أظن — ليس إطلاق اسم البيان على أحد هذه الفنون ، لأنه ما إن تقول عامدين إن البيان فن تقوم كل قوته فى الكلام حتى يتعلق بعضهم بالألفاظ ويخرج منها قائلا : « إنك إذاً تطلق البيان على الحساب يا جورجياس ! » . ولا أحسب أنك تسمى الحساب أو الهندسة بهذا الاسم [1]

ج — إنك مصيب يا سقراط وقد فهمت قولى كما يجب أن يفهم !

(١) تلاحظ هنا براعة سقراط وأدبه فى الحوار . إنه يكاد يشفق على محدثه الجاهل ويرده إلى الصواب فى أدب ساخر وتصحيح سليم

ط — إذاً أتمم إجابتك على سؤالى . ما دام البيان أحد هذه الفنون التى تعتمد على الكلام اعتماداً أساسياً ، وما دامت هناك فنون مثله فى ذلك الاعتماد ، فأخبرنى من أية ناحية يعتمد البيان على الكلام [1] ؟ إذ لو سألنى مثلا أحدهم عن موضوع فن من الفنون التى أسميها بأسمائها وقال ما هو الحساب يا سقراط ؟ فإنى أجيبه — كما أجيب الآن — بأنه أحد الفنون التى تعتمد تماماً على الكلام . فاذا سألنى ثانياً : من أية ناحية ذلك الاعتماد ؟ أجبته : من ناحية الزوج والفرد كيما ندرك عدد الوحدات فى هذا وفى ذاك . . . وهو إذا سألنى بالمثل عن الاحصاء قلت له أيضاً إنه أحد الفنون التى كل قوتها فى الكلام . فاذا طلب : من أية ناحية ذلك ؟ قلت : — كما يفعل جامعو الأصوات فى الجمعية — إن الاحصاء يقوم للفنون الأخرى مقام الحساب لأن موضوعهما واحد : أى معرفة الزوج والفرد . وهناك فقط هذا الفارق : وهو أن الاحصاء يبحث فى كمية الزوج والفرد لا إطلاقاً فحسب ، ولكن أيضاً فى علاقات هذه الكمية ونسبها . وكذلك إذا سألنى أحدهم ثانياً عن الفلك وأضاف بعد قولى له إنه فن يعبر بالكلام عما هو فى دائرة اختصاصه — أضاف : على أى شىء ينطبق القول فى الفلك ؟ أجبته بأنه ينطبق على حركة الكواكب والشمس والقمر كما يمتد فيتناول علاقات سرعتها بعضها ببعض [2]

ج — حسن جداً يا سقراط

ط — إذاً أجبنى بالمثل يا جورجياس ! أليس البيان أحد هذه الفنون التى تعالج كل شىء وتنجزه بالكلام ؟

ج — هذا صحيح !

ط — ولكن أخبرنى من أية ناحية هذا ؟ وما هو الموضوع الذى يتصل به ذلك الكلام الذى يستعمله البيان ؟

ج — إنه يا سقراط أعظم أعمال الإنسانية وأرفعها ! [3]

(١) قصد التحديد وعدم إطلاق الألفاظ بلا تدقيق ظاهر (المعرب)

(٢) أرجو ألا يمل القارئ من كثرة الأمثلة إذ لاشك فى طرافتها وضرورتها لاقناع العقول المهوشة العلم

(٣) لاحظ اللف والدوران واستعمال الكلمات الطنانة !

ط — لم يزل ما تقول يا سقراط موضع شك وغموض ! ويبدو لى أنك قد سمعت فى الولائم تلك الأغنية التى يعدد فيها الندماء خيرات الحياة ويقولون إن أول هذه الخيرات هو اللبس الحسن ، وثانيها الجمال الرائع ، وثالثها الغنى الحلال كما يقول مؤلف هذه الأغنية ؟

ج — لقد سمعتها حقاً ولكن لم تذكرها ؟

ط — ذلك أن أصحاب هذه الخيرات التى يتغنى بها الشاعر كالطبيب ، ومدرب الرياضة البدنية ، ورجل الأعمال ، سيقفون فى الحال إلى جانبك ، وسيبدأ الطبيب فيقول لى إن جورجياس يخدعك يا سقراط لأن موضوع فنه ليس من خيرات الانسانية الكبرى فى شىء ، بينما موضوع فنى أنا هو الذى يتصل بهذه الخيرات ! فإذا سألته : وما مهنتك أنت يا من توسل هذا القول فإنه سيقول : « إننى طبيب ! » وإذا ما سألته : ماذا ؟ أتدعى أن أعظم خيرات الانسانية هو ما ينتج من فنك ؟ أفلا يحتمل أن يقول لى متسائلاً : وهل يستطيع أحد أن يجحد ذلك ما دامت « الصحة » هى ثمرة هذا الفن ؟ وهل هناك خير يفضل الصحة لدى الناس ؟[1]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) أظن أن ليس هناك أبرع ولا أمهر من هذا الرد (المعرب)

حــــواء

... ديوان شعر طريف فى الغزل العرفانى يصدره الأستاذ الحومانى تحت هذا الاسم وستقدم الرسالة لقرائها نماذج منه فى أعدادها التالية ريثما ينتهى طبع الديوان

عبقر الفنان

الأمانىُّ أَعْلَقَتْ بِيَ عينيـــكِ وعيناكِ رمز هذى الأمانى
كيف لا أرصد النجوم لعينيـــكِ طَوالَ الدجى ولى عينان ؟
أفما جالتا — وقد خفق الحا لم — من وجنتيكِ فى بستانِ ؟
تملأ النفسَ منه بالأمل الغضّ رُؤى عبقرية الألوان
لا عيون الرائى تفوز بما تُبـ صرُ منها ولا أَكفُّ الجانى
إنما هن فى السما مُثُلُ الفنّ وفى الأرض عبقر الفنان

روح الله

مبدعَ الفن ! أىُّ كفيكَ خطَّت عجب الفن تحت هذى الجباهِ ؟
فى صدور تموج تحت صدور وشفاهٍ تهتز فوق شفاهِ ؟
إن فى الابتسام والدمع سِرًّا هو غير العيون والأفواهِ
أهوَ الحبُّ خلقهن ؟ وما الحبُّ ؟ هل الحب غير روح الله ؟
آمنت فيكَ هذه الناس ساهيـــنَ وآمنتُ فيك غير الساهى
قد تحسست ذات قدسك لا فى النا ر مسجورة ولا الأمواهِ
إنما الحب دمعة وابتسام وهما أنت فى الحقيقة لاهى

الحومانى

أحمد الاسكندرى بك

بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته

١٨٧٥ – ١٩٣٨

بقلم تلميذه وصهره
الأستاذ محمد أحمد برانق



اتصل بى كثير من الأدباء الذين يقدرون المغفور له الأستاذ أحمد الاسكندرى قدره ، ويقرون له بالفضل (وبخاصة أدباء لبنان وفلسطين وغيرهما من الأقطار الشقيقة) ، وطلبوا إلى أن أقدم لهم كلمة فى تاريخ حياته ، وموجزاً عن آثاره العلمية والأدبية ، ليكون نواة لما يقال عنه فى حفلة تأبين يقيمها أدباء بيروت ، ولما يلقى من محطة الاذاعة فى فلسطين ، ولكن شدة وقع المصيبة كاد يصرفنى عن كل شىء حتى هذا ، إلا أنى غالبت ذلك الضيق الذي أحس مرارته في نفسى ، واستطعت أن أكتب ما أرجو أن يكون فيه بعض الغناء إلى حين ، حتى إذا أمكنتنى الفرصة من وضع يدى على آثاره الأدبية المخطوطة ، جلوتها للأدباء ، وفاء له ، واعترافاً بفضله

نشأته :

صدر العلماء ، وغرة الأدباء ، وباقعة عصره – أحمد بن على عمر الاسكندرى ، ولد فى مدينة الاسكندرية فى ٢٦ فبراير سنة ١٨٧٥ ، تعهده أبوه بالتعليم ، وبعد أن حفظ القرآن وأجاده التحق بالمعهد الدينى بالأسكندرية المعروف بجامع الشيخ . وأكب على التحصيل ، ولكن مناهج التدريس لم تشبعه ، فكان يقرأ الكتب التى تقع تحت يده ، ومنها قصص عنترة ، وأبى زيد ، وسيف بن ذى يزن وألف ليلة وليلة ، ونحوها ، فأولع بالأدب ، وقرض الشعر يافعاً ، وعرفه بعض أبناء الأعيان المتأدبين ، ولكن الأفق العلمي فى الاسكندرية أصبح محدوداً أمامه ، فرغب فى النزوح إلى القاهرة حيث الأفق أوسع ، ولكن والده لم يوافقه ؛ إلا أن الهمة البعيدة الموهوبة ، تفك القيود ، وتحطم الأغلال ، وتحتال لتقهر كل صعب ، فصمم الغلام أحمد الاسكندرى على الرحلة إلى القاهرة ، وجمع كتبه وحزمها ، وخرج فى غفلة من أهل الدار ، وليس فى جيبه إلا دريهمات كان قد ادخرها ، وصحبه فى سفره اثنان لا أذكر اسميهما ، أما أحدهما فإنه تخلف فى حدود الاسكندرية ، وأما الآخر فإنه صحب أحمد وركبا مركباً يسير فى ترعة المحمودية حتى وصلا إلى مدينة كفر الزيات . وهنا نفد زادهما ودريهماتهما ، فعاد الرفيق إلى الاسكندرية ، أما هو فان عزمه حديد لا يفل ؛ فقد حمل كتبه على ظهره ، ومشى على قدميه من مدينة كفر الزيات حتى وصل إلى القاهرة وهو حدث .

والتحق بالأزهر ليتلقى علوم اللغة والدين . وفى سنة ١٨٩٤ التحق بمدرسة دار العلوم ، وكان أصغر زملائه سناً ، وأنبههم ذكراً ، وأوسعهم معرفة . وكان من عادة المدرسة حينئذ أن تعقد فى أول كل سنة دراسية اختبارا عاماً لطلبة المدرسة فى كتب تعينها لهم ، ثم فى المعلومات العامة ، فكان الاسكندرى فى كل عام فارس الحلبة الذى لا يدرك ، فتخصه المدرسة بجوائزها

وكان أيام الطلب مبرزاً فى مادة الانشاء بديع الصنعة ، مليح الصيغة . كتب أول أمره على الطريقة الشائعة إذ ذاك ، وهى طريقة السجع ، وله موضوعات كانت موضع إعجاب أساتذة الانشاء فى عصره ، فأطروها ونشروها منسوبة إليه فى كتبهم ؛ ولعل من هؤلاء الشيخ مفتاحاً – إن لم تكن الذاكرة قد

خانقى — فإنه نشر له موضوعاً فى وصف قنطرة قصر النيل (الخديو إسماعيل الآن) فى كتاب له

تخرج فى دار العلوم سنة ١٨٩٨ ، واشتغل بالتدريس فى المدارس الأميرية، ثم كان ناظراً لمدرسة المعلمين فى الفيوم والمنصورة؛ وفى هـذه الأثناء ظل على نشاطه الفكرى ، فأخذ من محاسن الآداب بأوفر حظ

فى دار العلوم

فى سنة ١٩٠٧ انتقل إلى دار العلوم لتدريس مادتى الانشاء والأدب العربى وظل يزاول ذلك العمل بتلك المدرسة زهاء سبعة وعشرين عاماً ، ألف فى أثنائها كتاباً عن الأدب العربى فى العصر العباسى ، أجمع الأدباء على أنه كان المعين الذى استقى منه جميع من بحثوا فى تاريخ الأدب من بعده . ووضع لطلبته مذكرات فى العصور الأخرى ، كانت وما تزال عدة الطلبة ، يجدون فيها طلبتهم فيستعينون بها على تهيئة أنفسهم لأن يكونوا أدباء باحثين لما تحتويه من الحقائق العلمية والفنية الخالية من الزخرفة والتهويل ، ولأنها ترسم لهم طريق البحث فى أحدث صورة

وكان منهج تاريخ الأدب فى دار العلوم يحتوى فوق النظريات العامة تراجم كثيرة لعدد كثير من الكتاب والشعراء والخطباء والعلماء وغيرهم ؛ فكانوا يضطرون إلى وضع مختصرات تشبه المتون ؛ وهذا لا يعلم الطلبة ، ولا يربى فيهم ملكة البحث فاقترح — رحمه الله — أن يكتفى بدراسة بضع تراجم بحيث يدرس المترجم دراسة تفصيلية تحليلية وافية ، يرى فيها الطلاب نبراساً يهتدون به إذا حاولوا مزاولة البحث أو تصدوا لاستقصاء أى عمل علمى ؛ وحمل هو هذا العبء بادئاً ونهض به . وكان من حسن حظى أن كنت من أول من تتلمذوا عليه حين زاول هذا العمل ، فاستفدنا منه أجل فائدة ، وهو أول من اقترح تدريس فقه اللغة فى مدرسة دار العلوم ، وكان غير معروف من قبل فى المدارس المصرية . وتقدم لعمل المنهج ، وحمل عبء تدريسه ، فقسمه قسمين : قسم فلسفى نظرى يتعلق بنشأة اللغات والاشتقاق والنحت واختلاف اللهجات وغير ذلك ؛ وقسم نظرى يتعلق بوضع الألفاظ اللغوية للمسميات ، وكان مجدداً فى ذلك ، فوفقه الله كل التوفيق ، وجاء من بعده فاهتدوا بهديه ، وساروا فى نهجه

وفى سنة ١٩٢٢ عرض عليه موظف كبير كان بوزارة المعارف أن يزج بنفسه فى المعترك السياسى ، وأن يحرر مقالات ينشرها فى الصحف اليومية ، يؤيد بها حزباً معيناً ، فأبت عليه نفسه أن يفعل ، محتجاً بأن العلماء أحرى بهم ألا يكونوا ساسة ، وأن ما يتطلبه العلم من الأخلاق غير ما تتطلبه السياسة

وجميع من تخرجوا فى دار العلوم من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٣٤ تتلمذوا عليه ما عدا فرقتين اثنتين

فى الجامعة

وفى سنة ١٩٣٣ اختير أستاذاً للأدب العربى بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ، فاضطلع بذلك العمل على أكمل وجه وأتمه ، فأحبه تلاميذه ، وأقبلوا عليه ، وأفادوا منه

فى المكتب الفنى

وفى سنة ١٩٣٥ كتب إليه وزير المعارف إذ ذاك خطاباً يخبره فيه أنه يريد أن ينتفع بعلمه الواسع وتجاربه الطويلة فى المكتب الفنى فى وزارة المعارف ، فكان فيه عضواً عاملا ؛ وكانت له مشاركة تامة فى وضع مناهج اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية ، وفى مراجعة الكتب العربية لهذه المدارس

فى المجمع اللغوى

عند ما أنشئ المجمع اللغوى الملكى فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ وقع عليه الاختيار ليكون عضواً من أعضائه . وإن من يراجع محاضر جلسات المجمع فى سنواته الخمس ، يجد أنه كان المحور الذى تدور حوله المقترحات والمناقشات ، فكان بحق كما وصفه بعض العارفين : « مخ المجمع » . ولما تكونت اللجان الفرعية ساهم فى أكثرها ، فكان عضواً فى لجنة الرياضيات ، ولجنة العلوم الطبيعية والكيميائية ، ولجنة علوم الحياة والطب ، ولجنة المجلة ، ولجنة خزانة الكتب ، ولجنة الميزانية ، ولجنة الأصول العامة ، فكان عضواً فى سبع لجان من إحدى عشرة لجنة

تعصبه للغة العربية

كان يحب اللغة العربية ويتعصب لها تعصباً جعله يصف من يتهاون فى أمر من أمورها بالزندقة والالحاد . وكان يعتبر التساهل وفتح الباب للغات الأجنبية ، لغزو اللغة العربية ، جريمة شنيعة

ومن يرجع إلى محاضر جلسات السنة الأولى للمجمع اللغوى يجد أنه جاهد جهاداً شديداً حتى جمل المجمع يوافق على عدم اللجوء إلى التعريب إلا لضرورة قصوى . وكان يعجب من القوم الذين يعيبون على المجمع استعمال ألفاظ غريبة لمسميات جديدة ، لأنه كان يرى أن هذه الألفاظ وإن بدت غريبة الآن فإنها بالاستعمال والمران تسهل على السمع وتجرى على اللسان ، وهى أصون للغة من الدخيل . وله فى مسألة التعريب مواقف مشهودة وقفها فى نادى دار العلوم القديم الذى كان يرأسه المرحوم عاطف بركات باشا ، وفى المجمعين اللغويين الأهليين القديمين اللذين رأسهما المغفور له العلامة الشيخ سليم البشرى ولطفى السيد باشا ؛ ومبدؤه هذا كان يبثه فى تلاميذه ، ويحضهم على الاستمساك به ، حتى لتجد جمهرتهم إن لم يكن كلهم من رأيه ومبدئه

مؤلفاته

أول كتبه كتاب تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى ، ثم ألف كتاباً عن اللهجات العامة ، قدمه لمؤتمر المستشرقين سنة ١٩١١، ورأيته عنده مخطوطاً ولم يقع نظرى عليه منذ سنتين. ثم ألف كتاباً للمطالعة للمدارس الثانوية فى عدة أجزاء ، وسماه « نزهة القارىء » طبع منه جزءين نفدت منهما طبعات ، قررته وزارة المعارف سنة ١٩٣٤ ، ولكن أموراً شكلية تتعلق بشروط قائمة بينه وبين (مكملان) حالت دون التنفيذ

وألف كتاباً عاماً فى الأدب العربي فى جميع عصوره ، يقع في بضعة آلاف صفحة ، وكان فى نيته أن يطبعه ، واشتغل فى السنة الأخيرة من حياته بوضع مقدمة له وصفها هو بأنها : تقع من تاريخ الأدب موقع مقدمة ابن خلدون من التاريخ ؛ وأعد العدة لذلك ، ولكن عاجلته المنية ، فاقتطعه دون الأمنية

وله بعد ذلك مؤلفات فى فقه اللغة كان يضعها لتلاميذه ؛ لكنه لم يجعلها كتابا عاما لاعتقاده أن هذا من شئون الخواص . واشترك مع غيره في وضع كتب مدرسية فى التاريخ العام وتاريخ الأدب والنصوص الأدبية أكثرها يدرس اليوم . وليس المقام هنا مقام البحث فى هذه الكتب ودراستها ، ولكنه مجرد سرد موجز لما عمله .

أخلاقه وصفاته وعلمه :

كان هينا ، ليناً ، صريحاً ، أبيا ، عذب الحديث ، بارع الجد ، حلو الفكاهة ، سريع الخاطر ، حاضر النكتة ، ظريف التفصيل والجملة ، ميالا إلى العزلة ، فكان يقضى فى بيته أياما لا يبرحه . وكان كثير القراءة ، تمر به أيام يقرأ فيها خمس عشرة ساعة أو أكثر فى اليوم . وكان سريع التعليق ، ويقتنى مكتبة عظيمة ، وليس فيها كتاب لم يقرأه ولم يعلق عليه .

وكان أهم ما يعنى به فى قراءته بعد أن استوعب الكتب القديمة مطبوعة وخطية ـ هو الكتب المترجمة ، وكان أول ما يقرأ فى الصحف برقياتها الخارجية

أما معلوماته العامة فواسعة المدى ، فهو سياسى مع الساسة ، وأثرى مع علماء الآثار ، ومصور مع علماء التصوير ، واجتماعى مع رجال الاجتماع ، وهو كذلك رياضى وطبيعى وكيميائى ومؤرخ. وكانت له فى كل هذه العلوم مشاركة تامة تدل على استبحاره . والموضوعات التى عالجها فى كتابه نزهة القارىء ، والكلمات التى وضعها فى مجلة المجمع ، ورسالته الأخيرة التى قدمها للمؤتمر الطبى العربى ببغداد ـ كل هذا يشهد بأنه كان ذا نشاط جم ، وعقل جبار.

ومجالسه مع أصدقائه تشهد بما كان له بينهم من جليل القدر وعظيم الأثر. حدثنى أحد الفضلاء أنه شكا إليه يوما تخبط الكتب الانجليزية واضطرابها فى شرح نظرية دارون ، وأنه تعب كثيرا فى التقصى والبحث إلا أنها لم تصر جلية فى ذهنه كما يجب ، فأفاض الشيخ فى شرح هذه النظرية ببيانه المعروف عنه ، وتوضيحه وتذليله وتصويره للحقائق فى أيسر صورها ، حتى ترك صاحبه ومن كانوا معه يقولون : كأن دارون لم يفض بحقيقة نظريته إلا له ، فاختصه الله القدرة على تفهيمنا .

وحدث صديق له قال : صحبته وبعض خلصائه يوماً إلى دار الخيالة ؛ وما كدنا نصل إليها حتى أبدي أحدنا غرابة مما وصل إليه العلم من عرض الصور الصغيرة وتكبيرها ؛ ثم تسجيل الصوت ؛ فما كاد يسمع منه ذلك حتى انطلق يشرح لهم نظريات عن فن التصوير والعدسات وأنواعها وكيفية استعمالها ، ثم عن التقاط الأصوات فى (الأستديوهات) وما يعانيه الممثلون والممثلات . والتفت حوله جمع من الناس وأقبلوا عليه بمجامعهم ،

يستمون منه ، معجبين به ، بل ودبمضهم لو أبطل صاحب الخيالة خيالته ليتم له هو حديثه .

من ذلك تعلم أنه تبوأ مكانه بجدارة بين علماء عصره . وكان ركنا عظيما تعتمد عليه وزارة المعارف والمجمع اللغوى والهيئات العلمية والأدبية .

وكان إذا أراد أن يعالج موضوعاً عالجه غيره من المحدثين لا يطلع على ما كتبه ذلك الغير إلا بعد أن يكتب . وكان فى كبره لا يهاجم من يخطئون كما كان يفعل أيام شبابه ، ولكنه كان يرد عليهم فى أثناء بحثه من غير إشارة إليهم ومن غير أن يسميهم من قرب أو من بعد .

وكان موضع الثقة من كثير من العلماء الأعلام ، يراسلونه ويستفتونه فى كثير من المسائل التى يشتبه عليهم الأمر فيها ، أو لا يهتدون إلى مصادرها ، ومن هؤلاء الفضلاء الأب أنستاس مارى الكرملي ؛ فان رسائله لم تنقطع عنه حتى فى أيام مرضه الأخير . وكان الأب على جلالة قدره يعترف له بالفضل والأستاذية ، كما كان يعترف غيره . كتب إليه يوماً يقول : « ... جاءنى كتابك وفيه من سبحات النور ما جعلنى أدعو الله أن يزيدك فضلاً وعلماً للمستجيرين بك واللائذين إلى بحر عرفانك الجم . ولو كان فى الاسلام فى عصرنا هذا عشرة مثلك فى مصر . لانتقل الحنفاء جيعهم إلى هذه الديار المباركة للاقتباس من فيض نورك المتدفق ... الخ » .

وكان فى جلسات المجمع الأصلية والفرعية إذا أشكل أمر أو أظلمت مسألة خرج هو على الأعضاء بما يزيل اللبس ويكشف الغموض والابهام . وكانوا جميعاً يعترفون له بالسبق ، ويعتبرونه جهيزة تقطع قول كل خطيب . قال الدكتور منصور فهمى بك عضو المجمع اللغوى فى معرض رثائه : « ... إننا أمس الأول — حين جمعتنى وبعض زملائك حلقة من حلقات المجمع اللغوى — كنا نقول فيما كنا نتذاكر فيه : انتظروا السكندرى ، وأرجئوا المسألة فعند السكندرى علم ما أشكل علينا ، ولديه حل ما استعصى علينا ، والآن يموت حلال المشكلات ، والمرتجى فى اللغة للمستعصيات ... الخ »

وعند ما سافر سنة 1911 إلى مؤتمر المستشرقين فى بلاد اليونان بصحبة المغفور لهم : الأمير فؤاد (جلالة الملك فؤاد) ، وأمير الشعراء أحمد شوقي بك ، وأحمد زكي باشا ، وحفنى ناصف بك ، وغيرهم ، خطب فى موضوع اللغة العربية الفصحى ، وقلة انتشارها بين الغالبية العظمى من أهل الممالك الاسلامية المختلفة ، وعرض على جماعة المستشرقين استفتاء فى رأى المرحوم يعقوب أرتين باشا وكيل وزارة المعارف إذ ذاك ، فى : « هل يجوز أن تحل فى كل بلد لغة أهله العامية — وهى لغة السواد الأعظم — محل اللغة الفصحى فى الكتابة ، وتستعمل فى المخاطبة ؟ » وذكر لغات هذه البلاد العامية ولهجاتها المختلفة ، وأدب كل لغة فى نثرها ونظمها ، وقرأ ذلك من كتاب له غير مطبوع ... قال إن يعقوب باشا كافه بوضعه عن لغات هذه الشعوب الاسلامية العامية ، فقضى فى بحث هذه اللغات واللهجات بضع سنين ، واقتبس منها ما دونه فى كتابه المذكور ، وهى لغات العامة فى بلاد العرب والشام والعراق ومصر وتونس والجزائر ومراكش وغيرها من البلاد التى يتكلم أهلها اللغة العربية بلهجتها العامية الخاصة بها . وقد اهتم المستشرقون بهذا البحث وناقشوه فيه ، وقضوا وقتاً طويلا فى مباحثته ومساجلته ، ثم انتهوا من ذلك إلى قرار صريح بأن : « اللغة العربية الفصحى هى اللغة التى تصلح للبلاد الاسلامية العربية للتخاطب والكتابة والتأليف ؛ وأن من واجب حكومات هذه البلاد أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضى على اللهجات العامية التى لا تصلح كلغة أساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق » . وكان هذا القرار فوزاً بالغاً له سر به المجمع ، لأنه كان تعزيزاً لرأيه ضد رأى أرتين باشا ، وهو تصيير اللغة العامية ، وإحلالها محل اللغة العربية الفصحى

وفاته

وفى منتصف الساعة الخامسة من مساء الثلاثاء 18 من صفر سنة 1357 — 19 من إبريل سنة 1938 : لحق بالرفيق الأعلى ، على أثر مرض ألزمه الفراش أسبوعين ولم يُجْد دواء الطبيب ، فلكل أجل كتاب :

دخل الدنيا أناس قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا
فنزلناها كما قد نزلوا ونخليها لقوم بعدنا

محمد أحمد برانق

الإسلام في فارس

للأديب حسن حبشي

لعل أبلغ معجزة للاسلام هي تلك السرعة التي وسم بها انتشاره في رحاب المعمورة ، حتى لقد خفق لواؤه في مدى قرن من الزمان على كثير من بلدان آسيا وإفريقيّة ، وتغلغلت شريعته وحبه والايمان به في نفوس قوم درجوا على الشرك ، وكانوا لا يألون جهداً — هم وأسلافهم من قبل — في صدّ كل عادية عنه . ومن مظاهر هذه المعجزة إسلام التتر بعد أن كاد الاسلام أن يحتضر من خطبهم وتدميرهم ، فلقد كانوا « المصيبة الكبرى التي عقّتِ الأيام والليالي عن مثلها ، فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها[1] » فاذا هم — بعد اعتناقهم إياه — من أكبر الذّابين عن حياضه ، المدافعين عن بيضته . ويذهب السير توماس أرنولد في تعليله لهذا الانتشار والسبق الذي اختُص به الاسلام دون غيره إلى ما اتّسمَت به العقيدة الاسلامية من بساطة لا تعقيد فيها ، وإلى وحدانية الله ، وإلى أن محمداً عبده ورسوله[2]

لقد درج الاسلام في بلاد الحجاز ، ثم ما لبث أن اتسعت رقعته وامتدت فتوحه شرقاً وغرباً فأصبحت العراق وفارس ومصر والشام وفلسطين وبلاد الخزر وإفريقية والنوبة والهند إمارات إسلامية قد انتقلت من الشرك والاضطهاد والنضوب الفكرى إلى وحدانية مشرقة ، وعدل أظل الجميع بفيئه ، ونهضة اجتماعية وذهنية غيرت معالم الحياة بأسرها . ولا غرو فالاسلام في جوهره دين عقلي بأوسع ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى[3]

وتاريخ الاسلام في مبدئه هو تاريخ تلك الأقطار المفتوحة ، وحسبنا في هذا البحث الموجز أن نرى مدى انتشاره في إيران وإن ذهب أهلها شيعاً وتباينوا عقائد

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ (طبعة مصر سنة ١٣٠١ هـ) ج ١٢ ص ١٦٤ - ١٦٥

(٢) Sir Thomas Arnold : Preaching of Islam (Luzac 1935. P. 413.

(٣) E. Montet : La propagande chrétienne et ses adversaires musulmans (Paris 1890) P. 17

ويرتبط تاريخ إيران الاسلامية أيما ارتباط بهذه الجماعات التي كانت تفد عليها متاجرة أو مهاجرة من جهة ، ومن جهة أخرى بتاريخ الملوك والخانات الذين كان لبعضهم فضل الجهاد في سبيل نشر الدين ، وإن وجدوا في كثير من الأحيان إقبالاً من الشعب نفسه يرجع في جرثومته إلى أسباب عدة ليس هذا مجال بحثها . كما أن بعض القواد لم يدخر وسعاً في سبيل نشر الاسلام فكان ابن القاسم فاتح بلاد الهند داعيةً من دعاته ، وأحد الحريصين على بث مبادئه العاملين على بسط نفوذه ، فلقد عرض على أمراء الهنود اعتناقه[1] ، ولم يكن الطمع في الغنيمة فحسب هو الدافع للجند العرب المسلمين على الاستبسال والاستماتة في هذه الفتوح العظيمة[2] ؛ تلك الروح التي تتمثل في قول خالد ابن الوليد حين لاقاه أهل الحيرة فقال لهم « أدعوكم إلى الاسلام فان أنتم فعلتم فلكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم ، وإن أبيتم فأعطوا الجزية ، فان أبيتم فقد أتيتكم بقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة[3] »

* * *

لقد كان فتح العرب لبلاد فارس حادثا جديدا في تاريخ الاسلام من الناحيتين الفكرية والاجتماعية ، كما كان له أثره القوى فيما بعد — في الناحية السياسية والدينية لِما ظهر عند أهله من هوى عنيف للمذهب الشيعي ، وإن أرجع بعض المستشرقين هذا الميل إلى زواج الحسين بن عليّ « بشاه بانو » إحدى بنات يزدجرد الثالث آخر ملوك آل ساسان ، ومن زعماء هذا الرأي الأستاذ جولد تسيهر .

دخل المسلمون هذه البلاد الغريبة عنهم في حضارتها وتاريخها ونظمها السياسية وتفكيرها ، فكان ثمت احتكاك تولدت عنه نزعات جديدة في كل هذه الأمور ، ولعبت العصبية القومية دوراً خطيراً على مسرح الحياة العامة فكانت دعامة الدعائم في قيام الدولة العباسية التي اتخذت عاصمتها في بلدٍ ينزع أهله إلى تأييدها[4]

(١) Wiot : Hist. of India. Vol I P. 175

(٢) H. A. R. Gibb : The Arab Conquests in Central Asia

(٣) أبو يوسف : كتاب الخراج (مصر ١٣٠٢ هـ) ص ٨٤

(٤) Cf : Le Strange : Bagdad under the Abbasid Caliphate ch I. pp. 1—h.

كانت بلاد الفرس وقت أن دخلها العرب مللاً متباينة ، ونحلا مختلفة متنازعة ، فهناك الصابئة والمجوس وأتباع مانى وزرادشت ، وهناك أهل الكتاب من يهود ونصارى ، فكان القوم بين مشرك ووثنى وموحّد ومثلث ، فلم يكن الاضطراب سياسيا فحسب ، بل كان دينيا كذلك . فوجد العرب هذه البلاد على حال من الفوضى السياسية والاجتماعية والدينية ، فكان العبء عليهم ثقيلا ، وكانت التركة بين أيديهم تتطلب منهم سياسة حكيمة ماهرة ، حتى يستطيعوا أن يبعثوها لغد يزهو على الأمس ، ويجعلوا من أهلها دعاة للحنيفية السمحاء .

لقد مرت القرون تترى والقوم مقيمون على الشرك وعبادة النار والنجوم ، فما أهلّ الاسلام عليهم بنوره حتى تسارعوا زمراً لاعتناقه والدفاع عنه ، فكان أئمة الدين وجلة علمائه من أهل فارس حتى لقد لاحظ ذلك ابن خلدون فقال : « من الغريب الواقع أن حملةَ العلم فى الملة الاسلامية أكثرهم العجم ، لا من العلوم الشرعية ، ولا من العلوم العقلية إلا فى القليل النادر وإن كان منهم العربي فى نسبته فهو عجمى فى لغته ومرباه ومشيخته مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربى [١] » وكان أشد المدافعين عن الدين وعن العرب من رجال الفرس حتى فى الأوقات التى ظهرت فيها العصبية القومية بأجلى معانيها ، وفى الوقت الذى أطلت فيه الشعوبية تزعم ما تزعم من جحود ونكران للواقع ، وكأن هذا الميل القوىّ للاسلام لم يرق فى نظر البعض فذهب Dozy إلى أن مرجع اعتناق الفرس للاسلام أنهم ألفَوا فى القرآن الأركان الأساسية لديانتهم القديمة وإن اختلفت قليلا ، فلم يكن من العسير على الفارسى أن يقبل على عبادة اهرمزدا واهريمان إلهى الخير والشر حيث استترا وراء كلمتى الله وإبليس فى الديانة الجديدة، كما يقول إن الاسلام اتفق والوثنية الفارسية القديمة فى القول بخلق الانسان ووجود الملائكة والبعث يوم القيامة وعودة الروح والجسم ثانية وفى فكرة الجحيم والجنة ، فالتقت العقيدة القديمة

(١) ابن خلدون : المقدمة (طبعة المطبعة البهية بمصر) ص ٤٩٩

والدين الجديد فى هذه النواحى [١] . وغرض دوزى من ذلك الطعن فى إسلام الجماعة الأولى من أهل فارس ، وتجاهل هذه الروح الكريمة التى امتاز بها الاسلام والتى لا زال يغزو بها القلوب حتى فى عصر المادة فلا كبرياء ولا أرستقراطية مستهجنة [٢] »

لم يقتصر فضل الاسلام على الناحية السياسية وانتشال البلاد من التدهور الاجتماعى ، بل تعداها إلى الناحية الدينية بين القوم وغيرهم من أهل الكتاب من النصارى واليهود ، فعامل الجميع معاملة حببت الجماعة فيه ، ولم يرغمهم على التصديق به والايمان برسالته وإنما حاجّهم فان أبوا فليس إلا الجزية ، إذ « هى واجبة على جميع أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة [٣] »

ولم تكن هذه الجزية دينية بحتة ، وإنما كانت كذلك للقيام بالمحافظة على دافعيها وضمان سلامتهم ، فى ظل هذا النظام الجديد الذى لم يألفوه من قبل أيام دولة الأكاسرة التى استبدت وبطشت بالمسيحيين وعصفت بهم ولم تحترم شعورهم ، بل كانت شديدة الوطأة عليهم فلاقى من عنتها اليعقوبيون والنسطوريون ألواناً من العذاب والتنكيل واضطربت أمورهم فى أيامها . أما المجوس فقد اكتفى العرب منهم بالجزية ، فلقد قال أبو يوسف [٤] إنه « ذكر لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قوم يعبدون النار ليسوا يهودا ولا نصارى ولا أهل كتاب (يعنى المجوس) فقال عمر ما أدرى ما أصنع بهؤلاء ؟ فقام عبد الرحمن بن عوف فقال أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وذكر أنه « كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن

(١) Dozy : Essai sur l'hist de l'islamisme (Lyden) P. 156.

(٢) راجع فى الفخر (طبعة مطبعة الموسوعات ١٣١٧ هـ) ص ٧٣ — ٧٤ قصة ورود نبأ انتصار العرب فى فتح فارس إلى عمر بن الخطاب ففيها أبلغ الدلالة على الديمقراطية العربية

(٣) أبو يوسف : نفس المرجع ص ٦٩

(٤) أبو يوسف الخراج ص ٧٤

ساوى أن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم ، له ذمة الله وذمة رسوله فمن أحب ذلك من المجوس فهو آمن ومن أبى فعلية الجزية [١] »

يقول الأمير كايتانى Caetani « لقد كان الاضطراب المنوى الذى ملأ أذهان المسيحيين يسير جنباً إلى جنب مع الفوضى السياسية فى الدولة ، وإذ شغلهم توالى زول هذه الكوارث والتدهور الخلقى الذى حاق بهم من جراء هذا الصراع العنيف بين المذاهب المتنافرة الموجودة بينهم فلقد مالوا إلى هذا النمط الذهبى العجيب الذى يسهل على العقيدة الجديدة أن تتمكن فيه . ولقد كان أهل فارس — وخاصة الأجناس السامية — فى نفس هذه الحال الذهنية مما جعلهم يرحّبون بالثورة الاسلامية التى سرعان ما أزالت من طريقها فساد الماضى ، وساعدها على ذلك ما امتازت به العقيدة الجديدة من بساطة خالصة ، هيأت النفوس لعهد جديد فائض بالآمال وخلصت القوم من الرق » ... لقد شهد بذلك كيتانى وهو من هو فى دراسته للتاريخ الاسلامي والعقلية الاسلامية [٢]

وكان دخول الاسلام بلاد فارس مؤذناً بعصر جديد من التحرر الفكرى ، كما رأى فيه المسيحيون مخلصاً لهم — كما يقول أرنولد — من استبداد ملوك آل ساسان ، ولم يركن المسلمون إلى الشدة والعنف فى سبيل بث مبادئ دينهم هناك ، وما كان إسلام القوم — من مجوس وصابئة ومانوية — عن طريق السيف إذ (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) وما كان الاسلام وهو دين العقل ليحاول أن يخرج عما رسمه من حدود النقاش. وحسبه أن يعرض للأمر من جميع نواحيه فلا يزال يدعمه بالحجة والبرهان الصادقين فى منطق مستقيم حتى يأخذ به من اتبع العقل ولم يكابر فى الحق . وإذا كانت هناك بعثات تبشيرية فإنها لم تكن تسير على خطة دبرها البعض ، وإنما هيأتها الظروف والملابسات وطبيعة الحياة كما كانت مدفوعة بإيمانها الصادق. وكان أغلب هذه الجماعات التى قامت بالتبشير فى فارس والهند وبلاد آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر من التجار الذين كانوا حلقة انصال بين الوثنيين وبين الاسلام أو بين ماض مشرك ومستقبل لا يقر إلا بالوحدانية (قل هو الله أحد الله الصمد) ترفع عن الماديات (لم يلد ولم يولد) وجلّ عن كل ما يخاله الذهن البشرى القاصر عن إدراك ذاته (ولم يكن له كفواً أحد) ؛ فالعامل الأساسى فى تاريخ الفتوح الاسلامية كما يقول الأستاذ جب إنما هو هذا التبادل الدائم بين أهل الأقطار المفتوحة وبين العرب [١]

حسن حبشى

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٧٥ — ٧٦

(٢) Sir T. Arnold : Op. cit. P.P. 207—208

(١) H. A. R. Gibb : Op. cit. P. 4

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي [1]

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٠ —

« أنا لا أعبأ بالمظاهر والأغراض التي يأتي بها يوم وينسخها يوم آخر ، والقبلة التي أتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها ، فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ويزيد في حياتها وسمو غايتها ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة ؛ ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا ، ثم إنه يخيل إلي دائماً أني رسول لغوى بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه ... » الرافعي

مقالاته للرسالة

سأحاول في هذا الفصل أن أتحدث عن كل مقالة من المقالات التي أملاها عليّ الرافعي في الفترة التي صحبته فيها منذ بدأ العمل في الرسالة حتى صيف سنة ١٩٣٥ ؛ وما يجهل القراء أن كل مقالة يكتبها كاتب لها ظروفها وملابساتها ودوافعها ، وما يجهلون أن لكل كاتب عند كل مقالة يكتبها حالةً نفسية خاصة يظهر أثرها فيما يكتبه ، وإني لأعلم أن هذا التاريخ لا يتم تمامه في نفسي ولا يتأدّى مُؤدّاه إلى قارئه على وجهه إلا أن أثبت بعض ما أذكر من دوافع الرافعي إلى كل مقال مما أملاه عليّ ؛ وإني بهذا الفصل لأحاول جديداً في فن الترجمة ؛ فما أعرف كاتباً من كتاب التراجم في العربية حفل بهذا الباب في تاريخ الأدباء ، على أن له أثراً أي أثر في دراسة أدب المترجم يعين على فهمه وتصويب الحكم عليه ؛ فن ذلك كانت عنايتي بهذا الباب ، وإني لأرجو أن تميئني الذاكرة على تمامه حتى أبلغ منه إلى ما أريد ...

***

(١) العدد ٢٥٨

لم يكن بين الرافعي والزيات صلةٌ ما قبل صدور الرسالة ، إلا صلة الأديب بالأديب ، وما أحسبهما التقيا قبلها قط إلا في كتبهما ورسائلهما . ثم صدرت الرسالة فكانت بريد الأدباء عامة إلى الأدباء عامة ؛ وكانت بريد الزيات إلى الرافعي ، فتعارفا وأتلفا وإن لم يلتقيا وجهاً لوجه . . . ومضت أشهرٌ . . .

وتصفّحتُ الرسالة ذات مساء من صيف سنة ١٩٣٣ ؛ فإذا فيها كلمة عن « أوراق الورد [1] » للزيات ، يجيب فيها فتاة سألته أن يرشدها إلى شيء مما كتب أدباء العربية في رسائل الحب . ومضت فترة وكتبت الفتاة « عفيفة السيد . . . » رأيها في أوراق الورد فعابته ونزلت به منزلة . وكان الرافعي في هذه الأثناء بعيداً عن طنطا يصطاف في « سيدى بشر » ، وكان عليّ في هذه الفترة ، والرافعي بعيد عن ميدان الأدب في مصطافه ، أن أجمع له كل ما يهمه أن يقرأ مما كتبت الصحف ؛ فلما قرأت ما كتب الزيات وما ردّت به الفتاة ، قصصته من صحيفته وبعثت به إليه في سيدى بشر ومعه رسالة مني . . . وقرأ الرافعي ما بعثت إليه ، فانتفض قلمه وكتب كلمة للرسالة يردّ بها رأي الفتاة . وكانت كلمة قاسية لم يجدها الزيات إلا فصلاً من « على السفود [2] » لا تقوى على لدعاته الفتاة الناعمة . . . فطوى الزيات كلمة الرافعي ونشر كلمة في الرسالة يعتذر بها إليه وإلى القراء ، ويرجوه بهذه المناسبة أن يكتب للرسالة شيئاً من منثور أوراق الورد . . . ولم يجب الرافعي هذه الدعوة إلا بعد بضعة أشهر

كانت كلمة الرافعي إلى « عفيفة السيد » عن أوراق الورد هي أول ما أنشأ للرسالة من مقالاته ، ولم تنشر . ثم سعى إليه يوماً شاب من المرتزقين بمراسلة الصحف اسمه « يوسف ... » وكان

(١) أوراق الورد ، هو الكتاب الثالث من كتب الرافعي في فلسفة الجمال والحب ، وهو الفصل الأخير من قصة (حب الرافعي) ورأيي فيه منشور في الأعداد السابقة من الرسالة

(٢) على السفود : هو كتاب الرافعي والعقاد ، ولي فيه رأي منشور بالعدد ٢٤١ من الرسالة ، على أني أعترف على نفسي بأني كنت قليل التجربة يوم حكمت حكمي على هذا الكتاب ؛ فإن من الناس طائفة لا يمكن مناقشتها إلا بمثل أسلوب « على السفود »

الرافعي يعطف عليه ويعينه على العيش بما يحسن إليه ؛ وإذ كان الرافعي لا يملك أن يحسن إليه بالمال — والمال في يده قليل — فانه كان يحسن إليه بما يملي عليه من رسائل الأدب ، ليأخذها فيبيعها إلى بعض المجلات فيستعين بما تدفع إليه من ثمنها على حاجات الحياة ، وهو ضرب من الاحسان على قدر طاقة الرافعي !

... جاءه هذا الشاب يسأله ويطلب منه الجواب : « لماذا لا تعالج القصة ؟ »

وأملى عليه الرافعي جوابه ، فذهب فنشره في الرسالة بعنوان « فلسفة القصة » . وكانت أول ما نشر للرافعي في الرسالة (١)

ثم كان عيد الهجرة بعد ذلك بقليل ، فطلبت الرسالة إلى الرافعي أن يكتب فصلاً للعدد الممتاز ؛ فأنشأ مقالة « وحي الهجرة في نفسي » (٢) ؛ وهو فصل كان يعتز به الرافعي اعتزازاً كبيراً ويتمنى لو أتيحت له الفرصة ليتم الحديث عن « فلسفة » حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) على هذا النهج، ليكون كتاباً بتمامه عن السيرة النبوية على نسق غير النسق الذي جرى عليه « القصّاص » ممن كتبوا عن حياة محمد ...

ومضى شهر ، وأهدى إليه الشاعر محمود أبو الوفا « ديوان الأعشاب » وكان مرجوًّا أن يكتب عنه ؛ إذ كان المقصود من طبع هذا الديوان — وطابعه غير صاحبه — أن يكون إعانة مادية لناظمه توسّع عليه ما ضاق من دنياه... !

وقرأ الرافعي ديوان الأعشاب ثم ... ثم هزّته أريحيته إلى أن يكتب عنه ، تحقيقاً لرجاء الراجين فيه ، وبرًّا بصاحبه . وأبت كبرياؤه أن يكتبه مقالاً يُعَنْونه بعنوانه ويذيله باسمه ؛ فدعاني إليه واصطنع حديثاً بيني وبينه فأملاه عليّ لينشر في الرسالة مذيّلا باسمي ؛ وما كان بيني وبينه حديث في شيء ، ولكنها مقالة تواضعت من كبرياء فسماها حديثاً ... وأرضى كبرياءه وعاطفته الرحيمة في وقت معا .

كان الرافعي في حرج وهو يملي عليّ هذا الحديث ؛ إذ كان يخشى أن يناقض نفسه في الرأي وهو يكتب عن هذا الشعر رعاية لصديق ، ولكنه خرج من هذا الحرج بحسن احتياله ، فجعل أكثر مقاله عن الشعر بمعناه العام ورأيه فيه ومذهبه منه ؛ ثم خص الديوان بكلمات في خاتمة الحديث كانت هي خلاصة الرأي فيه ؛ وبذلك برئ من الاسراف في المدح ومن الايلام في النقد ، وخرج من الأمرين معاً إلى تحديد معنى الشعر ووسائله وغايته. فأجاد وأفاد في باب من القول له منزلة ومقدار .

ومن كلامه في هذا الحديث :

« متى ذهبت لتحتج لزيغ الشعر من قِبَل الفلسفة ، وتدفع عن ضعفه بحجة العلم ، وتعتل لتصحيح فساده بالفن ؛ فذلك عينه هو دليلنا نحن على أن هذا الشعر ... لم يستو في تركيبه ، ولم يأت على طبعه ، ولم يخرج في صورته ؛ وما يكون الدليل على الشعر من رأى ناظمه وافتتانه به ودفاعه عنه ؛ ولكن من إحساس قارئه واهتزازه له وتأثره به ... » (١)

ونشر هذا الحديث في الرسالة ، ومضى شهر آخر ... ثم جاء البريد ذات صباح إلى الرافعي بكتاب من الزيات ، يعرض عليه أن يكون معه في تحرير الرسالة بمقالة ينشرها كل أسبوع أو كل أسبوعين ، وقدر له أجرا ... وقَبِل الرافعي ، وما كان له بدّ من أن يقبل ، لبعض ما قدمت من الحديث عن شئونه الخاصة في هذه الفترة من حياته . وكانت مقالته الأولى بعد هذه الدعوة ، هي مقالة « لا تجنى الصحافة على الأدب ولكن على فَنّيّته » (٢)

وتوالت مقالات الرافعي بعد ذلك في الرسالة ، فنشر في الأسبوع التالي مقالة « الاشراق الإلهي وفلسفة الاسلام » وأحسبه اختار هذا الموضوع — على انقطاع الصلة بينه وبين الموضوع السابق — احتفاء بالمولد النبوي ؛ إذ كان هذا موسمه ثم نشر « موت أم » وهي صورة حية نابضة لصبيّة فقدوا

(١) العدد ٤٠ سنة ١٩٣٤ من الرسالة
(٢) العدد ٦٢ سنة ١٩٣٦ من الرسالة

(١) العدد ٤٦ سنة ١٩٣٤ الرسالة
(٢) العدد ٥٠ سنة ١٩٣٤ الرسالة

أمهم وما يزال أكبرهم فى الثامنة ؛ وهى صورة حقيقية مرّت أمام عينيه فانفعلت بها نفسه ؛ أما هذه الأم فهى زوج صديقنا الأستاذ حسنين مخلوف ، وأما هؤلاء الصّبية فبنوها ؛ اهتصرها الموت فى ريمانها فمضت وخلّفت وراءها أربعة ، فبكاها الرافعى بكاء الوالد ؛ وما أعلم أنه مشى فى جنازة قبل جنازتها ، ودفنت فى مقبرة آل الرافعى بطنطا . ولما عاد الرافعى من الجنازة ليعزى الأستاذ مخلوفاً فى داره ، دعا بولده ليمسح على رأسه ويسرّى عنه ، فكان بين عينيه وعينىْ الطفل حديث طويل ؛ فما غادر مجلسه إلا ورأسه يفيض بشتى المعانى وقلبه يختلج بفيض غامر من الألم ، وعيناه تترقرق فيهما الدموع !

وروّح إلى داره فجلس إلى مكتبه يفكر ... ومضى يوم ثم أرسل يدعونى إليه فأملى علىّ « موت أم ! »

وكان فى الأسبوع التالى موعد امتحان الشهادة الابتدائية فكانت مقالتــه « حديث قطّين » وإنها لتتحدث بنفسها عن مناسبتها . وإن فيها لشيئاً من خلق الرافعى لم يكن يعرفه إلا الخاصة من أصحابه ، ذلك هو طبيعة (الرضا) بما هو كائن ؛ فقد كان ذلك من ألزم صفاته له ؛ فكان دائماً باسماً منبسط الوجه ، يقنع نفسه فى كل يوم بأنه فى أسعد أيامه ؛ فمن ذلك كان يحاول أن يجعل من كل ألم يناله لذةً يشعر بها نفسه ، ومن كل فادحة تنزل به خيراً يترقبه ويهيئ له . ولعل أحداً لا يعرف أن الرافعي لم يكن يرى فى تلك العلة التى ذهبتْ بسمعه وما زال غلاماً ، إلا نعمةً هيأتــه لهذا النبوغ العقلى الذى أملى به فى تاريخ الأدب فصلاً لم يُكتب مثلُه فى العربية منذ قرون ! ولا شىء غير الإيمان بحكمة القدَر وقانونِ التعويض يجعل الإنسان أقوى على مكافحة أحداث الزمن فلا تأخذ منه النوازل بقدر ما تعطيه ... وذلك بعض إيمان الرافعى !

هذا الخلُق هو المحور الذى كان يدور حوله الحديث الذي اصطنعه الرافعي على لسان القِـطّين ؛ وهو الذي حمله من بعد على إنشاء مقالتى « سمو الفقر » فى العددين التاليين من الرسالة ؛ والشىء يُذكر بالشىء ؛ فلولا ما جاء فى امتحان الشهادة الابتدائية لذلك العام ما أنشأ الرافعي حديث قطين ، ولولا ما ألهمه حديث القطين من المعانى فى فلسفة الرضا ما أنشأ مقالتى سموّ الفقر ؛ فى هذه المقالات الثلاث موضوع واحد اختلف عنوانه واتّحدت غايته وكانت مناسبتُــه ما قدّمْت ...

ثم أنشأ مقالة « أحلام فى الشارع » وقصتها أننى كنت أساهر الرافعى أحياناً فى قهوة (لمنوس) بطنطا أو فى السينما ؛ فاذا ما انتهت السهرة صحبته إلى قريب من داره ثم أروح وحدى، وكنا نمر فى طريقنا كل ليلة بدار (بنك مصر) ، ففى ليلة ما كنا عائدين من السينما وقد انتصف الليل ؛ فلما صرنا قبالة (البنك) وقف الرافعى هنيهة ليشهد منظراً استرعى انتباهه : طفل وطفلة من أبناء الشوارع نائمان على عتبة البنك ، وقد توسّـدت الفتاة ذراعاً وألقت ذراعاً على أخيها ... ووقف الرافعى ووقفـت ... ورأى الشرطىّ ما رأينا فأسرع إلى الطفلين ...

وفي الغد أملى علىّ الرافعى مقالة « أحلام فى الشارع ! » ... وكانت المقالة التالية « فى اللهب ولا تحترق ! »

وهى الممثلة الراقصة المغنية ف... وكانت تعمل فى فرقة من الفرق التمثيلية المتنقلة بين الحواضر ، حلت مع فرقتها فى طنطا فى صيف سنة ١٩٣٤ ، ولسبب ما لم يذهب الرافعي إلى مصيفه فى سيدى بشر هذا العام ، واستغنى عن البحر والمصيف بما قد يكون فى طنطا من أسباب اللذات والرياضة ؛ وإن فيها لـغَنَـاء وعوضـاً ...

وكنا ثلاثة من أصدقاء الرافعى نسمر معه كل مساء (س ، ا ، ع) وجلسنا حوله ذات ليلة ، وكان متعبا مكدوداً يشعر بحاجته إلى لون من ألوان الرياضة يرد إليه نشاطه وانبساطه ؛ قال : « أين تقترحون أن نقضى الليلة ؟ »

قال ا : « إن فى متنزه البلدية فرقة تمثيلية ، هبطت المدينة منذ أيام ، وإن فيها المغنية راقصة ، أحسبها خليقةً أن توحى إليك بفصل جديد من أوراق الورد ! »

فمطّ الرافعى شفتيه ولم يعجبه الاقتراح . وأحسب أن الصديقين ا و ع كانا على رغبة مشتركة فى هذه السهرة ، فما أحسّا رفض الرافعى حتى قال ع : « . . . ولـكنها راقصة

ليست كالراقصات: إنها صوّامة قوّامة، تصوم الشهر وستة أيام بعده، وتقوم الليل إلا أقلّه، وتصلى الخمس فى مواعيد الخمس؛ وما أحسب رقصها وغناءها إلا تسبيحاً وعبادة ... إنها ... ! »

مغنية وراقصة، ولكنها صوامة قوامة ... ياعجبا! وهل فى الراقصات كهذه التى يصفها الصديق العابث ع؟ ... ولكن الرافعى صدّق، وعرف الصديق طريق الاقناع إلى قلب الرافعى. واتفقنا على الرأى ...

« هذه هى الراقصة التى أعنى ... » هكذا قال الصديق (ع) فاشرأب الرافعى ينظر من وراء الصفوف. لقد رآها، ولكنها لم تكن أمام عينيه كما هي فى أعين هؤلاء الناس ... كانت تحت عينيه إنسانة أخرى لها طهر وقداسة واحترام ...

هذا الصدر الناهد، وهذه الساق اللفاء، وذلك القوام الأهيف، وهاتان العينان الحالمتان، وهذا الخد الناضر، وهذه الشفة الباسمة، وذلك الشعر اللامع ... هذه كلها سحر وفتنة، تمترك حولها شهوات الرجال، وتترامى إليها أمانى الشباب؛ ولكن رجلاً واحداً بين النظارة لم يكن يبصر شيئاً من ذلك: رجلاً لم يكن أحد فيمن أعرف أضعفَ منه بإزاء سحر المرأة، ولكنه الليلة شخص غير من أعرف؛ ولكن هذه الراقصة بإزائه غيرها بإزاء الناس ... هى فى عين الجميع (أنثى) فاتنة، ولكنها بعينيه هو قديسة تستحق التبجيل والاحترام ...

كانت على عين الجميع راقصة تغني، وكانت بعينيه عابدة تسبّح وتصلى ... كان الناس ينظرون إلى الراقصة وهى تفتنّ فى إغراء الرجال بالنغمة والحركة والرّنوة الفاتنة، وكان الرافعى ينظر فى أعماق نفسه إلى صورة أخرى رسمها من خياله فقامت حياله تريه ما لا يراه الناس!

وانفض الساهرون إلا قليلا تحلّقوا حول الموائد يقرعون كأساً بكأس، ونهض الرافعى فيمن نهض ...

ومضى يومان، ثم دعانى ليُملى علىّ مقالة « فى اللهب ولا تحترق! »

ولما فرغ الرافعى من شأن هذه المقالة، دعا إليه بصديقه (ع) يستزيده من خبر هذه الياقوتة الكريمة، ويسأله الوسيلة إلى لقائها إن كان بينهما سبب، لعل اجتماعاً بينها وبين الرافعي يفتق ذهنه عن موضوع جديد يكتبه لقراء الرسالة؛ فابتسم الصديق (ع) وقد دبر فى نفسه حيلة تجمع بينها وبينه؛ وهل يعجزه هو — وهو مَن هو — أن يجد وسيلة لمثل هذا اللقاء ليمضى فى مَزْحَته إلى النهاية؟

وذهب (ع) يسأل عن الراقصة ويستقصى خبرها فعرف ... لقد فرّت (الياقوتة) مع موسيقىّ الفرقة، ومضى زوجها فى أثرهما، فانحلت الفرقة وغادرت المدينة

وجاء النبأ إلى الرافعى؛ فما عرف إلا من بَعد أنها كانت مزحة من الصديق ع فأسرّها فى نفسه ...

وعاد الرافعى إلى المقال يقرؤه منشوراً فى الرسالة وهو يضحك ويقول: « أهذا ممكن؟ أهذا مما يكون؟ أتكون فى اللهب ولا تحترق؟ »

فرد الصديق (ع) قائلاً: « لقد احترقت! »

وكانت كذبة، ولكنها أنشأت مقالة لم يُنشأ مثلها فيما قرأت من روائع الأدب العربى!

(شبرا) **محمد سعيد العريان**

بين العقاد والرافعي

مناقشـــات وشروح

للأستاذ سيد قطب

— ١١ —

عتب على كثير من الاخوان، وكثير من القراء، انشغالى فى بعض الأحيان بالردود على بعض من كتبوا فى الرسالة — عن الموضوع الأصيل الذى اخترت الحديث فيه، وعن شرح الآراء العامة التى أدليت بها فى أدب العقاد وأدب الرافعى، وسوق الأمثلة وتقرير الحقائق

وعند هؤلاء الاخوان أن آخذ بسبيلي في الوضوع الأصيل غير ملتفت إلى شىء مما يقال — لأنه لم يقل شيء يستحق العناية به — وهذا كان رأيى الذي صرحت به مرة ومرة

وبودى لو أطعت هؤلاء الراغبين فى الاستفادة، ولم ألق بالى إلى شىء مما يقال، ولكنني في الواقع أرى هناك ارتباطاً وثيقاً بين الموضوع ذاته وبين المناقشات التى تدور حوله، لا فى موضوعها وقيمتها، ولكن فى شكلها وبواعثها

وأفسر هذا فأقول: إن المدرسة العقادية تمنى بتصحيح المقاييس الأدبية عنايتها بتصحيح المقاييس النفسية، وقد أوردت من هذا نماذج فى شعر العقاد، عن « عدل الموازين. والعبوسة والبشاشة. ودرجات الفضائل . . . الخ » فاذا ما عنيت بمناقشة الأستاذ العريان، والأستاذ مظهر، أو سواهما، فانما أوجه عنايتى إلى « كشف » العوامل النفسية التى تبعثهما على الكتابة، وإلى « فضح » الظواهر المصطنعة التى تبدو فيها الأحكام، وإلى « تشخيص » العنت و « العدالة الزائفة » فى إصدارها

وهذا كله يعني المدرسة الحديثة عنايتها بالآراء الأدبية ذاتها، فما تقصد هذه المدرسة إلى تصحيح معايير الآداب والفنون، إلا وهى تمنى من ذلك تصحيح الأمزجة والنفوس. وهى لا تقصد بهذا الدعوة إلى المبادىء الخلقية التى يحترمها الناس بقوة العرف والاستمرار، ولكن تريد أن تصح النفوس فتكون هذه المبادئ أثراً لتفاعلها مع الحياة، أو جزءاً من غذائها اليومى الذى يدخل فى كيانها، لا أن تكون كالثوب تلبسه وتخلعه حسب المناسبات!

ومن هنا كشفت عن « العدالة الفريدة » التى تصف رد العقاد على الرافعى بأنه « سباب وشتائم » وتصف نقد الرافعى بأنه « منزه عن العيوب » وكان هذا الكشف بالأمثلة التى لا تدع قولاً لقائل!

ومن هنا كذلك كشفت عن « النزاهة العجيبة » فى وصف الدفاع عن العقاد ومدرسته بالشذوذ ومناصرة شخص على شخص ووصف «على السفود» بأنه «مثال يحتذيه الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص» وجئت كذلك بما استطعت أن أنقله عن الرافعي من أسلوب فى شتم العقاد!

وأنا أعتبر هذا جزءاً من تصحيح أساليب الأدب — باعتباره وسيلة لتصحيح النفوس ـ ولا أدرى أننى عدوت الموضوع الذى أتحدث فيه على هذا الاعتبار.

فأما الواقع فإننى أعجب لهذه الكثرة التى كتبت ترد على دون أن تقول شيئاً فى « الوضوع » مع مطالبتها لى أن أترك « الذاتية » وأتناول « الموضوعية » فى أدب العقاد وأدب الرافعى!

وها أنذا أراجع كل ما قيل. فماذا أرى؟

كل ما كتبه أنصار الرافعى، إنما هو شتائم شخصية، لسيد قطب، أكثرها فى أدبه وخلقه ونفسه — وهو خارج نهائيا على الموضوع — وأقلها فى تفكيره واستمداده واطلاعه — وهو قد يتصل بالموضوع — ولكن بدون دليل، إلا إشارات البكم، وتعبيرات العوام عن المسائل المبهمة فى نفوسهم، التى لا يحسنون التعبير عنها ولا يقدمون الدليل.

أفيعنيكم — ياهؤلاء جميعاً — أن تشتموا كاتب هذه الكلمات؟ لئن كان الأمر هكذا فأنا معكم أعاونكم فى شتمه إذا عجزتم، وأصرح لكم عنه بما يمنعكم خوف تقاليد الأخلاق — لاحياء نفوسكم — من التصريح به!

ولكن ماذا يعنى هذا، وأى شىء يكون قد استوى لكم، أو للمتأدبين والقراء؟ إنه ليبقى وراء ذلك آراء أبديت فى أدب الرجلين وأمثلة قدمت لهذه الآراء، وشروح تضمنت بعض النظريات فى الأدب وفى الحياة؟ وكل هذا قد بقى سليما كما هو،

لم تتناوله ردودكم ومناقشاتكم ، لأن شتيمة كاتب معين شغلتكم عن كل ما عداه من الآراء والأمثال !

ولقد أظهرت هذه المعركة أنكم تمضون فى الشتائم والتهم فينفسح لكم المجال ، حتى إذا قاربتم « الموضوع » وأردتم مناقشة الأمثلة ، ظهر العجز الفاضح والقصور فى الفهم والاطلاع . ليست كلمات الأستاذ « الطنطاوى » ببعيدة ، وقد عجبت لاستطاعة الأستاذ « عبد الوهاب الأمين » أن يصبر على مناقشتها كما عجبت لصبر الأستاذ « كامل نصيف » فى الرد عليها ، فى حين لم أجدنى مستطيعا — على فرط المحاولة — أن أنظر إليها كشىء يستحق الالتفات !

وكيف يمكن أن تلتفت مثلا لرجل يكاد يفهم من قول العقاد عن الجيبون « ياعميد الفنون » أننا سنأتى غدا بقرد نجعله عميد « كلية الآداب » أو « الفنون الجميلة » فيفرق لهذا الحدث الخارق من المجددين ! . ثم ينتفض ذعرا من قوله « ياأبا العبقرى والبهلوان » ويسأل الله السلامة من هذا « الاعتراف » الذى هو لحسن الحظ « حجة قاصرة » !

أو كيف يمكن أن تصبر على مناقشة رجل ، يحلف لك بالطلاق أن كلمة « الجيبون » لاتدخل فى شعر عربى ، أو يستحاف سواء ، ويفتى له بعدم طلاق امرأته ! ويكون الحكم طبعا هو « مأذون الشرع » فى قيمة الآداب !

وليته مع ذلك ابتكرها ، فانما هى بعينها قولة الرافعى فى « على السفود » عن بعض الألفاظ فى قصائد العقاد !

ووددت لو يحلف الأستاذ على هذا ، فأفرق غداً بينه وبين زوجه — إن كان متزوجاً — لأن « ابن الرومى » وحده وهو شاعر عربى ذكر من مثل هذه الألفاظ العشرات فى ألوان الطعام وأسماء الفواكه والخمر . كما ورد فى أدب غيره !!

وبعد هذا نجد من يكتب فيقول لك : لم لا تناقش هذا الكلام ؟ أناقشه ؟ أكل من لاقاك فى الطريق فقال كلاماً — أى كلام — تقف لتناقشه ؟

على أننى وددت لو خفت حدة هذه المناقشات ، ولو عاد إليها هدوؤها الذى بدأتها به فى الكلمة الأولى . وهأنذا أحاول الاهتمام ببعض مالا يصح الاهتمام به من الأقوال ، وتناسى ما فيها من تعالم وتحفز ، أو تفاهة وضآلة . ولعلنى مفلح فى تحويل هؤلاء الناس — كلهم — إلى معالجة الموضوع

* * *

وأبدأ بكلمة الأستاذ « رفيق اللبابيدى » وقد مهد لها بدالة الصداقة والزمالة ، وساقها مساق من يورد رأيه — وليكن مايكون — مما يشفع فى تناولها بالتمحيص

أول ما يراه أننى لم أقرأ كتب العقاد — على مذهبى من ضرورة الثقافات المختلفة لقراءتها — ولم أقرأ كذلك كتب الرافعى كلها

فأما العقاد ، فقد قلت : إننى فهمته بمقدار استعدادى واطلاعى ، وإننى سأرتقى فى فهمه كلما زدت ثقافة واتسعت جوانب نفسى . فكان تفسيرى له فى هذه الحدود الضيقة بالنسبة له ، الواسعة جد الاتساع ، بالنسبة لمن ينصبون أنفسهم نقاداً له ، فيخرجونه من عالم الشعراء ، بل الأدباء ، وهم جالسون فى راحة غبية ، و« طمطمة » بليدة !

وأما الرافعى فقد قرأت له معظم ما كتب ، فلم أر فى شىء منه دلائل على أن هناك استعداداً ، لأن تخرج هذه الطبيعة شيئاً مما أطلبه ، يحفزنى لقراءة الباقى ، على الأمل فى وجود ذخيرة نفسية . وقد عنيت أن أقرأ له الكتب والمقالات ، التى تفيض النفس الانسانية فيها بالشعور الخالص — عادة — فاذا لم يكن فى هذا المجال صاحب ذخيرة ، فما هو بصاحب ذخيرة على الاطلاق

أما الأمثلة التى سقتها ، فليست منتقاة على اعتبار أنها « مما يوقع فيه » ولكن لأنها أدل على تصوير طبيعة خاصة ، ناضبة من الذخيرة الانسانية ، ومن دفعة الحياة والمقيدة (المقيدة فى الأدب والحياة لا فى القاموس !)

ولى رأى فى الأمثلة لا بأس من إيراده هنا . فالأديب قد يخطئ وقد يهبط فى كثير من المواضع ، ولكنه يبقى بعد أديباً لا تسلبه أخطاؤه ولا يسلبه ضعفه ، صفة « الانسانية » فى أدبه (لا الإنسانية التى تقابل الحيوانية فى تكوينه كما فهم بعض من يفهمون !) ولا تسلبه صفة « الطبيعة الفنية » وقد يخطئ أديب آخر مرة واحدة ، فتسلبه هذه المرة كل تلك الصفات

ومرجع ذلك هو « نوع » الغلطة ومقدار دلالتها على فهم الرجل للحياة ، وعلى نوع إحساسه بها . كالرجل الذى يحدثك عن زيارته لمدينة القاهرة ، فيترك كثيراً مما فيها من المشاهدات ويخطئ في وصف الكثير ، ولا يدل ذلك على كذبه في وقوع الزيارة ؛ ولكنه لو قال مثلاً : « إنه كان من المشاهد التى رآها أسد يخترق الشوارع والطرقات » لحكمت من فورك بأنه كاذب فى دعواه ، وهى مع هذا غلطة واحدة لا غلطات !

فحين يقول الرافعى : إن الحبيبة لا تتعلق بقلب حبيبها بعد انتهاء الحب إلا بخيطين اثنين هما غيظها له ، وغيظه لها ... يدل على أنه لم يحس الحب يوماً ما ، ولم يحسن ملاحظته فى غيره ، بل لم يكن ذا طبيعة قابلة للحب ، ولا مستعدة لتلقى دفعاته وانفساحه ولو كتب بعد ذلك عن الحب ألف كتاب

وحين يقول ما يفهم منه أنه يرى النهر الذى حافتاه من الذهب والفضة ومجراه من الدر واليواقيت ، أجمل من النهر الذى حافتاه من العشب الأخضر ، ومجراه من المدر والطين ... يدل على أنه لم يحس الإحساس بجمال « الطبيعة » ، بل على أنه لم يوهب الطبيعة التى تحس هذا الجمال

وهكذا كل مثال جئت به لمثل هذه الغاية ، فهى غلطات : « الأسد الذى يخترق شوارع القاهرة » لا غلطات النسيان والضعف الطارئ ، والخطأ العارض فى التعبير ، ولعل فى هذا البيان كفاية

ولعل القسوة التى يتخيلها الأستاذ ، ليست فى الحكم الذى أصدرته ؛ ولكنها فى وضع الرافعى مقابلا للعقاد ، والجمع بينهما فى عنوان ؛ فمن هنا بدأت مطالبة الرافعى بأدب الطبع ، وأدب النفس ، لأن المقابل له فياض بهذا النوع ، مبرز فيه ، بل هو ميزته ورمز فنه . وقد كان من جراء مطالبة الرافعى بهذا اللون الرفيع من الفن الأدبي ، ظهور خوائه ، وإنكار أدبه (إذ كان المطلوب نوعاً خاصاً منه يعلو على مجرد الأسلوب المتماثل ، والجمل المنقوشة) . فهذه هى القسوة . ومتى أعفينا الرافعي من أدب النفس والطبع ، فقد نجده بعد ذلك شيئاً فى التعبير ، وفى الأخذ بطريق خاصة فى هذا التعبير ، ولكن ما قيمة ذلك فى عالم الطبائع الفنية ، وفى معرض التعبير عن النفس وتمثيل الحياة ؟

ثم يسألنى رأيى فى أبيات اقتطعها من قصيدة للعقاد ، وشعر العقاد وحدة لا بد من عرضها كاملة — ومع هذا فأى شىء ؟ لعله يريد أن يقول : ها هو ذا العقاد يشبه الحسن بالجوهرة ، ويذكر اللآلئ كما ذكرها الرافعى !

وهذه ملاحظة شكلية ، فما قلت : إن كل من ذكر هذه الألفاظ يكون خواءه من تقدير الجمال الروحى ، ولكن الذى يقول كما قال الرافعى ، ويبدئ ويعيد ، ويراها أجمل من الطبيعة كما قال عن « النهر » ... يكون كذلك

فأما حين تقول : إن الحسن جوهرة ، ثم لا يكمل البيت حتى تقول : « لها الثراء » « ثراء النفس أثمان » وحين تقول : إن هـذا الحسن يناله من لا يعرف قيمته ، ويحرمه الخبير بجماله وسحره وطبيعته ، كالجوهرة التى يحرمها اللآل ويقتنو نفيسها من لا يسومها ... الخ

حين تقول مثل هـذا فنحن فى صميم الشعور الروحى . والجوهرة واللآل هنا أدوات للتشبيه ، وليست مقصودة لذاتها ، ولامغالى فى قيمتها . « وثراء النفس » هو الملتفت إليه ، والقدر ثمنا لهذا الحسن الفريد

أما إنكار الأخ لشاعرية العقاد فليس لى فيه كلام . ووددت — والله — لو أننى أملك طبيعة فنية أخرى ، أهبها للزميل . ولكنى آسف معذور . وكذلك قولى فى الحديث عن « الجيبون » !

أما أسئلة « ع ... دمشق » فوددت لو خلت من هذا « الجفاف الناشز » فى آخرها . ومع هذا فسأغض الطرف عنه ، وأعتبرها أسئلة لمستفهم لا متعالم !

فمن السؤال الأول : أذكر أن فى الأشياء حياة نابضة فى ضمائرها ، وهى أعمق وأولى بعناية الفنان من الحياة الظاهرة على سطوحها ولو اتصلت بها — فحياة الزهرة الظاهرة تبدو فى لونها ورائحتها وطراءتها ... الخ . أما الحياة النابضة فى ضميرها فهي المتصلة بتعبير الحياة المنىّ فى هـذه الزهرة ، وقصد الطبيعة من إنشائها . وهى الحياة التى تستمد من نهر الحياة الكبير الجارى منذ بدء الخليقة إلى نهايتها ، المتدافعة أمواجه فى كل حى وجد أو سيوجد . وهى الحياة التى تكون حلقة فى سلسلة الحياة الكبرى المتطورة من الخلية الواحـدة إلى الانسان . وهذا الالتفات

الأخير هو الالتفات الفنى لنظرية دارون ، الصالح لأن يتناوله الفن والأدب ، لأنه يتناول الحياة فى معرض أطوارها ونماذجها المعبّرة

وعن السؤال الثانى : أذكر أن السائل أخطأ فى إرجاع الضمائر إلى ماتعود عليه فى الجملة . فنشأ هذا اللبس ، فأنا لم أقصد أن الحياة الظاهرة على سطوح الأشياء — غير أشكال « الحياة » وصورها . إنما أردت أنها غير أشكال « الأشياء » وصورها فلا داعى للسؤال . أما أن العناية بالحياة فى الضمير والحياة فى الظاهر أولى بالتفات الفنان من صور الأشياء وأشكالها ، فهذا حق . والذى يقول :

وكأن محمر الشقيـ ـق إذا تصوب أو تصعد
أعـلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

لا يرى غير أشكال الأشياء وصورها ، ولا يعنى بحياة الشقيق فى سطوحها ولا فى أعماقها ، فيكون قوله تافهاً وإن سومه عشاق التشبيهات النفيسة بسعر كبير !

وعن السؤال الثالث : أذكر أن الخوالج النفسية والصور الذهنية ، وأدب الذهن ، وأدب الطبع ، تدل على ألوان من الأدب تكاد الآن تكون قد أخذت وضوح دلالة « العلم » على المسمى . وقد ضربت لها أمثلة — مع هذا — فمن لم يكن قد سمع شيئاً عن هذه الألوان من الأدب ، ولم يكن قد أمكنه الانتفاع بالأمثلة التى سقتها ، فليقرأ ، ولينتظر حتى تنضج فى نفسه هذه المعانى

أما السؤال الرابع فلا معنى له بعد ما قلت عن أسلوب العقاد ما قلت ، وبعد ما وعدت بالافاضة عن هذا الأسلوب . فليقرأ السائل كلماتى كاملة . وليراجع كلمة الأستاذ عبد الوهاب الأمين فهى مفصحة عن هذه الناحية

***

وأما ملاحظة الفاضل « على كامل . فلسطين » فتصفهاهو موضعه ؛ وقد نشأ هذا من اضطراب فى ترتيب بعض الجمل ! وكثيراً ما يقع مثل هذا فنكتفى بفطنة القارئ . ولكن مع هذا يبقى التناقض بين قول شوبنهور وتلخيص الرافعى واضحاً

فالرافعى يقول : « فان محصل كلام هذا الفيلسوف أن ما تراه بسبب من إرادتك وغرضك وشهواتك ، فجماله فيك أنت لا فيه لأنه فى هذه الحالة صورة الاستجابة إلى ما فيك ، فلو لم يكن بمك أنت هذا الغرض ، لم يكن معه هو ما خيّل لك من الجمال . فهو على الحقيقة (باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه)

وأول هذا الكلام لا صلة بينه وبين شوبنهور ، ولا علاقة فى منزع ولا اتجاه ، وإنما هو رأى آخر فى تعليل الجمال يعتبر رخيصاً جداً إذا قيس مستواه بمستوى تفكير شوبنهور فى رأيه وآخر هذا الكلام مناقض تماماً لرأى الفيلسوف (راجع ما بين القوسين الكبيرتين على كلام شوبنهور)

وبينما هو يقول — عن شوبنهور خطأ — : « فهو على الحقيقة باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه » — وهو عكس رأى شوبنهور — يعود فيقول : « فالنتيجة من ذلك أن الأشياء تحزننا كلما ابتعدت من عالم الفكرة واقتربت من عالم الإرادة ، وأنها تفرحنا كلما ابتعدت من عالم الإرادة واقتربت من عالم الفكرة » وهذا عكس ما نسبه الرافعى أولاً لشوبنهور ، وإن كان فى حقيقته هو رأى الفيلسوف المسكين !

الشىء باعتبار الفكرة المجردة جميل فى رأى الفيلسوف الصحيح . والشىء باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه ، فى الرأى الذى ينسبه الرافعى إليه . وهذا هو سوء الفهم والتخليط

وعلى كل فأنا شاكر لحضرة الأديب ملاحظته

***

أما الأستاذ سعيد العريان ، فقد شغلنا عنه وعن كلامه الطويل بما هو لائق أن نتحدث فيه ، فمعذرة يا أستاذ سعيد !

(حلوان) سيد قطب

حول أدب الرافعي

بين القــديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

— ٢ —

كتب سيد قطب مقالات عدة يجرح فيها الرافعي وأدبه . وسيد قطب ليس من تلاميذ الرافعي ولا يبلغ أن يكونه، فما أظنه ولد إلا بعد أن ولدت مسألة القديم والجديد، وعمرها كما نبهنا في الكلمة السابقة لا يزيد على ثلاثين عاماً ، وإذن فعمره من يوم ولد إلى يوم كتب لا يمكن أن يبلغ عمر أدب الرافعي الذي بدأ بقول الشعر الجيد على رأس التسعمائة كما يدل عليه ما نشرت الرسالة من نماذج شعره في ذلك العهد (أنظر مثلا العددين ٢١٣ و ٢١٤ من الرسالة) ، وإذا كان عمر أدب الرافعي رحمة الله عليه أكبر من عمر صاحب تلك المقالات فقد كان المعقول أن يكتب عن الرافعي وأدبه بغير تلك اللهجة وبغير ذلك القلم لولا أننا في عصر انتقال من أسوأ سيئاته تمرد الشباب على النظم ولو كانت فاضلة ، وتطاول الصغير على الكبير في الاشارة والعبارة إذا كان بينهما خلاف

ونحن إذ نقول هذا لا نأخذ على صاحب تلك المقالات أن يكون له في الرافعي رأى يخالف رأي جمهرة الأدباء، ولكن نأخذ عليه ما أخذه غيرنا من طريقة إبداء هذا الرأى . فلو كان نداً للرافعي لما حسن فيما يبدى من رأي فيه إلا أن يكون مهذب اللفظ مؤدب القلم ، فكيف وهو ليس للرافعي بند ولا لبعض تلاميذ الرافعي ؟ إن الأديب من غير شك يستطيع أن يعرب عن رأيه في مقام كهذا من غير خروج على أدب القول ومن غير أن يزيد الطين بلة بالتماسه إلى هذا الخروج العلل والمعاذير

على أن إسراف تلك المقالات فيما ذهبت إليه من سوء الرأي في الرافعي وأدبه لا يشك فيه أحد ممن له شيء من الاتزان في التفكير . فلو غير صاحب تلك المقالات خطر له في الرافعي مثل هـذا الرأى المسرف من أن ليس للرافعي إنسانية ولا طبع ولا نفس ولا قلب ولاذوق ولا ذهن ولاحياة إلى آخر ما شاءت له بغضاؤه أن ينفى عن الرافعي — لو غيره خطر له هذا في الرافعي لوقف من هذا الخاطر موقف المتهم المتشكك على أقل تقدير ، إذ غير معقول أن يبلغ الرافعي رحمه الله ما بلغ من حسن السمعة وبعد الصيت في عالم الأدب العربي ثم لا يكون له من كل تلك الصفات حظ يفسر ما نال من صيت حسن وتقدير كبير عند جمهرة الأدباء رغم بعض العيوب البادية في بعض ما كتب من مثل (على السفود) ورغم ما في بعض كتاباته من صعوبة أو غموض . فالرافعي نال ما نال من حظوة ومكانة في عالم الأدب العربي رغم هذه العيوب ، ثم نال ذلك غير مؤيد بمال ولا جاه ولا سياسة ، وهذا معناه عند الناقد المتزن أن أدب الرافعي لا بد عند التصفية أن تبقى منه بقية كبيرة صالحة تكفي لتمجيده إن لم تكف لتخليده. وإذن يكون عمل النقد الأدبي أن يميز تلك البقية و يُجليها للناس تراثاً طيباً يضم إلى ما خلفت القرون من التراث العربي الأدبي الطيب . لـكن مثل هذا الناقد يحتاج من قوة العقل ، وسعة الاطلاع ، ومحبة الحق والخير ، ومجانبة العصبية والهوى، إلى ما لا تنبئ عنه تلك المقالات

إن أظهر ما تنبئ عنه تلك المقالات أنها نتاج العاطفة قبل أن تكون نتاج العقل . فالعاطفة الجامحة أوحت بكتابتهـا ، والعاطفة الجامحة لونت الوقائع لعقل صاحبها حين سخرته لحياكة ذلك النقد طبق وحيها . ومدار هذه العاطفة هو حب العقاد وبغض الرافعي : حب العقاد حب مفتون ، وبغض الرافعي بغض مجنون . فلا مدح أكبر من أن يفيضه على العقاد ، ولا ذم أوضع من أن يكيله للرافعي، وكأنه يعتذر في الحالين من التقصير. ولا عليه في حب العقاد أو غير العقاد أسرف في الحب أو اقتصد ، بل لا عليه في بغض الرافعي أو غير الرافعي ما بقى بغضه سلبي الأثر؛ أما إذا حركه الحب أو البغض إلى العدوان على من يبغض في سبيل من يحب ، فعندئذ تبدأ تبعته ، وعندئذ تجب مراقبته ثم محاسبته على ما يكتب أو يقول خصوصاً إذا أراد أن يستتر بالنقد مبالغة في الـكيد أو احتماء من القانون

لو كان للنقد الأدبي في مصر أو في العـالم العربي قوامون يغارون عليه ويرعونه لهيب اقتحامه من لا يحسنه ، ولما أقدم على نقد مثل الرافعي من لا يعرف أولا يراعي أوليات النقد. إن من أبسط

أوليات النقد الاحاطة بالموضوع . وصاحبنا الذي لايعجبه مذهب الأقدمين فى النقد ، ويريد أن يشق للناس طريقا جديدا ، يقدم على نقد الرافعى فيما زعم من غير أن يحيط بأدب الرافعى أو يحاول أن يحيط به . وهو فيما يظهر لا يحس أنه اقترف بهذا جرما لأنه يعترف به فى غير اعتذار ولا حياء . يقول فى مقاله الثالث إنه كتب كلمته الأولى على صدى مطالعته القديمة للرافعى ، وكتب كلمته الثانية وليس بين يديه إلا وحى الأربعين . ثم ذهب إلى رسائل الأحزان يتلمس الأمثلة توضيحا لرأيه فاصطدم بالرافعى كما يقول من جديد؛ وعلى وقع هذا الاصطدام كتب عن الرافعى ثم كتب حتى أبلغ كلماته إلى ثمان . فعمدته فى تقدير الرافعى على الأخص شيئان : صدى مطالعاته القديمة ، ورسائل الأحزان . وصدى مطالعاته القديمة هو كما يقول « صدى غامض يدل على الجملة ولا يمد الناقد بالتفصيل » . ومطالعاته القديمة لا تعدو « حديث القمر » وما كان يكره نفسه على قراءته بعد « حديث القمر » . و« حديث القمر » كما أخبر فى كلمته الأولى كان أول ما قرأ للرافعى وقد أحس بعده ببغض الرافعى بغضا جعله لا يقرأ للرافعى إلا كارها ، فتزداد كراهيته بما يقرأه من غير أن يعرف لذلك تعليلا كما يقول . فصدى هذه المطالعات كان من غير شك صدى بغضاء وكراهية ، ومع ذلك فقد ظفر الرافعى من صاحبنا فى مقاله الأول بنصيب يكاد يعدل نصيب العقاد حين أراد صاحبنا أن يقسم المزايا الأدبية بين الاثنين . فالعقاد أديب الطبع ، والرافعى أديب الذهن . « العقاد أديب الطبع القوى والفطرة السليمة ، والرافعى أديب الذهن الوضاء والذكاء اللماع . والعقاد متفتح النفس ريان القلب ، والرافعى مغلق من هذه الناحية متفتح العقل وحده للفتات والومضات » هكذا حكم سيد قطب بين الأديبين الكبيرين ، وحكم لنفسه ضمنا بشيء كثير حين نصب نفسه حكما بينهما . وإذا تذكر أنصار الرافعى أن هـذا الحكم فيما يتعلق بصاحبهم هو صدى غامض لمطالعات قديمة محفوفة بالكراهية والبغضاء كان لهم حقا أن يتقبلوا به . ولا عليهم من « مغلق » « ومتفتح العقل وحده للفتات والومضات » فان الحكم لا يعطى العقاد شيئا من التفتح العقلى ولو للفتات والومضات . فهو سوى بين الاثنين تسوية تكاد تكون تامة ، أو بالأحرى جعل المزايا الأدبية قسمة بينهما على سواء تقريبا : أخرج

العقاد من دائرة الذهن والعقل ، كما أخرج الرافعى من دائرة النفس والقلب ، وخص أحدهما بما نفى عن الآخر . فاذا شك أنصار العقاد فى أن هذا مفهوم حكم صاحبهم على صاحبه ومنطوقه فليقرأوا مقدمة الحكم إذا شاءوا :

« وبعد فما كان يمكن أن يتفق العقاد والرافعى فى شيء ! فلكل منهما نهج لا يلتقى مع الآخر فى شيء »

فهل لا يزال أنصار العقاد بعد هذا على شك من مفهوم حكم صاحبهم؟ إنهم ليس لهم أن يشكوا بعد هذه المقدمة ، إذ لو كان العقاد يشرك الرافعى فى أدب الذهن لاتفق الاثنان فى شيء ، والتقى الأدبان على شيء ! أما وهما لا يتفقان ولا يلتقيان فى شيء فى حكم هذا الحكم المجدد ، فما أثبته للرافعى من أدب الذهن الوضاء والذكاء اللماع لابد أن يكون نفاه عن العقاد إن كان يعرف ما المنطق وما التفكير . ليس عن ذلك محيص

لكن لا عليهم هم أيضاً من حكم صاحبهم فانه لا يعنى ما يقول ولا ينظر فى أعقاب الكلام ونتائج المقدمات . هو حسن النية يلقى الكلام دفاعاً عن صاحبه كما ألقت الدبة ذلك الحجر المعروف

على أنه إن كان لحكمه هذا قيمة فقد عاد فنقضه فى مقاله الثالث . نقضه بالنسبة للرافعى من غير أن يصلحه بالنسبة للعقاد . ولو خطر بباله أن حكمه ينتج غير ما يريد بالنسبة لمن يحب لأصلحه ، لكن ذلك لم يخطر بباله فاكتفى بأن نفى عن الرافعى الدائرة التى كان أثبتها له ، دائرة أدب الذهن ، وترك العقاد فى الدائرة التى كان أثبتها له ، دائرة أدب القلب ، من غير أن يثبت له الدائرة الأخرى التى كان قد نفى عنه . وليس لرجوعه عن حكمه للرافعى داع إلا أنه فيما زعم ذهب يتلمس فى « رسائل الأحزان » الأمثلة التى تفصل مجمل ما دل عليه الصدى الغامض لمطالعاته الرافعية السابقة ، فاصطدم بالرافعى « واختلف الصدى الغامض القديم عن الصوت الواضح الجديد » كما يقول . فهو حين ذهب إلى « رسائل الأحزان » لم يذهب ليستوثق من صحة دلالة الصدى القديم التى بنى عليها حكمه الأول ، لأنه لم يكن يخالطه فى صحتها شك ، إذ « ما من شك أن الرافعى كان ذكيًّا قوى الذهن » كما يؤكد فى كلمته الأولى حين كان يلتمس أن ينفى أن يكون أدب الرافعى أدب طبع عن طريق تبيين أنه « كثيراً ما يختلط

أدب الذهن وأدب الطبع إذا كان مع ذكاء وقوة » . لم يذهب إلى رسائل الأحزان إذن ليستوثق من صحة تلك الدلالة أو ذلك الحكم ولكن ليؤيدهما ويفصلهما بأمثلة . فلما اختلف الصوتان وتعارضت الدلالتان مال عن الدلالة القديمة الغامضة إلى الدلالة الجديدة الواضحة ؛ وهو يظن أن هذا كاف للرجوع عن حكم حكمه ورأى ارتآه ، ولا يرى فى ذلك شيئاً من سطحية الحكم والنظر التى كثيراً ما يرى بها خصومه من غير مبرر . لكن النظر السطحى وحده هو الذى يبرر الرجوع عن ذلك الحكم بمثل هذه السهوله لمثل هذا السبب . إن الغموض الذى وصف به صدى مطالعاته القديمة قد فسره هو وحدده بأنه عدم إمداد الناقد بالتفصيل . فذلك الصدى إذن صحيح فى جملته وإن لم يكن واضحاً فى تفاصيله . والتفكير الصحيح كان يقضى ويتطلب أن يتفق الصديان أو الصوتان فى الجلة إن كانا مما يبنى عليهما حكم ، فإن اختلفا لم يمكن بناء حكم على أيهما حتى يتبين وجه الحق فيهما بينات جديدة . وكان المنتظر ممن جشم نفسه دراسة المباحث النفسية الجديدة ومباحث علم الأحياء ومباحث الضوء فى الطبيعة إلى آخر ما حدث عن نفسه فى مقاله السادس أنه قد درسه كى يرق إلى محاولة استيعاب العقاد — كان المنتظر من مثل هذا أن يكون قد انتفع أيضاً بتلك الدراسات العلمية إلى حد الرقي إلى تذوق الروح العلمية وتفهم الطريقة العلمية فى النظر ، فهذا أنفع له وأجدى عليه من كل ما عرف من مفردات الوقائع والحقائق والنظريات . فلو كان رق إلى الروح أو الطريقة العلمية فى النظر والاستدلال ، ووجد فى البحث الذى كان بصدده أن رسائل الأحزان تخالف فى دلالتها حديث القمر ، وما تبعه من مطالعات للرافعى وإن قلّت ، إذن لوقف موقف العالم الذى يجد نفسه حيال فرضين كل منهما يفسر شطراً من الوقائع التى لديه من غير أن يفسر الشطر الآخر ، فينبذ الفرضين جميعاً ويسعى للوصول إلى فرض جديد يفسر الوقائع جميعاً . فإن كانت الوقائع قليلة ، كما هى فى حالة صاحبنا حين أراد أن يحكم على الرافعى من كتابين اثنين — سعى العالم إلى تكثير الحقائق قبل أن يطمئن إلى فرض يفسرها ، كما كان يجب على صاحبنا أن يقرأ كل ما كتب الرافعى قبل أن يطمئن إلى حكم يحكمه ، لا أن يقرأ كتابين على فترة طويلة من الزمن حتى إذا اختلف صداها عنده حكم لأحدها على الثاني من غير قرينة ولا مرجح . وإذا كان الرأى الذى حكم له أقرب إلى ميله واتجاه عاطفته — كما هو الواقع — لم يبق شك فى أن صاحبنا الناقد المجدد مسير بعاطفته لا بعقله : يتبع العقل ما اتفق وعاطفته ، فاذا اختلفا ترك عقله واتبع هواه

ومن عجيب أمر كاتبنا الناقد أنه أصدر فى أمر الرافعى أحكاماً ثلاثة فى كلمتيه الأولى والثالثة من غير أن يكون لأحد هذه الأحكام أساس معقول . قرأ حديث القمر وما إليه فازداد كراهية لذلك اللون من الأدب من غير أن يجد لذلك تعليلا ، غير أنه كان يزعم لاخوانه أن الرافعى خواء من « النفس » وأن ذلك سبب كراهيته له . هذا حكمه الأول أبداه على تردد وكأنه يعتذر منه فكان بذلك أقرب إلى المعقول

ثم كتب صديق الرافعى الحيم فصوله الممتعة فى تاريخ الرافعى وضمنها تاريخ حب الرافعى فى الأعداد ٢٢٦ إلى ٢٣٢ من الرسالة بدأها أول نوفبر وانتهى منها حوالى منتصف ديسمبر سنة ٩٣٧ فاغتبط ناقدنا كما يقول لأنه وجد للرافعى حبا له مظاهر وخطوات وأخذ يعلل اغتباطه ذلك بقوله : « إن خيالى المنبعث من قراءة الرافعى لم يكن يطوع لى أن ألمح إمكان وجود هذه العاطفة فى حياته ، فالحب يتطلب قلباً وكنت أزعم أن ليس للرجل قلب ، والحب يقتضى « إنسانية » وكنت أفتقدها فيه » . حسن . هاهوذا قد عرف أن خياله المنبعث من قراءته الرافعى كان مخطئاً ، فهل تراه غير رأيه فى الرافعى وأثبت له ما كان ينفيه عنه من قبل من أخص خصائص الانسان بله الأديب ؟ . لا . واسمع له يتم لك بقية حديثه فانه حديث عجب :

« لقد ظللت هكذا » — أى قاسياً على الرافعى بنفى الانسانية والقلب عنه — « حتى استطعت أن أكون ناقداً لا يكتفى بالتذوق والاستحسان والاستهجان ولكن يعلل ما يحس ويحلله فماذا كانت النتيجة ؟ لقد عدلت حكمى قليلا ، وخفت حدته ولم أعد أستشعر البغض والكراهية للرجل وأدبه ولكن بقى الأساس سليما

كنت أنكر عليه « الانسانية » فأصبحت أنكر عليه « الطبع » ؛ وكنت لا أجد عنده « الأدب الفنى » فأصبحت لا أجد عنده « الأدب النفسى »

كلام مرصوص قد ينخدع به مثل كاتبه ، إن جاز على أصحاب « الأدب النفسى » فلا يجوز على أصحاب « الأدب الذهنى »

تأمل هذا الكلام قليلا ، تأمل أوله ثم تأمل آخره . لقد ظل ينكر على الرافعى الانسانية والقلب حتى أصبح ناقداً يملل ويحلل . وقد رأيت من كلامه قبل ذلك أنه كان على هذا الانكار حتى حدثه العريان بحديث حب الرافعى في أواخر سنة ٣٧ . إذن فاستطاعته أن يكون ناقداً لا يمكن أن تكون سبقت هذا التاريخ ، وإن حدثنا فى مقاله الخامس عن محاضرة له فى وحى الأربعين ألقاها سنة ٣٤ . فتلك المحاضرة إذن كتبها قبل أن يستطيع نقداً أو تمليلا أو تحليلا إن كان يعنى كلامه السابق ، ويكون كلامه السابق هدما لما فى تلك المحاضرة من نقد وتحليل يحيل عليه فى مقاله الخامس . أما إذا كان لا يعنى كلامه السابق وكانت محاضرته تلك تحتوي على نقد نفيس فان هناك تفسيراً واحداً لهذا التناقض هو أن صاحبنا الكاتب الأديب لا يحسن التعبير عما يريد باللغة التى هو إخصائى فيها

عد عن هذا وسلم له استطاعته النقد حين قرأ حديث حب الرافعى ، بصرف النظر عن مبدأ هذه الاستطاعة ؛ وانظر فى النتيجة التى رتبها عليها . لقد عدل حكمه قليلا . لماذا هذا التعديل القليل أو الكثير ؟ وما علاقته باستطاعة صاحبه النقد والتمليل والتحليل ؟ إنه لم يقرأ للرافعى شيئا جديدا ينقده ، ولم يرجع إلى ما قرأ قديما فيعيد قراءته ليحلله ويملل أثره فى نفسه . إن المقروء القديم هو: حديث القمر وأكره نفسه عليه . ولو كان قرأه ثانيا من جديد ما كان صداه ذلك الصدى الغامض الذى يدل على الجملة ولا يمد بالتفصيل. إذن فماذا نقد وماذا حلل ولماذا عدّل ؟ هل نستطيع لهذا جوابا؟ هل يستطيع هو لهذا جوابا لا مراوغة فيه ولا « لعب على حبل » ؟ إن أحاديث العريان عن حب الرافعى يجب أن تؤخذ كلها أو تترك كلها لأنها من تبيل الأخبار . فان أخذت كلها لزم الكاتب الناقد اثبات « الانسانية » و« القلب » للرافعى من غير قيد ولا شرط . وإن تركت كلها لزمه الوقوف عند رأيه الأول من غير تعديل كثير أو قليل. فلماذا إذن ذلك التعديل القليل وما علاقته باستطاعة صاحب المقالات النقد والتمليل والتحليل ؟ أم هى كلمات ترص ليس تحتها معنى مقصود محدود ؟ أم هى العاطفة تسير صاحبها فى حكمه وإن قام على خطئها الدليل ؟

على أننا سنغض الطرف عن هذا كله ونفرض أن استطاعته النقد مكنته بطريقة ما من تعديل الحكم تعديلا قليلا . فهل تراه عدله تعديلا ما ! لقد كان يزعم قبل أن يعرف للرافعى حبا أن الرافعى خواء من « النفس » والآن وقد عرف للرافعى حبا كثيرا أصبح لا يجد عند الرافعى « الأدب النفسى » بعد ان كان لا يجد عنده « الأدب الفنى » ! أتجد فرقا بين خلو الرافعى من « النفس » وخلو أدبه من « الأدب النفسى » الذي لا يصدر إلا عن « نفس » على حد تعبيره ؟ ما نرى صاحبنا إلا وقد سلب الرافعى باليمين ذلك القليل الذى أعطاه بالشمال ، وقد صرح بهذا السلب فى صدر مقاله الثالث وإن زعم فى مقاله الأول أنه اغتبط لما حدثه به العريان من حديث حب عدّل حكمه من أجله بعض التعديل .

بقيت واقعة صغرى ليست بذات بال فى نفسها وإن كان لها دلالتها النفسية على تعبير صاحب تلك المقالات . إنه حين أحس بالغضاضة فى التراجع عن حكمه الأول بين الرافعى والعقاد إلى حكمه الأخير الذى بناه على رسائل الأحزان ، أراد أن يمهد لذلك التراجع لدى القارئ فى مواربة وجمجمة ، فهل تدرى ماذا صنع ؟ إنه زعم أنه أخطأ فى عدم تحديد « الذهن » الذى قال إن الرافعى يصدر عنه فى أدبه فى مقاله الأول ، فإن من الأذهان ما هو مشرق أو خاب وما هو متفتح أو مغلق إلى آخر ما قال . لكن رجعة إلى صيغة حكمه الذى نقلناه لك فى هذا المقال تبين لك حظ هذا الزعم من الصراحة والصدق . إنه لم يخطئ فى عدم « تحديد » الذهن لأنه حدده بأوضح الألفاظ فى ذلك الحكم . وقد كان يستطيع أن ينكر ويتراجع فى صدق وصراحة من غير لف أو اختداع للقارئ . ولا عليه من شىء قاله أو يقوله من مدح أو ذم ، من إطراء أو هجاء ، فان المدح والذم يستويان عند « ذوى المواهب الذهنية » إذا صدرا عن « ناقد » تسخر عقله العاطفة ، كما بينا فى هذا المقال ، وكما نرجو أن نزيده إن شاء الله بيانا فيما يأتى من الكلام

محمد أحمد الغمراوى

محمــــد اقبال

للدكتور عبد الوهاب عزام

منـذ شهرين خفت صوت كان يقصف فى أجواء الشرق ليوقظه، وخبا برق كان يتلألأ فى الظُّلَم المتراكمة يضيئها، وطفئ مصباح كان نوراً للسالكين فى هذه الغياهب، وهدى للحائرين فى هذه الفتن، وسكن قلب كان يحاول أن يزلزل الأرض بخفقانه، وينشئ الناس نشأة أخرى بإيمانه، وهمدت نفس حرة كانت تكبر على حدود الأوطان والحدثان، والزمان والمكان

منذ شهرين فقد الناس عامة، والمسلمون خاصة شاعراً مفلقاً، ومفكراً مُبدعاً، وفيلسوفاً حرًّا؛ وافتقد شباب المسلمين فى الهند وغيرها حامل اللواء الذى كان يدعو إلى السموّ فوق كل عقبة، والسير وراء كل غاية، ويناديهم صباح مساء

آه للعشق الذى قد ذهبا ملأ الأرض ضيـاء وخبا
رُزق الميلاد فى أرض الحرم وأتاه الموت فى بيت الصنم

كلا. ما خفت الصوت، ولا خبا البرق، ولا طفئ المصباح، ولا سكن القلب الكبير، ولا همدت النفس الحرة، فكل أولئك خالد فى آثار إقبال

— ٢ —

كان محمد إقبال عقلا كبيراً، وقلباً عظيما؛ درس ووعى مدنية الاسلام ومدنية أوربا ثم قام ناقداً لا مقلداً، وحرًّا لا عبداً؛ فكان من عظم عقله، ووقدة ذكائه، وكبر نفسه، وسموّ قلبه، ومن العلم الواسع والالهام الالـهي هذه الآثار الخالدات

وهب إقبال فكره وقلبه للمسلمين يوقظهم ويعلمهم، ويصف داءهم ودواءهم، ويُشيد بماضيهم، ويبشر بمستقبلهم، ويصوغ وحى عقله وعاطفة فؤاده شعراً يوقظ النفوس الهاجدة، ويشعل الهمم الخامدة، بل يكاد يبعث الأموات، ويحيى الموات، تنسم فيه نفحات صوفية، وتنير فى جوانبه لمات إلاهية. وقد صدق شاعر الاسلام محمد عاكف بك رحمه الله إذ قال: لو أن جلال الدين الرومى صاحب المثنوى بعث فى هذا العصر لكان محمداً إقبالا.

— ٣ —

نظم إقبال عشر منظومات نشرت على هذا النسق:

١ — أسرار خودى (أسرار الذاتية)
٢ — رموز بى خودى (رموز اللاذاتية)
٣ — بانك درا (صوت الجرس)
٤ — بيام مشرق (رسالة المشرق)
٥ — زبور عجم (زبور العجم)
٦ — جاويد نامه (كتاب جاويد سماه باسم أحد أبنائه)
٧ — مسافر
٨ — منظومة نظمها أثناء الحرب الحبشية وجعل عنوانها (وبعد فما العمل يا أمم الشرق)
٩ — ضرب كليم
١٠ — بال جبريل (جناح جبريل)
ومات وهو ينظم أهنك حجاز (لحن الحجاز)

ومن هـذه المنظومات التسع ثلاث بالأوردية والأخريات بالفارسية

وله مؤلفان باللغة الانكليزية: الأول «تطور ما وراء الطبيعة فى إيران» والثانى محاضرات أراد فيها أن يبنى العقائد الاسلامية على أسس جديدة وسماها «إصلاح الأفكار الدينية فى الاسلام»

ولا يتسع الوقت للكلام عن هذه المنظومات وما ضمنت من شعر رائع وفلسفة عالية، فحسبى أن أشير إلى كتابيه أسرار خودى ورموز بى خودى، فقد شرح فيهما فلسفة فى الذاتيـة واللاذاتية، وبين أن العالم قائم على الذاتية وأن على الانسان أن يقويها ما استطاع، ثم بيّن كيف تلتئم الذاتيات القوية فى الجماعة واتخذ من تاريخ المسلمين رجالهم وجماعاتهم مُثُلا لتطبيق هذه الآراء

وكذلك أشيرُ إلى كتابه «بيام مشرق» الذى جعله جواباً للشاعر الألمانى جوته صاحب «ديوان الغرب» وفيه صوَر من الشعر والفلسفة يفخر بها الشرق على الغرب، وفيه نقد لكثير من مذاهب أوربا وفلاسفتها

ثم أشير إلى كتابه جاويد نامه الذى قصّ فيـه رحلته فى الأفلاك ولقاءه عظماء المسلمين فى العصور القريبة والبعيدة. وكان دليله فى هذه الرحلة جلال الدين الرومى، ولهذا الرجل العظيم على إقبال تأثير عظيم

— ٤ —

منظومات إقبال فيها سعة النفس العظيمة التى لا تحد؛ ولكن يستطيع قارئها أن يتبين أصولا خمسة يدور حولها كثير من شعره:

١ — الحياة هي الجهاد الدائم وتسخير قوى العالم

« ما الحياة ؟ هي أن تأسر نفسُك هذا العالم . فكيف تجعل نفسك لهذا العالم أسيرة ؟ »

٢ — وإنما يصلح الانسان للجهاد بتقوية نفسه ، واستخراج كل ما فيها من قوى . وقد بنى على هذا مذهبه في الذاتية وشرحه في كتاب « أسرار خودى » ...

ومن كلامه في بيام مشرق : « أخرج النغمة التي هي أساس فطرتك . أيها الضالّ عن نفسه ! خل نفسك من نغمات غيرك . »

ويقول على لسان اليراعة والحباحب : « لست كالفراشة اصطلي بنار غيري . ولكني أشتعل بنفسي ولا أحمل لأحد منّة ؛ إذا صار الليل أحلك من عين الظبي أرت بنفسي لنفسي الطريق »

وتقتضي هذه الذاتية الحرية، وحرّية اقبال ألا يحدّ النفس شيء حتى الزمان والمكان

هو بالأمس خبير بغد وهو اليوم نجيُّ الأبد

وقد بين في أسرار خودى الفرق بين العبد والحر في قوله :

« العبد ضال في ليله ونهاره ، والحر يضل في قلبه زمانه . العبد يخيط الليل والنهار على نفسه ، وينسج من الأيام كفنه ، والحر ينسج على الزمان عزائمه — العبد طائر في شبكة الصباح والمساء ، حرمت روحه السبح في الهواء، وصدر الحر الهمام، قفص لطائر الأيام . فطرة العبد تحصيل الحاصل ، وخواطره تكرار قاتل . ومقامه من الجود واحد ؛ وصوته بالليل والنهار راكد . والحرّ كلّ حين خلاق يسكب نغمات جديدة في الآفاق ، فطرته لا تحتمل التكرار ، وليست طريقه حلقة البركار ، العبد في سلاسل من زمانه ، والقضاء والقدر ورد لسانه . وهمة الحرّ مشيرة على القضاء، تصوّر يده الحادثات كما تشاء »

٤ — العلم وحده حجاب دون الحقائق وعقبة في سبيل الحياة — كما يقول ناحت صنم وبائع صنم وعابد صنم لابد مع العلم من العشق. وهو يذهب في هذا مذهب الصوفية كفريد الدين العطار في الكلام على العلم والعشق ، وهم يعنون بالعشق الوجدان اليقظ وهذه الحرقة التي تسمو بالانسان عن السفاسف إلى المعاظم وتدفعه إلى الحق والخير ، وتوجهه إلى الله . وقد ضرب في ذلك مثلاً ابن سينا وجلال الدين الرومي ؛ قال : ضل أبو عليّ في غبار الناقة ونالت يد جلال الدين ستر الهودج ، هذا دار مع الفتاة على وجه الماء وذاك غاص في اللجة فظفر باللآلي

٥ — هذه الأصول في فلسفة إقبال لها مُثل لا تحصى في مقاصد الاسلام وسننه وتاريخه . وهو يكره النزعات الوطنية الضيقة ويشيد بالأخوة الاسلامية العامة . وقد بدأ نشيده الذائع في الهند والذي يسمى النشيد الملي بقوله : وحين وعرب همارا هندوستان همارا مسلم هين هم ، وطن هم ساراجهان همارا « الصين والعرب لنا والهند لنا ، نحن المسلمون وطننا كل هذا العالم »

وقال في بيام مشرق : إن الناس لاموا طارق بن زياد حينما أحرق السفن وقالوا هذا بعيد من الشرع والحزم . فسل سيفه وقال الأرض كلها ملكنا لأنها ملك ربنا »

— ٥ —

كان إقبال واثقاً بنفسه ، ممتداً بآرائه يتدفق في شعره تدفق البحر لا يعرف خوفاً ولا تردداً . وكان يرى أحياناً أنه بشير المستقبل ، وأنه صوت شاعر الغد ، وأن العصر الحاضر لا يدرك معانيه ، والجيل القائم ليس كفء كلامه يقول :

« أنا شمس حديثة الميلاد ، لا تعرف رسوم هذا الفلك ، كما يغمر النجوم ضياؤها ويرقص على صفحات البحار شعاعها ... أنا نغمة لا تبالي بالمضراب ، أنا صوت شاعر الغد ... إن عصري لا يفهم الأسرار .. أنا يائس من الأصحاب القدماء ، وإن طوري يشتعل ليظفر بكليم ، بحر أصحابي كالقطرة لا تزخر ، وقطري كالبحر فيها طوفان مضمر . نغمتي من عالم آخر وجرسي لغير هذه القافلة ... كم مرت بهذه الصحراء قوافل تمشي الهوينى كما تسير الناقة ولكني عاشق الصياح إعاني وضوضاء الحشر طليعتي أنا نغمة ولكنها أكبر من الوتر ، ولست أشفق على هذا العود أن ينكسر

كم شاعر ولد بعد الموت أغمض عينيه ليفتح عيوننا وبدا من وراء الموت كما تنبت الأزهار في تربته .

ذلكم الرجل الذي فقدناه أمس ، والذي يدرك عارفوه ماذا فقد المسلمون منه .

كان اقبال يتمنى أن يموت في الحجاز فان تكن فاتته هذه المُنية فله بعض العزاء في أن يستمع العالم الحديث عنه من البيت المقدس ، من المسجد الأقصى من قبلة المسلمين الأولى

عبد الوهاب عزام

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ١ —

ألفت وزارة المعارف جماعة لتيسير قواعد تدريس اللغة العربية من حضرات الأساتذة طه حسين عميد كلية الآداب، واحمد أمين وابراهيم مصطفى الأستاذين بهذه الكلية، وعلى الجارم بك مفتش اللغة العربية الأول، ومحمد أبي بكر إبراهيم المفتش بوزارة المعارف، وعبد المجيد الشافعي الأستاذ بدار العلوم

وكان على وزارة المعارف أن تراعى مكان الأزهر في هذا العمل الذي أرادته، فتضيف إلى رجالها الذين اختارتهم من كلية الآداب ودار العلوم أستاذين أو أكثر من رجال الأزهر، حتى يأتي هذا العمل الذي أرادته باتفاق معاهد العلم في مصر، فيكون له مكانته واحترامه، لأن التغيير الذي عملته تلك الجماعة لا يقتصر على تيسير قواعد تدريس اللغة العربية، بل يتعدى هذا إلى إحداث تغييرات خطيرة في نفس تلك القواعد، فكان من الواجب أن يختار لذلك جماعة من هذه المعاهد المختلفة في بيئتها وثقافتها، ليتم الأمر فيه بعد تجاذب العقول المختلفة، والمشارب المتباينة، وبعد دراسته دراسة متزنة تقوى على النقد، وتقبلها هذه البيئات المختلفة

ولقد ظهر عمل هذه اللجنة فظهرت حركة يراد منها القضاء على كل ما عملته بجملته وتفصيله، ولا يهمها بعد هذا أمر تيسير تلك القواعد التي ألفت هذه الجماعة من أجله، وهو أمر لا بد لنا منه في هذا العصر الذي تزاحم فيه العربية مزاحمة شديدة يخشى منها عليها، وتأخذ نفوس كثير من أبنائها إلى الانصراف عنها لما تجده من تعقيد في بعض قواعدها، فلا بد لنا من تذليل هذه القواعد المعقدة وتيسيرها، ولا بد لنا من حذف ما فيها من حشو يمكننا الاستغناء عنه، ويجب إذا ظهر أمامنا عمل في هذا السبيل أن نعمل على الاستفادة منه، وأن يكون رائدنا البحث في تهذيبه وتكميله، ولا يصح أن يكون رائدنا هدمه وتقويضه لا غير، فكم جنى هذا على محاولات الإصلاح فينا، وكم نشر فينا من عوامل اليأس في إصلاح حالنا. وسيكون نظرنا في عمل هذه اللجنة قائماً على أساس التهذيب والتكميل، ونرجو أن يكون هذا رائد كل محب للغته، حتى يتم لنا النهوض بها، ولا يكون حظنا في هذه المحاولة الإصلاحية كحظنا في غيرها من محاولات الاصلاح، معركة من التنابذ والتخاصم تفسد ولا تصلح، وتهدم ولا تبني، ويعمل فيها سوء الظن بكل جديد عمله في توسيع مسافة الخلف، وعدم الوصول إلى شيء يصح الاتفاق عليه. ولولا هذا الظن السيء بكل جديد لأمكننا أن نصل إلى هذه الغاية التي تقضى على أسباب الخلاف بيننا، وتعمل على توحيد كلمتنا، وتجعل التعاون على الاصلاح رائدنا في كل أعمالنا

باب الاعراب

ترى اللجنة وجوب الاستغناء عن الاعراب التقديري والاعراب المحلى، لأن مثل — الفتى — يعرب بحركات مقدرة على آخره منع من ظهورها التعذر، ومثل — القاضي — تقدر فيه حركتا الرفع والجر لأجل الثقل، ومثل — غلامى — تقدر فيه الحركات الثلاث لأجل المناسبة، وفي تقدير الحركات وفي الاشارة إلى سبب التقدير مشقة يكلفها التلميذ من غير فائدة يجنيها في ضبط كلمة، أو في تصحيح إعراب. كذلك الاعراب المحلى، فمثل (هذا هُدًى) هذا يبنى على السكون في محل رفع، ومثل (ياهذا) مبنى على ضم مقدر منع منه سكون البناء الأصلي في محل نصب، وكذلك (ياسيبويه) مبنى على ضم مقدر منع من ظهوره حركة البناء الأصلي في محل نصب. وهذا عناء مضاعف وجهد يبذل لغير شيء، فيجب الاستغناء عن الاعراب التقديري وعن الاعراب المحلى في المفردات وفي الجمل، ويوفر على التلميذ والمعلم والعلم هذا العناء

وعندنا أن الذي يمكن في هذا إدماج الاعراب المحلى في الاعراب التقديري، فيستغنى بهذا عن باب البناء كله، ويوفر على التلميذ والمعلم والعلم ما يبذل من الجهود في هذا الباب، وما يجب أن يراعى في التطبيقات من الفروق بين الاعراب والبناء، بأن يقال إن هذا مبنى وذاك معرب، وبأن يقال في المبنى إن محله كذا من الرفع أو النصب أو الجر، ولا يخفى ما يذكر في علة البناء من تكلفات لا داعي إلى ذكرها هنا

فلغة العرب تمتاز على غيرها من اللغات بأنها معربة ، أى بأن أواخر كلماتها لاتلازم حالة واحدة ، وهذا الحكم عام فى أسمائها وأفعالها وحروفها ، لأن حروف العربية منها ما هو مفتوح الآخر مثل رُبَّ ، ومنها ما هو مضموم الآخر مثل مُنذُ ، ومنها ما هو مكسور الآخر مثل جَيْرِ ، ومنها ما هو ساكن الآخر مثل عن ، فمثل — رب — يقال فى إعرابها إنها منصوبة بالفتح الظاهر ، ومثل — منذ — يقال فى إعرابها إنها مرفوعة بالضم الظاهر ، ومثل — جير — يقال فى إعرابها إنها مجرورة بالكسر الظاهر ، ومثل — عن — يقال فى إعرابها إنها مجزومة بالكسر الظاهر

وكذلك أفعال العربية وأسماؤها ، فأفعالها منها ما هو مفتوح أو مضموم أو ساكن ، مثل الماضى فى ـ نام ـ ناموا ـ نمت ـ ومنها ما هو مضموم أو مفتوح أو ساكن ، مثل المضارع فى — يفهم — لن يفهم — ليفهمنّ — لم يفهم — يفهمن — ومنها ما هو ساكن أو مفتوح مثل الأمر فى ـ إفهم ـ إفهمنّ

وهذا كله فيما يتعلق بحركات الاعراب الأصلية ، أما العلامات التى تنوب عنها فسيأتى الكلام عليها فى العلامات الأصلية والفرعية

وأما أسماؤها فمنها ما هو مضموم مثل المبتدأ والخبر فى قولك (الباب مفتوح) ومنها ما هو مفتوح مثل اسم إن فى قولك (إن العدل محمود) ومنها ما هو مكسور مثل المضاف إليه فى قولك (غلام زيد) . ويمتاز الاعراب فى الأسماء بأنه يجرى على حسب أنواعها لا على حسب مفرداتها ، فكل مبتدأ فيها مضموم وهكذا ، وكل مفعول فيها مفتوح وهكذا ، وكل مضاف إليه فيها مجرور وهكذا ، ومثلها الأفعال فى ذلك إلى حد ما

والاعراب التقديرى يأتى فى الكلمة العربية بأن يكون لها حكم فى الاعراب باعتبار نوعها ، ولكنها تكون فى ذاتها متحركة بحركة تخالف حكم نوعها فى إعرابه ، فمثل (جاء الفتى) الفتى فيه فاعل حكمه الضم ، فيكون ضمه تقديرياً ، ومثل (جاء سيبويه) سيبويه فيه فاعل مضموم ، فيكون ضمه تقديريا أيضاً

ولا بد من تقدير هذا الاعراب لأنه إذا كان لا يظهر فى صاحبه فانه يظهر فى تابعه ، فتقول (جاء هذا الفاضل) ، (ورأيت هذا الفاضل) ؛ (ومررت بهذا الفاضل) ولا شك أن وجود هذا الاعراب فى التابع يدل على وجوده فى متبوعه

وعلى هذا يكون إعراب — جاء سيبويه — مثل إعراب — جاء الفتى — كل منهما فاعل مرفوع بضم مقدر ، ولا داعى إلى ذكر سبب التقدير فى كل منهما ، لأن هذه فلسفة لا طائل تحتها ، والاشتغال بها حشو فى النحو لا فائدة فيه

ويكون الاعراب التقديرى فى ثلاثة أقسام من أنواع الكلام : أولها الكلمة المقصورة مثل — عصى — يخشى — الفتى — وثانيها الكلمة المنقوصة مثل — يرمى — القاضى — وثالثها الاسم اللازم ، وهو اصطلاح جديد نطلقه على الاسم المبنى بعد أن ألغينا ذكر هذا الاصطلاح فى النحو ، ويدخل فى هذا القسم كل اسم لايتغير آخره فى حالات إعرابه من الضمائر والموصولات وأسماء الاشارة ونحوها ، فاذا اتفقت الحركة التى يلازمها مع حركة إعرابه كان إعرابه ظاهرا لا مقدراً ، مثل — نحن نفهم — فنحن مبتدأ مرفوع بضم ظاهر فى آخره ، ويكون حاله فى هذا قريبا من حال القسم الثانى وهو المنقوص ، إذ يقدر إعرابه فى حالتى الرفع والجر ، ويظهر فى حالة النصب ، ولا يقدر إعرابه فى جميع حالاته كما يقدر إعراب المقصور

(للكلام بقية) أزهرى

الفروسية العربيـــة

للمجير كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

— ٢ —

الحرب

لا تتجه نظرة البدوى فى الحرب إلى ربح المركة كما قلت سابقاً. وإنك لا تجد فرقاً بين فرسان القرون الوسطى فى أسبانيا أو مغامرات ريكاردوس قلب الأسد فى حروبه عندما يصطف الفرسان ويتبارز الفارس والفارس وبين حروب البدو ، وقد انقرضت هذه العادة منذ عشرين سنة فقط . إن حب المفاخرة وتطلب الشهرة واحترام تقاليد أساليب الحرب مع عدم وجود الكراهية الشخصية بين الفريقين المتحاربين هى الروح التى تسيطر على المارك . وإن البدوى يجد فى الهجوم ليلاً على مخيم العدو نذالة بل جبنا ؛ وإن معاونة الجرحى وعدم التعرض للنساء فى الحرب أمر عادى لديه . ومن تقاليـد البدو وعاداتهم إذا ما التقطوا جريحاً أو أخذوا أسيراً أن يعاملوه باحترام ويقدموا إليه طعاماً وشراباً ومأوى إلى أن يشفى، ومن ثم يزودونه بالمؤونة ويمير ليذهب إلى قبيلته بسلام . إن العقيدة أو الفكرة التى تخرج بها من كل هذه التقاليد والاعتبارات هي أن البدوى يهتم أن يحارب بشرف قبل أن يهتم بربح المركة

والمرأة هى التى تثير حماسة الرجال فى الحرب ، وكما قلت تحكم على بطولتهم ، وقد جرت العادة أن تحضر النساء الموقعة راكبة فوق الجمال فى كتبان[1] مزينة ، وكثيراً ما تبرز المرأة من الهودج محلولة الشعر كاشفة الصـدر وهى تتغنى بأعمال البطولة راوية أعمال الأبطال السابقين، وكثيراً ما تنادى الفرسان بأسمائهم؛ ولا أرى ضرورة لأن أذكر أن الطرفين كانوا يعفون عن النساء أو لا يقربونهن

(١) الـكتب أو الغبيط نوع من الموادج ، قال امرؤ القيس :
تقول وقـد مال الغبيط بنا معاً   عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
(المعرب)

ومن جهة أخرى فان الابل كانت تلعب دوراً هاماً فى الحرب. إن الابل من أهم الضروريات للبدوى ، ومن المعتاد أن اغتنام قطيع الابل دليل على انتصار الفريق الغانم على الآخر ، ولما كانت الإبل هى ثمرة الحرب فقد كان شيوخ البدو يحرصون عليها ويتوارثونها جيلاً بعد جيل، وقد جرت العادة أن يسمى الشيخ قطيعه باسم خاص . إن هتاف فرسان البدو فى الحرب ينحصر فى اسم حبيبة الفارس أو باسم أخته أو باسم قطيع جماله . فيهتف مثلا (أنا أخو جوزا — فيصل) أو (لعيون حميده) أو (خيال العليا — النورى) والعليا قطيع من الإبل

ومن الحكايات التى تروى عن سلطان بن سويط ، وقد كان شيخاً لعشيرة الظفير منذ ثلاثة أو أربعة أجيال ، أن جماعة نهبت أموال فتاة على حدود الحجاز؛ ولما كان سلطان مشهوراً بشجاعته وفروسيته فقد هتفت الفتاة: (أين أنت يا سلطان لتدافع عن فتاة) وقد تناقل العرب هـذه الحكاية حتى وصلت إلى سلطان فأقسم لينتقمن لها ، وكيف لا وقد استغاثت به ولو على بعد مئات الأميال

وسأروى لكم حكاية حقيقية وقعت منذ جيلين فقط :

— اشتهرت فى الجنوب قبيلتا عتيبة وقحطان بعدائهما الشديد وكثرة غارات بعضهما على بعض ، وقد كان لابن هادى شيخ قحطان ابنة صارت مضرب المثل عند العرب فى الجمال — وقد رفضت كل الذين تقدموا لخطبتها . وكان ابن حميد[1] اشتهر بشجاعته وفروسيته وكثرة غزواته الموفقة التى شنها على قحطان حتى أقسم شيوخ قحطان يوماً أنهم سينحرون إبلهم فى اليوم الذى يأسرون به ابن حميد . وقد حدث أن تقدم رجل لخطبة ابنة هادى ، فلما راجعها والدها بهـذا الشأن أجابته قائلة : إننى لن أتزوج إلا أشجع فرسان العرب وأكرمهم وأجملهم . وقد كان رجل صليبي يسترق السمع فسمع ما دار من الحديث بين الوالد وابنته، وعند ما خرج والدها دخل عليها خدرها وقال إن هذه الصفات لم تجتمع يا مولاتى إلا لابن حميد . فأجابته : ليتنى أراه ولو مرة

(١) محمد بن هندى بن حميـد شيخ فريق برقة من عتيبة وهو شيخ قبيلة عتيبة كلها وتنقسم هذه القبيلة إلى فخذين كبيرين برقة والروقة وقد توفى معمراً . وولده نايف موجود الآن فى العراق إذ فر إليها من حبسه فى الرياض . (المعرب)

واحدة . فنقل الصليبي هذا الحديث لابن حميد . وقد كانت شهرة بنت هادي وصيت جمالها قد سبقا وصول خبرها إلى ابن حميد فكتم هذا الحديث فى نفسه حتى إذا جن الليل غادر منازل عشيرته ذاهبا إلى منازل قحطان وتسلل بين البيوت حتى دخل خيمة الفتاة وأيقظها بلطف وعرفها بنفسه ففرحت به، ولكن لم تكد تهدأ أعصابها بعد فرحها بلقائه حتى جزعت عليه لهذه المغامرة فطمأنها. وظلا يتسامران حتى طلع الفجر . وكانت العادة أن يجتمع البدو عند شيخ القبيلة صباحا لشرب القهوة وللتداول فى شئون العشيرة . فلما اجتمع الشيوخ خرجت الفتاة إلى والدها قائلة : يا أبت أطلب إليك أمنية فهل تعدنى باجابتى إليها ؟ فأجابها : إن أمنيتك مستجابة قبل أن تطلبيها . عندئذ قالت اشهدوا يا شيوخ قحطان على قول والدى . فأجابوها : نحن شهود على قوله . فقالت : حينئذ أريد أن تُبقي على بن حميد. فأجابها والدها لا تكوني سخيفة ! هذا عدو قبيلتنا ؛ وعلى كل حال بيننا وبينه ما نتاميل على الأقل. فأجابته : كلا إنه فى هذه الخيمة. فقام والدها يريد الرجل لينتقم منه فاستوقفته منادية شيوخ قحطان الذين تدخلوا فى الأمر وذكروه بوعده، فخضع للأمر الواقع، وهنا خرج ابن حميد ليتزوج حبيبته بينما نحر شيوخ قحطان الولائم لا لأسر ابن حميد بل احتفاء بزواجه من فتاتهم .

هذه الحكاية ترينا بجلاء أن غاية البدوى الفخر والمجد لا النصر، والحرب وسيلة المجد وليست وسيلة الكسب. وأمثال هذه الحكاية كثيرة لا تحصى .

لا يكون حديثنا عن الفروسية تاما دون التحدث عن صلاح الدين . فى الحقيقة أن صلاح الدين كردي، وقد قاتل لأجل الدين لا لأجل المجد والشرف ، ولكن روح الفروسية ظهرت بجلاء فى كثير من أعماله . حينما حاصر صلاح الدين قلعة الكرك لأول مرة كان أميرها همفرى أوف تورن يعقد قرانه على الزابث أخت ملك القدس. ولما علم صلاح الدين بالأمر منع جنوده عن رمى السهام على القلعة، كما أن صاحبها أرسل إلى القائد المسلم الخبز والخمر واللحم من وليمة العرس . ولما خرج ريكاردوس قلب الأسد للدفاع عن يافا بالبر كان راكبا دابة استعارها من أحد السكان، ولكن صلاح الدين الشهم أرسل إليه فورا جوادين مع خادم ليركبها البطل العربى فى المعركة .

ومثل آخر من أمثلة الفروسية ما فعله القائد الفرنسى الباسل فى فونتانتونى إذ دعا الحامية الانكليزية إلى إطلاق النار أولا .

إننا فى وقتنا الحاضر قد نزدرى مثل هذه الأعمال ولكن يجب علينا ألا ننسى أن عقيدة البدوى في الفروسية هى القيام بالأعمال التى تنيل المجد والفخر لا كسب المعركة .

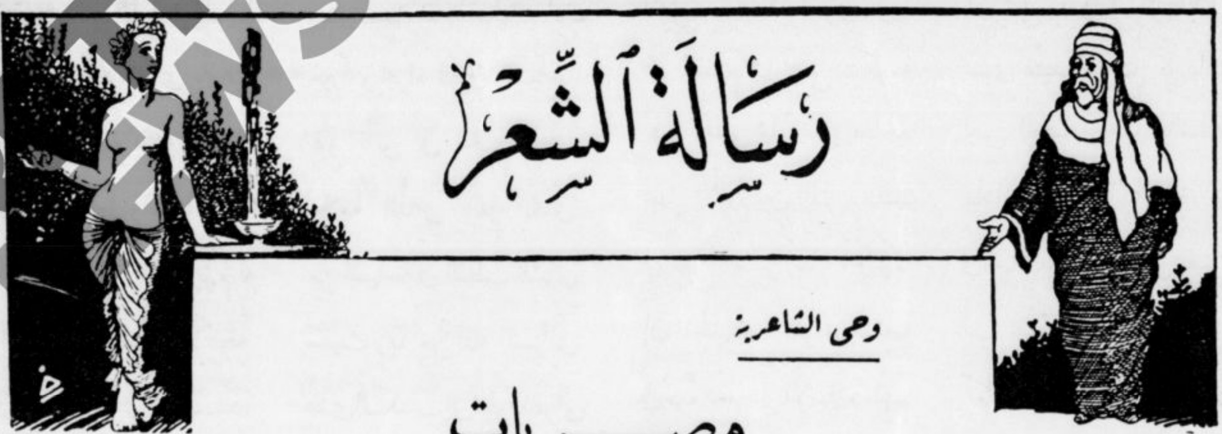
الـكرم

يحمل الكثيرون من الأوروبيين ـ كنتيجة لزيارتهم للشرق ـ فكرة سيئة عن العرب لكثرة المتسولين ، ولكنى أصرح بأن الذين يتسولون هم الطبقة الدنيا من العرب؛ أما الطبقات الأخرى حتى التى يكثر فيها الفقراء فهم لا يتدانون لمثل هذا العمل، وإذا ما أخذ البدوى دراهم (بخشيشا) فانه يأخذها ليكرم بها . لأن البدوى كما قلت لا يهتم لمتاع هذا العالم — وهو لا يتردد أبدا فى نحر آخر ما يملكه من الابل لإطعام ضيف يمر به ولو كان هذا الضيف غريبا .

توجد قبيلة من البدو قاطنة فى شمال الحجاز فقيرة معوزة حتى أن أفرادها لا يملكون خياماً يأوون إليها وهم يقطنون الكهوف ، ولكنهم إذا ما رأوا ماراً بالطريق ركضوا نحوه وأحضروه ونحروا له ما يملكون من المواشى

« يتبع »

جميل قبعين



مصريات

للأستاذ حسن القاياتى

الجمود العلمى — مشيخة الاسلام — أمنية الاصلاح — مناجاة الشرق خلال العصر — النيل والحرية — الرياء والذلة — الانتخابات الزائفة إلى المنبت

من الملائك فى زىّ الأناسىّ ... تبارك الله يا مصر الأمانىّ
النيل مجتمع الحسنى كما احتشدت ... ملاحةُ الروض فى خدّ الأقاحىّ
علمٌ وجنّاتٌ نبت مصر بينهما ... أحظى من النحل بالشهد النباتىّ
العلم حلية عصر نحن شارته ... صوغَ الهلال على العام الهلالىّ
من يحك عنّا يردّد كل ساحرةٍ ... كالعود ترجم للصوت الغنائىّ(١)
أدل بالغرب جيلٌ أوّليته ... لم تشهد الحسنَ يستوحى لغربىّ
كُنا وكانوا فتلك الشمس مخبرة ... أن ليس فى الغرب نورٌ غير شرقى
فى عين شمسٍ لنا أو أرض أندلس ... وادٍ من العلم صخّابُ الأواذىّ(٢)
لنا البديع كأن الشمس قد نُثرت ... صبغاً على كل حالٍ منه شمسىّ
سحر اليراعة فنٌّ كم نساجله ... بكل صنّاعةٍ للسحرِ فنىّ
ما أرسلت مصرُ بالتبيان ساحرةً ... إلاّ وقد حاسنته بالقباطىّ(٣)
عطفاً على لغة التنزيل إن لها ... فى ندوة الحىّ شأناً غير منسى
صونوا البيان فللدولات ناهضةٌ ... شأوُ البيانىّ فى وقع الرُّدَيْنىّ
مصرٌ على قلةٍ فى مصر مكثرةٌ ... عَدّ الأماجيد كالرقم الحسابى
تمشى إلى جنة العلياء نسلُبها ... برد الجوانح من ظلٍّ ومن رِىّ
الجدُّ يعليك فيمن لا تشابهُهُ ... كالأرض تخطر فى ركب الدّرارىّ

***

النيل بالأزهر الوضاح نهضته ... كالبيت قام على الركن اليمانى
ما أنبل الأزهر الدينى يقبسه ... عهدُ الصقلىّ من عهد التهامىّ
لله شيعيّة صلّتْ بقبلتـه ... فراح أزهر سُنّىٍّ وشيعىّ
ما أجدر العلم أن يحيا بموثقه ... ودُّ الشتيتين مشدود الأواخىّ
بيتٌ وبيتٌ أقام الرشدُ مدرسةً ... بالقاهرىّ وصلّى بالحجازىّ
واهاً له أزهراً لو أن عاله ... مشى إلى الدين فى الرأى الأمامى
العلم يفتنّ وضّاحاً فنطلبه ... بالأزهرىّ مقيماً فى الأحاجىّ
غفرانك الله إن العصر مُدّخرٌ ... للأزهر بين ذكراً غير مطوىّ
يا أزهر العلم دُمْ للشرق مدرسةً ... عزّ العراقُ فيها بالشآمىّ
حىٌّ الجديد فما يرضى معارضةً ... حتى لدى الموت قبراً غير عصرى

***

لا نضّر الله للتثقيف آونةً ... ألحّت على الوحى بالشرح الخراقىّ
عهدٌ تزار به الموتى لخشيتها ... وربك الحىُّ فيه غير مخشىّ
إن الكتاب الذى صلّى بسورته ... محمدٌ بات صوتاً فى الأغانى

---

(١) ترديد العود لما يقوله المغنى يسمى ترجمة فى الاصطلاح الموسيقى
(٢) الأواذى : الأمواج
(٣) القباطى : نسيج مصرى قديم ينوه به التاريخ

غنت به «أم كلثومٌ» فجاوبها ... من «آل رفعت» أشباهُ القماريِّ
دين الحنيفيِّ لا يُجزَى بأزهره ... خيراً ويجزاه للدين السياميّ
الشرع فى القوم يبنيه ويهدمه ... غاوٍ تأنق فى الحلم المناميّ
أزرى على العلم والدنيا مثقفةٌ ... علامةُ الناسِ بالعلم اللدُنّيّ
قطب من الرشد أدنى مايؤمُّ له ... من السماحة فى القطب الشماليّ
إذا تشكيت للنّاع لاَعِجَةً ... سقيت ريًّا من الماءِ السّرابي
زين الشيوخ حرِيٌّ أنْ يُسدّدَهُ ... هُدَى الكتاب إلى الجود الفراتى
لا أظلم الجودَ كم سحتوت أرملة ... لدى (الأمامين) والقبر (الحسينى)
يعطى لدى كل قبر كل مكتنز ... باب الزكاة لديه غير مرضيّ
بنو الحياة حُلاها كيف نطلبها ... بكل غادٍ على الموتى قرافى ؟؟
لله عـلامة بالدين يعصمه ... إن بات عالم دين غير ديني
مِلْءُ العيون سنا والشرق محمدة ... مِلْءُ النفوس هدى مِلْءُ الأمانى
إن دام للأزهر الوضّاءِ حاضِرُهُ ... فالأحمـديُّ به فوقَ المراغى

***

تبا لمشيخة الإسـلام يفرضها ... مَنْ ينزل الوحى بالأمر الوزارى
شيخ ومن أين للإسلام مشيخة ... لولا تكذّبُ داعٍ أو حوارى ؟
معليك يادين إن شابتك زائفةٌ ... فلَّ الزجاجَ برأيٍ منه ماسيّ
باسم الولاية كم شيخ مراشفه ... على يدَيْ كل «شبّاك وسُبكىّ»
الغرب يضحك والإسلام يخجله ... من شيخه قبلة فى كفّ سُوقيّ
بعضُ العمائم يطويه على سخَفٍ ... دين العفيفىِّ عن وحى السباعى
صاد الرفاعىُّ ثعباناً فألّهَهُ ... يا آيَ موسى هنيئاً بالرفاعىّ
هيهات لن يؤمن الأشياخ أو يصلوا ... دون الأناسىّ خلاّق الأناسيّ

***

يا مصلح الازهر المصدوق آمله ... حياك باريه بالروح السّماوىّ
طبعت للنفع طبع الشمس منتحياً ... إلى الهُدى سنة النور الصباحىّ
للدين ندعوك، للاصلاح يؤنسُهُ ... مجدُ القُدامَى، وللنبت العصامىّ
أقبل كوصفك نوراً أىّ مشترك ... لا خير فى شيمة العلم الأنانىّ
الدين إن لم تَصُلْ بالعلم حجته ... فاز الخرافىُّ منـه باليقينىّ
أعمل حجاك فما أحرى بنيّره ... أن يجلى الله فى العرش الالهىّ
ذمّ القديمُ فما أصفى بتكرمة ... سوى عتيد العلى من كل عاديّ
أُفٍّ لنفسي فما ترضى بصالحة ... ليس العصامىُّ فيها بالعظاميّ
جهل الأبوة بين النشء مقتلة ... ماذا يحب من الداء الوراثيّ
فى معهد العصر أبناءٌ أبوّتهم ... فى معهد الدين ألفوْا كل عصريّ
إن الحنيفيّة الغراء يشغفها ... لُبُّ الثقافيّ فى هدْى الحنيفيّ
يا رُبَّ دمع على الإسلام متّهم ... كما تسمّعتَ للنوح الحمامىّ
خافوا على الدين من علم وفلسفة ... ما أنت يادين بالصرح الزجاجيّ
عداوة العلم والإسلام يعشقه ... سجية الإفن فى اللُّبّ الثقافيّ
العلم أجمع فيـه الخير أجمعه ... كالنحل ماذية رفّتْ بماذِيّ(1)

***

مهلاً بنى العصر قد جنت شمائله ... إن الهداة حمام عنـد بازىّ
لا السّرحُ يحميه من أودت بعصمته ... دُنيا الفتُونِ ولا الراعى بمحميّ
مَنْ نصطفيه لدى الإصلاح ترجمةً ... لآية الرشد فى العصر الإباحيّ؟
يا آسى الشرق إن الشرق محتشداً ... يجزيك نعماءَ هادٍ عنـد مهديّ
واهاً لوصفك مسكيًّا نناخله ... بكل ذاكٍ من الأمداح مِسْكيّ
خُذْنَا إلى النور لذاعاً بميسمه ... فلن تضئ بنورٍ غير نارىّ
الجدُّ من بغية الاصلاح أنجبه ... خلط الحريرىّ منه بالحديديّ
السائسُ البرُّ جبارٌ يصرفه ... لُبُّ الدراسىّ فى عزم الحماسىّ
بدِّدْ من الجهل ليلاً أنت غرّته ... إن الصّباح من الليل الغُدافىّ
يا حلكة الجهل فضّاحاً بسنّته ... متى تجليك بالضوءِ النّهارىّ ؟؟

***

لا أكذب العصر إن العصر مختلفٌ ... مجـد الرشيد وأكوابُ النواسىّ !
بنا ظِماءٌ إلى الساقى على يده ... كأس تدفق بالسمّ الشرابى

(1) الماذى العسل الأبيض

ويحى على النيل إن ردت مشارعه ... رِىَّ القلوب من العذب الزلاَلِيّ

تلك الكؤوس ملاء كيف يجرعها

من يرهن النيل فى الدين العقاري

نقضى من الدين ما نخزي بمطلبه ... وللكرامة دين غيرُ مقضِيّ !

لُؤْمُ التصرُّف إذ نودى بنافعةٍ ... قد لَفّ حاجِبَهَا ثوبُ الكمالىّ

إنَّا لنحمل بالآداب زائفةً ... عبء الخدود من الورد الصَّناعى

كم فى الشمائل مطلىٌّ نخادعه ... بكل خدٍّ صنيع الحسن مَطْلِيّ

نُنْحِى على الحسن إغواءً وتحلية ... كالشعر يحنو على السحر الخيالىّ

ما أعدل الحسن تجزينا لواحظه ... على تصبّيه سحريًا بسحرىّ

* * *

يا ربُّ، يا ربُّ خُذْ للنيل من فئةٍ ... ألقَتْ على مصر عاراً غير مصريّ

خافوا علي زيفهم من كل منتقدٍ ... يا ليث رحماكَ للدَّلّ الكناسىّ

لو أرَّخَ الفتحُ لم يعدل مُؤَرّخُهُ

« بيوم بدر » سوى «يوم البدارى»

يوم البدارىّ فوزٌ ليس يعدله ... للنيل فوزٌ سوى النصر العرابىّ

لله درُّ فلان لست أغمزهُ ... ولا رثى الله للعهد الفلاَنِىّ

عهـــد بكينا له إبَّان مولده ... شرَّ العهود وولَّى غيرَ مبكىّ

أنحى على الفكر نفسيًّا فوا كبدى ... هل أنبت السعد فكرٌ غير نفسىّ

إن كان صاحبُ لُبٍّ ليس يعمله ... فأين حدثتَ باللُّبّ الجمادىّ ؟

خُلْفُ الطوائف للأصلاح منقبة ... شمائل الرشد فى الرأى الخلافىّ

لا يملك الشائنُ الفَضَّاحُ منزلةً ... بين الأبيين من ناهٍ ومنهىّ

الْحُرُّ للخطة العلياء غضبته ... وغضبة الوغد للرأى المدانىّ

* * *

عُبَّاد كل رئيس لمة ضربت ... فى مصر فى مصنع الضرب الحكوميّ

همَّتْ براعاتهم بالحق منصلتاً ... وَيْحَ الحديديّ من وقع الحريرى!

واحر قلباه كم نفضى إلي شرسٍ ... من الأناسِيّ فى صولات جِنّىّ

الأمر يبرم سِرّيًا فتلهمهُ ... منابتُ الغىّ من بادٍ وسرىّ

وعدُ المحبين مأتِيٌّ فإن ظفرت ... به العُداة فوعدٌ غيرُ مأتِىّ

* * *

قيل انتخاب(١) فعاذوا فى نيابتهم ... بكل ذئب حديد الناب وحشىّ

ما أقتل العدل فى الشورى إن التفتت

عن كل محتفل بالرأى شـــورى

ضحوا بكل أبيّ ليس يفجعهم ... أن رَدَّ دُستورهم بعض الأضاحىّ

ويح الكراسىّ للنُّواب كم حملت ... أشلاء جَلْدٍ على سلبِ الكراسىّ

إن الدساتير إن خطت معطلةً ... قتل الأمانىّ باللُّؤم الكتابىّ

ما أعدل الله فرداً فى حكومته ... وأعدل الحكم شورى غير فرديّ

* * *

للرفق إلمامةٌ بالنبت واعظةٌ ... مثل الجفون ألمّتْ بالأناسىّ(٢)

يا نبتة النيل يا أذكى صحائفه ... حييتِما بين فَدَّاء ومَفْدِىّ

ألنَّبْتُ للنيل فلينْهَدْ لعزته ... بالجد بالعلم ، بالسحر البيانىّ

السكرية — دار القاياتى

حسن القاياتى

(١) يراد بهذا أحد عهود الانتخابات الزائفة القديمة
(٢) الأناسى : هى أناسى العيون



بين العراق ومصر

سيدى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

لكم تألمت حين قرأت فى (الأهرام) وغير الأهرام وسمعت من إخواننا المصريين ما كتبوا وقالوا فى تأويل حادث الدكتور الشهيد سيف رحمه الله . وكم وددت أن أكتب كلمة فى الموضوع أبعث بها إلى الرسالة أدفع فيها عن العراق وأبين عن وجه الحق، ثم ظننت أن الرسالة تضيق عن مثل ذلك صفحاتها فترددت، حتى طلعت علينا يا سيدى بمقالتك البليغة التى قطعت قول كل كاتب وخطيب، فسرنى منها مايسرنى من كنز أقع عليه، أو أمل أصل إليه، وشكرتها لك أنا وأصحابي، شكر الله لك سعيك وجزاك خيراً، فلقد ذدت والله عن الحق حين ذدت عن العراق، ولقد شهدت شهادة الحق حين شهدت بما رأيت فى العراق

وهذه شهادة أخري، أشهدها بالله ولله، أن قد عشت فى العراق سنة، كنت فيها مع التلاميذ أخاً بين إخوان، لا مدرساً بين تلاميذ، فما رأيت إلا كرماً وودّاً، ووفاء وتقديراً، ورقة فى الطبع وسموًّا فى النفس . ولقد كنت على أن أكتب ذلك من أمد طويل، فكان يمنعني أن الناس يظنون بكل صاحب ثناء رهبة أو رغبة، وما بى رغبة ولا رهبة، وإنما بى حب العراق وإجلاله كحبي لمصر وإجلالى إياها

وأشهد لقد عرفت هذا الطالب فى العام الماضى طالباً فى صف البكالوريا فعرفت فيه الفتى المهذب الوديع، فلما سمعت بفعلته التى فعل، بلغ منى العجب، ولم أدر ماذا حاق به بعدى؛ ثم سألت وتحسست الأخبار فعلمت أنها صدمة (الرسوب) طارت بلبه ولم يطق عليها صبراً (والصبر عند الصدمة الأولى) وتملكته حال لو رأى معها أباه لقتله، فعزم وأمضى عزمه فى لحظة واحدة فهل يلام فى شرع أو عرف من ذهب اليأس بلبه فمضى يفعل فعله من غير لب؟ وهل تؤخذ بجريرته هذه الأمة الحبيبة الوفية المسلمة العربية، وهل تنسى حسناتها كلها لشبه إساءة؟

لئن يكن الفعل الذى ساء واحداً   فأفعالها اللائى سررن ألوف

وهل لنا (نحن معشر العرب المسلمين) إلا العراق ومصر؟ هناك العروبة منشورة اللواء، وهنا الاسلام رفاف العلم، بل هنا وهناك العروبة والاسلام . لقد أسمعتنا هذه الأمة الطيبة، وهذه الحكومة العربية المسلمة، صوت الاسلام يخرج (فى أسبوع المولد) من (محطة) بغداد فتتجاوب به أرجاء هذه الكرة، ولقد سمعنا الكلمة من كل مصرى فى مصر . أفتنفصم عرى هذه الأخوّة التى عقدتها يد الله من فوق سبع سماوات فعلة شاب يائس؟ هل يمكن أن يفرق شىء بين الأمتين المسلمتين الحبيبتين، أمة الملك الصالح فاروق زين شباب المسلمين، والملك الماجد غازى فخر شباب العرب؟

لا والله، إلا أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟

***

فرحمة الله على الدكتور سيف البطل الشهيد، وعلى الطالب القاتل البرئ، وعزّى الأمتين الشقيقتين، بل عزّى الأمة المسلمة (الواحدة) على ضفاف النيل وشواطئ الرافدين، وزادها عزًّا ومجداً و(اتحاداً)

(دمشق)   على الطنطاوى

نجاح الفنانين المصريين

تلقت إدارة الفنون الجميلة بوزارة المعارف من مدير الجناح المصرى بمعرض « بيينال » الدولى للفنون الجميلة المقام الآن بمدينة البندقية والذي اشتركت مصر فيه لأول مرة هذا العام — كتاباً يشير فيه إلى نجاح القسم المصرى بهذا المعرض

نجاحاً حمل بعض الشخصيات الأوربية على إبداء الرغبة فى اقتناء بعض معروضات الفنانين المصريين المشتركين فى المعرض . وطلب المدير تحقيقاً لهذه الرغبة أن يخفض الفنانون المصريون أثمان معروضاتهم حتى يتمكن من تسهيل نشر الفن المصرى بين الأوساط الأوربية الراقية

ولا شك أن نجاح القسم المصرى فى معرض دولى يعد من أكبر معارض الفن بأوربا لما يدعو إلى التفاؤل بمستقبل الفنانين المصريين بفضل الجهود التى تبذلها مراقبة الفنون الجميلة بوزارة المعارف

آثار حملة نابليون بونابرت

سيفتتح قريباً فى قصر « التويلرى » بباريس معرض لآثار حملة نابليون بونابرت على مصر . وسيضم هذا المعرض مجموعة قيمة من الوثائق الخاصة بإعداد هذه الحملة؛ وهى تدل على أن نابليون — الذى عرف كيف يجمع حوله العلماء — كان قد فكر فى جميع التفاصيل المادية . ومن أمثال ذلك أنه حمل معه مطبعة لاعداد مجموعة من البيانات العلمية

وسيتضمن هذا المعرض أيضاً مجموعة من الصور تمثل القواد الشبان الذين اشتركوا فى حملة مصر

ولا شك فى أن التحفة النادرة فى المعرض ستكون الجمل المحنط الذى حمل نابليون فى مصر ولاسيما فى معركة الأهرام

ومع أن نابليون بونابرت كان يشمئز بمثل دوار البحر عندما يمتطى جمله فقد تعلق به وعهد إلى أحسن علماء الطبيعيات فى المتحف بحشوه بالقش بعد أن نفق

وقد مر أمام هذا الجمل مئات من الزوار فى متحف باريس أو فى متحف نابوليون فى ايكس

وقد عاد هذا الجمل التاريخى الآن إلى باريس حيث يظهر فى المعرض وعليه رحل مزخرف بالذهب والفضة

ويحتمل أن ينقل الجمل — بعد انتهاء المعرض — إلى قصر مالميزون بجوار باريس حيث يبقى إلى جانب السرير الصغير الذى كان ينام عليه بونابرت فى منفاه بجزيرة القديسة هيلانة

وفاة أديب انجليزى

توفى المستر برمى هويت الصحفى الروائى فى السادسة والثمانين من عمره، وقد تولى رياسة تحرير جريدة «الرأى العام» بيلك أوبنيون عشر سنوات ، واشتغل محاضراً فى آداب اللغة الانجليزية بالجامعة المصرية من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٢٤

مكتبة عصبة الأمم ودراسة نظامها

وافقت وزارة المعارف على إيفاد الأستاذ احمد رامى إلى جنيف لزيارة عصبة الأمم ودراسة نظام العمل فى مكتبها توطئة لاقتباس هذا النظام وإدخاله على دار الكتب المصرية

مقالة فى الجدل للامام الاسفرايينى

للامام أبى حامد الاسفرايينى مقالة فى الجدل «بينة»، وللعلامة أبى نصر السبكى تعليقة عليها لطيفة . وقد رأيت أن أروى التعليقة والمقالة ، وإنهما لحقيقتان بالرواية فى (الرسالة) :

« قال أبو حيان التوحيدى : سمعت الشيخ أبا حامد (الاسْفَرَايِنى) يقول لطاهر العبّادانى : لا تعلق كثيراً لما تسمع منى فى مجالس الجدل ؛ فان الكلام يجرى فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته ، فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً ، ولو أردنا ذلك لكان خطونا إلى الصمت أسرع من تطاولنا فى الكلام ، وإن كنا فى كثير من هذا نبوء بغضب الله (تعالى) فإنا مع ذلك نطمع فى سعة رحمة الله »

قال أبو نصر السبكى : « قلت : وهو طمع قريب، فانما يقع من المغالطات والمغالبات فى مجالس النظر يحصل به من تعليم إقامة الحجة ، ونشر العلم ، وبعث الهمم على طلبه — ما يعظم فى نظر أهل الحق ، ويقل عنده قلة الخلوص ، وتعود بركة فائدته وانتشارها على عدم الخلوص ، فقرب من الاخلاص إن شاء الله »

« القارئ »

من آفات المناظرة

من آفات المناظرة فى بلادنا (دون بلاد الله كلها) أن جمهرة القراء تنظر إليها نظرها إلى شكل من أشكال الصراع أو القتال لا ترى بينها وبين الملاكمة فرقاً ظاهراً . فليس الظافر من جاء بالحجة الظاهرة والدليل القاهر ، ولكن الظافر من كان أكثر كلاماً ، وأطول لساناً ، وأدنى إلى التعريض والتسميع بخصمه وأقدر على النيل منه ، ومن كان أثبت فى الجدال؛ بل إن كثيراً من القراء يرون الظافر من كان صاحب الكلمة الأخيرة ، أي أنهم يقرأون لهذا فيميلون معه ، ثم يقرأون لذلك فيميلون إليه حتى يسكت أحد الخصمين فيحكموا عليه . أما الموازنة بين الحجج

والمفاضلة بين الدلائل، والحكم حكم المنصف العادل والناقد البصير، فشيء لا يكاد ينصرف إليه أحد. ثم إن القراء لا يعجبون بأحد ما يعجبون بكاتب يدافع وحده ويقابل جماعة من الناس، ولو كان مبطلاً يقول الواحد نصف الثلاثة، ولو كانوا محقين يقولون الواحد ثلثها، ولو كان مغالطاً وكانوا أصحاب الدليل، ولو كان ضعيفاً في نفسه، وكان كل واحد منهم أقوى منه؛ والقراء بعد ذلك يريدون من المناظر أن يجيب كل قائل، ولو لم يفرق بين كلمة العقيدة مثلاً تراجع في اللسان، وبين العقيدة ذاتها تدرس في كتاب الآراء والمتقدات، ويحسبون من العجز أن يعرض المرء عن بعض القائلين ولو نالوا منه ولا يجدهم للجواب أهلاً. هذا إذا لم يكن القارئ صاحب هوى يميل حيث يميل به الهوى، ويستقر حيث تطرحه صداقة أوعداوة، فلا يفيد مما يقال شيئاً ...

... فأى فائدة للمناظرة مع هذه الآفات؟

« دمشق » (ع ...)

تحية الى الأستاذ العقاد

عزيزى الأستاذ الزيات صاحب « الرسالة » الغراء

أطلعنى (بعضهم) على كلمات هزيلة درجت في جريدة « الاصلاح » السورية تستفتينى الحكم النزيه في أدب الأستاذين العقاد والمرحوم الرافعي، وتدعونى إلى أن أخوض المعمعة الأدبية التى أثارها تلاميذ الكاتبين العظيمين؛ ثم ينقل المحرر عنى حديثاً ملفقاً مختلقاً يثبت فيه أنى من أنصار الأستاذ المرحوم الرافعي؛ ودليله على ذلك (طبعاً) الحفلة التأبينية الكبرى التى كنت قد عزمت على إقامتها في مدينة ابن الوليد إجلالاً للكاتب العربى الكبير وتقديراً لمنافحته عن الاسلام والعروبة. ثم حالت الظروف القاهرة من دون تنفيذها وإخراجها إلى حيز الواقع والوجود...

وليت المحرر الفاضل وقف عند هذا الحد فلا يغش القراء ولا يظلم الحقيقة، بل هو يأبى إلا أن ينحلنى مقالة مذيلة بإمضائى مؤداها أنى ثائر على أدب العقاد، منكر عليه شعره وفنه، ناع عليه ضيق أفقه وغباوة فهمه لمنى الأدب الصحيح ... !

وأنا — الذى أصرح الآن على صفحات الرسالة الغراء بأنى من أشد الناس تعصباً لأدبه وعبقريته — لا يسعنى إلا أن أحيي الأستاذ الكبير العقاد وأقول باختصار: إن كان كل ما يرويه المحرر الفاضل من هذا القبيل فويل للحقيقة منه وويل له من الحقيقة...

« حمص » عبد القادر جنيدى

أسرار أبى الهول

أنجز الأستاذ سليم بك حسن وكيل مصلحة الآثار كتاباً جديداً نفيساً باللغة الانكليزية في « أبى الهول وأسراره » وهو في نحو أربعمائة صفحة ومئة وثمانين صورة، والمنتظر أن يقدم للطبع في انكلترا قريباً

والكتاب أربعة فصول أولها يحتوى على بحث الحفائر حول أبى الهول من عهد الملك خفرع إلى سنة ١٩٣٨، والثاني بحث في الملوك الذين زاروا أبا الهول من عهد الأسرة الثامنة عشرة المصرية إلى عهد الرومان، والثالث أصل أبى الهول وتحوله شكلاً ورمزاً في الأمم التى أخذته عن مصر، والرابع في المعنى الدينى لأبى الهول ووجود مستعمرة كنعانية أو إسرائيلية في جواره والعثور على البلد المفقود اسمه والذي كان هؤلاء القوم يقطنون فيه

وفى هذا الفصل الأخير ولا سيما الكلام الخاص بالمستعمرة الكنعانية أمور كثيرة جديدة خطيرة الشأن كشفها الأستاذ سليم بك حسن وأفضت إلى فهم كثير من الأسرار التى كانت ولا تزال مقترنة باسم « أبى الهول »

نشأة الصحافة المصرية اليومية وتطورها

قدم الدكتور كمال الدين جلال رسالة عن « نشأة الصحافة اليومية المصرية وتطورها » إلى جامعة برلين نال بها إجازة الدكتوراه في علوم الصحافة فنال بها أعلى درجة جامعية، وأرسلت الجامعة إلى الجهات المصرية الرسمية في برلين تقريراً تثنى فيه على جهود الدكتور جلال وتمتدح رسالته

ولا شك أن أسرة الصحافة المصرية التى يخدمها الزميل جلال خدماته الجليلة المعروفة منذ سنوات يهمها الوقوف على ما تحويه هذه الرسالة النفيسة التى جمعت لأول مرة تاريخ الصحافة في مصر منذ نشأتها الأولى حتى اليوم والتى سيكون لها بعد طبعها قريباً قيمتها العلمية المنتظرة

تعد الرسالة خير دعاية لجهود الصحافة المصرية وكفاحها في سبيل خدمة الشعب المصرى حتى أصبحت عونه الأول والأخير في نضاله وتقدمه الاجتماعى

قسم المؤلف رسالته — وتقع في نحو ٣٥٠ صفحة — إلى أقسام يختص كل قسم بعصر سياسى تاريخى في مصر، وقد بدأ الرسالة ببحث ليس بالقصير يقع في فصلين، أولهما عن طرق النشر عند قدماء المصريين (وقد نال هـذا الفصل تقديراً وثناء من



البـــاب المرصود

تأليف الأستاذ عمر فاخوري

من مطبوعات دار « المكشوف » — بيروت

للاستاذ محمد سعيد العريان

دأبت دار « المكشوف » على أن تنشر لقراء العربية خير ما يؤلفه أدباء لبنان فى الآداب والفنون

والمكشوف كما قد يعرف قراء العربية فى مصر هو جريدة أدبية يقوم على شئونها طائفة من خيرة أدباء لبنان ، وهى لسان الجيل الجديد من أدبائه وكتابه وشعرائه

أما كتاب اليوم فهو سلسلة مقالات أنشأها منشئها الفاضل فى مناسبات عدة ، فلما بلغت عِدَّتها أن تكون كتاباً أخرجته دار المكشوف لقراء العربية

أما الأستاذ عمر فاخورى مؤلف هذه الفصول فأديب من أدباء لبنان لا نجد ما نعرِّفه به إلى القراء إلا من قوله فى بعض رسائل هذا الكتاب

« إني كثير المطالعة قليل الكتابة . وقد أوتيتُ بسطة من العيش وكثيراً من الفراغ يسَّر الى الانصراف إلى كتبٍ ودفاترى ، أقرأ وأقيِّد ما يعن لبالى ، وقلما أغفل شاردة أو واردة لاعتقادى أنها تفيد يوماً من الأيام . ولو شئت الآن أن أعيد النظر فى حياتى

الأستاذ جرابو أستاذ علم الآثار المصرية فى جامعة برلين) وثانيهما عن طرق النشر فى مصر تحت الحكم العربى ، ثم تطرق الدكتور جلال إلى موضوع رسالته الأصلى فقسمها إلى :

١ — الحملة الفرنسية وأثرها فى نشأة الصحافة فى مصر

٢ — نشأة « الوقائع » فى عهد محمد على

٣ — الصحافة المصرية فى عصر إسماعيل

٤ — الصحافة فى عصر توفيق إلى مبدأ الثورة العرابية

٥ — الثورة العرابية وأثرها فى الصحافة المصرية

٦ — الصحافة فى عهد الاحتلال إلى أول نشوب الحرب الكبرى

٧ — الصحافة أثناء الحرب الكبرى

٨ — الصحافة فى الثورة الاستقلالية

٩ — الصحافة من إعلان الدستور حتى اليوم

هذه هى أبواب الرسالة الرئيسية قسم المؤلف كلا منها إلى ثلاثة فصول : درس فى الفصل الأول العصر من الوجهة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وذكر فى الثانى الصحف التى نشأت فى العصر فتحدث عن كل صحيفة بالتفصيل ثم ترجم لمؤسسيها والمشتغلين بها ، وتكلم فى الفصل الثالث عن عوامل العصر السياسية والاجتماعية التى أثرت فى تطور الصحافة . وقد قارن الدكتور جلال فى كثير من العصور صحافة مصر بصحافة البلاد الشرقية المجاورة

أتت هذه الرسالة على جل ما يتعلق بصحافة مصر العربية ، فكانت سفراً علمياً جامعاً سد به المؤلف فراغاً فى تاريخ النهضة المصرية الحديثة

ولقد أحسن الزميل إذ ذكر فى مقدمة رسالته أنه يهدى ثمرة جهوده هذه إلى صحافى مصر الذين اتخذوا الصحافة مهنة لهم يخدمون بها وطنهم مصر والذين لم يبالوا بما أصابهم ولن يعبأوا بما يصيبهم فى سبيل القيام بهذا الواجب المقدس

فالشباب المصرى يفتخر بجهود هذا الصحفى الشاب الذى جمع بين العلم والصحافة وجعلهما سلاحه فى خدمة بلاده والدعاية لها ، ونحن نهنئه من قلوب تنبض سعيدة مستبشرة كلما شعرت بجهود ناجحة فى سبيل الواجب

مراد كامل

دكتور فى اللغات السامية

الماضية وأحصى ما مرّ عليّ من حوادث جديرة بالذكر ، كي أكتب سيرتي بنفسي ، لاستطعت دون عناء اختصارها في هذه الجملة الجامعة « مطالعات في زاوية بيت » فان الكتب التي طالعتها هي أعظم حوادث حياتي ! »

ويبدو لي أن هذا الذي يقوله المؤلف عن نفسه هو حق ؛ فان أثر مطالعاته الشاملة المنوعة من أدب الشرق وأدب الغرب ، واضح كل الوضوح فيما أنشأ من فصول هذا الكتاب ، سواء في الرأي والفكرة والاتجاه العقلي ، أو في أسلوب الكتابة

أما موضوع الكتاب فقد أسلفت الاشارة إليه ، فهو فصول عدة كتبها كاتبها في مناسبات مختلفة بين سنتي ١٩٢٦،١٩٣٧ ، ولكنها على طول العهد بين أجزائها تجمعها رابطة واحدة يصح أن نسميها « نظرات في الشعر من بعض نواحيه »

ويتحدث المؤلف في الفصل الأول من هذا الكتاب عن « الشاعر وأبنائه » ويعني بأبنائه : مؤلفاته ، أو بنات أفكاره على ما نسميها أحياناً ؛ أما الباب الثاني فيتحدث عن الباب المرصود : الباب الذي يخال الانسان أن وراءه السعادة التي يدأب في السعي إليها

وهو في الفصل الثالث يتحدث عن « كنوز الفقراء » ، الكنوز التي يتعزّون منها بوهم الأماني في الحكايات والخرافات وأساطير الأولين . وله في هذا الفصل فكر وروح شاعرة ؛ ولكن له فيه إلى ذلك حديثاً عن النبوة والأنبياء كنا نؤثر ألا ينزلق إليه ، وإن كنت أومن في نفسي أنه لم يقصد إلى معنى من المعاني التي تتبادر إلى ذهن قارئه . ولكنا نحب ألا نتناول الحديث عن النبوة والأنبياء إلا بالعبارة الصريحة التي لا تؤدي إلى نفس قارئها غير معنى واحد

وفي حديثه عن الشعر القومي وعن صديقه الشاعر « عمر الزعني » تقرأ له رأياً في العامية والفصحى أحسب أن لا أحد من أصدقاء الوحدة العربية يوافقه عليه

وله فصل بعنوان « المرأة المجلوة والمرآة الصدئة » جمع فيه إلى رأيه آراء ، وتحدث عن الصلة بين الأخلاق والفن ، وعن الأسلوب والمعنى، وعن الموضوعات التي ينبغي أن يتناولها الأديب، وهو موضوع له خطره تناوله الكاتب بروح الشاب الثائر يحكم فيه الحكم (المبرم) قبل أن تجتمع له مقدماته ؛ فما ينبغي أن نتحدث عن صلة الأدب والفن بالأخلاق قبل أن نتفق على الرأي في الغاية من الأدب وفي رسالة الأديب وما يعود منهما على الانسانية . ومهما يكن الرأي في ذلك فلا جدال في أن الأمة العربية في حالها الواقع لم تنضج بعد النضج الأدبي أو الخلقي الذي يبيح لنا أن ندعو إلى ما يسمونه الأدب المكشوف ، على ما قد يكون فيه — كما يقول دُعاته — من السمو بالآداب والفنون !

وفي الكتاب غير ذلك فصول ممتعة ، خليقة بأن يجد فيها القارئ لذة وفكراً ومعرفة ؛ وحسبي أن أذكر منها : العمود المادي ، والأحلام ، والشاعر في السوق . فإنها فصول جديدة في موضوعها ، وقد وُفّق الكاتب في تناولها توفيقاً يدعو إلى الإعجاب ...

أما بعد فهذا كتاب من منشورات إخواننا العرب في لبنان وما أقل ما نعرف عن أدباء لبنان وغيرها من الأقطار العربية ؛ وأقل منه ما نقرأ من مؤلفاتهم ومنشوراتهم ؛ على حين يعرف إخواننا في الشرق العربي من أدبائنا ويقرءون من مطبوعاتنا في مصر أكثر مما تعرف مصر نفسها عن أدبائها ومؤلفيها . وما نذكر ذلك لمعنى نفاضل به بيننا وبينهم في الأدب ، ولكن لنذكر إخواننا في مصر بأن عليهم واجباً في الوفاء لإخواننا في البلاد العربية عرفوه ونسيناه ، وإني لأشير إليه في هذه الكلمة اعترافاً بالحق وعرفاناً بالجميل

وإني لأشعر بكثير من السرور إذ أقدم هذا المؤلَّف إلى من يريد أن يقرأه من أدباء مصر ، وإذ أعرفهم بأديب من جيراننا ينبغي أن يعرفوه ويقرءوا له ؛ ولعلي بهذا أكون قد اعتذرت لاخواننا مما يظنون بنا وقمت بشيء مما علينا لاخواننا من الوفاء وعرفان الجميل

محمد سعيد العريان

فهرس المجلد الأول من السنة السادسة

وزعنا هذا الفهرس مع هذا العدد فمن لم يصله فليطلبه من الادارة

6 me Année, No. 263

Lundi - 18 - 7 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٦٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ — ١٨ يولية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

من الذكريات الجميلة

على ذكر الجدال فى الشرق والغرب

عرفت فى باريس عام ١٩٢٥ الآنسة (فرناند) ابنة أحد القضاة فى محكمة (ديجون) . كانت طالبة بالسنة الأخيرة من كلية الحقوق ، وكان لها بالمستشرق المرحوم (ب . كازانوفا) أستاذ الأدب العربى فى الكوليج دى فرانس صلة قرابة أو صداقة ، فعرفنى إليها لتكون لى فى مدينة النور ما كانت (بياترِكْس) لدانتى فى جنة الفردوس

وكانت هذه الفتاة آية فى الجمال والذكاء والظَّرف ؛ وكان أعجب ما فيها أنها تؤلف فى نفسها بين المتناقضات فلا يكاد النظر العادى يلحظ ما بينها من التنافى ! فهى منطقية الفكر حرة العقيدة ؛ وهى خيالية الذهن شاعرية العواطف ؛ تؤمن بنيتشه كما تؤمن بالمسيح ، وتقدس جمهورية الثورة كما تقدس مَلَكية البربون ، وتُشيد بفتح العرب للأندلس كما تشيد بغزو الصليبيين للقدس ، وتعجب بروحية الشرق كما تعجب بمادية الغرب ، وتحدثك فى ذلك كله حديث المطلع المقتنع الفاهم ؛ فإذا أخذت عليها شذوذاً فى قياس القضية، أو نشوزاً فى سياق الحديث،

عمدت إلى المزاح البارع أو التهكم اللاذع أو الأسلوب الخطابى فتميت على لسانك البيان ، وتُطير من عقلك الدليل

أدهشنى منها إلمامها بأدب العرب وحكمة الإسلام وفلسفة الشرق . فلما عرفت اتصال سببها بالأستاذ كازانوفا وهو الذى جعل فنَّه أساطير الشرق وأدب القرآن، عزوت إليه هـذا الميل وذلك العلم ؛ وعرفت منها بعدئذ أنها كانت تستمع إلى محاضراته فى التفسير ومسامراته فى الآداب ،وأنه أهدى إليها (حديقة الزهور) لصاحب المعالى الأستاذ واصف غالى ، وأعارها ترجمة ألف ليلة وليلة لماردروس ، فكان أكثر حديثها عن بغـداد ودورها التى تفيض بالنعيم والسحر، وتنفح بالبخور والعطر، وتمرح بالقيان والغزل ؛ وعن دمشق باب الجزيرة إلى الفردوس، وطريق البادية إلى الحضارة ، وملتقى القبائل والقوافل فى الخانات المملوءة بالسماسرة والتجار ، والأسواق المحفوفة بالمغامرات والأسرار ، والغوطة الفياضة بالجمال والحب؛ ثم عن مصر التى خلقت المدنية، وأنشأت الفن، وشرعت الدين، وولدت موسى ، وآوت عيسى، وتوجت الملوك بالشمس، وكفنتهم بالخلود، ودفنتهم فى الذهب. ثم كانت تتحرق شوقاً إلى النيل وأيامه المشمسة التى يضحك فيها القطن ، ولياليه المقمرة التي يحلم بها النخيل . فكنت أقرن شوقها إلى مصر بالدعاء إلى الله أن يهيئ لهـذا المحيا الفاتن أن يتفتح نضيراً فى جوها الإضحيان الطليق

***

أدينا الامتحان معاً ؛ ثم أرسلت نفسى الحشيمة على هواها ومناها ، فزرنا معابد الطبيعة فى ڤنسين وسان كلو وفنتينبلو ، وحججنا محاريب الفن فى اللوفر والأوبرا وفرساي . وكنت يومئذ أترجم « رفائيل » فكان ما أقرأ وما أكتب وما أسمع وما أرى نسقاً عجيباً من الجمال والجلال والفن والشعر والحب والتأمل والاستغراق ، لا يدع للخيال الوثاب مَسْبحاً ، ولا للنفس الطامحة رغبة . ثم أحَمّ الفراق فرجعتُ إلى مصر ولحقت هى بأهلها فى مدينة (روبَان)

وكان بينى و بينها رسائل مسكية المداد، وردية الورق، تؤلف كتاباً من شعر القلب والعقل تناول فيما تناول الفروق الناشئة بين الشرق والغرب من اختلاف وجهة نظريهما إلى الحياة، إذْ هى فى نظر الشرقى دار ممر ، وفى نظر الغربى دار إقامة

وفى فبراير من عام ١٩٢٨ زارت مصر هي وزوجها ، وهو ضابط فرنسى كان فى طريقه إلى عمله فى جيش سورية؛ فكنت لهما ترجماناً ودليلاً مدى أسبوعين إلى مخلفات الفراعين ، وطلول الفسطاط ، وقطائع ابن طولون ، وقاهرة المعز . وسنحت الفرصة الموجوة فاجتمع القلبان والذوقان على فتون الشرق الحبيب . ورأيت من (مدام روجيه) عزوفاً قوياً عن الشوارع الأوربية فى مصر الحديثة ، وولوعاً شديداً بالتجوال فى الغورية والنحاسين والجمالية وخان الخليلى ، وشوقاً ملحاً إلى استطلاع المجهول، واستكناه الغامض، واستخبار الناس، واستحضار الماضى . وكانت كلما أوغلت فى هذه الأحياء ، واستبطنت دخائل هذه الأشياء، شعرت بالحاجة إلى زيادة الإيغال و إطالة النظر و إدامة التقصى ، كأنما كانت تبحث عن شئ تعتقد وجوده ولا تراه، ثم قالت ذات مساء وهى على شرفة القلعة تشاهد مغرب الشمس من وراء الأهرام :

رباه !! إن من وراء هذه الآثار التى أجهدها الدهر ، وهذه المآثر التى شوهها الجهل، وهؤلاء الناس الذين مسخهم الفقر، لروحاً خفية تبعث من خلال هذه الأغشية الكثيفة هذا الشعاع اللطيف الذى يشرق فى هذه الوجوه الشقية المحرومة فيبدد عنها كُرَب العيش

هذه هى روح الشرق الإلهية المجهولة، فمن زعم أنه يحكم عليها من وراء هذه الأخلاق المنحلة، والنظم المعتلة، والمشاهد الزرية، كان كالذي لم ير الشمس ثم يحكم عليها من وراء الغمام والقتام والبعد ! اجلوا عن هذا الروح العظيم هذه الغشاوة ، واكشفوا عن هذا الجوهر الكريم هذا الرغام ، ثم اجعلوه إلى جانب الغرب الخلاق بالعلم ، البراق بالصنعة ، واحكموا بينهما فلعلكم بذلك تكونون أدنى إلى السداد

احمد حسن الزيات

بين الشرق والغرب

رد على رد

للأستاذ فليكس فارس

كتبت مقالى فى العددين (٢٥٧ و ٢٥٨) من الرسالة تحت عنوان الشرق والغرب فأوردت فيه بعض مباحث دارت بينى وبين الدكتور اسماعيل أدهم ، فإذا به يأتى فى عددى (٢٥٩ و ٢٦٠) بما يعتقده مؤيداً لرأيه، وهو المبدأ الذى حاول تعزيزه فى مناظرة (٢٠ مارس سنة ١٩٣٨)[1] يثبت أن من الخير لمصر أن تأخذ بالحضارة الغربية . وقد أحسن الدكتور أدهم بإيراده ملخص أقواله إذ عرض بذلك على المفكرين ما يتم البحث بإيضاح النظرية الإيجابيــة فى قضية تشغل كل محب لأوطانه فى هذا الشرق العربى الذى آن له أن يعين اتجاهه ويتطلع إلى مصير أبنائه وأحفاده

هذا ولا بد لى فى هــذا المقام أن أكرر على قراء الرسالة ما قلته لمن غصّ بهم رحب قاعة المناظرة حين دافع الدكتور عن نظريته، ولمحت شيئاً من الأشياء لموقفه على وجوه الشبيبة العربية . قلت : إن صديقى الدكتور أدهم فيلسوف غربى لا يسلم تفكيره فى الاجتماع من نزعات فطرته، كما لا يسلم تفكيرنا نحن من نزعات فطرتنا. فالمسألة مسألة اجتماعية يدور بها الشئ الكثير من حوافز الذوق الموروث ، لذلك أرى موقف صديقى مهاجماً أحرج من موقفى مجارياً ، فأشكره على صراحته معتقداً بحسن نيته وبأن حبه للشرق ولمصر هو ما يحفزه إلى محاولة إقناعنا بأفضليــة الحضارة الغربية ؛ ليس عدوًّا من ناقشك ودعاك إلى الأخذ بما يعتقده حقـًّا لأنه يتمنى لك ما ارتضاه لنفسه

والآن لأرسلن نظرة عجلى فى ما كتبه الدكتور أدهم فى الرسالة متناولا ما يستوقفنى فيه مما لم أتناوله فى مقالى السابق متجنباً التكرار متوخياً حصر الموضوع فى دائرة محدودة نصل منها إلى نتيجة ، لأن اقتحام الجدل من أجل الجدل لا يؤدى فى الغالب إلا إلى الانتقال لفروع القضية بالتغاضى عن أصلها

١ — إن مناظرى يعترف بأن لمصر ثقافة تقليدية لا يمكنها أن تخرج عنها ما لم يهتز المجتمع فى صميمه ، ولـكنه يعود بهذه الثقافة إلى أصل فرعونى راسخ سواء فى طرق المعيشة أو فى الدين؛ ودليله على استقرار مصر على حضارة فرعونية جلباب الريفى الأزرق وطرق الرى ، وبرهانه على استقرارها على دين الفراعنة تطرق تقاليده إلى الدين الاسلامى، وبتعبير أصح إلى حياة المسلمين

أما أن يعد المناظر طريقة استغلال الأرض فطرة فذلك مما لا يوافقه أحد عليه، لأن المسألة هنا تتعلق بتطور فى أساليب الصناعة ، ولا شأن للفطرة فيها . ولو كان الأمر كما يقول المناظر لـكان كل مرتدٍ لغير القميص الأزرق، وكل حارث بآلة حديثة، وكل مستبدل « شادوفاً » « بطلمبة » ، فاقداً للفرعونية التى يريد المناظر بعثها أساساً لحضارة مصر ...

أما أن تكون التقاليد التى احتفظ بها السكان من الحضارة المنقرضة دليلاً على بقاء الدين فرعونيًّا فى مصر فذلك ما لا يقره عليه أحد ، لأن ما تبقى من العادات يعد بدعاً لا يزال الدين يعمل على اقتلاعها من المجتمع لخيره وسلامة إيمانه

إن مصر لن تكون فرعونية فى القرن العشرين إلا إذا تراجع الزمان القهقرى طاوياً معه كلمة الله التى جعلت قوم فرعون حديثاً فى تاريخ الشعوب

٢ — إن مناظرى يستبعد سائر البلاد العربية عن البحث مدعياً أن ثقافة مصر مستقلة تجاه الحضارة العربية، لأن لها طابعاً خاصاً ، ولأن لغتها العربية استمدت من الثقافة الفرعونية قدرتها على صوغ المعانى بما يتكافأ ومحيط مصر ، فاللغة العامية فى هذا الوادى إنما هى — بحسب رأى الدكتور أدهم — فرعونية آخذة بأسباب التعرب ...

أما أن تـكون مصر ذات ثقافة خاصة تتميز بها عن سائر

---

(١) على ذكر هذه المحاضرة لا بد لى من أن أصحح ما ورد على هامش الرد من أن آراء الحاضرين فى المناظرة انقسمت متساوية على الايجاب والسلب فى الموضوع ، لأن ما أعلمه ويشهد به الدكتور أدهم نفسه هو أن الوجه الايجابى لم ينل إلا ثلاثة أو خمسة أصوات فى حين أن الحشد كله كان فى جانب النظرية الشرقية التى أيدتها

الأقطار العربية فذلك ما ننكره على المناظر ، لأن لشعوب سائر الأقطار العربية كلها جدوداً عاصروا الفرعونيين وتركوا فى التاريخ ذكرى حضارات لم يبق منها سوى أعمدة محطمة وهيا كل متداعية

إن فى كل من الأقطار العربية من الميزات الاقليمية ما لا ينكره أحد؛ وقد تجد مثل هذه الميزات فى أحياء مدينة واحدة، ولكنها أضعف من أن تسلخ هذه الشعوب عن ثقافة عامة شاملة لها فى اللغة والموسيقى ونظام الأسرة وروح التشريع . وهذه الميزات العامة هى ما تقوم الحضارة الأدبية عليه فى كل الأمم

أما أن تكون اللغة العامية فى مصر عبارة عن لغة فرعونية فى أصلها فذلك مما نقف عنده متسائلين عما إذا كان الدكتور أدهم لا يقصد هزلاً به . . .

ليست اللغة العامية فى مصر إلا كسائر اللغات العامية فى الأقطار العربية، لغة أفسدتها عصور الانحطاط ، فانك لو أغضيت عن اللهجات فى كيفية الالقاء، وهذا مما يصعب توحيده فى أقاليم أية أمة، فانك لا تجد إلا كلمات معدودات يختلف النطق بها بين مصر وسوريا وبغداد مثلا؛ غير أنها كلمات عربية شوهها الاختصار، ولكنه استبقى على أصلها . فأين « دلوقتى » « وإزيك » من لغة الفراعنة ؟ وأين «شوبدّك» من لغة أبناء فينيقيه ؟

٣ — أراد مناظرى أن يجمل العلم والثقافة شيئاً واحداً ، فهو يقول بانبثاق الثقافة من العلوم الأصلية، ونحن لا نعلم ما هى العلاقة بين علم طبقات الأرض مثلاً والمبادئ الأدبية التى يقوم المجتمع عليها . وقد أوردنا فى مقالنا السابق ما يغنينا عن التكرار في هذا الموضوع

يرى المناظر أن اليابان أصبحت عالة على أوربا لأنها أخذت العلم الوضعى عنها ولم تأخذ بحضارتها في آن واحد . فحضرته يميز إذن بين العلم والحضارة ... فى حين أنه يقول بصدور الحضارة عن العلم

ثم هو يقول إن أوربا تعمل بحضارتها للتحرر من استعباد الآلة . ونحن نرى أن أوربا لن تخلص من هذا الاستعباد إذا هى لم تخرج على مبادئ حضارتها

٤ — يعود المناظر إلى التمسك بقوله إن الشرق يقيم الحياة على أساس غيبى لتنظيم الصلات بين البشر ؛ ونحن لا ننكر على الشرق هذه الفضيلة، ونود لو اتخذها الغرب أساساً لحضارته؛ لأن كل تنظيم لعلاقات البشر فى المجتمع لا يرسو على الايمان باستمرار الحياة بعد الموت ، لا يجد مرتكزاً له فى غير مبدأ الحق للقوة سواء أكان ذلك بين الأفراد أم بين الأمم

٥ — نشكر للمناظر اعترافه بأن المنطق مشاع بين الأمم ، بعد أن كان فى مناظرته ينكره على الشرق . ولعله يذكر كما يذكر من حضر المناظرة إصراره على القول بأن الاقليم والبيئة فى الشرق يجنحان بأهله إلى الخيال دون التفكير والاستقراء مما دعانا إلى الرد عليه بقولنا :

٦ — إذن ، لماذا تدعونا إلى ما لا قبل لنا به ولا إمكان لاقتباسه ما لم نهجر أوطاننا ونذهب إلى الغرب نتوطن فيه أجيالا نستبدل بأدمغتنا الشرقية أدمغة غربية. إذا كان لا يسعنا أن نملك المنطق إلا بهذه التضحية فعلى المنطق العفاء ... غير أننا كنا عند ما أنشأنا حضارتنا على أرض هذا الشرق وتحت سمائه أسياد المنطق فى العالم

أما وقد أعلن المناظر أخيراً اعتقاده بأن المنطق مشاع بين الأمم وأنه يضعف إذا أهمل ، فقد أصبحت دعوته للشرق للأخذ بمنطق الغرب دعوة لا مبرر لها ، بل قد أصبحت ولها معنى واحد وهو الاهابة بالشرق للنهوض وللعمل على استعادة مجده بالرجوع إلى تفكيره وشعوره

٦ — يقول المناظر إن الفلسفة الاسلامية روحها يونانية ومنطقها يونانى ، لأن الفارابي وابن سينا وسواهما علقوا إرادة الخالق بقوانين الكون . ولا نعلم ماذا يقصد الدكتور بهذا . إن فلسفة المفكرين ليست إسلامية ولا مسيحية؛ إن هى إلا آراء فى الخلق لا تمتّ إلى الدين بسبب . إن الايمان لا يقبل جعل الخالق أسيراً لما خلق . فان كان الله جل جلاله قد وضع لهذا الكون نظاماً أفيعجز عن تبديله حين يشاء ؟ إنها لفلسفة غريبة هذه الفلسفة التى تذهب متحرشة بإرادة المبدع قاصدة تحليلها لتعلم ما إذا كان بوسعه أن يحكّم إرادته فيما أبدع

إننا نسلّم للدكتور بل نرجوه أن يقتنع بأن هذه الفلسفة

متحدرة من ذهنية يونانية تعودت خلق سيئات الآلهة واختراع الأساطير عنهم وتحليل إرادتهم وغضبهم وغشهم وجنونهم وسكرهم

٧ – يقول المناظر فى ردّه على الأستاذ توفيق الحكيم إن علينا أن نعمل لدنيانا كأننا نعيش أبداً ، ثم يقف فلا يورد الشق الثانى من هذه الآية العربية وهو « واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » غير أنه علىّ أن ألفت مناظري إلى أن الملحد لا يمكنه دون أن ينقض مبدأه أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً لأنه يعلم أنه صائر إلى العدم وأن أبناءه مولودون لدود القبور فهو مطالب بالتنعم فى يومه ما استطاع . إن من لا أبدية له لا غد له ...

٨ – إن المناظر يجد قصوراً فى عدم مجاراة العرب لليونان فى آدابهم التى جالت على قوله فى رحاب الموضوعية خارجة من رحاب الذات ، ويذهب بهذا إلى القول بأن التحليل ليس من مكنة الذهنية العربية

لا يامناظرى، إن الأديب العربى قد استوعب فى ذهنيته كل ما جال فى خاطره وفى الآفاق حوله ، فما كان عليه أن يصوّر حياة اليونان أو يتذوق أساطيرهم وخرافاتهم فيحذو حذوهم ، لأن فطرته لم تكن تستنيم لثقافة غريبة عنه . وهل لنا أن نلوم الألماني مثلاً لأنه لا يأتينا بما أتى به موسيه ، أو نلوم هوجو لأنه لم يكتب كنيتشه ؟ ...

إن الآداب صورة لثقافة الشعب وحياته ، وقد أخذ أجدادنا العلوم عن اليونان لأن العلم مشاع كما سلمت. فهل كانت حضارتنا الأدبية يونانية لتكون آدابنا يونانية ؟

٩ – إن المناظر يرى فى انتصار شارل مارتل إنقاذاً للعقلية الغربية من طغيان روح النسك الآسيوية . وهو يعترف فى الوقت نفسه بأن العقلية الغربيـة كانت رازحة تحت كاهل اللاهوت الـكنسى الذى قام فى روما رقيباً على النفوس والعقول محملا بكل سيئات النسك الآسيوية

أفليس من الغريب أن يرى الدكتور أدهم في انتصار مارتل إنقاذاً للغرب من روح النسك الآسيوية فى حين أن الاسـلام لم يكن فيه شىء من هذه الروح التى سادت بها روما باسم المسيحية؟ فاذا كان مارتل أراد إنقاذ الغرب من النسك ، أفما كان عليه أن يتحول من نهر اللوار إلى روما بخيله ورجله ؟

***

بقى على أن آتي نظرتى الأخيرة على أول كلمة توّج بها مناظرى ردّه . وهى كلمة « هابل آدم » التى أوردها آية يدعونا بها إلى الأخذ بعقلية الغرب لنصلح حياتنا حتى إذا انتقلنا إلى الحيـاة الأخرى فهنالك نتبع العقلية الشرقية اللائمة للحياة الباقية « كذا ... »

مرحى لهابل آدم ... أفيلسوف اجتماعى من يقول بمثل هذا ؟ ليذهب أشباه « هابل » فى هذه الحياة بعقليتهم النكرة لـكل عذاب وثواب . ليسحق الأقوياء الضعفاء سحقاً سواء أ كانوا أفراداً أم شعوباً، وليدوسوا على الحق بالقوة الغاشمة وبالقوة المتحيلة، حتى إذا اجتاز الـكافرون معبر الموت حقّ لهم أن يعملوا بذهنية الشرق وأن يقفوا أمام الديان هاتفين: ربنا إننا نتوب إليك فاحشرنا مع المؤمنين الصالحين .

(البقية فى العدد القادم) فليكس فارس

شوقي

توارد الخواطر

لأستاذ جليل

قصد شاعرنا (أحمد شوقي) وهو تلميذ باريس يطلب (علم الفقه) فيها على علمائها ليرجع إلى مصر قاضياً أو مِدْرها (محامياً) وقد فطره الله شجاع الجنان جبان اللسان مثل الرضيّ الموسوي (محمد بن الطاهر) القائل :

جناني شجاع إن (شعرت)، إنما لساني إن سيم النشيدَ جبان
وفخر الفتى بالقول لا بنشيده ويروى فلان مرة وفلان

وفي باريس الفاتنة الساحرة نظم شوقي قصيدة (خدعوها) وفيها هذان البيتان :

يوم كنا (ولا تسل كيف كنا) نتهادى من الهوى ما نشاء
وعلينا من العفاف رقيب تعبت في مراسه الأهواء

وقد قال شاعر قديم الأبيات الآتية وهي في الجزء الرابع من (طبقات الشافعية الكبرى) غير منسوبة إلى أحد :

ما على عاشق رأى الِحبّ[1] مختا لا كغصن الأراك يحمل بدرا
فدنا نحوه يقبــل خديـ ـه غراماً به ويلثم ثغرا
وعليه من العفاف رقيب لا يُداني في سنة الحب غدرا

وهذه الأبيات لم تُر في ذاك الوقت في غير (الطبقات) ولم تكن المطبعة - وشوقي ناشئ أوشاب - قد أظهرت ذلك الكتاب. فهل قرأها شوقي في الطبقات المخطوطة ؟ وهل كان يطالع مثل هذه المصنفات في حداثة سنه أو رآها في كتاب مطبوع غير الطبقات أم هذا من توارد الخواطر ؟

أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري يقول في كتاب الصناعتين : « قد يقع للمتأخر معنى سبقه إليه المتقدم من غير أن يُلم به[2]، ولكن كما وقع للأول وقع للآخر . وهذا أمر

(١) الحب : المحبوب
(٢) ألم به : عرفه

عرفته من نفسي فلست أمترى فيه ، وذلك أني عملت شيئاً في صفة النساء : سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ، وظننت أني سبقت إلى جمع هذين التشبيهين في نصف بيت إلى أن وجدته بعينه لبعض البغداديين فكثر تعجبي ، وعزمت على ألا أحكم على المتأخر بالسرق من المتقدم حكماً حتماً »

قلت : والبغدادى هذا هو أبو القاسم الزاهي وقد روى الثعالبي له في (خاص الخاص) و (الايجاز والاعجاز) هذين البيتين[1] ، وقال : « أمير طرائفه وأحسن شعره قوله في النسيب :

سفرن بدورا ، وانتقبن أهلة ومسن غصونا، والتفتن جآذرا[2]
وأطلعن في الأجياد بالدر أنجما جُعلن لحبات القلوب ضرائرا »

وفي شرح المقامات للشريشي : « سئل المتنبي عن اتفاقات الخواطر ، فقال : الشعر ميدان ، والشعراء فرسان ، فربما اتفق توارد الخواطر ، كما قد يقع الحافر على الحافر »

ولقد صدق المتنبي وما كذب ، فهناك حقاً توارد الخواطر وهناك - وعلم هذا عند أبي الطيب - غارات الشاعر ... وقد قال الامام المرزباني في (الموشح) : « كان الأخطل[3] يقول : نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة ... »

* * *

الياء في مثل هـذا الاسم (شوقيّ) هي للنسبة أو الاضافة - كما يسميها صاحب (الكتاب) - وهي هدية أو بلية تركية. ومثل شوقيّ، عدليّ ، رشديّ، صدقيّ، حلميّ، حقيّ ، حمديّ ، حسنيّ ، سريّ ، سعديّ ، فتحيّ ، شكريّ ، فهميّ ، فوزيّ نخريّ ، فكريّ ، وصفيّ

والترك الذين أتحفوا العربية بمثل هذه البلية هم « جيل من الناس» كما قال الصحاح[4] والجمع أتراك ، قال الامام محمود جارالله

(١) وروى الثعالبي البيت الأول في كتابه (أسرار العربية) منسوبا إلى الزاهي . وروى النويري البيتين في (نهاية الارب) ونسبهما إلى أبي فراس الحمداني . وإنما هما لصاحبهما (الزاهي)

(٢) وللمتنبي من هذا الجنس :

بدت قمراً ، ومالت خوط بان وفاحت عنبراً ، ورنت غزالا

وللثعالبي :

رنا ظبياً ، وغنى عندليبا ولاح شقائقاً ، ومشى قضيبا

(٣) اسمه غوث بن غياث

(٤) وفي (اللسان) : « الترك الجيل المعروف الذي يقال له الديلم »

جورجيـــاس
او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٤ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع المادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — شيروفون : صديق سقراط : « سه »

٣ — جورجياس : السفسطائى : « ج »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليلكس : أثينى : « ك »(١)

ط — (تابع ما قبله) وإذا قال لى بعد ذلك مدرب الألعاب الرياضية : « إني لجد دهش يا سقراط لأن جورجياس يريد أن يريك أن الخير الذى ينتج عن فنه أعظم من الخير الذى ينتج عن فنى » : فإنى سأقول له : ومن أنت وما مهنتك يا صديق ؟ وطبعاً سيجيب بأنه مدرب ألعاب ، وبأن مهنته هى تجميل الجسم وتقويته ! ثم إذا أنى رجل الأعمال بدوره واحتقر جميع المهن الأخرى وقال فيما أظن : « أحكم بنفسك يا سقراط إذا كان جورجياس أو غيره يستطيع أن يأتى بخير أعظم من الثروة ؟ » فانا سنقول له : ماذا ؟ وأى شيء تمتهن ؟ ؟ وسيجيب مؤكداً ما قال ! وهنا سنسأل : ومن أنت إذاً ؟ وسيقول : إنه رجل أعمال ! ومن ثم سنقول له : عجباً ! أنعتبر الثروة أعظم الخيرات جميعاً ؟ وسيكون جوابه : نعم بكل تأكيد ! »

فترى هل أتبع يا جورجياس من يدعى أن فنه ينتج خيراً أعظم من الخير الذى ينتجه فنك ؟ واضح أنه سيسأل بعد ذلك عن هذا الخير الأكبر الذى تقول به يا جورجياس ! فتصور إذاً أن نفس السؤال قد وجه إليك منهم ومنى ، وأخبرنى من أى شيء يتركب ذلك الذى تسميه أعظم خيرات الانسان ، والذى تفخر بأنك تجلبه للناس ؟

ج — إنه فى الحقيقة يا سقراط أكبر الخيرات وأعظمها ! بل إنه ما ينسب إليه الناس دفعة واحدة استقلالهم ، وما يعد كل فرد فى مدينته بالوسيلة التى يسود بها على الآخرين !

ط — ولكنى ما زلت أسأل ما هو ؟

ج — إنه — فيما أرى — أن يكون المرء قادراً على أن يقنع بالخطاب القضاة في محاكمهم ، والشيوخ فى مجالسهم ، والجماهير فى جمياتهم ، أو هو — فى كلمة — إقناع من يكونون كل نوع من أنواع الاجتماع السياسى ؛ وبهذه القدرة يترامى

(١) انتهى المقال السابق عند ادعاء « جورجياس » أن موضوع فنه أعظم أعمال الانسانية أهمية وقدراً . وقد رأينا كيف بدأ سقراط يطعن ذلك الادعاء بما عسى أن يقوله الطبيب وغير الطبيب فى تلك الدعوى . وسنرى اليوم كيف يمضى سقراط في طعنه ، وكيف يضطر أستاذ البيان إلى التراجع والقهقرى ، ثم كيف يذهب به إلى تحديد أقواله تحديداً سليما « المعرب »

الزمخشرى فى كتابه (أساس البلاغة) : « وتقول : تراكِ(١) تراك صحبة الأتراك »

ومن مشهورى الترك وأبطالهم ورجال القتال فيهم : جنكزخان ، هولاكو ، تمرلنك ، أتاتورك

فيحق على كل ناطق بـ (الضاد) فى كل إقليم أن يرفض هاتيك (الياء) ، وإن الأسماء الجيلة الكيِّسة(٢) فى اللسان المبين لسان القرآن لأكثر عدداً من رمال الدهناء ومن نجوم السماء

(الاسكندرية) (***)

(١) تراك اسم لفعل الامر ، قال طفيل بن يزيد الحارثى :

تراكها من إبل تراكها أما ترى الموت لدى أوراكها

والاول من أبيات (الكتاب)

(٢) عامتنا فى مصر تقول : كويسة ، كويس

الطبيب ومدرب الألعاب على قدميك ، بل وبها ترى أن رجل الأعمال لا يثرى من أجل نفسه ، بل من أجل شخص آخر هو أنت يا من تملك فن الكلام وكسب روح الجماعات !

ط – يلوح أخيراً ياجورجياس أنك قد أريتني بكل ما تستطيع من تقريب أى فن هو البيان فى رأيك . وإذا كنت قد فهمت حسنا فإنك تقول إنه « عامل الاقناع » ، وإن الاقناع غاية كل عملياته ، وإنه – بالاختصار – ينتهى إليه . ، فهل تستطيع حقيقة أن تبرهن لى على أن قدرة البيان تذهب إلى أبعد من توليد الإقناع فى نفوس المستمعين ؟؟

ج – أبدا ياسقراط ! وأرى أنك قد عرفته تعريفا حسنا لأنه إنما يرد إلى ذلك حقا .

ط – أصغ إلىّ ياجورجياس ! إذا كان هناك من يتحدث إلى غيره ورغب فى نهم أن يعرف تماما موضوع الحديث ، فكن واثقا أنى أماق نفسى بأنى من هـذا النوع ، بل وأحسب أنك منه أيضا .

ج – وإلى أى شئ يتجه ياسقراط ؟

ط – يتجه إلى هذا . سأقول لك إني لا أتبين بوضوح طبيعة ذلك الاقناع الذى تنسبه إلى البيان ، ولا من ناحية أى الأعمال يأخذ ذلك الاقناع مكانه ! ، وليس هـذا لأنى لا أشك فيما تريد أن تقول فحسب ، بل لأنى سأطلب منك أيضا أى إقناع يولده البيان ، وحول أى المواضيع يدور ذلك الاقناع . ولتعلم أني إذا سألتك بدلا من أن أشركك معى فى أوهامى وظنونى ، فإنى لا أبغى بسؤالى شخصك ، وإنما أبغى به أن يتقدم بنا الحديث على نحو يحدد لنا موضوع السؤال بالوضوح المستطاع . [1] فاحكم بنفسك هل أنا مصيب فى سؤالى إذا سألتك : من أى أنواع المصورين Zeuxis [2] ؟ وإذا اجبتنى بأنه مصور حيوان ، ألا يكون لى الحق فى أن أطلب منك فضلا عن ذلك : أى الحيوانات يصورها ؟ ومن أية ناحية ؟؟

ج – بلا شك .

ط – أوليس الأمر كذلك لأن هناك مصورين كثيرين يصورون حيوانات أخرى كثيرة ؟

ج – بلى .

ط – بينما لو كان Zeuxis هو المصور الوحيد للحيوانات فعندئذ تكون إجابتك حسنة .

ج – بالتأكيد .

ط – فأخبرنى إذا فيما يتعلق بالبيان ، أيلوح لك أنه الوحيد الذي ينتج الاقناع ، أو أن هناك فنونا أخرى تستعمل الاقناع بمقدار ما ؟ أريد أن أقول أيقنع كل من يُعلمُ شيئا ما ذلك الذي يعلمه أم لا يقنعه !

ج – إنه يقنعه تماما من غير ما تناقض ياسقراط .

ط – ولكنا نعود إلى نفس الفنون التى أشرنا إليها من قبل ، ألا يعلمنا الحساب ورجاله كل ما يتعلق بالأعداد ؟

ج – بلى .

ط – أولا يُقنعون بها فى نفس الوقت ؟

ج – نعم .

ط – فالحساب إذا عامل إقناع كذلك ! [3]

ج – يلوح هذا .

ط – فاذا سأل سائل : أى إقناع ومن أية ناحية ؟ ، فالجواب هو الاقناع الذى موضوعه كمية العدد فردا كانت أم زوجا و كذلك نستطيع أن نبين إزاء الفنون الأخرى التى نتكلم عنها أنها تنتج الاقناع وأن نميز فيها النوع والموضوع . أليس ذلك صحيحا ؟

ج – بلى .

ط – إذا ليس البيان وحده هو الفن الذى موضوعه الاقناع !؟

ج – إنك تقول حقا . [4]

« يتبع »

محمد حسن ظاظا

(١) يشرح هنا أفلاطون طريقته فى الحوار ومقاصده منها

(٢) عاش هذا المصورمن (٤٧٠ إلى ٤٠٠ ق . م) وكان مشهورا . وأهم صوره صورة الحب المكلل بالأزهار ، وصورة « هيلين » لأنه لم يك مصور حيوان فقط

(٣) يلاحظ أن جورجياس كان قد قرر من قبل أن البيان وحده هو عامل الاقناع .

(٤) وسنرى فى العدد القادم كيف تضيق الدائرة فتشمل الاقناع من ناحية الظلم والعدل والباطل والحق

دراسات للمستشرقين

قيمة التراجم الأعجمية

الموجودة للقرآن

للعلامة الأستاذ الدكتور أ . فيشر

حين أبدأ بنشر تعريب بعض آثار المستشرقين أرى أن أذكر أنى طالما ترددت فى أن أنقل إلى العربية دراسة من دراسات هؤلاء العلماء لتكون ضمن مواد « الرسالة » ، وما ذلك إلا لأنه (أولاً) ليس من السهل أن يقع الاختيار على بحث قائم بذاته ليس له ارتباط بدراسة أخرى سابقة له أو لاحقة تستكمله أو تنقض شيئاً منه ، ثم هو إلى ذلك مما يستهوى قراء الرسالة . و (ثانياً) لأن أبحاث المستشرقين النابهين هى دراسات علمية أجمع على صحتها ، ويستسيغ من تابع دراسة الاستشراق دراسة منظمة فهم تلك الأبحاث وإدراك كنهها . وكنت أخشى أن يصطدم بعض حضرات القراء بهذه العقبة ، ولكنى وجدت فى دراسة العلامة الأستاذ الدكتور أ . فيشر لقيمة التراجم الأعجمية الموجودة للقرآن ما يغنينى عن الأخذ بهذه التقديرات . وأرى قبل أن أسوق إلى إخوانى فى اللغة بحثه معرباً — وكان قد نشره باللغة الألمانية فى أواخر سنة ١٩٣٧ — أن آتى بشىء من سيرته ؛ أما التبسط فيها فله مجال آخر . وهأنذا أستعير كلمات المغفور له ج . برجسترامر G. Bergstrasser الأستاذ السابق بالجامعة المصرية لتتعرف منها على مكانة الأستاذ العلامة أ . فيشر ، فقد وصفه « بالعلم الأكبر » فى الحفلة التكريمية التى أقامها له العلماء المستشرقون من ألمان وانجليز وفرنسيين وروسيين وغيرهم فى جامعة ليبزج بمناسبة بلوغه الستين من عمره ، وكان ذلك فى اليوم الرابع عشر من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ . وقد أسس معهد اللغات السامية فى ليبزج منذ سبع وثلاثين سنة . وتفرغ للغة العربية الفصحى لمصرها الذهبي « حتى صار حجتها ومرجعها » ، « جامعاً بين علوم اللغة وآدابها ، متفرداً فى دراسة الشعر » ، « محيطاً بتاريخ الشعوب الاسلامية والعربية والسامية » « واقفاً على دقائق الحياة الفكرية فيها » . ثم هو إلى ذلك « يسيطر على كل اللغات السامية التى لها بالعربية صلة قريبة أو بعيدة » . وهو فى كل بحث له يتعقب مسائله مسألة مسألة إلى أقصى حدودها » لذلك كانت « دراساته التى ينشرها قطعاً من ذهب جاء بها من كنزه الذى لا يفنى » . أما معجمه اللغوى التاريخى الذي أخذ منذ سنين يضحى من أجله جل وقته وجهده ، ثم أهداه إلى مجمع اللغة العربية الملكى الذى يسّر له متابعة العمل فيه لنشره فسيكون كما قال برجسترامر « ذخيرة للأجيال المقبلة يستفيد منه أبناء العربية وعلماؤها »

وإنى أكتفى بهذا القدر من التوطئة والتعريف بمكانة أستاذى العلامة أ . فيشر ليطلع القارئ الكريم على بحثه فيما يلى :

توجد للقرآن عدة تراجم إلى اللغات الأعجمية[1] . ولقد تعرفت البلاد الغربية القرآن لأول مرة عن طريق الترجمة اللاتينية التى أوصى بيترفون كلوجنى (Peter Von Clugny) المعروف باسم بطرس فنرابيليس (Petrus Venerabilis) ذى النظر الثاقب ، كلا الراهبين روبرتس رتننسيس (Robertus Retenesis) والأرجح أنه

---

(١) أوفى الفهارس لتراجم القرآن موجودة فى :—

Chauvin: Bibliographie des ouvrages arabes, Teil X. 67 ff.

(فهرست مصنفات العرب . جمع شوفى . القسم العاشر صحيفة ٦٧ وما يليها) و

Ellis : Catalogue of Arabic printed Books in the British Museum, vel. I, SP. 876 ff.

(فهرست الكتب العربية المطبوعة الموجودة فى المتحف البريطانى . الجزء الأول والذيل صحيفة ٨٧٦ وما يليها) و

Fulton and Ellis: Suplementary Catalogue of Arabic printed Books in the British Museum. S P. 527 ff.

(ذيل لفهرست الكتب العربية المطبوعة الموجودة فى المتحف البريطانى صحيفة ٦٢٥ وما يليها) و

Lambrecht: Catalogue de Bibliotèque de l'École des Langues Orienta les Vivantes, t. I, S. 341 ff.

(فهرست مكتبة الالسن الشرقية الحية . الجزء الاول . الصحيفة ٣٤١ وما يليها)

كاسترنسيس (1) (Castrensis) أى المنسوب إلى شستر (Chester) والراهب هرمانوس والماتا (Hermanus Delmata) بوضعها ، وكان ذلك حول منتصف القرن الثاني عشر . غير أن هذه الترجمة لم تظهر إلا عام ١٥٤٣ ميلادية عن تيودور بيلياندر (Theodor Bibliander) من مدينة بال (Basel) ثم اتخذت هذه الترجمة تكأة لأقدم التراجم التى نعرفها في اللغات الايطالية والألمانية والهولاندية . وتعد ترجمة لدفيكو مراتشى (Ludvico Marracci) التى تم طبعها فى مدينة بادوا (Padua) عام ١٦٩٨ ميلادية ، وقد حوت الأصل العربى والترجمة اللاتينية والتخطئه (2) أحسن ترجمة للقرآن ظهرت فى ذلك العصر . ومن ذلك العهد لم تنقطع قط سلسلة تراجم القرآن إلى اللغات الغربية . ويجدر بنا أن نذكر أن المسلمين من غير العرب ممن لا يفقهون العربية شعروا منذ أمد بعيد بحاجتهم هم كذلك إلى ترجمة القرآن للغاتهم القومية، فكان أن ظهرت تراجم للقرآن إلى اللغات الفارسية والتركية والهندستانية والجودشراتية والبنجانية والسندية والبنغالية والتأميلية ولغة الباشتو ولغة أهل الملايا (وكذلك أيضاً اللغة الصينية ؟) ، كما أنه ظهرت تراجم ببعض اللغات الأفريقية .

وبعد قيام المسلمين فى العصر الحالى بترجمة القرآن إلى مختلف اللغات الأوربية أمر له خطورته العظمى . والمرجو عندئذ أن تتوارى التراجم التى قام بها غير المسلمين والتى قد تحمل فى طياتها نزعات معادية للإسلام . كذلك يرجى لهذه التراجم المنتظرة أن تكون بمثابة دعاية حسنة للإسلام بين المسيحيين . وهذا الدافع الأخير له أثر كبير فى نشاط الأحمدية فى هذا الميدان . والأحمدية

---

(1) أنظر :

M. Steinschneider : Polemisch und opologetische Literatur in arab. Sprache (Abhandl. f.d. Kunde d. Morgen Candes Bd. VI. No. 3), S. 229, Anm. 3.

(2) راجع فى ذلك :

E. Denison Ross : Ludovico Marracci (Bull. School of Orient. Stud., Lond. Institute, vol. II, 192 i, S. 117 ff.), Gius. Gabrieli, Glistudi orientali egli Ordinire ligiosi in italia (Il Pensiero missionario, Virteljahrss chrift, vol, III, fasc. 3, S. 297 ff) und bersonder G. A. Nallino, Lefonti Arabe manoscritte dell'opera di Ludovico Marracci sul Carano (Estr. dai Rendic. della Classe di Scienza mor., stor. efiol. dell'Accad. dei Lincei, ser. VI. vol. VII. fasc. 11-12, 1932).

هى فئة ظهرت حديثاً فى لاهور بالهند ابتدعت مذهباً جديداً فى الاسلام (1) ونزولا على اقتراح بهذا الشأن لشيخ الجامع الأزهر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى (2) المعروف بنزعته المصرية ، ذلك الاقتراح الذى عضده فيه جماعة كبار علماء الأزهر الشريف بفتوى منهم ، أخذت الآن وزارة المعارف العمومية المصرية فى درس الموضوع وتألفت لذلك عدة هيئات من العلماء ليروا هل يحسن أن يترجم القرآن ترجمة أمينة يعتمد عليها ، أم يكتفى بترجمة معانى القرآن إلى اللغات الحديثة

---

(1) راجع :

Muhammed Ali : Dottorinee e attività dei Musulmani Ahmadiyya di Lahore, in Oriente Moderno, Anno VI. 1926, S. 108 ff.

(2) هذا الاقتراح أثار في مصر جدلا شديداً موضوعه : أمن الجائز والممكن ترجمة القرآن الكريم ؟ فلقد اشترك فى هذا الجدل عدد من العلماء فأصدروا كتباً ونشروا مقالات فى الصحف والمجلات . وإنى أكتفى هنا بذكر ما نشره فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى تحت عنوان « بحث فى ترجمة القرآن الكريم وأحكامها » فى مجلة الازهر من الجزء السابع سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م — وظهر هذا البحث أولا سنة ١٩٣٢ م ؛ وما نشره الاستاذ محمد فريد وجدى (الرئيس الحالى لتحرير مجلة الازهر) تحت عنوان « الادلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الاجنبية » مصر ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م ؛ والكتاب الذى أصدره الشيخ محمد سليمان القاضى بالمحكمة الشرعية العليا باسم « حادث الاحداث فى الاسلام ، الاقدام على ترجمة القرآن . مصر ١٣٥٥ والكتاب الذى أصدره الاستاذ الشيخ محمد مصطفى الشاطر القاضى بالمحكمة الشرعية بشبين الكوم ، باسم القول السديد فى حكم ترجمة القرآن المجيد . مصر ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م ؛ ومقالتين أخريين فى مجلة الازهر إحداهما من قلم الشيخ محمد شلتوت بعنوان « ترجمة القرآن ونصوص العلماء فيه » الجزء السابع ١٣٥٥ هـ ، صحيفة ١٢٣ وما يليها . والاخرى من قلم الاستاذ محمد حسن بن الحسن الحجوى بعنوان « ترجمة القرآن » فى نفس العدد صحيفة ١٩٠ وما يليها

أما المقالات التى عولجت فيها مسألة ترجمة القرآن الكريم وسبقت هذه فى النشر فهى :

M. M. Moreno, È lecito ai Muslmani tradurre il Corano ? Oriente Modero, anno V. 1925, S. 532 ff.

ومقال للأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين فى « نقل معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية » فى مجلة نور الاسلام (الاسم السابق لمجلة الازهر) الجزء الثانى ١٣٥٠ هـ الصحيفة ١٢٢ وما يليها ؛ ومقال للأستاذ الشيخ محمود أبو دقيقة بعنوان « كلمة فى ترجمة القرآن الكريم » نفس المجلة الجزء الثالث ١٣١٥ هـ صحيفة ٢٩ ومايليها وصحيفة ٦٦ ومايليها ومقال للأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى بعنوان « فى ترجمة القرآن » فى نفس العدد صحيفة ٥٧ وما يليها

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٣١ –

مقالاته للرسالة (٢)

كان أكثر جلساء الرافعي في هذه الفترة هم الأصدقاء (س . ا . ع)، فكان لهم سره ونجواه، وإلى موعدهم مغداه ومراحه؛ وكان حديثهم إليه وحديثه إليهم هو عنده مادة الفكر وموضوع الكتابة؛ وكان لكل واحد من الثلاثة الأصدقاء في هذه الفترة مشكلة تملأ فراغ رأسه، فهي له في الليل مشغلة وفي النهار مشغلة ...

أما (س) فكان على نية الزواج، وقد ترامت أمانيه إلى واحدة من أهله، ولكن (التقاليد) وقفت بينها وبينه موقفاً ما، أورثه ضجراً وملالة وسخطاً على الناس وتبرماً بالحياة وخروجاً على ما تواضع الناس عليه من التقاليد في شئون الزواج ...

وأما (ا) فكان في عهد بين عهدين من حياته: قد ودّع ماضيه بما فيه من عبث ومجانة، وطلّق شهواته ونزواته إلى عهد يستشرف إلى ما فيه من المتاع الحلال في ظل الزوجة المحبوبة المحبة؛ فسمّى زوجته وعقد عقدها، ثم وقف ينتظر اليوم الذي يبني فيه بأهله قلقاً عجلان، واليوم الموعود لا يحين لأن التقاليد تبعد به كلما دنا موعده ...

وأما (ع) فشاب قد انفرد في الحياة من أهله: فقد أمه وهو غلام، فما كاد يستوي شبابه حتى مضى يلتمس ما فقد منذ طفولته من حنان الأنثى، فتزوج، ثم فقد زوجه؛ ثم تزوج، فما بقيت الثانية إلا بمقدار ما بقيت الأولى، ولكنها خلّفت بضعة منها بين يديه مصوّرة في طفلة سلبتها القدرة أمها يوم منحتها الحياة!

... هو أب ولا زوج له، وهو عزب وكانت له زوجتان، وهو فتى يؤمن بالله ويلحد في القدر، وهو شخصيتان منفصلتان تعرف إحداهما في المسجد وتعرف الثانية في الشارع، وله عين عفة وعين فاجرة؛ وله في الحياة تجربة ورأي، وله إلى الهوى واللذات مثل اندفاع الشاب الذي لم يذق ولم يجرب بعد!

ثلاثة نفر لكل منهم رأيه في الحياة ومذهبه، ولكنهم قد التقوا في مجلس الرافعي على هوى واحد، فأحلوه من أنفسهم وأحلهم من نفسه؛ فكان له من أحاديثهم شعور الشباب ولهم من حديثه حكمة الشيخ، وللأدب من كل مجلس يجمعهم وإياه موضوع حي مما كتب الرافعي لقراء الرسالة ...

ومن هذه الموضوعات «قصة أب»

ذلك هو الصديق (ع) كان الله له ... !

جلس مجلسه يوماً إلى الرافعي يشكو بثه وهمه والدموع تترقرق في عينيه؛ واستمع الرافعي إلى شكاته متألماً حزيناً؛ فما فرغ (الأب) من قصته حتى جمع الرافعي (قصاصات) الحديث فجملها في جيبه وجلس يتفكر ... ثم كانت «قصة أب»

وفي الأسبوع التالي كان زفاف ابنته إلى ابن أخيه [1] في حفل أهلي خاص وصفه الرافعي في مقاله «عرش الورد»؛ وهو العرش الذي نظمه بيده الأستاذ سامي الرافعي لمجلس العروسين، وجمل فيه فنه وعاطفته نحو أخته وابن عمه وقدمه إليهما هدية عرس

(١) هو الأستاذ محمد سعيد الرافعي مبعوث كلية الزراعة في أمريكا، وزميل الأستاذ سامي الرافعي ابن المترجم

الحية، فيترجم أولاً إلى اللغات الانجليزية والفرنسية [1]، وما ذلك إلا لأن ترجمة كلام الله الكريم في كتابه العزيز أمر مستحيل.

كذلك تألفت في حيدر آباد (الدكن) هيئة جمعت عدداً من أجلاء الهند بغيتها نشر ترجمة للقرآن الكريم بمختلف اللغات الحية مبتدئة باللغة الانكليزية تتفق ومذهب أهل السنة. [2]

وإذاً ما هي قيمة جميع التراجم الموجودة للقرآن؟

(للبحث بقية) ابراهيم ابراهيم يوسف

(١) راجع:

Oriente Modeno, XVI, 1936, S. 292 f. 560, 710 f, und XVII 1937, S, 114

(٢) راجع:

Oriente Moderno, XVI, 1936, S. 311 f

ولما جلس العروسان ذراعاً إلى ذراع فى عرش الورد ، بارك لهما الرافعى ودعا ؛ ثم خرج ليقضى ساعات فى القهوة . ولقينى هناك وحدى ، فانتحينا ناحية على حيْد الشارع لا يترامى إليها من أضواء القمر إلا شعاع حائل ؛ وكان الرافعى يؤثر دائماً أن يجعل مجلسه على ذلك الرصيف فى جانب من القهوة ، ويسميه « بلاج طنطا » إذ كان انفساح الشارع أمامه ، وما يتعاقب عليه فى الليل والنهار من ألوان الجمال فى الطبيعة والناس — مما يحبّب إلى العين أن تنظر ، وإلى النفس أن تنبسط ، وإلى الفكر أن يبدع فيما يخلق من ألوان الجمال ...

وكان الليل نائماً يحلم ، والطبيعة ساجية لا يُسمع من صوتها إلا همسٌ خافت ، وفى الجوشمر يهزج فى سِرار النسيم وفى حفيف الشجر ، وعرائس الخيال تُطيف راقصة تنفح بالمطروتوفٌ بالنور .. ولكن الرافعى جلس مجلسه صامتاً لا يتحدث ، إلا كمات إلى النادل يطلب كوب ماء ليشرب أو جرات للكركرة ... واحترمتُ صمته فسكتُّ عنه ...

ومضت ساعة ، ثم رفع عينيه إلىّ وهو يقول : « الليلة عُرس ابنتى ... ! »

ولم يسمع جوابى ، لأن دمعة كانت تترقرق فى عينيه وهو يتحدث حبستنى عن الجواب ... !

دمعة لم أرجم معناها إلا بعد سنتين ، يوم جاءني يقول والدمع يلمع تحت أهدابه : « إن وهيبة مسافرة إلي زوجها في أمريكا ؛ ليس من الحق أن تبقى هنا وهو هناك ! »

ثم يومَ جاءنى بعدها يقول وفى يده صحيفة أمريكية . « انظر هذه الصورة ، إنهم يسمونه هناك : أصغر سائح مصرى فى أمريكا .. إنه حفيدى الصغير ... ! »

لقد كان الرافعى يحب أولاده حباً لا أعرف مثله فيمن أعرف ؛ ووهيبة كبرى أولاده ، ذكرها فى « الديوان » ، وغنى لها فى « النظرات » وأرّخ زواجها فى « عرش الورد »

***

وكانت المقالة التالية هى « الانسانية العليا »

وهى باب من القول فى الأدب الدينى تنتظم مع « وحى الهجرة » و « الاشراق الالهى » و « سموّ الفقر » تحت باب واحد ...

... كان يعتاد الرافعى كما يعتاد كلَّ إنسانٍ ، نوباتٌ من الضيق والهم تقعد به وتصرفه عما يحاول من عمل ؛ ولم يكن له علاج من هذا الضيق الذى يعتاده إلا أن يقرأ قرآناً أو ينظر فى كتاب من كتب السيرة النبوية ، فينفرج همه ويزول ما به ، ويهون عليه ما يلقى من دنياه ...

فى نوبة من هذه النوبات التى تضيق بها الدنيا على إنسان ، تناول الرافعى كتاباً من كتب الشمائل يسرّى به عن نفسه ، فاتفق له رأى ... وخرج من مطالعته بمقالة « الانسانية العليا »

***

... وكان للرسائل التى ترد للرافعى في البريد من قراء الرسالة أثر يوحى إليه فى أحيان كثيرة بما يكتب لقرائه ، فهى منهم وإليهم ؛ فمنذ بدأ الرافعى يكتب في الرسالة أخذت رسائل القراء ترد إليه كثيرة متتابعة فى موضوعات شتى ولمناسبات متعددة ، حتى كان يبلغ ما يصل إليه أحياناً فى اليوم الواحد ثلاثين رسالة ؛ وكان يقرؤها جميعاً ويحفظها فى درج خاص من مكتبه ؛ وسأتحدث عن هذه الرسائل فى باب خاص له موعده ، إنما يعنينى اليوم أن أتحدث عن الموضوعات التى استملاها من رسائله . ومن هذه الموضوعات مقالة « تربية لؤلؤية »

كانت تصدر فى القاهرة فى ذلك الوقت مجلة (الأسبوع) وقد فتحت صدرها لطائفة من شباب الجنسين يكتبون فيها وحى عقولهم وقلوبهم و ... وغرائزهم ، وكانت صفحاتها لهؤلاء الشبان والشابات أوسع من صدر الحليم ، فلم تلبث بهذه السماحة أن صارت — كما يقول العامة — بطن حمار ! وأصبحت ميداناً للغزل البريء وغير البرىء ، وموعداً من مواعد التلاقي والوداع

وفى صبيحة يوم ، حمل البريد إلى الرافعى رسالة من سيدة كريمة ، تلفته إلى محاورة داعرة تعترك فيها أقلام طائفة من الشبان فى مجلة الأسبوع . وبعث الرافعى فى طلب أعداد المجلة فجىء بها ؛ فما قرأها حتى تناول القلم وأملى على مقالة « تربية لؤلؤية »

فى هذه المقالة ، خلاصة رأى الرافعى فى حرية المرأة وحقها فى المساواة ؛ وتري لهذا الرأى بقية فيما نشر من مقالات الزواج والطائشة، والجمال البائس، وغيرها ؛ وهو يزعم أنه بهذا الرأي من أنصار المرأة عند من يعرف أين يكون انتصار المرأة . وللرافعى حين يتحدث فى هذا الموضوع حجة قوية وبرهان ماض ، إلى

روح رفافة وشعر ساحر . ولست واجداً أحداً يرد عليه فى ذلك على قلة من يجد من أنصاره ، وقد جلست مرة إلى المربى الكبير الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف نداول الرأي فى أدب الرافعى ومذهبه الاجتماعى لمناسبةٍ ما فيما كتب الرافعي للرسالة ، فقال لى : « إنك لن تجد أحداً من أنصار الجديد يرضى هذا المذهب ، ولكنك لن تجد أحداً — أيضاً — يستطيع أن يصاول الرافعى فى هذا الميدان بمثل حجته وقوة إقناعه ... ! »

... وأرضى الرافعى بهذا المقال السيدةَ الكريمة التى كتبت إليه ، ولكنه أغضب مئات من القارئات وعشرات من القارئين ؛ فانثالت عليه الرسائل من هؤلاء وهؤلاء غاضبة مستنكرة ، إلا بضع رسائل ...

ولما كتب مقالة « تربية لؤلؤة » وأرسل بها ، ركب قطار البحر إلى الإسكندرية ليستريح يوماً هناك ، يتزوّد فيه لفنه وأدبه من عرائس الشاطئ ... كان قد كتب مقاله السالف وأرسل به ، ولكن معانيه بقيت فى نفسه ؛ فلما ذهب إلى الشاطئ وجد تمام موضوعه ، فعاد ليملى علىّ مقالة « لحوم البحر » وهى قصيدة مترجمة عن الشيطان على نسق من النثر الشعرى فاق فيه الرافعىُّ وغلَب ...

***

كان للرافعى عادةٌ حين يعجبه موضوع مما كتب أن يسأل عنه كلَّ من يلقي من أصحابه ... « هل قرأت مقالتى الأخيرة ... ؟ وما رأيك فيها ... ؟ هل يملك أحد أن يعرض لرأى فيها بالنقد ... ؟ »

وكان يمتدّ كثيراً بمقالة « تربية لؤلؤة » ، وفى ذات مساء بعد نشر تلك المقالة ، قصد إلى القهوة ليريح أعصابه ؛ فصادف الأصدقاء (س . ا . ع)(1) ؛ فما كاد يستقر به المجلس بينهم حتى أخذ يسأل كل واحد : « هل قرأت ... ؟ ما رأيك ... ؟ هل يملك أحد ... ؟ »

كان للرافعى في كل واحد من أصدقائه الثلاثة رأى ، وكان لكل واحد فى نفسه حقيقة ، ولهم فى الحياة نظرات تقترب وتفترق ؛ وكلهم قد حُـرِموا المرأةَ لوناً من ألوان الحرمان ؛ ولكل منهم فى المرأة رأى ؛ مما تخيّلها ، أو مما كابدها ، أو مما شقى بها ...

والرافعى رجل قد فارق الشباب وخلعه فيما خلع من ماضيه ؛ وإنه لزوج وأب ويوشك أن يكون جدّاً ؛ فلا قدرة له على أن يعود القهقرى إلى ماضى شبابه يستوحيه خواطر الفتيان وأحلام الشباب فى المرأة والحب والزواج ؛ وهؤلاء الأصدقاء — على ما قدّمتُ من نعوتهم فى أول هـذا الفصل — يجمعهم صفة العزوبة على اختلاف ألوانها ؛ وما يزالون فى باكر الشباب وفى يقظات الحُلم ؛ وكلهم قد مارس المرأة نوعاً من المراس : فى وهمه أو فى حياته ...

فما كاد الحديث يبدأ بين الرافعى وأصدقائه حتى أخذ يتشعب فنوناً ، وساقهم الرافعى بحسن احتياله إلى هدف يرمى إليه ... فما انفض المجلس حتى كان ثلاثتهم على ميعاد مع الرافعى ليجيبوه كتابةً عن أسئلة ثلاثة وجهها إلى كل منهم ، على أن يلتزم الصدق ، ويجانب الحياء ، ويخلص فى الاجابة ؛ وكانت الأسئلة هى :

(ا) كيف ترى المرأة فى وهمك ؟ وأين مكانها من حياتك ؟ وماذا مارست من شأنها وعرفت من خبرها ؟

(ب) لماذا لم تتزوج ؟

(حـ) صف ما تحب من أخلاق زوجتك المستقبلة ؟

وجاء الميعاد المضروب ، وسعى الأصدقاء الثلاثة إلى الرافعى بأجوبتهم ؛ فمنها كانت مقالة الرافعى (س . ا . ع) وهى أولى مقالاته فى الزواج ؛ ثم تتابعت مقالاته في هذا الموضوع ، فخطا بها إلى قلوب الشباب خطوات ، وكان بينهم وبينه من قبلُ سد منيع

قبل أن يكتب الرافعى هذه المقالة بأيام ، جاءه رسالة من بعض الأدباء يسأله أن يكتب إليه فى أسباب أزمة الزواج ؛ استيفاء لبحث يهم أن يصدره فى كتاب ... وأحسب أن هذا السؤال كان الحافز الأول للرافعى إلى الكتابة فى هذا الموضوع . وقد بعث الرافعى إلى السائل بجواب سؤاله ؛ وكان جواباً فيه كثير من الدقة والتحديد والعمق ، ولم أقرأه منشوراً منذ أرسله إلى طالبه

بدأ كثير من الشبان يهتمون بما يكتب الرافعى ؛ إذ كان بهذا الموضوع يعالج مشكلة كل شاب عزَب ، وتضاعفت رسائل القراء إليه ، وطال الجدل فى موضوعه بين طوائف من الشباب فى مجالسهم الخاصة ...

(1) ا و ع : هما الصديقان أمين حافظ شرف ، وعبد الله عمار ؛ وكانا زميلى الرافعي في محكمة طنطا

فلما كانت أيام بعد مقالة (س . ا . ع) جاء إلى مجلسنا في القهوة شاب من أصدقائنا المتأدبين ، هو الأستاذ اسماعيل خ ، وهو محام ناشئ له ولوع بالأدب وشهوة في الجدل ، وفيه إلى ذلك لين في الخلق وشذوذ في الطبع ؛ وكان الرافعي يعرفه عرفاننا فما رآه حتى وجد فيه عنوان مقالة ... قال عليه يسأله ضاحكا ... وأجاب الأستاذ إسماعيل : « الزواج ! وما يحملني على هذا العنت ؟ أيريدني على أن أبيع حريتي من أجل امرأة ؟ ... » ومضى يؤيد دعواه بالبراهين والأمثال ...

وتم للرافعي موضوعه ، فأملى عليّ في اليوم التالي مقالة « استنوق الجمل »

في هذه المقالة يجد القراء سبباً آخر لانصراف الشباب عن الزواج غير ما قدّم س . ا . ع في المقالة السابقة ؛ فهي الحلقة الثانية من هذه السلسلة ...

وأحس الرافعي بالتعب ، فانصرف عن الكتابة أسبوعاً ليستجم ، ولمّ من هنا ومن هناك طائفة من منثور القول فأرسله إلى الرسالة بعنوان كلمة وكليمة . وهي عبارات قصيرة من جوامع الكلم ، ليس بينها رابطة في الفكر ولا في الموضوع ، وكل كلمة منها موضوع بتمامه

وقد قدّمت القول عن هذه الكلمات القصار التي كان الرافعي ينشرها بعنوان « كلمة وكليمة » ؛ فحسبي هنا أن أشير إلى موضوع هذه الكلمات ودوافعها :

في هذه الكلمات التي نشرها بالعدد ٦٥ سنة ١٩٣٤ كلمات عن المرأة والحب ؛ وهذه من فضلات المعاني التي اجتمعت له في مقالات المرأة والزواج ولم يجد لها موضعاً مما كتب . . .

وفي هذه الكلمات رسائل إلى (فلانة) من تلك الرسائل التي قدّمت الإشارة إليها عند الحديث عن حب الرافعي . وفيها كلمات عن السياسة المصرية يعرف دوافعها من يذكر الحال السياسة التي كانت في مصر لذلك العهد وحكومة صدقي باشا تحتضر . . .

فمن هذه العناصر الثلاثة اجتمع له هذا القدر من كلمة وكليمة

« طنطا » محمد سعيد العريان

***

رجاء إلى الاخوان الذين يشرفونني برسائلهم أن يجعلوا عنواني (مؤقتاً) على دار الرسالة حتى تستقر بي الرحلة

تعليم أبنـــاء الفقراء في انجلترا

للآنسة الفاضلة أسماء فهمي
درجة شرف في التاريخ ودرجة الأستاذية من انجلترا
وأستاذة بمعهد التربية

استأثرت الطبقات الغنية في انجلترا بما كان يعد أرقى أنواع التعليم والثقافة إلى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر . وكان يتلقى أبناء تلك الطبقات العلم في المدارس الخصوصية وفي جامعتي اكسفورد وكمبردج، ذات النفقات الباهظة والنزعة الأرستقراطية البحتة، تلك المعاهد التي استحالت بالتدريج إلى معاهد خاصة بذوي اليسر والجاه وأن لم تنشأ في أول الأمر من أجل هذه الطبقة بالذات

أما أبنـاء الطبقات الفقيرة فكانوا يتلقون قشور العلم في مدارس أولية متواضعة تشبه الكتاتيب في مصر في أكثر نظمها وأساليبها . وكان يقوم بتأسيس هذه المدارس الجمعيات الخيرية وأهل البر والإحسان ؛ أما الحكومة فلم تتدخل في أول الأمر تدخلاً مباشراً في شئون التعليم بل اكتفت بتقديم الأعانات المالية للجمعيات ابتداء من سنة ١٨٣٣ ، وبتكوين اللجان من حين إلى حين لدرس حالة التعليم وتقديم الاقتراحات والتقارير للقائمين بشأنه، مما كان له أثر كبير في النهوض بالتعليم وتوجيهه التوجيه الصالح

ولقد كانت نظرة الحكومة والمتطوعين لنشر التعليم بين الفقراء قاصرة مبتورة ، إذ كان الغرض مجرد القضاء على الأمية وتعليم الأطفال بعض الأعمال اليدوية التي قد تساعدهم على كسب الرزق . وعلى ذلك كان منهج الدراسة الأولية عبارة عن مبادئ القراءة والكتابة والحساب والدين ذلك الذي كان يمزج بتلقين الطاعة للرئيس والقناعة بنصيب المرء في هذه الحياة الدنيا . والواقع أن التعليم كان مبنياً على أساس الاحتفاظ بنظام الطبقات العتيق وخضوع الفقراء للأغنياء ، فكان يخشى أن يؤدي التوسع في تعليم الفقراء إلى عدم رضائهم بحظهم من الحياة . ولقد تجلت تلك النظرة المحدودة في تقرير اللجنة المعروفة بلجنة نيوكاسل Newcastle Commission التي عهد إليهـا بدراسة حالة تعليم أبناء الشعب فأصدرت تقريراً وافياً عام ١٨٦٠ أعلنت فيه رضاءها عن حالة

تعليم أبناء الفقراء إذ ذكرت بشىء من الدهشة أن فى مكنة ثلاثة أخماس التلاميذ المدونة أسماؤهم فى سجلات المدارس الأولية أن يتعلموا القراءة والكتابة دون صعوبة ظاهرة ، وأن يقوموا بإجراء العمليات الحسابية البسيطة التى تتصل بحياتهم اليومية كما يتلقون مبادئ الدين الأساسية وما يتصل بها من التعاليم الخلقية ... أما مواد الثقافة العامة كالتاريخ والجغرافيا التى كانت قد بدأت تشق لنفسها طريقاً فى المنهج فلم تعرها اللجنة التفاتاً إذ لم تكن معتبرة من المواد الأساسية

على أن تلك النظرة الضيقة إلى تعليم أبناء الفقراء أخذت تتغير تغيراً كبيراً فى الثلاثين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر تحت تأثير عوامل مختلفة أهمها انتشار الأفكار الحرة ونمو حركة العمال واتساع نطاق الحقوق الانتخابية التى شملت طبقة العمال سنة ١٨٦٧ ، فأصبحت تلك الطبقة تلعب دوراً هاماً فى مصير الأمة وتكييف شئونها . وسرعان ما شعرت الطبقة الحاكمة بأهمية هذا الانتقال الذى أوجب تعليم الطبقات الفقيرة بعد أنها ضمت إلى زمرة السادة والحكام نتيجة تعديل نظام الانتخاب . وعلى ذلك نجد الحكومة الانجليزية تتدخل تدخلا جدياً فى شئون التعليم وتسن القوانين لتعميم التعليم الأولى (Elementary education) . ففى سنة ١٨٧٠ صدر قانون بتكوين مجالس للتعليم الأولى (School Boords) فى المناطق المختلفة التى تقل فيها أو تنعدم المدارس التى كان يقوم بانشائها الجمعيات الخيرية للقيام بسد النقص وتوفير التعليم لجميع أبناء الشعب ، كما جعل من اختصاصها الاشراف على التعليم فى المدارس الأولية المختلفة بينما جعلت مدة الدراسة الأولية خمس سنوات من سن الخامسة إلى العاشرة . على أن التعليم لم يصبح إجبارياً يعاقب القانون على تركه إلا فى سنة ١٨٨٠ . ومنذ ذلك الانتقال الهام أدخلت مواد جديدة فى برامج التعليم الأولى فى حين منحت إعانات مالية لكثير من التلاميذ الفقراء النجباء لمساعدتهم على دخول المدارس القانونية والفنية والجامعات . وهكذا نجد أن اتساع دائرة الحقوق النيابية فى انجلترا يقابلها اتساع وإصلاح فى دائرة تعليم الفقراء ، وفى ذلك بلا نزاع لب الحكمة ، إذ أن الخطر كل الخطر فى وضع القوة السياسية أو الحقوق الانتخابية فى يد قوم جهلاء يقضون على الديمقراطية باسم الديمقراطية

وفى القرن العشرين خطا تعليم أبناء الفقراء خطوات واسعة حوالى سنة ١٩٠٠ ، فمدت مدة الدراسة الأولية إلى سن الرابعة عشرة ، وأنشئت الخدمة الطبية للمدارس سنة ١٩٠٧ للاهتمام بصحة فقراء التلاميذ . وكان للحرب الأوربية الكبرى أعظم الأثر فى تدعيم مبادئ الديمقراطية والمساواة ظهر أثره بجلاء فى ميدان التعليم والعناية بأمر الأطفال دون تمييز بين الطبقات . ويشير الأرل بلدوين رئيس الوزارة الانجليزية السابقة إلى تلك النزعة الحديثة عند ما يقول : « إن وجود نوع واحد من الثقافة من أقوى عوامل الوحدة والائتلاف بين أفراد الشعب ، وإن انجلترا لم تربح فى الماضى بسبب عدم اهتمامها بتكوين التفاهم والارتباط العقلى بين طبقات الأمة . فلقد كانت مدارسنا مقسمة بحسب الطبقات لا بحسب الفروق العلمية ... ولكن قد بزغ فجر عهد جديد الآن ، فان بناء المدرسة الأولية الهرم قد أقيم أخيراً على أنقاضه بناء جديد ... »

والواقع أن هذا القرن يمتاز بالرغبة والعمل على القضاء على آثار الفروق المادية والاجتماعية من ميدان التعليم ، تلك الفروق التى لم تكن تؤدى إلى الاختلاف فى أنواع الثقافة والتربية بين أبناء الشعب فحسب ، وإنما كانت تحول فى أغلب الأحايين دون ظهور نبوغ أبناء الفقراء لسبب إهمال تنمية مواهبهم مما ينتج عنه بطبيعة الحال إقلال عدد النابغين فى الأمة خصوصاً إذا راعينا أن الطبقة الفقيرة لا يقل عدد أفرادها عن أربعة أمثال عدد أفراد الطبقة الغنية والمتوسطة معاً ، وأن عدد النابغين فيها إن لم يزد على عدد الموهوبين فى الطبقتين المذكورتين لا يمكن أن يقل ؛ وهكذا يضيع نصف نبوغ الأمة سدى إذ يقصر على تأدية الأعمال الوضيعة التى لا تستغل ولا تنمى المواهب العالية

ولتحقيق أغراض التربية الحديثة يبدأ الاهتمام بأمر الأطفال الفقراء فى سن مبكرة ؛ فمن سن الثانية إلى الخامسة يرسل الأطفال — إذا أرادت الأم — إلى مدارس الحضانة Nursery Shcools التى توجد عادة فى الأحياء الصناعية الفقيرة المكتظة بالسكان حيث تضطر الأمهات فى أغلب الأحيان إلى مغادرة منازلهن فى الصباح الباكر للعمل مع أزواجهن فى المصانع ؛ فتقوم هذه

المدارس بتمهد الأطفال للعب فى أمكنة معرضة لأشعة الشمس والهواء، وتزود بكل أنواع اللعب المعدة للتسلية والحركة والابتكار؛ ويقضى الأطفال اليوم فى اللعب والغناء والحركات التوقيعية وسماع القصص المصورة كما يعودون على القيام ببعض الأعمال التعاونية كالاشتراك فى إعداد مائدة الطعام وتنسيق الأزهار وترتيب الحجرة، كما يعودون على آداب المائدة والترتيب والنظافة واحترام رغبات الغير

ويبدأ التعليم الالزامى من سن الخامسة إلى الرابعة أو الخامسة عشرة . وتقسم مرحلة التعليم الالزامي الآن إلى ثلاث مراحل؛ فالمرحلة الأولى من سن ٥ — ٧، وفى هذه المرحلة تسير الدراسة وفق برنامج رياض الأطفال فى مصر فيهتم بالألعاب والقصص والرسم والأناشيد والرقص،ويبدأ تعليم القراءة والكتابة عن طريق اللعب . والمرحلة الثانية من سن ٧ — ١١ . وفى هـذه المرحلة يدرس الأطفال مايدرسه تلاميذ المدرسة الابتدائية المصرية ماعدا اللغات الأجنبية فى أكثر المدارس . ويهتم فى هـذه المدارس اهتماما كبيرا بالأعمال اليدوية والموسيقى . أما المرحلة الثالثة فتبدأ من سن ١١ — ١٤ أو ١٥ وهذه المرحلة تعرف بمرحلة التعليم الثانوى . وعند بدء هذا الدور يعقد امتحان عام للتلاميذ الذين يبلغون الحادية عشرة، وبمقتضى نتيجة هذا الامتحان يقسم التلاميذ إلى ثلاثة أقسام ، فالتلاميذ المتفوقون يرسلون إلى المدارس الثانوية التى تعد للجامعات والوظائف الفنية ؛ والذين يكونون فى المرتبة الثانية يذهبون إلى نوع آخر من المدارس الثانوية تسمى المدارس المركزية (Central Schools) تختلف عن المدارس الثانوية العادية فى كونها تتجه فى السنتين الأخيرتين اتجاها عمليا ، فترتبط مواد الدراسة بالبيئة كأن تشمل مادة الجغرافيا دراسة حالة البلد الاقتصادية وأسواقها التجارية وصناعاتها وعلاقاتها بالأمم الأخرى الخ، وكأن تكون اللغة الأجنبية التى تدرس لغة حية يكون الغرض من دراستها التفاهم بخصوص الشئون التى تتصل بحياة الطالب وعمله ودائرة تفكيره لا أن تكون أكاديمية بمعنى أنهـا تهتم بخواص الأجرومية أو المعانى والمصطلحات التى قلما يحتاج إليها فى الحياة العملية . أما تلاميذ المرتبة الثالثة فيرسلون إلى مدارس ابتدائية راقية (Senior School) تتمشى برامجها إلى حد ما مع برامج المدارس الثانوية من ناحية الاهتمام بالثقافة العام بينما توجه عناية كبيرة إلى إعـداد الطالب لبيئته الخاصة فتهتم مثلا بالعلوم الزراعية إذا كان الطالب يعيش فى بيئة زراعية، أوبالمواد التجارية إذا كان الطالب يعيش فى منطقة تجارية . وبالجملة يراعى فى هـذا التقسيم التمشى مع مقدرة الطالب العقلية ثم الاهتمام بالناحية الثقافية وتوسيع دائرة اهتمام الطالب بالروابط الانسانية ونواحى الحضارة المختلفة . ولا يقصد بهذا التقسيم التوجيه المهنى بالذات أو إعداد الطالب لكسب العيش بطريقة مباشرة ، وإنما الغرض الأول من الدراسة الالزامية فى مراحلها الثلاث أى من سن الخامسة إلى الرابعـة عشرة أو الخامسة عشرة هو إعداد الطفل لأن يكون إنساناً مهذب الخلق والاحساس ذا قسط من الثقافة قبل أن يعد لأن يكون تاجراً أو صانعاً

ولا يقصر الاهتمام فى هذا الدور من التعليم على التربية العقلية والخلقية ، وإنما يولى أولو الشأن عناية كبرى إلى صحة التلاميذ الفقراء . فلقد جعل لهم عيادات طبية يشرف عليها أطباء وممرضات تعطى العلاج والدواء مجاناً للتلاميذ ، وتقوم الممرضات بعيادة منازل الأطفال لتوجيه النصح والارشاد للأمهات كما توجد مستشفيات ودور نقاهة خاصة بهؤلاء الأطفال . كذلك تعمل المدارس على علاج ضعاف الأجسام من فقراء التلاميـذ بتقديم اللبن لهم مجاناً حتى فى أيام المسامحات لمن تظهر عليهم علامات الضعف بسبب رداءة التغذية . ومما يستحق الذكر فى هذا المقام أن الأموال التى جمعت لعمل تذكار للملك جورج الخامس خصصت لشراء أراض واسعة تستعمل ملاعب للأطفال الفقراء

ولقد كان من نتائج زيادة الاهتمام بالتعليم الالزامى وتعديل مناهجه مضاعفة الاهتمام بالمدرسين وإعدادهم إعداداً يتمشى مع تلك النزعة الديمقراطية الحرة ؛ وعلى ذلك نجد الاتجاه الآن أن يكون المدرسون ممن حصلوا على تعليم جامعى أو ما يعادله حتى تتوفر لديهم الثقافة الواسعة والتهذيب العقلى والعاطفى الذى يحتاج إليه مربي النشء من بيئة ديمقراطية

ولا تقف مطامع المشتغلين بالتربية فى انجلترا وأنصار مبادئ الديمقراطية والمساواة عند هذا الحد إذ هم لا يكتفون بتعليم أبناء الفقراء حتى سن الخامسة عشرة بل يطالبون باطالة مدة تعليمهم

على نفقة الدولة حتى سن الثامنة عشرة ، إذ يرون أن الولد الذى يبدأ حياته العملية فى سن الخامسة عشرة لا يكون مزوداً بالمعرفة الكافية، ولا بالاعداد الذى يعينه على اقتحام معركة الحياة بنجاح . وإن الدلائل كلها لتدل على احتمال تحقيق هذا الرأى إما عاجلاً وإما آجلاً

مما ذكر يتبين لنا التغيير الهام الذى طرأ على الأفكار بخصوص تعليم أبناء الفقراء فى بحر قرن تقريباً . ففى أوائل القرن الماضى كان يتساءل أعضاء البرلمان الانجليزى عما إذا كان تعليم الطبقات الفقيرة أمراً مرغوباً فيه؛ واليوم يقولون جميعاً فى إيمان إن التعليم الشامل الصحيح الذى يعم جميع الطبقات والذى يبرز النبوغ وينمى الاستعداد ويكون الخلق ويُهذب العقل والقلب ويبين السمين من الغث هو حق ضرورى لكل طفل بغض النظر عن العوامل المادية . وعلى ذلك لا يكتفى الآن بتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الدين والحساب لأن هـذا التعليم المحدود لم يعد يلائم حاجات الديمقراطية ولا المبادئ الانسانية التى لحسن الحظ قد أثمرت أينع الثمر فى ميدان التعليم .

أسماء فهمى
درجة شرف فى التاريخ
ودرجة الأستاذية فى التربية فى انجلترا

ذكرى مدام كورى

للكاتب العظيم اميل لودفيج

لا أظن سيدة ذات عبقرية كانت أقل هيمنة على أفئدة الرجال ، وفى الوقت نفسه لها من السلطان فى نفوسهم ما ليس لغانية من غواني باريس ، كمدام كورى

من وقت لآخر كان يفد إلى العالم الفرنسى الكبير بول بانلفيه بعض ذوى العبقريات الفرنسيين ويجلسون للسمر لديه فى بهوه المتواضع الذى تراه أشبه بالأماكن العامة منه بمجلس عظيم من عظماء فرنسا وكبير من وزرائها ، شأن العجوز الأرمل ، بل شأن العالم الكبير الذى نفذت بصيرته إلى جمال الحقيقة والعلم فتسلى به عن زخرف الأرائك والطنافس

قصدت ذات يوم هذا البهو وقد سبقنى إليه نفر من رجال العلم والسياسة . وكان رب الدار ملازماً لفراشه لانحراف ألمّ به، فصافحه كل منا على حدة فى مرقده، بينما كانت شقيقته تسبغ علينا التحية فى مجلس الضيافة . وكنت أشعر بأن عدم وجود بانلفيه بيننا قد جعل رابطة الجماعة مفقودة ومعين سمرها ناضباً

وكذلك كان المجلس فاتراً كأن برودة الطقس قد شابته وأثرت عليه ، وبدلاً من إذكاء الحماسة فيه بفنجان من الشاي فقد أعدت مائدة طعام على الطراز القديم المنمق ثم دعينا إليها بعبارات ملؤها التبجيل والاحترام

وقد أعجب بانلفيه أن يقدمنى إلى ثلاثة من ضيوفه وأهل طبقته من رجالات العلم والسياسة ، وهم بيران ولانجفان وأميل بوريل ، فأخذتنى الرهبة أمام هـذه الرؤوس الكبيرة والجباه العريضة لرجال عظماء فى أبسط ما يكون من المظاهر ، تلك البساطة التى هى زينة العلماء الفرنسيين والتى كانت فى العصر الغابر شيمة العلماء الألمان . نعم أخذتنى الرهبة أمام هؤلاء الرجال الذين يتعذر على مثلى أن يقدر أعمالهم من تلقاء نفسه وبطريق مباشر . ولما كان من العسير علىّ فهم ما يتخلل أحاديثهم من المباحث العلمية جعلت أتفرس فى أدمغتهم الكبيرة وقوالبها المختلفة وما تحمل من علم وثقافة

وبينما نحن كذلك نقطع الوقت بين حديث متكلف تارة وسكوت عميق تارة أخرى ، إذ دخلت علينا سيدة عجوز لا تمت إلى الجمال بصلة . كانت ترتدى معطفاً أزرق وعلى عينيها نظارة كبيرة تزيد وجهها عبوساً ، وكان من الطبيعى قيام المجتمعين لتحيتها ، ولكن هيئة قيامهم ، وهيئة انتظارهم مصافحتها إياهم جعلتنى أعتقد أنها سيدة المجلس وأميرة المجتمعين ، تلك هى مدام كوري التى وقف الجميع لها وقفة الجنود أمام القائد، كما وقفت منعزلاً أفكر فى هذه الجماعة المنسجمة من العلماء

ثم انتهت هذه الضيافة وانصرف كل إلى سبيله. وما أصبح اليوم التالى حتى كنت عند مدام كورى فى معملها الخاص ومعهد أبحاثها ، فوجدتها بين الأجهزة والمعدات المختلفة أهدأ بالاً مما

كانت بالأمس حيث لا يرهقها التكلف الذى تضطر إليه بحضرة الرجال . ثم حادثتنى قليلاً وقضينا الوقت فى التفرج على ما فى المعمل من أجهزة وأدوات

كانت تلك السيدة البولونية ذات عيون سوداء قلقة ، لامعة كالنجوم ، وجميع ملامح وجهها مشربة بالحدة التى فى عينيها ، وعلى الرغم من خشونة مظاهرها ، تلك الخشونة التى هى سمة العلماء ، فقد ظهرت شيئاً فشيئاً بلين الجانب ووداعة النفس حتى لقد لاحظت ابتسامة خاطفة تشرق من شفتيها فى بعض الأحايين ...

وكانت صورة زوجها التى تعلو رأسها رمزاً ناطقاً لما كان بين هذين الزوجين من تعاون وتعاضد فى العمل ، فقد كان يجمع إلى صفات الرجل الواسع الخيال ، ذى القريحة الوقادة ، ما تمتاز به المرأة من تطلع للخلق والابتداع ، بينما كانت هى على الضد من ذلك أقرب إلى صفات الرجولة منها إلى الأنوثة، أو بعبارة أخرى كانت تتمثل فيها العلوم الطبيعية بأسرها

وسواء هى فى حياة زوجها أم بعدموته فقد كانت تحكم عواطفها وتسيطر على إحساساتها بحيث لا ينم حديثها الحازم الدقيق عما يعتلج فى صدرها من عواطف وإحساسات

ولم يكن المجتمع مديناً لهذين الزوجين باختراعهما السحرى الذى أنقذ الملايين من الهلاك ، وبصغيرتهما الأنيقة فى حسن الذوق فحسب ، بل إنه مدين لهما أيضاً بفتاة أخرى هى أولى ثمار حياتهما الزوجية التى ترسمت خطاهما فى العمل

وبينما كنت أتحدث مع والدتها فى المعمل إذ دخلت علينا بخطى الشباب وألقت نحوى نظرة استفسار وتفحص . وعلى الرغم من أنها رشيقة القوام لدنة الغصن فقد كان يبدو عليها الامتعاض من أن أجنبيا يزور المعمل فيعكر عليهما صفاءه التام

وقد رأيتها على جانب عظيم من طهارة الملائكة الذين أجاد سكان فلورانس الأقدمون تصويرهم على شاكلة الشباب ، ووجدتها سالكة نهج أبويها لا من ناحية العلم فقط بل كذلك من جانب نوع الحياة الذى اختارته لنفسها حيث لم ترض زوجا لها إلا أحد الطلاب المنتسبين إلى « معهد أبيها بيير كورى »

هكذا رأيت تلك الشجرة المباركة والعائلة الجيلة ، سلالة بيير كورى ، ولمست بنفسى أساليبها فى المحافظة على أصلها والعناية بموهبتها وعنوان فخارها ، مما جعلنى أتساءل عما لو كان مبدأ المحافظة على السلالة مرعيا لدى الملوك رعايته عند عائلة بيير كورى !

ثم أخذت مدام كوري تذكر لى شيئا عن ابنتها قائلة :

— ان لها بنتا صغيرة !

وكأنها بذلك تريد أن تذكر لى أن فى هذا البيت شيئاً آخر غير الراديوم ، ثم قالت :

— وانها أيضا تشتغل جيدا ، ومما يؤسف له جد الأسف أن والدها لم يكن بين الأحياء فينعم خاطره بعمل ابنته !

وبينما نحن عند السلم نريد اجتيازه إلى معمل آخر رأيتها تلقى نظرة كلها عطف وحنان على ابنتها هذه التى سلخت ثلاثين ربيعا والتى أخذت ترشدنى إلى مادة لامعة فى ضوء حجرتها الضئيل ، ولكنى بدلا من الإصغاء جعلت أتأمل بريق شعرها المجعد . وبعد هنيهة عادت مدام كورى للحديث :

— عجب كلها الحياة ! معملة بولونية فقيرة ، تجذب طبيبا فرنسيا ، فقيرا أيضا ، فيميل إليها قلبه ثم يفهمها وتفهمه !!!

ثم قالت بعد ذلك بصوت الفرح الظافر السعيد بحاضره :

— لم يكن لنا سوى حجرتين فى سطح البيت مما يعد لسكنى الخدم !

هكذا يتحدث كل ظافر فى معركة الحياة فيذكر أيام بؤسه وشقائه وقد تمكنت فكرة السعادة فى نفسه فظل ينشدها حتى اقتنصها وظفر بها . وهكذا بيير كورى وزوجه ، فبينما هما فى العزلة بغرفتيهما المتواضعتين إذ طلع نجم سعدهما فاهتديا إلى الراديوم وعرفا خواصه الخارقة العجيبة ، وسرعان ما تمت الشهرة وذاع الصيت فى أنحاء المعمورة ثم نما بالخير والسعادة ، بالسرور والابتهاج ، بالنصر والظفر

علمت الدولة بأمرهما فانتشلتهما من وكرهما بسطح البيت وشيدت لهما معهداً فخماً وأغدقت عليهما الأموال ليتيسر لهما العبء ويسهل عليهما البحث

على أن هذه السعادة لم تغيرهما ولم تبدل شيئاً من حياة البحث التى اعتاداها ، بل واصلا العمل فى ظل معيشتهما الهادئة ، وربيا طفليهما على حب المثل الأعلى الذى رسماه لأنفسهما . وهكذا كان عماد حياتهما وقوام سعادتهما حجراً ذا سر خفى اهتديا إليه فأرسل عليهما ضياءه ، وأسبغ عليهما نماءه ، إلى ما تلا ذلك

بين العقـــاد والرافعى

١ — الدين والأدب

٢ — سارة وغزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٢ —

... وهذا أيضاً واحد !

وقد عرفت الآن نظام فريق الرافعى ! ففى كل أسبوعين أو ثلاثة ، يتقدم « عضو منتدب » فيقول كلاماً ؛ ثم يدركه الاعياء ، وتفرغ جعبة الكلام عن « سيد قطب » بالذات ، فيجلس « ليأخذ نفسه ويبلع ريقه » كما يقولون ؛ ويتبعه آخر فيعيد الكلام الأول فى صورة جديدة أو فى الصورة الأولى نفسها مع لف وتطويل شديد !

هكذا قال الأستاذ « شاكر » ، وهكذا قال الأستاذ « الطنطاوى » ، وهكذا قال الأستاذ « سعيد العريان » ، وهكذا أخيراً قام يقول « النمراوى »

ولست أدرى لم يطيل هؤلاء الناس هكذا فى الحديث ، ولم يعطون الأساليب مطًا ، وكل ما قالوه حتى اليوم يمكن تلخيصه فى صفحة واحدة من هذه الصفحات الكثيرة التى شغلوها من « الرسالة » ، ولا سيما « المنتدب » الأخير ، وإنى لأشفق والله عليهم من هذا الكد الطويل !

ولكن من الانصاف أن نعترف لهذا الأخير ، أنه أتى بما لم يستطعه الأوائل ، فقد — والله — أخافنا وأفزعنا ، وهو يجعل المسألة « ديناً أو لا دين » ويلخص المعركة بين المدرستين القديمة والجديدة ، فى أنها المعركة بين أهل الجنة وأهل النار !

نعم هكذا مرة واحدة ؟ ومن لم يكن قد عرف الخوف فليعرفه الآن . فها هو ذا رجل يمسك بيده ميزان الحسنات والسيئات : فأما من كان مع الرافعى فقد أزلفت له الجنة ، وأما من كان مع العقاد فقد فغرت له جهنم أفواهها . وليكن من شاء كيف شاء ، فهو وحده الملوم !

فما قولكم . دام فضلكم !

الدين . الدين ... هذه صيحة الواهن الضعيف ، يحتمى بها كلما جرفه التيار ، وهو لا يملك من أدوات السباحة ولا وسائلها شيئاً

وأشد الجناة على الدين ، وأشد المشوهين له والمشككين فيه أولئك الذين يضمونه مقابلا للعلم تارة ، وللفن تارة ، ثم يحكمون أيهما أصح وأولى بالاتباع !

وللدين مهمة قام بها وأداها خير أداء فى إصلاح نفس الفرد للمجتمع ، وفى تهيئة هذا المجتمع لحياة الفرد ، بالنصح تارة وبالتخويف تارة ، وبالتشريع تارة ، وبكل الوسائل التى تكفل هذه الغاية الكبيرة ، على مدى الأجيال

من نفع عام إذ سلحت به الانسانية من العطب ونجت به من الهلاك

وما زال بيير كورى وزوجه جادّين فى عملهما النافع حتى دهمهما القضاء بغتة ، على غط مفاجآته لها بالثروة ، فقضى على الرجل العظيم واختطفه من أحضان زوجه وكريمتيه ، ولكن هذا القضاء لم يفل من عزيمة مدام كورى فقامت وحدها تفكر فى عملهما وفى بنتيهما ، ثم شمرت عن ساعدها ، وما زالت تخطو إلى الأمام حتى اهتدت إلى خاصة أخرى كانت لها مجداً ثانياً وفخراً أبدياً فى العالم أجمع

وهاهو ذا رئيس جمهورية الولايات المتحدة قد أهدى إليها قطعة عظيمة من الراديوم تقدر بالملايين ، بينما كان الملوك السابقون يهدون إلى العالم مسعطا (علبة نشوق) مزخرفاً بالجواهر . وكم من فرق بين مسعط لا خطر له وقطعة من الراديوم تعتبر تحفة نادرة وتجلب السعادة للملايين من الناس !

والحق يقال إن مدام كورى قد عانت آلاماً كثيرة وقاست هموماً عديدة ، ولم تكن مسرات الحياة لتسرّى عنها إلا فى النادر من الأيام ، ولكنها مع ذلك إذا دخلت مجلساً فان عظماء الفرنسيين وكبار علمائهم يقومون لتحيتها وإجلالها ، ذلك أن القدر قد رفع هذه العاملة البولونية الفقيرة ، ووضعها فوق رؤوس الملكات والأميرات فى العالم كله

ترجمة سيد سليم درويش

ولم يأت الدين ليخوض فى المسائل العلمية البحتة ، ولم يأت ليكون منهاجاً فنياً . فكل زج به إلى الميادين التى لم يأت لها ، ظلم له ، وتعريض به ، وعمل كعمل الدبة التى تحدث عنها صاحبنا الحديث المحفوظ

يقوم الدين على الاقناع الوجدانى ، وعلى البحث العقلى ، بينما يقوم العلم — معظم العلم — على المشاهدات والملموسات ، والتجارب المحسوسة ، فليس من الحكمة وضع هذا مقابلا لذاك جهلا باتجاه الدين وغايته ، لأن كثيرا من النفوس يضطر لتصديق المحسوس المشاهد ، متى أرغم على الاختيار بين الطريقين !

وليس من الحكمة كذلك وضع الدين مقابلا للفنون ، فهذه خاصة بالترجمة عن النفس الانسانية وأحاسيسها وآمالها ، وليس هذا من اتجاهات الدين ، إلا فى الدائرة التى تهمه لاصلاح نفس الفرد للمجتمع ، والمجتمع للفرد ، على طريقته الخاصة . ومن الناس من يستمز بالخوالج والخواطر والآمال التى تجلوها الفنون ، لأنها تلمس كل عنصر حى فيه ، وليس من الحكمة أن نسوم هذا الفريق الاختيار بين طريق الفن وطريق الدين ، فى حين لا يعنى الدين ذلك ، ولا يرصد نفسه له ، وإنما هى الدبة التى تلقى الأحجار على وجوه الأصدقاء !

الدين . الدين . . . قولوها مئة مرة ، فلسنا والحمد لله ممن تخيفهم هذه الصيحات الفارغة ، ونحن أكثر منكم دراسة وفهماً للدين

ثم ما هذا الرجل « الغمراوى » الذى يفهم أن « السن » هى الحكم فى المبادئ والآراء ، فما دام « سيد قطب » لم يولد إلا بعد أن كان للرافعى أدب ، فلا يحق له أن يكون له رأى فى هذا الأدب ، ولا يجوز أن يسقطه إن كان يستحق السقوط

ما هـذا الفيض النزر فى « القواعد العلمية للنقد » ؟ وما يكون الشأن مع أدباء الجيل الماضى الذين ماتوا قبل أن نولد ، وما يكون الشأن مع شعراء الجاهلية ؟ لنتناولهم بالتقديس ، أو لنعبدهم كالآلهة ! أليسوا قد سبق بهم التاريخ ؟ !

***

والآن فلندع ذلك « اللت والعجن » الذى ليس معه إلا إرخاص الوقت ، واحتقار المناقشة الأدبية ، وامتهان المعارف الانسانية

لندع هذا إلى عالم آخر . لنتحدث عن « سارة » قصة العقاد قصة الحب ، ترجمة لحياة قلب ، فإذا كان هذا القلب قلب العقاد أو قلباً صاغه العقاد ، فهي إذن ترجمة حياة ممتازة . وهذه هى « سارة » ، التى كان نصيبها من الصحافة المصرية (الصحافة التى تحابى العقاد) ! بضع كلمات ، لم تصل واحدة منها أن تكون فهماً كاملا لهذه الترجمة الممتازة ، ولم تصل الحياة الأدبية فى مصر أن تكون لهذه القصة شروح وفقرات تربى على حجمها الأصلى مرات . وهو الذى كان يجب أن يكون !

حين نقول عن هـذه القصة : إنها تصوير صادق للحب فى النفس الانسانية ، لا نكون قد فهمنا شيئاً كثيراً منها ، ولكننا حين نقول : إنهـا « فيلم » فنى يستعرض قلباً وعقلا ممتازين أو « طبيعة فنية ممتازة » فى حب امرأة خاصة بكل معانى الخصوص نكون قد وضعنا شيئاً من الرموز لهذه القصة الفريدة

ليس فى القصة حوادث « فى الخارج » ولكنها حافلة بالصور النفسية الباطنة ، والخلجات القلبية المضمرة . وليست مصوغة على مثال من أنواع القصص ، ولكنها مصبوبة فى القالب الوحيد الذى يناسبها ، ويناسب طبيعة العقاد فى آن

ما الحب ؟

سؤال له عشرات الأجوبة ؛ ولكن أى نوع من أنواع الحب هو المراد بالسؤال ؟

إن للحب « أنواعا » شتى ، فلكل نفس حب ، وللنفس الواحدة صنوف منه شتى . فأى « صنف » منه كان حب « همام لسارة » فى قصة العقاد ؟

إنه حب الرجل الفنان الناضج ذى الطبيعة الممتازة ، للمرأة الممتازة فى نفسها وجسمها وطبيعتها

وإذا قلنا « الرجل » فقد عنينا الصحة والسلامة فى هـذا الحب ؛ وعلمنا أنه قائم على أسسه الطبيعية الخالدة ، التى رسمتها الطبيعة للحياة يوم خلقتها ، ومهدت لها وسائل الدوام والخلود

وإذ قلنا « الفنان » فقد عنينا الاشراق والجمال فى هذا الحب

وعلمنا أنه متطلع إلى غاية من غايات الحياة الكبرى ، وأمل من آمالها المذخورة لكل قلبين تلمح فيهما فسحة التطلع والرجاء

وإذا قلنا «الناضج» فقد عنينا الفهم والمرفة في هذا الحب، وعلمنا أنه يعلم منشأه وغايته ، ويعرف ما يأخذوما يدع ، ويحسن الانتفاع بكل قوة مذخورة فيه في أقصر مدى ، وبأيسر المجهود

وإذا قلنا « الطبيعة الممتازة » فقد عنينا الامتياز في نوع هذا الحب ، وعرفنا أنه ليس حب كل يوم وكل ساعة ، ولكنه المثال الذي تبدعه الطبيعة بعد مجهود لتقيس عليه وتبرز خصائصه وبهمها من أمره مالا يهمها من آلاف الأنواع الرخيصة المألوفة

فاذا تقابلت هذه المميزات مع امرأة « خاصة » في طبيعتها ، فقد تم لهذا الحب كل عناصر الامتياز والتفرد ، وكان جديراً بعرضه في سجل الحياة الممتاز ، الذي لا يحوى إلا بضع صور منتقاة في عمر الحياة الطويل

وهكذا كانت « سارة » بقلم العقاد

***

وحين نريد أن نقوم بالشرح الفني لقصة « سارة » نحتاج إلى مؤلف في حجمها عشر مرات ، كما تخفف الشراب المركز باضافة أضعاف حجمه إليه من الماء ليصبح في متناول الجميع ، شراباً تهضمه المعدات. وإذا كان هذا ليس مستطاعاً فاننا سنحاول استعراض شيء من نواحي الامتياز في القصة ، بقدر المستطاع

يبدو في بطل القصة ، الالتفات إلى كل ذرة في نفس حبيبته ، وكل لحظة من لحظات حبه، وكل مظهر وكل لفتة وحركة في الواقع أو الخيال ، ومن شأن هذا الالتفات أن يضاعف الشعور بالحب ، وأن يحمل منه عالما كاملا يموج بشتى الأطياف ، وشتى «الحيوات» ويخلق من هذه المرأة الواحدة ، عشرات « المرآت » الخواص الممتازات . وليس الرجل الذي يحب المرأة حبا مبهما ، مندفعا في تيار الغريزة أو تيار الخيال الجامح ، كالرجل يحبها وهو متيقظ لكل ما يحب فيها وكل ما يجتنب ، وكل ما يرجى فيها وكل ما يخاف. وهو متنبه لخوالجها وحركاتها ، متحفز لتلقى معانيها وإشاراتها ، ملاحظ لأدق خصائصها ، وأدق خصائص نفسه معها ؛ فكل هذا معمق للحب ، مضاعف لما فيه من لذة واستمتاع .

وأنه ليبلغ في ذلك ألا تفوته منها دلالة الملابس التي ترتديها ، ودلالة الزينة التي تبدو فيها ، وإنه ليتعمق في دراسة طبيعة جسمها والزمن الكافي لشفاء جروحها ، ويجرى كل هذه الملاحظات حيث تجرى في تيار حبه ، ومتمنه بهذا الحب ، في كل لحظة وكل حالة !

والقصة مليئة بمثل هذه الالتفاتات نختار واحدة منها :

« وسارة كانت من ذوات الملامح والوجوه اللواتي لا يطالعنك بمنظر واحد في محضرين متواليين : تراها مرة فأنت مع طفلة لاهية ، تفتح عينيها البريئتين في دهشة الطفولة وسذاجة الفطرة بغير كانفة ولا رياء ؛ وتراها بعد حين — وقد تراها في يومها — فأنت مع عجوز ماكرة أفنت حياتها في مراس كيد النساء ودهاء الرجال . وتضحك ضحكة فتعرض لك وجها لا يصلح لغير الشهوات ، وضحكة أخرى — وقد تكون على إثر الأولى — فذاك عقل يضحك ولب يسخر ، كما تسخر عقول الفلاسفة وألباب الشيوخ المحنكين .

« هي تارة أم رؤوم تفيض بحنان الأمهات حتى ليوشك أن تسع به أطفال العالمين . وحسبك أن ترسمها هكذا ولا تضع في أحضانها طفلا يرضع ولا إلى جانبها طفلا يدرج ، لتستحق الصورة عنوان الأمومة

« وهي تارة أخرى شريدة بوهيمية لم تستقر قط في دار ولا وطن ، وما استقرت قط مع عشيق

« لها صورة إلى جانب سرير ، لو نحيت عنها السرير جانباً لمثلت لك راهبة خاشعة تهم بالصلاة ، أو ضحية من ضحايا الآلهة تساق إلى محراب القربان

« ولها صورة على سفح الهرم لو أخفيت منها الهرم لخلتها حورية مخمورة في أرض يونان القديمة تهم بالرقص في كروم باخوس.

« وكان همام يراقب هذه الشخوص ويتصفح هذه الوجوه وهو مغتبط تارة ، ومشفق تارة أخرى ، ويعزو تقلبها واطرادها إلى الفتوة الحية التي لم تحبس في محابس الأفكار والعادات والتقاليد ، فهي أبداً في أيدى العواطف والنوازع ، كعجينة الخلق المهيأة للصوغ والتركيب في كل ساعة »

ونقول نحن بعد قول العقاد : « وكان همام يتمتع بكل هذه الشخوص في حب واحد ، كما قالت سارة له في فكاهة بارعة

صادقة : « احمد ربك . عندك من سارة المظلومة حريم كامل ، فلا تشكر نفسك كثيراً على الوفاء »

وصحيح أن سارة صاحبة الفضل لأنها صاحبة هذه الشخوص ، ولكن « هماما » صاحب الفضل الأول فى الفطنة لها ، والاستمتاع بها . أو قل : هو العقاد صاحب الفضل ومنشئ سارة وهمام !

ويكمل هذا ذلك الحوار البارع الطريف ، الذى عقده العقاد ، بين شخوص سارة المختلفات ما بين صفحة (١١٦) وصفحة (١١٩) من الكتاب

* * *

ويلفت النظر في هذه القصة ، ذلك المزج الغريب بين متعة الروح ومتعة الجسد ، بحيث لا تفترقان ولا تتميزان ، فأنت تجد « هماماً » يحب فى « سارة » روحها وعقلها وجسمها ، ولكن هذه كلها مزاج واحد ، وقد ارتفع بلذة الحس فيها إلى الروحانية الصافية ، ولكنها ليست روحانية الخيال الغرير ، بل روحانية البحر الذى يطهر كل ما فيه ويجلوه ويحييه

وإنك لتقرأ رسالة همام إليها فتدرك منها كل شىء . وإليك بعضها وهو يحاول استنقاذها من السقوط الجسدى الرخيص

« أذكرى نوبات الحيرة وتبكيت الضمير التى كانت تساورك حين تحضرين إلى ، واذكرى كيف كنا نفترق وقد هدأت نفسك بعض الهدوء واستراح ضميرك بعض الراحة ... كان اهتمامى بك حتى بالغضب عليك يفرج شيئاً من الضيق الذى يسد عليك منافذ الأمل لأنه يعطيك فكرة عالية فى نفسك ، فيعزيك ويقويك ويرفع عنك ذلك الصغار الذى يسم كل شعور وينغص كل نعيم

« أذكرى كيف كان وجهك يشرق بالبشاشة من عهد قريب ، وكيف ظهر ذلك على صحتك وملامحك ، فسألتنى فى يوم من الأيام بين الجد والمزاح : أصحيح : أصحيح أن وجهى يمتلئ ويحلو ؟ كان ذلك وأنت تشعرين إلى جانبك بنفس إنسانية تحنو عليك وتفكر فيك ، وتجتهد فى عذرك ما استطاعت ، وترعاك فى الغيبة والحضور . وهذا أحوج ما تحتاج إليه المرأة خاصة فى هذه الحياة

« فكل امرأة — بلا استثناء — فى وسعها أن تجد رجلا يأخذها جسداً ، ويطرحها ساعاً بعد حين ، بلا أسف ولا شكر ولا احترام

« ولكن ليست كل امرأة واجدة تلك النفس العطوف التى تفهم الدنيا وتفهمها ، وتحب لها الخير لغير غاية ، وتهتم بها وحدها بين جميع الناس وتراها أهلاً للرضى والغضب والشكر والملام »

وأنت خليق أن تدرك أكثر مما تشير إليه هذه الرسالة متى علمت أن «سارة» أو شبيهتها فى موقفها هى المعنية بهذه الأبيات:

تريدين أن أرضى بك اليوم للهوى ... وأرتاد فيك اللهو بعد التعبد
وألقاك جسما مستباحاً وطالما ... لقيتك جم الخوف جم التردد
رويدك إنى لا أراك مليئة ... بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم فى الضلوع وعثرة ... ترد مهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الحان والطلا ... ففى غير بيت كان بالأمس مسجدى

فتدهش حين ترى التاع الحسى بامرأة ، لا يخلع عنها روعة المسجد ، ولا يجعل صاحبها يرتاد فيها اللهو بين الحان والطلا ، بعد التعبد والتردد

وما من شك أن هذا إحساس فريد جدير بالتسجيل والبروز لأنه من النماذج التى لا تجود بها الطبيعة إلا وهى شحيحة ضنينة ، وما تختص بها إلا نفس فنان عظيم ، تتطهر فيها الأرجاس وتشرق وتشع المواد المتكتلة ، فاذا هى أشعة وظلال

* * *

ومن الأحاسيس الفريدة فى « سارة » موقف « همام » مع حبيبته يوم جاءت تعترف له بأنها خانته فعلا ، فلم يجد فى هذا الاعتراف ما يستوجب قطع صلاته بها ، لأنه كان يحس أن هناك ذخيرة موفورة له فى نفسها ، وفيضاً غزيراً لها فى نفسه . وهو يقول فى هذا :

« لم يشعر ذلك اليوم وهو ينتظرها بخداع ولا استغفال ولا احتقار . ولكنه شعر بخسارة وأسف ، وانتظرها كما ينتظر الطبيب مريضاً يلجأ إليه ، واستقبلها عاطفاً عليها متطلعاً إلى ما وراء حديثها ، مستمداً للتسامح فى الاصغاء إليها »

وبينما يتاقى اعترافها هذا بالقبول ، ويستأنف بعده صلاته بها ، وإذا به يقاطعها بعد ذلك لمجرد الوساوس والظنون ، لماذا ؟ لأن الذخيرة النفسية بينهما قد نضبت ، فلم يكونا فى حاجة بعد ذلك إلى دليل حاسم ، ولا اعتراف مكشوف

وهو يصف الفرق بين الحالتين ، ذلك الوصف الفريد :

« فى تلك الأيام كانت كل هنيهة لها شمورها المحبوب المتجدد البهيج . إذا انفتح الباب للقاء ، فذلك شمور القائد الذى يفتح باب حصنه ، ليتلقى نجدة الأمان والاطمئنان إلى زمن طويل ، وليطرد المخاوف من وراء ذلك الباب إلى مهرب سحيق ؛ وإذا انفتح الباب للوداع ، فذلك شمور الشارب الذى استوفى نصيبه من المقار ، وبقى له نصيبه من النشوة والتذكار ، ونصيبه من الشوق فى الغد إلى مثل هذا اللقاء ، ومثل هذا الوداع ، ومثل هذا الانتظار ؛ وبين لقاء كل يوم ووداعه ألف لقاء وألف انتقال من حال إلى حال ، وألف سكينة وألف ابتدار

« تلك أيام !

« ثم جاءت بعدها أيام

« وشتان أيام وأيام

« نعم شتان حقيقة وتمثيل ... وأي تمثيل ؟ ! تمثيل اللاعب الذى يساق إلى دوره سوقاً لأنه يخشى الفشل ، لا لأنه يأمل النجاح

« واستمرت المواعيد ، واستمر اللقاء ، واستمرت السآمة واستمر الشقاق ، واستمرت مع كل ذلك محاولات عقيمة مستميتة أن يعود ما لا سبيل إلى أن يعود

« وكانت هى تقلد نفسها فى أيام الصفاء ، فتمد يدها إلى جيبه بعد عاصفة من اللوم الجارح ، والملاحاة الموجمة ، كما كانت تمد يدها إلى جيبه بعد ساعات الرضا والدلال ، لتخرج منه المفكرة المعهودة ، وتكتب فيها أسطراً أو كلمات تسجل بها ما كان فى ذلك اليوم ، فكتبت يوماً بعد مقابلة لم يسمع فيها إلا جدال ومحال ، أو سكوت هو أثقل من الجدال والمحال : « نزهة رسمية فى عربة ، ثم مناقشه جدية ، ثم مصافحة وتقبيل ، ولا عجب فى ذلك ... فان الحب يسهر ! »

« نعم يسهر من الأرق لا من العناية !

« وسهر الحب إلى اليوم التالى فالتقيا وتراضيا ، وتناولت هى الفكرة وكتبت فيها خمس كلمات : « سامحت من غير سبب . أحبك »

ولكنها كانت آخر ما كتبت فى مفكرة ذلك العام . وفيما بعده من أعوام ؟

بهذا التصوير البارع يسجل الفرق بين الحالتين : فليس بدعا أن يعفو فى الأولى مع الاعتراف ، وأن يجفو فى الثانية لمجرد الشكوك

ولو كان ـ غير المقاد ـ واحد من السطحيين ، أو الذهنيين لجمل القطيعة فى الأولى أمرا مقضيا بعد الاعتراف ، أو لجمل القطيعة فى الثانية أبمد الاحتمالات !

أليس هذا هومنطق الذهن ؟ قد يكون ذلك ! ولكن للنفس وللفطرة الصادقة منطقا آخر ، هو الذي صوره المقاد فى نفس « همام »

وهذا ما نمنيه بأدب الطبع ، وما نمنيه بفسحة النفس ، وما نمنيه بامتياز الإحساس

***

وبعد ففى « سارة » حديث آخر ، وفى غزل المقاد حديث أبقيهما إلى الأسبوع القادم . فإلى اللقاء

الاسكندرية

سيد قطب

حول أدب الرافعى

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

— ٣ —

لو كان الرافعى حياً وعدا عليه عاد فى نفسه وأدبه كما عدا سيد قطب ما تحرك بالدفاع قلم غير قلم الرافعى. وما أظن سيد قطب كان يتحرك إذ ذاك بثلب للرافعى أو تنقص لأدبه. أما وقد مات الرافعى فقد ظن سيد قطب أنه يستطيع أن يعدو على الرافعى ويسخر من أدبه باسم النقد، وهو آمن أن يوقعه ذلك فى ورطة مهلكة كالتى كان يقع فيها لو أنه تناول أدب الرافعى فى حياته، بمثل القلم الذى تناوله به بعد مماته، لكن الأدب الكبير الحق، ككل شىء حق كبير فى الحياة، يدفع عن نفسه بنفسه عدوان العادين حتى بعد موت صاحبه. ودفاع الحق عن نفسه له مظهران: مظهر إيجابى تقف فيه عناصر الصواب والصدق والخير تجادل عن نفسها عند كل ذى عقل وقلب، وتجعل منه حكما يحكم لصاحبها ولو بين نفسه ونفسه؛ ومظهر سلبى لعله أعجب المظهرين وأخصهما بطبيعة الحق، يتجلى فى تورط مخاصم الحق فى أغلاط ومزالق ومهاو يتردى فيها من حيث يحذر ومن حيث لا يحذر، فيكون مخاصم الحق بذلك هو نفسه الذى ينتقم للحق من نفسه بما يكشف من عوارها ويبدى من مقاتلها

والأغلاط التى تورط فيها سيد قطب بالعدوان على الرافعى فى نفسه وأدبه كثيرة لم يكن ما بيناه فى المقال السابق إلا أقلها. ويؤذن النقد بها فى أول مايطالع من تلك الكلمات تطرف صاحبها البالغ فى الرأى. والتطرف هو دائماً دليل الهوى وفقدان الاتزان فى الحكم إن اغتفر للعامة فلا يعذر فيه الخاصة. فالعقاد عند الكاتب أديب الطبع القوى والقلب، ولا طبع ولا قلب للرافعى. والعقاد عنده لا يليق به لقب أمير الشعراء لأن المسافة بينه وبين شعراء عصره أكبر من المسافة بين الأمراء والسوقة؛ ومعنى هذا أن الرافعى الشاعر لا يبلغ أن يكون فى السوقة حين يكون العقاد فى الأمراء

ويزداد شطط الكاتب كلما تقدم به الشوط. فالعقاد يكتب عن عقيدة فى الأدب والرافعى يكتب عن غير عقيدة. والعقاد يخلق حتى البادئ الخلقية، والرافعى لا يستطيع أن يخلق شيئاً. ونحن نظن أن الرافعى رحمه الله لم يكن يسره أن تبلغ به القدرة حد خلق البادئ الخلقية، لكن كان يسره من غير شك أن يكون له على خلق غير البادئ الخلقية شىء من القدرة

والعقاد بعد ذلك هو أديب الذهن المشرق (مقال ٦) والطبيعة الممتازة والنفس الرحبة والمواهب التى تنتفع بالثقافة وتعلو على حدود الثقافات! أما الرافعى فهو أديب الذهن المريض الخابى المغلق غير ذى النفس ولا الثقافة. ثم العقاد فوق ذلك وقبل ذلك هو الكاتب الجبار الذى بقى « وتضعضع خصومه ووراءهم قوة العدد وقوة الحكم وقوة المال وقوة الماضى الوطنى وكل قوة مأمولة فى الوجود »! أما الرافعى فهو أحد خصوم العقاد الذين لم يغن عنهم حيال جبروته التجاؤهم إلى الدين وهو أقوى أثراً من السياسة وأكثر اتباعاً، فكانوا رغم استعانتهم بالدين فى محاربة العقاد من المغلوبين. فصاحبنا كما ترى لا يتشكك فى أن العقاد هو هزم الوفد وهو هزم غير الوفد ممن استعان فى خصومته بسلطان السياسة أو الدين. وتقوم غاشية الهوى دون عقل صاحبنا فلا يبصر العوامل المتعددة القوية التى كان مجموعها أقوى من سلطان الوفد فانهزم، ولا يذكر أن المعركة التى انهزم الوفد فيها كان أمضى سلاحها سلاحاً دينياً، وكان من أكثر الناس استعمالا له حين جد الجد العقاد

إلى هذا الحد من الاسراف والغفلة بلغ بصاحبنا هواه. وجدير لمن يتصدى للحكم بين اثنين هذا مبلغ إسرافه فيهما على نفسه أن يغفل حسنات أحدهما ولا يبصر سيئات الآخر، وأن يخرج النقد من قلمه شيئاً آخر أو أقل خلقاً آخر ينكره الحق ولا ينكره الباطل لغلبة الهوى عليه وقلة أثر العقل فيه

لكن صاحبنا لا يعجبه أن ينبهه منبه إلى ما فى إسرافه ذلك من خطر عليه هو: على نزاهة حكمه وحرية رأيه واستقلال فكره وحيوية نفسه وسلامة طبعه، فيرد على من نبهه رد المغيظ المحنق [1] رامياً إياه بتكلف التورع والتنطس تارة، وبعدم

(١) مقال ٧، رسالة ٢٥٨

التفريق بين الكيف والكم ولا بين الصدق و « النخع » تارة أخرى ، زاعماً أنه فيما قال إنما يتبع البرهان والدليل ! وإلى الخطر الذى يحيط ببرهانه هذا ودليله أريد تنبيهه ، فلم يزد على أن جاء بدليل آخر على إسرافه فى التشيع حين لم يتنبه إلى احتمال وقوع الخلل فى رأيه ومنطقه من جراء غلوه ، وحين زعم لنفسه وللناس أن رأيه ذلك إنما بناه على البرهان والدليل

إن الناقد الحق كالقاضى العدل ، من أظهر صفاته وأوضح أماراته أن يطبق قانونه تطبيقاً واحداً على المتخاصمين . قد يكون القانون الذى يطبقه القاضى معيباً فى ذاته ، لكن القاضى لا يسأل فى العادة عن ذلك وإنما يسأل عن التطبيق . وقد يخطئ القاضى فى التطبيق لكنه على أى حال يجب ألا يخطئ الروح روح الانصاف والتسوية بين الناس عند تطبيق القانون . والناقد كالقاضى فى هذا الشرط شرط وجوب التزام روح الانصاف والتسوية بين الخصوم عند تطبيق معايير النقد ، إلا أن الناقد له على القاضى مزية التمتع بقسط غير قليل من الحرية فى اختيار معاييره ومقاييسه فى حين أن القاضى لا يملك شيئاً من الحرية فى اختيار القانون الذي يحكم به بين الناس . فالناقد والقاضى متساويان فى تبعة الروح الذى به يطبقان ما بيدهما من أصول وقواعد ، لكن تبعة اختيار هذه الأصول والقواعد إذا أعفى منها القاضى فلا يمكن أن يعفى منها الناقد كل الاعفاء ، بل ولا بعض الاعفاء عند التحقيق

والقواعد التى جرى عليها الكاتب فى المفاضلة بين الرافعى والعقاد وفى محاجة المتصرين للرافعى ممكن استنباطها فى سهولة من تضاعيف كلامه ، لكننا لا نريد الآن أن نحاسبه على قواعده ومعاييره ومبلغها من الصحة والدقة ، ولكن نحاسبه الآن على الحد الأدنى من تبعة الناقد وهو القدر المشترك بين الناقد والقاضى من تبعة التسوية بين الخصوم فى تطبيق الأصول والقواعد مهما تكن تلك القواعد والأصول

لكننا لا نكاد نشرع في قياس كفايته فى النقد ونزاهته فى الحكم بهذا الحد الأدنى الضرورى حتى يتضاءل وينزوى عنه سجل النقاد كما يتضاءل القاضى وينزوى إذا حاكم الخصمين فى المسألة الواحدة إلى غير قاعدة أو مادة واحدة وغلب ذلك عليه فى قضائه بين الخصوم

فناقدنا لم يقترف فى نقده جرماً أقل من كيله بمكيالين وتفكيره بمنطقين فى حكومته بين الطرفين فى الموضوع الواحد والنقطة الواحدة ، فله ولصاحبه منطق ومكيال ، ولخصومهما فى نفس الموقف ونفس الموضوع منطق آخر ومكيال آخر . والقاعدة فى ذلك — على ما يظهر — أن يكون الحكم دائماً لمن يحب على من يبغض . وإليك من ذلك أمثلة فى غير إطالة ولا استقصاء

يرى الكاتب(١) أن العريان أساء تقدير العقاد لأنه لم يختلط بالعقاد أولاً ولم تنفتح نفسه لأدب العقاد فيفهمه ثانياً . والكاتب يقر بأنه لم يختلط بالرافعى وبأنه يكره أدبه . ولا يخطر بباله مع ذلك أنه أساء تقدير الرافعى لنفس السبب الذى من أجله رأى أن العريان أساء تقدير العقاد

ويرى(٢) الكاتب أنه ينبغى فى تحديد معنى السب والشتم أن يطبق علم النفس وعلم الأخلاق على العالم الأدبي فلا ينظر إلى الألفاظ ولكن إلى أسبابها وملابساتها . ولا يلتمس للرافعى عذرا من هذا الباب الذى فتحه لالتماس العذر للعقاد

ويعذر (٣) العقاد فى قسوته على الرافعى لأنه يصور على الأقل ما يعتقد هو أنه حقيقة ، ولا يعذر الرافعى بمثل هذا العذر فى قسوته على العقاد

ويعتذر (٤) عن العقاد فيما أتى إلى مخلوف باعتقاد العقاد عظم الفرق بين نفسه وبين مخلوف ، وحنقه أن يجترئ مثل مخلوف على نقده. وقطب نفسه مستعد للثورة والحنق إذا تناول أدبه متناول بمثل ضيق الفهم واستغلاق الشعور اللذين تناول بهما مخلوف أدب العقاد . أى يعتذر عن نفسه وصاحبه فى غضبهما لأدبهما بحسن رأيهما فى نفسهما وسوئه فى غيرهما، وهو باب من العذر يسع كل الناس لكنه لا يتسع للرافعى ومن معه وإن كان الرافعى أجدر أن يثور لانكار العقاد اعجاز القرآن كما حكاه العريان

ويعتب(٥) على العريان فى صدد ما كتب عن تلقيب العقاد بأمير الشعراء أنه سمح لصداقته للرافعى أن تعدو على التقدير الصحيح للعقاد، ولا يعتب على نفسه هو أن سمح لصداقته أو محبته للعقاد أن تعدو على التقدير الصحيح للرافعى. وبعبارة أخصر ، يتهم العريان فى تقديره العقاد لصداقته للرافعى ، ولا يتهم نفسه فى تقديره

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) مقال ١ ، رسالة ٢٥١

الرافعى مع ما يعلم من بغضه الرافعى ومحبته المقاد

ويعيب[1] على الرافعى إتيانه فى شعره بالمعانى المألوفة المأنوسة التى سبق إليها الشعراء مثل :

إن يقض دين ذوى الهوى   فأنا الذى بقيت ديونه

ومثل :

تضنى المحب كأنما أجفانها   ألقت عليه فتورها وملالها

يرى ذلك من ناحيته تقليداً من الرافعى لشعراء الدول المتتابعة والمماليك فى مصر وشعراء أواخر العهد العباسى ! ويراها من ناحية أخرى معانى مطروقة « يباع كل عشرة منها بقرش فى هذه الأيام » . حتى إذا قال الرافعى :

يا من على الحب ينسانا ونذكره   لسوف تذكرنا يوماً وننسا كا

وهو كما نرى معنى على أفواه الناس سبق إليه القصص القديم ولا بد أن يكون سبق إليه كثيرون من شعراء الدول المتتابعة أو شعراء غير الدول المتتابعة — حتى إذا قال الرافعى هذا لم يعبه عليه ولم يتنقصه من هذه الناحية ! وهل تدرى لماذا ؟ لأنه يعتقد أن الرافعى أخذ البيت عن العقاد[2]

ويعيب[3] على محمود شاكر توسمه فى تبيين مذهب المقتدرين من شعراء العربية فى العصور المختلفة فى الغرض الذى كان بصدده، يعد ذلك منه جرياً « على النسق الخالى من كتب النقد لقدامة وأبى هلال العسكرى ومن ينقلان عنهما من تتبع المعنى تتبعاً زمنياً ، وحسبان كل شاعر متأخر أخذ هذا المعنى عن شاعر متقدم ... » وهو مذهب يظن الكاتب به « القصور والجمود » ومع ذلك فظنه هذا لم يعنمه من حسبان الرافعى قد أخذ بيته المذكور آنفاً عن العقاد كما رأيت . ولعل عذره فى ذلك أن الرافعى والعقاد كانا متعاصرين حين قيل ذلك البيت فلا سابق منهما ظاهراً فى الزمن ولا مسبوق

ثم يرى ناقدنا أن « الحكم على النيات عمل عسير لا يصح الاستخفاف به » إذا كان الأمر متصلاً بالعقاد ونية طه حسين فى تلقيبه إياه بأمير الشعراء ، أما إذا كان الأمر متصلا بنية الرافعى فى خصومته للعقاد فمندئذ يزول العسر ويجوز الاستخفاف

وتتدخل نظرية فرويد والتحليل النفسى فى الموضوع فتجعل كوامن الانسان تظهر من فلتات اللسان ، وتكشف قلم الرافعى فى رسائل الأحزان عن الرافعى فى أعماقه، وتنبئ ناقدنا ذا التعليل والتحليل أن « أهم أسباب الحقد فى نظر الرافعي وأظهر دوافعه » هو « نوقان ؟ إنسان على إنسان فى النتاج الأدبى » ، وتجعله يصيح : « وهكذا كان الرافعى مع العقاد » !

هذه ثمانية مواقف فى الخصومة القائمة حول أدب الرافعى والتى أثار غبارها سيد قطب وجعل نفسه فيها ناقداً وحكما ليس لأحد الطرفين فى موقف منها كلام إلا ويصح أن يقوله الطرف الآخر ، ولا يمكن أن يستند فى الحكم لأحدهما على مبدأ أو أصل أو قاعدة إلا ويمكن الاستناد على نفس هذا المبدأ أو الأصل أو القاعدة فى الحكم للآخر لما بين الطرفين فى كل موقف من تمام التشابه . لكن صاحبنا واسع الحيلة فى النقد ، يستطيع أن يفرق بين المتشابهات فى الخصومة وأن يطبق المبادئ والأصول والقواعد بحيث تأتى الأحكام كما يريد ، فيخرج أحد الخصمين دائماً ظافراً والآخر خاسراً وليس بيد أحدهما من الحجة ما ليس بيد الآخر إلا أن الظافر محبوب والخاسر مكروه لدى ناقدنا المجدد الذى لا يعجبه فى النقد مذاهب القدماء

ترى كيف أمكن لهذا الناقد أن يخطئ فى تطبيق مبادئه هذا الخطأ ويفرق بين الخصمين فى المواقف المتشابهة هذا التفريق إن لم تكن عاطفته قد جمحت به وجعلته يجنح عن صراط النقد السوى والتفكير الحر المتزن ذلك الجنوح الكبير ؟

إننا قد بدأنا نشفق على هذا الناقد الناشىء من هول ما جنى على نفسه بتسخيره عقله لهواه فى أمر كبير كالذى تصدى له . ولو علمنا أن هذا القدر يكفيه ليفىء إلى أمر الله لوقفنا عند هذا الحد رفقا به وإبقاء عليه فإن فيه عناصر ذات قوة لا يحول بينها وبين النفع والخير إلا أنها تحاول أن تشق لنفسها مجرى غريبا آخر تضيع به حتما بدلا من أن تنضم إلى النهر نهر العربية الكريم الواسع الذى أجراه الله لها بالقرآن .

إن هناك فى تاريخ العربية ، جداول ضلت الطريق إلى هذا النهر فضاع ضعيفها وكوّن قويها مناقع الأدب العربي ومآسنه ودمنه الخضراء الوخيمة . وأدب الرافعى رحمة الله عليه لم يخطئ

---

(١) مقال ٣ ، رسالة ٢٥٤

(٢) مقال ٤   (٣) مقال ٥

منه مجرى هذا النهر القرآني إلا القليل ، وإلى هذا القليل نبه الأستاذ العريان فيما أرخ للرافعي وإنْ بأسلوب آخر . وعيب الأديب قطب أنه لم يعرف هذا القليل ولا ذلك الكثير على وجهه، ويحاول أن يتوصل بكل سبيل إلى هدم الرافعي الشاعر الكاتب المجاهد في سبيل الله والعربية والقرآن ؛ لكن الذي يحاول هدم الحق ينهدم به وإن تحفظ ، ونحن نشفق على أخينا سيد قطب من عاقبة معاداة الحق ومجافاة طريق القرآن . فهل له في أن يفيء إلى الحق وإلى أمر الله ؟ إننا نكون أول المغتبطين له وبه إن فعل ونستغفر الله إليه مما يسوءه في هذه الكلمات

« بورسعيد » محمد أحمد الغمراوي

من كتاب البحث عن الغد

لروم لاندو
للأستاذ علي حيدر الركابي

« أحببت أن أعقب على بحث الأستاذ العقاد بترجمة بعض المقاطع التي تناول فيها المؤلف لبنان وسورية والعراق وفلسطين وشرق الأردن لما تضمنته من تحليل دقيق وآراء صريحة ومعلومات قيمة »

١ – الجمهورية اللبنانية

لبنان

إن الصلة بين لبنان (وهو قطر يسود فيه النصارى) وفرنسا قديمة ترجع إلى عهد الحروب الصليبية ولكنها ازدادت توثقاً سنة ١٨٦٠ عند ما تدخلت الدول الغربية وأجبرت الحكومة العثمانية على منح لبنان شيئاً من الاستقلال المحلي . ومنذ ذلك العهد توسعت المصالح الفرنسية في البلاد وتهيأت نفسية الشعب للحكم الفرنسي بفضل المدارس الفرنسية والكلية اليسوعية في بيروت والرهبان اللبنانيين الذين تلقوا علومهم في فرنسا والكهنة اليسوعيين Jesnites الفرنسيين . ومع أن دمشق هي عاصمة سوريا الحقيقية إلا أن المندوب السامي يقيم دائماً في بيروت لأن لبنان بسواحله الممتدة يهم فرنسا أكثر من سورية ذات الحدود الواسعة التي يصعب الدفاع عنها وذات الصحراء المترامية الأطراف

ومع أن فرنسا قد خلقت في سورية عدداً من الدويلات المستقلة كاللاذقية وجبل الدروز وسنجق الاسكندرونة إلا أن سورية ولبنان هما الدولتان الرئيسيتان من الناحيتين السياسية والقومية . وأهمية هاتين الجمهوريتين أعظم بكثير من حجمهما، فمساحتهما لا تزيد على (٦٠٫٠٠٠ م . م .) وسكانهما لا يزيدون على (٣٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة) . والفضل في هذه الأهمية عائد إلى الوضع الجغرافي والنهضة الفكرية والاتصال الدائم بالغرب . وقد اتحدت كل هذه العوامل مع التنبه القومي العظيم فجعلت للدولتين أهمية روحية في العالم العربي تكاد تضاهي أهمية مصر . وقد لعب السوريون دوراً رئيسياً في أكثر الثورات والحركات الفكرية والسياسية التي حدثت في الشرق الأدنى منذ عام ١٩١٩

يمتاز لبنان على سائر الأقطار العربية بأن الأحزاب السياسية المتناقضة فيه هي المسيطرة على سير الحوادث . والحزبان الرئيسيان هما: أولاً حزب الحكومة المستند بالدرجة الأولى على تأييد النصارى أكثر من غيرهم والذي يرمي إلى أتباع سياسة إفرنسية. وثانياً : الحزب الذي يعارض الأول كل المعارضة ويؤيده أكثر المسلمين وبعض النصارى. وهناك فئة ثالثة ذات رأي معتدل تسعى إلى الابتعاد عن المنازعات الطائفية ، أعضاؤها من اللبنانيين المتعلمين والأجانب الذين تمكنوا — بشكل من الأشكال — من أن يلعبوا دوراً هاماً في حياة البلاد

رئيس الجمهورية

لقد دعاني المسيو أميل اده رئيس جمهورية لبنان لتناول طعام النداء في بيته ، وبهذا أتاح لي الفرصة للوقوف على وجهة نظر الحكومة من مصدر عال

يقعُ مكتب المسيو إده الرسمي في السراي الصغيرة في ميدان بيروت الرئيسي ، وهي دار الحكومة؛ أما بيته الخاص فهو في الطابق الثاني من عمارة حديثة ذات طوابق متعددة وعلى مدخلها ألواح تشير إلى وجود طبيب وأشخاص من مهن مختلفة بين سكانها . ومع ذلك فان (الدركيّ) الواقف على الباب والعلم الفرنسي ذا الأرزة في زاويته المرفوع على السطح والعلم الآخر الصغير الموضوع في مكان بارز على السيارة الفخمة الواقفة خارج البناء،

كلها دلائل على مكانة أحد سكان العمارة الرفيعة . أما البيت نفسه فهو كبير ومؤثث بفرش حديثة عادية وعلى جدرانه رسوم ليست حديثة تماماً .

ان المسيو اده نصرانى لبنانى ، ولا بد فى لبنان من ذكر دين الشخص لمعرفة مكانته الرسمية . وقد استقبلنى بصحبة زوجه وولدها . أما منظره فيدل على ذكاء ، وهو قصير القامة ويرتدى الملابس الضيقة وقد وضع فى صدره شارة جوقة الشرف لجيون دُونير . وكانت كل كلمة أوحركة منه تدل على حيوية لم يسع صاحبها إلى كتمها أو ضبطها . ولو قيل لمن ينظر إليه إنه نائب فى مجلس النواب الفرنسي عن مقاطعة فى جنوبى فرنسا لما تعجب من ذلك . وهو محام لعب دوراً خطيراً في السياسة اللبنانية منذ الحرب العظمى . وقد تدرج فى النيابة إلى رياسة مجلس النواب ، إلى عضوية مجلس الشيوخ ، إلى رئاسة الوزارة حتى تبوأ أخيراً أعظم مقام رسمى فى البلاد .

وكان طعام الغداء لذيذاً جداً قدمه لنا خادمان يرتدى كل منهما سترة بيضاء وقفازاً أبيض من القطن . وكان الحديث مثيراً شأن كل حديث يُتبادل أثناء تناول الطعام فى صحبة أشخاص فرنسيين مثقفين ، وكان كرم المائدة أعظم ما يواجه الانسان عادة فى بيت مماثل فى فرنسا ، ولكنى مع ذلك كنت أشعر كل الوقت بأنى بين جماعة من الفرنسيين حتى أن مظهر زوج الرئيس الجذابة (هى مصرية المولد) وابنته الجميلة وابنه الشاب (الذى يمتهن المحاماة وينظر إلى نفسه والحياة عامة نظرة جدية) كان فرنسياً إلى درجة شعرت معها بأنى فى باريس نفسها لا فى وسط الأسرة الأولى فى شعب يفتخر بأنه من نسل الفينقيين .

وبعد الغداء أخذنى المسيو إده إلى غرفة صغيرة حيث جلسنا نتحدث، وقد سرنى منه أنه كان يستمتع ببسط وجهة نظره أمامى بدرجة استمتاعى بسماعها . قال :

— « إن الفكرة القومية هى الأساس الطبيعى الذي تبنى عليه حياة بلاد فتية ، ومعنى هذه القومية فى نظرنا هو استقلال لبنان التام باعتبار أنه يشكل وحدة جغرافية وسياسية ، وتحالفه المؤبد مع فرنسا . إن بعض المسلمين يتكلمون عن الاتحاد مع سورية إلا أن هذا الاتحاد مخالف لجميع مصالحنا . إننا كنصارى نشكل أكثرية فى لبنان، فاذا اتحدنا مع سورية ابتلعتنا الأكثرية الاسلامية . وهناك أسباب أخرى تجعلنا معارضين لهذا الاتحاد :

« إن شعبنا — من جهة — يختلف اختلافاً كلياً عن الشعب السورى، إذ أن تقاليدهم غير تقاليدنا وطرز معيشتهم غير طرزنا. أنظر إلى بيروت، هل هي مدينة شرقية ؟ إن دمشق شرقية تماماً، ولكن مدينتنا لا تختلف عن أية مدينة في جنوبي فرنسا . أنظر إلى بيوتنا وملابسنا وسياراتنا التى تكاد تبعدنا مئات الأميال عن دمشق . تذكر ليس فقط أن أولادنا قد تعلموا فى جامعات أوربية بل أيضاً أن آباءنا قد تربوا تربية غربية، وأن الكثيرين منهم قد تثقفوا فى الخارج . أما السوريون فهم ليسوا سوى عرب مسلمين ليس فيهم شئ غربى ألبتة .

« ثم لنبحث فى الناحية الاقتصادية : إن السوريين متشوقون كثيراً إلى مشاركتنا فى واردات الكمارك مع أن أكثر هذه الواردات تستوفى من ضريبة مفروضة على بضائع نشتريها نحن لا هم، إذ أن احتياجاتنا أكثر من احتياجاتهم ووسائل الراحة التى نتطلبها أكثر من وسائلهم . نريد أن نكون أصدقاءهم ولكن (وهنا أشار المسيو إدّه بيديه إشارة قوية تدل على التأكيد) يجب أن نعارض دائماً فكرة الاتحاد معهم »

فقلت : « إذاً فانكم تفضلون يا حضرة الرئيس التحالف مع فرنسا على التحالف مع سورية ؟ »

فأجاب : « إن هذا التحالف (أى مع فرنسا) هو نتيجة طبيعية للوضع الذي وجدنا أنفسنا فيه . فان فرنسا قد ساعدتنا فى الماضى وأكثرنا يتكلم لغتها . خذنى مثالاً لذلك : إنى فرنسى أكثر من أن أكون عربياً ؛ وقد تربيت تربية نصرانية وجميع تصرفاتى مشابهة تماماً لتصرفات الفرنسيين » . وقد شعرت برنة فخر فى صوته عند ما تفوه بهذه العبارة

وسألته « ولكن ما الحكمة فى تحالف أبدى مع فرنسا ؟ »

فأجاب « لأننا إذا لم تحمنا دولة أجنبية قوية ابتلعنا جيراننا. وأضيف إلى ذلك أننا نحمل رسالة مقدسة يجب تأديتها فى الشرق الأدنى : ذلك لأننا الجزيرة النصرانية الوحيدة فى بحر من البلاد الاسلامية »

— « إذاً فأنتم معارضون للوحدة العربية ؟ »

— « إن الوحدة العربية هى ضد مصلحتنا . فاذا اعتنق هذه الفكرة بعض المسلمين عندنا فإن كل النصارى يكرهونها »

— « لقد أشرتم قبل لحظة إلى رسالتكم المسيحية مع أن النصرانية ليست دين الدولة الرسمي في لبنان »

— كلا ! فلعل جمهورية لبنان هي الدولة الوحيدة في الشرق الأدنى التي ليس لها دين رسمي . والسبب يعود إلى وجود عدد كبير من الطوائف الدينية عندنا . ومن سوء الحظ أن الدور الفعال الذي يلعبه دائماً رجال الدين التابعون إلى هـذه الطوائف المختلفة قد تجاوز الحد وأصبح مضراً بمصلحة البلاد . ولما كانوا يخلطون بين الدين والسياسة فلا نريد أن نعقد الأمور بإدخال الدين رسمياً في المعمعة بشكل من الأشكال، إذ لو فعلنا ذلك لوقعنا في ورطة عظيمة ولضعنا بين الأكثرية المارونية والروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك واللاتين والسنة والشيعة والدروز والأرمن والبروتستانت واليهود ! » وهنا ظهرت على وجهه لأول مرة أمارات القلق الشديد وتوقف عن الحديث هنيهة ثم استرسل قائلاً :

— « إن للطوائف المسيحية المختلفة نفوذاً سياسياً قوياً بفضل رجال الدين. ولو أردنا أن نحول دون نشاطهم السياسي لعجزنا عن ذلك ؛ ولهذا رأينا المصلحة تقضي بترك هذه المسألة . ومع ذلك فان كل تعيين جديد في الحكومة يسبب تذمراً لدى طائفة من الطوائف الدينية . آه لو كنا أحراراً — أحراراً نعمل كما يجب أن نعمل — أحراراً نعين الناس بالنظر إلى مؤهلاتهم لا بالنظر إلى أديانهم ... »

— «لعل دكتاتوراً يستطيع تسهيل أمر الحكم في لبنان؟» فرفع يديه وكأنه مشمئز وقال :

«أنا ضد كل دكتاتورية، أنا أؤيد الديمقراطية » وهنا توقف قليلا ثم عاد إلى الكلام بلهجة مختلفة :

« حبذا لو كان بامكاننا تطبيق النظام الديمقراطي كما تعرفونه في انكلترا حيث لم يفرض فرضاً غير طبيعي على شعب غير مهيأ له بل كان نتيجة طبيعية للتربية السياسية وفكرة راسخة عند المواطنين الانكليز . آه ما أسعدكم في إنكلترا وأعظم بها من بلاد ! »

وقد رافقت هـذه الكلمات أنة شديدة دلت بجلاء على صدق عاطفته

(بغداد — دار المعلمين الريفية) علي حيدر الركابي

حــــواء

... ديوان شـعر طريف في الغزل العرفاني يصدره الأستاذ الحوماني تحت هذا الاسم وستقدم الرسالة لقرائها نماذج منه في أعدادها التالية ريثما ينتهي طبع الديوان

كيف أشقى ؟؟

خبّريني كيف أشقى وعلى ... فيكِ من روحيَ هذي البسَمات؟
كيف أشقى، وعلى خديكِ من ... كبدي لونٌ، ومن لثمي شِيات ؟
وعلى عينيكِ من لون الضحى ... حَوَرٌ تطفو عليه القُبلات
أوَ أشقى ، والهوى ملء فمي ... عسَلاً تنهلُ منه الوجنات ؟؟
وبكفيَّ ثمارٌ أنضجتْ ... طلعَها مني شفاهٌ قلِقات
ما السعاداتُ التي ينشدها ... شاعرٌ حصّتْ جناحيه الحياة ؟
أهيَ غيرُ الحبِ ، ترعى روضَه ... من قوافيهِ مهاةٌ فمهاة ؟؟
خفقتْ روحُكِ في آفاقهِ ... فبدا صبحٌ وهبتْ نسَمات
وطفت في الكون أمواج السنا ... فسرت روحٌ وخفت حركات

انت لحنى

سلبتْ عيناكِ لي ، إنهما ... كانتا رمزَ حياتي وخلودي
أستشفُّ الروحَ في ظلهما ... فأرى بينهما سرَّ وجودي
كلما اهتزَّ على سلكهما ... ناظري مارستُ فني من جديد
وتولّتْ شفتي تدوينــه ... بدمي فوقَ شفاهٍ ونهود
وإذا الفن طغى خفّتْ إلى ... رسمهِ بين عيون وخدود
كلما مرّت بها أنشودةٌ ... كنتِ من أبياتها بيتَ القصيد
كنتِ في مطلعها زهرَ فمٍ ... وعلى مقطعها لفتة جيد
أنتِ لحني كلما أنشدتُها ... وإذا لحنتُها كنتِ نشيدي

الحوماني

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للاستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خـذوا معانى العظمة فى قمتها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

— ١٨ —



وكان ابراهام فى الحادية والخمسين من سنى عمره بينما كانت تتأهب البلاد لانتخاب رئيس جديد للولايات إذ كان عام ستين وثمانمائة وألف هو نهاية مدة الرئيس القائم ؛ وكان انتخاب رئيس الولايات أهم الحوادث السياسية التى تشهدها البلاد ، وإنه لأعظم خطرا اليوم وأبعد فى مصير البلاد أثرا ؛ ذلك أن الانتخاب إنما يقوم هـذه المرة على ما يشغل الناس فى أمر العبيد وفي أمر الوحدة، لهذا كان ذلك العام نقطة يبدأ منها تاريخ البلاد عهدجديدا ويتدرج فى مسلك جديد ...

وكان الحزب الجمهوري وهو الذى ينتمى إليه ابراهام ويعد من أبرز رجاله ، أقوى الأحزاب نفوذا وأعزها نفرا ، ، إذ كانت مبادئه أقرب من غيرها إلى قلوب الناس فى الشمال فهو يعمل على أن يحول دون انتشار العبيد وهو يكره نظام الاستعباد ولكنه يرعى جانب الدستور فى كل ما يقول أو يعمل

أما الحزب الديمقراطى فقد هان على الناس أمره بانقسامه وتنازع رجاله ؛ ففريق من أهل الجنوب يكرهون اليوم دوجلاس لما كان منه أيام مجادلاته مع لنكولن ... أو لم يصرح إن لكل ولاية الحق كل الحق أن تقضى على نظام العبيد فيها متى شاءت ذلك ، فوقع بتصريحه هذا فى حبائل خصمه ؟ ثم إن فريقا من الديمقراطيين فى الشمال قد كرهوا منه معارضته الرئيس بيوكانون فى دستور كنساس حتى لقد فكر بعض الجمهوريين فى ضمه إلى حزبهم ! وإنه اليوم ليجنى ثمار غرسه. وهل كان له أن يجنى من الشوك العنب ؟ ... لذلك فشل الديمقراطيون حينما عقدوا مؤتمراً لهم ليجمعوا أمرهم على رجل يعدونه للرياسة وانفض مؤتمرهم وقلوبهم شتى .

وأخذ الجمهوريون يستعدون للمعركة القادمة فامتلأت صحفهم بفيض أقلامهم ، وماجت كبريات البلاد فى الشمال بمظاهر نشاطهم ومعالم استعدادهم .

ففى ربيع ذلك العام الفذ عقد الجمهوريون فى ألينواس مقاطعة لنكولن ، مؤتمراً لينظروا فى نشر الدعوة له فى الولايات ليحظى أبراهام بترشيح الحزب إياه فى مؤتمره العام ليكون رجله فى انتخاب الرياسة ! وفى ذلك المؤتمر التمهيدى الذى عقد فى مدينة ديكاتور اشتدت حماسة المؤتمرين لابراهام فما تهتف الألسن إلا به وما تحنو الجوانح إلا عليـه ؛ ولا يقتصر الأمر على المؤتمرين فها هو ذا جمع حاشد من الناس يهتف به فى شوارع المدينة ، وعلى رأس هذا الجمع ابن عم له كان يعمل معه فى شق الأخشاب قبل ذلك بثلاثين سنة ... أنظر إلى ابن عمه هذا يحمل العلم على قطعتين شوهاوين من الخشب ، وهو ينبئ الناس فى زهو أنهما من صنع أبراهام قطعتهما فأسه يوم كان يعمل فى الغابة، فهو من الناس وللناس ! ثم انظر إلى وجوه القوم كيف تتهلل بشراً ، واستمع إلى ألسنتهم كيف تضيف إلى ألقاب أبراهام التى ألفوها لقباً جديداً ، فهو أيب الأمين وهو أيب العجوز وهو أيب فالق الأشجار ...

وانعقد فى الصيف المؤتمر الجمهورى العام فى شيكاغو ، وتدارس المؤتمرون طويلاً ثم أعلنوا ما اتفقت عليهم كلهم من المبادئ ، فلم تخرج عما أوضحه أبراهام فى خطبه وأحاديثه ، وقد احتشد فى تلك المدينة عدد عظيم من أهلها ومن غير أهلها بلغ أربعين ألفا ليشهدوا هذا المؤتمر العظيم والتفت تلك الجموع حول مكان الاجتماع ...

وجاء دور الانتخاب واجتمع ممثلو الولايات لاختيار رجل يمثل الحزب جميعا ، وجرت فى القاعة أسماء خمسة أشخاص يختار منهم واحد ، من هؤلاء لنكولن من سبرنجفيلد وسيوارد من نيويورك ... وكان سيوارد فى نظر أهل الشمال الزعيم الحقيقى للحزب الجمهورى فهو رجل واسع الثقافة عظيم الخلق يحب بلاده ويكبرها وهو كأبراهام يمقت نظام العبيد وقد ظل يحاربه زهاء ربع قرن فى غير هوادة .

وظن الناس وشاع فيهم بادئ الأمر أن الأمر سيتم لسيوارد فى هذا المؤتمر ! وكذلك ظن سيوارد فلم يكن يحس منافسة ابراهام إياه ؛ أما ابراهام فكان فؤاده يحدثه أن النصر له هذه المرة فهو يحس فى أعماق نفسه دون أن يدرى لما يحس سببا أنه عند الناس أرجح كفة من صاحبه وأن شبه لهم غير ذلك

ولكن القلق يساوره أحيانا وهو جالس فى سبرنجفيلد فى قاعة أحد أصدقائه من رجال الصحافة أثناء انعقاد المؤتمر فهو يقول لهذا الصديق « إنى أعتقد يا صديقى أنى سأعود ثانية إلى مكتب المحاماة وأعمل عملى فى القانون ... » ثم يعاوده الأمن برهة ويخالجه الشك برهة كما يحدث عادة فى مثل هذه الأحوال حينما ينتظر المرء عاقبة أمر يهمه ؛ وأى أمر هذا الذى كان يتوقع إبراهام عاقبته ؟ إنه اليوم فى مفرق الطرق من حياته ، فإما إلى رسالته وإما إلى حرفته ...

لقد طال به الانتظار حتى كاد أن يسأم، ولم يأته نبأ عن المؤتمر فلينصرف إلى القراءة حينا ، وإنه لكتاب شعر لبيرنز ، هذا الذى يقلب صفحاته ، ويقرأ كما يقرأ المرء فى مثل تلك اللحظات بعينيه أكثر منه بعقله ؛ ولكنه يدع الكتاب ليفكر وليتنازع فؤاده الشك واليقين ...

والمؤتمر منصرف إلى عمله فى شيكاغو يفتتح فى رواية البلاد فصلاً جديداً سوف يترتب عليه كل ما يليه من فصول ... والناس من حوله يموج بعضهم فى بعض ، وهم يتساءلون لمن يكون النصر ؟ فيؤكد هذا بأن النصر لسيوارد فى إشارة حازمة ولهجة جازمة، فيقبل عليه جماعة منهم فرحين؛ ويصيح ذاك : كلا بل النصر لفالق الأخشاب . فيتهافت عليه كثيرون ...

وتعلن نتيجة الدفعة الأولى للولايات فإذا سيوارد يزيد على إبراهام بسبعين صوتاً وصوت ، فيهتف أنصار سيوارد ويكتئب أصحاب ابراهام ... وتعلن الدفعة الثانية فاذا ابراهام لم يبق بينه وبين سيوارد سوى ثلاثة أصوات ... ويسود الصمت فى جنبات المؤتمر وقد علقت الأنفاس وشخصت الأبصار وخفقت القلوب وتأهب رجال الصحافة لتلقى النبأ الأخير . وما هى إلا لحظة حتى يرتفع صوت باسم لنكولن، فهبت فى المكان عاصفة هائلة من الهتاف والتصفيق تجاوبها خارجه عاصفة أشد منها قوة وأطول أمدا إذ يظل الناس يتعانقون ويتصايحون ويقذفون بقبعاتهم فى الهواء ويتواثبون ويرقصون زهاء ربع الساعة كأنما مسهم طائف من الجنون ...

وابراهام فى غرفة صاحبه فى سبرنجفيلد يوجس خيفة فى نفسه طوراً ، ويثق فى النصر طوراً ، وحوله جماعة من أنصاره ينتظرون كما ينتظر ، وإنهم كذلك إذ يقبل شاب من مكتب البرق يحمل رسالة ويطفر بها كما يطفر المصفور من المرح ويقبل على ابراهام فيحمل إليه النبأ السار، ثم يهيب بالحاضرين أن يهتفوا ثلاث مرات لأبيب الأمين رئيس الولايات المقبل ...

ويقبل على ابراهام صحابته وفى مآقيهم دموع الفرح وعلى ألسنتهم ما لا يفى بالتعبير عما فى قلوبهم من معانى الابتهاج ، وهو منشرح الصدر مثلج الفؤاد ولكنه واقف بينهم معقود اللسان لايجد من الكلام مايفصح عما فى نفسه، وبعد برهة يقول لهم : « إن امرأة صغيرة قصيرة هنالك فى بيتنا يسرها أن تعلم هذا النبأ. يقول ذلك ويمضى مسرعاً إلى مارى فيفضى إليها بأجل وأبهج ما انفرجت عنه أمامها شفتاه ...

ويأتى بعد ذلك وفد من قبل الحزب يعلن إليه رسمياً نتيجة الانتخاب فيلقاهم ابراهام فى داره ، فما يبرحونها إلا وقد ارتبطت قلوبهم بقلب ذلك الرجل العظيم ... وهكذا يظفر ابراهام لنكولن

فالق الأخشاب بتأييد أكبر حزب فى البلاد ... هكذا يظفر النجار ابن النجار فيصبح رجل الساعة ومناط الرجاء فى قومه

ولبث ابراهام نحو أربعة أشهر فى سبر نجفيلد حتى حان موعد الانتخاب للرياسة ، لبث فى المدينة هذه المدة فما عهد عليه أحد من أهلها أدنى تغير عما كان عليه ، فهو فى الناس فرد منهم وإن كان بسبيل أن يذهب عما قريب إلى البيت الأبيض ... وهل كان مثله يتغير حتى بالذهاب إلى هذا البيت العتيد ؟ وهل كانت عظمته إلا منبعثة من نفسه حتى يتكبر أو يطغى ؟ إنما هو من الناس وللنــاس ولسوف يظل أول خادم لهم حتى تزهق روحه فى سبيل مبدئه ...

وظلت سبر نجفيلد أياما فى ابتهاج ومرح وابراهام يلقى الوفود فى داره خافضا لهم جناحه باذلا لهم من وده وحبه أكثر ممــا يبذلون وهم معجبون برجلهم الذى استحق محبتهم وظفر بتأييد كبارهم وتعظيم صغارهم ... يعجبون منه بكل شيء وخاصة ذلك التواضع الذى يبدو رائع الجلال باهر الجمال ... لقد أحاطوا بداره ليلة مجيء الوفد وطلبوا إليه أن يخطبهم فأطل عليهم قائلا « أى مواطنى ! توجد لحظات فى حياة كل سياسى حينما يكون خير ما يفعل أن يحتفظ بشفتيه مضمومتين؛ وإنى أحسب أن مثل تلك اللحظات قد حانت الآن بالنسبة إلى »

ولــا ضاقت بالوفود داره جعل لقاء الناس فى قاعة من مقر الحكم للمدينة ، ولا يرد عن مجلسه أحداً ، ولا يأخذ الحيطة من أحد ، فإذا سأله شخص عن أمر فى السياسة ناقشه فى هدوء أو أعطاه نسخة من مجموعة خطبه ؛ وهو يذهب بنفسه إلى مكتب البريد فيحضر رسائله المتعددة التى تأتيه من كل فج فيفضها ويقرؤها ويرد على ما يتطلب الرد منها إما بيده أو بيد كاتب قد اتخذه له منذ قريب ...

ولقد سخط الناس فى الجنوب على اختيار رجال حزبه له ؛ وأصابهم من ذلك كرب شديد وضيق ، وراحت صحفهم تناله بفاحش الهجاء، فهو تارة الجمهورى الأسود، وآونة فالق الأخشاب الجاهل ، وأحياناً الرجل الذى لا يحسن إلا النكات الخشنة السفة ، وطوراً الشبيه بالغورلا ؛ وهو يقابل ذلك كله بالصبر الجميل مترفعا ترفع الكرام عن جهل اللئام ... ولم يحدث منذ تألف الاتحاد أن قامت العداوة والبغضاء بين أهل الجنوب وأهل الشمال مثلما قامت بينهم عقب اختيار الجمهوريين لنكولن

أما أنصاره فما فتئوا يثنون عليه فى صحفهم وأحاديثهم ويدفعون عنه مكر أعدائه ويدحضون أباطيلهم ؛ وضرب سيوارد للناس مثلا طيبا فكتب فى إحدي صحف نيويورك يثنى على ابراهام ويهنيء البلاد باختياره هذا ويتمنى له الفوز فى المعركة الأخيرة ...

وظل هو فى سبر نجفيلد لا يتكلم عن نفسه ولا يأبه لــا يتقول عليه أعداؤه ؛ أما عن أنصاره فكان يرتاح إلى دفاعهم وإن كان ليتبرم بينه وبين نفسه بما يزجونه إليه من عبارات المديح والإطراء . وما فتئت الكتب تأتى إليه من انحاء البلاد وهو يجيب عنها غير متخلف ولا مبطيء ؛ ومن أجمل تلك الكتب وأغربها كتاب جاءه من بنت صغيرة تستفهمه فيه عن أسرته وتطلب إليه أن يطلق لحيته. ولقد ردعليها بهذا الكتاب قال : «أى فتاتى الصغيرة العزيزة : تلقيت كتابك الجدير جدا بالقبول ، المؤرخ فى ١٥ من اكتوبر عام ١٨٦٠ ، وإنى آسف أن أرانى مضطرا إلى إخبارك أنه ليس لى ابنة ... إن لى ثلاثة بنين عمر الأول سبعة عشر عاما والثانى تسعة والثالث سبعة ، ومن هؤلاء ، وأمهم معهم تتألف أسرتى كلها .. أما عن إطلاق لحيتى ، أفلا ترين ، ولم تكن لى من قبل لحية ، أنى إذا أطلقتها الآن إنما آتى بذلك ما يعــد ضربا من التكلف السخيف ؟ ... هذا وإنى لك الصديق الوفى المخلص. ا . لنكولن » ...

وهبت من الجنوب الشائعات بالنذر ، فلقد ازدادت الدعوة إلى الانسحاب من الاتحاد ، وإلى إعلان التمرد والعصيان إذا قدر أن ينتخب لنكولن رئيسا للولايات؛ ونمى إليه فيما نمى من الأنباء أن أهل الجنوب يطاردون بالقوة كل من يدعو إلى تحرير العبيد فى ولاياتهم . على أن أعظم ما أزعجه يومئذ ما أفضى به إليه قائد من القواد من أنهم فى الجنوب يعدون معدات القتال ! ... لقد ارتاع ابراهام لذلك وأحس بميل شديد إلى معرفة كل شيء ولكنه يشعر ، ولم ينتخب للرياسة بعد ، أن ليس له حق فيما هو فيه من الاستطلاع فيطلب إلى ذلك القائد أن يتبين قبل أن يزيده علمــا بما يجرى فاذا لم يكن فى الإفضاء بما يعلم خيانة فليفض به وهو يترك الحكم فى ذلك له ...

(يتبع)

الخفيف

الفروسية العربية

للميجر كلوب
ترجمة الأستاذ جميل قبعين

— ٣ —

ومن أشهر الحكايات ما جاء فى التوراة عن سيدنا ابراهيم الخليل (بينما هو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار — رفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد على الأرض وقال ياسيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك . خذوا قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة ، وخذوا كسرة خبز لأنكم قد مررتم على عبدكم . فقالوا هكذا نفعل كما تكلمت . فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال اسرعى بثلاث كيلات دقيق سميد اعجنى واصنعى خبز ملة ثم ركض إبراهيم إلى البقر ثم أخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه إلى الغلام فأسرع ليعمله . ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم وإذ كان واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا) وأرجو أن ألفت نظركم إلى أن سيدنا إبراهيم عند ما دعا هؤلاء الجماعة لم يكن يعرف من هم وقد طلب منهم أن يتناولوا شيئاً من الخبز والماء قائلاً « إن وجدت نعمة فى أعينكم » وهذا دليل على أنهم يرفعون من شأنه بتناولهم الطعام عنده ، ونراهم جلوساً بانتظار الخبز والماء ولكن نراه يقدم لهم عجلا وزبداً ولبناً بدل الذى دعاهم إليه . ثم يقف بين أيديهم لخدمتهم . فالبدوى يقدم آخر شاة عنده طعاماً لضيف غريب، وهذه هي عادتهم التى ساروا عليها من قرون طويلة. وأظن أن أخبار حاتم الطائى معروفة لديكم إذ أنه بعد أن ذبح جميع ما يملك من ماشية وإبل لإطعام الفقراء من قبيلته فى سنة محل ذبح لهم فرسه وهى آخر ما يملك . ومن المتبع أن يقف عبيد الشيوخ على باب الخيمة منادين على الطعام . وقد لقب الناس ابن مهيد أحد شيوخ عنزة « بالمنادى على الطعام » لأن عبيده كانت تنادي الناس يومياً إلى الطعام فى سنة قحط

إن العيب كل العيب فى نظر البدوى أن تطهي طعاماً يكفى لضيوفك فقط ، وحتى في رمضان عندما تكون القبيلة بأجمها صائمة ترى أنهم ينحرون ثلاثة أو أربعة خراف لإطعام بضعة أشخاص مع علمهم بأن بقية الطعام ستذهب سدى . ولقد تعدى كرم البدوى الانسان إلى الحيوان . ويروى أن عنترة نحر في يوم زفافه مئات الإبل ورماها فى البرارى لتشاركه الوحوش فى فرحه . والبطل السورى مقرى الوحوش كان يطلق فى البرية كل ما يربحه من غزواته لأنه كان يطلب المجد لا الكسب . وأنا شخصياً أعرف شخصاً اسمه « ممشى الذيب » كان يربط جدياً فى البرية عندما يسمع ذئباً يعوى قائلا : « لا ينادينى ضيف فى المساء دون أن يتناول الطعام » . لقد دعوت أنا شخصياً منذ مدة سمو الأمير عبدالله أمير شرق الأردن إلى وليمة بقرب وادي موسى — بتراء، وقد حضر ما يقرب من ٥٠٠ شخص من الفلاحين للسلام على سموه، ولم أكن أتوقع حضور مثل هذا العدد، ولكن رجالى وكلهم من البدو لم يكونوا مستعدين أن يعرضوا أنفسهم لألسنة الفلاحين الجارحة ، ولذلك فان الطعام الذى طهى كان فضلا عن كفايته لاطعام الخمسمائة شخص فقد قدموا رزاً مسلوقاً وزبدة إلى مطايا الزائرين

حماية الضعيف

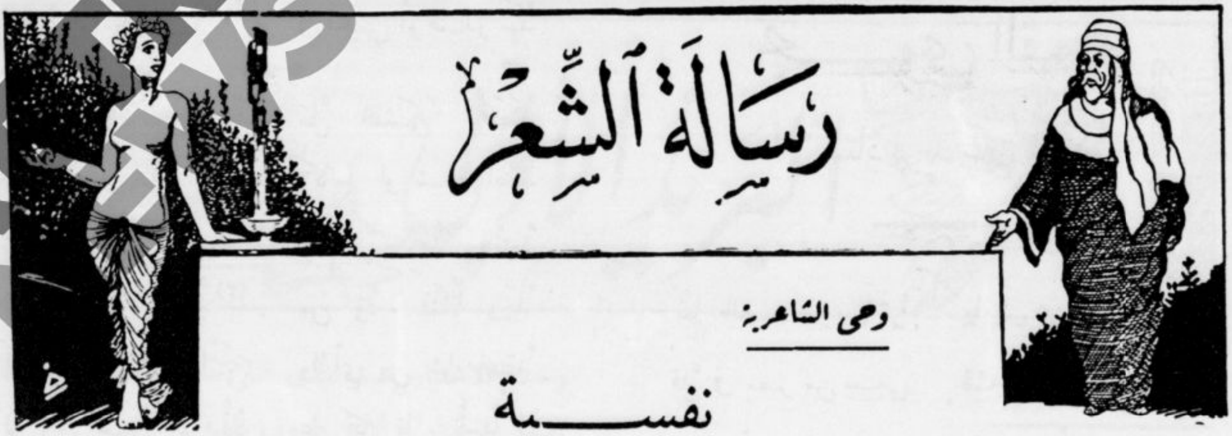
وبالاضافة إلى الثلاث الخصال التى تتصف الفروسية بها يوجد طبع آخر فى البدو يحمل نفس الطابع الخيالى الذى اتصفت به عاداتهم الثلاث (المجد فى الحرب . احترام المرأة . الكرم) التى سبق أن ذكرناها — وهو حماية الضعيف . فمتى ما يلتجئ غريب أو أرملة أو يتيم إلى بدوى تراه يدافع عنه حتى ليقاتل أقاربه لأجله. فمثلاً حرب البسوس التى وقعت منذ ألف وثلاثمائة سنة عند ما أطلق كليب وائل — كبير شيوخ معد — سهماً على ناقة لخالة جساس أخى جليلة زوجة كليب فقد ذهبت تلك العجوز إلى جساس وروت له الحادث ، فما تمت رواية قصتها حتى قام ولبس ملابس الحرب وذهب وقتل كليباً . ويقال إن حرباً دامت أربعين سنة بين الفريقين المتحاربين كانت نتيجة لهذا الحادث . وقد وقع مثل هذا الحادث فى قبيلة الرولا — إذ طلب شيخ من عجوز من قبيلة الشرارات وهى قبيلة تحتقرها بقية القبائل بتخذ رجالها صناعة النحاس مهنة لهم ، فاستجارت العجوز بابن مشهور الشعلان الذى أنجدها حتى أطلق على نفسه فى الحرب

« أخو ربدة » اسم المرأة التي استجارت به زيادة في تمجيد عمله المظيم . ومن عادات البدوى نجدة من يلتجيء إلى الخيمة . وبهذه المناسبة أود أن أذكر حادثاً وقع معى شخصياً عند ما ثار فيصل الدويش مع قبائل مطير على ابن سعود لحاربهم وانتصر عليهم وقد أرادوا الالتجاء إلى العراق عند ما طاردتهم الجيوش السعودية، ولكن أوامر مشددة صدرت إلى بمنعهم من الالتجاء إلى العراق . وقد تمكنت من إيقافهم في موقع وبقيت في انتظار وصول الجيوش السعودية لسوقهم. وفي ذات يوم بينما أنا في خيمتي إذا برجل — وهو أحد زعماء العجمان — يدخل الخيمة ويصيح: أنا أطلب الحماية — وكان هذا الزعيم من المكروهين والمغضوب عليهم من ابن سعود — لقد كان موقفاً حرجاً ومحيراً إذ أن عادات البدوى تقضى بحماية الرجل، وأوامر حكومتى تقضى بعدم السماح لأحد من المرور إلي العراق . ولكنى في النهاية قررت أن أتبع تقاليد البدو فأركبته جملا وأفهمته أن يتوجه إلى قبيلة عراقية ساكنة بالقرب منا . لقد كنت أظن أن هذا الحادث قد انتهى وأن ابن سعود لن يسمع به . ولكن راعنى أن قدمت في صباح اليوم التالى أربع سيارات سعودية تحمل وفداً برياسة سكرتير ابن سعود الخاص للاحتجاج على عملى بتهريب الرجل . ولكنى بلطف صرفت ذلك الوفد . وبعد فترة عاد الوفد يحمل كتابا شديد اللهجة حول تصرفي — لقد تحرج موقفى إذ أن أوامر حكومتى كانت صريحة ولكنى صممت على أن أبقى أمينا على عهدي مع الرجل . لم أجد لى مخرجا من هذا الأمر إلا بأن أفهمهم الحقيقة . وقد فعلت . طلب ابن سعود من الحكومة العراقية بعدئذ تسليم جميع اللاجئين ولكنه لم يشر بحرف إلى رجلى . إن العرب صلاب أشد الصلابة فى المطالبة والمدافعة عن حقوقهم ، ولكنك إذا التجأت إلى كرمهم فلن يخيبوا ظنك . وهذه قصة سمعتها من شاب ساكن مع بنى صخر فى شرق الأردن أصله من البلاد الواقعة قرب الخليج الفارسى — قال : قام الوهابيون وكنت معهم بهجوم على بنى صخر فقتلنا منهم وقتل منا خلق كثير. وفى تلك الموقعة أصبت بجراح وأغمى على حتى لم أفق إلا فى صباح اليوم التالى أمام خيام بنى صخر . قمت أتحامل على نفسى حتى قربت من بيت شعر وإذ برجل ما كاد رآنى حتى أطلق على عيارين ناريين — وكان قد فقد أخاه فى معركة الأمس — ولكن الغضب والحقد أعمياه فأخطأنى . حينئذ أسرعت حتى دخلت الخيمة فما كان منه إلا أن رمى بندقيته وأقبل يغسل جراحى .

ومن عادات البدوى التمسك بالصداقة والاعتراف بالجميل. فى يوم من الأيام اقتتل ابن على وابن رشيد من شيوخ قبيلة شمر فطرد ابن على ابن رشيد مع أخيه من القبيلة ، ترك الاخوان القبيلة ومعهما جمل واحد قاصدين البلد المعروف اليوم بشرق الأردن وفى طريقهما نزلا ضيفين على الخريشة فأكرم العبيد وفادتهما إذ كان الشيخ غائباً . وفي صباح اليوم التالى تهيآ للسفر فوجدا أن جملهما قد نفق . فسارا على الأقدام ، وفى الطريق قابلهما بدوى فسألهما عن حالهما فأخبراه بواقعة الحال ، فنزل عن جمله وقدمه إليهما قائلا : أنا الشيخ ولن يضيفنى إنسان راكبا ويترك منزلى راجلا . وعند ما عاد ابن رشيد إلى الحكم بقيت الخريشة صديقة معززة مكرمة . ومن الصفات التى يفتخر العرب بها الأمانة ، وقصتنا هى حادثة السموأل الذى ضحى بولده على أن يسلم الدروع التى ائتمنه عليها امرؤ القيس . منذ سنين قليلة مضت أغار عودة أبو تاية حليف لورنس على عنزة وكانت الغلبة لعودة، وفى أثناء المعركة رمى شخص نفسه على عوده يطلب الأمان ، فأمنه ، ولكن الرجل طلب علامة يدرأ بها الخطر عن نفسه فأعطاه عوده كوفيته ونزل إلى المعركة حاسر الرأس. ومرت السنون وإذا برجل غريب يقدم نفسه إلى عودة قائلا : إن لك عندى قطيعا من الماشية . فسأله عودة عن ذلك فقال : إنني الرجل الذى أعطيته كوفيتك فى الموقعة الفلانية وقد بعتها واشتريت بها ماشية وتكاثرت وهأنذا أقدمها لك . إن عودة كان قد نسى ذلك الرجل وكان العداء لا يزال على أشده بين القبيلتين

(يتبع)

جميل قبعين



نفسية

للأستاذ حسن القاياتي

ظمآنُ لو شئتَ وردْ لولاكَ يا نيـل اتقدْ
بَرْدُ الحنايا[١] رشفةٌ للنيـل تستلُّ الكمدْ
للنيلِ من حيث اغتديَ قلبي ومن حيث اعتمدْ[٢]
كم صفّدوه[٣] فاصطفَوْا للنيل مُفْتَنَّ الصَّفَدْ[٤]
جنّاتُ علمٍ روّضتْ فى مصر جنّاتِ الرَّغَدْ
لَهْفى لمصرٍ جنّةً لَيْسَتْ تُناغى بالرَّشَدْ ![٥]
البرُّ فينا لمحةٌ والغيُّ جيّاشُ المَدَدْ
غرّدتُ حتى شفَنِي مَنْ يرتمِي طيرَ الغَرَدْ[٦]
عَصرُ المُرَجّى شدّماَ يمشى إليه فى الزَّرَدْ[٧]

* * *

شكواي وثّابُ الهوَى فى النيلِ خوّارُ الجلَدْ
نَذْلُ التبَارِى[٨] يعتَلِى بالغىّ طمّاحَ الأمَدْ !
غَنّيتُ بالعلم احتَفَى[٩] والتَّعْتُ للجهلِ[١٠] احتَشَدْ
إن يَهْذِ غِرٌّ بالعُلَى فالهزلُ رُؤيَا مَن رَقَدْ
بدعان مِنْ حَلْيِ النُّهى تَفْوِيفُ شعرى والغَيَدْ[١١]
نَمّقتُ جنّاتِ النّدَى فاختالَ فيها من جَحَدْ

كم جَفَّ[١] رِفْدٌ بَذْلُهُ كاللثم لم يُنْقِلْ أحَدْ
إن تَعْلُ دُونِى رَغْوةٌ فالنيل فيّاضُ الزَّبَدْ
صَلّيتِ[٢] حلوَ المجتَنى يا مصرُ حرَّ المُجْتَلَدْ[٣]

* * *

مَن لأبن علياء ابتَنى للوغد مجداً فاقْتَعَدْ ؟؟[٤]
لم يَحْنِ فيما يَشْتَهى من رأس أوّابٍ سجدْ
إن لم تَسُدْ بى عِزّةٌ فالدُّرُّ يخزى من زَهَدْ
النَّدْب يخفى حِليةً كالروح يخفيه الجسدْ
عصرٌ تَغَنَّى فازدهيَ بالجهل أزرى إذ خَلَدْ
يَبْنون لَغْواً[٥] كم علاَ كالنعش فاستلَّ الحسَدْ
النُّبلُ هَلاَّ يُفتَدَىَ والهون أنَّى يُفْتَقَدْ ؟؟[٦]

* * *

حَسْبُ التَّحدِّى يَرْتَقى للسيِّدِ البرِّ السَّنَدْ
ذَمَّ التجنِّى فانثنَى بَرَّ التَّمنِّى وانفـردْ
أسْوان[٧] لو كان اشتَفى حرّانُ لو كان ابْتَرَدْ
لم يَحْلُ ظبىٌ أو مُنىً إلاَّ تهَاوتْ أو شَرَدْ
الذُّلُّ يغريه الهوَى والهونُ يأباه الصَّيَدْ[٨]

(١) الحنايا : هى حنايا الضلوع (٢) اعتمد : ذهب ، وقصد
(٣) تصفيد النيل : يكنى به عن إقامة القناطر والجسور فى سبيله
(٤) الصفد محركة العطاء والرفد (٥) المناغاة : كناية عن الفوز بالجنة وتطلبها (٦) الغرد محركة : التغريد (٧) الزرد : يراد به مشى العصر فى آلة القتال (٨) التبارى : التسابق والمسامات
(٩) الاحتفاء : الاجلال والتكريم (١٠) التعت : من اللوعة وهى الأسى
(١١) الغيد محركة نعومة الحسن ورقة الجمال، والغيد كذلك سمة العيون

(١) جف الرفد : ذهب المعروف والعطاء ، وغاض ماء الخير والبذل
(٢) صلى النار: لقى حرها وذاق حرارتها (٣) المجتلد : الجلاد والقتال
(٤) اقتعد : جلس وامتلك (٥) اللغو الباطل الذى لا قيمة له
(٦) يفتقد : يطلب ، ويعنى به (٧) أسوان : هو الحزين مثل الآسى
(٨) الصيد محركة : الأباء والأنفة

الجورُ إمَّا ناهِـــدٌ(١) في الجيش أو صدر نهدْ

***

مَلَّ التَّشكِّي سـيداً مَلَّ التشكِّي فاقتصَدْ
كالحسن لو شاء استبَى كالعلمِ لو شاء انتقدْ
سُنَّ التسامى فانبرى(٢) وانهلَّ رِفدٌ فابتعدْ
ليت المزايا طَلْقةٌ(٣) من وَدَّ فتَّاناً وجدْ
الحسن من شاء انتقَى والرأى من شاء اعتقدْ
لو رق حسنٌ لم يذُدْ عن كل ظبى بأسدْ !!
الحرُّ سَلْهُ ما ارتأى والفِرُّ سَلْهُ ماعبَدْ ؟؟

***

أهلاً بشورَى لا الهوَى أحيت ولا الشَّعْبُ اتَّحَدْ(٤)
الشعبُ طفلاً قلما تنهاه شورى عن لَدَدْ(٥)
للرأيِ فانهَدْ وحدَه العزمُ عند المُعتقَدْ
لا حُرَّ فى أرض الفتَى سموه بالفرد الصَّمد !!
حُرُّ المساعى سيدٌ حُرُّ المنى حُرُّ البَلَدْ

السكرية — دار القاياتى حسن القاياتى

(١) الناهد: البارز سمى النهد به لبروزه ونهوده (٢) انبرى: تعرض وأقبل (٣) طلقة : طليقة يراد بها أن تكون مباحة لمن يريد
(٤) الشغب بالسكون ، الفتنة وإثارة الشر ، أما اتحد فهو من الاتحاد والتواعد للشر خاصة وقيل : للخير كذلك (٥) اللدد : الخصومة والعداء

قصيدة القاياتى

وقع تحريف مطبعى فى أبيات قليلة من قصيدة السيد حسن القاياتى « مصريات » المنشورة فى العدد الماضى ، تثبت صوابه فيما يأتى :

باسم الولاية كم شيخ مراشفه على يدَيَّ كل «سبَّاكوسبكى»

أعمل حجاك فما أحرى بنيِّره أن يُجلِسَ الله فى العرش الإلهى

ذم القديم فما أصفى بتكرمةٍ سوي عقيد العُلى من كل عاديّ

فى معهد العصر أبناء أبوَّتهم فى معهد الدين ألغَوا كل عصرى

تلك الكئوس عُقاراً كيف يجرعها
من يرهن النيلَ فى الدَّين العقاريّ

الأمر يبرم سِرِّيًّا فتلهمه منابتُ الغيِّ من بادٍ وسرِّيّ

نجـوى القمر

للأستاذ فريد عين شوكه

لَمْلِمِ الضـوء يا قمرْ وامْضِ عن مصر فى خفر
قلَّ فى مصر من سعى لك فى الليل أو سهر !
إنما أنت فى القرى باعث الأنس والسمر
تضحك الدور إن بدا نور عينيك وازدهر
وتُجلى بك الحقو لُ ويزهو بها الزهر
وبنو الريف ساهرو ن وما أطيب السهر
تخـذوا ضوءك الأبا ريق والكأس والوتر
فانتشوا منك بعـدما شربوا الضوء بالنظر
تسكر العين بالجما لِ ويا ويل من سكر

***

هيه يا باعث الجوى هل عن الريف من خبر؟
هل ترى مجلس الهوى باقياً فيـه أم دثرْ ؟
وحبيبى ! أما يزا لُ على العهد؟ أم غدر؟
هدَّئِ القلب بعـدما لُحتَ للقلب فاستعر
ضوءك الساحر الرُّؤى بين جفنيَّ كالشرر
حرَّك الماضىَ الدفيـ ن وأغرى بىَ الفِكَرْ
يوم كنا ويوم كا نَ بك الريف يزدهر
أمسيات تناثرت والصبا بعـدها انتثر
وطفت موجة النوى ودنت ساعة الخطر
فافترقنا وباعدت بيننا ضربة القَدَر

فريد عين شوكه



النهوض باللغة العربية

اجتمعت اللجنة التى ألفت للنظر فى النهوض باللغة العربية بديوان الوزارة برياسة الأستاذ محمد عوض ابراهيم بك الوكيل المساعد وعضوية الأساتذة محمد أحمد جاد المولى بك وعلى الجارم بك ومحمد قاسم بك ومحمد عطية الابراشى أفندى ومحمود عبد اللطيف أفندى والشيخ عبد المجيد الشافعى

وبعد أن اطلعت اللجنة على التقارير التى كتبت فى هذا الصدد وتبادلت الأفكار وناقشت المقترحات وافقت على ما يأتى :

أولا — إن الطلبة ليسوا ضعافاً فى اللغة العربية إلا بمقدار ما يراد أن يكونوا عليه من تقدم يناسب ما عليه أبناء الأمم الأخرى ذات اللغات الحية، وإن الطلبة قد تقدموا تقدماً ظاهراً فى الكتابة والخطابة لا يفضلهم فيه أسلافهم من الطلبة

ثانياً — لتنمية هذا التقدم ومجاراة روح العصر الحديث والنهضة باللغة العربية لتؤدى واجبها فى هذا العصر ينبغى أن توجه إليها العناية من الطفولة فى أوساط التربية والتعليم المختلفة لتكون لغة النطق والكتابة والتعليم ولهذا نظرت اللجنة فى وضع قواعد عامة تتناول مراحل التعليم كلها وفى وضع قواعد خاصة لكل مرحلة من مراحل التعليم الأولى والابتدائى والثانوى . وتجمل اللجنة ذلك فى ما يأتى :

القواعد العامة

ترى اللجنة أن نشر اللغة العربية وجعلها لغة التخاطب والتعليم بين الطبقات جميعاً لا يكون حقيقة واقعة إلا إذا تمت الواجبات الآتية:

١ — محو الأمية بنشر التعليم الأولى بين الأميين الذين يبلغون أكثر من ٨٠ ٪ من أبناء الأمة لأن المشاهد أن التعليم كلما نهض نهضت معه اللغة الصحيحة وأقبل الناس على القراءة والاطلاع وهذا مما يقوم الألسنة

٢ — أن تكون كتب القراءة العربية مما يشوق التلاميذ ويحبب إليهم الاطلاع ومداومة النظر وأن تكون من الكثرة وحسن الاختيار بحيث تغذى التلاميذ وتصرفهم عن غيرها مما يحسن ألا يتناولوه إلا فى ظروف خاصة

٣ — أن يكلف المدرسون النطق باللغة الصحيحة سواء فى هذا مدرسو اللغة العربية ومدرسو المواد الأخرى التى تدرس بها وأن يحاسب هؤلاء جميعاً على كل تقصير حتى يشب التلاميذ فى بيئة مدرسية صالحة تعوضهم مما يفقدونه فى البيئات الخارجية

٤ — أن تزاد حصص اللغة العربية فى مراحل التعليم

٥ — أن يؤخر تعلم اللغات الأجنبية إلى ما بعد السنة الثانية من التعليم الابتدائى ليكون للأطفال وقت كاف لدراسة اللغة العربية واستعداد لتلقى غيرها معها. وقد أجمع علماء التربية على أن دراسة لغتين فى وقت واحد وفى سن مبكرة مما ينتهى بالضعف فيهما جميعاً. ويجب أن يكون بين دراسة لغة وأخرى فترة كافية من الوقت وأن يبدأ الأولاد دراسة لغتهم الوطنية وإجادتها أولاً وقبل كل شىء

٦ — ألا يقبل بالرياض من كانت سنه أقل من خمس سنوات ولا يقبل بالتعليم الابتدائى إلا من كانت سنه ثمانى سنوات ليكون الأطفال أقدر على التعليم والانتفاع بالدراسة والاستعداد لها مع صحة أجسادهم ونمو أفكارهم

٧ — أن يعرض ما يقرر من الكتب قبل طبعه على لجان من أساتذة اللغة العربية لإقراره ونفى ما تراه من الألفاظ العامية والأعجمية التى تشوه اللغة وتفسد النطق وتنشر الخطأ

٨ — ومما يدعو إلى مضاعفة العناية ما تشعر به اللجنة من أن مكتبة التلميذ العربية فقيرة أشد الفقر ليس فيها ما يحبب إليه المطالعة والأدب وأنها إذا قيست بمكتبة الأطفال فى الأمم الحية لم تكن شيئاً مذكوراً . ومن الواجب المبادرة من الآن بامداد المكتبات المدرسية حتى تنهض وتقوم بقسطها فى الحياة المدرسية

مشروع وزارة المعارف العراقية لتعزيز تعليم العربية

رأت وزارة المعارف العراقية أن تأخذ بمشروع مهم لتعزيز تعليم اللغة العربية فى المدارس . ولما كان أساس الموضوع يتصل

بالمعلمين فقد اختطت الخطة الآتية :

١ — ستختار أكابر الأساتذة الاختصاصيين فى تعليم اللغة العربية وآدابها للتعليم فى دار المعلمين العليا فى بغداد ، وهؤلاء الأساتذة يستخدمون من خارج العراق

٢ — ستختار أساتذة ضليعين فى اللغة وآدابها وتعليمها لدار المعلمين من الخارج أيضاً

٣ — ستستخدم جماعة من الأساتذة القديرين لتعليم العربية وآدابها فى المدارس الثانوية الكاملة فى أنحاء القطر العراقى بالاستعانة بأساتذة الأقطار الأخرى

٤ — سيؤسس فرع خاص فى دور المعلمين الابتدائية للغة العربية وآدابها يختار لها الطلاب ذوو المواهب الأدبية ويدرسون اللغة وآدابها بمنهج خاص (بجانب دراساتهم مواد دور المعلمين) ويرسم لهم اختصاصات معينة ليصبحوا بعد تخرجهم أساتذة مختصين لتدريس العربية وآدابها .

وبمقتضى هذا المشروع ستحتاج وزارة المعارف العراقية هذه السنة لاستخدام جماعة من أساتذة العربية وآدابها من الأقطار الأخرى ولاسيا مصر حيث يتوفر فيها وجود مثل هؤلاء المدرسين المطلوبين

محاضرة عن مصر القديمة فى لندن

ألقى المستر امرى العالم الأثرى الذى اكتشف ضريح السلالة الفرعونية الأولى فى سقارة محاضرة أمام الجمعية الآسيوية فى لندن قال فيها : « من المحتمل أن تنقضى أعوام عديدة فى الدرس والتحليل والمقارنة قبل أن نصل إلى إدراك نهائى لمعانى الرسوم الهيرغليفية المنقوشة على سبعمائة إناء صغير وجدت فى هذا الضريح . فاذا أمكننا قراءتها وإيضاحها أرسلت شعاعاً نيراً مهماً على أحوال السلالة الأولى التى قل ما نعرفه عنها . أما حفر مقبرة سقارة فتم فى أقل من عشر سنوات

ثم أشار المحاضر إلى احتمال العثور على اكتشافات أهم من هذه فى المكان عينه . وقال : « أكاد أكون على ثقة بأننا سنجد ضريحاً ملكياً كبيراً . ونحن لم نكتشف حتى الآن إلا جزءاً صغيراً من تلك المنطقة »

الإمام الإسفراينى وأبو حيان التوحيدى

ذكر فى الجزء السابق من (الرسالة) القراء أبو حامد أحمد ابن أبى طاهر الأسفراينى [١] ، ورُوِى له قول فى الجدل . وفى الرواية شئ رأيت التنبيه عليه :

راوى المقالة هو أبو نصر عبد الوهاب السبكى صاحب (طبقات الشافعية الكبرى) وقد قال فيها فى سيرة الامام الأسفراينى « قال أبو حيان التوحيدى سمعت أبا حامد يقول الخ » فإن كان السبكى يقصد أبا حيان التوحيدى صاحب المقابسات والصداقة والصديق والامتاع والمؤانسة فقد وهم فيما حكى؛ واليقين أن صاحب أبي حيان هو أبو حامد أحمد بن عامر المرْوَرّوذى [٢] وقد ذكر السبكى نفسه فى طبقاته أن « أبا حيان تفقه على القاضى أبى حامد المروروذى » وفي (بغية الوعاة) للأسيوطى : « قرأ أبو حيان على أبى حامد المروزوذى » وقال ابن خلكان فى « الوفيات » فى سيرة أبى حامد هذا : «قال أبو حيان التوحيدى سمعت أبا حامد المروروذى يقول : ليس ينبغى أن يحمد الانسان على شرف الأب ولايذم عليه كما لا يحمد الطويل على طوله ولايذم القبيح على قبحه» وإنما ورّط السبكى فى روايته التقاء الكنيتين والاسمين واتحاد المذهبين فكلاهما فقيه شافعى ، وكلاهما إمام وهما فى عصر واحد وإن سبق أحدهما إلى الدار الأخرى صاحبه ، فوفاة المروروذى سنة (٣٦٢) ووفاة الاسفراينى سنة (٤٠٦)

وإذا ثبت أن مقالة الجدل للاسفراينى كان أبو حيان التوحيدى غيرَ ذاك الخبيث الشيطان صاحب (مثالب الوزيرين) : ابن العميد والصاحب « وقد تلتقى الأسماء فى الناس والكنى كثيراً » كما قال الفرزدق

وأقول ما دمت فى التنبيه والاصلاح : جاء فى (قصة الكلمة المترجمة) فى الجزء (٢٦٠) : « وقد ذكر ابن القطقطى فى كتابه الآداب السلطانية والدول الاسلامية » صوابه ابن الطقطقى ، الطاء قبل القاف

(م)

كتاب جديد عن فلسطين

ظهر كتاب جديد عن فلسطين بعنوان « سرج فارس فقير » لمؤلفه دوجلاس دف وقد نشرته دار هربرت جنكنز

ولعل أهم ما يستوقف الأنظار فيه الاقتراح الذى يقترحه

(١) نسبة إلى أسفراين بلدة بخراسان وهي بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء والراء وكسر الياء (ابن خلكان)

(٢) نسبة إلى مرورود — بفتح الميم وسكون الراء وفتح الواو وتشديد الراء المضمومة وهى مدينة مبنية على نهر والنهر بالعجمية الرون وهى أشهر مدن خراسان (ابن خلكان)



المعجم القضائى

تأليف الأستاذ خليل شيبوب

هذا سفر آخر ينضاف إلى « معجم النبات » للدكتور أحمد عيسى و« معجم العلوم الطبيعية » للدكتور شرف و« معجم الحيوان » للدكتور الفريق أمين المعلوف ليهيئ اللغة العربية إلى مجاراة الحضارة الثقافية لهذا العهد

إن اضطراب شأن المصطلحات فى لغتنا أمر معروف . ولو أخذنا نرقب أعمال مجمع اللغة العربية فى سبيل تقويمه لنفد الصبر قبل أن تنقع الغلة . فنهوض أفراد من العلماء والأدباء إلى تصنيف المعجمات المختلفة — وإن انطوت هنا وهناك على مغامز — أمر واجب وحقيق بالتنويه

فهذا الجزء الأول من « المعجم القضائى » لصاحبه الأستاذ خليل شيبوب الأديب الأسكندرى والشاعر الابتداعى المعروف . وميزة هذا المعجم أنه يترسم النهج العلمى للمصادر والمراجع القديمة والحديثة التى يقوم عليها ، نحو « أحكام القرآن » للجصاص و« رد المحتار » لابن عابدين و « بدائع الصنائع » للكاسانى و« تنوير الحوالك » للسيوطى و « كتاب الموافقات » للشاطبى ثم « كتاب الفقه على المذاهب الأربعة » لعبد الرحمن الجزيرى

المؤلف لحل مشكلات الأرض المقدسة . فهو يقترح أن يتخلى اليهود عما يملكونه فى الشمال من بئر سبع وأن ينتقلوا كتلة واحدة إلى « النجب » ، ففى هذه المنطقة أربعة آلاف وخمسمائة ميل مربع من الأرض الصالحة للحرث حتى تسترد خصبها القديم المشهور . واليهود بما عرف عنهم من القدرة على استصلاح الأراضى ونشاطهم فى تحويل الغامر عامراً خير من يقوم بهذا العمل

ويشترط فى هذا طبعاً أن يكونوا مستعدين لتحمل المشاق والمصاعب التى تعرضوا لها فى بدء استعمارهم الحديث لفلسطين وأن يكون العرب الذين يقطنون فى منطقة النجب مستعدين أن يغادروها لينزلوا الأراضى التى أصلحها اليهود فى الشمال

وعند المؤلف أنه إذا صح هذا كان فاتحة عهد جديد فى فلسطين.

ومما يتصوره ويتوقعه إنشاء ميناء من الدرجة الأولى فى العقبة فى حالة نجاح هذا المشروع وشق طرق صالحة للمواصلات تؤدى إلى الأسواق المصرية وإنشاء مطارات كثيرة

ومؤلف الكتاب كان من رجال البوليس بفلسطين ويعرف البلاد وسكانها معرفة دقيقة ، ولكن بعده عن فلسطين قطع ما بينه وبين تحول شؤونها فى السنوات الأخيرة

على أن ذلك لم يحل دون نقده لليهود وانقسامهم ونقده للعرب وانقسامهم كذلك

وقد كتب السر متاجيو برتون توطئة للكتاب أشار فيها إلى خطة له من شأنها فى رأيه أن تحل بعض مشكلات فلسطين، وقاعدة هذه الخطة منح العرب جميع الأراضى التى قررتها لهم لجنة بيل ما عدا يافا والنجب وتحويل الباقي إلى مستعمرة من مستعمرات التاج . ويكون هذا النظام تجربة . فاذا رؤى في سنة ١٩٥٠ أن فى الوسع استئناف الشركة العربية اليهودية فعندئذ تمنح البلاد كلها مقام دومنيون . وإذا تعذر استئناف الشركة بين العرب واليهود وظهر أن تجربة المستعمرة أصابت نجاحاً فعندئذ تمنح البلاد ما عدا الأراضى التى استولى عليها العرب مقام دومنيون وتستبقى بريطانيا فى الحالتين حقوقاً دائمة فى مرفأ حيفا وأنابيب النفط والمطارات

والكتاب فى ما عدا ما تقدم تلذ مطالعته وإن غلبت عليه مسحة التشاؤم، لأن الكاتب وقد رأى بعينه حدة النضال بين فريقي العرب واليهود ، قلما تلوح له بارقة أمل فى إمكان الصلح بينهما

و « القانون الدولى العام » لسامي جنينة ومؤلفات أخرى لأمثال نجيب الهلالى والسنهورى وعبد السلام ذهنى

وقد استعان المؤلف — فوق هذا — بكتب أدبية ، نحو « المخصص » لابن سيدة و « صبح الأعشى » و « نهاية الأرب » فأحسن ، وهناك فات المؤلف أن يرجع إلى « مقدمة » ابن خلدون و « الأحكام السلطانيـة » ثم إلى المعجمات المقصورة على الاصطلاحات ، مثل « التعريفات » للجرجانى و « الكليات » لأبي البقاء و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوى ، فضلا عن أنه أهمل تصانيف المستشرقين ولا سيما مباحثهم المنشورة فى دائرة المعارف الاسلامية

ومن ينظر فى هذا المعجم يطمئن إلى الطريقة التى أجرى عليها لما يلازم الفصول والفقر من البحث المطرد والتقصى والتفصيل . غير أن المؤلف قليلا ما يثبت المظانّ ، فيجهل القارئ آللفظة مما استعمله القدماء أم هى من وضع المحدثين

هذا ومما يحسن التنبيه إليه ، على سبيل الاشارة ، أن المؤلف — فى تضاعيف معجمه — يقول :

(ا) ص ٨٨ — « جيش الاستعمار » . والمراد « جيش المستعمرات » Armée colonial (لأن « جيش الاستعمار » هو الذى يُجهَّز لفتح البلد المطلوب استعماره . وأما « جيش المستعمرات » فهو الذى يُعبأ من أهل البلاد المستعمرة . والعبارة الفرنسية تنظر إلى المعنى الأخير

(ب) ص ٢٣١ — « طائفة » والمراد « مِلّة » Communauté religieuse) بمعنى جماعة دينية (ودليل ذلك « كتاب الملل والنحل » للشهرستانى و « المجلس الملى » عندنا فى مصر . وأما لفظة « طائفة » بهذا المعنى فمستحدثة على ما أظن)

(ج) ص ٣٠١ — « العرف . العادة » للمبادئ القانونية « المستمدة من التقاليد والعادات » Coutume . والوجه أن لفظة « العرف » وحدها تفيد المعنى المقصود . وأما لفظة « العادة » فلها مدلول آخر معروف Habitude ، وإن جاور مدلول لفظة « العرف »

وبعد ، فالمعجم فى جملته نفيس لا سبيل عنه لمن يشتغل بالقضاء والمحاماة واللغة

ب . ف

علم النفس فى الحياة

تأليف مانور

ترجمة الأديب نظمى خليل

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

يعتبر علم النفس من العلوم الحديثة التى أخذت تهم جمهور الباحثين ولا سيما بعد أن انفصل من الفلسفة وأصبح له طابع العلم الصحيح . فبعد أن كان الباحث القديم يحاول أن يقف على خصائص الروح ومواطن العقل وعلاقته بالجسم وغيرهما من المسائل الدقيقة الفهم ، البعيدة المنال ، أصبح الآن يفسّر جميع مظاهر سلوك الانسان ويعالج مشاكله النفسية والاجتماعية بالطرق العلمية المعروفة وهى الملاحظة والتجربة

ولقد تقدم البحث فى علم النفس فى الخمسين سنة الأخيرة تقدماً كبيراً حتى تغلغل فى سائر العلوم الأخرى كالطب والتربية والاقتصاد والقانون، كما نشطت حركة التأليف فى علم النفس الاجتماعى ومحاولة تفسير جميع علاقات الانسان فى ضوء النظريات السيكولوجية الحديثة مما كان له أكبر الأثر فى رقي المجتمع وسعادة الأسرة

ومن بين الكتب الحديثة التى عالجت هذا الموضوع ، هذا الكتاب الذي عنيت بنشره لجنة « التأليف والترجمة والنشر » والذي ترجمه إلى اللغة العربية الأستاذ نظمى خليل ترجمة صحيحة تتوافر فيها دقة التركيب وجودة اللفظ وسلاسة الأسلوب

أما موضوع الكتاب فقد شرحه الدكتور « عبد العزيز القوصى » فى مقدمته إذ قال : « يبدأ الكتاب بالتحدث عن الأسس الأولية التى تتكون منها الشخصية ثم طريقة هذا التكوين ثم يعرض إلى وسائل تنمية العادات الطيبة واستئصال العادات الضارة ، ويتخلل هذا الكثير من التفسيرات الصحيحة لغرائب السلوك عند الكبار والصغار، فهو يفسر لنا سلوك من نقابل من إخوتنا وأطفالنا وأصدقائنا وتلاميذنا وأزواجنا ورؤسائنا ومرءوسينا كما يفسر لنا الكثير من سلوكنا الخاص ، وما يدخل فى هذا السلوك من القوى والدوافع شعورية كانت أو لا شعورية ، فطرية أو مكتسبة . ولا ريب أن هذا النوع من المعرفة يجعلنا أقدر على التعامل مع غيرنا ويجعل حياتنا أكثر احتمالا ، وسعادتنا أقرب منالا »

فنحن نرحب بهذا النوع من التأليف العلمى الذى سيتيح لقراء العربية الوقوف على بعض تلك الموضوعات الشائقة والمسائل الدقيقة

(* * *)

6 me Année, No. 264

Lundi - 25 - 7 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٦٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ — ٢٥ يولية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

قنطـــار ثمين

للأستاذ عباس محمود العقاد

رأيي فى الجسم الجميل أنه الجسم الذى لا فضول فيه ، وأنه الجسم الذى تراه فيخيل إليك أن كل عضو فيه يحمل نفسه ، غير محمول على سواه

من هنا جمال الرأس الطامح ، والجيد المشرئب ، والصدر البارز ، والخصر المرهف الممشوق ، والردف المائل ، والساق التى يبدو لك من خفتها وانطلاقها واستوائها أنها لا تحمل شيئاً من الأشياء ، ولا تنهض بعبء من الأعباء

بل من هنا جمال الحيوان الأعجم ، وجمال المهر الكريم وقد اختال بعنقه وشال بذنبه ، وضمر بدنه وأصبح فى جملته كالكلام المختصر المفيد ، أو الكلام المختصر البليغ ، لأنه يبلغ حيث شاء

* * *

كان هذا هو الرأى المصرى فى الجمال قبل بضعة آلاف من السنين ، أيام كان المصريون سادة فى الحياة وكان المثال الفائق عندهم لجمال الرجولة والأنوثة ما نراه على الهياكل من صور الرجال والنساء

ولم يكن هذا هو الرأى المصرى فى الجمال قبل بضعة أجيال ،

يوم ركد المصريون ركود البطء والكسل فأصبحت الكثافة الواهنة عندهم مقياس الملاحة والقسامة ، وأصبح جمل المحمل و « التختروان » مثال الحسن المطلوب فى النساء : تعلو المرأة السمينة وتهبط فى مشيتها وما تنتقل شبراً فى أقل من خطوتين، والمقرظون من حولها يهللون ويكبرون ويباركون الخلاق العظيم ويعوذون هذا الجرم الذى لا تمضى فيه السيوف من لحظات العيون ، ومن حسد الحاسدين !

العالم كله يثوب إلى مذهب المصريين الأقدمين فى جمال النحافة والرشاقة والنسج الدقيق ، ومن العالم كله المصريون المحدثون وشاع هذا المذهب بعد الحرب العظمى أشد من شيوعه فى زمن من الأزمان ، حتى غلا بعضهم فأوشك أن يلتمس الجمال فى الهيا كل المظيمة ، وهى على أية حال أجمل من هيا كل الشحوم واللحوم !

أهى نفحة من نفحات الفن العلوى هبت فجاءة على أذواق الناس فى العالم كله فأصبحوا جميعاً من صاغة التماثيل الملهمين ؟

مثل هذه النفحات — فيما أحسب — أغلى وأرفع من أن تكال جزافاً للملايين فى المغارب والمشارق ، وبين الأذكياء والأغبياء ، وعند من يحسون ولا يحسون

إنما هى « الطيارة » جزاها الله خيراً بما هذبت من أذواق وأصلحت من أخلاق

إنما هى « الطيارة » قد أتمت مذهب السرعة فى كل شىء، والسرعة والخفة لا تفترقان ، والخفة والسمنة لا تتفقان

فالرجل الذى يقفز من القاهرة إلى الاسكندرية فى ساعة واحدة لا يلتفت بعد ذلك إلى امرأة تزن القناطير المقنطرة من الشحم واللحم ، ليعجب منها فى مشيتها بجمل المحمل والتختروان

والرجل الذى يصعد إلى السماء لا يصبر على حمل الجبال ، فالملائكة وحدها هى التى تحسن الصعود إلى تلك الآفاق

وهكذا تعلمنا الآلات أحياناً كيف نشعر وكيف نتذوق الجمال وكيف نصحح الأذواق

***

على شاطئ الاسكندرية — والمصادفة من أجمل المصادفات — طيارة فى الهواء ، وفتاة على الأرض هى أولى بالطيران من تلك الحديدة الصاعدة ؛ بل هى تطير ولا يتخيلها الناظر إلا طائرة تفلت من لحظات العيون وخطرات الأرواح

لا تحس العين أنها أدركتها ، لأنها إذا أدركتها تأملت فيها وسرحت فى معانيها ، فاذا هى بعيد بعيد، أبعد من الفراش الذى يقع عليه الطفل فإذا هو على الغصن ، ويثب إليه فى غصنه فإذا هو فى الهواء

تلك هى القنطار الثمين !

لأنها لا تزيد فى الوزن على قنطار ، ولم يخلق فى الدنيا قنطار أثمن وأولى بالاقتناء منها ، أيا كان معدنه ومبناه

جمالها يزيدك عجباً من دقتها ، ودقتها تغريك بوزنها وتقويمها. فأما الوزن فهو ما علمت ؛ وأما التقويم فهو مالا تعلم ومالا يدخل فى حساب ، لأن هزة من الشعور قد تسومها بكنوز الأرضين والبحار ، وهزة من الشعور قد تبذلها رخيصة لمن تهواه

قل إنها تساوى وزنها من ذهب

وقل إنها تساوى وزنها من كريم الجوهر

فإنما الحياة هنـا هى مقياس التقويم والتقدير ، وما أحسب شيئاً فى هذا العالم إلا ومرجع تقويمه إلى حظه من الحياة

وإلا فكم يساوى القصر المشيد إذا لم يشعر به الساكن فخامة وزهواً وجمالا وطمأنينة وراحة ، ولم يشعر به الناظر هيبة واستحساناً ورغبة ؟

وكم تساوى السيارة إذا لم يشعر بها راكبها ولم يسعر بهـا ناظرها ولم يشعر بها من يملكها ومن يتمناها ؟

إنما «الاقتصاد» الصحيح هو اقتصاد « الفنان » لا اقتصاد السماسرة وحملة السهوم ومديري المصارف والشركات

إنما الاقتصاد الصحيح هو الذى يقوّم هـذا القنطار الثمين فإذا هو أثمن من كل قنطار فى معادن هذه الدنيا ، لأن ما يحويه من ذخائر الشعور أكبر وأنفس من كل مملوك ومذخور

وإنه ليرخص بالشعور كما يغلو بالشعور . فدع قنطارنا هـذا الثمين يهيم حباً بمن شغل عنه، ثم أنظر كم يكون له من ثمن، وكم يكون له من وزن، وكم يكون له فى رأي نفسه من حساب وتقويم!

وما ندرى أمن حسن الحظ أم من سوئه كما يقولون أننـا نشعر بالقصور ولا تشعر بنا القصور !!

والا فلو وهبت كل قنية ثمينة نفسا تريد هذا المالك ولا تريد ذاك فماذا يبقى من الأثمان ؟ وماذا يبقى من البيع والشراء ؟

هذا القصر يبذل نفسه لمن يريده بغير ثمن ، ويأبى أن يأوى إليه شارٍ غيره ولو بذل فيه ألوف الألوف ؛ فهو تارة بدرهم وتارة بالألوف المؤلفة من الدنانير ، وهو تارة أخرى بالمجان لمن لا يسومه حتى بهذا الثمن الرخيص

إن دل هذا على شئ فانما يدل على أن الشعور هو « وحدة » التقويم والتسويم فى كل ما نملك وما نريد ، وأن الذين يشبعون من الحياة هم أغنى الناس وأعظم أصحاب الثراء ، وان لم يعرف لهم اسم فى خزانات المصارف ودفاتر الشركات

أنت يابنية ذخيرة في الحياة

أنت يابنية كنز من الفتنة والحب والمتعة واللذائذ والآمال والأشجان والأحلام

أنت يابنية قنطار ترخص عنده قناطير الذهب والفضة وقناطير الجواهر والفصوص

أنت كل هذا حتى يأخذ منك الشعور ما اعطاك الشعور .
وسألت من خلقك هذا الخلق السوى الا يأخذ منك إلا بمقدار ما يعطيك ، وألا يرغّبك إلا بمقدار ما يرغب فيك ، فليس آلم من هوان النفيس عند الصيرفى العليم بالحياة إلا نفاسة المهين الزهيد

أنت يابنية هكذا فى لغة الزمان الذى لا نسمع فيه إلا « كم نقصت فلانة » وكم زاد فلان ؟ وكم يساوى هـذا وتلك فى أسمار الأوان ؟

وعلى مقربة من « مثابة » الأسكندرية ما أشبه هـذه اللغة بأسلوب المكان !

***

على شاطئ الأسكندرية ثروة لمن أحب الغنى

ثروة لم يملكها قارون عند من يحسب موارده بحساب الحياة

وكل ما تتقاضاك من جهد بضع نظرات

عباس محمود العقاد

بين الشرق والغرب

رد على رد

للأستاذ فليكس فارس

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

أى صديقى أدهم إن الغرب لا يرتقص على براكين من النار إلا لحفره مثل هذه الآيات القاتلات على ألواحه . . .

إن صاحبك هابل الكاتب الذكى الذى قام بدور له شأنه فى عالم الأدب لا يقصد الجدّ فيما يقول ، بل هو يتهكم تهكماً ويقول للناس : إن العقلية الشرقية تلائم الحياة الباقية ، « فاذا » انتقلتم إلى الأخرى فهنالك اتبعوا وحى هذه العقلية !

إن « إذا » لا تفيد الظرفية هنا بل تفيد شرطاً ممتنعاً وما هى إلاّ أداة تحدّ صريح وإنكار مطلق لكل ما لا يقع تحت الحواس الخمس ، فكأنك أيها المناظر الكريم وأنت تدعونا إلى اقتباس العقلية الغربية ، تهيب بنا مع صديقك هابل آدم إلى الاعتقاد بالعدم قبل الحياة وبعد الحياة . فهل يجاريك علماء الغرب الذى نباهى بحضارته ؟ هل يوافقك من يدعون أهل الشرق معك إلى الاتجاه نحو الحضارة الغربية فى القول بأن هذه الحضارة الآرية لم تصل إلى ما وصلت إليه إلاّ عن طريق الإلحاد ؟

إن حضارة الأقوام التى ترغب إلينا أن نقتبسها إنما بُنيت فى تاريخها القديم كما بنيت فى تاريخها الحديث على الاعتقاد بحياة أخرى . وما تدعوه « منطق الغرب الإثباتى » الذى ورثه الرومان عن الإغريق هذا المنطق الذى تنكره على العرب لأنهم ذوو استلهام ولأنهم يؤمنون بالغيب ويوحّدون علة الوجود ، إنما هو منطق نشأ فى ذهنية فلاسفة كانوا يؤمنون « بأولب » يغصّ بالآلهة ذكوراً وإناثاً ؛ تلك كانت حضارة الغرب القديمة لم تقتل المنطقَ فيها حتى عبادة الأوثان ولكنها لم تكن إلاّ حضارة غاشمة شُطرت فيها الانسانية إلى شطرين : الانسانية المتنعّمة . والانسانية التى تعرق دماً تحت لسعات السياط

أما حضارة أوروبا الحديثة فقد قامت على ما نعلم بتعاليم عيسى ،

وإذا كان قد بقى فيها شىء من الرحمة فهى من آثار موعظة هذا الناصرى على جبل من جبال الشرق . وإذا كان قد هبّ فيها بعد انتصار شارل مارتل من دعوا إلى إصلاح المسيحية فما كان صوت هؤلاء المصلحين إلاّ صدىً للصوت الذى دوى فى صحراء العرب منذ ثلاثة عشر قرناً . . .

إن الإيمان الشرقى الذى يدعوه الناظر نسكاً أسيوياً لم يحُل إذاً دون سير الغرب على سبيل الاكتشاف والاختراع، وما منع باستور إيمانه وتدينه من اكتشاف الجراثيم وإيجاد أمصالها لانقاذ الانسانية من أفظع أدوائها . وما كان أديسون وماركونى ومن تقدمهما من المخترعين إلاّ من المؤمنين بالله وباليوم الأخير

إن الدكتور أدهم يريد أن يميز بين عقلية الشرقى وعقلية الغربى فيقول إن الأولى مستسلمة « محضاً » للقضاء والقدر تخضع للغيب، والثانية تناضل نضالاً « محضاً » ضد الغيب.

أما أن يكون الشرقى هذا المستسلم الضعيف فما يكذبه التاريخ ، تاريخ المسيحية وتاريخ الاسلام على السواء ، فما كان المسيحيون الأولون ليجبنوا حتى بين أشداق الأسود ، وما كان المسلمون إلا مجاهدين بالجهادين، توكلوا فما توا كلوا وسلموا أمرهم لله فما استسلموا لزعازع الحياة بل أرغموها إرغاما ليسيطروا عليها بمكارم الأخلاق .

أما قول الناظر بأن العقلية الغربية تناضل ضد الغيب فقول فيه جنوح فى التعبير ، ولا نعتقد أن الدكتور أدهم يقصد الغيب بل أسرار المادة وما يكمن فيها من تفاعل، لأن الغرب إنما هو من هذه الانسانية التى حُدت قواها فوقفت واجمة أمام نظام الكون وسرّ الحياة والموت ، وما نعلم أن العمل على درس خفايا المادة كان وقفاً على الغرب دون سواه، وقد رأينا العرب يذهبون إلى أبعد الأشواط فى هذا السبيل .

هذا وان الحضارات قد توالت على هذه الغبراء فكان لكل أمة دورها فى الاعتلاء والانحطاط ، فما تراث الذهنية العلمية إلا مشاع لكل رأس فيه دماغ يفكر لاستخدام عناصر الطبيعة لمنفعته.

ليس هنالك إذاً عقلان عقلٌ للغرب وعقلٌ للشرق فى ميادين الاستقراء؛ غير أن هنالك فطرة أو ثقافة تختلف بين شعب وشعب. وقد أراد الناظر أن ينكر استقلال الثقافة الأدبية عن العلم الوضعى فاسماها روحاً كأنه يمحو أثرها باستبدال اسمها .

لتكن الثقافة روحاً كما يريد الدكتور أدهم ، فلماذا يطلب حضرته أن يلفظ أبناءُ الشرق روحهم لتتقمص روح الغرب حضارتهم ؟

ثم أليس من غرائب المنطق أن يقول الناظر بفرعونية مصر وبتمردها على العروبة نيفاً وثلاثة عشر قرنا ثم يطلب منها أن تتفرنج بين عشية وضحاها ؟

إذا كان ما يرمى إليه الدكتور أدهم من تفرنج مصر دفعها إلى طريق الرقى العمرانى فقد أثبتناله أن مصر كسائر البلاد العربية تأخذ بالحكمة السامية: « أطلبوا العلم ولو فى الصين » فلا تأنف من الأخذ بعلوم أوروبا الوضعية كما أخذ أجدادنا بعلوم الاغريق من قبل دون أن « يستغرقوا » فعلام يراد منا أن «نستغرب» نحن ؟ . . .

ما هى الفائدة التى يرجوها الناظر لمصر إذا هى أنكرت إيمانها وأفسدت لغتها وتغنت على الأنغام الافرنجية التى تتنافر مع ذوقها وحتى مع مخارج ألفاظها ، ورقّصت أبناءها وبناتها متفاخذين متباطنين متناهدين ؟ . . .

أية فائدة نرجوها لمجتمعنا إذا نحن أعرضنا عن الأخذ بحضارة تموت مبادئها العليا فى سرائرنا لنصبح كالقردة مقلدين نتحرك تبعاً لحوافز غيرنا ؟

وأخيراً لا يظنن مفكرٌ أننا نقصد بالحضارة العربية هذه الحالة الراهنة التى أوصلتنا إليها قرون من الويلات والعبودية أرهقتنا حتى تنكرت لنا أنفسنا

لقد طغت على مجتمعنا فى معتقداته وفى نظم أسرته وفى آدابه وفى حكوماته دخيلات من متخلفات جميع العصور وجميع الأمم ، فنحن اليوم أشبه بنبيل أخنى عليه الدهر فأجاعه ، فهو يأكل من فضلات موائد الأمم ، ومزّق ثوبه فهو يستر عورته بترقيعه ملتقطاً له الخرق أمام كل بيت غريب ، ومن كل مزبلة تعترض طريقه .

أما والله ما يُهيب بنا إلى الدعوة لإقامة حضارة عربية شرقية بهذه الأوطان إلاّ الاشمئزاز يستذرف الدمع لما يصدم سريرتنا كل يوم من هذه المساخر تتمشى وهى لا تبالى على قبور الأجداد وعلى مهود الأطفال

وقد يكون هذا النفور نفسه مايدفع بالمفكرين الأجانب حتى وبعدد من مفكرى العرب أنفسهم إلى الإهابة بالشرق للنهوض من كبوته ليستبدل بروحه الراقدة روحاً غربية ناهضة

إنها لعاطفة قد يكون الألم والاشفاق مصدريها ، ولكن العربى الأصيل بما يسمع فى أجواء نفسه من هتاف القبور لا يقطع الرجاء من حقه في الحياة

لقد ذهبت الطوائف الدينية كل من جهتها مذاهب جد غريبة عن روح الدين الذي أنار الدنيا من مشارقها حتى أصبح من الأسهل عليها أن تمتنق الإلحاد من أن تقضى على تعصبها وتطرح التأويل التى تقضى على اتحادها على الأقل فى إقامة حضارة تكفل حياتها

لقد تبلبلت النظم الاجتماعية بيننا إلى درجة يسهل على شعوبنا فيها أن تُغرق فطرتها الأصلية المريضة فى تيارات مدنية الغرب من أن تستفيد منها قوتها وتعمل على شفائها

إن الاندفاع إلى الأغوار أسهل على المتعب من العودة إلى تسلق الذرى التى انزلق عنها

ولكن أرضى النفوس العربية النابهة التى لا تجهل ما يكمن فى هذه البلاد من قوى أن تتخير الجود فلا تقوم بواجبها لتحول دون انتحار شعب بزغت أنوار الهداية من آفاقه وبقيت حضارته مدى أربعين قرناً محوراً لتيارات التفكير فى العالم ؟

لتكتب الأقلام العربية فى هذا المطلب ، لتملأ الصحف السيارة بالآراء، وليتناقش المفكرون

إن كل أمة قد مرّت على مفرق الطرق قبلنا لم يتأخر مفكروها عن وضع الكتب الضخمة فالتهمها الشعب الحائر التهاماً ، أما هنا فمن العبث أن نعقد الفصول الطوال فى كتب عناوينها نفسها تنفر جمهور القراء منها

لقد نشرت في العام المنصرم كتاباً بعنوان « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » فاستنفد نصف نسخه فى بلاد المهاجر حيث يعرف النازحون قيمة الوطن، وحيث يشعرون بغربتهم فى حضارات ليسوا منها وليست منهم . أما هنا فى الأقطار العربية فلم يقرأ كتابى إلا أربعمائة قارئ أهديتهم إياه وثلثهم أو أكثر لم يتفضل بإرسال بطاقة أعرف منها وصول الكتاب إليه

إن معظم القراء يهتمون للمشاكل الراهنة الجوالة من الأمور السياسية والادارية التى تؤثر فى حياتهم فى يومهم ، فنحن نعيش لعصرنا كأننا لا نترك على أرض الشرق أبناءنا وأحفادنا

لقد تناولت فى رسالة المنبر بحث ما نحن عليه الآن وما يجب أن نأخذ به من حضارة تتوافق وسرائرنا وأحوالنا ، فان أنا أردت استيفاء موضوعى الآن حقه اضطررت أن أنشر كتابى برمته على صفحات الرسالة . فلأكتفين الآن بإيراد فقرة من مقدمته أجعلها ختاماً لهذا الرد [(١)]

« إننى ما زلت معتقداً منذ قدر لى أن اعتلى المنابر أن هذه البلاد العربية مستودع لأشرف الثقافات ومكمن لأسمى المواهب، وإن من واجب اجناد المنابر والأقلام فيها إظهار هذه القوات لأبنائها نزوعاً بهم عن الانقياد لدخيلات العادات والأخلاق التى تغلّبت عليهم بما أوجدوه من التوهم فى أنفسهم فاستصغروها .

إن كلاً من سلالات العالم تنتفض الآن لتنبه ما يكمن فى قومياتها من حوافز وهى تناوئ قوميتنا الساميّة منزلتها منزلة تنحط عن مراتب الشعوب الآرية . فالأقوام المنتشرة فى جزيرة العرب وفلسطين وسوريا ولبنان ووادى الفرات ووادى النيل وعلى الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط وشواطئ البحر الأحمر تدمغها حضارات الغرب والعالم الجديد بطابع التواكل والخمول، فى حين أن القومية فى الشرق العربى لا تقف تجاه السلالات المنكمشة على ذاتها فى العالم موقف كتلة تبنى وحدتها على الميزات الجسمية مفتشة عن الوحدة فى الأنساب والعروق بل هي تبنيها على الميزات الروحية فى حوافز أصبحت فطرة لكل سلالة قديمة توطنت هذه البلاد التى خشع عظماء العالم تحت سمائها الصافية وفوق أرضها المطهرة بدماء الشهداء من أجل الأخاء الانسانى والحق المطلق . فاذا ما افتخرت قوميات الدنيا بالعرق ، فانما نحن نباهى بالفكرة الحية السماوية التى أقامت من شتاتنا أسرة واحدة كلمة التعارف بينها اسم الواحد الأحد رب العالمين »

فليكس فارس

---

(١) أرجو سيدى الأستاذ الكبير صاحب الرسالة أن يتفضل باستيداع مائة نسخة من رسالة المنبر توزع بمعرفته مجاناً لمن يهمهم من قراء رسالته الاطلاع على ما دونته فى كتابى عن قضية الشرق والغرب .

حظى بالشيء ...

الرافعي ، المجمع اللغوى ، أزهرى
المنصورة ، اليازجي ... ...

لأستاذ جليل

— ١ —

روى الكاتب الألمعىّ الأستاذ محمد سعيد العريان فى مقالاته الرشيقة الرافعية شيئاً من حكاية هذا الفعل : (حظى بكذا) وأعلن — وهو صديق أبى السّامىّ[1] الصادق المصدق — أن صاحب هذا الاسم : (أديب صغير) فى (البلاغ) هو الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعى (رحمه الله) وإنه ليؤيد إعلانَ الأستاذ (العريان) بلاغةٌ فى القول المعزو إلى فقيد العربية وبراعة ولباقة بتصريفه وتوجيهه حيث يشاء . وهل يقدر على مثل ذلك إلا الأديب المقتدر ، إلا الأديب الرافعى

ومما ينفع الأدباء ويخدم به هذا اللسان أن يروى فى (الرسالة) مجلة العرب، وسجلّ اللغة والبلاغة والأدب — ما قيل في تغليط من قال : (حظى بالشيء) وتصويبه

وحظى بكذا، وفاز به، وحصّله، وأدركه — من الترادف[2] والفعل الأول هو فى الكلام العربي وفى أقوال كبار، ولم يُخَطَّأ إلا فى هذا الزمان ، خطأه الشيخ ابرهيم اليازجى اللغوى الكبير فى مجلته (الضياء) فى ثلاثة مواضع ، وخطأه الأديب الكبير الأستاذ الرافعى (رحمه الله) فى (البلاغ) وصوّب قائليه المرحوم العالم الفقيه الشيخ حسين والى : (المجمع اللغوى) والأستاذ (أزهرى المنصورة)

وسأورد فى هذه الفصول من أقوال المغلِّطين والمصوِّبين ما يستوجبه البحث وما يفيد ثم أتبعه طائفة من شعر القوم وكلام الأئمة تحقّ صحة ذاك الفعل . وهناك الشرح والتعليق إذا اقتضتهما حال

(١) كنية فقيد العربية

(٢) الترادف أن تكون أسماء لشيء واحد وهى مولدة ، ومشتقة من تراكب الأشياء، نقله الصاغانى (التاج) وفي (المزهر) : الألفاظ التى بمعنى واحد تنقسم إلى ألفاظ متواردة وألفاظ مترادفة ، فالمتواردة كما تسمى الخمر عقاراً وصهباء وقهوة ، والمترادفة هى التى يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد كما يقال : أصلح الفاسد ، ولم الشعث وشعب الصدع

وإنى لأجهر اليوم بجهرى أمس بأن هذا الذى أمليه — وهل كانب غيرى فى أدب الرافعى فى (الرسالة) أو غيرها إلا مثلى — هو من إحسان الأستاذ (العريان) ومن معروف الأستاذ (الرافعى) المفضل الجارى على العربية فى الحياة وفى الممات

فتًى عيش فى معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا[1]

والرافعى فى أدبه أعظم ممن قيل فيه هذا البيت فى كرمه أديب كبير شعر فجوّد ، ثم نثر فبهر ، وكان (وحيُه) فى (الرسالة) فكان ختام كلامه فى حياته مسكا

وفى هذا المقام أقول : إن أخطأ كبير فى لفظة أو مقالة فهذا دليل الانسانية ، برهان أنه إنسان ، وأىّ أديب لا يخطىء ؟ وأى عالم لا يهفو ؟ وأى عظيم مازل ؟ «ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها » كما قال بشار

ولن يضع من فاضل باحث خفيت عليه فى مباحثه خافية أو خافيات ثم يُبيِّنت له — أن يتقبل هذا التبيين أو التذكير بقبول حسن ، فان كان ثمة نقص تم ، أو كان خطأ أصلح ، أو كان لبْس وضح ؛ إنه العلم ينوره ويَزينه التحقيق ، وانه العالم يجله ويعليه الاذعان للحق

ومن مزايا الأدباء المهذبين ، والفضلاء الكاملين ، والعلماء المسلمين — العملُ بقول الله : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » .

***

كان (مجمع اللغة العربية الملكى) — وقد قيلت فى تكوينه أقوال ، وأى شىء أو أى شخص فى هذه الدنيا يخلص من القيل والقال — واجتمعت رجاله من العرب والمَرْبانيين[2] فى داره

(١) من مقطعة محكمة مشهورة فى (حماسة أبى تمام) للحسين بن مطير فى رثاء معن بن زائدة الشيبانى . قال الامام التبريزى : « ارتفع مجراه بكان ، وكان الحكم أن يليه فلم ينبغ لأن الضمير يرجع إلى السيل ، وقد تقدم عليه ، والاضمار قبل الذكر فيما يجرى مجراه لا يجوز ، وتلخيص الكلام كما كان مجري السيل مرتعاً بعده » ومعن بن زائدة هو من أجواد الاسلام المشهورين . وفى (العقد) « كان يقال في معن : حدث عن البحر ولا حرج ، وحدث عن معن ولا حرج »

(٢) في (شرح أدب الكتاب) لموهوب بن احمد الجواليقي : « إذا نسبت رجلا إلى أنه من اعراب البادية قلت : اعرابى . ولايقال : عربى لئلا يشتبه بالنسبة إلى أهل الامصار . قال الفراء : إذا نسبت رجلا إلى أنه يتكلم بالعربية وهو من العجم قلت : « رجل عربانى » ومثل ذلك فى (الف با) لأبى الحجاج البلوى

فى شارع (ابن ارحب) في (الجزيرة) فى ١٤ من شوال سنة ١٣٥٢ ولم ينشد النشد فى ذاك الجمع بيت المتنبى :

تجمع فيه كل لِسْن وأمة   فاتفهم الحُدّاث الاالتراجم (١)

بل انشد بيت البحتري :

إذا تقاربت الآداب والتأمت   دنت مسافة بين العجم والعرب

وقال رئيسه (كلمة الافتتاح) وفيها تحية الأعضاء ، والترحيب بهم وتهنئتهم ، ثم تلفظ عضو بـ (كلمة الشكر) شكر فيها للرئيس تحيته ، ودعا لحضرة صاحب الجلالة الملك الذى « رفع شأن مصر بين الأمم وشأن الدين الاسلامى واللغة العربية بهذا المجمع » ثم أرسلت الجماعة إلى « حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء » بهذه البرقية :

« قصر عابدين

حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء

أرجو أن ترفعوا إلى السُّدة الملكية السامية ، أن أعضاء مجمع اللغة العربية الملكى ، المجتمعين من مصر والبلاد العربية والغربية ، فى عهد حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم — ذلك العهد الناهض باللغة العربية وآدابها المزدهر بالعلوم والفنون — يتضرعون إلى الله تعالى أن يمن على جلالته بالشفاء التام ، والصحة الكاملة ، ليحظى المجمع بتشريف جلالته لافتتاحه قريبا ان شاء الله تعالى ، وينتهزون هذه الفرصة لرفع ولائهم وإخلاصهم إلى صاحب العرش المُفَدّى

٣٠ من يناير سنة ١٩٣٤   عن أعضاء المجمع

محمد توفيق رفعت »

قلت : ياليت ، ياليت أن القوم استبدلوا التاريخ الاسلامي فى برقيتهم بهذا التاريخ الفرنجى

فلّتنا أنّنا مسلمون   على دين صدّيقنا والنبى (٢)

***

حدّثت الجرائد فى اليوم الثانى (١٥ شوال ١٣٥٢) أخبار المجمع ، وأوردت فيها تلك البرقية ، فظهرت فى جريدة (البلاغ) المشهورة فى ١٦ شوال ١٣٥٢ كلمة عنوانها (أول الغلط من المجمع اللغوى) للأستاذ (أديب صغير) وهو الأديب الكبير الأستاذ الرافعى (رحمه الله) قال فيها :

« قالت إحدى الصحف إن حضرات أعضاء المجمع اللغوى اجتمعوا : إلى أن قالت : واتفقوا على إرسال البرقية التالية ورفعها إلى الأعتاب الملكية وهذا نصها » ثم ذكر البرقية ونقد اضطرابا فى أسلوبها العربى رآه ثم قال : « وما لهذا كتبنا هذه الكلمة وإنما كتبناها لنسأل حضرات أعضاء المجمع اللغوى فى أى كلام فصيح جاء مثل هذا التعبير (ليحظي المجمع بتشريف جلالته) وهل يجوز استعمال الباء مع حظى ثم هل يعرف حضراتهم كيف دار هذا الفعل (يحظى) فى كلام المتأخرين ، ومن أى معنى أخذوه ، وكيف مكنوا له فى استعمالهم هذا التمكين ؟ فانهم إن عرفوا هذا كان ذلك نقداً آخر. ويقولون (تشريف جلالته لافتتاحه) ففى أى كلام عربى يستعمل التشريف بمعنى الحضور ؟ إنا نسمع العامة يعظمون الضيف فيقولون (شرفت) وهم بالطبع لا يريدون معني حضرت إذ يكون هذا عبثا من الكلام . غير أن المجمع اللغوى استعمل التشريف بمعنى الحضور ، وهو خطأ شائع »

***

اطلع المجمع اللغوي على هذا النقد فنشر المرحوم الشيخ حسين والى فى (البلاغ ١٧ شوال ١٣٥٢) كلمة عنوانها (نقد فى غير محله) قال فيها :

« نشر البلاغ (لأديب صغير) مقالة بعنوان (أول الغلط من المجمع اللغوى) ينقد فيها كما زعم كلاما هو فى الحقيقة رفيع وَفق أصول البلاغة والحال التى اقتضته ، ولم تنحرف كلمة منه عن جادة العربية » ثم أشار إلى سداد الكلام واطراده ثم قال : « وقال الناقد (وهل يجوز استعمال الباء مع حظى) نعم يجوز فقد قال الزمخشرى فى أساس البلاغة (وحظى بالمال وتقول ما حلى ببطائل ولا حظى بنائل وأحظاه الله بالمال والبنين) وقال الناقد (ويقولون تشريف جلالته لافتتاحه وفى أي كلام عربى يستعمل التشريف بمعنى الحضور) لم يستعمل التشريف بمعنى الحضور ، وإنما استعمل بمعناه الأصلى ومموله مفهوم أى تشريف جلالته إياه ، فليرجع الناقد إلى علم البلاغة »

الاسكندرية   (***)

---

(١) فى شرح العكبرى : « اللسن : اللغة واللسان أيضا ، وقرأ أبو السمال العدوى : وما أرسلنا من رسول إلا بلسن قومه أي بلغتهم ، والحداث جمع حادث وهو بمعني متحدث » قلت : الحداث جمع على غير قياس حملا على نظيره نحو سامر وسمار فان السمار المحدثون كما فى (النهاية) وقلت : جاءت (تفهم) فى النسخ المطبوعة من الديوان ، وهنا (الا) وهذا فى شعرهم وقد قرىء (ان كانت إلا صيحة واحدة) برفع صيحة كما قال ابن هشام

(٢) للصلتان العبدى وقد أورده الامام الثعالبي فى (أسرار العربية) وقال قبله « العرب تبتدئ بذكر الشيء والمقدم غيره

جورجياس
او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٥ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائماً وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »

٣ — شيريفين : تلميذ سقراط : « س »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »(1)

ط — (رداً على جورجياس) وإذاً فما دام البيان ليس هو الفن الوحيد الذى ينتج الاقناع ، وما دامت هناك فنون أخرى تنتج من الاقناع بقدر ما ينتج البيان ، فمن حقنا أن نسأل زيادة على ما تقدم (كما سألنا فى موضوع المصور) : بأى إقناع يختص البيان ؟ وما موضوع ذلك الاقناع ؟ ألست ترى أن هذا السؤال الثانى مناسباً ؟

ج — إنه لكذلك

(١) قال جورجياس فى العدد الماضى إن البيان هو فن الاقناع ، فأثبت له سقراط أن علماً كالحساب أو غيره يستعين بالاقناع كما يستعين البيان . وسنرى اليوم كيف يتقدم الحوار حول الموضوع الحقيقى للبيان ، وكيف يصل إلى ناحية العدل والظلم . « المعرب »

ط — فأجب إذاً ما دمت تراه مناسباً

ج — حسن يا سقراط . إننى أعنى الاقناع الذى يُؤخذ به فى المحاكم والجميات الأخرى العمومية كما قلت منذ هنيهة ، والذى يتعلق بالأشياء الظالمة والعادلة

ط — لقد كنت أشك فى أنك تمنى حقيقة هذه الأشياء وذلك الاقناع ، ولكنني أسألك مع ذلك من جديد ، وأرجو ألا تعجب إذا طلبت منك فى مجرى الحديث أن تشرح ما يبدو واضحاً من الأشياء ، إذ لست أفعل ذلك من أجلك كما قلت قبلاً وإنما أفعله من أجل البحث كيما يتتابع منتظما ، وكيما لا تتذبذب أفكارنا إزاء الأوهام البسيطة يمنة ويسرة ، وكيما تستطيع أنت أخيراً أن تكمل القول حسبما تشاء ، ووفقاً لما تضع من أصول .

ج — أرى أن ليس هناك أحصف من ذلك السلوك ياسقراط

ط — فلنتقدم إذاً ولنبحث ذلك أيضاً : أتسلم بما يُدعى « معرفة ؟ »

ج — نعم

ط — وبما يدعى « عقيدة ؟ »

ج — نعم

ط — وهل ترى أن المعرفة والعقيدة — أى العلم والاعتقاد شئ واحد أو شيئان مختلفان ؟

ج — أرى يا سقراط أنهما شيئان مختلفان

ط — إنك تقول حقاً ، وتستطيع أن تحكم على هذا النحو إذا سألك سائل قائلاً : هناك يا جورجياس اعتقاد باطل وآخر حق ؟ ألست ستوافقه على ذلك دون ريب ؟

ج — بلى

ط -- ولكن ماذا ؟ أهناك بالمثل علم باطل وآخر حق ؟

ج — كلا بالتأكيد

ط — فواضح إذاً أن الأمر ليس واحداً ؟

ج — ذلك صحيح

ط — ومع ذلك فأولئك الذين « يعرفون » يقتنعون كما يقتنع أولئك الذين « يعتقدون »

ج — أوافقك على ذلك

ط — وإذاً أنستطيع أن نضع نتيجة لذلك نوعين من

الاقناع ، أحدهما ينتج الاعتقاد من غير علم ، والآخر ينتج العلم فحسب ؟

ج — حسن جداً

ط — وأى هذين النوعين يستعمله البيان بالمحاكم وبالجمعيات الأخرى فى موضوع العدل والظلم ؟ أهو الذى ينتج العقيدة بلا علم ؟ ، أم هو الذى ينتج العلم فحسب ؟

ج — واضح يا سقراط أنه هو الذى ينتج العقيدة

ط — فالبيان إذا – كما يلوح – عامل الاقناع المولد «للاعتقاد» فى موضوع العدل والظلم ، لا المولد « للمعرفة » فى ذلك الموضوع ؟

ج — نعم .

ط — ولا يُعنى الخطيب فى المحاكم وغيرها من الجمعيات بتعليم العدل والظلم ، ولكنه يسعى فقط لحمل الناس على «الاعتقاد» بهما . ثم هو لن يستطيع أن « يُعلم » أفراداً كثيرين دفعة واحدة مثل تلك الموضوعات الخطيرة فى وقت قليل كهذا [1]

ج — كلا بلا شك .

ط — وإذ قد قررنا ذلك أرجو أن نبحث عما ينبغى أن نقوله فى البيان لأنى لم أكون بعد فكرة دقيقة عما يجب أن أقوله فيه . عند ما يجتمع أهل المدينة ليختاروا الأطباء وبناة السفن ومن عداهم من أنواع الصناع ، أليس صحيحا أنه سوف لا يكون للخطيب أو « رجل البيان » هنا نصيحة يقدمها ، ما دام واضحا أنه يجب أن نختار الأكفأ والأمهر فى كل من هذه المهن ؟ ؟ وبالمثل فى بناء الأسوار والموانى ومصانع الأسلحة : ألا نأخذ بآراء المهندسين ؟ ؟ بل وعند ما نتناقش فى اختيار أحد القواد أو فى النظام الذى نتقدم به نحو العدو أو فى الموانى التى يجب أن نستولى عليها : ألا يبدى هنا رجال الحرب رأيهم من دون الخطباء ؟ ؟ ما رأيك فى هذا ياجورجياس ؟ إنك رجل بيان ، وإنك لقادر على تأليف الخطب ، فأنت خير من يتوجه إليه المرء لمعرفة أساس فنك . ، وتستطيع أن تصور لنفسك فضلا عن ذلك أننى أعمل هنا من أجل مصلحتك . وأنه قد يوجد بين المساعدين من يرغبون فى أن يكونوا تلاميذ لك كما ألاحظ فى الواقع ، ومن هم كثيرون فى عددهم إلى حد كبير ، ولكنهم قد لا يجرؤون مع ذلك على توجيه الأسئلة إليك . . ؛ وإذا فاقنع نفسك بأننى عند ما أسألك فانما أفعل كما لو كانوا هم أنفسهم يسألونك قائلين : ماذا عساه يحدث لنا لو قد أخذنا بدروسك ياجورجياس ؟؟ وعلى أى أساس نعتمد عند ما نسدي النصح إلى مواطنينا ؟ ؟ أنعتمد على العدل والظلم فحسب ؟ أم أيضا على تلك الموضوعات الأخرى التى تكلم عنها سقراط توا ؟؟ . فحاول إذا أن تجيبهم ! ؟

ج — أريد فى الواقع يا سقراط أن أوضح بالتدريج كل خصائص البيان لأنك قد وضعتنى تماماً في الطريق حقاً وأحسب أنك تعلم يقيناً أن مصانع أسلحة الأثينيين وأسوارهم وموانيهم إنما أنشئت برأي « تمستوكل » من ناحية ، وبرأى « بركليس » من ناحية أخرى دون أن يؤخذ رأى واحد من الصناع ! [1]

ط — اعلم يا جورجياس ما يقولون عن « تمستوكل » . أما « بركليس » فقد سمعته بنفسى عندما كان ينصح الأثينيين باقامة سور « مينشى [2] »

ج — وهكذا ترى يا سقراط أنه عندما نحتاج إلى بحث الموضوعات التى تتحدث عنها فهم الخطباء الذين ينصحون والذين يعلو رأيهم !

ط — وهذا ما يثير العجب فى نفسى أيضاً يا جورجياس ، وما قد دفعنى إلى توجيه السؤال إليك عن خواص البيان طوال ذلك الوقت . ويلوح لى أن دراسة تلك الخواص على ذلك النحو عظيمة للغاية

ج — إذا عرفت كل شىء ياسقراط فسترى أن البيان يحوى على ذلك الرأى جميع خصائص الفنون الأخرى. وبرهانى على ذلك قاطع ومؤثر . إذ كثيرا ما دخلت مع أخى وأطباء كثيرين على مرضى معينين ممن كانوا لا يتناولون جرعة الدواء ولا يقاسون الحديد والنار بسبب عجز الطبيب عن كسب نفوسهم ؛ وممن نجحت أنا أخيرا معهم دون مساعد غير فن البيان ...

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) يقصد وقت وقوفه أمام الجماهير الكثيرة فى الجمعيات والمحاكم . إذ واضح أن هذا الوقت لا يصلح لغير التهويش

(١) فكأن تلك الاستعدادات لم تتم على ما أقيمت عليه من قوة ومنعة إلا بفضل رجال البيان فى عرف جورجياس

(٢) أحد أسوار المدينة « المعرب »

دراسات للمستشرقين

قيمة التراجم الأعجمية الموجودة للقرآن

للعلامة الأستاذ الدكتور أ. فيشر

— ٢ —

ذكر الأستاذ ى. شاخت J. Schacht فى بدء مقدمته لكتاب للمطالعة فى تاريخ الأديان عنوانه :

("Der Islam. Mit Ausschluss des Qor'àns," Tübingen 1931.) « الإسلام ، باستثناء القرآن » أنه استبعد القرآن من كتابه لأنه كما قال « توجد للقرآن تراجم وافية بالحاجة وبعض التراجم الألمانية كاملة وافية ، وعلى المرء أن يختار منها ما يشاء » ويصح أن يشمل حكمه هذا التراجم الانجليزية أيضاً ، التى يعتبرها الكثيرون أحسن التراجم (وإنى أضع اعتبارهم هذا موضع التساؤل ، كذلك يصح أن يشمل حكمه هذا الترجتين الفرنسيتين الأولى لكازيمرسكى Kasimirski والثانية لمونتيت Montets ، كما يشمل الترجمة السويدية لزترستين Zetterstéen والترجمة الايطالية لبونللى Bonelli وبعض تراجم أخرى

سبق لى أن كتبت ما يلى سنة ١٩٠٦ : — « لا يداخل الذى تعمق فى أسرار العربية شك فى أنه لا يوجد بين تراجم القرآن — سواء كانت ترجمة كاملة له أو هى قاصرة على بعض آيات منه — ترجمة تفى بالمطالب اللغوية الدقيقة » راجع Orient. Studien, Nöldeke-Festschrift, Bd. I, S. 34, Anm. 1

وذكر Schwally شوالى رأياً قريباً من هذا فى :

(2. Aufl. von Nöldke's Geschichte d. Qoràns Teil II, S. 219)

إذ قال : « رغم الخطوات الكبيرة التى اجتازها فى البحث فى القرآن منذ Sale سال لا توجد حتى اليوم ترجمة له تثبت أمام هذا العلم أو أمام التفسير » وذكر Paret باريه فى :

"Der Plan einer neuer, leicht kommentierten wissenschaft lichen Koràn ueberstzung, E. Lihmann-Festschrift, Leiden 1935, S. 122":

« لا بد من إيجاد ترجمة للقرآن صالحة للاستعمال يصح الاعتماد عليها » وراجع أيضاً اقتراح صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف والمقدمات المنطقية للفتوى التى أصدرها علماء الأزهر فى شأن ذلك الاقتراح ، وفيها يعربون عن رأيهم فى أن التراجم الموجودة للقرآن فيها « أغلاط كثيرة »[1]

وعلى أى حال فانى لا زلت إلى اليوم أعزز رأيى الذى صارحت به عام ١٩٠٦

وليست ترجمة القرآن بالأمر الهين ، فقد تنحى عنها أشهر المستعربين من العلماء المستشرقين أمثال (Reiske) رايسكه و (Sacy) سامى و (Fleicher) فليشر[2] و (De Goeje) ده غويه و (Nöldeke) نولدكه و (Goldziher) جولدزهر وغيرهم لأسباب منها على الأقل إدراكهم كبير صعوبتها . ولقد كان أغلب مترجمى القرآن مستعربين من الطبقة الثانيـة ، بل ومنهم من هم دونهم من الطبقة الثالثة والرابعة

على أن أهم الصعوبات التى تعترض مترجم القرآن ويتحتم عليه التغلب عليها هى :

١ — كلمات وجمل غير قليلة وردت فى القرآن لها معنى مبهم أولها أكثر من معنى . وقد تأيد ذلك فى موضع جدير بالاهتمام (السورة الثالثة الآية السابعة — مصحف ميرى) .

---

(١) أنظر صحيفة « الأهرام » بتاريخ ١٧ أبريل سنة ١٩٣٦ الصحيفة السادسة وفيها : « اشتغل الناس قديماً وحديثاً بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة وتولى ترجمته أفراد يجيدون لغاتهم ولكنهم لا يجيدون اللغة العربية ولا يفهمون الاصطلاحات الاسلامية الفهم الذي يمكنهم من أداء معاني القرآن على وجه صحيح لذلك وجدت فى التراجم أخطاء وضع الناس (اقرأ) كثيرة وانتشرت تلك التراجم ولم يجد الناس غيرها الخ ؛ تراجم للقرآن الكريم بلغات مختلفة اشتملت على أخطاء كثيرة الخ . راجع (Oriente Moderno XVI, S. 292 b.) ومن حاشية من قلم رياسة التحرير وردت فى مجلة (Oriente Mod.) الجزء الثانى صحيفة ١١٣ يتضح أن علماء الأزهر الشريف كان لهم نفس هذا الرأى سابقاً

كذلك راجع نقد (Sarwar) ساروار (وسيأتى ذكر — وهو على حق فى بعض منه — وجاء نقده هذا ضمن مقدمة ترجمته للقرآن موجهة إلى (Sale) سال و (Rodwell) ردول و (Palmer) بالمر ومحمد على

ولا شك عندى أن الأستاذ (Schacht) شاخت أيضا سوف يجد أن حكمه السابق فى حاجة إلى التعديل

(٢) أشك الآن فى أنه كان هنالك مخطوط بقلم فليشر لترجمة القرآن . راجع فى ذلك ملاحظاتى فى : (Nöldeke-Festschrift, a. a. O.)

وَهُوَ الذى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الذينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبَابِ »

وفيما يلى نص ترجمة هـذه الآية بالألمانية من قلم الأستاذ الدكتور أ . فيشر :

"Er (Gott) ist es, der Dir das Buch offenbart hat. Es enhält gesicherte (zweifelfrie) Verse, die die Mutter (d. h. den massge benden Kern) des Buches bilden, und andere, die mehrdeutig sind. Diejenigen, deren Herzen zum Zweifel neigen, halten sich an das mehrdeutige in ihm, in der Sucht Zwietracht zu säen und in der Sucht es (eigenwillig) zu deuten. Seine Deutung kennt aber nur Gott. Und die, die fest im Wissen sind, sprechen: 'Wir glauben daran. Alles stammt vo unserm Herrn'. Aber nur die Verstän digen beherzigen es."

ونزلت هذه الآية على النبى صلعم حين حاول أعداؤه (وكانوا يهودا وأعرابا أذكياء واسعى المعرفة) إثبات وجود غموض ومتناقضات في الذى أنزل عليه ، وكانت محاولاتهم هذه لا تنقطع

٢ — يحوى القرآن عدداً وفيراً من التوريات عن أشخاص بالذات وعن أعداء عاديين وعن حوادث تاريخية وعن أحوال عامة وأخرى خاصة . وكثير ما يكون إيضاح وتفسير هذه التوريات صعباً غاية الصعوبة ، ذلك لأن هـذه التوريات وردت عادة بأسلوب سهل ممتنع لم يرد فيها أى اسم . وفى الروايات العربية القديمة عنها تناقض كثيراً كشف عن عدم كفايتها ، ويوجد هذا التناقض فى تفاسير القرآن وفى كتب الحديث وفى أقدم السير للرسول ، إلا أن التمحيص قد يساعدنا على استقراء حالات كثيرة منها

٣ — جمع القرآن وترتيبه ينقصه الوحدة أو الترتيب التنسيق أو الترتيب التاريخى للسور ، وقد تتألف السور الطويلة من وحى نزل مرات عديدة لأسباب متباينة وفى أوقات مختلفة ، ولهذا كان غالباً من الصعب تبينها وإدراك كنهها

٤ — توجد للقرآن عدة قراءات ، وغالباً ما يُعلل وجودها إلى عاملين أحدهما أن الوحى لم يدون فى حينه ومنذ بدايته بطريقة منتظمة ، بل بقى إلى أمد بعيد يتناقل أغلبه بالرواية . والعامل الثانى أن الخط العربى الذى كتبت به الآيات القرآنية بادئ ذى بدء لم يكن وافياً ، إذ كان ينقصه الحروف المتحركة وغيرها من علامات الشكل ، كذلك كان ينقصه التفرقة الصحيحة بين الحروف الساكنة . ولهذا كان اختيار واحدة من القراءات المحتملة لتلك المخطوطات ليس بالأمر الهين . وقد قام المسلمون فى العصر الحديث بأداء أهم جزء من ذاك العمل (١)

وكان من جراء تلك الصعوبات أن اختلفت التفاسير العربية للقرآن الكريم منـذ العصور الأولى للاسلام فقد تباينت تبايناً كلياً فى تفاسير مواضع كثيرة من القرآن . وليس بالأمر النادر أن يورد بعض المفسرين ستة معانٍ أو أكثر لوضع من المواضع المويصة في القرآن ليتخير منها ما يشاء . ومع ذلك لا يمكن بحال من الأحوال أن نستغنى عن هذه التفاسير ، وفى الغالب لم يَعْنِ المترجمون الغربيون العناية الكافية بهـذه التفاسير حين قيامهم بترجمة القرآن . ومن المحقق أن البعض أهملها لأن فهمها كان عليهم عسيرا . أما الذين عنوا فلم يكن لدى الأولين منهم خاصة سوى التفاسير المتأخرة فقط ، تلك التفاسير التى جاوز فيها الشرح المذهبى التأملى لكتاب الله التفاسير التقليدية القديمة التى لازالت تعتبر إلى حد ما تاريخية لغوية (وأهم هذه التفاسير تفسير الطبرى)

ومن هذا البيان يتضح أن الانسان لن يكون فى وسعه أن يدرك كل دقائق القرآن . ولذلك فالمترجم الأمين يضطر دائما إلى التشكك فى صحة عمله ، كما يضطر إلى تدوين مختلف المعانى المحتملة .

« للبحث بقية »

ابراهيم ابراهيم يوسف

---

(١) انظر

Noeldeke's Geschichte d. Qoràns, 2 Aufl. Teil III. (Von G. Bergstrasser U. O. Pretzel), S. 205 ff. und Pretzel, Die Wissenschaft d. Koràn lesung, in Islamica VI, S. iff. 230 ff., 290 ff.

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٢ —

« منذ عام دعاني الأستاذ الزيات لأنشر هذا الحديث على قراء الرسالة ، فصدعت بأمره عرفانا بحق الداعي والمدعو له. واليوم وقد بلغت هذا المبلغ فلم يبق إلا بضعة فصول ، فانني أتقدم بالرجاء إلى قراء هذه المقالات أن يعينوني على تمام هذا التاريخ ؛ فأيما أحد كان عنده من خبر الرافعي شيء أغفلته ، أو سهوت عنه ، أو تصرفت فيه بنقص أو زيادة ، أو لم يبلغني نبؤه – فليتفضل بالكتابة إلى في البريد أو على صفحات الرسالة ؛ وفاء بحق الأدب على أهله . وإني لأعني بهذه الدعوة أصدقاءه وخاصته ، ومن كتبوا إليه وكتب إليهم ، ومن كان عندهم من رسائله ومن أوراقه ؛ ولا أستثني هؤلاء الذين عرفوه على بعد أو سمعوا من أنبائه ؛ على أني لا أسأل أحداً رأيه ، فما يعنيني في هذه الفصول إلا الرواية والخبر والحادثة ، وللرأي كتاب ثان بعد الفراغ من تدوين التاريخ »

سعيد العريان

مقالات للرسالة (٣)

كان بين الرافعي والابراشي باشا ما قدمت الحديث عنه في بعض الفصول السابقة ، وكان منه أن انقطعت صلة الرافعي بصاحب العرش ليحل محله الأستاذ عبد الله عفيفي ... وسارت الخصومة بين الرافعي والابراشي إلى مدى ، حتى انتهت إلى قطع المعونة الملكية عن (الدكتور) محمد الرافعي مبعوث الخاصة الملكية لدراسة الطب في جامعة ليون !

وضاقت نفس الرافعي بهذا اللون من ألوان الكيد ، ولكنه صبر له واحتمل مشقاته وتكاليفه ؛ وألزمته الضرورةُ أن يقوم بالانفاق على ولده حتى يبلغ مأمله ، على قلة إيراده وضيق ذات يده ؛ فاستمر يرسل إليه أول كل شهر ما يقدر عليه وفي نفسه أن يأتي يوم يرفع فيه أمره إلى الملك فيحط هذا العبء عن كاهله ! ووجد الفرصة سانحة لذلك في عيد الجلوس الملكي سنة ١٩٣٤ ، فأنشأ كلمة بليغة في تحيته بعنوان « آية الأدب في آية الملك » وأرسل بها إلى الرسالة لتنشر في العدد ٦٦ سنة ١٩٣٤ [1] ، فلم تنشر به وإنما نشرتها الأهرام في صبيحة عيد الجلوس ، وقرأها من قرأها . ثم كانت آخرة العهد الابراشي بعد ذلك بشهر واحد ، فكتب من كتب من خصوم الرافعي بعددٍ فيما يعدّد من « جناية الابراشي باشا على الأدب » أنه كان يصطنع الأدباء ليحاربهم سلطة الأمة ، ويسخرهم للاشادة بحكم الفرد ؛ وكان الرافعي عنده من صنائعه ، وآيته هذا المقال وآيات أخرى من تلفيق الخيال !

***

وأرسل الرافعي إلى الرسالة بدل هذا المقال مقال « أرملة حكومة » وكان يَعني به صديقنا الأديب المهندس محمداً ، وهو شاب من « أدباء القراء » أبيقوري المذهب صريح الرأي ؛ سلخ من عمره ثلاثين سنة ولم يتزوج ، وبينه وبين الأستاذ اسماعيل خ صاحب « استنوق الجمل » [2] صلة من الود ، وشركة في الرأي ، وصحبة في البيت والندي والشارع ...

لقينا مجتمعين في القهوة اجتماعنا كل مساء ، فماج يسلم ثم جلس ، وسأله الرافعي : « ... وأنت فلماذا لم تتزوج ؟ »

قال المهندس : « لست والله من رأي صاحبي فيما حدثكم به أمس ، إني لأريد الزواج وأسعى إليه ؛ ولكن من أين لي ... من أين لي المهر ، وهدايا العروس ، وأكلاف الفرح ؟ إن الزواج عندي ليشبه أن يكون معجزة مالية لا قبل لي بها ! ... ولو قد عرفت أن هذه المعجزة تتهيأ لي بالبخل على نفسي والقصد في نفقاتي وباحتمال العسر والمشقة على نفسي وعلى مَن حولي — لما وجدت ما يشجعني على هذا الاحتمال . إني لأعرف من بنات اليوم ما لا يعرف غيري ، أفتريدني على أن أحتمل هذا العنت سنتين أو ثلاثاً حتى يجتمع لي من المال ما يجتمع ، من أجل الوصول إلى زوجة قد يكون لي منها شقاء النفس وعدو العمر ... ؟ »

وقال الرافعي ... وقال الشاب ... وطوى الرافعي ورقاته

(١) كان عيد جلوس الملك فؤاد الأول — رحمه الله — في ١٩ كتوبر وكان موعد صدور هذا العدد يوم ١٨ كتوبر سنة ١٩٣٤

(٢) أنظر العدد السابق من الرسالة

وقد اجتمع له موضوع جديد . وتهيأت له الفكرة تامة ناضجة فأملى علىّ مقالة « أرملة حكومة » وبعث بها إلي الرسالة في البريد المستعجل لتدرك موضعها في عدد الأسبوع

وقلت للرافعي وقد فرغ من إملاء هذا المقال : « أراك لم تنصف صاحبنا المهندس فيما كتبت عنه وما نقلت من رأيه وما رددت به ، إنه ليعتذر إليك بعذر لم أجد جوابه فيما أمليت علىّ ؛ لقد صدق ؛ فمن أين له ... من أين له هو ؟ ... إنه لحرى بك أن توجه العتب والملامة إلى آباء الفتيات وإلى هذه التقاليد التي تفرض على الشاب الذي يريد الزواج ما لا طاقة له به إلا أن تكون له معجزة مالية ! »

فضحك الرافعي وقال : « أتراه كان يتحدث بلسانك ؟ .. لقد أخفيتها عني يوم سألتك ؛ وليس ثمة ما يمنعني أن أصحبك غداً إلى ع ... لأطلب إليه أن يعفيك من هذه المعجزة المالية ! »

... ومضت أيام ، ثم دعاني ليملى علىّ « قصة زواج » : قصة سعيد بن المسيِّب إمام المدينة وعالمها الذي ردّ رسولَ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وقد جاءه في خطبة ابنته لوليّ عهده الوليد بن عبد الملك ، وزوّجها من طالب العلم الفقير أبي وداعة على مهر ثلاثة دراهم !

كانت هذه القصة هي جوابَ ما سألتُه تأخر إلى ميعاد . وكانت هي أول ما أنشأ من القصص لقراء الرسالة

* * *

وإني لأراني وقد بلغت هذا الحد ، مسئولا أن أتحدث عن قصص الرافعي ، وكيف كان يؤلفها ، وأول ما عالج منها ، وطريقته فيها :

لم يعالج الرافعي القصة — فيما أعلم — قبل قصة سعيد ابن المسيِّب إلا مرتين : أما أولاهما ففي سنة ١٩٠٥ ، وكانت مجلة المقتطف قد سبّقت بين الأدباء جائزة لمن ينشئ أحسن قصة مصرية ، فأنشأ الرافعي قصته الأولى وكان عنوانها « الدرس الأول في علبة كبريت » ولم يحصل بها على جائزة ، ولكن المقتطف كافأته بنشرها اعترافاً بما بذل فيها من جهد . وقد أعاد الرافعي نشرها بعد ذلك بثلاثين سنة ، بعنوان « السطر الأخير من القصة »(١) وسأتحدث عنها في موضعها

أما القصة الثانية فأنشأها في سنة ١٩٢٥ بعنوان « عاصفة القدر » ونشرتها المقتطف أيضاً(٢) . ثم كانت قصة سعيد ابن المسيب في سنة ١٩٣٤

على أن ثمة فرقاً بين هذه القصة والقصتين الأوليين ؛ ذلك أن هاتين القصتين هو أنشأهما إنشاء فلم يعتمد فيهما على حادثة في التاريخ أو حديث في كتاب ؛ أما قصة سعيد بن المسيب فلها أصل معتمد في التاريخ فلم يكن له في إنشائها إلا بيان الأديب وفن القاصّ ، وكانت نواةً فتعهد لها واستنبتها فنمت وازدهرت . وفي الأدب القديم نويَات كثيرة من مثل هذه النواة لم يتنبه لها الذين يدعون إلى العناية بأدب القصة في العربية ، ولو قد تنبهوا لها لوجدوا معيناً لا ينضب كان حريًّا بأن يمدهم بالمدد بعد المدد لينشئوا في العربية فناً جديداً من غير أن يقطعوا بين ماضينا وحاضرنا في التاريخ الأدبي ؛ وبمثل هـذا تحيا الآداب العربية وتتجدد ، وإلى مثل هذا ينبغي أن تكون دعوة المجددين ، لا إلى الاستعارة والاستجداء من أدب الغرب والجري في غبار كتابه وشعرائه

... أعترف بأن الرافعي لم يكن يعرف عن فن القصة شيئا يحمله على معالجتها ويغريه على العناية بها ؛ وقد قدّمتُ القول بأنه كان يسخر ممن يقصر جهده من الأدباء على معالجة القصة ولا يراه أهلاً لأن يكون من أصحاب امتياز في الأدب ؛ إذ لم تكن القصة عنده إلا ضرباً من العبث ولوناً من ألوان الأدب الرخيص لا ينبغي أن تكون هي كلّ أدب الأديب وفن الكاتب . وقد كان يعيب عليّ لأول عهدي بالكتابة أنني لا أكاد أكتب في غير القصة ، وأنني أجعل بعض همي في دراسة الأدب أن أقرأ كل ما أستطيع أن أقرأ عن فن القصة وأسلوبها وطرائقها ومذاهب الكتاب فيها ، وكان يرى مني ذلك تخلّفا وعجزا ونزولا بنفسي غير منزلتها بين أهل الأدب !

على أنه إلى ذلك كان يجد لذة في قراءة القصة على أنها لون من

(١) الرسالة : العدد ٧٨ سنة ١٩٣٤

(٢) المقتطف : ديسمبر سنة ١٩٢٥

ألوان الرياضة العقلية لا باب من الأدب ؛ كما يشاهد رواية في السينما أو يقرأ حادثة في جريدة . وأحسب أنه كان يعتقد — على أنه كان لا يعرف التواضع في الأدب — بأنه لا يُحسن أن ينشئ قصة ولا ينبغي له . وأحسبه أيضاً حين أنشأ قصة سعيد بن المسيب لم يقصد إلى أن تكون قصة ، ولكنها هكذا جاءت على غير إرادته فكأنما اكتشف بها نفسه ...

والحقيقة أن الرافعي كان يملك طبيعة فنية خصبة في القصة ، يعرفها من يعرفه في أحاديثه الخاصة بينه وبين أصحابه ، حين كان يتعمد العبث والتسلية ، فيطوى من الحديث وينشره ، ويكتم ويورى ، ويورد الخبر إلى موزده ، ويهزل ولا يقول إلا الجد ؛ ويطوى النادرة إلا آخر الحديث ، ويقول في آخر المقال ما كان ينبغي أن يكون في أوله .

وكان له إلى ذلك تعبير رشيق وفكاهة رائقة يخترعها لوقتها لاتملك معها إلا أن تضحك وتدع التوقُّر المصنوع ؛ وإن له في هذه الفكاهة لمذاهب عقلية بديعة تحس فيها روحه الشاعرة وحكمته المتزنة وسخريته اللاذعة . ويكاد كثير من مقالاته يكون برهاناً على ذلك ؛ فقلما تخلو إحداها من دعابة طريفة أو نكتة مبتكرة .

... وهذه هي كل أدوات القاص الموفق ؛ فما ينقصه إلا أن يدرس فنّ القصة ومذاهبها ليكون فيها من السابقين المبرّزين. ولكن الرافعي كان يجهل طبيعة نفسه ، وكان له في كتّاب القصة ما قدمت من الرأي ، فكان تخلفه من هذين !

وحتى فيما أنشأ من القصص بعد ذلك ، لم يكن له مذهب فني خاص يحتذيه ويسير على نهجه ؛ ولكنه كان يقص كما تلهمه فطرته غير ملقٍ باله إلى ما رسم أهل الفن من حدود القصة وقواعدها ؛ فإننا بذلك لنستطيع أن ندرس طبيعته وطريقته القصصية خالصةً له وحده ، غير متأثر فيها بمذهب من مذاهب المتقدمين أو المتأخرين من كتاب القصص ؛ على ما قد يكون فيها من نقص وتخلّف ، أو ابتكار وتجديد .

وطريقة الرافعي في كتابة قصصه غريبة ، وغايته منها غير غاية القُصاص ، فالقصة عنده لا تعدو أن تكون مقالة من مقالاته في أسلوب جديد ؛ فهو لا يفكر في الحادثة أول ما يفكر ، ولكن في الحكمة والمغزى والحديث والمذهب الأدبي ، ثم تأتي الحادثة من بعد ؛ فهو إذا هم أن ينشئ قصة من القصص ، كان همه الأول أن يفكر في الحكمة التي يريد أن يلفها على ألسنة التاريخ — على طريقته في إنشاء المقالات — فإذا اجتمعت له عناصر الموضوع وانتهى في تحديد الفكرة إلى ما يريد ، يكون بذلك قد انتهى إلى موضوعه فليس له إلا أن يفكر في أسلوب الأداء ، وسواءٌ عليه بعد ذلك أن يؤدى موضوعه على طريقة المقالة أو على طريقة القصة فكلاهما ينتهيان به إلى هدف واحد ؛ فإذا اختار أن تكون قصة تناول كتاباً من كتب التراجم الكثيرة بين يديه ، فيقرأ منها ما يتفق ، حتى يعثر باسم من أعلام التاريخ ، فيدرس تاريخه ، وبيئته ، وخلانه ، ومجالسه ؛ ثم يصطنع من ذلك قصة صغيرة يجعلها كالبدء والختام لموضوعه الذي أعده من قبل ؛ وإنه ليلهَم أحياناً ويوفق في ذلك توفيقاً عجيباً ، حتى تأتي القصة وكأنها بنت التاريخ وما للتاريخ فيها إلا نادرة يرويها في سطور ، أو إلا أسماء الرجال ... ...

على أن الابداع في ذلك هو قدرة الرافعي — يرحمه الله — على أنه يعيش بخياله في كل عصر من عصور التاريخ ، فيحس إحساسه ويتكلم بلسان أهله ، حتى لا يشك كثير ممن يقرأ قصة من قصص الرافعي في أنها كلها صحيحة من الألف إلى الياء ...

وأحسب أن الرافعي لم يتخذ هذه الطريقة في تأليف القصص عن عمد واختيار ؛ فلم يكن ثمة ما يدفعه إلى معالجة القصة واختيار طريقة فيها — ورأيه في القصة رأيه — ولكنه مذهب اتفق له اتفاقاً بلا قصد ولا معاناة ؛ وإنما تأتى له ذلك من طريقته التي أشرتُ إليها في الحديث عنه عند ما يهم بالكتابة ؛ فقد أسلفتُ القول أنه كان يحرص على أن يعيش وقتاً ما قبل الكتابة في جو عربي ، فيتناول كتاباً من كتب الأدب القديم يقرأ منه فصلاً ما قبل أن يشرع في إملاء مقاله ؛ فمن هنا كان أول الطريق إلى مذهبه في القصة . ولكل شيء سبب . وأحسبه لما همّ أن يكتب عن « المعجزة المالية » في تقاليد الزواج وعن فلسفة المهر ، وقد اجتمعت له الفكرة في ذلك ، تناول — كعادته — كتاباً من كتب العربية يقرأ فيه ما تيسر ، فاتفق له في مطالعته أن يقرأ قصة سعيد بن المسيب والوليد بن عبد الملك وأبي وداعة فرآها

أشبه بموضوعه وفيها تمامه ، فبدا له أن يؤدى موضوعه هذا الأداء فكانت قصة . وأذكر أنه لما دعانى ليبلى علىّ هذه القصة قال لى فى لهجة الظافر : « ... لقد وقعت على نادرة مدهشة من التاريخ تتحدث عن فلسفة المهر حديثاً لا أعرف أبلغ منه فى موضوعه ...! » ؛ فمن ذلك أعتقد أن أول هذا المذهب فى القصة كان اتفاقاً غير مقصود ، صادف طبيعة خصبة ونفساً شاعرة فكان فناً جديداً

وأكثر قصص الرافعى من بعدُ على هذا المذهب . على أن لكل قصة من هذه القصص — أو لأكثرها — أصلاً يستند إليه من رواية فى التاريخ أو خبر مهمل فى زاوية لا يتنبه له إلا من كان له مثل طبيعة الرافعى الفنية وإحساسه ويقظته ؛ على أن أهمّ ما أعانه على ذلك هو عندى صلتُه الروحية بهذا الماضى وشعوره بالحياة فيه كأنه من أهله ومن ناسه ؛ فان له بجانب كل حادثة وكل خبر من أخبار ذلك الماضى قلباً ينبض كأن له فيه ذكرى حيةً من ذكرياته تصل بين ماضيه وحاضره ، فما يقرؤه تاريخاً كان وانطوت أيامه ولكنه يقرأ صفحة من ماضيه ما يزال يحس فيها إحساس الحىّ بين أهله فما أهون عليه أن يترجمها من لغة التاريخ إلى لغة الأحياء !

وتماماً لهذا البحث سأحرص فى فصل قادم على أن أرد كل قصة من قصص الرافعى إلى أصلها من التاريخ وأنسبها إلى راويها الأول ، ليكون النموذج واضحاً لمن يريد أن يحتذى ليتمم ما بدأ الرافعى على مذهبه فى تجديد الأدب العربى .

(سيدى بشر) محمد سعيد العريان

حـــواء

... عَلَم على ديوان شعر طريف فى النزل العرفانى من نظم الأستاذ الحومانى تحت الطبع تحمل الرسالة نماذج منه إلى قرائها فى عالم الفن

حكمة المجنون

أمِنَ الفن كنتِ إذ كنتِ فى العا   لَمِ ، أم كنتِ عالمَاً للفنون ؟
جُنَّ فيكِ الحكيم فافتَنَّ حتى   كنتِ فى فيهِ حكمةَ المجنون
أتناساكِ ، والعوالم فوق   وأُناجيكِ ، والعوالم دونى
أفكالناسِ كنتِ فيهم وسوّا   كِ أبوهم من صَلْصَلٍ مسنون ؟
سَنَّهُ فى اكتناهِ ذاتك أن نخلصَ منه إلى اكتناهِ الطين
إنما كنتِ كيفما شئتِ إذ قا   ل لكِ الله كيفما شئتِ كونى

فم فى فم

أسلمينى واستسلمى لى فالحبُّ فمٌ فى فم وخدٌّ لخدِّ
واكشفى لي نهديكِ أُشرفْ على   غُرِّ لياليَّ فى قرارة مهدى
هل تَرَيْنَ الحياةَ ثمةَ إلا   قطرةً من دمي على كل نهد ؟
عند عينيكِ لى من الأمل البا   سم فى الحب ما لعينيكِ عندى
فأَعِلّى خديكِ من دم عينيَّ   وزيدى بما يعلانِ وجدى
ودعينى أشمُّ منكِ شذا الحبِّ فما يستفزُّنى عطر وردِ

الحومانى

أثر المرأة في النهضة القومية

للآنسة فلك طرزى

في هذه الآونة العصيبة التي تجتاز فيها الدول الأوربية أزمة سياسية خطرة قد تؤدي إلى حرب طاحنة تقضى على ما بذلته الأمم المتمدنة من جهود في سبيل رفع المستوى الانساني وإيصاله إلى المثل الأعلى المنشود — يجدر بنا نحن الذين تضمنا حالنا الحاضرة إزاء مشاكل دولية دقيقة، أن نلقى نظرة على أحوالنا الشخصية منها والعامة، نظرة نافذة ثاقبة نسبر بها أغوارنا، لنفحص على بينة ووضوح كل ناحية من نواحي هذه الأمة، فان اهتدينا إلى تشخيص العلة الأساسية التي تسبب لنا أنواعاً من الآلام والأسقام، استطعنا بعد دقيق الفحص وبُعْد التأمل، إيجاد العلاج الذي يبرئنا شيئاً فشيئاً من هاتيك الآلام والأسقام

ولقد جرينا على عادة لست أدرى أأنسب ما نحن فيه من قلق وفوضى إليها، أم أنسبه إلى الظروف الطارئة التي كانت الحائل بيننا وبين ما نصبو إليه جميعاً من واسع الآمال والأماني التي نبتغيها كاملة صحيحة؟

جرينا على أن نبذل في مجتمعنا الكثير من بضاعة الكلام، ونعرض على الأنظار أشكالا مختلفة من أجناسها وألوانها ثم نهمل العناية بتحويل هذه البضاعة إلى صنوف من العمل المثمر، لنبصر بالعين ما سمعناه بالأذن، ونلمس باليد ما صورناه بالكلام

وتأصلت هذه العادة في أنفسنا بحكم ما أوليناها من شديد الرعاية والعناية، وأخذت تضغط بقوة أثرها الذي تنلغل في كل خفية من خفايا نفوسنا على بقية القوى الكامنة فينا التي في استطاعتنا إذا تعرفنا الوسائل الممهدة لسبيل إبرازها — أن نستغلها أحسن استغلال فنستعين بما تمنحنا من رغبة في العمل وصبر على الجهاد، على تذليل العثرات التي قد تعترض سبيلنا أثناء قيامنا بتحقيق أقدس الأهداف وأنبلها

فأى كلام يبشرنا بنهضة اجتماعية مباركة تضاهى النهضات الأوربية الحديثة لم نسمعه؟

وأى كلام ينبئنا لحواه بمستقبل نير وضاح يبدد سطوع شموسه ما تراكم من سحب وغيوم على سماء حياتنا فحجب رونقها وصفاءها، لم نصغ إليه؟

بل أية آمال وضاءة لألاءة لم نبصرها شذرات متفرقات في هبوب الريح بعد أن أصغينا إلى رنين ضحكاتها يتردد بين قيم الألفاظ وجميل العبارات؟

لقد سمعنا كلمة «البشرى» تتردد على الأفواه حلوة فحسبناها لفظاً مبطناً بحقيقة تحمل إلينا ما في الحياة من معاني الكمال والحق وسمعنا كلمة «المستقبل» ترتل أناشيدها الشفاه، فحسبناها لحناً مستمداً من القلب تكمن وراءه الحيوية المبدعة الخالقة

ثم أصغينا إلى صوت الأمل تتجاوب نبراته بين السطور، فحسبناه أغنية تهدهد أنفسنا الظامئة المكدودة على نغماتها وتدعونا إلى سنة من عميق النوم ولذيذه، فلبينا ما حسبناه صواباً ورحنا في سبات عميق استغرق سنين طوالاً فقدنا خلالها الكثير من الصفات الشخصية والشعبية، فخملت حيويتنا، وبلد تفكيرنا، وانحصرت عقليتنا ضمن ذاكرة تحدها الأوهام وأشباح التقاليد البالية التي قضت عليها وبددت ظلماتها أنوار العلم والثقافة

ولما استيقظنا من نومنا، واستفقنا من سباتنا، تلفتنا يمنة ويسرة، وأدرنا رؤوسنا ناحية الغرب وناحية الشرق، فإذا بكل من هذه اللفتات تضع أنظارنا المشدوهة إزاء تطورات قومية وشعبية، وتنبه حواسنا المخدرة على انقلابات فكرية وعقلية، فمن أقاصى الشرق إلى أقاصى الغرب، تحفز نحو المجد والتقدم، كل أمة تجاهد وتستميت في سبيل التفوق وفرض السيادة على العالم سواء من الناحية العلمية أم الفكرية، أم التجارية. وقد رأينا كيف أخذت اليابان تكتسح الأسواق العالمية ببضائعها وتجارتها. وعمدت بعض الأمم إلى التمسك بنظرية تفوق جنسها على بقية الأجناس البشرية لبلوغ ما تصبو إليه من عزة وقوة وفخار. كل هذه القوى الفعالة التي مهدت لها سبيل البروز والظهور الحرب العالمية الكبرى وما ينتج عنها من التطورات والانقلابات تجرى حوادثها أمام أنظارنا، فنسمع بالخيال قرقعة الأسلحة والمدافع تدوى وتنذر بالويل والتهديم، وهي ما زالت آلات مفككة تحت آلات المصانع، وندرك بالعقل

مبلغ الرقي الذى توصلت إليه فى الغرب الآداب على تنوع بحوثها والعلوم على مختلف أنواعها ، والفنون على تمدد فروعها ، تلك القواعد الثلاث التى لا تقام حضارة أمة بغير أسسها ، ونتعرف بالاختبار أى أثر بليغ تتركه التربية العائلية فى نفوس الناشئة ، وأية توجيهات مختلفة توجهها المبادئ التى تتلقاها فى محيط الأسرة حين الصغر ، فالناشئة التى تزدهر سنو طفولتها فى وسط يدرك الحياة على حقيقتها ويتعمق فى معانيها ويسبر غاياتها ، هى غير تلك التى تنمو وتشب فى آخر لا يدرك من الحياة إلا سطحها ، ولا يفقه من معانيها وغاياتها إلا قشورها دون لبابها

ثم نلق نظرة إجمالية إلى تلك القوى التى تسير العالم المتمدن فنراها منهزمة مرة ، منتصرة أخرى ، ناهضة تارة، منحطة تارة أخري، مجسمة فى حال نهضتها وانحطاطها، وانتصارها وانهزامها، صورة الانسان فى آلامه وآماله وجبروته وعجزه، وبطشه وضعفه، وطموحه ومطامعه ، صورة الانسان الذى كلما اكتمل تكوينه العقلى والجسدى ، اكتشف نقائص جديدة تخل من توازنهما فيعمد إلى مختلف الوسائل يتوسل بها لتقويتها وضبط هذا التوازن بينهما

وكثيراً ما يتعثر بالصدمات فينهزم حيناً تعود بعده نغمة الأمل تتنفس فى صدره حارة تمنحه قوة أشد بأساً من كل قوة تنسيه فشله وهزيمته ، فيعاود الكفاح والمناضلة من جديد ، وكلما عراه ضعف يقاومه بالارادة والطموح النفسي إلى أن يتغلب عليه

فأي شعور يعترينا ياترى ساعة يتجسم فى مخيلاتنا بعض من صور هذه القوى التى عرضتها الآن ؟

بل أى إحساس نتحسسه عند ما نأخذ بتقييد كل صنف من صنوف الرق الذى أمدته الأمم كل من هذه القوى ومهدت له السبيل لتحقيق غاية من الغايات ؟

لاشك أننا نتحسر وتنقبض صدورنا ألماً كلما تنازعتنا فكرة نهضتنا القومية الفتية وإلى جانبها النهضات القومية الأخرى التى قطعت شوطاً بعيداً فى مضمار التقدم والحضارة

وثقن أيتها السيدات أننى لا أبغي من تساؤلي هذا إضافة حسرة جديدة إلى ما نشعر به من حسرات تتمشى بين جنباتنا كلما شاعت فى نفوسنا مرارة هذا التساؤل

وإنى ما تساءلته قط إلا ليقينى بأنه يدور فى خلد كل منا ، وإننا جميعاً مذ أخذت أنفاس اليقظة تنفح على وجوهنا نفحات الجد والتوثب ، لا نفتأ نولى أنظارنا ناحية الغرب نتبع حركاته وخطواته ونرقب تطوراته ، نستعين بما يسن من قوانين ودساتير على تنظيم هيئاتنا الحكومية والادارية ، ثم نقبس عن مدنيته قبسات تجعل حياتنا شبيهة بالحياة الغربية من بعض نواحيها

ولِمَ لا نتساءل ، وبالتساؤل نتعرف مدى شموزنا ومبلغ قوته وغزارته ؟

ولم لا نتساءل وبالتساؤل نزداد إحساساً بنقائصنا؛ وكلما ازددنا إحساساً بها ازددنا رغبة فى التبرؤ منها ؛ وليس الشعور بها شعوراً دقيقاً صحيحاً إلا بشيراً بزوالها

فنحن إذن المرضي ، ونحن إذن الأطباء ، نسمع أنات الألم تزفرها صدورنا المكلومة فنعكف على هذه الصدور نشخص داءها ونتبين علتها ، فاذا ما انكشفت العلة والداء سهل علينا وصف الدواء الذى يجدد قوى أمتنا ويشفيها من آلامها

إن أمتنا مريضة فى هذه الآونة أيتها السيدات ؛ ومرضها لا تشكو منه ناحية من جسمها دون بقية النواحى ، إنما هو مرض يشمل جميع أطرافها ويخشى عليها من فتكه ، إذا لم نسارع إلى إنقاذها من براثنه هى مريضة فى تفكيرها، مريضة فى ثقافتها ، مريضة في عقليتها ، مريضة فى أخلاقها ، ثم هى مريضة بسبب العلة الزمنة التى أصابت موضع القلب منها

فأى شأن من هذه الشئون يعالج قبل الآخر يا ترى ، ليتم لنا ما نريد ونبلغ ما نصبو إليه جميعاً من صميم أنفسنا ؟

أنعالج ثقافتها ، والعقلية التى تهضم هذه الثقافة وتستسيغها ما زالت قلقة مقيدة ؟

أم نعالج أخلاقها ، والأداة التى تعالج بها هذه الأخلاق — وأعنى بها الارادة — ما برحت ضعيفة واهنة ؟

أم نعالج الفكر ، والصلة الوثقى التى تربط الفكر بكل ما فى هذا الكون من خفايا الأمور وأسرارها مفككة الأجزاء ؟

أنا أري أن أول شأن يجب معالجته قبل بقية الشؤون هذا القلب، أيتها السيدات، لأنه ميزان الحياة الدقيق، والصلة التى تربط الانسان بها ، ومتى قامت بين الانسان والحياة رابطة متينة تغلغل

فكره فى زواياها وخلاياها وأدرك كل معنى من دقيق معانيها ، وشعر بها تتفجر فى أعماقه قوة وحيوية

فان كان القلب سليما خفاقاً ، جرت الحياة فى شرايين الجسم حارة متدفقة

وإن كان سقيماً عليلاً بلدت حركتها واعتراها كثير من الضعف والخمول

فاذا نحن عالجنا القلب ودققنا فى تشخيص دائه ، فمعنى ذلك أن كل واحدة منا انعكفت على ذاتها ، وأخذت تفحص هـذه الذات على نور من البينة ، فان بدا لها ضيق فى ناحية من نواحيها وسمته ، وإن اتضح لها نقص قومته ، لأن المرأة من هيكل الأمة بمثابة القلب من جسم الانسان يضبط توازنه ، وينظم الحركة الحيوية فيه

وقد يعترض على قولى هذا معترض ، ويخالفنى مخالف ، مبيناً ما يزعمه من خطأ هذا القول . غير أن فى نفسى من العقيدة المبنية على عديد التجارب ، ما يجعلنى أومن بهذه الحقيقة إيماناً صحيحاً لا يخامره شك ولا يزعزعه ريب .

ولم لا نقر بهـا وكلنا يعلم أن المرأة مربية الرجل ومهذبته ، ومعلمته الأولى فى مدرسة الحياة ؟

ولمَ نرتاب فى صحتها وقد علمنا الماضى من تاريخ الانسانية وحاضره أن نصف الأمة لا يصلح إذا بقى نصفه الآخر مشلولا ؟

بل لم لا نأخذ هـذه الحقيقة بعين الاعتبار ، وقد لمسنا أثر المرأة البعيد واضحاً في تكوين نفسية الطفل ، وعرفنا مدى تأثيرها فى حضارة الأمم ؟

فنحن إذا نفذنا إلى دخيلة أمتنا وتغلغلنا فى كل مناحيها ، مرهفين السمع إلى دقات الحياة ينبض بها قلبها ، فـاذا نسمع أيتها السيدات ؟

أنسمع دقات يؤلف مجموعها وحدة موسيقية جميلة اللحن ، منسجمة النغم ، تطرب لسماعها القلوب وتُسَر ؟

كلا ! إننا لا نسمع إلا دقات متفرقات ، تنبض مضطربة حائرة ، لا تكاد دقة منها تنبعث من بين الضلوع متزنة قوية ، حتى تتبعها أخرى وأخرى ، تعيد القلب إلى مجرى الفتور والخمول الذى كان عليه .

فالمريض إذن من جسم أمتنا هو القلب ، وأول الأدواء الذى تجب مداواته هو داؤه لأن عقـل الأمة المفكر الذى هو الرجل لا يصبح دقيقاً صحيحاً إلا إذا شفى هذا القلب وعاد ملاذاً أميناً يأوى إليه العقل ليجدد بقربه قواه الفكرية ، ويستمين ببصيرته النافذة على استكشاف ما غمض عليه من أمور .

منذ أيام كنت أتحدث إلى عالم جليل وزعيم فى طليعة الزعماء الذين أحيوا الحركة القومية فى هذه البلاد وبعثوها حية من تحت أردية الموت . ومما قال لى هـذه الجملة التى ينطوى معناها الدقيق على حقيقة بليغة :

« إذا أبصرت عبقرية تشع أنوارها وتتلألأ في سماء المجـد ساطعة ، فأيقنى أن وراءها امرأة توقد جذوتها وتبعثها من مكمنها . »

عبقرية تبعث فيهـا الحياة امرأة ؛ وتوقد شعلتها المقدسة فتحولها نوراً ينشر ضياءه اللامع على مشارق الأرض ومغاربها ، مخترقاً النفس البشرية موضحاً ما غمض من أمورها ، كاشفاً ماخفى من ألغازها ؟

إنهـا نغمة انبعثت أول ما انبعثت من أرض عربية ، ثم انتشرت على بقية الآفاق فغناها أبناء الغرب وما زالوا يتغنون بها بينما نحن نسينا لحنها

إنها نغمة انبعثت إلى الوجود يوم انبثق فجر الرسالة العربية من آفاق غار حراء ، وأخذت أشعته النيرة تخترق قلب كل عربى فتبدل كفره إيماناً ، وشكوكه ثقة وعقيدة ، ويوم كانت إلى جانب الرسول العربى الكريم أمرأة تحيي عبقرية النبوة فى قلبه كلما أصابتها فرية من سهام المفترين

غير أننى لا أحمل المرأة وحدها تبعات هـذا النسيان ؛ فلشريكها الرجل نصيب غير ضئيل منها ، لأنه أهمل شأنها زمناً طويلاً وأسرف فى هـذا الاهمال ، فكان من جرائه أنها بقيت قابعة في زاوية مظلمة من زوايا الحياة لاتشترك فى أمر من أمورها حتى تـكوّن لدى الـكثير من الرجال اليقين بأنها مخلوق وجد ليحيا على هامش الحيـاة ، وأن جميع حقوقهـا وامتيازاتها محفوظة للرجل فى كل زمان وفى كل مكان

لست فى حاجة، أيتها السيدات، إلى إثبات خطأ هذا الادعاء،

لأن جسامة خطئه واضحة فيه . بل ما أريده هو كشف اللثام عن ادعاء لست أدرى أيسر التصريح به أسيادنا الرجال أم يغضبهم

إن إسراف الرجل فى أنانيته قد حمله على إبعاد المرأة عن جدّ الأمور وخطيرها معللاً ذلك بسبب تجردها من الصفات العقلية والفكرية التى تمكنها من إدراك دقائق هـذه الأمور وتقدير خطورتها

وكأنى بهـذه الدعوى بل هـذه النظرية المبنية على غير الواقع قد سرت بالعدوى إلى المرأة فأخذ وهمها يستولى عليها مع مرور الزمن شيئاً فشيئاً حتى أضحت لديها حقيقة واقعة يخيل إليها أنها تبصر وميضها يشرق من نوافذ عقل الرجل ناسية أنها الأم التى أنشأته طفلاً وكونته رجلاً ، وأنها الزوج التى قاسمته الحياة على السراء والضراء . فنشأ فيها من جراء هذه الخاطئة ضعف أضاف إلى ضعفها الطبيعى ضعفاً آخر ، وجعل منها برهاناً يدعم به الرجل صحة دعواه ، ودليلاً يثبت خطأ هذه الدعوى

وقد انطبعت فى المرأة السورية هـذه العقيدة المغلوطة ، وتمكنت من عقلها إلى حد حملها على اليقين بصحة النقص القائم بينها وبين الرجل ، وأنها حقاً دونه عقلاً وفكراً وإدراكاً ، وتناست أن مستواها العقلى والفكرى كان قد يساوى المستوى العقلى والفكرى عند الرجل ، لو أن أنانية هذا لم توح إليه باهمال شأنها وإهمال رفع مستواها إلى أوج الكمال النسبى

فأخذت نظرته إليهـا — أى الرجل — تنحط مع الزمن وتنحصر ضمن نطاق محدود ، وأخذ اعتباره إياها يتضاءل يوماً بعد يوم ، حتى أصبح ذات يوم وفى نفسه نحوها احتقار يبيح لذاته الحط من قيمتها واعتبارها وسيلة من وسائل اللهو والتسخير

فليس عجباً أن نفيق بعـد هجمتنا الطويلة فنبصر حال المرأة فى أوساطنا متقهقرة ، وقد أدركنا سر هذا التقهقر . وليس بمستغرب أن نرى الرجل فى هذه الأوساط ناقص التربية ناقص التهذيب وقد وقفنا على سبب ذلك النقص . إنما المستغرب فى كل هذه الأمور أن ندرك سرها وأسبابها ثم نقف عند حدود الادراك دون أن نتجاوزه إلى حيز العمل ، حيث تظهر حقيقـة المرأة ويسطع جوهرها

وفى المرأة أيتها السيدات صفات فطرية مفقودة عند الرجل فهى حساسة بغريزتها رقيقة بطبيعتها ، والحس والرقة صفات إذا توصلت المرأة إلى صقلها وتهذيبها استحالت من مخلوق بشرى إلى ملاك سماوى يحمل بين جوانحه معانى الرأفة والحب والسلام

والمرأة شاعرة بطبعها وفطرتها ، فإن هى عرفت كيف تنمى هذه الشاعرية فيها ، وعرفت كيف تغذيها ، تحولت كوكباً ينبعث من صميم الحياة نوراً ينشر على هـذه الحياة أشعة من الود والصفاء

فأثر المرأة لا يظهر جلياً واضحاً فى النهضات القومية ولا يخلف بعـده أفضالا وحسنات ترفع الأمة من الحضيض إلى العلاء ، إلا حين يستيقظ فيها الحس العميق بوجوب تهذيب الصفات الطبيعية التى فطرت عليها ، وتحويلها من غريزة إلى شعور سام رفيع ، يجعل من رسالتها إلى الأمة ، رسالة الحياة وكل ما تحوى هذه الحياة من معانى المجد والحضارة والازدهار .

فلنستمن سيداتى بما ترك لنا أولئك الذين أدركوا النفس البشرية على حقيقتها ، واستطاعوا بقوة بصيرتهم اختراق لفائفها والنفاذ إلى أعمق موضع فيها ، لنستمين بأنوار نفوسهم على إنارة نفوسنا ، فإذا ما نفذت هذه إلى أعماقنا واستقرت فتحت أعيننا على عوالم من مختلف المشاعر والعواطف تحيا فى هذه الأعماق فتهدينا إلى كل موضع من مواضع السحر والجمال التى يحويها العالم الخارجى لنتأمل مفاتنه ونصغى إلى موسيقاه ، فمن كان له قوة التأمل وقدرة الاصغاء أدرك كبائر الحياة وصغائرها . ويخيل إلى أن نجاح أمتنا وحضارتهـا متوقفان على دقة البصر وإرهاف السمع . ومن غير المرأة التى فطرت على الاحساس يدرك هذه الدقائق ؟ .

« دمشق » فلك طرزى

الثقافة الاسلامية

١ – مصادرها

لمناسبة اهتمام معالي وزير المعارف
بأمر الثقافة الاسلامية ... ...

للأستاذ ابراهيم جمعة

ثقافة العرب الجاهليين – العرب يستقبلون الاسلام أبعد ما يكونون عن علم أو فلسفة – أثر اليهود والنصارى فيهم – أثر النساطرة من أتباع الكنيسة الشرقية – فضل الأسكندرية على الثقافة الاسلامية – مراكز العلم فى حران ونصيبين وجنديسابور – مهمة النساطرة والسريان فى النقل عن الأسكندرية إلى الشرق الأدنى – إشتغال العرب بالعلم والفلسفة متأثرين بالنساطرة وبالصابئة فى حران – حركة النقل وما نقل العرب عن الأمم الأخرى

الثقافة الإسلامية كما يؤخذ من اسمها وليدة الإسلام ، فالإسلام ، هو العامل الوحيد فى نشوئها ، والعرب هم حملة لواء الاسلام فهم إذن الكواهل التى نهضت بهذه الثقافة وأقامت على الزمن بنيانها المكين . ولم يكن العرب ليؤدوا هذه الرسالة الكبيرة وهى رسالة علم جامع شامل ، لو لم يكن فى طبيعتهم لذلك استعداد وقبول

والعرب الجاهليون أميون ، أبعدتهم تضاعيف شبه الجزيرة العربية عن الأمم ذات الحضارة ، وعزلتهم عنها انعزالاً لم يخفف من حدته سوى خروج بعض الاعراب وبخاصة من قريش فى التجارة إلى الشام ومصر . وقد دقت أخفاف الإبل على وجه شبه الجزيرة العربية طريقين هامين : الأول طريق حضرموت والبحرين والخليج الفارسى ، والثانى طريق اليمن والعسير ومكة والبطراء ، فإذا ما انتهت المتاجر إلى خليج فارس وتخوم الشام كان اختلاط بين العرب وسكان الحضر ، وكان تبادل فى التجارة ، وكان امتزاج فيه مصلحة مادية ، وفيه تبادل أفكار ، وفيه أخذ وعطاء فكريان إلى جانب الأخذ والعطاء المعروفين فى التجارة

وقد حل عرب الحجاز محل اليمنيين فى السيطرة على الحركة التجارية وعلى مسالك التجارة قبل انبثاق فجر الاسلام بقليل ، وكاد عرب الحيرة بسبب شدة ولائهم لفارس ، ورغبتهم فى تنحية ما عداهم من الاعراب عن خدمة الفرس يستأثرون بتجارة إيران . وظلت متاجر الهند والحبشة والبقاع الخصبة فى جنوب شبه الجزيرة العربية تنقل إلى تلك البلاد حتى جاء الاسلام فشغل العرب بالجهاد فى سبيله ، وانصرفوا إلى الفتح ، وما يصحبه من شواغل ، واستوطنوا أرضاً جديدة أو قل استوطن كثير منهم البلاد المفتوحة فوجدوا فيها غناء صرفهم عن الكدح فى سبيل العيش على النحو الذى عرفوه فى جاهليتهم ، وكفاهم سواد العراق أول الأمر مشقة السعى المضنى وراء الرزق فى هجير البادية — ثم استقبلتهم وديان الشام بما خصها الله من خير ، وانفتحت لهم أبواب مصر فأبدلتهم بقتاد الصحراء جنة فيحاء ، فكان استقرارهم وامتزاجهم بالعناصر الأجنبية سبباً فى التحضر وترك عيشة البداوة ، والاقتباس الذى زاد على الزمن وانفرجت دائرته ، فأحاطت بالشيء الكثير مما عرفت أمم إيران والجزيرة والشام ومصر من مظاهر التمدن . وعلى هذا كان اختلاط العرب بالأمم المجاورة قبل الاسلام بسبب التجارة وامتزاجها بها بعد الاسلام بسبب الفتوح أول خطوة فى سبيل تكون ثقافة جديدة لم يكن يعرفها العالم من قبل

هؤلاء العرب الذين شهدوا الحضر شهوداً موقوتاً وهم يقومون على أمر قوافل التجارة أو الذين نزلوه واستقر بهم المقام فيه جنوداً أو بطوناً مهاجرة لم يكن لهم من مظاهر الثقافة إلا ما كان للعرب الجاهليين عامة من لغة وشعر وقصص وأمثال . وينسب إليهم بعض المؤرخين دراية بالطب والتنجيم والانساب والأنواء . وليس من العدل فى شيء أن ننسب إلى جماعة هبط مستواهم الاجتماعى إلى مثل ما هبط مستوى عرب الجاهلية علماً منظماً . بل إن كل ما عرفه العرب من هذا القبيل معلومات تقوم على الخبرة التقليدية التى كثيراً ما تخطىء وقليلاً ما تصيب . يقول الأستاذ أحمد أمين فى كتابه فجر الاسلام : « ومن الخطأ أن تسمى هذه الأشياء علماً كما يفعل الألوسى وغيره فيقول — ومن علومهم علم الطب وعلم الأنواء وعلم السماء ، ثم يشيدون بذكر ذلك حتى يوهموك أنه كان عندهم علم منظم بأصول وقواعد ، فإن ما كان عندهم من هذا القبيل لا يتعدي معلومات أولية وملاحظات بسيطة لا يصح أن تسمى علماً ولا شبه علم »

وقد جهل العرب الجاهليون الفلسفة جهلا تاماً وكل ماعرف عنهم خطرات فلسفية يقول عنها الأستاذ أحمد أمين أيضاً :

« ... هناك فرق كبير بين مذهب فلسفى وخطرة فلسفية ؛ فالمذهب الفلسفى نتيجة البحث المنظم ، وهو يتطلب توضيحاً للرأى ، وبرهنة عليه ، ونقضاً للمخالفين وهكذا ... وهذه منزلة لم يصل إليها العرب فى الجاهلية . أما الخطرة الفلسفية فدون ذلك لأنها لا تتطلب إلا التفات الذهن إلى معنى يتعلق بأصول الكون من غير بحث منظم وتدليل وتفنيد، وهذه الدرجة وصل إليها العرب »

إذن استقبل العرب الاسلام وهم خلو من كل علم صحيح أو فلسفة حقة . ويجدر بنا قبل أن نتعرض إلى الموارد التى تطرق إليها العرب ونهلوا منها علماً وفلسفة خارج ديارهم — أن نذكر شيئاً عن أثر الديانتين اليهودية والنصرانية . أما اليهود فالمعروف أنه كانت لهم جاليات فى يثرب وتيماء وفدك وخيبر ووادى القرى . وللثقافة اليهودية ناحيتان: الأولى مادية، فقد نشروا بين الأعراب معرفة بضاعة المعادن ولا سيما الأسلحة ، كما عرفوا الزراعة . والأخرى معنوية، فقد بثوا بين الأعراب كثيراً من تعاليم التوراة قبل الاسلام ، فعرف هؤلاء شيئاً عن البعث والحساب والعقاب ، وظل تأثير اليهود باقياً على شكل أساطير وخرافات ، ومن ذلك ما بثه في الاسلام كبار من أسلموا من اليهود مثل كعب الأحبار الذى نقل إلى الاسلام فكرة « تحريم التصوير » وهو فى ذلك ناقل عن تعاليم اليهود ومتأثر بطبيعة الجنس اليهودى ، تلك الطبيعة التى تكره التصوير لأنها تعجز عنه وتقصر دونه

ومن أهم المصادر الثقافية التى أخذ عنها العرب أيضاً المسيحيون فى شبه الجزيرة قساوستهم ورهبانهم ومنهم الشعراء والبلغاء أمثال أمية بن أبى الصلت وقس بن ساعدة

واليهود والمسيحيون متأثرون بالثقافة اليونانية التى ازدهرت على شواطئ البحر الأبيض المتوسط وغزت بلاد الشرق الأدنى وامتزجت بنفوس سكانه ، واتخذت لها مواطن تركزت فيها أشهرها حران وأنطاكية والاسكندرية ؛ فكأن شيئاً من الثقافة اليونانية كان قد وصل العرب عن طريق انتشار اليهودية والمسيحية في بلاد شبه الجزيرة قبل الاسلام ، ولكن الأثر البالغ لهذه الثقافة الاغريقية وصل إلى العرب عند ما انطلقوا من عقالهم والتقوا خارج بلادهم بممثلى هذه الثقافة فى مراكزها أو بعبارة أخرى فى البؤرات التى تركزت فيها

وأشهر الأوساط الثقافية التى كان لها على العرب فضل لا يعدله فضل «الاسكندرية» مدينتنا العظيمة، ففيها اختلط ما كان للاغريق من علم وفلسفة ، وهناك امتزجت الفلسفة بالدين امتزاجاً جعل منها ضرباً من ضروب التصوف الفلسفى. ولاغرابة فى ذلك فقد كان معظم المشتغلين بالعلم فى العصور الوسطى من رجال الدين وقد لجأ هؤلاء إلى الفلسفة والمنطق يؤيدون بهما تعاليم المسيحية

واشتهر النساطرة واليعاقبة من أتباع الكنيسة الشرقية باحتفاظهما بعلوم الأقدمين وفلسفتهم ، وهم فى واقع الأمر حلقة الاتصال بين التراث العلمى اليونانى وبين العرب . وكان النساطرة مترجمين لكثير من كتب الفلسفة واللاهوت عن اليونانية إلى اللغة السريانية كما حذقوا الطب والكيمياء وعرفوا بهما فى فارس وفى البلاط العباسى . والعلاقة وثيقة — كما يقول الأستاذ الدكتور بطلر فى كتابه (فتح العرب لمصر) — بين لغة السريان وبين العلم . والظاهر أنه كان لا بد لكل من يريد أن يحذق علوم الأقدمين من الالمام باللغة السريانية أولا ، وأن يتتلمذ على أساتذة من النساطرة ثانياً

ويهمنا بنوع خاص كمصريين أن نتعرف مقدار ما أفاد العرب من علوم الاسكندرية . والمؤرخون العرب والسوريون يعتبرون الكاتب والمؤرخ « حنا الأجرومى » أصدق ممثل للحركة العلمية الاسكندرية وآخر رجالها، وإليه وإلى الفيلسوف السفسطائى « اصطفان الاسكندرى » وإلى اصطفان الأثينى وهو طبيب مؤلف ومعلق على بعض تصانيف « جالين » الطبيب الأسكندرى يرجع الفضل فيما نقل العرب من علوم الأسكندريين

وحنين بن إسحق من أكبر الناقلين لعلوم الأسكندرية يذكر لمناسبة نقله لمقالات جالينوس إلى السريانية والعربية أنه قبل الفتح العربى بقليل تضافرت جهود أطباء الأسكندرية على جمع سبعة من مصنفات جالينوس الطبية ، أصبحت أساساً للدراسات الطبية فى وقت كاد لواء العلم فيه يسقط أو قل سقط بالفعل فى مدينة الأسكندرية ، اللهم إلا إذا اعتبرنا تلك الاجتماعات التى كانت تعقد ليتذاكر فيها المجتمعون من محبي العلم عامة والطب

خاصة بعضاً مما وضع جالينوس، أو ليقوموا بنقلها إلى لغة أخرى من غير كبير تقيد بتعاليم جالينوس نفسه

وممن يذكر المؤرخون العرب أنهم اشتركوا فى هذا العمل الطبى الكبير فى أخريات أيام العلم الاسكندرى : حنا فليوتس واسطفان الاسكندرى وجسيوس وبلاديوس ومارينوس ، الذين علقوا على مؤلفات أبقراط وجالين

ومما شهد العرب فى الاسكندرية مدرسة فلسفية مسيحية أعقبت المدرسة « الأفلاطونية الحديثة » التى كان يتزعمها « الشيخ اليونانى » أفلوطين الاسكندرى كما يصفه الشهرستاني

ومن أشهر فلاسفة هذه المدرسة الفلسفية المسيحية الفيلسوف المسيحى السريانى « حنا الأفامى » نسبة إلى أفامية إحدى مدن سوريا الشمالية ، والطبيب « سرجيوس الرسعنى » المعروف باسم تيودوسيوليس الذى نقل عدداً لا بأس به من مقالات جالينوس إلى اللغة السريانية . وقد أنتجت هذه المدرسة نفسها الطبيبين المصنفين « بولس الأجانيطى » و « أهرون » وقد أثر عن هذا الأخير كتابه « الفتاوى الطبية » الذى نقل من السريانية إلى العربية وكان له أثره المحسوس فى الطب الاسلامى فى أوائل عهد العرب بالاشتغال بالعلوم الطبية

ومن الطريف أن نعرف كما يقول الأستاذ الدكتور ماكس مايرهوف أن الحجة الذى يحدثنا عن مدرسة الاسكندرية فى عصر من عصور اضطراب الاسكندرية وركود حركتها العلمية إنما هو « الفارابي » الفيلسوف العربى الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى، يقول فى كتابه عند ذكر الفلسفة اليونانية وهو كتاب مفقود الآن إلا فقرات منه وعاها كتاب « عيون الأنباء » لابن أبى أصيبعة تفيد أن امبراطور المسيحيين كان يتدخل فى حرية البحث والدراسة ويقصر ما يدرس من علم المنطق فى كتب أرسطو على نقط لا تتعدى باب « الأشكال الوجودية » وكان يحرم دراسة ما عدا ذلك لتعارضه مع التعاليم الدينية المسيحية . ولا يهمنا ذلك إلا للدلالة على أن الاسكندرية لم تصبح قبيل الفتح الإسلامى وسطاً صالحاً للدراسة الحرة كما كانت من قبل ، بل أصبحت الحركة العلمية فيها وقفاً على رجال الدين؛ ولم يكن من خير العلم أن يتناوله رجال الدين ؛ فيخضعونه للدين وسلطانه

ويذكر الفارابى أيضاً أن أستاذه المسيحى « يوحنا بن حيلان » رفض أن يعلمه فصولاً بذاتها من علم المنطق لأرسطو كان محظوراً على فلاسفة الاسكندرية فى ختام القرن التاسع الميلادى تعليمها إلا حين أبيح ذلك فى وقت ما للمسلمين دون سواهم

ولا يعزب عن البال أن الحركة العلمية وإن تكن قد فقدت فى الاسكندرية مرتعها الخصب فقد وجدت فى النسطورية المنتشرة فى الشرق الأدنى وتطرقها إلى جوف الامبراطورية الساسانيـة ما أيقظ فى الناس هناك رغبة صادقة فى العلم فى شكله الهلينى السريانى

ويعرف التاريخ أن الامبراطور (زينو) كان قد أمر بتحطيم مدرسة علمية نسطورية عام ٤٨٩ م كانت مزدهرة فى « أودسا » فأعقبها على الأثر مدرسة قامت فى « نصيبين » ببلاد الفرس . ونرى أنه قامت بجند يسابور باقليم خوزستان بفارس أيضاً مدرسة طبية ذات بال ظلت حتى القرن التاسع الميلادي ، وفيها تخرج كثير من الأطباء الذين خدموا بلاط الخليفة العباسي ببغداد وجلهم من المسيحيين . ويهمنا ذلك للدلالة على أن النساطرة كانوا على أقل تقدير منذ القرن الخامس الميلادى يشتغلون بالعلم وبالطب خاصة فى أودسا ونصيبين وجنديسابور من أعمال فارس، فلم يكن غريباً أن يكونوا حلقة الاتصال بين علم الاسكندرية والعرب فيكون منهم نقلة هذا العلم والحفظة عليه فى عصر عصفت فيه أنواء الاضطراب فهددت الثروة العلمية الهلينية بالزوال

ويحدثنا الأستاذ ماكس مايرهوف عن وثائق قيمة يتضمنها كتاب تاريخ الحكماء لابن أبى أصيبعة وأصلها عن كتاب لأبى نصر محمد الفارابى مفقود تتضمن « أنه بعد خضوع الاسكندرية للاسلام انتقل مركز الثقافة منها إلى « انطاكية » وهناك استقر طويلا حتى قضى معظم أساتذة العلم نحبهم غير رجلين هجرا انطاكية يحملان ما اقتنيامن كتب، أحدهما من « حران » فى أعالى أرض الجزيرة ، والثانى من « مرو » فى بلاد العجم . وكان من تلاميذ « المروزي » هذا ابراهيم المروزى ويوحنا بن حيلان. أما تلاميذ « الحرانى » فكان منهم القس « إسرائيل » و « الكويرى » وهذا الاسم الأخير تحريف للاسم السريانى كيوريه أو قيرس

وقد أفادت بغداد من علم الكويرى والقس إسرائيل وحنا بن حيلان ما أفادت وانتفع بلاط العباسيين بطب هؤلاء، وأخذت عن هذا وذاك الثقافة الإسلامية ما أخذت عن طب القدماء وفلسفتهم .

وكان انتقال مركز العلم من الاسكندرية مستقر العلم الهلينى اليونانى إلى أنطاكية فى خلافة عمر بن عبدالعزيز ومن أنطاكية إلى حران فى خلافة المتوكل العباسى . وانتهى العلم فى زمن المعتضد إلى عالمين هما « الكويري » و « يوحنا بن حيلان » الذى مات ببغداد فى خلافة المقتدر ، وعن هؤلاء انتقل إلى « ابراهيم المروزى » و « محمد بن كرنيب » وأبى بشر متى بن يونس وهما تلميذان لابراهيم المروزي . وينسب إلى متى هذا أنه علق على كتب أرسطو فى علم المنطق . وبوفاة متى هذا ببغداد فى خلافة « الراضى » انتقلت الفلسفة العربية إلى أبى نصر محمد بن محمد الفارابى أحد تلاميذ حنا بن حيلان وهو أشهر من يرجع إليهم فى المسائل الفلسفية من العرب والذي لم يكن ينافسه غير مسيحى واحد هو « أبو زكريا يحيى بن عدى »

ولقد سبق أن عرفنا أن دراسة الفلسفة اليونانية على الشكل الذى انتهت إليه فى الاسكندرية هاجرت إلى « حران » مغادرة أنطاكية ؛ وغدت حران بذلك وسطا لدراسة الفلسفة اليونانية ، وعلم النجوم كما عرفه اليونانيون ولاسيما وقد صادفت هذه الناحية من نواحى الدراسة فى حران فئة « الصائبة » من عبدة النجوم فوجدوا فيهـا مرتعاً ووجدت فيهم تلاميذ مخلصين . وهنا فى حران نشأ بعض أعاظم فلكيي العرب أمثال « ثابت بن قرة » والبتانى وغيرهما

وقد تجلت العقلية العربية الهاضمة بكل مزاياها ومميزاتها فى حركة النقل الكبرى فى عصر المأمون فترجمت إلى العربية أشهر الكتب فى كل ناحية من نواحى الثقافة . ويمكننا أن نعتبر هذه الثروة الفكرية الهائلة التى نجمت عن هذه الحركة أساس الثقافة الاسلامية كلها ، وهى ثقافة متشعبة الأصول واسعة الأطراف يحتاج الالمام بفكرة إجمالية عنها إلى مقال خاص

ولا غنى لطالب الثقافة الاسلامية عن الالمام بالنواحى المختلفة التى شملتها هذه الثقافة وبعضها فكرى بحت والبعض مادى له اتصال وثيق بالحضارة . وهذا الجانب المادى فى اعتبارنا هو الطابع الجديد الذى طبعه العرب على وجه العالم منذ القرن السابع الميلادى حتى العصر الذى فشت فيه المدنية الأوربية بما استصحبت من ذوق جديد شغف العالم به فكان قاضياً على كثير من نواحى الحضارة الاسلامية، فحب الايرانيين وشغفهم بتقليد الأوربيين فى زمن الدولة الصفوية فى القرن السادس عشر طبع التصوير الفارسى وهو مظهر من مظاهر الحضارة الاسلامية بطابع أوربى أفقده مميزاته الأساسية التى هى سر جماله وسحره ، وانتشار الطراز الأوربى فى البناء قضى فى مصر مثلاً على الطراز التركى العثمانى وهو آخر مدرسة من مدارس العمارة الاسلامية

ولعل هذه العناية التى بدت من جانب وزارة المعارف لاحياء الثقافة الاسلامية لا تكون قاصرة على إحياء الجانب الفكرى منها ، بل لعلها تتناول الجانب المادى أيضاً فيعود إلى الحياة طراز إسلامى فى البناء تتسم به مصر الاسلامية وينبعث منها إلى البلاد الاسلامية المجاورة ، وتمنى مصانع النسج باخراج أقمشة ذات أنماط فارسية بارعة الجمال كالتى عرفناها فى دراساتنا . وتتمتع بلادنا بمركزها الجغرافى بمكانة طالما أدت بها أجل الخدمات كوسيط بين الشرق والغرب . وقد أغرم الغرب يوماً ما بفنون الشرق وحضارته وكان ناقلاً عنه باعجاب شديد . ويعى تاريخ الفنون كثيراً من المعلومات عما كان بالبندقية فى القرن السادس عشر من مدارس فنية مهمتها تقليد التحف النحاسية الشرقية والخزف الشرقى وما كان لصقلية من (طراز) أو مصانع النسج التى كانت تخرج منتجاتها محاكية الأنماط المصرية والفارسية محاكاة تدعو إلى كثير من الاغتباط والاعجاب

ولنا فى موضوع الثقافة الاسلامية جولات مستقبلة إن شاء الله نتناول فى إيجاز حركة النقل ونشوء المدارس والجمعيات العلمية الاسلامية فى مقالنا التالى

(دار الآثار العربية) ابراهيم جمعة
خريج معهد الدراسات العليا للآثار
الاسلامية بدرجة الشرف

بين العقاد والرافعي

« سارة » وغزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٣ —

حديثي اليوم عن « سارة » وعن غزل العقاد ، فما يصح — في الحقيقة — أن يكون إلى جانب الفن الممتاز ، والحياة الدافقة ، والعبقرية المرموقة ، مجال للأحاديث التافهة ، والجدال العقيم ، والطبائع المغلقة . نحن هنا في حرم مقدس ، فلا يليق تدنيسه بالأهاذير !

ولقد كنت أخذت بعد إجمال الرأى فى مكانة سارة من الأدب ، أشخص بعض خصائصها . وسأتم اليوم ما بدأت ؛ إلا أن هناك ملاحظة أحب أن أعرضها . فالقارئ لسارة ، المتتبع لمواقفها وحالاتها النفسية، التى تُجسّم حتى تصبح شخوصاً ملموسة ، يجد كثيراً من الحالات والشخوص التى تشابهها فى قصائد العقاد الغزلية ؛ وقد مثلت لهذا فى الكلمة الماضية بقطعة « الحان والمسجد » . وليس هذا عجيباً ، فالعقاد هو خالق هذه الشخوص هنا وهناك ، ولكنه جدير أن يلفت النظر بدلالته على أن شخصيتى « همام وسارة » عميقتان فى نفس المؤلف ، وأنه استوعبهما فى نفسه وحسه قبل أن يبرزها على الورق « قصة » ومن هنا كانت حياتها ، وكان امتيازها . وسيرى القارئ أمثلة أخرى للتوافق أو التشابه بين كثير من الشخوص النفسية فى القصة وفى الديوان

***

من الخصائص الفريدة فى « سارة » تلك الملاحظة الدائبة على تسجيل الحالات النفسية وإبرازها وتحليلها . فما من خطرة خاطرة ، أو خلجة عابرة ، إلا وهى واضحة مرسومة ، تبلغ فى وضوحها حد التشخيص . وفى هذا القول ما يشمل الخاصية الأولى التى أشرت إليها فى الكلمة الفائتة من التفات همام إلى « كل ذرة فى نفس حبيبته وكل لحظة من لحظات حبه » ولكننى أعنى هنا أكثر مما عنيت هناك، أعنى الحالات النفسية التى أحس بها همام، أو أحستها سارة، أو أحساها معاً فى مدى حبهما كله. فمن هذه الحالات تبرز شخوص شتى ، تساوى أحفل القصص بالشخوص الحقيقية التى تعيش فى الحياة . والواقع أن « الشخوص النفسية » كما أسميها فى « سارة » أعمق ، والالتفات إليها أصعب ، لأنها تعيش فى نفس من يرصد نفسه لملاحظتها وتسجيلها ! فهى فى حاجة إلى طاقة فنية كبيرة ، وإلى ترتيب عقلى محكم ، لكشفها وإبرازها

وكل شخص من تلك الشخوص لا يقل أصالة وفنية عن سواه ، ولكنا نختار :

بعد قطيعة همام لسارة لقيته مصادفة ، ودار بينهما حوار ، واتفقا على أن تزوره فى الساعة الخامسة موعدها القديم للقاء . ولكن هماماً كان قد ذاق قبل القطيعة ماذاق ، ثم آوى إلى ركن شديد واعتصم بالفراق والسلوان الكظيم . فلما كان هذا اللقاء المفاجئ ، عادت إليه عقابيل الداء ، ولم يعد مصمماً على انتظارها ولا مصمما على لقائها ، و « العقاد » يصفه فى يوم الموعد :

« ثم استيقظ فى الصباح وهو يسأل نفسه كأنما يسأل مخلوقاً غريباً يجهل ما عنده من نية وشعور ؟

« أتنوى أن تنتظرها فى الموعد »

« فما هو إلا أن وضح السؤال فى خاطره ، حتى شعر بأنه سؤال غريب ، يدل على ما وراءه ، وحتى بدت له الدهشة من أن تكون هناك نية معقولة غير الانتظار !

« وهنا دارت فى سريرة هذا الرجل — هذا الرجل الواحد — مناقشة عنيفة طويلة كأعنف ما تدور المناقشة بين رجلين مختلفين كلاهما مصر على عزمه ، وكلاهما يحاول جهده أن يخدع الآخر ويستميله إلى رأيه ، وكلاهما يبذل كل ما هو قادر عليه فى هذا الحوار من أساليب الاقناع والاغراء والرياء والتصريح

— كيف لا تنتظرها ؟ أتعطى سيدة موعداً ولا تنتظرها فيه ؟ أهذا يليق برجل ؟

— ولكنها ليست سيدة كسائر السيدات ، ولا زائرة من زائرات المجالس العامة اللواتى تقع بيننا وبينهن هذه التكاليف

إن هذه المجاملات أو هذه القيود لا حساب لها فى العلاقات التى انطلقت من جميع القيود

— ولكن مم عساك أن تخاف ؟ انتظرها وقل لها : إنك لا تريد أن تراها بعد هذا الموعد !

— عجباً ... أتجهل ما أخافه ؟ أتجهل تلك الآلام التى لا حيلة فيها لمخلوق ، ولا تزال تبتدئ من حيث تنتهى ، وتنتهى من حيث تبتدئ ، لأنها تبتدئ وتنتهى من الشكوك ، وليس للشكوك قرار حاسم ولا مقطع بيقين ؟ أتجهل تلك الأشباح اللئيمة التى تطل عليك فى أطيب أوقاتك فتنغص عليك كل لذة ، وتكدر عليك كل صفاء ؟

— لكن علام كل هذه الشكوك التى ليس لها أول ولا آخر ... اصرفها عنك مرة واحدة ، وافرض أسوأ الفروض ، وقدر أنها تخونك ، وأنك تلهو بها فى ساعات فراغك ، ولا يعنيك من شأنها بعد ذلك إخلاص ولا خداع

— أأنت مخلص فيما تقول ؟ وكيف تنقلب هذه المرأة التى كانت كل نساء الأرض عندي ، وكل ما يخفق له قلبي ، فتصبح بين مساء وصباح ، وهى لهو ساعة ، ومتعة فراغ ؟ أهذا خداع يجوز على إنسان ؟ أو تضمن إذا أنا اتخذتها لهواً ومتاعاً ألا يتمكن اللهو ويطيب المتاع ، وأننا لا ننكفئ بعد أيام أو بعد أسابيع إلى استغراقنا القديم ، وشكوكنا القديمة ، وعذابنا الأليم ؟ لا ، لا هذا محال باطل ، واستدراج لا يستر ما وراءه ، وتزوير لا أرضاه

— « لكن الفتاة مليحة مع ذلك .. تصور بضاضتها وهى جالسة إلى جانبك فى المركبة ، وأنفاسها وهى تهب على خدك فتسرى فى جميع أوصالك ، وقبلتها وهى ترتعش على شفتيك ، وحلاوتها وقد زادها التحول فى هذه الأشهر حلاوة على حلاوة ، وتحولها نفسه وما ينبىء عنه ويكشفه لك من المودة والحنين ، وتصور ذلك كله بين يديك فى مدى بضع ساعات ، وأنت مع هذا تفكر .. تفكر فى ماذا ؟ فى نبذ هذه النعمة التى تسعى إليك ، وفى الخوف والجبن والفرار !

— « هذا حق كله . إن الفتاة لمليحة ولا نكران .. ولكن !

— « ولكن ماذا يا أخى .. ! انتظرها واله بها ، ولا تدعها لغيرك ينال منها مالا تنال ... ولا تستضعف عزيمتك هذا الاستضعاف المهين ، وأنت رجل ذو عزيمة ومضاء ، فاذا عاودتك الشكوك فأنت قادر على قطع العلاقة بينك وبينها كما قطعتها من قبل ، وإلا فأنت رابح ما استرجعت من متعة وسرور .

— « عزيمتى ؟ وأين هى عزيمتى إن كانت لا تنجدنى فى هذا النزاع المنيف ؟

— « إنها تنجدك فى كل حين ، ولكنك أنت لا تريدها الآن ... لا تريد عزيمة الجفاء والقطيعة ، ومتى أردتها غداً فهى حاضرة لديك ، وهى فى كل ساعة طوع يديك .. ومع هذا ألا يشوقك أن تستمع إلى حديثها عن أيام القطيعة بينكما ؟ ألا يجوز أن تفسر لك بعض الغوامض ، وتريك من البواطن ما ينقض الظواهر ، وتصف لك من حالها فى غيابها عنك ما يهمك ولو من باب الدراسة والاستقصاء ؟ .

« وتعاقبت الساعات ساعة بعد ساعة فى هذا الحوار الحثيث ولا قرار

« وتناول صاحبنا غداءه ولا قرار

« وجاءت الساعة الرابعة ولا قرار

« نعم لا قرار فيما يشعر به صاحبنا ، أو صاحبانا المتحاوران ، على أصح التعبيرين . غير أن الذى حدث بعد ذلك يدل دلالة لاشك فيها على أن الانسان يقرر ما ينويه وهو لا يشعر ولا يعترف بشعوره ، بل يدل على أن صاحبينا المتحاورين لم ينفردا بالميدان فيما شجر بينهما من عراك عنيف ، وإنما كان معهما ثالث لا يدريان به ، وهما ماضيان فى الاقناع والانكار .

« ففى الساعة الرابعة وبضع دقائق — والحوار على أشده بغير قرار — وجد صاحبنا أنه يلبس ملابس الخروج ، ويفتح باب حجرته ، وينحدر على الدرج ، إلى حيث لا يعلم إلا أنه خارج من المنزل وكفى . ومضي فى طريقه مهرولا كمن يمضى إلى غاية معلومة يخشى أن يفوته لحاقها ، وركب سيارة لم يعرف إلى أين تحمله إلا بعد أن استقر فيها ، واستطاع أن يمكث حيث ذهب ساعات ثلاثاً لا ساعة واحدة ولا نصف ساعة كما كان يتمنى وهو يعالج أن ينجو من الموعد المحدود !

« ثم ساوره القلق ، ودلف إلى منزله بالسرعة التى فارقه بها ، واستحالت كل حيرته قبل الخروج إلى حيرة أخرى ، أو شوق

آخر : وهو أن يعرف ما حدث فى غيابه بجميع تفصيلاته : هل حضرت فى الساعة الخامسة أو حضرت قبلها أو بعدها؟ وماذا قالت حين علمت بخروجه؟ وما بدا على وجهها وهى تصدم بهذه « المقابلة » ؟ وإذا كانت لم تحضر فما الذى عاقها عن موعدها ؟ ولماذا ضربت ذلك الموعد باختيارها ؟ هل ضربته وهى تنوى أن تخلفه من اللحظة الأولى ، أوطرأ الحائل بعد ذلك على الرغم منها ؟ »

أما الذى حدث بعد هذا ، ففى القصة نبؤه . وإلى هنا يستطيع القارىء أن يدرك الصدق والبراعة والامتياز فى تصوير هذه الشخوص النفسية . ومتى علمنا أن القصة حافلة بها ، أدركنا قيمتها الفنية ، وقيمتها كذلك فى الدراسات النفسية العالية .

ولعل مما تزيده هذه الحالة وضوحا قراءة هذه الأبيات بعنوان « النعيم المفقود »

فيم اجتنابك ظلها الممدودا ؟ ... ولم اتقاؤك يومها الموعودا ؟
ولأى طارقة كرهت مزارها ... وذممت طالعه ، وكان حميدا ؟
تلك المآلف كنت تهتف باسمها ... كيف اجتويت جنابها المعهودا ؟
تخشى اللمام بها وتفزع أن ترى ... شفة تردد ذكرها ترديدا
كانت سماء كما فأصبح وردها ... كالقبر يغشاه النزيل وحيدا
وغدت كأنك حيث تقبل واجد ... شبحاً هنالك للنعيم شريدا
الآن فاستقبل بكل محلة ... رصداً يردك هائماً مزءودا
وأقم لنفسك فى منازل لهوها ... منفى على قرب الديار بعيدا
لا النيل مطروق الرياض ولاحمى ... خوفو على تلك الذرا مقصودا
وترى دواعى « عين شمس » بدلت ... لمنات شؤم ينتحين طريدا
يجنى عليه بشوشها ويذوده ... ما كان يجذبه إليه سعيدا
وجد الجحيم بكل أرض من رأى ... فى حيث سار نعيمه المفقودا

وإذا كنت لا أستطيع أن أستقصى الحالات النفسية فى القصة ، فلابد أن أشير إلى حالة الشك من ص ٢٤ إلى ص ٢٧ فى القصة ، وأن أنصح طلاب الأدب النفسى الرفيع بمراجعتها وقراءة قصائد : « يوم الظنون ص ٣٢٧ والحب المريب ص ٣٢٨ من الديوان . وكذلك فصل « القطيعة » والوحى الفنى لحالة همام وسارة قبلها ، وهما يندفعان فى القرب واللقاء ، ويندفعان فى الوقت ذاته إلى القطيعة من حيث يشعران أو لا يشعران ! ، ولا يكون للحب من غذاء فى هذه الفترة إلا قوة الاستمرار من الماضى ، وخوف المستقبل ، لا الرغبة فى البقاء والدوام وذلك من ص ٨٦ إلى ص ٩٠ من القصة . ومثلهما حالة « همام » بعد اليقين وسفر أمين فى ص ١٩١ من القصة ومعها قصيدة اليقين ص ٣٣٩ وقصيدة السلو ص ٣٣٥ من الديوان

***

وفى قصة « سارة » عقد المؤلف فصلا بعنوان « لماذا هام بها ؟ » تقرأ هذا الفصل فترى فيه التفسير الكافى لا للحب «همام» بل كذلك لغزل « العقاد » كله فى دواوينه ، وتلمح فيه ذلك النضوج الفنى والنفسى الذى ألمنا إليه فى خصائص « سارة » الأولى .

فقد « هام بها » أولاً : لأنها تعمقت فى حياته ، وتعمق فى حياتها رويداً رويداً ، وكانت الطبيعة من ورائهما تدفعهما إلى هذا التعمق ، وتوغل بهما فى دروبها ومنحنياتها ، وهما يلتذان هذا الابتذال ، لأن الالتذاذ به وديعة مذخورة فى نفسيهما من ودائع الطبيعة الأريبة

« وهام بها » ثانياً : كما يقول لأنه وجد « لذة الاستكشاف الدائم المصحوب بالتجديد والتنويع ، فإن الرجل ليسره أن يستكشف المرأة ، ويسره ألا يزال واجداً فيها كل حين ميداناً جديداً للاستكشاف ، ويسره أن يراقب المرأة وهى تستكشفه وتتخذ لها منسرباً إلى عواطفه ، وترفع من دخائله حجاباً وراء حجاب ، ويسره أن يستكشفا الدنيا معاً ، والناس معاً والطبيعة معاً ، بروح مركبة من روحين وجسد مؤلف من جسدين ، وضياء كله شغوف وتجديد ، وآفاق تنساح إلى آفاق

« فان وقف الاستكشاف ولم يتجدد من جانب الرجل ومن جانب المرأة فقد يكون سبباً للسآمة والعزوف لاسبباً للشغف والهيام

« إن المرأة فى استكشافها الرجل لكمن يجوس خلال الغابة المرهوبة ليهتدى أولاً وآخراً إلى موطن الرهبة منها ووسيلة الطمأنينة إلى تلك الرهبة ، ثم يرتع فى صيدها وغمرها ويشبع من مظاهر العظمة والفخامة فيها

« وإن الرجل فى استكشافه المرأة لكمن يجوس خلال الروضة الأريضة ليهتدى إلى مجتمع الظل والراحة والمتعة والحلاوة بين ألفافها وثناياها . فهو يستكشفها ليعرف أحلى ما فيها ، وهى

تستكشفه لتعرف أرهب ما فيه ، ثم تصبح الروضة روضة وغابة، وتصبح الغابة غابة وروضة ، ويقوم حواليهما سور واحد يشعران به إذا خرجا إلى الدنيا ، ولا يشعران به وهما بنجوة منها

« وكان همام وسارة يتكاشفان كل يوم ولا يخفيان أنهما يتكاشفان ، بل يتحدثان بما يعن لهما من شأنها وشأنه ، كأنهما رحالتان فى نزهة طويلة ، يشتركان فى مراجعة عمل النهار كلما سكنا إلى ظلال الخيمة فى المساء

« كان يراقبها فى نفسها ويراقبها فى نفسه ؛ كان يرى المرأة المرحة الطروب وهى تلهو وتعبث ، ويرى المرأة الكسيرة المطواع وهى تلتمس الأمان والعزاء ، ويرى الانسانة الفطرية وهى تطيع الغريزة وتلبس « دورها » على مسرح الطبيعة بين نباتها وحيوانها ومكانها وأهوائها ، ويرى المرأة الذكية وهى تقرأ النثر والشعر ، وتنتقد الصور المتحركة ، ويرى المرأة العصرية وهى تتغلب على امرأة الجيل الغابر فى ميدان ، وتخضع لها وتنهزم أمامها فى ميدان ، ويرى من وراء ذلك جميعه، وفى كل ذلك جميعه، المرأة الخالدة التى لا تتحول ولا تتبدل ، و « الأنثى » السرمدية التى يهمها من « الذكر » الحماية والجاه قبل كل شىء وبعد كل شىء ، ولا يهمها العقل والرجحان والفضائل والمناقب إلا لأنها وجه من وجوه الحماية والجاه »

و « هام بها » ثالثاً : لأنهما « مازالا يتكاشفان ويتكاشفان حتى علما أنهما مكشوفان لا يتواريان فى جنة لا ينبت فيها ورق التين ، فكان هذا التكاشف سبباً ثانياً من أسباب هيام همام

« ومن أسباب هيامه بها ألفة متغلغلة فى أنحاء النفس والجسد كألفة المدمن للعقار المخدر : من شاء أن يسميها حباً فهو صادق ومن شاء أن يسميها بغضاً فهو صادق ، ولمن شاء أن يزعم أن المدمن يتعاطى عقاره وهو راغب فيه، ولمن شاء أن يزعم أنه يتعاطاه وهو ساخط عليه . فقصارى القول أنه يتعاطاه ، وأن الاقلاع عنه يكلفه جهد الطاقة وغاية المشقة »

و «هام بها» لغير هذا وذاك وذلك من الأسباب، والقارئ خليق أن يقولها فى نفس واحد ، لقد هام بها لأنه رجل كامل الرجولة ، ولأنها امرأة كاملة الأنوثة مع ما فيهما بعد ذلك من امتياز واختصاص

والناس يحبون ، ولا يسألون أنفسهم لماذا أحبوا ، ولا يكلفون أبطال قصصهم هذا السؤال . ولكن العقاد هو الذى يصنع ما يقول همام :

« أنا أستمتع بالشىء ثم أبحث عن فلسفته ، وإننى لأبحث عن فلسفته كما يجيل الشارب الكأس فى جميع جوانب فمه ولهواته ، كما لا يبقى جانب من النفس لا يأخذ نصيبه من متاعه ، فأحسه ، وأعمله ، وأذكره ، وأفكر فيه ، وأستقصى معناه ! »

وهذه الجملة مفتاح من مفاتيح أدب العقاد ، ولا سيما غزله الذى يقف أمامه المتلقون ، فيقولون هو غزل عقلى ، تملؤه الفلسفة ، وتقل فيه العاطفة . ولعلهم يعرفون الآن لماذا يتفلسف العقاد بعد الاستمتاع ، ولعلهم يدركون أن هذه إحدى وسائله لتعميق الاحساس بالحياة ، وإفساح جوانبها لمتمة العاطفة ، وكل جوانب النفس الانسانية

***

وأنت واجد بعد كل أولئك فى « سارة » مظاهر واضحة لنضوج الحب فى نفس « همام » وفسحة النفس لتلقى أطيافه المختلفة، وفسحة أخرى لتلقى أنواع الجمال، وأنواع المرأة، وإعطاء كل منهن ما تستحقه طبيعتها من الاهتمام والاتجاه . وخبرة تامة بنفسية المرأة الخالدة وغرائزها وخصائصها الأنثوية ، وخبرة مثلها بنفس « سارة » ممثلة هذه المرأة الخالدة ، وتصوير بارع لخصائصها ومميزاتها ، تدرك منه مقدار امتيازها واستحقاقها لحب « همام » وقد عقد عنها فصلا بعنوان « من هى ؟ » ولكنك خليق أن تطلبها كذلك فى غير هذا الفصل من مبدأ القصة إلى نهايتها ، فأنت واجد فى كل صفحة ، وكل موقف جزءاً من « ماهيتها » التى حللها فى الفصل المنوى المحدود

وإنما أجمل هذا الاجمال السريع حيث يحلو التفصيل ويجمل لأننى استغرقت الفراغ المحدد لى من « الرسالة » ولم أتحدث عن « غزل العقاد » وإن كنت قد وضعت بعض الأسس للحديث عنه

فالى اللقاء .

« حلوان » سيد قطب

حول أدب الرافعي

بين القـــديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

— ٤ —

أشفقنا على كاتب مقالات « بين العقاد والرافعي » من هول ما جنى على نفسه بتسخيره عقله لهواه فيما تصدى له ، فدعوناه إلى أن يفيء إلى الحق ويسلك في أدبه سبيل القرآن قبل أن يحق عليه ما حق على كل مجانب لطريق القرآن من قبله . لكننا لم نكد نتم قراءة مناقشاته وشروحه التي بسط في العدد ٢٦٢ من الرسالة حتى أيقنا أننا أمام مغرور لن يدع له غروره مرجعاً إلى حق ، ولا رجوعاً عما هو بسبيله من مكابرة ومماراة

وكان أكبر ما أيأسنا وآسفنا منه في كلته تلك جوابه على ملاحظة الفاضل الفلسطيني الذي نبهه بجلاء ووضوح إلى خطئه فيما اعتبره تناقضاً بين تلخيص الرافعي لرأي شوبنهور في الجمال وبين حقيقة ذلك الرأي . في ذلك الجواب بعد أن ذكر أن نصف تلك الملاحظة في موضعه قال : « (وقد نشأ هذا عن اضطراب في ترتيب بعض الجمل ! وكثيراً ما يقع مثل هذا فنكتفي بفطنة القارئ) ولكن مع هذا بقي التناقض بين قول شوبنهور وتلخيص الرافعي واضحاً » . وأكبر المآخذ على هذا الكلام خلق لا عقلي ، وموضع المؤاخذة هو ما بين قوسين — والقوسان من عندنا — فقد كبر عليه أن يعترف بالخطأ صراحة فجمل يخادع عن خطئه بالتماس تعليل لا ينطبق على الواقع كما فعل بالضبط في مقاله الثالث حين أراد أن يخرج من رأي ارتآه في الرافعي إلى رأي . ومخالفة تعليله هذا للواقع يتضح من كلامه الذي انتقده الفاضل الفلسطيني من مقاله التاسع في العدد ٢٦٠ من الرسالة . ونحن موردون الآن ذلك الكلام بنصه ؛ قال :

« ثم هذا الخلط بين الرأي الذي جاء به الرافعي وبين رأي شوبنهور ، ونسبة كلام إلى رجل يقول ضده تماماً . الفيلسوف يقول : إن الأشياء « تسرنا » كلما قربت من عالم الفكرة وابتعدت عن عالم الإرادة . فيقول الرافعي عنه : إن الأشياء « تحزننا » كلما ابتعدت من عالم الفكرة واقتربت من عالم الإرادة . وهو عكس قول شوبنهور . ثم يعود فيقول : « وإنها تفرحنا كلما ابتعدت من عالم الارادة واقتربت من عالم الفكرة . وهو عكس كلام الرافعي الأول ! ! فأيهما يريد ؟ أغيثونا بالله يا أصحاب الفهم وقولوا لنا متى تفرحنا الأشياء ومتى تحزننا ؟ وأي القولين ينسبه الرافعي لشوبنهور وأيهما ينفيه عنه ؟ »

هذا نص كلام سيد قطب الذي يزعم أن في ترتيب بعض جمله اضطراباً هو علة الخطأ الذي نبهه الفاضل الفلسطيني إليه ، ويزعم وراء ذلك أن هذا الاضطراب الموهوم في ترتيب الجمل كثيراً ما يقع فيكتفي بفطنة القارئ ! والقارئ يرى في الكلام اضطراباً ولكن في الفهم والحكم لا في ترتيب الجمل ، فإن الجمل ترتيبها مستقيم كما يتضح لسيد قطب نفسه فإنه مدرس لغة عربية ؛ وليس هناك شك في أن الجمل كانت مرادة كما هي بترتيبها ومعناها حين خرجت من قلمه أول مرة . لكن العزة تأخذه بالإثم فيحاول أن يفر من تبعة خطأ في الفهم قد يغتفر فيقع في تبعة ادعاء مخالف للواقع لا يمكن أن يغتفر بحال . ويزعم مع ذلك أنه يمثل مدرسة « جديدة تعنى بتصحيح المقاييس الأدبية عنايتها بتصحيح المقاييس النفسية » !

مثل هذه المكابرة في الواضح المحسوس هو الذي يئسنا من هذا الكاتب أن يقر بخطأ أو يرجع إلى حق إذا وضح مادام هذا الحق عليه لا له

وقد ارتكب سيد قطب ذلك الخطأ الخلق ليفر من خطأ عقلي فوقع في خطأ جديد من غير أن ينجو من خطئه القديم . إن كلام الرافعي في تلخيصه شوبنهور كلام متسق لا ينقض أول منه آخراً ولا آخر أولا . وإذا كان آخره يوافق رأي شوبنهور بإقرار قطب فأوله يوافقه أيضاً . إنما أراد الرافعي أن يفسر رأي شوبنهور ويقربه للذهن بتمليل معقول يزيل عنه غموضه وتجرده فلم يفهم قطب تفسير الرافعي واستمسك بجملة فيه قطعها عن أخواتها فبدت له كأنها تثبت ما يريد من تناقض الرافعي

شوبنهور يقول — فيما لخصوا له — إن الجمال يكون في عالم الفكرة المنقطع عن الأغراض والشهوات ، ولا يكون في عالم

الارادة المتصل بالأغراض والشهوات . وهو كلام غامض ليس يسهل فهمه وتصوره ، فالتمس الرافعي له توجيها وتعليلا حسنا بقوله إن الجمال المتصل بغرضك وشهوتك ليس بجمال ، لأن غرضك وشهوتك هما زينا الشيء لك فبدا جميلا وإن لم يكن جميلا في الحقيقة . فهو باعتبار الارادة أي الغرض والشهوة جميل ، وباعتبار الفكرة المجردة عن الغرض والشهوة لا جمال فيه . فتعلق قطب بالكلمات « باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه » كما يتعلق الغريق وقال إن الرافعي يناقض بها رأي شوبنهور ! ولو لم يكن يفكر بهواه لا بعقله لرأى أن هذه الكلمات في كلام الرافعي راجعة إلى شيء في عالم الارادة تعلق به الغرض والشهوة ، وهذا الشيء في رأي شوبنهور غير جميل باعتراف سيد قطب نفسه . فقطب هو الذي لم يفهم عن الرافعي ، ورمى الرافعي بأنه لم يفهم عن شوبنهور في كلام طويل جمل يشير فيه ويصيح ويستغيث .

هذا المقال يمثل من الناحية العقلية ضربا آخر من أغلاط قطب ويبرز علة أساسية في سوء تقديره الرافعي . إنه في كثير من الأحوال يخطيء غرض الرافعي ويفهم من كلامه غير ما أراد ثم يحكم عليه بما لم يرد ومالا يدل عليه كلامه : يسرف على نفسه وعلى الرافعي في الحكم وهو في الحقيقة قد أخطأ جوهر الموضوع.

خذ مثلا لذلك رميه الرافعي بأنه ينظر إلى الأمور نظرة مادية ويذكر نفسه وقلبه في سوق « الجوهرات » معتقدا أنها أثمن من القلوب إلى آخر ما تشدق به وافترى على الرافعي .

وسنيد قطب باقي الدعاوى ثم يثبتها بأمثلة ، وهو طريق في إثبات الدعاوى غريب لا يثبت منها شيئاً ولو صحت الأمثلة كلها . ومع ذلك فان كل مثال جاء به سيد قطب ليثبت به دعواه تلك هو مثال أخطأ فيه غرض الرافعي وأخطأ لب الوضوع

إن أول ما هاج قطب إلى تلك الدعوى قول الرافعي من قصيدة له في الحب معجبة :

قلبي هو الذهب الكريـ ـم فلا يفارقه رنينه
قلبي هو الألماس يعـ ـرف من أشعته ثمينه

وواضح أن هذا كأبيات العقاد التي ذكرها اللبابيدي ، من باب التشبيه ومن التشبيه في ناحية مخصوصة واضحة في كل من البيتين . فالرافعي يشبه قلب نفسه بالذهب الكريم لا من ناحية سعره وقيمته — ولو قال الرافعي هذا ما كان فيه عليه من بأس إذ يكون واضحاً عندئذ أن قلبه في القلوب كريم كالذهب في المعادن — ولكن من ناحية أن عاطفته النبيلة لا تفارقه كما لا يفارق الذهب رنينه . والذهب في لغة العلم فلز نبيل لا يصدأ في الجو ولا تؤثر فيه الأحماض ولا القلويات وإن أثر فيه الكلور المتولد.

فكأن الرافعي يقول إن قلبه يحتفظ بنبله وطهارته رغم المغريات والفتن كما يحتفظ الذهب برنينه رغم الصدمات والمغيرات. واختيار الرافعي خاصة الرنين من بين خواص الذهب رمزا لتلك الخواص ينطق بلطف شاعرية الرافعي وسلامة طبعه ، فان خاصة الرنين أشبه خواص الذهب بعواطف القلب : هذه يثيرها ويحركها وقع الحوادث والمناظر ، وذاك يثير موجاته نقر القضبان والأنامل. فليست القافية هي التي ألجأت الرافعي إلى اختيار كلمة الرنين ، ولو فعلت لكان ذلك أوثق لشاعريته ، لأن من أصدق الدلائل على شاعرية الشاعر ألا تصرفه قافية عن غرضه ، ولا تستنزله عن بعضه ، بل تخدم قافيته غرضه فيجتمعان له كلاهما في سهولة ويسر . وهذا من أصدق مظاهر الطبع في الشعراء

والمهم في بيت الرافعي أنه لم يشبه قلبه بالذهب من حيث قيمته ولا من حيث نوع رنينه ، بل في الخاصة الواحدة التي يمتاز بها الذهب من سائر الفلزات غير النبيلة : أنه لا يفارقه رنينه ، وإن اختلفت عليه المؤثرات والظروف . هناك فلزات أخرى كالنحاس والفضة لها رنين قد يكون في الأذن أوقع من رنين الذهب لكن هذا خارج عن مقصد الرافعي . إنما الذي يريد الرافعي توضيحه بالتشبيه هو ثبوت قلبه للحوادث وعدم ذهاب المغريات والأهواء بلبه كما تذهب بأكثر القلوب والألباب . فهدته شاعريته إلى تشبيه قلبه في هذه الخاصة التي تميزه في القلوب بالذهب الكريم الذي يمتاز من غير النبيل من أفراد جنسه باحتفاظه بخواصه ورنينه، على رغم المؤثرات المغيرة، لا يشركه في ذلك فضة ولا حديد ولا نحاس

أما نوع العاطفة التي يستجيب بها قلبه للحوادث فقد أشار اليها ألطف إشارة في البيت الأول حين وصف الذهب بأنه الذهب الكريم . ويشهد للطف حس الرافعي في الشعر أنه اختار هذا

الوصف دون كل الأوصاف التى يستقيم بهـا الوزن . فلم يقل مثلا قلبي هو الذهب الثمين فيدع لكل متجن مترصد متكأ يتكئ عليه فى تهمته التى يتهم بها . والرافعى طبعاً لم يكن يعرف النيب لكن الشاعر المطبوع يتجنب المزالق بلطف حسه وقوة طبعه . وهذا مظهر آخر من أصدق مظاهر الشاعرية والطبع فى الشاعر المطبوع

لكن الرافعى أراد أن يتبع تلك الاشارة اللطيفة إلي نبل قلبه بما يظهرها ويوضحها فلا يكون هناك شك فى نبل ما يتحرك به قلبه من عاطفة ، كما لم يكن هناك شك بعد بيته الأول فى ثبوت قلبه على تلك العاطفة برغم الفتن والأحداث . أراد ذلك فأتبع بيته الأول بيته الثاني :

قلبي هـــو الألماس يعـ رف من أشعته ثمينه

والألمـاس يعرف بعدة خواص : يعرف بكثافته النوعية ، ويعرف بصلابته، فهو يخدش ولايخدش . لكن هاتين الخاصتين لا تصلحان مطلقا لأن تكونا وجه شبـه بين الألماس وبين قلب الرافعى ، لأنها إلى وصف القلب بالغلظة والقسوة أقرب . فهدى الرافعى لطف حسه وصدق طبعه مرة أخرى إلى اختيار الخاصة الواحـدة من خواص الألماس التى تليق أن تكون جامعة بين الألماس وبين قلب مثل قلب الرافعى : خاصة أخذ الألماس للنور والتأثير فيه بتفريقه إلى أضوائه المتعددة بألوانها الزاهية الجيلة، ثم إرسال تلك الأضواء كلها مجتمعة غير مشتتة فتخرج منه باهرة يكاد بريقها يذهب بالبصر . وهي خاصة يشرك الألماس فيها الزجاج والبلور إلى حد ما، ولكن لا بتلك الدرجة التى اختص بها الألماس والتى هى أساس تقدير الناس له . فالألماس بهذه الخاصة الفريدة أشبه قلب الرافعى، وأشبه قلب الرافعى فيما يتناول ويجمع من مختلف الأحاسيس الكريمة والعواطف النبيلة فيهذبها وينظمها ويرسلها أشعة قلبية كريمة طاهرة باهرة تعرفها فى مقالاته رحمه الله فى الرسالة، وتعرف قلبه بها فى القلوب كما يعرف ثمين الألماس بأشعته من مزور الألماس .

أرأيت دقة هـذين التشبيهين وحسن التمثيل فيهما وشموله وكرم المعنى مع كرم اللفظ ؟ هذا هو الذي أخطأه سيد قطب فلم يفهم من ذلك اللفظ الواضح إلا ما تبـادر إلى ذهنه من المعانى السطحية السوقية المتعلقة بالماديات وسوق «الجوهرات» ، فيزعم أن هـذا هو مراد الرافعى ، ويحكم على الرافعى به وما حكم إلا على نفسه . ولو كان العقاد هو قائل هذين البيتين لأدرك قطب منهما هذا المعنى الذى وضحنا مع تمام التطابق فى أوجه الشبه بين طرفى التشبيه ، ولاتخذها دليلا لا على نبل العقاد وسموه وتفرده فقط كما يحب أن يقول ، لكن أيضا على اتساع ثقافته وعلمية تفكيره . لكن اصطناع المعانى العلمية فى الأدب يحتاج فيما يظهر إلى شرط آخر حتى يعجب سيد قطب ، يحتاج بعد الفهم إلى أن يكون مصطنع ذلك فى الأدب هو العقاد .

على أن الرافعى رحمة الله عليه لم يكتف بما فى بيتى التشبيه من دلالة على ما يريد مما فصلناه ، بل أراد ألا يدع الأمر فى ذلك للفهم وقد يخطئ ، ولا للتأويل وقد يختلف ، إذ قد يكون القلب ما يكون ويزعم صاحبه أنه نبيـل يخفق بكل نبيل من العاطفة والشعور . أراد الرافعى أن يرفع الشك من هذه الناحية بالتصريح عما يريد فيكون ذلك تلخيصاً لمراد البيتين وتفسيراً لهما وقطعاً للشك فى معناهما فأردفهما رحمة الله عليه بقوله :

قلبي يحب وإنمـا أخلاقه فيه ودينه

فهو يتأثر بالجمال فى شتى مظاهره ومواطنه، لكن تأثره بالجمال وإن عظم لا يخرجه عما يرضى الخلق الكريم والدين القويم كما تخرج أكثر القلوب خصوصاً فى هذا الزمن الغريب الكنود الذى كأنما طابع أهله الجحود فيأبون إلا أن يجعلوا شكر الله على نعمة الجمال معصيتهم لله فيه . ولا كذلك الرافعىُّ ، فقلبه رحمه الله كان يستجيب لدواعى الجمال فيخفق له خفقاً ويهتز به اهتزازاً لكن من غير أن يخرج فى ذلك عما يعلم أن لله فيه رضا. قلبه يحب وإنمـا أخلاقه فيه ودينه . وهذا عندنا من الفروق الأساسية بين المدرسة القرآنية التى ينتسب إليها الرافعى وبين المدرسة التى تتلقب بالجديدة وهي قديمة قدم الشهوة على وجه الأرض . وقد أشرنا إلي ذلك فى كلمتنا الأولى ونرجو أن تكون لنا إليه عودة قريبة إن شاء الله

هذان موضعان أخطأ فيهما ناقد الرافعى غرض الرافعى برغم وضوح كلامه ، فأخطأ لب الموضوع واتخذ ذلك دليلا على ما الرافعى منه برئ

وموضع ثالث أخطأ فيه جوهر الموضوع مرة أخرى واتهم الرافعي ، قول الرافعي فيما نقل الكاتب من رسائل الأحزان حين أراد أن يقص على صاحبه قصة حبه بغير ترتيب : « فان هذا مما يحسن في تاريخ صخرة تتدحرج، أما أنا فسأقدم لك تاريخ لؤلؤة فريدة »هذا قول الرافعي الذي جعله سيد قطب مثالا لمادية الرافعي ومثالاته « بالجوهرات » إذ لا فرق لدى الفنان الحي بين أن يقص تاريخ صخرة وتاريخ لؤلؤة إلا أن يكون « الثمن » هو الفارق بينهما . والفنان الحي الذي يستشعر الحياة في أعماقها في رأى قطب كان يقول في هذا الموضوع إنه سيقص قصة بنية حية يدخل في تأليفها الحس والشعور« أو تاريخ نبتة تنمو من داخلها أكثر مما تنمو من خارجها » إلى آخر ما ظن أنه يدل على حياة الفنان . ولو جاء الرافعي بمثل ما قال صاحبنا ما سلم من قوارص كلمه وباطل تهمه . وإذا كان كتاب يضطرم بالحب ويتضرم بآثاره لا يدل عند مثل سيد قطب على حياة القلب الذي زاد به العذاب حتى فاض بالكتاب تنفيسا عن نفسه، فهل كان يدل على حياة ذلك القلب عنده أن يمثل في جملة عارضة بنبتة حية أو بنية حية ، أو ما شاء أن يختارها من عالم الأحياء ؟

على أن النبتة الحية أو البنية الحية التي يدخل أو لا يدخل في تكوينها الشعور لا تغنى شيئا في التمثيل لما أراد الرافعي أن يمثل له . إن الرافعي أراد أن يقول إنه سيقص قصة حب قليل الشبيه عزيز النظير : حب نادر كاللؤلؤة الفريدة لا حب عادي كالصخرة المتدحرجة . فالنبتة الحية أو أى بنية حية يقترحها قطب مما قرأ في علم الأحياء هي والصخرة المتدحرجة سواء في العادية والشيوع، من شاء يضع يده على مثلها وضع . ولو مثل الرافعي بهما للحب النادر الذي يريد أن يقص قصته لما كان هو الرافعي في لطف حسه وسلامة طبعه ونفوذ بصره وصدق تمثيله ، ولوقع فيما يصح أن يتهم من أجله بأنه شكلى ينظر إلى ظواهر الأشياء ولا يفقه بواطن الأمور . لا ! ما كان الرافعي في مقام التمثيل للشئ الفريد النادر ليقع فيما كان يقع فيه صاحبنا الفنان الحي من التمثيل بنبتة حية أو بنية حية ، دخل في تأليفها شيء غير الزمان والمكان أو لم يدخل . لكن الرافعي اختار للتمثيل شيئا نادرا قابله بشيء عادى هو الصخرة المتدحرجة من السهل أن يراه الانسان في مكانه الناسب ومن الغريب أن الرافعي اختار للتمثيل لحبه النادر الذي كان ، شيئاً فريداً لا ينتج إلا من الحياة ، ومن الحياة عند ملتقى بحرين ، وإن كان هو في ذاته غير حي . وكلما أوجه شبه بين اللؤلؤة الفريدة وبين حب الرافعي الذي كان . فهو حب فريد أنتجته الحياة عندملتقى قلبين أو نفسين مختلفتين في النوع اختلاف البحر والنهر وبينهما مع ذلك من الصلات الفطرية الوثيقة ما بين البحر والنهر . ثم هو حب كان وانقضى فهو كاللؤلؤة لا في الانفراد فقط ولكن في انقضاء النمو وفي عدم الحياة . ترى هل كان الرافعي رحمه الله ينظر إلى كل ذلك حينما مثل لحبه باللؤلؤة الفريدة ولم يمثل بالماسة الفريدة مثلا ، وهي والصخرة من قبيل واحد ؟ أكبر الظن أنه كان ينظر إلى كل ذلك في مثله الذي اختار . والئن لم يكن واختار بفطرته المثال الواحد الذي يشبه حبه من كل تلك الوجوه فلقد أقام من حيث لا يقصد الدليل الحسى الذي لا ينقض على أنه رجل الفطرة السليمة والطبع الذي لا يضل . ولا يضره بعد ذلك ألا يسمو إلى فهمه أناس يتهمونه اتهام البغضاء ، وهو مما يتهمونه براء

وهناك أمثلة أخرى كثيرة أخطأ فيها سيد قطب جوهر الموضوع، لكننا نقتصر الآن على ما هو من قبيل الأمثلة السابقة في غير تفصيل إذ لا نرى الآن إلى التفصيل من حاجة .

هناك قول الرافعي عن الأعرابي الذي كانت الشمس تلوح له على حائط حبيبته أحسن منها على حيطان جيرانها : « قد والله صدق وبرت يمينه فان في كلماته الشعرية لأثرا من عينيه ، إذ يرى الشمس على حائطها كالشمس على البلور الصافي لا على الحجر والمدر» فظن سيد قطب أن الرافعي اختار البلور لأنه أثمن من الحجر والمدر، وليس كذلك ؛ إنما اختاره لفعله في أشعة الشمس وتفريقها إلى الألوان المحببة التي يفرح بها الصغار إذا نظروا إلى الأشياء من خلال منشور من زجاج الثريات والتي تبدو للكبار إذا ترقرق الندى في ضوء الشمس في الصباح ، وتبدو للكبار والصغار إذا انعكس الضوء المائل عن مرآة سميكة من البلور . ولا شك أن الأعرابي في سذاجته لو رأى الشمس ساطعة على « حائط » من البلور لراقته تلك الألوان ولفضلها على الشمس على بقية الحيطان . لكن سيد قطب برغم قراءته في علم الضوء في الطبيعة لم يفهم عن الرافعي ما أراد فاتهمه بما هو منه براء

وهناك قول الرافعي في رسائل الأحزان : « ثم يجرى كلامه فيها شعراً خالداً مطرداً كنهر الكوثر في رياض الجنة حافتاه

من ذهب ومجراه على الدر والياقوت » . قال الرافعى هذا فزعم صاحبنا أن الرافعى لا يتشكك فى أن النهر الذى حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت « أجمل » من النهر الذى حافتاه من العشب الأخضر ومجراه على الرمل والطين . ولا ندرى كيف استباح أن ينسب إلى الرافعى كلاماً لم يقله ومعنى لم يقصده ، وهو على أي حال فيه بعد حتى عن الواقع . فالنهر لا تكون حافتاه دائماً من العشب الأخضر ، ولو كانتا فان الرافعى لم يذكرهما بمشبهما ، ولو ذكرهما ما كان ذلك حكماً منه للذهب بأنه أجمل من العشب لأن المقام ليس مقام تمثيل للجمال ولكن مقام تمثيل الخلود والاطراد . وليس هناك من شك ، حتى عند مثل سيد قطب فيما نظن ، فى أن الذهب أمكن في الخلود والاطراد من العشب ، بل ولا فى أن العشب إنما يضرب به المثل فى التغير والزوال لا فى الاطراد والخلود ، مهما كان حظه من الجمال . فماذا يقول الانسان فيمن يتصدي لنقد أديب أيا كان ، بله مثل الرافعى فى أدبه ، فيقرأ له ولا يفهم عنه ، أو يفهم ولكن غير مايريد أو عكس ما يريد مع وضوح اللفظ ووجود النص ، ويتقول على الأديب غير ما قال، ويتجنى عليه غير مايقصد ، ثم يسرف عليه ويطيل فيه القلم واللسان ، فاذا ما نبه إلى غلطه مضى فى التجنى والتجرم وزعم أن زلة الأديب المنقود زلة بألف ، كـكذبة الذى يقول إنه رأى أسدا يسير فى شوارع القاهرة ؟ ماذا يقول الانسان فى ناقد كهذا جديد أو قديم ؟ وما ذا يظن فى إنسان كهذا ؟

إن الرافعى هو السكين لا شوبنهور !

محمد احمد الغمراوى

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٢ —

ولا بد من تقدير الاعراب فى الجمل أيضاً ، لأنه قد يعطف على الجملة اسم مفرد يراعى فيه تقدير إعرابها ، فيجب من أجل هذا تقدير الاعراب فيها ، ومن ذلك قول الشاعر :

يا رُبَّ بيضاءَ من العواهجِ   أمِّ صبيٍّ قد حَبَا أو دارجِ

ومنه قوله تعالى : (يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى)

فاذا قلنا — زيد يحسن — فزيد مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وجملة يحسن خبر المبتدأ مرفوعة بضمة مقدرة. وهكذا كل الجمل التى تقع خبراً عن مبتدإ أو حالا أو صفة أو نحو ذلك؛ أما الجمل التى لا تقع هذا الموقع فلا يقدر إعراب فيها

وقد ثبت من هذا كله أن ألفاظ العربية كلها معربة ، ومن الواجب أن ينقل الاعراب بعد هذا إلى اصطلاح غير الاصطلاح المعروف له ، لأن إصطلاحهم فى الاعراب أنه عبارة عن تغير أحوال أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً ، والاعراب على هذا لا بد له من عامل يقتضيه ، فاذا لم يكن هناك عامل لم يكن هناك إعراب ، ولهذا كانت الحروف وبعض الأفعال عندهم غير معربة . وقد ذهب بعض من النحويين إلى إعراب فعل الأمر فلم يكن له بد من تكلف عامل فى إعرابه لأنه لا يوجد إعراب لا عامل له ، والكوفيون هم الذين ذهبوا إلى إعراب فعل الأمر ، وهو عندهم مجزوم بلام أمر مقدرة ، لأنه فى رأيهم مقتطع من المضارع ، فأصل — قُمْ — مثلا — لِتَقُم — حذفت اللام للتخفيف ، وتبعها حرف المضارعة وهو التاء ، وقد قال صاحب المغنى : وبقولهم أقول ، لأن الأمر معنى حقه أن يؤدى بالحرف ، ولأنه أخو النهى وقد دل عليه بالحرف

أما الاعراب فى الاصطلاح الذى ننقله إليه فهو عبارة عن تغير أواخر أجزاء الكلام على حسب ما جاء عن أهل اللغة ، فلا يلزم في الاعراب على هذا الاصطلاح أن يكون معه عامل مقتض

له ، ولهذا يجىء عندنا فى الحروف والأفعال التى يرى القوم أنها مبنية لا معربة ، وهذا الاصطلاح يغنينا عما تكلفوه من العوامل فى بعض المواضع التى جاء الاعراب فيها بدون عامل ، كالمبتدأ الذى يتكلفون له عاملاً يسمونه الابتداء ، وكالمضارع الذى يتكلفون فى رفعه عاملا يسمونه التجرد من الناصب والجازم

على أن هناك ما هو أهم من هذا فى ترجيح اصطلاحنا فى الاعراب على اصطلاحهم وما يثبت به أن هذا هو معنى الاعراب فى اللغات المعربة ، لأن اللغات غير المعربة هى التى تنتهى أواخر كلماتها بالسكون دائماً ولا فرق فى ذلك بين أسمائها وأفعالها وحروفها ، وهذا كما نراه فى لغاتنا العامية وغيرها من اللغات التى لا إعراب فيها ، أما اللغات المعربة فهي التى لا تلزم أواخر كلماتها هذه الحالة من السكون ، بل يتغير آخرها من ضم إلى فتح إلى كسر إلى سكون على حسب ما جاء عن أهلها ، فيجب أن يكون الاعراب فيها بهذا المعنى فلا يختص به نوع من ألفاظها ، ويكون عاماً في كلماتها كلها ، ويشمل في ذلك أسماءها وأفعالها وحروفها

وقد ذكرنا أن الكوفيين يذهبون فى فعل الأمر إلى أنه معرب لا مبنى ، وهذا يدل على أن مسألة الاعراب والبناء مسألة تقديرية ، وأنه لا شىء فى أن نذهب فيها ذلك المذهب الذى يتفق مع تلك الغاية التى تريدها وزارة المعارف من تسهيل قواعد الاعراب ، وقد جاء عملنا فيها أتم من عمل جماعتها وأعم إصلاحاً منه ، وأقرب إلى الغاية التى تريدها ، كما جاء دليلا على أنها كانت مخطئة حينما تناست رجال الأزهر فى هذا العمل الذى ألفت من أجله هذه الجماعة ولم تضم إليها من الشيوخ الأزهريين من يهمه أمر هذه اللغة كما تهمهما

العلامات الأصلية والفرعية للاعراب

ترى الجماعة فى هذا أن تجعل كلا من هذه العلامات أصلاً فى بابه ، وأن يقسم الاسم المعرب إلى الأقسام الآتية :

١ — اسم تظهر فيه الحركات الثلاث وهو أكثر الأسماء

٢ — اسم تظهر فيـه الحركات الثلاث مع مدها وهو الأسماء الخمسة

٣ — اسم تظهر فيه حركتا الضم والفتح وهو الممنوع من التنوين

٤ — اسم تظهر فيـه حركتا الضم والكسر وهو الجمع بالألف والتاء

٥ — اسم تظهر فيه حركة الفتح وحدها وهو الاسم المنقوص

٦ — اسم تظهر فيه ألف ونون أو ياء ونون وهو المثنى

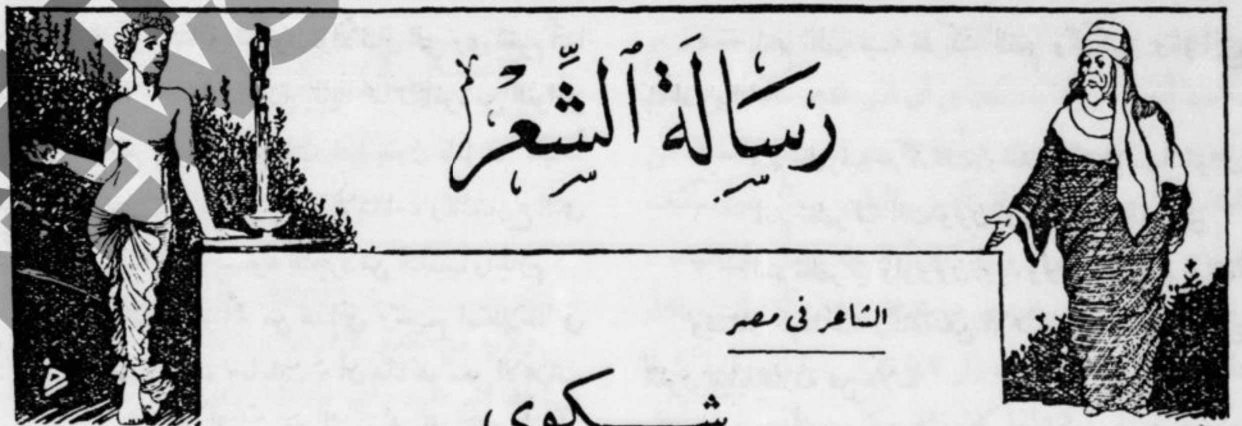
٧ — اسم تظهر فيه واو ونون أو ياء ونون وهو المجموع بهما

ويستغنى بهذا عند الجماعة عن الاعراب التقديرى ، وعن القول بنيابة علامة عن علامة

وقد عرفت أنه لا يمكن الاستغناء عن الاعراب التقديرى ، فلا نعيد ذلك هنا ، وكذلك لا يمكن الاستغناء عن القول بنيابة علامة عن علامة ، لأن اسم الضم كالمرادف لاسم الرفع وكذلك الفتح مع النصب ، والكسر مع الخفض أو الجر ؛ فإذا حصل رفع بغير الضم أو نصب بغير الفتح أو خفض بغير الكسر كان الأقرب إلى الفهم فى ذلك أن يجعل بطريق النيابة ، فيكون ما ذهبت إليه الجماعة فيه تعسيراً لا تيسيراً ، وليس هناك ما يدعو إلى ارتكابه من اختصار فى الاعراب أو نحوه ، بل الأبواب هى الأبواب بحالها ، والعلامات هى العلامات بدون تغيير فيها ، اللهم إلا ذلك التغيير الذى لا طائل تحته

فيجب أن تبقى علامات الاعراب على حالها ، وأن تكون علاماتها الأصلية هى الضم فى الرفع ، والفتح في النصب ، والكسر فى الخفض ، والسكون فى الجزم ، وأن تكون علاماتها الفرعية كما هى بدون زيادة أو نقص فيها إلا علامة واحدة نرى زيادتها فى باب النداء ، لأن المنادى فيه إذا كان مفرداً ينصب بالضم وما ينوب عنه من الألف والنون أو الواو والنون ، فتكون الضمة فى ذلك نيابة عن الفتحة ، وقد نابت الكسرة عن الفتحة فى جمع المؤنث السالم ، ونابت الفتحة عن الكسرة فى الاسم الذى لا ينصرف ، فلا شىء فى أن تجعل الضمة وما ينوب عنها نائبة عن الفتحة فى المنادي إذا كان مفرداً

فيقال فى إعراب — يا أحمد — أحمد منادى منصوب بالضمة نيابة عن الفتحة ، وفى إعراب — يا زيدان — زيدان منادى منصوب بالألف النائبة عن الضمة نيابة عن الفتحة ، وفى إعراب — يا زيدون — زيدون منادى منصوب بالواو النائبة عن الضمة نيابة عن الفتحة ، وفى إعراب — يا سيبويه —



الشاعر فى مصر

شكوى

للأستاذ محمود عماد

جبالٌ ووديانٌ جهامٌ وآجامُ ... أذلّلها بالصبر أم تلك أيامُ ؟
وماجهدُ هذا الصبر حتى أسومه ... صعاباً بها ناءت نجومٌ وأجرام؟
لعلى نجم ضلّ فيها مداره ... فأسقطه نحسٌ إلى الأرض جشّام
وإلا فكيف اندك فى الأرض جِرمُه ... ولاح دخان يحتويه وإظلام ؟
أذلك شعرى أكتوى بلهيبه ... وفى الشعر ترويحٌ إذا اشتدّ إيلام
وذلك فضلى أبهمتنى غيومه ... وهل آية الفضل المؤثّل إبهام ؟
وهل هذه الدنيا التى فى نعيمها ... تحجبت الأخرى فلم يُهدَ أقوام؟
لئن يَهنِهم فيها طعامٌ ومتعةٌ ... فإنى ليهنيني صيام وأسقام !
أما قيل إن الصوم يسمو بحسّنا ... إلى حيث لم تبلغ على الأرض أحلام ؟
بلغتُ إذن بالشعر ما فات وهمهم ... وإن خيل أنّ الشعر فى الكون إيهام
نعمتُ به فى شقوتى فهو دوحة ... وعيشى صحارى لم تطأهن أقدام
إذا اشتدّ بى حرٌّ أرحتُ بظلّه ... فراوحنى منه نسيمٌ وأنغامَ
وطاف بصحرائى من الوحى طائف ... وهل فى سوى الصحراء وحى وإلهام ؟
فيالكِ مِن شعر بدنياى كلها ... شريتُ. ألاغبنٌ هناك وإزام؟
ويا أمّةً أعلنتُ فيها رسالتى ... أكلُّكِ فرعونٌ لموساه ظلاّم ؟
ألفتِ خوارَ العجلِ حيناً فإن شدا ... هزارٌ تولّى سمعَكِ اليوم إبهام!
إذا كان لغوُ السامرىّ حقيقةً ... فتوراةُ موسى فى بنى مصر أوهام
وإن كان حبوُ العاجزين تقدما ... فإن بحسبى أن عَدْوِىَ إحجام
سيلبث شعرى رمزَ ظلمٍ وعزةٍ ... بمصر كما فى الدهر ترمز أهرام
يقولون لا تجزع ستظفر فى غدٍ ... بذكر وللتاريخ فى الناس أحكام
فأهونْ به ذكراً ، لكى ما أناله ... أموت ابتداءً ثم تُمحق أعوام!
متى كانت الأموات تهتزُّ غبطةً ... بذكر ويشفيها من الموت إعظام؟
تعلاتُ إفلاس ومَن فاته الغنى ... يقلْ إن فقرَ المرء صونٌ وإكرام

سيبويه منادى منصوب بالضمة المقدرة نيابة عن الفتحة ، ولا بد من تقدير الضمة فى المثال الأخير كما قدرت فيه عند الجمهور ، لأن ظهورها فى تابعه دليل على تقديرها فيه

ولا شك أن تقدير الجمهور للضمة فى نحو — يا سيبويه — فيه تقريب لما ذهبنا إليه من تقديرها فى نحو — جاء سيبويه — لأن الذى منع من ظهور الضمة عند الجمهور فى نحو — يا سيبويه — إنما هو حركة البناء الأصلى ، وهذا هو عين ما ذهبنا إليه من جعل هذه الحركة موجبة لتقدير الاعراب ، وجعلها فى ذلك كألف المقصور وياء المنقوص سواء بسواء

« يتبع » أزهرى

عـــودى إلي ...

« إلى التى أنتظر صوتها ... لأحس بالحياة ! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لا زِلتُ أنتظرُ اللقاءَ .. وإنه / عهدٌ لِمن صانَ العهودَ قسمتِه
عهدٌ تركتِ به الحبيبَ مُضيَّعاً / ماضرَّ يادنيا المُنى لو صُنتِه ؟!
خلَّفتِني .. وعلى « المسرَّة » خاطري
أملٌ على أشلائها ضيَّعتِه
تهفو لها أذنى كأنَّ بقلبها / لحناً عن الوترِ الحزينِ حبستِه
وكأنَّ صمتَ حديدِها تغريدةٌ / سوداءُ فى نايِ الذى يتَّمتِه
خرساءُ يصخبُ فى ظِلالِ سكونِها
لهبٌ بكفِّكِ للمنى أشعلتِه ...
عُودى إليَّ .. وأسرعى لِمُدَلَّهٍ / طلبَ الخلودَ من السَّماءِ فجئتِه
وذهبتِ ما تركتْ عيونُكِ فى دمى
إلاّ عـــذاباً لو علمتِ رحمتِه
وأتيتِني من قبلُ طيفاً مشعلى! / وتذوبُ أيامى عليكِ وأنتهى

محمود حسن اسماعيل

ولكنْ رويدَ المترفين فربما / نعمنا بما نالوا وهم عنه نوّام
نرى الزهرَ فى جناتهم فيروقنا / ويا ربما هم ما رأوه وما شاموا
لقد جهلوا فيه الجمال وما دروا / بأن فريقاً بالذى جهلوا هاموا
ولو قيل فيه من طعامٍ لأقبلوا / أما تأكل الزهرَ المقدسَ أنعام؟
يزينون بالأصنام أبهاءَ دورهم / وما عزّت الأبهاءُ من قبل أصنام
لقد جلبوها لا لفنٍّ وإنما / بها من سجاياهم جمودٌ وإعجام
وهذا قضاءٌ ما خلا من عدالةٍ / جمودٌ ومالٌ أو شعورٌ وإعدام!
إذا أنت لم تفقد لدى الكون مطلبا / فما أنت بحاثٌ ولا أنت مقدام

محمود حماد

الرسم المحـــترق!

للأستاذ أحمد فتحى

أهديتَ لى رسمَك فى نشوةٍ / من صبوةِ الحبِّ وسحرِ الغرام
وقد تفضلتَ ، فطرَّزته / باسمك توقيعاً بديعَ النظام
مؤكِّداً لي ، أن قلبي له / فيك نظيراً عاشقاً مستهام
حفظتُ للرسم حقوقَ الهوى / وصنتُه فى مأمنٍ لا يُرام
وكنتُ إن جدَّت بنا فرقةٌ / وعزَّ مرآكَ وضجَّ الهيام ...
أخرجتُه ، أملأ من حسنه / عيناً جفاها ـ فى نواك ـ المنام
أراك فيه حاضراً واصلاً / يؤنسني من شفتيك ابتسام
أظلُّ أدعوك بنجوى لها / فى خاطري لطفُ صفاءِ المدام
كأنما رسمُك فى راحتي / تميمةٌ ـ بالوهم ـ تشفي السقام
وكم أطال الناسُ لى عذلَهم / فيك وكم ذا أسرفوا فى الملام
عاصيتُهم فيك جميعاً ، ولم / يُرْعَ لهم عند غرامي ذمام!
شُبِّهَ لي ناصحُهم بومةً / وصوتُ حُبِّي لك شدوُ الحمام
وقد ظللنا زمناً لا نرى / لنا مثيلاً ـ فى الهوى ـ فى الأنام!
نسمو به عن سانحاتِ المنى / فهي علينا إن عدته حرام!
وما الأماني ؟ إذا لم تكن / وصلَ حبيبٍ فى ليالى وئام ؟!
يا رحمَ اللهُ عهوداً طوت / في صفحتيها الدهرَ، عاماً فعام!
قد لقيَ الحبُّ بأكنافها / فيئاً وريفاً من ظلالِ السلام
ظننتُها تخلُدُ ، إذ لم أكن / أحسبُ دنياها لغيرِ الدوام!
حتى تنكَّرتَ لعهد الهوى / وسمتَه ـ بالغدر ـ سوءَ الختام
سمعتُ همساً دار حولي بما / أثمتَ ، وانسابَ إليَّ الكلام
فكذَّبت أذني ما أُسمعتْ / عنك وقالت من هراءِ الطغام
لكنني استوثقتُ من أنني / خُدعتُ فى ودِّك خدعَ الكرام



حكومة التشيك ووضع قاموس للغة العربية

وفد على مصر ، منذ أيام ، أحد كبار المستشرقين هو وزوجه مندوبين عن حكومة تشيكوسلوفاكيا

وقد قصدا إلى وزارة المعارف وقابلا صاحب العزة الأستاذ محمد العشماوى بك وكيل الوزارة ، وذكرا له أنهما قدما إلى مصر رغبة فى وضع قاموس باللغة العربية واللغة الانجليزية واللغة الوطنية فى بلادهما « تشكوسلوفاكيا » وطلبا إلى سعادته معاونتهما فيما قدما من أجله . وقد رحب وكيل الوزارة بالضيفين

وقد صدر بناء على ذلك قرار بتأليف لجنة من الأستاذ على الجارم بك مفتش أول اللغة العربية بالوزارة والأستاذ محمد أبى بكر ابراهيم عضو مكتب تفتيش اللغة العربية للقيام بهذه المهمة على أن تعرض الأعمال التى تفرغ اللجنة من إنجازها على سعادة وكيل الوزارة .

وسيبقى المستشرق والسيدة زوجه فى مصر إلى أن ينجزا وضع هذا القاموس وسيغادران مصر ثلاثة أشهر فى كل سنة يزوران فى غضونها السودان للوقوف على حالة اللغة العربية فيه ، ومقدار الاختلاف بين اللهجات فى القطرين الشقيقين .

هبة الماجور اندرسون

بدأت وزارة المعارف فى اتخاذ التدابير لتنفيذ القرار الذى

وأَسْفَرَ الحقُّ مُبينَ السَّنَى ... وانماطَ عن وَجْهِكَ ذاكَ اللثامْ

فَدُسْتُ للرَّسمِ الذى صُنْتُهُ ... من غَضَبي عَفَّرْتُهُ فى الرَّغامْ!

وجِئْتُ للنار فألقيتُهُ . . . ... كَيْما أرى حُسْنَكَ بينَ الضِّرامْ!

حتى احتوَتْهُ فى لَظَى قَلْبِها ... فاضَ عليهِ من دُمُوعِى سِجَامْ!

(بنى عياض) أحمد فهمى

أصدره مجلس الوزراء فى يوم ٤ يوليو الحاضر خاصاً بقبول هبة الماجور جاير اندرسون بك إلى الأمة المصرية

وتقوم تلك الهبة على تنازل الماجور اندرسون عن مجموعاته الأثرية العربية والأوربية وتقدر قيمتها المادية بنحو خمسة آلاف جنيه للأمة المصرية مضافاً إلى ذلك هبة قيمتها خمسمائة جنيه تستمر ويستخدم ريعها فى حفظ المجموعات وصيانتها

وقد منحته الحكومة حق استعمال الدارين (المعروفتين ببيت الكريدلية) والبيت اللحق به المعروف بدار « آمنة بنت سالم » وهما متصلتان وقائمتان على جانبي عطفة المتولى وهى حارة تؤدى إلى جامع ابن طولون ، وأن يستعملهما دون أن يشاركه فيهما أحد إلى حين وفاته أو مغادرته بلاد المملكة المصرية نهائياً ، وذلك بدون إيجار أو مقابل من أى نوع كان فيما عدا نفقات المياه والنور ، وأن يقوم الماجور بتبويب هذه المجموعات وأن يحتفظ بحق استعمالها وحيازتها هى والقطع التى تضم إليها فى المستقبل إلى حين وفاته أو مغادرته البلاد

وتقوم الحكومة بصيانة هذين النزلين وإبقائهما على حالتهما الراهنة

سلامة الأسلوب العربى فى تدوين المقررات المدرسية

لاحظت وزارة المعارف أن كثيراً من الكتب والمؤلفات التى توضع باللغة العربية فى مختلف المواد وفروع العلم المقررة فى درجات التعليم المتباينة ، تبعد فى بعض أجزائها عن الأسلوب الذى يجب أن يعنى بها المؤلفون

وقد أعدت الوزارة منشوراً لتلافى هذا النقص ، طلبت فيه أن يلاحظ دائماً فى الكتب التى توضع باللغة العربية فى مختلف المواد وتكون لجان الفحص قد قررت صلاحيتها للدراسة أو تداولها بين الطلاب المترددين على المكتبات المدرسية أو الكتب

التي تضعها لجان تؤلفها الوزارة ، أن تعرض على أحد حضرتي مفتشي اللغة العربيـة الأولين لمراجعتها بنفسه أو من ينتدبه من حضرات مفتشي تلك اللغة وذلك للتحقيق من سلامة الأسلوب وملاءمته من وجهة اللغة لمستوى التلاميذ الذين يقرأ لهم

آلة لتصوير المخطوطات في مكتبة الأزهر

كانت مشيخة الأزهر ، قد اشترت في العام الماضي آلة لتصوير المخطوطات من طراز ألماني حديث ، وقد ركبت هـذه الآلة في مكتبة الأزهر ورئي أن يقوم باستعمالها أخصائيون متمرنون على التصوير . ولهذا دربت المشيخة بعض موظفيها في أحد المعامل ، ولما أتم تدريبه نقلت آلة التصوير ، إلى غرفة خاصة بالادارة العامة ، وسيشرع ، بواسطتها ، في نقل المخطوطات النادرة في مكتبة الأزهر ، وإرسال نسخ منها إلى الآثار والمكتبات الكبرى

ومن بين الآثار التي عني بالتقاط صور لها ، كتب نقشت على جلود الغزلان ، ويرجع تاريخ تأليفها إلى أكثر من ألف سنة .

الى السادة الكتاب

يحمل إلينا البريد فيما يحمل مقالات ورسائل غفلاً من الامضاء ، وقد أعلنا من قبل أننا لا ننشر مقالا لا يمضيه كاتبه . وللكاتب الحق في أن يرمز لاسمه مايشاء على شرط أن يكون اسمه معلوماً لرآسة التحرير . فنرجو من حضرات الكتاب أن يراعوا ذلك حتى لا نضطر إلى إغفال مقالاتهم وهي قيمة

الفروسية العربية

ورد في القسم الثاني من المقال المنشور تحت هذا العنوان في العدد ٢٦٢ من الرسالة الغراء ما يلي :

« والمرأة هي التي تثير حماس الرجال في الحرب . وكما قلت تحكم في بطولتهم . وقد جرت العادة أن تحضر النساء الموقعة راكبة فوق كتبان مزينة » وقد شرح المعرب كلمة كتبان في نهاية الصفحة بقوله :

« الكتب أو القبيط نوع من الهوادج » والصواب كما اعتقد أن كلمة (الكتب) — إذا لم يكن فيها تطبيع — غير صحيحة ولا تؤدي هذا المعنى . وإنما التي تؤديه (القتب) وتجمع على أقتاب لا (قتبان) كما جمع المعرب كلمة (كتب) :

وجاء أيضاً في المقال عينه : « إن هتاف فرسان البدو في الحرب ينحصر في اسم حبيبة الفارس أو اسم أخته أو اسم قطيع جماله ، فيهتف مثلاً (أنا أخو جوزا ، أو لعيون حميدة ، أو خيال العليا) والعليا قطيع من الابل »

وأقول إن البدوي إذا هتف بقطيع جماله لا يقول (خيال العليا وإنما يقول (راعي العليا) وكلمة (خيال) يرددها عادة إذا هتف بجواده . فيقول (خيال الشقرا) أو (خيال الشهبا) مثلاً كما سمعت ذلك بنفسي من البدو النازلين في أطراف بادية الشام أثناء قيامي برحلتي الطويلة في سوريا .

وأضيف إلى ما تقـدم أن البدوي يستهل هتافه دائماً بكلمة (لحـد) فيقول مثلاً (لحـدونا أخو فلانه) وأظنه يقصد بها (لاحد احد) أي لا أحد يجوس الحمى وأنا أخـو فلانه حيٌّ ارزق .

هذا وما أبديته لا يمنعني أن اعترف لصاحب الموضوع (الميجر كلوب) بما تحمل من جهد في جمع مواده . وبتحريه الصدق في نقله إلى أبناء جلدته

يافا — فلسطين

محمد سليم رشدان

دقائق لغوية في حاجة الى الجلاء عنها

جاء في الصحاح : (ويقال جمة عظيمة ، وجمة عظيمة أي جماعة يسألون الدية) . قال الشاعر « وجمة تسألني أعطيت » . وفي القاموس وشرحه تاج العروس : « ويقال جاء في جمة ويضم (الأول) أي جماعة يسألون الدية . قال ابن الاعرابي : الجمة البركة (بالضم فالسكون) والجميع جمم ولم يضبط حركة الجيم

وفي النهاية لابن الأثير . « الجمم (ولم يضبط الأول) جمع جمة وهم القوم يسألون في الدية » وفي القاموس وشرحه : « اللجنة (بالفتح) الجماعة يجتمعون في الأمر ويرضونه » وفي البستان أن هذا الحرف ضبطته التكملة بالضم أي لجنة . ففي هذه النصوص ما يأتي :

(١) كل من الجمة (بالفتح) والجمة (بالضم) بناء مستقل

عن الآخر أوهما أصل وفرعه . فأيهما الأصل ، وما الدليل على أن كليهما أصيل أو على أن أحدهما فرع عن الآخر ؟

(٢) كيف يضبط جم بناء الجمع أبضم ففتح أو بفتحتين ؟ وإذا كان الوجهان صحيحين فعلام لم يرد ذلك فى التاج نصا

(٣) لم يضبط صاحب النهاية بناء جم، فهل هو بالضم وما الدليل أو بالفتح وما الدليل ؟

(٤) الجمة بالضم تقع على الجماعة كما مرّ وعلى مجتمع شعر الرأس ، فهل ورد المعنيان لبناء واحد أو كل معنى له بناء خاص؟ فاذا كان لكل منهما بناء خاص فما بناء كل منهما؟ وما الجمع ؟ لأن الخال بمعنى شقيق الأم له جموع ليست للخال (الشمة) والتليل بمعنى العنق ليست للتليل بمعنى القتيل

(٥) الجمة (بالفتح) الجماعة كما مر والبئر ، فهل هما معنيان لبناء واحد أو كل بناء منهما مستقل عن الآخر وله معناه الخاص، وما جمع البناء الأول وما جمع البناء الثانى ؟

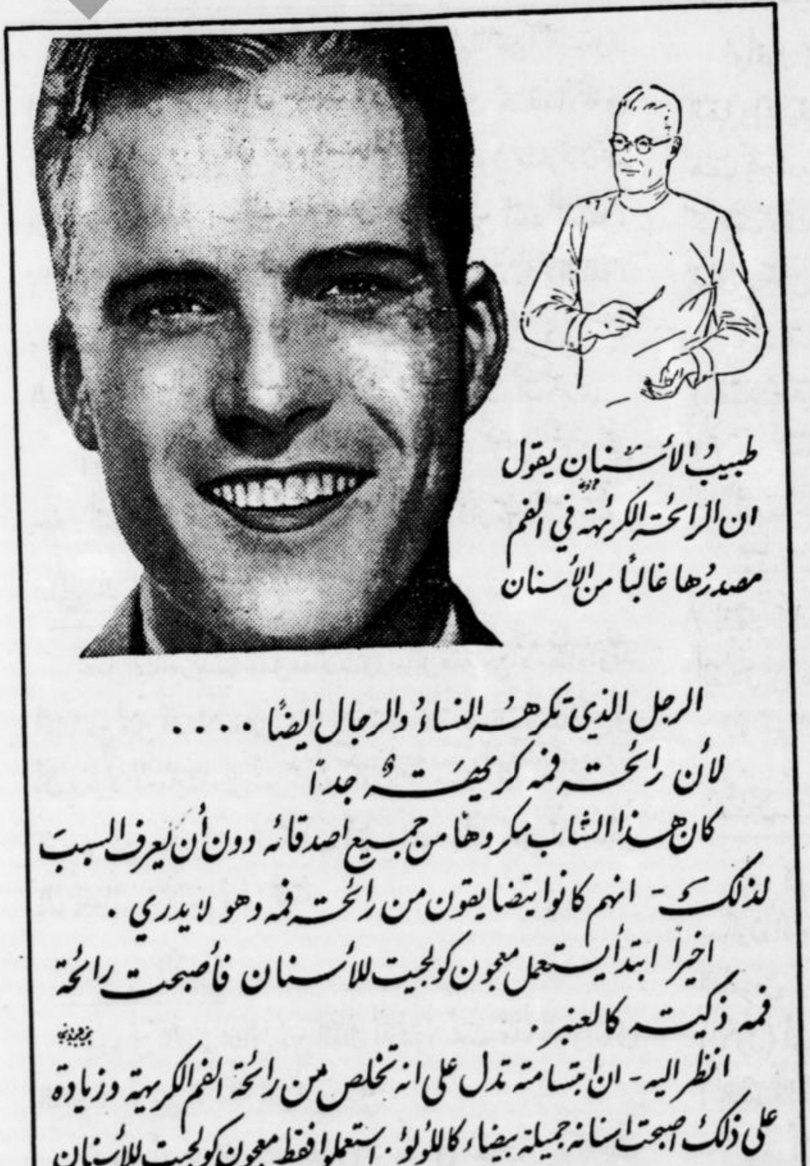
(٦) ما الفرق بين اللجنة والجمة — وعلام فى القاموس وشرحه ذكر اللجنة بالفتح دون الضم وبغير صيغة جمع لها؟ وهل استدراك التكملة صحيح ؟ وما وجه صحته ؟ وعلام اللجنة بالفتح جمع على لجان كسخلة وسخال ، ومرة ومرار وخطوة وخطا ؛ وليس لجة جمع على جمام

(٧) ماذا تعد الجمة واللجنة ، أمن أسماء الجنس أو من أسماء الجموع أو من الجموع ؟ وما الدليل الذى يعين الحقيقة ؟

ألتمس ممن ندبوا لاستخراج المعجم الوسيط من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكى الجلاء عن هذه الدقائق ، لأنها من المشاكل التى تعترض عملهم أثابهم الله مشكورين

(دمشق)

أمين ظاهر خير الله





ديوان الجارم

للأستاذ حسنين حسن مخلوف

عهد إلى الأستاذ صاحب (الرسالة) أن أكتب عن ديوان صاحب العزة الأستاذ على الجارم بك إذ كنت عن كثب من الديوان عند طبعه، وكان بينى وبين نغمات هذه القصائد والخيال الخصب الذى ملك علىّ سمعى وبصرى فى نسمات الأسحار، حديث ومجاوبة؛ وربما قرأت القصيدة ورددتها مراراً، وظللت مدة طويلة مأخوذاً بسحر البيان حتى أنسى الغرض الذى شرفنى الشاعر بالقيام به. فأنا إن كتبت عن الديوان فانما أكتب عن مبلغ علمى، جاهداً أن أصور للقراء شخصية شاعرنا ممثلة فى شعره، وأن أرسم ما أحسست به عند قراءتى شعره

إذا جلست إلى الأستاذ الجارم بك رأيت رجلا تمثلت فيه أعصار الآداب العربية وفنونها من عصر امرىء القيس إلى اليوم؛ فهو قد قرأ الآداب العربية منذ نشأته، ووقف وقفة طويلة عند كل شاعر وكاتب، وحفظ ما استطاع أن يحفظ، فامتزج ذلك كله، وجاوبته نفس نزاعة إلى الأدب فكان الأستاذ الجارم بك.

إن شئت أن ترى التنبي وعمقه وغزارة مادته وجبروته الشعرى فاجلس إلى الجارم بك أو اقرأ شعره. وإن أردت أن ترى حضور البديهة ورقة الشعور ولباقة التعبير والروح الشعرية الوثابة التى تتمثل فى الحديث والظرف والسلام والكلام، فاجلس إلى الجارم بك. فهو شاعر بطبعه، شاعر ببديهته، شاعر بكل معنى من المعانى التى تلمحها فى روح الشعراء

إن قرأت أدباً عباسياً أو أندلسياً فرأيتهم يقولون: إن الشاعر لا يكون شاعراً حقاً إلا إذا تمكن من أدوات الأدب، ومارس شعر العرب، وملك ناصية الأدب، ثم أعانه على ذلك قريحة وقادة وبديهة مسعفة وخيال قوى، فان ذلك كله موفور لشاعرنا الكبير

كان أستاذنا مصطفى صادق الرافعى — طيب الله ثراه — ينكر على الشعراء الذين أنبتهم طبيعة مصر عمق الخيال وامتداد النفس الشعرى؛ وكان يرى أن الشعراء المصريين صغار الدواوين لا يقف الواحد منهم على شاطىء بحر الخيال حتى ينزوى عن ذلك البحر. فلما حدثنى بذلك الرأى، وكتب عنه فى الصحف عزّ علىّ ذلك؛ فجئته فى اليوم التالى بعدد من مجلة (المعرفة) وقد نشرت فيها قصيدة للجارم بك، ونسى محررها أن ينسب القصيدة إلى قائلها، وأطلعته عليها فطرب لها وبخاصة الأبيات الآتية منها:

لعبت بك الحسناء تدنو ساعة	فتثير ما بك ثم تهجُرُ عاما
والحبُّ ما لم تكتنفه شمائلٌ	غرٌّ يعود معرّةً وأثاما
والحبُّ أحلام الشباب هنيئة	ما أطيب الأيامَ والأحلاما
والحبُّ نيران المجوس لهيبها	يحيى النفوس ويقتل الأجساما
والحبُّ من سرّ السماء فسمه	وحياً إذا ما شئت أو إلهاما
يا جنةً لو كان ينفع عندها	نُسكٌ ابتْنا سجَّداً وقياما

وسألنى: لمن هذا الشعر؟ فلم أجب. وقلت: إن كان هذا شاعراً مصرياً فقد اعترفت لهم بالقوة وعمق الخيال. إنك شاعر وكاتب ومطلع اطلاعاً وثيقاً، وعليك أن تنسب الشعر إلى صاحبه من غير أن أدلك على اسمه؛ فأجاب فوراً: إنه الأستاذ الجارم. فقلت: أتراني كسبت القضية؟ قال: إننى عند ما أستحضر صورة وجه الجارم وهو من رشيد، ورشيد على ساحل البحر أحكم أن دمه ليس خالصاً لمصر؛ فليثبت كل شاعريته مصرية؛ كشوق مثلاً فهو مجموعة من عقليات أمم كثيرة تعاقبت على الزمان بالمصاهرة كما قال هو عن نفسه

ولقد كان أستاذنا الرافعى قاسياً على الشعراء المصريين؛

وقسوته فى ظنى كانت تعود إلى عوامل محلية فى علاقته بأدباء مصر وعلاقتهم به ، فقد كانوا أثرين يغتصبون الشهرة اغتصاباً ، ويتخذ كل شاعر شيعة تسبح بحمده ، وكانت الشهرة الأدبية ميداناً للتزاحم ليقول كل واحد : أنا !! فيقول له الآخر : لست ذاك ! . وأنا أرجو أن يطهر النقد الأدبى فى العصر الحديث من هذه الصغائر والخزعبلات ، وأن تتجه الجهود إلى البناء لا إلى الهدم ، فالعصر عصر السرعة ونسيان النفس إن أرادت مصر نهوضاً حقاً ، وغسلت نفسها فى كل نواحيها السياسية والأدبية من قولة أنا ! وبعدى الطوفان !

لكل أمة من الأمم بيئة خاصة ، وعقلية خاصة ، وتيارات فى الحياة خاصة توجه أدبها ، وهذا الاتجاه يتوارث على توالى القرون؛ فالمدح أو الرثاء فى الشعر العربى من طبيعته ، وتصوير الأشخاص ورسم صورة فنية لأعمال العظماء كانت ولا تزال مجال الشعراء العرب قديماً وحديثاً ، والأسلوب كذلك تراث نقلته إلينا الأجيال ؛ فالأستاذ الجارم بك تمثلت فيه العقلية العربية وجزالة اللفظ وقوة الأسلوب وضخامة التعبير فى كثير من الأحيان .

ويظهر أن رأيه أن يخدم الأدب العربى العالى بانتقال القراء إليه لا أن ينزل هو إلى القراء ويتملقهم ، ويفنى شخصيته فيهم ، لذلك عهد إلى بعض تلاميذه بشرح الديوان

وأبرع ما ترى فى شعره تصويره لشخصية مليكنا الشاب فاروق الأول . وقد تغلغل شعره فى نهضة هذه الأمة الكريمة وفضل الأسرة العلوية عليها كقوله فى (التاجية الكبرى) التى أنشدها فى تتويج مولانا الفاروق :

لله يومك والضياء يعمه ... فعشيه سيان والإبكار
يوم تمناه الزمان وطالما ... مدت إليه رءوسها الأعصار
حامت نسور النصر حول جيوشهم
حتى كأن غبارها أوكار

وقوله فى العيد المئوى لوزارة المعارف

فأتاها (محمد) جد (إسما عيل) بالخصب مورقاً والحياة
هل رأيت النجم الذى يبهر العيـ ـن ويمحو دياجر الظلمات
هل رأيت الآمال بعد نفار ... واقتبال الشباب بعد فوات

شاعران فى مصر سجلا عزها القديم والحديث ، ونثرا على صفحات الأوراق أمجاد العرب والفراعنة فى صورة جميلة جذابة ومنطق قوى خلاب هما شوقى والجارم ؛ كلاهما أحس بأمجاد الآباء ، وامتزاج روحهم بعصر الحديثة ، واتخذ من ذلك سبيلاً إلى إنهاض الشباب وحفز الروح الوطنية والعزة القومية

ولكن شوقى شغف بمصر القديمة بقدر شغف الجارم بمصر العربية والحضارة الاسلامية ؛ هما نشأتان فى طريقين مختلفين إحداهما فى طريق مختلطة اتصلت ببيت الملك والعرش أيما اتصال ، وعرش مصر تراث عربى فرعونى . ذلك مجال شوقى .

والأخرى فى طريق خالصة للعروبة تمت إلى الدين واللسان العربى بأقوى الأسباب منذ الصبا إلى يوم الناس هذا . ذلك مجال الجارم . وكلاهما يغرف من بحر العربية الأكبر ، وتطاوعه ثقافته العربية الواسعة فيلعب بالألفاظ لعب الرياح بالأعواد

إقرأ قصيدته بمناسبة انقضاء خمسين سنة على دار العلوم وأنا ضمين لك أن أعطافك ستثب مع أعطاف الشاعر حين كان يلقيها. ومنها مخاطبا دار العلوم : —

بسمة للزمان أنت تلتها ... كشرة للزمان عن أنياب
كلما رمت خدع نفسى بنفسى ... كشفت لى المرآة وجه الصواب
أين تلك الأيام بانت وبنا ... وتولت بشاشة الأحباب
إيه دار العلوم كنت بعصر ... فى ظلام الدجى ضياء الشباب
فى زمان من كان يمسك فيه ... قلما عد أكتب الكتاب
تخذت فيك بنت عدنان داراً ... ذكرتها بداوة الأعراب

فاذا بكى الجارم واستبكى أحسست زفير الحزن يضطرم فى قلبك ، ودوى صوته يعتصر عينيك . وبخاصة قصيدته فى رثاء المرحوم أبى الفتح الفقى الذى كان وكيل دار العلوم ورئيس جماعتها

أما الحكم البالغة والأمثال السائرة فهى منثورة فى جنبات قصائده كقوله :

الدين طب النفس من آلامها ... وهداية الحيران فى بيدائه
يكره الظلم كل شىء من الضو ... ء ولو كان فى ابتسام الفتاة

وفى عزم شاعرنا بعد فترة وجيزة أن يخرج للناس الجزء الثانى من الديوان وفقه الله إلى خدمة العروبة ، وأعلى به منار الأدب .

حسنين حسن مخلوف

6 me Année, No. 265

Lundi - 1 - 8 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـدد ٢٦٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — أول أغسطس سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـرس

يا لله لفلسطين !

يا لله لفلسطين مشرق الهدى والسلام، ومهبط الوحى والإلهام، ومجتلَى عين موسى، ومسرح قلب عيسى، ومسرى روح محمد، وقدس الأديان الثلاثة، وقبلة الإسلام الأولى، ومهد الأنبياء، ومقبرة الرسل، ومعبد الشرق والغرب، ومجرى العسل واللبن !!

يا لله لفلسطين ! ماذا فعلت بها الأحداث وجرّت عليها المطامع ؟ أبعد أن رفع الإسلام عنها آصار العبودية وأوزار اليهودية تعود بها المقادير السود إلى استعمار (طيطوس) القاهر، واستعمار (يهوذا) الجشع، فيعود إليها الفساد والفوضى والقهر والفقر والموت ؟!

أبعد أن استخلصها للعروبة (عمرو الداهية) من (أرطبون)، وسجل استقلالها العالمى (صلاح الدين) على ناصية (جودفروا) يستبيح ذمارها طرائد البشرية وفى صدورهم تِرات الأمم وحزازات القرون، فينزلونها نزول الوباء، ويحلونها حلول الفتنة، ويمتصونها امتصاص العلق ؟!

لقد قال المسيح لذلك اليهودي الذى منعه ظل جداره وهو مجهود، وقرى داره وهو جائع :

« ستظل تائهاً فى الأرض حتى أعود ... »

فهل عاد المسيح فى ثوب (بلفور) أم كذبت نبوءة « السيد » ؟ إن لعنة الله ودعوة المسيح لا تزالان تحرقان قدمى إسرائيل، فهو لايثبت له قدم فى أرض، ولا تطمئن له نفس فى وطن ؛ وكان من أثر ضلاله البعيد فى الآفاق أن اكتسب خلائق النَّوَر : فهو يلصُّ ليعيش، ويخدع ليغلب، ويستوحش ليأمن، ويتعصب ليدافع، حتى انقطعت بينه وبين الناس وشائج النوع، فأصبح خَلْقاً آخر لا يألف ولا يؤلف. فمحاولة إسكانه مع غير أهله وفى غير أرضه تكذيب لكلمة الله وتزوير على قانون الطبيعة !

***

ليس بصددى اليوم أن أفند هذه السياسة المريضة فحسبها منطق الحوادث وأدلة الواقع ؛ إنما أريد بهذه الكلمة أن أصور فلسطين العربية بين بحر يرشُّها باليهود والحرب، وقفر يحصبُها بالمرض والجدب، وأخواتها فى العروبة وفى الاسلام مطمئنات على ضفاف الأنهر النضاحة بالنعيم، وعلى رياض السهول الفواحة بالنعمة، ينظرن إليها نظر الغرير الأبله وهى تمشى فى النار، وتخوض فى الدم، وتطلب القوت فلا تجده، وتنشد الأمن فلا تناله. أريد أن أصور حال هؤلاء الكماة الأُباة الذين يغاديهم الفزع، ويراوحهم الموت، وهم يدافعون عن حقهم فى الحياة، ويناضلون عن مرقدهم من الأرض، ويقولون للواغل الثقيل والحامي الدخيل : إنها موتة لا مناص منها. ولأنْ تُنثر أشلاؤنا على أديم الوطن، وتقبر أجسادنا فى ثرى الأجداد، أحب إلينا من أن نعيش عيش اليهود شرداء فى كل طريق، طرداء فى كل بلد !

لقد شن يهود الأرض على عرب فلسطين الحربَ فى صراحة ووقاحة ؛ وأعلنوا الجهاد الدينى والقومي بالتطوع والتبرع، وسلحوا ذؤبانهم بالمنايا والمنى، ودفعوهم فى وجه الحق والعدل والشرف ومن ورائهم مصارف اليهود تمدهم بالذهب، ومصانع الانكليز تمدهم بالحديد ؛ فانطلقوا يخرّبون المدن، ويحرّقون الحقول، ويقطعون السبل، ويحصرون المؤمنين الآمنين فى أجواف الدور، وفى شعاف الجبال، لا يجدون منصرَفاً إلى الزرع، ولاسبيلا إلى القوت. وقد شغلهم الدفاع المقدس عن الحمى والنفس عمن وراءهم من الشيوخ والأطفال والنسوة، فتركوهم يتضاغون من الجوع، ويرتعدون من الخوف، ويكابدون رُحَى الهموم على وطن يستبيحه الغريب، وشعب يتخطفه الموت، وحق يتحيفه الباطل، ومستقبل يتكنفه الظلام، وحال من البؤس تقطع الرجاء وتوهى الجَلَد لولا إيمان المسلم وبسالة العربى واستماتة المظلوم

فلسطين العربية كلها اليوم بين منفى يلوذ بكنف الأعداء، وضعيف يتلهى بالدعاء والبكاء، ومدافع يقتات بالعشب ويعتصم بالصحراء؛ وليس للمنفى شفيع إلا الأمل، ولا للضعيف عائل إلا الصبر، ولا للمدافع منجد إلا الايمان.

أما إخوان النسب وإخوان العقيدة فكأنهم لا يملكون لمأساة فلسطين الدامية إلا عزاء المجامل، ورثاء الشاعر، ودعاء العاجز، وبكاء المرأة.

أيها المسلمون ! إذا ذهبت عصبية الجنس فهل تذهب نخوة الرجولة ؟ وإذا ضعفت حمية الدين فهل تضعف مروءة الانسان؟ إنا لانقول لكم تطوعوا، ولكنا نقول تبرعوا. وليس فى التبرع للجريح بالدواء، وللجائع بالغذاء، نقض لمعاهدة ولا غدر بصداقة. وأقل ما يجب للقريب على القريب، وللجار على الجار، يدٌ تواسى فى الشدة، وقلب يخفق فى المصيبة، ولسان يحتج فى المظلمة. فهل يزكو بعربيتكم والجود غريزة فى كيانها، وبإسلاميتكم والمواساة ركن من أركانها، أن تقفوا من فلسطين موقف الخلى المتفرج، يسمع الأنين فلا يعوج، ويبصر الدمع فلا يكترث ؟

إن فلسطين تقاتل للحياة لا للمجد، وتناضل عن القوت لا عن العزة ؛ وخليق بمن يدفع عن نفسه أن يُعان، وبمن يذود عن رزقه أن يُعذر

إن فلسطين من البلاد العربية بمكان القلب، ومن الأمم الإسلامية بموضع الإحساس ؛ وسيعلم الغافلون أن محنتها سبيل المسلمين إلى التعاطف، وصرختها نداء العرب إلى الوحدة ...

احمد حسن الزيات

سـخرية الأقدار

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

كنت فى يوم من الأيام جالساً إلى مكتبي أترقب أن يحمل إلىّ ساعى البريد « حوالة » مالية . وكنت عاكفاً على الكتابة ولكنى كنت أحصى الأبواب والوجوه التى أنفق فيها المبلغ المرقوب . وللذهن قدرة على الاشتغال بأكثر من موضوع واحد فى لحظة واحدة . فبينما كنت أجرى القلم بوصف ما تعانى فلسطين ، وأعرب عما جاشت به نفسى من العواطف من جراء هـذه القنابل التى تلقى على باب المسجد الأقصى وفى الأسواق العامرة الناصة ، فتقتل النساء والأطفال والرجال، وتطير أشلاء الانسان والحيوان وتخلطها بالخضر والفاكهة ، واللحم والسمن والعسل ، والأنقاض التى تهاوت ، والقُـفف التى تبعثر ما فيها؛ وأقول إنى أعرف حكومة فلسطين نسفت بيوتاً عدة للعرب ، وفرضت غرامات متفاوتة على قراهم الفقيرة ، ولا أعرفها هدمت بيت يهودى واحد ، أو غرّمت حياً من أحيائهم أو مستعمرة من مستعمراتهم — أقول بينما كان القلم يسحّ بهذا كنت أتخيل الثياب الجديدة التى سأشتريها ، والأثاث الحديث الذى أحب أن يحل محل القديم فى بيتى ، والسيارة الجديدة التى سأستبدلها بسيارتى وإن كان عمرها عاماً ، وأسأل نفسى هل أستشير المرأة الصالحة التى لا تعترض لى طريقاً ، ولا تأخذ علىّ مُتوجَّهاً ، ولا تنكر من فعلى أو قولى شيئاً ، ولا أراها فى أى حال إلا راضية ، ولا أعرف أن غيرها فى هذه الدنيا يمكن أن يطيقنى وتحتمل عبثي وسخافاتى وحماقاتى ؟

فى هذا كله أيضاً كان تفكيرى . وكنت أتصور الألوان والشيات والأشكال ، وأحاور نفسى وأجادلها، وأتلقى الاعتراضات وأردها ، والقلم مع ذلك لا يتوقف ولا يكف عن المضى ، وجاءنى الخادم بإيصال رسالة بريدية مسجلة لأوقعها ، فاستبشرت وقلت : « الحمد لله جاءنا الخير المرتقب ... خذ يا شاطر فتح الله عليك ، ولك ... (ومددت له يدى بالايصال) وأسرع ... عجل ، ولك الحلاوة »

وخرج الخادم ، وهو يبتسم ، وراح هو أيضاً ولا شك يتخيل ما سينعم به فى يومه السعيد « بعد أن أعطيته الحلاوة » الموعودة . ومضيت أنا فى الكتابة ، مغتبطاً ، وإن كان القلم يقطر بالنقمة على رءوس المستعمرين ، ورأيتنى أدندن ، وأنا أجرى القلم ، ولم لا ؟ ألست مسروراً منشرح الصدر ، ولا نكران أنى كنت ساخطاً ناقماً ، ومغيظاً محنقاً ، وثائراً فائراً ، ولكن هذا جانب ، وذاك جانب ، فأنا — فى الجانب المشرق الوضاء من نفسى — أشعر بالاغتباط والمرح ، فأدندن ، ولكن هناك جانباً آخر حالك السواد لا يضيئه إلا ما يتهاوى فيه من صواعق الغضب، والجانبان لا يختلطان ، ولا يتداخلان ، ولا يعدو واحد منهما على صاحبه ؛ فالسواد هنا لا يعصف بالبشر المتألق ، والسرور هناك لا يمتد نوره إلى الظلمة الطاخية ...

وعاد الغلام الخفيف الحالم بالحلاوة ، ودفع إلىّ الرسالة المسجلة فنظرت إليها وأنا أتناولها منه ، وعرفت ممن جاءتنى قبل أن أفض غلافها . ولم يكن هذا لأنى ذكي ألمعى أرى بأول الظن آخر الأمر من وراء الغيب ، بل لأن الاسم مطبوع على الظرف

وابتسمت وأنا آخذ الرسالة ، وأضعها على المكتب كما هى ، وأنقدت الغلام المسكين قرشين ، وأكببت على الورق أكتب ..
وماذا عسى أن أصنع غير ذلك ؟ لم تجيء الحوالة المالية المرتقبة ، ولا ضير من هذا ، فما كانت بى حاجة ملحة إليها ، وهى خير إذا جاء فأنعم به وأكرم ، وإذا لم يجيء فلا بأس ، وستجيء على كل حال غداً إذا لم تجيء اليوم أو بعد شهر أو أكثر ، ولو اقتصر الأمر على حرمان ما نعمت نصف ساعة بتخيله لهان ، ولكن المضحك .... نعم المضحك ... أن يجيئنى بالبريد المسجل فى هذه اللحظة على الخصوص إنذار من محام بتنفيذ حكم صدر خطأ فى غيابى ، وعندى المستندات التى تثبت أني أبرأت ذمتى ، ولكنى لسوء حظى مهمل وشديد النسيان، فلست أذكر أين وضعت هـذه الأوراق ، وقد كلفنى هذا النسيان مالا يعلمه إلا الله ، وبدا لى — لسذاجتى — أن من السهل أن أقنع الخصم بمراجعة أوراقه وحسابه ليتبين أني أديت إليه حقه .
وخطر لى أن هـذا أسهل من عثورى أنا على مستنداتى التى لا أدري ماذا صنع بها الاهمال ، وكان الخصم يضحك منى ويقول للحاضرين « اسمعوا ... هذا جديد ... يريد منى أن أقدم أنا له ما يثبت براءة ذمته ! ! فلماذا لا يمد هو مستنداته ؟ » فأقول له محتجاً « يا أخى إن المسألة ليست مسألة خصومة وعناد ، وإنما هى مسألة ذمة وحق ، وعندك دفاتر مسجلة تقيد فيها مالك وما عليك

وأوراق لا أدرى أين هى ، والبحث عنها يضيع وقتى ، ويطير عقلى ، ولا صبر لى على هذا على كل حال ؛ ولأهون على أن أؤدى إليك المال مرة أخرى من أن أنفق عمرى وأطير صوابى فى البحث عن هـذه الأوراق ، فلماذا لا تؤثر العدل والحق فتعاوننى ؟ إنك ناس، والموكل بهذا الحساب قد ترك عمله عندك، والمراجعة لا تجشمك عناء، فمر واحداً من عمالك أن يقوم بها »

وقد ضاعت سنتان من عمرى وعمره فى هذه المراجعة التى لم تخل من بعض الفائدة ، فقد اهتدينا إلى مبالغ تثبت أنى أديتها فتزعزعت ثقته بعامله الذى أكد له أني ما زلت مديناً ، ولكن دفاتره كانت على حال من الفوضى كالتى عليها أوراق في بيتى . ويظهر أنه سئم أو تبلد فلم يعد وخز الضمير يؤلمه أو يزعجه ، فقال أنفذ الحكم عليه بما لم نجد دليلاً على أدائه وأريح نفسى ، وعليه هو — لا علىّ أنا — أن يبرىء نفسه بابراز ما عنده !

وهكذا تلقيت إنذاره

وأتممت المقال ثم نفضت الظرف وقرأت ما فى الكتاب وضحكت . لقد كنت أنتظر فرجاً أوسع به على نفسى ، فإذا بى أطالب بأداء دين مرة ثانية!! فماذا أصنع ؟ قلت لنفسى — وكان اليوم الخميس — هذا موقف ممتع . وخير ما أصنع هو أن أركب سيارتى وأستصحب بعض الرفاق ، ونمضى جميعاً إلى الاسكندرية فنقضى على ساحل البحر أياماً وليالى ننسى فيها سخرية الأقدار وتهكم الأيام ...

وقد كان . قمنا إلى الأسكندرية قبل الغروب بساعة ، فلقينا فى رحلتنا ما هـو أعجب وأغرب ممـا سأقصه على القراء فى المقال التالى

ابرهيم عبد القادر المازنى

صحيفة وصف وأطلال

النـــادى

للأستاذ حسن القاياتى

بكَرتُ إلى ضاحية نضرة مؤنقة ألفت أن أزور نادياً فيها يتألفنى بشفوف حسنه الصامت ، ويقر بعينى أن أبادله أنفاسى الحرار ببرد نسيمه الذى يأذن له فيتلطف بغلائل زائراته من الغانيات بأرفق من تلعب العيون بالقلوب ، ويطيب لى أن أشهد سكونه المعجب لا يحس فيه غير نبض الجوانح بالحب ، أو سُرى العيون بنظرة مدلهة

كم خلوت فى هذا النادى بنجوى الأمانىّ الحسان كأنمـا أتناولها من رقعته النضرة الغضة ، وللأمانىّ فى الجو الطلق رفيف كرفيف نسمته يَنْـدَى على الكبد

أمانىٌّ من ليلى حسان كأنما ... سقتنابهـا ليلى على ظمأ بَرْدا
مُنًى إن تكن حقاً تكن أحسن المُنَى ... وإلاَّ فقد عشنا بها زمناً رغـداً

المتنزه أو النادى جنة معطار بالنسيم ، يتيامن قليلا عن الطريق الشارع حيث المدينة ، ويتياسر شيئاً عن المزرعة حيث الريف ، فهو بينهما قائم يشرف على رقعة نضرة ، كأنه الحد بين مصنوع الحسن ومطبوعه ، وتلك من أكبر ما يغرينى به ، فقد طبعت على خلال من حب الوحدة إلى غاية من التبرُّم

أما النادى فى صورته فبناء مؤلف من طبقتيه السفلى والعليا، بيد أن عليا الطبقتين خلاء من كل ناحية ، سقف على عمد ، هل رأيت مظلة فى يد ؟

تشافهه ذكاء شارقة غاربة ، فتطالعه فى مشرقها بوجه وضاح متهلل يعيره فى المشتى أنفاساً حرارا كأنفاس الصبابة ، وصفرة فى أصائل المصيف كصفرة المحب ، فاترة اللمح والحرارة ، فناهيك من مصيف ومشتى

الخضرة حول المتنزه سائدة ، ربما أريق عليها عسجد الشمس فهى بساط رائع ، كأنما التقت عليه الخضرة والصفرة فى سدى ولُحمة ، تؤلف نقوشه من زهرات ترفات لم أر أملح من الفراش

يتنقل عليهن تنقل النظر في خدود الأوانس المتوردات

وقد استدارت حوله شجرات قديمات قامت هنا لك عطلاً من الثمر والنَّور ، كأنها نصفات[1] من الغيد ودعن عهد الشبيبة والدَّل ، فهن سليبات من الحلى وإن كن لا يعدمن مسحة من الحسن. على أن تلك الشجرات ربما أجنت عصفورا ليقا بالصفير يخرج رأسه في الفينات من حفافي ورق نضر كما تطل مغنية من شباك فيضرب الفن مرات بجانبي منقاره كما تمسح القلم مرات يمنة ويسرة ، أو كما يصلح المغنى عوده ، ثم يتكلم العصفور بصوت ساحر

وقد يشرف الجالس فيه على ضروب من الغراس حديثة العهد بماء ضحضاح إذا تمايلت فيه وصفها مترجحة كالراقصات أمام المرآة ، ذلك حسن منثور فيه ، أينما تلفت رأيته كالحيا الفاتن تجيل طرفك فيه بين فنون من الروعة ، فتنقله من خد إلى جيد ، ومن طرف إلى خد

تلك حلية النادى في يومه الساحر الوضاح ، أما هو في ليله فذلك الحسن كله والسحر ، يقبل عليه الليل بقطعانه الجهمات فتتشابه سماؤه وأرضه : السماء روض زهراته الكواكب ، والروض سماء كواكبه الزهرات ، وتأخذ لألاء الكواكب بالبصر حتى يحسبها الناظر شقوقاً في ثوب الليل ، فيرده عن وهمه أن ثوب الليل قشيب ، وأنه بعدُ في مقتبل. أما القمر في ليالى القمر ، فإن له على تلك الساحة طغياناً ساحراً كما تدفق النهر في الحديقة ؛ وطالما رف بلبل في جوه فرجع ترجيعات مليحات آنقت الأسماع حتى ما يمارى أحد في أن تغريد الطيور من ألحان الطبيعة ، وإن كان لا يحسن أن يقول : من أية نغمة هو ، وإن تعرّف حسنه بما أودعه النفس من حرارة الشغف

إن الناظر ليجيل طرفه فيرى على مدى بصره القطار الأبيض في جيئته وذهوبه يتدفع بين تلك الأنحاء السندسية ، فيحسبه قناة ماء مسجور يتدفق بين الرياض ، ويخيل إليه أن زمجرته هدير القناة ، أو يحسبه وهو يمرق ليلاً في غشاء من ضوئه نيزكاً سابحاً يجرر ذيلاً من النور

أجل ؛ إن الحياة المربة النكداء أبخل من أن تخلىَ منظراً طريفاً كمنظر هذا النادى من منظر قاس مرٍّ يشق على النفس والبصر . هذه مقبرة قديمة جثمت على قيد خطوات من النادى البديع إذا تلفت الجالس تمتر بها طرفه وشجنته كما يشرق الشارب بالماء العذب ، هذه المأساة بذلك الجذل سنة الحياة

ألف غشيان هذا النادى في الأصايل وليلات القمر أسراب من غانيات الأسر فيهن المصرية والغربية ، تغرب الشمس فيشرقن فيه يتفرجن من يوميات البيت الجاهدة، ويستملن إلى سمر حار ممتع يرسل نفوسهن على السجية ؛ وتارة هو ملتقى صفيين يخلوان إلى نجوى الشوق في غفلة من الوشاة

إن الوجوه لتتقابل هناك متعارفة مؤتلفة لكثرة ما تلتقى لديه ، حتى لقد ترعى بين زائريه حدود الآداب فيعرف أحدهم لجليسه كرسيه ومجلسه ، وكأنما أجد لهم طول الإلف ضرباً من التفاهم يلفهم فيه أسرة واحدة يرمون المحدث فيهم بالنظر الشزر. أنا جالس في نديّنا الساعة حيث أكتب هذا ، والهولة لليل ، وقد نبض سلك الثريات بالنور فأضاءت ، وحوالى خفرات من الأوانس محجبات وسوافر يبسمن لذويهن فيذبن الأسى ، تحلل الظلمة تحت الثريات ، ويفاوحن الروض بعرف زكي كأنما يرود لمن القلوب ، والعَرف من بَريد الحب

شدَّ ما يسترسل الأوانس هناك في تبذلٍ ومجانة يتجاوزن بهما حد الرشاقة والدل إلى الخلاعة ، كأنهن حين شهدن تبرج الطبيعة تشهّين أن يسايرن حسنها السافر فساقطن عن حر الوجوه براقع شفافة كأنها أغشية البلور ، وأخذن في مرح بحت يمعلن فيه الرشاقة والدل

تلك التي انتبذت ناحية طفلة ناهدٌ في سنّ البدر وحسنه ، أحسبها تفلتت الساعة من المدرسة لما يلوح عليها من غرة بالتلفف جلست الفتاة تنتظر خديناً لها فهى تتلفت متململة تلفُّت الطائر على الغدير ، حتى أقبل طلقاً وضاح الأسارير فسلم ثم عدل بها إلى مكان يجور عن مساقط النور ومواقع النظرات ، ألف المشاق أن ينزلوه ، يسرهم أن يجمعوا بين كل ظلمته وبين العيون فما ينيره غير جبين وضاح

جلسا معاً هناك ، وجه إلى وجه ، وساق على ساق ، في أمن من سرى الأبصار والظنون :

أقول وجنح الدجى مُلْبِدُ والليل في كل فج يدُ !!

---

(١) المرأة النصف المتوسطة في السن

ونحن ضجيعان فى مجسد فلله ما ضمن الجسد !
أيا ليلة الوصل لا تنفدى كما ليلة الهجر لا تنفد
ويا غد إن كنت بى راحماً فلا تدنُ من ليلتى يا غد

يتناجيان حينا بحرّ الصبابة فيضرّج الحياء خدها الرقيق :

راض بحكمك فاعدلى أو جورى ولك المكانة فاهجرى أو زورى
ناجيت فانثنى فأشرق خدها بالحسن وقع النور فى البلور !

وربما سكتا عن حديث البشاشة فتكلمت العيون !

متحابان غاب عن يومهما العَذل فدعهما حيث شاء لهما الحب ونجواه

وتلك عقيلة تَصَف على أنها مستتمة الملاحة لبقة بالغزل والتصبي ، ذات وليد مرضع تحمله وصيفة زنجية متلففة . أقبلت العقيلة تمشى إلى رجل رزين الجلسة هو قرينها فيما يخيل إلى ناظره ، أفنى هزيعاً من الليل فى توقعها ، فالآن حيث أقبلت تخطر حتى جلست إليه فى غير تحية ولا كلفة . وإنى لأشهدها الساعة تتململ حائرة النفس ، وتتخبط برجلها تخبط الظبي فى حبالته لترى الجلوس ساقها الضخمة الملتفة كأنها لفائف البلور ، وتسارق جاراً لهم النظرات تنتحل لها العلات حذراً من يتفظ الريبة فى نفس القرين ، وتكثر أن تكشف جيب الثوب عن ناهد رخص مستدير تعلل به الوليد ، وجل ما تعتمده أن ترى النظارة وبخاصة ذلك الجار أنها تحمل غض الرمان :

بنفسى من لو مرّ بُردُ بنانه على كبدي كانت شفاء أنامله
ومن هابني في كلّ أمر وهبته فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

وهذه فتاة أخرى تتردد بين الصبيحة والدميمة ، على نصيب من رشاقة الدلّ واللباقة ، ولكنها طياشة لا يحتويها مكان ، تغرق فى هذر وضحكات خليعة تستثير بهما هوى الجالسين كما يطارد الصائد الظبي إلى الحبالة فاذا هو أخيذ :

فرقت إلى رجلٌ فروق من ضحكة آخرها شهيق

تجربات عدة صادقة أفدت منها أن العفاف لون من ألوان المرأة لا جوهر ، وأن المرأة لا يسلم لها شرفها الرفيع كائنة من كانت إلا محرزة مكنونة ، أو يراق على جوانبه الدم ، وأنها إذا استشرفت الريبة استبيحت فلم تعتصم

ذلك رأيى فى المرأة جد سديد ، وإلا فما هذه النظرات الخائنة التى تخترق الصدور إلى الأفئدة ؟ والتفلت من كل عقد اجتماعى أدبى ؟

إن المرأة لتحسب أن من وحى الفطرة الزهادة فى الأليف الفرد ، وذهاب الحسن طلقاً مع الهوى كأنما تخشى عطلة الغزل ، وتنفس بالحسن على التملك فيما يقول الاعرابى الفرّ

يقولون : تزوج وأشهد أنما هو البيع إلا أن من شاء يكذب

وكأنما تقول :

إن المرأة مخلوقة من جو هذا الكون ونسيمه ، فأخلق بها أن تروح فى حرية ذلك الجو الطَّلق

يعز على أن يكون رأيي فى المرأة هذا الحكم الجافى ؛ ولو آثرت العاطفة دون العدل لم يكن أحد آثر من المرأة بالترفق

إن اليد التى تصرف القلم بالعاطفة لا تحسن إلا حمل الدف أو العود

هذا كله وأكثر منه فى طبقة النادى العليا ، أما طبقته السفلى فان لها شأناً غير تلك نصفه على أنه أعف وأنزه . هذا قس رزين متر من القساوسة خلفاء المسيح صلوات الله عليه ، يحمله إلى النادى مركب سرىٌ ، وله ضيعة فخمة ، كلُّ مايلوح عليه من سمات الدين لحيته وطيلسانه ، ومسبحة يديرها آونة ، لا يكاد يساجل جليسه إلا حديث الضيعة وقصر يبتنيه ؛ ولكنه غر كريم بكل ما يشهده حوله من هذه الحياة الماجنة ، يصف الهداية كما تصفك المرآة ، وكأنه فى هذا النادى المستهتر بقية الهدى فى فؤاد المفتون !

حبيب إلى نفوسنا أن يتنزل رجال الدين من علياء مجدهم وتدينهم إلى حيث الطبقة المتحضرة اغتباطاً بدنوّ الدين المصلح الرشيد من المدنية الفاتنة المسترسلة ، وأنى يكون ذلك ؟

تريدين كيما تجمعينى ومالكاً وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد ؟؟

وذلك رومى يجلس على مقربة منى لا ينفك فمه يختلج بهمس تتحرك له شفتاه كأنه ممرور أو موسوس ، وكأنما يعد شيئاً يعقد له أنامله . وماذا عسى يعد هذا النكود إلا أيام عشيق هاجر كأنه يتبرم بالحب ؟ وهل لأحد على حبه خيار ؟ ذلك طماح شديد

دعى عد الذنوب إذا التقينا تعالى لا أعدُّ ولا تعدّى

أما تلك الفتاة اللعوب الشرهة النظرات التى تتصدر فى حفل لها فيه عشيق ، فقد ألبس علينا أمرها ، أمستباحة هى أم حصان

مخبأة ؟ فإنا فى هدأة من ليل ساج يكاد أحدنا يحبس فيه نبضه خشية أن يقطع سكونه ، ويترفق بالنفس خيفة أن يضرمه بحرقته ، إذ خلصت إلينا مع النسيم نغمة فاتنة ساحرة ، يحملها حمل النفحة مجهولة المهب ، على أنها حلوة الخطرة تمسك الحشاشة :

يا ساقيَّ أخمر فى كؤوسكما   أم فى كؤوسكما هم وتسهيدُ ؟
أصخرة أنا ؟ ما لى لا تحركنى   هذى المدام ولا تلك الأغاريد ؟
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبُـه   أنى بما أنا باكٍ منه محسود

واطربا لك أيها الشادى ! وحر قلبي عليك ! لقد أحسنت وأربيت . من أنت جعلت فداك ؟ ومن أية النواحى مَسْرَى الصوت ؟

تلفتت العيون بعد أن تلفتت القلوب تطلب مندي الصوت فاذا فتاتنا اللعوب هى التى ترسله حارًّا كزفرة المحب ، وإذا هى مطربة نابهة من المعروفات كأنما تناست مجلسها من الحفل وخيل إليها المرح أنها جالسة بين زملائها على « التخت » فانفرجت شفتاها بتلك الأغنية ثم بدا لها أن تتقى الحياء فأمسكت ولم تبرح إلا مكرمة مفداة

بينما نصغى بأسماعنا إلى غناء الآنسة الأخاذ دخل إلى النادى رجل عسكرى عظيم فى « رتبة اللواء » ألف طروقه يتحدث فيه إلى أستاذ مدرس من المعممين فيزأران بالحديث حتى يستحيل النادى بصوتيهما كلية للفنون أو معترك حرب ، يزخر مرة بالبحث والتحليل ، ويفهق أخرى بالصليل

يلقى المنية فى أمثال عدتها   كالسيل يقذف جلموداً بجلمود !

ولمهدى لهذا الصوت الصاخب ينشد شعراً مرة ، فليت شعرى من راض ذلك الطبع العصىَّ على رقة الأدب ، وتناشد الأشعار ؟ أجل ، إن الراضة يأخذون الليث المصور بالرياضة والتأنيس حتى يصبح أنيساً طيعاً . هذا كلب صاحب النادى قد شهدت من يلقى له قطعات السكر فيأ كلها التهاماً ، فلما سمعت الشعر يتضنه العسكرى العظيم ، قلت : ما أشبه الشعر فى فم الرجل الجاف الخشن بالسكر فى فم الكلب الشره ! وإن من الشعر لحكمة :

وهـذا الرومى صاحب النادى يأبى كل الأباء أن يعد النرد للاعبين فى الطبقة العليا من ناديه إغلاء بهدوء الزائرين ، أفلا تكون للضابط العظيم شمائل ذلك الرومى الجافى فيعفينا بل يعفى زائراته الرقيقات من الصخب ، كما أعفانا صاحبه من « النرد » بل ليت لنا من يقول له : رفقاً أيها الأسد بالظبيات أو القوارير

ليس فيما يقطع السكوت فى الخلوات أشهى إلى المستريض المبعد مسه السغب من نداء الباعة على الطعام الشهى اللذّ ، والطعام كله على تلك الحالة لذ شهى ، بل هو أهنأ الطعام وأمرؤه ، وإن فيمن يضمه نادينا الحفيل رجالا لهم شارة تشهد بنضارة ونعمة . ذلك السيد السرى المتصدر واحد منهم ، لا تبرح تحت طاعته سيارة وسائق فاره ، وهو إذا عاد إلى مثواه عائد لا محالة إلى قصر مشيد وخدم ، وبَديه إن له طاهياً محسناً لا يصنع طعامه المعجب فحسب ، بل يصنع معه الشهية لآكله . وها هو بحيث أراه مكب على قطعتى جبن وخبز ينحى عليهما بأنيابه إنحاء الجائع القرور !

لقد سوت السغبة وترَوح ساعة عن المدينة بين السيد الشريف والبائس الذى يتبلغ بالخبز القفار . وتلك حسنة للخلوات تقرّب بين الطبقات بالتسوية فتتركهم سواسية كما هم فى رأي الفطرة ، سيان الشريف والدون . معدلة من الطبيعة ونصفة ؟ على حين تقضى سنة المجتمع ونظمه بتفرقة جارمة

جلسنا فى النادى تحت كرمة عنب فينانة تظل ناحية منه ، وتتدلى علينا بأوعية المدام أو المناقيد كأنها ثريات النور

تحملى أوعية المدام كأنما   يحملنها بأكارع النغران (٢)

أذكرتنى الكرمة بالراح ، وإن كنت لا أشربها والحمد لله الذى يحمد على المحبوب والمكروه ، كما تذكر النتيجة بالمقدمات ، فذكرت كذلك أن النادى معطش منها ، تمطل فيه الأكواب ، وأن صاحبه الخبيث يتحرق لهفة لأنه استجدى الاذن ممن يملكه بأن يديرها فيه فلم ينعم له بحمد الله . وخيل إلى أننى تعرفت من وقوع الطير على المناقيد وتقره حبات العنب ، لأية علة كانت عربدة العصافير والتغريد . ولو أتيح للخمار الداهية أن تحتث عنده كؤوس الشراب لروعنا بعربدة العيون الساحرة النشوى ، فصرنا إلى ناد طروب تعربد سماؤه وأرضه وتُغرد طيوره وغيده !

لا تسقنيه فانى أيها الساقى   أخاف يوم التفاف الساق بالساق
إن الشراب تهيج الشر نشوتُه   فيز الشر منه واسقنى الباقى

(٢) النغران . جمع نغر ، طائر صغير من فصيلة البلابل

فضيت من الرياضة كل حاجة ، وتزودت لرئتيّ من النسيم العليل ، فتشهيت العودة وأخذت سمتى إلى بيتنا الصغير ، فإنى لجالس فيه صبيحة تلك الليلة جلسة المتعب المكدود أتمثل ما مر بى بالأمس، إذ دخل علينا آنستان فاتنتان كأنهما صورة الحسن ، فلما سمعتهما تسألان عنى قلت : لبيكما ، أنا ذاك . فأقبلتا فجلستا في تخفر واستحياء متصنعين ؛ بيد أنهما تخبآن السحر فى العيون ثم تحدثتا إلى بأنهما أقبلتا من مدرسة فلان فى طلب المسعدة ليتامى قسمها المجانى ويتيماته — فيما زعمتا — ودفعتا إلى بصحيفة أعدتاها للمتبرعين يثبتون فيها الأعطيات ، ثم التوقيعات ، فتسمحت نفسى بقليل نذر يتذمم الجواد المفضل منه ، ثم وقعت فى الصحيفة « صانع خير! » ومن يبخل عند الأوانس؟ فانصرفتا فى امتنان وحمد . ويمين لاعاهر ولاحانث ، ما أعرف أصانع خير أنا أم صانع شر ؟ ولكنى أعرف أن هذه أساليب هذا العصر ، أو هذا البلد ، وطرازه الطريف فى الاستجداء الكاذب المخزى لمونة العلم والبر ، وأين العلم والبر ؟

في النـاس من يقتنى نفعاً بمُندِيةٍ
كما جرت قبلة « فى سوق إحسان »

واحر قلباه ! حتى البيوت فيها أوانس المجتمعات العابثات؟

لمحة دالة من صفة نادينا الذى يتألفنا بجماله ، وهو على ما فيه من هنات إنما يصف المجتمع ونفسياته ، كما تصفه كل منتدياتنا ، وخلف ما ذكر ما لم يذكر استحياء من الأدب والفضيلة

إن الأندية مرآة صقيلة للشعب تصفه على ما هو عليه من دمامة فى صورته الخلقية أو وسامة

« السكرية — دار القاياتى » حسن القاياتى

حــــواء

... عَلَم على ديوان شعر طريف فى الغزل العرفانى من نظم الأستاذ الحومانى تحت الطبع تحمل الرسالة نماذج منه إلى قرائها فى عالم الفن

وحي القمر

قرأتكِ فى الأفق حتى جرت ... سبائكه فى جيوب السحرْ
وحتى تدفقَ من جانبيه ... ضبابٌ على الأرض غطى الشجر
وأوقدَ فى ذرواتِ الغصون ... قناديلَ يزلق عنها البصر
تنوّعَ فيهن لونُ الحيـاة ... أفانينَ تحمل شتى الصور
تلمستُ روحكِ فى أفقها ... وروحُكِ فى الأفق وحى القمر
فكانت من الزهر هذا العبير ... ومن ذِروة الغصن ذاك الثمر

فى فم الشاعر

لروحكِ فى مُلتقى خافقيّ ... خيالٌ يُرفِّهُ عن ناظرى
أراه بعينىّ فى يقظـتي ... وإن نمتُ أشرق فى خاطرى
تمرُّ به نسمات العشىّ ... على صفحة القمر الحـائر
وتندى به نسمات الصباح ... فتلفظه فى فم الشـاعر
وكم صفقت جنبات الغـدير ... على رقصه فى فم الطائر
خيالُكِ مرآة قلبى ، يُطلّ ... على الكون من فمها الساخر
تدور بهـا فى سماء الخلو ... دِ أرجيةُ الفلكِ الدائر

الحومانى

في مصر الإسلامية

السيادة المصرية في صدر الاسلام

للدكتور حسن ابراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

كان الخراج في الدولة الاسلامية من أهم موارد بيت المال ، فلما فتح العرب مصر وجبا عمرو بن العاص خراجها لم يرض عمر بمقدار الخراج ، وظن في عمرو الظنون ، فأرسل إليه ابن مَسلمة ليقاسمه ماله ، ثم عزله سنة ٢٣ هـ قبيل وفاته بقليل عن ولاية الصعيد وأسندها إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح . فلما ولي عثمان الخلافة عزل عمراً وولى ابن أبي سرح مصر كلها ، فكان ذلك سبب الجفاء والعداوة بين عمرو وعثمان حتى قيل إن عمراً أخذ يؤلب الناس على عثمان وعلى سياسته وإن له ضلعاً في مقتله

على أن ابن أبي سرح لم يكد يستقر في ولاية مصر حتى انتقض الرومان وكتب أهل الاسكندرية إلى قسطنطين بن هرقل امبراطور الروم يصفون له ما هم عليه من الذلة والهوان ويهونون عليه فتح الاسكندرية لقلة من بها من حامية المسلمين ، فأنفذ قسطنطين قائده الأرمني مانويل Manuel إلى الاسكندرية على رأس جيش كثيف فاستولى عليها وأخذ جنده يعيثون في الأرض فساداً حتى وصلوا إلى مدينة نقيوس

ولم يكن قبط مصر يرحبون برجوع بلادهم إلى حوزة الرومان خوف أن يسوموهم الخسف والهوان لما قاموا به من مظاهرة العرب ورضائهم بحكمهم من جهة ، ولما كان بينهم وبين الرومان من الخلاف المذهبي الذي كان مصدر شقائهم ومصائبهم في عهد الرومان من جهة أخرى . فكأن عودة مصر إلى حوزة الروم معناه زوال تلك الراحة والطمأنينة اللتين تمتع بهما المصريون في ظل الحكم الاسلامي

لهذا كتب قبط مصر إلى عثمان يلحون في إسناد حرب الرومان إلى عمرو بن العاص لما أحرزه في حروبه معهم من الخبرة الناشئة عن طول المراس ، ولأنهم أنسوا فيه الدراية والكفاية على رد غارات الأعداء بخلاف ما كانوا يعرفون عن واليهم الجديد ، فولى عثمان عمرا الاسكندرية على أن يتولى حرب الرومان وإخراجهم من مصر

وفي مدينة « نقيوس » دار القتال بين جند عمرو وجند مانويل في البر وفي النهر ، وكثر الترامي بالنشاب حتى وقع فرس عمرو من تحته . ثم طلب المسلمون المبارزة بين فارس منهم وفارس من الرومان فكانت الغلبة لفارس المسلمين فثارت حميّتهم وشدوا على العدو وانتصروا عليه وقتلوا قائده ، ثم تعقبوه إلى الاسكندرية وأعملوا السيف في رقابهم . وهنا أمر عمرو بإيقاف رحى الحرب ، وأن يبنى في الموضع الذي رفع فيه السيف مسجد أطلق عليه فيما بعد « مسجد الرحمة » وهدم عمرو سور الاسكندرية ، وبهذا ثبتت أقدام العرب[1] في مصر سنة ٢٥ هـ

أقام والي مصر الجديد في الفسطاط يراقب الأمور عن كثب وينتظر ما تلده تلك الحرب الناشبة بين العرب والروم في مصر . ولا شك أن انتصار عمرو ثبّت قدم ابن أبي سرح في ولايته[2] . لهذا حذو سلفه في الاصلاح الداخلي وفي الفتوح الخارجية، أما الاصلاح الداخلي فلم يترك له عمرو شيئاً جديداً اللهم إلا ما كان في زيادة الخراج في ولايته حتى بلغ أربعة عشر مليوناً (إن صح أن يسمى هذا إصلاحاً)

أما من ناحية الفتوح الخارجية فإن ابن العاص كان قد أمّن حدود مصر من جهة الغرب بفتح برقة عام ٢١هـ صلحاً ، وبفتح طرابلس سنة ٢٤هـ عنوة . ثم بعث نافع بن القيس الفهري (وكان أخا العاص بن وائل لأمه) إلى بلاد النوبة فقاتله أهلها قتالاً شديداً فانصرفوا ، فلما ولى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزا إفريقية سنة ٢٧هـ وقتل ملكها وغنم المسلمون الغنائم الوفيرة

(١) ممن اتفق على هذه السنة اليعقوبي (ج ١ ص ١٨٩) والبلاذري ص ٢٢٨ وفي قول آخر له سنة ٢٣ هـ . والكندي ص ١١ من كتاب الولاة ، وابن الأثير (الكامل) ج ٣ ص ٣٩ ، والمقريزي الخطط ج ١ ص ١٦٨ والسيوطي : حسن المحاضرة ج١ص ٢٠ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٨٨

(٢) أراد عثمان أن يجعل عمراً على الحرب وعبد الله بن سعد بن أبي سرح على الخراج فأبى عمرو وقال : أنا إذن كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها

حتى قيل إن سهم الفارس بلغ ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار (١)

ثم وجه ابن أبي سرح همه إلى الجنوب فغزا بلاد النوبة من جديد ، وبلغ دنقلة فى سنة ٣١ هـ وقاتل أهلها قتالا شديدا (٢) ، ومع ذلك فإن النصر لم يتم لابن أبي سرح ، فلجأ إلى مهادنة النوبيين وعقد معهم صلحاً رواه من المؤرخين البلاذري والكندى والمقريزى وترجه لين بول فى « تاريخ مصر فى العصور الوسطى » (ص ٢٠—٢١) وهو أشبه بمعاهدة اقتصادية بين مصر والنوبة : هذه تمدهم بشيء من الحبوب والعدس، وتلك ترسل إليهم الرقيق (٣)

كذلك تولى ابن أبي سرح قيادة معركة بحرية نشبت سنة ٣١ هـ (٤) بين العرب والبيزنطيين تحت قيادة ملكهم قسطنطين بن هرقل ، وكان النصر للعرب على الروم فى هذه الموقعة التى عرفت باسم موقعة « السوارى » أو « ذات السوارى » لكثرة سواري المراكب التى اشتركت فى القتال (٥)

أما مثير هذه الحرب فهو قسطنطين بن هرقل فلقد دبّ فى نفسه دبيب السخط فعمل على الأخذ بالثأر لما أصاب المسلمون من أملاكه فى غرب مصر ، فخرج فى عدد من المراكب يتراوح بين خمسمائة وألف على ما ذهب إليه المؤرخون على اختلافهم ، وخرج ابن أبي سرح بمائة مركب ، واشتبك القتال بالغرب من الساحل الافريقى فى الفرضة المسماة بفرضة زيواره (٦)

حسن ابراهيم حسن

---

(١) البلاذرى ص ٢٣٤ ، والكندى ص ١٢ (ذكر البلاذرى ان الغزو تم فى سنة ٢٧ أ : ٢٨ أ ، ٢٩ هـ)

(٢) يدلك على شدة القتال بين العرب وأهل النوبة (أو الأساود) هذا البيت الذي رواه الكندى :

لم ترعينى مثل يوم دمقله والخيل تعدو بالدروع مثقله

(٣) البلاذري ص ٢٤٥ — ٢٤٦ والكندى ص ١٢ — ١٣

(٤) يؤكد الطبرى أن هذه المعركة حدثت سنة ٣١ هـ لا ٣٤ هـ كما ذكر بعض المؤرخين .

(٥) روى الطبرى أن عدد المراكب بلغ خمسمائة (وقيل ستمائة) وقال الكندى ص ١٣ أن عدد مراكب الروم بلغ ألفاً (وقيل سبعمائة) وبلغ عدد مراكب المسلمين مائتين

(٦) الطبري (طبعة القاهرة) ج ٥ ص ٦٩ ، ٧٠

حظى بالشىء ...

لأستاذ جليل

الرافعي ، المجمع اللغوى ، أزهرى
المنصورة ، اليازجى ... ...

— ٢ —

طالع الأستاذ الرافعى (رحمه الله) كلمة المجمع اللغوى (البلاغ ١٧ شوال ١٣٥٢) فنشر مقالة عنوانها (أول الغلط من المجمع اللغوى ، رد على رد) — البلاغ ١٨ شوال ١٣٥٢ — أطنب (١) فيها فى أمر البرقية ثم قال : « وانتهى الأستاذ (أى مدره (٢) المجمع الشيخ حسين والى) إلى مادة اللغة فلم يأتنا بكلام من الفصيح جاء فيه مثل استعمال (يحظى بتشريف) بل سكت عن هذا مع أنه هو كل ما نريد . ثم قال : إنه يجوز استعمال الباء مع حظى واستدل بقول الزمخشرى فى الأساس (حظى بالمال وأحظاه الله بالبنين) وهاهنا أردنا أن يبحث أعضاء المجمع فى وجه استعمال حظى بالمال وحظى بالبنين ، فانهم إن اهتدوا إليه فسيرونه رداً عليهم . ولا نزال نطلب منهم أن يأتونا بالتاريخ الاجتماعى لهذا الفعل (حظى) لينكشف لهم الخطأ فى استعماله . ثم قال فضيلته : (إنهم استعملوا التشريف بمعناها الأصلى لا بمعنى الحضور ، ومعموله مفهوم أى تشريف جلالته إياه) قال هذا وسكت عن الباقى ، والباقي هو قولهم (تشريف جلالته إياه لافتتاحه) فاذا لم تكن هذه اللام فى (افتتاحه) نصاً فى تقييد معنى التشريف بالحضور فما موضعها هنا ؟ إن المجمع على كل حال قد حظى بتشريف جلالته إياه) إذا أريد من التشريف معناه الأصلى ، فان هذا المجمع إنما هو عناية سامية من جلالة مولانا الملك وأثر من آثار فضله وبركة من بركات يمنه وكل هذا تشريف ، فعلى تأويل حضرة العضو يكون كلامهم لغواً لا محل له ، وإلا فرده هو لغو لا محل له »

* * *

---

(١) الاطناب البلاغة في المنطق والوصف مدحاً كان أو ذماً ، وأطنب فى الكلام بالغ فيه (اللسان)

(٢) قال أبو زيد : المدره لسان القوم والمتكلم عنهم (اللسان)

الأستاذ الرافعي وأزهري المنصورة

في ١٩ من شوال سنة ١٣٥٢ ظهرت في (البلاغ) كلمة عنوانها «حظي بالشيء والأديب الصغير» للأستاذ أزهري المنصورة. ومما قاله: «قال (ديوان الحماسة):

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للابواب أن يلجا

وقال (الأساس): «وحظي بالمال، وتقول: ما حليَ بطائل [1]، ولا حظي بنائل»

وديوان الحماسة هو الذي اختاره أبو تمام، قالوا: «لم يجمع في المقطعات مثل ما جمع أبو تمام [2]» وأبو تمام حجة، فا قولك فيما رواه من شعر العرب. قال (الكشاف): «وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو [3] من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه. ألا ترى إلى قول العلماء: (الدليل عليه بيت الحماسة) فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه»

والأساس هو (أساس البلاغة) لأستاذ الدنيا جار الله «ومن خصائصه — كما قال أبو القاسم — تخيّرُ ما وقع في عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين»

فالأديب الصغير لم يحظ بالصواب حين خطّأ (حظي بالشيء) في قول حضرة أعضاء المجمع اللغوي لا (حضرات أعضاء المجمع) كما قالت حضرته، لأن الأعضاء كلهم أجمعين حضرة واحدة، ومن المستحيل أن يكونوا حضرتين أو ثلاث حضرات أو أكثر من ذلك

أجلْ، إن أعضاء المجمع اللغوي محظوظون [4] كل المحظوظين لكنهم ما أخطأوا في فعل (الحظوة) كما قال (الأديب الصغير) اليوم، وأديب كبير من قبل

* * *

رد الأستاذ الرافعي (رحمه الله) في (البلاغ ٢١ شوال ١٣٥٢) على الأستاذ أزهري المنصورة بمقالة عنوانها (حظي بالشيء) ومن هذا الردّ:

جاءنا حضرة أزهري المنصورة بالحجة القاطمة والشهادة القائمة على أن (حظي بالشي) هي من كلام العرب، فكان كل ما قاله في هذا هو هذا: (قال ديوان الحماسة (وأورد البيت) وقال الأساس (وذكر قوله)

نحن نشير في كلامنا في انتقاد (المشرين حضرة) إلى مغامز دقيقة لا نستطيع أن نكشفها، وقد طالبناهم أن يأتونا بالتاريخ الاجتماعي لفعل (حظي) إن كانوا علماء لغة وفلاسفة لغة، وسألناهم عن الكلام الفصيح الذي جاء فيه مثل قولهم (حظي بتشريف) وما يجهل ما قاله الأساس ولا بيت الحماسة، ولو سأل (أزهري) حضرة الأستاذ صاحب البلاغ لبيّن له أنا كتبنا هذا البيت في كلمتنا الثانية في الرد على فضيلة الأستاذ الشيخ والي ثم ضربنا عليه وأسقطناه من الكلام إذ ليس من عملنا نحن أن نأتي بالأدلة الفاسدة ثم نزيفها، ونبين فسادها

البيت لمحمد بن بشير الخارجي وهو من شواهد النحاة المشهورة ولا مطعن عليه. لكن الشاعر لا يريد الحظوة بل أراد معنى آخر فضاق باللفظ، ولم يوفق إلي غرضه فاضطر أن يضمن (حظي) معنى (ظفر) ونقل الفعل عن أصله، وحوله عن دلالته فلم تبق الكلمة حظي بل ظفر وسقطت حجة أزهري

وقد نص النحاة في شرح البيت على ما ذكرناه من معنى التضمين، ويدل عليه أن بشار بن برد لما أراد هذا المعنى وأطلق العبارة لم يستعمل حظي بل قال:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أما قول صاحب أساس البلاغة فلا دليل فيه لأعضاء المجمع بل هو من دليلنا نحن، لأننا ننكر الاستعمال ونستهجنه مقيداً باعتبارين: الأول أنه من أعضاء مجمع اللغة، والثاني أنه في كلمتهم المرفوعة إلى جلالة الملك

---

(١) قلت: في (الفائق): حلوته كذا إذا حبوته به، حلي به إذا ظفر به: وفي (الصحاح): لم يحل منه بطائل: لم يستفد منه كبير فائدة، ولا يتكلم به إلا مع الجحد

(٢) قلت: القول للزمخشري وبعده: «ولا في المقصدات مثل ما جمع المفضل» وفي شرح الحماسة للتبريزي: «من أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات ومن المقطعات الحماسة»

(٣) قلت: في (الكليات): الفاء في خبر المبتدأ المقرون إن الوصلية شائع في عبارات المصنفين، ووجهه على أن يجعل الشرط عطفاً على محذوف والفاء جوابه والشرطية خبر المبتدأ، وإن جعل الواو للحال والشرط غير محتاج إلى الجزاء، فاشبه الخبر بالجزاء حيث قرن بالمبتدأ الشرط

(٤) في اللسان: «لم أسمع لمحظوظ بفعل أي أنهم لم يقولوا حظ» أي بالبناء لما لم يسم فاعله، والقائل هو الأزهري وإن لم يذكره اللسان

وبعد هذا نقول (لأزهرى) : إن سجعة الزمخشرى التى استدل بها هي كأكثر سجع الرجل فى كتابه من الكلام الغث البارد الذى لا وزن له ، وقد سمّي الرجل كتابه أساس البلاغة ولم يسمه أساس اللغة »

قلت : قال الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : وهو (أى بيت محمد بن بشير) من شواهد النحاة المشهورة

والشاهد فيه حذفه حرف الجر من (مدمن) ومثل ذلك جائز . ويحذف هذا الحرف فى المعطوف على ما تضمن مثل المحذوف وإن انفصل عنه بلا كقوله — وهو من شواهدهم —

ما لمحب جَلَدٌ أن يهجرا ولا حبيب رأفة فيجبرا

ولبيت بشار المذكور فى (الرد) حكاية لطيفة رواها أبو الفرج وابن الخطيب :

غضب بشار على سَلْم الخاسر[1] ، وكان من تلامذته ورواته فاستشفع عليه بجماعة من أخوانه ، فجاءوه فى أمره ، فقالوا : جئناك فى حاجة ، فقال : كل حاجة لكم مقضية إلا سلماً . قالوا : ما جئناك إلا فى سلم ، ولا بد من أن ترضي عنه لنا ، فقال : أين هو الخبيث؟ قالوا : ها هو ذا . فقام إليه سلم فقبّل رأسه، ومثل بين يديه وقال : يا أبا معاذ ، خريجك وأديبك . فقال : يا سلم من الذى يقول :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فقال : أنت يا أبا معاذ ، جعلنى الله فداءك ! قال : فمن الذى يقول:

من راقب الناس مات غمًّا وفاز باللـذة الجسور

قال : خريجك يقول ذلك . قال : أفتأخذ معانيّ التى قد عنيت بها وتعبت فى استنباطها فتكسوها ألفاظاً أخف من ألفاظى حتى يروى ما تقول ويذهب شعرى ؟ لا أرضى عنك أبداً . فما زال يتضرع إليه ويشفع له القوم حتى رضى عنه »

ولقد تجرأت فذكرت قول الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : « إن سجعة الزمخشرى التى ... » أجل أن أبين أن الكبير قد يحمل على شيء غضبه فى بعض الأحايين فيقول . والشاهد فى (الأساس) هو (وحظى بالمال) والسجعة إنما هى مثال

وإنى لموقن حق موقن أن ليس فى هذا العصر من يسبق الأستاذ الرافعى فى إجلال إمام الأئمة وعرفان مقداره

وإذا استنزل بعض سجعات فى (الأساس) مستنزل ففى (الكشاف) ما « تنقطع عليه أعناق العتاق السبّق ، وتنى عنه خطا الجياد القرح » وتنث عنده أقول بلبغة ، قائلوها بلغاء من الطراز الأول

* * *

أجاب الأستاذ أزهرى المنصورة فى (البلاغ ٢٦ شوال ١٣٥٢) الأستاذ الرافعى (رحمه الله) وعنوان الجواب (أئمة اللغة ، حظى بالشيء ، الشيخ ابراهيم اليازجى) ومما قال :

« ١ — أوردنا بيت (الحماسة) وفيه أن (يحظى بحاجته) ، وقد شرح هذا الديوان أئمة كثيرون ، وجمع الإمام التبريزى شروحهم ، ولم يعترض على قائل ذلك البيت معترض

٢ — وجئنا بكلام (الأساس) والزمخشرى هو صاحب الكشاف عن حقائق التنزيل

٣ — وجاء فى (نهج البلاغة) : (وحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون)

وقد فسر العلامة (ابن أبى الحديد) المهد الذى فيه هذه اللفظة ولم ينقدها ، وشارح النهج من أئمة العلم والأدب

وإذا قيل : هو النهج ، وقد قالوا فيه ما قالوه — قلنا : حال (النهج) حال الأقوال لوفود العرب على كسرى ووفود قريش على سيف بن ذى يزن وأمثالها ، وقد اطمأنت الأئمة إلى عربيتها والنهج معظمه ظهر حين افتعال تلك الأقوال . والقرن الثانى والثالث أوله ومنتصفه أقرب إلى العربية الأولى من آخره ومن جميع الرابع . وقد أملى ابن دريد فى زمانه (ووفاته سنة ٣٢١) تلك الروايات والأساطير ، وأصبحت لغتها فى كتاب (الأمالى) حجة المحتج[1]

٤ — وجاء فى المقامات لابن الحريرى (وهو من أئمة اللغة) فى المقامة الأربعين : (نهضا وقد حظيا بدينارين) وللعلامة ابن الخشاب البغدادى رسالة فى تخطئة الحريرى ، وقد غلطه فى ألفاظ كثيرة فى مقاماته ولم يخطئه فى (حظيا بدينارين)

قد يكون هذا الفعل (حظي بكذا) نشأ فى الزمن الاسلامي

(١) سمى الخاسر لكونه باع مصحفا واشترى به طنبوراً (الوفيات)

(١) قلت: وكلها — لا بعضها — مصوغة مصنوعة

أو الأموى نشوء ألوف مثله لا قبل ذلك ، لكن هذا لا يضير ، وقد نجمت ألفاظ فى القرن الخامس فى (الجزيرة) ولما جاء الامام الزمخشرى [1] وسمعها استجادها وأودعها كتبه

كيف كانت الحال لو لم يجىء الاسلامى والمولد والمعرب ؟ وهل كانت ألفاظ (الجزيرة) فى الجاهلية تجزئ فى تلك المدنية الزاخرة ؟ »

قلت : أشار الأستاذ (أزهرى المنصورة) إلى ناشئات القرن الخامس أو (نواشئه) وإيداع الزمخشرى بعضها كتبه . وهذه نتفة منها فى (أساسه) :

« أهل الحجاز يسمون الزرع والطعام (عيشاً)

سماعى من فتيات مكة : الصوفية [2] (اللوفية) : لاف الطعام لوفاً وهو اللوك والمضغ الشديد

سمعتهم يقولون فى كل شيء لا يحسن الانسان عمله : قد (محقه) !

اكتريت من أعرابى فقال لى أعطنى من (سطاتهن) أراد من خيار الدنانير

سمعت خادماً من اليمامة يقول — وقد وكف السق — : يا سيدى هل (أهب) عليه التراب بمعنى هل أجمله عليه ، وهو من الهبة لأن معنى وهب له الشيء جمله له

رأيت العرب يسمون الكزبرة (الدقة) وسمعت باعة مكة ينادون عليها بهذا الاسم

سمعت بمكة من يقول لحامل الجُوالق [3] (استنشق به) أى حرفه على أحد شقيه حتى ينفذ الباب

سمعت بعضهم يقول : (عكشتك) بمعنى سبقتك من قوله (عليه السلام) : « سبقك إليها عُكّاشة » وهو عكاشة بن محصن الأنصارى »

ومما أورده الامام الزمخشرى فى (كشافه) : « مما طنّ على أذنى من ملح العرب أنهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشُّقدف وهو مركب خفيف ليس فى ثقل محامل العراق ، فقلت فى طريق الطائف لرجل منهم : ما اسم هذا المحمل ، أردت المحمل العراقى ، فقال : أليس ذاك اسمه الشقدف ؟ قلت : بلى ، فقال : هذا اسمه (الشقنداف) فزاد فى بناء الاسم لزيادة المسمى »

ومن كلمة الأستاذ أزهرى المنصورة « لم يقل أحد شيئاً فى الفعل (حظى بالشيء) إلا العلامة الشيخ ابراهيم اليازجى وكان هذا الرجل قد جاء مصر وأنشأ فيها مجلة (البيان) ثم مجلة (الضياء) وعلق ينقد ويغلّط . وكان يغلط كثيراً فى تغليطه ونقده . ومن هفواته التى أذكرها زمن الطلب فى الأزهر تخطئته الأديب الكبير (حافظاً) فى قول فى كتاب (البائسين) وقد لاقاه بعد هذا النقد حجة الاسلام (السيد محمد رشيد رضا) فقال له — وقد سمعنا قوله — : (يا شيخ ، يا شيخ ، إن الذى خطأته فى كلام حافظ ابراهيم هو فى أول صحيح البخارى) فبهت الشيخ ابرهيم ، وترك السيد وهو كاسف البال . وكان وقوف الشيخ اليازجى على المعجمات وكتب الآلات أكثر من اطلاعه على كلام العرب ، ومن هنا ومن فرط ميله إلى القياس هوى فيما هوى فيه »

الاسكندرية

(* * *)

(١) قلت : ولادة الزمخشرى سنة ٤٦٧ وتوفى سنة ٥٣٨ كما ذكر ابن خلكان

(٢) فى الأساس : الصوفية زفافة حفافة ، يرقصون ويجرفون الطعام بجفناتهم ، والزمخشرى حرب الجماعة ، وتهجينه إياها فى كشافه كثير

(٣) الجوالق وعاء معروف معرب كواله كما فى الفتح والصواب أنه معرب جوالة بالجيم الفارسية المنقوطة بثلاث من تحت ج جوالق بالفتح (التاج) أى فتح الجيم

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٣ —

« سقط من المقالة الثانية والثلاثين المنشورة بالعدد الماضي من الرسالة ، بعض عبارات خفي فيها بعض المعنى ؛ كما وقع بها بضعة أغلاط مطبعية ابتعدت بها قليلاً عن النهج ؛ فنعتذر من هذا وذاك إلى قرائنا ، راجين ألا تلزمنا الضرورة مرة أخرى أن نعود إلى مثل هذا الاعتذار »

سعيد العريان

مقالاته للرسالة (٤)

كان فيما تحدث به صديقنا المهندس الأديب محمد ؟ إلى الرافعي من أسباب عزوبته أن الزواج عنده حظ مخبوء ، فإنه ليخشى أن يحمل نفسه على مالا تحتمل من العنت والمشقة في سبيل إعداد ما يلزم للزواج ، ثم تكون آخرة ذلك أن يجلوا عليه فتاة دميمة لايجد في نفسه طاقة على معايشتها ما بقي من حياته ، أو فتاة فاسدة التربية لا يدخل بها على زوجته ولكن على معركة ...

وقد ظل هـذا القول عالقاً بذهن الرافعي يلتمس الوسيلة إلى تفنيده والرد عليه ، حتى وقع على قصة احمد بن أيمن (كاتب ابن طولون) ، فأنشأ مقالة « قبحٌ جميل » ، وهي القصة الثانية مما أنشأ الرافعي لقراء الرسالة ؛ وهي الحلقة الخامسة من سلسلة مقالاته في الزواج ، وفيهـا توجيه معتبر للحديث الشريف : « سوداءُ ولودٌ خيرمن حسناء لا تلد ! » يسلك هذه المقالة في باب « الأدب الديني » الذى أشرتُ إليه في بعض ما سبق من الحديث .

ثم كانت الحلقة السادسة هي قصة « رؤيا في السماء » ، وتتصل بمـا سبق من المقالات بأسباب ، على أنها تتحدث عن الزواج بمعناه الأسمى ، وتدعو إليه الدعوةَ الانسانية التي تعتبر الزواج باباً من الجهاد لسعادة البشرية كلها ...

في هذه المقالة ؛ لا أعرف سبباً خاصاً من مثل ما قدمتُ دعاه إلى إنشائها ، ولـكنها جلة الرأى وخلاصـة الفكر وأثر اشتغال الواعية الباطنة قرابة شهرين بموضوع الزواج ؛ فهي من الموضوع كالهامش والتعليق ، أو الحكم بعـد المداولة ، أو هي الصفوةُ الصريحة بعد ما يذهب الزَّبد وتنطفىء الرغوة ...

وقد ترجم هذه القصة إلى الفرنسية الأديب الباحث الأستاذ فليـكس فارس ؛ وكانت هي أول الصلة بينه وبين المرحوم الرافعي ثم اتصل بينهما الود .

* * *

لما أنشأ الرافعي « قصة زواج » تحدث بها الأدباء في مجالسهم وتضاعفت رسائلهم إليه معجبين مستزيدين ؛ وتضاعف إعجابه هو أيضاً بنفسه .. فاستزاد واستماد ، والتزم الـكتابة على أسلوب القصة ، فكان على هذا النهج أكثر رسائله من بعد

وجلست إليه ذات مساء نتحدث حديثنا ، فقال وهو يدفع إلى طائفة من رسائل القراء : « اقرأ يا شيخ سعيد ... أرأيت مثل هذا ؟ أيحق لأحد أن يزعم لنفسه القدرة على خير مما أكتب في موضوعه ؟ أيملك كاتب أن يردّ عليّ رأياً من الرأى ؟ ... » ومضى في طرائق من مثل هذا القول عن نفسه وعن طائفة من خصومه ؛ فعرفت أنه في لحظة من تلك اللحظات التي تتنبه فيها النفس البشرية إلى طبيعتها ، فتؤمن بنفسها من دون كل شيء مما خلق الله ، إيماناً هو بعض الضعف الانساني في طبيعتنا البشرية وهو بعض أسباب القوة في النابغين من أهل الآداب والفنون ! ذلك الايمان الذى نسميه أحياناً صلفاً وعنجهية وكبرياء ؛ ونسميه في النابهين والعظماء ثقة بالنفس وشعوراً بالقوة !

وكان يلذني في أحيان كثيرة أن أشهد الرافعي في مثل هذه الساعة من ساعات الزّهو والاعجاب بالنفس ، وأجد في ذلك متاعاً لنفسي وغذاء لروحي ؛ لأن الرافعي بما كان فيه من طبيعة الرضا والاستسلام للواقع كان رفيقاً متواضعاً ؛ فلا تشهده في مثل هذه الحال إلا نادرة بعد نادرة ؛ فاذا شهدته كذلك مرة فقد شهدت لوناً طريفاً من ألوانه ، يوحي إلى النفس بفيض من المعاني وكأنما هو يمدي سامعه من حالته ، فيحس في نفسه قوة فوق قوته ، وكأنّ شخصاً جديداً حلّ فيه ...

... وسرنى أن أجد الرافعى كذلك فى تلك الليلة ، فأصغيت إليه ومضى فى حديثه ؛ فلما انفض المجلس ومضيت إلى دارى ، وسوس إلى الشيطان أن أعابثه بشىء ... فكتبت إليه رسالة بامضاء (آنسة س) أرد عليه رأيه فى قصة سعيد بن المسيب وأعيب ما صنع الرجل بابنته ، وعمدت فى كتابة هذه الرسالة إلى تقليد أسلوب من أسلوب الدكتور طه ، يعرفه قراء الرسالة ويعرفه الرافعى ...

وبلغته الرسالة فقرأها ، فنبهته إلى ما كان فيه من أمسه ؛ ووقع فى نفسه أن مرسلها إليه هو تلميذ أو تلميذة من تلاميذ طه موحّى إليه بما كتب فتحمس للرّد، وأنشأ « ذيل القصة وفلسفة المهر » وجعل أول مقاله رسالة (الآنسة س) وراح يسخر منها ومن صاحب رأيها سخرية لاذعة ؛ ثم عاد إلى موضوع فلسفة المهر ...

وقرأ الزيات المقالة فرأى فيها تعريضاً بصاحبه لم يرض عنه ، فكتب إلى الرافعى يطلب إليه أن يوافق على حذف مقدمة المقالة ، حرصاً على ما بين الرسالة وصاحبه من صلات الود ... وكان له ما طلب ، فنشرت المقالة فى موعدها خالية من هذا الجزء ولكنها لم تخل من إشارات مبهمة إلى أشياء غير واضحة الدلالة وكذلك نشرت من بعد فى وحى القلم ...

***

ثم كانت قصة « بنت الباشا » وهى السابعة من مقالاته فى الزواج ، وقد ألهمه موضوعها صديقه (الزبال الفيلسوف) الذى تحدث عنه فى هامش هذه المقالة . وهذه المقالة فيما ترى إليه تعتبر متممة لموضوع « قصة زواج » فهى دعوة اجتماعية لآباء الفتيات إلى الانطلاق من أسر التقاليد فى شئون الزواج ، وفيها إلى ذلك شىء من الحديث عن « فلسفة الرضا » التى أسلفت القول عنها فى « حديث قطين »

أما هذا الزبال الذى نوه به الرافعى فى أكثر من مقالة ، فهو من عمال قسم النظافة فى « بلدية طنطا » ، وكان عمله قريباً من دار الرافعى فى الشارعين اللذين يكتنفانها ، وكان إذا فرغ من عمله فى الكنس والتنظيف اتخذ له مستراحا على حيد الشارع تجاه مكتب الوجيه محمد سعيد الرافعى (المقاول) ، فيقضى هناك أكثر أوقات فراغه ، نائماً أو محتبياً ينظر الرائحين والغادين من أهل الثراء والنعمة، أو شادياً يصدح بأغانيه؛ فاذا جاع بسط منديله على الأرض فيأ كل مما فيه، ثم يشمل دخينة ويعود إلى حبوته يتأمل..

كان هذا الزبال صديق الرافعى ، بينهما من علائق الود وصفاء المحبة ما بين الصديقين ؛ وكان الرافعى يسميه « أرسطو الجديد » . وأول هذه الصلة التى بينهما أن الرافعى كان يلذه أحياناً أن يجلس على كرسى فى الشارع أمام مكتب أخيه ، حيث اتخذ الزبال « محله المختار » فكان يوافقه فى مجلسه ذلك على ماقدمت من وصفه ، فيرفع يده إلى رأسه بالتحية وهو يبتسم ، ثم يجلس ؛ فكان يحادثه أحياناً فى بعض شئونه يلتمس بعض أنواع المعرفة ... ويكرمه ويبره . وأنس إليه الزبال ، فكان يسأل عنه إذا غاب ، وينهض لتحيته إذا حضر ؛ وصار من بعض عادات الرافعى من بعد ، أن يسأل عن الزبال حين يغيب ، وأن يشترى له كلما لقيه دخان بنصف قرش ، مبالغة فى إكرامه ...

وكان الرجل أميا ولكن الرافعى كان يفهم عنه من حركات شفتيه ، وأحياناً يستدعى بينهما من يترجم له حديث الزبال مكتوباً فى ورقة ، وقد كنت الترجمان بينهما مرة . وكان الرافعى يحرص على هذه الورقات بعد نهاية الحديث كما يحرص الباحث على مطالعة أفكار من غير عالَمه !

ومما كان يدور بين الرافعى وصديقه هذا من الحديث ، عرف الرافعى طائفة من ألفاظ اللغة العامية كان يجهلها ، وطائفةً من الأمثال ونبهه ذلك من بعدُ إلى العناية بجمع أمثال العامة ، فاجتمع له منها بضع مئات بمصادرها ومواردها ، وأحسبها ما تزال محفوظة بين أوراقه . كما أفاد الرافعى من صداقة هذا « الفيلسوف الطبيعى » معانى وأفكاراً جديدة فى فلسفة الرضا لم تلهمه بها طبيعته .

ولهذا الزبال صنع الرافعى أكثر من أغنية ، أعرف منها الأغنية التى نشرها لقراء الرسالة فى العدد ٧١ سنة ١٩٣٤ وأغنية أخرى دفعها إلى الآنسة مارى قدسى معلمة الموسيقى بوزارة المعارف لتضع لها لحنا يناسبها .

وقد كان فى نفس الرافعى أن يكتب مقالة عن هذا الزبال يتحدث فيها عن فلسفته الطبيعية العملية ، وكان محتفلا بهذه المقالة احتفالا كبيراً ، حتى إنه همّ بموضوعها أكثر من مرة ثم عداها إلى غيرها حتى تنضج ؛ وقد هيأ لها ورقة خاصة كان يجمع فيها كل ما يتهيأ له من الخواطر فى موضوعها ليستعين به عند كتابتها ، ولكن الموت أعجله عن تمامها ، وأحسب أن هذه الورقة ما تزال بين ما خلّف من الأوراق .

سيدى بشر — محمد سعيد العريان

دراسات للمستشرقين

قيمة التراجم الأعجمية الموجودة للقرآن

للعلامة الأستاذ الدكتور أ . فيشر

— ٣ —

وإذا كان الأمر كذلك فليس للانسان بالطبع أن يطلب اعتبار كل ما حوته تراجم المترجين الغربيين منزهاً عن كل شك. ولكن يمكن مؤاخذة هؤلاء المترجين — إن قليلاً أو كثيراً كل حسب عمله — على الأمور الآتية :—

(١) أنهم لم يحاولوا فهم القرآن قبل كل شيء من نصه أولاً ، كما يقضى بذلك قانون علم التفسير ، بل إنهم انزلقوا دون تريث في البحث وتثبت في الاستقصاء إلى الخرافات القصصية التي ذكرها العرب ، وإلى شروح المفسرين المتأخرين التي جارت الافتراض المذهبي التأملي ، والتي مر ذكرها

(٢) وأنهم كانوا على العكس من ذلك ، قليلي الاهتمام بالبيانات اللغوية التي أوردها المفسرون العرب

(٣) وأنهم لم يعنوا إلا قليلاً بمختلف قراءات القرآن التي عرفت لعهدهم

(٤) وأنهم كانوا يبحثون دائماً عن عناصر يهودية ونصرانية في القرآن ، ناسين أن الرسول (صلعم) نشأ في أيام الجاهلية وأنه لذلك تأثر بادئ ذي بدء بعادات ذلك العصر وبالاتجاهات والأسلوب واللغة لشعر ذلك العهد ، إذ كان للشعر أهمية عظمى في الحياة الثقافية للعرب الجاهليين

(٥) وأنهم لم يكونوا من المسيطرين على دقائق علم النحو القديم ولا هم من المتمكنين من المجاز والاستعارة والمعاني الاصطلاحية في اللغة العربية الفصحى لعهدها المتقدم

(٦) أن تراجمهم كانت حرة أكثر مما يجب ، وأنهم لم يفقهوا الكثير من المواضع العويصة المبهمة الواردة في القرآن ، ولذلك كثيراً ما يحصل القارئ على معنى لا ينطبق بحال على ما حواه النص الصحيح

ولأبرهن على أن حججي التي أوردتها مسببة ومدعمة آتي بمثل مجسم هو معالجة ما صارت إليه ترجمة السورة الحادية عشرة بعد المئة في مختلف التراجم الموجودة(١)

ونص هذه السورة الصغيرة الشهيرة هي :

(١) تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ

(٢) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ

(٣) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ

(٤) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

(٥) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ

كذا في المصحف الشريف طبع المطبعة الأميرية وكذلك في المصحف طبع (Flügel) فلوغل . وسيأتي الكلام عن بعض الرسوم الهامة التي وردت بها هذه السورة . وإلى جانب هذا نذكر ما يلي :

في الآية الأولى : وردت أبو بدل أبي ؛ أنظر الشواذ لابن خالويه صحيفة ١٨٢ ، والكشاف للبيضاوي ، وغيرهما . ووردت لَهْبٍ بدلاً من لَهَبٍ ؛ أنظر التيسير للداني صحيفة ٢٢٥ ، والكشاف ، والإملاء للعكبري ، وتفسير غريب القرآن للنيسابوري (حاشية تفسير الطبري ، الطبعة الأولى) الجزء الثلاثين وأورد أُبَي بن كعب بين الآية الأولى والثانية الآية التالية :

حَالَفَ الْبَيْتَ الْوَضِيعَ عَلَى الْبَيْتِ الرَّفِيعِ فَشُغِلَ بِنَفْسِهِ ثُمَّ شُغِلَ

راجع :

Jeffery, Materials for the History of the text of the Qur'àn (Leiden 1937), 180.

وفي الآية الثانية : وردت اكْتَسَبَ بدلاً من كَسَبَ

---

(١) راجع :

ZDMG, N. F., XI, S. jo* ff.—Paret's "neve Deutung" von
حافظات للغيب و ما كنا للغيب حافظين
Sure 4, 38 (34) bezw. 12, 18 sowie
أهل البيت
Sure 11, 76 (73) und 33, 33 (Littmann=Festschrift S. 125 ff.)
أعتبرها غير موفقة

(ابن مسعود) ، أنظر Jeffery a. a. O. 112, وابن خالويه صحيفة ١٨٢

والرأى عندى أن الذين ترجموا القرآن حتى الآن لم يترجموا من هذه الآيات الخمس الصغيرة سوى الآية الثالثة ترجمة صادقة ، أما الآيات الأربع الأخر فقد أساء الجميع دون استثناء فهمها

الآية الأولى والثانية : الفعل الماضى تَبَّتْ وتَبَّ الوارد فى الآية الأولى من السورة ، وكذلك الفعل ما أغنَى الدال على نفى أو على استفهام فى معنى الانكار الوارد فى الآية الثانيـة ترجمها أغلب المترجمين بما يدل على تَمَنٍّ — أى دعاء بالشر ؛ أو أنهم ترجموها — بما لا يختلف عن ذلك كثيراً — بما يدل على معنى الاستقبال ؛ ويندر من ترجمها بما يدل على معنى الحال . والتمنى سواء كان للخير أو للشر يكون فى اللغة العربية الفصحى ، كما هو معروف ، بواسطة المفعول المطلق — انظر من تراجم القرآن مثلا : (Sale) سال (غالباً لندن طبعة سنة ١٧٣٤ ، والنسخة التى لدى طبعة لندن سنة ١٨٥٠ ؛ (Wherry) ويرى

A Comprehensive Commentry on the Quràn : (Sale's Translation, London 1882-86, vol. IV, 293)

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Sale) سـال الانجليزية . وكذلك انظر (Kasimirski) كازيمرسكى (ترجمة القرآن طبعة (Paris) باريس سنة ١٨٤٠ غالباً ، والنسخة التى طبعت سنة ١٨٦٥) — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Kasimirski) كازيمرسكى الفرنسية وكذلك انظر (Ullmann) ألمان (ترجمة القرآن طبع Crefeld) كريفلد سنة ١٨٤٠ ، الطبعة التاسعة سنة ١٨٩٦ ؛ والنسخة التى لدى الطبعة الثالثة سنة ١٨٤٤) — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Ullmann) ألمان الألمانية . وانظر كذلك (Sprenger) شبرنجر فى كتابه

(Das Leben u. die Lehre des Mohammad, I, 484)

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Sprenger) سبرنجر الألمانية . وانظر كذلك (Chenery) شنيرى فى كتابه :

(The Assemblies of al Hariri, translated, I, S. 439)

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Chenery) شنيري الانجليزية . وبعائلهم (Rodwell) رودول(1) و (Palmer) بالمر و (Klamroth) كلامروت و (Grigull) جريجل و (Henning) هننج و (Pedersen) بدرسن فى :

(Lehmann's Religionsgeschichtliche leseb uch)

كتاب للمطالعة فى تاريخ الأديان لواضعه ليمـان ، الطبعة الأولى ، صحيفة ١٣٨ و (Gustav Weil) غوستاف فيل (فى ترجمته للسيرة الجزء الأول صحيفة ١٧٤) وغيرهم . وكذلك عدد من المترجمين الحديثين أمثال : محمد على (أحمدية إينومانى أشاعانى إسلام ، لاهور الطبعة الثانية سنة ١٩٢٠) — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة محمد على الانكليزية وكذلك :

Grimme, Paderborn, 1923, S. 25

جِريمة ، — وأورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة جِريمة الألمانية ؛ وكذلك Mardrus ما ورد فى :

Le Koran . . . Trad. littérale et complète des Sourates Essentielle (1) , Paris 1926

— ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Mardrus) ماردرو الفرنسية ؛ وكذلك (Bonelli) بونللى (Milano 1929) — ثم أورد الأستاذ أ . نص ترجمـة (Bonelli) بونللى الايطالية . وكذلك (Buhl) بوول فى (Das Leben Mohammeds) H. H. Schaeder هـ . هـ شيدر ، طبع ليبزج سنة ١٩٣٠ صحيفة ١٦٨ ، — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمته الألمـانية . وكذلك (Pickthall) بكتهول . طبع لندن سنة ١٩٣٠ ، — ثم أورد الأستاذ أ فيشر نص ترجمته الانجليزية . وكذلك :

(Laï-Mèche et Ben Daoud,) (Oran s. a.)

لاى — ميش وابن داود ، — ثم أورد الأستاذ أ فيشر نص ترجمتها للفرنسية . وكذلك (Gemil Saïd) جميل سعيد استانبول سنة ١٩٢٤

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص الترجمة التركية . ولا تختلف كثيراً عن هذه ترجمة Ismail Hakki إسماعيل حقى ، الطبعـة الثانية استانبول سنة ١٩٣٢

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نصها التركى . وكذلك Nykl نيكل (أنظر فيما يلى) وغير هؤلاء

(البحث بقية) ابراهيم ابراهيم يوسف

(١) لى أن أعتبر هذه الكتب معروفة إجمالا . ولذلك لا أرى وجوب استنساخ ما بها .

(١) "Faite sur la demande des Ministères de l'Instruction Publique et des Affaires Étrangères"

جورجياس

او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٦ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجمل محاوراته وأ كملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « ش »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »(١)

(تابع ما قبله)

ج — وأضيف إلى هذا أنه إذا دخل طبيب وخطيب مدينة ما، ثم احتاج الأمر إلى المفاضلة بينهما أمام الجمهور المجتمع أو أمام أية هيئة أخرى ، فانه لن ينتبه أحد إلي الطبيب : وسنفضّل من هو قادر على الكلام إذا كان بالفعل كذلك . وقل بالمثل إذا نافس الخطيب أى رجل من رجال المهن الأخرى ، : إذ دائما ما يفضل الخطيب غيره مهما كان ذلك الغير . لأنه ليست هناك مادة ما إلا ويستطيع أن يتكلم فيها أمام الناس بطريقة أكثر إقناعا من طريقة أى صاحب مهنة أخرى مهما كان شأنه ! ، والحق أن للبيان ذلك المرمى وتلك الخاصة ! ولكن يجب ألا نستعمله مع ذلك ياسقراط إلا كما نستعمل التدريبات الأخرى ، ذلك أنه ولو أن الانسان يستطيع أن يتعلم بتلك التدريبات الملاكمة وطرق استعمال أسلحة الحرب الأخرى بطريقة تكفل له قهر الأصدقاء والأعداء على السواء ، فانه لا يجوز له أن يستعملها من أجل ذلك ضد الجميع ، أوأن يضرب بها أصدقاءه ويطعنهم ويقتلهم ! ولا يجوز لذلك الذي أكثر من التدريب فى الملاعب ، وكوّن فيها جسما قويا ، وأصبح بين جدرانها مصارعا مجيدا ، لا يجوز له أن يضرب أمه أو أباه أو أحدا من أقرباء والديه وأصدقائه ، وأن يعادى ويكره مدربى الرياضة والسيف فيطردهم من المدن ! إذ الحق أن هؤلاء المدربين لم يروضوا تلاميذهم بهذه التدريبات إلا بقصد أن يحسنوا استعمالها ضد الأعداء والأشرار ، وفى الدفاع لا الهجوم ! فاذا وجه التلاميذ بعد ذلك قوتهم وحيلتهم إلى الشر على غير قصد أساتذتهم ، فلا ينتج عن هذا أن أساتذتهم أشرار وأن فنهم شرير ، لأن الخطأ قائم فقط — كما أرى — فيمن يسيئون استعمال الفن ؟ .

وهكذا نستطيع ياسقراط أن نصدر نفس الحكم على البيان: إذ الحق أن الخطيب يستطيع أن يتكلم ضد الجميع وعن كل شىء لأنه أجدر الناس باقناع الجماهير بما يريد ، ولكن ما كان هذا ليساعده قط على تشويه اسم الأطباء وغيرهم من رجال المهن الأخرى لأن الأمر على نقيض ذلك تماما ؛ وإذا فلا يجب أن نستعمل « البيان » إلا وفقا لقوانين العدالة كما هو الحال فى التدريبات الأخرى . فلئن أساء أحدهم — ممن قد أعَدّوا له — استعماله كقوة وفن بقصد ارتكاب عمل ظالم ، فلن يكون لنا الحق — فيما أظن — أن نعتمد على العمل وحده ونكره الأساتذة الذين لقنوا الفاعل ذلك الفن ونتفيهم من المدن ، لأنهم لم يلقوا بفنهم بين يديه إلا بقصد أن يستعمله فى أغراض ولأسباب عادلة ، فراح هو يستعمله استعمالاً يناقض قصدهم تمام التناقض ؛ وإذا فالعدل هنا أن نكره التلميذ المسىء وأن نطارده ونقتله ، وليس العدل أن نفعل ذلك مع الأساتذة !!

ط — أظن ياجورجياس أنك قد اشتركت مثلى فى مناقشات

(١) انتهى جورجياس فى العدد الماضى إلى قول عجيب فحواه أن الخطباء هم أصلح الناس للكلام فى شئون الحرب من حصار وهجوم وتحصين ، وأن الأطباء كثيرا ما فشلوا فيما قد نجح فيه أهل البيان ! وسنرى اليوم كيف يعلن سقراط آراء أفلاطون الخالدة فى ضرورة الترحيب بالنقد ما دام هو الأداة التى تحرر العقل من ظنونه وأخطائه ، وكيف ينثنى بعد ذلك على صاحبنا جورجياس فيوقعه فى التناقض المر المضحك . « المعرب ».

كثيرة ، وأنك قد لاحظت فيهـا شيئا : هو أن الناس عندما يشرعون فى المناقشة يجدون مشقة كبيرة فى تحديد أفكارهم من سائر النواحى ، وفى الوصول إلى موضـوع المناقشة بتوضيحه لأنفسهم وتحقيقه على التبادل ، وإذا ما نشأ بينهم بعض التناقض وادعى أحدهم أن الآخر لا يتكلم إلا بقليل من الوضوح والحق ، فإنهم يغضبون ويظنون أن المقاطعة إنما توجه إليهم بباعث الحسد وأن المرء إنما يتكلم بعامل الخصومة دون أن يبغى توضيحا للقضية المعروضة . ولذلك ينتهى الأمر ببعضهم إلى تبادل الشتائم القذعة ثم الانفصال بعد الاحتكاك بشخصيات بغيضة ممقوتة ، كما ينتهى بالمشتركين إلى (المساعدين) فى المناقشة إلى أن يستنكفوا من وجودهم فى مثل تلك الأحوال [1]

فهل تدرى لم أخبرك بذلك ؟ إنما أخبرك به لأنه يلوح لى أنك لا تتكلم الآن بنحو مجد وبطريق يلتئم تماما مع ما قررت من قبل عن البيان ! ؛ وأفهم أنى إذا ما ناقضتك فسوف لا تقول إن قصدى هو أن أناقضك وأن أقوم فى وجهك ، وإنما ستقول إن قصدي هو أن يتضح لنا فقط موضوع الحديث ! ؛ فإذا كنت تنظر للأمر كما أنظر إليه فسأسائلك باغتباط ؛ وإلا فلن أذهب معك إلى أكثر من ذلك ، وهاك نظرتى : إننى من أولئك الذين يحبون أن يناقَضوا عند ما لا يقولون الحق ، ولكنهم يحبون أيضاً أن يُناقِضوا غيرهم عندما يرونهم حائدين عنه ، وليس سرورهم بعد هذا من مناقضة غيرهم لهم بأقل من سرورهم عند ما يناقضون هم غيرهم ! إذ الحق أنى أعتبر المناقضة يا جورجياس خيراً عظيما ، وأرى أن الأفضل لنا هو أن نخلص أنفسنا أولا من أسوأ الشرور بدلا من أن نخلص غيرنا منها ؛ كما أنى لم أعرف بعد وزراً يعدل وزر أن يكون لدينا أفكار خاطئة عن الوضوع الذى نعالجه [2] ؛ فإذا كان حقاً ما تدعى من أنك مثلى فى النظر والاستعداد فلنعد للمناقشة ، وإذا كنت ترى أنه يجب أن نتركها حيث وقفنا فليكن ما تريد ولينته الحديث

ج — إنى لأفخر يا سقراط بأنى من أولئك الذين صورتهم تصويراً ، ومع هذا فأحسب أنه يجب أن نعنى كذلك بأولئك الذين يشتركون معنا فى الحديث لأنى قد شرحت لهم أشياء كثيرة قبل مجيئك بزمن طويل ، وإذا نحن عدنا إلى المناقشة فيها ثانياً فسيذهب بنا القول بعيداً جداً . ولهذا يحسن أن نفكر فيهم حتى لا يبقى منهم من يكون له عمل آخر يشتغل به أثناء الحديث [1]

س — إنكما لتسمعان بنفسكما يا جورجياس وسقراط ذلك الصوت الذى يحدثه الحاضرون ليكون شاهداً على رغبتهم فى الانصات إليكما إذا واصلتما الحديث وأرى من ناحيتى أنه لا يرضى الآلهة أن يكون لدى من الأعمال الكثيرة الهامة ما يضطرنى إلى ترك مناقشة كلها الفطنة والمنطق كيما أشتغل بمـا هو أكثر ضرورة منها !

ك — لقد أصبت وحق الآلهة جميعاً يا شيريفين ! فأنا الآخر أشتغل بأعمال كثيرة ولكنى لا أعرف منها أبداً عملا واحداً يسبب لى من اللذة بقدر ما تسبب لى هذه المناقشة . ولعل هذا هو السر فى أنكما تطوقان جيدنا بالفضل (يا جورجياس وسقراط) إذا شئتما وتناقشتما هكذا طوال اليوم !

ط — لن تجد يا كاليكس أية عقبة من ناحيتى إذا وافق جورجياس على المناقشة .

ج — ليكونن عاراً على ألا أوافق بعـد اليوم يا سقراط ، خصوصاً وقد ادعيت لنفسى القدرة على إجابة جميع ما يوجه إلى من الأسئلة ، فلنعد إلى الحديث ما دام فى ذلك سرور للحاضرين واعرض على ما تراه جديراً بالعرض [2]

ط — فلتعرف إذا ما يدهشنى من حديثك ! — وقد يكون أنك لم تقـل غير الحق وأنى قد أسأت الفهم ! — إنك تدعى أنك تستطيع أن تجعل ممن يرغب فى دروسك خطيباً !؟

ج — نعم

ط — ومعنى ذلك أنك تجعله قادراً على الكلام فى كل موضوع بطريقة ساحرة أمام الجماهير بحيث يقنعهم دون أن يعلمهم !؟

ج — تماما [3]

(يتبع) محمد حسن ظاظا

(1) أليس ذلك ما يحدث اليوم تماماً ؟ فلتحن الرأس إذن لأفلاطون !

(2) أحسب عظمة هذا القول الخالد واضحة

(1) يلاحظ هنا تهرب جورجياس وخوفه من أن يكشف سقراط عن أخطائه فيما سلف له من قول فى منزل كاليكس ، وهو لذلك يبغى الكلام فى أشياء جديدة بحجة أن تناول القديم يصرف المستمعين عن المناقشة

(2) إنها الحيرة المتكبرة التى تحمل الأستاذ المغرور على هذا الرد الماكر

(3) هكذا تدخـل المحاورة فى موضوعها الأساسى شيئاً فشيئاً وأحسب القارئ الكريم قد بدأ يلمس معنا طرافتها وإحكامها وجمال أسلوبها ودقة نقدها وتهكمها « المعرب »

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للاستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى قمتها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ....

— ١٩ —



وجاء يوم الانتخاب ففاز لنكولن وأصبح رئيس الولايات المتحدة ، أصبح فالق الأحشاب الخليفة الخامس عشر لوشنجطون العظيم بطل الاستقلال . فكأنما كان مجيئه يومئذ من تدبير الأقدار لقرن اسمه فى تاريخ أمريكا باسم محررها الأول فعليه اليوم أن يمسك بنيانها أن يخر من القواعد

وكان نجاح ابراهام محققاً قبل يوم الفصل بما كان لحزبه من جاه ونفوذ فى أهل الشمال وهم أكثر عدداً وأحكم سياسة من أهل الجنوب ، وذلك فضلا عن اتحاد كلمة ذلك الحزب ونشاط أعضائه بينما كان يتنازع الديمقراطيون ويتنابذون كأن بينهم عداوة على أن خصوم ابراهام يعيرونه بهذا الفوز إذ كانوا لا يعدونه فوزاً ، فهم يقولون إن ما ناله منافسوه من الأصوات يربو كثيراً على ماظفر به ، هذا إلى أن عدداً من الولايات الجنوبية لم يجد عليه أهلها بصوت واحد ... ولكن أصحابه يعلنون أنه الغالب فانه لينذر أن فاز قبله أحد بمثل ما فاز به من الأصوات وإن بينه وبين دوجلاس أقوى منافسيه وأقدرهم لفرقاً كبيراً يشهد بغلبته وعظم مكانته ...

وكان على ابراهام أن يقضى أربعة أشهر أخر قبل أن يحتفل بتسلمه أزمة الحكم فقضاها فى سبرنجفيلد بينما كان الرئيس بيوكانون يكمل مدته بقضاء تلك الأشهر فى البيت الأبيض فى وشنجطون

ولبث ابراهام فى سبرنجفيلد يلقى زائريه كل يوم ويمشى فى الطرقات بين الناس لا يجعل بينه وبينهم كلفة ولا يتخذ من دونهم حجابا ، يحييهم فيدعوهم بأسمائهم ويردون فيدعونه بأحب أسمائه إليه ، فمنهم من يناديه أيب الأمين ومنهم من يناديه أيب العجوز ومنهم من يقولها مجردة من النعوت

وتبدو « أيب العجوز » يومئذ أقرب النعوت منه وأعلقها به ، فإن على محياه لكآبة هى من أثر ما يهجس فى نفسه ، وإنه اليوم لكثير التأمل والاطراق لا يسمع الناس من أقاصيصه ما كانوا قبل يسمعون ، ولا يشهدون من عذوبة روحه ما كانوا يشهدون

أما امرأته فرحة طروب ، لا تملك نفسها من الزهو حينما تقف إلى جانب بعلها فى شرفة الدار وهما يطلان على الجماهير الهاتفة وإن كانت لتكره وتتبرم منه بهذا الوجوم وهذا الصمت ، وإن كانت لتنكر عليه مايظهر فيه من ملابس وخاصة قبعته التى ألحت عليه وما تفتأ تلح عليه أن يستبدل بها أخرى جديدة فلا يطيع !

وحق له أن يبتئس وأن يرتاع فما تزال تتراءى إليه الشائعات والأنباء المزعجات ، فهذه صحيفة من صحف الجنوب تعلن نبأ اختياره للرياسة تحت عنوان أخبار خارجية ، وهذا حاكم كارولينا الجنوبية يتناول المعول فيهدم أول حجر من بناء الاتحاد ... لقد استقال أعضاء الشيوخ لهذه الولاية وانسحبوا من وشنجطون ، بينما أخذ الحاكم يعد ما استطاع من معدات الحرب وصحفه تذيع فى صراحة أن قد صار الاتحاد أثراً بعد عين ؛ وهو يسعى بالتفرقة ويحرض الولايات الجنوبية على الانسحاب بعد أن أعلن على

لسان المجلس التشريعى فى ولايته أن لا صلة لهذه الولاية بالاتحاد وما كان ارتياعه عن خور حين آذنت العاصفة بالهبوب ؛ ولعمرى مايكون الخوف كل آونة جبناً ولاالدم كل يوم حلالاً . ثم لعمرى مايكون الاقدام فى كل موقف شجاعة، ولاالوثوب فى كل مأزق بطولة ؛ وإلا فما أضيع الحكمة ، وما أتفه البصيرة ، وما أسخف الأناة ... وما كان يخاف أبراهام إلا أن تصيب بلاده فتنة تذهب بكل شيء

وإنه ليدور بعينيه فى هذه المحنة يبحث عن الرجال الذين يشدون أزره فيرى — والأسى يرمض فؤاده — أن رجال حزبه أنفسهم لا يرون رأيه فهم يميلون إلى مصالحة أهل الجنوب وعلى رأس القائلين بذلك سيوارد ... ولكن أبراهام يعلن إليهم فى ثبات عجيب أن مصالحة أهل الجنوب معناها التهاون فى المبادئ والتسليم بانتشار العبيد والاعتراف بحقهم فى اتباع القوة وفى الانسحاب من الاتحاد وهو لن يأمن أن يعودوا إلى ذلك فى أى وقت ؛ فيسمعون ذلك ولكنهم لا يعقلونه ويحملونه كل ما عساه أن يترتب على موقفه من مصائب

والنذر لا تنى تأتى من الجنوب بما يقلق المضاجع ويزعج النفوس ، فها هى ذى ست ولايات أخرى تنسحب من الاتحاد وتنضم إلى كارولينا الجنوبية فتؤلف من بينها اتحاداً جديداً تختار لرياسته جفرسون دافيس ... وهكذا يصبح فى البلاد حكومتان ! وهكذا ينهار البناء حجراً بعد حجر والرئيس الجديد ما زال فى سبرنجفيلد يشهد ما تفعل العاصفة

ويحمل البريد إلى ابراهام كل يوم آلافا من الرسائل بينها نوع جديد تنفر منه نفسه ، بينها نوع ملؤه الوعيد والسباب وتفصيل صور الموت التى تنتظره إن هو مضى فيما هو فيه وأصر على عناده ؛ وهو يطوى تلك الرسائل ليلقى بها فى النار مخافة أن تقع عين امرأته على صور الخناجر التى تتوج الكثير منها ...

ويتطلع ابراهام فى هذا المأزق الشديد إلى وشنجطون ليرى ما عسى أن يفعله بيوكانون الرئيس القائم ؛ ولكن بيوكانون لا يتحرك فيزيد بتهاونه النار اشتعالا ثم يصرح بأنه إذا لم يكن للولاية حق الانسحاب من الاتحاد فليس لحكومة الاتحاد حق ردها إليه بالقوة إذا هى انسحبت فيكون بتصريحه هذا كمن يلقى الحطب على النار حين يجدر به أن يلقى عليها الماء ... وتشيع الخيانة فى وزرائه فيرسلون الرجال والمال إلى الولايات الجنوبية ويستقيلون ...

ويشتد عدوان أهل الجنوب وقد اتخذ الاتحاد الجديد هناك دستورا جديدا يقر نظام الاستعباد ويعلن أنه أمر مشروع من ناحيتى الدين والخلق ونظام الاجتماع ... ويعظم هياج العاصفة ويشتد دويها ...

وإبراهام فى سبرنجفيلد كالسنديانة العظيمة لا تهز العاصفة إلا فروعها ، ولن يصيب الجذر مصيبة إلا أن تزلزل من تحته الأرض فتنشق فتميد ... يخوفه سيوارد عاقبة الأمر فلا يحجم ولا يلين ؛ ويسخط أهل الشمال أنفسهم على إبراهام ويظنون به الظنون ، ولكنه يقول ذات مرة لرجل ممن يحاورونه « اذهب إلى شاطىء النهر وخذ معك غربالا متيناً فاملأه بالحصى ؛ فسترى بعد هزات قوية أن الرمل وصغيرات الحصى تنفذ من الثقوب وتتوارى عن الأعين إذ تضيع على الأرض ، وتبقى فى الغربال الحبيبات التى تزيد عنها حجما إذ أنها لا تنفذ من بين الخيوط ... وبعد هزات أخرى متكررة يتبين لك أنه من بين القطع الباقية فى الغربال تصل كبرياتها إلى القمة ، وهكذا فإنه إذا لم يكن من الحرب بد وأن هذه الحرب سوف تهز البلاد من وسطها إلى جوانبها فانك ستجد صغار الرجال يتوارون عن الأنظار فى هزاتها، وبينما ترتكز الكتل على قواعد ثابتة ويرتقى أكابر الرجال إلى القمة ؛ ومن هؤلاء يبرز أعظمهم فيكون منه قائد القوم فى الصراع القائم ... »

هذا هو العزم الذى لا يعرف التردد ، ولكن من وراء هذا العزم نفساً شاعرة وقلباً يحب الخير وينأى بجانبه عن الشر وينفر بطبعه منه ؛ وما كانت هموم نفسه إلا مما يريد أن يدفعه عن بلاده من شر وبيل فهو لا يهمه أن يذوق الموت بعد أن وطد على الجهاد عزمه ووهب إلى بلاده نفسه ...

ها هو ذا قد وصل فى بلاده إلى القمة فهل ابتغى من وراء ذلك جاهاً أو تلهى بالعرض عن الجوهر ؟ هل تنفس الصعداء واستكان إلى الدعة وجعل من المنصب متعة وغروراً ؟ كلا فها هو ذا يجعل من وصوله إلى هذه المرتبة مبدأ مرحلة جديدة

في جهاده المرير ... وإنه ليحس أنه هالك فى هذا الجهاد ولا محالة ففى نفسه من المعانى ما يشير إلى ما سوف يلقاه من خطوب وويلات ... تحدث هذا الصنديد الجلد إلى صديق له بعد فوزه بالرياسة بسنوات يصف ما كان يهجس فى خاطره عقب ذلك الفوز فذكر أنه نظر يومئذ ذات مرة ، وقد جلس متعباً على مقعد، إلى مرآة أمامه فرأى فيها لوجهه صورتين فهب من مكانه يستوثق من ذلك فامحت الرؤيا ولكنها عادت كما كانت حين عاد فجلس ؛ وكانت إحدى الصورتين تخالف الأخرى فى أنها تبدو مصفارة نحيفة . ولقد أوجس إبراهام خيفة فى نفسه ؛ ولم يكن خوفه مما رأى فى ذاته بل لما انبعث منه فى نفسه من المعاني . ولقد تكرر ذلك المنظر بعد أيام ثم انقطع على رغم محاولاته أمام المرآة ... أما امرأته ففسرت ذلك بأنه سيختار للرياسة مرة أخرى ثم يموت فى تلك المرة ! يالله ما أعجب نبوءات هذه المرأة !

وكأنما كان صاحبنا يحس ما يخبئه له الغد من مكروه فهو يقدم فى عمله على علم بما وراءه ولذلك لا يتهيب ولا ينكص ، يحذر ويتدبر أن تصيب بلاده دائرة ...

وظل يمنى نفسه أن يثوب أهل الجنوب إلى رشدهم فتخشع للحق قلوبهم ، ولكنهم فى شطط من عنتهم وغرورهم . فها هى ذى الأنباء تأتى بجديد من كيدهم ، وبيان ذلك أنه كانت لحكومة الاتحاد حصون فى الولايات الساحلية بها جند تحميها وكان من تلك الحصون فى كارولينا حصنان أهمهما حصن سمتر ، فأرادت كارولينا أن تستولى على الحصنين لتتم سيادتها فلم تفلح إلا فى أحدهما ، وكان ذلك عقب إعلان انفصالها

واحتمى الجند فى حصن سمتر وأرسلوا إلى الرئيس بيوكانون أن يمدهم بالمون والذخيرة ، فلم يستطع بيوكانون أن يصم أذنيه عن هذا الطلب وأرسل سفينة تحمل المؤونة والرجال ولكن أهل كارولينا أطلقوا عليها النار فى ميناء شارلستون وأجبروها على الرحيل ... وطلبت حكومة الاتحاد الجنوبى تسليم حصن سمتر فرفضت الحامية بقيادة القائد اندرسون أن تسلم ، فضرب عليها الحصار ... وبات فى الواقع أهل الشمال وأهل الجنوب فى حرب

وعاد سيوارد يلح على ابراهام أن يتفق أهل الشمال مع أهل الجنوب على شروط تخفف من غضبهم ، فرفض ابراهام ذلك وأعلن أنه مصر على الرفض مهما يكن من الأمر ... ولما يئس سيوارد من إقناعه عرض عليه أن يزحف على العاصمة فى جيش من المتطوعين ويأخذ بيده زمام الأمور من بيوكانون قبل أن يستفحل الشر فرفض ابراهام أن يفعل ذلك لما فيه من خروج على الدستور ...

وازداد الموقف خطورة حين ترامى إلى سمع لنكولن أن كثيراً من الناس يودون لو ينسحب ويدع تقرير الأمور إلى رئيس غيره من جديد ... ولو أن رجلا غيره فى موقف مثل موقفه هذا لخارت عزيمته ، وانكسرت نفسه ، ولكنه ما وهن ولا استكان وما زادته الشدائد إلا صبراً وعزماً ولا المحن إلا رغبة فى الجلاد والنضال ...

وجاس يختار مجلس وزرائه فعظمت حيرته ووقع اختياره أول ما وقع على سيوارد وقد وقف إلى جانب إبراهام بعد أن رأى من ثباته مالم يتعلق به من قبل وهمه ، ورضى سيوارد بادئ الرأى أن يعمل معه فى مركز يعادل مركز وزير الشؤون الخارجية فى الحكومات الحالية مضافاً إلى ذلك أنه كاتم سره ومستشاره وحامل أختامه .. وأخذ إبراهام يبحث عن غيره ممن يأنس فيهم الكفاية فى مثل هاتيك الشدة ...

وجال إبراهام جولة فى البلاد التى قضى فيها صدر شبابه ، وزار من لا يزال على قيد الحياة من أهلها ، وحج إلى قبر والده وأوصى أن يعنى به ، وبعد أن قضى أرب مشاعره ولبانة قلبه عاد إلى سبرنجفيلد ليودع أهلها قبل رحيله إلى وشنجطون ...

ولما أزف يوم الرحيل لاحظ على وجهه أهل المدينة شيئاً مثل ذلك الذى يبدو على وجه من يوشك أن يرحل عن وطن اشتد حبه له وعظم تعلقه به ، ولقد زاده هذا نحولا على نحوله وهماً على همه ، وكذلك اشتد أسف الناس فهم لا يدرون كيف يصبرون على رحيله عن مدينتهم ولقد كان لصغارهم الأب المعطوف الرؤوف ولكبارهم الصديق الوفي ، والناصح الأمين . ولكنهم يتأسون عن فراقه بما باتوا يأملونه من خير للبلاد جميعاً على يديه

« يتبع » **محمود الخفيف**

بين العقاد والرافعي

غزل العقـــاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٤ —

لا يزال صاحبنا « الغمراوى » ماضياً فى طريقه ، عند السفح من مدارج الاحساس والفن والحياة . وما يزال يظن المسألة ردوداً ومحالا . بينما نحن لم نرد إلا أن ينتفع هو وأمثاله ومن هم خير منهم كذلك بما نكتب ، وأن يخرجوا قليلا من ذلك الطابق المغلق الذى ينزوون فيه ، إلى عالم النور والطلاقة والفن الجميل ، المتحرر من القيود والقشور ، فيحسوا — ولو مرة — دفعة الحياة ، وطلاقة الفن ، وفسحة الشعور. ومن حسن الحظ أن يكون الحديث اليوم عن « غزل العقاد » فليحاولوا أن يثبوا ونحن نأخذ بيدهم إلى هذا « العالم » العبقرى الفسيح . وإلا فليعذرونا إن نحن جاوزنا الجحور والمغاور ، إلى المرج الواسع ، أو العيلم المسجور !

الاحساس الساذج الفطرى بالحب قريب فى منبته من إحساس الجوع والظمأ ، ومطلب قريب لا يعلو كثيراً على مطالب الجسد ؛ والمتعة فيه غذاء من أغذية الدم واللحم ، والحرمان نوع من الخمص والطوي ، والآلام لون من وخز الجلد أو لذع النار ، أو لفحة السموم. والتعبير عن كل ذلك شبيه بالضحكة والصرخة والآهة والأنين ، من أنواع التعبير الفطرى عن اللذة والألم

والشاعر حين يقف فى إحساسه بالحب ، أو التعبير عنه ، عند هـذا الحد لا يستحق منا لقب الشاعر — بله الشاعر الكبير — وهو لا يستحق هذا اللقب ، حتى يكون له فى حبه منحى خاص (ليكون شاعراً) وفلسفة شاملة تجعل من هذا الحب مجتمعاً للأحاسيس الفريدة بأعماق الحياة وأصولها وتتصل بوشائج الطبيعة الكبرى ، وغاياتها البعيدة ، وأنماطها الأصيلة (ليكون شاعراً كبيراً)

فليس الحب الفنى ، ولا التعبير عنه من السهولة كما يتصورهما الكثيرون من ناشئة الشعراء ، ومقلدي النقاد، إنما هما عمل عسير فى الاستيعاب والتصوير ، وما نقرأ لتسعين فى المئة من الشعراء ، إلا ضحكات وابتسامات أو صرخات وآهات ، يحسبونها غاية الحب وغاية التعبير !

لا تقل : إننى أحب ؛ وإننى أستمتع بالحب ، أو أتعذب وأتألم ثم تحسب نفسك شاعراً ، حتى تقول لنا : إننى أحب على لون خاص ، وأستمتع بالحب بطريقة خاصة ، أو أتعذب وأتألم على لون من ألوان العذاب والآلام . ولا تقل : « أنا أطلب الجمال » وتسكت فلا بد أن تبين لنا ما نوع الجمال أو أنواعه التى تستهويك، وما المعانى التى يشمها فيك هذا الجمال ، وما ذا تفهم من الصلات بينه وبين غايات الحياة الكبرى ، وما ذا بينه من الوشائج وبين الطبيعة فى كيانها ومراميها

والعقاد وحده فى الشعر العربى كله هو الذى يقول لنا هذا فى عمق ودقة وقصد، ويصوره بأوضح وأصح ما يستطاع. وأقول « فى الشعر العربى كله » وأنا أعنى ما أقول ، فما يوجد شاعر واحد يجتمع له فى شعره العربى ما اجتمع للعقاد ، وتتوفر فى نفسه هذه الأوتار المتعددة ، التى يوقع عليها الحب هذه النغمات كلها ، ويخرجها هكذا واضحة سليمة

نعم ، يوجد بعض هذه الأوتار ، متفرقاً فى نفوس الشعراء ولكنها لا تجتمع هذا الاجتماع ، ولا تلتئم هذا الالتئام فى نفس واحدة ، وما يوجد منها متفرقاً لا يبلغ فى تفرده وخصوصه وطرافته هذا المبلغ عند أولئك الشعراء

فاذا خطر لأحد أولئك الذين يفغرون أفواههم لسماع هذا الكلام ، ويستنكرون تقرير الحقائق وليس لهم من البرهان على إنكارهم إلا إشارات الصم البكم ، فليأتوا ابنظائر لكل هذه الأوتار والنغمات لشاعر عربى واحد حتى الآن ، أو لعشرة مجتمعين فى جميع العصور

* * *

وقبل أن نعرف « ما الحب » عند العقاد ، لا بد أن نعرف « ما الجمال » الذى يثير هذا الحب ، ويدفعه إلى الغزل والتعبير

عرف القراء مما نقلناه عن رأى « شوبنهور » فى الجمال ، وتعليق « العقاد » عليه ، أنه يرى الجمال فى « الحرية » وفى العدد الفائت من الرسالة توضيح لهذا الرأى حين يقول :

« رأيى فى الجسم الجميل أنه الجسم الذى لا فضول فيه ، وأنه

الجسم الذي تراه فيخيل إليك أن كل عضو فيه يحمل نفسه غير محمول على سواه.

« من هنا جمال الرأس الطامح والجيد المشرئب ، والصدر البارز ، والخصر الرهف المشوق ، والردف المائل ، والساق التي يبدو لك من خفتها وانطلاقها واستوائها ، أنها لا تحمل شيئاً من الأشياء ولا تنهض بعبء من الأعباء »

ويقول من الكلمة نفسها في وصف فتاة :

« على شاطئ الاسكندرية — والمصادفة من أجمل المصادفات — طيارة في الهواء ، وفتاة على الأرض هي أولى بالطيران من تلك الحديدة الصاعدة ، بل هي تطير ولا يتخيلها الناظر إلا طائرة ، تفلت من لحظات العيون ، وخطرات الأرواح

« لا تحس العين أنها أدركتها ، لأنها إذا أدركتها تأملت فيها ، وسرحت في معانيها ، فاذا هي بعيد بعيد ، أبعد من الفراش الذي يقع عليه الطفل ، فاذا هو على الغصن ، ويثب إليه في غصنه فاذا هو في الهواء »

وقد عثرت أخيراً في الديوان على امتداد لهذا الرأي ، يريد أن تبلغ الحرية بالجمال ألا يشعرنا حين ننظره بتعلقنا وتقييدنا به ، بل يطلقنا نسبح في الآفاق ، ونسمو على الحدود والقيود

والجميل الحق ما يذهلنا ... عنه ، لا ما فيه للحس إسار

والجمال عوض عن شين كثير من النفوس في هذه الحياة ، وتكفير منها عن هذا الشين ، كما أنه رمز لآمال الحياة في مستقبلها الموموق ، تشير به إلى ما يختلج في صدرها من الشوق للكمال :

أغلى جمالك في النواظر أنه ... عوض لشين في النفوس كثير
وأناله منا القداسة أنه ... في الأرض رمز كمالها المحظور

وفي الجمال غناء عن الدنيا كلها ، وهو نعيم قريب كالنعيم المتخيل في الآخرة كذلك ، فهو نعيم الدنيا حين يقول :

إن نفوني اليوم من دنياهمو ... وأباحوا لي من الزاد المرام
ثم قالوا ما تشأ منها تخذ ... قلت : هذا . وعلى الدنيا السلام
قلت : هذا ، وتطلعت إلى ... هوة الغيب وفي الثغر ابتسام
كيف لا يبسم من قبلته ... تنظم الأوطار طرا في نظام ؟
وإذا قبلته مستضحكا ... في تخوم الكون والكون سدام
فهو سخري بالذي ودعته ... واغتباطي بعقباي حيث قام

وهو نعيم قريب كنعيم الآخرة البعيد حين يقول :

أيها الباحث عن كوثره ... في السموات . لقد شط المزار
إنما الكوثر ثغر باسم ... من حبيب لك مأمون النفار

والوجه الجميل ، هو « الصدق » في هذه الحياة ، الذي ينفي عن النفس الريب والشكوك فيها

لك وجه كأنه طابع الصد ... ق على صفحة الزمان المثوف
إن يوماً يمر بي لا أراه ... هو يوم أعده في الزيوف

وهو كذلك داعية الرجاء في هذه الدنيا ، ومنبع التفاؤل والقبول :

أرى لك أنت فلسفة صراحا ... بلمح العين أقرؤها جميعا
أذم العيش في ألفى كتاب ... وتعرض لي فأمدحه سريعا !

والجمال هو الفضيلة ، أو الفضيلة هي الجمال :

شرعك الحسن . فما لا يحسن ... فهو لا يحلو وإن حل الحرام
ليس في الحق أثام بيّن ... غير مسخ الحسن أو نقص التمام
ما عدا هذين مما يمكن ... فاستبحه وعلى الدنيا السلام

ولهذا يحلل الجمال كل شيء ، ويمنحه الفضيلة والعفة والثناء :

كل الثياب لمن يزينُ ثيابَه عفٌّ حميد !

والجمال حرم مقدس يحترمه الخصوم والأصدقاء ، ويلقون لديه السلاح حيث لا تصنع ذلك المعاهدات و « عصبة الأمم » والشرائع والقوانين :

حرم بميدان الحيا ... ة وملجأ لا ينتسف

والجمال الانساني يرقرق جمال الكون ويصفيه ، ويظهره خلاصة نقية :

لا أرى الدنيا على نور الضحى ... حبذا الدنيا على نور العيون
هي كالراووق للنور فلا ... نور إلا صفوها العذب المصون

وهذا الجمال خلاصة جمال الدنيا ، وخلاصة تجارب الحياة في مثل الكمال . وله في هذا قطعتان بارعتان : الأولى بعنوان « نشوء وارتقاء » ، يتحدث فيها عن جميل كان مولده في الشتاء :

زانك الله بصفو ... وسلام يا شتاء
طال بي فكر الليالي ... أو ما فيك عزاء ؟

***

قال لي : هاك تخذها ... زهرة مني إليك

ذات حسن وحياء ولها فضل لديك
وسمت بالفكر فاقبس (١) فكرة في راحتيك
قلت: حقاً يا شتاء هي حسن وحياء
غير أني وهي صمت ليس لي فيها عزاء

***

قال: يرضيك إذن شا دٍ من الطير مجيد
هو للجنة يدعى وله منها نشيد
يعشق الليل وإن لم يك فيه بوليد
قلت: حقاً يا شتاء هو حسن وغناء
غير أني وهو صوت ليس لي فيه عزاء

***

قال: يرضيك إذن سا رٍ من البرق بشير
يصدع الظلماء، يزجى عارض الغيث، ينير
فيه من قلبك نبض ومن اللمح سمير
قلت: دعني يا شتاء من شعاع في فضاء
أئذا جاد بغيث كان لي فيه عزاء؟

***

قال: والشمس فما ظنك بالشمس ذكاء؟
كلما عدت بها سبـ ح عشاق السماء
قلت: حقاً يا شتاء هي نور ورجاء
غير أني وهي صبح ما عزائي في المساء؟

***

قال لي: أنفدت كنزي كله بين يديك
غير ذخر من بني الانسان أبقيه عليك
فيه من صبح ومن ليل قصارى غايتيك
أتراه؟ قلت: حقاً هو في الدنيا العزاء
هو حب وحياة وربيع يا شتاء!

***

من بني الانسان في ذا ت شتاء ولدا
زينة للعين والا ب وللقلب بدا
طاهر كالزنة البيضا ء صاف كالندى
كنبات الروض مفتـ ـن الحلى جم الحياء
وارف كالظل مُحْيٍ في شذاه كالهواء

***

يا شتائي فيم إخفا ؤك هذا السر عني
أي روض أي برق أي شمس فيك أغني
أنا مستغن به عنـ ـها فماذا عنه يغني؟
قد تعلمتَ وأيقنـ ـت أفانين السخاء
منذ عشرين وخمس من سني الدهر سواء

***

تم عندي كل ما تـ ـعطي إذا تم العطاء
وجميل كل بدء ينتهي خير انتهاء
وجميل زهرك النا مي على هذا النماء
صدق العلم وقال الـ ـحب حقاً يا شتاء
سنة الزهر نشوء في المعاني وارتقاء

هذه قطعة لا أجدني مضطراً لشرح ما فيها من الجدة والطرافة، فوق الدلالة على فكرتها المقصودة، وفوق تناسقها الفني مع طبيعة الشتاء التي لا تمنح ذخرها إلا ذرة ذرة على ضن وبخل. فمن لم يحس هذا كله بمجرد قراءتها، فخسارة ألف خسارة أن نضيع الوقت في أن نخلق له إحساساً وما نحن بقادرين. وأما الثانية فبعنوان «الثوب الأزرق» وهي كزميلتها في الطرافة البارعة:

الأزرق الساحر بالصفاء تجربة في البحر والسماء
جرّبها «مُفصّل» الأشياء لتلبسيه بعد في الأزياء
مجوَّد الاتقان والرواء ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزبد الوضاء زينته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدّين والسيماء ولمعة العينين في استحياء
إن فاتني تقبيله في الماء وفي جمال القبة الزرقاء
فلي من الأزرق ذي البهاء يخطر فيه زينة الأحياء
مُقَبَّلٌ مبتسم الأضواء مردِّد الأنغام فالأصداء
وقبلة منه على رضاء غنى عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماء وعنك يا دنيا بلا استثناء

(١) زهرة «البنسيه» أي الفكرة

وغير هاتين القصيدتين كثير من الحديث عن هذه الفكرة الصحيحة الطريفة مثل :

وكل ما فى الكون من روعة   لما نظير فيك حىّ جديد
بل أنت دنيا غير هذى الدنى   وكل حب فيك كون وليد

ويقول عن القمارىّ :

وللأناسى حسن لا أبوح به   هل تعرف الطير ماحسن الأناسى
غنت لزهر وسلسال ولو رشفت   ثغر الباسم جنت بالأغانى

لذلك فالكون حتى بهذا الجمال الانسانى فخور به :

فلو لم نول القلبَ شطرك لامنا   على الجهل كون بالجمال فخور

ويتضح هذا فى قصيدة « عيد ميلاد »

تهيأ الكون من قديم   ليوم ميلادك السعيد
فعابد الكوكب المظلم   أحيى ببشراك يوم عيد
ومولد « السيد » الرحيم   وافقه المولد الجديد
يوم تهدّى على المديح   وزفه الخلد بالثناء
فالدهر فى عمره الفسيح   عوّده البشر والدعاء

والإله حتى كذلك بهذا الجمال ، فقد تبارت الشفاه فى مزاياها ، وتقدم جبابرة العالمين يُدلون بقوتهم ونادى المبقريون الملهمون بمزاياهم :

وأقبل سرب الظباء الملا   ح رخيم البغام مليح الكحل
فقال وفى قوله لثغة   كأنك ترشف منها العسل
لنا القول فيكم رجال الكلا   م لنا القول فيكم رجال العمل
لسنا شفاها ففاضت سنى   وجرنا على جائر فاعتدل
ومنا تذوقون طعم الحيا   ة وهل طعمها غير طعم القبل
تسمونها قبلة واسمها   رحيق الخلود وريا الأمل

فماذا تظنه كان رأى الاله الذى جلس ليحكم فى المباراة ؟

فأطرق يرهو لحظة   ونادى بأقربهم فامتثل
وقبّل مبسمه قبلة   تضرم منها مكان الخجل
وقال : أجل ! تلك أغلى الشفا   ه فأصغوا جميعاً وقالوا : أجل !

ومتى برز هذا الجمال الانسانى ، فقد بطل كل جمال ، حتى نظم الشعر الذى يستمز به العقاد ، فهو يخاطب « جيرة البحر » بعد أن سماهن « المعانى الحية » وبعد أن قال لهن : إن الاله والبحر والشمس وهبوا لهن هبات وافرة :

ورأيت رفرفة النسيـــم على الجسوم الطائرة
فالآن ماذا تنظرون   من النفوس الشاعرة
لم يبق فى كنز الخيال   بقية من نادرة
برزت معانى الشعر في   ثوب الحياة الظاهرة
أنتم معانيه فما   تغنى النفوس الحائرة
أنتم عرائسه وها   تيك المسارح عامرة
هيهات ما لممثل   أو شاعر من خاطرة
ماالترجمان وتلك أسـرار التراجم سافرة
فإذا بخلنا بالقصيـد فعاذر أو عاذره

ومتى كان ذلك شأن الجمال الإنسانى البارع ، فهو يخاطب جيلا :

يغنيك حسن أنت لابس تاجه   عن دولة السفاح والاسكندر

وما على الفنان إذن إلا أن يسمع نصيحته الشاعرة :

قسم حياتك بين حسن بارع   يذكي الحياة وحكمة تنميها
مافى سوى الحظين من أمنية   للمرء ينشدها ويستبقيها

وإنه ليعيش هكذا ؛ وقد فهم الجمال ، وعرف صنوفه ، ولاحظه فى كل جيل ، وانتهى فيه إلى رأى ، وعلم غاية الحياة منه وقصد الطبيعة فيه ، على هدى وبصيرة

* * *

هذه أبيات متفرقة أو قصائد كاملة عرضناها عرضاً سريعاً وهى ليست كل شىء فى ديوان العقاد عن مجرد « تعريف الجمال » عنده ، وهى وحدها ذخيرة نفسية وغزلية ، لو قالها شاعر وسكت ، لكان شاعراً كبيراً ممتازاً ، وهى مع ذلك نصف « المقدمة » للكلام عن « غزل العقاد » !

وما من شك أن الإحساس بالجمال هكذا ، عمل متعب عسير ، غير ميسور لكل الطبائع ، وهو فى حاجة إلى طبيعة عميقة ، ونفس فسيحة ، وشعور واغل فى قلب الحياة ، يسمع نبضاته ، ويحس آماله ، ويستشعر أشواقه ، ويشاركه خفقه وهو ينبض بالجمال

وقد استغرق هذا حديث اليوم كله ، فأما رأى العقاد فى « الحب » فسأتناوله فى حديث آخر ، وحينئذ نخلص إلى « غزل العقاد » فى هينة واطمئنان

(حلوان)   سيد قطب

حول أدب الرافعي

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

— ٥ —

لقد أخذنا على كاتب مقالات «بين العقاد والرافعي» أنواعاً من الأغلاط ذكرنا لكل منها أمثلة عدة دون استقصاء. فهناك أغلاط اضطراب في التفكير كالتي ذكرنا في كلمتنا الثانية؛ وهناك أغلاط جور ومحاباة كالتي عددنا في كلمتنا الثالثة؛ ثم هناك أغلاط ضعف في الفهم أخطأ بها الكاتب لب الموضوع كالتي فصلنا في الكلمة الرابعة. وكلها تدل دلالة واضحة على أن كاتب تلك المقالات لم يكن فيها يفكر بعقله وإنما كان يفكر بهواه

إلا أن أغلاط التفكير بالهوى ليست كلها في الدلالة أو في التبعة سواء. فان ذا الهوى المتعصب لمذهب أو لكاتب قد يتأثر عقله بعصبيته وهواه من حيث لا يدري، فيقع في الخطأ من حيث لا يقصد، وتكون آثار الهوى والعصبية ظاهرة في كتاباته وأحكامه لكل إنسان سواه هو ومن لف لفه. مثل هذا لا يزيد الهوى والعصبية على أن يفسد عليه تفكيره فتصبح أفكاره وآراؤه وأحكامه غير ذات قيمة، ولكن من غير أن يحمل في ذلك تبعة خلقية تذكر

أما إذا تأثر ذو العصبية والهوى بعصبيته وهواه إلى الحد الذي يشعر بأثرهما في رأيه وحكمه ثم لا يقاومهما مقاومة مجدية ولكن يتابعهما ويطاوعهما فيما يوحيان إليه من إخفاء ما لا يوافقهما من الحق، وتحريف ما يخالفهما من الواقع، فانه عندئذ يكون قد جمع على نفسه ضعفين: ضعف العقل وضعف الخلق؛ وتحمل في سبيل هواه تبعتين: تبعة الخطأ وتبعة سوء النية فيه.

وقد كان فيما نبهنا إليه بالفعل من أغلاط ذلك الكاتب غلطتان لا يمكن حملهما على مجرد الخطأ العقلي. وقع في أولاهما حين أراد أن يعتذر عن تغيير رأي كان ارتآه، فيه بعض مدح للرافعي، ووقع في أخراهما حين أراد أن يعتذر عن سوء فهم لبعض ما قال الرافعي نبهه إليه الفاضل الفلسطيني على كال. وقد اعتذر في كلا الموقفين بما يخالف الواقع: إعتذر في الموقف الأول بأنه لم يكن حدد نوع الذهن حين قال إن الرافعي أديب الذهن، والواقع أنه كان حدده تحديداً واضحاً، وحدده بنفي بعض الأقسام التي قسم إليها الذهن عند اعتذاره ذلك. واعتذر في الموقف الثاني باضطراب وقع خطأ في ترتيب الجمل التي عبر بها عن رأيه، والواقع أنه لم يكن في ترتيب جمله تلك أي اضطراب، ولم يكن له عذر في مخالفته الواقع في ذينك الموقفين، لأنه كان يستطيع الاستيثاق مما قال أو كتب بالرجوع إلى ما كان قد خطه قلمه في موضعه من كلامه إن كان ضعف الذاكرة هو الذي جعله ينسى حقيقة ما كان قد كتب ولم يكن قد مضى عليه أكثر من أسبوعين. لكن الذي به ليس هو ضعف الذاكرة ولكن صعوبة أو استحالة يجدها في الاعتراف بحق إذا كان عليه، فاعتذر بما اعتذر به رغم مخالفة الواقع اعتماداً فيما نظن على أن القراء يقل فيهم من يكلف نفسه عناء مضاهاة ما زعم بما وقع منه بالفعل

لكن هاتين السقطتين ليس لهما فوق دلالتهما النفسية أية أهمية ذاتية إذ هما منه وإليه. هو أخطأ وهو يجتهد في ستر خطئه عن الناس ولو بشيء من التوسع في تحديد الصدق. فاذا كان فارق الصدق بهذا فالضرر لاحق به هو لا بغيره. أما إذا كان ضرر ذلك يعود على غيره من قريب أو من بعيد فان وجه المسألة يتغير بقدر ذلك. ويصبح وجه المسألة أشد تغيراً إذا كان الذي يتناوله بالتحريف والتلفيق كلام غيره لا كلامه هو. أما إذا كان الكلام المحرف أو الملفق هو كلام شخص يكرهه قد تصدى هو لنقده وكان التحريف والتلفيق من شأنه أن يؤذي الشخص المنقود كما وقع للرافعي، فإننا عندئذ نصبح أمام مسألة جديدة تتعدى الإنصاف في النقد إلى الأمانة في النقل، وتتجاوز الخطأ في الرأي إلى التدليس المعمد وإلى محاولة النيل من الخصم في النقد الأدبي عن طريق غير شريف

ومقالات «بين العقاد والرافعي» لم تبرأ من هذا العيب. ولعلنا كنا نعفو فلا ننتبه إليه لولا غرور ومكابرة يبدوان فيما يكتب صاحبها، ولولا أن صاحبها جعل من الفروق الأساسية بين مدرستي «الرافعي والعقاد» امتياز الثانية على الأولى بما سماه

« الصدق الجيل » من ناحية ، وتصحيح الأمزجة والنفوس بالأدب وللأدب من ناحية أخرى . فنحن مضطرون إلى تبيين ظاهرة كالتى أشرنا إليها ، لا لأنها من الواقع فحسب ، ولكن وفاء بحق النقد واختباراً لتينك الميزتين أمتحققتان هما فى الكاتب كنموذج للمدرسة التى ينتسب إليها أم غير متحققتين

والزلات التى سقط بها الكاتب وجانب فيها الصدق يصح تقسيمها إلى قسمين : قسم يتعلق بتحريف ما كتب إخوان الرافعى عن الرافعى ، وقسم يتعلق بما كتب الرافعى عن نفسه ، وهو أهم الاثنين

ونحن إذ نتعرض لتحريف الكاتب بعض ما قال الأستاذان سعيد العريان ومحمود شاكر لا نريد بذلك أن ننصفهما ، فهما قادران على الانتصاف حين يريدان ، ولكن نريد أن ننصف الرافعى الذى استمان الكاتب على الاساءة إليه بتحريفه قول صديقيه ، متخذاً من قولهما المحرف شاهداً عليه

وأول ما باقى الناقد من هذا النوع من سقطات ذلك الكاتب تزيده فيما قال العريان في موضعين على الأقل فى مقاله الأول : أولهما يتعلق برغبة الرافعى عن شراء « وحى الأربعين » وهى نقطة تافهة لولا أن صاحبنا المحلل النفسى مولع باستخراج الخطير من التافه . وثانيهما يتعلق بالبواعث التى دعت الرافعى لنقد « وحى الأربعين »

وقد قدم الكاتب بين يدى ما اقترف قوله : « إنما يعنينى اليوم ما كتبه الأستاذ سعيد العريان ! ففيما كتبه وهو أخص أصدقاء الرافعى مصداق لكثير مما تخيلته فيه » . ثم انتقل إلى تفصيل ما أجمل فى هذه العبارة فقال :

« فى إباء الرافعى أن يشترى كتاب وحى الأربعين مع حاجته لنقده ما يشير إلى ضيق الأفق النفسى الذى كان يعيش فيه ، وتصوير للون من الحقد الصغير قلما يعيش فى « نفس » رحبة الجوانب الخ »

فأنت ترى كيف أجدت مطالعاته في مباحث علم النفس الحديثة هذه القدرة على استنتاج الخطير من التافه . وسنسلم له أن كل ما استنتج من ضيق الأفق النفسي والحقد الصغير أو الكبير ينتج من إباء الرافعى شراء كتاب وحى الأربعين مع حاجته لنقده . سنسلم له تلك النتيجة من هذه القدمة ! لكن بقى أن نثبت المقدمة حتى تصح النتيجة وإلا كان هذا الرجل يفتري على الناس مرتين : يفترى الشتم ويفترى الأسباب إليه .

وقد اعتمد كما تري فى ثبوت هذه المقدمة على ما كتب أخص أصدقاء الرافعي ، سعيد العريان . فاذا صح هذا فله بعد ذلك أن يستنتج منها ما شاء طبق وحى قراءته الحديثة فى علم النفس .

وواضح أن مدار الاستشهاد فى تلك المقدمة ليس هو إباء الرافعى أن يشترى كتاب المقاد — فما نحسب المقاد ولا قطباً يشتريان شيئاً من كتب الرافعى — ولكن موضع الاستشهاد هو إباء الرافعى شراء الكتاب « مع حاجته لنقده » . فعبارة « مع حاجته لنقده » هى مدار الاستشهاد فى الواقع . وعمدة قطب فى إثبات هذه الحاجة عند الرافعى هو سعيد العريان

لكن سعيد العريان لم يقل شيئاً من هذا بل أخبر بعكس هذا ، أخبر فى مقاله الخامس والعشرين (رسالة ٢٤٠) أنه هو حرض الرافعى على نقده « وحى الأربعين » انتصافاً لخلوف ولمدار العلوم ، وأن الرافعى أبى أولا ثم أجاب على شرط ألا يكون هو مشترى الكتاب « لأن عليه قسما من قبل ألا يدفع قرشاً من جيبه فى كتاب من كتب المقاد ... ! »

ولسنا ندرى متى أقسم الرافعى ذلك القسم ، وليس هذا يهم الآن ، إنما المهم أولا أن الرافعى لم ير حتى فى رغبته فى إرضاء صديق ما يبرر نكثه بذلك القسم ، وهذا إن دل على شىء فهو يدل على أن الرافعى أقسم حين أقسم عن عقيدة ، واستمسك بذلك القسم حين استمسك عن عقيدة ، وهذا ضد ما ذهب إليه قطب فى أن الرافعى كان يصدر فى أدبه عن غير عقيدة . ثم المهم ثانياً أن الحاجة إلى نقد « وحى الأربعين » لم تكن بالرافعي ، ولكن بسعيد العريان . العريان حرض الرافعى على النقد كما ذكرنا ولرغبته فى رؤية الأديبين الكبيرين يتصاولان . لكن المسألة على هذا الوضع المتفق مع ما أخبر به صديق الرافعي ، ليس فيها شىء يشهد لقطب فى شىء مما يريد . فماذا يفعل سيد قطب وهو يريد أن يستشهد لنفسه بصديق الرافعى على الرافعى ؟ ينقل حاجة العريان إلى نقد « وحى الأربعين » فينسبها إلى الرافعى ، ويترك الخبر بعد تحريفه منسوباً إلى العريان كما كان ، فيكون العريان بذلك هو الذى شهد على الرافعي ، ويتم لقطب ما يريده من الاستشهاد.

ولا بأس فى ذلك على ما يظهر عند المدرسة الجديدة التى يمثلها سيد قطب ، والتى يميزها عن المدرسة القديمة مذهب « الصدق الجميل »

أما الموضع الثانى الذى تزيد فيه قطب ليستشهد بالعريان على الرافعي فقوله من نفس المقال :

«وفي البواعث التى تدعوه لنقد «وحى الأربعين» كما صورها صديقه ما يصور نظرة الرجل إلى النقد والأدب والغاية منهما ومدى نظرته العامة للحياة واتساع مداها فى نفسه ، وهو لا يبعد كثيراً عن المدى الذى تصورته له » وليس فى هـذه العبارة شىء حتى تأتى إلى آخرها فتنقلب دلالتها عندك ويصبح الرافعى المسكين بين صديقه وعدوه قد اجتمعا في الجملة على تجريحه وذمه وكأنما لا يكلف نفسه بها شيئاً ، فهو يلقيها دعوى عريضة ثم يتحقق بعـد ذلك من صحتها من شاء أو لينقضها من شاء ! أما هو فلا يكلف نفسه من إثباتها شيئاً، ويكفيه أن ينتفع فيها بالإيحاء النفسى معتمداً على تصديق القارىء إياه فيما باقى فى روعه عن تصوير صديق الرافعى لبواعث الرافعى على نقد وحى الأربعين . وأكثر القراء حتى من أنصار الرافعى لا يجشمون أنفسهم اختبار صدق دعوى سيد قطب هذه بعرضها على ما قال العريان فى موضعه من فصوله في تاريخ الرافعى ، فيمر أكثرهم وقد وقر فى نفوسهم شىء من هـذا الاتفاق ولو فى الجملة بين صديق الرافعى وعدوه على تجريح الرافعى

إنك تقرأ تاريخ نقد الرافعى وحى الأربعين فيما قصه العريان فى فصليه الخامس والعشرين والسادس والعشرين فلا ترى أساساً لهذا الذي يدعيه قطب ، بل ترى شيئاً ينقض فى صميمه دعواه هذه وينقض غيرها مما ادعاه . يعرض الرافعى على العريان ومخلوف أن يختارا أجود ماقى الديوان لينظر فيه ثلاثتهم فما اتفقوا عليه فيه جعلوه حكمهم على الديوان كله . وليس وراء هذا فى إنصاف خصم لخصمه فى الأدب مذهب . فلما استبطأهما فيما انتدبهما له قال « أحسبكما لم تجدا ما تطلبان ولن تجدا ... إذن فلنقرأ الديوان معاً من فاتحته فـا أحسب الشاعر يختار فاتحة الديوان إلا من أجود شعره ... ! » وآخر قوله هـذا مظهر آخر لنفس الرغبة فى إنصاف العقاد وإن كان أولها يدل على عقيدته فى أدبه ويستشهد لها ضمناً بإبطاء أديبين فى اتفاقهما على جيد فى الديوان ينتقيانه ، كأن الجيد الذى يتفق على جودته قليل فى ذلك الديوان.

سيقال طبعاً إن هذا ليس بحكم يعتد به على الديوان ، فلو كان الأديبان الناظران فيه من المدرسة الجديدة لأسرع إليهما الاتفاق على جيد كثير . حسن . ولسنا نريد بما قلنا حكماً على الديوان ولـكن نريد حكماً على الروح التى نظر بها الرافعى وأخواه فيه ، وهى روح إنصاف ورغبـة فى إنصاف من غير شك على نقيض الروح الذى نظر وينظر به سيد قطب ممثل المدرسة الحديثة فى أدب عميد المدرسة التى يلقبها بالقديمة ولا يعجبه من أدبها ولا من روحها شىء

نظر الرافعى وأخواه فى ديوان العقاد ساعات طوهوبعدها، وأشار الرافعى على مخلوف فكتب ، وهاج به العقاد ساخراً منه ومن دار العلوم، ولام مخلوفاً إخوانه على تهييج العقادبدارالعلوم، وألقى العريان تبعة ذلك اللوم على الرافعى يريد تحريكه لنقدالديوان؛ وتحرك الرافعى للنقد بعد تردد، ولـكنه بعد إذ عزم مضى لا يبالى بما كان للعقاد يومئذ من سلطان مكنه له الأدب السياسى لدى القراء ، ولا يعتبر إلا مذهبه فى الأدب وطريقته ، وسواء عنده أكان رأيه هو رأى الجماعة أم لا يكون ما دام ماضياً على طريقته ونهجه كما يصف العريان

أى شيء فى هذا يا ترى مما يمكن أن يؤخذ على الرافعى من قريب أو من بعيد ؟ لا شىء ! لا شىء يمكن أن يراه الناقد إلا ناقداً ينظر فى أعمال الرافعى بمجهر البغضاء ثم لا يرى إلا ما يصوره الخيال . إنها حكاية واقعية غير عادية تصور الرافعى أستاذاً فى مدرسته باقى على تلميذين وزميلين له درساً عملياً فى النقد وفى ما ينبغى للناقد من نزاهة فى الحـكم ، وتحرز من الهوى عنـد الخصومة ، وشجاعة فى المنازلة إذا لم يكن من المنازلة بد، وتضحية فى سبيل الغاية ، واستمساك بما يعرف أنه الحق . أما ما ارتآه العريان من تحفز كان بالرافعى لعراك العقاد فالعبرة فيه بأن ذلك لم يسرع بالرافعى إلى تحيف العقاد وظلمه فى ديوانه أو هضمه . وفى رأينا أن هذا مظهر لفارق أساسى آخر بين المدرستين : مدرسة الأدب الأخلاق، ومدرسة الأدب غير الأخلاق اللتين تتنازعان توجيه الأدب الآن ، وهو فارق نعرف أثره فى كتابة

المنتسبين إلى كل من المدرستين ، نعرفه فى نزوع شاكر والعريان إلى الانصاف حتى من أنفسهما وصاحبهما ، وقد يغلوان فى ذلك أحياناً كما يشتد المدرس على ابنه التلميذ فى فصله مبالغة فى العدل بين طلبته ، وتعرفه فى نزوع سيد قطب إلى التزيد والتحريف والاسراف

أما شاكر فانه أيضاً لم يسلم مما أصاب العريان من تحريف لقوله فى الرافعي . وقد مثل معه سيد قطب حكاية عمرو مع أبى موسى من جديد . لكن يكفينا الآن ما كتبنا فى تبيين القسم الأول من مغالطات قطب وتحريفاتها لننتقل إلى تحريفه أقوال الرافعى وهو أهم القسمين

إن آخر مثال ضربناه فى المقال الماضي لسوء فهم قطب هو فى الواقع أول مثال لتحريفه كلام الرافعى ليستقيم له وجه الاستهزاء به والزراية عليه . فقد ضرب الرافعى بنهر الكوثر يجرى بين شاطئين من ذهب على أرض من الدر والياقوت مثالا للشعر الخالد المطرد بقوله الحب فى حبيبته ، فجاء قطب وقال إن الرافعى لا يتشكك فى أن نهراً يجرى بين شاطئين من ذهب على الدر والياقوت « أجل » من نهر يجرى بين شاطئين من العشب الأخضر على أرض من الرمل والطين . ومهما تكن نتيجة المفاضلة بين النهرين عند المدرسة الجديدة من ناحية الجمال ، فان نتيجة المفاضلة بينهما من ناحية الخلود والاطراد ليست موضع شك عند أحد . ولو أخذ قطب الكلام على ظاهره لم يكن فيه مغمز يغمز الرافعى به ، فلم يجد بأساً فى أن يضع الجمال بدلا من الخلود والاطراد فى كلام الرافعى ليصل إلى ما يريد . ولو غير مدرس للغة العربية فعل هذا لالتمسنا له العذر عن طريق جهله بمعانى الكلمات على وضوحها وبساطتها فى هذه الحالة ، لكن سيد قطب إخصائى فى اللغة العربية وأديب وشاعر فلا يمكن أن يلتمس له العذر من هذه الناحية ، ولم يبق إلا أن يكون تعمد التحريف فى كلام الرافعى ليصل إلى ما يريد . فاذا ما أصر على ما فعل ، وعدها على الرافعى غلطة بغلطات تكبر « الأسد الذى يخترق شوارع القاهرة » فى مثل زائر القاهرة الذى ضربه ليخلص إلى أن الرافعى « لم يحس الاحساس بجمال « الطبيعة بل... لم يوهب الطبيعة التى تحس هذا الجمال » — إذا أصرّ قطب على زلته إمعاناً فى تشويه الرافعى عند القراء كما فعل فى مقاله الحادى عشر زاد ذلك فى شناعتها وسقط بها فى هاوية مالها من قرار

وإلى مثل هذا عمد قطب حين أراد أن يتكلم عن حب الرافعى ليثبت أنه لا يعرف ما الحب وأن ليس له قلب يقول الرافعى :

« نصيحتى لكل من أبغض من أحب ألا يحتفل بأن صاحبته « غاظته » وأن يكبر نفسه عن أن يغيظ امرأة . إنه متى أرخى هذه الطرفين سقطت هى بعيداً عن قلبه ، فإنها معلقة إلى قلبه فى هذين الخيطين من نفسه » . وهى قطعة مقتبسة من كتاب « رسائل الأحزان » وهو تاريخ حب للرافعى انقلب إلى بغض كما بين ذلك سعيد العريان فى فصوله لمن لم يكن قرأ ذلك الكتاب، فالقطعة تدور كلها وتتوقف استقامة معناها على كلمة « أبغض » الواردة فى أولها . لكن سيد قطب لما لم يجد فيها كما هي موضعاً لتهكمه ولا دليلاً على مزاعمه عمد إليها فحرف معناها بأن أسقط منها ما يؤدى معنى البغض وراح يصيح : « أرأيت ؟ — إن الحبيبة (بعد انقطاع الحب)[1] لا تتعلق بنفس من كان يحبها إلا بخيطين اثنين : غيظها له وغيظه لها ! ولا شىء وراء ذلك ! » ثم طفق يعلق على ذلك ماشاء له الحنق والبغض، وانتهى به الأمر فى مقاله الحادى عشر إلى أن يقرر فى غرور وتوكيد وإصرار : « فحين يقول الرافعى إن الحبيبة لاتتعلق بقلب حبيبها (بعد انتهاء الحب)[1] إلا بخيطين اثنين هما غيظها له وغيظه لها ... يدل على أنه لم يحس الحب يوماً ما ولم يحسن ملاحظته فى غيره ، بل لم يكن ذا طبيعة قابلة للحب ، ولا مستعدة لتلقى دفعاته وانفساحه ولو كتب بعد ذلك عن الحب ألف كتاب » . وتستطيع أن تتبين مبلغ إسرافه بهذا الكلام على الرافعى إذا وضعت فيه بدلا من « بعد انتهاء الحب » كلمات تؤدى معنى الرافعى مثل « بعد انقلاب الحب إلى بغض » . هنالك يتضح مبلغ جناية هذا الرجل على الرافعى وعلى الحقيقة وعلى النقد بذلك التغيير الطفيف الذى أدخله على كلام الرافعى جرياً فيما يظهر على قاعدة « الصدق الجميل » الذى يفرق عند هذا الناقد الجديد بين مدرسة الرافعى ومدرسة العقاد ...

بقى مثال واحد ثم نغلق هذا الباب . انتقد الرافعى بيت العقاد :

فيك منى ومن الناس ومن   كل موجود وموعود تؤام

---

(١) الأقواس من عندنا

بما انتقده به وأخذه على العقاد، وإن فى لفظ شديد، أنه لم يحترس مما يدخل فى عموم « كل موجود » مما لا يليق أن يكون فى حبيبة محب ذى ذوق . وأراد قطب أن يسخف نقد الرافعى فزعم أن الرافعى قال إن « كل موجود هو البق والقمل والنمل ... الخ » ولو نسب إليه أنه قال : « إن من كل موجود كذا وكذا ... الخ » لكان كلاماً ظاهر الصدق ليس فيه موضع للتسخيف الذى يريده صاحبنا والذى لا يتأتى إلا إذا سقطت « من » الدالة على البعضية . فلم ير صاحبنا مانعاً من إسقاطها ! وهل هى إلا حرف ذو حرفين يتحقق باسقاطه شىء من تصحيح الأمزجة والنفوس؟

وقد رد أخونا محمود شاكر هذه الغلطة من سيد قطب إلى أنه لم يفهم الفرق بين « من » فى كلام الرافعى و « من » فى كلام العقاد . ووددنا لو أن الأمر كان كذلك فان عدم فهم الحرف أخف من تعمد إسقاطه ، لكن سيد قطب خريج دار العلوم وإخصائى فى اللغة العربية يعلم منها تلاميذه كل يوم مثل هذا الذى يعتذر عنه محمود شاكر بأنه يجهله . فلم يبق إلا الاحتمال الآخر على ما فيه

تلك ثلاثة أمثلة حرف فيها صاحبنا كلام الرافعى تحريف الحاذق الماهر : تحريفاً طفيفاً من حيث اللفظ عميقاً من حيث المعنى ، ورتب على ذلك من النتائج الخطيرة ما لا ينتج من كلام الرافعى ، فهو قد تجنى على الرافعى مرتين : مرة بذمه ذماً بالغاً باطلا ، ومرة بتحريف كلامه لتبرير ذلك الذم . فصدّق بذلك وبأغلاطه الأخرى ما نبهنا إليه من قبل من انزلاق مخاصم الحق وتورطه فى أغلاط ومهاو ما كان لولا معاداته الحق ليتردى فيها وينتقم بذلك من نفسه للحق أبلغ انتقام

محمد أحمد الغمراوى

الفروسية العربية

للميجر كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

(تتمة)

وقد روى لى سمو الأمير عبد الله الحادث التالى : عندما كان الملك الراحل الحسين شريفا على مكة : كانت السلطة على البدو بيده برغم حكم الأتراك ؛ وفى يوم من الأيام بينما كان الشريف مع ولده الشريف عبد الله سائرين وقافلة في الصحراء أراد الشريف أن يسبق القافلة ليختار محلا لاقامة الخيام — فذهب مع ولده حتى وجدا محلا مناسبا تحت شجيرات، وكانت بجانبهم إبل ترعى بحماية ولد وأخته الصغيرة ، وكعادة العرب ساءل الشريف الولد إلى أى قبيلة ينتمون، فأجاب الصبي من البقوم، فقال له الشريف «ألا تخاف أن ترعى على حدود بني عتيبة الذين قد يأخذون إبلكم » وكان الصبى منبطحا على ظهره يلوح بقدميه فى الفضاء فأجاب « أيها الشيخ المجنون البارد، أنت لا تفهم » فأجاب الشريف: قد أكون مجنونا ولكنى لم أعرف السبب بعد . فأجاب الولد قائلا « ألا تعلم أنه ما دام الحسين على السرج فنحن لا نخاف الغارات » وعند هذا الحد أقبلت القافلة فعرف الولد أن الذى كان يكلمه هو الشريف حسين ، فخاف كثيراً ولكن الملك الراحل طمأنه وسر من هذه الشهادة غير المقصودة . وبقى كل سنة يطلب الولد وأخته إلى مكة ويعيدهما إلى أهلهما مع النقود والملابس .

لقد قلت إن إحدى صفات البدوى القيام باعمال غريبة لأثارة الأعجاب ـ ومن ذلك عادة الجاهلية . يحدث أن يعتدى على شرف بدوى أو غير ذلك من الأمور التى تستلزم الترضية، يرفض البدوى الترضية التى يقدمها المعتدى ويصر على الأخذ بالثأر ـ وعندها يجتمع شيوخ القبيلة فى شبه وفد يذهب إلى بيت المعتدى عليه، وبطبيعة الحال يقدم لهم طعاماً يرفضون تناوله قبل أن يعد باجابة سؤلهم فيعد بذلك

وبعد انتهاء الطعام يشرحون فوائد الصلح إلى آخر ذلك فيتنازل البدوى عن حقه كاملا . فاتهام العرب بالطمع والجشع أمر تنقضه الحقائق، والقصص التى رويتها لكم قمينة باعطائكم فكرة صحيحة عن العرب والبدوى من هذه الناحية . إن إلحاح البدوى فى طلب حقه غريب، ولكنك إذا ما التجأت إلى كرمه كقولك إعفنى يا أخا فلانة — فانه يتنازل عن دَينه . ولعلنا لم ننس قصة هيرودس[1] مع ابنة شالوم التى طلبت أمنية أجابها إليها قبل أن يعرف ما هى تلك الأمنية ، وقد كانت رأس يوحنا المعمدان وقد كان هيرودس فى شرق الأردن

الخلاصة

ولكى نجمع ما سبق نقول بأن الفروسية هى نظام حياة البدوي اليوى وأهم مميزاته :

١ — تمجيد الحرب المبنى على أساس طلب العلى والقيام بأعمال البطولة لا بكسب المعركة والحرب

٢ — احترام يشوبه الغزل للمرأة المفروض فيها الأنوثة الكاملة والتتمة للرجل مع عدم مساواتها له . والنظر إليها كتسلية للرجل والحكم على أعماله

٣ — الكرم ومساعدة الضعيف لأن هذه الصفات فرصة للقيام بأعمال غريبة تثير الاعجاب وتقرب من الخيال

٤ — وكنتيجة لهذه الصفات نشأت عادة التنافس بين الفرسان حتى أدى ذلك إلى نزاع داخلي في القبيلة

٥ — عدم الاهتمام بالمجتمع لتطلبهم المجد الشخصى

٦ — الفقر الدائم مع احتقار حياة العمل الشاق والبخل

وبعكس هذا نجد أن الصفات المميزة للحضر هي :

١ — كره الحرب والدفاع بشدة إذا ما هوجم . همه الأول ربح المعركة دون الاهتمام بالطريقة ، شريفة كانت أو غير شريفة

٢ — تطبيق النظرية القائلة بعمل الكل لأجل المجتمع

٣ — عدم الاهتمام بالمرأة وتكليفها بالأعمال الشاقة والنظر إليها كمصنع للأولاد ووسيلة للربح . وقد ترتفع منزلتها عند الحضر فتصبح مساوية للرجل ولكن ليست التتمة له

٤ — نظرة الاعجاب إلى العمل الشاق المتواصل والعطش الشديد إلى جمع الثروة . ولهذا أرى أن نبعد عن أذهاننا نحن الأوربيين المعنى الخيالى المترامى الذى يصوره لنا خيالنا عن كلمة الفروسية ، لأن الفروسية هي النظام الخاص لحياة البداوة الذى يميزها عن حياة الحضر

نظرية

إن كل بحث عن الشعوب القديمة يكون ناقصاً مملاً مدرسيا ما لم نحاول أن نربطه بحياتنا اليومية الحاضرة . لا مراء فى أن الحضارة الرومانية هى أولى الحضارات التى غزت أوربا وقد كانت حضارة زراعية ، وتتكون نظريتهم عن الحرب فى أن الفرد يجب أن يفنى فى سبيل المجموع وأن الحرب خدعة . وفى القرن السابع ظهر الفتح الاسلامي حاملا معه روح الفروسية — روح الشرق — الروح التى تثير الاعجاب وتهييج النفوس. فغزت هذه الروح جميع البلدان التى اتصل العرب بها ، وانتشرت بين سكانها . ولكن إذا نظرنا إلى الفاشستية اليوم نرى أنها احتفظت بالروح الرومانية القديمة بل تطرفت بها وهذه الروح تتنافى مع الروح العربية — روح الفروسية

غزا العرب اسبانيا وفرنسا حتى تور فانتشرت بالبلدين روح الفروسية ، ومن فرنسا تسربت هذه الروح إلى انكلترا ولكنها لم تتعداها — وقد يكون هذا هو السبب فى مقاومتنا لروح الدولة الكلية المتطرفة والتى هى عماد الدولة فى كل من روسيا وإيطاليا وألمانيا وهى البلدان التى لم تتصل بها ولم تنتشر فيها روح الفروسية. فان صح هذا ألا يكون مبدأ الحرية الفردية الذى نتمسك به وندافع عنه هو تراثنا من العرب ؟ بالرغم عن التطورات الحديثة واتباعنا نظرية أن الحرب خدعة — فاننا ما زلنا نحافظ على روح الفروسية فيما نسميه اليوم « الألعاب الرياضية »

إننا نخطىء خطأً فاحشاً إذا ما ظننا أن العرب كلهم بدو ، فأكثر العرب اليوم مقبلون إقبالا عظيما على درس الحضارة

(١) إن هيرودس كان عربياً وليس يهودياً — بل كانت أمه يهودية « المعرب »

والمدنية الأوربية برغم نظام الفردية بينهم — وقد لا تمضى فترة قصيرة حتى نراهم يسيرون والأوربيين جنباً إلى جنب فى ميدان الحضارة. إن تجاربى السياسية قليلة، ولكنى قمت ببعض المهام الصغيرة مع الحكومة السعودية . ولقد كنت أظن أن التفاهم معهم صعب عسير ولكنى سرعان ما غيرت هذا الظن إذ وجدت أننى أنا نفسى صرت أحسدهم . إذا صارحتهم — صارحوك . جرب دائماً أن تكون معاملاتك مع العرب مبنية على الشرف والأمانة . ويجب ألا يعزب عن بالنا أننا ورثنا عنهم النظرية التى تهمنا نحن الانكليز بنوع خاص وهى « إن لعب اللعبة أحسن من ربحها »

أسئلة بعد المحاضرة

سير رونالد ستروس — هل يتغنى البدو بالشعر الرمزى ؟ وهل هناك قصائد جديدة ؟

المحاضر — البدو يجهلون الشعر الرمزى ولكن القصائد تتلى فى كل خيمة ؟

سير برسى كوكس — ما الذى يمكن الانسان عمله إذا أراد بدوى معدم أن يذبح شاة لإطعام ضيف؟

المحاضر — من الصعب معرفة ما يمكن عمله ، ولكنى أرى أنه يكون مضطراً إلى محاولة إقناعه بأن يتحول إلى فلاح (ضحك)

مستر ى رانكن — هل تجدون صعوبة فى حفظ النظام مع الجنود الأغرار من البدو

المحاضر — ليت الوقت يسمح لى ببحث هذا السؤال . ولكنى أقول إننا نجد صعوبات جمة فى بادئ الأمر

والنظام مع البدوى يختلف طبعاً عما هو عليه مع الفلاح . لأن البدوى ديمقراطى بطبعه، فالضابط والجنود يأكلون من صحن واحد ويشربون القهوة معاً . والبدوى يفخر بانتمائه إلى القوة التى توافق هواه . وإرهابه بأخذ سلاحه أو باخراجه من القوة يؤثر فيه أكثر من أى عقاب آخر . ولكن طلبهم المجد الشخصى يولد الحسد فيهم ويسبب بعض المتاعب

لورد ونترتون — أظن، سيداتى وسادتى، أنه لم يبق لى إلا أن أشكر المحاضر بلسان كل فرد منا على محاضرته القيمة النفيسة

وأحب أن أقول إن نظريته حول الارتباط بين العرب والانكليز توافق نظريتى تماماً . إذ أننى أرى أن هنالك مكانين يمكن الانسان أن يعيش بهما سعيداً وهما البادية وهذه البلاد . ولكن للأسف يوجد فرق واحد : أن البدوى إذا هوجم يستطيع التقهقر إلى صحرائه حيث لا مطمع لأحد هناك ، ولكننا إذا هوجمنا فقد يحتل العدو بلادنا . وفى هذا درس علينا أن نحفظه . هذه نظرية قد تشرح قول بعض الأوربيين عنا : إننا مجانين . ولماذا وكيف نصادق كثيراً من الشعوب الآسيوية

المترجم

جميل قبعين

أنشـــــودة

« ليتها تعيها إلى الربيع المقبل ! »

للأستاذ صالح جودت

كان ميعادُكِ فى هذا الربيعْ   ثم أخلفتِ ، فكان الموتُ لى
ضاع عمرى في غرام لن يضيعْ   فاذكريه فى الربيع المقبلِ

***

الربيعُ الآن؟ مالى لا أرى   بعدإخلافكِ ، ما كنتُ أراهْ؟
هاهو الرَّوضُ ، أراه مُقفِرًا   ما به من رَونق ... إلا ثَراهْ !
هاهى الدَّوْحاتُ صفراءالذُّرى   تتلوَّى بين أغصانٍ عُراهْ
هاهو الينبوعُ .. لـكن.. ماجرى؟
خبرينى يا غرامى ، ما اعـتراه ؟
أهُوَ اليومَ كما نعهـدهُ ؟   ربما كان لغيرى ينجلى
أنا مَن قد فاته موعدُهُ   فاذكريه فى الربيع المقبل

***

كانت الزرقةُ ثوباً للسماءْ   كانت الخضرةُ ثوباً للأديمْ
كان في الروض أزاهيرٌ وماءْ   كان فى الدَّوْح رجيعٌ ونسيمْ
كان فى الدنيا غرامٌ ووفاءْ   كان فى قلبكِ لى حُبٌّ مقيمْ
كل هـذا شِمتُهُ قبل المساءْ   كل هـذا ذقتُهُ قبل الجحيمْ
أهُوَ باقٍ مثلما كان لنا   فى لذاذات اللقاء الأول ؟
إن يكن ما مات ، فالميْتُ أنا   فاذكرينى فى الربيع المقبل

إلى «القصر» الغاشم ... !

« نفثة جريحة اهتز بها قلبى حيال قصر الملهمة ! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لَوْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَرْخَتى وشَكاتى
يا «قصرُ» ! ما قيَّدْتَ سِحْرَ حياتى..
حَجَّبْتَها عذْراءَ كادَ غرامُها   يُذْكِى سَعيرَ الحُبِّ فى الغُرُفاتِ
وَلَو انَّها مَلَكَتْ جَناح حمامَةٍ   طارَتْ لعابِدِها من الشُّرُفاتِ!
لَمَحَتْهُ مِن خَلَل السُّتور مُشَرَّداً   حَيْرانَ مُرْتَجِفاً على الطُّرُقاتِ
فى جَفْنِه صَخَبٌ ! وفى أنفاسِهِ   لَهَبٌ اوسِرُّ الموْتِ فى النَّظَراتِ!
وعَلَى الشِّفاهِ قَصِيدَةٌ غَزَلِيَّةٌ   مَخْنُوقَةُ الألحانِ والنَّبَراتِ
صَرَخَتْ تُذيعُ غَرامَهُ ... فَأَذابَها
هَوْلُ الأسَى فى جاحِمِ الزَّفَراتِ
يَبْـكى ويَضْرِبُ فى الفضاءِ مُضَيَّعاً
كالتَّائِهِ المأْخُوذِ فى الفَلَواتِ ...
قَلْبٌ عَلَى عَتَباتِكَ انْتَحَرَتْ به   أَحْلامُهُ يَوْمَ الفِراق العانى
وأتاكَ مُنْتَفِضَ الحنين ، كأنَّهُ   ذِكْرَى مُجَرَّحَةٌ تعودُ «فتاتي»
يا «قَصْرُ» أَبْلِغْهُ الضِّفافَ ... فعِنْدَها
أَمَلى ، وصَفْوُ مزاهِرى ، وَحَياتى !

الدمية الحسـناء !

للأستاذ أحمد فتحى

فيكَ من رَوْعَة الجمال نَصيبٌ   شاهـدٌ أن للدُّمَى إغراء !
وقديماً أَضلَّ قومٌ من الخلـ   ـقِ ، فَضَلُّوا ضلالةً عَمْياءَ !
عبدوا الوَهْمَ والأساطيرَ حتى   قدَّسُوها حجارةً صَمَّاء !
وإذا شاءتِ المقاديرُ تَلْهُو   سَخَّرَتْ للجهالة الفُهَماءَ !
لستُ أنسَى يومَ التقَيْنا وكانت   صفحةُ الرَّوْض، فِتنةً تتراءى
الأزاهيرُ رائحاتٌ غوادٍ   تَتَثنَّى مع الصَّبا كيف شاء
والأمانىُّ باسماتٌ لِعَيْنى   يتضاحَكْنَ غِبطةً وصفاء !
والأغاريدُ هاتفاتٌ على الدَّوْ   حِ نشيداً يُداعبُ الأفياء
ولقـد كنتَ فى الخيلة تمثا   لاً من الحُسنِ رائعاً وَضَّاء
لاح لي من لحاظِ عَيْنَيْكَ سِحْرٌ   بابِلِيٌّ ، يستضعِفُ الأقوياء
ودعانى هواكَ فانطلَقَ القلـ   ـبُ على وجهه يُلَبِّي النداء

فرّ من بين أضلعي ينشدُ الحبْـ ... بَ ، كما ينشدُ الظماءُ رَوَاء
وأتاك المسكينُ حالاً من اللوْ ... عةِ تشكو فصيحةً خرساءَ !
ظنّ في صَمْتِكَ الرِّضى عن غرامٍ ... كان فيه ، غِوايةً شنعاءَ
عادَ لي ضاحكاً ، قريراً يغنّي ... يملأ الأرض شَدْوُهُ والسماء
فتوَهّمتُ أنه رُزِقَ الخيْـ ... ـرَ ، وأضحى يُساجلُ السُّعَداءَ
ثم باركتُهُ غراماً عزيزاً ... ... قد كفاني الهمومَ والبُرَحاء
ماسلا القلبُ عنك إذ جدَّ بينٌ ... صَيَّرَ الصُّبحَ وحشةً ظلماءَ
شَفَّني الوجدُ والنحولُ وكابدْ ... تُ غرامي داءً دويًّا عياءَ
وعفا الصبرُ عن لقائكَ حتى ... علّمَ العينَ أن تذوبَ بُكاءَ
سلك الدمعُ من مآقيَّ سُبْلاً ... كنَّ من مسلكِ الدموعِ خلاءَ
زهدتْ نفسي الصواحبَ طرًّا ... وملّتُ الحياةَ والأحياءَ !
وتمنّيتُ لو لقيتُكَ يوماً ... وافتقدتُ المعاشرَ الخُلصاءَ
عَلِمَ اللهُ كم سَهِدتُ الليالي ... أتشهّى الرُّقادَ والإغفاءَ
يقظاً للخيالِ؛ إن طرقَ الطيْـ ... فُ رآني بقيّةً وذماءَ !
ولقـد طالما تعلّلتُ بالقرْ ... بِ ، فكانت عُلالةً حمقاءَ
كيف أنساكَ يومَ قيلَ مُوافٍ ... يحملُ البُرْءَ قربُهُ والشفاءَ ؟!
قلتُ للنفسِ ها انعمي بعد بؤسى ... جرّعتكِ النوى صباحَ مساءَ
والتقينا أشكو الذي صنعَ الشوْ ... قُ بقلبٍ تنفّسَ الصُّعَداءَ
وترامتْ على يديكَ دُموعي.. ... قطراتٍ كبيرةً حمراءَ !
وتوسّلتُ أن تُنهنِهَ منها ... فإذا أنتَ لا تجيبُ الرجاءَ !
فتهاوتْ مع المدامعِ آما ... لٌ تسامي صروحُها الجوزاءَ !
وتناثرْنَ ، في الأعاصيرِ نقعاً ... حملتْهُ ، قويةً ، هوجاءَ !!
عاتبتْ نفسيَ الحزينةُ قلبي ... في هواكَ الذي أضرَّ وساءَ
هتفتْ ، أيها المعذّبُ بالخفْـ ... قِ ، تجشّمْ هزيمةً نكراءَ
قد حملتَ الغرامَ زيفاً من الوهْـ ... مِ أضاعَ الشبابَ عمراً هباءَ
خدعتكَ المنى اللعوبُ، وكانت ... قصةُ الحبِّ ، كذبةً بيضاءَ
شغفتكَ الحياةُ بالحسنِ ، حبًّا ... فتعشّقتَ دُميةً حسناءَ !!

فرحة

للأديب محمد قطب

أحلى الأماني والمراح مراحُ حُبْ
قد فاض قلبي بالسعادة بعد جدب
وطفرت كالمرح اللعوبِ وأي لِعْب !
عاد الشبابُ إليَّ بعد طويل شيب !
ياحب ليس سواك فكَّ عِقال قلبي
أطلقتني حراً أشارف كل صوب
لا مَنْ يعوق خطاي عن جَرْي ووثب
هي ذي معي ، وأنا أبوح بسر حُبي
ما أجمل الحب السعيد وأنتِ قربي
وجمال همس كالطيور أوانَ أوْب
همس الحياة تحيطني من كل جنب
وتحيطني وتحيط بالإعجاب حِبي
فرحانة هي[1] بالغرام يضيءُ قلبي
إني أحبك ياسعاد وأي حب !
حب تسامى فوق كل هوى محب
حب يرفرف كالحنان المستحَب
حب فريد لن تريه بغير قلبي
إني أتيه على الغرام « بِنوعِ » حبي !
وأنا سعيد أن أحب وأن تحبي
سترين إعجابي بمن أهوى وعجبي
وسترشفين خلاصة من كل ذوب
ذوب الغرام وذوب تفكيري وقلبي
ذوب الحياة ممحضاً من كل شوب
ذوب السعادة خالصاً من كل ريب
أعطيكِ ماقد شئت عذباً أي عذب

(١) أي الحياة



باريس، أحمد حافظ عوض، أبو تمام

الأستاذ الكبير أحمد حافظ عوض بك اليوم فى باريس. وهو يبعث منها برسائل أحمدية: ذات بساط أحمدى ... وقد أخبر فى الأولى التى عنوانها (ما بال باريس اليوم ليست باريس؟) أنه يمم حاضرة الفرنسيس من قبل وهو فى الثلاثين ويجىء إليها اليوم أخا ستين — أخو ستين يا أبا الحفَّاظ، الله أدرى بالحقيقة — وأنه ما رآها وهو شيخ كما آنسها فى الشباب فى شبابه:

لا يبعدنْ عصرُ الشبا ... ب الناعم الغض الرطيب[1]!

كان الشباب حبيبنا ... كيف السبيل إلى الحبيب؟!

ومما سطره: «فاذا جرى يا ترى، أترى باريس تغيرتْ كما تغيرت، أم كبرتْ كما كبرت؟» ثم أفاض الأستاذ فى المقال ثم قال فى آخره: «فباريس ليست باريس لأنك أنت لست أنت» ولو تذكر صاحب (الكوكب) بعد هذا الكلام (حبيباً) لأعطاه هذه الأبيات المبقريات فجاءت فى الختام من آيات التمثيل الباهرات. وها أنذا أرسل بها إليه فى (الرسالة) لينشدها الأستاذ فى كل صبح ومساء، ما أقام فى باريس:

لا أنتَ أنتَ، ولا الديار ديارُ ... خفَّ الهوى، وتولت الأوطار!

كانت مجاورة (الربوع) وأهلها ... زمناً عذاب الورد، فهى بحار!

أيامَ تدمى عينَه تلك الدُّمى ... فيها، وتقمر لُبه الأقمار![1]

إذ لا (صدوف) ولا (كنودُ) اسماهما ... كالمعنيين، ولا (نَوارُ) نوارُ![2]

بيض فهن إذا رُمقن سوافراً ... صور، وهن إذا رَمقن صُوار![3]

فى حيث يُمتهن الحديثُ لذي الصِّبا ... ويحصّن الأسرار والأسرار![4]

وصدر هذا البيت، فحواه أن هناك (اللقاء والحديث) فقط والشطر الثانى ظاهر، وأما ما ذهبت إلى باريس فلست أعرف حالها، فهل يصدق (المعجز) فيها؟ العلم عند الأحمدِين العارفين: أحمد شوقى، أحمد حافظ عوض، أحمد حسن الزيات، العلم عند العارفين ...

(القارئ)

---

(١) أبو قطينة القرشى؛ والبيتان في حماسة البحترى، ولمنصور النمرى:

ما كنت أوفى شبابى كنه غرته ... حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

يحكي أن الرشيد لما سمع هذا البيت بكى وقال: يا نمرى، ما خير دنيا لا يخطر فيها برد الشباب؟!

(١) فى (الأساس): قمرته لبه وقلبه. قال عمر بن أبى ربيعة:

قمرته فؤاده أخت رئم ... ذات دل خريدة معطار

(٢) أى لم تكن فى ذاك الوقت الآنسة صدوف تصدف عنك (أي تعرض، وامرأة صدوف: تصد عن الزينة كما فى الأساس) ولا الآنسة كنود تكندك (أى تقطعك أو كنود كفور بالنعمة، أو كنود كفور للمودة كما فى اللسان) ولا الآنسة نوار تنور (أى تنفر ونارت المرأة من الريبة نورا ونوار بالكسر، وهى نوار، وهن نور كما فى الأساس)

(٣) الصوار الجماعة المعروفة المشهورة بالعيون النجل الجميلة، والصوار النافجة: وعاء المسك قال:

إذا لاح الصوار ذكرت ليلى ... وأذكرها إذا نفخ الصوار

(٤) الأسرار الثانية جمع السر، ورجل سرى يصنع الأشياء سراً. والأسرار الأولى جمع السر وهو معروف. وفى (الأساس): قالت:

لا يمدن إلى سرى يدا ... وإلى ما شاء منى فليمد

أعطيكِ حتى ترتوى حتى تعيّى

أعطيكِ. لست بآخذ أبداً. وحبى!

إلا الجمال فإنه هو وحى قلبى

هاتيه كيف أردت من ذل وعجب

إنى رضيت بما سآخذ دون غصب!

أفأنت راضية وحظك سوف يُربى؟

تكريم الدكتور زكي مبارك

أقام الفنان الأديب الأستاذ مدحت عاصم وكيل محطة الاذاعة المصرية شاياً موسيقياً للترحيب بمقدم الدكتور زكي مبارك من العراق دعا إليه نخبة من رجال الأدب والعلم والتعليم والصحافة وعلى رأسهم الأستاذ الجليل محمد بك العشماوي وكيل وزارة المعارف

وقد انتثر المدعوون في جوانب حديقة الدار يستمعون إلى نغمات الموسيقى ، ثم انتقلوا إلى موائد الشاي فتناولوا الحلوى والرطبات ، ثم وقف الأستاذ مدحت عاصم وألقى كلمة حيا بها الدكتور مبارك وشكر فيها المدعوين على تلبيتهم الدعوة ، وقال إنه ليس بعجيب أن يكرم الفنان أديباً ، فالفن والأدب توأمان لا ينفصلان ، والدكتور زكي مبارك أديب يقوم أسلوبه على قواعد موسيقية ...

وبعد ذلك وقف صاحب العزة الأستاذ محمد العشماوي بك فارتجل كلمة رقيقة داعب فيها المحتفل به . وقال إنه لا يتكلم الآن باسم الوزير ، ولا باسم الوزارة . ولكنه يتكلم معبراً عن رأيه الشخصي . واستطرد فقال :

أعرف الدكتور مبارك رجلاً مشاغباً ! وكنت قرأت له حملات على الأدباء والشعراء ، فأرى فيه معولا يحتاج إليه البلد في هدم القديم على أن ينشىء مكانه جديداً نافعاً

ولما عرضت فكرة إيفاد معلمين إلى العراق قلت إنها فرصة طيبة للتخلص من شغب الدكتور زكي !

لم يكن الدكتور زكي مبارك قبل سفره ، قد عمل شيئاً في وزارة المعارف ، فلما سافر إلى العراق عمل هناك أشياء كثيرة . وخلال زيارتي للعراق تحدثت إلى وزير معارفه عن عيوب الدكتور زكي مبارك فقال الوزير — وهو من رجال الأدب المدودين — إننا راضون بالدكتور على عيبه ! . . .

ثم وقف الدكتور مبارك فألقى كلمة بليغة سننشرها في العدد القادم

وفاة الأستاذ نللينو

نعت أخبار روما أستاذنا الجليل الدكتور نللينو الأستاذ بالجامعة المصرية والعضو في مجمع اللغة العربية، وإمام المستشرقين في تاريخ الآداب العربية وأصول اللغة الحميرية وأسرار الحضارة الاسلامية . اتصلت أسبابه بمصر زهاء ثلاثين سنة منذ اختاره المغفور له الملك فؤاد لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية القديمة يوم كان رئيسها وهو أمير فألقى الأستاذ بها أربعين محاضرة في الأصول المقررة في الأدب والنقد عند العرب فكانت الأساس الوطيد والمنهج السديد لدراسة الأدب العربي في مصر . ثم انقطع ما بينه وبين مصر حينا من الدهر حتى انتدب مرة ثانية للتدريس في الجامعة المصرية الجديدة وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية الملكي فغذى الجامعة والمجمع بأبحاثه القيمة وآرائه السديدة وخبرته الطويلة. وقد بلغ من حبه للغة العرب أن حبب إلى ابنته دراسة الآداب العربية ، فهي اليوم من الفتيات الايطاليات اللاتي يعرفن الشرق العربي معرفة صحيحة ويكتبن عن أدبه كتابة المطلع الفاهم ؛ وقد أعانها على ذلك أنها زارت مصر معه مرارا ، فلا جرم أن فقد الدكتور نللينو خسارة للأدب العربي وللاستشراق لا يسهل العوض منها ، فان الرغبة في دراسة الشرق القديم قد ضعفت في نفوس الأوربيين بعد أن استبانت معالم الشرق واتضحت السبل إلى استعماره

كتاب رسالة المنبر

تفضل صديقنا الأستاذ فليكس فارس فأهدى إلى مشتركي الرسالة مائة نسخة من كتابه رسالة المنبر . ومتى تسلمتها إدارة الرسالة فسترسلها إلى من يطلبها على شرط أن يكون من مشتركي الرسالة وأن يرسل أربعة قروش نفقة الارسال

تنظيم دار العلوم

أصدر صاحب المعالي وزير المعارف قراراً باعتماد اللائحة الجديدة لتنظيم « دار العلوم » على منوال يكفل لها استقلالا شبيهاً بالاستقلال المكفول لكليات الجامعة ، ويجعل الدراسة فيها تجري طبقاً للمبادئ الجامعية من حيث المحاضرات والبحوث

وتقضي هذه اللائحة بانشاء قسم إعدادي مدة الدراسة فيه سنتان . ويلتحق به الطلبة الذين أتموا دراسة السنة الثالثة للمعاهد الدينية الثانوية على أن يكون ذلك بامتحان مسابقة بين المتقدمين مع اختبارهم شخصياً

وسيلحق هؤلاء الطلبة بالقسم الداخلي لتهيئة جو صالح لتكوينهم وسيدرسون إلى جانب العلوم العربية والشرعية طائفة من مواد الثقافة المدنية وهي الرياضة ، وعلم الأحياء والعلوم ، وإحدى

اللغات الأجنبية، والتاريخ، والجغرافيا . فاذا انتهت مدة السنتين انتقلوا إلى «دار العلوم» فيقضون فيها خمس سنوات بدلا من أربع على أن تخصص السنة الخامسة لدراسة علوم التربية وما يتصل بها وقد نظمت هيئة التدريس على مثال هيئة التدريس بالجامعة تماماً

وقضت اللائحة بانشاء مجلس أساتذة له ما لمجالس الجامعة المصرية من اختصاصات

وكذلك أنشئ مجلس أعلى برياسة وكيل وزارة المعارف، وعضوية وكيل الوزارة المساعد، وأقدم مراقبي التعليم العام ، وأحد أساتذة الأدب العربي بالجامعة ، وعضو من أعضاء المجمع الملكي للغة العربية ، وأستاذين من دار العلوم ، واثنين من خارج الوزارة والجامعة من المشتغلين بالأدب العربي، وقد منح هذا المجلس اختصاصات مماثلة لاختصاصات مجلس الجامعة ، وتعرض قراراته على وزير المعارف مباشرة ، وقد أطلق على ناظر الدار اسم « عميد دار العلوم » وأطلق على دبلومها اسم « اجازة دار العلوم » وستتخذ الوزارة الاجراءات لاذاعة نص اللائحة الجديدة وسيعمل بها ابتداء من العام الدراسي الجديد

كتاب حياة الرافعي

جاء في جريدة الأخبار البغدادية هذه الكلمة : جاءنا بتوقيع « أديب » ما يلي :

نظراً إلى أن الكثيرين من المراقبين يرغبون في اقتناء كتاب الرافعي تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان ، ولما كان ثمنه قبل الطبع مائة فلس في مصر فانرجاء إلى الأستاذ صاحب مجلة (الرسالة) الغراء أن يوعز إلى وكيل المجلة ببغداد بقبول الاشتراك في هذا الكتاب بزيادة عشرين فلساً أجرة البريد ، وحبذا لو أجابت الرسالة الغراء هذا الطلب

(الرسالة) : والرسالة تجيب عن رجاء الأديب بأن الاشتراك المخفض في هذا الكتاب يقبل من جميع أقطار العربية ولا يزيد على الاشتراك بمصر إلا أجرة البريد .



معلومات مدنيـــــة

تأليف الأستاذ محمود العابدى

للسيد عبد اللطيف الصالح

مؤلف هذا الكتاب ناظر لإحدى المدارس الحكومية بفلسطين قد اتجه فى دراساته الخاصة نحو التاريخ العام فغدا مؤرخاً معروفاً فى فلسطين يقدم للنشء والمكتبة العربية ثمار بحوثه وغرس ثقافته، والأستاذ العابدي بمؤلفه « معلومات مدنية » أسدى لا للنشء فحسب بل للمعلم أيضاً خدمة جليلة، وقد قسم مؤلفه إلى ثلاثة أقسام، فجعل الأول لتاريخ المجتمع الانسانى وتنظيماته من العصور الحجرية إلى نشوء نظام السوفيت فى روسيا ويدخل فيه تنظيمات اليونان والرومان والعرب والقرون الوسطى والحكومات الأوروبية الحديثة. كل ذلك بتفصيل كاف عن حركة العمال فى العالم

والقسم الثانى منه جعله الأستاذ العابدي للمقابلة بين الحكومات فى انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا وسويسرا والمستعمرات وجمعية الأمم ودوائرها، وألم بهذه المواضع إلماماً مناسباً بحيث يخرج القاريء من هذه الموضوعات ولديه فكرة تاريخية واضحة عن الاصطلاحات السياسية، فقد وفى ذلك. قال المؤلف فى مقدمة الكتاب « وفى كل يوم ترد الصحافة تعابير وكلمات كلجنة الانتدابات الدائمة، ومجلس عصبة الأمم والحماية والانتداب وتقرير المصير والدستور والنقابات والسوفيت والبرلمان وحكومة الاتحاد والسكرتير العام والنائب العام، لا يعرف حقيقتها معرفة متوسطة. ومن النقص على شعب يعد نفسه للتقدم والنهوض أن تجهل أكثريته مثل هذه المعلومات الأساسية، وهذا أول دافع دفعنى لوضع هذا الكتاب » وفى هذا القسم بحث مستفيض عن أهم إدارات الحكومة النافعة للشعب كالتعليم والصحة والبوليس وواجبات الفرد وحقوقه

والقسم الثالث من هذا الكتاب جعله الأستاذ العابدى لحكومة فلسطين فهو ضرورى لكل فلسطيني يريد أن يعرف كيف تدار بلاده، بل إن الاطلاع عليه ضرورة لكل عربى يؤمن بفكرة العروبة ولكل مسلم تهمه شئون الاسلام حتى يقف على حالة هذه البلاد التعسة التى هى الآن فى فورة دموية قد تجاهل صوتها قادة الرأى في الأقطار الاسلامية، واكتفى بعضهم بقوله: « إنا نعطف على عرب فلسطين ونتمنى لهم الخير » كأن مثل هذه الجملة كافية لردع الانجليز عن هذه المذابح التى تغرق فيها بلاد هى مهبط الوحى الأمين ومهد الرسالة الربانية. نعم تناول المؤلف فى هذا القسم حكومة فلسطين بحيث يخرج منه القاريء وعنده فكرة صادقة عن كيفية الادارة فى هذا الشعب الدافع.

ولقد ظهر لي أثر مجلة « الرسالة » الغراء واضحاً فى هذا الكتاب فأستطيع أن أعده من ثمار غرس هذه المجلة العربية التى عم تناولها أبناء العروبة وانتشرت بين أبناء الضاد انتشاراً لا يدانيها فى ذلك مجلة أخرى، ولقد أحسن المؤلف فى اقتباسه عن أساتذة هم أعلام ثقافات وعلوم كالأساتذة أحمد أمين، وحافظ عفيفى باشا وساطع الحصري وأحمد سالم الخالدى وغيرهم، حتى جاء مؤلفه عصارة مركزة لأبحاثهم المتعلقة بموضوع كتابه

والذى يطالع كتاب « معلومات مدنية » يرى أنه يغلب على أسلوب الأستاذ العابدى الدقة فى التعبير مع وضوح وإبانة للغرض الذى يريده، وقد يقرأ القارى فيه صفحة واحدة فيخرج منها بعلم قد لا تستوعبه صفحات كبيرة، وهذا آت من تمكن الأستاذ العابدى من مادة التاريخ ومن سعة اطلاعه في نواحيها المختلفة. ولا شك أن اتجاه المؤلف نحو الناحية التاريخية فى دراساته كان له أثر كبير فى قيمة هذا المؤلف فهو دائرة معارف نافعة تغنى به المكتبة العربية كما تغنى بغيره من مؤلفات عربية ثقافية أو اجتماعية

عبد اللطيف الصالح

مقاييس الكفاءة للاستقلال

تأليف الدكتور ولتر هولمز رتشر

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

نشرت جامعة بيروت الأميركية هذا الكتاب القيم لمؤلفه الدكتور ولترهولمز رتشر أستاذ العلوم السياسية فى تلك الجامعة ولاشك أن هذا الكتاب مما يهم العالم العربى الاطلاع عليه ، لأنه يبسط قضية سياسية هى قضية العالم العربى بأسره ، فقد تكلم فيه مؤلفه الفاضل عن مقاييس الكفاءة للاستقلال فى العراق وفى جزر الفليبين وفى الهند ، ثم تكلم عن مقاييس الاعتراف بالدول الجديدة ، ومقاييس الدخول فى عصبة الأمم ، ثم ختم البحث بخاتمة حافلة بالاستنتاجات والمقارنات ، جمع فيها أطراف الموضوع جمعاً يحصره في ذهن القارئ ، ويقربه من نفسه وإدراكه

ولقد قدم المؤلف كتابه بمقدمة ضافية ، أشار فيها إلى مقاييس الكفاءة للاستقلال كما كانت معتبرة فى الماضى ، ثم تكلم عن المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم فقال بأنها لم تشر بتاتاً إلى المقاييس أو إلى الطرق التى يمكن أن تقدر بها كفاءة الأمم للاستقلال بشؤونها ثم خلص من ذلك إلى توضيح النهج الذى انتهجه

ولقد جرى المؤلف فى حدود المعالم التى رسمها لنفسه فأجاد وأفاد ، وأحسن كثيراً فى اختيار الأدلة التاريخية المتعلقة بالمقاييس الضرورية لاثبات الكفاءة للاستقلال ، كما أحسن فى اقتباس الشواهد من التقريرات التى وضعتها اللجان التى قامت بعد الحرب للبحث فى حالة الامم التى هى تحت الانتداب أو التى تطمع فى الانتظام فى عصبة الأمم .

أما المقاييس التى لاقت القبول العام ، والتى يمكن اعتبارها مقاييس صحيحة لكفاءة الاستقلال في نظر المؤلف فهى ترجع أولاً إلى وجود حكومة مستقرة يبرهن على استقرارها بمقدرتها على تسيير الشؤون الجوهرية فى الحكومة بصورة منتظمة ، وأن تكون قادرة على المحافظة على سلامة أراضيها وعلى الأمن العام فى البلاد كلها ، وأن تكون لديها موارد مالية تسد حاجاتها الاعتيادية ، كما يجب أن تكون لها القوانين والأنظمة القضائية التى تضمن العدل المطرد للجميع ، ثم لا بد من رأى عام متحد يؤيد طلب الاستقلال .

ثانيا النية الصريحة على إتمام المسؤوليات والواجبات التى تفرضها العضوية فى عصبة الأمم ، وهذه الواجبات تشمل صيانة الأقليات العنصرية واللغوية والدينية ، وحماية مصالح الأجانب القضائية والمدنية والجنائية ، ومنح حرية الضمير والعبادة وممارسة الأعمال ضمن نطاق المحافظة على الأمن العام والاخلاق والادارة ثم القيام بالعهود المالية المقطوعة باسمها ولمنفعتها بواسطة الدولة المنتدبة سابقاً واحترام كل نوع من الحقوق المكتسبة شرعياً فى ظل الانتداب

هذه هى المقاييس التى ارتضاها المؤلف والتى يجدها القارئ فى كتابه مشروحة شرحاً وافياً في أسلوب سهل مرسل قد يقع فيه بعض الأخطاء اللغوية والنحوية ، ولكنها لا تغض من قيمة الكتاب .

محمد فهمى عبد اللطيف

6 me Année, No. 266

Lundi - 8 - 8 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العــدد ٢٦٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — ٨ أغسطس سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهــرس

بقيـــة المذهب

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى مقالى السابق «قنطارثمين» قلت رأيى فى الجسم الجميل وهو «الجسم الذى لا فضول فيه ، والجسم الذى تراه فيخيل إليك أن كل عضو فيه يحمل نفسه ، غير محمول على سواه»

ومن الواجب فى هذا المقال أن أذكر أن الجسم الجميل غير الجسم اللذيذ وغير الجسم الصحيح وغير الجسم القوى وغير الجسم النافع ، لأن الجسم قد يكون نافعاً أو قوياً أو صحيحاً أو لذيذاً ، وهو فى كل ذلك غير جميل

قيل لبعض الحكماء : إن فلانة كبيرة البطن ضخمة الثدى فقال : «نعم ، حتى تدفئ الضجيع وتروى الرضيع» ... فهذا وصف صادق للجسم النافع ولكنه لا يستلزم جمال الجسم الموصوف، كما يقال إن هذا الكساء يدفىء صاحبه و «يعيش» سنوات ولا يستلزم ذلك جماله فيما يكون به جمال الكساء

نعم ويجب أن نذكر الذين يخرجون من «درس الألفية» ليفصلوا فى مذاهب الجمال أن المرجع فى هذه الآراء لن يكون إلى أعرابى قضى حياته فى بادية جرداء وفى جاهلية عمياء ، وإنما

يكون إلى أناس سلمت لهم محاسن الأذواق ودرسوا فلسفة الجمال وأصلحوا مئات من الأجسام الجميلة وفاقا لعلم الصحة وفن الرياضة البدنية وأساليب التحسين والتقويم المتخذة فى معاهد التطرية والتنسيق، واستعانة بأصول التشريح وأصول التلوين والتظليل، وتجارب التاريخ التى عرضت عليهم صنوفاً من الشمائل الانسانية فى كل أمة خلقها الله

***

لقد وصف بعض الأعراب نساء « محبوبات » فاستملحوا الضخامة ومدحوا الكسل وبطء الحراك، وافتتن أميرهم بمذارى قال فى وصفهن ما يقال فى وصف الفيلان:

وظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

نعوذ بالله !

فإن كان هـذا وأشباهه وصفاً لشئ فهو وصف للجسم الشحى أو الجسم اللذيذ، وليس بوصف للجسم الجميل على اعتبار الجمال معنى من المعانى التى تقاس بالادراك، كما يقاس معنى البيت البليغ، ومعنى الصورة البارعة، ومعنى التمثال المتقن، ومعنى الخيال المجرد، ومعنى الحلم البعيد

والرجال فى تفضيل الجسم الشحى أو الجسم اللذيذ مذهبان مختلفان:

رجل عنده عادة الاستحسان كعادة التدخين، فهو يألف طرازاً واحداً من « المرأة » كما يألف المدخن لفيفته المعهودة، فلا ينيرها ولو كان الخلاف بينها وبين غيرها كالخلاف بين علامة « الجمل » فى التبغ الأمريكى وعلامة « الخلطة السعيدة » وهما من أصل واحد

هذا الرجل إذا استحسن المرأة الطويلة لم تعجبه القصيرة ولو كانت لها ملاحة ونضارة ومتعة وحلاوة

وإذا استحسن السمراء لم تعجبه البيضاء، أو استحسن بنت العشرين لم تعجبه بنت الثلاثين، أو استحسن المصرية لم تعجبه الانجليزية أو الروسية، وهما معجبتان

هذا مذهب

والمذهب الآخر مذهب رجل يستحسن النساء كما يستحسن الفاكهة، أو كما يستحسن صحاف الطعام، والمعول على صناعة الطاهى وغواية الأوان !

فالتفاح مقبول، والبرقوق كذلك مقبول، والتين لا يرفض، والجميز لا يعاف، والشواء مستطاب، والسمك المملح له وقت يجوز اشتهاؤه فيه

ومن المعقول أن يشتهى أعرابى من الأعراب امرأة سمينة موفورة الشحم واللحم قليلة الحركة نؤوم الضحى كما يقولون، فإنما عاش الأعراب فى صحراء يسوّمون فيها الناقة بمقدار ما عليها من لحوم وشحوم، ويكبرون فيهـا الأغنياء بمقدار ما يأكلون من سمن ولبن ودهون، ويقال فيها إن فلاناً يملأ جوف امرأته بمـا يسمنها ويقعدها عن الحركة فيحسبون ذلك غاية العزة والفخار، وذروة النعمة واليسار

أما نحن فى عصرنا هـذا الذى تتحرك فيه المرأة لتلعب فى ميدان الكرة والصولجان إن لم تتحرك لتخدم نفسها وذويها فى بيتها، والذى تعددت فيه مظاهر الغنى فلا يحسب فيه امتلاء الجوف بالطعام عنوان وفر وثراء، ولا تحسب فيه الناقة ولا ألبانها « وحدة المعاملة » في الأسواق . . .

أما نحن فى هذا العصر فما حاجتنا إلى اقتداء بذلك الأعرابى فيما استملح واستطاب، ومالنا ولفيلانه وعذاراه، أصلحه الله وأشبعه ورواه !

وما بالنا نقتدى به ولا نقتدى باخوانه الذين عرفوا ملاحة الهيف والرشاقة وتجملوا تارة بجمال الفطرة، وتارة أخرى بجمال الحضارة ؟

أذكر أننى نظمت قصيدة فى شتاء أسوان يوم كانت تزدحم بالوافدين والوافدات من آفاق المغرب والمشرق، فشببت فيها بالعين الزرقاء والشعر الأصفر والوجه الأزهر . . . فعابها ناقدون يقرأون الألفية ويحكمون على الآداب والفنون ومذاهب الجمال، وقالوا: بارعاك الله ! متى كان الشعر الأصفر مما يستملح فى القصائد العربية ؟ ومتى كانت زرقة العينين مما يحمد فيه الغزل والتشبيه ؟

وكنت أقول لهم يومئذ: إننى إن زعمت أن حسان أوربا سود العيون والشعور كذبت على الحقيقة

وإن زعمت أنهن زرق العيون مذهبات الشعور ولكنهن

مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

١ – مجرد

لقيته في مكتبة كان من عادتي أني أرتادها كل يوم فألبث فيها ساعة أو نحوها كما يرتادها غيري من المشتغلين بالأدب والواغلين عليه، ومن أهل العلم والأدعياء فيه، فيقلبون المكتبة إلى ناد أدبي، أو قاعة للجدل والمناظرة، فلا يكون حظ صاحبها المسكين من تجارته إلا الكلام، تمتلئ به أذناه، وجيبه من المال خال ... وهل عاش قط وراق على أديب؟ ومتى كان عند الأدباء مال حتى يشتروا؟ إن الناس بين رجلين: رجل يحب الكتب ولكنه لا يجد ما يشتريها به، ورجل عنده مال ولكنه لا يحب الكتب. فيابؤس الوراقين بين هذين الرجلين!

لقيته ولم يكن لي شرف معرفته، فنسبوه إليّ وعرفوني به: (الأستاذ فلان) فقلت الكلمة التي يضطرني النفاق الاجتماعي إليها: «تشرفنا» كأننا كنا قبل لقائه على غير شرف... وانتظرت منه أن يتكلم لأضعه في منزلته؛ وقديماً قال من لست أدري من هو: «إنك لا تعرف منزلة الرجل حتى يتكلم، فإذا تكلم رفعته أو وضعته» أو ما هذا معناه فما أحفظ الكلمة على أصلها ... ولم يطل الرجل بحمد الله انتظاري، وراح يلقي كلاماً أقرّ على نفسي بأني لم أفهم منه حرفاً، اللهم إلا كلمات تتردد فيه لها في أفرادها معان، وليس لها في جملتها معنى، من أمثال: «الوعي الطبقي» و «التقدمية واللاتقدمية»، وطفق يسرد أسماء أفرنجية لها أول وليس لها آخر، ثم قفز قفزة إلى التاريخ، فعاب علينا أننا نكتب في التاريخ، ونؤلف الكتب عن أبي بكر وعمر، وساق في ذلك كلاماً على نحو كلامه الأول، ثم جاء بالطامة فقال بأن سورة (الناس) ليس فيها من بلاغة القول شيء، وزعم أن كاتباً من أبلغ كتاب العربية في هذا العصر (ذهب مغفوراً له) قال: لو أن تلميذاً كتبها لي في امتحانه لأعطيته الصفر[1]...

فلم أعد أطيق على وقاحته وجهالته صبراً. وللمرء أن يتكلم في الأدب أو في النقد، ويطيل أو يقصر، ويعرض جهله أو علمه، وسفاهته أو تهذيبه، فالناس يميزون الخبيث من الطيب ويعرفون المحق من المبطل؛ وما كل من قال كلاماً كان بليغاً، ولا كل من أمسك بقلم ونشر كلاماً في مجلة، كان ناقداً أو كاتباً... أما أن يتكلم امرؤ في الدين بلا علم ولا هدى، وبغير بينة ولا دليل فلا ... ثم لا!

تركته يوقد نار حماسته في كذبه، حتى إذا ظنها استحالت جمرة متقدة ألقيت عليها دلو ماء فقلت له:

– هل تسمح يا سيدي بسؤال: كيف عرفت أن سورة (الناس) ليس فيها من البلاغة شيء، مع أن علماء هذا الفن ومن هم المرجع فيه والحجة قالوا غير ما تقول؟

قال: لأن للبحتري شعراً لا شك (عندي) أنه أبلغ منها

قلت: أئن كان للبحتري شعر أبلغ من شعر المعري مثلا كان شعر المعري خالياً من البلاغة؟ ثم من قال لك إن شعر البحتري أبلغ من سورة الناس؟

دميات محتويات كذبت على نفسي وعلى الله... فكيف تريدونني أن أقول؟

صفعة على القفا، علمت الآن، أجدى في مناقضة أولئك «الآدميين» من كل ذلك النقاش والحوار

***

قال ابن أبي ربيعة:

ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

وقال المثل المصري: «من أعجبه جسمه عرّاه، ومن أعجبه صوته علاّه»

ورأينا نحن مصداق هذا وذاك على شاطئ الاسكندرية، ولا نزال نراه في كل معرض جمال

فهنا لا تلبس المرأة شيئاً ولا تخلع شيئاً إلا لتبدي حسناً وتستر عيباً. وهنا بحر زاخر لمن ينظرون على مذهب التدخين، ومن ينظرون على مذهب الفاكهة والطعام، ومن ينظرون على مذهب الجسم الجميل كما بيناه، رفيعاً جداً فوق مذهب المدخنين ومذهب الآكلين، ورفيعاً جداً فوق مذهب الجسم النافع والجسم اللذيذ.

عباس محمود العقاد

(١) وذلك كذب على الكاتب رحمه الله، لأن من يقول هذه الكلمة لا يكون كاتبا ولا أديبا ولا شم رائحة الأدب ...

قال : لأن البلاغة فيه أظهر !

قلت : ما هي البلاغة (عندك) ؟

قال : هي أن يكون الكلام بليغاً ...

فكان الضحك عاماً مجلجلا !

***

ولقيت هذا المجدد كرة اخرى فلم يقل شيئاً ، لأنه قال كل ما يحفظ فى المرة الأولى ، ثم لم ألقه بعد أبداً !

٢ – أوربي

فلان ... من أسرة دمشقية أصيلة ، ولكنه أقام فى أوربة سنين عايش فيها القوم ، فظن أنه حين أساغ فى حلقه طعامهم ، وأدار فى فمه لسانهم ، قد صب فى عروقه دماً من دمائهم، ووضع فى رأسه دماغاً من أدمغتهم ، فاستقر فى رأسه أنه أوربي ولكن النطفة أخطأت طريقها فكانت شرقية فلما عاد من أوربة ودخل علينا – وكنا يومئذ تلاميذ وكان هو أستاذنا – استقبلناه استقبال التلاميذ المخلصين أستاذهم الذى غاب عنهم سنين بعد ما اتصل حبله بحبالهم وأحبوه وأحبهم ورحبنا به فنظر إلينا نظر المنكر ، وقلب شفتيه اشمئزازاً(١) ولوح بيديه على طريقة أهل باريس ، وقال لنا بالفرنسية (ما ترجمته بالحرف) :

– ما هذا ؟ أهكذا يكون الاستقبال ؟ إنكم يا أهل الشرق لا تتمدنون أبداً . ولقد رأيت اليوم ما كنت أسمعه ... فياليتنى لم أسافر إلى الشرق !

« دمشق »

علي الطنطاوي

(١) وفى العربية كلة (أدلم) إن اصطلح عليها دلت على هذا المعنى

فى مصر الاسلامية

ســـياسة العرب المالية فى مصر

للدكتور حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب

كان الوالى يُعَيَّن من قبل الخليفة لينوب عنه فى حكم البلاد ، وهو الرئيس الأعلى للقضاء والصلاة والخراج والجند والشرطة وما إليها من مهام الدولة . وكان يستعين فى إدارة البلاد بطائفة من كبار الموظفين وأهمهم ثلاثة : عامل الخراج أو صاحب بيت المال ، والقاضى ، والقائد أو صاحب الشرطة . وكانت وظيفة الخراج أهم هذه الوظائف الثلاث

وكان الوالى يحتفظ بها لنفسه ؛ وربّما أسندها الخليفة إلى رجل من قبله فيعمل هذا مع الوالى جنباً إلى جنب : هذا يدير دفة السياسة. وذاك يتولى أعمال الدولة المالية . فكان بمثابة الرقيب على أعمال الوالي ، فكأنّ مصر إذ ذاك كان يحكمها واليان من قبل الخليفة مما أدى إلى تنازع السلطة والمنافسة بين الرجلين : وذلك مما يعلل قصر عهد الولاة وعمال الخراج ، وبهذا خسرت مصر تحت حكمهما أكثر مما كانت ترجوه من التقدم فى سبيل الاصلاح .

كان القضاء والصلاة من الأمور الجوهرية التى تناولها هذا التغيير فى النظم الادارية فى عهد الاسلام لارتباطهما ارتباطاً وثيقاً بالدين ، وهو مصدر الحكم فى الاسلام .

أما عن الخراج فقد سار عمرو بن العاص مع المصريين بمقتضى شروط الصلح من حيث تقسيم الجباية ومراعاة حال النيل فى النقصان والزيادة مما اضطره أحياناً إلى تأخير الخراج على الرغم مما اشتهر عن عمر بن الخطاب من التشدد فى دفعه . ذلك أن عمرا حين جبي خراج مصر فى السنة الأولى من ولايته عشرة ملايين دينار لم يعجب ذلك عُمر ، بل ولم يعجبه أيضاً ما كان من نقصان الخراج إلى اثني عشر مليوناً فى السنة التالية ، وذلك

لما بلغ الخليفة من أن الخراج وصل فى عهد القوقس إلى عشرين مليوناً وأكثر ، وجعله بعض المؤرخين ٠٠٠ر٤٠٠ر٢٤ دينار فى عهد الفراعنة ، وبالغ بعضهم فجعله فى زمن الريان بن الوليد (وهو فرعون يوسف) ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠ دينار [١] ، فلا غرابة إذا عجب عمر من أن البلاد لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه إن صح أن مصر كانت تؤدى هذا المقدار قبل الاسلام . على أن عُمر إنما أراد بتشدده وتمسكه أن يحلب البلاد حلباً ويقطع درها بخلاف ما كان يتوخاه عمرو بن العاص من مراعاة حال البلاد من شدة ورخاء [٢]

وقد لغط المؤرخون فى مقدار الخراج ، وقصره بعضهم على جزية الرءوس التى كان مفروضاً أداؤها على أهل الذمة من القبط وغيرهم لأن الخراج فى عهد الاسلام كان من ناحيتين (الأولى) الضرائب الشخصية المعروفة بالجزية أو جزية الرءوس (والثانية) ضرائب الأطيان ، ومجموع هذين يعرف بالخراج [٣]

على أن قصر بعض المؤرخين الخراج على جزية الرءوس مع خلطه يجعل الاهتداء إلى معرفة عدد سكان مصر وقت الفتح أمراً مستحيلاً ، ناهيك بما هنالك من الاختلاف الكبير بين روايتى ابن عبد الحكم (٢٧٦ هـ = ٨٧١ م) وهو أقدم مؤرخى مصر الاسلامية والبلاذرى (٢٩٠ هـ = ٨٩٢ م) وهو من معاصرى ابن عبد الحكم

وقد ذكر ابن عبد الحكم [٤] أن عدد من ضربت عليهم

(١) نقل المقريزى (خطط ج ١ ص ٧٥) عن الشريف الحرانى أنه وجد فى بعض البرابى فى الصعيد عبارة باللغة القبطية نقلت إلى العربية ومنها يتضح أن الخراج بلغ فى عهد الريان بن الوليد ٠٠٠ر٤٠٠ر٢٤ دينار ، وهو أقرب إلى المعقول

(٢) أنظر المكاتبات التى دارت بين عمرو وعمر بشأن الخراج فى خطط المقريزى (ج ١ ص ٧٨ — ٧٩) على أن غضب عمر كان راجعاً أكثره إلى تأجيل عمرو إرسال الخراج إلى المدينة كما يظهر من قول عمرو « ولكن أهل الأرض استنظرونى إلى أن تدرك غلتهم »

(٣) شرح هذا يحيى بن سعيد الأنطاكى (٤٥٨ هـ ، ١٠٦٦ م) فى كتابه « ذيل التاريخ ، المجموع على التحقيق والتصديق » لمؤلفه أو شيخا أو سعيد بن البطريق (٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م) وزاد ابن سعيد فشرح النوع الثانى بأنه جزية جلة تكون على أهل القرية وهذا يعلل ما ذكره المقريزى (خطط ج ١ ص ٧٧) أن جزية الجلة كانت تؤخذ على أهل القرية من مزارعين وأرباب الحرف والصنائع

(٤) كتاب فتوح مصر ص ٧٨

الجزية من المصريين فى عهد عمرو ثمانية ملايين [١] عدا الصبيان والنساء والشيوخ ، ولو بلغ عدد من ضربت عليهم الجزية رُبع سكان البلاد لكان أهل مصر طبقاً لهذا التقدير اثنين وثلاثين مليوناً من النفوس . وهذا بعيد التصديق ، إذ لو كان هذا العدد صحيحاً لبلغت جزية الرءوس وحدها ستة عشر مليون دينار وهو يخالف ما أجمع عليه المؤرخون من أن خراج مصر بنوعيه لم يزد فى السنة الأولى من ولاية عمرو على عشرة ملايين ، ولم يزد فى السنة التالية على اثنى عشر مليوناً . كذلك روى البلاذرى أن عمراً فرض على كل مصرى عدا النساء والصبيان والشيوخ دينارين فبلغ خراج مصر (بما فيه جزية الرءوس) مليونى دينار ، فاذا خصصنا لجزية الرءوس مليوناً اقتضى أن يكون عدد من فرضت عليهم الجزية خمسمائة ألف نسمة ، وعلى هذا القياس لا يزيد سكان مصر على مليونى نسمة

هذا ولم يكن للخراج نظام ثابت ، فكانت ضريبة الأطيان تقل وتكثر حسب الاهتمام بالتعمير وإصلاح الجسور والخلجان [٢] ونحوها ، كما أن جزية الرءوس كانت تتناقص بالتوالى لدخول أهل مصر فى الاسلام ، إما رغبة فى اعتناق هذا الدين ، أو فراراً من دفع الجزية . وقد رأى بعض العمال عدم دفع الجزية عمن أسلم . يدلك على ذلك كتاب والى مصر إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يشكو إليه من أن الاسلام أضرّ بالجزية ويسأله أن يأمر بفرضها على من أسلم ، فما كان من عمر إلا أن كتب إليه كتابه المأثور ، وفيه يقول « ... فضع الجزية عمن أسلم — قبح الله رأيك — فان الله إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ، ولم يبعثه جابياً . ولعمرى لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم فى الاسلام على يديه » ، وعلى الجملة فقد كانت سياسة الخلفاء ترمى إلى الاكثار من الخراج حتى إن بعضهم لم يأبه بما حلّ بالأهلين من شراهة العمال الذين عملوا على إرضاء الخليفة ، الذى كان رضاؤه متوقفاً

(١) ذكر المؤرخ ستانلى لين پول أن هذا العدد هو ثمانية ملايين دينار واستدل منه على أن عدد من ضربت عليه جزية الرءوس بلغ أربعة ملايين (بفريضة دينار عن كل شخص) واستنبط أن سكان مصر فى ذلك الوقت كانوا ستة عشر مليون نسمة ، وهذا يخالف ما يقصده ابن عبد الحكم فى (فتوح البلدان ص ٢٢٣) الذي استنتج منه لين پول هذه العبارة كما يظهر

(٢) كان إصلاح الجسور والخلجان مفروضاً على الأهالى ، وكان يقوم بذلك ٠٠٠ر١٢٠ نسمة لا يفترون عن العمل صيفاً ولا شتاء

على تأدية الخراج ، وعلى سدّ جشعهم فى جمع الثروة الضخمة حتى لا تعوزهم الحاجة بعد عزلهم ، الذى كانوا يترقبونه فى كل وقت ؛ مما أدى فى كثير من الأحيان إلى انتقاض الأمة ، وقيام الثورات فى عهد بنى أمية وبنى العباس . وليس أدلّ على عناية الخلفاء بإكثار الخراج من أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح لما جبى خراج مصر وبلغ ١٤٫٠٠٠٫٠٠٠ دينار بعد أن جباه عمرو ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ دينار ، عيّر عثمان بن عفان عمرا بقوله : « إن اللقاح بعدك درّت ألبانها » فأجابه عمرو « .. لأنكم أعجفتموها » مما يدلّ على أن سياسة الخلفاء نحو جباية الخراج كانت تميل إلى الشدّة ، وعلى الأخص فى عهد بنى أمية وبنى العباس ، على أن خراج هذه البلاد أخذ يقلّ بعد عمرو وابن أبى سرح حتى إنه لم يبلغ زمن الأمويين والعباسيين ثلاثة ملايين[1] إلا مرات معدودات حتى اضطر بعض الولاة إلى وضع الجزية على من أسلم

حسن ابراهيم حسن

(١) يظهر من أقوال المقريزى (خطط : ج ١ ص ٩٩ — ١٠٠) أن الخراج فى هذه المدة كان جلهُ — إن لم يكن كله — عبارة عن ضرائب الأطيان ، فقد بلغ فى عهد هشام بن عبد الملك أربعة ملايين ، وفى خلافة سليمان بن عبد الملك اثنى عشر مليوناً ، وفي عهد ابن طولون أربعة ملايين و٣٠٠ثمانمائة ألف دينار ، وبلغ فى عهد خمارويه بن أحمد بن طولون أربعة ملايين

حظى بالشيء ...

لأستاذ جليل

الرافعي ، المجمع اللغوى ، أزهرى المنصورة ، اليازجى ... ...

— ٣ —

ردّ الأستاذ الرافعى (رحمه الله) فى (البلاغ ٢٨ شوال ١٣٥٢) على الأستاذ أزهرى المنصورة (البلاغ ٢٦ شوال ١٣٥٢) فقال :

« عاد الفاضل أزهرى المنصورة إلى هذا الفعل وجاءنا بدليلين آخرين من استعماله فتمت حججه أربعا أحصاها هو بقوله : (١) — أوردنا بيت الحماسة .. (٢) — وجئنا بكلام الأساس .. (٣) — وجاء فى نهج البلاغة : (وحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون)

(٤) — وجاء فى مقامات الحريرى : (نهضا وقد حظيا بدينارين)

وعجيب جداً أننا لم نجد أحداً يتنبه إلى مدار الحجة أو يفطن إلى وجه النقد . على أننا أومأنا إلى شيء ، وعرضنا بشيء ، وقلنا : إن لهذا الفعل (حظى) تاريخاً اجتماعياً وأن هذا التاريخ هو الذى يمين للكلمة ظاهرها الظاهر وباطنها الباطن . وكان فى هذا كاف أن يدرك من يدرك أن فى اللغة ألفاظاً أخذت من معنى بعينه ، ولا يستعمل إلا فيما هو بسبب من هذا المعنى

أما بيت الحماسة فقد قلنا إن حظي فيه مضمنة معنى (ظفر) فهى هذه لا تلك وبطل الاستدلال بالبيت . ونقول مثل هذا فى كلمة الحريرى وإن كان الشريشى قد فسرها بمعنى (سعد) وهو المعنى العامى الذى شاع به الكلام فى العصور المتأخرة . فيقولون : حظينا بلقاء فلان ، وحظينا بتشريف فلان . وأكثر ما كان هذا الاستعمال فى البلاد التى يعسفها الحكم التركى ، ولهذا كانت فاشية فى سوريا[1] حتى لا عامى ولا خاص، هناك إلا وهى فى لسانه ونخاعة الجرائد

وأما كلام صاحب الأساس فقد قلنا إنه من دليلنا لا من دليل المجمع ونحن على هذا الرأي

وأما عبارة نهج البلاغة فهى الآن محل القول ، وسنرفع عليها مصباحاً من مصابيح علاء الدين ليتبين الأزهري والمجمع بنوره الساطع كيف وقعت (حظى) من العبارة فى أحسن مواقعها ، وقامت فى الكلام على رجليها لا على أصابعها !

يقول الامام : (وحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون) فالجملة الأولى مقيسة على الثانية فى الاستعمال إذ الأصل هو ماحظى به المترفون ثم أخذت منه حظوة الآخرين الذين أشبهوهم : فبماذا يحظى المترفون ومن هم ؟ جواب هذا فى قوله تعالى : (واتَّبع الذين ظلموا ما أُترِفوا فيه[2]) وقوله : (وأخذنا مُترفيهم

(١) قلت : جاءت (سورية) فى المطبوع فى الجريدة بالالف وفى (القاموس) : « سورية مضمومة مخفضة اسم للشام » وفى الطبرى ومعجم البلدان وتاريخ آداب العرب الصفحة ٣٥ للأستاذ الرافعى (رحمه الله) مثل ذلك

(٢) قلت : وبقية القول الكريم : (وكانوا مجرمين) وفى (الكشاف) : قرأ أبو عمرو : (واتبع الذين ظلموا) يعنى واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه — اتبع : على وزن افعل ، وبالبناء لما لم يسم فاعله — ويجوز أن يكون المعنى فى القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء اترافهم ، وهنا معنى قوى لتقدم الاعجاء

بالعذاب[١]) وقوله : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا[٢] مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميراً)

والآن فلنطفئ مصباح علاء الدين فان لم يكن المعنى الذى نرمى إليه قد انكشف فنى مقالة أخرى سنستعير مصباحاً كشافاً من الأسطول البريطانى »

قلت : فى هذا التفسير تمحُّق ، وهذه هى الجمل التى وردت قبل عبارة (الحظوة) وبعدها ، وفيها البيان الكشاف :

« إن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدنيا فى دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم ، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت ، وأكلوها بأفضل ما أُكلت ، فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون ، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح ، أصابوا لذة زهد الدنيا فى دنياهم ، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً فى آخرتهم[٣] »

وقال الأستاذ الرافعى (رحمه الله : « ثم قال الأزهري : لم يقل أحد قولا فى (حظى بالشىء) إلا العلامة الشيخ ابراهيم اليازجى فى هذا الزمان ، ثم ذكر انتقاد اليازجى استعمال شاعرنا حافظ ابرهيم فى ترجمة البؤساء قال : (فلاقاه بعد أيام حجة الاسلام السيد رشيد رضا فقال له — وقد سمعنا قوله — يا شيخ يا شيخ إن الذى خطأته من كلام حافظ ابرهيم هو فى أول صحيح البخارى قال : فبهت الشيخ وترك السيد وهو كاسف البال)

(١) هذا هو المطبوع في الجريدة والآية الكريمة : « حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذاهم يجأرون »

(٢) (أمرناهم) من الأمر ، وقيل : أمر مثل آمر أى كثر أوأ كثر ، وقرئ : أمّرناهم ـ بتشديد الميم أي جعلناهم امراء وسلطناهم

(٣) قال شارح النهج (ابن أبى الحديد) : « ثم ذكر حال الزهاد فقال : أخذوا من الدنيا بنصيب قوى ، وجعلت لهم الآخرة . ويروى أن الفضل بن عياض كان هو ورفيق له فى بعض الصحارى فأكلا كسرة يابسة ، واغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران ، وقام الفضيل فحط رجليه فى الماء ، فوجد برده ، فالتذبه وبالحال التى هو فيها . فقال لرفيقه : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا »

ولسيد المصريين وإمام المسلمين (الشيخ محمد عبده) ـ رضى الله عنه ـ في شرح قول النهج كلام حسن : « إن المتقى يؤدى حق الله وحقوق العباد ، ويتلذذ بما أتاه الله من النعمة ، وينفق ما له فيما يرفع شأنه ، ويعلى كلمته ، فيعيش سعيداً مترفا كما عاش الجبابرة ثم ينقلب بالزاد وهو الأجر الذى يبلغه سعادة الآخرة جزاء على رعاية حق نفسه ومنفعتها الصحيحة فيما أوتي من الدنيا ، وهو بهذا يكون زاهدا فى الدنيا وهى مغدقة عليه

وترى ما الذى فهم القراء من هذا ؟ وما هو الذى يُعد من كلام حافظ ابراهيم وفى صحيح البخارى فى وقت معا ؟

لا بأس أن نفيد قراء (البلاغ) فائدة وأن نصحح لحضرة أزهرى ، فان اليازجى لم ينتقد (حظى بالشىء) كما زعم ، وإنما انتقد استعمال المصدر قال : (ويقولون الحظوى وإنما هى الحظوة) بالهاء ولم يزد على ذلك . ومما أخذ به حافظ فى ترجمة البؤساء أنه يتكلف فى الاستعمال وعد من ذلك قوله : (كأنى أسمع صوتا يقطر منه الدم) قال : وقطران الدم من الصوت مما لا تأنس به الأفهام . وهذه هى العبارة الواردة فى البخارى ولكن حافظ (رحمه الله) لم يأخذها من البخارى وإنما سلخها من (الأغاني) وقد سار[١] شيطانه بعد انتقاد اليازجى ، فلقى بعض أصدقائه فقال له بالحرف : (اليازجى غير مطلع فى العربية)

قال الصديق : ولماذا ؟

قال : انه عاب علىّ : (اسمع صوتا يقطر منه الدم) مع أن العبارة فى الأغانى

قال صديقه : ياحافظ ، اتق الله ، لأن يقول الشيخ : إن فى العبارة مجازا بعيدا خير لك من أن يقول : انك سرقتها من الأغانى ...

أماّ هل أخطأ اليازجى أو حافظ فهذا كلام آخر)

قلت : ومما نقده الشيخ اليازجى في (البؤساء) : « خرجت ربة المنزل بالصمت عن لا ونعم أى لم تقل لا ولا نعم ، ومن هذا القبيل : أحمل له ضبّ الضغن . على أن الضب والضغن شىء واحد وكلاهما بمعنى الحقد »

ولم يحك لنا (صديق حافظ) قوله فى نقد اليازجى هاتين العبارتين فحالهما كحال ذاك (الصوت) والقياس يدل أن هناك ثورة وسورة وقولا ...

وقد غزا حافظ فى الأولى بشارا :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ... ونفى عنى الكرى طيفٌ ألم

وإذا قلت لها : جودى لنا ... خرجت بالصمت عن لا ونعم

وأغار فى الثانية على ربيعة بن مقروم :

وكم من حامل لى ضبّ ضغن ... بعيد قلبه ، حلو اللسان

(١) سار : غضب ، السورة : : الحدة (المصباح) ومن المجاز : سار الشراب فى راسه (الأساس)

قال التبريزي في (شرح الحماسة) : « الضب الحقد . وأضافه إلى الضغن لأن الضغن العسر ، [1] فكأنه حقد عسر » وغزوات حافظ البريطانية الايطالية الفرنسية ... وغاراته التركية ... في (بؤسائه ولياليه) تخبرنا أنه خليفة سعيد بن حميد في هذا العصر

قال ابن النديم في (الفهرست) : « سعيد بن حميد كاتب شاعر مترسل عذب الألفاظ ، مقدم في صناعته ، جيد التناول للسرقة كثير الاغارة . لو قيل لكلام سعيد وشعره : ارجع إلى أهلك لما بقي معه شيء [2] »

***

ومن نقد (البؤساء) لليازجي : « استعماله (البرهة) للزمن القصير [3] و(باهت اللون [4]) بمعنى كمده و(تبقى عليه كذا [5]) أي تتي و(ألم تعثر في طريقك أيها الراهب بغلام [6]) والمنصوص عليه في هذا المعنى عثر عليه لا به ، وبقيت (تقضقض) من البرد أي تقفقف [7] ، ولم يجيء قضقض بهذا المعنى »

قلت : قضقض الشيء فتقضقض كسره فتكسر ، والقضقضة صوت كسر العظام ، وفي شعر أبي تمام :

طلبُ المجد يورث المرء خبلا وهموماً تقضقض الحيزوما

وفي حديث صفية بنت عبد المطلب : (فأطل علينا يهودي ، فقمت إليه فضربت رأسه بالسيف ، ثم رميت به عليهم ، فتقضقضوا) أي انكسروا وتفرقوا كما في النهاية

وفي ذاك (النقد) : « ولحت بأحد تخذيك (فدعا) والفدع يكون في القدم لا في الفخذ ، وهو أن يعوج الرسغ حتى تنقلب القدم إلى إنسيها ، [1] وقيل : هو أن يمشي على ظهر القدم »

قلت : أكثر ما يكون الفدع في الرسغ من اليد والقدم ، وفي (اللسان) : « الفدع عوج وميل في المفاصل كلها خلقة أو داء كأن المفاصل قد زالت عن مواضعها ، لا يستطاع بسطها معه »

ومن ذاك (النقد : « عولت على مغادرة ابنتي : أي أجمعت وصممت ، وليس هذا معنى اللفظة ، ولكن يقال . عوّل عليه بمعنى اتكل »

قلت : في (الجمهرة) : عوّلْ عليّ بما شئت أي حملني ما شئت من ثقلك ، وفي (الصحاح) : عول علي بما شئت أي استعن بي ومثل هذا في (اللسان والاساس) وفي (الأساس) : « ويقال : عول على السفر إذا وطّن نفسه عليه » وقول حافظ يضارعه . وفي الرابعة والثلاثين من المقامات الحريرية : « قال : أتدرى لمَ أعولت ، وعلام عوّلت ؟ » وقد فسر بعض الشراح عول بمعنى عزم واعتمد ، وهو مقصود ابن الحريري ، ولم ينقد ابن الخشاب هذه اللفظة . وفسر الشريشي عول بمعنى اتكل ، وعبارة المقامة لا تعني الاتكال

ونقد اليازجي « النجمة للنجم »

قلت : النجمة ضرب من النبت كما في (الصحاح) والنجمة الكلمة ، ولم أجد النجمة للنجم في المعجمات المعروفة المطبوعة . غير أني قرأت في (التاج) في مستدركه : « ونجمة الصبح فرس نجيب » ورأيت في (أقرب الموارد) : « النجمة النجم وهي أخص منه » وقد جاء هذا بعد تفسير : (علم النجوم ، نجوم الأخذ ، فلان ينظر في النجوم) فغير العارف يظن أن النجمة مثل النجم . والأصل لما في (أقرب الموارد) هو في (النهاية) : « ومنه حديث جرير : بين نخلة وضالة ونجمة وأثلة . النجمة أخص من النجم وكأنها واحدته كنبتة ونبت » وروى (اللسان) هذا الكلام ، فنقل صاحب (أقرب الموارد) منقوله ، ورتبه كما رتّب ليضل من يطالع معجمه . والشيخ سعيد الشرتوني فاضل كبير ، وله مصنفات حسنة ، ومقالات متقنة ، لكن معجمه (أقرب الموارد) لا يوثق به ، فقد تكردست فيه الأغلاط تكردسا

الاسكندرية (***)

---

(١) في (اللسان) : ضغن الدابة عسرها والتواؤها . وفي (الأساس) : وقناة ذات ضغن : فيها اعوجاج والتواء

(٢) وفي (الفهرست) : كان يدعى أنه من أولاد ملوك الفرس ، وله من الكتب كتاب انتصاف العجم من العرب ويعرف بالتسوية ، كتاب ديوان رسائله ، كتاب ديوان شعره

(٣) قلت : في (الصحاح) : أتت عليه برهة من الدهر أي مدة طويلة من الزمان

(٤) قلت : الباهت من البهتان أو من بهت — كنصر وكرم وعلم — بمعنى دهش وهو غير فصيح . والفصيح بهت — بالبناء لما لم يسم فاعله — فهو مبهوت . ولا يقال باهت ولا بهيت كما في الصحاح

(٥) قلت : في (الاساس) تبقاه بمعنى استبقاه

(٦) قلت : في (اللسان) : عثر على الأمر اطلع وأعثرته عليه أطلعته وفي (الصحاح) : وعثر به فرسه فسقط وعثر عليه أيضا ، وفي (الأساس) وعثر الزمان به ، وعثر في كلامه وتعثر

(٧) قلت : في (النهاية) : في حديث سهل بن حنيف : فأخذته قفقفة أي رعدة ، يقال . تقفقف من البرد إذا انضم وارتعد

---

(١) قلت : في (الصحاح) : قال الاصمعي : كل اثنين من الانسان مثل الساعدين والزندين والقدمين فما أقبل منهما على الانسان فهو انسي ، وما أدبر عنه فهو وحشي

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٣٤ –

مقالاته للرسالة (٥)

لم تكن قصة « بنت الباشا » هي آخر حديثه عن الزواج ، وإن كانت آخرما أنشأ في هذا الموضوع بخصوصه ؛ ثم بقى عنده طائفة من المعاني والخواطر في موضوع الزواج والمرأة جاءت مبعثرة في طائفة من المقالات من بعد ؛ ومنها مقالة (احذرى) وهي قصيدة من النثر الشعرى مترجمة عن الملك ، تقع منزلتها بازاء القصيدة المترجمة عن الشيطان في مقالة (لحوم البحر)

وكان الرافعي في هذه الفترة قد اصطنع مودة بينه وبين طائفة من الشباب اللاهين ، كانت تجمعهم قهوة (لمنوس) في طنطا للعبث واللهو والمجانة ؛ فتألفهم بالنادرة والفكاهة ليجمعهم إليه فيستمع إلى أحاديثهم في شئون المرأة والزواج ؛ وقد قدّمت القول في بعض ما سبق من هذه الفصول بأن ذهن الرافعي كان سريع الالتفات إلى معاني المرأة ، وكانت أعصابه قوية الانفعال بحديث النساء ، حتى لتراه وهو يستمع إلى محدّثه إذ يتحدث عن الحب والمرأة كأنما يخيل إليه أنه يرى قصة ما يسمع ، وأنه يشهد حادثة لاحديثا ؛ ثم يزّين له خياله ما يزين فيضيف من وهمه إلى ما سمع مالم يسمع ؛ فتراه كما ترى الفتى المراهق : يجد حديث الغزل والحب حريقا في دمه وثورة في أعصابه لا حديثا في أذنيه . . . فيستزيد مما يسمع وهو صاغٍ ملذوذ ؛ فيحمل محدثه بذلك على الاطناب والاسترسال حتى ينفض جملة ما في نفسه من رواية الواقع أو مبتدعات الخيال ... !

وعلى شدة احساس الرافعي بمعاني (الجنس) إلى هذا الحد ، فانه بإيمانه وخلقه وتديُّنه واعتصامه بالوحدة ، كان قليل الخبرة ضئيل المعارف في هذا الباب : فكان له علم جديد في كل مايسمع من هؤلاء الفتيان من قصص ما بين الشبان والشابات من ناشئة هذا الجيل ؛ وكان هذا العلم الجديد يسرع به إلى سوء الظن بكل فتى وكل فتاة ، وكان من هذا الظن مذهبه الاجتماعي الذى يعرفه القراء .

من أحاديث هؤلاء الفتيان ، كان إليه وحى المعاني في قصيدة « احـذرى » ؛ كما كانت توحى إليه حوادث بعض الصحف وأحاديث بعض المجلات بكثير من المعاني وكثير من الموضوعات ؛ إذ كان يحرص على أن يقرأ كل ما تنشره الصحف والمجلات من أحاديث الهوى والشباب ومصارع الأخلاق .

***

وكان الرافعي يختلف في طنطا إلى بيوت طائفة من مهاجرة لبنان كان بينه وبينهم صداقة ومودة ؛ فكان يزورهم بين أهليهم ، فيكرمونه ويتسمون له ويحفون به ؛ والرافعي محدّث لبق ظريف المسامرة ؛ فكانت مجالسه هناك تطول ساعات يتحدث إليهم ويتحدثون إليه . وفي بيوت المتمصرين من أهل لبنان عادات غير ما نعرف في بيوتنا ، فكان الرافعي يجد هنالك جواً يوحى إليه ويمده بعلم جديد ...

وأنا لم أصحب الرافعي في طنطا إلى (زيارة مصرية) إلا فيما ندر ، على أنى كثيراً ما كنت أصحبه في تلك الزيارات ... !

وأعترف بأن الرافعي لم يكن يقصد إلى زيارة أصدقائه هؤلاء لغرض مما يتزاور من أجله الأصدقاء ، ولكنها كانت زيارات يقصد بها إلى معنى مما يتصل بفنه وأدبه ؛ وأحسب أن كثيراً ممن كان يزورهم ويزورهن كن يعرفن له ذلك فيهيئن له أسبابه وكثير من نساء لبنان أحفل بالأدب من رجال في مصر

وقد صحبته مرة إلى زيارة أسرة الآنسة ق ، وهي فتاة ذكية من أهل الفن والأدب ؛ وقد ألحّ عليّ يومئذ إلحاحاً شديداً أن أصحبه ، ولم أكن أعلم ما يقصد إليه بهذه الزيارة إلا أن تكون

تسلية بريئة ومتاعاً من متاع أهل الفن

وكنت فى ذلك اليوم صانعاً أغنية عامية فى معنى من معانى الشباب تعبر عن حال من حالى فى تلك الفترة ، ودفعتها إلى الرافعى لينظر فيها ؛ فلما قرأها طواها وجعلها فى جيبه ...

... وصحبت الرافعي إلى حيث يريد ، فاستقبلتنا الفتاة وأمها وشاب من قرابتها ، ثم لم يكد يستقر بنا المجلس ، وأهل الدار حافون بنا يبالنون فى إكرامنا ، حتى أخرج الرافعى الورقة من جيبه فدفعها إلى الفتاة ...

وقرأت الفتاة الأغنية ، ثم ردتها إلى الرافعى وهى تقول : « جميل ... شعر عاشق ! »

قال الرافعى وهو يشير إلىّ مبتسماً : « إنها أغنيته ! »

قالت : « إيه ... ! أعاشق هو ! »

قال الرافعى : « نعم ! ... ومن أجلك صنع هذه الأغنية ! »

ومضت فترة صمت ، وصبغت حمرة الخجل وجه الفتاة ، وتولتنى الدهشة مما سمعت فما استطعت الكلام ، ونظر الرافعى إلىّ نظرة طويلة لم أفهمها ، وكان بى من الحياء أضعاف ما بالفتاة ... وكانت دعابة غير مألوفة ولا منتظرة ، أوقعتنى فى كثير من الحيرة والارتباك ...

وقطعت الأم هذا الصمت الثقيل قائلة : « أغنية رقيقة ! »

وردد الشاب صدى صوتها يقول : « ... رقيقة ! »

وثبتُّ فى مكانى لا أتحرك ، لا أرى أمامى غير تلك الابتسامة الغامضة على شفتى الرافعى ...

ثم نهضت الفتاة إلى الغرفة الثانية وعادت بطبق الحلوى فقدمته إلىّ ؛ ثم إلى الرافعى ؛ واتخذت مجلسها إلى جانبى ... وعاد الحديث ألواناً وأفانين بين الجماعة وأنا صامت فى مجلسى لا أكاد أفهم ما يدور حولى من الحديث !

وجعلت أسائل نفسى وأكاد أنشق غيظاً : « ترى ما ذا حمل الرافعى على هذا القول ... ؟ »

فلما انفض المجلس وخرجنا إلى الطريق نظرت إلى الرافعى مغضباً أسأله جلاء السر ، فضحك ملء فمه وهو يقول : « قصة طريفة ... » لقد عقدنا العقدة فانظر فى طريقة للحل ... سيكون فصلا أدبياً ممتعاً ياشيخ سعيد ، تكون أنت مؤلفه وعلىّ أن أرويه ؛ لقد سئمنا الخيال فالتمسناك وسيلة إلى الحقيقة ... ! »

وغاظني حديث الرافعى أكثر مما غاظنى الذى كان منه فتمردت عليه ، ولكن الرافعى عاد يضحك ويقول : « أتراك — إن أبيت — تستطيع أن تمنع نفسك الفكر فيها وأن تمنعها ؟ لقد بدأت القصة فما بدٌّ من أن تكون لها خاتمة ! »

وضقتُ بهذه الدعابة وثارت نفسى فأخشنتُ القول ؛ فزاد به الضحك وهو يقول : « وهذه الثورة أيضاً هى حادثة من فصول هذه الرواية ... ! »

وأعدانى مرح الرافعي وانبساطه فضحكت ، ثم لم أجد للجدال فائدة فسكتُّ على غيظ ضاحك . ولقيتُ الفتاة بعدها مرتين فتناسيت ما كان ولم أسأل نفسى عن شىء من خبرها ... ومضى زمان ، ثم جاءنى الرافعى يوماً يقول : « إن بينك وبين صديقنا الأديب ج لشيئاً ؟ » قلت : « ماذا ؟ »

قال : « أحسبه يغار منك على خطيبته الآنسة ق ؛ فانه ليعلم أن بينكما عاطفة ... ! »

وقال لى ع الذى صارت ابنته في دارى من بعد : « أتراك كنت مع الرافعى أمس فى زيارة فلانة ؟ » فتوجست من سؤاله شيئاً ...

وكادت تكون قصة كما أراد الرافعى ولكنى حسمت أسبابها فراراً بنفسى !

***

... من مثل هذه الحادثة كان يلتمس الرافعى موضوعاته ويبدع معانيه فى المرأة والحب والزواج ومشا كل الأسرة ؛ ومن هذه المجالس التى كان يصطنعها أو يسعى إليها ويهيئ أسبابها ، كانت تنجلى له الفكرة ويومض الخاطر وتتشقق المعانى ؛ ومن هذا الجوّ زخرت نفسه بالعواطف النابضة التى ألهمته من بعد أن ينشئ ما أنشأ من القصص لقراء الرسالة ، ومنها كانت قصص الأجنبية ، وسموّ الحب ، والله أكبر ، واليمامتان ، وغيرها . وما أعنى أن ذلك كان يملى عليه القصة والموضوع ، إنما كان يمده بالمعانى والخواطر حتى يملأ نفسه ويوقظ حسه ؛ فما تزال هذه

الخواطر والأفكار مضمرة فى الواعية تزبد وتتوالد وينضم شىء منها إلى شىء حتى يأتى وقتها ؛ فاذا همّ بموضوع مما يتصل بهذه الخواطر المضمرة انثالت عليه المعانى انثيالا حتى يتم الموضوع تمامه على ما يريد

***

ولما قص الرافعى قصة « الأجنبية » وحكى حكايتها على لسان ولده الدكتور محمد ، أحس بالتعب والملل ، وراجع ما كان من عمله فى الأشهر الستة الماضية منذ بدأ يعمل فى الرسالة ، وما عاد عليه ؛ فضاقت نفسه وبرمتْ به ، وأحس فى نفسه شعوراً جديداً ليس له به عهد ، وقال لنفسه وقالت له ، وثقل جسمه فى الفراش بما يحمل فى صدره من هم وما يضنى جسده من علة؛ وخفت روحه إلى سماواتهـا ، وتنازعته قوتان ... وهم أن يكتب إلى الأستاذ صاحب الرسالة ليعفيه من الاستمرار فى العمل ... وطال الحديث بينه وبين نفسه فأرّقه ليلة ...

وتركته وروّحت إلى دارى وهو شاك متبرم يتنكر موضعه من الحياة ومكانه بين أهل الأدب . فلما كان عصر اليوم التالى دعانى ليملى علىّ « قلت لنفسى ... وقالت لى ... »

من أراد أن يعرف الرافعى العرفان الحق ، فليقرأ هذا الحديث يعرف نفسه الصريحة على فطرتها ؛ ثم يعرف مذهبه فى الأدب وهدفه فى الحياة .

إن غاية ما ينشده الباحث عندما يهم بالبحث فى حياة إنسان له أثر فى تاريخ الحياة أو تاريخ الأدب ، أن يعرف مضمر نفسه من ثنايا أعمـاله أو من حديث معاصريه ؛ وإنه مع ذلك ليخطئ أو يصيب سبيل المعرفة ، ولـكن ها هنا إنسانا يتحدث عن نفسه وتتحدث نفسه إليه ، حديثاً كله صدق لا اختراع فيه ولا تزوير ولا سبيل فيه إلى الخطأ

وأشهد أنى رأيته قبل أن يملى علىّ الحـديث وأن فى وجهه لمعانيه قبل أن يكون كلاما ؛ فما رأيته ورأيت حديثه من بعـد إلا كما تصور معركة فى حكاية وصف : هذه هى هـذه ، وكانت حركات صامتة فصارت عبارة ناطقة .

وأكثر معانيه فى هـذا الحديث قديم فى نفسه ؛ وقد نظم شيئا منهـا قبل ذلك بسنتين أو ثلاث فى قصيدة نشرها فى مجلة المقتطف

... وكما تثوب إلى المحزون نفسه إذا صرح بشكاته إلى صاحب سره ، هدأت نفس الرافعى بعد إملاء هذا المقال وثاب إلى الطمأنينة والرضى ، وكأنما نفض همومه وأحزانه فى هذه الكلمات وكانت تثقل رأسه ؛ أو كأنما كان يستمع إلى مداولة الرأى فى محكمة الضميريين نفسه وهواه ، فما هو إلا أن استوعب ما قال وقالت حتى اطمأنت نفسه إلى الحـكم الأخير ، وانتصرت الروح السامية على ما كان ينازعها من أهواء البشرية ...

ثم كان هلال رمضان فأنشأ مقالة « شهر للثورة » وهى السابعة مما أنشأ من المقالات الدينية لقراء الرسالة

« سيدى بشر » محمد سعيد العريان

جورجياس

او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٧ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأ كلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائماً وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »

٣ — شيريفين : تلميذ سقراط : « ش »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[1]

ط — (مخاطباً جورجياس) وقد قلت زيادة على ذلك أن الخطيب يولد من الاعتقاد فيما ينفع الجسد أ كثر مما يولد الطبيب ! ؟

ج — نعم . قلت هذا ولو أن عمل الخطيب يختص بالجمهور !

ط — وتقصد بالجمهور الجهلة من غير شك لأنه واضح أن الخطيب لا يفضُل الطبيب أمام جمع من المتعلمين ؟ !

ج — إنك تقول حقاً !

(١) رأينا في العدد الماضي كيف رحب سقراط بالنقد ، وكيف حمل جورجياس على أن يعود للمناقشة فى موضوع البيان على أساس النقد الحر . ثم رأينا كيف انتهت المحاورة هناك بادعاء جورجياس أنه يستطيع أن يجعل من تلاميذه خطباء قادرين على الكلام أمام الناس فى موضوع العدل والظلم ليقنعوهم بآرائهم الخاطئ منها والصائب . وسنرى اليوم كيف يلوك سقراط تلك الدعوى ثم يقذف بها في وجه صاحبها فاذا هى مجموعة من المتناقضات ! !

« المعرب »

ط — وما دام الخطيب أجدر بالإقناع من الطبيب فهو أجدر به أيضاً من العارف ؟ !

ج — بلا شك !

ط — حتى ولو كان هو فى نفسه غير طبيب ، أليس كذلك ؟

ج — بلى

ط — ولكن واضح أن ذلك الذى هو ليس من الطبيب فى شئ يجهل الأشياء التى يحذق علمها الطبيب ؟ !

ج — نعم — هذا واضح —

ط — وهكذا يصبح الجاهل أقدر من العالم على إقناع الجهلة فى اللحظة التى يصبح فيها الخطيب أليق للإقناع من الطبيب ؟ أليس ذلك معقولاً ؟ أم ترى عندك شيء آخر ؟

ج — كلا ، فهذا هو الذى يحدث فى هذه اللحظة

ط — وهذه الخاصة التى يمتاز بها الخطيب وفنه : أليست واحدة بالنسبة للفنون الأخرى ؟ أعنى ليس ضرورياً أن يعنى رجل البيان بطبيعة الأشياء ، وحسبه أن يلتمس طريقة ما للاقناع بحيث يبدو فى عين الجهلة من الناس كما لو كان أ كثر علماً من أولئك الذين يجيدون هذه الفنون ؟

ج — أليس جميلاً يا سقراط ألا نكون محتاجين إلى تعلم فن آخر غير ذلك الفن الذى لا ينبغى أن نتنازل عنه قط لأى محترف آخر ؟

ط — سنبحث حالا فيما إذا كان الخطيب يتنازل عنه من هذه الناحية للغير أو لا يتنازل حسبما يتطلب الموضوع . ولكن لننظر أولاً فيما إذا كان الخطيب يستطيع إزاء الحق والباطل ، والجمال والقبح ، والخير والشر : أن يكون كما يكون بالنسبة لما يجاب الصحة ولموضوعات الفنون الأخرى ، بحيث يجهل ما هو الخير وما هو الشر ، وما هو الجمال ، وما هو القبح ، وما هو الحق ، وما هو الباطل ، ولكنه يتخيل مع ذلك وسيلة للإقناع بهذه الموضوعات ، ويبدو فى عين الجهلة كما لو كان أ كثر علماً من العلماء ، بينما هو نفسه جاهل خاوى الوفاض ! أو فلنَرَ بالأحرى إذا كان لازماً وضرورياً لمن يريد أن يدرس البيان أن يبحث عن كل هذا ويمهر فيه قبل أن يتلقى دروسك ؛ أم أنك — وأنت أستاذ البيان — سوف لا تعلم شيئاً من كل هذه الأشياء إذا

لم يك لديه معرفة بها لأن هذا ليس من شأنك ؛ وأنك فقط ستسلك معه — فى هذه الحال — سلوكاً يجعله يبدو كما لو كان عارفاً بها ، ويخلع عليه الخير دون أن يكون رجل خير بالفعل ؛ أم « لا هـذا ولا ذاك »[1] لأنك سوف لا تستطيع أن تعلمه البيان مطلقاً قبل أن يعرف الحقيقة المتصلة بهذه الموضوعات على الأقل ؟ فماذا ترى فى هذا يا جورجياس ؟ وهل ترى — وحق جوبتير — أننا نتقدم فى خواص البيان كما وعدت أنت منذ لحظة ؟

ج — أرى يا سقراط أنه عندما لا يكون لديه شيء عن كل هذه الموضوعات فإنه يستطيع أن يتعلمه منى !

ط — أرجو أن تقف هنا فإن إجابتك حسنة للغاية ! ألكيما تستطيع أن تجعل من أحد الناس خطيباً يجب أن يكون (هذا الراغب فى الخطابة) عارفاً بالظلم والعدل ، سواء أنت هذه المعرفة قبل مجيئه إلى مدرستك ، أم منك أنت ؟

ج — لا تناقض فى هذا !

ط — ولـكن ماذا ؟ أيكون هذا الذى تعلم « النجارة » نجاراً أم لا يكون ؟

ج — يكون نجاراً

ط — وعندما يتعلم الإنسان الموسيقى ، ألا يكون موسيقياً ؟

ج — بلى

ط — وعندما يتعلم الطب ، ألا يكون طبيباً ؟ وبالاختصار فيما يتعلق بالفنون الأخرى — ألا يكون الإنسان كما ينبغى أن يكون تلميذ كل فن منها عندما يتعلم كل ما يتعلق بها ؟

ج — أوافق على هذا

ط — ويكون — لنفس السبب — كل من تعلم ما يختص بالعدالة عادلاً ! ؟

ج — دون تناقض

ط — ولـكن هل يؤدى الرجل العادل فى مظهره أعمالاً عادلة ؟

ج — نعم

ط — وإذاً يجب أن يكون الخطيب عادلاً ، وأن يكون الرجل العادل راغباً فى أداء الأفعال العادلة ! ؟

ج — هذا ما يلوح — على الأقل — !

(١) لقد زدنا هذا التعبير من عندنا لانسجام المنى « المعرب »

ط — ولا رغب الرجل العادل أبداً فى ارتكاب ظلامة ما ؟ !

ج — هذه نتيجة محتومة !

ط — ويجب بالأحرى أن يكون الخطيب بعد كل ما قيل رجلاً عادلاً ؟ !

ج — نعم

ط — وإذاً فإن رغب الخطيب فى ارتكاب ظلامة ما ؟ !

ج — يلوح أن لا[1]

ط — وهل تذكر أنك قلت منذ قليل إنه لا يجوز أن نقف فى وجه مدرب الألعاب وننفيه من المدينة لأن أحد المصارعين أساء استعمال الملاكمة وارتكب بها عملاً ظالماً ، وإنه — لنفس السبب أيضاً — إذا أساء أحد الخطباء استعمال البيان يجب ألا نُرجع الخطأ لأستاذه وننفيه من المملكة ، بل يجب أن نلقى المسئولية على الفاعل الذى لم يستعمل البيان كما ينبغى ؟ أقلت هذا أم لم تقله ؟ ؟

ج — قلتُه

ط — وهل ترى هذا الخطيب نفسه عاجزاً عن ارتكاب ظلامة ما أو سوف لا تراه ؟

ج — ستراه !

ط — وقد قررنا من المبدأ يا جورجياس أن موضوع البيان هو الكلام الذي يعالج العدل والظلم لا الزوج والفرد ، أليس هذا حقاً ؟

ج — بلى

ط — عندما تكلمتَ بهذا النحو ظننت أن البيان لا يستطيع أن يكون أبداً شيئاً ظالماً لأن كلامه يدور دائماً حول العدالة . ولـكن عندما سمعت بعد قليل أن الخطيب يستطيع أن يستخدم البيان استخداماً ظالماً عجبت واعتقدت أن قوليك متناقضان . وهذا ما جعلنى أقول إنك إذا كنت ترى مى أن المعارضة خير فإننا نستطيع أن نواصل المناقشة ، وإلا فلنتركها حيث وقفنا ؛ فلما أن درسنا الموضوع فيما بعد رأيت بنفسك أننا قد اتفقنا على أن الخطيب لا يستطيع أن يستخدم البيان استخداماً ظالماً ولا أن

(١) ويلاحظ أن جورجياس كان قد قرر من قبل أن من الخطباء من يسيء استعمال البيان « المعرب »

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٥ —

لقد جهد أخونا الغمراوى أن ينقض ما قلت عن الرافعى فجاء بمغالطات لم يعصمه منها ما يتشح به من دين وخلق محتكرين للرافعيين وأغاليط يعرفها طلاب المدارس الثانوية عن المعادن وخواصها ! ثم لم يبلغ بعد الجهد والعرق التصبب إلا كما يبلغ من تقول له : إن هذه المسألة ليست من الرياضيات العالية ، فهى مسألة على « القواعد الأربع الأصلية » وحلها هو كذا . فيأتى لك بحل آخر ، ويظن أن ذلك يخرجها من الحيز الضيق ، حيز القواعد الأصلية ، إلى مجال الرياضيات العالية

ذلك شأنى وشأنه فى تفسير كلام الرافعى ، وربما كان ختام هذه المقالات ، تفكها بتلك « الغمراويات » والأمر لله !

على حدود تعريفنا للشاعر الكبير ، التقينا البارحة بالعقاد فى حديثه عن الجمال ، ونحن بالطبع لم نستقص ما قال ، ولكنها نماذج تبين الوجهة ، وتكشف عن المدى ، وسيأتى غيرها فى « غزل العقاد »

وها نحن أولاء نلتقى به اليوم كذلك فى حديثه عن « الحب » على هذه الحدود ، بل نلمحه وراءها ببعيد ، يهضب فى خطواته الجبارة ، وهو ما يكاد يلتفت باله إلى الزواحف والفواحص حوله من المتطلين على الطريق !

فما الحب عند شاعرنا الكبير ؟

إنه لن يقف به عند اللهفة الظامئة ، أو الفورة العارمة ، ولا عند الحنين والدموع ، أو الفرحة والاستمتاع . فللحب بعد هذا وذلك وشائج بالحياة الكبرى ، ومسارب فى الكون والطبيعة ، ومدارج وملاعب فى ساحة الخلود

وليس هو إحساساً فى نفس فرد ، ولكنه فورة وقوة فى نفس كون ، ودفعة ومضطرب فى ضمير دنيا ، وحياة وحركة فى قلب وجود

وليس هو مصادفة عابرة ، ولا فلتة غير مقصودة ، ولكنه نظام وقصد ، تهيئهما الأقدار لبلوغ مآرب وغايات ، ولتحقيق آمال وخيالات

والنفس الكبيرة التى يحملها العقاد ، والقلوب المنفسحة التى وهبت لأمثاله ، إنما هى معارض يبدى فيها هذا الحب فنونه ويلعب أدواره ويقرب فيها من غاياته ، ويحقق أحلامه فى أنسب الظروف والأحوال !

* * *

فالحب تمهيد للخلود ، ومران على حياة الخالدين ، حتى لا يفاجأ القانون بهذه الحياة ، على بعد النقلة والشقة بين الحياتين !

هذى الليالى الدنيوية نفحة ... من عالم الملكوت والأعراف
لولا النعيم بها لما خطرت لنا ... مُثُلُ النعيم بجنة ألفاف

ولهذا يتيقظ المحبون ، ويسافون النوم . أليس النوم راحة لأهل الفناء من المتاعب وتجديداً لقواهم المنخذلة فى كد المعيشة ، فما شأنه فى اللحظات المقبوسة من النعيم الخالد

يقظة الحب من خلود وماذا ... يصنع النوم بين أهل الخلود ؟
وإذا ذقت من موائد هذا الحـ ... ـب فالنوم من فتات المبيد

والحياة والأحياء ، إنما كانوا ينزعون للخلود ، ويبتغون الدوام ، فلما عز عليهم المطلب ، وأبت طبيعتهم ما يطلبون ، عوضوا عنه بالحب ، فكان عوضاً كاملا شائقاً تمناه الخالدون !

ما الحب ، ما الحب؟ إلا أنه بدل ... من الخلود فما أغلاه من بدل
نزهى به حين يزهى الخالدون بما ... نالوه من أبد باق ومن أزل
داموا فلما تقاضينا الدوام لنا ... قالوا لنا : « حسبكم بالحب من أمل »

رغب بنفسه فى ارتكاب ظلامة ما وأرى — وحق الكلب[1] — أن هذه ليست بمادة مناقشة يسيرة يا جورجياس ، وإذاً فلنبحث فى عمق ما يجب أن نراه فى ذلك الشأن[2]

ب — ماذا يا سقراط ؟ أعندك حقيقة الفكرة التى قد ذكرتها عن البيان ؟

« يتبع » محمد حسن ظاظا

---

(١) كان سقراط يكثر من ترديد هذا القسم . ويرجع البعض هذا « الكلب » للاله المصرى أنوبيس . ويلاحظ هنا النهاية المظيمة التى انتهى سقراط إليها بشأن الخطيب الحق !

(٢) وينتهي هنا القسم الأول من المحاورة ويبدأ القسم الأهم الذى يتناول فيه أفلاطون طبيعة العدالة والظلم ، والذى يقرر فيه أن الخطيب الذى يجعل نفسه فوق القانون ويضلل الجمهور أكثر الناس ظلماً وشراً «المعرب»

داموا وقد حسدونا فى سعادتهم   على السعادة بين الموت والقبل

وفى هذا الاحساس الفريد ، يلتقى الشاعر الكبير ، بالعالم المفكر ، بالفيلسوف العظيم ، وتصح نظرة كل منهم فى الحب ، وغاية الطبيعة منه ، وذلك حد العبقرية فى الفنون

ويصح أن نتبع بما سبق قوله :

أتحلمين بشئٍ كامل أبداً   أتم من عالم فى قلب رِحبين ؟

« فالكمال » المنشود فى الحب صنو « الخلود » أو غايته أو وسيلته: فهو صنوه لأنه غرض مثله من أغراض الحياة ؛ وهو غايته، لأن الحياة إنما تريد الدوام لتتهيأ به للكمال؛ وهو وسيلته ، لأن الحياة لن تنال الخلود وهي ناقصة متحيفة الجوانب والأجزاء وهو هذا كله فى حس الشاعر الملهم بما فى ضمير الأكوان والآباد

ويكمل هذه النظرة ويشرحها حديثه فى كتاب « مراجعات فى الآداب والفنون » فى فصل : « الزهر والحب » :

« لقد تعودنا أن نحسب العلاقة بين الذكر والأنثى أصلاً للحب بجميع صنوفه وألوانه ، ولكننا إذا واجهنا الحقيقة من وجهة أعم وأعمق ، تبين لنا أن هذا الحب بين الذكر والأنثى هو فرع طارئٌ من أصل إلٰهى قديم شامل للموجودات ، مستقر فى طبيعة الوجود ، هو حب الكمال والدوام ، وليس الحب بين الذكر والأنثى غاية فى ذاته ، وإنما هو واسطة من وسائط هذا الحب الأصيل »

والحب قد احتضن الحياة وهى جنين ، حتى إذا برزت للوجود أخذ بيدها وقادها فى مسالك الطبيعة ، وحاول أن يسمو بها عن منبتها وينزع بها إلى الخلد والسماء :

هى الحياة جنين الحب من قدم

لو لا « التجاذب » ما ضمتك أكوان

والتجاذب بين « الالكترون » و « البروتون » يقوم عليه بناء الذرة ، فتبنى على أساسها الأكوان . ولم يكن العقاد في حاجة للعلم بهذه النظرية التى أثبتها أخيراً « تحطيم الذرة » ليقول إن الحياة جنين الحب ، ولكنها الشاعرية الكبيرة تنساح فى تيارها العلوم والثقافات حتى تعود جزءاً منها لا يماز عن طبيعتها وماهيتها

والحب يقود هذه الأرض ، وينزع بها عن منشئها ، ولهذا ينادى ربان الزورق النائم ، وهو في سبحة من سبحات الحب :

نام رباننا وهمنا بعيـــدا   فامض يافلك فى يدى « كوبيد »

واتبعه فالكون أجمع يا فلـــك لَقى فى يمين هذا الوليـد

هو ربان هذه الأرض فأمنـــه على ملكك الصغير الزهيد

وتعلم منـــه عبور السموا   ت فما دون سبحه من بعيد

وإذا كان الجمال كما قدمنا آنفاً هو خلاصة آمال الوجود وأشواقه ، فحب هذا الجمال حب للوجود ، ما كان منه ومن كان . والمعانق للجمال معانق للفضاء بأسره بما فيه من أنواع وأطباع . ومن يعش فى محبوبة الحب فانما يعيش فى الكون كله ، فهو مدار العالم . يتضح كل ذلك فى قصائد متفرقة :

إنا لمن معشر حب الجمال لهم   حب لما كان فى الدنيا ومن كانوا

وأنا المعانق للفضاء بأسره   فى جسم أغيد كالندى شفاف

نحن فى محبوحة الحب وهل   غير هذا الحب فى الكون مدار؟

والحب رفعة للنفس ، ونقلة إلى عالم النجوم ، وعمق فى الحيوية تطول به الأعمار ، وإيغال فى المجاهل والآباد والعهود والأزمان

كم علونا من دارة بعد أخرى   وطوينا العهود بعد العهود

والحب من ينفش ركبه   يساير النجم كل حين

لحظة ترفع عمـــرى   حقبا متصـــلات

ربَّ عمر طال بالرفـــعة لا بالســـنوات

لحظة لا بل خـلود   لاح بين اللحظات

كالسموات تراها   فى شباك الحلقات

رب آباد تجـــلت   من كوى مختلفات

وقطيرات زمان   ملأت كأس حياة

وإننى لأكتفى فى هـذه النماذج ، بماسقتها من أجله ؛ وإلا فوراء هذا مجال واسع لبيان الطرافة فى الحس والتعبير ، وفى رؤية الخلود من خلال هذه اللحظات ، كالآباد تتجلى من كوي مختلفات أو كالقطيرات التى تمتلىء بهـا الكأس ، وهى قطيرات زمان فاضت بها كأس حياة ...

والحب قدرة قادرة ، تهب أصحابها مشابه من الألوهة ، ومقابس من النبوة ، وتنضح بالمعجزة . لا، بل إنها تهب فى بعض الأحيان مالا تهبه الأقدار :

ليس مكان فى السماء كلهـا   عن شاعر أو عاشق بنـاء

بجناحيه من الحب ومن   حسنك الخفاق ينجاب الفضاء
داوني داوني فقد كان عيسى   يبعث الداثرين بالأسمـاء
وكلا الحب والعبادة وحى   فوق ذرع الحجا وفوق الذكاء

أمسيت أنظر لا أرى أمنيـة   كبرت وما خلقي بالاستخفاف
تبسم ألا يرضيك أن ابتسامة   بثغرك أمضى من صنوف القادر

والحب بهذه القدرة يجمّل الحياة ويجددها ، ويخلق منها دنيا بعد دنيا، وكونا وراء كون :

انظر فهل تجد المروج كعهدها   من قبل فى الحدقات والآناف
وهى السماء أم ارتقت أجوازها   فى النور آلافا على آلاف ؟

ويقول فى أبيات بعنوان « معنى جديد » :

قد شهدتُ الزمانَ فى كل وجه   وبلوتُ الحياةَ فى كل معنى
وختمت الدنيا ! فما من قديم   كان إلا يعاد وصفاً ولوناً
فاذا للحياة معنى جـديد   لم نجده من قبـل أو لم يجدنا
ذاك معناك أنت حين وهبت ا   لقلب نوراً من طلعة الشمس أسنى
ومنحت الحب الالهي حبًّا   وكسوت الحسن السماوى حسناً

وفى قصيدة بعنوان : « جمال يتجدد »

كلما قلت لى الربيع جميـل   قلت حقاً وزاد عنـدى جمالا
عجباً لى . بل العجيبة عندى   صور الكون كم يسمن كمالا
خلتنى قـد وعيتهن عياناً   وتبينت من وَعوها خيـالا
شاعراً عاشقاً وقارئ كتب   قرأ الكتب دارساً ، فأطالا
فاذا نظرة بلحظك تبـدى   صوراً ما طرقن عنـدى ببالا
بمداد الأنوار فى أعين الحـب نمد الأكوان والأجيالا

وبعض هذا كان يمكن سوقه فى معرض الحديث عن «الجمال» ولكن التفرقة بين حديث الحب وحديث الجمال فى النفس الشاعرة ليس بمستطاع فى كل الأحوال، وكلاهما مادة واحدة فى الحس والخيال

ويحسن أن نتبع حديث الشعر بحديث النثر، وكلاهما يتساوق ويتكامل فى فن العقاد . يقول فى كتاب المراجعات من فصل بعنوان : « أصل الجمال فى نظر العلم » :

« ومما لا مراء فيه أن الحب يرينا من فتنة الحياة ما لا نراه بغيره وأن جمال المرأة أغلى محاسن هذه الدنيا المشهودة . بيد أن الحب لا يخلق فتنة الحياة؛ وليس جمال المرأة هو كل ما فى الدنيا من المحاسن ، ولكنهما يصبغان الدنيا بهذه الصبغة لأنهما يوقظان القلب ويذكيان الشعور ويبعثان كوامن الوجدان فيفتح لما حوله، ويرى ما لم يكن يراه ، ويستوعب ما كان يلمحه بطرف العين ، ويستحسن ما كان في غفلته عن حسنه قبل أن تتراءى الدنيا لخواطره فى ثوبها الجديد . وكذلك تفعل الخمر حين تركض بالشعور وتلهب الدم فانها تري النشوان من المحاسن مالم يكن يراه فى صحوه وتضاعف إحساسه وعطفه فيشعر بسرور هذا العطف فى داخل نفسه ويشعر فى الدنيا ببهجة تخفى على من حوله؛ ولذلك قيل إن الحب سكر أو أنه ضرب من الجنون»

والحب ملخص للأحاسيس الإنسانية فى نفس الشاعر

غض عينيك قليلا واستمد   خطوات العام فى الأفق الوسيع
كم ترى من خفقة غنت بها   ساعة العمر التى بين الضلوع
كم ترى من قبلة رنت بهـا   تلكم الساعة ؟ قل لو تستطيع
كم ترى من نشوة حامت بنا   حول عليين والعرش الرفيع
هو « حب » فاذا فرقتـه   فهو ما راع قديماً وبروع

ووراء دلالة هذه الأبيات على ما أوردناها له تلمح ملكة التشخيص والتصوير ، وهى تعمل عملها فى نفس الشاعر وتخلق له من لحظات حبه شخوصاً ماثلة فى ضميره ، يغمض عينيه عن الدنيا الظاهرة ليتملاها ويستمتع بها واحدة واحدة ، ويعمق بهذا متعة الحب ، ويجوف خطراته

ولا ننس وراء ذلك كله هذا الخيال الطريف الذى يصور « العام » وهو يخطو فى الأفق الوسيع ، مرموقاً باللحظ والانتباه والاعجاب !

والحب معلم ، يهب الحس فطانة ، والروح نفاذا ، والفكر يقظة، وفيه مهرب من الحياة إذا ساءت إلى دنيا جديدة :

إذا ساءت الدنيا ففى الحب مهرب   وتحسن دنيا من أحاط به الحب
فبالحب تدرى الحسن والقبح عندها   وفى الحب علم لا تعلمه الكتب

والحب هو الذى يعمر القلب ويحييه ، وحين يخلو القلب منه ينتهي إلى عالم خراب ، وجدب كجدب اليباب :

هو الحب الذى يعـ   ـمر هذا القلب لا المجد

حبك إن أخل منه يوماً خلوت فى عالم خراب
يمر بى اليوم لا أراك كما يمر بالأرض عامها القاحل

وهو ليس دموعاً ولا آهات ، وليس ابتسامات وتثنيات :

إنما الحب شراب عاصف يسكر الراوين منه والظماء

لهذا كله فالكون والحياة حفيان بالحب ، يستقبلانه بما فيهما من سرور وابتهاج ، ويهيئان له من الطرافة والجدة كل ثمين مذخور ، ويبذلان له من كنوزهما وأسرارهما مالا يباح ، ويعترفان بحقه عليهما وفضله :

وهو يقول من قصيدة عن يوم لقاء :

قال : سيوفى زائراً فى غد يا لغـد ! كيف غد يشرق
بالشمس ؟ أم شمس غد وحده مذخورة من أجله تخلق
كيما نرى الدنيا ، وماشأنها سربالها المبتـذل المخلق
فى حـلة لا تتحلى بهـا إلا لمن يَعشق أو يُعشق

وفى قصيدة بعنوان عروس الليالى :

عروس الليالى تهبط اليوم من عل وتدنو على طول النوى والتدلل
سرت بين شرق من ضياء ومغرب
وبين جنوب من ضياء وشمال

ولما سألته الحياة جواز المرور بها ، لم يجد أحظى لديها من الحب يفتح منها المغاليق والستور :

قالت جوازك قلت هاك حب أنال به رضـاك
فدخلت فى حذر الحيا ة وراء ألفاف الشباك

***

هذا هو « الحب » عند العقاد : عالم مترامى الأطراف ، وفن من أعجب فنون الحياة ، ومجال للخيال والحس والتعبير على غير مثال

ونحن نعيدها مرة أخرى : لو أن شاعراً قال هذا وسكت لجاوز حد الشاعر الكبير

وعلى هدى من رأيه فى الجمال ، ورأيه فى الحب ، سنتحدث عن « غزل العقاد » . وإن كان كثيرون سيتساءلون الآن : ماذا سيقول غير ما قال ؟ وسنجيبهم بعد قليل : تلك أوليات المقال

« حلوان » سيد قطب

حول أدب الرافعى

بين القـــديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

— ٦ —

لعل من الخير أن ننظر نظرة فى الأمور التى تشبه أن تكون أصولا فى النقد عند صاحب مقالات « بين العقاد والرافعى » والتى يمكن استنباطها من كلامه

ولعل من أبرز هذه الأصول مايصح أن يسمى بالعلمية. ولسنا نريد بالعلمية هنا علمية التفكير ، فقد وزناه من ناحية علمية التفكير فلم نجده منها فى شىء ؛ إنما نريد بها هنا علمية الأفكار . فصاحب تلك المقالات معجب جداً فيما يبدو بالعلم وبما يمكن أن يدخله الأديب فى أدبه من النظريات أو الحقائق العلمية . تعرف ذلك من طبيعة أكثر الأمثلة التى ضربها لتفوق العقاد عنده على الرافعى ، وتعرفه من تجشيمه نفسه قراءة ما قرأ من المباحث العلمية المنقولة إلى العربية كي يرق كما يقول إلى محاولة استيعاب العقاد . وهذه النزعة إلى العلم نزعة تشكر فيه لولا ما يفسدها عليه فى الموضوع الذى هو بصدده من تعصب للعقاد يحمله يتلقى كل ما يرد أو يتوهم أنه ورد على قلم العقاد من الأفكار العلمية كما يتلقى الوحى بالتسليم والاكبار المطلقين

والمثال الأول الذى ضربه لاحتياج الناظر فى أدب العقاد إلى ألوان من الثقافة كالتى استمدها هو من قراءاته العلمية قطعة من «وحى الأربعين» عنوانها « سعادة فى قمقم » . وقد تساءل بعد أن ذكر أبياتها التسعة « هل فهم الرافعيون شيئاً من هذه القطعة مع وضوح كل لفظة فيها وكل عبارة ؟ » . وما نظن الرافعيين أو غير الرافعيين يفهمون من مرماها شيئاً حتى يبلغوا البيت السادس منها

بسر على شفتى فاتن يباح إلى شفتى مغرم

وهو بيت رقيق ليس فى القطعة كلها مظهر للشاعرية غيره ، إذا بلغه القارئ ظن أن القطعة كتبت فى قبلة ، لأن السر الذى

يباح إلى شفتين لا يمكن أن يكون غيرها . حتى إذا بلغ القارئ البيت الثامن

وما أنا بالمشتهي قبلة ولا بالحريص على مغنم

زال عنه كل شك فى المراد من القطعة كلها ، وإن بقى حيث كان من صعوبة توجيه القطعة إلى المعنى المراد كما يصعب أحياناً على قارئ اللغز حتى بعد عرفانه الحل أن يطبق لفظه على الشيء المقصود !

ولكى يشاركنا القارئ فى تقدير القطعة نوردها له وإن شغلت مكاناً .

هنـا قمقم سـابح فى الدم أسائل عنه ولم أعـلم
جهلت خباياه حتى أتى عريف الطلاسم بالمعجم
ففيه كما قيـل مسجونة سعادة بعض بنى آدم
تجن جنوناً بنور الضحى وتذبل فى حبسها المظلم
وقد زعموا أن إطلاقها رهين ببهمة ذاك الفم

إلى هنا لا نظن قارئاً مهما بلغت ثقافته من التنوع والعمق ، وبلغ هو من الاستعداد الطبيعى ، يستطيع أن يدرك من هذه الأبيات معنى واضحاً ، أو أن يقول إن المقصود بها هو قبلة حتى يقرأ عقب ذلك :

بسر على شـفتى فاتن يباح إلى شـفتى مغرم
فهل أنت مطلقها منعماً فديتك أم لست بالمنعم ؟
وما أنا بالمشتهى قبـلة ولا بالحريص على مغنم
ولكنما أنا أبكى أسى لتلك الشهيدة فى القمقم

فليس فى القطعة كما ترى ما يدل على المراد منها غير البيتين اللذين ذكرنا . والآن وقد عرفت المراد هل تستطيع ولو بشيء من التعسف أن تطبق القطعة على القبلة المطلوبة ؟ سيد قطب يقول إنك تستطيع بشرط أن تعرف نظرية فرويد فى العقل الباطن ، وأن تكون على استعداد لأن تحس « بأن النوازع والرغبات المكبوتة فى النفس ، والأشجان والبلابل والاضطرابات التى تعتريها إبان ضرام الحب ، تظل تعتلج فى النفس وتقلقها وتهزها هزاً كمواد البركان المكتوم حتى يتنفس عنها ويتاح لها التعبير فإذا هى سعادة وهدوء وراحة . » « وكيف يكون التعبير ؟ يكون بقبلة على شفتى فاتن تبيح السر إلى شفتى مغرم ، وعندئذ تنطلق تلك الشهيدة فى القمقم التى يبكى لها أسى » . فهل تستطيع الآن بعد هذا التفسير الطويل المبنى على نظرية فرويد فى العقل الباطن أن تطبق أبيات القصيدة على القبلة المقصودة فتقول مثلا ما هو ذلك القمقم السابح فى الدم المسجونة فيه تلك الشهيدة ؟ أما نحن فلا نحسب أحداً فى حاجة إلى نظرية فرويد أو غير فرويد فى العقل الباطن أو الظاهر ليعرف أن رغبات الحب التى يتلهف إليها تؤلمه قبل تحققها فإذا تحققت هدأ وارتاح وسعد زمنا ما ، ولا نحسب معرفة ذلك تحتاج إلى استعداد خاص فى أحـد ، فكل إنسان يدركه فى نفسه ، حتى الطفل لو نطق وأحسن التعبير لقال إن ذلك كذلك ، وفى دموعه قبل تحقق كل رغبة شديدة وابتسامه أو ضحكه بعد تحققها ولما تجف دموعه ما يغنى عن كل نطق وتعبير . لكن صاحبنا ذا الثقافات يزعم أنك لا تعرف ذلك إلا إذا كنت ذا استعداد خاص وتثقفت بنظرية فرويد ! . ليكن ذلك . فكيف يمكن فهم تلك الأبيات إذن فى ضوء نظرية فرويد ؟

إن أقل ما يطلب فى الشعر الجيد ذى المعانى العلمية المتراكبة أن يحتوى على إشارات واضحة تكون مفتاحاً إلى تلك المعانى لمن يعرفها ، بحيث إذا توجه الذهن إليها بدأ يدرك المعنى العميق المقصود ، ولا يزال ذلك المعنى يزداد وضوحاً وتفصيلا بالاشارة بعد الاشارة ، والقرينة جنب القرينة ، حتى يرتفع كل شك فيه ، ويلبسه الكلام كأنما كان مقدراً عليه . لكن هذه القطعة فيها إشارات تصرف الذهن عن معناها إذا كان معناها هو كل ما ذكر سيد قطب . وأول ما تلقى فيها من هـذه الصوارف هو هذا القمقم السابح فى الدم ، فانك تحاول جهدك أن تجد له تفسيرا حتى بعد معرفتك مرمى القطعة فلا تستطيع .

ثم ليكن ذلك القمقم ما يكون ، فعند أى طرفى الحب هو ؟ إن كان عند المحب فهو لا شك يعرف رغبة نفسه ويعرف طريق التعبير الذى يريد ، فلا حاجة إلى معجم عريف الطلاسم ليحل له اللغز . وإذا كان القمقم للحبيبة وكانت سعادته هو مسجونة فيه — كما هو الأقرب إلى المعقول — قام تفسير السيد قطب وتطبيقه نظرية فرويد حائلاً دون ذلك ، إذ تصبح النوازع والرغبات المكبوتة هى نوازع الحبيبة ورغباتها ،

فكأنها هى التى تشتهى القبلة لا هو ، والشعر صريح فى أن عكس ذلك هو المقصود

فالقطعة كما ترى متخاذلة متضاربة إن حاولت أن تطبق عليها كل علم سيد قطب ، وأن تفهم منها بالعقل ما فهم هو منها بالوهم . أما إذا تركت النظرية العلمية جانباً وحاولت أن تفهم من القطعة مرادها فى بساطة بدليل البيتين اللذين ذكرنا لك ، أصبح للقطعة معنى مفهوم على غموض فيه وعيوب فيها . فما دام المطلوب هو قبلة من الحبيبة فيها سعادة المحب ، والحبيبة هى التى تملك منحها من فيها الشبيه إلى حد ما بالقمقم ، أمكن توجيه القطعة وتبرير الشاعر إلى حد كبير في تخيله أن سعادته المتمثلة فى قبلة من حبيبته محبوسة فى فم تلك الحبيبة حتى تطلقها هى . أما وصف القمقم بأنه سابح في اليم فيجب حمله على ضرورة الشعر والقافية ، أو على أنه وصف معيب لشدة احمرار الشفتين ، أو على أن الشاعر أراد أن يلغز فى قبلة فجاء بهذا الوصف وبغيره ليعمى على القارئ بعض التعمية

فأنت ترى أن القطعة لا تحتاج إلى علم فرويد أو علم سيد قطب لحلها ، بل هى تزداد تعقيداً وبعداً عن المعقول إن أنت حاولت إدخال العلم فيها . لكن العقاد لا يكون هو ماهو عند سيد قطب إلا إذا حشر العلم فى شعره ، وإلا فبم يمتاز العقاد على الرافعي ويمتاز هو عن مثل شاكر والعريان ؟

هذا عن المثال الأول . أما المثال الثانى فقطعة مأخوذة عن « عابر سبيل » تحت عنوان «ابنا النور ـ الزهر يخاطب الجوهر» وهى فى رأينا قطعة حسنة أوضح كثيراً من القطعة الأولى ، لكنها لا تحتاج من العلم لفهمها أكثر مما يعرف الطالب الثانوى عن انعكاس الضوء وانكساره وامتصاصه ، وعن التمثيل الخضرى فى النبات . وليس هناك بعد ذلك إلا خيال الشاعر فى التصور يجاريه خيال القارئ فى التصور . وقد أحسن كل الاحسان حين لخص الموقف فى طول عمر الجوهر الجماد وقصر حياة الزهر بقوله على لسان الزهر يخاطب الجوهر :

ومعدن النور فيك حى وفيك معنى الحياة فان
فيا زماناً بلا حياة إنى حياة بلا زمان

وإن كنت تلمح شيئاً من تقصير اللفظ عن المعنى فى قوله : « وفيك معنى الحياة فان » فان « فانٍ » فى الغالب لا تستعمل إلا للدلالة على الموت الذى سيكون بدلا من الموت الواقع ، لكن الشاعر المقيد بالقافية قلما يجتمع له فى الشعر كل ما يريد . على أن المهم فيما نحن بصدده هو ما فى تقدير سيد قطب للثقافة اللازمة لفهم القطعة من الاسراف والتهويل

أما المثال الثالث فهو قول العقاد :

بك خف الجناح يا أيها الطير وما كنت بالجناح تخف
لطف روح أعار جنبيك ريشاً فمن الروح لا من الريش لطف

وهما بيتان ليس فيهما معنى كبير ، وليس فيهما من الصنعة أكثر من عكس الترتيب الطبيعى وهو كثير فى الأدب العربى ؛ لكن سيد قطب الذي لابد أن يجد لكل قول للعقاد معنى علمياً ما أمكن ذلك ، يتمثل في هذين البيتين نظرية علمية يحكيها فى قوله « فعلم وظائف الأعضاء يقول إن الوظيفة تخلق العضو » ويطبق النظرية بقوله : « فوظيفة الطيران هى التى خلقت الريش وقبله الجناح ! » ، فجاء قوله هذا دليلاً واضحاً على أن الأديب إذا لم يترب تربية علمية ، وجمع آراءه وأفكاره العلمية من الكتب والمجلات ، يكون أميل إلى تصديق كل ما يساق إليه باسم العلم وإن خالف فى ظاهره المعقول . وإلا فكيف يمكن أن تخلق وظيفة الطيران الريش والجناح قبل أن توجد الوظيفة نفسها ؟ إذ من الواضح أن لا طيران ولا وظيفة طيران فى طائر قبل أن يوجد الريش والجناح . فلو قال قائل مثل هذا الكلام من غير أن ينسبه للعلم لكان موضعا لتهكم صاحبنا واستهزائه . أما وقد نسب هذا الكلام إلى العلم فيما قرأ فهو يقبله من غير نظر ولا تمحيص .

إن المعقول ليس هو خلق الوظيفة العضو ، ولكن تنميتها إياه . فالعضو لا بد أن يوجد لأداء الوظيفة ، واستعماله فيها بعد ذلك ينميه ويقويه ويرقيه . أما سبب إيجاد العضو فليس العلم يعرفه وإن حاول بعض العلماء أن يفسره بمثل هذا الغرض الذى لا يفسر شيئاً ، والذى لا يعبأ العلم به فى الواقع لأنه لا يمكن أن يختبر صحته لا بالتجربة ولا بالمشاهدة . والفروض العلمية لا حرج على العلماء في فرضها . فليفرض منهم منها ما شاء ما دام ذلك يساعده على التفكير . لكن العلماء يعرفون أن لا قيمة لهذه الفروض مالم

تساعد على إجراء تجارب ومشاهدات لاختبارها ، وما لم تؤيدها هذه التجارب والمشاهدات بعد إجرائها؛ لكن غير العلماء يكبرون كل ما ينسب إلى العلم وينزلونه من عقولهم منزلة واحدة ، فلا يفرقون بين حقائقه ونظرياته وفروضه . وعندنا أن مسارعة المشتغل بالأدب إلى قبول مثل هذا الفرض الذى يخالف المعقول تنازل من ذلك الأديب عن حرية التفكير التى يحرص عليها مثلا ويغالى فيها إذا كان الموضوع لا يتصل بالعلم ولكن يتصل بالدين

والمثال الرابع الذى ضربه سيد قطب لاتساع ثقافة العقاد وتفوقه بها على الرافعى يتصل بنظرية دروين ، وهو مقطوعة « الجيبون » أو « أمام قفص الجيبون » وأحسن ما فى هذه المقطوعة خيالها ؛ أما اتصالها بالواقع وبحقيقة نظرية دروين فليست منه فى شىء كبير . إنها تذكر النظرية كما يفهمها غير العلماء ، فتجعل « الجيبون » أبا العبقرى أى الانسان ، وتجعل الناس أبناء « الجيبون » . والناس في العادة ينسبون هذا الرأى لدروين ودروين منه برىء ، فان دروين لم يقل إن الانسان أصله قرد كما يقول العقاد ، وإن صح أن يفهم من نظريته فى أصل الأنواع بالانتخاب الطبيعى أن القرد والانسان يرجعان فى سلسلة النشوء إلى أصل واحد بعيد ليس بقرد ولا إنسان ، فترقي فرع عن هذا الأصل فصار إنساناً ، وسار فرع آخر سيرة أخرى فصار قرداً . فقول العقاد للجيبون :

كيف يرضى لك البنون مقاماً مزرياً فى حديقة الحيوان

قول يدل على سوء فهم لنظرية دروين

ثم إن النظرية لا تقول بأن الفرق بين الانسان والقرد فرق زمنى فى صميمه ، ولا أن الانسان أقدم من القرد حتى يصح لأحد أن يظن أن القرد إذا استوفى زمنه ومرت عليه ملايين السنين صار إنساناً . إن القرد أقدم ظهوراً على الأرض من الانسان فى حكم العلم إلى الآن ، فلو كان القرد يستطيع رقياً إلى الانسانية لترقي . إن سنن الترقى قد حكمت حكمها بين الاثنين ، فلن يصير القرد إنساناً مهما عاش ، وإن جاز أن ينحط الانسان فيصير قرداً أو شبه قرد إذا قصر فى استعمال ما وهبه الله على الوجه الذى اختاره الله له حقبة كافية من الزمن ؛ فان هناك سنة انحطاط بالترك والاهمال والمعصية ، كما أن هناك سنة ارتقاء بالاستعمال والاحسان والطاعة

والناس يعطون نظرية دروين فوق ما لها من قوة عند العلماء فيظنون أنها تفسر خلق الأنواع ، ويضل منهم بهذا الظن من يضل إذ لم يبق عنده لوجود الإله من داع . لكن النظرية فى حقيقتها لا تفسر إلا حفظ الأنواع ، أما مجىء الأنواع وخلقها فان النظرية لا تفسره . هى — كما يقول دريتش فى محاضرات جيفورد التذكارية — سلبية الأثر لا إيجابيته: تفسر كيف انعدم المنعدم من الأنواع ، ولا تفسر كيف وجد الموجود

على أن من المهم أن ننبه فى هذا المقام أن سنة التطور لا يشك فيها الآن أحد من العلماء ، لكن طريق التطور وعلله وأسبابه هى موضع الأخذ والرد والبحث بينهم . فأخونا على الطنطاوى كان على حق حين أنكر نظرية دروين كما يصورها العقاد فى مقطوعته ، والذى انتقده فى الرسالة على حق فى قوله : إن التطور يقول به كل العلماء المعتد برأيهم ، وعلى باطل إذا كان قصده بهذا أن هؤلاء العلماء يفهمون من التطور ما فهمه ووصفه العقاد فى مقطوعته

فقطوعة العقاد إذا أخذت بتفاصيلها العلمية مبنية على خطأ كبير ، وهى من الناحية العلمية لا تساوى أكثر مما يعتقده الناس عادة فى نظرية دروين ؛ وإذا أخذت من الناحية الشعرية الخيالية وحمل خطؤها العلمى على أنه خيال شاعر كان لها شىء من القيمة ، ولكن شتان بين قيمتها هذه وبين ما يدعيه لها سيد قطب بضعفه العلمى وافتتانه بالعقاد

فالعلمية التى يقيس بها سيد قطب تفوق العقاد على الرافعي علمية ضعيفة ناقصة فى بعض الأمثلة ، ومهوّلة هوّلها الوهم والافتتان فى بعض الأمثلة الأخري . وهى فى الحالين لا تزيد شيئا عنها فى الأمثلة التى جاء بها من كلام الرافعى واتخذ منها سببا للزراية عليه ، وإن سلمت أمثلة الرافعى من الخطأ الذى وقع فى بعض أمثلة العقاد .

ومن أول ما تهكم به على الرافعى من هذا النوع قوله فى حبيبته:

سيالة الأعطاف أين ترنحت تطلق لكهربة الهوى سيالها

وقوله فيها أيضا :

يا نجمة أنا فى أفلا كها قمر من جذبها لى قد أضلت أفلاكي

ولا يزيد قطب فى نقد هذين البيتين على أن يقول مبالغة فى الايحاء بتهكمه إلى القارىء : « ولا شىء وراء هذا العبث الذى

لا نريد له نقاشا » ! . ويظهر أن عيب هذين البيتين وأمثالهما عنده هو وضوح معناهما ، فان الرافعى عنده « سهل جـدا لا يكلف مجهودا ولا عناء » ، مع أننا لا نظنه يفهم كثيرا من « حـديث القمر » لو أعاد قراءته الآن . فصعوبة الكلام على فهمه مزية يكبر بها الكلام عنـده فيما يظهر ، ويسميها فى العقاد سموا وسموقا وإن كان يسميها فى الرافعى مداحلة ومماظلة ! هذا هو القياس عنده فى الواقع لا العلمية ، وإلا فأى فرق فى العلمية بين المعنى العلمى الواضح والمعنى العلمى الغامض لو كان يقيس قياسا صحيحا ؟ بل الوضوح فى المعانى العلمية أحق بالتقدير فى الأدب من الغموض

إن السبيل فى مثل هذا أن ينظر إلى دقة المعنى العلمى ودقة التطابق فى الاستعارة بين الحقيقة وبين المجاز . وليس أصدق فى التعبير عما يعترى المحب من هزة ورجفة إذا اقترب منه حبيبه من تشبيه ذلك بالهزة التى تعترى من يسرى فيه سيال كهربائى . ولا يقدح فى التعبير وحسنه ولا فى البيت وصدقه أن المعنى العلمى المستعار معروف مألوف ، فذلك مما يزيده حسناً عند من يريدون بالكلام الافهام لا الابهام . أما البيت الثـانى فهو من باب الاستعارة التمثيلية النادرة . وهو بيت بقصيدة وحده . ثم معناه ليس بالشائع المبتذل ، والقانون العلمى المشار إليه فيه أعم وأهم من نظرية دروين . فذلك البيت الفريد ليس فيه عيب ولـكن العيب فى ناقده الذى يكيل بمكيالين ويفكر بمنطقين

ومثل هذا البيت الثانى قول الرافعى لحبيبه الناسى له :

يامن على البعد ينسانا ونذكره لسوف تذكرنا يوماً وننسا كا
إن الظلام الذى يجلوك يا قمر له صباح متى تدركه أخفا كا

وهذا البيت الثانى هو أيضاً من الاستعارة التمثيلية النادرة والمعنى المستعار ظاهرة طبيعية معروفة مألوفة ، لـكن المطابقة بين حال الرافعى فى شقائه بحبه المنسى ورجائه الفرج بالنسيان ، وبين ظلام الليل يجلو القمر فاذا جاء الصباح أخفاه — هذه المطابقة فى الاستعارة مطابقة نادرة لا يكاد الانسان يقضى حقها وحق أمثالها عجباً . لـكن صاحبنا الذى يرمى الرافعى ومن معه بأنهم شكليون يخطئ جوهر الموضوع مرة أخرى فلا يرى من البيت إلا تمثيل الحب بالظلام ، والحب عنده لا يكون ظلاماً أبداً فالرافعى لا يمكن أن يكون ذاق الحب أبداً ، وليس يشفع للرافعى أن الحب الذى شبهه بالظلام هو حب شقى به لنسيان حبيبه إياه ، فلا يصح فى إنصاف ولا فى أدب أن يقاس على حب آخر يسعد به صاحبه لاستجابة حبيبه له فيه . لا ! الحب أيا كان لا يمكن أن يكون ظلاماً عند سيد قطب ؛ فمن رآه ظلاماً فقد زل زلة بألف، ودل دلالة قاطعة على أنه شكلى لم يذق الحب قط ! ليت شعر النقد — إن صح هذا — ماذا يكون الحكم فيمن شبه الحب بالجحيم وظلمتها؟ ومن هو ؟ سيد قطب ! هو سيد قطب فى شعره الذى نشره بالرسالة (عدد ٢٢٠) بعنوان « ريحانتى الأولى أو الحرمان »

وإليك بعضه إن كان لا بد أن نذكر لك منه مثالا :

ريحانتى الأولى وروح شبابى أنَّا دعوت سمعت رجع جوابى
أنا فى الجحيم هنا وأنت بجنة من روح إعجاب وريق شباب
أنا فى الجحيم وأنت ناعمة المنى خضراء ذات تطلع وطلاب
أنا لا أريدك ها هنا فى عالمى إنى أعيذك من لظى وعذاب

ولـكيلا تظن أن سيد قطب يتفلسف حين يقول هذا اقرأ له من مقطوعة أخرى من نفس الشعر :

عينى رعتك وأنت نابتة فلم تغفـل ولم تفـتر ولم تتألم
حتى إذا أينعت وانطلق الشذى ألفيت نفسى فى صميم جهنم
ملقى هنالك لا أحس ولا أرى إلا الشواظ وكل داج معتم

أفى نور هذا من حبه يا ترى أم فى جب من جهنم؟ هذا هو الذى لم يعجبه بيت الرافعى فتجنى عليه ما تجنى وأطال ظلمه فيه بما أطال، وأنساه تجنيه وهواه الواقع وما خطت يمينه قبلها ببضعة أشهر ليكون كلامه حجة عليه يفضحه الله به ، وليعلم الناس أجمعون أن مقالات « بين العقاد والرافعى » كتبها عابث يتجنى لا ناقد يتحقق، ولا أديب يبتغى وجه الأدب

محمد احمد الغمراوى

* * *

وقع فى المقال السابق بعض غلطات مطبعية هذا تصويب أهمها :

ص ١٢٦٧ عمود ٢ سطر ٤ بنى بعض الاقسام : صوابه بنفس
» ١٢٦٨ » ١ » ٨ الرافعى عن نفسه : صوابه الرافعى نفسه
» ١٢٦٨ » ٢ » ١ ثبت المقدمة : صوابه تثبت

٢ـ البحث عن غـد

للكاتب الانجليزى روم لاندو

للأستاذ على حيدر الركابى

روم لاندو كاتب انجليزى معروف ، زار بلاد الشرق الأدنى زيارة المستطلع الباحث ، ثم دون ما رأى وسمع فى كتاب نشره بعنوان « البحث عن غد » وقد نشرنا ما يتصل بمصر مترجما بقلم الأستاذ العقاد فلم يعترض على قوله أحد ؛ ثم أخذنا ننشر ما كتب عن لبنان وسورية مترجما بقلم الأستاذ على حيدر الركابى فلم يكد ينشر المقال الأول حتى ثارت النفوس فى بيروت لهذا الحديث الغريب الذى نسبه الكاتب إلى رئيس الجمهورية اللبنانية، وعقدت الوزارة مدفوعة بهذه الثورة جلسة خاصة أبرقت على أثرها إلى الرئيس تسأله وهو فى عرض البحر عن هذا الحديث ، فأجاب بأنه لم يعط حديثا كهذا وطلب من الحكومة أن تكذبه فكذبته . إزاء هذا التكذيب الرسمى لم نشأ أن ننشر ما كتبناه وكتبه غيرنا تعليقا على هذا الحديث الطائش، ولكن بقى لنا أن نسأل : من الذى زور هذا الحديث على فخامة الرئيس ؟ لا يمكن أن يكون أحد غير الكاتب الانكليزي نفسه ، لأن الحديث لم ينشر فى صحيفة يجوز عليها الدس والغفلة ، وإنما نشر فى كتاب أصدره الكاتب تحت اسمه وعلى مسؤوليته، وسمى فيه الأشخاص وذكر المكان والزمان والمناسبة، فلا مناص إذن من أن تتخذ الحكومة اللبنانية إجراء قضائياً أو دبلوماسيا نحو الكاتب (الكاذب) ليتسنى له هو أيضا أن يقول كلمته «المحرر»

الجمهورية اللبنانية

وجهة نظر المعارضة

لقد تحدثت إلى أحد الوزراء كما تحدثت إلى بعض الوجهاء فلمست منهم تأييداً لوجهة النظر الرسمية التى بسطها رئيس الجمهورية، حتى إن بعضهم أكد لى بأن الوحدة العربية إنما هي الوحدة الاسلامية بعينها . ومع ذلك فإن زعماء المسلمين الذين زرتهم قد نفوا لى هذه الفكرة . ومما يؤيد صحة نفيهم أن الشعور الدينى لدى مسلمى لبنان سائر نحو الضعف بصورة جلية تجعل المرء يعتقد أن ميلهم إلى الوحدة العربية لابد أن يكون مبنياً على أسس غير الأسس الدينية . وهذا ما قاله لي عربى من كبار رجال التعليم فى بيروت :

« لابد لنا إذا أردنا الحياة من أن نتعاون فى الأمور العسكرية والاقتصادية، ولا يتحقق هذا التعاون إلا بواسطة الوحدة العربية أو — فى بادىء الأمر — الوحدة السورية . إن الناحية العنصرية لا تهمنا كثيراً، ولكن اشتراكنا فى اللغة وتحملنا نفس المصاعب لما يدفعنا للسعى وراء نوع من أنواع الاتحاد . قد تختلف بلاد مصر ونجد والحجاز وشرقى الأردن وسورية والعراق الواحدة عن الأخرى، إلا أن أمام كل واحدة منها مشاكل متشابهة يجب حلها، منها تعليم الفلاحين والبدو وسكان الجبال، وتعميم الوسائل الحديثة لحفظ الصحة العامة ، ورفع المستوى العام من الناحيتين الثقافية والاجتماعية . إن التعليم فى مصر نفسها لا يتعدى طبقة محدودة راقية . وهناك رابطة التاريخ المشترك التى تعطينا الحق فى أن نفتخر بماض زاهر، ونسعى لاحياء ذكرى هارون الرشيد . ولعلك تعتبر هذه الرابطة خيالية وعاطفية ، ولكنى أؤكد لك أننا نعتبرها دافعاً حقيقياً وقوياً لنا فى نهضتنا . إن الماضى يمكن أن يصبح حاضراً مرة ثانية إذا اتحدنا مع سورية أولا ، ثم مع الأقطار العربية الأخرى »

قد يظن البعض أن العرب الذين يعتنقون فكرة الوحدة السورية غارقون فى بحر من الأوهام . والواقع أن فكرتهم هذه بالرغم من غموضها لأجدر بالتقدير من فكرة الرجال الرسميين ذوى الخبرة الواسعة وأتباع الحقيقة دون الخيال الذين اتضح لى أن تفكيرهم محصور لا يتجاوز مراميهم القريبة . لقد وجدت أنصار الوحدة السورية من العرب عنيفين وغير منظمين، إلا أنى واثق فى نفس الوقت من أنهم أصحاب بصيرة، وأن نار إيمانهم بمثلهم الأعلى لتتأجج تأجج النيران المظيمة فى باطن الأرض

وقد اتضح لى — كما كنت أتوقع — أن كلا الفريقين : الرسمى والعربى كان متطرفاً قد خفى عليه جزء من الحقيقة . وهذا أمر طبيعى فى بلاد أصبحت القومية فيها قوة ذات قيمة بالرغم من حداثة عهدها . والواقع أن ارتفاع مستوى المعيشة وزيادة الثروة قد ولدا في اللبنانيين ميلاً إلى احتراف السياسة [1]

---

(١) أى اتخاذها وسيلة إلى النفع المادى (mercenary)

سواء أكانوا من السياسيين المسيحيين أم المسلمين . وقد سلم بعض العرب فى لبنان بالفكرة القائلة بأن البلاد لا يمكن أن تستغنى عن فرنسا ، وأن الصواب يقضى بالاعتراف بالأمر الواقع ونبذ أحلام الوحدة العربية . وهذا الشعور بالانخذال defeatism قد جعلهم أقل إيماناً بتحقيق المثل العليا فى عرب سورية . ومن نتيجة ذلك — على ما يقال — أن الأغراض الشخصية تلعب فى بيروت دوراً أعظم من الذى تلعبه فى دمشق

النصرانية العملية

إن أعظم مشكلة معقدة يجابهها لبنان هى مشكلة الدين ، فاننا نرى من جهة أن المزج بين السياسة والدين قد حشر الدين فى أمور غريبة عنه فى الأصل . ومن جهة أخرى فان الدين قد أصبح بعيداً كل البعد عن أسسه المشروعة

ليست حكومة لبنان حكومة حزبية ولا هى بالحكومة ذات الاختصاص الفنى البعيدة عن الأحزاب، وإنما هى حكومة تتشكل من ائتلاف دائم يمثل الطوائف المختلفة . فان كلا من الوزير والموظف الادارى والمعلم وطبيب البلدية يعين بالنظر إلى طائفته لا بالنظر إلى مقدرته الفنية . وقد أدى تدخل الكنيسة فى السياسة إلى إساءة الاستعمال كما أدى إلى انحطاط عام فى الدين . وقد كان جميع من تحدثت إليهم (وبينهم أستاذ الجامعة والسياسى والتاجر وصاحب العمل الحر والمسيحى والمسلم) يجمعون على الشكوى من أعمال الكنيسة السياسية، ومع ذلك فلم أجد لدى أحد ما الجرأة الكافية لمعالجة هذا الموضوع

إن الفرنسيين يفتخرون فى بلادهم بفصل الدولة عن الكنيسة، ولكنهم فى لبنان قد استعملوا الاكليروس المارونى منذ البدء لتحقيق غاياتهم السياسية . إن كليات اليسوعيين الفرنسيين ومدارسهم نفسها قد أصبحت مراكز للدعاية الفرنسية، حتى إن أكثر القسيسين الفرنسيين يعتبرون أنفسهم جنوداً يخدمون الراية المثلثة الألوان كما يخدمون الصليب . وقد شعر رجال الاكليروس من غير الموارنة أنهم لا يجوز أن يتأخروا عن إخوانهم فى هذا المضمار فدخلوه بدورهم ، وأخذوا يستعملون نفوذهم الدينى لتحقيق الأغراض السياسية . أما المسلمون فان دينهم فى الأصل لم يفرق بين القوانين الدينية والمدنية ، ومع ذلك فقد كانت سلطة الأئمة والمفتين فى الأمور غير الدينية لا تشمل غير الأفراد التابعين لهم . أما الآن فقد أصبحوا هم أيضاً يلعبون دوراً سياسياً

إن الدولة المنتدبة لم تعمل شيئاً للوقوف فى وجه حركات رجال الدين السياسية، بل هى على العكس قد شجعتهم عليها لأنها أدركت أن أي خلاف ينشب بين فئات متباينة من أهل البلاد من شأنه أن يقوي مركزها . إن روح الاستخفاف التى تنطوى عليها هذه السياسة قد بينتها جريدة الطان بجلاء، إذ أشارت فى مقال لها فى شهر يناير عام ١٩٢٦ إلى مهمة المسيو دو جوفنيل المندوب السامى الجديد بهذه العبارة : « إن وظيفة المسيو دو جوفنيل لواضحة تماماً : فهو يجب أن يفرق لكى يسود » على أن خطر هذه السياسة قد أخذ يتناول الفرنسيين أنفسهم، فالمارونيون شرقيون فى الدرجة الأولى وإن كانوا نصارى ؛ ولا رغبة لديهم فى أن ينقادوا لفرنسا انقياداً أعمى . ومن المحتمل أن يجدوا أنفسهم فى المستقبل فى صف المسلمين

والانصاف يقضى بأن نعترف بأن اشتغال رجال الدين بالسياسة لم يمح كل أثر للشعور الدينى، فاننا نجد بين النصارى طائفة لا تزال شديدة التمسك بالدين ، ألا وهى طائفة الأرمن، وكذلك الفلاحون فى الجبال الذين يختلفون عن باقى فلاحى الشرق الأدنى بسمو أخلاقهم. أما الاسلام فهو منذ الحرب العظمي قد أخذ نفوذه يضعف. وأما الدروز فانهم على الرغم من تمسكهم بدينهم كادوا يفقدون تأثيرهم فى حياة المجتمع الروحية بسبب اعتصامهم وراء طقوس دينهم السرية

إن الكثيرين من مثقفى النصارى والمسلمين لا يفرقون بين الدين كما هو معروف فى بلادهم وما تتطلبه الحزبية من دسائس وفساد . وهذا ما حمل بعضهم على الافتخار بأنه لاديني؛ ففي بادئ الأمر كنت أستغرب قول بعض المتمسكين بتعاليم الدين لى بأنهم ضد الدين، ولكنى ما لبثت أن أدركت أنهم يقصدون بذلك أنهم ضد رجال الدين

إن الحكومة اللبنانية تشعر بضعفها وهي لهذا لا تجرؤ على السعى للقضاء على نفوذ رجال الدين السياسى لكيلا تعرض نفسها لغضب قسم من رعاياها عليها

« يتبع » .

على حيدر الركابى

فتاوى شرعية

معضـــــلات العصر

للأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوى

وزير معارف الحكومة المغربية

— ١ —

إن أهم ما اهتم به النبيون والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين ثم الفلاسفة الأقدمون والمتأخرون ؛ والعلماء المؤلفون ، معضلات عصورهم التى تهم الفكر العام . وعليها يتوقف تحسين حال مجتمعهم وإن كان فى غفلة أو إغفاءة عنها فى بعض الأوقات

ففى عصر نبينا العربى عليه صلوات الله وسلامه ، كان أهم معضلة هى الوثنية وفساد المعتقد وتنوعه فى جانب الله ؛ وعن ذلك ينشأ تشتت الأفكار ، وفداحة الجدل . ثم رداءة حال العرب بل العالم من حيث افتقاره إلى شريعة منظمة تكون رابطة متينة للمجتمع تذهب بها فوضى الحقوق والأخلاق، وتنتظم بها الأحوال وتتناسق الأعمال

وهكذا النبيون قبله ، ما من رسول إلا وقد جاء بحل أهم المعضلات ، وأعقد المشكلات ؛ وكذلك الفلاسفة اليونانيون وغيرهم ما كانت فلسفتهم إلا لحل مشكلات عصورهم ، يعلم ذلك من يتتبع موضوعات مؤلفاتهم المتنوعة

ثم كان علماء هذه الأمة الكريمة على ذلك ، فتجد أكثرهم يؤلف فى النوازل التى تنزل أو يتوقع نزولها بسد المعضلات. وبالنظر فى كتب الفتاوى والأحكام يتبين ذلك ، بل لا تجد كتاباً فى فن إلا والقصد منه سد فراغ وكفاية حاجة من حاجات المجتمع فى نظر مؤلفه

بناء على هذه السنة جعلت هـذه الأوراق أجوبة على أسئلة ثلاثة وردت علىّ من عالم نبيل من علماء أشقودرة (ألبانيا) يطلب منى الجواب عنها وهى :

١ — لبس البرنيطة ٢ — قبض مرتب بدون عمل ٣ — مفتريات أهل الطريقة التجانية

وهذا نص السؤال ، ويليه الجواب :

«صاحب الفضيلة والسماحة والأيادى الجليلة ، لازالت أعماله مشكورة، وآثاره مبهورة ، الأستاذ الكبير الإمام الشيخ محمد ابن الحسن الحجوى الثعالبي الجعبرى وزير معارف الحكومة المغربية . بعد إتحافكم درر التحيات السنية،وغرر التسليمات البهية، أعرض أن كثيراً ما يجول فى عقولنا ويخطر ببالنا الترامى إلى أعتابكم الشريفة سائلين منها حل مسائل يكون الناس فيها ما بين كفر وضلال، وكثر فيها القيل والقال ، حتى افترق الناس فريقين فى أكثر البلاد خصوصاً فى بلادنا الالبانية وأشقودرة ، إلا أن الشواغل التي كثرت لديك من المسائل العلمية التى توجه إليك من جميع الأطراف قد منعتنا من السؤال عنها،لكن عند ما اشتدالخلاف فيها الآن بحيث صار لا يمكن أن يدفعه أحدغيرك فى اعتقادنا ماوجدنا مناصاً من أن نطالب ونرجومن فضيلتكم أن تضع هذه المسائل في مقدمة المسائل التى تعنى بها عناية كبيرة لما لها من شأن عظيم وهى :

مسألة البرنيطة أو القبعة [١] كان ملك ألبانيا قد أصدر أمراً لكل رجل موظف له مرتب شهرى أن يلبس البرنيطة وإلا يعزل عن الوظيفة والمأمورية؛ فهل يجوز لذلك المأمور الموظف أن يلبس البرنيطة تبعاً لأمر الملك أو يترك الوظيفة والمعاش ويقبل العزل ؟ وكذلك قرر مجلس وزراء ألبانيا أن يلبسن البرنيطة جميع الصبيان الذين يداومون بالتحصيل فى المدارس والمكاتب ، فهل يجوز أيضاً لآباء وأولياء هؤلاء الصبيان أن يلبسوا البرنيطة الصبيان أم يقبلوا طردهم وإخراجهم من المدرسة ويتركوهم بدون تحصيل ولا تعليم خصوصاً فى هذا الزمان ؟ يعنى هل يعد التحصيل والمعاش ضرورة للبس البرنيطة أم لا ؟ وغير الوظفين والمأمورين من العوام قد تركهم الملك مخيرين إن شاءوا لبسوا لباس القوم الأرناءودى مع الطربوش الأبيض كما هى عادة أهالى أشقودرة وألبانيا . وهؤلاء الذين تركهم الملك مخيرين هل يباح أو يكره أو يحرم عليهم لبس البرنيطة أو يكفر لابسها

(١) اشتهر فى الشرق إطلاق القبعة بوزن قبرة على ما يطلق عليه لفظ برنيطة وإنما القبعة في اللغة ثوب يخاط كالبرنس يلبسه الصبيان كما فى القاموس وفى المنجد البرنيطة عربيتها القلنسوة . اهـ

إن لبسها بالاختيار . ثم إن القلنسوة التي ذكرها الفقهاء في الكتب الفقهية بقولهم : من وضع قلنسوة المجوس على رأسه قيل يكفر وهو الصحيح ، وقيل لا يكفر . ما المراد بهذه القلنسوة؟ أهي التي جعلوها علامة على خدمة دينية أو الدخول في الدين كطيلسان اليهود وجبة القسيس وما يلبسه صبيان النصارى وبناتهم حين الدخول في التكليف الديني ، أم تشمل كذلك القلنسوة التي لم يقصد منها الدلالة على الدين، وإنما هي لباس أمة صادف أن كان كلها أو معظمها غير مسلمين بحيث يلبسها النصراني واليهودي ومن كان يولد من تلك الأمة ، بها و كذا يلبسها المسلمون في هذا الزمان ، يعني ما الفرق بينهما ؟

المسألة الثانية : رجل ألباني أو بغدادي أو شامي مثلاً في دار يأخذ مرتباً شهرياً سياسة من الحكومات المتجاورة مثل إيطاليا أو فرنسا : أو فرّ وخرج من دار سياسة أيضاً إلى دار أخرى ويأخذ من تلك الحكومة التي يقيم فيها هل يحل لذلك الرجل أن يأخذ فرنكات كثيرة من تلك الحكومة المجاورة أم لا

المسألة الثالثة : وهي أن الطريقة التجانية المنتشرة في أكثر البلاد حتى البلاد الأرناؤودية ولا سيما بلدتنا أشقودرة هل المندمج فيها غير مناف للشريعة الغراء ، ومنتسبو تلك الطريقة يدعون أفضلية قراءة (صلاة الفاتح) لما أغلق على تلاوة القرآن ستة آلاف مرة وهو أكبر الأذكار متأولين بأن ذلك بالنسبة لمن لم يتأدب بآداب القرآن كما فصله في (كتاب جواهر المعاني) المنسوب إلى التجانية ، وأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الصلاة الخاصة إنما يترتب عليها الثواب إذا اعتقد أنها من كلام الله القديم من قوله عليه السلام : من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشراً . وإن تلك الصلاة مع فضيلتها بتلك المثابة لم يعلمها النبي عليه السلام لأحد إلاّ لمؤسس تلك الطريقة ، وفي ذلك مالا يخفى من لزوم الكتمان ومنافاته للتبليغ المأمور به عليه السلام ؛ وإن مؤسس تلك الطريقة أفضل الأولياء ، مع أن الإجماع هو أن الأفضل بعد نبينا محمد عليه السلام الخلفاء الأربعة على الترتيب المعلوم ؛ وأن من انتسب إلى تلك الطريقة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ويغفر ذنوبه الصغار والكبار ، حتى التبعات وغير ذلك مما هو مبسوط في الكتب التجانية .

فهنا نحن متعطشون لفتواكم فهي لنا بمثابة نور يسطع وسط الظلمات فيبددها حتى نكون بعد ذلك على طمأنينة ، ولذلك نطلب ونرجو من فضيلتكم توضيح هذه المسائل المهمة بالبراهين القاطعة والأدلة المقنعة موقنين أنكم ممن يعملون بقوله تعالى (وأما السائل فلا تنهر) نسأل الله تعالى أن يفيض عليك من نعمه ، ويمدك بوافر فضله وكرمه ، وأن يقيك من جميع البلايا والآفات ، في جميع الأزمان والأوقات ، وتقبلوا فائق احترامي وجميل شكرى

أحد منتمى العلم في بلدة أشقودرة

حافظ ابراهيم ريبشطى

وأن تتفضل بإرسال الأجوبة الشافية بكتاب خاص بالعنوان بالحروف اللاتينية :

Hafiz Ibrahim Repishti
Albania Scutari

انتهت الأسئلة بحروفها

(يتبع) محمد بن الحسن الحجوى

١٥ ، ١١

مصر والبلاد العربية

للدكتور زكي مبارك

أشكر لأدبكم وكرمكم التفضل بالحضور للتسليم على صديق كان اغترب مدة فى سبيل خدمة العلم فى العراق

وأعتذر عن كلمة « اغترب » وأقترح حذفها من المعاجم فهى كلمة تفردت بها اللغة العربية ، ولا يكاد يوجد لها نظير فى اللغات الأجنبية، وعن لغة العرب نقلت إلى الفارسية والتركية وهى كلمة حزينة يتمثل سوادها فى كلام من يقول :

وكل محبٍّ قد سلا غير أننى غريب الهوى ياويح كل غريب

وفى كلام من يقول :

أنا فى الغربة أبكى ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجى من بلادى بمصيب
عجباً لى ولتركى وطناً فيه حبيبي

ولى مع هذه الكلمة الحزينة تاريخ ، فقد سببت أول معركة أدبية شهدتها فى العراق ، ذلك بأنى كنت نشرت مقالا فى مجلة الرسالة عنوانه « القلب الغريب فى ليلة عيد »

فمزّ على أدباء العراق أن أقول إنى فى بلدهم غريب ، ودار الجدل أشهراً حول ذلك المقال فى الجرائد والمجلات. والحنين إلى الوطن مرض لا يصيب غير الضعاف فى عالم الانسان والحيوان ، فأرجو أن يكون فينا من القوة مايعصمنا من هذا المرض المضال

أنا ما كنت غريباً فى العراق ، وإنما كنت بين أهلى وقومى. وإذا صح للمصرى أن يشعر بالغربة وهو فى وطن عربى مثل العراق فماذا ترونه يصنع لو هاجر إلى بلد فى استراليا أو فى إحدى الأمريكتين ؟

لقد آن للمصرى أن يبرئ نفسه من ذلك المرض الذى يقضى بأن يتوجع حين تنقله الحكومة من القاهرة إلى حلوان ، آن للمصرى أن يفهم أن فى دمه روحاً عربياً يسوقه إلى الانتقال من أرض إلى أرض فى سبيل المنافع العلمية والأدبية. آن للمصرى أن يفهم أن رجولته لا تكتمل إلا إذا واجه المصاعب واستطاع أن يخلق لنفسه ولوطنه أصدقاء فى مختلف البلاد

وما أقول انى كنت أقوى من سائر الزملاء الذين تشرفوا بخدمة العلم فى العراق ، وإنما أقول إنى رضت نفسى على التخلق بأخلاق أسلافنا من العرب فرأيت الأرض كلها وطناً أصيلا ولم تجر كلمة الغربة على لسانى إلا تأثراً بالميراث الحزين الذى قضى بأن تتفرد لغتنا بكلمة « غريب » من بين سائر اللغات

ولما زار سعادة العشماوى بك مدينة بغداد دعا الأساتذة المصريين لسماع ما قد يكون عندهم من مقترحات أو شكايات ، فمضيت أبحث عمن أعرف منهم لأصدهم عن حضور ذلك الاجتماع فقد كنت أحب ألا يكون بيننا وبين حكومة العراق وسيط ولو كان ذلك الوسيط هو العشماوى بك الذى أحب العراق وأحبه العراق .

إن صداقتنا للعراق لاتزال فى أول عهد من عهود التكوين، وهى لا تزال فى حاجة شديدة إلى من يحرسها ويرعاها ، وهى تستحق الحراسة والرعاية لأنها رباط بين أمتين كانت بينهما صلات ودية من أقدم عهود التاريخ

ولايعرف قيمة هذه الصداقة إلامن زارالعراق. فأهل العراق بمودتهم المتينة يمثون فينا شعور الثقة بالنفس ، ويفرضون علينا أن نؤمن بأن جهادنا فى سبيل العلم والمدنية لن يضيع

أهل العراق منا ونحن منهم . ولو نطقت الأحجار لحدثتكم أن علماء العراق اتصلوا بمصر ونقلوا إليها علومهم ومعارفهم يوم أراد التتار أن يقرضوا حضارة بغداد

ولعل هذا هو السبب فى أن مخارج الحروف لا تتفق بين أمتين عربيتين كما تتفق بين مصر والعراق

أهل العراق مناونحن منهم؛ فالمؤلفات القديمة فى معاهدمصر هى فى الأغلب عراقية ، والمؤلفات الحديثة فى معاهد العراق هى فى الأكثر مصرية . فأرجوكم بالله أن تكونوا جميعاً أنصاراً للاخوة التى تربط بين مصر والعراق

وقد عجب بعض الناس حين رأونى أتصدى لدفع الأذى عن سمعة العراق، فاعرفوا إن شئتم أنى أدفع ديناً ثقيلا. فأهل العراق فى

نص الخطاب الذى ألقاه فى حفلة تكريمه

أنديتهم وجرائدهم ومجلاتهم ومدارسهم يدفعون عن مصر قالة السوء ويخاصمون فى سبيلها كثيرا من الناس، ولو عرفتم من ذلك بعض ما عرفت لرأيتم أن من القليل أن ينهض كاتب أو كاتبان للاشادة بفضائل أهل العراق .

إن القاهرة تقوم فى العصر الحديث بالواجب الذى كانت تقوم به بغداد فى عصر بنى العباس، فمن واجب القاهرة أن تحمل من التكاليف ما حملت بغداد، بل من واجب القاهرة أن ترحب بمطلع اليوم السعيد الذى يقضى بأن يكون لها فى الشرق منافس قوى هو بغداد ، فتفرد القاهرة بالزعامة الأدبية قد يضر أكثر مما ينفع ، لأن التفرد بالتفوق قد يخلق عيوبا أيسرها الزهو والخيلاء والاطمئنان إلى أن ليس فى الامكان أبدع مما كان

وقد بدأت هذه العيوب تظهر مع الأسف، فأهل مصر شغلتهم ثقافتهم التى اتسعت وتشعبت عن التطلع إلى ما يبدع أهل العلم والأدب فى العراق وسورية ولبنان وفلسطين والحجاز واليمن والجزائر وتونس ومراكش وما إلى هؤلاء من البلاد العربيـة ؛ وانصراف أهل مصر عن الأدب فى تلك البلاد يحجبهم عن تطور الحياة فى أقطار حية سيكون لها باذن الله مكان بين الأقطار التى تسود العالم فى المستقبل القريب

* * *

ومن الواجب فى مقامى هذا أن أوجه أنظاركم إلى حقيقة لا يختلف فى صحتها اثنان : تلك الحقيقة هى أن مصر تنفرد اليوم بالسيادة العقلية فى البلاد العربية . فمؤلفات مصر ومجلات مصر ليس لها مزاحم يخشى خطره فى تلك البلاد ؛ وشعراؤنا وكتابنا هم الذين يقدمون الغذاء الأدبى لجمهور المتعلمين فى الأقطار العربية، وبفضل إقبال أولئك الاخوان على مؤلفات مصر ومجلات مصر استطاعت اللغة العربية أن تقف على قدميها بجانب اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية . فاللغة العربية هى اليوم لغة حية حقا وصدقاً ، وهى تكافح وتناضل لتسيطر وتسود . وما كان من الغريب أن تسيطر اللغة العربية في أقطار كتب الله أن تستعرب منذ أجيال طوال ، ولكن فساد الزمن وتوالى الأحداث والخطوب جعل سيادة اللغة العربية فى بلادها من الغرائب ، فلنفهم ذلك ولنواصل الجهاد ، ولنعرف أن من أعظم الشرف أن نكون فى الحيـاة من المجاهدين، ولنتذكر دائماً أن انتصار اللغة العربية فى أوطانها هو البشير بأن تلك الأوطان تستمد من حيث تشعر أو لا تشعر لحياة مجيدة سترون أعلامها بعد حين

وإخواننا العرب يعجبون من تفرد مصر بالتفوق فى اللغة العربية ، فان أذنوا شرحت لهم بعض أسرار هذا التفوق . فمصر هى الأمة الوحيدة التى استعربت استعراباً تاماً ، وصارت العربية لغتها الرسمية والقومية فى مدة ترجع إلى ثلاثة عشر قرناً . وهذا حظ لم يظفر بمثله المغرب ولا الشام ولا العراق ، فما انقرضت اللغة البربرية فى المغرب، ولا اللغة السريانية فى الشام ، ولا اللغة العبرانية في فلسطين ، ولا اللغة الـكلدانية فى العراق

وإنا لنرجو أن تكون لمصر يد بيضاء فى رجوع اللغة العربية إلى بلاد فارس بفضل المودة الجديدة التى أنشأتها المصاهرة الملـكية بين مصر وإيران . فمن المؤكد أن قادة الرأى فى تلك البـلاد سيراعون عواطفنا مشكورين فلا يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، كما فعل إخواننا الأتراك سامحهم الله حين استبدلوا الحروف اللاتينية بالحروف العربية

وقد وقع بينى وبين سفير إيران فى العراق عتاب حين رأيته أول مرة فى بغداد ، ولم أكن أعرف أن الله سيخلق بيننا وبينهم صلات جديدة تجعل من الحق علينا أن نذكرهم بماضيهم الجميل فى خدمة لغة القرآن يوم كان منهم كبار النحويين وكبار اللغويين

إن فرنسا لها مدرسة فى طهران لنشر اللغة الفرنسية بين أهل إيران ، فمتى يجىء اليوم الذى تقوم فيه مدرسة عربية فى وطن الجرجانى والتوحيدى وابن العميد ؟

لقد ألفت كتابى النثر الفنى أول مرة باللغة الفرنسية وأنا فى باريس ، وكان قلبي يفيض بالحزن الدامى كلما تذكرت أن أكثر من تحدثت عنهم فى كتابى كانوا رجالاً نشأوا فى بلاد فارس ، وأن لغة العرب فى تلك البلاد صارت غريبة الوجه واليد واللسان

وكذلك كان حالى حين ألفت كتاب التصوف الاسلامى فقد رأيت أن أرواح التصوف هبت علينا من الأقطار الفارسية

فيا أصدقائى الأعزاء فى إيران تذكروا ثم تذكروا وأنتم مسلمون أبرار أن اللغة العربية هى لغة القرآن ولغة الرسول ، وتذكروا أن الأمم العربية لها فى العالم السياسى والأدبى

والاقتصادى موازين ، وأنها خليقة بأن تزيدكم قوة إلى قوة حين تراكم ترحبون باللغة العربية التى كان لها فى بلادكم أبناء وأحفاد وأسباط ...

تلكم مكانة مصر بين الأمم العربية والاسلامية ، وذلكم حظها بين الممالك والشعوب ، وهذا التجاوب الأدبي بيننا وبين من نعرف ومن لا نعرف لم يقع من باب المصادفات ، وإنما هو علامة حب صادق يضمره لمصر من عرف فضلها من الرجال

وأخشى ، والحزن يغمر قلبي ، أن يكون ما ظفرنا به من المجد الأدبي ميراثاً تلقيناه عن أجدادنا النبلاء الذين ملأوا الدنيا بالتأليف والتصنيف وجعلوا مصر تاجاً تزدان به هامة اللغة العربية

أخشى ألا تكون لنا سياسة رشيدة تفكر دائماً فى حفظ مكانة مصر بين الأمم العربية . أخشى أن نجهل نعمة الله علينا فننسى أننا أغنى الأمم العربية بالأموال والرجال . أخشى ألا نعرف أن الجهاد فى سبيل اللغة العربية هو مجد أبقى على الزمن من الأهرام ومن قصر الكرنك وقصر أنس الوجود

إن اللغة العربية هى التى ستجعل لنا لسان صدق فى الآخرين، وهى التى ستسطر محامدنا على جبين الزمان

والذي أدعوكم إليه هو تجارة لا تعرف غير الربح ، فان كنتم فى ريب من ذلك فسيروا فى الأرض وانظروا كيف تذكر مصر بالحمد والثناء

إننى أفرض زيارة الشرق على رجلين : الأول وزير المعارف والثانى وزير الخارجية

أما وزير المعارف فهو اليوم معالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وليته كان فى بغداد كما كنت فى بغداد يوم ظهور كتابه عن منزل الوحى . ليته كان هناك ليرى كيف استقبل البغداديون كتابه بموكب لم يعرفه القاهريون . وأما وزير الخارجية فهو اليوم دولة عبد الفتاح يحيى باشا ، وليته يرى كيف يأنس أهل بغداد إلى صوره الكاريكاتورية فى الجرائد والمجلات ، إنه لو رأى ذلك لعرف أن مصر لا تعيش وحدها وإنما تعيش فى أنس بأصدقائها فى الشرق

ولن أنسى اليوم الذى زرت فيه نادى المعارف فى بغداد مع سعادة الأستاذ طه الراوى ، فقد رأيت مكتب رئيس النادى يزدان بصورتين كريمتين : صورة الملك فاروق الأول وصورة الزعيم سعد زغلول

ولما زرت النجف أراد أدباؤه أن يقدموا إلى هدية فكانت تلك الهدية هى صورة الرجل الموفق محمد المشهاوى بك، وكان زار النجف واستقبل فيه أكرم استقبال

ولما زرت الموصل رأيت رئيس نادى الجزيرة أحد تلاميذى القدماء فأحسست أننى فى دارى وبين أهلى

فيا أهل مصر ، متى تعرفون نعمة الله عليكم ؟ ومتى تؤدون للأمم العربية واجب الوفاء ؟

إن الذى كتب أن تكون عاصمتكم عروس الشرق هو وحده القادر على أن يجعلكم أهلا لرعاية المهد وحفظ الجبل

زكى مبارك

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٣ —

ألقاب الاعراب والبناء

جعل النحاة للاعراب ألقاباً هي : الرفع والنصب والجر والجزم ، وجعلوا للبناء ألقاباً هي : الضم والفتح والكسر والسكون ، وقد رأت جماعة وزارة المعارف أن هذه التفرقة دعت إليها الدقة في الاصطلاح بدون حاجة إليها ، ولهذا رأت ألا يكون هناك فرق بين ألقاب الاعراب وألقاب البناء

ولا يخفى أن ما ذهبنا إليه من إنكار البناء في العربية لا تتأتى معه هذه التفرقة ، ولكن لا بد فيما ذهبنا إليه من أن يبقى الرفع والنصب والجر والجزم ألقاباً للاعراب ، وتبقى الحركات من الضم والفتح والكسر وما ينوب عنها والسكون وما ينوب عنه علامات لهذه الألقاب . ولا شك أن ما تذهب إليه هذه الجماعة من أن يكون لكل حركة لقب واحد غير جدير بالاعتبار ، لأن هذا قد يمكن في الإعراب بالحركات ، أما الاعراب بالحروف فلا يتأتى فيه ذلك ، لأنا إذا جعلنا الرفع عبارة عن حركة الضم لم يمكن أن نجعله عبارة عن حرف من الحروف التي تدل عليه ، كالواو في جمع المذكر السالم ، وكالألف في المثنى . ومن الاعراب بالحركات مالا يتأتى فيه ذلك أيضاً ، وهذا كما في جمع المؤنث السالم في حالة النصب ، لأنه ينصب بالكسرة ، فلا بد أن تكون الكسرة في ذلك علامة لا لقبا ، لبعد ما بين اللقب والعلامة فيه . وإذا كانت جماعة وزارة المعارف قد وجدت من السهل ألا تفرق بين النصب والفتح في مثل — رأيت إنساناً — فانه يصعب عليها ألا تفرق بين النصب والكسر في مثل — أكلت تفاحاتٍ

الجملة

رأت الجماعة أن تجرى في النحو على اصطلاح علماء المنطق فتسمى جزأى الجملة موضوعاً ومحمولاً ، والموضوع هو المحدث عنه في الجملة ، وحكمه الضم عندها إلا أن يقع بعد إن أو إحدى أخواتها ، والمحمول هو الحديث أو المحدث به

١ — ويكون اسما فيضم إلا إذا وقع مع كان أو إحدى أخواتها

٢ — ويكون ظرفاً فيفتح

٣ — ويكون فعلا أو مع حرف من حروف الاضافة أو جملة ويكتفى في بيان إعرابه بأنه محمول

وترى الجماعة أنها بهذا كله يسرت إعراب الجملة وقللت اصطلاحاتها وجمعت أبواب الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ واسم كان واسم إن في باب الموضوع ، وجمعت أبواب خبر المبتدأ وخبر كان وخبر إن في باب المحمول ، وخففت عن المعلمين والمتعلمين برد باب ظن إلى الفعل المتعدى

ونحن نرى أن كلاً من تقليل الاصطلاحات وتفصيلها قد يكون يسراً في العلم وتدوينه ، وقد يكون يسراً فيه ، فيجب أن يصار إليهما بقدر ما تدعو إليه الحاجة فيهما ، وإلا كان الاجمال غموضاً في العلم وكان التفصيل حشواً لا فائدة فيه ، وهذه الأبواب التي جمعت في باب واحد ذات أحكام كثيرة مختلفة ، فمن الواجب أن يقتصد في جمعها ، وقد يؤدى الاسراف في تقليل اصطلاحاتها إلى عكس ما نرجوه منه

والذى نراه في ذلك أن يلحق باب كان وأخواتها وباب إن وأخواتها بباب المبتدأ والخبر ، فتجمع هذه الأبواب الثلاثة في باب واحد ، ويعرب اسم كان وخبرها مبتدأ مرفوعاً (١) وخبراً منصوباً ، ويعرب اسم إن وأخواتها مبتدأ منصوباً وخبراً مرفوعاً لأن الاعراب فرع المعنى ودليله ، وهذه الصيغة الاعرابية المشهورة لا يمكن أن تدل على معنى في جملة كان وأخواتها وجملة إن وأخواتها ، بل هي صيغة لا معنى لها في ذاتها ، إذ لا يمكنك أن تفهم معنى لكون اسم كان وأخواتها اسماً لها ، ولا لكون خبرها خبراً لها ، وكذلك الأمر في إن وأخواتها ، فصاحب الخبر في قولك : كان زيد قائماً — هو زيد لا كان ، وموقعه في هذه الجملة موقع المبتدأ المخبر عنه ، فأصدق شيء في إعرابه أن يقال إنه مبتدأ ، وأن يقال فيما بعده إنه خبره لا خبر كان ،

---

(١) مذهب الكوفيين أن اسم كان باق على رفعه قبل دخولها عليه

وليست كان في جملتها إلا قيداً فيها، لأنها تقيد الخبر بمفادها وهو الزمان الماضي، فكأنك قلت في ذلك المثال — زيد قائم في الزمان الماضي (1)

وأمر ذلك في إن وأخواتها أظهر منه في كان وأخواتها، لأن قولك — إن زيداً قائم — لا تفيد إن فيه إلا تأكيد ثبوت الخبر للمبتدأ، فلا يزال المبتدأ فيها مبتدأ على معناه وإن تغير إعرابه، ولا يزال الخبر خبراً له باعرابه الذي كان له

وليست منزلة هذه الأدوات من المبتدأ والخبر إلا كمنزلة أدوات الشرط من فعل الشرط وجوابه. وأنت حينما تعرب فعل الشرط لا تقول إلا أنه فعل الشرط، ولا تقول إنه فعل الأداة، وكذلك تقول في الجواب إنه جواب الشرط، ولا تقول إنه جواب إن وأخواتها، فاذا أضيف الشرط أو الجواب في بعض الأحيان إلى هذه الأدوات فان ذلك لا يكون إلا على ضرب من التجوز، لما لها من علاقة المجاورة والعمل فيهما، ولا يدل على أمر حقيق في معنى الجملة

فهذا هو الذي نراه في اختصار هذه الأبواب، قد راعينا فيه ما يجب من مطابقة الاعراب للمعنى، ولم نقصد فيه الاختصار لذاته كما قصدته هذه الجماعة

وعلى ما ذهبنا إليه في ذلك يكون المبتدأ هو الاسم المحدث عنه في الجملة الاسمية، فيشمل ذلك اسم كان واسم إن، ويكون الخبر هو الاسم المحدث به في الجملة الاسمية، فيشمل ذلك خبر كان وخبر إن. وقد ذهب الكوفيون إلى أن المنصوب بعد كان وأخواتها حال لا خبر؛ ويمكن على هذا أن يكون المرفوع بعدها فاعلا لها، ويكون حكمها في ذلك حكم سائر الأفعال، ولا يكون هناك داع إلى تقسيم الأفعال إلى تامة وناقصة

ولا نرى بعد هذا كله في ذلك الموضوع إلا أن يلحق باب النائب عن الفاعل بباب المفعول به وغيره مما ينوب عن الفاعل، فيكون لنا مفعول به مرفوع في نحو — قُضيَ الأمرُ — ومصدر مرفوع في نحو — فاذا نُفخ في الصور نفخة واحدة — وظرف مرفوع في نحو — سهرت الليلة — وهذا الاعراب أولى من الاعراب المشهور في ذلك، لأن إعراب ذلك نائب فاعل لا يقوم على أساس قوي، إذ ليس في ذلك إلا حذف الفاعل للعلم به أو نحوه مما يحذف لأجله، والمفعول بعد حذف الفاعل باق على مفعوليته، ولا معنى لدعوى نيابته عن الفاعل، بل قد يحذف الفاعل ولا يوجد ما ينوب عنه، نحو — سُقط في أيديهم — وهم يذهبون في هذا إلى نيابة المجرور، ولكنه تكلف ظاهر، وليس من اللازم أن ينوب شيء عن الفاعل عند حذفه، كما لا يلزم هذا في حذف المبتدأ ونحوه

« يتبع » أزهري

(1) قال الصبان: إن تسمية المرفوع اسم كان والمنصوب خبرها تسمية اصطلاحية خالية عن المناسبة، لأن زيداً في — كان زيد قائماً — اسم للذات لا لكان، والأفعال لا يخبر عنها



موت فرنشيسكو فرنشا

مترجمة عن الايطالية

... —

يا بنى ! لا جدال فى أن عصر النهضة الايطالية عصر ربيع للحياة الفنية العظيمة ؛ أورق فيه الفن وأزهر ، ونهض الرسم نهضة قوية جبارة ، إذ نفض عن كاهله رماد الموت ، ونفخ فى هيكله روح حياة جديدة ، فجاءنا بكل شهى بهى ، وأسعف ذوقنا بكل رائع خلاب

أوجد من الرجال العظام ومن الرسامين الفطاحل ما يدهش لعده وحصره كل قارئ وكل مؤرخ : رجال أكفاء ، أفذاذ ، فى المناقب والأعمال، جبابرة فى التفكير ، عظماء فى الابداع والخيال

وكلنا مشوق ولا شك إلى دراسة حياة رجالات هذا العصر ، لتفهم طراز درسهم للفن ، وطرق تدرجهم نحو ذروة الكمال والمجد : بعد أن طواهم الردى واحتوتهم الرموس ومن الغريب العجيب كما قال (أوسيان) أننا حين ذكرانا لهم وتتبعنا لخطواتهم ينهضون معاً ويأتوننا مجتمعين ليذكرونا بقيمة فنهم المتحد المشترك ، وبقوة الدهر الذى عاشوا بين أحضانه حتى أصبحوا خير مثل

هناك حوادث كثيرة ، ومناقب طريفة نقلها إلينا تاريخهم العاطر المجيد ، قد نظنها عند سماعها إنها من خيال الكتاب أو من تزويق الرواة مستحيلة الوقوع خارقة لطبيعة الواقع. ولكن ها هي آثارهم الخالدة لا تزال تستهوى لبنا بعد أن طواها البلى، فكيف بها وقت أن كانت فى صبح شبابها الرائع ، وفى عصرها الذهبي الذاهب ؟!

هناك قصة يهلع لسماعها القلب ويخشع ، هى قصة الفنان العظيم (فرانشيسكو فرانشا) أستاذ المدرسة البولونية اللومباردية

ولد فرانشيسكو فرانشا فى أسرة متواضعة فقيرة

* * *

ثم جعله أهله فى صغره عند صائغ فكان الفن الرفيع متجلياً فيما يبدع . ولما شب كان أمراء (لومبارديا) يتقدمون إليه لينقش لهم صورهم على العملة التى كانوا يسكونها . ولم يقتصر الإعجاب به على أمراء بلاده فحسب، بل تعداهم إلى أمراء المقاطعات المجاورة ، فكان هؤلاء إذا زاروا (بولونيا) — موطن الفنان — أوفضوا إليه ليطبع صورهم على اللوحات المدنية ، وينقشها على العملة التى يريدونها ، كما كان يصنع لأمراء بلاده وأقيالها

ومع ما بلغه فرانشيسكو من المنزلة السامية والمكانة المرموقة كانت نفسه التواقة تتطلع إلى ذروة أسمى مما وصلت . ولما بلغ الأربعين حولاً ، وجه عزيمته الجبارة لشق طريق جديدة لم يسلكها أحد قبله ...[1] تعتمد على العلم والدراسة والذوق والحس... وها هو ذا يبدأ بدراسة الرسم، فيدرس توافق وتراكيب الرسوم[2] ، وتناسب وامتزاج الألوان[3] ، وأثر وقوى النور ، وأساليب رسم المنظور بالطرق الهندسية[4] . فاستطاع بعد هذه

(١) المعروف أن الفن الايطالى أخذ بالنهوض منذ القرن الحادى عشر — وأذا لم نغالي فنقول منذ القرن التاسع — على يد «جاكوبو توريتى» ومن ثم على يد «جوتو» إلى أن يأتى القرن الرابع عشر فنهض الرسم على يد نخبة صالحة كالراهب «انجيليو» الذى استطاع أن ينفخ فى رسومه روح الوداعة الملائكية، أو «شبلو» الذي درس المنظور دراسة واسعة «وأندرا كستانيو» و «مزاجو» وغيرهم ... إلى أن يأتى فرانشيسكو وغيره من العظماء الاساتيذ

(٢) أعنى — La composizione

(٣) أعنى — L'armonia

(٤) أعنى — La prospettiva

الدراسة يخط فى مدة قصيرة لنفسه طريقة جديدة فى عالم التصوير: هى المعروفة فى التاريخ (باسم المدرسة البولونية اللومباردية)

اعترى سكان لومبارديا ضرب من الذهول والتعجب حين طلع عليهم فرانشيسكو بلوحاته الجميلة وجاماته البديعة، وكانوا يعتقدون استحالة الجمع بين النقش والتصوير، وخاصة بهذه السرعة العجيبة. ولكن الأمراء لم يسيروا مع ذهولهم ولم تطل ساعة تعجبهم بل راحوا يختطفون ما أنتج من لوحات وما أبدع من جامات ليزينوا بها دورهم وقصورهم كما كانوا يستبقون قبلاً لشراء آثاره المدنية المنقوشة ...

نال فرانشيسكو فرانشا منزلة سامية فى الرسم لا تقل عن منزلته فى النقش فى وقت كان فيه اسم (رافائيلو سانسيو) العظيم فنان روما وصاحب الحظوة عند البابا، قد سار به الركبان وردده الخافقان. فنجاح فرانشيسكو إذن لا يفسر بخلو المكان وفقدان المنافس، كما أن شهرته فى النقش لم تكن ذريعة للنجاح أو الزلفى إلى الأمراء والكبراء، لأن الكفاية الفنية ليست كضربة لاعب أو رمية رام؛ بل هى ومضة علوية تشع آلاف الأشعة الوهاجة، فتنير من نفسها طريق الفهم وتدلنا على مواقع الإسفاف أو السمو بدون إبهام ولا خداع؛ فنرى بأعيننا آثار هؤلاء الفنانين العظام الذين هم بحق نسمة من نسم السماء

لاشك أن فرانشيسكو كان من ألمع رجال الفن فى عصر النهضة. له كما لهم المنزلة المرموقة فى نفوس رجال النقد والتأليف فى العالم أجمع، لا لشىء إلا لأن هذه الصفوة العجيبة من الفنانين العظام استطاعت أن تشيد على أنقاض الجاهلية الجهلاء صرحاً مكين الدعائم رفيع الأركان فى أفسح ساحات المدينة الفاضلة وفى عالم الفن الرفيع المخلد. وكانت يد فرانشيسكو من أطول الأيدى وأقدرها على رفع الأساطين وتشييد الجدران، فأنتجت وافر الإنتاج وأبدعت غاية الإبداع، وطافت على قصور (لمبارديا) فكستها الجمال، وأكسبتها الفتنة والملاحة. وراحت إيطاليا كلها بعد لومبارديا تذكر فرانشيسكو بكل إجلال وإكبار

كان رفائيلو في روما يرهف سمعه للصدى الخلاب الذى تتجاوبه الأفواه المعجبة. وكان يصغى بقلبه للحديث العذب الذى يتحدث به أهل بولونيا عن فنانهم العظيم، وكان يطرب لموسيق اسم الفنان ويتشوق لرؤية آثاره وطلعته، وقد أسعفه الحظ فرأى ما أعجبه فاتصل رفائيلو بفنان لومبارديا فأطرى طريقته إطراء جليلاً وامتدح أسلوبه وقرظ فنه الحسن العجيب

لقد بلغ فرنشيسكو بحق منزلة رفيعة من لطف الحس ورقة الروح وجودة الأسلوب ودقة العمل، وقد أعجب بفنه كثير من الكتاب، وغالى أحدهم فدعاه إله الفن. وقد قال (كافازونى) إن رفائيلو بعد أن رأى (عذراء فرانشيسكو) تحرر من الجمود الذى علق بفنه من اتباعه طريقة (پروچا) وخلص من الجفاف الشاهد اليوم على بعض لوحاته قبل تأثره بفن فرانشيسكو. وروح الفنان كالأسفنجة ما جاورت غديراً إلا تشربت من مائه

لم يكن إطراء رفائيلو لفرانشسكو إلا قوة جديدة دفعته إلى الاستزادة، ورأى أن فنه لم يصل بعد إلى المكانة القصوى، واتخذ من مدح رفائيلو له جناحاً جديداً سيساعده على الطيران فى عالم الخلود

كان فرنشيسكو دون سائر الفنانين يستطيع أن ينافس رفائيلو الحظوة التى كان ينعم بها عند البابا وفى نفوس أهل روما، وكان فى قدرة فرنشيسكو أن يبارى رفائيلو فى حلبة الفن ويطاوله فى سماء المجد، ولكن الحظ لم يواته فلم ير لرفائيلو أثراً ليضرب الطريقة التى يسير عليها ضربة قاتلة[1]. كان مقيما ببولونيا لم يبرحها طيلة حياته، وكان رفائيلو مقيما بروما وروما ضنينة به والبابا من أحرص الناس على ملازمته. وكان فرانشيسكو الشيخ يتشوق لرؤية آثار فنان روما قبل إغماضه الغمضة الأخيرة، رغم الفكرة التى استخلصها من وصف الناس لفنه ومن الكتب التى كان يتلقاها منه لماماً، فقدر أنه مثيله فى نواح متعددة، وقد يفوقه فى إحدى النواحى العميقة التى وصل إليها بطول المدة التى مارس فيها الرسم

***

جاءه البريد يوماً بكتاب من رفائيلو يقول له فيه: إنه أرسل إليه لوحة (للقديسة سيشيليا) أعدها لكنيسة (سان جوفانى) بمدينة بولونيا نفسها، وأنه يرسل هذه اللوحة إلى صديقه

(١) يقول التاريخ إن رفائيلو أرسل لفرنشيسكو فرانشا صورة عن لوحة رسمها قبل أن يرى لوحة القديسة سيشيليا (المعرب)

(فرانشيسكو) أولا راجياً منه التكرم بمراقبة وضعها بالمكان الذى أعدت له . وقد يكون السفر الطويل قد أضر بها ، أو ربما يرى فيها بعض هفوات فنية ، فهو (أى رفائيللو) يرجو منه إصلاح ما فسد وتصحيح ما أخطأ فيه . على أن لغة التواضع التى اتبعها رفائيللو في كتابه إلى صديقه فرانشيسكو وأذن له بأن يعمل ريشته فى اللوحة التى سيرسلها إليه ليتحقق من سلامتها وصحتها؛ كل هذا أثار فى نفسه ثورة متضاربة شديدة من الأخيلة المضطربة ، ولم تسعفه مخيلته فى تصور ماسوف يري ، أو فى تقدير ماسيشاهد من المقدرة الفنية والبراعة التصورية

وفى عصر يوم من الأيام التى مرت على وصول رسالة رفائيللو إليه رأى تلاميذه يوفضون إليه فرحين مستبشرين يزفون إلى أستاذهم خبر البشرى بقدوم اللوحة المنتظرة ، وكانوا قد أعدوا لها مكاناً حسناً فى المعمل على ضوء كامل

ها هى الدنيا تدور برأس فرانشيسكو الشيخ ... ولماذا ؟ .. أنى لنا أن نصف لرجال هذا العصر الشعور الذى غمر نفس ذاك الفنان المظيم حين شاهد لوحة أعجبته وملكت لبه ؟! هو شعور أخ فارق أخاً له منذ الصغر ، وارتقب عودته على نار الغضى ... وفى الوقت الذى فتح ذراعيه لمناقه كان أمام ... أمام ملاك سماوى باهر الضياء

خفق قلب الشيخ المسكين وعنا وجهه وخشع أمام جلال الفن الرهيب ، وانحنت رجلاه ساجدتين كأنه أمام كائن سماوى مهيب ...

سمر فى مكانه وتسارع الطلاب إلى أستاذهم يسرون عنه بعض ما حل به ، ولا يفهمون لكل ما حدث سبباً ... أمطروه بالأسئلة والشيخ فى عالم غير عالمهم ...

صحا الشيخ قليلاً ... ولكنه ما زال شاخصاً نحو اللوحة السمائية (لوحة رفائيللو) ينظر وينظر ... وكيف لنا أن نعرف ماذا كان يفكر في هذه الساعة الرهيبة ؟

لقد تحطم المسكين أمام شعاع العظمة ... وها هو يسائل نفسه بنعمة وألم عن السبيل إلى التكفير عن الجريرة التى اقترفها . إنه لكنود كفور . تطاول على رفائيللو المظيم وغمطه فنه . ولقد خيل إليه عن جهل وطمع أنه صنو له وند ... وقد طفق يعمل أصابعه الواجفة بشعره الأشهب الأشيب ويزرف الدمع سخيناً غزيراً على ما فرط فى جانب الفن . لقد كد وجد فى حياته طمعاً فى المجد ، ولكنه فى الساعة الأخيرة من عمره رأى صرح فنه الفخم ينهار أمام عظمة روفائيللو . تطلع إلى حيث كانت تنظر القديسة المصورة ... إلى السماء وكشف عن قلبه المحطم وصلى صلاة قصيرة طلب فيها الصفح والغفران ...

خانته ركبتاه وضعفت رجلاه عن حمله فسارع تلاميذه إليه فحملوه ...

وكان وهو خارج من معمله ينظر إلى بعض لوحاته الملقة ونفسه تذوب حسرات وألما . وألقى نظرة الوداع على لوحة دفن القديسة سيشلسيا التى كانت لاتزال فى معمله وخرج .

مرض الشيخ ، واصطلحت عليه الأوصاب . وأخذت ذاكرته تخبو ، واستولى عليه هذيان الحمى الأخير ، وراحت تمتاده السكرات والغمرات ... لقد خان العقل الجبار صاحبه فى أواخر ساعاته ، ذالك العقل الذى غبر زمناً طويلاً يبدع الوجوه المشرقة ويسوى الأجسام على الأقمشة بالألوان والأصباغ ... واجتمعت تلك الوجوه التى أبدعتها مخيلته السحرية وخلقتها ريشته الصناع دفعة واحدة مع سمير الحمى المتأججة وراحت ترقص رقصة الشماتة والسخرية . وترفل فى ثياب رثة بهيئات مقلوبة ممسوخة ووجوه مشوهة دميمة ، تدق طبول الهلع وتنفخ فى بوق الفزع ، وتقرب ما بينه وبين الهوة المجهولة ...

وزاره طلابه يستفسرون عن صحته ... فاذا هو قد فارق الحياة ...

حقاً لقد كان هذا الرجل عظيما ، حينما شعر بالضعف أمام عظمة رفائيللو الملوبة ، عظيما عند ما أثر فى نفسه فن رفائيللو هذا الأثر الغريب . إن عبقرية فرانشيسكو فى رأى حكم النقاد والمؤرخين هى فى طليعة العبقريات الفذة ، وآثاره تنطق بأنه راح ضحية النشوة والانفعالات الفنية[١]

---

(١) زار (ميكيل أنجلو) العظيم صحبة البابا جوليو الثانى مدينه ر بولونيا) فلقى فى طرقها ابناً لفرانشيسكو ، وكان صبوح الوجه جميل الخلقة ، فربت على ظهره وقال له : (إن أباك يحسن ولادة الوجوه الحية لا الوجوه المرسومة) فرأى (انجلوا) كما يرى القارئ بناقض رأى رفائيللوا الذى كان يرى فى فرانشا الفن والذوق والبراعة العظيمة الكاملة

« المعرب »

من صميم الصحراء

إنســـانة الحى

للأستاذ ابراهيم العريض

استمرّتْ ذُكاءُ شا   خِصَةً من مغيبِها
وعلى البيدِ حولَها   أثرٌ من شُحُوبِها
صُفرةٌ شابَها مِن الـ   ـظلِّ مايزدهى بها
وكأنَّ الرمالَ فى   لُجَجٍ من كثيبِها
تارةً تكتمُ الرسو   مَ وطوراً تشى بها
وتوارتْ... فأعلنَ الـ   أفقُ منعَى غروبِها
ثم أرخى سُدولَه الـ   ـليلُ... تندَى بطيبِها
فتطلُّ النجومُ با   سمةً من ثقوبِها
أىُّ طيفٍ أثارَ رحـ   ـمتَها فى قلوبِها
إنَّهـا غادةٌ على   موعدٍ من حبيبِها

***

زفر الشيخ (فاسرى) زفرة عميقة وهو يقص على فاجعة الفن بموت أبى الفن فرانشيكو فرانشا، ثم أردف قائلاً: عجبي من تلك العقول القاصرة التى تدعى النقد والعلم والتى لا تريد أن تفهم أو التى لا يمكنها أن تفهم سر تلك العبقريات التى أودعها الله سبحانه تلك النفوس العظيمة التى هي ولا شك من طينة غير طينة الناس، وتريد هـذه العقول أن تقول إن كل ما نقل إليها وما قيل لهـا عن هؤلاء الأبطال الجبابرة حديث خرافة أو ضرب من خيال الرواة، وليس هذا غريباً من عقول لا تسمو بطبيعتها إلى عقول هؤلاء الرسل والأنبياء: رسل الإلهام والخيال، وأنبياء الفن والجمال

إننى لآسف يا بنى أن نسمع من يقول بوقاحة وصفاقة إن فرانشيسكو فرانشا قد مات بالسم

المترجم

محمد غالب سالم

خريج الاكاديمية الملكية للفنون الجميلة بروما

غادةٌ فى وُجومِها   كالدُّمى البيضِ ساحِرَهْ
من خلالِ الخِيام تحـ   ـدِقُ في الليلِ حائره
تُطرِقُ الرأسَ كي تُسيـ   ـخَ إلى النوقِ سادره
ثم تُلقِي بطرفِها   حولَها كالمحاذِره
لأقلِّ القليلِ من   همساتِ العباقره
وإذا قلَّبتْهُ تر   سمُ في الأفقِ دائره
لاتَرى فى الظلامِ غيـ   ـرَ يدِ الله قاهره
يُثقِلُ النومُ جفنَها   ثمَّ تخشى بوادِره
فتناجي بكفِّها   أنجُمَ الليلِ حاسره
«جنِّحي ياعرائسَ الـ   ـليلِ باليُمنِ طائره»

***

لمحتْ شخصَهُ على   تلَّةٍ من تِلالِها
فتثنَّتْ ... كأنها   بانةٌ فى اعتدالِها
بعدَ أن نفضتْ عبا   ءتَها مِن رمالِها
ومشتْ كالقطاةِ نا   هدةً فى اختيالِها
وهْىَ تُوحِى لصدرِها   خفقاتِ انتقالِها
ثم حيَّتْهُ عندَ نا   رِ قِرًى فى اشتعالِها
لم يكُنْ حولَها ولا   واحدٌ من رجالِها
وعلى ثغرِها ابتسا   مٌ جزى عن مقالِها
فرأى مايزيدُ فى   حُسنِها من دلالِها
ظبيةٌ فى كِناسِها   ملءُ عينَيْ غزالِها

***

طلعا فوقَ ربوةٍ   رفَّ كالليلِ ظِلُّها
وعلى قُلَّةٍ من الـ   ـرملِ ضافٍ محلُّها
من وراءِ الخِيامِ حيـ   ـثُ تُرى البيدُ كلُّها
بسطتْ كفُّهُ الردا   ءَ إلى مَنْ يُجِلُّها
خشيةً أن يمسَّها   من ندى الأرضِ طلُّها
وهُناكَ استمرَّ فى   حُظوةٍ لا يملُّها
لم يعِبْ حُسنَها سوى   أنَّهُ يستقِلُّها

ظمأً فى لهاتِهِ   هلْ لها ما يبلها
غيرَ أنفاسِ ساعةٍ   فى الدجى يستغلها
فتعاطى مِنَ الحديــثِ   مداماً يعلُّها

***

ناولتــهُ يمينَها   فحنا فوقَها الشفاه
هامساً بينَ قُبلتيــنِ   تشفّانِ عن جواه
بلسانٍ مبلبلٍ   بعضَ ماجاشَ من هواه
وأسمها فى حديثِهِ   دائرٌ دورةَ الحياه
ثم ألقتْ بطرْفها   فى فتورٍ إلى الفلاه
فترى فى شروقِهِ   قمراً مرسلاً سناه
يملأ البيدَ فضةً   دونها فضةُ الغزاه
فتناجي حبيبَهــا   لو يراه كما تراه
أفيلقى لغــيرِها   بالَهُ ... وهي فى سماه
إنما فى سوادِ نا   ظرِها كلُّ مشتهاه

***

ها هما — والنجومُ تر   عاهما — وهيَ زاهيه
صورةٌ حلوةٌ لقــرةِ   عينٍ بثانيه
إنها كالرضيعِ بيــنَ   ذراعيهِ غافيه
والى الشعرِ من غدا   ئرها في ترامِيه
أرِجٌ كالنسيمِ ينــفحُ   من كلِّ ناحيه
كلما سرحتْ أنا   ملَها فيــهِ ساهيه
مالَ من فوقِها لينــشدَها   فيــهِ قافيه
ثم يغزو بثغرِهِ   ثغرَها من حواشيه
فيمسُّ الشفاهَ وهــيَ   تحاذيهِ راضيه
ربما تصبحُ الشفا   هُ من الحبِّ داميه
تصهرُ الشمسُ جمرةَ الــقيظِ   في البيدِ ثانيه
فتبينُ الرمالُ بيــنَ   يديها كما هيه
وعلى الرملِ حبةٌ   من لآلٍ ثمانيه
هيَ قبلَ الصباحِ كا   نتْ على جيدِ غانيه

«البحرين»   إبراهيم العريض

الباحث عن الهدوء...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

« .. وإنى لأخشى أن يستبرئ القلق حياتى
فيحجبنى عنك الهدوء الأخير! »

لقدْ نضبَ العمْرُ إلاَّ شعاعاً   يكادُ على أعيُنِي يحتضرْ
يشقُّ إليكَ ضبابَ الحياةِ   وينفذُ فى غيبها المستتِرْ
فيختنقُ النورُ فى صفحتيْهِ   كما اختنقتْ آهةُ المنتحِرْ
ويمضي.. عليهِ غبارُ الجنونِ   وتهويمةُ الفارسِ المنحدِرْ
وذلُّ الندى فى شغافِ الهجيرِ   وذلُّ الدجى فى ضفافِ القمرْ
وذلُّ السنا فى جفونِ الحزينِ   إذا شابَ فى مقلتيهِ السهَرْ
وذلُّ الأمانى بقلبي الجريحِ   وقدْ مزقتْهُ رياحُ الضجرْ
فلا يلمحُ النورَ فوقَ السهولِ   ولا الظلَّ تحتَ غوافى الشجرْ
ولا بسمةَ الجدولِ العبقرىِّ   إذا عانقتْهُ طيوفُ السحَرْ
ولا فرحةَ المرجِ يومَ الربيعِ   تلقاهُ فى لوعةِ المنتظِرْ
فألقى عليهِ الهوى والشبابَ   وأحيا لدنياهُ عيدَ الزهَرْ...
سواءٌ لديْهِ مسوحُ الشتاءِ   وأشجانهُ فى الظلامِ العكِرْ
وفجرُ الربيعِ وقدْ شاعَ فيهِ   على صفحةِ النورِ فنُّ القدرْ!
سواءٌ لديْهِ رأى كونَهُ   أمِ ازورَّ عن كونِهِ وانحسَرْ
لقدْ ذابَ فيهِ خيالُ الوجودِ   وشرَّدهُ القلقُ المستمِرْ
فلا تسأليهِ هدوءَ الحياةِ   فقدْ ماتَ فى خاطرِي واندثَرْ
سلامٌ عليكَ معَ الهادئينَ   وفى قلقي جذوةٌ تستعِرْ
كأنى سفاةٌ دهتْها الرياحُ   وجُنَّ بها عاصفٌ ذو شرَرْ
كأنى جنونُ الهوى فى القلوبِ   إذا عاجلتْها ليالى السفَرْ
على رعشةِ الشوقِ لا أستريحُ   ولا أستفيقُ، ولا أستقِرْ..
ألا فارفعى الستْرَ طالَ العذابُ   وطالتْ ليالى الأسى والفِكَرْ
وغنيتُ حتى مللتُ الغناءَ   وملَّتْ عذابى شجونُ الوتَرْ
ألا أسرعى قبلما يحتوينى   هدوءُ البِلَى فى ظلامِ الحُفَرْ!

محمود حسن اسماعيل



البريدُ الأدبيّ

فلسطين وصاحب الرسالة

جاءتنا هذه الكلمة الكريمة من صديقنا الأستاذ الجليل محمد إسعاف النشاشيبي فننشرناها نزولا على إرادته. قال شكر الله له :

يُطلّ من مصر كاتبُ العرب وأديبهم الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب (الرسالة) على إخوته الأشقياء البائسين من العرب والمسلمين في هذا الاقليم الشقيّ المبتلَى بالانكليز وباليهود، ويشاهد ما يشاهد — ولا تسلْ عن هول تلك المشاهد — فتُملى على يراعته إسلاميتُه وعربيته وبلاغته مقالته : (يا لله لفلسطين !)

وإنها (والله) لصفحة عربية عبقرية تضاف إلى صفحات له مثلها كثيرات، وحسنةٌ أحمدية حَسَنِيَّة مضمومة عند الله وفى التاريخ إلى ما تُرجمة له وحسنات

وإن (أحمد) لَلمسلم المؤمن يذكّره (كتابُ الله) فيدعو ويقول، وإنه لَلبليغ كل البليغ يجول فى ميادين الانشاء والابداع ويصول . وما (رسالته) فى مصر إلا رسالة الاسلامية تخدم محمداً (صلوات الله عليه) وقرآنه وأمته ولغته وبيانه و « فيها هدًى ونور »

فحيّا الله أخانا فى الدين والعربية، وحيّا رَبْعَه، وشكراً له وشكراً لهم، وبارك الله فى (مصر) التى وقت حضارة الاسلام والعرب فى الأمس، وأعادت ذلك المجد القديم اليوم

محمد اسعاف النشاشيبي

رأى مجلس الشيوخ فى الجامعة المصرية

قدمت لجنة المالية فى مجلس الشيوخ تقريرها عن ميزانية الجامعة بهذه الكلمة :

ثلاثون سنة انقضت على وضع الأسس الأولى للجامعة قبل أن تتسلمها وزارة المعارف العمومية وتلحق بها تباعاً المدارس العليا فتكون منها كليات تتألف منها « الجامعة المصرية » الآن وهى كليات الآداب والعلوم والحقوق والطب والهندسة والزراعة والتجارة والطب البيطرى . وقد نمت الروح الجامعية وترعرعت وكان لها أثر يذكر فى بيئاتنا العلمية والاجتماعية على حداثة عهد هذه المؤسسة عندنا

فالجامعة المصرية بفضل عدد الكليات التى تتألف منها، والدرجات العلمية التى تمنحها، وأعلام الأساتذة الذين يشغلون كراسيها، والروح الجديدة التى أشاعتها في أساليب البحث والدرس، قد أصبحت أداة صالحة لنشر الثقافة العليا، وهيئة كاملة التكوين من الهيئات المائلة فى البلدان الراقية

على أننا نطمع في أن تسير جامعتنا خطوات واسعة إلى الأمام من حيث رفع مستوى التعليم ، وبث روح البحث والتنقيب فى صدور الأساتذة والطلبة رغبة فى العلم من أجل العلم، حتى تصبح فى القريب من الزمن منارة علم وعرفان يشع نورها فى أنحاء هذا الشرق فيقصدها طلابه من كل صوب للاستزادة من التثقيف، كما يقصدون الجامعات المعروفة فى أوربا وأمريكا، وكما يقصدون الجامعة الأزهرية للاستزادة من العلوم الدينية، ولا شك فى أن النهوض بهاتين الجامعتين لمن أهم العوامل الكفيلة بالاحتفاظ للمملكة المصرية بزعامتها الأدبية والفكرية، بل والسياسية أيضاً بين دول الشرق، فتستعيد سالف مجدها وعزها

وليس بنا من حاجة إلى الافاضة فى هذا الموضوع ، فان كمبردج وا كسفورد في انجلترا ، والسوربون والكوليج دى فرانس فى فرنسا، من أهم دعائم عظمة هاتين الأمتين . ويقال مثل هذا فى سائر الجامعات فى سائر البلدان . ولعلنا قائلون قريباً مثل هذا القول عن جامعتنا المصرية بالنسبة إلى مصر

المجمع اللغوى وتبسيط قواعد النحو

ذكرنا من قبل أن وزارة المعارف ألفت لجنة من أساتذة الجامعة ودار العلوم ومفتشى اللغة العربية بالوزارة ، وأن هذه اللجنة أتمت مهمتها وهى وضع قواعد لتبسيط اللغة العربية وتدريسها لطلبة المدارس

وقد تلقت رياسة المجمع الملكى للغة العربية كتاباً من وزارة المعارف تطلب فيه من المجمع درس المقترحات التى وضعتها اللجنة خاصة بتبسيط القواعد وموافاتها بملاحظات المجمع على هذه المقترحات . وأرفقت الوزارة بكتابها صورة من قرار اللجنة

وقد أرسلت إدارة المجمع كتاباً خاصاً إلى جميع الأعضاء تبلغهم فيه كتاب الوزارة وصورة مقترحات اللجنة وتطلب إلى كل منهم دراستها وإبلاغ إدارة المجمع ملاحظاته عنها

وقد تلقت الادارة بعض ردود من الأساتذة الأعضاء تضمنت طائفة من هذه الملاحظات ، سترسل إلى وزارة المعارف ، بعد وصول تقارير بقية الأعضاء

مؤتمر تعليمى عربى

فتى العرب الدمشقية :

علمت أن وزارة المعارف السورية تدرس فكرة عقد مؤتمر تعليمى عربى تدعو إليه الأقطار العربية كافة ، وقد وضعت الوزارة النقط اللازمة لدراستها والعمل على تحقيق هذه الفكرة

وقد اتصل بها أن الوزارة تفكر الآن فى إرسال بعثة من الطلاب والأساتذة إلى العراق لزيارة القطر الشقيق وأخرى إلى القطر المصرى لتبادل الزيارات بين الأقطار العربية وتوطيد العلائق والروابط بينهما

تأثير اللاسلكى فى اللهجات

جاء فى نشرة هيئة الاذاعة البريطانية الأسبوعية للاذاعة العربية ما يلى :

بين الأحاديث التى يتناولها برنامجنا لهذا الأسبوع حديث الأستاذ حيدة الذى سيعالج فيه مسألة السينما واللاسلكى وتأثيرها فى مختلف اللهجات . والموضوع من حيث فكرته ليس بالجديد فى أوربا فقد شغلت هذه المسألة بال علماء اللغة فى انكلترا منذ أن استهدفت اللغة الانكليزية لخطر النطق المبتور والتعبيرات المهلهلة التى بدأت تتسرب إليها عن طريق بعض الأفلام الأمريكية . ولا غضاضة – فى عرفنا – أن يكون كل من السينما الناطق واللاسلكى أداة لتقريب اللهجات المختلفة، فمصلحة أبناء اللغة الواحدة تقضى بأن يفهموا جميع لهجاتها . ولكن هل من مصلحة أمة تتفاوت فيها اللهجات كالأمة العربية مثلا أن تتكلم لغة واحدة ؟ وإذا كانت المصلحة تقضى بذلك فأي اللهجات ستختار ؟ هل تختار ياترى اللهجة الحجازية أو العراقية أو لهجة مصر أو الشام؟ أو هل يمكن النهوض بالتعليم إذا تكلم جميع أبناء العربية اللغة الفصحى ؟ هذه هى المعضلة التى تجابه فى انكلترا أنصار توحيد اللهجات فاللغة الانكليزية تشمل عدة شعوب وأقوام كل منها يتكلم لغته الخاصة واذن كان من الصعب التوفيق بين هذه اللهجات المتنافرة ؛ وطبيعى أن تثير هذه المسئلة اهتمام هيئة الاذاعة البريطانية فسمت لحلها بطريقة من شأنها الاحتفاظ بكرامة اللغة الصحيحة مع عدم المساس بلهجاتها المحلية فهداها البحث إلى الاستعانة برأى لجنة استشارية مؤلفة من أعلام اللغة الانكليزية أسندت إليهم مهمة توحيد النطق ووضع قواعد له وقيدت مذيعيها باحتذاء هذه القواعد فى إذاعتهم للأخبار والبيانات . واحتفظت فيما عدا ذلك باللهجات المحلية المختلفة وبذلك أمسكت العصا من طرفيها — على حد التعبير الغربى — على أن هذا الحل الوسط إذا أرضى مستمعى هيئة الاذاعة البريطانية فانه لا يعتبر حلا كاملا لهذه المسألة الدولية التى ما زالت مدار بحث جدلى بين العلماء

حول لجنة من لجان الوزارة . .

حمدنا لوزارة المعارف عنايتها باللغة العربية والعمل على إنهاضها وتقوية أركانها ، ووضع ما يضمن للتلميذ حياة أدبية خالصة تقوم على العلم الصحيح والمعرفة الحقة بأساليب الأدب وضروبه ...

وكنا نرقب مع الراقبين ما تطالعنا به اللجنة المؤلفة من أعلام وزارة التربية والتعليم لمعالجة مشكلة لغة الضاد ، وما يجده الطالب من صعوبة فى تفهم مافى بطون الكتب من معان وأفكار

وقد قامت اللجنة بوضع المبادئ التي رأتها صالحة لتقوية الناحية الأدبية من نفوس النشء، واعتمدت في عملها هذا على مالها من خبرة واسعة بالتعليم وشئونه ... بيد أن هناك ملاحظة بخصوص الكتب الحديثة التي اختارتها اللجنة على أنها صورة من أدب العصر، تدرس في معاهد العلم. وقد وقع اختيارها على الكتب الآتية: « قصص القرآن . ويوميات نائب في الأرياف وديوان الجارم . والنظرات . وزينب . وعلى هامش السيرة . والأيام . وديوان حافظ . والفضيلة . والمختار (الجزء الأول) . وحياة محمد . ومطالعات في الكتب . وديوان شوقي . والمثل الكامل . وقادة الفكر . وعلى هامش السياسة . وحصاد الهشيم وضحى الاسلام . وديوان البارودي . وابن الرومي »

وفي ذلك الاختيار كثير من التجني على الأدب والأدباء معا؛ فليس من الخير في شيء أن تختار اللجنة كتابين أو ثلاثة لأديب واحد في الوقت الذي أغفلت فيه طائفة من الأدباء الأفذاذ الذين لهم أثر ظاهر في توجيه الحياة الفكرية في الشرق، ولهم أيضا أدب يمتاز بقوة العبارة وسمو المعنى وجمال اللفظ ...

وبعد فهذه ملاحظة أردنا أن نسوقها إلى أعضاء اللجنة، وإليهم يساق الحديث

بني مزار — الطهناوي

(الرسالة) جاءنا في هذا الموضوع طائفة من الرسائل وكلها مجمعة على أن اللجنة لم ترع جانب الحق حين قصرت اختيارها على كتب أعضائها ومن ترجوهم أو تخشاهم من الأصدقاء والرؤساء ...

حقيقة جامع طوكيو

كتب العلامة السيد سليمان الندوي في مجلة « المعارف » التي تصدر عن أعظم كره (الهند) في عددها الصادر في شهر يونية حقيقة جامع طوكيو ما يأتي:

« نجم قرن الاسلام في اليابان وأخذت أشعته تنبسط في عواصمها — فأسس أول بيت لله في مدينة كوبى، وذلك قد تم بفضل التجار الهنود. وكان أولو الأمر بهذا المسجد قد سعوا لدى الحكومة اليابانية راجين منها أن تعترف به معبداً للمسلمين رسمياً، فذهب سعيهم سُدًى؛ بيد أنهم أرسلوا هذا العام وفداً من أعضاء لجنة التنظيم للمسجد إلى طوكيو عاصمة اليابان بفضل مساعيهم زال بعض العراقيل من أمامهم

وبعد تشييد الجامع بكوبى شعر المسلمون في طوكيو بحاجة إلى مسجد، لكنهم جماعة قليلة العدد ولا يتيسر لهم أن يجمعوا مالاً كافياً لبناء هذا المسجد بها، ففطن بعض رجال الحكومة اليابانية إلى أهمية عمل هكذا في عاصمة اليابان. ثم جمعوا من ذوي الخير والسراوة نحو مليون وربع مليون (ين) وبنوا بها جامعاً ومدرسة بجانبه. تم بناء الاثنين وافتتحا رسميًّا في شهر مايو الماضي، وأدى رسم الافتتاح المستر « تو ياما » من دهاة اليابان وهو الذي دخل المسجد أولاً ومشى بقدميه قبل الناس فلحقه التتار داخلين مكبّرين، ثم صلوا ركعتين شاكرين، وكان بخارج المسجد سرادق نصب للاحتفال خطب فيه دهاة اليابان وأكابر المندوبين من البلاد الاسلامية. وكان الأمر الذي يبدو عجيبا للمسلمين الحاضرين أن مندوبي أفغانستان وتركيا وإيران لم يحضروا الحفلة؛ ولعل سبب ذلك أن هذا المسجد ذو صبغة سياسية

يقيم في طوكيو زعيم تتاري معروف باسم قربان علي، له مكانة ممتازة نصفها من لون ديني والنصف آخر من لون سياسي — وله جماعة من الأنصار من التتار عدتها خمسة وعشرون رجلاً، وغيرهم من التتار المقيمين في طوكيو وغيرها من مدن اليابان وعددهم يصل إلى خمسمائة على التقريب — كانوا يشكون منه مرّ الشكوى — فاعتقل لذلك في وسط مايو وفوضت الزعامة إلى الشيخ عبد الرشيد ابراهيم فزال بعض العراقيل التي كانت تؤدي إلى عدم تعاون التتار مع رجال الحكومة في شأن المسجد. ثم أرسل رجال طوكيو دعوتهم إلى المسلمين بكوبى يرجون اشتراكهم في أمور جامع طوكيو؛ غير أنهم أجابوا: « نحن مستعدون للاشتراك إذا كان للمسلمين حرية مطلقة في تصريف أموره ». فوعدهم رجال الحكومة اليابانية بذلك وها نحن أولاء ننتظر الوفاء ... »

بدر الدين الصيني

تأديب الناشئة بآداب الدين الاسلامي

أذاعت وزارة المعارف منشوراً على نظار المدارس هذا نصه:

« تحرص وزارة المعارف على أن تكون دراسة الدين الاسلامي مقصوداً بها تأديب الناشئة بآدابه وإحساسها الايمان الصحيح والخلق السليم، وأن المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وتهذيب نفس الناشئ وتقوية عقله وقلبه بالمبادئ الاسلامية السامية مبادئ الاباء والأنفة والمحبة والايثار والبر والتقوى ليصل بذلك إلى كمال الخلق وليحصل منه القواعد السليمة لصلاته بغيره ، وهذه قواعد لحضارة إنسانية يقوم النظام الروحي والحيـاة لـكمال الخلق ويكون الخلق فيها أساساً للمعاملات فيها أساساً الاقتصادية .

وتثبيت هذه القواعد فى نفس الناشئة بتفقيهم فى قواعد الاسلام وعباداته وتوجيههم إلى إدراك الحياة على أساسها إدراكا علمياً دقيقاً وتفتح أذهانهم بذلك إلى المثل الأعلى الذى يدعو الاسلام إليه وتقويم أخلاقهم ليكون هذا المثل الأعلى غاية مبتغاهم، هو ما نرجو أن يكون الثمرة للتعليم الدينى فى المدارس حتى يتأتى لمصر بقوة إيمـان أبنائها أن تنهض بحظها من رسالة الحضارة فى العالم »

جامعة عليكرة الاسلامية

جاء من مراسل الشرق العربى فى بمباى أن عظمة نواب رامبور قرر أن يساهم بمبلغ كبير فى توسيع نطاق جمعية الطلبة فى جامعة عليكرة الاسلامية التى يشملها عظمته برعايته

وجامعة عليكرة فريدة فى نوعها فى العالم الاسلامى ؛ وقد أنشأها السير سيد أحمد خان وهو أول مسلم أذاع فوائد الثقافة الغربية فى بلاده، وحاول التوفيق بين هذه الثقافة والثقافة الاسلامية فى الهند . وبفضل مساعيه قررت الحكومة الاشتراك فى جامعة عليكرة ، ولا تزال إلى الآن تدفع لها إعانات مالية تخليداً لذكرى سيد أحمد خان

وكان المرحوم حميد على خان والد عظمة نواب رامبور من الذين شملوا الجامعة برعايتهم ، وكانت الجامعة فى ذلك الوقت تدعى المدرسة الاسلامية الانكليزية الشرقية

ومساهمة عظمة نواب رامبور السخية فى توسيع جمعية الطلبة جاءت الآن برهاناً جديداً على أهمية اتحاد الطلبة وهو أقدم اتحاد فى الهند اشترك فيه عدد كبير من الأشخاص البارزين والطلبة يتمرنون فى هذا الاتحاد على الخطابة وغيرها من العلوم والفنون والاتحاد يتمتع باستقلال خاص والطلبة ينتخبون رؤساء الاتحاد ولجانه . وقد تألفت فى جامعة عليكرة جمعيات عدة تعنى بالدروس الدينية الاسلامية ويلقى فيها كثيرون من الطلبة القدماء محاضرات نفيسة فى الشؤون الاجتماعية والدينية

وقد أنشئ أخيراً فى الجامعة فصلان جديدان لتدريس الشرع عند الشيعة والسنيين ويدير هذين الفصلين فرع الشريعة فى الجامعة

وكانت الصلاة فى الجامعة تفرض على الطلبة بموجب قانون خاص ولـكن هذا القانون لا يعمل به الآن نظراً إلى اهتمام الطلبة بشؤونهم الدينية من تلقاء أنفسهم

اعادة الحياة بعد الموت

لقد دفع حرص الناس على الحياة منذ العصور القديمة بعض العلماء إلى محاولة إعادة الحياة إلى الأجسام بعد أن تفارقها أرواحها. وزعم فريق منهم أنهم قاموا بتجارب رجحت إمكان وصولهم إلى ما يبتغون . ولعل أحدث تجربة من هذا النوع هى التى قام بهـا الدكتور روبرت كورنيش أحد أطباء كاليفورنيا ولـكنه لم يجرها على إنسان بل على كلب

وطريقة ذلك أنه خدر الـكلب بالـكلوروفورم ثم قتله به. وبعد أن تأكد أن الـكلب أصبح جثة هامدة انتظر بضع دقائق ثم حقنه فى القلب بمـادة الادرنالين ومدده على مائدة فى الهواء

الطلق . فبعد دقائق لاحظ أن القلب عاد يعمل وأن دقاته بدأت تعود إلى حالتها الطبيعية

وبعد بضع ساعات استطاع الكلب أن ينهض وأن يلعق بعض السوائل؛ وبعد عشرة أيام استطاع أن يتناول طعاماً ، ثم يحرك رجليه بضع خطوات

ولكن الدكتور لاحظ أن الكلب لم يستعد قواه الذهنية وأنه فقد الكثير من حساسيته ، إذ أصيب بالصمم فلم يسمع صفيراً حاداً كما فقد حاسة الشم ؛ وضعف نظره ضعفاً شديداً فكان لا يرى إلا المرئيات القريبة الكبيرة الحجم كما أن صوته ضعف فأصبح لا يقوى على النباح

وظل الكلب يعانى هذه الحالة ثلاثة شهور ثم فاضت روحه من الضعف الشديد الذى أنهك جسمه

على أن الدكتور روبرت كورنيش يزعم أن هذه التجربة التى قام بها تعتبر الأولى من نوعها من حيث نتيجتها ، كما أنها مكنته من ملاحظة حالات سيسترشد بها فى التجارب القادمة التى اعتزم القيام بها

وبالرغم من أن بعض العلماء يرجحون إعادة الحياة إلى الأجسام التى تفارقها أرواحها ، فهم يشكون فى إمكان إعادة الحساسية إلى الأعضاء والقوة إلى الذهن . وأقصى ما يطمعون فيه هو أن يطيلوا خفقان القلب بضع ساعات يتمكنون فيها من القيام ببعض الأبحاث العلمية

6 me Année, No. 267

Lundi - 15 - 8 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٦٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـــرس

صفحة

هذه داري وهذا وطني

ولـكن أين احبابي ؟!

للدكتور زكى مبارك

هذه دارى ، الدار التى أقمتها على أطراف الصحراء بمصر الجديدة لأفتح أمام قلبي آفاق المجهول من عوالم المعانى ، وهـذا وطنى ، الوطن الذى عانيت من أجله ما عانيت ، ولم أخنه فى سر ولا جهر ، ولم يرَ منى غير الصدق والوفاء

هذه دارى وهذا وطنى ، ولـكن أين أحبابي ؟

من كان يظن أنى أقضى الأيام والأسابيع فلا أجد من يسأل عني بعد غياب الشهور الطوال ؟ من كان يظن أني لا أجد أنيساً غير بريد بغداد على بُعد ما بينى وبين بغداد ؟

من كان يظن أنى أحبس نفسى في دارى ليالىَ وأياماً فلا يُسهـد لعزلتى جفن ، ولا يحزن قلب ، ولا يرتاع وجدان ؟

من كان يظن أنى لم أتلق من الاسكندرية غير خطاب واحد ولم أتلق من دمياط غير خطاب واحد ، ولم أتلق من سنتريس غير خطابين اثنين ، وسكت من أهوام فى المنصورة وأسيوط ؟ !

من كان يظن أنى لم أعبُر شارع فؤاد غير مرة واحدة منذ رجعت من بغداد ؟

وما فائدتي من عبور ذلك الشارع المتموّج ؟

كان لى فى القاهرة هوًى معبود فتبدد وضاع ، كانت ليلاى فى الزمالك ، فأين ليلاى وأين الزمالك ؟

أنا أطفئُ المصباح بعد نصف الليل وأفتح النوافذ لأرى كيف يهيم نور القمر فوق رمال الصحراء ، فماذا تصنع ليلاى بالزمالك أو ليلاى فى العراق ؟

آه ثم آه من حيرة القلب فى غفوات الليل !

* * *

أيها الصحراء

إن حالك مثل حالى مَوَات فى مَوَات

وقد تمرح فوق ترابك الميت هوامٌ وحشرات

وفوق ثرى قلبي الميت تمرح هوام وحشرات هى السخرية من الناس ، واليأس من صلاح القلوب ، وجمال الوجود

وقد تَرِقّ حواشيك بالندى أو الغيث فتنبت فوق تُرابك الأعشاب !

أما قلبي فقد أمحل إلى الأبد ولن ينبت فيه شيء

وأشقى الناس من يعيش بقلب أمحل من الصحراء

أيها الليل !

هل رأيت فى دنياك من ينافسك فى ظلامك غير قلبي ؟

هل عرفت منذ أجيال وأجيال شقاء مثل شقائى ؟

أيها الليل

خذ السواد من قلبي إن أعوزك السواد

خذ الظلام من حظى إن أعوزك الظلام

خذ من قلبي ومن حظى ذخيرتك للأحقاب المقبلات

خذ منى ما تشاء ، أيهـا الليل ، فلن تجد مشتهاك عند إنسان سواى

خذ منى ما تشاء بلا مَنٍّ عليك ، فما أخذت السواد إلا منك

ولا ورثت الظلام إلا عنك ، ومثلى يحفظ الجميل

أيها الليل

لا تجزع من العزلة ، فأنا هنالك أسامرك وأناجيك

لا تفزع من الوحدة ، ففى قلبي ظلمات تساير ما تحمل من ظلمات

عندى آلامى ، وعندك آلامك ، والجريح يأنس بالجريح يا ليل !

* * *

أنا أعرف من أنا فى دنياى ، فمن أنت فى دنياك ، يا ليل ؟

أنت جزء من الزمان هجرته الشمس فأظلمت دنياه

وأنا جزء من الوجود هجرته الشمس فأظلمت دنياه

إن شمسى تغرب فى الزمالك أو فى بغداد ، فأين تغرب شمسك ؟

إن شمسك تغرب ثم تعجز عن الصبر على فراقك فترجع

وشمسى تغرب فلا ترجع

فليت حظى كان مثل حظك يا ليل !

والمقادير تترفق بك فتسوق القمر والنجوم لإيناسك

وأنا أعانى الظلام المطلق حين تغيب الشمس التى تعرف

فليت حظى كان مثل حظك يا ليل !

وأنت باق على الزمان ، وأنا صائر إلى الفناء

فليت حظى كان مثل حظك يا ليل !

والناس يخافون بأسك فيتقربون إليك بالقناديل والمصابيح

وأنا مأمون الجانب فلا يتقرب أحد إلىّ بشيء

فليت حظي كان مثل حظك يا ليل

من اسمك يا ليل جاء اسم ليلى ، ففيها طغيانك وفيها ظلامك

فلا عفا الحب عنها ولا عفا الله عنك !

* * *

هذه دارى ، وهذا وطني ، ولكن أين أحبابى ؟

إن قلبي يستحق التأديب ، فليتلق من الضيم ما هو له أهل

ألم يتلق رسائل الشوق من بغداد فسكت عنها سكوت الغادرين ؟

ألم يتلق رسائل الشوق من باريس فسكت عنها سكوت الجاحدين ؟

ألم تنتقل إليه الغادة النورمندية فاستحى من صحبتها بالقاهرة محافظة على سمعته بين الناس ؟

إن قلبي يستحق التأديب ، فليتلق من الضيم ما هو له أهل

أيها الليل

قد اقترب صباحك ، فمتى يقترب صباحى ؟

(البقية على صفحة ١٣٤٨)

ذكريات مدرسية

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

سأقتصر فى هذا الفصل على طائفة من الذكريات تخيرتها من عهدين — عهد كنت فيه تلميذاً وعهد تال كنت فيه مدرساً وسأكتفى بالمعالم الكبرى والخطوط الرئيسية التى تغنى عن التفاصيل ، ولست أرمى إلى غاية من هذا التصوير سوى ما يمكن أن يستفاد من مقابلة عهد بعهد ومواجهة ماض بحاضر . فمثلاً يمكن بسهولة أن تتصوروا حال التعليم الابتدائي إذا قلت إن تلميذاً كان معنا فى المدرسة نال الشهادة الابتدائية فعين فى السنة التالية مدرساً لنا فى السنة الرابعة التى تعد لنيل الشهادة الابتدائية. وأبلغ من هذا فى الدلالة أنه كان يدرس لنا ما كان يسمى « الأشياء » وهى عبارة عن معارف عامة وكان تدريسها يومئذ باللغة الانجليزيه. وأرسم خطاً آخر تتم به الصورة فأقول إن ناظرنا كان يقول عن نفسه إنه جاهل جاهل ولكنه إدارى إدارى، وكان حديث عهد برتبة البيكوية فكانت عبارة « يا سعادة البك » تغفر كل ذنب وتمحو كل خطيئة. وليس أقدر من الصغار على التفطن إلى مواطن الضعف فى الكبار ، وليس أعرف بالمعلم من تلاميذه . وحسبه كشفاً لستره أن مئات من العيون تفحصه كلما بدا لها، وأن مئات من الألسنة الثرثارة لا تنفك تلفظ بما أدركته رؤوس أصحابها الصغيرة . وأذكر أنى كنت ألاعب تلميذاً فشتمنى فضربته بسلسلة مفاتيح فقطعت جلد وجهه ، فذهب يعدو إلى الناظر والدم يسيل من جرحه وقال له وهو يبكى : « يا أفندى ابن عبد القادر ضربنى » فأسرها الناظر وبعث يطلبنى وسألنى لماذا فعلت ذلك ؟ فقلت : « يا سعادة البك إنه شتم أبى » وأنكر المضروب وقال : « لا والله يا أفندى » وتكرر من المضروب نعت الناظر بالأفندى وتلقيبى له بسعادة البك، فضاق صدر الناظر جداً وأهوى على المضروب بخيزرانته وهو يقول : « أفندى فى عينك قليل الحيا » ولا أحتاج أن أقول إنى نجوت مما كنت أستحقه من العقاب وإن الفضل فى نجاتى إنما كان لكونى لم أنس « يا سعادة البك » وأن خصمى نسيها

وأوفدنى إليه التلاميذ يوماً لأرجو منه أن يسمح لنا بزيارة حديقة الحيوانات مجاناً فدخلت عليه وسلمت ومهدت بيا سعادة البك ورفعت إليه رجاء الفرقة فدق صدره بكفه وقال : « حوانات حوانات إيه يا ابنى ... أسد فك السلاسل نهش عيل منكم نبقى نقول يا مين ؟ »

فلم نزر حديقة الحيوانات كما لم يزرها ناظرنا الذى كان يتوهم أن الأسود فيها تربط بالسلاسل

ودخل علينا مرة ونحن نتلقي درساً فى الحساب فوجد المدرس يملى علينا مسألة خلاصتها أن فلاناً أقرض فلاناً مبلغاً من المال بفائدة كذا فى المائة ، فاستوقفه الناظر وقال لنا إن المسألة غلط، وطلب منا أن نبين موضع الغلط فيها ، ويظهر أن المعلم كان أعرف منا بالناظر فقد اكتفى بالابتسام ، ورحنا نجيب بما يخطر لنا والناظر يرفض كل جواب . وأخيراً التفت إلى المدرس وقال له : « يا فلان أفندى المسألة كذب فى كذب فأرجو ألا تعلم الأولاد الكذب مرة أخرى » وخرج

وكان فى كل مدرسة فرقة للعب الكرة ولكن أعضاء هذه الفرقة لم يكونوا جميعاً من التلاميذ، فانى أذكر أن المدرسة جمعت من كل تلميذ منا خمسة قروش لتدفع للوزارة « المصروفات المدرسية لرجل ضخم عملاق حليق اللحية والشاربين أحمر الوجه ليلعب مع الفرقة فى المباريات مع المدارس الحكومية الأخرى ، وكان هذا العملاق المخيف يجىء إلى المدرسة وقت الظهر ويخرج منها بعد الغداء، وكانت مائدته تزدان بأنواع من المخلل يؤتى له بها خاصة . وكان إذا أحب أن يبقى فى المدرسة نصف ساعة أو ساعة لا يجلس إلا فى غرفة المدرسين وهناك تقدم له القهوة والسجاير فيشكر ذلك بهزة من رأسه، والساق على الساق والسيجارة فى فمه انتظاراً لمن ينهض إليه ليشعلها له من المدرسين . وكنا نحن نتزاحم على الباب والنوافذ لنفوز برؤية هذا المنظر

أظن هذه الخطوط كافية لرسم صورة واضحة لمدرستنا الابتدائية الحكومية فى ذلك العهد . والآن أنتقل إلى طائفة أخرى من الصور للمدارس الثانوية

كان التعليم الثانوى انتقالا بأدق المعانى فقد صار كل ما فى المدرسة إنجليزياً — الناظر والمدرسون والتعليم — ما عدا اللغة

العربية . وأنا إلى هذه اللحظة لا أعرف كيف كنت أنجح فى الامتحانات ، وأكبر ظنى أنهم كانوا يترفقون بنا ويعطفون علينا ويتساهلون معنا ويتركوننا ننجح على سبيل الاستثناء . وأدع غيرى وأقتصر على نفسى فانى أعرف بها، فأقول إنى ما استطعت قط أن أفهم علوم الرياضة أو أن أقدر فيها على شيء ، ومع ذلك كنت أنتقل من سنة إلى أخرى بلا عائق . وكان الأساتذة يختلفون فمهم الفظ ومنهم الرقيق ، وأذكر أن أحدهم كان يذكرنى درسه بالكتاب الذى حفظت فيه القرآن الكريم ، فقد كان يعلى درس الجغرافية، فاذا كان الدرس التالى طالبنابه محفوظاً عن ظهر قلب ، وكان يقف أمامه التلميذان والثلاثة دفعة واحدة وعلى مكتبه الكراسة والتلاميذ يتلون وهو يسمع ، ثم يضع فى كل ركن واحداً من الحافظين ليمتحن زملاءه . وكنت لا أستطيع أن أحفظ شيئاً عن ظهر قلب فكنت أحبس بعد كل درس فى الجغرافيا حتى كرهتها وكرهت حياتى كلها بسببها . وكان لنا مدرس آخر من أظرف خلق الله وأرقهم حاشية وأعفهم لفظاً ، فكان إذا ساءه من أحدنا أمر وأراد أن يوبخه قال له : تهجَّ كلمة بليد مثلاً أو مجنون أو غير ذلك كراهة منه لاسناد الوصف إلى التلميذ مباشرة . ولم يكن تدريس اللغة العربية خيراً من تدريسها فى الوقت الحاضر ولكنا كنا أقوى فيها من تلاميذ هذا الزمان — لا أدرى لماذا ! . وكان المفتش الأول للغة العربية المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، وكان من أعلم خلق الله بها وبالصرف على الخصوص ، وكان رجلاً طيباً ووقوراً مهيباً ، فكان إذا دخل علينا يسرع المدرس إليه فيقبل يده فيدعوله الشيخ، ولا نستغرب نحن شيئاً من ذلك بل نراه أمراً طبيعيًّا جدًّا . وأعتقد أن منظر أساتذتنا وهم يقبلون يد الشيخ حمزة كان من أهم ما غرس فى نفوسنا حب معلمينا وتوقيرهم ، فانى أرانى إلى هذه الساعة أشعر بحنين إلى هؤلاء المعلمين ولا يسعنى إلا إكبارهم حين ألتقى بواحد منهم وإن كنت لم أستفد منهم شيئاً يستحق الذكر . ومن لطائف الشيخ حمزة أنه كان يقول ملاحظاته على المعلم على مسمع منا ، ولكنه كان لا يكتب فى تقريره إلى الوزارة إلا خيراً . وقد اتفق لى بعد أن تخرجت فى مدرسة المعلمين وعينت مدرساً فى المدرسة السعيدية الثانوية أن جاء الشيخ حمزة للتفتيش فاغتنمت هذه الفرصة وقلت : « يا أستاذ، ما هو الاسم العربى الصحيح لهذا الدخان الذى نسميه الدخان تارة والتبغ تارة أخرى » . فقال : « أنظرنى يا سيدى حتى أنظر فى الكناشة » . وأخرج مما يلى صدره تحت القفطان كراسة ضخمة لا أدرى كيف كانت مختبئة غير بادية وقلب فيها ثم أنشد هذا البيت :

كأنما حنحنوا حصا قوادمه   أو أم خشف بذى شت وطباق

ومضى عنى . وفكرت أنا فى كلمة الطباق التى جاءنى بها الشيخ . فاستحسنتها ورأيت أنها على العموم خير من كلمة التبغ التى نعرب بها اللفظ الانجليزي أو الفرنسى « توباك أو توباكو »

ومن حوادث الشيخ حمزة معى أنى كنت أؤدى الامتحان الشفوى فى الشهادة الثانوية وكان هو رئيسا للجان اللغة العربية، فلما جاء دورى اتفق أنه كان موجودا، فلما انتهت المطالعة وجاء دور المحفوظات وكان لها مقرر مخصوص سألنى ماذا أحفظ . وكنت فى صباح ذلك اليوم قد قرأت خطبة قصيرة للنبى صلى الله عليه وسلم فعلقت بذهنى وألهمنى الله أن أقول إنى أحفظ خطبة للنبي، ففرح الشيخ جدا وخلع حذاءه وصاح « قل ياشاطر . قل ياشاطر فتح الله عليك» وسترنى الله فلم أخطيء، فاكتفى الشيخ بهذا وأعفانى من النحو والصرف والاعراب

ولكنه فى مرة أخرى كاد يضيع على سنة . وكنت طالبا فى مدرسة المعلمين وكانت لجنة الامتحان فى اللغة العربية برياسته فقال أحد إخوانى بعد خروجه من الامتحان : إن الشيخ حمزة يفتح كتاب النحو والصرف ويطلب من الطالب أن يتلو الفصل الذى يقع عليه الاختيار . ولم نكن ندرس لا نحوا ولا صرفا فى المدرسة لأن الدراسة كانت مقصورة على الأدب ، فأيقنا بالفشل. وجاء دورى فدخلت وأنا واثق من الرسوب وجلست أمامه فناولنى كتاب مقدمة ابن خلدون فقرأت . ولا أزال أذكر فاتحة الكلام وهى « اعلم أن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بآمالهم فى تحصيلها » الخ. فقال: ضع الكتاب. موضمته، فسألنى عن العدوان والفعلين عدا واعتدي وانتقلنا إلى الصيغ المختلفة التى يكون عليها « الفعل » « اعتدى » مثل « اعتديا » للماضى المثنى و« اعتديا » للأمر ، فسألنى لماذا كان الماضى بالفتح والأمر بالكسر فلم أعرف لهذا سببا وقلت إنه لا سبب هناك سوى أن العرب

نطقوا بهما هكذا . فدهش لهذا الجواب وقال: ولكن لهذا سبباً، قلت : إن اللغة سبقت النحو والصرف، وكل هذه القواعد موضوعة بعدها ، وما دمت أنطق كما كان العرب يفعلون فان هذا يكفى ولا داعى للبحث عن سبب مختلق . فغضب وظهر هذا على وجهه فلم أبال بغضبه، وحدثت نفسى أنه خير لى وأ كرم أن أسقط بمخافة من أن تكون علة سقوطي الجهل. وأصررت على رأيي وكاد يحدث مالا يحمد، لولا أن المرحوم الشيخ شاويش — وكان عضوا فى اللجنة— تدارك الأمر، فقد نظر فى ساعته ثم التفت إلى الشيخ حمزة وقال : « العصر وجب يامولانا » فنهض الشيخ وهو يقول « أى نعم » وذهب للصلاة ونسينى فكان فى هذا نجاتى . وقد حفظت هذا الجميـل للشيخ شاويش ، وكانت هذه الحادثة بداية علاقتى به

ولم تكن المواد كثيرة أو طويلة فى مدرسة المعلمين ، ويكفى أن أقول إنه كانت لنا فى الأسبوع ثمانى ساعات لا نتاقى فيها أى درس، فترك هذا التخفيف وقتا كافيا للمطالعة الخاصة؛ وكان أساتذتنا وناظرنا يشجعوننا عليها بكل وسيلة ولا يفوتهم مع التشجيع والحث أن يوجهونا وينظموا لنا الأمر ، وأحسب أن هذا نفعنا جدا

وقد صرت معلما بعد ذلك وظللت أشتغل بالتعليم عشر سنين؛ خمس منها فى الوزارة وخمس فى المدارس الحرة، وفى هذه السنوات العشر لم أحتج أن أعاقب تلميذا أو أوبخه أو أقول له كلمة نابية . ولم يقصر التلاميذ فى محاولة المماكسة ولكنى كنت حديث عهد بالتلمذة وبشقاوة التلاميذ، فكنت أعرف كيف أقمع هـذه الرغبة الطبيعية فى الشقاوة . وكانت طريقتى أن أتجاوز عن الذى لاضير منه فلا أشغل به نفسى والتلاميذ، مثال ذلك أن يحتاج التلميذ إلى قلم أو نشافة فيطلبها من جاره ويكلمه فى ذلك فلا أعـد هذا من الكلام الذى لا يباح، ولا أقيم ضجة من أجله . وقد حدث يوما وأنا مدرس فى المدرسة الخديوية أن دخلت فرقة فألفيت على مكتبى كل أدوات الرياضة مرصوصة على نحو لا شك أنه متعمد ، وكان تلاميذى لا يجهلون كرهى للرياضة، وكنت أنا لا أكتمهم أني أعد نفسى جاهلا بها حمارا فى علومها؛ وكان غرضهم من رص هذه الأدوات أن يمابثونى عسى أن أثير الضجة التى يشتهونها ولا يفوزون منى بها . ولـكنى لم أفعل بل اكتفيت بأن دعوت الفراش فحمل هذه الأدوات ووضعها فى مكانها ثم بدأ الدرس . واتفق يوماً آخر أن دخلت الفصل فاذا رائحة كريهة لا تطاق ، وكان الوقت صيفاً والجو حاراً جداً فضاعف الحر شعورى بالتنغيص من هذه الرائحة الثقيلة . وأدركت أنها هي المادة التى كنا ونحن تلاميذ نضعها فى الدواة مع الحبر فتكون لها هذه الرائحة المزعجة . فقلت لنفسى إنهم ثلاثون أو أربعون وأنا واحد ، وإذا كانت الرائحة القبيحة تغثى نفسى فانها تغثي نفوسهم معى أيضاً . فحالهم ليس خيراً من حالى ، والاحساس التعب الذى أعانيه ليس قاصراً على ولا أنا منفرد به ؛ وإنهم لأغبياء لأنهم أشركوا أنفسهم معى وقد أرادوا أن يفردونى بهذه المحنة . والفوز فى هذه الحالة خليق أن يكون لمن هو أقدر على الصبر والاحتمال، فتجاهلت الأمر وصرت أغلق النوافذ واحدة بعد أخرى لأزيد شعورهم بالضيق والكرب فلا يعودوا إلى مثلها بعد ذلك ، وقد كان . تصبرت وتشددت ودعوت الله فى سرى أن يقوينى على الاحتمال ، ومضيت فى الدرس بنشاط وهمة لأشغل نفسى عما أعانى من كرب هـذه الرائحة الملعونة . وكنت أرى فى وجوههم أمارات الجهد الذى يكابدونه من التجلد مثلى فأسر وأغتبط وأزداد نشاطاً فى الدرس وإغضاء عمن يرفعون أصابعهم ليستأذنوا فى الـكلام فقد كنت عارفاً أنهم إنما يريدون أن يستأذنوا فى فتح النوافذ عسى أن تخف الرائحة ويلطف وقعها . وظللنا على هذا الحال نصف ساعة كادت أرواحنا فيها تزهق، ورأيت أن الطاقة الانسانية لا يسعها أ كثر من ذلك ، وأن التلاميذ خليقون أن يتمردوا إذا أصررت على عنادى المكتوم ، واغتنمت فرصة إصبع مرفوعة وسألت صاحبها عما يريد، فقال إنه يريد أن يفتح النافذة لأن الحر شديد. قلت افتحها ، وفتحت النوافذ كلها . وتشهدنا جميعاً واستأنفنا الدرس ولـكن بفتور لشدة ما قاسينا من رياضة النفس على احتمال ما لا يطاق . وانتهى الدرس وخرجت فخرج ورائى ثلاثة أو أربعة من التلاميذ ولحقوا بى، وقال لى واحد منهم إنهم يأسفون لما حصل وإن الأمر كان مقصوداً به غيري، وإنهم يطلبون الصفح، فسررت ولكنى تجاهلت وسألتهم عما يعنون . قالوا: الرائحة الكريهة التى كانت فى الفصل . قلت: رائحة... أى رائحة؟ إننى مزكوم ولهذا

لم أشم شيئاً فلا محل لاعتذاركم. ومضيت عنهم، وكان هذا درساً نافعاً لهم ولو أني عاقبت أحداً لما أثمر العقاب إلا رضاهم عن نفوسهم لأنهم استطاعوا أن ينتصوا علي، وأن ينجح مني عبثهم الطبيعي في مثل سنهم

وفي آخر سنة من اشتغالي بالتدريس توليت أمر مدرسة ثانوية فقلت للأساتذة: إني ألغيت العقوبات جميعاً فلا حبس ولا عيش حاف ولا شيء مما اعتاد المعلمون أن يعاقبوا به التلاميذ. ونظريتي هي أن المدرس الذي يحتاج إلى معاقبة تلميذه لا يصلح لهذه المهنة وخير له أن يشتغل بغيرها، وأن العلاقة بين المعلم وتلميذه ينبغي أن تقوم على المودة والاحترام، وأن يكون أكبر وأقوى عامل فيها هو شعور التلميذ بأن المدرس والد له يبغي له الخير ويخدمه ويفتح له نفسه ويقوي مداركه وينمي استعداده، وأنه لا يلزمه بدرس ولا يفرض عليه شيئاً بل يرغبه في الدرس ويحبب إليه التحصيل. وعلى هذا فليس لأحد من المعلمين أن ينتظر مني أي معونة على ضبط النظام، وقد كان. قضينا في هذه المدرسة سنة كاملة لم يشعر فيها التلاميذ بسلطان أو سطوة، وإنما شعروا أنهم أبناء لنا وأننا إخوان كبار لهم وأصدقاء نافعون ولم أكتف بهذا بل ألغيت «الجرس» الذي يدق إيذاناً بابتداء الدرس أو انتهائه لأني لم أر حاجة إليه بعد أن أصبح التلاميذ يحرصون على الحضور والمواظبة من تلقاء أنفسهم وبدافع من حبهم للمدرسة ورغبتهم في الوجود بها مع إخوانهم المدرسين حتى لقد كان الواحد منهم يمرض فيحضر، وبهذا استغنيت أيضاً عن الدفاتر الكثيرة التي تستعمل في المدارس والتي تحتاج إلى موظفين كثيرين لا داعي لهم. وقد كنت أحب أن أظل في هذه المدرسة لأرى نتيجة التجربة، ولكن الحركة الوطنية بدأت في صيف ذلك العام وجرفتنا جميعاً تيارها الزاخر فهجرت التعليم إلى الصحافة. ولو عدت إليه الآن لكان من المحقق أن أخفق فقد اختلف الحال جداً وانقلبت الأوضاع.

ابرهيم عبد القادر المازني

حرمة البيان

للأستاذ عبد المنعم خلاف

لو كان الأدباء «إلهيين» يقدمون لله الأزهار التي يقتطفونها بأقلامهم من حديقته قبل أن يقدموها للناس، لحسبوا للحق والشرف والجمال الأصيل أكبر حساب، ولاستحيوا أن يقدموا لعين الله الناقدة المالئة كلاماً باطلاً أو دنيئاً أو زائفاً ... ولكن كثيراً منهم رضوا بأن يكونوا «وثنيين» ينحتون من الألفاظ أصناماً يزوقونها ويصرفون الانسانية بها عن وجه الله في بعض الأحيان ... !

فهم يقدمون أزهارهم للأعين الكليلة البليدة مُغْفِلين «الفنان الأعظم!» الذي يجب أن يرفع إليه كل عمل جميل شريف حتى يوقع عليه بطابعه ...

ما هو الجمال؟ ما هو الحق؟ ما هو الشرف؟ لولا الله ... كل المعايير والموازين ساقطة باطلة مبلبلة إذا لم تكن في يده هو!

كل الصدق كذب ... وكل الخير شر ... وكل الحق باطل إذا لم يقله لنا هو!

***

ما الفرق بين صانع الكلام وصانع الأحذية إذا كان مدار الكلام هو الخبز ... أو إرضاء جمهور الحرفاء أو الشهرة الجائعة التي لا تشبع أبداً؟

إني أقرأ بعض صحف الكلام فأشعر أنها من حقارتها وذلها كالنعل ... وكالنعل البالية القذرة لكثرة ما فيها من خروق عقل صاحبها أو خروق خلقه ...

إن حاسة البيان جانب مقدس لأنها خاصة الانسان المترجم عن الالهية، فيجب أن يكون فيها ذلك السيال الخفي في الأصوات أو في السطور

وإن في حديقة الله أعاجيب وتهاويل وحقائق كبيرة لا يسمح

إلا للأقلام النظيفة بالقرب منها ورصدها وتقريبها لذوى النظر القاصر من الانسانية المادية العاملة التى ليس لها وقت للوقوف عند كل شىء ومحادثته وأخذه فى النفس بالتأمل والدرس

إن فى الأدب صوفية وكذلك فى الفن على العموم ، والصوفية نظافة وإدراك مرهف ودوران حول النفس والطبيعة وحساب دقيق للنسب بين الموجودات ثم نظرة دائمة إلى الفنان الأعظم !

فتى يدرك الأدباء أن هذا أساس البيان وأن مقاييس الشرف الأدبى تسقط الأدب الكاذب أو الداعر أو الزائف أو الجاهل بهذه الحقائق ولو ساقوا ألف دليل ودليل على أن مهمة الأدب تسجيل كل ما فى الحياة ولو كان فحشاً أو نكراً ؟

إنى أنزه حرمة البيان أن أسخره فى شىء تافه أو دنس حتى لا أصرف عنه عيون عشاق الحكمة الشرفاء الذين إليهم وحدهم يجب أن يرفع الكلام ويوجه الأثر الفني ... وحتى لا أقذى به عيون النساء والناشئين الذين يجب أن نصونهم عن القبح والزيف؛ والطفولة والشباب هما موضع آمال الإصلاح وقوالب المثل العليا التى فاتنا أن نحققها في أشخاصنا ، والنساء هن مستودع تلك القوالب ...

أنا أريد وأتمنى أن يكون الأدب واحة فى صحراء الحياة المادية بجانب واحة الدين ، لتفر إليها النفس المتهالكة المختنقة من ضجة الآلات ومادية العيش والارتفاق . وإن في الأدب صوراً تلمس فيهـا ذكاء وعبقرية صنع ، ولـكنها لا تحرك فى نفسك ذلك الاحساس العميق بالحياة، ولا تثير فى قلبك ذلك الدم النادر الذى لا يثور إلا فى عبادة خالصة أو فى فرح مقدس أو ألم مقدس . وهنالك أدب يشمرك بذلك المعنى السامي الذى يؤكد لك الاحساس به أنك أعظم من جسدك الحيوانى ... وأنك أوسع من تلك الكتلة اللحمية المحدودة ... وأنك أخف من ذلك الجرم الترابى الكثيف المربوط بالأرض ... وأنك باستمرار محوط بأسرار وقوى تخاطبك وتجاذبك ... ولـكنك لا تسمع ولا تحس إلا إذا فتحت سمعك كلة منبهة من قلم نظيف حساس ...

جوهر النفس والطبيعة ينبغى أن يكون هو وحده مطلوب الفنان ، أما القشور فلا يطلبها فنان ذو افتتان بالحقائق الـكبيرة التى تتطلب من راصدها عشقاً لها وحدها وأمانة لقوانينها وفضائلها

هنالك أدب كموسيقى « الجازبند » يثير فى النفس أطيش ما فيها وأخفه وأحمقه ، ولا يدخل عليها محصولاً من شعور نبيل أو فكرة كريمة ، ولا يلفتها إلى شىء مخبوء ، ولا يفتح لها باباً مغلقاً ... هو تماماً كتلك الموسيقى المجنونة البربرية التى تحمل على طيش الجسد ورقصه وضجة شهواته وحماقاته . قد يكون فيه براعة لفظية وخفة يد أو لسان ... ولـكنها كبراعة « الحاوى » وخفته ... لا تحملك على اعتقاد بأن صاحبها خالق أو جاد يقصد لباب الحياة ...

ومنذ أن قال امرؤ القيس أقواله الفاحشة فى المرأة ، ونظم الفرزدق وجرير الشتائم والسباب ، وقال أبو نواس وبشار وأضرابهما فى معانى الشذوذ والضعف الخلقى ، وامتلأ العصر العباسى الثاني بالتفنن فى تسجيل الصور الدنيئة من حياة الانسان كما يتمثل فى يتيمة الدهر (قاموس الأدب الداعر الوقح !) — منذ ذلك كله تحول ذوو الطبائع الجادة وعشاق الحكمة والمشغولون بالحق والجمال الأصيل إلى وجهات أخرى فى الحياة غير وجهة الأدب والاشتغال بمحصوله

***

لماذا يتكلم الناس ؟ أللإبانة عما فى نفوسهم ؟ أم لإخفاء ما فيها كما يقول « تاليران » الخطيب الفرنسي المشهور ؟

أنا مع تاليران كما دلتنى مواقف كثيرة كنت أقرأ فيها على الوجوه وأشمة العيون غير ما يقول اللسان ... وقد قرر عمر بن الخطاب أن مع التفاصح النفاق حين حبس الأحنف بن قيس مدة لما رأى من فصاحته ولَسَنه تخشى أن يكون وراءهما نفاق، ثم تبين له شذوذ القاعدة فى الأحنف فأطلقه . وقد دلتنى على ذلك أيضاً ألاعيب صناع الكلام والمفتونين فيه الذين يكفرون بالحق لأجل كلة، ويغيرون معايير الطبيعة لأجل قافية، ويخسرون صداقة الفضيلة لأجل سجعة أونكتة !

ولو كنت ذا وصاية عامة على تهذيب الناشئين لـكانت مهمتى تتلخص فى تربيتهم على الاقتصاد فى الـكلام ما وسع الصمت

وعلى التفكير فيه وحديث النفس به قبل إعلانه على تلك الآلة الصغيرة الخطرة : اللسان أو القلم !

التفكير التفكير ، وارتياد طريق الكلمة قبل تسجيلها بالصوت أو المداد ، وبث الكشافة من شعور النفس وفروض السامعين أو القارئين ، والاتيان بجديد إن كان المقصود بالبيان هو « الأثر الفنى » وترك الآثار مدة حتى تختمر وترجع النفس وافرة وتقر الأخلاط الثائرة وتذهب فتنة ابتداء القول والاعجاب به كما يقول الجاحظ ، وكما أشار العماد الأصفهانى إلى طبيعة الاحساس بالنقص فى الأثر البيانى من صانعه بعد مرور حين من الزمان ...

***

لا يعنى الشاعر المتأمل أن يتكلم بقدر ما يعنيه أن يتأمل ! وإن لذة الخلوص إلى النفس ، والشعر النفسى الذى ترسله الروح بحوراً لا قيود لها ولا تكلف ولا كذب ولا ألفاظ بها وقراءة آثار الغير وقراءة الدنيا بدل الاملاء عليها ... ليست أقل من لذة الكلام وإظهار ما فى النفس ، إن لم تفقها بأضعاف ! بل إن الثانية يصحبها ألم تقييد المطلق وتحديد اللانهائى وتضييق الواسع وضغط المعانى فى قوالبها وطمس جمالها بالألفاظ العاجزة

وأنا شخصياً لا أجد فى نفسى نشوة حين أقول بقدر النشوة التى أجدها حين أفهم ما يقال من الآثار الجميلة

والالحاح فى طلب الشهرة من طريق تتابع الآثار الأدبية الخفيفة الوزن والمحصول هو عيب أكثر أدباء الشباب. فلو عرف كل أديب أن لا عليه أن يصمت حيث لا جديد عنده يضيف إلى ميراث الأدب سطرا قيما ، لاستراح هو من النقد واستراح القارىء من تكرير المعاد المكرور « ومت بداء الصمت خير لك من داء الكلام »

والالحاح فى طلب الشهرة ينبىء عن « مركب نقص » دخيل يحسه صاحبه ويريد أن يغطيه عند نفسه أولا وعند الناس ثانيا. وما يعظم العظيم حتى يتوارى عن أعين الناقصين إشفاقا عليهم من آلام الحسد والفقد. وإذا اكتملت معانى الثقة والعظمة فى نفس عاشت منها فى ضجة يخيل إليها معها أن بصيرة الناس تحسها وآذان القلوب تسمعها ، فلا حاجة بها بعد ذلك إلى إعلان أو إلحاح ولجاجة .

وكم يحملنى شخص لم يكتب إلا كلمة أو لم يخطب إلا مرة واحدة على احترامه وتقدير ما عنده لأنى عرفت نفسه وجوهر فكره وقلبه .

وكم يحملنى آخر من « محترفى صناعة الكلام » على احتقاره وازدراء ما عنده ولو غطى نفسه بألف رداء من التظرف أو التوقر أو البراعة فى اللعب بالألفاظ ... جوهر النفس أشع وأوضح من أن يخفى .. فليعرف ذلك الخادعون للناس والمخدوعون فى أنفسهم المغرورون بالألفاظ ، السيئو الظن بعقول الناس وذا كرتهم وتأويل صمتهم ...

***

ألاعبون بالألفاظ أيها الأدباء . . . أم مؤمنون بالخير والجمال الأصيل ؟

أأرضيون أنتم تترجمون عن حياة حيوانية . . . أم متطلقون بما فوق ... ؟

أأذكياء أنتم تعرضون فصاحتكم وشقشقتكم واختلاج ألسنتكم وأقلامكم . . . أم لكم قلوب تشيرون بها وحدها إلى الحقائق الكبيرة فى الحياة ؟

أمصرون على التلهي بالأصداف والفواقع والقشور . . . أم ساعون جاهدون إلى إدراك الجوهر واللب ؟

أأوابد مفرقة متهاترة ... أم جنود فى كتيبة واحدة لغاية واحدة ؟ إنكم بالأوضاع الأولى محترفون للتعيش والكسب ... وبالأوضاع الأخرى أصحاب رسالة ... إنكم بالأولى ترضون أن تبيعوا أقلامكم وتعيشوا من غير عقيدة وهدف وتؤجروا كما تؤجر النوادب أو القيان للوقوف فى المآتم والأعراس بدون قلوب ولا دموع ولا ابتسام ولا ابتهاج ...

وإنكم بالأخرى تفرضون صحتكم على أمراض العقول وتصحيحكم على أغلاط الناس وتسيرون فى الناس كالراعى فى القطيع وكالآباء فى الأسرة ..

بالضيعة الانسانية إذا ما سخرت جهالتها علومها وآثامها

فضائلَها وأمراضها سلامتَها ! يالضيعة الرءوس إذا ماتحكمت فيها الأقدام والأيدى والمدات !

***

غفرانك ياقلم ! وصفحاً عن جريرة الذين يحملونك ولا يدرون مجدك وملكوتك !

هم لا يدرون أين يغمسونك ... فهم يغمسونك فى الأوحال والأدناس ويقدمون على طرفك للناس بعراً ... وهم يتوهمونه زهراً ... من تدليس مماطسهم وكيد أنوفهم وانتكاس طبائعهم

إن بعض الكتاب لا يغمسونك إلا فى دماء قلوبهم ولا يصدرون بك إلا عن وحى الحق والواجب والمجد والجمال الأصيل

فهم لا يكتبون ليملؤا صحائف بمداد أسود وكفى ... فعل الذين يعلنون به عن أنفسهم التى تحس الحقارة وتغطيها بالشهرة وتريد أن تقول حتى للحمير والكلاب والأحجار : هأنذا . هأنذا أديب كبير أيتها الأحجار والحمير ! ولكنهم يكتبون فاهمين حرمة القلم الذى أقسم به الإله ... وفاهمين أنه هو الذى غير تاريخ البشرية وجعلها تسير نحو مجدها وتسجل خطواتها ، فليس لأحد أن يستعمله إلا فى مطالب الشرف

ولو درى بعض الأدباء أى جناية يجنونها على الخلق والشرف والجمال فى نفوس الشباب لحطموا أقلامهم واستبدلوا بها الفئوس أو المكانس ... فان فى استعمال الفأس أو المكنسة معنى سامياً فى خدمة الانسانية من وجوه ...

إن بعض الأدباء أفلسوا فى أن يقدموا للانسانية معنى يرفعها أو شعاعاً يهديها ... فماذا يفعلون ليشتهروا ؟ لا شىء إلا أن يقدموا لها معنى يخفضها ... على مذهب القائل :

إذا أنت لم تنفع فضر فانما يرجى الفتى إذ ما يضر وينفع

***

وشهد الله أننا ما نكتب لشهوة الكلام ، ولا لرؤية الصحف المسودة ... ولا ليقال عنا إننا كذا وكذا ... وإنما نكتب حين نشعر أن دمنا يسير إلى أقلامنا ويرعش بناننا فترسم به صوراً ... !

ليس بنا فتنة الحديث إلى أحد ... وإنما نتحدث إلى أشياء أخرى لا يراها الناس ... نتحدث إلى طبقة « أرستقراطية » مخبوءة مضنون بها على أكثر العيون والأسماع ... تقول لها وتقول لنا ، وتلازمها وتلازمنا متفاهمين ليس بيننا غل ولا شحناء . ترينا من عجائبها وتلبسنا مما عندها مناظير وأثواباً ... وتضىء لنا بمصابيح ... وتمرفنا إلى جهات مجهولة ، وتقذف بنا إلى كل ناء بعيد ... وتقول للدنيا المستورة : هذا قارع لبابك طويلاً فافتحى له وخذيه ....

***

وأعود فأكرر : إن في حديقة الله أعاجيب وتهاويل وحقائق كثيرة لا تنالها إلا الأقلام النظيفة

وإن في الأدب الحق صوفية تحتم إدامة النظر إلى « الفنان الأعظم » الذى « إليه يصعد الكلام الطيب »

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

منتخبات من بلاغة الغرب

الجزء الأول

للأستاذ محمد كامل حجاج

... حسبك دفاعا مع العظمة التى أقبرتك فى كوخك وأهاجت عليك السماء وما حوت والأرض وما وعت ، حتى اغبر وجه الكون عليك أسفا وأظلت الدنيا حداداً . فاخضع أيها الغريق للقضاء واستسلم لهذا اليم الجبار العتيد

وهذه الشمائل العاتية التى أوشكت أن تقوض أركان مأواك ، وهذا الوابل الذى كاد يجرف ذراك ، وتلك الغياهب التى تهاج لها القلوب ، تبذل الوسع لمحوك وفنائك . وهذا الليل ، المقبل بالويل ، الذى ترتعد منه رعبا سيصب فوق رأسك الأعاصير الهوج مع الظلمات ، فاجمع أعضاءك والتصق بالأرض وطأطئ رأسك لما يهب فوقها من العلى دون أن تسائل السماء المعتمة عن السبب ، ودع الهلاك يسيل فوق أعضائك التي تثلجت من الهول ، إذ لا قوة لك ولا حول

فيكتور هوجو

البصـــرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

خرجنا من الناصرية على الفرات جنوبى العراق نريد البصرة يوم الخميس ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٦ والساعة ثلاث وعشر دقائق بعد الظهر ، والناصرية حاضرة لواء المنتفق بنيت على نظام حسن منذ ثمانين عاماً ، وسميت باسم ناصر باشا السعدون رئيس عشائر المنتفق ، وبينها وبين البصرة مائة وخمسة عشر ميلاً .

سارت بنا السيارة ثلاث ساعات على حافة البادية بادية الشام فى قسمها الجنوبى المسمى بالسماوة ، نجد على البعد ريح نجد ونرى الشيح والقيصوم ؛ وبينا نحسب الساعات والأميال ، تشوقنا البصرة وذكرياتها . قال أحد الرفاق : أنظروا إلى شجر الأثل — هذا أثل الزبير . قاربنا المدينة

مدينة الزبير مدينة صحراوية على مقربة من البصرة الحديثة بينهما نحو عشرة كيلات ، وكانت فى العصور الخالية قسما من البصرة القديمة ، سميت باسم الزبير بن العوام أحد الصحابة قتل بعد موقعة الجمل فى وادى السباع على مقربة من المدينة ودفن بها

وسكان الزبير معظمهم نجديون أهل نشاط وتجارة ، وقد جلبت إليها الحكومة العراقية الماء من البصرة منذ سنتين وكان شربهم من الآبار

وبها من المشاهد قبر الزبير رضي الله عنه فى مسجد كبير ، وفى جانب من هذا المسجد قبر عتبة بن غزوان مؤسس البصرة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما. قلت فى نفسى: قبر عتبة يذكرنى بالفتح والتمصير، وضريح الزبير يذكر بالخلاف والقتال بين المسلمين، وتلك أمة قد خلت . أسأل الله إصلاح النفوس وتأليف القلوب. وخرجنا من مسجد الزبير إلى ظاهر البلد فرأينا قبة صغيرة تحتها قبران : قبر الحسن البصرى، وقبر محمد بن سيرين من التابعين، قلت : قداسطحبا حيين وميتين. وإن الذى يذكر الحسن يملأ نفسه الاجلال والاكبار لهذا الرجل رجل الذكاء والعلم والفصاحة والورع والجرأة فى الحق . وقد روى عن ثابت بن قرة أنه قال : ما أحسد هذه الأمة العربية الأعلى ثلاثة أنفس : عمر بن الخطاب والحسن البصرى والجاحظ . وقال عن الحسن : كان من دراري النجوم علما وتقوي ، وزهدا وورعا وعفة ورقة وفقها ومعرفة... يجمع مجلسه ضروبا من الناس، هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يلقن منه التأويل ، وهذا يسمع منه الحلال والحرام ، وهذا يحكى له الفُتيا ، وهذا يتعلم الحكم والقضاء، وهذا يسمع الوعظ ، وهو فى جميع ذلك كالبحر المجاج تدفقا ، وكالسراج الوهاج تألقا . ولا تنس مواقفه ومشاهده فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند الأمراء وأشباه الأمراء بالكلام الفصل واللفظ الجزل .. الخ

وأما قبور الصالحية التى ذكرها ابن بطوطة كمالك بن دينار وسهل ابن عبد الله فلم نجد عند القوم خبرا عنها . وأما قبر أنس ابن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمند وادى السباع بعيد عن المدينة .

فصلنا عن مدينة الزبير فرأينا على بعد قبة منفردة فى البرية وعرفنا أن تحتها ضريح طلحة بن عبد الله أحد الصحابة ، وقد قتل فى وقعة الجمل أيضا . ثم مررنا بمأذنة مفردة ليس بجانبهـا بناء فقيل إنها مأذنة مسجد على رضى الله عنه . وكان هذا المسجد فى وسط المدينة . وكان مسجدا عظيما بقى وحـده بعد خراب البصرة القديمة ورآه ابن بطوطة وقال إنه من أحسن المساجد وصحنه متناهى الانفساح ، مفروش بالحصباء الحمراء التى يؤتى بها من وادى السباع ، وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان رضى الله عنه يقرأ فيه لما قتل

ثم دخلنا مدينـة البصرة وهى على ثمانية أميال إلى الشمال والشرق من البصرة القديمة التى تم خرابها فى أوائل القرن الثامن الهجري وخراب البصرة يضرب به المثل

ولله ذكر تحيط بالداخل إلى البصرة! إنها ذِكَرُ الفتح والتمصير الاسلامى . إنها ذكر العلوم والآداب العربية . هنا ولد النحو وعلوم اللغة ؛ هنا أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وسيبويه والأصمعى ثم الحريرى؛ وهنا بشار وأبو نواس؛ وهنا أئمة المعتزلة إبراهيم النظام وأبو الهذيل العلاف ؛ وهنا نادرة الزمان أبو عثمان الجاحظ . هنا إخوان الصفاء الذين دونوا خلاصـة الفلسفة

الاسلامية، وهنا المربد حيث كان يجتمع الشعراء والفصحاء فيستمع الناس ويقضون لمتكلم على آخر. هنا أنشد جرير والفرزدق وغيرهما.

سألت أين المشان قرية الحريرى التي كان بها نخله الكثير فقيل لا يزال اسمه معروفاً شمال البصرة فأنشدت ما كتبه سديد الدولة ابن الأنبارى إلى الحريرى :

سقى زرعى الله المشان فانها ... محل كريم ظل بالمجد حاليا
أسائل من لاقيته كيف حاله ... فهل يسألن عنى ويعرف حاليا

البصرة اليوم مدينة عامرة كبيرة ، واسعة التجارة قد شمل التنظيم الحديث قسما كبيراً منها . وقسمها الحديث يسمى العشار يقع على شط العرب، وتشرف على هذا النهر العظيم قصور أغنياء البصرة تتبين فيها الغنى والبذخ والترف ، لها مجالس على النهر وسلاليم ترسو عليها الزوارق

وعلى بضعة أميال من المدينة تقع ميناء البصرة الحديثة تدخل إليها البواخر الكبيرة ، ولها مستقبل تجارى وحربى عظيم؛ والجهة التي بها الميناء تسمى معقل ويسميها الأوروبيون مركيل وأحسبها مسماة باسم معقل بن يسار المزنى . وكان هناك نهر يسمى نهر معقل . وجاء فى الأمثال : إذا جاء نهر الله فقد بطل نهر معقل

والبصرة مدينة البندقية العربية فهى واقعة على شط العرب العظيم تخرج منه أنهار كثيرة تخترق المدينة ، فتجد الأنهار في شوارعها الفسيحة تطل عليها الدور والبساتين

وأذكر أنى سرت من المدينة إلى أبي الخصيب فى طريق معبدة تظلها النخيل والأشجار نحو عشرين ميلاً فاجتزت أربع عشرة قنطرة على الأنهر الآخذة من شط العرب

والبصرة أكثر بقاع العالم نخلاً، بها نحو عشرة ملايين نخلة. ويكاد النخيل يتصل ما بين القرنة حيث يجتمع دجلة والفرات إلى مدخل خليج البصرة وذلك نحو ١٥٠ كيلا . وقد روى الأصمعى عن الرشيد أنه قال : نظرنا فاذا ما على وجه الأرض من ذهب وفضة لا يبلغ ثمن نخل البصرة ... الخ

وهذا الخصب العظيم والعمران الكثيف على مقربة من البادية . فمن شاء تحضر ونعم بألوان الحضارة، ومن شاء تبدّى واستمتع بحرية البداوة وبالصيد وغيره

وقد قال ابن أبي عيينة المهلبي يصف البصرة :

يا جنة فاقت الجنان فما ... يعدلها قيمة ولا ثمن
ألفتها فاتخذتها وطنا ... إن فؤادى لمثلها وطن
زوَّج حيتانها الضباب بها ... فهذه كنة وذا ختن
فانظر وفكر لما نطقت به ... إن الأديب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة ... ومن نعام كأنها سفن

وقال خالد بن صفوان : يغدو قانصنا فيجيء هذا بالشبوط والشيم ، ويجيء هذا بالظبي والظليم ... والشبّوط والشيم من أنواع السمك

وقال ابن أبي عيينة أيضاً :

ويا حبذا نهر الأبلة منظرا ... إذا مدّ فى إبانه الماء أو جزَر
ويا حسن تلك الجاريات إذا غدت ... مع الماء تجرى مصْعدات وتنحدر

وسقيا بساتين البصرة ومزارعها من المد . وذلك أن شط العرب يمد ويجزر. وقد وصفه الشعراء والكتاب والرحالون على اختلاف العصور

قال خالد بن صفوان :

وأما نهرنا العجيب فان الماء يُقبل عنقاً فيفيض متدفقاً، يأتينا فى أوان عطشنا، ويذهب فى زمان ريِّنا، فنأخذ منه حاجتنا ونحن نيام على فُرُشنا . فيقبل الماء وله عباب وازدياد لا يحجبنا منه حجاب، ولا تغلق دونه الأبواب ، ولا يتنافس فيه من قِلّة ، ولا يحبس عنا من علة

وقال الجاحظ وهو يعدد عجائب البصرة :

منها أن عدد المد والجزر فى جميع الدهر شيء واحد ، فيقبل عند حاجتهم إليه ويرتد عند استغنائهم عنه ؛ ثم لا يبطئ عن الأرض إلا بقدر هضمها واستمرائها وجمامها واستراحتها، لا يقتلها عطشاً ولا غرقاً . يجيء على حساب معلوم ، وتدبير منظوم ومدد ثابتة ، وعادة قائمة ، يزيدها القمر فى امتلائه كما يزيدها فى نقصانه . فلا يخفى على أهل الغلات متى يتخلفون ومتى يذهبون ويرجعون، بعد أن يعرفوا موضع القمر وكم مضى من الشهر ، فهى آية وأعجوبة، ومفخرة وأحدوثة ، لا يخافون المحْل ولا يخشون القحط

قال ياقوت الحموى :

كلام الجاحظ هذا لا يفهمه إلا من شاهد المد ، وقد شاهدته

في ثماني سفرات لي إلى كيش ذاهباً وراجعاً ، ويحتاج إلى بيان ليعرفه من لم يشاهده : وهو أن دجلة والفرات يختلطان قرب البصرة ويصيران نهراً عظيما يجرى من ناحية الشمال إلى ناحية الجنوب ؛ فهذا يسمونه جزراً ، ثم يرجع من الجنوب إلى الشمال ويسمونه مدا، يفعل ذلك كل يوم وليلة مرتين . فاذا جزر نقص نقصاناً كثيراً بيناً بحيث لو قيس لكان الذى نقص مقدار ما بقى أو أكثر . وليست زيادته متناسبة بل يزيد في أول كل شهر ووسطه أكثر من سائره الخ ا . ﻫ . كلام ياقوت

وهذا النظام لا يزال سارياً اليوم، ولكن حفر مدخل الشط في السنين الأخيرة لتتمكن السفن العظيمة من الدخول فصار المد أقل مما كان قبلا

وأما هواء البصرة لحار رطب . وكان من حسن حظنا أن كنا بها فى أوائل آيار (مايو) فلم نصادف إلا هواء معتدلا بالنهار بارداً بالليل . وقد وصف القدماء هواء البصرة بشدة الاختلاف. قال الجاحظ : من عيوب البصرة اختلاف هوائها فى يوم واحد، لأنهم يلبسون القمص مرة ، والمبطنات مرة لاختلاف جواهر الساعات . ولذلك سميت بالرعناء، قال الفرزدق :

لولا أبو مالك المرجو نائله ... ما كانت البصرة الرعناء لى وطنا

وذلك أن ريح الشمال فى البصرة باردة، وريح الجنوب حارة؛ ولذلك قال ابن لنكك الشاعر البصرى :

نحن بالبصرة فى لو ... نٍ من العيش ظريف
نحن ما هبت شمال ... بين جنات وريف
فاذا هبت جنوب ... .

ويكمل الشاعر بيته بشطر لا يحسن إنشاده

وكانت البصرة إلى عهد قريب كثيرة الحيات ، ويقول ابن بطوطة بعد ذكر المد والجزر : « وبسبب ذلك كان هواء البصرة غير جيد » وألوانُ أهلها مصفرةٌ كاسفة حتى ضرب بها المثل. وقال بعض الشعراء وقد أحضرت بين يدى الصاحب أترجة

لله أترج غــدا بيننا ... معبرا عن حال ذى عبرة
كما كسا الله ثياب الضنى ... أهل الهوى وساكنى البصرة

وسمعت فى العراق أن أهل البصرة قد ألفوا الحمى حتى أن أحدهم يكون سائرا مع صاحبه فيحس الحمى فيقول له : إئذن لى أن أذهب إلى البيت لأحمّ . هذا كله كان قبل أن تنالها يد العناية ـ عناية الحكومة العراقية . وأما اليوم فقد أصلحت الحكومة الطرق والأنهار والمستنقعات ، وتوسلت بوسائل طبية كثيرة حتى قلت الحمى هناك جدا ، ويرجى أن تزول فلا يبقى لها أثر بعد سنين قليلة .

ومن الانصاف أن أذكر ما عرف به أهل البصرة فى الماضى والحاضر من كرم الخلق ورعاية الغريب . قال ابن بطوطة : «وأهل البصرة لهم مكارم أخلاق ، وإيناس للغريب، وقيام بحقه ، فلا يستوحش فيها بينهم غريب »

وفى ياقوت: «وقال شاعر يصف أهل البصرة بالبخل وكذب عليهم » وياقوت خبير بالبلاد وأهله

وكذلك أهل البصرة اليوم تغلب عليهم الأخلاق العربية على كثرة ما نابهم من محن ، ومر بهم من شدائد

وفى البصرة مدارس أولية وابتدائية كثيرة ومدرسة متوسطة وأخرى ثانوية . والتعليم فيها يزداد ويزدهر سريعا . وعسى أن يكون لها بعد قليل ما كان لها من مجد وصيت يوم كانت مهد العلوم العربية والاسلامية .

ويعد للبصرة من موقعها وأرضها ومائها وعناية الحكومة العراقية بها ما يضمن لها مستقبلا زاهرا . وإنا لنرجو أن تعيد سيرتها ، وتعمل لخير العربية والاسلام ما عملت فى ماضيها إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

حظى بالشيء...

لأستاذ جليل

الرافعي ، المجمع اللغوي ، أزهري
المنصورة ، اليازجي ... ...

— ٤ —

تتمة

قال الأستاذ الرافعي (رحمه الله) : « فلقي (حافظ) بعض أصدقائه ، فقال له بالحرف : (اليازجي غير مطلع في العربية) قال الصديق ولماذا ... »

وأغلب الظن أن ذلك الصديق الذي حاور حافظاً هو الأستاذ الرافعي بنفسه ، وكأن ضلعه في حديثه على حافظ ، وهو يبدو منالحاً عن صاحب (الضياء) وكان يوقر صاحبه ، وسماه في إحدى مقالاته (أديب النصرانية) وقد طالع أقواله جلها أو كلها. وفي (تاريخ آداب العرب) من مجلتي (البيان والضياء) شيء كثير[1] وإن لم يُعزَ إليهما ، وخطة الأستاذ الرافعي في ذلك الكتاب قلة العزو ، وهذا قوله بيناً : « اصطلح بعض المتأخرين على أن يذكروا في مؤلفاتهم أسماء الكتب التي ينقلون عنها ، ويبينون مواضع النقل ليخرجوا من تبعة ما ينقلون إذا كان خطأ فيلقون ذلك على الكتاب زيادة في حسنات مؤلفه ... أما نحن فلما كنا نستهجن أن نثبت شيئاً لا نمخض الرأي فيه ، ولا نثق بصحته بعد تقدم النظر دون أن ننبه عليه إن مست الضرورة إلى إثباته فقد أهملنا ذكر الكتب لأن ذلك تطويل من غير طائل، ولأننا نبسط كل معنى نأخذ فيه ، ولم نعين مواضع ما ننقله لأن علينا تبعته »

ومما أخذه من (البيان) قوله : « وهم (أي الاسماعيلية) ينسبون إلى إسماعيل (عليه السلام) وخبر نزوله بالحجاز مذكور في التوراة ! وقد تزوج هناك برعلة بنت مضاض أحد ملوك

(١) راجع (تاريخ آداب العرب) الصفحات : ٣٥ و ٤٣ و ٦١ و ١٧٧ ومجلة البيان الصفحة ٤٢٥ و ٤٢٦ والضياء السنة (٥) الصفحة ١٩٨ والسنة (٨) الصفحة ٦٥

جرهم وهي القبيلة التي ذكر جدها في التوراة باسم ألموداد »

و (البيان) يقول : « وسائر قبائل العرب تنسب إلى أجداد ذكرت في التوراة ، منها ألموداد جد قبيلة جرهم التي اتصل بها إسماعيل بن ابرهيم الخليل فتزوج برعلة بنت مضاض أحد ملوكها وكانت مساكنها في الحجاز »

وفي منقول الأستاذ الرافعي رحمه الله شيء نفوّض البحث عنه إلى الكاتب المشهور الدكتور طه حسين ليفيض فيه حتى يطرفه محمد نور ثانٍ أخاً لذاك (القرار) ...

وقد عرف الشيخ اليازجي فضل الأستاذ الرافعي في مبتدأ أمره ، وأطراه في مجلته ، وقرظ الجزء الأول والجزء الثاني من ديوانه ، وروى طائفة منهما في التقريظين ، ونقد أبياتاً في الأول منها هذا البيت :

أرى ذا الليل قد خفقت حشاه ... وبيض عينه نزف الدموع

قال : « فأنث الحشا وهو مذكر »

قلت : الحشا مذكر ، وقد جاء في (رسائل الجاحظ) التي انتقاها من كتبه الأديب الأستاذ حسن السندوبي : « فأنا بين حشا خافقة ودمعة مهراقة » فهل كان الأصل : (فأنا بين حشا خافق ودمع مهراق) ثم جاءت هذه البركات، هذه التاءات من عند الناسخين أو الطابعين أو المنتقين ... ؟

وفي (أقرب الموارد) للشرتوني : « وهو (أي الحشا) يؤنث كقوله :

لا تعــذل المشتاق في أشواقه ... حتى تكون حشاك في أحشائه

والبيت للمتنبي ، والرواية في (ديوانه) يكون — بالياء — لا تكون — بالتاء — . وممن أنث الحشا ابن الفارض وابن نباتة المصري وقد نقدها اليازجي

ومن نقد اليازجي العروضي لأبيات للرافعي :

أنا لم يبق بين جنبيّ إلا ... كبد من لوعة الشوق حرّى

في عجزه نقص سبب خفيف بين كبد ولوعة[1]

(١) قلت : مشكلة الزيادة والنقص في الوزن قديمة ففي (الموشح) : « كان أبو الحسن أحمد بن يحيي يقرأ على أبي الغوث يحيي بن البحتري أشعار أبيه . فكان مما قرأ عليه القصيدة التي أولها :

ما بيني هــذا الغزال الغرير ... من فتون مستجلب من فتور =

صدّت فكان كلامها نزرا   وغدت تضن بذلك النزر

جاء بالعروض الحذاء مضمرة والاضمار مع الحذذ لا يقع إلا في الضرب »

وقد ذكرنا نقد اليازجي الرافعيّ بنقده (شوقيًّا) في مثل ذلك:

« ما نحن قلنا فالحب قائله   وما فعلنا فللهوى الفعل

وإن نقلنا لبقعة قدما   فللهوى لا البقعة النقل

البيت الثاني مختلف الوزن من بحرين ، لأن الشطر الأول من (المنسرح) وهو بحر سائر القصيدة والثاني من ثالث السريع :

تلك سماء الهند شاهدة   وأرضها والجبال والسهل

خالف بين الشطرين فجعل الأول من السريع والثاني من المنسرح »

ثم قال اليازجي بعد نقده تلك الأبيات في ديوان الرافعي :

« على أن هذا لا ينزل من قدر الديوان وإن كان يستحب أن يخلو من مثله ، لأن المرآة النقية لا تستر أدنى غبار ، ومن كملت محاسنه ظهر في جنبها أقل العيوب ، وما انتقدنا هذه المواضع إلا ضناً بمثل هذا النظم أن تتعلق به هذه الشوائب ورجاء أن يتنبه لمثلها في المنتظر ، فان الناظم كما بلغنا لم يتجاوز الثالثة والعشرين من سنيه ، ولا ريب أن من أدرك هذه المنزلة من البراعة في مثل هذه السن سيكون من الأفراد المجلين في هذا العصر ، وممن سيحلون جيد البلاغة بقلائد النظم والنثر »

قلت : صدقت كهانة الشيخ فقد أمسى الرافعي من الأفراد المجلين في هذا العصر ، وهو إن صلى في النظم فقد جلى في النثر

ونشر الأستاذ الرافعي (رحمه الله) ثلاث قصائد من شعره في مجلة (الضياء) الثالثة في السنة السابعة من تلك المجلة (الجزء السابع ١٥ يناير ١٩٠٥) وعنوانها (حسان الأرض والسماء) وفي القصيدة هذا البيت :

هيهات قد أصبح معنى الهوى   بين الغواني نحو (سوّزْيدى)

= فلما انتهى إلى هذا البيت :

وكأن الأيام أوثر بالحسـ   ـن عليها يوم المهرجان الكبير

قال أبو الحسن : يا أبا الغوث ، ألا ترى إلى هذا الغلط وقد أجمعت النسخ عليه ، فقال : هكذا قال الشيخ ، فأقبل عليه يبين له موضع الكسر ويقطعه له ، وهو غير مستنكر له بذوقه ، وسامه تغييره ، فأبى ذلك وقال : أغير شعر الشيخ ؟ فقال : هذا رجل قد وجب له علينا حق ، ويلزمنا تغيير هذا الكسر حتى لا يعاب به . فغضب (أبو الغوث) حتى ظهر فيه الغضب ظهوراً لم يستحسن أحمد بن يحيي معه أن يزيد في الكلام »

قلت : فهن يبغين قلْباً (١) لا قَلْباً ، قلوباً لا قلوباً : « يُردن ثراء المال حيث عَلِمْنَه (٢) »

وقد رأيت وقد رويت قول (أديب النصرانية) في (أديب الاسلامية) وإن لم يكن الرافعيُّ يومئذ الرافعيَّ — أن أورد قولا لحجة الاسلام الامام الشيخ محمد رشيد رضا في الأستاذ الرافعي وفي كتبه عامة وكتاب المساكين خاصة :

« الأستاذ مصطفى صادق الرافعي صاحب هذا الكتاب أشهر من نار على علم ، يراها كل أحد ولا يصل إليها أحد ، فهو معروف والمعروف لا يعرّف . أوتي عقله نصيباً كبيراً من فلسفة النفس والاجتماع فهو يغوص في أعماقها ، وأوتي خياله حظاً عظيما من المعاني الشعرية فهو يطير في أجوائها ، وأودع ذهنه مادة واسعة من اللغة العربية مفرداتها وأساليبها ؛ فهو يبرز النظريات الفلسفية في صور من التخيلات الشعرية ، تتجلى في طرز طريفة (مودات) من الحلى والحلل اللغوية ، جمع فيها بين الاجادة في المنظوم والمنثور وقلما تتفق الاجادة فيهما معاً إلا للأقلين كما قال الحكيم ابن خلدون . وبهذه المزايا كان أمة وحده في الكتاب والشعراء والمصنفين ، وكان جمهور قراء العربية يشكون شيئاً من الغموض في كلامه ، والحاجة إلى التأمل الكثير في بعضه لاستبانة مراده ، ولكن لا ينكر أحد من أولي الفهم أن كل قارئ له يرى فيه من فرائد اللغة ودقائق التعبير البليغ عن المعاني ما لم يكن يعلمه ، فهو كثير الابتكار والابداع . ولو كان جمهور القراء يفهمون لغته حق الفهم لعم انتشارها

له عدة مصنفات أجلها موضوعاً وأوضحها بياناً (إعجاز القرآن) وقد أعطيناه حقه من التقريظ فنشر معه ، وطبع ثلاث مرات ، ويليه (تاريخ آداب العرب) و (تحت راية القرآن) ومنها (حديث القمر ، ورسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد) وهذه الأربعة كتب فلسفة وشعر

وأما كتاب المساكين الذي جعلناه ذريعة لتقريظها كلها فقد عرفه مصنفه بكلمة بيّن بها ما أراده منه وكتبها تحت اسمه وهي : (أردت به بيان شيء من حكمة الله في شيء من أغلاط

(١) القلب : السوار

(٢) والعجز (وشرخ الشباب عندهن عجيب) وهو لعلقمة في مفضلية

الناس) ولقد صدق فى قوله ووفى بمراده ، ولقد كنت أعجز كما إخال أن كل أحد غيره يعجز عن تعريفه هذا . ثم وصفه بكلمة أخرى قال : إنها (من قلم الغيب) وذكر أنها أوحيت إليه فى النوم وهى : (هذا كتاب المساكين ، فمن لم يكن مسكينا لا يقرؤه لأنه لا يفهمه ، ومن كان مسكينا فحسبي به قارئا ، والسلام) فان صدق فى أن هـذه الكلمة من قلم الغيب كما صدق فى أن من لم يكن مسكينا لا يفهمه ، فأنا أظن أنه لا يوجد مسكين يفهمه ، ذلك بأنى أظن أننى مسكين ولم أفهمه ، إلا أن مسكنتى مسكنة أخلاق لا مسكنة إملاق ، ولا أدرى أية مسكنة ينتحل منشىء كتاب المساكين الذى لا يفهمه من ليس بمسكين . قرأت صفحات منه ففهمت بعض جمله ، وأعجبت ببعض حكمه ، واستعذبت بعض استعاراته التمثيلية والتخييلية . ولكنى أقر بأننى لا أفهمه كله فهما إجماليا يمكننى تلخيصه به ، ولا أفهم فصلا منه فهما تفصيليا يمكننى من تفسيره لمن لم يفهمه ولا تفسير كل جملة من جمله ، فالكتاب فى جملته من قلم الغيب ، هبط على عالم الشهادة ، وفى الاطلاع على عالم الغيب من اللذة الروحية والانس ما ليس فى الاطلاع على عالم الشهادة ، وإن حارت فيه الافهام ، وكان حلما من الأحلام »

قلت : إن الأئمة قالوا :

« أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقلّ مجازه ، وكثر إعجازه »

« أحسن الكلام ما أعرب عن الضمير ، واستغنى عن التفسير »

« لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه إلى قلبك أسرع من لفظه إلى سمعك »

« البلاغة أن تظهر المعنى صحيحا ، واللفظ فصيحا »

ولا ريب فى أقوال الأئمة هذه ، وفضيلة العربية بيانها ، وفضيلة العربى التبيين ، وهذا اللسان إنما هو اللسان المبين . ولو اطلع (حجة الاسلام) على (وحى القلم) وهو مقالات (الرافعى) فى (الرسالة) لراقه فيه كلام جلىّ ، وسرّه قولٌ منوّر

ووحى القلم هو كما قال فيه الأستاذ النابغة الموهوب (الدكتور عبد الوهاب عزام) فى (الرسالة) : « إن شئت فقل جنات فى صفحات ، وعباب فى كتاب ، وإن شئت فقل : إنه العالم فى سطور قد انتظم ، ووحىٌ إلهى سماه الرافعى وحى القلم »

***

أجاب الأستاذ أزهرى المنصورة الأستاذ الرافعى (رحمه الله) فى (البلاغ فى ٢ من ذي القعدة ١٣٥٢) فما قال :

« ١ — انتقد الشيخ إبرهيم اليازجى استعمال المصدر لحظى فى مقالة (لغة الجرائد) فقال : (ويقولون طلب الحظوى بهذه النعمة وسرتنى الحظوى بلقاء فلان ، والصواب الُحظوة بالهاء[(١)]) وهو فى نقده هذا مصيب ، وقال ما قاله فى شأن حظى بالشىء فى غيرها من مجلته (الضياء)

٢ — ما حقيقة (ظفر بالشىء وحظي بالشيء) وهل اللفظتان عربيتان ، قد نجمتا فى (الجزيرة) وكانتا من المجاز ، فكانت الأولى من إنشاب الضارى أظفاره في فريسته أو الصائد فى طريدته ، وكانت الثانيـة من حُظوته[(٢)] بحظوة[(٣)] أو حِظاء أو حظوات للصيد أو غيره ؟

فان كانتا عربيتين وكان أصلهما ذلك الأصل فظفر بالشىء وحظى به سواء ، والحظ[(٤)] إن كان عربيا فمن (الحظوة) لا من غيرها

٣ — الحضرة ، المجلس ، (المشهد) المقام (المقامة)[(٥)]

---

(١) قلت : الضياء السنة الأولى الصفحة (٦١٠)

(٢) قلت : حظوته : ظفره . وفي (التاج) : الحظوة بالضم والكسر ونقل عن ثعلب وغيره تثليثه

(٣) قلت : الحظوة سهم صغير قدر ذراع وإذا لم يكن فيـه نصل فهو حظية بالتصغير ، وفى المثل : إحدى حظيات لقمان وحظياته سهامه ومراميه (الصحاح) وفى (اللسان) : حظاه بالحظوة إذا ضربه بها . وفى (التاج) : نقل شيخنا فيه التثليث

(٤) قلت : فى اللسان : الحظ النصيب من الخير والفضل قال الأزهرى : وناس من أهل حمص يقولون : حنظ وتلك النون عنـدهم غنة ولـكنهم يجعلونها أصلية ، وإنما يجرى هذا اللفظ على ألسنتهم فى المشدود نحو الرز يقولون : رنز ونحو أترجة يقولون أترنجة . والجمع أحظ فى القلة وحظوظ وحظاظ فى الكثرة وإحاظ وحظاء

(٥) قلت : فى (اللسان) : المقامة بالفتح المجلس والجماعة من الناس . وفى (التاج) : كان ذلك بحضرته مثلثة وكلمته بحضرة فلان وبمحضر منه أى بمشهد منه . وأصل الحضرة مصدر بمعنى الحضور ثم تجوزوا به تجوزا مشهورا عن مكان الحضور نفسه . ويطلق على كل كبير يحضر عنده الناس . كقول الكتاب أهل الترسل والانشاء : الحضرة العالية تأمر بكذا والمقام ونحوه ، وهو اصطلاح أهل الترسل كما أشار اليه الشهاب فى مواضع من شرح الشفاء

بمعنى واحد فتقول : رأت حضرة أعضاء المجمع اللغوى ، أو قال مجلس أعضاء المجمع (أو قالت مقامتهم) ولا تقول : قالت حضرات أعضاء المجمع أو قالت مجالسهم (أو مقاماتهم) لأنهم كلهم أجمعين حضرة واحدة ، مجلس واحد . وهذا واضح »

قلت : هـذه الكلمة هى آخر ما قيل فى البحث عن (حظى بكذا) ولم يظهر فى (البلاغ) شىء بعدها فى هذا المعنى

* * *

هـذه أقوال الشيخ ابراهيم اليازجى فى مجلته (الضياء) فى نقد الفعل (حظي بالشيء)

فى السنة (٦) فى الصفحة (٢١٦) فى جواب سؤال :

« وأما قوله (يحظى على الانسجام) يريد يظفر به ويحصل عليه فهو من كلام العامة لأن الحظوة فى اللغة بمعنى المنزلة والمكانة والقرب المعنوى كما فسرها فى تاج العروس تقول : حظى فلان عند الأمير وحظيت المرأة عند زوجها ، على أن العامة يقولون حظى بالشيء ولا يقولون حظى عليه فهو غلط فى اللغة العامية أيضاً »

فى السنة (٧) فى الصفحة (٣٥٧) فى مقالة عنوانها (لغة الجرائد) : « ويقولون حظوت برؤيا فلان أى فزت برؤيته فيضمون الرؤيا مكان الرؤية ، والأشهر فيها أنها مصدر رأى الحلمية وأما رأي البَـصرية فيقال فى مصدرها الرؤية كما أن رأى العقلية فى مصدرها الرأى ، وقولهم (حظوت) فيه غلط فى اللفظ والمعنى؛ أما فى اللفظ فلأن هذا الفعل من باب علم لا من باب نصر فيقال فيه حظيت بالياء مع كسر الظاء ، وأما فى المعنى فلان الحظوة — وهم يقولون الحظوى — معناها المكانة والمنزلة يقال حظى فلان عند الأمير وحظيت المرأة عند زوجها ، ولا يقال حظى بالشىء بمعنى ظفر به إنما هذا من استعمال العامة »

في السنة (٨) الصفحة (٥٤٥) فى مقالة عنوانها (أغلاط المولدين) :

قال محمد بن بشير الرياشي :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا [(١)]

أراد أن يظفر بحاجته فعبر بيحظى ولا يكون يحظى بهذا المعنى كما نبهنا عليه فى لغة الجرائد . قال فى لسان العرب : الحظوة والحظة المكانة والمنزلة للرجل من ذى سلطان ونحوه ، وقد حظى عنده ، ورجل حظى إذا كان ذا حظوة ومنزلة . اهـ . ومثله في سائر كتب اللغة ، ولم ينقل أحد حظيت بكذا بالمعنى المتقدم ، ولا ورد فى كلام قديم ، لـكن غاية ما هناك أنه يمكن أن يقال حظى فلان عند الأمير بصدق خدمته مثلا أى كان صدق خدمته سبباً لحظوته عند الأمير ومن هذا قول أبى نُوَاس :

ومالكَ غير ما قدّمت زاد ... إذا جعلت إلى اللهوات ترق
وما أحد بزاد منك أحظى ... ولا أحـد بذنب منك أشقى

قوله فما أحد بزاد منك أحظى أى لا يكون أحد أحظى بواسطة هذا الزاد منك كما لا يكون أحد أشقى بذنبك منك ، وعبر بلفظ التفضيل وهو غير مراد ، والمعنى لا يسعد أحد بالزاد الذى تقدمه سواك كما أنه لا يشقى أحد بالذنب الذى تقترفه سواك.

ومثل قول محمد بن بشير قول الصفىّ الحلّى :

من لى بقـربك والمزار عزيز ... طوبى لمن يحظى به ويفوز

وقول ابن التعاويذى :

لم أحظ منها بسوى نظرة ... خالستها من جانب الخـدر

وهو استعمال عامى »

قلت : بيت أبى نواس روايته الصحيحة هى :

وما أحد بزادك منك أحظى ... وما أحد بذنبك منك أشقى

وهى رواية (الديوان) ورواية المبرّد فى (الكامل) ومن قبله بيت الفرزدق وهو فى (النقائض) وفى (ديوانه) :

فأدركها وازداد مجداً ورفعـــة
وخيراً ، وأحظى الناس بالخير فاعله

وبيت الحَـكَمىّ (أبى نؤاس) لا يفتقر إلى مفسر أو ترجان ولا

---

(١) قلت : جاء فى شرح الحماسة للتبريزى : يقول إن صاحب الصبر خليق بنيل حاجته

إلى هذا الذى قد خطه الكاتب (اليازجى) ، ومن عجائب الزمان أن يخطئ العربى الأول يستعمل فى أثناء تخطئته قول المتأخر فيقول (بواسطة هذا الزاد) والواسطة فى العربية معروفة

***

هذه طائفة من الأقوال العربية والاسلامية والمولدة قد جاء فيها حظي بالشيء بمعنى ظفر به ، ولم أورد منها ما ذكره الأستاذ أزهرى المنصورة . والقائلون من المولدين كلهم أئمة :

فى (سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) لابن هشام فى قصيدة لحذيف بن غانم :

وخيرهم أصلا وفرعاً ومعدناً وأحظاهم بالمكرمات وبالذكر

فى (كتاب الحماسة) للبحترى فى مقطوعة لعمرو بن مالك :

موارده فيها الردى وحياضه وإن أترعت لم يحظ بالرى شاربه

وفى (أمالى القالى) من قصيدة للشنّى

ولست بقائل قولا لاحظى بقول لا يصدقه فعالى

ومن الشواهد النحوية :

ماذا ولا عتب فى المقدور رمت أما
يُحظيك بالنجح أم خسر وتضليل (1)

وفى (الأغانى) لبشار :

بكيت على من كنت أحظي بقربه
وحق الذى حاذرت بالأمس إذ ساروا

وفى (ديوان أبى تمام)

منظومة بالموت يحظى بحليها مقلدها فى الناس دون المقلَّد

وفى (الأغانى) فى سيرة بشار : فلم يحظ منه (أى من المهدى) بشيء فهجاه

وفى (الأغانى) فى الجزء الثامن : حظى بها من غير نصب ولا كدح

وفى (طبقات الشعراء) للجمحي: فلم يحظ ولم يحل منه بشيء

وفى (الموشح) للمرزبانى : فوالله ما حظى البحترى من المعتز فى هذه القصيدة بطائل

وفى (رسائل الهمذانى) فى مناظرة الخوارزمى : أو قلت لك أكتب كتابا يخلو من الحروف المواطل ، هل كنت تحظى منه بطائل ، أو تبل لهاتك بناطل (2)

وفى رسالة (الغفران) : لقد شقيت فى الدار العاجلة بجمع الأدب ولم أحظ منه بطائل

وفى (سقط الزند) لأبى العلاء :

وزند عاطل يحظى بمدح ويحرمه الذى فيه السوار

وفى (المقامات الحريرية) فى الثلاثين : صلى الله عليه صلاة تُحظيه بالزلفة

وفى (الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب) للبطليوسى فى شرح المقدمة عند ذكر كاتب التدبير: ويحظى بمنزلته لديه

وفى (مفتاح العلوم) للسكاكى ، فى خاتمته : وإذا جئتهم من علم الأصول وجدت علماءهم مقلدة ما حظوا إلا بشم روائح

الاسكندرية (***)

(1) الشاهد فى البيت الفصل بين الموصول وصلته وهو ضرورة

(2) الناطل : الجرعة من الماء واللبن والنبيذ

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٥ —

مقالاته للرسالة (٦)

كانت خير أوقات الكتابة عند الرافعي في المساء حين يعتدل الجو ، وتسكن الحركة ، وتخف المدة ؛ إذ كان عمله في المحكمة يملأ بياض نهاره . فلما كان رمضان سنة ١٣٥٣ (١٩٣٤ الميلادية) سألني : « كيف نصنع يا شيخ سعيد في هذا الشهر وأي أوقاته نجعلها للكتابة ؟ » قلت : « فانظر فيما تراه خيراً لك ولست أرى ما يمنع أن تستمر على عادتك فتجمل مجلسك للكتابة بعد العشاء » قال : « لا سبيل إلى ذلك والمدة مثقلة بعد خلاء ، ولكني سأحاول أن أكتب في العصر ، فانه حينما امتلأت المدة ثقل الرأس ، فلعل فراغها في النهار أن يشحذ الذهن ويصقل الفكر » .

وحاول أن يكون ذلك فلم يقدر عليه ، ومضى يوم ويوم ويوم وانتهى الأسبوع الأول من رمضان ولم يكتب شيئاً للرسالة ، واستحيا أن يعتذر ، فلم طائفة من « فتات المكتب » وجعلها الجزء الثاني من « كلمة وكليمة » وبعث بها

في هذه الكلمات المنشورة بالعدد ٧٦ كلمات عن السياسة تفسرها الحالة السياسية في مصر في أوائل عهد وزارة المغفور له نسيم باشا ، وفيها حديث عن الزكاة والصوم ، وفيها كلمات عن الزواج والمرأة ، وفيها رسائل إلى « فلانة » !

ثم كانت مقالة الأسبوع التالي هي قصة « سمو الحب »

أشياء ثلاثة أملت عليه موضوع هذه القصة : رمضان ، وكتاب الأغاني لأبي الفرج ، وما يسمع من أحاديث الشبان عن الحب .

أما رمضان فسما بروحه وأمده بما في القصة من المعاني الدينية التي حكاها على لسان مفتي مكة وإمامها « عطاء بن أبي رباح » والرجل الزاهد « عبد الرحمن القس بن عبد الله بن أبي عمار »

وأما كتاب الأغاني فأعطاه صلب القصة وأساس البناء في سطور يرويها من خبر « سلاّمة المغنية » جارية يزيد بن عبد الملك، وقد وقع الرافعي على هذا الخبر اتفاقاً في إحدى مطالعاته في كتاب الأغاني

وأما أحاديث الشبان فحفزته إلى إنشاء هذا الفصل ليضربه مثلا لسمو الحب يصحح رأى الناس في الحب ويكون منه لشباب الجيل درس وموعظة

في هذا الفصل يجد كل سائل جوابه إن كان يعنيه أن يعرف كيف يجتمع الدين والمروءة والحب في قلب رجل كالرافعي يعرفه الناس فيما يكتب شيخاً من شيوخ الدين فيه تحرج وخشية، ويعرفه من يعرفه من أصحاب مجنون لَيْلَيات وقيسَ لُبنَيات!

... ولكي ينتفع الرافعي بوقته في رمضان كان يتخفف من طعام الفطور ، ثم يجلس مجلسه بعد العشاء للإملاء ؛ فاذا فرغ من الكتابة أو الإملاء تناول السّحور ، فيعوّض فيه بعض ما فاته من فطوره ثم ينام !

على أنه لم يجد راحته في هذا النظام أيضاً ؛ فلما كان الأسبوع الثالث لم يجد في نفسه خفة إلى العمل ، فعاد إلى أوراقه القديمة يبحث بينها عن شيء يصلح للنشر ليستريح أسبوعاً من العمل ، فوقع على ورقات من مجلة المقتطف في سنة ١٩٠٥ كان قد نشر بها قصته الأولى : « الدرس الأول في علبة الكبريت » ، فعاد إلى قراءتها ، فلما فرغ من القراءة التفت إلى قائلاً : « هذه قصة ينقصها السطر الأخير » قلت : « وماذا يكون هذا السطر ؟ » . قال : « إسمع : هذا غلام سرق علبة كبريت منذ ثلاثين سنة فحوكم بها وحكم عليه ... » قلت : « نعم ! » . قال : « فما تظن هذا الغلام الآن بعد هذه الثلاثين ؟ » قلت : « أراه الآن رجلاً يفلح الأرض أو يعمل بالفأس في حجارة أبي زعبل ! »

قال : « هذه الأخيرة أمثل به ؛ لقد تلقى الدرس الأول في علبة كبريت فقاده إلى الحبس ، فهل تراه بعد هذه الثلاثين إلا قد أتم دروسه ووقف على عتبة المشنقة...؟ أكتب...أكتب »

وأملى على مقالة « السطر الأخير من القصة »

لم يغير الرافعي هذه المقالة عن أصلها فيما عدا الخاتمة وعبارات قليلة؛ وزاد عليها شيئاً من المحاورة بين الغلام وقاضيه؛ وما كان حرصه على بقائها كذلك إعجاباً بها، ولكن كأنما ردته هذه المقالة إلى شيء من ماضيه تروّح فيه من روح الصِّبي والشباب؛ فمن ذلك كان إبقاؤه عليها ليبقى فيها روح الصِّبي والشباب!

وفي الأسبوع التالي — وهو الأسبوع الأخير من رمضان — أملى على قصة «الله أكبر»

وهي بسبيل مما سمع من أحاديث الشبان عن الحب، وهي رُقية ثانية من رُقى الحب الداعر: كانت الرُّقية الأولى هي كلمة «برهان ربه» في قصة سموّ الحب، وكانت الرقية هنا هي كلمة «الله أكبر»

وأول الأمر في هذه المقالة أنني كنت جالساً إلى الرافعي في القهوة نتحدث في شأن ما، وساقنا الحديث مساقه إلى بعض شئون العيد، ولم يكن بيننا وبين عيد الفطر إلا أيام، وقال الرافعي: «... وأنا لو ارتدّ إليّ السمع لن يطربني شيء من النشيد ما كان يطربني في صدر أيامي نشيد الناس في المساجد صبيحة يوم العيد: الله أكبر الله أكبر! يعج بها المسجد ويضج الناس ... ليت شعري هل يسمع الناس هذا التكبير إلا كما يسمعون الكلام! الله أكبر! أما إنه لو عقل معناها كل من قالها أو سمع بها لاستقامت الحياة على وجهها ولم يضل أحد!»

ومضى يتحدث عن روح المسجد وفلسفة التكبير عند الأذان وفي كل صلاة، فما فرغ من الحديث حتى طرقنا زائر من روّاد القهوة فحيا وجلس ... وتنقل الحديث بيننا من فن إلى فن إلى فنون ...

وتهيأ موضوع القصة في فكر الرافعي، فلما دعاني ليمليها عليّ لم يجد في نفسه إقبالاً على العمل، فوقف في الاملاء عند منتصف المقالة ونسأ البقية إلى غد، ثم كان تمامها

وفي صبيحة يوم العيد ذهب على عادته إلى المقبرة لزيارة أبويه وقد كان في الرافعي حرص شديد على ذكرى أبويه؛ فهما معه في كل حديث يتحدث به عن نفسه، وزيارة قبرهما فرض عليه كلما تهيأت له الفرصة؛ وما إيثاره الاقامة في طنطا على ضيقها به وجهلها مقداره إلا ليكون قريباً من قبر أبيه وأمه. وقد نقلته وزارة الحقانية مرة نقلة قريبة، فتمرد على أمر الوزارة وأبى الانتقال وانقطع عن العمل في وظيفته قرابة شهرين حتى ألغت الوزارة هذا النقل، وكانت كل حجته عند وزارة الحقانية في إيثار طنطا: أن فيها قبر أبيه وأمه! ... وقد مات ودفن إلى جانب أبيه وأمه، فلعله الآن سعيد بقربهما في جوار الله ولعلهما به ... ولما عاد من زيارة المقبرة أملى عليّ مقالة «وحي القبور!»

***

ثم عاد إلى موضوع الزواج يتناوله من بعض أطرافه، فأنشأ قصة «بنته الصغيرة» وهي الثالثة مما نحل أئمة الصدر الأول من القصص؛ تحدث في «قصة زواج» عن سعيد بن المسيب، وتحدث في «سمو الحب» عن عطاء بن أبي رباح، وتحدث هنا عن مالك بن دينار والحسن البصري

في هذه القصة يتناول الرافعي موضوع الزواج على النحو الذي تناوله به في قصة «رؤيا في السماء» على أنه باب إلى السمو بالانسانية، وفيها إلى ما فيها من الدعوة إلى الزواج وبر البنات شيء من الأدب الديني يضمها إلى سابقاتها

ثم نشر بعد هذه القصة الجزء الثالث من «كلمة وكليمة» — العدد ٨٤ سنة ١٩٣٥ — وفيها كلمات عن السياسة وحديث عن المرأة، ونظرات في أخلاق بعض الناس أوحى إليه بمعانيها قضية كانت له في المحكمة شغله أمرها وقتاً ما. وقصة ذلك أن الرافعي كان اشترى قطعة أرض للبناء في شمال المدينة ونقد البائع ثمنها وجعل لها حدوداً مرسومة؛ ثم أعجزه أن يبنيها فظلت خلاء بضع سنين، وكانت هي كل ما حصل الرافعي من الاشتغال بالأدب أكثر من ثلث قرن؛ ثم طمع البائع أخيراً فيما باع؛ فتحيّف القطعة من أطرافها، واصطنع بينه وبين الرافعي مشكلة قانونية تعجزه عن بلوغ حقه إلا بعد مطاولة تدفع إلى اليأس، وشكاه الرافعي وتأهب لمناضلته، فاستمان عليه خصمه بواحد من ذوى صهره يعمل مفتشاً في وزارة الحقانية، فانتدب للتفتيش عن أعمال الرافعي الرسمية في محكمة طنطا مهدداً متوعداً، لعله يحمله بذلك على النزول عن بعض حقه!

طالت القضية بين الرافعي وخصمه ، وتعددت جلسات المحكمة وطالت كذلك دور التفتيش وكثرة تحدى المفتش للرافعي، حتى لزمه ثلاثة أشهر يفتش عن أعماله . فحص فيها عن بضع مئات من القضايا التي قدر الرافعي رسومها ، لعله يعثر له فيها على غلطة تحمله على الخضوع له ؛ وغلطة فى تقدير الرسوم لقضية من القضايا معناها غرامة مالية ... ومن أين للرافعي ؟

وكنت متعودا أن أغدو على الرافعي فى المحكمة فى أوقات الفراغ ؛ فلما علمت أن مفتشا عنده أقصرت ؛ فلما علم مني سبب امتناعى عن زيارته قال : « لا عليك وخلّ عنك هـذا الوهم فلا تغير شيئا من عادتك ! »

وزرته بعد ذلك مرات والمفتش عنـده ، وكان يدنيني إليه فى مجلسه ، ويجعل كرسيّ إلى جانب كرسيه خلف المكتب ، ويتأبّى على المفتش أن يذهب إليه حيث يكون ، ليحمله على الحضور بنفسه ليسأله عمـا يريد من غير أن يغادر مجلسه ؛ وفى أحيان كثيرة كان يحضر إليه المفتش وأنا فى مجلسه ليسأله عن أمر من الأمر ، فيدعه الرافعى واقفاً ويتحدث إليه وهو جالس حديثا كله سخرية وتهكم ، ثم لا ينظر إليه إلا ريثما يجيبه عما سأل ، ثم ينفتى عنه ويدعه واقفا ، ليعود إلى ما كان فيه من الحديث معى أو المطالعة فى صحيفة أو كتاب !

وعلى أن المفتش لم يظفر بشىء مما أراد بالرافعى ، فانه استطاع أن يشغله بنفسه ثلاثة أشهر أو يزيد ، على رغم ما كان يبدو على الرافعى من إهمال شأنه وعدم الاكتراث به !

... ثم انتهت قضية قطعة الأرض إلى الحكم للرافعي ، وانتهت كذلك دورة التفتيش على غير طائل ؛ ولكن هذه وتلك قد شغلتا الرافعى شطراً كبيرا من سنة ١٩٣٥ ، وأوحت إليـه بكلمات وكتابات مما نشر لقراء الرسالة فى هذه الفترة .

***

... ولم يفرغ بعـد كل أولئك مما يتصل بموضوع الزواج وشئون الأسرة ، فكانت القصة التالية « زوجة إمام » الامام أبو محمد سليمان الأعمش ، وزوجه ، وتلميذه أبو معاوية الضرير .

قصة أراد بها أن يستوفى موضوع الزواج بالحديث إلى النساء من واجب الزوجة ؛ وبها تم ما أملاه علىّ فى موضوع الزواج ، وعِدّته ثلاث عشرة مقالة فى خمسة عشر عدداً ، أولهـا مقالة « س . ا . ع » بالعدد ٦٣ سنة ١٩٣٤ وآخرها الجزء الثانى من « قصة إمام » بالعدد ٨٦ سنة ١٩٣٥

وددت لو أن الرافعى حين أعاد نشر هـذه المقالات فى وحى القلم ، نشرها على الترتيب الذى كانت به والذى رويت ما أعرف من أسبابه الظاهرة ؛ فان ذلك كان خليقاً أن يعين الباحث على دراستها مجتمعة متساوقة فصولها فصلا إلى فصل ؛ ولكنه جمعها فى وحى القلم على ترتيب رآه فجعل منها القصة ، والمقالة ، والحديث الدينى ؛ وجعل كلا من هذه الثلاثة فى بابه ؛ على أن ذلك لا يمنع الباحث الذي يتهيأ الرأى في هذه المقالات أن يقرأها على الترتيب الذى قدمت أسبابه وأسبابها معه .

« سيدى بشر » **محمد سعيد العريان**

حول أدب الرافعي

بين القـــديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

أستاذ الكيمياء بكلية الطب

— ٧ —

لقد آن لنا أن نختم هذه الكلمات بعد أن بلغنا من تزييف مقالات « بين العقاد والرافعي » أكثر ما نريد . لقد كانت حملة جائرة قامت على الإفك والباطل تلك التي قام بهـا صاحب تلك المقالات على الرافعي رحمة الله عليه . وكان أمامنا لتبيين إفكها وباطلها طريقان : طريق يهملها ويجلو للناس حقيقة أدب الرافعي بدراسة ذلك الأدب ونقده ؛ وطريق يدع أدب الرافعي حيث هو ، يعرفه من يعرفه ، ويجهله من يجهله ، ويعمد إلى تلك المقالات فيضرب بعضها ببعض وينسفها بعوامل نسفها المستكنة فيها . وكان الطريق الأول يحتاج إلى زمن وجهد أكثر مما يتيسر لنا فاضطررنا إلى الطريق الثاني . ونظن أن لم يبق بحمد الله من تلك المقالات الآن إلا ما يدع اللغم من البناء المنسوف

غير أننا نحب مع ذلك ألا نختم الموضوع من غير أن نقول كلمة نبين بها ما نعتقد أنه الفارق الحقيقي بين المذهبين اللذين يمثلهما في الأدب كل من الرافعي والعقاد

لقد جرى الناس على رد التفاصيل في الأدب إلى أصلين : اللفظ والمعنى ، وأبدأوا في ذلك وأعادوا وأسرفوا في الاختلاف بينهم : أي هذين الأصلين يقدمون على الآخر في تقديم أديب على أديب . واختلافهم هذا شيء عجيب ، فإن اللفظ والمعنى ركنان متلازمان لا ينبغي التقصير في أيهما للأديب المكتمل . فكأن مثل اختلافهم ذلك لا تدعو إليه الحاجة إلا عند المفاضلة بين أدباء مقصرين . وإذا كان لا بد من الاعراب في هذا الشأن عن رأى فالتعبير له المقام الأول في الأحوال التي تكون الفكرة المعبر عنها شائعة لا تكلف مجهوداً ؛ والتفكير له المقام الأول إذا كان الموضوع يستلزم إعمال الفكر لاستخراج الصواب ؛ وعندئذ يكفي من التعبير الصحيح ما يجلي ذلك الصواب ، ويكون كل ما يعوق ذلك عيباً ولو كان زيادة تفنن في التعبير . فإن أمكن الجمع بين التفنن في التعبير والجلاء والدقة في المعنى المعبر عنه كان الأديب أمكن في الأدب من غير شك وكان أولى بالتقديم

إن امتلاك ناصية اللغة أمر لا بد منه لكل أديب يريد أن يبلغ في الأدب مرتبة الخلود . وليس معني هذا أن امتلاك ناصية اللغة وحده كاف للخلود ، فليس في الأدب مكانة لخلود صاحب المعنى الخسيس في اللفظ الأنيق إلا إذا انحط الأدب . إنما الآداب الرفيعة آداب نبل قبل كل شيء : نبل في المعنى ونبل في التعبير على السواء . ونبل التعبير راجع إلى حد كبير لنبل المعنى عند تمام الأداء . لكن لن يستطيع البلوغ في الآداب حد التمام إلا من امتلك ناصية اللغة فلم يعجزه معنى مهما دق أو اتسع عن أن يجد له من التعبير ما يلبسه ويظهره ويستغرقه ، فلا يقصر عنه ولا يزيد عليه . فشرط امتلاك ناصية اللغة شرط أساسي في كل أديب يطمع في ذلك المجد الباقي الذي نسميه الخلود خلود الذكر إذا صار الأديب حديثاً من الأحاديث . هو شرط أساسي لكنه وحده غير كاف ، كالماء أو الهواء أو الطعام كل منها ضروري للحياة لا تقوم بدونه ، لكنه وحده لا يكفي للحياة

وإذا تساءل متسائل أي الأديبين أدل على امتلاك لناصية اللغة واقتدار على التفنن والتصرف في التعبير بها ؟ أدب الرافعي أم أدب العقاد ؟ كان الجواب الذي يسرع إلى الانسان في غير تكلف ولا تحيز : أدب الرافعي كان أملك لناصية اللغة من غير شك وأكثر افتناناً فيهـا وتصرفاً بها . ولا نظن المقاديين أنفسهم يمارون في هذا ، فأكبر ما ادعاه للعقاد مفتونهم به هو أن الأسلوب الفخم والتعبير الجيد غير بعيدين عن شعر العقاد

لكن التفوق من ناحية اللغة لا يبلغ أن يكون فارقاً بين مذهب ومذهب ، فأبناء المذهب الواحد في الأدب كثيراً مايتفاوتون في المقدرة اللغوية تفاوتاً مذكوراً . لو كان العقاد ممن يثبطون عن اللغة أو يدعون إلى اتخاذ العامية لغة كتابة كما هي لغة حديث لكان ذلك فارقاً أساسياً بين الرجلين ينسبهما في اللغة إلى مذهبين مختلفين . لكن العقاد لا يفعل شيئاً من هذا . إنه يرجو أحياناً أن يجد الشعر العربي طريقاً إلى أن يتحلل بعض التحلل من القافية ليتسع مثلاً لشعر الملاحم ، لكن هذا وحده ،

مهما خالفه الرافعى فيه إن كان خالفه، لا يكفى لأن يتماديا فيه أو ينتسبا به إلى مدرستين أو مذهبين فى الأدب مختلفين

بقيت ناحية المعنى . ولم نر أحداً ظلم فى معانيه مثل ما ظلم الرافعى . فكلام بعض أنصاره مثل أخينا على الطنطاوى لايقدر ناحية المعنى حق قدرها فيظن خصوم الرافعي أن هذا هو مذهب الرافعى ، ويتخذونه فيما يتخذون دليلا على تقصير الرافعى من ناحية المعنى . أخونا الطنطاوي يرى المعانى قريبة المتناول يأخذها الانسان مما يسمع أو يقرأ أو يشاهد ، فلا فضل فيها لأحد على أحد ، ويكون التعبير عنها هو مظهر التفاضل بين أديب وأديب . لكن هذا إذا صدق على الشائع المألوف من المعانى فليس يصدق على النادر الطريف . ومعانى الرافعى يكثر من بينها الطريف كثرة تدعو إلى العجب ؛ كثرة لا نظن أحداً من المحدثين يفضله فيها أو يزحمه . فالرأى الذى ذهب إليه أخونا الطنطاوى من شأنه — عرضاً — أن يهضم الرافعى من هذه الناحية التى تعد من أكبر مفاخره

وطرافة معانى الرافعى يرجع جزء كبير منها إلى خياله . ومن رأينا أن ناحية الخيال من النواحى التى تفوق فيها الرافعي وامتاز فتم بها تفوقه فى التعبير والبيان . هذه الناحية فى الرافعى أدعى إلى الاعجاب حتى من مقدرته اللغوية ، فالمقدرة اللغوية لا تحتاج بعد الاطلاع والاحاطة إلا إلى حسن الاستعمال ؛ لكن الخيال ملكة أخرى لعل قوتها ورقيها أدل الدلائل على الشاعرية . ونحن فيما قرأنا للقدماء أو المحدثين لم نرها بلغت من النمو والقوة والسمو ما بلغته فى الرافعى . وليس معنى هذا طبعاً أن أدب الرافعى هو خير أدب وجد ، لكن معناه أن ناحية الخيال أظهر فى أدب الرافعى وأسمى منها فى أدب أى أديب قرأنا له . وسواء أ كان من قرأنا لهم فى الأدب كثيرين أو قليلين ، فليس لدينا شك فى أن ناحية الخيال ناحية امتاز فيها الرافعى وتفوق على النقاد

لكن ليست المعانى كلها تدورحول الخيال، وإن كان الرافعي لقوة حاسة الخيال فيه يكاد يجد للخيال موضعاً فى كل معنى . إن روح المعنى بالطبع هومنزلته من الحق ومن الصواب ، والحق والصواب لهما معايير ليس الخيال أحدها قدضلها المتأدبون فى هذا العصر حتى كاد الأمريكون بينهم فوضى . فأما ما اتصل من المعانى بالعلم فمن السهل الرجوع فيه إلى أصل يحسم الخلاف أو يخفف من الخصومة فيه . لكن ما الحيلة فيما اتصل من المعانى بالفن ، والفن قد كثرت مذاهبه وتضاربت حتى لم يبق لترجيح رأى على رأى ولا مذهب على مذهب إلا الميل والهوى الذى يسمونه الذوق ؟ كيف يمكن تبين الحق والصواب فى ميدان الفن الذى منه ميدان الأدب ، فيما لم يتصل بعلم وفيما لم يتصل بلغة ؟ إن الوصول إلى جواب صائب على هذا السؤال أمر حيوى لا غنى عنه ألبتة، لا لأنه يعين النقد فى الحكم بين أديب وأديب ، أو بين مذهب ، فى الفن ومذهب حكما يبقى على الورق لا يدرى من تأثر به ، ولكن ليتبين الناس به سبيلهم فى فوضى الفنون هذه فيأخذون من الفنون ويدعون طبق ما هو حق وطبق ما هو خير

إن الفن ومنه الأدب له من الأثر فى حياة الفرد وفى حياة الجماعات أكثر مما للعلم ، لأنه متصل بدخيلة هذه الحياة فى حين يتصل العلم عند أكثر الناس بظاهرها ؛ وإذا اتصل عند أقلهم بباطن حياتهم النفسية فقد صار باباً من الفن عند ذلك القليل . إن الفن يعمل فى نفس الفرد ويكيف حياته الباطنة إن لم يكن كل التكييف فبعض التكييف ، لكنه على أى حال تكييف بعيد الأثر فى حاضر الانسان ومستقبله . ولسنا نغالى إذا قلنا إن مستقبل الانسان فرداً أو جماعة يتوقف الآن على نوع هذا الأثر الذى يحدثه الفن في النفوس

ومن عجيب الأمر أن الناس يكتبون ويتكلمون عن الفن كأنه دائماً يوجه إلى الخير وكأنه دائماً على صواب . إنه ينبغي أن يكون دائماً كذلك من غير شك ، لكن هل هو دائماً كذلك ؟ بل هل هو غالباً كذلك ؟ إنك لا تستطيع أن تجيب جواباً نافعاً حتى يكون لديك معيار صدق تعرف به الخير من الشر فى الفنون كما تستطيع أن تعرف الحق من الباطل فى العلوم . ولن تجده فى هذه الفوضى السائدة بين مذاهب الفلسفة والأخلاق والفنون وإنما تجده من غير شك فى الدين

لكن أصحابنا المجددين أنصار ما يسمونه الأدب الحديث يفرقون من ذكر الدين كأنما تلسعهم من اسمه النار . كذلك فزع أحدهم بالعراق ، وكذلك يفزع هذا الآخر فى مصر وإن

زعم أنه أفهم منا للدين . ليته كان كذلك حقاً فنغتبط له ، فان ذلك مما لا ينقصنا من ديننا شيئاً ولكن يزيده فى دينه . لكن المسألة فى الدين ليست مثلها فى الأدب الذى يكتبون كلاماً لا يرجع فيه إلى أصل ثابت ولا معيار . إن كل ما يتصل بالدين ممكن الرجوع فيه إلى أصل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: القرآن . وما غمض علينا من القرآن يمكن تبين معناه المقصود من السنة سنة الرسول صلوات الله عليه . ونحن معشر المسلمين مأمورون بأن نرد كل ما نختلف فيه إلى الله والرسول إن كنا نؤمن بالله واليوم الآخر: (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا) فلعل صاحبنا إن كان أفهم منا للدين لا يعيب كلامنا هذا بأنه من كلام خطباء المساجد ويقبل على تفهم وجه الحجة فيما ناق عليه فانما الحق والاصلاح نريد

إن المسلم الذى يفقه دينه ويفقه الحياة أينما نظر لا يجد مفراً من أن يصل هذه الحياة أدبها وفنها وعلمها بالدين كما أنزله الله على رسوله محمد بن عبد الله ، أي كما يتبين من القرآن ومن عمل الرسول . إن الاسلام دين يشمل الحياة بحذافيرها ويحيط بها من جميع أطرافها . ومن أخص خصائصه أن يكون الانسان فى خلجات نفسه مع الله ، وأن يخلص نوايا قلبه لله ، وهذا هو معنى إسلام الوجه لله ، ومنه اكتسب الدين اسمه الكريم : الاسلام . والمظهر العملى للاسلام هو طبعاً اتباع ما شرع الله للانسان فى الحياة من نظم وأحكام، لكنه لن يستطيع أن يحقق هذا حتى يكون سره ونجواه ونيته لله . وعن هذا الطريق طريق إسلام الوجه والنفس والقلب لله يكون تمام اتصال الانسان بربه خالق الكون وفاطر الفطرة الذى إليه المرجع ومنه المدى وبه الحياة ...

فاذا كان ذلك كذلك، وإنه لكذلك، فكيف يجوز فى غريزة أو عقل أو علم أن يجمع الانسان بين الحياة الاسلامية والحياة الفنية أو الأدبية أو العلمية إن لم يكن بين الفن والأدب والعلم وبين الإسلام تمام التطابق والاتفاق ؟ والتطابق التام بين العلم والاسلام ثابت لاشك فيه[1] ، فليس فى الثابت من العلم شىء ينقض شيئاً من الاسلام ، وليس فى الاسلام أصل ينقض حقيقة ثابتة فى العلم . وكل ما يثبته العلم فى المستقبل يقبله الاسلام مقدماً بنص القرآن ، ويؤول إليه النص إن خالفه فى الظاهر . وهذا دليل جديد لا ينقض على أن الاسلام هو حقاً من عند الله فاطر الفطرة ، وأنه حقا دين الفطرة كما وصفه الله فى القرآن . أفلا ينبغى أن يثبِّت هذا فى الدين هؤلاء المتزلزلين من أهل «التجديد» الذين يريدون أن يلفُّوا الدين ويضعوه على الرف ويقطعوا باسم التقديس ما بينه وبين الحياة فى مظاهرها خارج المساجد فى الأدب والفنون والاجتماع ؟

إن الفطرة كلها منشؤها واحد هو الله سبحانه وتعالى ، والعلم والدين كلاهما قد اجتمعا على استحالة التناقض فى الفطرة . فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة كما يزعم أهلها وجب ألا تخالف أو تناقض دين الفطرة دين الاسلام فى شىء . فاذا خالفته فى أصوله ودعت صراحة أو ضمناً إلى رذيلة من أمهات الرذائل التى جاء الدين لمحاربتها ، وعاقت الانسان أن يعمل بالفضائل التى جاء الدين لإيجابها على الإنسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقى فى النفس والروح — إذا خالفت الفنون الدين فى شىء من هذا أو فى شىء غير هذا فهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الحق ودابرت الخير وأخطأت الفطرة التى فطر الله عليها الناس والخلق ، والتى تريد الفنون أن تكون منها فى الصميم ، فاذا كان من شأن بعض ما يعمل أو يكتب باسم الفن أو الأدب أن يتجاوز فى تأثيره ما سبق على عظمه ، فيحول بين الإنسان وبين ربه ، ويدخل عليه الشك فى دينه بأى صورة من الصور ولأى حد من الحدود ، كان ذلك البعض المعمول أو المكتوب باسم الفن أو باسم الأدب زوراً وإفكاً فى الفن والأدب والفطرة والدين على السواء

فنحن حين ندعو إلى وجوب نزول الفن والأدب على حكم الدين وروحه ، وتحريهما التطابق التام بينهما وبينه ، لسنا نعبث ولا نتجنى ولا نتحكم فى الأدب والفن بما لا ينبغي التحكم به فيهما

---

(١) انظر مقال الاسلام والمدنية والعلم فى عدد الرسالة الممتاز والذى يليه لسنة ١٣٥٥

إننا نوجد معياراً للحق والصواب والخير فى الفن والأدب حين لا معيار لذلك كله فيهما ؛ ونيسر للفن والأدب طريق التثبت من انطباقهما على الفطرة التى فطر الله عليها الناس، ونحقق لها بذلك اتحادهما مع الفطرة فى الصميم . ونحن بذلك الذى ندعو إليه ونقول بوجوبه نحقق بين الفن والأدب وبين الدين تلك الوحدة المتحققة بين الدين والعلم ، فتتحقق وحدة حياة الانسان كلها بذلك وتبرأ حياته من ذلك الداء المستعصى والشر البالغ شر وجود التناقض والتنافر بين ما يعشق من فن ويعتقد من دين . ثم نحن بعد هذا ووراء هـذا نترك الفن والأدب بما قلنا ودعونا إليه من وجوب سيرهما مع الدين يداً بيد ، وجنباً لجنب، وروحاً مع روح ، على الطريق التى يحققان منها رسالتهما فى الناس ، رسالة الصدق والحق والخير والفضيلة والعزة والسعادة والهدى والنور ، لا رسالة الكذب والباطل والشهوة والاثم والمجون والفجور

فالمسألة فى الأدب — إذ لا بد من الرجوع إلى ما كنا فيه — ليست مسألة لفظ ومعنى فقط ولكنها فى صميمها مسألة روح . فريق يريد أن يجعل روح الأدب روحاً شهوانياً بحتاً يتمتع صاحبه بما حرم الله وما أحل، لا يفرق بين معروف ومنكر، ثم يصف ما لاقى فى ذلك من لذة أو ألم أو غيرهما من ألوان الشعور ويخرج ذلك للناس على أنه هو الأدب ! وفريق يريد أن يحيا الحياة الفاضلة فى حدودها الواسعة التى حدها الله ، وبمظاهرها المختلفة فى الفطرة كما طهرها الله، لا كما دنسها أو يريد أن يدنسها الانسان ، ويصف ما يتمتع به من تلك وما يلاقى أو يتجشم فى سبيل ذلك غير ناس لحظة أن الوجود كله من الله وأن الدين كله لله ، وما يصف ويحلل يخرجه للناس على أنه هو الأدب . فأى الأدبين يا ترى أرحب وأسمى وأطهر ، وأيهما أولى بالحياة وأصلح للبقاء ؟ إنه لا شك عندى فيما تجيب به بفطرتك على هذا السؤال

إن أدب الفريق الأول هو ما يسمونه بالأدب الجديد ويمثله العقاد ، وأدب الفريق الثانى هو ما يسمونه بالأدب القديم ويمثله الرافعى ، وقد عرفت الآن فيم يتفقان وفيم يفترقان . الرافعى كما قلنا يتفوق على العقاد فى التعبير وفى الخيال ؛ وكلاهما يحتفل بالمعنى أكبر احتفال؛ غير أن الرافعى عنده نور يهتدى به ليس عند العقاد فكان لذلك أقل من العقاد عاباً وأكثر صواباً . لكن ذلك كله لا يكفى لأن يفرق بين أدبيهما تفريقاً يجعل منهما ممثلى مذهبين مختلفين فى الأدب . إنما الخلاف الأساسى بينهما خلاف فى الروح؛ هما من حيث الروح مختلفان كل الاختلاف ، وعندك للحكم بين الروحين معيار صدق لا يخطئ هو معيار الدين . وإذا أردت معياراً جزئياً يغنيك عند التقريب فمعيار الخلق الفاضل . وإذا قست الأدبين بأحد هذين المعيارين لم يبق عندك شك فى أيهما أولى بالاكبار وأصلح للبقاء لأنه أعون للانسان على الارتقاء : ألأدب الأخلاقى أم الأدب غير الأخلاقى ، على ألطف وأخف تعبير

والمقياس الذى نبهنا إليـه فى الفن والأدب ليس من البعد عن الفن والأدب كما يصور العقاديون ، بل هو من روح الفن والأدب فى الصميم . أليس روح الفن والأدب الجمال ؟ أليس الجمال النفسى روح الجمال الانسانى ؟ ثم أليس روح الجمال النفسى إخباته وإخلاده وإسلامه لله ؟ من هـذا الاخبات والاخلاد والانقياد لله تأتى الفضيلة والسلامة والسعادة فى الحيـاة ، ومن محبة الله سبحانه يشيع فى النفس الهدى ويشع منها النور. فقل لى بربك كيف يمكن أن يكون لأدبهم المكشوف نصيب من روح الجمال الانسانى يستهوى النفس التى فيها بقية من الفضيلة والخير ؟ إنا لا نشك فى أن ذلك الأدب المكشوف مثل سارة وما إليها يصدم أول ما يصدم مقر الفضيلة من النفس ويؤذى أول ما يؤذى حاسة الجمال النفسى فى الانسان . فهو فى صميمه أدب غير جميل ، يلذه ويستمتع به من مسخت نفسه فصارت تعاف الطيب وتستمرئ الخبيث . أما غير هذه النفوس مما لا يزال لها من الخير والفضيلة والدين نصيب فانها تجد صعوبة فى أن تمضى فى قراءة مثل ذلك الكتاب إلى تمامه إلا أن تمطل من ذوقها أو تنيم من ضميرها أو تحتال عليه بالاقرار له أن الكتاب من الناحية الخلقية معيب قبيح لكنها تقرأه لتحيط بأدب العصر أو لتدرس من الكتاب أسلوبه أو ما شابه ذلك من معاذير . ويكون جزاؤها على ذلك أن تخرج من القراءة وقلبها أكثر مرضاً ، وذوقها الأدبى أقل تمييزاً ، وحسها الخلقى أكثر انثلاماً . ولا تلبث إذا تكرر ذلك منها أن تفقـد أكبر مميزاتها ومزاياها فتهبط من معارج الرقى النفسانى إلى مدارج الانحطاط ؛ ويكون الأدب المكشوف بذلك قد فعل فعله وأدى رسالته من مسخ الطباع وإفساد النفوس والصد عن سبيل الله

محمد أحمد الغمراوى

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى مثلها الأعلى من سيرة هـذا العصامي العظيم ... ...

— ٢٠ —



وجاء يوم الرحيل وآن لفتى الأحراج أن يؤدى رسالته ... آن لابن النجار أن يأخذ بيديه أزمة الحكم فى قومه ؛ وتأهب ليواجه العاصفة ، وإنه ليراها اليوم عاصفة دونها تلك العواصف التى طالما هبت فى الغابة هوجاء عاتية ، فزعزعت باسقات الدوح وشعثت كثيفات الألفاف وأفزعت الرجال والدواب ... إنه يراها اليوم عاصفة من عمل الانسان لا من عمل الطبيعة ، وما أهول مايفعل بنو الانسان حين ينسون إنسانيتهم فتستيقظ فيهم غرائزهم التى دبت فيهم أول ما دبوا على هذه الأرض ...

عول على الرحيل «الرجل القادم من الغرب» كما اعتاد أن يسميه أهل العاصمة وغيرهم من أهل المدن الشرقية السابقة فى المدنية... وتقدم الربان ليقود السفينة ودوى الأنواء فى مسمعيه

ذهب مساء اليوم السالف ليوم رحيله إلى مقر عمله فى المحاماة فجمع طائفة من الكتب والأوراق فلفها وربطها بيده وحملها معه ثم أوصى أن تظل الرقعة التى تحمل اسمه واسم زميله هرندن حيث هى على الباب قائلاً : إنه عائد — إن مد فى أجله بعـد انقضاء مدته فى الرياسة — إلى عمله فى المحاماة كأن لم يكن هناك شيء

وكان قد حزم متاعه وأعد كل شيء ليكون على أهبة إذا تنفس الصبح ، وأعد فيما أعد خطاباً يذيعه فى الناس ساعة الاحتفال بتسلمه مقاليد الأمور ، ولقـد احتفل لهذا الخطاب وكانت معانيه محتبسة فى نفسه زمناً تهدر كالسيل وتجيش وتجتمع

وأسفر الصبح فركب وجماعة من أصدقائه مركبة أقلتهم إلى المحطة وقد تلاقى هناك نفر من أهل المدينة جاءوا يحيونه فما رآهم حتى وقف على سلم العربة وأطل عليهم وقد شحب لونه وتندت عيناه فقال : « أى أصدقائى ؛ لن يستطيع أى رجل لم يكن فى مثل موقفى هذا أن يدرك ما يخالجنى من الحزن لدى هذا الرحيل. إنى مدين بكل شيء لهذا البلد ولكرم أهله ؛ ولقد لبثت فيه من عمرى ربع قرن وتدرجت فيه من شباب إلى رجل مسن ... هنا ولد أبنائى وهنـا دفن واحد منهم ؛ وهأنذا أرحل ولست أدرى ما إذا كنت عائداً إليكم بعد اليوم ... أرحل وأمامى عمل هو أعظم من ذلك الذى ألقى على كاهل وشنجطون ، ولا نجاح لى مالم أصب معونة الله الذى كان معه أبدا . . . ولئن ظفرت بهذه المعونة فلن أخيب . فلنأمل فى حسن المنقلب مخلصين واثقين فى الله الذى هو معى ومعكم والذى يكون منه الخير فى كل مكان ، وإنى حين أكلكم إلى عنايته كما آمل أن تكلونى إليها فى صلواتكم أقرئكم وداعاً حاراً ... »

وانطلق به القطار وقطرات المطر تنزل على رؤوسهم الحاسرة كأنها دموع منصبة من السماء ، ولكم التقت ساعتئـذ تلك القطرات بما فاض من المآقى ... ورحل أبراهام ليعود بعد جهاد شديد ومراس فاذا هو شهيد تمزق الجراح جثته

وقضى فى رحيله إلى العاصمة اثنى عشر يوما . وعلم الناس بهذا الرحيل ، فكانوا يلقونه فى المدن التى يمر بهـا مرحبين ، وقد تلاقت جموعهم على نحو لم تشهده البلاد من قبل ، فما فى الناس

إلا من ملكه حب الاستطلاع ؛ وكثير منهم كانت تدفعهم المحبة إلى هذا اللقاء

وكان قد عقد النية أن يظل صامتاً إلا ما يكون من تحية يرد بها على ما كان يلقاه من تحيات ؛ ولكن إصرار الناس فى كل مكان على أن يسمعوا حديثه جعله يتحلل مما اعتزم ؛ ثم إنه — دون أن يعرف التظاهر أو الغرور — رأى أن هذه كانت آخر فرصة يتحدث فيها إلى عامة الناس ، وهم الذين يعول عليهم ويطمع أن يتخذ منهم ظهيراً فيما هو مقدم عليه من كفاح

وكانت له فى خطبه أثناء ذلك المسير خطة رشيدة ؛ فقليلاً ما كان يبرم أمراً أو يقطع فى المسائل القائمة برأى ؛ وإنما كان يشرح الأمور حتى تستبين، ثم يتساءل عن أوجه الصواب تاركا الناس يتدبرون حتى تأتيهم البينة ، تتمثل ذلك فى مثل قوله فى أنديا نابولس : « أى مواطنى، لست بمبرم أمراً ، إنما أنا ألقى عليكم أسئلة لتتدبروها ... »

ولقد تكلم فى هذه المدينة فأشار إلى ما كان يجرى على الألسن يومئذ حول حق الاتحاد فى رد الولايات الخارجة عليه بالقوة ؛ ولقد عد أنصار الجنوب ذلك العمل عدواناً ؛ فتساءل الرئيس هل يكون فى الأمر عدوان إذا لجأت حكومة الاتحاد إلى المحافظة على ما تملك هناك من عقار ، أو إذا حافظت على سبل مواصلاتها وحرصت على جباية المال المقرر على البضائع الواردة ؟

واستقبل إبراهام فى سنسناتى استقبالا لم تر هذه المدينة لأحد من قبل نظيراً له ؛ وتزاحم الناس عليه يريدون رؤيته وباتت المدينة فى مثل فرحة العيد ، ففيها الأنوار الوضاءة والأناشيد الصداحة والجموع الغفيرة المستبشرة، وفيها ما هو أعلى من سمات العيد هذه، ألا وهو الحب الصادق تفيض به القلوب

ومر بحدود كنتوكى وهى ولاية من ولايات العبيد تشتد فيها الدعوة إلى الانسحاب من الاتحاد فقال يوجه الكلام إلى أهلها مشيراً إلى ما اعتاد أن يخاطب به أهل الجنوب من قبل : « أى مواطنى أهل كنتوكى ، هل لى أن أدعوكم بمثل ما أدعو ؟ إنى فى موقفى الجديد ، لا أجد حادثاً ولا أحس ميلا يدعونى أن أغير كلمة من هذا ، فاذا لم تنته الأمور إلى الخير فثقوا أن الخطأ فى ذلك لا يكون خطئى ... »

وفى بتسبرج أفصح عن سروره أن كان استقباله هناك استقبالا شعبياً لا أثر للحزبية فيه ثم قال : « إذا لم تجتمع كلمتنا الآن لننجي سفينة الاتحاد القديمة الطيبة فى رحلتها هذه ، فلن يكون ثمت من فرصة بعدها لقيادتها إلى رحلة غيرها »

وفى محطة من المحطات الصغيرة وقف لنكولن بعد أن قرت حماسة المستقبلين فقال إنه يذكر أن خطاباً جاءه من فتاة هذه بلدتها تسأله فيه أن يطلق لحيته، ولقد فعل كما أشارت فهو ذو لحية اليوم كما يراه الناس ، ثم عبر عن رغبته فى رؤية تلك الفتاة إن كانت حاضرة ، فبرزت من الجموع تلك الفتاة ومشت على استحياء حتى وصلت إلى الرئيس ، فقبلها قبلة على جبينها ، والناس بذلك معجبون فرحون !

وفى ألبنى عاصمة ولاية نيويورك العظيمة كانت حفاوة الناس به شديدة ؛ وكذلك كان شأنه فى مدينة نيويورك التى سبق أن زارها لأول مرة من قبل ليخطب الناس فأصاب من النجاح ما سلفت الاشارة إليه

ووقف فى ترنتن على مقربة من ميادين القتال التى سالت فيها دماء الثورة غداة حرب الاستقلال ، فأخذه جلال الموقف وهزته روعة الذكرى فجري لسانه بما اختلج فى نفسه قال « إنى لأرجو أن تسامحونى إذا ذكرت فى هذه المناسبة أنى فى أيام طفولتى وفى مستهل عهدى بالقراءة قد تناولت كتاباً صغيراً يدعى حياة وشنجطون تأليف ويمز ؛ وإنى أتذكر كل ما جاء فيه عن ميادين القتال وعن مواقف النضال من أجل الحريات فى هذه البلاد ، ولكن ما من حادثة تركت فى نفسى من أثر مثل ما تركه موقف النضال هنا فى ترنتن نيوجرسى » ... وبعد أن أشار إلى بعض الحوادث قال ... « وإنى لأذكر الآن أنى فكرت يومئذ ولما أزل غلاماً صغيراً أنه لابد أن يكون أمراً غير عادى ذلك الذى كافح من أجله هؤلاء الناس ؛ وإني لأحس رغبة ملحة قوية أن هذا الذى كافحوا من أجله وشيئاً آخر هو أعظم من الاستقلال القومى : شيئاً ينطوى على وعد يوعد به الناس جميعاً فى هذا العالم فى كل ما هو آت من العصور ... أقول إنى شديد التطلع أن أرى الوحدة والدستور وحريات الناس بحيث تصبح أبدية وهى مقرونة بتلك الفكرة الأصلية التى من أجلها قام الكفاح. ولسوف

أ كون جد سعيد إذا أصبحتُ الآلة المتواضعة في يد القوى العلى وأيدي هؤلاء الذين يكادون أن يكونوا شعبه المصطفى للعمل على أن يدوم ذلك الذي انبعث من أجله ذلكم النضال العظيم »

وكان الكتاب الذى يشير إليه لنكولن في هذه الذكرى هو بعينه ذلك الكتاب الذى أعاره إياه أحد معارفه والذى بللته قطرات المطر فأصابته ببعض العطب ، وتركت الصبي الفقير فى حال شديدة من الغم حتى لقد سار يحمله إلى صاحبه وهو شديد الحيرة ، فلما جاءه عرض عليه أن يعمل عنده بما يساوى ثمنه ... ذلك هو الكتاب الذى قرأ فيه النجار الغلام حياة وشنجطون العظيم ، ولم يكن يدور بخلده أنه سيجلس يوماً حيث كان يجلس وشنجطون ويسدى إلى بني قومه وإلى الانسانية جميعاً من صنيعه ما لو شهده ذلك البطل الكبير لطمع أن يكون ما تقدم يداه فوق ما قدمت

واستأنف الرئيس لنكولن ومن معه سيرهم إلى العاصمة حتى وصلوا فيلادلفيا ؛ وهناك علم أن فريقاً من بنى جنسه يأتمرون به ليقتلوه ! ... سمع إبراهام أن أمامه الخطر يوشك أن يحدق به ؛ وما كان إبراهام بدعا من العظماء ، فكم من أماثل خلوا من قبله لاقوا مثلما يلاقى اليوم من عنت ، ودبر لهم مثلما يدبر له ، فما وهنوا ولا انصرفوا عن وجهتهم حتى أدركوا الغاية أو أدركهم الموت ...

وارتاب لنكولن أول الأمر، فما كان يظن أن أحداً تحدثه نفسه بإتيان هذا العمل ، ولكن جاءه رسول من عند صديقه سيوارد ينبئه أن قائد الجيش حدثه أن هناك مكيدة تدبر له وأن عليه أن يحذر حتى لا يكون ضحية للغادرين ... فلما سمع لنكولن هذا لم يعد يرتاب وبات على حذر وإن لم تأخذه خيفة

وكانت لفيلادلفيا وهى المدينة التى كتب الثوار فيها وثيقة الاستقلال وصاحوا صيحة الحرية منزلة عظيمة في نفسه وفى نفس كل أمريكى من أنصار الحرية ، وكان أبراهام قد وافق أن يخطب الناس فى تلك القاعة التاريخية التى ولدت في ساحتها الحرية، وكأنما توافقت الذكريات لتزيد فى جلال الموقف فلقد تصادف أن كان ذلك اليوم هو عيد ميلاد الزعيم وشنجطون ؛ ورغب الناس أن يرفع العلم على رأس القاعة الزعيم لنكولن ... ووافق لنكولن على ذلك مغتبطاً مرحباً كما وافق أن يخطب الناس مساء ذلك اليوم فى مدينة هرسبرج وكانت تقع غير بعيد من فيلادلفيا ...

وخشى أصحاب أبراهام أن يفتك به المجرمون فى زحمة الناس فى ذلك اليوم المشهود فى أي من المدينتين وأشاروا عليه أن يقتصد فى الاتصال بالناس فيفوت على الغادرين قصدهم، ولكنه أبى إلا أن يفى بوعده ولو كان فى ذلك هلاكه ...

ورفع أبراهام العلم فى فيلادلفيا وكان فى ذلك موفقاً ، فانه صعد فى ثبات إلى حيث ينتصب العمود الذى يثبت فيه العلم فشد الحبل فانبسط العلم ورف ، وخفق الناس واستبشروا وهم ساعتئذ جموع خلفها جموع إلى آخر ما يذهب فيهم البصر ... وكلهم يحيون الرئيس فى حماسة وغبطة

وخطب فى القاعة التاريخية فأفصح عن شىء من سياسته على خلاف ما جرى عليه فى خطبه السالفة ؛ قال : « كثيراً ما سألت نفسى ما ذلك المبدأ أو ما تلك الفكرة التى حفظت الاتحاد هذا الزمن الطويل ؛ إنها لم تكن مجرد انفصال المستعمرات عن الأرض الأصلية ، ولكنها كانت تلك العاطفة التى منحت الحرية لا لهذه الأمة فحسب ، بل للناس جميعاً فى كل عصر مقبل كما أرجو ؛ إنها كانت تلك التى بشرت أنه متى حان الوقت المناسب رفع العبء عن كواهل الناس جميعاً ومنح كل امرئ فرصة على قدر ما يمنح أخوه ... تلك هى العاطفة التى انطوي عليها إعلان الاستقلال. والآن أسائلكم يا أصدقائى هل يتسنى خلاص هذه البلاد على هذا الأساس ؟ ... إذا أمكن ذلك فإنى إن استطعت أن أساعد على خلاصها أعد نفسى من أسعد الناس فى هذا العالم . أما إن كان من المستحيل خلاصها إلا أن يضحي هذا المبدأ ، فإنى أفضل أن أغتال في هذا المكان على أن أضحى به . والآن أرى من شواهد الحال القائمة أنه ليس ثمة من ضرورة إلى سفك الدماء والحرب . ليست ثمة ضرورة إليها ؛ وإنى لا أميل إلى اتجاه كهذا؛ وأضيف إلى ذلك أنه لن تقوم حرب إلا إذا أجبرت الحكومة عليها ؛ ولن تلجأ الحكومة إلى القوة إلا إذا أشهر فى وجهها سلاح القوة ... أى أصدقائى ! هذه كلمات جاءت على غير ترتيب سابق ألبتة؛ فأنا لم أكن أتوقع قبل وصولى أن أدعى إلى الكلام هنا ؛ لم أكن أحسب إلا أنى سأرفع العلم فحسب ؛ وعلى ذلك

فربما كانت كلمتى هذه خلواً من الحرص ولكننى لم أقل إلا ما أريد أن أعيش به وما أريد — إذا كانت تلك مشيئة الله — أن أموت به ... »

وذهب لنكولن فى المساء إلى هرمسبرج وخطب الناس كما وعد ؛ وكانت بلتيمور هى المدينة التى اعتزم المجرمون أن يقتلوه فيها وهى فى طريقه إلى العاصمة ؛ فعاد لنكولن إلى فيلادلفيا قبل الموعد المضروب ، وركب ومن معه قطاراً عادياً كان قد استبق بناء على إشارة قادمة ليحمل «طرداً» هاماً إلى وشنجطون وترك لنكولن القطار الخاص الذى كان معداً لسفره ، فمر ببلتيمور قبل الموعد المعروف ففوت بذلك على الكائدين كيدهم فكانوا هم المكيدين ...

وفى الساعة السادسة من صباح اليوم التالى وصل (الرجل القادم من الغرب) ومن معه إلى وشنجطون ، فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها ؛ اللهم خلا سيوارد ورجل آخر كانا على علم بمقدمه فلقياه ... وركب لنكولن إلى فندق لينتظر بضعة أيام حتى يحتفل بتسليمه أزمة الحكم ... دخل الزعيم لنكولن عاصمة البلاد فى مثل تلك الساعة البكرة وفى مثل تلك الحال المتواضعة ليجلس فى كرسى الرياسة الذى جلس فيه من قبل وشنجطون ، دخل ليحمل العبء وليبدأ فى حياته مرحلة من الجهاد والجلاد دونها كل ما سلف من جهاد وجلاد ...

« يتبع » الخفيف

هذه دارى وهذا وطنى

ولكن أين أحبابى ؟ !

(بقية المنشور على صفحة ١٣٢٢)

لك خلاص من ظلماتك ، فأين الخلاص من ظلماتى ؟

ستمضى لشأنك وتتركنى يا ليل

إن الظلمات تقتل شبابى وتحيي شبابك

إن الظلمات تصيّرك أقوى وأعنف، وتصيرنى أرقّ وألطف، والرقة واللطف من بواكير الفناء

أيها الليل!

لقد عرفت قسوتك فى بلاد كثيرة من الشرق والغرب ، وما كنت أعرف أنك أقسى ما تكون فى داري وفى وطنى

أما بعد فأنا أعترف أن قلبي يستحق التأديب

كنت أصم أذنى عمن يسألون عنى فى باريس وفي بغداد لأفرغ لما سموه الواجب ، فليتنى أجبت الدعوة فى باريس وفى بغداد لآخذ ذخيرتى من الحب والعطف !

ليتنى صنعت وصنعت ، ولكن هيهات فقد فات ما فات !

أيها الليل فى مصر الجديدة

أنا على كل حال رفيقك وأخوك

وستمضي الأعوام والدهور ، ولا تعرف أصدق منى يا ليل

سيذكرنى الناسون يوم تشوكهم
شمائلُ من بعض الخلائق سُودُ

سيذكرنى الناسون حين ترُوعهم
صنائع من ذكرى هواىَ شهود

فوالله ما أسلمت عهدى لغدرة
ولا شاب نفسى فى الغرام جحود

ولا شهد الناسون منى جناية
على الحب إلا أن يقال شهيد

زكى مبارك

فتاوى شرعية

معضــلات العصر

للأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوى

وزير معارف الحكومة المغربية

— ٢ —

نص الجواب عن الأسئلة الأشقودرية

جواب السؤال الأول :

الحمد لله الفتاح العليم ، والصلاة والسلام على النبي الكريم ، وآله وصحبه المستحقين لكل تكريم . أما بعد فأما مسألة إلزام الملك أحمد زوغو سدد الله له الخطا ، وأبعد عنه الخطا ، موظفيه وتلاميذ المدارس لبس البرنيطة (القبعة[1]) — فاعلموا أنه لم يأت فى القرآن العظيم ولا فى الأحاديث الصحاح التى وقفت عليها أن النبى صلى الله عليه وسلم ألزم من أسلم من أهل الكتاب أو المشركين ، ولا الخلفاء الراشدون بعده ، تغيير الزى أو جعلوا للمسلم لباساً خاصًّا يتميز به . قال الله تعالى : (قُل من حرّم زينةَ الله التى أخرج لِعباده والطيّباتِ من الرزق) ، وزينة الله ما يتزين به عباده من اللباس على اختلاف أنواعه . وقد استثنت السنة من ذلك الحرير والذهب ، فان لبسهما حرام على ذكور الأمة دون نسائها . وقد أسلم عدى بن حاتم الطائى وكان نصرانيًّا حاملاً لصليب فأمره النبى صلى الله عليه وسلم بطرحه ولم يصح أنه أمره بتغيير اللباس ولا أمر غيره بذلك . وفى الصحيح : أن النبى صلى الله عليه وسلم لبس جبّة رومية ضيقةَ الكمين فى السفر . وما جاز لبسه فى السفر جاز فى الحضر من باب لا فرق . وقال عليه السلام : « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا مخيلة[2] » أخرجه البخارى تعليقاً ووصله أبو داود الطيالسى والحارث بن أبى أسامة فى مسنديهما ولم يقع الاستثناء فى رواية الطيالسى وسقط وتصدقوا من رواية الحارث وزاد فى آخره : إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده . وأخرجه ابن أبى الدنيا بتمامه فى كتاب الشكر . وإتيان البخارى بصيغة الجزم وهى قال دليل على قوة إسناده ، بل على صحته كما هو مصطلحه فى المعلقات من صحيحه . وعلق البخارى بصيغة الجزم أيضاً عن ابن عباس موقوفاً عليه : « كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة » : وقد وصله ابن أبى شيبة فى المصنف . نعم استثنت السنة أيضاً ما كان من باب التشبه بالكفار ، فقد أخرج الطبرانى فى الأوسط بسند لا بأس به[1] عن على كرّم الله وجهه مرفوعاً : « إياكم ولبوس الرهبان فان من تزيا بهم أو تشبه فليس منى » فاتضح لكم ما استثنى من الآية وما بقى فيها على العموم . واعلم أن التشبه بالكفار فى اللباس سواء للبدن أو الرأس أو الرجل فيه نوعان :

النوع الأول أن يَلبس لباساً خاصاً بالرهبان دالا على رتبة من رتب الرهبنة وكان بحيث أن من لبسه يدل حاله على أنه ارتدّ عن الاسلام ودخل فى الكفر . هذا هو الذى يترتب عليه الكفر لأنه دليل على تغيير الاعتقاد الدينى وتحوله إلى معتقد الرهبان ؛ وهذا هو المعنىُّ بحديث علىٍّ السابق ؛ ولذلك قال عليه السلام : فليس منّى . وفى هذا النوع يقول الشيخ خليل المالكى فى مختصره : الردة كفر المسلم بصريح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه كالقاء مصحف بقذر وشد زُنّار قال . بنانى فى حاشيته : الزنار ثوب ذو خيوط ملونة يشده الكافر فى وسطه يتميز به عن المسلم . قال والمراد به ملبوس الكفار الخاص بهم قال ومحل هذا إن فعل ذلك محبة فى ذلك الزىّ وميلاً لأهله ؛ وأما إن فعله هزواً ولعباً فهو محرم ، إلا أنه لا ينتهى لحد الكفر كما قال ابن مرزوق اهـ . فالردة عند المالكية متعلقة بتغير الاعتقاد الاسلامى بناء على أن الايمان محله القلب ؛ وكذلك الكفر فلا يحكم بالردة إلا إذا صدر عن المرتد قول يصرح بذلك أو فعل يقتضيه اقتضاء واضحاً كشد الزنار لقوله تعالى : (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله) فالآية واضحة الدلالة على أن الكفر والايمان مناطهما الاعتقاد بالقلب ، فكل ما دل على ترك

(١) اشتهر فى الشرق على ألسنة الجرائد إطلاق القبعة بوزن قبرة على ما يطلق عليه لفظ البرنيطة ، وإنما القبعة فى اللغة ثوب يخاط كالبرنس يلبسه الصبيان كما فى القاموس . وفى المنجد البرنيطة عربيتها القلنسوة

(٢) مخيلة : بوزن عظيمة الخيلاء والكبر

(١) أنظر هذه الأحاديث فى كتاب اللباس من فتح البارى

معتقد المسلمين دلالة صريحة فهو كفر كنبذ أحكام الارث والزواج والطلاق وكل ما علم من الدين بالضرورة، وكل ما لم يصل إلى ذلك فلا. واعلم أن الحكم على المسلم بالردة حكم باخراجه من جماعة المسلمين وحكم باراقة دمه، ولا أخطر من هذا الأمر فى الاسلام الذى يحرص على تنمية عدد المسلمين وليس من شأنه أن يطردهم لأدنى شبهة وهم يذكرون الله ويعبدونه، فان الله يقول: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) الآية ويقول: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله) الآية

وننبه هنا إلى أن متأخرى السادة الحنفية حكموا بالكفر فى عدة فروع بأدنى شبهة وخالفوا مبدأ إمامهم المبنى على التثبت والأخذ بحديث: إدرأوا الحدود بالشبهات. وتوسع فى درء الحد بالشبهة إلى أقصى حد؛ ولهذا أنكر عليهم الامام ابن الهمام منهم، فكان يترك الفتوى بما رأوه ويفتى بغيره. ولنكتف بهذا القدر تجنباً من الدخول فى معمعة مذهبية غير مرغوب فيها

النوع الثانى من التشبه ما كان خفيفاً لم يصل إلى حد الكفر بحيث لا يدل دلالة واضحة على تغير اعتقاد المسلم كحلق اللحا، ولبس لباس غير زنار، وسدل شعر الرأس. وفى هذا ورد حديث البخارى عن ابن عباس: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب مما لم يؤمر فيه؛ وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبي صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد) يدلنا هذا الحديث على أن الأمر العادى إن وقع السكوت عنه فى الشريعة ولم ينزل فيه وحى كان يحب موافقة أهل الكتاب تأليفاً لهم وطمعاً فى اجتذابهم إلى الاسلام، أم لأنهم أهل شرع سماوى بخلاف كفار العرب الوثنيين، ثم لما أيس منهم صار لا يوافقهم ففرق شعره. وكان الصحابة بعده مخيرين منهم من يفرق ومنهم من يسدل إذ ليس هذا من قبيل التعبد بدليل قوله فيما لم يؤمر فيه، وعلى هذا فلا نسخ فى الحديث إذ لا تعبّد فيما يظهر، وبعيد كل البعد أن تكون الأحكام الإلهية تبعاً للأحوال السياسية، والوحى ينزل: هذا وليس كل ما فعله الكتابى أو المجوسى يجب علينا مخالفته فيه. كلا. فهذا عمر بن الخطاب أحدث التاريخ فى الرسائل الرسمية ودون الدواوين وكتبها بلغات أجنبية ونظم البريد وفعل غير ذلك مما يفعله الروم والفرس ولنا فيه فائدة تم مصلحتها. وعلى هذا فكل ما لنا فيه فائدة ومصلحة عامة كلباس [1] الجند وإحداث الأنظمة المحكمة وتقريب المواصلات وتعجيل الأخبار كالتليفون والبرق وغير ذلك مما لا يحصى من الأمور الصحية والطبية ونظام الجندية واقتناء آخر طرز من الأسلحة والطائرات الجوية وغير ذلك، فكل ذلك لا معنى للطعن على من أخذ به أو الانتقاد بالتشبه عليه أو نسبته لفعل بدعة دينية. فالتشبه الذى نهينا عنه له حد محدود وقرينة الحال تدل على ذلك؛ وهو كل ما كان راجعاً إلى تغيير الأمور التعبدية أو إذهاب الشعائر القومية التى تفنى بذهابها ذاتية الأمة فى ذاتية أمم أخرى مما يمس جوهر الاسلام وأبهته ويحط من قدره. وإذا نظرنا إلى تغيير الزّي بلبس البرنيطة الذى هو غير مفيد للاسلام فى شيء وعرضناها على المعنى المقصود وجدناها ليست من النوع الأول قطعاً الموجب للردة، إذ ليست خاصة بأهل الكفر من الرهبان؛ وإنما هى من النوع الثانى لما فيها من محو شعار القومية، فغاية الأمر أن تكون محرمة أو مكروهة. وأما حديث أبى داود والترمذى مرفوعاً: فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس، فلا تنهض به حجة لقول الترمذي: إن إسناده ليس بالقائم وفيه رجلان مجهولان. ثم إن البرنيطة بالنسبة إلى موظفى ألبانيا قد تكون جائزة في حق من هو فقير منهم بحيث إذا عزل أصبح يتكفف الناس وله عيال، وهذا وإن لم يصل لحد الضرورة المبيحة كأكل الميتة لكنه محتاج إلى ذلك والحاجة فى المذهب المالكى ملحقة بالضرورة. وقد أفتى ابن مرزوق: أن من لبس الزُّنار الذى هو موجب للردة مضطراً كأسير عندهم فلا حرمة عليه فضلا عن التكفير؛ نقله بنانى فى الحاشية وسُلِّم له؛ كما أفتى بأن من لبس الزنار هزلاً ولعباً لا يكفر؛ وإنما يكون فعل حراماً. أما أغنياء الموظفين الذين ألزموا بلبسها وهم غير محتاجين للوظيفة فهؤلاء قد يقال تكون فى حقهم محرمة أو مكروهة، ولا ردة تلزمهم فى ذلك مادام الايمان ثابتاً فى قلوبهم. أما من تورع عنها وزهد فى وظيفته لا يكون فيه حرًّا حتى فى لباسه فذلك أحسن

وإني على علم من أن بلدكم هى الدولة الاسلامية الوحيدة فى أوربا ويتعادل فيها عدد المسلمين مع غيرهم. فلو أننا كلفناهم بتقديم استقالتهم جميعاً احتجاجاً على عدم رضاهم بتغيير زيهم الذي هو شعار قوميتهم التى تتعين المحافظة عليها، لأخذ وظائفهم غير المسلمين ودال الأمر إلى تمكين غيرهم من التصرف فى مصالحهم بما قد يكون مضراً بهم وبدينهم. والقاعدة الشرعية إذا اضطر المسلم إلى أحد الضررين وجب اختيار أخفهما. وعلى هذا فلا محرم

(١) وقد لبس الأصلم أبى شهاب الزهرى لباس الجند وكذلك الشيخ خليل أبى إسحق المالكى وغيرهما

حتى على أغنياء الموظفين ولا على من استعملها فى بلد غير إسلامى قصد الستر وأمن المكر . أما المسلم الذى يلبسها اختياراً في بلد إسلامى فلا شك فى الحرمة لما فيه من التشبه وإهانة القومية وتفريق جمع الاسلام وإباحة عرضه للطاغين

نعم لو فرضنا أن الموظفين المسلمين لا يستغنى عنهم ، وأن الملك يضطر عند تقديم استقالتهم جميعاً إلى العدول عن أمره بلبس البرنيطة وجب عليهم جميعاً تقديم استقالتهم، ووجب على غيرهم ألا يقبل أى وظيفة منها إلا بعد الرجوع فى الأمر المذكور؛ والوسيلة تعطي حكم مقصدها؛ وأظن أن هذا عندكم غير متيسر، بل إن الافكار (الكمالية) فعلت فعلها واحتلت كثيراً من الأدمغة الألبانية حتى تخطتها إلى علية القوم وسراتهم

لذلك لا يسعنا إلا أن نفتيكم بامتثال أمر الملك المؤيد، وننصحكم بالعدول عن كل حركة يخاف منها على الأمن فى مملكة صغيرة فتية محاطة بالمطامع نرجو لها النمو والنجاح . فإياكم إياكم الخلاف ما أمكن . وعليكم طاعة السلطان إن كانت فى المعروف ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . لكن للضرورة أحكام. وطاعة السلطان واجبة كطاعة الوالدين التى جعل لها الحق سبحانه نهاية وآخرة فى قوله : (وإن جاهداك على أن تُشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما)

أما تلاميذ المدارس الذين ألزموا ألا يقبلوا فى مدارس الحكومة إلا بالقبعة (البرنيطة) . فأما من كان منهم دون بلوغ فغير مخاطب بتكفير ولا بتحريم وإنما المخاطب بذلك وليه . وأما من كان بالغاً عاقلاً فان مصلحة تعليمه مقدمة على مفسدة تغيير زى قوميته فى نظرى . ولا داء أدوأ من الجهل للبالغ وغير البالغ . يا إخوانى إن هذه السياسة العميقة التى تشدّ أزرها الأحوال والأفكار الحديثة تسوّغ لى أن أتنبأ لكم والأسف ملء جوانحى بأن البرنيطة عما قريب ستصير لكم اللباس القومي والشعار الألبانى قبل انقراض الجيل الحاضر . وا أسفاه ! إن اللباس العربى الذي كان يلبسه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين فتحوا أكثر العالم فى مدة جيل واحد وهذبوا وعلموا ومدنوا ما فتحوا — قد قضت عليه أزياء الفرس والروم ، بل حتى أزياء الرهبنة ، فان القنباز عندنا قريب من سترة الرهبان ، وهكذا الطربوش النمسوى الذى عمّ الممالك الاسلامية ، والجبدور الذى يوجد في أكثر بلاد الاسلام؛ حتى النعال ، كل ذلك نسخ اللباس العربى ولم يبق منه إلا العمامة والقلنسوة . وهذه البقية الباقية من الزى الشرقى والشعار الاسلامى قد أخذت الأفكار الكمالية تكتسحها وتمحى أثرها ، ولله فى خلقه شؤون . وأرجو أن تكونوا أخذتم أيضاً بالتغييرات والاصلاحات الحقيقية المفيدة التى أدخلها الكماليون على بلادهم لتذهب الحسنات بالسيئات. ذلك كتنظيم الجند على الطراز الحديث ، وجعل أسطول جوى عتيد يقاوم كل طمع فى بلادكم ، وكتنظيم المالية بالضبط الحقيقى، وتوحيد الفكرة الألبانية فى كل ميادين الحياة؛ واستخراج كنوز الأرض لكفايتها أهلها عامة ، وتوحيد طرق التعليم والتهذيب لتجمع الأمة شملها وتكون على قلب رجل واحد ؛ وترقية الشؤون الاقتصادية ، إلى غير ذلك

إخوانى، إن الاسلام ركنه الأعظم فكرة واعتقاد متين مؤسس على أصول الوحى والعقل القطعيين فلا تزعزعه الكوارث ولا يتأثر بالتغيرات

والذى أوصيكم به وأحضكم عليه والذى تبذلون دونه كل غال ورخيص ، ونفس ونفيس ، هو القرآن الذى هو الحبل المتين ، والركن المكين، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة النبوية الصحيحة، مرّنوا أولادكم على التمسك بهما وحفظهما والاحتفاظ بهما ، والعمل بما فيهما، فذلك برنامج الفتح الالهى ، والتقدم الحقيقى. عضّوا عليهما بالنواجذ ولا يضر المسلم أن يتقمص فى أى ثوب كان إذا كان متمسكا بهما؛ ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . عليكم إخوانى بالتعليم .. التعليم .. التعليم .. تعليم العلوم القرآنية الخالية من شوائب الشذوذ ، والعلوم الحديثة الصحيحة واتباع طريق السلف الصالح وخير القرون فى كل أمر دينى . وعليكم بالجد والاجتهاد فى اقتناء العلوم الدنيوية على اختلافها كيفما كانت ومن أيّ جهة جاءت ، والبلوغ فى الاقتصاديات لأعلى المجد واتباع أحدث طريق فيها . وروح النجاح فى ذلك كله هى الأخلاق الاسلامية المؤسسة على السيرة النبوية وتاريخ الاسلام المجيد الذى هو الاكسير الصحيح الذى يقلب الأمم الخاملة إلى أمم راقية ناهضة ؛ والله يؤيد حكومتكم ويجمع عليها كلمتكم ويؤلف بين قلوبكم وبين قلب كل الباقين كيفما كان مذهبه ويبعد عنكم أحقاد التفرقة السياسية بمنه وفضله آمين

« يتبع »

محمد بن الحسن الحجوى



رسالة الشعر



في دخان اليـــأس...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

« يقولون: غن الشعر أبيض هادئاً
وكيف تغنى في الهجير البلابل؟ »

وقيّـــدَ عُمرى حُبُّها فى قرارةٍ
من الهمِّ لا يُرجى لها اليومَ ساحلُ

عليها دُخانُ اليأسِ سأمانُ، واجمٌ
كظيمُ الحواشى مُغلَقُ الذرِّ ذاهلُ

قتامٌ على أسدالِهِ يمرحُ الأسى
وقبرُ المُنى في ظلِّه يتخايلُ

وللخيبةِ الكبرى على جنباتِهِ
خيالٌ لحظى في دُجى النفسِ ماثلُ

إذا أنا سرّحتُ الخواطرَ صدَّها
وعادَ بها لُجٌّ منَ اليأسِ غائلُ

كأنّي أعمى يخبطُ الكونَ هائماً
على خطوِهِ سِنُّ العصا تتحايلُ

سواءٌ لديهِ حينَ يظمأُ للسَّنا
عشاياهُ يترعنَ الدُّجى والأصائلُ

كأنى لحنٌ طاشَ مِن كفِّ عازفٍ
على وترٍ جافتْ هواهُ الأناملُ؟!

نزلتُ على الوادي ونفسي كئيبةٌ
ونايَ مفجوعُ الترانيمِ ثاكلُ

وبي أملٌ أن يمسحَ الحبُّ شقوتي
ويُوهنَ من عبئي الذي أنا حاملُ

فعدتُ وبي قيدانِ: قيدُ صبابتي
وهجري وقيدٌ أحكمته النوازلُ

كأني سجينٌ سُدَّتِ الأرضُ حولَهُ
وكادتْ بساقيهِ تنوحُ السلاسلُ

فلا الدهرُ أخلاني ولا غادةُ الهوى
أفاقتْ لأشجاني، فما أنا فاعلُ؟

***

يقولونَ غنِّ الشعرَ أبيضَ هادِئاً
وكيفَ تغنّى في الهجيرِ البلابلُ؟

وكيفَ وقلبي لا يُفيقُ منَ الأسى
ونجمي إلى أُفقِ المنيّاتِ مائلُ!

لأقسمتُ ماغنّيتُ شعراً وإنما
حُشاشةُ روحي بالأسى تتهادلُ!

***

فيا غادةَ الإلهامِ والشعرِ! ومضةً
لعلَّ بصحرائي ترفُّ الخمائلُ

ونحيا الرُّبى والطلُّ والزهرُ والشذى
وتينعُ أيامي، وتصفو المناهلُ

فنشربُ من أحلامنا خمرةَ الهوى
ونجرعُ من سُمِّ الهوانِ العواذلُ...

أطلِّي على دُنياي ـ سحراً ـ وأشرقي!
جبينُكِ ما أمّلتُ فيها، وآملُ!

وذاتُكِ قُدسي وانتعاشي وفرحتي
وفيٌّ لروحي ما وعتهُ الظلائلُ

فلا تتركي يأسي يلجُّ فإنّهُ
ظلامٌ لروحي المستهامةِ قاتلُ

وأخشى يناديني الردى فأُجيبُهُ
فيصمتُ طيرٌ بالهوى العفِّ زاجلُ

وتخرسُ أيامي... ويندرُ الذي
قضى العمرَ عن يومِ اللقاءِ يسائلُ!

حــــواش وجيوب

للأستاذ الحومانى

قربي نهـديكِ ألمسْ وَأرى   كبدى فوقهما كيف تذوب ؟
كلما أمررتُ كفى بهما   ندَّعنها برعمٌ واحمرّ كُوبُ
أتلقى بفمى زهرهما   فإذا مل‍ء فمى خمرٌ وطِيبُ
وإذا أمعنتُ فى عصرهما   دَميتْ منا عيونٌ وقلوب

***

ما ترى عينـاكِ من أخيـلةٍ   تتراءى لى وأحيـاناً تغيبُ
أهىَ الآلامُ مرّت وعلى   وجهها منا غبارٌ وشحوبُ ؟ ؟
أم هِىَ الآمال لاحت وعلى   صدرها منا حواشٍ وجيوب ؟
مبسمٌ من قُبَـلِ الآنى نَدِ   ومُحيًا من دم الماضى خضيبُ

الحومانى

عــــزلة

للأستاذ خليل هنداوى

أغادرُ هـــذا الحمى هائماً   وأسرى، وأسرى أريدالفضاء
فلا يسع الـكون قلبى الصغير   ولا تسع النفس كل السماء

***

بنا عزلة جوعها دائم   تضيق بوحشتها الأضلع
ونطعمها من طعام القلوب   ونملأ فاها فلا تشـبع

***

يضم الهوى جامعاً بيننـا   وتسكرنا رشفات القبل
فننسى الحياةوننسى الوجودْ   وتغمرنا مغريات الأمل

***

ولـكننا بعد ذاك العناق   تعاودنا العزلة القاسـية
تريد غذاء جديداً لهـا   فنذبح أنفسنا ثانيـة ...

خليل هنداوى

وحى الشاعرية

للــــدين

للأستاذ حسن القاياتى

ليس يدرى أن للناس إلهْ   كلُّ غاوٍ لو دراه لاتقاهْ
سادَ بالدين فريقٌ شـدَّما   آنق الأعين فى زِىٍّ الهـداه
قام يَدْعُو من يصلى والخنا   قائمٌ يضحك من تلك الصلاة
المصـلى فى خــداع ماله   قام نخاً، ما طوَاهُ ما ثناهْ ؟
يذكرالله ويُوصِى لحظهُ (١)   من أُتيحا للخنا أن يُشرِكاه
صَرّع الموتُ غويًّا فانبرَى   مَعبَدًا يلحد فيه من دعاه
ويح شعب لم يُسَدَّد بابنـه   للمساعى كيف أودى فارتجاه؟

***

إن فى الشرق لَعِلْماً (٢) كلما   أقبل الشرقُ على النُّبل نهَاهْ
كل سفرٍ لست تدرى صوغه   من خبال حيث تدرى ماعناه!
طاعة الدين لدى جُهّـالِهِ   تصرع التفكير عن حكم الرُّواهْ

***

يا بنى الأخرَى وساءت سُبّةً   إن للمجد سـواكم لدُعَاهْ
إن للتقبيل فى راحاتـكم   نغمة الفحشاء فى لثم الشفاه
كيف تقبيلُ بنانٍ لم يكن   رَبُّهاَ بَرًّا ولم تحمد يداهْ ؟ ؟

« السكرية ــ دار القاياتى »   حسن القاياتى

(١) إشارة إلى فـكاهة متعارفة ، قيل فيها : إن رجلا كان يصلى وإلى جانبه زميلان له يتواعدان مع بغي فيقولان لهـا : نحن اثنان . فجعل يشير وهو فى صلاته بأصابعه الثلاث : بل نحن ثلاثة

(٢) يراد به بعض الـكتب الضعيفة المنسوبة إلى الدين

جرح هوى قديم

جرح هواكِ اليومَ فى مهجتى   ما زلتُ أستشعر منه الألَمْ
كأنه جرح هوى طارفٍ   لاجرح حبٍّ مُوغلٍ فى القِدَمْ

العوضى الوكيل



الى الأساتذة أحمد أمين والجارم بك وجاد المولى بك

أعضاء لجنة إنهاض اللغة العربية

نشرت البلاغ فى عددها الذى صدر يوم الخميس الماضى هذه الأسئلة ، ونحن ننقلها عنها بنصها :

ذكرتم فى تقريركم الذى رفعتموه إلى وزارة المعارف أن من وسائل إنهاض اللغة العربية أن يكون فى أيدى التلاميذ طائفة اخترتموها من الكتب الأدبية الحديثة لم نر من بينها (فى أصول الأدب) ولا (آلام فرتر) ولا (رفائيل) . وهذه الكتب قد عرفها الجمهور وقرأها وحكم لها ؛ فاذا كنتم تجهلونها كان هذا الجهل عيباً فى الاختيار الذى نشرتموه . وإذا كنتم تعرفونها ثم أغفلتموها حق لى أن أوجه إليكم هذه الأسئلة :

١ — إذا كان اختياركم مقصوراً على الكتب الأدبية الموضوعة ، فلماذا اخترتم الفضيلة (بول وفرجينى) وتركتم (فى أصول الأدب ؟)

٢ — إذا كان الاختيار مطلقاً من هذا القيد فلماذا أغفلتم (آلام فرتر) و (رفائيل) ؟

٣ — هل تستطيعون أنتم ومعكم غيركم أن تأخذوا على هذه الكتب شيئاً فى اللغة أو فى الأسلوب أو فى الغرض ؟

٤ — إذا كنتم لا تختارون إلا لأدباء وزارة المعارف فلماذا اخترتم للعقاد والمازنى والمنفلوطى وشوقى

٥ — إذا سألكم هذه الأسئلة وزير الأدب هيكل باشا فهل تستطيعون الاجابة عنها من غير حرج ؟ (سائل)

(الرسالة) وهذه الأسئلة بعينها يصح أن يوجهها إليهم (سائل) عن كتب الرافعى وعزام وزكي مبارك

الأستاذ العقاد وامرؤ القيس

قال الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد فى مقالته (بقية المذهب) فى الجزء السابق من (الرسالة) الغراء : « لقد وصف بعض الأعراب نساء (محبوبات) فاستملحوا الضخامة ومدحوا الكسل وبطء الحراك ، وافتتن أميرهم بمذارى قال فى وصفهن ما يقال فى وصف الفيلان :

وظل المذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

نعوذ بالله ! »

قلت : امرؤ القيس يقول هذا البيت فى وصف الناقة التى عقرها للمذارى (المحبوبات) لا فى وصف فتاة من الفتيات ، وقبله

ويوم عقرتُ للمذارى مطيتى فيا عجباً من كورها المتحمَّل

وقد قال الزوزنى فى البيت (اللحمى الشحمى) : « فجعلن يلقى بعضهن إلى بعض شواء المطية ... »

وامرؤ القيس الكندى أو حماد الرواية أو صاحب هذه القصيدة إنما يستحسن فى المرأة ما يستحسنه الأستاذ العقاد النقاد ويستقبح ما يستقبحه وهو يقول فى (معلقته) التى لم تعلق فى كعبة ولا خيمة ولاخصّ :

مُهفهفة بيضاء غيرُ مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل[1]

قال الزوزنى : « يقول : هى امرأة دقيقة الخصر ضامرة البطن ، غير عظيمة البطن ولا مسترخيته ، وصدرها براق اللون متلألئ الصفاء تلألؤ المرآة » فأمير الأعراب — وهذا قوله — ونائب الأمة فى (دار الندوة) الأستاذ العقاد فى قضيتهما فى (الحسان) سيان ، ولم يختلف فى الحق الأميران ...

(القارىء)

مالطة عربية

كتب المستر مكنزى المحرر فى جريدة أجيشيان غازيت رسالة إلى جريدة « الديلى تلغراف » تناول فيها ما يزعمه الايطاليون من

(١) السجنجل : المرآة ، وقطع الذهب والفضة ، وفى رواية القرشى صاحب (جمهرة أشعار العرب) : « مصقولة بالسجنجل » وهو الزعفران وفى (اللسان) : يقال للجارية الهيفاء مهففة ومهفهفة وهي الخميصة البطن الدقيقة الخصر ، وهفهف إذا مشق بدنه فصار كأنه غصن يميد ملاحة

أن بينهم وبين أهالى مالطة علاقة لغوية وبالتالى عنصرية . ويؤكد المستر مكنزى أن اللغة المالطية ذات علاقة شديدة باللغة العربية . وهى من ثم من آثار العهد الذى كانت فيه للعرب دولة عظيمة مترامية الأطراف يقول عنها الدكتور فيليب حتى اللبنانى أستاذ التاريخ فى جامعة برنستون فى الولايات المتحدة إنها كانت « أعظم من الدولة الرومانية فى عنفوان مجدها » فمن جهة اللغة تكون مالطة إذن عربية الأصل أكثر كثيراً مما هي إيطالية

مصر والثقافة العربية

سافر إلى لبنان حضرة صاحب العزة الأستاذ الجليل محمد بك العشماوى وكيل وزارة المعارف ، فكان موضع الحفاوة والترحيب من رجال الأدب والفضل فى لبنان . وقد تحدث مرة فى حلقة منهم بحديث عن عناية مصر بالثقافة العربية قال فيه :

« سأسعى لأن تنفذ الثقافة المصرية إلى جميع أقطار العرب؛ فمصر واجب عليها أن تتزعم الحركة الفكرية وأن تكون فعلا فى المقام الذى تضعها فيه بلاد العرب

وأرى أن توحيد الثقافة العربيـة ومناهج التعليم واجب؛ وسأسعى إلي ذلك بما فى جهدى وطاقتى

وقد أنشأت وزارة المعارف المصرية فرعاً خاصًا ليكون على اتصال تام بجميع أقطار العرب يتابع النهضة الثقافية فيها ويقدم إلى البلدان العربية جميع ما تعمله الوزارة من أعمال وما تقرره من شؤون

ولا يقتصر النشاط والاهتمام ببلادنا العربيـة على وزارة المعارف فان وزارة الخارجية أنشأت قسما شرقياً خاصاً لهذا الشأن فمصر ستعنى عناية خاصة بكل ما يجرى من تحول في البلدان العربية والاهتمام الثقافى هو الخطوة الأولى التى تتبعها خطوات أخرى فى جميع الميادين

وليس أدل على اهتمام مصر ببلاد العرب من هذه الحالة التى أبسطها فان مدارس المعارف تضم تلاميذ من طيطوان كما أنها تضم تلاميذ من سورية والعراق والحجاز ولبنان وكلهم يتلقون التعليم الابتدائى والثانوى والعالى على حساب الحكومة المصرية ويحاطون بكل عناية

وفى المدة الأخيرة كتب حضرة سلطان حضرموت إلى صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بشأن إيفاد بعثة من التلاميذ تعلم مجاناً في مدارس المعارف المصريه فأصدر جلالة الملك أمره بقبول البعثة مع تسديد نفقات إقامتها وملابسها وجميع ما تحتاج إليه

ولا تتأخر مصر عن الاضطلاع بما تعده واجباً عليها للغة العربية والعرب

وأشار فى ختام حديثه إلى المؤتمرات التى أعدتهـا مصر وإلى المؤتمرات العربية التى تنوى عقدها عاماً فعاماً فى جميع بلدان العرب لتوثيق العلاقات بينها وبين تلك البلدان »

ثقافة السودان

كتب إلى جريدة التيمس المستر كيروان يقول : « إن مراسل التيمس فى الخرطوم كتب إليها حديثاً يقول فيه إن السودان كسائر البلدان العربية فى العالم الحديث يجب أن يعتمد فى إقامة ثقافته الوطنية على مصدرين أساسيين . الأول ميراثه الاسلامى وتقاليده العربية، والثانى الثقافة الحديثة فى الغرب. وأهم طريق للوصول إلى المصدر الأول هو مصر، وإلى الثانى هو انجلترا

« فالشق الأول من هذا البيان قابل للمناقشة : فان ميراث السودان الاسلامى وتقاليده العربية التى يستفيدها عن طريق مصر تظهر لنا ضئيلة . فالسودان بخلاف البلدان العربية الأخرى إنما اعتنق الاسـلام منذ عهد قصير ربما لا يرجع إلى أبعد من القرن السادس عشر . وكان قبل ذلك ميداناً للنصرانية ، وقبل ذلك قضى السودانيون أجيالا طوالا متمتعين بثقافة راقية كل الرقى مستفاد بعضها من مصر . وتحت وشاحهم الاسلامى الحالى يمكننا أن نلحظ حتى اليوم تلك الثقافات السالفة

فيكون إذن مهما للسودان أن يستند فى تأسيس مدنيته الأهلية الجديدة إلى ميراثه الوطنى من تقاليد إسلامية وتقاليد سابقة للاسلام والعرب

عنصر جديد فى عالم الطب

جاء فى مذكرة تلقتها وزارة الخارجية من المفوضية المصرية بألمانيا : أن البروفسور فالدمان الطبيب الالمانى المشهور كشف مادة جديدة لمقاومة الحمى القلاعية وأنه بهذه الواسطة حقق غرضاً من أهم الأغراض العلمية بإيجاد « عنصر جديد فى عالم الطب » كما قالت الصحف الألمانية

ونظراً إلى أهمية هـذا الاستكشاف وما ينتظر له من النتائج أرسلت المفوضية نص حديث للبروفسور مع الصحف الألمانية عن هذا الموضـوع الذى ينتظر أن يعنى ببحثه قسم الطب البيطرى فى وزارة الزراعة

تيسير قواعد اللغة العربية

وضعت جماعة دار العلوم ملحوظات قيمة على تقرير اللجنة التى ألفت فى وزارة المعارف لتيسير قواعد اللغة العربية . وتقع هذه الملحوظات فى اثنتى عشرة صفحة من القطع الكبير بينت فيها الطريق الذى سلكته اللجنة ثم ناقشت آراءها فى النحو والصرف والبلاغة وما اقترحتـه فى هذا الشأن

وقد قدمت الجماعة هـذه الملحوظات إلى وزاة المعارف

تكريم شاعرة فرنسية فى افيان

فى آخر الأسبوع الماضى رفع الستار عن النصب التذكارى الذى أقيم فى أمفيون بالقرب من إفيان للشاعرة أن نواى فى أملاك هائلة برنكوفان. وبعد أن أقيمت حفلة فى دار البلدية أطلق محافظ المدينة اسم الشاعرة على الطريق الذى يربط أفيان بامفيون

وقد ألقى كل من مندوبى معهد فرنسا والأكاديمية الملكية فى بلجيكا وبلدية باريس ومحافظ إفيان خطباً تناسب المقام وأقيمت مأدبة عشاء خطبت فيها هيلين فا كارشيكو والبرنس كونستنتين دى برنكوفان



هكـــذا أغنى

ديوان الأستاذ محمود حسن اسماعيل

للأديب عباس حسان خضر

يقول شاعرنا :

إن تسل في الشعر عني   هكذا كنت أُغني

ونحن نسأل عنه في الشعر ، فلننظر كيف يغني ...

هو يغني بشعره ، صادراً عن طبيعة خصبة ، منزجاً عن نفس زاخرة بعناصر الشاعرية من إحساس مرهف ، وعاطفة مضطرمة ، وعقل (فني) يدرك به الجوانب الفنية للأشياء ، يتملك كل هذه خيال طامح متوثب . وهو عند ما يشحذ هذه العُدّة يمضي متدفقاً مندفعاً عنيفاً ، وفي كثير من الأحيان يتبع هذا التدفق والعنف عدم اكتراث بسلامة الذوق ، واعتساف في الفكر وفي التعبير — كما نبين فيما يأتي — معتمداً في ذلك على قوة طبيعته ونشاط خياله ، غير متقيد ولا محترس ، فهو يعوّل على الهبة الفطرية أكثر مما يعول على المهارة الاكتسابية

ويمتاز شعر هذا الديوان بشيء لعلي موفق إذ أسميه « الروعة » وهو ذلك الذي يستغرق الشاعر وروع العواطف ويأخذ بالذهن إلى عوالم متنائية الأطراف ، وامل مبعثه بُعد المدى في الخيال ، والايغال في تصوير الأشياء التي يكتنفها الغموض ، ومن ذلك كثرة ترديده لذكر الرهبان والقسس والأديرة وانتزاع الصور من محيطها الغامض . ومما تتجلى فيه تلك الروعة قصيدة « دمعة في قلب الليل » وقد أبدع في وصف الدموع في هدأة الليل ، وافتن في تصوير المعاني افتناناً . قال يخاطب الليل :

خلني للدموع وحدي أناجيـــها في العـــزلة السوداء

أنا من كأسها شربت صبيًّا   خمرة سلسلت من البأساء

عصرت من مطارف الألم الدا   وى بقلبي وعتقت في دمائي

تخِذت جامها المحاجر والسا   قى همًّا يؤج في أحشائي

هي أشهى إلى عيوني من النو   ر ، وأبهى من لمحة الأنداء

هات ياليل قطرها فهي حيرى   كتمت برحها من الكبرياء

فانظر كيف يصور الدموع خمراً عصرت من قلبه موطن آلامه ثم اتخذت لها مسرى دمائه دناناً تعتق فيها ، ثم صبت في كؤوس من محاجر العيون ، يقوم على سقيها ساق من الهم يضطرب في الأحشاء ... ثم انظر كيف يستقطرها الليل لتترقرق مستورة حيرى في عزلة الليل وقد برح بها الكتمان لأن الكبرياء أبت عليها الظهور في وضح النهار . وإن كان قد شاب هذه الصورة بفساد في بعض التصوير ، فقد قال « عصرت من مطارف الألم » فجعلنا نتمثل امرأة حاسرة عن ذراعيها أمام طست الغسيل تعصر تلك المطارف والأثواب ...

وهاك مزهراً تتكون أوتاره من الأهداب وتحدث أنغامه من رنين البكاء :

همسها في الجفون أصداء ناى   بلعت شدوه رياح المساء

مزهر للعيون أوتاره الهد   ب ... وأنغامه رنين البكاء

يستعذب الشاعر دموعه ويطرب من ذرفها فيصورها في الجفون هذا التصوير الرائع ... كصدى الناى البعيد تستهلك شدوه الرياح فلا يصل إلى السمع منه إلا كالهمس .. هذه — من غير

شك — دموع شاعر يتغنى على تسكابها فيبدع ويطرب

وهناك فى ذلك الظلام السائد يرزح تحت أثقال الليل كوخ :

رجفت شمعة بجنبيـه تهفو في دجاه كالمقلة العمشاء
خنق الليل نورها خنقة البؤ س لأرواح أهلهـا التعساء

إنك لتشعر بالروعة حيال هذا المنظر : كوخ يعانى ضوء شمعته الخافت من الظلام ما يعاني أهله من البؤس

وأبرز شيء في شعر شاعرنا اللمعة الذهنية المتألقة حتى إنه ليُذهل بها عن كثير مما لم يمسه التنقيح والتهذيب ، فهو بذلك يختلف عن شعراء يعاودون كلامهم بالصقل ويتناولونه بالتشذيب فيخرج سليماً مثقفاً ، ومع ذلك ليس فيه من اللفاجآت الشعرية ما يملك الحواس ويؤثر فى العواطف

وقصيدة « ثورة الاسلام فى بدر » تدل على اقتدار الشاعر على استيحاء الحوادث أروع معانى الحياة وانتزاع المغزى الفنى من الوقائع المادية، فهو يتعرض لمواقف غزوة بدر تعرض شاعر يزجى الحقائق ملونة بخواطره، ويبرز ما يرمى إليه فى أبرع الصور حتى لقد جاءت هذه القصيدة ملحمة صغيرة رائعة . استمع إليه ينطق الأصنام بالحديث عن الاسلام :

سجد (اللاتُ) مؤمناً ! وجثا (العز
ى) يناجى (مناة) يا صاح أبشر !
هلّ فى ساحنا وميض من النو ر غريب التلماح، خاق التصور
ذره أرعد الصفا ! وأحال الصـــخور روحاً يكاد فى الرمل يخطر
لامن الشمس فيضه فلكم شعـــت علينا فلم ترع أو تبهر
لامن النجم لمحـه .. فلكم لا ح كثيب الضياء وهنان أصفر
قد نسخنا به ! ومن غابر الدهــــر نسخنا البلى ولم تتغير
ألهونا..وعفروا — وهم الصيـــد — علاهم على ثرانا المعفر
سر بنا يا(مناة) نخشع جلالا لسنا النور ... عله اليوم ينفر
عجباً ! خرت المحاريب والأصـــنام دكا .. والعبد مازال يكفر!

وشاعرنا فنان يصرف الكلام تصريف اللبق ، يقول فى جلالة الملك :

سـجدات وجه مشرق نضح التقى
فى كل ما لمحت به سيماؤه
لو راءه عانى المجوس تخشعت للنار من غى النهى أعضاؤه
لا نحاز فى ركب النبي ، وناره نور تدفق فى الصلاة ضياؤه

استطاع — بمهارة فى التعبير — أن يحول المجوسى من غيه فى عبادة النار إلى الاعجاب بنور الهدى

تلك بعض خصائص الشعر فى ديوان « هكذا أغنى » وذلك بعض ما تغنى به فأطرب ... وقد ألممنا إلى مآخـذ فيه (وهي النشاز) يقتضينا الإنصاف أن نسوق من الدلائل عليها :

يقول فى قصيدة « يوم التاج » يصف مغنياً فى حفلة عابدين الساهرة :

وقف المغنى فى حماك مجلجلا باللحن تخفق فى الورى أصداؤه
فيه من الأقدار وهلة غيبهـا خبأته عن لمح الحجا أطواؤه
ومن الكتائب أرزمت أسلاتها صخب يزمجر بالفتوح نداؤه
ومن الواكب هولها فى فيلق نشوان فى يوم الفخار لواؤه

فأى مغن هـذا المجلجل الذى اجتمعت فيه وهلة الأقدار وصخب الكتائب. وهول الفيالق ؟ ! إن هذه الصفات المروعة لا تصطلح على مغن ولو كان من (مطربى) محطة الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة ...

يقول فى قصيدة « الذهول » :

أم بلبل تحت ظـــلال النخيل أسكره الصــدح
فنام ... واستلقى عليه الأصيل والظـــل والدوح !

فاذا تصورنا استلقاء الأصيل أو الظل على البلبل بمعنى وقوع الظلال عليه ، فكيف تستلقى الدوح على ذلك المسكين دون أن يرديه هذا المزاح الثقيل ... ؟

ويقول فى هذه القصيدة :

الوجه ساج كصلاة الغدير ... ... بين الطيـــور

فكيف يصلى الغدير بين الطيور ؟ لعله يريد (صلاة) الطيور على الغدير بحسوها منه ، فقلب التعبير ، كما فعل فى مطلع قصيدة « عارية ستانلى باي » إذ قال :

من علم البحر لجاج الهوى وأترع الحب بشطآنه

فما أرى للشطر الثانى معنى مستقيما إلا على (القلب) كأنه يريد: وأترع شطآنه بالحب، وإلا فما معنى أن الحب ملىء بشطآن البحر؟ ليس هذا إلا تخرق الثوب للمسمار!

يقول فى قصيدة: «دمعة فى قلب الليل»

لا منى فى هواه خال من الهـ ـم بليد الفؤاد جم الغباء
رد عنى يا ليل دعواه ... إنى كدت من لومه أحطم نائى

وهو – بطبيعة المعنى – يقصد من (نائى) الناى، ولكن القافية المهموزة المصية جنت على الناى فهمزته ولمزته ... ولست أدرى لماذا لم ينتفع الشاعر بهذه الكلمة (ناء) التى اخترعها – فى تصريع قصيدة «يوم التاج» إذ قال فى المطلع:

شاديك من قصب الفرادس نايه ومن السنا والطيب عل غناؤه

ولم يقل (ناؤه) بدل (نايه)؟ لعله لم يرد استغلال الاختراع كثيراً، فاقتصر على حاجة القافية الماسة، أما التصريع فأمر فواته أهون ..

يقول فى قصيدة «من لهيب الحرمان»:

رب ومض من لحظ عينيك ساج فجر الوحى من سنا لمحاتك

ومض لحظ العينين هو سنا اللمحات، فكيف يفجر ومض لحظ العينين الوحى من ومض لحظ العينين؟

يقول فى قصيدة «الذهول» السالفة، ويظهر أن الشاعر قالها فى ذهول:

وذاع من جفنيك فيها عبير ... ... دام حسير

إذا أكرهنا المجاز على تقبل ذيوع العبير من الجفنين، فأى ذوق يسيغ وصف العبير بأنه دام ...؟

تقدم فى أبيات من قصيدة «دمعة فى قلب الليل» قوله:

عصرت من مطارف الألم الدا وى بقلبى وعتقت فى دمائى

والمقصود هنا كلمة (الداوى) فهي من الأغلاط الشائعة لأن الفعل الموجود لهذا المعنى (دوّى) بالتشديد وليس هناك (دوى) ثلاثياً حتى يجىء منه (الداوى)

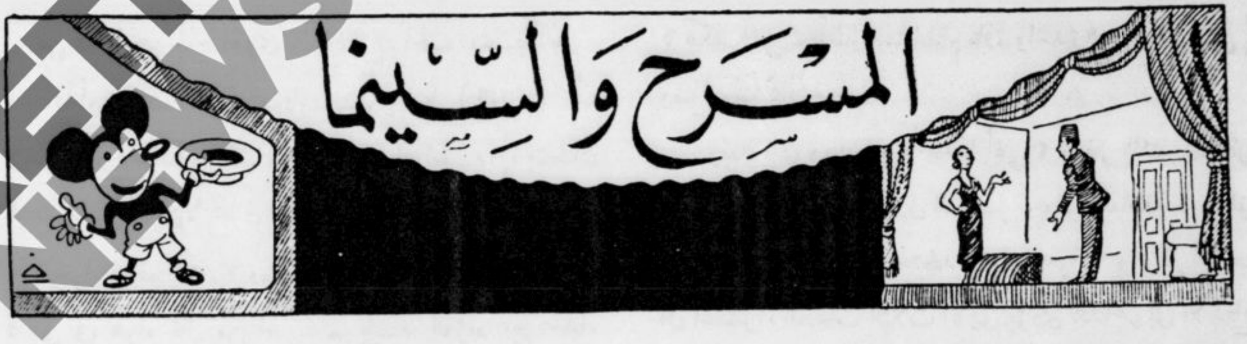
الشاعر مغرم بكلمات يرددها كثيراً مثل الغناء واللحن والناى وما إليها، حتى إنه فى قصيدة واحدة هي قصيدة: «هكذا أغنى» أطال استخدام مادة واحدة هي: (غنى يغنى) وصاغ منها ثمانى قواف ...

وبعد فإن ديوان: «هكذا أغنى» زاخر بالشعر النابض بالشباب، يتمثل فيه جلال التخيل، وقوة العاطفة، وتألق الشاعرية، والقدرة على استخدام تعابير حية؛ والواقع الغريب أن استشراء الصفات الثلاث الأولى يؤدى بالشاعر إلى الاندفاع الجارف. والأستاذ محمود حسن إسماعيل لا ينقصه – ليكون فى شعراء الذروة – إلا أن يعاود ما ينشده بالصقل والإصلاح

عباس حسان خضر

مقالة الأستاذ قطب

جاءتنا مقالة الأستاذ سيد قطب متأخرة فأرجأناها إلى العدد القادم.



التلفزيون في دور السينما

نشرت إحدى المجلات السينمائية الانكليزية بحثاً عن التطورات السينمائية التي ينتظر أن يمتاز بها العهد السينمائي الجديد فقالت إن (التلفزيون) هو أهمها وأقربها إلى أن يكون حقيقة واقعة في العام القادم. والتلفزيون جهاز لالتقاط إذاعات لاسلكية صوتية وبصرية في وقت معاً. ولاشك أن احتواء البرامج السينمائية عليه هو خطوة كبيرة في سبيل إبلاغ السينما إلى المستوى (العلمي) المنشود. ولكن هل التلفزيون من الوجهة (الفنية) يعتبر تحسيناً للسينما؟ وهل يعده الجمهور ميزة فيزداد إقبالا على الدور التي تحوي برامجها شيئاً منه! يقول الفنيون إن التلفزيون لا يمكن أن يعد تحسيناً، لأنه سيقتصر على بضعة مجموعات من الاذاعات المنقولة — صوتاً ونظراً — لتحل محل «الجريدة السينمائية» والطبعات الأخيرة من الجرائد السينمائية الناطقة، ليست في الواقع إلا إذاعات ناطقة مصورة، وفيها نرى «الشاهد» على الشاشة أهم الحوادث العالمية الجارية كما نسمع أشهر الخطب و «الاستهلالات الموسيقية» التي تصنع من أجل التمهيد لهذه الخطب وخلافها ...

فاذا كان ما قرأناه صحيحاً، وهو أن البرامج اللاسلكية المصورة سوف تقتصر إذاعتها على دور السينما الكبيرة ولن يكون في مقدور من لديه جهاز للتلفزيون أن يتلقاها على الشاشة المنزلية فلماذا يعد احتواء البرامج السينمائية على بضعة إذاعات لاسلكية مصورة تطوراً جديداً في صناعة السينما، بعد ما ثبت أنه لاجديد فيه وأن محطة أو محطات معينة هي التي سوف تقدم لدور السينما فصوله اللاسلكية المصورة، سواء أكانت مصنوعة أو مأخوذة من الطبيعة مباشرة؟!

إن التلفزيون على النحو السابق إنما يعد تقدماً أو تحسيناً في «طرق العرض السينمائي» لا في «صناعة السينما» ذاتها..!

في السينما المحلية

يكاد النقاد السينمائيون في مصر أن يتفقوا على أن شركاتنا السينمائية قد استطاعت أن تخطو بالفلم المحلي الخطوات الابتدائية التي جرت العادة بأن تكون متعبة يبذل فيها من الجهود أضعاف ما يبذل في الخطوات التي تليها

وبدهي أن فيما أخرجت شركاتنا المحلية أخطاء كثيرة. ولا غرو فالأفلام تخرج — في مصر وغيرها — وفاقاً لأصول جملة فنون وصناعات عملية لا يملك الانسان أعنتها إلا بعد المران، ونحن لا نزال ناشئين في هذه الصناعة. لذا وجب على الناقد أن يساهم في توجيه الجهود الفنية الوجهة المنتجة

وأول ما نريد أن نلفت النظر إليه هو ضرورة التخصص. فالشركة الصغيرة ينبغي لها أن تتخصص في نوع معين من الأفلام والممثل السينمائي يحسن به أن ينصرف إلى تمثيل نوع معين من الأدوار أو الروايات، والمخرج الذي ينتظر له النجاح والاجادة هو الذي يقتصر على إخراج نوع معين من الروايات وبطريقة معينة

والواقع أن نظام التخصص قائم عندنا إلى حد ما، ولكن في الشركات التي تتولى إخراج أفلام خاصة، كشركة الأستاذ محمد عبد الوهاب التي تخرج الأفلام الغنائية التي يكون هو بطلا لها، وكشركة يوسف وهبي التي تخرج أفلاماً درامية من النوع العنيف يكون هو بطلها، وكشركة لوتس فيلم التي تخرج أفلاماً من نوع الفودفيل المرائي الضاحك يقتصر تمثيلها دائماً على الثلاثي الفني آسيا وجلال وماري كويني ...

ولكنا نريد أن يعم هذا النظام شركاتنا الكبيرة ذات الأموال الكبيرة، كاستوديو مصر مثلا، وكالشركة الكبيرة الجديدة التي أنشأها الأستاذ احمد سالم

ونظرة واحدة إلى الأفلام الأمريكية تكفي لأن يسلم الجميع بأن التخصص هو العامل الأول والأهم في نجاح الشركات والنجوم كذلك

«سينمائي»

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي – عابدين

6 me Année, No. 268

Lundi - 22 - 8 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٦٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — ٢٢ أغسطس سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

تفريع على البقيـــة

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى أوربا تقل قيود المرأة وتقل قيود الفنان ، ولكننا يندر أن نرى امرأة ممن عاشرن الأدباء ورجال الفنون على شرط الجمال الأوفى عند أولئك الأدباء والفنانين ، وهم كما نعلم نقاد الجمال وخلاقو المقاييس والآراء فيه

وقد رأينا صور النساء اللواتى عاشرن بيرون وجيتى ودانتزيو ، وهم قبل كل شىء من طبقة النبلاء أو يعيشون فى تلك الطبقة ويتنقلون حياتهم بين الأمراء والأميرات ، وهم بعد هذا شعراء « عالميون » استفاضت شهرتهم فى البلاد الأوربية وغير الأوربية ، وهم بعد هـذا وهذا أرفع أمثالهم ذوقاً وأدباً وقدرة على انتقاء صنوف الجمال ، ومنهم من لعب بالمـال لعباً وساح فى الأرض وهام بالنساء

ومع هذا يندر كما قلنا أن نجد بين حبائبهم وموصوفاتهم من هى على شرط الجمـال الأوفى عندهم وعند من يشابهونهم ويتوسلون بأشباه وسائلهم

وسبب ذلك معروف لا ينبغى أن نستغربه ولا أن نحار فى تعليله ، فان الدواعى التى تدعو الرجل إلى المرأة أو تدعو المرأة

إلى الرجل كثيرة غير الجمال فى صفاته العليا ، فمنها الذكاء، فقد تكون المرأة ذكية وهى قليلة الحظ من الجمال، أو غبية وهى أجمل من ترى العيون ؛ ومنها العطف ، فقد ينجذب الرجل إلى المرأة ، العطوف وينفر من المرأة الشموس وهى سيدة النساء فى جمال الوجوه والأجسام؛ ومنها المركز الاجتماعى، ومنها الرغبة الجنسية، ومنها الغرابة التى تستهوى الرجال حين لا تستهويهم المحاسن والأخلاق ؛ ومنها التنافس على الغلب كما يتنافس الفرسان على قصبة وهى من سقط المتاع

فاذا وصف الشعراء امرأة أو أحبوها فليس باللازم أن تكون هذه المرأة طرازهم الأعلى فى محاسن النساء وشرائط الجمال بله الطراز الذى يتفق عليه جميع الناس، وتتلاقى عنده جميع الآراء، وتتوافى لديه جميع الفلسفات . وإذا قلنا إن الجسم الجميل هو الجسم الذى لا فضول فيه والذى يحمل كل عضو من أعضائه نفسه غير محمول على سواه ، ثم رأينا ألف امرأة على غير هـذه الصفة ممن أحبهم ملوك الذوق وأساتذة الفنون فليس ذلك بمانع صحة التعريف ولا بناقض صـواب الرأى ، لأن « ملوك الذوق وأساتذة الفنون هنا » كالقاضى خارج الجلسة ، أو كالقاضى الذى بينه وبين المدعين قرابة واتصال

وهذا بين الأوروبيين على ما عنـدهم من حرية وثقافة ذهنية ورياضة بدنية وعلوم صحية ومعارض يومية وتاريخيـة ، فـكيف بأعرابى فى البادية يقولها كلمة عائرة ولعله لا يعنى ما يقول !!

قلنا فى مقالنا السابق « بقية المذهب » :

« لقد وصف بعض الاعراب نساء « محبوبات » فاستملحوا الضخامة ومدحوا الـكسل وبطء الحراك، وافتتن أميرهم بمذارى قال فى وصفهن ما يقال فى وصف الفيلان :

وظل المذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

نعوذ بالله »

وكتب (القارىء) الفاضل فى الرسالة يقول إن امرأ القيس يستحسن فى المرأة ما يستحسنه الأستاذ العقاد النقـاد ويستقبح ما يستقبحه وهو يقول فى معلقته :

مهفهفة بيضـاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجـل

... يعنى امرأة دقيقة الخصر ضامرة البطن غير عظيمة البطن ولا مسترخية ، وصدرها براق اللون متلألىء الصفاء تلألؤ المرآة . فأمير الاعراب ونائب الأمة فى دار النـدوة الأستاذ العقاد فى قضيتهما فى الحسان سيان ... »

فأحب أن يذكر (القارئ) الفاضل أن امرأ القيس قال أيضاً :

إذا مابكى من خلفها انصرفت له بشق ... ... إلى آخر البيت

وهـذا ما ليس يقال فى امرأة على ما وصف فى البيت الذى استشهد به

وقال أيضاً :

إذا قلت هاتى نولينى تمايلت علىّ هضيم الـكشح ريا المخلخل

وامتلاء الساق مع دقة الخصر ليس من الصفات المتفق عليها فى نماذج الجمال

ثم نقض قوله حين عاد فقال ، إن كان عاد أو إن كان قال :

وكشح لطيف كالجديل مخصّر وساق كأنبوب السقى المذلل

ثم قال :

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها
تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فهو يستحسن الـكسل والتراخى ، وكثرة النوم ، والترامى بالشحم واللحم وليس ذاك مما يستحسن فى رشيقات النساء

وقال امرؤ القيس فى غير هذه القصيدة :

إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها تميل عليه هونة غير مجبال
كحقف النقا يمشى الوليدان فوقه بما احتسبا من لين مس وتسهال

وأين هذا من الجسم الذى لا فضول فيه ؟

فلو أن (القارئ) الفاضل ذكر هذا وماجرى مجراه من الشعر الذى قاله الشاعر أو نسب إليه لعلم أن صاحبنـا فى علم غير عالم التعريف بالجمال المثالى أو المذاهب الفنية فيه ، بمعزل عن أهواء الفنانين ، ولعلم كذلك لماذا وضعنا كلمة « محبوبات » بين قوسين قبل أن نسمع منه مثل هذا الاعتراض ، فان وصف الرجل لامرأة يحبها ويستمتع بها غير وصف الفنان للجمال الخالص أو لصفاته التى تبلغ مبلغ الـكمال ، والتى تدركها القرائح معنى من المعانى كمعنى البيت والصورة والنشيد والتمثال

ومصداق ذلك أن كاتب هذه السطور وصف امرأة محبوبة فى رواية سارة :

« هي جميلة لا مراء . ليست أجمل من رأى همام فى حياته ، ولا أجمل من رأى فى أيام فتنته وشغفه ، ولكنها جميلة جمالاً لا يختلط بغيره فى ملامح النساء . فلو عمدت إلى ترتيب ألف امرأة هي منهن لنظمتهن واحدة بعد واحدة فى مراتب الجمال المألوف ، ونحيت سارة عن الصف وحدها ... فيها فم الطفل الرضيع لولا ثنايا تخجل العقد النضيد فى تناسق وانتظام ، ولها ذقن كطرف الكمثرى الصغيرة، واستدارة وجه، وبضاضة جسم لا تفترقان عن سمات الطفولة فى لمحة الناظر ؛ وبين وجهها النضير وجسمها الغضير جيد كأنه الحلية الفنية سبكت لتنسجم بينهما وفاقاً لتمام الحسن من كليهما ... لو تكفل بها مدير معهد من معاهد التجميل الحديث لخفف شيئاً من قوامها الرواح بين الربعة والطويل قبل أن يبرزها فى معرض الرقص والرشاقة . ولو تكفل بها قهرمان القصر عند كسرى أو عبد الحميد لما ضاره أن يزيد فيها حيث ينقص زميله الحديث قبل أن يزفها إلى الشاهنشاه »

فالمرأة المحبوبة شيء والمرأة الموصوفة على مثال الجمال فى معانيه المجردة شيء آخر

وامرؤ القيس لم يحبب قط امرأة على مثال الجمال ، وإن كان قد وصف من النساء شمائل محمودة عند من ينظرون إلى ذلك المثال. ولعله فطن لهذه الشمائل بذوق الحاضرة وذوق الامارة ، لا بذوق الاعراب فى عماية الجاهلية . ولو أنه تعمد أن يرسم للأنوثة مثالا موافقاً لمعانى الجمال بمعزل عن المتعة أو عن الرغبة الجنسية لأعياه المطلب ، لتخلف الأوان وندرة الأسباب

سألنى سائل : أولا تكون المرأة إذن جميلة على شرط الفن والرياضة الحديثة إلا أن يكون وزنها قنطاراً أو دون القنطار ؟

وجوابنا الذى نطمئن به الكثيرين على عجل : كلا ! قد تكون جميلة ووزنها قنطاران ، إذا تهيأ لامرأة أن تبلغ من الطول والجسامة ما تزن به القنطارين فى غير فضول واسترخاء

وستتلو هذا المقال « حاشية على التفريع » نتم فيها ما ينبغي إتمامه من هذا البحث الذى لا فضول فيه !

عباس محمود العقاد

مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

٣ – مجنون

أصبحت اليوم خاثر النفس لَقِساً ، فتركت عملي وركبت (الترام رقم ٦) الذى يجوز بدارى ثم يذهب فيخترق (الغوطة الشرقية) ـ حديقة الأرض ـ حتى ينتهي إلى (دوما) . فنزلت على ابن عم لى فيها طبيب، فلم ير أبلغ فى إكرامى من أن يحملنى بسيارته إلى (القصير) فيجمعني باخواننا الكرام ساكنى تلك الديار . ولم يكن الدخول إلى (القصير) سهلا ولا ميسوراً ، وما كنا نطمع أن يؤذن لنا به ، فجعلنا نطيف بتلك الحدائق الواسعة الجميلة فما راعنا إلا القوم قد ملأوا الحدائق ، خارجين إلى النزهة والعمل فجعلنا نكلم من نراه منهم من وراء الدرابزين فنسمع عجباً كما نرى عجباً . فمنهم من هو نائم على وجهه ؛ ومنهم من هو قائم على رجل واحدة ؛ ومنهم من يرسم فى الهواء دوائر وهمية ، ويكلم أشباحاً لا ترى ؛ ومنهم من هو باك منتحب ثم لا يلبث أن يضحك حتى يكركر من الضحك ... وما ظنك بسكان القصير ؟

وكان أعجب ما شهدنا من العجب رجلا عارياً إلا من خرقة تستر عورته ، ولحية له طويلة عريضة تبلغ والله سرته وتحجب صدره . حقيقة أقول لا مبالغة ولا مجازاً ، قد انتحى ناحية من حدائق (المارستان) ثم مشى فيها مقبلا مدبراً متبوّعاً عجلا ، فقلت لابن عمي : تنح بنا عنه وتنكب طريقه ، فربما بطش بنا ... وإنى لأرى جسما قوياً ، وعصباً مشدوداً ، وما فى كل من رأينا (أو ما رأينا فاننا نتحدث عن المجانين) من هو أظهر منه جنوناً ، وأبدى حماقة ...

قال : عجباً منك ! هذا الشيخ فضل الحموى !

قلت : بل منك والله العجب ... أتراني سائلا إذا هشم أنفي وهتمت أسنانى ، أفعل ذلك الشيخ فضل الحموي أم الشيخ محمد المغربي ؟ حسبي منه أنه مجنون ... فعدّ بنا عنه !

قال : إذن يذهب سعيي باطلا ، فما حملتك فى السيارة وجئت

بك إلى هذه الديار ، إلا لأريك الشيخ فضلاً الحموي ؟

قلت : دعني . فلقد رأيت مجانين كثيرين ، شباناً ومشايخ ، وأدباء وعلماء ، وعاشقين ومعشوقين ، ولم يبق لي في رؤية مجنون أرب ... وإني غداً أربي في رؤية عاقل

قال : هذا هو الذي تريد ... هذا رجل يتظاهر بالجنون ، وهو أعقل من العقلاء

قلت : أو يكون هذا ؟ أئذا لم أجد في المدرسة والكلية عاقلاً والسوق والنادي أجده في (البيمارستان) ؟

قال : نعم ، تعال انظر

فأقبلنا نميل إليه . فلما رأى السيارة مقبلةً قال مالا يفهم ، وأشار بيديه وأبدى سيما المجانين ، فنظرت إلى ابن عمي وابتسمت ، فأشار لي أن أنتظر ؛ ونادى الرجل باسمه ، فلما عرفه هدأ ، وقال له: هذا أنت يا فلان ؟

قال : نعم . وهذا الشيخ ... (ومنّاني)

فنظر إليّ وابتسم ، فظننت أنه قائل لي مقالة كل (عاقل) يلقاني : أين السنة واللحية والشارب ؟ كأن الشيخ لا يكون شيخاً إلا بهذا ؛ ولكن (المجنون) لم يقل شيئاً . فقال له ابن عمي :

ألا تعجب منه شيخاً حليق الوجه حاسر الرأس ؟

قال : ويحك يافلان ! ألا تعلم أنها إذا اتصلت الأرواح ، بطلت الأشباح ؟

وأفاض في كلام مثل هذا بلغة صحيحة وإلقاء متزن ، فقلت في نفسي هذا من (عقلاء المجانين) الذين ألف في أخبارهم أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري رحمه الله ، ولست آمن أن تدركه الآن جِنته فيؤذينا ، ووقفت حذراً ...

فلما انتهى قال له ابن عمي وقد امتد إلينا الظلام ونحن في ظلال الأشجار

ألا تسير بنا إلى النور ؟

فقال لنا وهو يضحك ، وما رأيناه إلا ضاحكا :

لولا أننا هنا لقلت لكم (إن نوركم كاف) ولكن مثل هذا (النفاق) لا يقال هنا ...

فقلت : ومه ؟ أولا ترى لنا نوراً ؟

فقال : إن في كل كائن نوراً وجمالا ، ولكن العيون المدركات قليل ... إن الناس جميعاً يؤخذون بجمال القمر ، ولكن الشمس لا يؤخذ بجمالها إلا من كان له عين تصبر على نورها . ولذلك كان الشمسيون من الناس (والتعبير له) أقل من القمريين وأندر ؛ وهؤلاء هم الكبار من الصوفية ، فاذا جازوا مرحلة الشمس ونفذوا منها إلى منطقة السديم استوى عندهم جمال القمر وجمال النجم ، واستوت عندهم الظلمة ، والنور لأنهم بلغوا مرتبة الفناء في الوجد ، فلم يبالوا بعد بالموجودات ...

وتكلم في مثل هذا أكثر من ساعة كلاماً ما سمعت مثله ولا قرأته ، وفسر آيات ، وتمثل بأبيات ، وذكر نظريات العلماء المحدثين حتى أدهشني والله ، وكاد يمضي في كلامه إلى الليل لولا أن قرع الناقوس ليدخلوا فودعناه وقلت له : لقد استفدت منك

فضحك وقال : لا ترفع صوتك فيسمعك أحد

قلت : ولِمْ ؟

قال : ولِمْ ؟ أعاقل يستفيد من مجنون ؟

وكان الحارس قد وصل ، فلما رآه الشيخ فضل غمزني بعينه وعاد يقول مالا يفهم ، ويشير إشارات المجانين ، فدعوت الحارس فسألته :

ما هو جنون هذا الرجل ؟

قال : أما ترى ؟ أما ترى لحيته وعريه ؟

قلت : بلى ، فماذا في العري ؟ أليس الرجال جميعاً والنساء على ساحل الاسكندرية وحمامات بيروت على مثل عريه ؟ ألا يتكشف (الكشافة) دائماً ؟ أما اللحية فقف في السوق وانظر كم ترى من لحية . فلِمَ أمسكتم بهذا وحده دون أولئك ؟

قال : هذا يقول بأن كل شيء هو الله . أما هذا جنون ؟ أما هو كفر ؟

قلت : من حسن حظ الشيخ محي الدين بن عربي أنه مات قبل افتتاح مستشفى القصير !

قال : إنه يتكلم ساعات فلا يفهم عنه أحد

قلت : كذلك كل الفلاسفة وكذلك أكثر المعلمين..

قال : ويسكت أحياناً يومين كاملين

قلت : هذا من العقل ، هذا ...

فنظر إلى الحارس نظرة فهمت منها أنه يعجب مني كيف لا أدخل المستشفى وأكون من أهله ! فأسرعت بالهرب قبل أن يقبض علي بتهمة الجنون ...

« دوما »

علي الطنطاوي

الدين والأخـــلاق بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

الظاهر أن الأستاذ النمراوي رجل حسن النية صادق السريرة. وقلت الظاهر لأني لا أعرفه؛ ولا أريد أن أتعرض لنقده ما يسميه المذهب الجديد، ولا للنزاع الثائر بين أنصار الرافعي وبين أنصار العقاد. ولو كان الأستاذ قد اكتفى بالنقد الفني وقصره على ذلك النزاع الفني لسلم من بعض الهفوات التاريخية والاجتماعية؛ فقد قال إن نزعة التجديد يرجع أولها إلى نحو ثلاثين سنة، وقد ذكر فيما ذكر من التجديد أخذ الآراء الأوربية، ولم يكتف بذكر ما أخذ منها مما هو في باب الآداب، بل ذكر أيضاً ما اقتبس من النظم والمبادئ الاجتماعية. وهذا الوصف الشامل للتجديد لا ينطبق على نزعة بدأت منذ ثلاثين سنة، وإنما ينطبق على النزعة بوجه عام منذ جاء نابليون إلى مصر، ومنذ عهد محمد علي باشا وإسماعيل باشا، ومنذ أدخلت المطابع وأرسلت البعوث العلمية واقتبست القوانين المدنية، ونظمت المحاكم الأهلية التي صارت تحكم بغير أحكام الشريعة الاسلامية، وكثر نقل الكتب إلى العربية. والأستاذ النمراوي يعيب على المجددين أنهم يريدون رفض بعض أحكام الشريعة، ويذكر كيف أن بعض الكتاب يحبذ منع تعدد الزوجات. ويقول الأستاذ إن للدين وحدة تامة فلا يجوز أخذ بعضه وترك بعضه. ويا حبذا لو أن الأستاذ كان قد فصّل هذه الناحية من التجديد في مقال مستقل عن النزاع على التجديد في معاني الشعر والنثر، إذ ما صلة الدين قاموا بانشاء المحاكم الأهلية وأحلوا أحكامها محل الشريعة الاسلامية، وما صلة الدين يريدون منع تعدد الزوجات ومنع الطلاق، بمعاني شكسبير والمتنبي وملتون وأبي العتاهية مثلاً، ولعل أكثرهم كانوا لا يهمهم النزاع الفني الأدبي مطلقاً. نعم إن الدين والأخلاق لها مظاهر في الشعر والنثر فكان ينبغي للأستاذ النمراوي وقد حكم للمذهب القديم أنه قوام الدين والأخلاق، وحكم على المذهب الجديد أنه بؤرة الالحاد والمجون، أن يثبت هذا الزعم فينفي عن شعراء المذهب القديم كل كفر والحاد ومجون، وينفي عن شعراء المذهب الجديد كل تدين وإيمان بالفضائل مستشهداً بأقوالهم من شعر ونثر فان هذه هي الطريقة الفنية للمفاضلة بين المذهبين من حيث الدين والأخلاق. وإن لم تخني الذاكرة فان الأستاذ قد لخص المذهب الجديد في الأدب بأنه نزعة تغليب دين على دين. وإذا كان لهذا القول معنى فمعناه أن أدباء المذهب الجديد يريدون تغليب الديانة المسيحية على الديانة الاسلامية.

فاذا لم أكن مخطئاً في هذا التفسير كان واجباً على الأستاذ أن يقيم الدليل على أن أدباء المذهب الجديد يريدون تغليب دين على دين، وقد نسي الأستاذ أن كثيراً من مظاهر الحضارة الأوربية الحديثة لا علاقة له بالمسيحية التي هي دين أكثر الأوربيين، أو لعل الأستاذ قد أراد أمراً آخر لم نفهمه. ولو رجع الأستاذ إلى العصر الذي كانت فيه النزعة الدينية المسيحية متغلبة في أوربا وهو عصر القرون الوسطى عصر التزهد والرهبنة والتقشف لعلم أن المحافظين من رجال الدين والكتاب كانوا يخشون على الدين والأخلاق من غزل العرب ومجون شعرائهم وقصصهم ومن حرية أفكارهم في المسائل الدينية والكونية، وكانوا يرمون الأدب العربي بالإباحية في الأخلاق، وكانوا يلومون الآباء الذين كانوا يرسلون أبناءهم إلى مدارس البلاد العربية كالأندلس وصقلية؛ فلم يكن عداؤهم للكتب العربية الدينية فحسب، بل كان عداؤهم للكتب الأدبية العربية والفكرية أشد. وموقف هؤلاء المحافظين من الأدب والفكر العربي كان شبيهاً بموقفهم من الأدب والفكر الاغريقي القديم. وهذه الحقيقة ينبغي أن تنبه الأستاذ إلى أن الدولة العربية الاسلامية لم تلبث على الفطرة السليمة وعلى حالها من الأدب كما كانت في صدر الاسلام مثلا بل دخلها الترف وتفشت فيها ملاذ الحضارة وكثر المجون في أقوال الشعراء والكتاب وبقيت أصناف المجون والالحاد مخطوطة إلى عهد أن دخلت المطابع البلاد العربية الاسلامية. ولا أحسب أن أهلها كانوا على فطرة يخشى عليها من تلك الكتب فان حالة الأخلاق في عهد دخولها لم تكن أرقى مما هو موصوف في تلك الكتب إلا في أوساط محدودة معروفة بالنزاهة والعفة والاستقامة وصدق القول والعمل؛ وكان يضرب بها المثل؛ وكانت كالشامة البيضاء تنمت نفسها لوضوحها في الجلدة السوداء. ولا تنس

أن البدو كانوا بطبيعتهم يكرهون الضوابط والروادع أية كانت، فسرعان ماحثتهم الحضارة ولذائذها على التحلل من روادع الدين. وقد بدأ المجون يسود إلي استفحاله بعد عهد قريب من صدر الاسلام، وبلغ أشده فى الدولة العباسية، وكان مصحوباً فى كثير من الأحوال بالكفر والزندقة والالحاد، وكان كل منهما فى بعض الأحايين مستقلا عن الآخر ، فقد كان بعض الملحدين من أشد الناس زهداً ومحافظة على الفضائل كما كان المعرى مثلا

يقول الأستاذ إن المذهب الجديد فى الأدب الذي يقول عنه الأستاذ إنه بدأ منذ ثلاثين سنة خطر على الأخلاق والدين، فهل يستطيع الأستاذ أن يأتى بأبيات من شعر هذا المذهب الجديد فى شناعتها كأبيات ابن الرومى النونية التى يقول فيها :

صوت يد المجان فى المجين   أو صوت رجلى عامل فى طين

وهى أبيات قد اختارها له السيد توفيق البكرى فى كتاب (صهاريج اللؤلؤ) الذى ألفه كى يقرأه الناس رجالا ونساء وفتياناً وفتيات ، والبكرى كما يعلم الأستاذ الغمراوي كان شيخ السادة البكرية ورجلاً من رجال الدين والفضل ومن أدباء المذهب القديم، ولكنه لم يتحرج من إطلاع سيدة أو فتاة فاضلة على ما فى كتابه هذا من المجون الشنيع. ولأن يعطى الأديب من أدباء المذهب القديم أى قول قاله شعراء وأدباء المذهب الجديد لأخته أو لفتاة من أقربائه لتقرأه ؛ لأصون لها ولأخلاقها من أن يعطيها كتاب صهاريج اللؤلؤ هذا إلا إذا طمس المجون قبل أن يقدم إليها الكتاب. وقد طبع الشيخ شريف جزءين من ديوان ابن الرومى فى أحدهما أرجوزة مطلعها : (رب غلام وجهه لا يفضحُهْ) وفيها يصف طرق اللواط فى أوضاع وأشكال مختلفة . وقد عنى الشيخ شريف بشرح لفظه ومعناه كما عنى السيد توفيق البكرى بشرح الأبيات النونية. والشيخ شريف كان مفتش اللغة العربية وأديباً من أدباء المذهب القديم، ولكنه لم يتحرج كما لم يتحرج البكرى من شرح وطبع هذا المجون وإيضاح معناه كى يقرأه ويفهمه الفتيان والفتيات . فأى أديب من أدباء المذهب القديم يرى أن يعطى أخته أو أخاه الصغير هذا الكتاب، أو أن يطلعهما على قصيدة ابن الرومى أيضاً فى (بوران) . أو على ديوان أبى نواس أو على مافى كتاب الأغانى أو كتاب يتيمة الدهر للثعالبى من مجون لا تسمح أية دولة أوروبية بنشره، بينما أدباء المذهب القديم يشرحونه ويطبعونه ويستحلونه فى مجالس أنسهم ويضحكون تفكهاً به، حتى إذا جاء ذكر ما يسمي بالمذهب الجديد وأثر الأدب الأوروبى فيه أخذتهم رعدة الغضب وادعوا أن المذهب القديم عماد الأخلاق والدين، وأن المذهب الجديد بؤرة المجون والاباحية والالحاد . إن المسألة بسيطة والأمر هين. نستطيع أن نطبع على الناحية اليمنى من صفحات المجلة ما نجده من مجون وإباحية شعراء المذهب القديم فى العصور المختلفة حتى عصرنا هذا، وعلى هؤلاء الأدباء أن يقدموا ما يستطيعون أن يعثروا به من أقوال أدباء المذهب الجديد لتطبع فى الناحية اليسرى من المجلة . لا شك أن أدباء المذهب القديم يتهربون من مثل هذه المقابلة كل التهرب. وما يقال فى كتب المذهب القديم الأدبية يقال أيضاً فى كتب التاريخ . أنظر بالله إلى الأبيات التى زعموا أن مسيلمة الكذاب بعث بها إلى سجاح المتنبئة والتى فيها (وإن شئتِ ... وإن شئتِ) كيف يستطيع أديب من أدباء المذهب القديم أن يطلع أخته أو بنته أو قريبة له من الفتيات على هذا الشعر ؟

ثم انظر إلى ذكر الفحش وقصصه ونظم الهجاء فيه شعرا تجد أن ادباء مايسمى بالمذهب القديم فى كل عصر حتى عصرنا هذا كانوا أكثر حظا منه. ولا أعنى جميعهم ، ولكنهم حتى الأفاضل منهم قد وجدوا هذا الأسلوب من القول عادة صقلها الدهر وهون أمرها فأصبحوا لا يجدون خطرا على الأخلاق فى نظم الهجاء فحشا ولا فى التحدث عنه ، ولكن الخطر كل الخطر هو تأثر الأدب العربى بنواحى القول كما وردت فى كتب الأدب الأوروبى .

وبعد فأى أدب أوروبى يعنون ؟ لقد تقلبت على الدول الأوروبية عصور اتخذ الأدب فى كل منها نزعة خاصة، ولكنهم إذا تكلموا عن الأدب الأوروبي خيل للقارىء أنهم يعدون جميع الأدب الأوروبى فى عصوره المختلفة على طراز واحد وأنه مأوى المجون والاباحية والزندقة . إن عصور الأدب الأوروبى تختلف اختلافا يجعل بعضها أقرب إلى بعض الأدب العربى منها إلى

عصور أخرى من عصور الأدب الأوروبى، فالأدب الاغريقى فى سهولة معانيه وخيالاته أقرب إلى الأدب الجاهلى العربى منه إلى الأدب الرمزى الأوروبى الحديث. والأدب الأوروبى الحديث فى حرية الفكر أقرب إلى الأدب العباسى العربى منه إلى الأدب الأوروبى فى القرون الوسطى. فاذا كان بعض الأدب الأوروبى الحديث قد دعا بعض أدباء المذهب الجديد إلى إبهام الايجاز والصور المتدخلة بعضها فى بعض وإلى غموض الرمزية فقد ألف بعض أدباء المذهب القديم على هذه الطريقة فى إبهام الايجاز من غير أن يطلعوا على الأدب الأوروبى. أنظر مثلا إلى إعجاز الرافعى فى كتاب (حديث القمر) والكتب الأخرى التى كتبها، وكأنه لم يكتبها إلا لكى يثبت أنه يستطيع أن يزيد على معانى وصور أدباء أوروبا والمذهب الجديد وأنه أغنى منهم بمعانيه كما أنه أغنى منهم بأساليبه اللفظية الفصيحة العربية؛ ولكن فصاحة لغته العربية لم تخف الحقيقة الفنية، وهي أن الرافعى صاحب (حديث القمر) و(السحاب الأحمر) أقرب إلى أدباء الرمزية الأوروبيين منه إلى الرافعى صاحب كتاب (إعجاز القرآن). وإن بين أدباء المذهب الجديد من هم أقرب إلى الرافعى صاحب (إعجاز القرآن) وأقرب إلى أدباء العربية الأقدمين من الرافعى صاحب (حديث القمر) وأعنى القرب فى أسلوب التخيل وأسلوب عرض الصور الفكرية وكل صورة مستقلة غير متدخلة فى أختها. فاذا أراد إذاً ناقد أن ينتقد المذهب الجديد أو الأدب الأوروبى كانت الطريقة المثلى أن ينتقد ما يعيبه فيه على طريقة النقاد الفنيين فيبين الغث من السمين ويوضح أسباب حكمه على كل قول وكل أديب. أما أن يقول إن الأدب الأوروبى كأدب المذهب الجديد فاسد المعنى والخيال ينبو عنه الذوق العربى وتمجه الفصاحة العربية، وإنه مباءة المجون والاباحية والزندقة، فقول من لا يريد أن ينقد ولا أن تُقدَّر قيمة ما يقول قدراً صحيحاً، ولا أعنى الأستاذ الغمراوى فان هذه أحكام شائعة. نعم إن بعض الأدب الأوروبى ولاسيما الحديث منه يحث أدباء العربية على بعض ما يخالف العرف والتقاليد الاسلامية، ولكن أليس فى أقوال شعراء العرب وأدبائهم فى كل عصر أشياء كثيرة تخالف العرف والتقاليد والآداب والأخلاق الاسلامية كما أوضحنا بالشواهد؟

ونعترف أن فى بعض الأدب الأوروبى الحديث ما يحث على الالحاد، ولكن أليس فى أقوال زنادقة الدولة العباسية وفى لزوميات رجل فاضل كالمعرى ما لا تسمح الحكومة بنشره لو أن أحد شعراء المذهب الجديد كان هو قائله؟ ولكن أقوال أدباء الدولة العباسية والمعرى أقوال صقلها الدهر واعتادها الناس فلا بأس من أن يتفكه بها أدباء المذهب القديم فى مجالسهم ولا بأس من نشرها وإيداعها مكتبات المدارس

وكما أن بعض الأدب الأوروبى أقرب إلى بعض الأدب العربى منه إلى عصور أخرى للأدب الأوروبى فكذلك بعض أدباء المذهب الجديد أقرب إلى أدباء المذهب القديم منهم إلى أدباء آخرين من أدباء المذهب الجديد، فأدباء المذهب الجديد اليوم أكثر حرية فى القول وأكثر نصيباً من الرمزية من أدباء المذهب الجديد الذين ظهروا منذ ثلاثين سنة

(قارئ)

جورجيـــاس او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٨ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »(١)

ب — (متحديا سقراط) ماذا يا سقراط ؟ أعندك حقيقة تلك الفكرة التى شرحتها عن البيان ؟ أولا تعتقد أن الحياء قد أخذ جورجياس فلم يستطع أن ينكر أن الخطيب يعرف الخير والحق والجمال ، عندما أضاف إلى أقواله أنه إذا أتاه من لا يعرف هذه الأشياء فانه سيعلمه إياها بنفسه ؟ لقد نتج عن ذلك ما يحتمل أن يكون بعض تناقض فى كلامه فاتخذت أنت من ذلك مسرة لك ورحت تشغل الغير بهذه الأسئلة المعسولة ! ولكن أتصدق أن من الناس من لا يصرح بأنه يعرف العدالة وبأنه يستطيع أن يعلمها للغير ؟ الحق أنه الذوق السقيم الذى قد طوح بالمناقشة إلى مثل هذه الأرض !

ط — يالك من ظريف يابولوس! وهل نريد الأصدقاء والبنين لشىء غير ذلك ؟ إنما نريدكم أيها الصغار لكى تقوموا أعمالنا وتصححوا أقوالنا عند ما تتقدم بنا السن وتزل القدم ! وها أنت ذا هنا لترد زلتى أنا وجورجياس إذا ما أخطأنا فى المناقشة لأن هذا هو واجبك . وأقول من ناحيتى إنك إذا وجدتنا غير مصيبين فى الاتفاق على هذه النقطة أو تلك فانى مستعد للنزول على هواك إذا لاحظت شيئا واحدا ... !

ب — أى شىء ؟

ط — التقليل من هذا الاسهاب الذى بدأت به يابولوس !

ب — كيف ؟ أليس لى الحق فى الكلام باسهاب كما أشاء ؟

ط — ليكونن عارا عليك يابولوس المظيم أن تحضر إلى أثينا — وهى البلد الاغريقى الفريد الذى يسمح للناس بأكبر قسط من حرية القول — فتحرم فيها بهذه الخاصة ! ومع كل فضع نفسك موضعى ! : ألا يكون من حقى — إذا رأيتك ترسل الكلام الكثير دون أن تجيب على أسئلتى — : أن أرثى لنفسى وأن آسف على عدم السماح لى بالرحيل دون سماعك ؟ الحق إذا كان يسرك ما أخذنا فيه من قول بحيث ترغب فى تنقيته وتصحيحه ، فلتعد توًّا كما قلتُ إلى أية نقطة تشاء ، ولتسائل أو فلتدعنا نسائلك كما فعلت مع جورجياس ، بل ولتناقض أو لتتركنا نناقضك ! ، إنك تدعى بلاريب أنك تعرف نفس الأشياء التى يعرفها جورجياس !؟ أليس كذلك ؟

ب — بلى

ط — وأنت تدعو مثله الشبان إلى توجيه ما يشاءون من الأسئلة إليك لأنك واثق من قدرتك على إجابتهم ؟

ب — بالتأكيد !

ط — حسن ! فاختر الآن ما يروقك سائلا أو مجيبا !

ب — هذا ما سأفعل ! . أجبنى . أى شىء هو البيان فى رأيك ما دام قد لاح لك أن جورجياس مرتبك فى طبيعة هذا الفن ؟

---

(١) انتهى سقراط فى العدد الماضى إلى ما أوقع جورجياس فى التناقض وجعله يسلم أن رجل البيان لا يستطيع إلا أن يكون رجل عدل فحسب . وسنرى اليوم كيف يدخل بولوس في المناقشة ليدافع عن أستاذه المهزوم وكيف يبدأ سقراط فيداعبه ويحاوره ليوقعه فى التناقض كما أوقع من قبل أستاذه « المعرب »

ط — أتسأل عن أى نوع من الفنون هو فى نظرى ؟

ب — بلى !

ط — إذا شئت الحق فأنا لا أعده فنًّا !

ب — وإذاً فاذا تراه ؟

ط — أراه شيئاً جعلت أنت منه فنًّا فى الرسالة التى قرأتها لك أخيراً ![1]

ب — وماذا تعنى بذلك ؟

ط — أعنى نوعاً من التمرين والممارسة !

ب — وإذا فالبيان فى رأيك تمرين وممارسة ؟

ط — نعم . إذا لم يك لديك اعتراض !

ب — وعلى أى شىء ينطبق ذلك التمرين ؟

ط — إنه يجلب نوعاً من اللذة والاستحسان

ب — ألا ترى إذاً أن البيان شىء جميل مادام يجلب اللذة؟[2]

ط — ستنرى يا بولوس ! أو قد أصغيت حتى الآن إلى رأيى فى البيان كيما تقفز هكذا وتسألني عما إذا كنت أراه جميلا ؟

ب — ألم أسمعك تقول إنك تعده نوعاً من التمرين ؟

ط — وما دمت تعلق أهمية كبيرة على جلب اللذة ، ألا تود أن تسبب لى قليلا منها ؟

ب — إنى لأبتغى ذلك بكل سرور !

ط — إذاً سلنى من أى نوع من أنواع الفنون هو «الطهى» فى رأيي ؟

ب — وإنى لأسائلك أى فن هو الطهى ؟

ط — إنه ليس من الفن فى شىء يا بولوس !

ب — إذا فأخبرني ما هو ؟

ط — إنه نوع من الممارسة والتمرين !

ب — وعلى أى شىء ينطبق ؟

ط — إنه يجلب اللذة والاستحسان يا بولوس !

ب — وإذاً فكلا البيان والطهى واحد ؟ !

ط — كلا ، ولكنهما قسمان فى مهنة واحدة !

ب — وأية مهنة تريد أن تذكر ؟

ط — قد يكون من الخشونة والفلظة أن نصرح بالحقيقة يا بولوس . وإنى لأتردد فى الافضاء بها لوجود جورجياس ! ذلك أنى أخشى ألا يتصور غير رغبتى فى الهزء به والسخرية منه . إننى لا أدرى إن كان البيان الذى يمتهنه جورجياس من النوع الذى أعرفه أم ليس منه ، لأن مناقشتنا منذ هنيهة لم توضح لنا قط فكرته عنه . ولكن ما أدعوه أنا بالبيان ليس إلا قسما من شىء ليس بالجميل على الاطلاق !

ج — أى شىء ذاك ياسقراط ؟ تكلم دون أن تخشى إساءتى!

ط — حسن يا جورجياس : فانى أعتقد أنه عمل لا يحتاج إلى شىء من الفن ، ولكنه يتطلب فقط ذهناً فطناً جريئاً وقادراً بالطبع على الاتصال بالناس . وأساس هذا العمل كما أرى هو : الملق والرياء ، ويشمل الملق أقساماً كثيرة الطهى أحدها ، ويعد البعض هذا الأخير فناً ولكنى أراه مجرد تجربة وتمرين . كما أرى بالمثل أن البيان والتزين والسفسطة من أقسام الملق كذلك ، فكأنّنا لدينا أربعة أقسام تتصل بأربعة موضوعات

فاذا شاء بولوس الآن أن يسألنى فليفعل لأنى سأبين له من من أي أقسام الملق هو البيان في رأيى ، إذ هو لا يتصور أنى لم أجبه بعد عن هـذه النقطة ، وهو يلح فقط فى سؤالى عما إذا كنت أراه جيلاً ! ولكنى سوف لا أخبره إن كنت أعد البيان جيلاً أو قبيحاً قبل أن أجيبه : أى شىء هو ؟ وإلا فلن يكون كلامنا منطقيًّا يا بولوس ! وإذاً فسلنى — إذا كنت تريد أن تعرف — أى قسم من أقسام الملق هو البيان فى عُرفى ؟

ب — إنى لأسائلك عن أى قسم هو ؟

ط — أترى ستفهم إجابتى ؟ إن البيان عندي صورة ومثال لأحد أقسام السياسة !

ب — وماذا تعنى بذلك ؟ أتريد أن تقول إنه جيل أم قبيح ؟

ط — أريد أن أقول إنه قبيح لأنى أسمى قبيحاً كل ما هو ردىء ! ما دام يجب أن أجيبك كما لو كنت تعرف ما أريد أن أقول[1]

ج — وأنا بالمثل لا أفهمك وحق زيوس يا سقراط !

(١) يقصد رسالة لبولوس أثبت فيها أن التجربة أساس الفن (المعرب)

(٢) لاحظ ضيق عقل بولوس وسرعته فى الأخذ بالقشور البراقة (المعرب)

(١) يلاحظ هنا أن سقراط يتهكم على بولوس الذى خرج من السياسة فجأة إلى الجمال والقبح كأنّما يعرف ما فى عقله « المعرب »

ط — لست أعجب من ذلك لأنى لم أشرح بعد قولى! ولكن بولوس شاب متحمس !

ج — فلتدعه ولتخبرنى كيف تستطيع أن تقول إن البيان صورة ومثال لأحد أقسام السياسة !؟

ط — سأحاول إذاً أن أبين أى شىء هو البيان فى رأيى ، فإذا لم يك على ما أعتقد فليناقضنى بولوس : أهناك من غير شك ما يسمى بالجسد وما يسمى بالنفس ؟

ج — بلا تناقض

ط — ألا تعتقد أن لكل من هذين حالة تدعى « صحة » ؟

ج — بلى

ط — وقد تكون هذه الصحة ظاهرية فقط وليست بحقيقية ! أريد أن أقول إن كثيرين ممن يلوح أنهم ذوو جسم صحيح ضعاف فى صحتهم، وعسير على غير الطبيب أو مدرب الرياضة البدنية أن يتبين ذلك ؟ !

ج — هذا صحيح

ط — وأدعى أنه يوجد فى النفس والجسد بالمثل ما يجعلهما يلوحان فى حالة جيدة بينما هما ليسا كذلك ؟

ج — إنك تقول حقاً[1]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) وسنرى فى العدد القادم كيف يعتبر سقراط كلا من البيان والطهى والتزين والسفسطة قسماً من أقسام الملق والرياء « المعرب »

السلطتان الروحية والزمنية

كما يراها الاسلام

للأستاذ عباس طه

كانت السلطة الزمنية والسلطة الروحية — ولا تزالان — فى تقدير الاسلام من أخص أوضاعه ومميزات أسراره

والسلطة الروحية هى التى تنظم علاقة الانسان بربه فى عباداته ومعاملاته الظاهرة والباطنـة ، وتخضع ناموس المشاعر وقوانين القلوب لذلك السلطان القاهر الذى له الهيمنة على الانسان فى شتى مناحيه

والسلطة الزمنية هى التى تنظم علاقة الانسان بالانسان وترسم لتلك العلاقة حدوداً فى المعاملات بشتى ملابساتها وتتفرع عن هذه السلطة سلطات ثلاث : السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية

كانت هاتان السلطتان متلازمتين فى الاسلام ، فهما ملاك هذا الوجود وقطب رحاه ، وهما اللتان أقام منهما حارساً على بناء هذا المجتمع أن تنهار أسسه وتتداعى نظمه ؛ ذلك الاسلام فى مناعته وقوة حياطته وما كفله في أطوائه من تلمس أقوى العوامل فى إنهاض هذا المجتمع حتى يظل باقياً يؤدى رسالته ويذيع فى البشر أمانته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . ويدهى أن الاسلام دين روحى زمنى ينتظم فى أبلغ أوضاعه عملى الدنيا والآخرة ، فهو بطبيعة وجوده مصدر يصل بين حياتى المعاش والمعاد، ويكل إلى المضطلعين بأعباء السلطة الزمنية أن يستمدوا قوانينها ومبادئها وأحكامها من السلطة الروحية ، ضرورة أن السلطة الروحية قد فرضت الفروض ورسمت الحدود فى آى الفرقان بما يجمع تراثاً خصباً صالحاً حين ترجع إليه الرسل ومن بعدهم خلوفهم . من أجل ذلك رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمد أحكام السلطة الدنيوية من السلطة الدينية لأنهما توأمان لا يمكن ألبتة الفصل بينهما إلا بتحكم الطغيان الجائح فيهما فقد درج الخلفاء الراشدون والصحابة من بعده صلى الله عليه

وسلم على تطبيق الجزئيات الفرعية والمسائل الوضعية التى لم ينص عليها قانون المسائل الكلية وإن شملها بالقواعد العامة المندرجة فى أطوائه، وذلك يكون بالمقارنة والاستنباط وملاحظة المفاهيم العامة والمآخذ المطلقة ورد الفروع إلى أصولها. ومن هنا كان أصل القياس منبعثاً من منابع ثروة التشريع الاسلامى حتى لا تشذ الجزئيات عن كلياتها، وحتى لا تبطل فى الأرض حجج الله وبيناته، وحتى ينتظم التشريع الإلهى حيوية تلك المجموعة الشمسية، ومن ذلك كان الاجماع القطعى من الطرائق العملية، حكمه فى إثبات الأحكام الفرعية وتحقيق النظريات الفقهية حكم الكتاب والسنة والقياس مع الفارق المرسوم بين هذه الأصول الأربعة قوة وضعفاً، وفي توجيه النصوص الروحية أو الزمنية الصرفة وما كانت مزيجاً منهما

لذلك لما كان الاسلام دين تشريع وهداية كان تطبيق الأحكام على الناس حسب مقتضيات الأحوال ومناسبات الأسباب والملل، فمن المتعذر أن يؤخذ الناس بأحكامه طفرة واحدة ضرورة أنهم لم يمرنوا على مثل هذه الطفرات فى إبان ظهوره خصوصاً ما كان متعلقاً منه بأمور لم يكن لهم بها عهد ولا ممارسة، فكان بدهياً أن يحمل الدين الاسلامى فى أطوائه تينك السلطتين: السلطة الزمنية والسلطة الروحية، لتكون له المكنة مجتمعة من تنظيم حياتى المعاش والمعاد عند معتنقيه، وإقامة المجتمع على مناهج لا عوج فيها ولا أمت حتى تكون طريقاً إلى الحياة الأخرى فى أسعد غاياتها وأرفه نهاياتها. وإلا فلو أغفل الاسلام تلك السلطة الزمنية وبقى لا يحمل إلا السلطة الروحية لكان ديناً كهنوتياً في مراميه، ولأجفل الناس عنه إجفالا يمكن لهم فى الفوضى وسوء المنقلب، ولتراخت الهمم وتخاذلت العزائم وأصبح المسلمون شيئاً لا يحده قانون الاجتماع ولا تعرفه نواميس البشرية

كذلك لو أغفل الاسلام السلطة الروحية وظل مستمسكا بالسلطة الزمنية لكان مزيجاً من أخلاق متدافعة وعادات متناقضة، ولكان قصارى جهد معتنقيه أن يخضعوا لنواميس هذا المجتمع فى علله وأوصابه وتدافع أسبابه، وأن تكون الغلبة فيهم للقوى المادى، وأن توجد الفروق بين الطبقات والأسر والقبائل والبطون قلة وكثرة وقوة وضعفاً وعزة وذلة، والأشياء ونقائضها، فلا يعدو أن يكون كالشريعة الرومانية أو الفقه الرومانى ارتحلت صولته وبقيت محنته وسقطت هيبته وزالت روعته، ثم هو بعد لا يعدو أن يكون بين الأجيال المتلاحقة أنباء قصصية ونظريات فلسفية أفلاطونية، تعالى الاسلام عن ذلك علواً كبيراً

من أجل ذلك مشت السلطة الزمنية فى الاسلام بجانب السلطة الروحية فى نظام الحكومة على معنى أن نظام الحكومة كان مستهدياً فى جميع أدواره بهدى السلطة الروحية، وكانت السلطة الزمنية أساساً من الأسس السماوية التى جاء بها الكتاب لترسم الحدود وتقيم المعالم وتشعر الحاكمين والمحكومين بتبعاتهم كل فى حدود عمله، وتقوم على رعاية الأنظمة البشرية فى المعاملات المختلفة سواء منها ما كان متعلقاً بأحوالهم الشخصية أو بالمعاملات المتبادلة بينهم القائمة على البيع والشراء وما يلحق بهما حتى فى الحكومات التى لم يكن لها لون دينى بالمعنى المفهوم. وكثيراً ما لجأ الملوك والأمراء فى عهود سابقة إلى حملة الشريعة وحماة الدين إذا عميت السبل عليهم فى المعضلات وحجبتهم الجهالة المطلقة عن الوصول إلى شاكلة الصواب، يتعرفون منهم المنهاج الصالح لشكل الحكومة وترسيخها على أمتن الدعائم حتى تبقى تلك الحكومة بما تستمده من هدى الفرقان محتفظة بهيبتها وجلالها ومحبة الشعب لها، لأن الشعب إذا استيقن نزاهة الحكم وتوزيع العدالة بين الأفراد بالقسطاس، المستقيم وقتل روح الأثرة، والاستجابة إلى داعية القربى والمصاهرة، والتفرقة بين العمال الموكلة بهم خدمة الجماهير ورعاية مصالحهم فى فرض الجمالات وسن الاتاوات وتغليب عوامل التشهى على أى عامل آخر، وسم خصومها بميسم الخيانة العظمى، واختلاق الأكاذيب عليهم، وبث عوامل الشكوك والريب فى نفوس الجماعات فى أولئك الخصوم وتأليب الأوشاب والدهماء على منافسيهم — اتخذوا من تلك الحكومة مثلا صالحاً وأحلوها من قلوبهم محل الشغاف، والعكس بالعكس

حل الاسلام فيما حل من أسمى المبادئ مبدأ الشورى لتكون أساس الحكومة الصالحة ودعامته، تتلاقى عندها سائر الرغبات والأمانى، لأن الشورى فى أبسط أحكامها خير من رأى الفرد، فهى وليدة آراء مستخلصة من قوة الجماعة لا يراد بها غير إسعاد المجموع وإشعاره بمبدأ العدالة والمساواة حتى يظل آمناً فى سربه حصيناً فى أغراضه ومراميه، وإن لم تكن الشورى القائمة بيننا

الآن فى الشرق والغرب هي التى تمنيها مبادئ الاسلام فالشورى التى تمنيها مبادئ الاسلام هى المستخلصة من قوة الجماعة كما قلنا ليس فيها أثارة من تشيع لهوى أو أخذ بنحيزة أو إصفاء إلى ضغن فى سائر مرافق الدولة

من أجل ذلك نرى فقهاء القانون الدستورى فى حواضر أوربا يقيمون النظريات الصادقة على فشل الحياة النيابية فى الأمم المتحضرة فى عصرنا الراهن، وعجز الدستور بأحكامه عن أن يخلع على الناس خير الأشكال يقيمون عليه دعائم حياتهم وأسس وجودهم . وكثيراً ما تحاكم المسلمون فى صدر الاسلام إلى الكتاب والسنة فما ضلوا فى حياتهم وما حادوا عن الجادة الواضحة قيد أنملة، لأنهم اطرّحوا دواعى النزوات واستجابوا دواعى الاخلاص لله فى السر والعلانية فمكن لهم فى الأرض وخضعت لسلطانهم شعوب وقبائل

قرر الاسلام السلطتين الزمنية والروحية معاً فلا يمكن فصل إحدى السلطتين عن الأخرى لأنهما متلازمتان فى وجودهما .

فالسلطة الزمنية ترسم شكل الحكومة ومقاصدها المختلفة، وتؤسس الأنظمة المتنوعة لشتى الأفراد والأسر والجماعات والقبائل والأمم، وتضع أحكام الحرب والسلم وسياسة القضاء والادارة ونواميس الاجتماع ؛ ثم هى تنساب بعد إلى الأحوال الشخصية المتعلقة بذات الانسان فتنشئ علاقة زوجية صالحة بين الرجل والمرأة وترتب عليها حقوقاً قبل المرأة وحقوقاً قبل الرجل، ثم تتناول أحكام الإرث فتوزع الأنصباء من تركة الميت على ذويها توزيعاً قائماً على أدق أنواع الرعاية وأحكم مراميها ، ثم تتعهد الحاكمين بالوصايا الجامعة حتى لا يندوا عن شريعة الحق ولا تصغى قلوبهم إلى شوائب الهوى ، ثم تهيب بالمحكومين إلى السمع والطاعة فيما أمر الله ، وبهذا التساند بين الهيئتين ينتظم الأمة والحكومة عدل قائم على الاخلاص المتبادل وتسودهما روح طيبة فى مرافق البلاد وحيويتها

لقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلوفه من بعده فى يديه بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية فأقام بهاتين السلطتين خير حكومة من حكومات الأرض فى تاريخ البشرية، وأسس للانسانية العامة أفضل المناهج فى الحكم حتى فاضت القلوب بالیقین الراسخ والطمأنينة الشاملة ، ولا أدل على ذلك من أقوال الرسول وأعماله وما ينزل به الملَك من الآيات منجمة بحسب الوقائع سواء أكان ذلك متعلقاً بأمر من أمور المعاش أم المعاد إذا استثنينا بعض مسائل تقليدية تافهة لا يتصل وجودها بقانون الحكومة أو الاجتماع ، ثم درج من بعده خلوفه على قدمه صلى الله عليه وسلم فكانوا نعم الخلف لنعم السلف . وناهيكم بعمر الفاروق الذى كثرت على يديه الفتوح الاسلامية مؤسسة على الكتاب والسنة وهدى الرسول الأعظم، فاستدام بذلك القاموس السماوى أصلح الطرائق فى أنواع الحكم وأهدى السبل فى إسعاد الأفراد والجماعات والأمم ، ولا يزال الاسلام يذيع فى الناس رسالته متعلقة بالسلطة الزمنية إلى يومنا هذا ، فهو يعنى بنشر هذه السلطة ألا توجد فروق موهنة ذات أثر سيئ فى كيان الشعوب ووجودها على معنى أنه يريد التوحيد بين الأمم فى الأخلاق والعادات وأن يسودها نوع من المعاملات صالح يوحد بين مرافقها ويجمع بين شتاتها وان اختلفت لغة وإقليما وترتب على ذلك الاختلاف تباين في العادات ضرورةَ أن تلك الأمم المتخالفة لغة وإقليما لو خلت من تطبيق السلطة الزمنية وهيمنتها على مرافقها لكانت لكل أمة ندحة أن تسن لها تشريعا إسلاميا ينشىء قانون شكل الحكومة وأنواع المعاملات، على حين أن الجميع يدينون بالسلطة الروحية ويؤمنون بحياة المعاد فى قرارة نفوسهم .

وهذا من غير شك من شأنه أن يفت فى عضد المسلمين وأن يوتر ما بينهم من صلات وأن يجعلهم خاضعين لأحكام قوانين وضعية لا تثبت صلاحيتها لحكم الشعوب إلا بمقدار ما تتوارى عيوبها وأخطاؤها ، فاذا دلت التجارب على فساد أحكامها وعقم نتائجها فما أسرع الدول عنها وأن تصير فى تراث الماضي البغيض

أما تلك الشريعة السماوية فهى شريعة الخلود والبقاء لأنها جمعت بين حلقات الزمن من داثر وحاضر فوضعت لكل عصر وجيل أحكامه وطرائقه فكانت شريعة الاسلام خير الشرائع وأمثل القوانين

وغنى عن البيان بعد هذا التقرير أن الذين يقولون بضرورة فصل السلطتين وبالتالى فصل الدين عن السياسة قد جهلوا حقائق

حرمة البيـــان

للأستاذ عبد المنعم خلاف

— ٢ —

لا تزال فى نفسى بقية من هذا الحديث، هى حديثى عن واجب الأدباء فى أن يكونوا مخلصين لفنهم وأنفسهم فيصنعوا المقالة الأدبية كما يصنع المهندس بيتا لنفسه يعيش فيه، يرى فيه ويرى له الناس أنه مأواه وحصنه وعش أطفاله.

حينئذ سيلمس القارئون نبضات قلوب الكتاب فى الألفاظ كأنهم يضعون أيديهم منها على أجسام حية ... وحينئذ سيعز على الكتاب أن يرسموا صورا بأيديهم ثم يدوسوها بنعالهم .. وأن يخلقوا خلقا جميلا ثم يئدوه ويدفنوه ...

فمن حرمة البيان أن يعيش فيه أصحابه ولا يتركوه ألفاظا خربة كالتماثيل الجامدة القائمة من غير روح الحياة.

أجل ! إن صنع الألفاظ أكبر مسئولية من صنع التماثيل والدمى والصور، يحتاج إلى أن ينطق بها صاحبها ويفعل ماينطق. فاذا خص أديب الطبقة الفقيرة برعاية قلمه فواجب أن يخصهم برعاية جيبه ...

وإذا أكثر من أدب القوة فليكثر على الأقل — من مواقف الرجولة والبطولة في محيطه.

وإذا أدمن على تصوير الجمال فلاأقل من أن يكون نظيف النفس والثوب مهندم المظهر بقدر الامكان ..

وإذا أكثر فى أدب النفس فحذار أن يخالف عن أمره فيقذف من حالق وتهوى به الألسنة والأقلام فى مكان سحيق، ثم يرجم برجوم من ألفاظه هو ..

وهكذا يعيش الأديب الحق كما تعيش دودة القز لعمل القز ثم «تموت» فى صميم ما صنعت لتُبعث منه خلقاً آخر: فراشاً جميلاً طائراً على الأزهار ... وكذلك يبعث الأديب الصافي بعد موته روحاً رفافاً على الأرواح ...

أريد وأعنى أن يعيش الأديب المبين دائماً بصميم نفسه التى يرسمها فى صحفه ولا يدعها تفارقه لحظة ...

فالذين يواجهون الحياة دائماً بنفوسهم ويمثلها العالى وبوسيلتها إليــه وإعانها به ... هؤلاء هم الذين يتركون آثارهم ويشقون طريقهم ولو فى الصخور ... لأنهم ألحوا على جبهة واحدة فى الحياة، ولم يتخذوا لأقلامهم سبيلا عوجاء ؛ فكان من اللازم المحتوم أن ينفذوا من السدود، ولو كان مبلغ آثارهم قطرة واحدة متكررة دائبة كما يقول إنجيل برنابا ما معناه: القطرة الصغيرة المتكررة تشق الصخرة الكبيرة أو تترك فيها آثارها

والأديب المخلص لمثاله العالي الذى يصوره لا يتعب دارسيه فى تطبيق حياته على آرائه، ولا يحملهم على الاسراع بالشك فى تلك الآراء حين يرونه فى حياته الخاصة بعيداً عنها مكذباً لها ولا يحملهم كذلك على رجمه بألفاظه كما رجم حسان بن ثابت بأبياته فى الشجاعة إذ كان جباناً، وكما رجم أبو العتاهية بأبياته فى الزهد إذ كان بخيلا، وكما رجم البحترى بأبياته فى الجمال إذ كان قذرا، وكما رجم المتنبي بأبياته فى الحكمة إذ كان أخرق وإن كان قد كفر عن جرمه هــنا باسراعه إلى تلبية نداء شعره

الاسلام أو على الأقل تجاهلوا نظام الحكم فيه فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفى عهد خلوفه من بعده، أولئك الغُر الميامين الأطهار الذين حكموا دينهم فى الدولة فسادوا لأنهم قضوا بهــذه السياسة العاليــة أوطار الأفراد والجماعات وحققوا لهم كل رغبة صالحة ثم اجتاحوا الوثنية الوثنية ومستهجن العادات فى عهود الجاهلية

ولعل النمط الذى جرى عليه توزيع الزكاة والصدقات وإقامة الولاة فى الدولة ورسم الحدود ووضع الخطط التى ينتهجونها فى أمثل حكومة عادلة بواسطة برامج تكشف لهم حقيقة حكم الشعوب الداخلة فى الاسلام وأخــذهم بالموادة فى موضعها وتيسير الأمور عليهم حين لا يضيق عنهم التيسير ونوع معاملة أولئك الولاة للذمى والحربى والمدى الذى توزع به السلطات بين شؤون الرعية آية الآيات على أن الاسلام في حقيقته لا يعرف الفصل بين السلطتين، لكن قد تغلغلت الدنية الآرية فى الشرق فانطمست معها الحقائق وغابت السلطة الزمنية للإسلام بتضافر شتى العوامل مما سنكشف عنه فى أعداد تالية إن شاء الله

عباس طه
المحامى الشرعى

حين ذكره غلامه ببيته : الخيل والليل والبيداء ... الخ. وقتل دفاعاً عن حرمة بيانه، وكتب بيته ذاك بدمه بعد أن كتبه بمداده ...

فأمثال من ذكرنا من الأدباء حكم عليهم التاريخ ببقاء ألفاظهم خربة من نفوسهم . ولكن ما الفائدة من أن أقول قال فلان كذا ... بينما تاريخ فلان هذا يقول لي كذب صاحبك ! لاجرم أن تطير هالة الخيال إذا رُئي المثال، وأن يدخل البيان إلى النفس في استحياء وخجل تكاد تُزْلقه عيون الشبهات !

فالخلود الحق للأديب أن تعيش نفسه في نفوس قارئيه مع كل كلمة من كلامه تعلوها وتشرحها وتشير إلى النموذج الذي حققته الحياة ...

فليحذر الأدباء أن يحكم على ألفاظهم رعاة الانسانية الذين وضعت الأقدار في أيديهم موازين الحكم والنقد والاعتبار كما حكم محمد رسول الله على أمية بن أبي الصلت أنه « قد آمن شعره وكفر قلبه »

***

أنا بالطبع في دنيا غير دنيا أكثر الأدباء التي يعيشون فيها ويأخذون منها أفكارهم ... أناديهم من مكان بعيد ... ولكن ماحيلتي والحقائق الكبرى في الحياة هي التي توحي بذلك ... الايمان والحق والخير والجمال والحب والقوة، تلك المعاني التي حملها وحدها الرجال الأمهات ... ! الذين ولدوا الانسانية وعاشوا لها وعاشت في نفوسهم وتقاليدهم ...

ولم يخلد من الأدباء بل من الناس جميعاً إلا خدام هذه الحقائق مجتمعة أو منفردة . وخدمتها لا تكون أول ما تكون بألفاظ وأناشيد ... وإنما بالنفس ! ومعنى خدمتها بالنفس أن تفقهها وتراها رأي العين أنها أعمدة السموات والأرض فتلوذ بها وتعيش معها دائماً ، ثم تخلقها هي مرة ثانية بالقول الجميل أو اللحن الجميل أو الرسم الجميل ...

إني إنسان سائر مع الطبيعة ... أستحي من وجوهها الصادقة أن أمر عليها بوجه كاذب ... وإن صداقتي لها أمر ثمين عندي أثمن من صداقة الناس .. وإني أستحي من الجماد والنبات والحيوان أن أكون أقل منه صيانة لقوانين الله بارئي وبارئ الفطرة ... والتناسق والنظام يحتمان عليّ أن أسير في مواكب الطبيعة على قدم واحدة وموسيقى واحدة وإشارة واحدة ...

لماذا يكذب الانسان وحده ؟ ! إن النحلة لا تخرج علقما .. والحية لا تقبّل الخدود ... والحنظلة لا تنبت عقارب ... والنار تحرق دائما .. والماء يغرق دائما ...

إن كل شيء صادق في الدنيا فلماذا نكذب نحن ؟!

عجبا أعجبه منك ياأبا العلاء حين تسأل عن النجوم : وتكذب ؟! إن المين في آل آدم غرائز جاءت بالنفاق وبالمهر

***

نكبة الأدب هي التزوير فيه : تزوير النفس وتزوير الحياة حتى تستحيل إلى خيال شارد ..

لماذا يتغزلون وهم لا يحبون ؟ ولماذا يمدحون وهم يكرهون ؟ ولماذا يتظرفون وهم ثقلاء ؟ ولماذا يتحمسون وهم خونة جبناء ؟ ولماذا يفخرون وهم ناقصون ؟ ولماذا يسودون الحياة في وجه الناس وهي بيضاء، ويبيضونها وهي سوداء؟ لماذا يبلبلون قلوب الناشئين ويبذرون فيها بذور الشك في الحقائق الثابتة التي لا يمكن الدنو منها والحكم عليها إلا بعد الامتلاء والانتهاء من العلم والدين والفن وتجارب الحياة ؟

أكل هذا الفتنة القول والقوافي والأسجاع والنكات والشهرة؟!

أنت علل المنون فما بكلامٍ من اللفظ الصحيحُ ولا العليلُ

كلا بل ضحكت منهم الألفاظ وشيعتهم ساخرة يا أبا العلاء !

إن الخواطر لا تنتهي، وإطلاقها ينتهي بعقول أصحابها إلى الجنون ... وحرية الأفكار ليس معناها حرية الطباع ، والحرية الفكرية معناها تقديم مقترحات ضد بعض الأوضاع والتقاليد التي يرى ناقدها أنها فاسدة ولكن في عرض جميل ... لا تقديم خواطر تهجم على حق أو تجرح فضيلة ...

ويا ويل من يقع قلبه فريسة لأدب الأدباء المزورين ! إنه لا يتيقظ إلى أنهم متناقضون متهافتون إلا بعد فوات الأوان ... بعد أن ينطبع ذهنه على قبول الخيال الناقص والكذب وبتر الحقائق ولايهضمها . والأدباء المزورون أهل شطحات ، ينسون فيها كل ماضيهم وآراءهم فيناقضون أنفسهم مناقضة فاضحة إلى حد أن يحكموا على أنفسهم أحكاماً قاسية مسقطة لمدالتهم الأدبية وهم لا يشعرون

وهم لا يصدرون آراءهم عن وجهة واحدة في الحياة ، ولذلك تراهم « في كل واد يهيمون » وليس لهم مذهب ورأي ذو سلطان له مدرسة وتلاميذ يتشيعون له ويعيشون لنشره وشموله

ولو اقتصر كل منهم على المتح مما فى نفسه من منابع الالهام وعلى رصد مخلوقات قلبه ، ولم يتكلف نظم قول لا يؤمن به ولا يحسه حيًّا فى نفسه ، إذاً لظفرت الآداب بكنوز من دفائن القلوب، ولأحس القارئون حين يقصدون إلى فصل أدبى ، أنهم قادمون على معرض جيل من معارض الحياة لفنان صادق ... فواجبهم أن يستحضروا الجد ويقظة الدرس والتحصيل لما فى هذا المعرض من آراء وأرصاد ورؤى وفكاهات وعظات قنصها ذلك الفنان الصادق من خواطره وإلهامه ليقدمها للناس على أنها نتيجة التقائه بالحياة ...

ومجتمع الرأى : أننى لا أومن بالأدب ولا أعترف بحرمة البيان — ذلك الجانب المقدس فى الانسان — على أنه تسلية وتزجية فراغ تقصده النفس فى غير إجلال ، وتلعب فيه الأيدى بالأقلام لعب الأرجل بالكرة ... وإنما أومن به على أنه — فى مجموعه — معرض للآراء المصححة لأغلاط الحياة ، وللمشاعر النبيلة من حياة القلوب ، وللموسيقى اللفظية التى تساعد على خلق جو روحى أثناء القراءة

وأختتم هذا الحديث بإراد أقصوصة تمثيلية قرأتها فى بعض الآثار اليهودية ، وهى تمثل حرمة البيان وجنابه المعظم :

قيل إنه لما فرغ الله من خلق الدنيا قال لأحد الملائكة : أنظر هل ترى فى السماء والأرض والماء والهواء نقصاً ؟ فنظر ثم عاد فقال : لا ينقصها إلا شىء واحد يا رب ، هو الكلام الذى يبين ما فيها ويتحدث عنها . فخلق الله ذلك النوع الممتاز !

(القاهرة) عبد المنعم محمد مهلاف



حــواء

ديوان شعر طريف فى المرأة يصدره الأستاذ الحوماني وتقدم الرسالة منه بضمة نماذج لقرائها قبل صدوره فى مثنى وجه ثمنه عشرة قروش صاغ قبل صدوره ويطلب من إدارة الرسالة

دموع قيثارة

يتصبَّانى من الروض إلى ... وجهكِ الفاتن أرضٌ وسماء
الثرى عينٌ وخدٌ وفمٌ ... والسما نورٌ وعطرٌ وغناء
يستظلُّ الزهر أفياء المنى ... والمنى تطغى عليها الْخُيَلاَء
فتمجُّ الشمس فى أعطافها ... خمرة نكرع منها ما نشاء
يتصبانى إلى عينيكِ من ... روضتى غصنٌ وعصفورٌ وماء
يتغنين فيملأنَ فمى ... ضَرَباً تغرف منه الندماء
يا لها قيثارة ، ملء يدى ... من مآقيها دموعٌ ودماء
خفقت بين يديها كبدى ... فجثت بين يدىّ الشعراء

بعض كيانى

ألهمنى سرُّ عينيكِ وما ... يعتريني كلما أبصر ثاني
كم تساءلتُ ونفسى عنهما ... وتحرّيتُ شعورى وبيانى
فإذا زهرهما ملء فمي ... وإذا عطرهما ملء جنانى
وإذا السرُّ الذي أنشده ... فوق ما يشعر قلبي ولسانى
ربما ألهمني سحرهما ... روعةً تملأ بى كل مكان
وأرانى همتُ فى الأرض فما ... وسعتْ رقعتها بعض كيانى
وتشوّفتُ إلى الأفق الذى ... يسع الشعر فأعيانى عيانى

الحومانى

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعى

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٦ —

مقالاته للرسالة (٧)

كان الرافعى قلما يجلس إلى مكتبه فى المحكمة إلا أن يكون له عمل؛ فاذا لم يجد له عملا فى المحكمة انصرف لوقته إلى حيث يشاء غير مقيد بموعد من مواعيد الوظيفة. وكان يزورنى أحيانا فى المدرسة ليقضى معى وقتا من الوقت أو ليصحبنى لبعض حاجته. وكان يغبطنى على عملى ويزعم أنه لو كان فى مثل هذا الجو المدرسى لوجد لنفسه كل يوم مادةً تلهمه الفكر والبيان؛ ويعجب لى كيف لا أجد فى صحبة هؤلاء الصغار الذين يعيشون فى حقيقة الحياة ما يوقظ فى نفسى معنى الشعر والحكمة والفلسفة ...

وزارنى يوما، وكان من تلاميذى فى المدرسة طفل فى العاشرة أبوه من ذوى الحول والسلطان؛ فكان يصحبه شرطىٌّ كل يوم إلى المدرسة ويعود به، وكان فتى لدنا، فيه طراوة وأنوثة، وله دلال وصلف، فاتفق أن حضر إلىَّ لشأن ما والرافعى معى، ووقف الشرطى ينتظره على مقربة من مجلسنا؛ ونظر الرافعى إليه وقد وقف بكامنى وهو يتثنى ويتخلّع لا يكاد يتقارّ فى موضعه ...

ثم انصرف الغلام وانصرف الشرطى وراءه يحمل حقيبته، والتفت الرافعى إلىَّ يسألنى: «... وبين تلاميذك كثير من مثل هذا الشّمّمون؟»

وكلمة «شمّمون» عند الرافعى هى عَلَم مشترك لكل فتى جميل. وتاريخ هذا الاسم قديم، يرجع إلى أيام صلة الرافعى بالمرحوم الكاظمى الشاعر؛ إذ كان الكاظمى له صديق من الغلمان يحبه ويؤثره ويخصه بالسر ... وكان اسمه «شمّمون» — قال لى الرافعى: «وكان فتى جميلا لولا ثياب الغلمان لحسبته أنثى...!» — ورآه الرافعى كثيرا فى صحبة الكاظمى، فوعى اسمه وصورته، ثم كان اسمه عند الرافعى من بعدُ علما على كل غلام متأنث ...

... قلت للرافعى: «هذا ابن فلان الحاكم، وهذا الشرطى الذى يتبعه هو من جنود أبيه، وإن من خبره ...»

قال الرافعى: «وهذا موضوع جديد!»

فهذا كان سبب إنشائه قصة «الطفولتان»

* * *

وكان الرافعى يؤمن بالغيب إيمانا عميقا لا ينفذ إليه الشك. وكان له عن الشياطين والملائكة، وعن الوحى والالهام، وعن تجاوب الأرواح فى اليقظة والنوم، أحاديث ينكرها كثير من شباب هذا الجيل ...

... وكان له — إلى إيمانه وتديُّنه — نزوات بشرية تعقبها التوبة والندم، فكان أكثر وقته على تربص دائم من وسوسة الشيطان، فكان إذا مرت أمامه امرأة فأتبعها عينيه، أو سمع حديثاً عن غائب فتعقبه بالحديث عن بعض شأنه، أو ناله أحد بمساءة فردها إليه، استعاذ وحوقل، وقال: هذا من عمل الشيطان! ... وإذا همت نفسه بشىء تنكره المروءة، أو دعته داعية من هواه إلى ما يتحرج منه المؤمن، أو صرفه شأن من شئون الحياة عن واجب من واجبه، حمل نفسه على مالا تحتمل، وأنكر على نفسه ما همت به أو دعت إليه أو انصرفت عنه، وذم الشيطان وتجنى عليه الذنب. وفى مقالته «دعابة إبليس» حديث يحقق هذا المعنى

... فانى لَمَعه ذات مساء إذ جاءه البريد برسالة من آنسة فى دمشق، ومعها صورتها مهداة إليه، تبثه لواعجها وأشجانها، وتشكو إليه أنها ... مفتقرة إلى رجل!

ونظر الرافعى إلى صورة الفتاة فأطال النظر، ووقف الشيطان بينه وبين الصورة يحاول أن يزيدها فى وهمه حسناً إلى حسن، ويرسم له خطة ...

ثم وضع الرافعى الصورة فى غلافها وهو يقول: «أعوذ بالله من الشيطان ... أَمَا إنه ...»

وقال شاب فى المجلس: «وهل الشيطان إلا هوى النفس؟»

وقال الرافعى: «وهل تنكر ... ؟»

وطال الجدل، ومضى الحديث فى فنون ...

من هذا الحديث وهذه الحادثة كانت مقالة « الشيطان »

* * *

وكان لولده الأستاذ سامى زوج لم يدخل بها ، وقد مرضت بذات الصدر بعد ما سماها وعقد عليها ؛ فأقامت زمناً فى مصحة حلوان ؛ ثم ارتدت إلى طنطا لتقيم بين أسرتها ما بقى ، وزوجها حقٌ بها قائم على شئونها ، ثم جاء موعدها فدُعى الرافعى ليراها فجلس إلي جانبها لحظات وهى تحتضر ، فكان له من هذا المجلس القصير ، مقالة « عروس تزَفّ إلى قبرها ! »

كنت ليلتئذ على موعد معه فى القهوة ، فظللت أنتظره ساعات ولم يخلف الرافعى موعده معى مرة من قبل، فلما طال بى الانتظار مضيت لشأنى . وفى الصباح جاءنى نعى الفتاة فعرفت عذره ؛ فلما كان العصر ذهبت فى نفر من الأصحاب لتعزيته فى دار صهره ، والتمسناه فما وجدناه ، وسألنا عنه فعرفنا أنه آب إلى داره بعد الجنازة لبعض شأنه ؛ ولقيته بعدها فعرفت أنه ترك المأتم والمعزين ليفرغ لكتابة مقاله قبل أن تذهب معانيه من نفسه !

يرحمه الله! لم يكن يمر به حادث يألم له ، أو يقع له حظ يسرُّ به إلا كان له من هذا وذلك مادة للفكر والبيان ، وكأنما كل ما فى الحياة من مسرات وآلام مسخرة لفنه ؛ فهى عند الناس مسرات وآلام ، وهى له أقدار مقدورة ليبدع بها ما يبدع فى تصوير الحياة على طبيعتها وفى شتى ألوانها ، ليزيد بها فى البيان العربى ثروة تبقى على العصور، وهو إخلاص للفن لم أعرفه في أحدغيرالرافعى!

* * *

وإذْ ذكرت السبب الذى دعا الرافعى إلى إنشاء مقالة « عروس تُزف إلى قبرها ! » أرانى مسوقاً إلى ذكر حديث بينى وبين الرافعى يتصل بهذا الموضوع ، وإنه ليدل على خلق الرافعى وطبعه ، وهو بسبب مما سميته فيه من قبل «فلسفة الرضا »

لم يكن لأحد رأي في خطبة هذه العروس إلى سامى ، ولكنه هو خطبها لنفسه ، وكان يحبها ويرجوها لنفسه من زمان، ولم يكن بينهما حجاب ، فإنها بنت خاله ؛ فلما أجمع أمره على خطبتها بعد ما تخرج وصار له مرتب يكفيه[1] ، ذهب يعرض أمره على والده ، فمارضه فيما ذهب إليه لسبب سببه ، ولكنه مع اعتداده برأيه فى هذه المعارضة تركه لهواه ولم يفرض عليه رأيه ؛ إذ كان يري من حق ولده أن يختار زوجته لنفسه ، فليس له عليه فى هذا الشأن إلا أن يبذل له النصح ، ثم يدع له الخيرة فى أمره

وخطب سامى فتاته ، وعقد عَقده . وكان حموه يعمل فى مال فأكلته الأزمة ، وقُدر عليه رزقه بعد سعة ؛ ثم مرضت الفتاة مرضها ، فأكرمها زوجها وقام على شئونها ، وأنفق ما أنفق فى طبها وعلاجها سنتين أو يزيد ، بين طنطا وحلوان !

وتداعت فنون الحديث يوماً بينى وبين الرافعى حتى جاء ذكر سامي وزوجته ، وكانت ما تزال فى مصحة حلوان ؛ فقال لى الرافعى : « أنظر ! إنها حكمة الله فيما يجرى به القدر ! ضلّت البشرية إن هى حاولت النفاذ إلى الغيب لتتحكم فى أقدار الناس .. ليس للإنسان خيرة من أمره ، ولكنه قدر مقدور منذ الأزل يربط أسباباً بأسباب ، ويجرى بالحياة وحدة متماسكة ، فما يجرى هنا هو بسبب مما يجرى هناك ، فلا انفصال لشيء منها عن شيء ... تُرى مَنذا كان ينفق على هذه المسكينة ليطب لها من دائها لو لم تكن الأقدار قد أحكمتْ نظامها وكان سامى هو زوجها ؟ هل كان إصراره على الزواج منها بعد ماقدّمتُ له من الرأى والنصيحة إلا لأنه فى تدبير القدر مرجوٌّ لهذا الواجب من بعد . لقد كنت مستيقناً من أول يوم أن من وراء هذا الزواج حكمة خافية ، وإننى اليوم وقد انكشف لى هذا السر العجيب فى حكمته البالغة لأشعر بكثير من الرضى إلى ما كان ! »

* * *

ثم كتب مقالة « بين خروفين »

وهى تمتْ بسبب إلى مقالة « حديث قطين » ؛ وفيها حديث عن ولده عبد الرحمن ، وهو أصغر بنيه ؛ وكان الرافعى يرجوه ليكون من أهل الأدب ؛ فما يزال يستحثه ويحمله على الدأب والمثابرة ليكون كما يرجو أبوه ، ويحمله بذلك الرجاء على مالا يحتمل. وكان (الايحاء) وسيلة الرافعى إلى تشجيعه وتحميسه إلى العمل ؛ ويبدو مَثل من هذا الإيحاء فيما تحدث به الرافعى عنه فى أول هذا المقال

(١) كان سامى معيداً فى كلية الزراعة قبل أن يذهب فى بعثة الجامعة إلى أمريكا

وكان الرافعى معنياً بمستقبل أولاده عناية كبيرة ، فكان يحملهم على العمل بوسائل شتى . وكثيراً ما كان يرسم لهم الخطة للتحصيل والمذاكرة ، وقد وجدت بين أوراقه حديثاً له إلى ولده إبراهيم ينصحه ويرسم له منهجاً ليهيء نفسه للامتحان ، لو أنه اتبعه لكان اليوم غير ما هو !

ومن أجل أولاده أنشأ كثيراً من المقالات عن عيوب الامتحانات لمناسبات مختلفة كان ينشرها فى المقطم ؛ وكانت له طلبات ومقترحات إلى وزارة المعارف أجابت أكثرها ولم ينتفع بها أحد من ولده ومن أجلهم أنشأها !

أنشأ هذه المقالة قبيل عيد الأضحى ، وكان اشترى خروفين للتضحية أودعهما فوق سطح الدار إلى ميعاد ؛ فما نزعه إلى كتابة هذا المقال إلا هذان الخروفان ، ثم حاجته إلى أن يقدم إلى ولده نموذجاً فى الإنشاء يعينه على بعض واجبه المدرسى

* * *

وكان للرافعى رأى فيما تنقل الصحف من أخبار تركيا تفسره مقالة « تاريخ يتكلم »

وقد دعاه إلى إنشاء هذا المقال أخبار تناقلتها الصحف فى ذلك الوقت عن أحداث تجرى فى تركيا ، رأى فيها مشابه من حوادث سبقتها فى مصر قبل ذلك بألف سنة فى أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى

وفى أحيان كثيرة كانت تثور نفس الرافعى لما يسمع من أخبار تركيا فيهمّ أن يكتب ثم يمنعه من ذلك خشيته أن يكون فيما يكتبه شىء يقفه موقف المسئول عن غلطة تعكر صفاء ما بين الدولتين ؛ ثم جاءت مناسبة هذه المقالة فأنشأها وجعل الحديث فيها عن الحاكم بأمر الله وهو يعنى رئيس الجمهورية التركية ؛ وكانت هذه التعمية وسيلته ليتهرب من التبعة السياسية ، ومنها كان الغموض فى كثير من معانيه ؛ فمن شاء فليعد إلى هذا المقال ليقرأه وقد عرف داعيه ، فلعله لا يجد فيه غموضاً من بعد

ومن أجل هذا السبب ولهذا القصد نفسه كان مقاله « كفر الذبابة » الذى أنشأه على أسلوب كليلة ودمنة بعد ذلك بأشهر .

« سيدى بشر » محمد سعيد العريان

تحرير الألفاظ

الروعـــة والطرب

للاستاذ محمد شوقى أمين

تقول اللغة فى مشهور ما تقول : طرب الرجل : فرح ، وطرب: حزن. وتقول أيضاً : راعه الأمر أعجبه، وراعه: أفزعه

والقائم فى الأذهان أن لفظىْ الروعة والطرب من باب الأضداد المتعارف شأنها فى خصائص الفصحى ؛ على حين أنهما فى الحق لا يدلان على واحد من الضدين بعينه حقيقة ووضعاً ، فحقيقتهما ووضعهما للموجان والتضرُّب لا غير . فالروعة والطرب يدلان كلاهما على اهتزاز النفس وتحركها ، وهيْج الخاطر وتأثره؛ وإنما يدل كل منهما على معنَيَىْ الفرح والحزن دلالة مجازية يبين السياق نص موقعها من الإبانة والافهام ، وتؤازر القرائن المقصود لذاته منها فى أسلوب الكلام

وربما كان الصوت الرخيم شبيه ما نحن بصدده من هذين اللفظين ، فإن الدلالة المنوية للصوت الرخيم على معنَيَىْ الحزن والفرح ، أكثر شىء وفاقاً لدلالة لفظى الروعة والطرب على ذَيْنِك المعنيين

متى ذكر جمال الصوت ورقته ، انصرف الذهن أول ما ينصرف إلى الفرح ؛ فالغناء فيما يبدو للناس على وجه عام ، بريد المسرة ، ووافد الابتهاج . مع أنه فى حقيقة الأمر يستنبث الشجو ، كما يستثير الغبطة ؛ ويرتاح له الشعور الحزين ، كما يأنس به البال الرفيه . فهو منتجع الشجيين والخليين على سواء بينهما . وكم أنبطَ الغناء من عبرات حِرّار لم تكن تَبِضّ قطراتها لولا رِشاء النغم الحنون !

تلك هى النائحة المستأجرة ، تبعث صوتها المتحزّن فى مناحات النساء ، فاذا به وقود تتضرّم به مجامر الزفرات ، ورنين تستيقظ به كوامن الأحزان . فتمضى النساء وقد حضرتهن الهموم يبكين شجْوَهن !

وهذا ابن سريج ظل صدر شبابه ينوح. وقد أُنسيتُ : أين ؟ أفى مكة أم فى المدينة ؟ وحينما كان فقد نوّح دهراً وهو ورّقاء

هتوف ، قبل أن يغنى فى بغـداد وهو بلبل صَـيْدَح ... هاج صوته خلف الجنائز لواعج الحزانى ، من المـكيين أو المدنيين بين رجال ونساء ، وأحيا ذلك الصوت نفسه ليالى البغداديين الملاح ، فكان عون اللهو ورُقْيةَ الصبوات !

ذلك لأن الغناء فى ذاته لا شأن له بما يكون في النفس من أفراح أو أتراح ، وإنما هو ذوب ينسرب إلى أذن السامع ، وسحر يمشى فى حسـه ، فيهزّ مناحى الشمور ، ويغشىُ ظلام الجوانح ، فينكشف مستورها من الأفراح أو الأتراح ...

فعمل الغناء على هـذا هو التنبيه والايقاظ ، سواء أكانت النوائم آلاماً أم لذائذ . وهكذا الشأن فى لفظىْ الروعة والطرب فهما يدلان على الهيجة والهزة والتحرك ، سواء أكان ذلك للذائذ أم للآلام

أما مفاد قول اللغويين فى لفظ الروع فهو : الفزع ، وقالوا : سُمى القلب رُوعاً بالضم ، لأنه موضع الفزع . فقولك : راعه الأمر ، أى بلغ الرَّوْع رُوعه ، والأمر الرائع هو الذى يصل الفزع منه إلى القلب

وفى رأيى أن العرب سموا القلب روعاً وجرى بينهم استعماله ثم اشتقوا منه الفعل : راع ، ليفيد إصابة القلب كما يقال : فأده أصاب فؤاده ، ورأسه أصاب رأسه ، وعانه أصاب عينه . وهذا الباب من أبواب العربية ينفسح لـكل الأعضاء ، فقد ألمع العلماء إلى اطراده ، تقول : فَصَلَه ، أى : أصابه ، وفُـصِل هو ، بالبناء للمجهول ، أى أصيب

وقد أخلى أصحاب المعجات أسفارهم من الاشارة إلى هـذا الوجه خلال أقوالهم في اشتقاق فعل : راع ، وعلقوا الصلة بينه وبين الروع بمعنى القلب على بلوغ الفزع ، وذلك التعليق هو الذى إياه نأبى ، وغيره نرى .

على أنهم فى تعليلهم لبعض الاستعمالات العربية فى هذا اللفظ ذكروا مايقوم مقام التنزُّل عما سبق أن علَّـقوه . جاء فى شرح القاموس نقلاعن حُذَّاق اللغة : « ما راعنى إلا مجيئك ، معناه : ما شعرت إلا بمجيئك ، كأنه قال : ما أصاب رُوعى إلا ذلك » وهذا التفسير اللغوى يفيد ، على جلاء ، أن راعه الأمر : أصاب رُوعه ، أى قلبه ، دون ذكر لخوف أو فزع .

وهذا تعبير عربى وثيق ، تقول : « وقع ذلك فى رُوعى ، أى نفسى وخلدى وبالى » فالوقوع هنـا خالص مجرد ، وهو يفيد الوصول إلى القلب ، غير محدود بوصف ، ولا معيَّن فيه وجه .

ومن فُصح العربية كذلك قولك : « فلان يرتاع للخير » ووجه هذه العبارة أن ارتاع هنا مطاوع راع ، ففلان يروعه الخير ، أى يمس قلبه ، ويقع فى نفسه ، فهو يرتاع للخير ، أى يرتاح إليه ، ويطمئن به .

وعلى هذا ، تقول : راعنى الأمر ، أى وصل إلى خاطرى ، وتأثر به جنانى ، فان كان ذلك الأمر داعية بهجة فذاك ، وإن كان نذير مساءة فكذلك . فالزينة الرائعة هى الرائقة التى يبلغ إلى القلب الاعجاب بها ؛ والفجيعة الرائعة هى المفزعة التى تهزُّ القلب نبأً تها .

وأما لفظ الطرب فان الخطب فيه أيسر . وقد تضاربت فيه أقوال فقهاء اللغة ، ومن هذه الأقوال ما نوافقه فيما ذهبنا إليه .

هى آراء ثلاثة فى ذلك اللفظ :

أولها أن الطرب للفرح ، وللحزن . ومن شيمة ذلك الرأى « ابن الانبارىّ » فقد حشده فى كتاب « الأضداد » فيما حشد من مادة كتابه !

والثانى أنه حلول الفرح ، وذهاب الحزن . وقد ذكر هذا الرأى صاحب اللسان ، وكأنه عرف ضعفه فصان اسم صاحبه عن نسبته إليه

ثالث الآراء هو الذى تواطن اللغويين عليه ، وهو أن الطرب خفة تعترى عند شدة الفرح أو شدة الحزن . وقد ذكره من أعلام اللغة جمع بينهم «ابن دريد» فى الجمهرة و «الجوهرى» فى الصحاح

وممن ارتضى هذا الرأى من المتأخرين صاحب المصباح ، فانه أثبته فى موضعه من معجمه وزاد عليه قوله : « والعامة تخص الطرب بالسرور » . فهل فات الفيومى أن العامة تجرى فى هذا التخصيص على رأى أسلفنا ذكره هو الرأى الثانى ؟ أم يذهب إلى أن هذا الرأى ينزل من الآراء منزلة العامة وقالة السوق ؟!

ولعل أوفق ما قيل فى معنى لفظ الطرب قول ثعلب : « الطرب (عندى) هو الحركة » فهذا هو القول الصائب على ما نرى ؛ ولـكن

غزل العقـــاد

للأستاذ سيد قطب

- ١٦ -

الآن يصل أخونا « القمراوي » إلى النهاية البائسة التي وصل إليها إخوانه من قبل . فهم وهو ، يظلون متماسكين — بعض الشيء — وهم يحورون بالكلام ويلفون حول الأشخاص بالجمل العائمة والتعبيرات التي ينبت رأسها في ذيلها — وبالعكس ! — حتى إذا بلغوا الحديث عن النماذج ، ولمسوا جانب الأحكام الأدبية ، « آن لأبي حنيفة أن يمد رجله » !

من كان ينظر إلى « الجمال » وينظر إلى « الحب » نظرة « العقاد » التي أسلفنا عنها الحديث في مقالي « سارة » وفي مقالي « غزل العقاد » فهو خليق أن يسمعنا من « الغزل » — تعبيراً عن أثر الجمال والحب في نفسه — أنماطاً أخرى غير ما عهدناه في الشعر العربي قديمه وحديثه ، وأن يكون في هذا الغزل صاحب « خصوصية » أولا ، وصاحب « فلسفة » شاملة ثانياً

وليقل بعض الجهلاء الغلاظ ما يشاءون عن فلسفة الشاعر ، ولينكروا أن يكون لكل شاعر كبير فلسفة خاصة ، يفسر بها الحياة كما تنطبع في نفسه النموذجية ، لا نتيجة (التأمل) وحده كما يفهمون ، بل نتيجة الفطرة الممتازة كذلك ، ونتيجة الطبع المتفرد ، الذي تهبه الحياة لصاحبه ، وهي ترتقب منه دنيا جديدة يخلقها ، لا كدنيا الناس ، تضمها إلى متحفها الضخم الفريد

والعقاد في غزله يجيبنا إلى ما نرتقب ، ويرتفع فوقه درجات ، ويحيل الدنيا — حين يحب — متحفاً حياً من الصور والحالات النفسية ، ومن شخوص اللحظات والليالي والأيام التي تدب وتتنفس وتحيا ! ومن الألوان والظلال التي تلقيها المواقف والآلام والأحلام والآمال ؛ ومن الأصداء المنبعثة من أوتار نفس متعددة الأوتار

هي دنيا عجيبة يعيش فيها القارئ بضع ساعات ، فيلتقي فيها بوجوه عدة ، وأنماط من الشخوص نادرة ، ويرى هناك نفساً — بل نفوساً — هادئة ثائرة ، راضية ساخطة ، بانية هادمة ، محلقة في الرجاء ، وجاثية في القنوط أو محيرة في الشك والارتياب ، ويجدها روحانية ترفرف بأجنحة من السماء تارة ، وبوهيمية تلتهم قطوف الواقع تارة ، وكثيراً ما تجمع بين السماء والأرض في قدرة كقدرة الخالدين

ولكن الميزة الكبرى لهذه النفس أنها تبدو صادقة في كل حالة ، طبيعية في كل وجه ، أصيلة في كل سحنة . فليست هي في حالة المتعة والاقبال بأقل منها في حالة العزوف والادبار ؛ وليست هي في ساحة الرجاء الطليق بأفضل منهـا في حرج القنوط المطبق ، أو الشك الأليم ...

وتلك قدرة — أو موهبة — لا تتاح لكل شاعر كبير ، بل لعدد محدود من الشعراء الكبار ؛ فقد يكون شاعراً كبيراً وهو يمتاز في ناحية واحدة من نواحي الاتجاهات النفسية الكثيرة ويرى الدنيا كلها في ضوء هذه الناحية الممتازة فيه

ونحن لا ننصف الرجل حين نقول : إن الأوتار التي يوقع عليها الحب في نفسه ، لم تجتمع قط لشاعر عربي ، ولا تجتمع لعشرة من شعراء العربية في جميع العهود

ابن سيدة قال في التعليق عليه : « ولا أعرف ذلك » ... على أن فقد المعرفة ليس بإنكار ولا تخطئة ، ولثعلب أن يكون له (عند) وما هو بظنين

وثم لفظان هما عسِيّان أن يدخلا من هذا الباب ، وتصدق عليهما هذه الصفة ، ذانك لفظ الشجو ، ولفظ الوله . فقد أصفق اللغويون — وبينهم الكسائي — على أن شجاه : حزنه وطرّبه ضد . وذكر بعض منهم في المعجمات أنه قيل : إن الوله يكون من الحزن والسرور . وأنا لم أجد حول هذا الذي قيل في الوله مايعزز جانبه ، ولم أجع من صيغه ولا من صيغ لفظ الوله ما يسفر به وجه الاشتقاق ، فأحتسب الآن بالاشارة إليهما ، والتنبيه عليهما ، غير مبرم لهما قولاً ، ولا قاطع فيهما برأي

وقصارى البحث أن لفظي الروعة والطرب لا يدلان إلا على تأثر النفس بما يُحَـرِّك ما فيها من المباهج أو الكروب ، فالغناء يَرُوع ويُطرب ، والمغنّي رائع مطرب ؛ لأن روعة الغناء وطربه يستخفان الشاعر ؛ فَتَـتبرج الفـرْحة الخفِـرة أو يهتـاجُ الأسى الكظيم ؟

محمد شوقي أمين

نحن لا ننصفه حين نتحدث عن اللغة العربية وحدها ؛ ولكنا نقول ذلك مؤقتاً ، لأنها اللغة التي نستطيع الحكم على آدابها حكماً نملك أدلته كلها ونجزم فيه بالصواب . وإلا فبين يدى معربات كثيرة لشعراء من الغرب مشهورين معروفين « كبيرون وشيلي والفريد دى موسيه وفيكتور هوجو » لا أرى فيها من تعدد الجوانب الصادقة الأصيلة ما أراه في غزل العقاد وشعره عامة

وما أقول هذا وأقصد به إصدار حكم لا أملك كل مستنداته ولكنه توجيه لدارسى هذه الآداب ، ودراسة تنفع للحكم بين شاعر مصرى كبير ينالنا شرف سبقه وتفوقه في هذه الميادين ، وبين شعراء العالم المشهورين المقروءين .

***

أول ما يطالعك في غزل العقاد - وفي شعره عامة - اليقظة والوعى الفنى ، والانتباه لما يجول فى نفسه من الخواطر والأحاسيس، وما ينبض به قلب من يحب من الشاعر والأشواق وما يحيط بها من أجواء وآفاق .

وينشأ عن اليقظة الاتجاه الفلسفى ، لتعميق الاحساس بالحب ، كما ذكر على لسان « همام » فى « سارة » وأسلفنا عنه الحديث . كما ينشأ هذا الاتجاه عن رأيه فى الحب والجمال ، وعلاقتهما بأغراض الحياة الكبرى ، ووشائجها بالكون فى آماله الفسيحة .

ولا مفر لمن ينظر هذه النظرة أن يجاوز التعبير عن خاصة نفسه فى الغزل ، إلى صلة حبه بالحياة والكون ، وأن تتسرب إلى هذا تجاربه وتأملاته فى الحياة ما دامت النفس الانسانية وحدة لا تقوم الحواجز بين أجزائها ومكنوناتها . فتتألف من ذلك كله فلسفة ، يحسبها السطحيون بعيدة عن الحب والغزل لأنه لم يكتب عليها لافتة (يافطة) تقول : « هنا عاطفة ! » ، ولأن الحب عندهم هو ذلك الظمأ والطوى ، الذى لا يبعد كثيرا عن الحس الساذج القريب ، ولأنهم ذوو نفوس ضيقة ناضبة لها وتر ضئيل .

وليس فى غزل العقاد ولا فى شعره كله هالات وظلال ، (مما قد يكون جميلا فى شعر آخرين ليست لهم هذه الطبيعة) وليس هو ميالا للرمزية — وبخاصة كما يصورها بعض أتباع هذا المذهب فى هذه الأيام — واليقظة والوعى الدقيق، والانتباه الصارم، لا يناسب هذه الرمزية ولا يستريح إلى الايغال فيها إلا بمقدار .

ومثل العقاد فى هذا كمثل الجهاز السليم الدقيق ، يرصد الكواكب والسدم ، فيدركها واضحة محدودة عما حولها ، فملام تكلفه أن يظهرلك فى الصورة ظلالا وأشباحا ، وهو يرى أضواء وشخوصا ؟ ألأن جهازا آخر مختلا أو ضعيفا ، أو على عدسته غشاوة يسجل تلك الظلال والأشباح ؟

نعم قد يظهر لك فى بعض الأحيان غشاوات وسحبا ، لأن هناك سدما غير واضحة فى ذاتها — لا فى عدسته — وهنا تكون الرمزية الصادقة التى تكتفى لأنها لا تملك التصريح ، وتسجل الغشاوة لأنه لا سبيل إلى الوضوح

على أن هناك سبباً آخر لسلوك العقاد هذا المسلك فى الاحساس بالحياة والتعبير عنها فى وضوح دقيق ، ذلك هو فلسفته العامة عن الحياة

فالعقاد ليس من الشعراء الذين لا يجدون فى هذه الحياة المنظورة مجالا فيعمد إلى التوشية والتظليل ليدارى العيوب ويخلق المحاسن المتخيلة الغامضة؛ أو يتركون هذه الحياة كلها، ويرسمون من الخيال حياة أخرى يغشيها الضباب والدخان ، وتزينها التهاويل والأطياف !

إن هذه الحياة المنظورة جميلة عند العقاد تستحق الحب والالتفات ، وهى كذلك رفيعة تستحق التقديس والاحترام :

يا طالباً فوق الحياة مدى له يعلو عليها . هل بلغت مداها !
ما فى خيالك صورة تشتاقها إلا وحولك لو نظرت تراها

ومن المستحسن أن نوضح ماذا يعنى العقاد بالحياة المنظورة ، فهو يعنى بها الحياة فى كنهها وذاتها ، فى ماهيتها كقوة خالدة ، ويراها وحدة من مبدئها إلى منتهاها ويضم إليها آلامها فى جهادها وأشواقها إلى غايتها ، وخطواتها إلى الدوام والكمال

هذه هى الحياة التى يهيم بها العقاد — كما هى — ويراها وافية بتحقيق مطالب الخيال والأشواق ؛ وليست هى حياة الساعة واليوم ، أو حياة الفرد والجيل المحدود

وهذه الحياة — عنده — «روح نلمسها بيد من المادة»، ولا انفصام — بل لا اختلاف — بين القوة والمادة فيها ، وقد برهن العلم فى محاولاته الأخيرة على صدق هذه النظرة بالفطرة السليمة، فما الذرات التى تتألف منها المواد إلا كهارب موجبة وسالبة ينشأ من تعادلها وجود المادة فى الحس، وليس ما يعرف فى الطبيعة «بالمقاومة» إلا قوة تعارض قوة ، أيتهما زادت طاقتها تغلبت وظهرت

ومن هنا ينشأ احترام العقاد للجسم فى عالم الجمال ، أو ما اصطلحنا على أن نسميه « جسما » وهو طاقة من قوى الحياة تتمثل فيها للحس ، وتلمس باليد . ولهذا فحين يبلغ الحس غايته يجمل من المحسوسات أرواحاً ، ويحيل المتع كلها روحية علوية :

ما نعيم يمنح الكـــف غذاء المهجات ؟
تقصر الألباب عنه   وهو بعض اللمسات
فى يدى أدعوه خصراً   تارة أو زهرات !
فى فمى أدعـوه ثغراً   تارة أو قبـلات !

والسماء والأرض — على هذا — متقاربتان فى الحيـاة . أنظر إلى الحياة فى قيودها وضروراتها فأنت منها فى أرض جاثية. وانظر إليها فى آمالها وأشواقها ، فأنت منها فى سماء طليقة . وهى هى الحياة فى أرضها وسمائها وحدة لا تتجزأ ، مقبولة الأعذار ، مغفورة الزلات ، محبوبة المباهج ، مرموقة المناظر ، لأنها الحياة !

ومن شأن هذه الفلسفة ألا تلجأ إلى الألغاز والمعميات ، ولا إلى الأشباح والخيالات ، ولا إلى الظلال والغشاوات ، إلا حيث يكون هذا كله جزءا من كنه الحياة وقبساً من طبيعتها . وذلك لأنها تواجه الحياة بخيرها وشرها ، وتعترف بهذا الخير والشر كمزاج أصيل لها ، وتدرك ما فيها من جمال حقيقى موجود ، لا غاية بعده لوهم ولا لخيال

* * *

وقد استطردنا فى بيان فلسفة العقاد العامة ، فسقنا فيها بعض خصائصه فى غزله وهى « التوحيد بين متعة الحس ومتعة النفس أو بين الأرض والسماء » . ثم دعانا هذا الاستطراد إلى تأجيل الأمثلة التى نأخذ منها دلائل اليقظة والوحى الفنى . والآن فلنأخذ فى إيراد الأمثال :

يقول فى قصيدة بعنوان « تبسم » :

تبسم فإن القلب يسعد بالذى   سعدت به واضحك وغرد وخاطر
يلذ لنا منك اغترارُك بالصبا   غرورُ الصبا روحٌ لقلب المحاذر
ويعجبنا أنا نرى فيك معجبًا   مدلا على الأيام إدلال ظافر
بشوشاً تكاد العين تلمح قلبه   وتسرد فى نجواه نظم السرائر
إذا غامت الجُلَّى تبلجت بينها   تبلج ومض البرق بين المواطر
وتضحـك والأتراح حولك جمة
تخافك خوف الجن رجم الزواهر
وتبكى وأفراح الحيـاة كثيرة   يحاذرنا من حولنا كالطوائر
فياقرب مابينى وبينك فى الهوى   ويابعد شقٌ دارنا فى الخواطر
طوى الحب ما بينى وبينك من مدى
فنحن قرينًا موطنٍ متجاور
أيامن رأى ليلاً وصبحاً تلاقيا   وإلفين من صفو وشجو مخامر
لئن تخش منى الليـل صعباً مراسه
لقد بت أخشى منك شمس المجائر
فيـالى من ليل بحبـــك موثق
وثاق الضوارى فى كناس الجآذر
تطالع منه الهولَ مهلا مقاده   رخاءً غواشيه ، شجيٌ الزماجر
ويا ربٌ مرهوب السطا وهو مطلق
إذا كُـفٌ أضحى متعة للنواظر
أنا الليل فاطرقنى على غير خشية
ولجْ باب أحلامى وجلْ فى حظائرى
ومرْ حيث يخشى غيهب الليل نفسه
وتمثر بالظلماء ظلمـــاء كافر (١)
لتعلم ما الدنيا إذا غال غولها   وأنت أمين من طروق الدوائر
وتعلم أن الشمس تكذب قومَها   إذا حدثتهم عن خفى وظاهر
فكم بين لألاء الضحى من مناظر   طوتها يد الأحداث عن كل ناظر

فها هنا رجل يحب ويعبر فى غزله عن هذا الحب ، ولكن اليقظة التى ابتعثها الحب فى نفسه وفكره جميعاً تجعله يتنبه إلى خصائص نفسه وخصائص من يحبه ، ويلمح الفروق الواضحة بينهما التى يؤلف منها الحب وحدة ونظاماً ! ثم تدخل فى المضمار فلسفته العامة ونظرته إلى الحياة قيودها وطلاقتها ، ضروراتها وأشواقها ، فيتألف من ذلك كله غزل ناضج فريد على غير مثال

ومن حق الأدب علينا أن نشرح هذا كله فى تلك الأبيات

يعجب العقاد فى حبيبه بالجمال ، ولكنه لا يقف عند هذا الذى يدركه كل شاعر — وإن أدركه هو على نحو خاص — فإنما يعجب فيه أكثر باغترار الصبا ، والإدلال على الأيام إدلال ظافر ، والبشاشة التى لا تفرض وجوداً لعبوسة الحياة .

وإلى هنا يمكن أن يصل شاعر ممتـاز . ولـكن ما يعجب العقاد فى هذا هو معنى أبعد وأرق . إنما يعجبه من هذه الغرارة

(١) اسم من أسماء الليل

والبشاشة ، غلبة الحرية على الضرورة فى هذا الجيل ، وغلبة الفرح الطليق على الانقباض الحبيس ، وغلبة البشاشة الراجية على العبوسة اليائسة

ثم يلقى نظرة أخرى على هذين القلبين اللذين جمع بينهما الحب ، فاذا أحدهما يضحك والأفراح حوله جمة ، وثانيهما يبكى وأفراح الحياة حوله كثيرة ، وهى مفارقة من مفارقات القدرة الخالقة فى الحب ، التى تهزأ بالظواهر والأشكال وتمزج بين العناصر أبعد ما تكون طبيعة وكنهاً . ويلتفت من هذا إلى أثر هذا المزج العجيب ، فاذا قلبه الرهوب بمـا فيه من آلام وجماح ، وقد غـدا مروضاً مذللاً بهذا القلب الآخر المشرق البشوش ، فصار مأموناً لا يرهب ، كما تشاهد الضوارى موثقة فتكون مسلاة ، وكانت وهى طليقة تبعث الرعب والفزع

ثم ينتهى من هـذا إلى أحسن تعبير عن اطمئنان صاحبه إليه ، والتذاذه بكشف مجاهل نفسه وغياهبها ، فى ظل الحب وحراسته وأمنه فيدعوه أن يجول فى هذا القلب الوعر المرهوب ليستمتع بمشاهدة الخطر المأمون ، ويعلم أن الشمس لا تكشف إلا الدنيا الظاهرة ، وأن ليس غير الحب يكشف أعماق القلوب

مثل هذا لن يفهمه من يفهمون الغزل لهفة ودموعاً ، أو فرحة واستمتاعاً ؛ ولن يفهمه بطبيعة الحال من يريدون عواطف الحب قالباً مصبوباً من غزل العذريين أو البوهيميين فى الشعر العربى المحدود . ولكنه أحق قول باسم « الغزل » وأدخـل قول فى العاطفة اليقظة المشبوبة ، النيرة بالحب حتى تكشف ما حولها ، وتضمه بجناحيها

ويقول فى قصيدة بعنوان : « المغنم المجهول » :

يا من عليـــه تلهفى وتلددى ... قد جرت فلتهنأ بأنك جائر
وأريتنى مالا ترى ، ووهبتنى ... ما لست تملكه . فما لك شاكر
محضتنى مرّ الحياة وسرّها ... خاف عليك : جليله والضامر
إن الضياء يُرى العيون ولا يَرى ... والحسن يوقظ وهو غاف سادر
فلئن بخلت بمـا ملكت فحسبنا ... ما لست تملك . فهو عندك وافر !
أنسيتنى نفسا وقد أذكرتنى ... نفسا . وخيرهما التى أنا ذاكر
لكشفت باطنها فقد أذكرتُها ... لمـا بدا منها القرار الغائر
فامنح وصالك أو قلاك فإننى ... راض بكلتا الحالتين وصابر

وهنا أيضا شاعر يتغزل ، ويقول فى أول هذه القصيدة ما ينتظر من شاعر مثله فى الحب والجمال ، ووصف هجر حبيبه وما يمثه فى نفسه من إحساس ، ثم يتيقظ إلى ما أثاره هذا الحب فى نفسه ـ مع الحرمان ـ وأنه وهبه ما كان مخبوءا عنه فى أطواء نفسه ، لا يعلم حتى هو بوجوده ، وأن هذه هبة لا يملكها الحبيب الهاجر ، لذاته ولا لصاحبه ، وأنها مغنم جليل يعوض عن المتاع والوجدان .

وندع العقاد نفسه يعبر عن هذه المعانى أدق تعبير حين يقول :

« إذا اعتلجت بالنفس عاطفة قوية أثارت رواكدهـا ، واستفزت رواقدها ، فانـكشف للانسان من نفسه مالم يكن يعرف ، واختبر من قواه وطباعه ما كان خافيا عنـه ، فصحح نظره فى الحياة ، وتغيرت بين يديه حقائق الأشياء فرآها كما ينبغي له أن يراها ، لأن معرفة النفس مقياس معرفة الوجود ، ومن أخطأ تقدير نفسه لم يصب فى تقدير ما حوله ، لأنه يقيس الأشياء بمقياس مختل مجهول

« والحب أقوى العواطف وأعمقها تفتيشاً فى النفس . فهو ينبه فيها الاعجـاب والعبادة والبغض والألم والغيرة والاحتقار والشفقة والقسـوة ، وكل ما تشتمل عليه من حميد الخصال وذميمها ؛ فاذا وقف الانسان على حقيقة نفسه ، وقف على كل حقيقة يتاح له الوقوف عليها . وكان الجمال له معلماً يستفيد منه ما لم يعلمه الجمال نفسه ، ومنعما يهبه مالا يملك ! كالشموس والأقمار التى تضىء للعين المنظورات ، وهى بلا عين تبصر أو نفس تشعر . فاذا خسر الانسان فى الحب غرضاً أراده ، ربح منه غرضاً لم يرده ، وكان ما جاءه من الربح عفواً أكبر مما توخاه عمداً »

وهذا القول نفسه دليل من أدلة اليقظة التى يمنحها الحب فى نفس العقاد اليقظة « المركبة » التى تتيقظ وتعرف أنها تتيقظ فى الوقت ذاته . وهذا نادر فى النفوس

* * *

وبين يدى ثلاثون مثالا على ما ذكرت على هذه الخاصة فى غزل العقاد ، بل لدى غزل العقاد كله يصدق هذا الـكلام ، ولكن حسبى المثالان السالفان ، وإلى مقـال آخر نستعرض الخصائص الأخرى هذا الاستعراض (١)

« الاسكندرية » سيد قطب

(١) وقعت فى الكلمة الفائتة أغلاط ملحوظة ، وقد وقع مثلها فى الكلمات السابقة ، ونحن لا نرى فائدة تذكر من التصحيحات اللاحقة . وما دعانا لهـذا التنبيه إلا تعنت بعض المنصفين الأخلاقيين الذين ينقلون الخطأ كما يقع ويستغلونه ! فنعرض عن هذا التصرف الصغير .

فتاوى شرعية

معضلات العصر

للأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوى

وزير معارف الحكومة المغربية

تتمة

نص الجواب عن الأسئلة الأنغورية

جواب السؤال الثانى :

إن الذى يأخذ مرتباً كبيراً من دولة أجنبية سواء الذى فى بلاده أو فى بلاد مجاورة إن كان يتقاضى ذلك فى مقابلة عمل يضر بأحد كالجوسسة أو الوسوسة أو خدمة مؤامرة أو إيقاد فتنة أو أى ضرر آخر بفرد أو بالأمة ، فالمرتب حرام وسحت ، والفعل المذكور مذموم وخيانة عظمى، والجاسوس ملعون ومعلوم حكمه من كتب الفقهاء فلا نطيل عليكم به . ومن أحكامه إباحة دمه حسب نظر الامام وكما تقتضيه المصلحة، مالم يؤدذلك إلى فتنة أعظم فللامام النظر فيه. وبالجملة إن السؤال عن المرتب وهو سحت وحرام فان لم يكن فى مقابلة ذلك بل كان لأمر اقتصادى أومرتباً عمريًا فى خدمة مشروعة أو نحو ذلك مما لا ضرر فيه على أحد فلا شئ فيه

جواب السؤال الثالث :

... فى الطرق الصوفية التيجانية أو غيرها ...

إن هذا السؤال كان سألنى عنه شيخ الاسلام المقدس المبرور سيدى أحمد بيرم التونسى بذاته وكنت أجبته مشافهة بمحضر جمع من علماء تونس والجزائر ومنهم العلامة صفيناسيدى الحاج احمد سكيرج ، أحد عظماء الطريقة التيجانية الأعلام

وهاأنذا أكتب لكم ملخص الجواب الذى أجبته به بمحضرهم بمعناه : إن الطرق الصوفية تجانية أو غيرها ، إنما حدثت فى الاسلام لجمع قلوب المسلمين على إقامة الشريعة الغراء إقامة كاملة كافلة تطهير النفوس من الأخلاق الذميمة ، وتحليتها بحلية مكارم الأخلاق ضمن دائرة العمل بالكتاب والسنة والمحافظة على أنفاس العمر ألا تضيع فى سفساف الأعمال ، مع التراحم والتواد بين عموم المسلمين كما أشرت لهذا فى كتابى « الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى » فى الربع الثالث منه عند الكلام على تاريخ علم التصوف ، وقد بسطته أتم بسط فى كتابى « برهان الحق فى الفرق بين الخالق والخلق » حيث تكلمت على كثير من الطرق ومنها الوهابية

فكل طريقة وجدناها تخدم الاسلام بإخلاص سائرة على هذا المبدأ سيراً مستقيما فأنعم بها وأكرم ؛ وكل طريقة حادت عن هذا المبدأ نبذناها نبذ المستقذرات وتبرأنا من عملها تبرؤ إبراهيم من أبيه . إن سيدى الوالد المقدس كان من أتباع الشيخ التجانى — رحم الله الجميع — وكان يؤكد لى أن الشيخ كان يقول لأصحابه: زنوا كلامى بميزان الكتاب والسنة، فما وافقهما فخذوه، وما خالف فانبذوه . فنحن نعمل بوصية الشيخ ونزن ما ينسبه إليه بعض الجهلة من أصحابه الذين لا يفرقون بين النبي والولى ولا بين الخالق والمخلوق — بميزان الشريعة ، ثم نفعل ما أمرنا به قدس الله روحه

وعلى هذا فالقولة التى شاعت وذكرها بعض المؤلفين منهم ونسبها للشيخ وذكر أنه وجدها بخطه وهى : أن صلاة[1] الفاتح لما أغلق تعدل ستين سُلكة من القرآن أو ثمانين . ثم جاء بعض المؤلفين منهم فزاد صفراً وقال ستمائة ، ثم جاء محشيه وزاد صفراً ثانياً وقال ستة آلاف سلكة

نقول إنا عرضناها على الكتاب والسنة فلم نجد إلا ما يردها وينبذها لأنها تقتضى كناية وهى أبلغ من التصريح أنها أفضل من الصلاة الابراهيمية التى صحت بها الأحاديث بل ومن القرآن أيضاً وأن كلام المخلوق أفضل من كلام الخالق (ولذكر الله أكبر)

دعنى من فرية أنها من الكلام القديم فمثل هـذا لا ينطلى حتى على المغفلين ولا يلتفت إليه المؤمنون بالله الذين يعلمون أن

(١) إن صلاة الفاتح ليست من إنشاء الشيخ التجانى ولا نزلت عليه من السماء، ولا لقنها له النبي صلى الله عليه وسلم يقظة كما يفترون ، بل هي للشيخ البكرى كما يقوله علماؤهم الأثبات . ولم يدع البكرى ولا أصحابه نزولها عليه ولا أنها من كلام الله القديم ولو أنه ادعاه لكفروه لأن النبوة والوحى قد ختما بمحمد صلى الله عليه وسلم

الوحى انقطع بموت النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن إلهامات المتصوفة والمرائى المنامية لا قيمة لها فى الحجية عند كافة أهل العلم والدين المعتد بهم؛ والثواب على الأعمال ومقداره عند الله لا يدرك إلا بطريق الوحى الحقيقى ولسان النبوة الناطق ؛ خلافاً للمعتزلة القائلين بالتحسين والتقبيح العقليين؛ وأن العقل يستقل بمثل هذا

ومن المكر الخفي والكيد للاسلام المنطوى تحت هذه المقالة تزهيد الناس فى القرآن العظيم وفى تلاوته ثم الاعراض عنه إلى ما هو أخف عملاً وفي الميزان أثقل فى زعمهم الباطل

وإنى لأعجب لمسلم استنار قلبه بنور القرآن يقبل هذه المقالة الشنعاء فى الاسلام فلا حول ولا قوة إلا بالله

لذلك إذا أحسنا الظن بالشيخ — كما هو شأن المسلمين مع سلفهم الصالح — واعتقدنا فيه الكمال ، فلنكذب نسبتها للشيخ ونستريح ، فإن الاشتغال بتأويل كلام غير المعصوم من العبث وتضييع الوقت . ثم لأن سند نسبة المقالة للشيخ واه من أصله لضعف سند الوجادة إن صدقنا من قال إن الخط خط الشيخ . وقد جرب المحدثون التغفل على كثير من العبادوالمتصوفة، لذلك ضعفوا رواية كثير منهم كما هو مقرر فى فن المصطلح . كما أننا جربنا الكذب والبهتان والتغفل والبله على كثير من الأتباع لما يحملهم عليه التعصب الطرقى والتحزب المذهبى وحب انتشار الطريق ، لأن ذلك من أساليب الارتزاق ، واستغلال استبلاه المغفلين الجاهلين ، يحببون إليهم الطريق بتكثير ثواب الأعمال وطرح الشاق وسهولة الوصول وتخفيف المسؤوليات أمام الله . فيقولون للمريد : من عمل فى طريقنا قليلاً كان له أكثر من الأجر الذى يكون لغيرنا بأضعاف. فاذا كان لمطلق المسلم ليلةقدر واحدة فى السنة فالتجانى كل لياليه ليلة القدر . وإذا كان لغيرنا على الحسنة عشر حسنات فلنا آلاف الحسنات ؛ وإذا كان غيرنا عليه حساب ومسؤولية أمام الله ثم عقاب ، فنحن ندخل الجنة بغير حساب . نحن لنا سيدى أحمد التجانى ضامن وهم لا ضامن لهم ؛ وكل تجانى يحضر سيدي أحمد لقبض روحه. إلى غير هذا مما هو معلوم لدى كل من خالطهم ، فيصورون له الطريق التجانية بأجمل صورة يتصورها الوهم . فكأنها ورقة حماية من دولة لها سلطة عالية ، تملى من يجير ولا يجار عليه ، فكأنهم نسوا القرآن

فبهذا صارت الطريقة التجانية فى نظر أهل العلم بالسنة والكتاب كأنها مسجد الضرار ضد الاسلام

فالله يقول فى نبيه خاتم النبيين ، وهم يقولون فى الشيخ التجانى هو الختم ، وهو لبنة التمام للأولياء ، فحجروا على الله ملكه وقطعوا المدد المحمدى وهم لا يبالون أو لا يشعرون، وحتى إن شعروا فالقصد يبرر الواسطة؛ وإذا سمعوا أن النبى أفضل النبيين قالوا إن التجانى رجله على رقبة كل ولى لله بهذه العبارة الجافة من كل أدب والجارحة لعواطف كل مسلم ، لأن الولى فى عرفهم يشمل النبى، إذ يقولون إن ولاية النبى أفضل من نبوته، ولا يبالون أن يكون أصحابهم أفضل من أبى بكر وعمر والعشرة المبشرين بالجنة الذين كانوا يخافون الحساب ولا يأمنون العقاب ؛ ولم يكن عندهم بشارة النجاة منهما . إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

حكى لى بعض القضاة قال : كان فى محكمتى تسعون عدلاً فى البادية . وقد تقصيت أخبار الصالح والطالح منهم لأعلم مقدار ثقتى بهم فى حقوق المسلمين فوجدت عشرين منهم متساهلين لا يؤتمنون على الحقوق؛ وحين دققت النظر فى السبب تبين لى أنهم جميعاً تجانيون ، فبقيت متحيراً حتى انكشف لى أن السبب هو اتكالهم على أنه لا حساب ولا عقاب يترصدهم فانتزع الخوف من صدورهم . كل هذا سببه الفساد الذى أدخله جهال الطريق عليها فأفسدوها وانعكس المقصود من الطرق التى كان يقصد منها ردع الخلق عن المعاصى والتوبة منها وزيادة خوف الله فصارت إلى أمن مكر الله، وإزالة مخاوف الآخرة من عقولهم فلا يبقى فى قلوبهم ذرة من خوف الله وإنما تمتلىء بتعظيم شيخهم حتى تتراءى لهم عظمته فوق عظمة الله ورسوله

ومعتقدى فى الطريق التجانية الحقيقية نزاهتها عن هذه الهذيانات وهذه الاباحة المقنعة إذ كان فيها فحول الدين وأساطين العلم ، مثل أشياخنا : مولاى عبد الملك العلوى الضرير سيدى محرب التهامى الوزانى، سيدى الوالد المقدس، سيدى الحاج محمد بن محرب عبد السلام كنون ، سيدى أحمد بن أحمد بنانى ... ومن قبلهم كسيدى ابراهيم الرياحى التونسى ومن قبله ، ومن بعدهم ممن هم موجودون الآن وفر الله جمعهم ووفقهم للقيام بأحكام الطريق . وقد ذكرت فى الفهرست وفى الفكر السامى تراجم

جملة منهم . وكانوا سرج هدى فى علوم القرآن والسنة والوقوف عند أوامرهما ؛ وحاشاهم أن يتمذهبوا بطريق تؤسس على ما يوهم خلاف عظمة الاسلام والشرع الاسلامى أو يرضوا بذلك وهم من هم علماً وديناً وورعاً وذباً عن الاسلام وغيرة عليه . ومنهم من كان يذكر هذه الزوائد علناً ، ومنهم من انفصل عن الطريق لأجلها كسيدى الفاطمى وغيره رحمة الله عليه

أما كتاب «جواهر المعانى» الذى ألفه أحد العوام من أصحاب الشيخ التجانى ، فأخذ أكثره حتى الخطبة بلفظها من كتاب «المقصد الأحمدى» الذى ألفه قبل الشيخ التجانى سيدى محمد ابن الطيب القادرى فى مناقب سيدى أحمد بن عبد الله معن الأندلسى . والمقصد الأحمدي قد طبع فبان عوار جواهر المعانى حتى الشمر الذى قيل فى سيدى أحمد بن عبد الله أخذه بنفسه وجعله فى الشيخ التجانى ونقل الفصول بلفظها، بل كل ما وصف به سيدى أحمد بن عبد الله جعله وصفاً لشيخه ظاناً أن اتحاد الاسم اتحاد للوصف . وذلك ما يدلك على براءة الشيخ التجانى من كل ما تضمنه الكتاب المذكور

ومن أغلاط أدباء هذه الطائفة وغلوّهم المفرط أنهم جعلوا قانوناً لطريقتهم ضمنوه مختصراً على لهجة مختصر الشيخ خليل المالكى نسقاً وأسلوباً ، وبينوا فيه الأحكام الخمسة من وجوب وحرمة وندب وكراهة وجواز كأنهم لم يسمعوا قوله تعالى (إن الحكم إلا لله)

ومن عجيب أمرهم أنهم جعلوا حكم الردة عن طريقهم أقسى وأهول من حكم الردة عن الاسلام

فإن من ارتد عن الاسلام تقبل توبته ولو تكررت : (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا) الآية . أما من ارتد عن الطريق التجانى فلا تقبل توبته وليس له إلا الخلود فى النار والموت على سوء الخاتمة ، ويبقى عندهم ملحوظاً بتلك السمة ، ولا مطمع فى قبول توبته ، ولو أناب ورجع لطريقهم . ويظن بعض أنه لو كانت لهم سلطة متمكنة لقتلوه وما استتابوه

فعملهم هذا يتخيل منه أن لهم برنامجاً خاصا يستدرج طريقهم لتصير ديانة مستقلة عن الإسلام ... حكى لى أن محمد الأمين الشنقيطى لما ألف المختصر المذكور ظانا أنه عمل عملاً عظيماً حميداً — جاء به إلى الأستاذ العارف سيدى العربى الوساوى ساكن زرهو ، وهو من علماء هذه الطائفة الكبار ومقدميها الأخيار ؛ فلما اطلع عليه وبخه توبيخاً عنيفاً قائلاً : أتجعلون طريقنا مسجد الضرار للاسلام ؟ السنة تجمعنا والبدعة تفرق بيني وبينكم ، أو ما هذا معناه . ولم يقدروا على إظهار هذا المختصر إلا بعد وفاة هذا السيد الجليل رحمه الله . وبعد موته وجد فى تركته فسرقه من سرقه ونسبه لنفسه وطبع ونشر فكان موت الأكابر زلة الأصاغر

لقد وقع مثل هذا فى الديانات تسلط عليها الجهلة فأفسدوها ظانين الاصلاح فكيف بالطرق ؟

وهذه صورة مصغرة ترينا كيف وقع فى الديانات حتى اختل نظامها وطمست أعلامها وهرمت بالقلب والابدال الذى أشار له القرآن ...

وإذا لم يتدارك هذه الطريقة علماؤها بحذف ما زيد فيها ، وإبطال كل ما خالف القرآن والسنة ونبذ كل تأويل وتضليل فانها تؤول للاضمحلال ، إذ الاسلام أفاق من سكرته ، ولم تعد أفكار أهله تقبل أدنى شيء يمس بجوهر أصول الكتاب والسنة أو يخالف العقل الصحيح

وتمسكوا أى تمسك بقاعدة أن الدين الصحيح لا أمت ولا عوج ؛ وهو ما بين دفتى المصحف والبخارى ومسلم وصحيح السنة من رواية العدول الثقات دون المتقلين الجاهلين ، ورموا خلفهم كل ما خالف ذلك غير ملتفتين لتأويل المؤولين وتضليل المرتزقة المضللين

وإنى على يقين أنه بانتشار التعليم الصحيح المؤسس على الأصول السابقة ، تنكمش تعاليم المخرفين وتظهر رداءة نقودهم المزوّرة ، فتنكشف صبغة نقودهم المدبّرة بإشراق شعاع شمس الكتاب والسنة والعقل الصحيح ؛ فاجتهدوا فى تعليم أولادكم الدين القويم قبل أن يسبق إلى قلوبهم أى تعليم آخر سواه ؛ فهو يناضل عن حوزته لأن برهانه فى نفسه : (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) . (إن الله متم نوره ولو كره الكافرون) وعليكم سلام الله ورحمته من منبطه وجامعه معتذراً بقصوره وكثرة شواغله

«الرباط» محمد بن الحسن الحجرى الثعالبي الجعفرى

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٤ —

وذلك التكلف فى نيابة المجرور عن الفاعل فى نحو — مُرَّ بزيد — هو ما ذهب إليه جمهور النحاة . وهناك تكلفات أخرى فيه ، منها أن النائب ضمير مبهم مستتر فى الفعل ، وبه أخذ ابن هشام وغيره

ومنها أن النائب ضمير عائد على المصدر المفهوم من الفعل ، وبه أخذ ابن درستويه والسهيلى والرُّندِي

ومنها أن النائب حرف الجر وحده فى محل رفع ، وبه أخذ الفراء . وقد قال أيضاً بأن الحرف فى محل نصب بعد الفعل المبنى للفاعل فى نحو — مررت بزيد — وهو عندهم مذهب فى غاية الغرابة ، لأن الحرف لاحظ له فى الاعراب أصلاً ، ولكنه عندنا مذهب يؤيد ما ذكرناه من أن مسألة الاعراب والبناء مسألة تقديرية ، ويجعل ما ذهبنا إليـه من الاعراب الظاهر فى الحرف مذهباً قريباً سائغاً ، لأنه أقرب من ذلك الاعراب المحلى الذى يتكلفه الفراء فيه

فالمذاهب فى ذلك أربعـة كلها متكلفة . ومذهبنا أن الجار والمجرور متعلق بالفعل ، وتعلقه به فى ذلك كتعلقه به فى نحو — مررت بزيد — وإذا بطلت النيابة عن الفاعل فى ذلك بطلت فى غيره ، ولا شىء فى أن يكون لنا مفعول به منصوب ومفعول به مرفوع ، ولا فى أن يكون لنا مبتدأ مرفوع ومبتدأ منصوب ، ولا فى أن يكون لنا خبر مبتدإ مرفوع وخبر مبتدإ منصوب ، فإن هذا كله لا يبلغ الأمر فيه أكثر من أن يكون مثل الفعل المضارع فى رفعـه ونصبه وجزمه ، فهو فعل مضارع فى جميع حالاته ، مع أنه قد تأثر فى لفظه ومعناه بدخول عوامله عليـه كما تأثر المبتدأ والخبر بدخول عواملهما ، فليكونا مثل المضارع فى ذلك ، وكذلك غيرهما مما ذكرنا

متعلق الظرف وحروف الجر

قسم النحاة هـذا المتعلق إلى قسمين : متعلق عام كمتعلق — زيد عندك أو فى الدار — ويقدرونه — كائن أو استقر — وهو عندهم واجب الحذف ، ويعربونه هنا خبرا

الثانى متعلق خاص كما فى نحو أنا واثق بك ، وهو الخبر أيضا

وترى الجماعة أن المتعلق العـام لا يقدر ، وأن المحمول فى مثل — زيد عندك أو فى الدار — هو الظرف والجار والمجرور لا المتعلق . ونحن نرى أن الخطب فى هذا سهل ، وقد ذهب إلى مثل ذلك الرأى بعض النحاة ، فهو رأي قديم معروف ، وليس برأى جديد لهذه الجماعة

الضمير

ترى الجماعة إلغاء الضمير المستتر جواز أو وجوبا . فمثل — زيد قام — الفعل هو المحمول ولا ضمير فيه ، فليس بجملة كما يعده النحاة ، وهو مثل — قام زيد — ومثل — الرجال قاموا — الفعل محمول اتصلت به علامة العدد ولا يعتبر جمـلة ، ومثل — أقوم ونقوم — الفعل محمول والهمزة أو النون إشارة إلى الموضوع أغنت عنه

والجماعة هنا تناقض نفسها ، فبينما ترى الاستغناء عن الضمير المستتر جوازاً أو وجوبا ترجع إلى تقديره فى مثل — أقوم ونقوم — وتجعل فى الهمزة والنون دليلا عليه ، ولا بد لها أيضا من تقديره فى مثل — قم — بدون أن يكون هناك ما يدل عليـه من همزة أو نون ، وإذا رجعنا إلي التقدير فى الضمير المستتر وجوبا فلنرجع إلى التقدير فى المستتر جوازا من باب أولى ، لأن جواز ظهوره فيه دليل على وجوده عنـد عدم ظهوره ، بخلاف الضمير المستتر وجوبا ، فانه لا يجوز ظهوره كما يجوز ظهور الضمير المستتر جوازا

وقد غفلت الجماعة عما يجب من ربط الخبر بالمبتدأ ، فلم تقدر الضمير فى مثل — زيد قام — مع أن الضمير ها هنـا واجب التقدير لأجل ما يجب من هذا الربط فى هذا المثال ونحوه

التكملة

وترى الجماعة أن كل ما يذكر فى الجملة غير الموضوع والمحمول فهو تكملة ، وحكم التكملة أنها مفتوحة أبداً إلا إذا كانت مضافاً

إليها أو مسبوقة بحرف جر، ثم ذكرت أن التكملة تجيء لبيان الزمان أو المكان، ولبيان العلة، ولتأكيد الفعل أو بيان نوعه ولبيان المفعول، ولبيان الحالة أو النوع؛ وقد ظنت أنها بذلك جمعت كثيراً من الأبواب كالمفاعيل والحال والتمييز تحت اسم واحد وهو التكملة دون أن تضيع فى ذلك غرضاً

ونحن نرى أنها لم تفعل فى ذلك شيئاً، فقد كانت هذه الأبواب يجمعها قديماً اسم الفضلة، فلم تفعل الجماعة إلا أن جمعتها تحت اسم التكملة، ثم قضى عليها ما بينها من خلاف أن ترجع إلى تفريقها فى بيان اختلاف أغراضها، وكذلك يقضى بهذا التفريق اختلاف أحكامها وأحوالها، فكل واحد منها لابد له من باب يجمع فيه أحكامه، وتبين فيه أحواله، وهذا أوفق بضبطها من جمعها كلها فى باب واحد تحت اسم التكملة، وليس هناك ما يدعو إلى جمعها فى باب واحد. وقد حاولنا أن نجمع فيها مثل ما جمعنا فى باب المبتدأ والخبر فوجدناها أبواباً مختلفة المعنى، متميزة الغرض، ولم نجد إلا أن نتركها على حالها

الأساليب

ذكرت الجماعة أن فى العربيـة أنواعاً من العبارات تعب النحاة كثيراً فى إعرابها وفى تخريجها على قواعدهم مثل التعجب فله صيغتان هما — ما أجمل زيداً، وأجمِلْ بزيد — فرأت أن تدرس أمثال هذه العبارات على أنها أساليب يبين معناها واستعمالها ويقاس عليها، أما إعرابها فسهل — ما أحسن — صيغة تعجب والاسم بعدها المتعجب منه مفتوح، و — أحسن — صيغة تعجب أيضاً، والاسم بعدها المتعجب منه مكسور مع حرف الجر

ونحن نرى أن هذا إعراب ناقص لا يبين معنى الجملتين، وأنه لا شيء فى أن نختار من إعراب النحاة فيهما أقربه إلى الفهم وأدناه إلى تصوير المعنى المراد من اللفظ. فالصيغة الأولى — ما أحسن زيداً — ما فيها اسم بمعنى شيء ابتدئ به لتضمنه معنى التعجب، وأحسن فعل ماض، وزيداً مفعول به، والمعنى شيء عظيم أحسن زيداً. والصيغة الثانية — أحسن بزيد — أحسن فيها فعل أمر، وفاعله ضمير المخاطب، والجار والمجرور متعلق بفعل الأمر، والمعنى أعجب بحسن زيد؛ فهذا إعراب تام عرف فيه موقع كل كلمة من هذا الأسلوب، وليس فيه ما يمكن أن تأخذه هذه الجماعة عليه

وقد انتهت الجماعة بهذا من رأيها فى تيسير قواعد الاعراب ثم سكتت عما وجه إليها من النقد، لأنها قد أخذت فيه بأمور لا يمكنها أن تدافع عنها. ولا أدرى ما يسكتها عنا وقد ذهبنا فى نقدها مذهباً يتفق مع غايتها فى إصلاح قواعد الإعراب، ويذهب فى ذلك إلى أكثر مما ذهبت إليه، ويقوض من القواعد القديمة ما لم تمس به من يوم أن دونها الأقدمون من النحاة

وسيكون ما ذهبنا إليه من ذلك فخراً جديداً للأزهر الذى تناسته وزارة المعارف فى هذا الاصلاح الذى ظنت أنها تقدر بدون الأزهر عليه. وسيكون مذهباً نحوياً جديداً تباهى به مصر فى عهد الفاروق نحاة البصرة والكوفة فى عهد الرشيد والمأمون، ويقف به الأزهر مجدداً مجتهداً فى النحو، وينفض عنه غبار التقليد الذى تراكم عليه حتى ناء به

وأما حظى من هـذا المذهب فإنى أدخره للمستقبل الذى يمكننى أن أصرح فيه باسمى، وآمن فيه على نفسى مما يمكن أن يصيبني بمخالفة المألوف في النحو من يوم خلقه وتدوينه، وأجد فى الأزهر من يعني بما جئت به من ذلك على خلوه من المآخذ التى أخذت بها جماعة وزارة المعارف، ومع هذا تجد هذه الجماعة من وزارة المعارف عناية بعملها، فتعرضه على رجالات العلم هنا وهناك، ولا يضيق صدرها بمخالفته للمألوف فى ذلك العلم، وهذا أمر نحمدها عليه، وندعو الله تعالى أن يقرب ذلك اليوم الذي يأخذ فيه الأزهر بمثله

(أزهرى)

ماضى القرويين وحاضرها *

للأستاذ عبد الله كنون الحسنى

– ٢ –

ولم يصل الاشتغال ببقية العلوم الاسلامية بالقرويين إلى درجة الاشتغال بالفقه ولكنه لم يقصر عنها كثيراً ؛ فكانت علوم الحديث والتفسير والأصول مما لم ينقطع تدريسه فى الكلية فى أى عصر حتى العصور المتأخرة. حين كان بعض هذه العلوم فى بلاد أخرى لايقرأ إلا للتبرك بسرده. وكانت هذه الدراسة مجال البحث والاستنتاج وفرصة المحاضرات القيمة فى التربيـة والتهذيب، وحسبك أن تقرأ وصف مجلس من مجـالس العلامة أبى القاسم العبدوسى الذى قضى التونسيون العجب منه فى ذلك الوقت وأن تعلم أن ابن الصباغ أحد رجال هـذه الجامعة أملى على حديث : يا أبا عمير ما فعل النغير ٤٠٠ فائدة



(مدينة فاس التى يوجد بها جامع القرويين)

ومن ثبت أسماء النابهين فى هذه العلوم وأسماء مؤلفاتهم تدرك مبلغ القيام الذى كان لأهل القرويين عليها . ونحن نذكر بعض البعض ممن نعرفهم ونعرف انقطاعهم فى الكلية الذى تنقطع دونه الأطماع، ولا يمنعنا من التبسط فى شرح ذلك إلا إرادة الايجاز وخوف الاملال[1] وهؤلاء مثل العالم الصوفى الجامع على بن حرزهم المتوفى سنة ٥٥٠ والتكلم أبى بكر السلالجى صاحب البرهانيـة فى علوم الاعتقاد ، كان يعد فى طبقة أبى المعالى الجوينى ؛ توفى سنة ٥٦٤، والمفسر المحدث ابن عبد الجليل القصرى المتوفى سنة ٦١٥ ، والمفسر الأصـولى أبى عبد الله الزدغى المتوفى سنة ٦٥٥ والمحدث الراوية ابن رشيد السبتى المتوفى سنة ٦٩٢ ، والعالم الصوفى الجامع الشيخ زروق المتوفى سنة ٨٩٩، والحافظ احمد بن يوسف الفاسى المتوفى سنة ١٠٢١ والحافظ أبى العلاء العراقى المتوفى سنة ١١٨٣ والمفسر المتكلم الشيخ الطيب ابن كيران المتوفى سنة ١٢٢٧

ولا ننس أن ننبه إلى ما كان لعلوم القرا آت من شأن كبير فى الكلية فقد كانت العناية بها شديدة فى كل عصر، وكان يتخصص فيها كثير من العلماء فضلاً عن مشاركة جمهورهم فيها، لأن أوائلها كانت تتلقى فى الكتاتيب القرآنية التى ما كان يتولاها إلا كبار الأساتذة المتحققين بتلك العلوم وغيرها. تأتى هى الثانية بعد الفقه فى برنامج العلوم التى كانت تدرس فى القرويين وفى جميع المغرب. ويكفيك أنه كان لطلبتها مدرسة خاصة بهم هى مدرسة السبعيين (أى القراء بالروايات السبع) الواقعة بإزاء مدرسة الأندلس والتى كانت قد درست معالمها وأغلقت منذ مدة ثم هى الآن قيد الاصلاح والترميم .

ومن نبغاء خريجى القرويين في هـذه العلوم ميمون الفخار صاحب التحفة والدرة وغيرهما المتوفى سنة ٧١٦ وابن برى صاحب الدرر اللوامع المتوفى سنة ٧٣١ والخراز صاحب مورد الظمآن المتوفى سنة ٨١٨ وسواهم كثير .

وأما علوم اللغة والأدب فقد ظلت الكلية رافعة رايتها منذ انبثاق فجر النهضة العلمية فى المغرب على عهد المرابطين إلى يوم الناس هذا . ومر عليها زمن لم يكن ينافسها معهد آخر أيا كان فى أداء رسالة الأدب العربى والقيام على حفظ تراثه من الضياع ، وذلك حين يقول الشيخ محمد بيرم الخامس فى كتابه (صفوة الاعتبار) : « لعمرى إن صناعة الانشاء فى الدول باللغة العربية كادت تكون الآن مقصورة على دولة مراكش »

ولقد درج فى الكلية من فطاحل علماء اللغة وكبار أهل الأدب ما بقى فخراً لها على مر السنين والأعوام ، مثل الشاعر الأديب يحيى بن الزيتونى الذى قهر ابن زيدون فى بلاط ابن عباد، والشاعر الباقعة ابن حبوس الفاسي ، والعلامة ابن رقية من ذرية المهلب بن أبى صفرة كان حجة فى الأدب وله كتاب فى الشعر والأنساب توفى سنة ٦٠٦ هـ . والشاعر المشهور أبى العباس

* انظر العدد ٢٦١

(١) كل ما نجمله هنا تجد تفصيله فى النبوغ المغربى .

الجراوي الذي يعد من مفاخر هذه المدوة ، وصاحب كتاب صفوة الأدب وديوان العرب المعروف بالحماسة المغربية الموجود مختصره في مكتبة بالآستانة [1] توفي سنة ٦٠٩ بعد وفاة المنصور الموحدي مخدومه بنحو ١٤ عاماً خلاف قول ابن خلكان إنه توفي في آخر أيامه . والشاعر الفيلسوف أبي العباس الجزنائي الذي كان محفوظه من شعر المحدثين فقط عشرين ألف بيت . توفي سنة ٤٧٩ ؛ والنحوي أبي عبد الله بن آجروم المشهور المتوفى سنة ٧٢٣ ؛ والنحوي اللغوي أبي زيد المكودي المتوفى سنة ٨٠٧ والنحوي أبي العباس القدومي المتوفى سنة ٩٩٢ ، والأديب الشاعر الناثر عبد العزيز القشتالي ، مفخرة المغرب في عصره ، المتوفى سنة ١٠٣٢ ؛ والنحوي محمد المرابط الدلائي المتوفى سنة ١٠٨٩ ؛ والشاعر الأديب ابن زاكور شارح الحماسة والقلائد وصاحب كثير من الكتب الأدبية القيمة المتوفى سنة ١١٢٠ ؛ والشاعر الرقيق ابن الطيب العلمي صاحب الأنيس المطرب المعروف المتوفى سنة ١١٣٤ ؛ وإمام أهل اللغة في عصره أبي عبد الله محمد بن الصميلي صاحب الحاشية الفريدة على القاموس التي استقى منها كثيراً السيد مرتضى صاحب (التاج) ، وعنه يعبر بشيخنا وله عشرات الكتب غيرها في اللغة والأدب توفي سنة ١١٧٠ ، إلى غير ذلك ...

بقي الكلام في العلوم الفلسفية بمعناها القديم الذي يشمل الرياضيات والطبيعيات ومنها نوعان لهما ماض زاهر في الكلية ، فمنذ انضمام الأندلس إلى المغرب في أيام المرابطين ، جعل الاحتكاك بأهل الجزيرة يفعل فعله في توجيه أنظار أهل هذه البلاد إلى الأخذ بأسباب تلك العلوم ، وكان أن انتقل إلى هنا — بانتقال الدولة — كثير من علمائها المتحققين بأجزائها فتهافت عليهم طلبة القرويين يقتبسون من مشكاتهم ويأخذون بأدواتهم فما لبثوا أن شاركوهم في جميع تلك التعاليم ونظروا إليها نظرتهم ونبغ منهم أفراد كثيرون كان لهم قياس « حس » على فنون من العلم الطبيعي والرياضي والإلاهي وآثار جليلة في جميع ذلك وما برحوا عاملين على بثها ونشرها والتواصي بتبليغها وتلقينها لمن يأتي بعد جيلاً فجيلا حتى تأدت بقية منها إلى العصر الحاضر في مظهر من البلى والقدم لا يُرضي أنصارها ومحبيها وإنما كان ما تحت ذاك الظاهر لا يزال يحوي كثيراً من الفوائد القيمة والحقائق العلمية الثابتة



(مدينة فاس التي توجد بها جامعة القرويين)

فمن رسل الثقافة العلمية من أهل الأندلس إلى المغرب أبو بكر ابن باجة الفيلسوف والعالم الطبيعي والرياضي والطبيب والموسيقار المشهور ، وأبو العلاء بن زهر الطبيب البارع المدقق في شتى الأمراض ، وابنه أبو مروان صاحب كتاب التيسير في المداواة والتدبير، والذي أثر تأثيراً بليغاً في الطب الأوروبي بترجمة كتبه وهو ميت فكيف يكون تأثيره في المغرب وهو حي ؟ وأبو بكر ابن طفيل الفسكي والطبيب والفيلسوف المشهور صاحب قصة حي بن يقظان وأبو الوليد بن رشد الذي ما أثر أحد تأثيره في نهضة العلوم بأوربا . وقد كان في بلاط الخليفة الموحد يوسف ابن عبد المؤمن الذي بالغ في رعايته وإكرامه وهو الذي حمله على شرح كتب أرسطو وتلخيص فلسفته

ومن الأفراد النابغين في هذه العلوم من أبناء البلاد الذين درجوا من الكلية وتخرجوا فيها العلامة أبو الياسمين كان فرداً في العلوم الرياضية من هندسة ونجوم وعدد ، وله أرجوزة في الجبر قرئت عليه بأشبيليه سنة ٥٨٧ وكان هو الذي نشر ذلك العلم بها . ويوسف بن ميمون الاسرائيلي الطبيب والرياضي الكبير قرين موسى بن ميمون وصاحبه بمصر واجتمع هو وإياه على إصلاح هيئة ابن أفلح الأندلسي . وهذا وإن لم يدرس

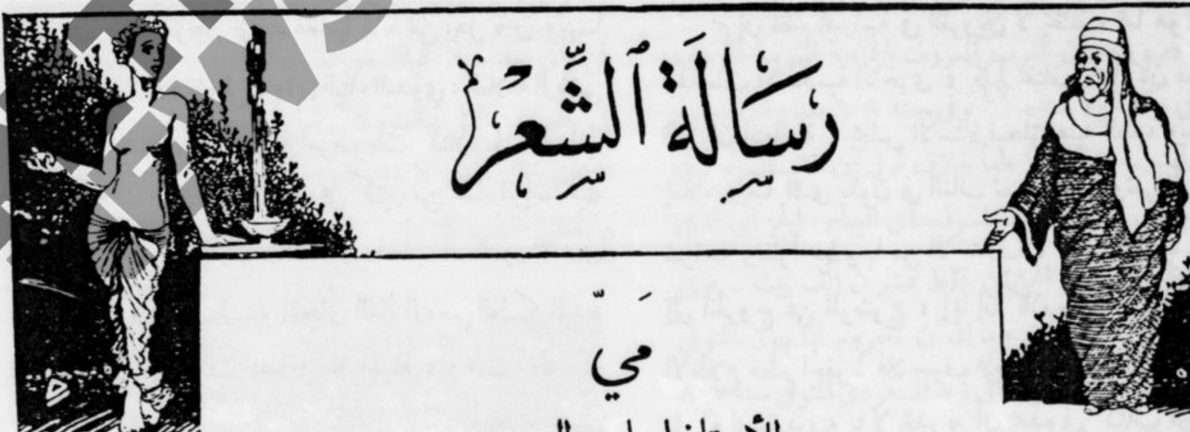
(١) شاع في الأوساط العربية وقد قيل إنه ضاع فلذلك نبهنا عليه . ونقول بهذه المناسبة إننا بذلنا جهوداً كبيرة للحصول على هذا المختصر ووسطنا في ذلك المجمع العلمي العربي ولا زلنا لم نظفر به

بالقرويين فإن تخرجه على يد علمائها لأنه من أهل فاس وبها درس كما يقول ابن القفطى . وابن البناء العددي ، العلامة الرياضى والفلكى والطبيب المشهور له موضوعات كثيرة فى الحساب والجبر والفلك وغير ذلك وتفوق على كثير من علماء الرياضة قبله سواء فى الشرق أو المغرب وخاصة فى حساب الكسور ، توفى سنة ٧٢١ ؛ وابن أبى الربيع اللجائى العالم الرياضى الفلكى المبدع له أعمال متفوقة وآلات نافعة فى علم الهيئة ، وكانت وفاته سنة ٧٧٣ والعلامة الجادري صاحب روضة الأزهار فى علم الهيئة المتوفى سنة ٨١٨ ؛ وأبى القديم الوزير الطبيب والعالم النباتى المشهور صاحب مدينة الأنوار فى شرح ماهية العشب والأزهار ، وكان طبيب المنصور الذهبي الخاص . وأبى القاسم الغول العالم الرياضى والطبيب مؤلف كتاب حافظ المزاج ولافظ الأمشاج المتوفى سنة ١٠٥٩ وابن حميدة المطرفي صاحب المقرب فى الهيئة المتوفى سنة ١٠٠١ ، وأبى سليمان الشرودانى الفيلسوف والرياضى البارع له أعمال وآلات لم يسبق بها فى الفلك توفى سنة ١٠٩٥ وعبد الرحمن العبانى العلامة الطبيبى والرياضى والفيلسوف مؤلف الأنتوم فى مبادئ العلوم تكلم فيه على زهاء (١٥٠) علماً واستوعب نظرياتها واستوفى حدودها فهو من الموسوعات العظيمة الفائدة توفى سنة ١٠٩٦ ، وعبد الوهاب أدراق الطبيب المدقق صاحب الذيل على أرجوزة ابن سينا وغيره من الكتب الموضوعية المتوفى سنة ١١٥٩ ، وعبد القادر بن شقرون صاحب الشقرونية وغيرها فى الطب، وكثير غير هؤلاء لم نشر إلى أسمائهم اختصاراً لحصول المقصود من الرسالة على ما قامت به هذه الجامعة فى الماضى من نشر الثقافة العلمية وتأدية رسالة العربية كما حملت. ولهذا لا يستغرب أن يؤمها الطلبة من أقصى بلاد أوربا وغيرها ، فهناك فى تلك العصور التى يدعونها عن حق — بالعصور المظلمة — لم يكن قد تقرر للعلم مدلول بعد . وقد اشتهر كثير ممن درس فيها من الأجانب وكان لهم تأثير قوى على العقلية الأوربية فى ذلك الحين ، ومن أعظمهم البابا سلفستر ، الذى هو أول من أدخل إلى أوربا الأعداد العربية التى لا تزال مستعملة فى المغرب إلى الآن وتعرف بحروف (الغبار) أو (بالغبارى) بدون إضافة

ثم إن نظام الدراسة فى القرويين لا يختلف عما هو عليه فى الجامعات الاسلامية الأخرى ، كما لم يختلف عما كان عليه منذ الأزمان المتطاولة : بمجلس الأستاذ فيحلق عليه الطلبة ويأخذ فى إملاء درسه الذى يكون فى الغالب تفسيراً لمتن وتقريراً لأقوال شراحه ونظراً فيما بينها من الاختلاف ، وقد ينجر به الحديث إلى الخروج عن الموضوع ، إنما إذا كان ضليعاً فى مادته واسع الاطلاع عظيم المحفوظ فلا خوف على الطالب من ذلك الخروج ، بل إنه ليستفيد منه ما لا يقدر له أن يجده فى كتاب أو يهتدى إليه بمجرد فهمه

وإذا كان الطالب ممن لازم الحضور بمجالس أستاذ ما ، وظهرت عليه مخايل النجابة فانه يحق له أن يتقدم إلى ذلك الأستاذ بطلب أجازة تكون — كأنها أهم ما أنشأه فى حياته الدراسية — بمثابة أطروحة (thèse) منها تتقرب منزلته فى التحصيل

(يتبع) « طنجه » عبد الله كنون الحسنى



رسالة الشعر

مَيّ

للأستاذ ابراهيم العريض

وَلما تفيَّأنا ظِـلالَ خميلةٍ   تُساقِطُ مِثلَ الدُّرِّ فوق خُطانا
وحدَّثتها بالحبِّ وهْيَ مُصيخةٌ   عَلى أمَلٍ أن تلتقي شفتانا
أشاحتْ إلى الأزهارِ عنِّي بوجهِها   دَلالاً وقالت لي كفَى هَذَيانا
أتأملُ مني أن أُصدِّقَ بالهوَى   جُزافاً . وطرْفي لا يراهُ عيانا

***

فقلتُ لها يامَيُّ ما الروضُ ناضراً   ولا الطيرُ أحلى ما يكونُ لِسانا
بِأحسنَ من خدٍّ توَرَّدَ في الصِّبا   وأعذب من ثغرٍ يفيضُ بيانا
لقد كانَ أولى أن نمتِّعَ بعضَنا   بأنظارِ بعضٍ في جُنونِ صِبانا
وَماقيمة الأزهارِ في جانبِ الهوى   أليسَ الهوَى يامَيُّ أعظمَ شانا
أُناشدُكِ الحُبَّ الذي عهدُنا بهِ   سوِيًّا كأخفَى ما يكونُ مكانا
ألم تشعُرى شيئاً تمثَّلَ بيننا   لِأوَّلِ عهدٍ تمَّ فيـهِ لِقانا
أبعدَ تعاطِينا معاً كأسَ ألفةٍ   يجوزُ لنا ألا نحسَّ صدانا
فمالكِ تستعْذِين قلبي عَلَى الهوَى   كأنَّكِ ما شاطرْتِهِ الخفقانا

***

تعالَيْ إلى عهدٍ وثيقٍ من الهوَى   نعيشُ عليهِ في الحياةِ كلانا
فلا يزْدهي قلبي بشيءٍ مُؤمَّلٍ   إذا لم يُصادفْ في فؤادِكِ شانا
ونُفرِغُ في كأسِ الأمانيِّ حُبَّنا   فتسعَى بهِ ما بيننا شفتانا
وَلا نلتقي إلا كما لقتِ الصَّبا   فُروعاً تفيَّأنا بهِن أمانا
ونختالُ في روْضِ المحبَّةِ وحْدَنا   فلا يتغنَّى طيْرُها لِسِوانا
وإن تهتدِي يوماً فؤادكِ خافقاً   شعرْتُ لقلبي مِثلَهُ خفقانا
كأنَّ الذي ينسابُ مِلءَ كِليْهِما   صُبابةُ ما ساقى الغرام سقانا
وآنَّا نُبكّي كالطيُورِ وُجُودَنا   بلحنٍ وكالأزهارِ نضحكُ آنا
فنُسْعِد بعضاً باشتِراكِ سرُورِنا   ونُسْعِد بعضاً باشتِراكِ أسانا
كذلكِ نحيا بالسَّواءِ وَها فمي   ضماناً لعهدٍ لو أردْتِ لكانا

***

فمنذئذٍ مالتْ إليَّ ببِشْرِها   فأيقنتُ أنا شيِّقانِ كِلانا
فأدْنيتُ ثغري باشتِياقٍ لثغرِها   فما افترَّ حتَّى قبَّلتْهُ حنانا
وقالت « إذاً هذا هوَ الحُبُّ » قلتُ « لا   بلِ الراحُ » قالت « فلْنُبلَّ صدانا »

(البحرين)   ابراهيم العريض

أنا مالي ...

للأستاذ صالح جودت

تركتني في اعتلالي   ورمتني الليـالي
بعدما أشهدتُها القلـبَ فقالت: «أنا مالي!»

***

أنتِ يامَنْ أُرسلُ الدمـعَ إليها ... وهو غالِ
أنا ما آمنتُ من قبـلكِ يوماً بالجمالِ
وأنا بالسحر والفتـنة ما كنتُ أبالي

ذهب الحبُّ بنفسي   ووقاري وجـــلالي
أيّ خَطْبٍ عندما تدْ   مَعُ آماق الرجال !
أنتِ يا مَنْ أسأل الأيّـــام عنهـا   والليالي
ليتهـا تستشعر القســوةَ في ذُلِّ   السؤال !
تركتني في اعتـلالي   لم يَرُعْهَا سوءُ حالي
فتضرعتُ إلى الليــل   بقلبٍ غيرِ سالِ
قلتُ يا ليلُ أما عنـــدكَ   من طيفٍ خيال ؟
رَقَّ قلبُ الليـل حتى   بعَثَ الطيفَ حيالي
فتمنيتُ عليـــــه   بشـحوبي وهزالي
إن رآى رَبَّتَهُ قَــصَّ   عليها ما جرى لي
فانثنى عنى مــلالاً   وَتَوَلَّى في دلال
بعــد ما ردد ما يحــفظ   عنها : « أنا مالي ! »

***

قلتُ لله وقـد قــلَّ   مع الدنيا احتيالي
أأنا يا ربِّ عبــدٌ   لك لم يخطرْ ببال ؟
وإذا ضَلَّ فؤادى   أفيعييكَ ضـلالي ؟
وإذا ضاقت بيَ الأر   ضُ فهل تأبى احتمالي ؟
آه لو قلت كما قا   ل حبيبي «أنا مالي !»

حسناء في بحر الروم

للأستاذ محمود عماد

عومى على الماء يا أصفى من الماء   ثم ارسبي فيه ضوءاً طيَّ أضواء
واستقبلي موجةً يقبلْ على عجل   إليكِ موجُ المحيط الهادئ النائى
يافرحةَ البحر تَسْرى في جوانبه   ووحشةَ البرِّ أقوى أىَّ إقواء
سَلِي الأجاجَ ألم يفقدْ ملوحتَهُ   وأنتِ مطويةٌ منه بأطواء ؟
كم من قلوب عليكِ اليوم حائمة   لا تغرقيها إذا ما غبتِ في الماء
كذا أظلتْ سليمانَ الطيورُ فهل   أتاكِ هدهدُكِ الوافي بأنباء ؟
أم أنتِ (فينوس) تُجلَى من محارتِهَا   في يوم ميلادها الثاني إلى الرائى ؟
هاني قصاراكِ من حُسنٍ ومن مرح   واعلِي على كل تشريع وإجراء
فعالَم البحرِ يرْعَى شرعةً وسطا   ما بينَ عالم أشباحٍ وأحياء
تجردَ الجسمُ فيـه من كثافتهِ   وهام كالطيفِ في ماء ولألاء
لم أدرِ ما الأرضُ لولا البحر لطّفهاَ   ولا الحياة بلا لهوٍ وإغراء

لحن جـــديد

للأستاذ فريد عين شوكه

أسلَمْتَ لِلقَدَر الرَّضِيِّ يمينى   فحنا ولم يُخلِف عليَّ ظنُونى
وَمَضى فوَافَى بى إلى سِيفِ المُنَى   فلَثَمْتُ طهرَ ترابه بجبينى
وَعَبأتُ أحشائى بطيب نَسيمه   وكحَلْتُ بالنُّور السنىّ جفونى
وَسَعَيْتُ في جَنَبَاتِهِ أشكو لها   عَبَثَ النَّوى وأبُثُّهنَّ حنيني
يا طَالَمَا أمَّلْت حُلوَ لقائه   فتحطَّمت دون اللقاء سَفِينِى
وظلِلتُ في بحر الحياة مُغالباً   موجاً يثـور عليَّ كالمجنونِ
ما كان أضعفني حِيالَ كِفَاحِهِ   لولا المُنى بَرِقَتْ لجَنِّ جنونى
لولا الأمانىُّ العِذابُ وَسِحرُها   ماعاش هذا الكون بِضعَ سِنين
يا مَشرقَ الأمَل الرَّغيب المُشْتَهَى
لا زال فَيْضُ سَنَاكَ مِلْءَ عُيُونى
لازلتَ تُسْعِدُنِي بكل رَجِيَّةٍ   تجلو الأسى عن قلبيَ المحزونِ
بَدِّدْ ظَلاَمَ اليأس بينَ جَوَانحى   وَارْدُدْ عليَّ البِشرَ غيرَ ضنين
وانشُرْ شُعاعاتِ الرِّضى في خاطِرِى
تُسْكِنْ نَوَزَاىَ نَوْزَتِي وَشُجُوني
ما أفسَدَ الأيَّامَ يغمرها الأسى   فتضيع بينَ شكايةٍ وأنين
يا قَلْبُ وَافَتْكَ المُنى بَسَّامَةً   كالبَدْرِ يسطع في الليالي الجُونِ
فتَحَتْ ذراعيها إليكَ وأقبلَتْ   فتَّانَةً تسعَى إلى مَفتُونِ
ضَمَّها يا قلبُ بعدَ صَبَابَةٍ   وَاظفَرْ بها ياقلبُ بعدَ سكونِ
وَاغنَمْ لذاذتَهَا وَعُبَّ رَوِيَّهَا   عَبَّ الظَّماء وَرَدْنَ خير مَعين
وَدِّعْ حياةَ الزُّهد فهى ثقيلةٌ   كالسجنِ أعباءً على المسجُونِ
وَانعَمْ فأيَّامُ الحياةِ عزيزة   إن وَدَّعَت أرخَصْنَ كل ثمين



بيننا وبين لجنة إنهاض اللغة العربية

أرسل إلينا صديقنا الأستاذ أحمد أمين هذا الكتاب جواباً عما سأل (سائل) في (البلاغ) وفي (الرسالة) ننشره ثم نعقب عليه:

أخي الأستاذ الزيات

سلام عليكم ورحمة الله

قرأت في مجلة الرسالة سؤالاً موجهاً إلى لجنة إنهاض اللغة العربية يسأل صاحبه لِمَ لم تقرر اللجنة كتب الأستاذ الزيات

ورداً عليه أقول: إن اللجنة لم تقفها كتب الأستاذ وكتبت فيما كتبت للوزارة:

إن للأستاذ الزيات كتابين في مستوى الطلبة هما آلام فرتر ورفائيل، وهما من خير الكتب من حيث دقة الترجمة وجزالة الأسلوب ونصاعة التعبير وقوة البيان — ولكن آلام فرتر موضوعه حب هائم ينتهي بانتحار فظيع. ورفائيل رسائل غرام بين شاب وامرأة متزوجة

ولم نر من الخير أن توضع أمثال هذه الكتب في أيدي الطلبة لناحيتها الأخلاقية لا ناحيتها البلاغية، ولو فعلنا لخالفنا ضمائرنا وهاج علينا أولياء أمور الطلاب بحق

أما كتاب (في أصول الأدب) فقد منعنا من اقتراحه عدم الوحدة في موضوعه واشتماله على مقالات فوق مستوى الطلبة

فهل يرى السائل بعد هذا البيان أن اللجنة تجنت على الأستاذ الزيات أو غمطته حقه في الأدب أو مست شيئاً من مكانته في عالم البيان؟

لا شيء من ذلك ولكنه الحق قدمته على كل اعتبار. وهل يطالب المرء بأكثر من أن يعمل وفق ما يعتقده من حق؟

أما ما وراء ذلك من لمز بأننا تملقنا الرؤساء وقصرنا اختيارنا على مؤلفات من نرجوهم أو نخشاهم فإننا نعرض عن الرد عليه والخوض فيه، فقد التزمنا في الحياة أن نصم آذاننا عن السباب وما يتصل به. والسلام عليكم ورحمة الله

١٧ – ٨ – ٩٣٨ احمد امين

ذلك هو جواب الأستاذ أحمد أمين عن أسئلة (سائل). والذي يعرف الأستاذ أحمد أمين ويعلم أن أخص ما يميزه حياة الضمير وسلامة المنطق، يدرك ما كابده الأستاذ من الجهد في إقناع نفسه بهذا الجواب. فإن (آلام فرتر) كتاب عالمي قرأه ولا يزال يقرأه ملايين من الفتيان والفتيات في جميع أمم الأرض، ولم نعلم أن أمة من هذه الأمم حظرته على الطلاب لأن «موضوعه حب هائم ينتهي بانتحار فظيع». وقد ترجم إلى العربية منذ ثمانية عشر عاماً، وأعيد طبعه سبع مرات، وقرأه كل مثقف في بلاد العروبة، ولم نسمع أن حادثة من حوادث الانتحار اليومية قد وقعت بسببه. وماذا يكون مصير التعليم والتمثيل إذا طبقنا هذا المبدأ على مآسي النوابغ في كل أدب؟. على أن فرتر مثال العفة والاخلاص والايثار والتضحية، فلا يمكن أن يعاب من جهته الأخلاقية؛ والأستاذ أحمد أمين نفسه حين ألف كتابه (الأخلاق) قد اقتبس صفحة منه وعزاها إليه

أما (رفائيل) فحبه حب عذري صوفي لا نجد له مثيلا في الكتب ولا في الطبيعة. فهل يرى الأستاذ أن الحب جريمة وإن لم يجُرَّ إلى معصية؟ إن كان ذلك رأيه فلم لم يحظر القرآن على الطلاب المسلمين لأن فيه (سورة يوسف)، والتوراة على الطلاب النصارى واليهود لأن فيها (نشيد الأناشيد)؟

لا أدري كيف قال الأستاذ: «ولم نر من الخير أن توضع أمثال هذه الكتب في أيدي الطلبة لناحيتها الأخلاقية لا ناحيتها البلاغية، ولو فعلنا لخالفنا ضمائرنا وهاج علينا أولياء أمور الطلبة

بحق » فهل نسي صديقنا الأستاذ أحمد أمين أنه رئيس (لجنة التأليف والترجمة والنشر) وأنه هو نفسه الذى قرر طبع هذين الكتابين على نفقتها، وأنه هو نفسه الذي طلب إلى وزارة المعارف أن تشترى منهما لمكتبات مدارسها فاشترت ؟

بقي الكتاب المسكين الثالث (فى أصول الأدب) ، وهذا الكتاب هو مجموعة مبتكرة من المحاضرات والمقالات تدور كلها حول الأدب وأصوله وقواعده . فليت شعرى ما ذا يريد الأستاذ بوحدة الموضوع الذى لم يجدها فيه؟ نحن لم ندع أنه قصة، ولم نقل إنه كتاب فى موضوع معين . إنما هو بحوث نشرناها مفردة ثم جمعناها تحت وصفها العام كما فعل العقاد فى (المطالعات)، والمنفلوطى فى (النظرات) ، والبشرى فى (المختار) . ثم ما هذا المستوى الذى وضعه الأستاذ للطلاب وجعل فوقه (فى أصول الأدب) وتحته (ضحى الاسلام) ؟ وهل يصعب على الطالب الذى يفهم ضحى الإسلام لأحمد أمين، وابن الرومى للعقاد، أن يفهم (فى أصول الأدب) وأكثره مقرر على طلاب السنة التوجيهية حتى لم يجد المعلمون والطلاب فى العام المنصرم مرجعاً غيره فى هذا المنهج ؟

الحق أن أسئلة (سائل) لا تزال تطلب الجواب ، وأن اضطهادنا فى وزارة المعارف يرجع إلى أسباب غير هذه الأسباب..

الزيات

الثقافة النسوية واللغة العربية

أصدر صاحب المعالى وزير المعارف القرار الآتى :

بعد الاطلاع على القرار الوزارى الصادر فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣١ بانشاء معهد تربية للبنات به قسم للتخصص فى اللغة العربية . وبناء على ما تجمع لدينا من معلومات بشأن هذا القسم وأنه فى حاجة إلى رفع مستواه وإلى أن تكون فيه دراسة الدين والثقافة الاسلامية اللذين يتصلان اتصالاً وثيقاً باللغة العربية عنصراً مهماً بين مواد الدراسة ، ورغبة فى إعداد مدرسات لا تقتصر قدرتهن على التدريس بالمدارس الابتدائية ، وبناء على ما عرضه علينا وكيل الوزارة — قررنا ما يأتى :

المادة الأولى — ينشأ قسم بإحدى المدارس الثانوية للبنات بالقاهرة يسمى « قسم اللغة العربية الثانوى » تكون مدة الدراسة به ست سنوات تدرس التلميذات به في السنوات الأربع الأولى مواد الثقافة العامة على حسب منهج التعليم الثانوى للبنات مع مزيد عناية باللغة العربية والثقافة الاسلامية ، وفى السنتين الأخيرتين توجه الطالبات توجيهاً كاملا فى اللغة العربية وموادها وفى الثقافة الاسلامية

المادة الثانية — تؤلف لجنة لوضع المناهج التى يستلزمها إنشاء هذا القسم

المادة الثالثة — تعد مناهج انتقالية لشعبة اللغة العربية بمعهد التربية الحالي بالسنتين الأولى والثانية تسير عليها الدراسة فى بدء العام المقبل بحيث تكون هذه الدراسة متجهة إلى الغاية التى تنشدها الوزارة من التخصص فى اللغة العربية والثقافة العربية

تاريخ الأدب المقارن فى دار العلوم

رأى معالى وزير المعارف عند بحث مناهج القسم العالى لدار العلوم على أساس تنظيمها الجديد أن ضروريات الثقافة العربية لا تقتصر على دراسة الأدب العربى فى كل عصوره ، بل تشتمل دراسة الآداب الأجنبية الحديثة والالمام بكيفية تدرجها فى الممالك المختلفة ووجوه الاختلاف بينها وبين الأدب العربى من حيث الخيال وطرائق التصوير وروح الأسلوب وإرجاع ذلك إلى أسبابه من آثار البيئة واختلاف المواطن وقوة العقلية. وتحقيقاً لاستكمال هذه الغاية أشار معاليه على المختصين باضافة دراسات أدبية من هذا النوع إلى مناهج الأدب بهذا المعهد ، على أن تشمل فضلا عن الجانب التاريخى والدراسة المقارنة دراسة أخرى لتاريخ بعض البارزين من أدباء انجلترا وفرنسا وألمانيا وروسيا فى العصر الحديث وبعض البارزين فى الممالك الأخرى التى اشتهرت بازدهار الأدب فيها

هذا وقد روعى فى العمل بهذا الرأى ما لوحظ من أن القراءة الغربية لها أثر كبير فى إنهاض اللغة العربية إذا ما كان القارئ ذا ثقافة عربية أصلية وذا سيادة شخصية وطابع خاص فى تقبله لمختلف الآراء والمذاهب

على أن فائدة هذا التوجيه الأدبى الجديد تكون فى صورة أجلى وأوضح إذا ما راعينا أن أستاذ اللغة العربية الذى تعده وزارة المعارف للمستقبل يجب أن يكون من كافة النواحى كامل الثقافة حتى يحتفظ بهيبة الشخصية أمام تلميذه الذى يلم ولو بنزر يسير من الآداب الغربية

قرار جماعة كبار العلماء في قضية فلسطين

اجتمعت جماعة كبار العلماء بالجامع الأزهر يوم الخميس ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٥٧ الموافق ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٨ ، واستعرضت حالة فلسطين وما يجري فيها من التصادم، وأسفت أشد الأسف لهذه الحالة التي هي بلاشك نتيجة للسياسة التي انتهجتها حكومة الامبراطورية البريطانية نحو هذه البلاد وبخاصة سياسة التقسيم التي يراد فرضها على بلاد عربية إسلامية ذات ذكريات عند المسلمين لم تغب بعد عن أذهانهم، والتي من شأنها أن تصبغ بلاداً عربية إسلامية صبغة أخرى بطريق لامبرر له، ومن شأنها أن تؤثر في علاقات الأمم الاسلامية بحكومة الامبراطورية البريطانية تأثيراً سيئاً

لذلك قررت جماعة كبار العلماء ما يأتي :

١ — تحتج على استمرار هذه السياسة وعلى مشروع التقسيم على أية صفة يجري عليها التقسيم والمطالبة بأن تبقى للبلاد صفتها العربية الاسلامية وأن يحافظ على كيانها القومي

٢ — تدعو جماعة كبار العلماء زعماء بلاد الاسلام إلى التكاتف واتخاذ ما يرونه مفيداً من الطرق للمحافظة على بلاد فلسطين ، وعلى إيجاد حل ينهي هذه الحالة السيئة ليسود السلام بين الأمم

٣ — تدعو جماعة كبار العلماء المسلمين إلى تذكر قضية فلسطين ليلة المعراج وأن يتوجهوا إلى الله سبحانه في تلك الليلة بأن يحفظ هذه البلاد مما يراد بها ، وأن يحفظ الآثار المقدسة من الأخطار القريبة والبعيدة

وقررت إبلاغ هذا إلى الجهات المختصة بواسطة حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء بالنيابة

احتجاج مسلمي الهند على كتاب للمستر ولز

روت جريدة الديلي اكسبرس أن المسلمين الهنود أعضاء جمعية الشبان المسلمين في لندن اجتمعوا أمس واحتجوا على فقرة واردة في كتاب ألفه المستر هـ . ج . ولز الكاتب الانجليزي وعنوانه « مختصر تاريخ العالم » . وقد تكلم خطيب بعد آخر قائلين إن ولز أهان الاسلام وطلبوا من السلطات الهندية أن تمنع دخول الكتاب إلى الهند . وأحرقوا نسخة من ذلك الكتاب

ثم اتفق المجتمعون على السير بموكب منظم إلى مكتب مندوب الهند السامي وإلى وزارة الهند ، واقترحوا أن يمروا بموكبهم على منزل المؤلف في لندن لمطالبته بالاعتذار

وقد جاء من كلكوتا أن ألوفاً من الهنود حضروا الاجتماع الذي عقد فيها أخيراً للاحتجاج على المؤلف

وقد نشر هذا الكتاب أول مرة في سنة ١٩٢٢ . ولكنه ترجم في المدة الأخيرة بطريقة ملخصة إلى اللغة الهندوستانية . وقد نشرت جريدة تصدر هناك باللغة الوطنية مقالا عنه ندوت فيه به وطعنت في المستر ولز فهاجت خواطر الناس وعقدوا اجتماعاً للاحتجاج في كلكوتا . وقام الآن بعض المخلصين لايمانهم في لندن يصنعون كما صنع إخوانهم في وطنهم

وقد قابل ممثل إحدى الصحف الهندية الكبرى المستر ولز فقال إن انتقاداته لم تكن قليلة الاحترام للعقائد وهو عارف بما أدى الاسلام لثقافة العالم من الخدمات، وليس من العدل أن يحكم هؤلاء المسلمون على آرائه بفقرة شاردة وردت عرضاً في تلخيص كتابه

وقالت جريدة إيفننج ستاندر إن عشرة من المسلمين المتشددين يعملون الآن ليل نهار في صنع ثلاثة تماثيل من الورق الصفيق للمستر ولز يريدون إحراقها في أرض مسجد لندن . فيعقدون هناك اجتماعاً وبعد أن يصلوا يدفعون بالمستر ولز الرمزي إلى النار

تعليم الأميين في ايران

جاء من طهران أن المساعي المبذولة لتعليم الأميين في إيران قد وصلت إلى نتائج باهرة . فقد أنشأت الحكومة مدارس ليلية للكبار ، وبعد سنتين منحت وزارة المعارف شهادات لخمسة وعشرين ألفا و٢٤٥ شابا كانوا قبل ذلك أميين تماما .

وقد أنشئت هذه المدارس منذ ثلاثة أعوام في كل أنحاء المملكة، وفي هذا العام تقدم للامتحان ٢٤ ألفا و٢٣٣ شابا أكثرهم تجار من أصحاب الحوانيت الصغيرة وباعة متجولون فمنحت الوزارة شهاداتها لخمسة عشر ألفا و٧٢٣ منهم . ويرى الناس الآن إعلانا منشورا في كل مكان تعريبه : « العلم هو القوة »



حول نقد ديوان

هكذا أغنى

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

بقلم الأديب مختار الوكيل

يقول الأديب عباس حسان خضر إن محمود حسن اسماعيل، شاعر الريف النابغة، صاحب ديوان «هكذا أغنى» «يمضى متدفقاً مندفعاً عنيفاً، وفى كثير من الأحيان يتبع هذا التدفق والعنف عدم اكتراث بسلامة الذوق، واعتساف فى الفكر وفى التعبير – كما نبين فيما يأتى – معتمداً فى ذلك على قوة طبيعته ونشاط خياله، غير متقيد ولا محترس، فهو يعول على الهبة الفطرية أكثر مما يعول على المهارة الاكتسابية .»

ولم يتبع هذا الكلام بيانٌ دقيقٌ عن عدم اكتراث الشاعر بسلامة الذوق واعتساف الفكر والتعبير كما قال؛ وإنما مضى يقول بعد ذلك :

«ويمتاز شعر هذا الديوان بشىء لعلى موفق إذ أسميه «الروعة» وهو ذلك الذى يستغرق المشاعر ويروع العواطف ويأخذ بالذهن إلى عوالم متنائية الأطراف، ولعل مبعثه بعد المدى فى الخيال، والايغال فى تصوير الأشياء التى يكتنفها الغموض !»

ويفهم أى قارئ لهذا الكلام أن الكاتب يحاول أن يهاجم الشاعر النابغة ولكن إحساسه الباطنى بشاعرية محمود اسماعيل تخونه فى التعبير الذى يقصد ! فالكاتب يذكر أول الأمر أن محموداً فى شعره متدفق مندفعٌ عنيفٌ، ولكنه لا يكترث غالباً بسلامة الذوق، ويعتسف فى الفكر والتعبير؛ وبمعنى آخر يريد أن يقول إن محموداً شاعرٌ مطبوعٌ ملهمٌ ولكنه لا يجيد صناعة الألفاظ، وهذا الكلام فى صالح محمود ولعل الكاتب لم يقصد إليه .

وقوله بعد ذلك إن الشاعر يأخذ الذهن إلى عوالم متنائية الأطراف وإنه بعيد مدى الخيال، وإنه يوغل فى تصوير الأشياء التى يكتنفها الغموض اعتراف صريح بعبقرية الشاعر؛ فما أظن أن هناك تعريفاً لشعر شاعر أجل من هذا التعريف الذى ندّ به قلم الكاتب الفاضل عن غير قصدٍ. أقول عن غير قصد، ومعي الدليل البيِّن على ذلك، إذ لم تمض بضعة سطور على هذه الاشادة الظاهرة بشاعرية محمود، حتى يفجأ الكاتب قارئه بنقدٍ لبيت رائعٍ من قصيدة «دمعة فى قلب الليل». فالكاتب يسخر من قول الشاعر النابغة فى حديثه عن الدموع :

عصرت من مطارف الألم الدا   وى بقلبي وعتقت فى دمائى !

بقوله : «فجعلنا نتمثل امرأة حاسرة عن ذراعيها أمام طست الغسيل تعصر تلك المطارف والأثواب ...»

وهذا الكلام لا يجوز أن يدلى به ناقد يفهم المعادن الشعرية فهماً كاملاً، أو يكد ذهنه فى اكتشاف الخبئ من المعانى الجميلة التى ينشط خيال الشاعر الجبار فى اقتناصها

***

وكما بينت، يتردد الكاتب فى إظهار حقيقة عواطفه نحو الديوان فى بعض الأحيان، فهو يعود فيطري قصيدة «ثورة الاسلام فى بدر». وما كان فى وسعه أن يعدو ذلك أو يقول بنقيضه؛ بيد أنه يقول عن أبيات محمود الخالدة :

وقف المغنى فى حماك مجلجلاً   باللحن تخفق فى الورى أصداؤه

فيه من الأقدار وهلة غيبها   خبأته عن لمع الحجا أطواؤه

81091

ومن الكتائب أرزمت أسلاتها صخب يزمجر بالفتوح نداؤه
ومن المواكب هولها فى فيلق نشوان فى يوم الفخار لواؤه

من قصيدة « يوم التاج » التى أذاعها الشاعر فى مهرجان الوادى بتتويج صاحب الجلالة المليك المحبوب : « فأى مغن هذا المجلجل الذى اجتمعت فيه وهلة الأقدار وصخب الكتائب وهول الفيالق؟! إن هذه الصفات المروعة لا تصطلح على مغن ولو كان من (مطربى) محطة الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة ... »

يا أيها الكاتب المحترم ، كيف عرفت أن الشاعر قال هذه الأبيات فى مغن معين ؟ ! لم يقل محمود هذه الأبيات فى عبد الوهاب ولا فى عبد الحى ، ولو قال فى أيهما لما كان شاعراً وإنما قالها فى هذا الشعب العظيم الذى شملته نشوة روحية بيوم التاج السعيد ، فانطلق يغنى غناء الشعوب ، تجلجل ويجتمع فى غنائها هولة الأقدار وصخب الكتائب وهول الفيالق ؟! كما تقول أنت حقاً ! ! ومحال أن تصطلح هذه الصفات على مغن من (مطربى) محطة الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة كما تقول ... ! فالشاعر الذى يأخذ مثله الأعلى من أية محطة للاذاعة ، بل من أية موسيقى هزيلة ضعيفة، ليس بحقيق أن يدعى شاعراً ، ولكن الشاعر الذى يبشر بمقبل باسم للموسيقى ، إذ يتوجه بها إلى القوة وتصوير الحروب والكتائب ، على نحو ما تأتى به موسيقى « فردي » و « بيتهوفن » و « موزار » وأضرابهم من العباقرة هو الشاعر الذى يحلم به مصر ، وهو الشاعر الذى يأتى ليرقق الأحاسيس ، وينمى الابتكار الخيالى ، المنعدم مع الأسف فى محيط الحياة المصرية قاطبة !!

ثم يهاجم الكاتب هذه الصورة الرائعة التى أغبط الشاعر عليها بحق :

الوجه ساج كصلاة الغدير بين الطيور !

فهو كان يحب أن تصلى الطيور للغدير وهى تحسو الماء منه ، وهذا هو المعنى الذى لا يصح أن يلتفت إليه الناقد المدقق، ولكن المعنى العميق الدقيق هو أن الغدير فى سجوه وهدوئه يؤدى صلاة روحية عميقة ، والطيور حواليه ترشف منه ساعة صلاته وذهوله ؛ فهو ينظر إلى حركة الطيور الآلية عند ما ترشف الماء من الغدير على أنها صلاة. والواقع أن الصلاة لا تصدق من الظامئ المفهوم المشغول بحسو الماء من الغدير، ولكنها تصدق كل الصدق من الغدير الساجى الهادئ المعطى الباذل ماءه للطيور الظماء !

وهل يجهل الناقد أن هنالك شيئاً فى الشعر اسمه « امتزاج الأحاسيس » وأن هذا الشىء كتب فيه الشعراء واستعان به الكتاب، ولعل ابن الرومى هو الذى أتقن هذا النوع من الشعر. ولماذا نذهب بعيداً فالرافعى رحمة الله عليه — يقول فى بعض كلامه « واقتلينى يا حبيبتى قتلة ممطرة ! ! » وعلى هذا الأساس يجب أن يعيد الكاتب النظر فى هذه الأبيات حتى يخرج منها بالصور المركزة الدقيقة التى عناها الشاعر فى قصيدته « فى لهيب الحرمان » و « الذهول »

* * *

وأختتم هذه الكلمة العابرة راجياً أن يراجع الكاتب الأديب مدارسة الديوان فسيجد فيه فتحاً جديداً فى الشعر المصرى ، واتجاهات رائعة أغفلها الشعراء عندنا . سيجد حديثاً عن الريف ، ومظاهر الطبيعة الحزينة والطروب ، وسيجد تعبيراً عن آلام الفلاح المصرى ، وسيجد غزلاً مطرباً صادقاً ، وعند ذلك يكتب عن شاعر الريف الجديد الذى نبغ على صغر سنه ، فى هذا المضمار الرائع المستقل .

وسنتبع هذه الكلمة بحديث مسهب عن شعر محمود اسماعيل إذا سمحت الظروف وسمحت « الرسالة » .

مختار الوكيل



القصة المسرحية

بين حقيقة الواقع وخيال المتفائلين

أعلنت إدارة « الفرقة القومية » هذا العام ، كما أعلنت في الأعوام السابقة ، عن مباراتها في التأليف المسرحي والترجمة والاقتباس للمسرح المصري وحددت للمتفوقين عدداً من الجوائز المالية القيمة ، واهمة أن في تلك الجوائز ما يغري كبار أدبائنا وكتابنا بمعالجة القصة المسرحية

وقد جرى لنا مع الأستاذ خليل مطران مدير الفرقة حديث في صدد القصة المسرحية والروايات التي تقدم للفرقة وأثر المسابقات والمباريات في ظهور المسرحيات القوية والمؤلفين المنسيين أو الذين لم تتح لهم فرصة التعرف إلى أصحاب الفرق وتقديم مسرحياتهم لهم . وكان من دواعي سرورنا أن اتفقت وجهة نظر كل منا مع الآخر

وخلاصة هذه الوجهة المشتركة من النظر في التأليف المسرحي هي أن القصة المسرحية الناجحة ، كانت وما تزال وستظل إلى ما شاء الله غاية الفرقة القومية التي لا تكل ولا تمل في سبيل الوصول إليها ، والتمتع بما يدخل على المسرح المصري من نتائجها

ولكن الطريق إلى القصة الناجحة وعر ، والرحلة إليها طويلة شاقة ؛ فقد لوحظ أن المؤلفين الذين يتقدمون للمباريات في التأليف المسرحي يكونون عادة واحداً من اثنين : مشتغل بالمسرح يعرف كيف (يحبك) قصته ويطبعها بطابع الفن الناجح ولكنه ركيك العبارة ضعيف الأسلوب وليست لديه القدر الكافي من الثقافة العامة . وأديب أو كاتب ليست له براعة الأول في إجادة التصور وحبك الحوادث وإن كان جزل العبارة لطيف الأسلوب غني في الثقافة . هذا بينما القصة المسرحية التي تنشدها إدارة الفرقة هي القصة القوية الموضوع ، السلسة الأسلوب ، المحبوكة الحوادث ، الملأى بالمواقف التي تستدر العاطفة وتثير الإعجاب .

وقد يكون من أشد ما يأسف له الكاتب أن يضطر إلى التصريح بالحقيقة المؤلمة التي يعرفها كل بصير وخبير بدولة الأدب والكتابة في مصر ، وهي أن الكاتب المسرحي الناجح لا وجود له بين ظهرانينا حتى الآن ...

وهناك جملة عوامل هي المسئولة عن هذه الحال التي يؤسف لها أشد الأسف. منها أن فترة النهضة المسرحية لم تدم أكثر من عشر سنوات ، أقفلت بعدها أغلب الفرق أبوابها ، وأعلنت توقفها وإفلاسها. وأي صناعة لا يهتم زعماؤها بالتدقيق والتركيز، مقضي عليها بالذبول والاندثار لا محالة . ومنها أن الضائقة المالية التي عرضت للفرق على اختلاف ألوانها ، حدت بأصحابها إلى التنكر لكبار أدبائنا وكتابنا الذين رأوا أن يساهموا في هذه الناحية الأدبية التي كانت وما تزال بكراً في بلادنا ، ولا نذكر أن كاتباً كبيراً من كتابنا أتى ذات يوم على مدير لأحدى فرقنا التمثيلية ، المندثرة أو القائمة حتى الآن . . . ومنها أن نفراً من صغار النقاد جروا على الشماتة بكل رواية يقال إن صاحبها هو الأديب الكبير (فلان الفلاني) والزراية بجهوده وتأليفاته بحق بغير حق ، وبدافع من الفن أو من الحقد وصغار النفس ...

والمباريات وإن كانت وسيلة من أحدث الوسائل لتشجيع البادئين والناشئين من المجتهدين ، إلا أنها لا يمكن أن تؤدي إلى النتائج المرجوة لرفعة المسرح والقصة المسرحية في أقصر زمن مستطاع . وبديهي أن الواجب إعداد المدرس قبل إيجاد التلميذ .. وإلا فعلى أي أساس يكتب البادئون قصصهم إذا لم تكن أمامهم قصص لزعماء الفن مشهود لها بالجودة ، ومن أقلام كبار الكتاب والأدباء ؟! لا شك أن كثيراً من شبابنا المثقفين عندهم استعداد كبير للظهور في ذلك الميدان الذي نكرر أنه ما يزال بكراً ، ولا تنقصهم إلا الارشادات (الفنية) التي يمكن اكتسابها بالتعلم أو بتدقيق النظر في المسرحيات الناجحة . (سينمائي)

أنباء سينمائية ومسرحية

فلم الدكتور

قطع الأستاذ نيازى مصطفى شوطاً كبيراً فى الفلم الجديد الذى يخرجه



الأستاذ نيازى مصطفى

لحساب استديو مصر . وهو الفلم الذى يسمى (الدكتور) وأن يقوم بالدور الأول فيه الأستاذ سليمان نجيب . والفلم مأخوذ من مسرحية قديمة للأستاذ نجيب ، وحبذا لو غير اسمه حتى يتفق مع الحادث الكبير فى الرواية

سينما ربوموف

يفكر بعض المسئولين فى شركة مصر للتمثيل والسينما فى الطرق التى من شأنها تحويل هذه الدار الفخمة إلى سينما لعرض البرامج العربية ، وقد تعاقدت الشركة مع وكالة المتروجلدوين على احتكار عرض أفلامها في الموسم القادم ، ولكن ذلك كلفها نحو (٢٥٠) ج م عن كل فلم

فلم الأستاذ احمد سالم

بدأ الأستاذ احمد سالم فى تصوير المناظر الخارجية لفلمه الذى تبدأ به الشركة الجديدة عملها ، ونحن ننتهز هذه الفرصة فنهنئ عالم السينما المحلية بدخول الأستاذ سالم إليه مستقلاً وعاملاً لحسابه الخاص . وقد علمنا أن موضوع الفلم متصل بالطيران وأن بعض المناظر الخارجية اشتركت فيها بعض وحدات الطيران الحربية المصرية



الأستاذ أحمد سالم

وسنعود إلى الحديث عن الأستاذ وجهوده السينمائية فى فرصة أخرى

السينما فى هوليوود

— يقوم (إدوارد ربنسون) بدلاً من (بون مونى) بتمثيل دور (جواريه)



« شيرلى تمبل » كما تظهر فى فيلمها الجديد (ريبيكا التى من مزرعة سنيبروك) وهو من الأفلام التى تعرضها شركة فوكس القرن العشرين فى الموسم القادم

فى رواية (عرش من الفولاذ) وهى الرواية التى تقوم بالدور الأول فيها (بت ديفيز) أمام (فردريك مارش)

— اختيرت (كلوديت كولبير) و (كاى فرنسيس) للقيام بالدورين النسائيين الأولين فى رواية (إخوان وارنر) الجديدة « عند ما تسدل الستار »

— يعيد (سام جولدوين) رواية (ثلاثة أسابيع) التى كان قد أخرجها أيام السينما الصامتة — للكاتبة السينمائية الشهيرة (إلينور جلن) ؛ وكان بطلاها السابقان هما (إيلين برينجل) و (كونراد فيدت)

— أعدت شركة برامونت رواية خصوصية لإيزا ميراندا ، وذلك بعد ما تقرر عدم إعطائها الدور الأول من رواية (زازا)



« كلوديت كولبير » كما تظهر فى رواية (زوجة بلوبيرد الثامنة) وهى من أهم الأفلام الضاحكة التى تعرضها شركة برامونت فى الموسم القادم

6 me Année, No. 269

Lundi - 29 8 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـدد ٢٦٩ «القاهرة فى يوم الاثنين ٣ رجب سنة ١٣٥٧ — ٢٩ أغسطس سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـرس

إلى صاحب المعالى وزير المعارف

أذكر ياسيدى أنى كتبت إلى معاليك يوم سموت إلى منصب الوزير ورتبة الباشا كلمة صادقة صريحة فى هذا الموضع من (الرسالة) قلت فيها : إذا كان غيرك قد وصل بالأدب من غير خلق ، أو بالصحافة من غير أدب ، أو بالسياسة من غير صحافة ، فإنك لم تصل إلا بهذا الأدب الشامل الذى يشرق فيه وميض الروح، ويسيطر عليه نبل النفس : لذلك نعدُّ بلوغك هذه الغاية من المجد انتصاراً للأدب المجاهد ، وترضية للقلم المجهود ، وتمكيناً للفكر الجميل أن يؤدى رسالته فى عالم أوسع وعلى طريق أسد ؛ ولذلك نجملك من بين الوزراء الصلة الطبيعية بيننا وبين أولى الأمر ، فقد قطعوا أسبابنا الواصلة ، وسَفِهوا حقوقنا المعلومة ، واعتقدوا أننا حلِيّ تزين و لا تنفع ، ودُمًى توجد ولا تعيش ...

وأذكر ياباشا أنك كتبت إلىّ على أثر هذه الكلمة الطيبة كتاباً رقيق العبارة كريم العاطفة صريح الوعد بأنك ستكون وليًا للأدباء ونصيراً للأدب .

ثم أذكر أنك وأنت عميد الصحافة المعارِضة كتبت فى (نزاهة الحكم) ، وخطبت فى (الحكم الصالح) مقالات سماوية

وخطباً مثالية لا تزال فِقَرها وحججها ترن فى أذن الحكومة وتجرى على لسان المعارضة

أذكر كل أولئك يا باشا وأنسى أننى طلبت الإذن على معاليك فلم أنله ، وأننى كتبت إليك كتاباً فيه بعض العتب فلم تقبله ؛ ثم أنسى أننى سمعت بعد ذلك أنك لم تَرِد إنصاف (الرسالة) وقد سألتك إياه ، وأنك محوت اسمى من مشروع (المجمع الأدبى) وقد كان فيه . نعم أنسى كل ذلك يا باشا لأن هذه المعانى البشرية لا تلبث أن تموت أو تضعف فى خاطر رجلين: الوزير لأنه ينفذ أمر الملك ، والقاضى لأنه يعلن حكم الله . وولى الأمر أو ولى القضاء متى شعر أنه مظهر الإرادة العليا أخذته حال من السمو الإلٰهى ترفع النفس وتُرهِفُ الضمير وتُوَثِّق الذمة .

فأنا أتقدم إلى معالى الوزير بشكوى الأدب الحر وأنا مطمئن إلى عدله واثق بجميل رأيه. والأدب الحر يا باشا هو الأدب المجاهد الذى ليس له حزب يحميه ولا منصب يسنده ، وشكواه أن الأدب الرسمى بغى عليه بقوة السلطان وحكم الأثرة ، فشهد فيه الزور وحكم عليه بالباطل

هذه لجنة إنهاض اللغة العربية — ولا أريد أن أعرض لغيرها اليوم — تألفت بقرار منك فأصبحت فى حدودها الموقوتة أداة من أدوات السياسة العليا تنظر بعين المصلح ، وتنطق بلسان الوزير ، وتحكم بذمة القاضى. ولكنها يا باشا لم ترد أن تخرج عن إطارها الشخصى ، فمكنت لنزعات الهوى أن تطير بين آرائها فى عمل من أعمال الناس وشأن من شؤون الدولة !

لقد سلكت فى اختيار الكتب التى تساعد الطلاب على اكتساب ملكة البيان طريقاً عجيباً إن ضمن فائدة الكاتب لا يضمن فائدة الطالب ، وإن قضى حاجة الصداقة لا يقض حاجة اللغة

ولا أريد أن أضرب مثلاً على تجنيها غير ما نالني منها. وأدع لغيرى من الذين حكمت عليهم بالإغفال أن يضربوا بقية الأمثال فإن لهم أقلاماً وألسنة

هل تصدق يا باشا أن هذه اللجنة التى ألفتَها من أربعة شيوخ من شيوخ الدين والأدب قد استطاعت أن تحيل العقل والضمير والفن والمنفعة على أن تلعن كتابين ألفهما جوته ولامرتين ، وترجمهما الزيات ، وقدَّم لهما طه حسين ومنصور فهمى ، وطبعهما ونشرهما أحمد أمين ، وقرأهما الشبان والشواب فى جميع أقطار العروبة ثمانية عشر عاماً لا يرون فيهما غير الخلق النبيل والبيان المشرق والأدب المحض والإلهام المقدس ؟

هل علمت يا معالى الباشا أن هذه اللجنة الإخصائية فى علوم العربية قد أغفلت كتاباً فى صميم الفن ألف للكتاب والطلاب ، وعالج مسائل مبتكرة فى تاريخ الأدب ، وأضاف قواعد جديدة إلى قواعد الكتابة ، وليس فى المكتبة العربية اليوم ما يحل محله ؟

لقد تساءل الناس فى الأندية والصحف عن سر هذه اللعنة ، وسبب هذا الإغفال ، فأعياهم أن يجدوا الجواب ، حتى رد عليهم الأستاذ أحمد أمين عضو اللجنة بما نشرناه وعلقنا عليه فى العدد السابق من الرسالة ، فانقلبت الأسئلة إلى شكوك وظنون ، وراب الأدباء من لجان الوزارة أن يكون هذا مبلغ الحق والعدل ، فى لجنة عرف أعضاؤها بالنزاهة والفضل ، وعجبوا أن يمتهن المنطق رجال المنطق ويظلم الأدب حماة الأدب ، وقالوا ماذا عسى يصنع الدهر بلجان الاختيار والتأليف والمسابقة ؟

***

هذا (بلاغى) يا معالى الوزير أرفعه إليك لتحقق ما فيه بعد ما قرأتَ فى العددين السابقين سؤال السائل وجواب المجيب ورد المتعقب . وصاحب المعالى هيكل باشا غنى عن السؤال والجواب والبينة ، فإنه بملكته الأدبية يعلم الفن ، وبحاسته القانونية يدرك الحق ، وبسلطته الوزارية يملك الحكم

ومعاذ الله أن يكون لهذه الشكوى مبعث غير الحفاظ للأدب والكرامة . فقد سلخنا فى الجهاد الأدبى ثلاثين عاماً نعمل بين الجمهور وللجمهور فما شعرنا بالحاجة إلى حماية ولا معونة . وهذه منزلة من الإيمان والصبر لا يستطيع أن يصفها لهيكل باشا الوزير، إلا هيكل باشا الأديب

احمد حسن الزيات

الأصـــــل وغيره

بقلم ابرهيم عبد القادر المازنى

أرانى أحد الإخوان رواية لكاتب انجليزى معاصر اسمها « مذنبون بكرههم » وقال اقرأها . وقد اقتنيت نسخة منها ، ولكنى ما زلت محجما عن قراءتها وإن كان قد مضى يومان وهى على مكتبي تخايلنى كلما جلست إليه . وأحسب أن فى اسمها مايصدنى عنهـا . ولست أعنى أنى أكره القصص التى تتناول الخطيئات والذنوب والآثام ، فقلما تخلو رواية من شىء من ذلك ، بل يندر أن تخلو حياة من هذا ، فإن العصمة « عليا مراتب الأنبياء » وإنما أكره ما يبدو لي من النفاق أو المغالطة أو الجهل أو المداجاة فى هذا الاسم . ولو قال إنهم أخيار أو أطهار أو طيبون بكرههم لكان أشبه بالحق . فإن رأيى أن الانسان مطبوع على ما نسميه الشر ، وليس بمفطور على ما ألفنا أن نسميه الخير وما إلى هذين من صفات قبيحة وطيبة . والذى نعده خيراً ليس أكثر من عادة أو ضرورة ، ولكن الذى نقول إنه الشر أصل . وقد صدق النواسى فى قوله :

أنت يا ابن الربيع ألزمتنى النسـك وعودتنيه ، والخير عاده

وقد سألت نفسى غير مرة لو كنت ، ومعى ابنى — والأبناء فيما يعرف الناس ويحسون أفلاذ أكبادهم — فى صحراء جرداء لا ماء فيها ولا شجر ، ولم يبق معنا من الزاد إلا كسرة ، ومن الماء إلا قطرة ، وبرح بنا الجوع والظمأ ، فماذا كنت عسى أن أصنع ؟؟ أأوثره على نفسى ، أم أوثر نفسى عليه ؟

وآثرت الاخلاص وصدق السريرة فى الجواب فقلت إن أول ما كان خليقاً أن يدور بنفسى هو أن أوثر نفسى على ابنى ، ولعلى حقيق إذا ثقلت وطأة الاحتمال علىّ أن أقاتله على اللقمة أو قطرة الماء . ومهما يكن من ذلك فان المحقق عندي ـ فيما أشعر وأعلم ـ هو أن الخاطر الأول يكون هكذا ، أى أن تحدثنى نفسى بالاستئثار دون ابنى بما بقى لنا . وقد يتغلب العقل وعادة الكبح والنظام الذى نجرى عليه فى حياتنا المتحضرة . فيحدث أحد أمرين مثلا : أن يكون الباقي مما يحتمل القسمة ، فاقترح اقتسامه ومن يدرى؟ لعلى وأنا أكسر اللقمة الباقية أجور عليه فى القسمة؛ وإذا كان الأمر لا سبيل فيه إلى مشاركة ، فقد أقول لنفسى إن من قلة العقل أن أخطف الكسرة والماء فأطيل بذلك عمرى ساعات ، وما يبدو لنا أمل فى نجدة قريبة ، وأنا قد عشت أكثر مما عاش ، وسيقضى كلانا نحبه فليس بضائرى أن يبقى بعدى ساعات ؛ وهب ناساً أدركونا وأنقذونا فان الباقى من عمرى دون الذى مضى وانقضى ، وهو على كل حال شيخوخة وتهدم ، وأمراض وعلل ، وأوصاب وعجز ، فما حرصى على ذاك ؟ ولكن هذا صغير ولا يزال أمامه شباب طويل وريف ، فهو أولى بالحرص على الحياة والتعلق بها وأحق بذلك منى ، وقد أكره أن يرى أثرتى وقبحها وشناعتها ، وأخاف أن يعرف ذلك عنى بوسيلة ما ، فأناوله الماء وأجود عليه بالخبزة الناشفة ، وأتظاهر بالرحمة ، وأتكلف الايثار وأقول له : إنك ابنى وفلذة كبدى ، فبقاؤك استمرار لحياتى وامتداد

وفى الدنيا عشاق مجانين غير قليلين وقد يهم الواحد منهم بالانتحار إذا ضنت عليه حبيبته بابتسامة أو أعرضت عنه فى مجلس ، أو أبت عليه قبلة وضمة . خذ هذا العاشق الولهان ، المدله ، المزدهف اللب ، المشغوف القلب ، وأجلسه إلى جانب حبيبته المعبودة فى البرد القارس والمطر المنهمر ، وانظر ماذا يحدث ؟ أتظن أنهما يتناجيان فى تلك الساعة بحبهما ؟ ؟ أتراه يشتهى حينئذ أن يقبلها أو يضمها ، أو يبالى ابتسامها أو إعراضها ، أو يحفل ما يكون من ذلك منهـا ؟ بل سل نفسك أيخطر له الحب وهو ينتفض من البرد والمطر ويرعد ؟؟ وقد يندفع بحكم العادة فيخلع سترته ويضعها على كتفى المحبوبة المعبودة ، ولكنه لا يفعل ذلك إلا وهو كاره له ، وساخط عليه ، وناقم على الضرورة التى تدفعه إلى ذلك . ويزداد البرد مع طول الجلسة ، ويعانيان منه مالا طاقة لهما به ، فلا يبقى لهما هم إلا في هذا وفيما يمكن أن يصنعا لاتقاء عواقبه ، أو النجاة منه ، ويذهب الحب وتذهب دواعى الانتحار ، وتهبط قيمة ذلك كله إلى الصفر . فليت العشاق الذين يسلب الحب عقولهم ، يكابدون شيئا من هذه المكاره ليعلموا أن فى الوسع أن يقل احتفال المرء بابتسامة حبيبته ، وتفتر الرغبة فى ضمها وتقبيلها ، بل إن فى الوسع أن يحيا بغير هـذه الحبيبة ، ولا يفكر فيها ،

ودع عنك الانتحار من أجل قبلة أبتها عليه!

وهذه الشجاعة ماذا هي؟ إن الأصل في الانسان الجبن لا الشجاعة، لأن غريزة المحافظة على الذات تقضي بذلك، ولكنه يتشجع، ويحتمل التعرض للمكاره أو المعاطب، ويلقى بنفسه في التهلكة، مرغماً، فقد يكون الذي يفر منه شراً مما يرى نفسه عليه، أو يكون في الجبن الهلاك فيستوي الأمران، وإذن تكون الشجاعة أولى، وأجلب لحسن السمعة وطيب الأحدوثة، ففيها حتى مع الهلاك عزاء أدنى. أو يكون الموقف من شأنه أن يورط المرء فلا يبقى مفر من الاقدام، والأمر معه. وقد يكون المرء ضعيف الخيال، أو قليل الادراك فهو لا يحسن أن يقدر الأمور، ولا يبالغ في توهم الاخطار وتجسيدها؛ أو يكون على نقيض ذلك كبير العقل واسع الخيال، فلا يرى بأساً من الجرأة لأن فرص النجاح أو السلامة كفرص الاخفاق والتلف، أو أكثر، إلى آخر ما يمكن أن يكون باعثاً للانسان على مقاومة الحرص الطبيعي على الحياة والضن الفطري بها

ولا أعرف ما شأن غيري، ولكني أعرف نفسي على قدر ما يتيسر لي ذلك، وأعلم أني أشتهي كل ما يُشتهى في الحياة، وإذا كنتُ لا أواقع كل لذة أشتهيها، أو أطلبها، أو أحلم بها، فما هذا مني عن عفة فطرية، وزهد في طباعي، فان لكل حالة من حالات الحرمان علة لا تخفى عليّ، ولا أستطيع أن أغالط نفسي فيها، وإن كنت أغالط الناس، ولو سألني ربي — كما سيسألني بعد عمر طويل — لأقررت بذنوب لم أقارفها، وخطايا لم أرتكبها، وشهوات تبحث نفسي عنها، أو استعصى عليّ إرضاؤها، ولطال بي الاعتراف، والخلائق ورائي تنتظر دورها تحت الشمس المحرقة في تلك الساعة التي تذهل الأم عن ولدها، فأشفق عليهم، وأوجز وأقول إن ربي أدرى بي وأعرف بالظاهر والباطن، فلا حاجة إلى الافاضة في الاعتراف. وإني، على الجملة، ومع تفاوت واختلاف قليلين لكما قال السمير رحمه الله:

فتراني طول عمري تائباً من غير عفة

فلا نجاة لنا إلا برحمة من الله ومغفرة.

ابرهيم عبد القادر المازني

عود الى الموضوع

الدين والأخــلاق

بين القديم والجديد

لأحد أساطين الأدب الحديث

— ٢ —

لو أن الأستاذ النمراوي قصر حديث الدين والأخلاق على الرافعي لكانت حجته أقوى، ولكنه وقع في خطأ منطقي إذ حسب أن جميع أدباء المذهب القديم قد راعوا حرمة العرف والتقاليد وآداب الدين وأخلاقه كما راعاها الرافعي. فكأن حجته مقسمة حسب التقسيم الذي يُستشهَدُ به في الخطأ المنطقي: هي أن الرافعي راعى حرمة أخلاق الدين، والرافعي من أدباء المذهب القديم، فنستنتج من ذلك أن المذهب القديم يراعي حرمة أخلاق الدين. وهذا الاستنتاج كاستنتاج من يقول: الفيل له خرطوم، والفيل حيوان، فكل حيوان إذاً له خرطوم. وقد ظهر هذا البرهان المنطقي في أكثر من مكان في مقالات الأستاذ النمراوي ولا سيما في المقال الأخير. انظر إلى قوله (فالمسألة في الأدب إذاً ليست مسألة لفظ ومعنى ولكنها في صميمها مسألة روح. فريق يريد أن يحمل روح الأدب روحاً شهوانياً بحتاً يتمتع صاحبه بما حرم الله وما أحل، ولا يفرق بين معروف ومنكر، ثم يصف ما لقي في ذلك من لذة وألم أو غيرهما من ألوان الشعور؛ وفريق يريد أن يحيا الحياة الفاضلة.. إن أدب الفريق الأول هو ما يسمونه الأدب الجديد... وأدب الفريق الثاني هو ما يسمونه بالأدب القديم...)

ومن الغريب أن عدد الرسالة الذي كتب فيه الأستاذ النمراوي هذه الجملة فيه مقال للأستاذ خلاف يشير إلى كتاب يتيمة الدهر للثعالبي وإلى غيرها من كتب الأدب القديم، ونستشهد منه بالجملة الآتية: (ومنذ أن قال امرؤ القيس أقواله الفاحشة في المرأة، ونظم الفرزدق وجرير الشتائم والسباب، وقال أبو نواس وبشار وأضرابهما في معاني الشذوذ والضعف الخلقي، وامتلأ العصر العباسي الثاني بالتفنن في تسجيل الصور الدنيئة من حياة

الانسان كما يتمثل في كتاب يتيمة الدهر (قاموس الأدب الداعر الوقح)؛ منذ ذلك كله تحول ذوو الطبائع الجادة إلى وجهات أخرى في الحياة غير وجهة الأدب والاشتغال بمحصوله)

فالأستاذ خلاف يثبت في مقاله أن الأدب الداعر بدأه أمير شعراء الجاهلية في مثل قوله (إذا ما بكى من خلفهـا ... الخ) واستمر في عصور الاسلام إلى أن استفحل كل الاستفحال في عصر الأدب العباسي الثاني. فهل يعد الأستاذ النمراوي أدباء هذه العصور الذين يعنيهم الأستاذ خلاف من أدباء الأدب الجديد أم من أدباء الأدب القديم؟ وهل قول الأستاذ النمراوي (فريق يريد أن يحمل روح الأدب روحاً شهوانياً الخ الخ) ينطبق أولا ينطبق على أدباء الأدب القديم الذين ذكرهم الأستاذ خلاف؟ وهل ينكر الأستاذ النمراوي أنه قلما يخلو كتاب من كتب الأدب القديمة من أشياء لا يليق بالفتيات والفتيان ولا بأي إنسان أن يقرأها، وأن الأستاذ خلاف عند ما ضرب الأمثلة لم يقصد أن يذكر كل ما وجد من هذا القبيل؟ إن في كتاب يتيمة الدهر أشياء لو قرئت على الأستاذ النمراوي لوضع إصبعه في أذنه وفر وهو يقول: مرحباً بالجديد. وما رأى الأستاذ النمراوي في شرح السيد توفيق البكري شيخ السادة البكرية، ورجل الفضل والدين لأبيات ابن الرومي التي ذكر فيهـا صوت يد المجان في المجين (راجع صهاريج اللؤلؤ)؟ فهل السيد توفيق البكري من أدباء المذهب الجـديد؟ وما رأيه في الشيخ شريف رجل الفضل والدين ومفتش اللغة العربية في وزارة المعارف وقد شرح أرجوزة ابن الرومي التي أولها (رب غلام وجهه لا يفضحه). وليس من موبقة إلا وفي كتب الأدب القديم وصفها والافتخار بهـا على شكل لم يبلغه الشبان المولعون بما يسمونه (الأدب المكشوف). ومن الغريب أن الذين ينبهون الحكومة إلى سقطات هؤلاء الشبان لا ينبهونها إلى ما في كتب الأدب القديم من مخاز لا تسمح أية دولة بنشرها. راجع في الأغاني أمثال قصة اصبع بن أبي الأصبع ومطيع بن إياس، على ما أذكر، أوسل الأستاذ خلاف عما وجد في كتاب يتيمة الدهر حتى سماه قاموس الأدب الداعر، بل خذ أي كتاب أو ديوان، خذ مثلا ديوان أبي تمام وراجع القصيدة التي يخاطب فيها الحسن ابن سهل في قوله: (إن أنت لم تترك السير الحثيث الخ) ولا سيما البيت الذي أوله (سبحان) في الطبعة غير المنقحة، أو خذ ديوان البحتري وانظر كيف أفحش في المجون في حضرة أمير المؤمنين المتوكل في القصيدة التي يمدحه بها وأولها: (سقاني القهوة السلسل) وانظر إلى البيت الذي أوله (وقطع) فهل هؤلاء من شعراء المذهب الجديد؟ وهل أمير المؤمنين المتوكل من أدباء المذهب الجديد؟ أو خذ ديوان أمير المؤمنين عبدالله ابن المعتز ففيه أيضا مخازٍ يعجب لها الأستاذ النمراوي. أو خذ ديوان الرجل التقي النقي العلوي صفي الدين الحلي وانظر إلى مجونه وغزله المؤنث والمذكر، أنظر مثلا إلى سبب تضمينه الأبيات الآتية في قصيدة له والأبيات أولها (أيا جبلي نعمان بالله خليا الخ الخ)

إن أدباء المذهب القديم وأدباء المذهب الجديد في أيام شبابهم قد قرأو كل هذه الكتب وقرأوا ما فيها ممـا لو رآه الأستاذ النمراوي لطمسه. وقد تأثر كثير منهم بها إلى حد جعلهم لا ينكرون وجودهـا وجعلها في نظرهم أشياء طبيعية مألوفة. وأدباء المذهب الجديد قد قرأوا الكتب العربية قبل قراءتهم كتب الأدب الأوربي التي يخشى الأستاذ النمراوي قدوتها. فإذا كانت كتب الأدب الأوربي قد أثرت فيهم فان كتب الأدباء والشعراء التي يستنكرها الأستاذ خـلاف لا بد أن تكون أبلغ أثرا في نفوس الفريقين؛ وهي أيضا بليغـة الأثر في نفوس فتيات وفتيان المدارس لأن هذه الكتب يستعيرها التلاميذ والتلميذات بمدارس البنين والبنات، فهي بمكتبات المدارس ويحثُّ التلاميذ والتلميذات على قراءتها. لو كان الأستاذ النمراوي يعرف ما يكتبه الطلبة من الحواشي أحيانا على هامش هذه الكتب المستعارة لعرف مقدار أثر كتب الأدب القديم في نفوس النشء. إني أتوسم في الأستاذ النمراوي الانصاف، ومن أجل ذلك أعتقـد أنه لو بحث هذه المسألة وفحص أثر هذه المؤلفات وأمثالها بعـد أن يدرس مجونها ويهتدي إليه بهداية أهل العلم بأما كنه لا أعترف أنه إذا كان لأدبٍ ما أثر في دفع الشبان إلى المجون والاباحية في الأخلاق فهو أثر الأدب القديم، وأن هذا الأدب القديم غير مقصور الأثر على التلاميذ والتلميذات، بل إن أثره يشمل أدباء المذهب القديم المصريين وأدباء المذهب الجديد على السواء. ولا يعجب الأستاذ النمراوي إذا قيل إن الأدب الأوربي الحديث إنمـا يؤدي دينا عليه للعالم العربي، فان الأدب والشعر والفكر العربي كما كان في

الحضارة العربية ولا سيما العباسية والدويلات التي أنت بعدها كان كثير الحرية إلى حد الاباحية في الخلق أحيانا ؛ وقد كان هو والأدب الاغريقى القديم من العوامل التي قضت على أدب التعفف والتقشف المسيحى فى القرون الوسطى .

وما يقال فى الأدب القديم عن الآداب والأخلاق يقال أيضا عن العقيدة . نفسها فلو رجع الأستاذ الغمراوى إلى كتب الملل والنحل العربية لوجد أن بعضها لم يترك إلحادا إلا وصفه ولا كفرا إلا أطال القول فى معانيه

وأقوال ملاحدة الدولة العباسية وغيرها من الدول لا تزال أمام القراء من شعر ونثر ، وما ترك الأول للآخر شيئا .

إذا يحسن بالأستاذ الغمراوى أن يقصر قوله على الرافعى، وأن يمجده ما شاء ، وأن يقدس مراعاته حرمة الآداب والأخلاق الاسلامية، أما أن يقع فى خطأ الاستنتاج فهو أعظم من ذلك منزلة؛

وإذا كان الأستاذ الغمراوى يريد أن يقضى على سبب من أهم أسباب فساد الأخلاق فعليه أن يحث وزارة المعارف وإدارة المطبوعات على تشكيل لجنة لفحص الكتب العربية وطمس ما هو مفسد للأخلاق فى الموجود من نسخها وتحريم طبعه فى الطبعات الجديدة فان ائتمان أمثال هذه الكتب وهؤلاء الأدباء على أخلاق النشء (ومحاربة الأدب الأوربى) يكون كمن يأتمن لصا وطنيا على بيته وأمواله وأثاثه لأنه وطنى؛ وقد يكون هذا اللص الوطنى أشد خطرا لأنه يؤتمن ويمهد له السبيل ويعطى له مفتاح المنزل . أو كمن يأتمن فاجرا داعرا على أبنائه لأنه كان صديق صباه وأليف أيام شبابه .

قارىء

للتاريخ السياسى

المشكلة التشيكوسلوفاكية

للدكتور يوسف هيكل

من أهم المشاكل الدولية الحالية وأبرزها : المشكلة التشيكوسلوفاكية ، فقد كادت تكون فى المدة الأخيرة سبب حرب عالمية ، ولا تزال موضع اهتمام ساسة الغرب ولا سيما الانكليز والفرنسيين منهم ، الذين يعملون على حل هذه المشكلة ليزيلوا شبح الحرب من أوروبا الوسطى

والمشكلة التشيكوسلوفاكية معقدة عويصة ، يحتاج تفهمها إلى التعرض لتاريخ تشيكوسلوفاكيا قبل الحرب العالمية ، وإلى عرض صعوبات الحكومة التشيكوسلوفاكية قبل الحكم النازي فى ألمانيا ، وإلى إظهار تغير الحكم الهتلرى لعوامل المشكلة التشيكوسلوفاكية والمفاوضات الجارية لحلها . وأخيراً إلى مرامى السياسة الألمانية

تقع جمهورية تشيكوسلوفاكيا فى أوربا الوسطى ، وهى محاطة بألمانيا والنمسا وهنغاريا ورومانيا وبولونيا ، ومكونة من مقاطعات بوهيميا ومورافيا وسيليسيا ، بلاد التاج البوهيمى قديماً ، ومن قسم من هنغاريا القديمة ، وعاصمتها مدينة براغ .

ويجب ألا يغيب عن الذهن أن بوهيميا كانت مدة خمسة قرون ، مابين عام ١٠٦٨ — ١٥٢٦ مملكة مستقلة ، وأن ملكين من ملوكها ، وهما شارل الرابع وونسيلاس الرابع ، كانا ملكين رومانيين مقدسين

وفى أثناء حروب القرن الخامس عشر الدينية قاوم أهل البلاد بنجاح الهجمات النمساوية وحافظوا على استقلالهم . غير أن تاج بوهيميا وتاج هنغاريا وُحِّدا عام ١٥٢٦ على رأس الامبراطور فرديناند الأول ، من أسرة هابسبورك . ومنذ ذاك التاريخ ابتدأت حكومة النمسا تدريجياً تجعل الحكم مركزياً ، وتحكم بوهيميا مباشرة . وقد تم ذلك بعد ثورة ١٦١٨ ، واندحار رجال التشيك أمام الجيوش النمساوية فى موقعة الجبل الأبيض عام ١٦٢٠ . ومن حينئذ زال استقلال بوهيميا باستيلاء النمسا عليها ، وأصبح السلوفاكيون تحت اضطهاد الاقطاعيين المجريين

وفى أوائل القرن التاسع عشر ابتدأت الحركة القومية

التشيكية ، وبرغم خيبة الأمل في نجاحها أثناء الثورة الفرنسية عام ١٨٤٨ ، بقيت تناضل وتطالب بالاستقلال الاداري والسياسي على أساس الاتحاد الشخصي بامبراطور النمسا . ولكن هذه المطالب رفضت ولم يتحقق استقلال التشيك والسلوفاك إلا في ٢٨ اكتوبر عام ١٩١٨ بقيادة مازاريك وبنيس

وتضم الحدود التشيكوسلوفاكية الآن ما ينيف على خمسة عشر مليوناً من السكان منهم : ٧٫٤٤٧٫٠٠٠ تشيك أي أكثر من النصف بقليل ، و ٣٫٢١٨٫٠٠٠ ألمان ، و ٢٫٨٠٩٫٠٠٠ سلوفاك ، و ٧٢٠٫٠٠٠ مجريون ، و ٥٦٩٫٠٠٠ راتينيون ، و ١٠٠٫٠٠٠ بولونيون ، و ٢٦٦٫٠٠٠ جنسيات أخرى ويهود

ومما هو جدير بالملاحظة أن ما ينوف على الثلاثة ملايين من الألمان في تشيكوسلوفاكيا ، لم يكونوا قط تحت سيادة الحكومة الألمانية ، بل كانوا من الرعايا النمساويين المجريين

***

إن وجود هذه الأقليات المتعددة ضمن حدود الجمهورية التشيكوسلوفاكية ، خلق مشكلاتها ، مما جعل الرئيس مازاريك يعرّف مشكلة بلاده بأنها : « مشكلة الأقليات فيها »

وعند البحث في وضعية الأقليات الألمانية في تشيكوسلوفاكيا يجب التنبه إلى أن الأكثرية الساحقة من هذه الأقلية تعيش متجمعة . وأهم من ذلك أن هذه الجموع الألمانية تؤلف إطاراً محكماً على طول الحدود التشيكوسلوفاكية الألمانية . ولذلك يمكن القول بأن الأقلية الألمانية في تشيكوسلوفاكيا هي أقلية حدود . فوضعية هذه الأقلية الجغرافية تحول عملياً بين تحقيق ما تطلبه من الاستقلال الذاتي

ثم إن مصانع تشيكوسلوفاكيا واقعة في شمالي بوهيميا ومورافيا وسيلسيا ، في الأراضي التي يتكلم سكانها الألمانية ، لذلك لا تتساهل حكومة براغ في استقلال الألمان السوديت ، لأن ذلك يؤدي إلى خسران البلاد التشيكوسلوفاكية مصانعها الهامة التي هي من أعظم مواردها الاقتصادية ، إن لم تكن أعظمها ، وإلى استيلاء ألمانيا عليها

ومن نتائج وجود المصانع التشيكوسلوفاكية في الأقاليم المأهولة بالألمان ، تأثر سكان هذه الأقاليم الصناعية بالأزمة الاقتصادية . ومن الطبيعي أن التذمر من الأزمة الاقتصادية يؤدي إلى التذمر السياسي . فأخذت الأقلية الألمانية تتهم حكومة براغ باتباع سياسة التحيز ، سياسة السهر على مصلحة التشيك بإيجاد أعمال لهم ، وعدم الاعتناء بالعاطلين الألمان ؛ واتسع باب التذمر وتعدى الحدود الاقتصادية إلى الحدود الثقافية والادارية فاتهمت الأقلية الألمانية حكومة براغ أنها لا تراعي حقوق الأقلية في التعليم واستعمال لغتها ، ولا في تعيين الموظفين ، بل هي تخالف في أعمالها معاهدة الأقليات المؤرخة في ١٠ سبتمبر ١٩١٩

وكانت نتيجة هذا التذمر نزاعاً بين الأقلية والحكومة ، أدى إلى احتجاج الأقلية الألمانية على الحكومة التشيكوسلوفاكية في عصبة الأمم . وأدى هذا النزاع إلى توليد البغض الشديد بين التشيك والأقلية الألمانية

***

لم تبق المشكلة التشيكوسلوفاكية مشكلة محلية ، أي مشكلة أقليات ، حسب تعريف الرئيس مازاريك ، بل أصبحت منذ استلام النازي زمام الحكم في ألمانيا مشكلة دولية بتدخل ألمانيا في سياسة تشيكوسلوفاكيا عن طريق الأقلية الألمانية . والأقلية الألمانية في تشيكوسلوفاكيا ليست حزباً واحداً بل هي أحزاب ، منها من يريد الانضمام إلى ألمانيا ، ومنها من يريد البقاء متحداً مع حكومة براغ . ولما تسلم الحزب النازي الحكم رضي متطرفو الألمان في تشيكوسلوفاكيا به ، وأظهروا ميلهم إليه ، وقاموا بحركات عدائية نحو حكومة براغ ، مما أدى إلى حل الحزب الألماني القومي والحزب الاشتراكي القومي . وبعد ذلك بقليل قامت حركة جديدة بين الألمان السوديت بقيادة الهر هنلين ، فعظم شأنه وقوي حزبه

وقف الهر هنلين موقفاً يخالف موقف بقية زعماء الألمان في تشيكوسلوفاكيا ، إذ هم يعملون على إنالة الأقلية الألمانية حقوقها التي جاء ذكرها في معاهدة الأقليات مع بقائهم ضمن وحدة الجمهورية . أما الهر هنلين فطالب باستقلال السوديت الذاتي ، وتدخل في سياسة تشيكوسلوفاكيا الخارجية . وذلك صريح من خطابه الذي ألقاه في مؤتمر كارلسباد في ٢٣ ابريل سنة ١٩٣٨ إذ قال بعد أن ذكر مطالب حزبه الثمانية : « إننا نعلن رسمياً

وبصراحة أن سياستنا مستمدة من المبادئ والأفكار الاشتراكية القومية — مبادئ النازي — فان كان سياسيو التشيك يريدون الوصول إلى تفاهم دائم معنا نحن الألمان ، ومع الرايخ الألماني ، فعليهم أن يلبوا مطلبنا في التغيير التام لسياسة التشيك الخارجية التي قادت الحكومة حتى اليوم إلى صفوف أعداء الشعب الألماني »

أما المطالب الثمانية فتتلخص فيما يلي :

١ — المساواة التامة بين التشيك والألمان في المنزلة

٢ — ضمان هذه المساواة بالاعتراف للسوديت الألمان بكيان شرعي

٣ — تحديد المناطق الألمانية ضمن نطاق تشيكوسلوفاكيا والاعتراف بهذه المناطق قانونياً

٤ — منح هذه المناطق الاستقلال الذاتي التام

٥ — منح الحماية القانونية لكل مواطن يقيم خارج المنطقة الخاصة بجنسيته

٦ — إزالة المظالم التي نزلت بالسوديت الألمان منذ عام ١٩١٨ وتعويضهم عنها

٧ — الاعتراف بالمبدأ الذي يقرر توظيف الألمان في المناطق الألمانية

٨ — منح الحرية التامة لمن يرغب في الجنسية الألمانية

والهر هنلين يعمل على تنفيذ السياسة النازية الرامية إلى احتلال ألمانيا البلاد التي تتكلم أكثرية سكانها اللغة الألمانية، وإلى إلغاء المعاهدتين اللتين تربطان فرنسا وروسيا بتشيكوسلوفاكيا ، واللتين تضمنان لها استقلالها . وهذه السياسة ليست سراً ، فقد صرح الهر هتلر في خطابه بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٣٨ مذكراً الريشتاغ « أن ما يزيد على عشرة ملايين من الألمان يعيشون في بلدين مجاورين لحدودنا». وأضاف إلى ذلك قوله : «إن ألمانيا الحالية تسهر على مصالح الريخ الألماني الذي من مصلحته حماية هؤلاء الألمان الذين يعيشون وراء حدودنا ، والذين هم غير قادرين على نيل حقهم في الحرية العامة ، والشخصية ، والسياسية ، وفي اتباع مثلهم الأعلى » . وقد أجاب الدكتور هودزا رئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا في ٤ مارس على ادعاء حماية الألمان لحكومة براغ بأنها « تعني تدخلاً في شؤون بلادنا الداخلية ، وإذا كانت ملاحظات الهر هتلر تعني محاولة التدخل في شؤوننا الداخلية — تدخلا يتعارض مع مبدأ الاعتراف بسيادة الدول الأخرى — فان الحكومة التشيكوسلوفاكية تحتج ذلك كثيراً ، وهي لا تترك أحداً يشك في أن سكان هذه البلاد سيدافعون عن جميع عناصر استقلالهم كدولة بجميع ما لديها من قوى حينما يعتدى على هذه العناصر ... »

وبعد أسبوع اتخذت المشكلة التشيكوسلوفاكية شكلها الخطر على سلام العالم . لأنه في ١١ مارس اجتازت الجيوش الألمانية الحدود النمساوية ، وفي ١٣ مارس أعلن ضم النمسا إلى ألمانيا ، فأصبح في عشية وضحاها ثلثا عشرة الملايين الذين جاء ذكرهم في تصريح الهر هتلر في ٢٠ فبراير مواطنين ألمانيين . عندئذ أخذ السياسيون يتساءلون عن مصير الثلث الثالث ؛ هل تعامله ألمانيا كما عاملت النمسا ؟ ولكن وضعية هذا الثلث الدولية ليست بسيطة كما كانت وضعية النمسا لأن فرنسا وروسيا لا تقفان مكتوفتي الأيدي أمام اجتياز الجيوش الألمانية تشيكوسلوفاكيا ؛ وفي ذلك خطر على السلام ومن جراء ذلك تنشأ حرب عالمية

وفي الواقع لم تتردد فرنسا في إظهار موقفها إذ هي في اليوم التالي لضم النمسا إلى ألمانيا أكدت بكل صراحة وعزم ، أن فرنسا تنفذ تعهداتها لتشيكوسلوفاكيا المذكورة في معاهدتي ٢٥ يناير ١٩٢٤ و ١٦ أكتوبر عام ١٩٢٥ ؛ وفي ١٥ مارس أعلنت الروسيا بأنها ستقوم بواجباتها نحو تشيكوسلوفاكيا التي تقتضيها معاهدة الدفاع المتبادلة المؤرخة في ١٦ مارس عام ١٩٣٥ . وفي ١٤ مارس رفض رئيس الوزارة البريطانية التعهد لتشيكوسلوفاكيا بمساعدتها حين التعدي عليها ؛ غير أنه ذكر أن القوى البريطانية تساعد الدولة المعتدى عليها في نظر حكومة جلالته . ثم أضاف منذراً : « إنه عند ما ينظر في السلم أو الحرب لا تراعى فقط الواجبات الحقوقية ... وإنه من المحتمل أن بلاداً أخرى بجانب البلاد التي هي داخلة في النزاع تصبح حالا فريقاً فيه . وهذا الحكم صحيح بصورة خاصة على بريطانيا العظمى وفرنسا » ومعنى ذلك أنه إذا دخلت فرنسا الحرب لانقاذ تشيكوسلوفاكيا فان بريطانيا ستكون بجانبها

كان لهذه الانذارات الثلاثة وقع شديد في برلين ، وكان من نتائجها أن حفظ استقلال تشيكوسلوفاكيا ، وفتح باب المفاوضات بين حكومة براغ والهر هنلين لحل مشكلة السوديت .
وقد نصحت حكومتا لندن وباريس حكومة براغ بالتساهل مع رعاياها الألمان . وكانت حينئذ حكومة براغ آخذة في وضع نظام الأقليات ، فتقدم حزب السوديت الألماني إليها في ٧ يوليو (تموز) عام ١٩٣٦ بمذكرة عرض عليها فيها الدخول في مفاوضات على أساس تحقيق المطالب التي جاء ذكرها في المذكرة . وكان من المتفق عليه أن يظل محتوى المذكرة مكتوماً خلال المفاوضات بين الحكومة ورؤساء الأحزاب لتسهيل سيرها . وكان مفهوماً حينئذ أن مضمون هذه المذكرة لا يختلف عن المطالب الثمانية التي أعلنها الهر هنلين في خطابه الذي ألقاه في كارلسبارد في ٢٣ أبريل

اجتمع الدكتور هودزا في ٩ يونيو (حزيران) مع مندوبي الهر هنلين وباشروا المفاوضات . وفي ١٥ منه صدر بلاغ رسمي مشترك يشير إلى أن الاتفاق تم على أن تكون مذكرة السوديت ونظام الحكومة بشأن الأقليات بمثابة أساس مفاوضات بين الحكومة والسوديت

وفي ١٩ يوليو (تموز) نشر حزب السوديت الألماني المذكرة برغم أن المفاوضات مع الحكومة كانت لا تزال في دورها الأول وأن نصوص نظام الأقليات لم يعلم بعد ، وهي تحتوي على ١٤ طلباً رئيسياً ، يستخلص منها ولاسيما من الطلبين الخامس والسادس أن الألمان السوديت يريدون تنظيم الحكومة من جديد بصورة يصبحون فيها مستقلين تمام الاستقلال في إقليم السوديت ، وفي الوقت عينه يكون لهم صوت معادل لصوت التشيك في إدارة شؤون الدولة التشيكوسلوفاكية . وطلبات السوديت الألمان تعني في نظر براغ أن كل ألماني سيملك (استقلالا ذاتياً) يمطيه حقاً باتباع مجموعة أقسمت يمين الطاعة إلى (زعيم) لا إلى الدولة ، وأن مثل هذه المجموعة ستكون منظمة ومدارة حسب طريقة النازي ، فالنتيجة تكون تأسيس دولة أوتقراطية ضمن دولة ديمقراطية !

فهذه النقطة تظهر البون الشاسع بين مطالب الألمان السوديت وبين ما تريد حكومة براغ منحهم من الامتيازات

نعم إن نظام الأقليات لم يعلم مضمونه بعد بصورة رسمية ، غير أننا نعلم رسمياً أنه لا يحتوي على استقلال ذاتي لأي مقاطعة ما من مقاطعات البلاد التشيكوسلوفاكية ، وأن الحكومة مستعدة لقتل كل حركة انفصالية . ذلك ما صرح به رئيس الوزارة في ٧ يوليو (حزيران) ووزير الحقانية في ٨ منه

وقد نشر في ٢٧ يوليو ١٩٣٨ بطريق غير رسمي أن نظام الأقليات يتضمن ثلاثة عشر قسماً ، تحتوي :

— على المساواة بين جميع الموظفين بدون تمييز بين العناصر التابعة لها

— وعلى حرية انتخاب الجنسية التي يريدها المرء متى بلغ الثانية عشرة ، على أن يكون ملماً بلغة تلك الجنسية . أما اليهود فيحق لهم انتخاب الجنسية اليهودية — دون معرفتهم اللغة العبرية

— وعلى حماية الجنسية الشخصية ، بمعاقبة كل من يحاول تحويل جنسية آخر

— وعلى نظام التمثيل النسبي للعناصر في الوظائف وفي الشؤون الاقتصادية ، كالاعانات والأشغال العمومية

— وعلى النسبة في التعليم والاستقلال الذاتي للأقليات في التعليم والتربية

وعلى كل حال فقد حلت المفاوضات بين حكومة براغ والسوديت الألمان الأزمة التشيكوسلوفاكية ، ولكن هذا الحل ظاهري ؛ فظلت هجمات الصحافة الألمانية شديدة على سياسة الحكومة التشيكوسلوفاكية . ولم يكف الرجال المسؤولون في حكومة برلين عن التصريحات المدائية الشديدة ضد حكومة براغ . وكان الموقف ، ولا يزال ، معقداً وخطراً على السلام ، مما أدى إلى تدخل حكومة لندن تدخلاً فعلياً في المشكلة التشيكوسلوفاكية . فقررت بالاتفاق مع باريس : إيفاد اللورد رنسيمان إلى براغ ليكون محققاً ووسيطاً في مسألة الأقليات . فقبلت حكومة براغ وساطة بريطانيا ، ووافق السوديت على تحكيم اللورد رنسيمان

ويستخلص من إيفاد اللورد رنسيمان إلى براغ نتيجتان قوبلتا بالارتياح وهما : « أن الوصاية التي تتولاها انكلترا تستلزم عند

الاقتضاء كفالة أو ضماناً ، وأنه قد زاد الأمل في الوصول إلى اتفاق سلمي وضعف الخطر الذي كان يخشى من استخدام القوة » كما يقول مسيو بلوم رئيس وزارة فرنسا السابق ، في جريدة البوبلير

* * *

ولكن هل يوفق اللورد رنسيان في إيجاد حل ملائم لهذه المشكلة يرضى براغ من جهة ، وبرلين والألمان السوديت من جهة ثانية ؟

إن مهمة اللورد رنسيان صعبة ، إذ عليه التوفيق بين وجهتي نظر متعارضتين . فألمانيا ترمى إلى أبعد من إزالة المظالم عن الألمان السوديت وإعادة حقوقهم إليهم . وأقل حل تقبله ألمانيا ، وبالتالي يقبله السوديت الألمان ، هو استقلال السوديت الألمان استقلالا ذاتياً ، واتباع حكومة براغ سياسة خارجية لا تتضارب مع سياسة الرايخ الخارجية ، وذلك بترك حكومة براغ معاهدتي الدفاع مع فرنسا والروسيا ، واتباع سياسة تتمشى مع سياسة حكومة برلين ، أو على الأقل اتخاذ خطة حيادية شبيهة بوضعية بولندا . واتباع إحدي هاتين الخطتين ، في نظر حكومة براغ ، لا يتفق مع بقاء البلاد التشيكوسلوفاكية بلاداً مستقلة . وهي وهي تؤدى إلى انضمام الأقاليم التشيكوسلوفاكية المأهولة بالألمان إلى ألمانيا ، وإلى زوال الحصن العائق من طريق ألمانيا إلى أوربا الجنوبية والشرقية ، وإلى تمكين ألمانيا من استئناف السياسة التي أحبطتها الحرب العالمية عام ١٩١٨

وربما تقبل ألمانيا الآن حلا آخر أقل ملاءمة لها ، ولكن ذلك الحل لا يكون في نظرها إلا مؤقتاً . وفي الواقع اقترحت ألمانيا عقد مؤتمر رباعي من بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا لإيجاد اتفاق — مؤقت — لحل المشكلة التشيكوسلوفاكية . وفي اقتراحها هذا تريد تأجيل حل المشكلة التشيكوسلوفاكية إلى أوقات أكثر مناسبة لتحقيق سياستها ، وفي الوقت عينه تحاول إقصاء الروسيا عن كل اتفاق يتم بشأن حليفتها تشيكوسلوفاكيا

وعلى كل حال ستظهر لنا الأيام القريبة نتيجة جهود اللورد رنسيان . وسنرى ما يقترح من حل لهذه المشكلة المعقدة الخطرة على سلام أوربا

يوسف هيكل

حـــواء

يقول لى الأستاذان أديب عباسى وجميل الطوال إن مقدمة قطع حواء فى الرسالة الزاهرة لا تفى حق حواء، فأجيبهم :

كل ممروض يدعو له غيره إلا الشعر فإنه يدعو بنفسه لنفسه (الناظم)

فم يضحك

تلمّستُ وجهكِ بين الوجوه ... ووجه الحقيقـة لا يُدركُ

فلم أدرِ أيَّ دروب الحياة ... إلى دَرْكِ غايتـه أسلكُ

هُواتُكِ ما فتئوا حائمين ... على نور وجهكِ أو يهلكوا

تراموا إليـه حفاةَ العقول ... فما أدركوه ولا أوشكوا

ولو بصروا من وراء الدموع ... دموع الهوى بكِ لم يأفكوا

ولا كشفت سخريات الوجود ... لأعينهم عن فمٍ يضحكُ

رمز الحقيقة

(ختام الديوان)

جهلتُ الحقيقـةَ بين القصور ... وأخطأتها فى ظِلال الشجر

تلمّستها فى صَميم الحياة ... وفتشت عنها بطون السير

وقلّبت من صحف الكائنات ... صحائف تحمل شتى الصور

فلم أدر أيّةَ أرض تحـلّ ... ولا أىّ أفق لها مُستقرّ

أفوق السما هى بين الملا ... ئك أم هى فى الأرض بين البشر؟

وكم خضتُ فى غمراتِ السكون ... وأنعمتُ في صفحتيهِ النظر

أسائل عنهـا بهيم الظلام ... وأنشدها تحت ضوء القمر

فما بهر العين منها الضياء ... ولا رنّ فى السمع منها الوتر

ولما توسدتُ بين القبور ... ضريحك أدركتُ بعض الأثر

وقلتُ الحقيقة تحت التراب ... ورمز الحقيقة هـذا الحجر

الحرمانى

صلاح الدين وموقعة حطين

من أمين الريحـــاني

الى محمد اسعاف النشاشيبي

قرأ الأستاذ أمين الريحاني خطبة الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي في (موقعة حطين) فكتب هذا الكتاب ومنه قوله :

« حيا الله الأخ الأعز ، والصديق الأبر

حبر أحبار اللغة العربية ، حياه الله

كبير أنصار الوحدة القومية ، حياه الله

رافع أعلام النبوة الخضراء والحمراء

لإعزاز العرب

ولبلوغ الأرب

ولهدى من اغترب — حيّاه ، حياه الله

النافخ في الصور ، المنهض المحرّض المثير ، حياه الله

بحر البلاغة الزاخر ، وأفق المعاني الباهر ، وسراج البيان الساحر ، حيّاه الله

***

إن بيانه لإعصار فيه نار

وإنه لسماء تتلألأ بالأنوار

وإنه لبستان قلبه من النرجس وعينه من الجلّنار

وإنه لمعرض من بنات الأفكار ، بنات العرب الأبكار

معرض الحب والجمال

من بنات السهول

وبنات البوادي

وبنات الجبال

بنات العروبة والاستقلال ، حياه ، وحياهن الله

والسلام والصلاة على كل من يردون التحية ، ويسارعون فزعين مناصرين

الله أكبر ، الله أكبر ، والوطن الأعز الأقدر ، والاستقلال الأنم الأنور

الله والوطن والاستقلال

الله والوطن والاستقلال

لا حياة دون الثلاثة لأمة

ولا مجال ، حتى لشبح من الآمال

***

إن لندائك صوتاً بعيد الصدى والقرار

وإن بيانك لجدير بأكاليل من الغار

وبتهليل الأحرار

وبصلوات الأبرار

وإن إيمانك وإيماننا لمن لدن الجبار ، رب العلم والاقتدار

القائل بلسانك ولساني : اليوم جهاد وغداً انتصار

أمين الريحاني

***

وهذا قسم من تلك الخطبة وهو خاتمتها :

« محمد بن عبد الله ، محمد بن عبد الله !

نحن جماعتك ، نحن شيعتك ، نحن منتمون إليك ، منتمون إلى قرآنك ، منتمون إلى دينك

هل تريد أن نبيد ، هل تريد أن يبيد قرآنك ، أن تبيد لغتك

هل تريد أن تضيع بلادك ، أن تهلك أمتك ؟ ؟

محمد !

أدركنا ، أنجدنا ، خلّصنا ، أنقذنا ، نجّنا ؛ إن الأعادي تداعت[1] من كل صوبٍ علينا ، ونحن في الدنيا جنودك ، نحن في الدنيا رجالك ! !

أبا القاسم ، أبا القاسم !

إن التخلي عن الأحباب يوم الضنك ، يوم الضيق ، يوم البؤس ، يوم الكرب — ممقوت

أبا القاسم ، أبا القاسم ، إنا لسنا بالحريصين على الحياة ، إنا لسنا بالحريصين على بقاء ، إنا لسنا بالحريصين على هذه الدنيا وزينتها وزخرفها .

البقاء والفناء عندنا سواء ، الحياة كالممات ، والممات كالحياة . الوجود كالعدم ، والعدم كالوجود

(١) تداعت عليهم القبائل من كل جانب اجتمعت عليهم وتألبت بالعداوة

أبا القاسم ، أبا القاسم ! إنا إنما نبغي أن نكون فى الدنيا من أجلك لأجلك ، لأجل قرآنك ، لأجل لغتك ، لأجل عربيتك.

ولولا أنت ، لولا أنت لصحنا : حيٌّ على الفناء ، حيهل بالفناء ، وعلى الدنيا العفاء

هاتف من وراء الغيب يقول : لا تحزنْ ، لا تيأس ، لا تقنط

نور الدين ، صلاح الدين ، حطين

***

إنْ خذل قرآنى ، إن خذل دينى ، إن خذل إسلاميتى ، إن خذل عربيتى ، متسمّى بالخليفة فى بغداد ، متسمى بالخليفة فى القاهرة متسمى بالخليفة فى المغرب ...

إن خذلنى سلاطين مشتغلون بالملاهى ، قد ألهتهم غنى بنات الليل . وإنْ أولئك ، وإن هؤلاء إلا أسماء ، إن هم إلا هواء ...

إن خذلني خاذلون « كرهَ اللهُ انبعاثهم فثبّطهم وقيل : اقعدوا مع القاعدين »

إن خذلنى خاذلون مخذولون فعندى عندى محمديان ، بكريان ، عمريان ، علويان : عندى بطلان ، عندى سيفان من سيوف الله الدخرة ليوم باسلٍ ذى أيام (١) . كل واحد بأمة ، كل واحد بأمم جمّة ، كل واحد بجميع قَطين الأرض

عندى بطلان يجيئان وينقذان بلادى وأمتى ودينى وقرآنى وعربيتى ولغتى . خُذْ ، خذوا :

محمود بن الشهيد (٢) ويوسف بن أيوب ؛ ثم اذهب واذهبوا ، واشهدْ واشهدوا موقعة حطين !!!

قد أمسى الصليبيون فى الهالكين « وكم أهلكنا قبلهم من قرْنٍ ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم رِكزًا »

حِطّين ، حطين ، حطين !!!

لولا حطين ، لولا حطين لهلك المسلمون

لولا حطين ، لولا حطين لاضمحلت لغة الضاد . يوم بَدْر ، يوم اليرموك ، يوم حطين

***

(١) يوم ذوايام ويوم كأيام : شديد قال النابغة :

إنى لأخشى عليكم أن يكون لكم من أجل بغضائهم يوم كأيام

(٢) إن لم يشهد نور الدين هذا اليوم فهو الذى خرج صلاح الدين وحفظ البلاد حتى وليها طارد الفرنج

أيها الغربيون ، إرجعوا إلى بلادكم مذمومين مدحورين ! انقلبوا إلى دياركم خائبين مقهورين !

أيها الغربيون ! علمكم نور الدين وصلاح الدين مالم تكونوا تعلمون : علمكم المروءة والوفاء ، ومكارم الأخلاق والعدل ، وأن تكونوا متمدنين مهذبين . لكنكم ، لكنكم نلاميذ ألفينا كم بعد قرون (أرى الله بكم (١)) جهالا أغمارا ، غير كرام ، غير متمدنين ، غير مهذبين

***

نورَ الدين ! صلاح الدين ! إن القوم قد رجعوا ، إن القوم قد عادوا ، وأعادوها بعد قرون جَذَعة

***

اللنبى ، غورو ، قد أتانا ما قلتما ، فتعلّما أنها لما تنته

أيها الغربيون ! هذى بلادنا ، هذه الدار دارنا ، زايلوا بلادنا ، غادروا بلادنا . إنا لكم ، ولسلطانكم ، ولوجوهكم (شاهت وجوهكم ، لاحياها الله وجوها) ولمدنيتكم المموّهة الكاذبة المزوّرة ، ولظلمكم ولجوركم ، ولانتقامكم — من القالين ، من المبغضين ، من المنكرين ، من الجاحدين ، من الكافرين ...

هذى البلاد بلادنا . اخرجوا من بلادنا ! إلى بلادكم ! إلى بلادكم أيها الطارئون

***

هناك محمد ، هناك محمد ...

« والدهرُ بالناس دوّاريٌّ (٢) » ...

والدنيا دول ...

« وتلك الأيام (٣) ... »

« ووراء الغيب ما وراء الغيب »

(١) أرى الله بهم : نكل بهم

(٢) يدور عليهم بأحواله المختلفة

(٣) قال الله تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ، إن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين . أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين »

حنظل وتفـــاح !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

سقيتني يا دنيا بكأسيك في يوم واحد ! وكنت شاعرة حاذقة حين قدمت إلى هاتين الـكأسين فى وقت يكاد يكون واحداً ؛ حتى امتزجت فى مذاق المرارة بالحلاوة ... وكنت صديقة مخلصة ناصحة فى معاملتى حينذاك

قدَّمتِ إلى كأس الحنظل حين توجهت معزياً إلى عش ذى أفراخ زُغب طارت عنه صاحبته وبانيته: أمهم الحمامة الوديعة التى أتت بهم خمسة متلاحقين ، ثم مضت عنهم وخلّت بينهم وبين أبيهم ...

وجلست أنظر فيهم من الصغير إلى الـكبير — وسنه ثلاث عشرة سنة — ثم أحادث أباهم الواجم الباسم الجمول ... ثم أطير بخيالى لحاة إلى قبر الحمامة الولود ... ثم أرجع إلى نفسى أختزن فيها قوتها من بيدر الحزن الرفيع الذى أمامى ، لأن مادة نفسى فى مجاعتها ...

* * *

قال لى الفرخ الأصغر : أمى سافرت إلى بعيد ، وسترجع ، ومعها حلوى ولعب ...

فقال الذى يليه : لا ، أمى ماتت وبكيت عليها مع النسوان . قال هذا وهو يضحك ، فطفرت الدموع إلى عين الأكبر وحدَرَت ، فخرج من الحجرة ليخفى البكاء وخرج وراءه أبوه ، ووقفت أخته على باب بيننا وبينها ، وارتسمت علامات وجوم متدرجة على وجوه الأطفال بحسب أسنانهم وإدراكهم ، وبقى الأصغر يضحك وأنا أمامه أضحك بدموع ، وأرشف من الـكأس المرة !

ما ذا عسى الأب أن يقول لابنه الأكبر الباكى فى مثل هذه الحالة ليصرف عنه البكاء ؟ أيقول له إن أمك مسافرة وسترجع إليك بحلوى ولعب ؟ لا يصدق ... أيقول له : سلم لله لأن الموت آخر الحياة ، وهو منجل يحصد الناهل والباهل ... وما إلى ذلك من « أجرومية » التعازى ؟ لا يفهم ذلك لأنه لم يبلغ مبلغ من تطفئه هذه الأفكار ... إذاً فالأولى أن يتركه حتى يذهب عنه وجدان الحزن فتجف دموعه وحدها

وشعرت كأن روح الأم حضرت البيت فى ذاكرة الأطفال إزاء هذه الأزمة النفسية فبكى قلبي ، وتـكلفت المبالغة فى ملاعبة الأصغر حتى ألهيه عن أخيه وعن نفسى ، وجلست برهة ثم نهضت مثقلا ...

لو أننا نخدع فى إدراك المصائب كما خدع الأصغر ، أو لو أننا ندركها باردة بسيطة كما أدركها الذى يليه ، أو لو أننا ندركها إدراك ذلك الأب الصبور الجمول العارف بقوانين الحياة ، لـكان فى هذا نجاة من وطأتها على نفوسنا . أما أن ندركها إدراك كبير هؤلاء الأطفال من غير علة ولا تَسِلّة وعزاء ، فذلك أشد الألم ، لأنه ألم المصيبة وألم الحيرة فى إدراك أسبابها وعلاجها . هـذه كأس الحنظل ...

وأما الأخرى فقد تناولتها من يد الدنيا فى عشية ذلك اليوم نفسه فى عش يُبنى لفتى وفتاة ... والمدعوون جالسون كل منهم باش برسل نـكتة أو يضحك من نـكتة ، وفرح الحياة يترقرق فى الوجوه ترقرق الشراب فى كؤوس بلورية

وكان على شفتىّ بقية من كأس الحنظل التى شربتها فى الصباح فوجدت طعمها فيما قدم إلى من شراب العرس . وهنا أدركت أن دنياى شاعرة حاذقة ، وأنها ابتدأت تصاحبنى بصدق . وشربت كأس التفاح وأنا أجمجم بكلمات خفية كما يجمجم المجوس على الطعام ... وكانت هذه الـكلمات قصائد وصلوات تلاها فى حاقى ذاك المزيج الذى ذقت فيه خلاصة صنعة الدنيا الشاعرة .. والذى تحولت قطراته إلى كلماتها الآتية :

« إشرب ! إشرب ! ولا تخش السكر من هذه الـكأس التى مزجتها لك بيدى ! فإن ما فيهـا من أضداد تصطرع ، كفيل بأن يترك عقلك دائماً فى غاية الصـحو ... إشرب ولا يحاول لسانك أن يميز بين عنصرى هذا المزيج فيُبَلْبَل ولا يستطيع البيان ... إشرب وانظرنى دائماً فى قرارة الـكأس متجسدة عارية لعينيك ...

إشرب واحتفظ بمذاق هـذا الشراب دائماً حتى تستطيع تقدير الطعوم الأخرى ...

إشرب واحذر أن تحدث من يحيطون بك فى مجلس العرس

بما تجد فى كأسك فيقولوا عنك : « هذا سكران يهذى ... »

***

« طالما شربتَ من كأس الحنظل وحدها حتى سكرتَ بالألم فوقعت منك الكأس وتحطمت ...

وطالما شربت من كأس التفاح وحدها حتى سكرت من اللذة فوقعت منك الكأس وتحطمت ...

وقد تعودتم أن تضيفوا لفظة « السكر » إلى اللذة وحدها . ألا وإن للألم سكراً لا يقل شناعة وطيشاً وهذياناً وسفهاً عن سكر اللذة !

أنظروا إلى أبى العلاء المعرى ! إنه عندي لا يقل إثماً عن الأعمي الآخر بشار ، ولا عن أبى نواس !

لقد غرق المعرى فى كأس الألم وغرق الآخران فى كأس اللذة ففقدتهم جميعاً ...

لقد أتى المعرى بهذيان كثير جعله يخرج عن دائرة الحياة العاملة ويعيش جامداً على هامشي أما الحركة الدائمة المنيفة المنتظمة، يرصدنى من بعد فى محبسه بعينيه المنلقتين ، ويلمسنى فى خشونة وجهه المجدور ، ويذوقنى فى طعامه المحدود ، ويستنشق أجوائى فى محبسه الضيق الخانق ، ويرانى عدماً وفقداً لأنه أنهى حبل النسل الذى تناهى إليه من آدم ... فهذى فى كثير ولم يميز بين كثير من حقائقي وأباطيلي وحلاوتى ومرارتى وأزهارى وأشواكى ، وكان الحرمان المطلق جذوة شعره وباعث سكره ...

ولقد أتى الآخران بالهذيان المعهود لكم من سكارى اللذة الآثمة ، وما زالا كذلك حتى ارتعشت يداهما وعجزتا عن حمل الكأس الفاتنة

رفع أبو العلاء الكأس طافحة بماء الحنظل لا يرى لها لوناً ولا يشم رائحة وليس له نديم . وقد طال وقوف الكأس على يديه حتى ساغت فى حلقه على مرارتها ، وشعشعها بالظلام الدائم الساكن فى عينيه . تمر به مواكب الحياة بجليلها وحقيرها وجميلها وقبيحها فيراها من سكره بآلامه ، جنازة موتي وكومات أنقاض ... برغوثها كشحاذها يستحق الاحسان والاطلاق ، وفَرُّوجها كشبلها يستحق الاجلال والخشية ، وحشراتها وبهائمها تستحق الحياة الدائمة كانسانها ...

أليس هذا هذياناً كهذيان أبى نواس حين يرفع كأسه طافحة بماء العنب مشعشعة بنطاف دجلة وسناء الضحى ونور البدر ، يصطبح ويغتبق ويعبث بحرمات الحياة فى شغل عن دنيا الآلام الرفيعة والأمجاد والوصاية على مقدرات الأمم حتى « تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق » كما قال هو !

بلى ! إنهما وجهان للسكر فى الحياة بادمان الشراب ذي العنصر الواحد الذى يجعل المدمن ينظرني من جانب واحد »

***

كذلك كانت الدنيا تحدث نفسى فى مجلس بناء عش جديد بعد مجلسها فى العش المنهدم . ولم أشعر بأن نفسى بلغت من الفقه والحكمة إلى حد أن تأكل التفاح بشفتين عليهما مرارة الحنظل كما شعرت بها فى ذلك المجلس !

ولقد صحوت بعد ذلك من السكر المطلق بالألم كما صحوت من السكر المطلق باللذة . وسآخذ بوصية دنياي الصديقة الشاعرة لأظل دائماً يقظان صاحياً غير مخمور بنشوة ولا لوعة .

عبد المنعم خلاف

الطريقة العلميـــة

او القواعد الاربع للبحث والتفكير [١]

للفيلسوف الفرنسي الكبير رينيه ديكارت

بقلم السيد أحمد محمد عيتاني

« رينيه ديكارت أشهر من أن يعرف ، فهو أبو الفلسفة الحديثة ، وواضع أسسها ، وباني كيانها . عاش في القرن السابع عشر ، وألم بجميع فروع الفلسفة ، وترك لنا مؤلفات عديدة فيها ، كلها ذات قيمة فذة ، لما احتوت عليه من الحقائق العلمية ، والملاحظات الدقيقة ، والنظريات والآراء التي أحدثت هزة عنيفة في عالم العلم والفلسفة، فغيرت مجرى بحوثهما ، وحتمهما على الاتجاه في اتجاه جديد كان نتيجة لها . من بين هذه المؤلفات التي وضعها ديكارت ، رسالة صغيرة ، بسط لنا فيها موجز تاريخ حياته العلمية ، وعرض الظروف والمناسبات التي ساعدته في الوصول إلى طريقته العلمية الخاصة ، التي بنى عليها بحوثه العلمية والفلسفية ، وقد أسمى هذه الرسالة « رسالة الطريقة أو القاعدة » ووضعها باللغة الفرنسية ، فكانت أول مجهود فلسفي كتب بهذه اللغة ، وكان في ذلك خروج على عادة الفلاسفة والعلماء الذين ألفوا أن يكتبوا أبحاثهم ويدرسوها باللغة اللاتينية ، ولهذا كان أسلوب المؤلف في رسالته أسلوباً جامداً معقداً غامضاً في بعض المواضع ، طويل الجمل ، كثير اللف والدوران ، يصعب فهمه لأول وهلة ، ولكن هذا لم يضع من قيمة الرسالة ، ولم يمنعها من أن تكون من أجل مؤلفات هذا الفيلسوف الكبير خطراً وأبعدها أثراً ، لما اشتملت عليه من القواعد العلمية ، والنظرات الصائبة . وفيما يلي فصل من فصولها ، يصور لنا الظروف والمناسبات التي أحيط بها المؤلف قبيل وضعه قواعده الأربع التي صاغ فيها طريقته العلمية ، واتبعها في قيادة عقله للبحث عن الحقيقة والعلم الصحيح »

« أحمد عيتاني »

كنت يومذاك في ألمانيا [٢] . وقد دعتني إليها مناسبة الحرب التي لم تكن قد انتهت فيها بعد [٣] ؛ واتفق أني بينما كنت عائداً من حفلة تتويج الامبراطور [٤] لألحق بالجيش ، أدركني الشتاء ، وأوقفني في إحدى الثكنات العسكرية ، وهناك لم أجد ما ألهو به ، ولم يكن لدى من حسن حظي ما يشغل بالي من الشئون والأعمال ، فكنت أقضي سحابة نهاري ، منزوياً في غرفتي ، حيث وجدت المجال الكافي من الزمن لأستعرض أفكاري وأخلو بها

امتياز الاعمال المكونة من جهود كثيرة متباينة

كان في طليعة تلك الأفكار ما لاحظته من أن الأعمال المكونة من أجزاء وأقسام كثيرة ، إذا اشتغلت فيها عدة أيام ، أصبحت وليس فيها من الروعة والابداع ما في أشباهها من الأعمال الأخرى التي لم تمتد إليها سوى يد واحدة :

فالبناء الذي أشرف عليه وأنجزه مهندس واحد أكثر جمالاً ونظاماً من سواه من الأبنية التي عمل فيها الكثيرون ، والتي رممت مراراً ، وبنى على أسسها الهرمة أبنية لم تكن معدة لها .

وكذلك المدن القديمة التي أصبحت من الزمن مدناً كبيرة ، بعد أن كانت قرى وضياعاً ، فهي عادة فوضى في بنائها ، إذا قيست بتلك المدن الحديثة التي وضع تصميمها مهندس واحد قبل المباشرة في بنائها . ونحن لو نظرنا إلى أبنية تلك المدينة القديمة لوجدنا أن فيها ما لو أخذناه على حدة لما كان يقل فناً وروعة عن أبنية المدن الحديثة ، ولكن نظرة واحدة تظهر لنا ما هي عليه من النظام والوضع : فهنا بناية كبيرة ، وإلى جانبها أخرى صغيرة ، وكلها تتحكم بالشوارع والطرق ، فتردها متعرجة : عريضة هنا ، ضيقة هناك .

وكذلك الشعوب المتوحشة سابقاً ، تلك الشعوب التي لم تتحضر إلا شيئاً فشيئاً مع مرور الزمن ؛ وبقدر ما كانت تدفعها إلى ذلك مغايرة الخصومة والنزاع للحياة فقد رأيت أن ليس بامكانها أن تضاهي بنظامها تلك الأمم الأخرى التي عرفت الحضارة منذ أقدم العصور ، فاجتمعت كلمتها وأجمعت على اتباع دستور واحد يضعه لها مشرع حكيم .

وكان في حكم الثابت لدى أن حكومة الدين الحق ، هي مطلقاً وبدون منازع ، خير الحكومات نظاماً ، لأنها من صنع الله تعالى وحده . ولم لا نقصر كلامنا على الأمور البشرية ؟ فأنا أعتقد أن مدينة اسبرطة إذا كانت قد ازدهرت قديماً فليس

---

(١) عما قريب تظهر الترجمة الكاملة لهذه الرسالة ، مصدرة ببحث مستفيض عن حياة ديكارت ومؤلفاته العلمية والفلسفية ، وموجز لآرائه ونظرياته المختلفة ، في كتاب اسمه « ديكارت وقواعده العلمية »

(٢) انخرط ديكارت في سلك الجيش الهولاندي في سنة ١٦١٧ — ١٦١٩ واشترك معه في حروب كثيرة ، مدفوعاً إلى ذلك بحب الاطلاع على مختلف نواحي الحياة والالمام بسائر وجوهها .

(٣) يشير إلى الحرب التي حدثت في بافيار ، إحدى المقاطعات الألمانية ، في نوفمبر ١٦١٩ .

(٤) هو فرديناند الثاني ملك بوهيميا وهنغاريا ، وقد توج أمبراطوراً في فرانكوفرت في ٢٨ يونيه ١٦١٩

ازدهارها عائداً إلى أن كل قانون من قوانينها كان صالحاً فى ذاته، فلقد كان فى قوانينها شىء كثير مما هو غريب ومغاير للحق القديم ، وإنما ازدهارها عائد إلى أنها اتبعت تشريعاً واحداً ، وضعه شخص واحد ، كان يرمى فى جملته إلى غاية واحدة .

ورأيت أيضاً أن ما تشتمل عليه الكتب والمؤلفات من علوم ونظريات، إنما تكوّن من آراء كثير من الأشخاص المختلفين ، شيئاً فشيئاً . لذلك لم يكن — أو على الأقل تلك العلوم التى لا تملك سوى أسباب تقريبية والتى لا يقوم عليها دليل ولا برهان — أقرب إلى الحقيقة ، من ذلك التفكير البسيط الذى يقوم به شخص عادى ذو عقل سليم فى بعض ما يعرض له من الأشياء .

هذا وقد بدا لى أيضاً أننا وقد كنا جميعاً أطفالاً ، قبل أن نكون رجالاً ، وأننا مكثنا زمناً طويلاً تحت سلطان أساتذتنا وسيطرة ميولنا ، وهما ضدان ، كلاهما لا يمحضنا النصح ولا يهدينا سواء السبيل ، فمن المستحيل تقريباً أن نكوّن لأنفسنا أحكاماً نزيهة ثابتة ، كما كان شأننا لو وسعنا استعمال تفكيرنا منذ ميلادنا دون أن نركن لقيادة سواه[1]

صعوبة الإصلاح العام

نعم ، إننا لم نر أبداً من يدمر منازل مدينة ما لمجرد الرغبة فى تجديدها وتجميل طرقها وشوارعها ، ولكننا نرى كثيراً من الناس يهدمون بيوتهم بأيديهم ليعيدوا بناءها ثانية، وربما وجدوا أنفسهم أحياناً مرغمين على القيام بهذا العمل ، حين يشعرون أنهم فى خطر، وأن بيوتهم هذه ذات أسس واهية فهى تكاد تنقض على رؤوسهم .

وعلى هذا فأنا موقن بأن ليس هناك إنسان واحد يحاول إصلاح دولة ما بقلبها رأساً على عقب ، أو بتدميرها وبنائها ثانية ؛ كما أنى موقن أن ليس هناك شخص واحد يحاول إصلاح الهيكل العلمى أو نظام تدريسه السائد فى المعاهد كلها

إمكان الإصلاح الخاص

أما آرائى وأفكارى التى تسربت إلى نفسى فلا أرى أفضل من نزعها عنى تماماً لأعيد غيرها ، أو أعيدها نفسها ثانية ، أو أعيد قسما منها بعد أن أحكم عقلى فيها ، وبهذه الوسيلة أستطيع أن أنجح فى حياتي نجاحاً أعظم مما لو بنيت على أسس خاطئة ، أو استندت إلى مبادئ تلقنتها أثناء صباى ، واعتقدت بها دون أن أمحص حقيقتها . ولقد شعرت أن عملى هذا لا يخلو من صعوبات جمة ، إلا أنها صعوبات يمكن تذليلها ، وهى لا تماثل تلك الصعوبات التى يجدها المرء فى إصلاح أيسر الأمور التى تمس المجتمع : فالأجسام الضخمة هذه ، إذا هدمت فهى صعبة البناء ، وإذا هزت فهى صعبة الامساك ، وإن سقوطها لا بد أن يكون قاسياً

أثر العادة فى الشئون العامة

هذا ، ولو كانت هناك مساوئ فى بعض شؤون المجتمع ، وهى مساوئ لا بد من وجودها ، ينم عليها ما بين شؤون المجتمع وأموره من تباين وتناقض ، فالعادة ولا شك قد لطفت كثيراً من حدتها ، وأصلحت الشيء الكثير منها ، وجعلتنا نتحاشى منها ما لم يكن فى الإمكان تحاشيه بمهارتنا . أضف إلى ذلك أن احتمال هذه الأمور — على ما فيها من مساوئ — أيسر من تغييرها . وما مثل ذلك إلا مثل الطرق التى تسير بين منعطفات الجبال ، فهى تصبح مع الزمن طرقاً منبسطة ملائمة للسير من كثرة ارتيادها ، ويكون أيسر على المرء أن يسلكها من أن يحاول السير فى خط مستقيم ، متسلقاً النجاد وهابطاً الوهاد

غاية ديكارت فى رسالة

لذلك لا أستطيع مطلقاً أن أفهم تلك الطائفة من الناس ذات الأمزجة الثائرة ، والعقول الحائرة ؛ تلك الطائفة التى لا تنفك تفكر فى أن تدخل على شئون المجتمع شيئاً من التقويم والتعديل ، وذلك رغماً عن أن ليس لها من المكانة والجاه ما يؤهلها لذلك . ولو أنى رأيت في رسالتى هذه ما يبعث على اتهامي بهذا الضرب من الجنون لكنت جد آسف ، ولأحجمت عن نشرها ، لأن غايتى منها لم تتعد مطلقاً ما أريده من إصلاح آرائى الشخصية ، لأبنى فيا بعد على أسس هى ملك لى كلها . وإذا أخرجت إلى الناس هذا النموذج من عملى ، وقد راقنى بعض الشيء ، فليس معنى ذلك أنى أدعوهم للضرب على وتيرتى ، لا ! فأنا أخشى اجتراء الكثيرين على ذلك ، فإن إرادة النفس على

(١) وذلك لأن ميولنا ذات صبغة ذاتية ، ولأن أساتذتنا يحاولون نقل آراء غيرهم إلينا أو نقل آرائهم التى اقتنعوا بها وتبنوها دون غيرها

التجرد من جميع ما اكتسبته قديماً من الآراء ، لا يجب أن يكون مثالا يحتذيه كل إنسان . ذلك لأن العالم يشتمل على نوعين من العقول البشرية ، وكلاهما لا يصلح له هذا العمل أو هذا المثال

فالنوع الأول هو تلك العقول التي تقــدر ذاتها أكثر مما هي حقيقة ، فلا تتمالك من أن تتسرع في أحكامها ، ولا تجد من الصبر ما يكفي لأن تقود تفكيرها بانتظام . ومن هنا ينتج أنها إذا منحت نفسها حرية الشك فيما تلقنته من المبادئ ، وحادت عن الجادة العامة ، ولو مرة واحدة ، لم تعد تستطيع أبداً الاهتداء إلى الطريق التي يجب أخذها للسير في طريق قويم ، فتبقى تائهة طيلة حياتها

والنوع الآخر هو تلك العقول التي لهــا من التواضع وبعد النظر ما يحملها على أن ترى ذاتها أقل قدرة على تمييز الخطأ والصواب من بعض عقول أخرى ، فهي ترى إمكان التتلمذ على هــذه العقول ، وهي ترى واجباً اتباع آرائها دون أن تكلف نفسها عناية البحث عما هو خير منها

أما أنا فلقد كنت ولا شك في عداد تلك الطائفة الأخيرة ، لو لم أتتلمذ على أكثر من أستاذ واحد ، ولو لم أطلع على ما بين آراء الفلاسفة من تباين وتناقض ، في كل عصر وزمن ، فلقد لست منذ أيام الدراسة أن ليس هناك ما يمكن أن يتصوره العقل مما يدعو إلى الدهشة ويجل عن التصديق إلا ويكون قد أثر عن الفلاسفة وعزى إليهم

العرف والمعرفة الصحيحة

ولست وأنا أتجول وأتنقل أن جميع أولئك الذين تتضارب أخلاقهم وعاداتهم مع أخلاقنا وعاداتنا ليسوا برابرة ولا همجاً لمجرد هذا التضارب ، بل إن فيهم كثيرين ممن يعقلون مثلما نعقل أو أكثرمما نعقل. ولاحظت كم يكون الشخص الواحد ذوالعقل الواحد إذا نشأ في وسط إنكليزي أو فرنسي مختلفاً عن نفسه ، فيما لو نشأ في وسط صيني أوهندي. بل وجدت أن الزي الواحد من أزيائنا الذي كان يروقنا منذ عشر سنين ، والذي ربما راقنا بعد عشر سنين أيضاً ، قد يبدو لنا الآن غريباً مزرياً . وهكذا يتدخل العرف وتتدخل العادة لاقناعنا أيضاً أن ليس هناك معرفة أكيدة صحيحة

القواعد الأربع

إذاً فلم يكن في مقدوري اختيار شخص يبدو لي في آرائه ما يدعوني إلى إيثارها على آراء سواه ، وبذا ألفيتني مرغماً على أن أقود نفسي بنفسي ، ولكني عزمت على أن أسير متمهلاً كمن يسير وحده في الظلام ، وأن أتفطن إلى كل شيء بحيث لو لم أتقدم إلا ببطء احترست على الأقل من الزلل . وقد أبيت المباشرة بنزع أية فكرة من الأفكار التي تسربت إلى نفسي عن غير طريق العقل قبل أن قضيت زمناً طويلاً في تهيئة خطة العمل الذي حملت نفسي عليه ، والبحث عن الطريقة القويمة التي توصلني إلى كل ما يستطيعه عقلي

كنت درست في صباي بين فروع الفلسفة شيئاً من المنطق، ودرست بين الرياضيات الجبر والتحليل الهندسي ، وهي ثلاثة علوم أو فنون كان ضرورياً أن أجد فيها شيئاً مما شرعت في البحث عنه ، ولكني عند فحصها وجدت أن قضايا المنطق ومعظم تعاليمه تستعمل لبيان ما يعرفه الناس لا لتعليمهم ما يجهلون ، أو هي كفن لول[1] تستعمل للتحدث دون ما تفكير فيما نجهله من الأشياء ، وأنها وإن اشتملت على كثير من القواعد الصحيحة القيمة ، فهي جامعة أيضاً لكثير من القواعد الزائدة أو الضارة ، وهذه يصعب فصلها عن تلك كما يصعب إخراج تمثال للالهة ديانا أو الالهة مينرفا من قطعة من الرخام لم تقطع بعد . أما التحليل الهندسي القديم والجبر المحدث فهما لا يتناولان سوى معنويات ليس لها أية فائدة واضحة . فالتحليل الهندسي يقتصر على النظر إلى الأشكال الهندسية ، ولا يجلوها إلا إجهاد الخيال إجهاداً عظيماً. والجبر مستمسك بقواعد وأرقام جعلته فناً غامضاً مهوشاً يشوش العقل بدلا من أن يغذيه

كل هــذا حدا بي إلى التفكير في وجوب البحث عن قاعدة تضم محاسن قواعد هذه الفنون الثلاثة وتكون بمنجى عن شوائبها؛ إلا أني رأيت أن كثرة القواعد والقوانين وتعدادها يــبيان عادة مساوئها ، بحيث أن الدولة ذات العدد القليل من النظم والقوانين تكون أكثر نظاماً وقوانينها أدق رعاية ، ولهذا رأيت

(١) كاهن فرنسي وضع فنا سماه باسمه يساعد على الاستنتاج الآلي الذي لا يستند إلى أي تفكير

أن أكتفى بالقواعد الأربع الآتية على أن أوطد النية والعزم على ألا أخرج عنها فى حياتى أبداً

١ – طريقة الوضوح

فالقاعدة الأولى هى : ألا أنظر إلى أى شىء بعين الحقيقة إلا بعد أن أدرك أنه كذلك . ومعنى هـذا أنى أتلافى التسرع والتنبؤ ، ولا أتبنى من الآراء إلا ما تجلى لعقلى بوضوح وسرعة يحولان دون الشك فيه

٢ – طريقة التحليل

والقاعدة الثانية هي : تجزئة كل مشكلة من المشاكل التى أقوم بدراستها إلى أكبر عدد من الأجزاء يمكن ويجب أن تنقسم إليه ، وذلك للتمكن من حلها على أصلح وجه

٣ – طريقة التدرج

والقاعدة الثالثة هى: تسيير تفكيرى بانتظام ، فأبدأ بأبسط الأمور، وأسهلها فهماً وأصعد تدريجاً لمعرفة أكثرها تعقيداً مع افتراض وجود النظام أيضاً بين الأمور التى لا يتعلق بعضها ببعض

٤ – طريقة الإعادة والاستقصاء

أما القاعدة الرابعة والأخيرة فهى : القيام باحصاءات تامة ، فى كل لحظة، والقيام باعادات عامة، لأتأكد من أنى لم أهمل شيئاً

أحمد محمد عيتانى

عضو بعثة جمعية المقاصد فى معهد التربية

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعى

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٣٧ –

مقالاته للرسالة (٨)

هلّ هلال المحرم ، وتهيأت الرسالة لاصدار (العدد الممتاز) فى ذكرى الهجرة ، فكتبتُ إلى الرافعى فيمن كتبت من أسرة الرسالة ، تطلب إليه أن يهيئ موضوعاً مناسباً لذكرى الهجرة ، وضربت له أجلا . واستبق الرافعى الميعاد فأعدّ قصة «اليمامتان» وبعث بها إلى الرسالة قبل موعد العدد الممتاز بأكثر من أسبوع. وحسبت الرسالة أنه بعث إليها بمقاله الأسبوعى المتاد ، وأنه ما يزال يعدّ موضوعه للعدد الممتاز ، فنشرت قصة اليمامتين قبل موعدها ، وكتبت إليه تستنجزه المقال الثانى . وكان الرافعى متعب الأعصاب ، يشكو وجعاً فى أضراسه يثقل رأسه ، وقد غاظه أن الرسالة فوّتت عليه الفرصة فسبقت إلى نشر القصة التى أعدها للعدد الممتاز قبل موعدها وتركته فى حيرته ، ولم يجد فى نفسه خفة إلى العمل ، فذهب إلى أوراقه القديمة يفتش بينها عن موضوع خليق بالنشر فى هذه المناسبة ، فوقع على مقالة «حقيقة المسلم» ، وكان كتبها قبل ذلك بسنتين إجابة لدعوة جمعية الكشاف المسلم لشام ، ونشرها بالأهرام فى ذكرى المولد النبوى لسنة ١٣٥٢ هـ فبعث بهـا إلى الرسالة لتنشر فى العدد الممتاز لسنة ١٣٥٤ هـ

يتحدث الرافعي فى قصة اليمامتين عن الفتح الاسلامى ، وأخلاق العرب ، وتعريب مصر الفرعونية الرومانية ، وفتنة القبط بسجايا العرب ومزايا الاسلام ؛ وفيها إلى ذلك حديث عجيب عن الحب والمرأة فى قصة خيالية افتعلها الرافعى ليبلغ بها ما فى نفسه من معانى الحب ؛ ثم جمل فى خاتمتها « نشيد اليمامة »

اليمامة التى تقول الرواية العربية إنها تحرّمت فى جوار عمرو ابن العاص فنمته أن يقوّض فسطاطه !

كان لهذه القصة عند الرافعى وعند قراء الرسالة عامة موقع لم تبلغه قصة سعيد بن المسيب . وقد افتتن بها كثير من القراء ، حتى كان منها أن اهتدى إلى الاسلام أستاذ مسيحى من أساتذة التاريخ فى بلاد الجزائر ، فكتب إلى الرافعي رسالة يعلن فيها إليه إسلامه ، ويسأله الوسيلة إلى دراسة هذا الدين والتفقه فيه . ولم أعثر بعد على هـذه الرسالة بين ما خلّف الرافعى من رسائل أصدقائه إليه

ومن اعتداد الرافعى بهذه القصة وبما بلغ فيها من التوفيق ، جعلها فاتحة كتابه « وحى القلم »

***

ولم يكفه أسبوع للاستجام والخلاص مما يعانى من وجع الضرس وتعب الأعصاب ، فاستراح أسبوعاً آخر وبعث إلى الرسالة بالجزء الثالث من « كلمة وكليمة »

ثم وقعت حادثة اهتزت لهانفس الرافعى اهتزازاً عنيفاً ونقلته من حال إلى حال ...

جلست يوماً إليه نتحدث من أحاديثنا ، فقال : « . . . إن صديقنا الأستاذ . م . لم يكتب إلينامن زمان .. ليت شعرى ما منعه عنا . إن بى قلقاً عليه وفى نفسى أن أراه أو أعرف من خبره ! »

وفي صبيحة اليوم التالى طالعتنا الأهرام بخبر غامض : « .. أن شابا من الأدباء ، هو ابن شيخ كبير من شيوخ الأزهر ، قد حاول الانتحار بقطع شريان فى يده ! »

وقرأ الرافعى الخبر فاربدّ وجهه وانفعلت نفسه ، وقال : « اقرأ ، إنه هو ... ! »

قلت : « من تعنى ؟ »

قال : « صديقنا الأستاذ . م ، لقد غلبه شيطانه على دينه آخرة أمره . غفر الله له ! »

فجزعتُ وطارت نفسى ، وقلت له وأكاد أغصّ بريقى : « م ؟ إنك لتتوهم ، وإنك مما تفكر فى شأنه ليُخَيل إليك . إن لصديقنا لديناً ، وإن فيه لتحرُّجا وخشية ؛ وما أراه فى أى أحواله يقدم على هذه الجريمة ! »

ولـكن الرافعى لم يلتفت إلى ما أقول ، وأخذ يحوقل ويسترجع ويستعيذ بالله من غلبـة الهوى وفتنة الشيطان . ثم مد يده إلى مكتبه فكتب رسالة إلى م يسأل عن حاله وخبره ويرجو له العافية فى دينه ودنياه ؛ ثم يطلب إليه أن يصف له ما كان منه وما حمله عليه وما آل إليه أمره ؛ ولم ينس مع كل أولئك ومع ما تفيض به نفسه من الحزن والألم أن يرجوه « الدقة فى وصف المرحـلة التى كان فيها بين الحياة والموت ؛ فانها المرحلة التى لا يحسن أن يصفها إلا من أحسّ بها ... »

وصديقنا الأستاذ . م . أديب واسع المعرفة ، له دين ومروءة ، وفيـه تحرج وخشية ؛ وقد نشأ فى بيت له ماض فى الدعوة إلى الاسلام والدفاع عنه والذّود عن حرماته ؛ وهو شاب عزب ، بعيد الخيال ، دقيق الحس ، مرهف الأعصاب ؛ وعلى أنه يعيش فى ظل وارف ونعمة سابغة ، فانه من سعة خيـاله ودقة حسه وحدة أعصـابه متشائم النظرة ، لا تراه إلا رأيت فى وجهه وعلى طرف لسانه معنى دفينا من معانى الألم ؛ وما يرى نفسه فى أكثر أحواله إلا غريبا فى هذا العالم وبين هذا الناس ؛ فان له من خياله دنيا غيرَ دنيا الناس ، وعالماً غير هذا العالم ، يتمثل فيه المثل الأعلى الذى أعياه أن يبلغه على هـذه الأرض . وكان بينه وبين الرافعى ودّ وله فى نفسه مكان ؛ فكان له سره ونجواه منذ كان فتى يافعاً لم يبلغ العشرين . وكان الرافعى يعتد بصداقته ويقرّ إليه ويعجب بدينه وتقواه ويتوقع له مستقبلا مجيدا بين المجاهدين من أهل الأدب ودعاة الاسلام .

فلما بلغ الرافعى نبأ شروعه فى الانتحار جزع وتطير وضاقت نفسه ، وناله من الهم مالم ينله لحادثة مما لقى من دنياه . فمن أجل هذه الحادثة أنشأ الرافعى مقالات « الانتحار »

ولم يكن الرافعى يعلم من أحوال صاحبنا ما دفعه إلى هـذه المحاولة الطائشة ؛ فأخذ يتكهن وينتحل الأسباب ليبنى عليها الحديث والقصة ؛ فما جاء جواب الأستاذ (م) إلا بعد المقالة الثالثة ، فأخذ من هذا الجواب مادة الجزء الرابع من هذه المقالات ، وجعل الحديث فى هذا الجزء على لسان « أبى محمد البصرى » وهو يعنى الأستاذ (م) ، فهو هو وكلامه كلامه فى جملته ومعناه ، لم يغير منه الرافعى إلا قليلاً من قليل . فما يدل على

حالة صاحبنا إلا المقالة الرابعة من هذه المقالات الست . أما ما عداها مما سبق أو لحق ، فهي قصص مفتعلة من وحي هذه الحادثة في نفس الرافعي

ومقالات الرافعي في « الانتحار » هي باب من الأدب لم ينسج على منواله في العربية من قبل ؛ فيها فنه القصصي ، وفيها روح المؤمن الذي لم تفتنه دنياه من ربه ؛ وفيها إلى ذلك شعر وفلسفة وحكمة ، وقلب رجل يعيش في حقيقة الحياة

***

وكان بين الرافعي والأستاذ حسن مظهر محرر اللطائف المصورة مودة . فلما تولى تحرير اللطائف كتب إلى الرافعي يرجوه أن يكتب فصلاً لقراء اللطائف عن « سحر المرأة » ؛ فكتب فصلاً بديعاً يصف فيه نفسه وصاحبته (فلانة) في أول لقاء بينهما

فلما فرغ من مقالات « الانتحار » تناول هذا الفصل فزاد فيه ما زاد وبعث به إلى الرسالة بعنوان « ورقة ورد » لأنه سار فيه على نهج كتابه المعروف « أوراق الورد » فهذا الفصل عنده هو من تمام هذا الكتاب

***

وكان من زملاء الرافعي في محكمة طنطا الأديب فؤاد ... وهو شاب له ولوع بالأدب ؛ وعلى أنه زوج وأب ، فانه كان بأناقته ولباقته مرعى أنظار كثير من الفتيات ، وكان له في الغرام جولان ...

ثم فاء إلى نفسه بعد حين ، فانصرف عن اللهو والغزل إلى شئون أسرته وولده ؛ وراح ينشر بعض مغامراته الغرامية في إحدى الصحف الصغيرة التي تصدر في طنطا ...

وقرأ الرافعي بعض ما ينشر صاحبنا ، فرأى « علماً جديداً » لم يدخل إليه من باب ولم يقرأه في كتاب ؛ فأرسل يستدعي صاحب هذه المقالات إليه ليفيد علماً من علمه ومن تجاربه ... !

وجلس صاحبنا يتحدث إلى الرافعي ويقص عليه ، والرافعي صاغ إليه ملذوذ بما يسمع ؛ فما انتهى صاحبنا من حديثه حتى كان على موعد مع الرافعي أن يحضر له طائفة من مذكراته ورسائل صواحبه ، لعله يجد فيها موضوعاً يكتبه لقراء الرسالة

فمن هذه المذكرات ومن هذه الرسائل استملى الرافعي مقالات « الطائشة » و« دموع من رسائل الطائشة » و« فلسفة الطائشة » ...

فهذه القصة حقيقية لا افتعال فيها ، وليس فيها شيء من صنع الخيال ؛ وما حكى الرافعي من رسائل الطائشة هو من رسائلها نفسها كما نقلها إليه صاحبها ؛ وفلسفتها هي فلسفتها كما فهمها الرافعي من رسائلها ومما كان من أمرها مع صاحبها

لقد نال الرافعي من ملامة الفتيات ما ناله بسبب هذه المقالات، وقرأها أكثر من قرأها منهن على أنها قصة من الخيال اخترعها الرافعي ليحتج بهـا فيما يحتجّ لمذهبه في الحب والمرأة وتجديد الأخلاق . والحقيقة فيها هي ما قدّمت ؛ وقد زاد الرافعي إيماناً بمذهبه بعد هـذا الذي سمع من صاحبه وقرأ من مذكراته ومن رسائله !

ولم يكتب الرافعي قصة « الطائشة » على أنها قصة ؛ إذ كان صاحبها قد كتب قصتها على طريقة من فنه ؛ فآثر الرافعي أن يتناولها من أطرافها ليحكم بها حكمه ويتحدث عن رأيه في طائفة من فتيـات العصر ؛ فترك صلب القصة ليكون حديثه عن التعليق والحاشية

وقد قرأت القصـة مع الرافعي كما أنشأها كاتبها ؛ فـكان الرافعي يقف عند كثير من عباراتها موقفاً بين الاعجاب والدهشة ؛ إذ كان مؤلفها يكتب ما في نفسه كما هو في نفسه ، فـكان فيها وحي عاطفته ونبض قلبه ويقظة روحه ، فجاء بأدق ما في الفن وأبلغ ما في التعبير غير قاصد إلى شيء من ذلك ، وما كان يبلغ شيئاً من ذلك لو أنه قصد إليه ؛ إذ لم يكن هو بين أهل البيان في هذه المنزلة ، ولـكنه كان من أهل الحب ؛ وكان هذا هو دليل (الصدق) عند الرافعي فيما كتب صاحبه وما نقل إليه من قصة صاحبته ...

ولما كتب المقالة الثالثة « دموع من رسائل الطائشة » خلا إلى نفسه أسبوعاً ليستجم ، وبعث إلى الرسالة بالجزء الرابع من : « كلمة وكليمة » وفيها حديث عن المقاد[1]

وفي هذا الأسبوع كان الرافعي يجمع خواطره حول ما سمع من قصة الطائشة ، فأنشأ مقاله الرابع بعنوان «فلسفة الطائشة»

---

(١) العدد ١٠٥ سنة ١٩٣٥

ثم أملى عليّ مقالة « كفر الذبابة » يمنى بها الحكومة التركية لبعض ما ذهبت إليه فى شئون الاسلام والعربية . وهى آخر ما أنشأ من الفصول على أسلوب كليلة ودمنة

وكانت مقالة « كفر الذبابة » هى آخر ما أملى على من المقالات ؛ وذلك فى صيف سنة ١٩٣٥ . ثم تهيأ للسفر إلى مصيفه فى « سيدى بشر » ، وتهيأت للسفر إلى القاهرة لبعض شئون العمل المدرسى . وانتقلت بعدها إلى القاهرة فكانت فيها إقامتى ، فلم أكن ألقاه أو يلقانى إلا ساعات كل أسبوع : فأسبوعاً أزوره فى طنطا ، وأسبوعاً يزورنى فى القاهرة . على أن الرسائل فيما بين ذلك لم تنقطع بيننا حتى يناير سنة ١٩٣٧ ، قبل موته ببضعة أشهر . ثم تجافينا لشأن ما ، فما التقينا إلا مرة واحدة قبل موته بشهرين ، فكان لنا مجلس فى قهوة « پول نور » بالقاهرة مع الأصدقاء : شاكر ، وزكى مبارك ، وكامل حبيب ، وزيادة ؛ ثم افترقنا بعد منتصف الليل وفى نفسى منه شىء وفى نفسه منى ...

وفى صبيحة الغد بدأت المعركة الأخيرة بينه وبين الدكتور زكى مبارك حول « وحى القلم »

... ومضى شهران بعد تلك الليلة لا ألقاه ولا يلقانى ؛ وهو يشكونى إلى صحابتى وأشكوه ؛ حتى جاءنى نعيه ... غفر الله لى ! لكأنما كانت هذه القطيعة بيننا وقد دنا أجله ، لتخفف عني وقع المصاب من بعد ؛ أو لتحملنى — غير محمول من أحد غير واجبي — على كفارة الذنب الذى أذنبت بهذه القطيعة ؛ فأبذل ما فى الطاقة من الجهد الجاهد لكتابة هذا التاريخ فأقوم له بعد موته بالحق الذى عجزت عن وفائه فى حياته . يرحمه الله !

***

... لم يُملِ عليّ الرافعى شيئاً بعد مقالة كفر الذبابة ؛ ولكنه طلب إليّ أن أنسخ له صورة من مقال كان نشره فى المقتطف قبل ذلك بسنوات عنوانه « سر النبوغ فى الأدب »

فلما سافر إلى مصيفه بعث إلى الرسالة بمقالة « كلمات عن حافظ » لمناسبة ذكراه ؛ ثم أصابته قُرحة فى كفه منعته من العمل ، فأخذ مقالة « سر النبوغ فى الأدب » فجعل عنوانها « الأدب والأديب » ثم جعلها مقالة الأسبوع التالى . وهى مقالة من مقالات الرافعى الفريدة ، تهم الباحث الذى يريد أن يدرس الرافعى صاحب « تاريخ آداب العرب »

ثم توالت مقالات الرافعى يمليها على نفسه ويكتبها بخطه ؛ على أنى بما كنت ألقاه وبما كان بينى وبينه من الرسائل إلى ما قبل موته بأشهر ، لم يفتنى أن أعرف دوافعه إلى كثير مما كتب بعد ذلك من المقالات لقراء الرسالة ؛ فسأحرص ـ تماماً لهذا البحث ـ على أن أذكر ما أعرف من دوافع بعض المقالات التى أنشأها وحدها من بعد غير معتبر ترتيبها فى النشر ، إذ لا عماد لى فيما أكتب عنها إلا الذاكرة .

« سيدى بشر » محمد سعيد العريان

التشريع المصـــــرى والتشريع الاسلامى

للأستاذ عباس طه

سجل العلامة الكبير المستشار عبد السلام ذهنى بك فى بعض المجلات العلميـة بحثاً مستفيضاً ضافى الذيول والمرامى يتلخص فى ضرورة تجميع الفقه الاسلامى فى مختلف ما تكشفت عنه قرائح الأئمة المجتهدين وما نحوه الفقهاء من الأحرار الباحثين، ثم مقارنة مستفيضة بين الفقه الرومانى وأثره فى بضعة قرون ووفائه بحاجة المعاصرين يومئذ ونهوضه إلى مستوى سد حاجة الناس فى باب المعاملات والأحوال الشخصية، ثم كيف استطاع أن يكون أثره فى الخلود طويلاً ووفاؤه بحاجة الناس عاما، ثم بضرورة وضع موسوعة تتسع لآراء الباحثين من الأئمة المشترعين كما فعل فى عهد جستنيان الخ

ونحن العلماء فى الفقه الاسلامى نحمد لمزته تلك الألمعيـة وغيرته الفيانة على تراث المسلمين أن يذهب بدداً وأن تتحكم فى أساليبه ومراميه وصياغته فئة من غير الناطقين بالضاد حتى أحالته تراثاً مهملاً لا يشفى علة ولا ينقع غلة. وبقى ذلك الداء العياء يتغلغل فى أزهى عصور التاريخ وأغنى عهوده بالعلماء، فما انفرجت شفتان عن ضرورة تجميع هذا التراث الموروث عن أئمة الدين الذين أخرجوا إلى الانسانية خير ما يقتدى به الناس فى أمر معاشهم ومعادهم، وما يحكم حركة التعاون بين أفراد النوع الانسانى ويقيمها على أسس من الخير صالحة لا يتطرق إليها وهن ولا فساد

لـكنى أسائل أولئك الذين يكتبون حول هذه الموضوعات: ماذا يريدون بهذا التجميع؟ أيريدون بذلك أن تجمع أقوال الفقهاء المشترعين والأئمة المجتهدين فى سفر واحد تراثاً مزيجاً من الآراء الفقهية بين رجل اجتهد وكد لينشئ له مذهباً ثم عاد فرجع عنه أو بقى ولـكنه على وهن، وذلك شائع فى مذهب الامام مالك وأبى حنيفة، ففى هذين المذهبين أئمة اشتغل علماء الفقه الاسلامى بالتعقيب على آرائهم الفقهية فباتت غير صالحة لاستهداء الناس بها والسير على مناهجها — وبين آخر صح اجتهاده، وقام على منارة الحق سداده، ولـكنه ابتلى بفريق من المتنقين لمذهبـه اشتغلوا بتجريح غيره من المذاهب والاشادة بمذهبه دون سواه، فبقى طلاب الحقيقة فى قطع من الليل البهيم يتلمسون لهم ما يكشف الحقيقة فى صميمها ويرد الواقع إلى نصابه؟ أم يريدون أن يجمع الصحيح من أقوال الأئمة المجتهدين فى موسوعة واحدة يعم نفعها وتنتشر فائدتها؟ وإذا فما قيمة هذا التجميع فى نظر الواقع والتاريخ والعلم؟

لقد بذل المرحوم محمد قدرى باشا مجهودا لا بأس به فى تجميع شطر غير قليل من مذهب أبى حنيفة مما لم يقم به العلماء المتخصصون منـذ عهد الناس بمنشأ الفقه الاسلامى فاستنبط مجهوده من كتب صيغت بأساليب رث حبلها ونقضت اشلاؤها ودق على الباحثين وجه الصواب فيها، وكان العمل يومئذ بمذهب أبى حنيفة دون سواه مما جعل قدرى باشا يضع فى باب الأحوال الشخصية والوقف بنوعيه كتابيه على صورة مواد حتى يكون قانونا يسهل الرجوع إليه والاستشهاد به.

لـكن ما أسرع أن تمخضت حيـل الناس فى تطبيق مواد الطلاق ومواد النفقة وافتنانهم فى الهرب من تطبيق الأحكام الشرعيـة على مذهب أبى حنيفة عن عجز القضاة الشرعيين وعدم قدرتهم على تطبيق تلك الأحكام تلقاء ما بيديه المطلق من أفانين وحيل للفرار من طائلة العقاب، وما بيديه المحكوم عليه بالنفقة وما يبدو من حيل المحامين الشرعيين فى ذلك الميدان المنبسط الذى لا يحده تقنين ولا يردع عن العبث به رادع، فجأر القضاة الشرعيون بالشكوى من فشل هذه التجربة، والأستاذ المراغى يومئذ منهم فى الطليعة يشاطره قوم ذوو دراية وكفاية؛ وقد شمروا بضرورة البحث فى غير مذهب أبى حنيفة من المذاهب عمـا يسد حاجة المتقاضين ويفسح المجال للقضاة باعتبارهم المطبقين لأحكام الشريعة والمهيمنين على تنفيذها فى مواد الأحوال الشخصية نائبين فى ذلك كله عن ولى الأمر فى البـلاد، وما يقطع الطريق على حيل المحتالين، وما يفتح عيون الباحثين على ثروة غزيرة من العلم كانت ولا تزال منهلا ينهل منه المتقاضون وغير المتقاضين، وما يقوم دليلا فى كل يوم على أن الفقه الاسلامى كفيل بمسايرة كل عصر وجيل

وخليق بأن يحمل أمانة البشر فى مختلف مرافقه حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين؛ فوضع قانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ خاصا بأحكام النفقة وبعض مسائل الأحوال الشخصية مؤلفا من ثلاث عشرة مادة، وهو يتناول معالجة الأحوال التالية.

(١) النفقة (٢) العجز عنها وما يترتب على ذلك العجز من الآثار (٣) حكم المفقود وما يترتب عليه قبل الخصوم من حقوق (٤) حكم القاضى بالتفريق للعيب وما يترتب على ذلك العيب من آثار مباشرة وغير مباشرة (٥) الترخيص للزوجة بطلب التفريق من القاضى حال قيام العيب فى زوجها وحاجة المجتمع إليه (٦) أحكام عامة متفرقة. ثم درجت المحاكم على تطبيق ذلك القانون بأمانة وتوفيق، ودرج المفتشون القضائيون فى وزارة الحقانية على تتبع تطبيق هذا القانون وتبين المدى الذى وصل إليه من إصابة حاجات الجمهور وسد كفايتهم وإقناعهم بأن فى ثنايا الفقه الاسلامى ما يكفل بعث الطمأنينة إلى قلوبهم وإيصال الحقوق إلى ذويها، فلم تمض فترة من الوقت غير طويلة حتى استفاضت تقارير المفتشين القضائيين بأعطر الثناء على ذلك الأثر الطيب الذى تركه قانون سنة ١٩٢٠ فى نفوس المتقاضين

وهكذا تحررت عقول طلاب الاصلاح من ربقة التقيد بكل قديم واقتنعوا بأن تطور الحياة وتشعب مسالكها وما يجد فيها من أحداث وعبر من أقوى الحوافز على تلمس أفضل المناهج فى باب التقاضى، وكفالة مصالح الناس وردها إلى أمثل طريق وأبلج محجة. من أجل ذلك اطرد البحث عما يساير مصالح الناس ويماشى رغائبهم، وما يدفع عن المجتمع علله وأمراضه، فشعر المصلحون مرة أخرى بضرورة حماية الأسر من تلك الأمراض الفواتك التى لم يدفعها كثير من أحكام أبي حنيفة المتعلقة بالطلاق وبالتفريق للغيبة وبدعوى النسب وسن الحضانة وما إلى ذلك، فوضع مرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ خاص ببعض الأحوال الشخصية يتألف من ٢٥ مادة، وهو يقع فى تسعة أبواب: الباب الأول الطلاق (٢) الشقاق بين الزوجين (٣) التطليق لغيبة الزوج (٤) دعوى النسب (٥) النفقة والعدة (٦) المهر (٧) سن الحضانة (٨) المفقود (٩) أحكام عامة

ولا تزال الأمة فى مسيس الحاجة إلى وضع قانون موضوعى، فأشير بوضع ذلك القانون. ثم تألفت لجنة تحت رياسة فضيلة شيخ الجامع الأزهر، وهى وإن سارت بخطى بطيئة إلى الآن لاعتبارات بعضها يرجع إلى المحيط الراهن، وبعضها يرجع إلى ثقل المسئولية فى هذا القانون، فهي فيما نعتقد بالغة إن قريبا وإن بعيداً ما تصبو إليه الأمة من كفالة لمرافقها وسد عوزها التشريعى فى حياتها. هذا القانون الموضوعى إذا كتب له الوجود فسوف يجمع بين دفتيه تراثاً صالحاً فى شتى المذاهب حتى مذاهب الأحرار من الفقهاء المشترعين الذين كانوا ولا يزالون بعيدين عن المحيط العملى، فكان العلماء فى الأزهر لا يأخذون بآرائهم ولا يلقنونه لطلبتهم بل كانوا على النقيض من ذلك من المتبرمين بهم والزارين عليهم، وكان محذوراً على القضاة الشرعيين أن يتخذوه مدداً لآرائهم القضائية أو مصدراً لثروتهم العلمية لأنهم كانوا مأخوذين بالقضاء على أرجح الأقوال من مذهب أبي حنيفة، لكن لما تشعبت الحياة فى مناحيها، واتضح بجلاء أن مذهب أولئك الأحرار المشترعين خليق بتقديره وبعثه من مرقده واتخاذه قبلة للناس فى بعض أحوالهم الشخصية (والحاجة كما يقولون تفتق وجه الحيلة) لجأ طلاب الاصلاح إلى سن قانون موضوعى يحيط قدر المستطاع بمرافق الناس ويسد كفايتهم القضائية ويحرر العقول من كل تقليد لا يتفق ومصالح الجمهور. فأين نحن الآن من فكرة تجميع الفقه الاسلامى فى موسوعة واحدة والأحداث كل يوم تحفزنا إلى جديد من الفن فى كل شيء لنلاقى بين أيدينا دروساً من العظة بالماضى، وإن ما صلح اليوم للعمل به قد لا يصلح غداً؛ وإن سلسلة التجارب لما يقع تحت المشاهدات ستظل متصلة الحلقات بالوجود اتصالاً وثيقاً؛ ثم ما لنا ولتجميع الفقه الرومانى وقد كان الفقه الرومانى — كما يقول بحق الباحث العلامة الدكتور عبد الحميد أبو هيف — قائماً بأسسه وقواعده على التفرقة بين الطبقات؛ أما الاسلام بقواعده وأسسه فهو قائم على الديمقراطية العادلة والمساواة الواضحة؛ وأية ديمقراطية ومساواة أعمق فى الوجود أثراً وأخلد فى المجتمع ذكراً من تلك التى أسس قواعدها وشيد بنايتها فاطر السموات ومدبر الكائنات وبعثها على لسان الرسول الأعظم قام من بعده خلفاء راشدون، وحسبك من بينهم عمر الفاروق هذا الذى يضرب أعلى المثل وأنبلها فى المساواة وخفض الجانب واحتقار الأثرة فى الواقعتين التاليتين:

مرّ الفاروق كعادته فى جوف ليلة وقد اتكأ على جانب جدار أحد المنازل فسمع امرأة تقول لابنتها: يابنتاه، قومى إلى ذلك اللبن فامزجيه بالماء . فأجابت الفتاة : أما علمت ياأماه بما كان من عزم أمير المؤمنين ؟ قالت الأم : وما كان من عزمه ؟ قالت الفتاة إنه أمر مناديه فنادى فى الناس ألا يشاب اللبن بالماء . قالت: يابنتى قومى إلى اللبن فامزجيه بالماء ، فنحن فى موضع لا يرانا فيه عمر ولا مناديه . قالت الفتاة : يا أماه ، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه فى الخلاء. كان هذا الحوار الطريف يجرى بين الأم وابنتها على مسمع من عمر وهو أشد ما يكون بالبنت إعجاباً وبالأم تبرماً . فلما تحقق من ظفر الفتاة برأيها وانتصار الحق على الباطل — أمر تابعه أن يعلم الباب ليسهل الاهتداء إلى موضعه . وما أن أشرقت الغزالة من خدرها حتى بعث رسوله يستقصى خبرها ويرى هل الصبية بكر أم متزوجة ؟ فلما علم أنها بكر جمع أولاده بين يديه وقال لهم : هل فيكم من يحتاج إلى زوجة رشيدة بصيرة بأمور دينها، شديدة المراقبة لله، تحذر الآخرة وترجو رحمة ربها ؟ ويميناً لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقنى منكم أحد إليها . فاعتذر ولداه عبد الله وعبد الرحمن لأنهما متزوجان، فتقدم ولده عاصم الصغير وقال : هأنذا يا أبتاه لا زوجة لى ، زوّجني ممن اخترتها . ثم بنى بها . فقال الناس : تزوج عاصم بن عمر أمير المؤمنين من فتاة راعية فقيرة تبيع اللبن ! ولكن عمر لم يأبه لما به أرجفوا . وصدقه الله فيما نوى ، فقد أنجبت للعالم الاسلامى عمر الثاني وهى الصورة المشبهة معنى وروحاً بالفاروق — نعم ولدت زوج عاصم بنتاً وولدت البنت الخليفة عمر بن عبد العزيز أو عمر بن الخطاب الثانى . وكذلك صدقت فراسة الفاروق فى صلاح هذه الفتاة وتقواها ، ولم يطش ظنه فيها حينما رفعها من سكنى الكوخ إلى رفيع القصور ورضى على نفسه أن يقال : صاهر أمير المؤمنين فتاة راعية ، ولكن عمر لا يأبه لكلام الناس ولا يكترث للأنساب والألقاب فليس عنده من نسب إلا نسب الاسلام ، وليس له من الجاه إلا التقوى

ولقد حفظ التاريخ لعمر حادثة مشهورة رفعت قدره وأعلت ذكره ، وخلدت له المثل الأعلى فى النزاهة وشرف النفس وإعلاء الحق بالتضحية بأعز ما يملك فى سبيل الدين . ومن أجل إحيائه تقديس شعائره — أنه قدم ابنه فلذة كبده وأحب الناس إليه ضحية على مذبح الدين وفداء لسنة الرسول الكريم سمع أنه شرب خمراً فى مصر ولم يقم عليه ابن العاص الحد على ملأ من الناس ويحلق رأسه كما يجب وكما كان مفروضاً على كل مسلم ، فبعث إليه يقرعه ويأمره أن يرسل ابنه وشيكا على قتب ، ففعل عمرو . وقد وصل عبد الرحمن وهو فى أشد حالات الاعياء والنصب وهو يصيح :

لقد أقيم على الحد فى مصر يا أبت فلا تقتلنى باقامته مرة ثانية .

لكن غيرة عمر وشدته فى الحق على عامة المسلمين لم تكن تعرف المداجاة فى زوج أو ولد، وهو الذي كان يسوى ذاته فى ميزانه بأقل الناس، فلا غرو أن يقيم الحد على ولده ثم يشاهده وهو يلفظ النفس الأخير، فلا يجد عند ذلك إلا أن يهنئه على طهارته من أرجاس المعصية وأن يحمله السلام إلى صاحب الأمانة التى قام بها عنه خير قيام .

غير أن لى كلمة فى خاتمة هذا البحث لاتزال بصدرى جياشة ، وهى أن التجميع للتشريع الاسلامى فى أوسع حدوده ومراميه لا يلقى من أهل الرأى تأييدا إلا إذا أيده المسلمون أنفسهم بقوة ما يشع فى صفوفهم من وحدة ، وما يقوم على رباطهم من سلطان، وبقوة تلك الروحانية التى تهيمن على عقائدهم واتجاهاتهم وتصهر ما فى تلك العقائد من زيغ وريب، فاذا حل ذلك اليوم وصارت فيه الغلبة للاسلام تيسر للمسلمين تجميع الفقه الاسلامى تجميعا ما بعده تجميع . وأكبر يقينى أن هذا اليوم مؤذن فى القريب ببزوغ شمس سوف تنبسط على أرجاء الشرق فتنتظم أطرافه ! وإذ ذاك يحل ذلك اليوم الموموق وتستكمل مصر زعيمة الشرق فى الاسلام ونشر رسالته أقوى أسباب سعادتها واطمئنانها وعلو كلمتها فى ظل حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول، أيدالله دولته ، ورفع فى الأنام رايته ، إنه أكرم مسئول وأعظم مأمول .

« للبحث بقية »

عباس طه

المحامى الشرعى

غزل العقـــــاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٧ —

من أهم ما تدعو إليه المدرسة الحديثة — وتقدم العقادَ نموذجاً له — تفتحُ النفس لألوان الأحاسيس ، وانفساحها لصنوف المؤثرات ، وتهيؤها لشتى الانفعالات ؛ وكثرة الأوتار المرنّة بها فى العاطفة الواحدة ، والعواطف المتعددة ، ومطاوعتها لما تتأثر به ، لا لما تحفظه وتحتذيه من القوالب المصبوبة

وكل هذا من خصائص الحياة الموفوزة ، الغنية بالمذخور من المشاعر المتهيئة للتجدد والنماء ، المستعدة للتفرد والامتياز

وقد كان النقد العربى — إلى أمد قصير — قد وضع للعواطف الشعرية مراسم وقيودا ، وجعل لها قوالب مصبوبة ، ومن هذه العواطف « الحب »

ترى هذا فى كتاب « الصناعتين » مثلا وتراه فى الكتب الدرسية والمذكرات ، وتلمح أثره فى كتابات من يتصدون للنقد بعد اطلاعهم على الكتب القديمة وحدها

وتلمح أثر هذا التحديد فى ذوق المتأدبين الذين لا يصبرون على صورة جديدة يرونها فى غزل جديد أو قديم ، لا تكون وفق قوالب خاصة ، وعلى طراز محدد من طراز التعبير

ولقد كان هـذا يدعونى إلى اتهام الطبيعة العربية والطبيعة المصرية على السواء ؛ فما يصبر الطبع الموهوب على هذا الجمود فى ألوان الحس والتعبير ؛ وما تقف النفس عند صور محدودة معلومة إلا وقد ضاقت عما عداها ، واستغلقت دون سواها . ولولا أن هناك فروضاً وأعذاراً تلتمس لقد كان سوء الظن أولى ، والاتهام أوجب . ولكنا فى انتظار ما يطلع به المستقبل من الأدباء والمتأدبين

والعقاد أفسح شاعر عربى نفساً فى غزله ، وأكثرهم أوتاراً مرنّة . فلا عجب تزيد الأنغام فى شعره على ما تستطيع الأذن المصرية — إلا نادراً — أن تسمعه وتطرب له ؛ ولا عجب يجد الكثيرون صعوبة فى تقبل هذه النغمات لأنها تجهد آذانهم وأذواقهم ، وتحملهم استعارة طاقات نفسية لا قبل لهم بها ، كما تجهد العين الضعيفة تحت المنظار القوى الذى يجمع لها من الضوء فوق احتمالها !

ولكن من الحق كذلك ألا يبيح هؤلاء لأنفسهم مهمة الحكم ، وأن يسمموا قول من يطيقون السماع ويطربون لشتى النغمات ، ويصدقوا ذوى العيون التى تحتمل المناظير القوية ، فيما تبصر من رؤى وأطياف لا تراها عيونهم الكليلة !

* * *

وحين يتابع الناقد غزل العقاد فى دواوينه السبعة ، يعجب كيف يكون قائل هـذه الأنماط كلها رجلاً واحداً لولا أن يثوب إلى خصائص العقاد العامة فى هذه الأنماط على اختلافها .

وتروعه هـذه النفس الفسيحة التى تتاق نماذج الحبيبات كل بما تستحقه ، ثم تنفسح بعد هذا لتلقى الحالات النفسية المتتابعة مع كل حبيبة ؛ وتتسع لنماذج الحب المختلفة بين الصوفية والحسية ، وبين الغرارة والتجريب ، وبين البساطة والتركيب ، وبين الصعود والهبوط ... وتقول فى كل حب ، وفى كل حالة شعراً أصيلا كأنه — وحده — هو اتجاهها الوحيد !

ولعل من الخير قبل أن نستعرض هذه الأنماط ، كما لحظناها فى شعره الغزلى ، أن نأتى باستعراض العقاد نفسه لصنوف الحب التى تيقظ لإحساسه بها على ضوء حب أخير حين يقول :

عرفت من الحب أشكاله ... وصاحبت بعد الجمال الجمال
فحب المصور تمثـــاله ... عرفت وحب الشباب الخيال

وحب القداسـة لم أعده ... وحب التصوف لم يعدنى
وفى كل حب ورى زنده ... سماتٌ من المؤمن الدين

وحب المزخرف والمنتقى ... وحب المجرد والعاطل
وحب الجماح وحب التقى ... وحب المجـدد والناقل

وحب الثقات وحب الصحاب ... وحب الطبيعـة فى حسنها
وحب الرجاء وحب العذاب ... على يأس نفسى من حزنها

وحب التى علمتنى الهوى ... وحب التى أنا علمتهـا
ومن أستمد لديها القوى ... ومن بالقوى أنا أمددتها

وحب الجياع صحاف الطعام ... وحب الظماء كؤوس الشراب
وحب الكفاح وحب السلام ... وحب الضلال وحب الصواب !

صنوف من الحب لا تلتقى ... وفيك التقى لبهـا المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق ... لما كنت كفؤاً لهذا الهوى

وفى « سارة » يفصل بعض صنوف الحب التى يحسها القلب الانسانى فيقول :

« وقد يميز الرجل امرأتين في وقت واحد . لكن لا بد من اختلاف بين الحبين في النوع ، أو في الدرجة ، أو في الرجاء .

« فيكون أحد الحبين خالصا للروح والوجدان ، ويكون الحب الآخر مستغرقا شاملا للروحية والجسدية .

« أو يكون أحد الحبين مقبلا صاعدا ، والحب الآخر آخذا في الادبار والهبوط

« أو يكون أحد الحبين مغريا بالرجاء ، والحب الآخر مشوبا باليأس والريبة »

ثم يذكر نموذجين في الحب ، لنموذجين من المرأة ، اجتمعا على « همام » بطل القصة ، قد يفيد ذكرهما هنا لبيان رفاهة حس هذا الشاعر ودقته في الاحساس بالحب والنساء :

« لقد كانت سارة وهند على مثالين من الأنوثة متناقضين : كلتاهما أنثى حقا لا تخرج عن نطاق جنسها ، غير أنهما من التباين والتنافر بحيث لا تتمنى إحداهما أن تحل محل الثانيــة ، وتوشك أن تزدريها »

« ماذا أقول ؟ بل لعلهما من التباين والتنافر بحيث تتمنى كلتاهما قبسا من طبيعة الأخرى ، لولا أنها تنكر الاعتراف بذلك بينها وبين نفسها ، فتسمح للتمني أن يستحيل إلى نفور

فاذا كانت سارة قد خلقت وثنية في ساحة الطبيعة ، فهند قد خلقت راهبة في دير ، من غير حاجة إلى الدير !

تلك مشغولة بأن تحطم من القيود أكثر ما استطاعت ، وهذه مشغولة بأن تصوغ حولها أكثر ما استطاعت من قيود ، ثم توشيها بطلاء الذهب ، وترصعها بفرائد الجوهر

الحزن الرفيع والألم العزيز شفاعة عنــد هند مقبولة إذا لم تكن هي وحدها الشفاعة المقبولة . أما عند سارة فالشفاعة الأولى بل الشفاعة العليا هي النعيم والسرور

تلك يومها جمة الآلام . وهذه يومها شم النسيم

تلك تشكو ويخيل إليك أنهــا ذات أرب في بقاء الشرور تستديم بها معاذير الشكوى ، وهذه تشكو كما يبكي الطفل لينال نصيبا فوق نصيبه من الحلوى

تلك مولعة بمداراة نقائصها لتبدو كما تتمنى أن تكون. وهذه مولعة بكشف نقائصها لتمسح عنها وضر الخجل والمسبة ، وتعرضها في معرض الزينة والمباهاة

«تلك لقاعدة المتانة والمجاملة، وهذه لقاعدة الرخاصة والبساطة»

ثم يمضي يعدد خصائص كل منهما على هذا المنوال البارع فتفهم أنه متيقظ أشد اليقظة ، بكل وسائل التنبه والادراك في طبيعته ، لكل ذرة ، في كل حبيبة .

* * *

والآن نتابع العقاد في غزله ، ونتصفح الوجوه التي هام بها ، وقال فيها ، فنجد منهاستة وجوه بارزة ، ونجد غيرهامنزويا متناثرا

فأما الأول فيستغرق الجزءين الأول والثاني تقريبا ، وفيه تلمح العقاد شابا حدثا ، في نفســه روعة وحذر وإشفاق من وهلة الجمال والحب ، يكتفي أول الأمر باللمحة والنظرة ، ويحوم على الجمال في ورع وتنطس، ويحسب للمجهول والغيب كل حساب ، ثم يأخذ بعد حين في الاستمتاع على حذر كذلك وتلطف واستئذان .

ونجد إلى جواره حبيباً ساذجاً ، عاطلاً من كل حلية نفسية أو فكرية إلا الجمال المجرد الغرير ، فلا عمق ولا فلسفة ولا أطوار

وهكذا — في الغالب — حب الشباب ، وإن فهم الكثيرون أنه أقرب إلى الفتك والبوهيمية والجراءة . فالشاب غالباً تمنعه القداسة ، فان لم تكن أذهلته الروعة قيده حذر المجهول الذي لم تكشفه التجارب ، والعزيز الذي لم يرخصه الاستعمال

إنما يستهتر — حق الاستهتار — الكهل الذي تجمله التجارب يسخر من المقدسات والغيبيات ، وتدفعه بقية القوة التي لم تنضب إلى الاستمتاع بالباقي قبل الفوات !

واسمع العقاد في ورع وإشفاق ينادي حبيبه :

وقف عليك تحيتي وعظاتي   وعلى صباك نصائحي وعظاتي
أوتيت من حسن الشمائل نعمة   والحسن في الدنيا من الآفات
هو جوهر يجني عليك وميضه   عدوان سراق وحقد عفاة
... ...
فاحذر فان مع الجمال لغرة   وأراك تأمن جانب الغفلات
واحرس جمالك فالجمال وديعة   « لله » ترعاها إلى ميقات
واحمل شبابك للمشيب مبرءاً   مما يكدر ناصع الصفحات

وهكذا إلى نهاية هذه التسبيحة أو التعويذة القانتة !

ثم تسمعه بعد هذا كالطيف الهامس في حذر وتقاة :

إنا أناس معشر حب الجمال لهم   حب لنا كان في الدنيا ومن كانوا
ليأمن الطير . إنا لا نكيد له   ولا يخف مكرنا وحش وعقبان

الخ

ثم تنظره وقد انجابت هذه الروعة قليلاً عن بدء الحسبة والاستمتاع ليلة الوداع :

ويا ليـالى لما أنست بقربه   وقد ملأ البدر المنير الأعاليا
تطلّع لا يثنى عن البدر طرفه   فقلت : حياء ما أرى أم تغاضيا
... ...
فقبلت كفيـه وقبلت ثغره   وقبلت خديه وما زلت صاديا
كأنا نذود البين بالقرب بيننا   فنشتد من خوف الفراق تدانيا
كأن فؤادى طائر عاد إلفه   إليه فأمسى آخر الليل شاديا
إذا ما تضاممنا ليسكن خفقه   تنزى فيزداد الخفوق تواليا
أوشج فى كلتا يديه رواجبى (1)   وشيجاً يظل الدهر أخضر ناميا
وتلمس كفى شعره فكأننى   أعارض سلسالا من الماء صافيا
وأشكوه ما يجنى فينفر غاضبا   وأعطفه نحوى فيعطف راضيا

ثم تتدرج من هذا إلى متاع صريح، ولكنه خفيف مريع:

أتعلم أم أنت لا تعلم   بأنى عاشـقك المغرم
أتقسم أنك لا تكتم   بلى أنت تكتم أمراً أظهر

***

ولا تنس فى عين شمس لنا   ليـالى موقرة بالجنى
ترف عليها طيور المنى   مغردة فى ضياء السحر

***

فكم بت أسهر تلك الجفون   وأذبلهـا بالطلى والمجون
فباتت كما يعشق العاشقون   مضاعفة السحر تسبى الفكر

أجل فليكن ! ولكن شاعرنا لا يزال شاباً يستكثر الليالى المختلسة فيشيد بذكرها ، ويفصلها تفصيلا ، ويكاد فى « واقعيته » يحدثنا عن صور الخيال !

وينتهي الحب الأول أو يزحمه الثانى ويعفى على آثاره. والناقد يطالع فى هذا حبيباً قريباً فى خصائصه من الحبيب الأول ، يمتاز عنه بأنه شره للمعجبين بجماله ، يريدهم حشداً لا فرداً . ولكنه يرى شاعرنا وقد نفض عن كاهله كثيراً من صوفية الشباب وحذره وتوجسه ، غير أنه لا يزال يستمتع فى دائرة محدودة ، وبذخائر معدودة عند حبيبه :

يا أشره الناس حسنا   إلى عبيـــد وصحب
وأنعم النـاس بالا   بنـاظر مشرئب
يا ليت لى ألف قلب   تغنيك عن كل قلب
وليت لى ألف عين   تراك من كل صوب
وليت لى ألف وسم   وليت لى ألف عيب
لعل حسنك يغنى   عن ناظر أو محب
ولا تبيت معنًى   بمن تروع وتسبي

ثم ينجلى الأمر عن حبيب مواف ومحب متفتح ، قد أخذ بعد المتعة والاكتفاء فى ترف الطلاقة والفلسفة :

إيهاً أبا الأنهار فوقك شادن   يشفى الغليل وأنت لست بشاف
فرعون لم يحمل عليك نظيره   والبحر لم يحرزه فى الأصداف
أوفى علينا من سمـاء جماله   فاحـلم بطلعته وماؤك غاف
واحفظ لديك وديعة من صفونا   مأنوسة الذكرات والأطياف
سيطول أيام الصدود سؤالنا   لك عن مواقع هذه الألطاف
ونود لو تثنى الودادة آسفا   رجعى الزمان ولا رجوع لعاف

إلى أن يقول فى يقظة طريفة وتأمل واع :

إنى سعدت بقدر ما استرجعت لى   يا نيل من حقب ومن أسلاف
دهر قد انبسطت عليه ساعة   فاستأنفته أحسن استئناف
وصلت حديث زماننا بقديمه   وصل الصحيفة نائى الأطراف
وبدت لنا صور العصور كأنها   رسم على صفحات مائك غاف
ومناظر القمراء أشبه بالذى   أحييت من ذكر مضين ضعاف
فالذكر والنظر العيان كلاهما   حلم بها متشابه الأفواف

وتتبين فى نهاية هـذا الحب نضوج الشاعر ، وانتباهه إلى خطرات الأيام والصروف والأقدار على ضوء حبه ، وتأمله فى الكون والطبيعة وإجراء ذلك كله فى غزله :

أيها المعطى غدا عن سـمة   أعط إذ أنت مليء بالعطاء
إنما اليوم لدينا كغد   وغد يا صاحبى اليوم هباء
آه لو يبقى على الدهر الصبا   آه لو يرأف بالحب الفناء
فرصـة فيها جمال وصبا   ثم تمضى فإذا الكل سواء
وإذا المعشوق فى العين كمن   تتخطاه عيون الرقباء
كاختلاف اللون فى الصبح لنا   وتساوى بعـدُ قبح ورواء
نحن فى صبح وقد لا نلتقى   ليت لليل ابتـداء وانتهاء

ثم قطعة بعنوان : « ودع جمالك » اقتطفت بعضها عند الحديث على خاصة اليقظة والوعى الفنى ، وأقتطف فى هذا المجال بعضاً آخر ، وإن كان يخيل لى أن المقصود بها هو الحبيب الأول ولكنها أقرب شبهاً بما قيل فى فترة الحب الثانى ، لما فيها من تأمل وعمق فى الإحساس :

أمودعاً حسن الأحبة إننى   ودعت قلب الهائم المغرور

(1) الرواجب : مفاصل الأصابع

ميتان فى جدث تزورها معاً ... واوحشتا من زائر ومزور

يهنيك أنك لا تزال مقيدى ... بك حين لاشوق إليك مثيرى

لم أبك وجهك إذ بكيت وإنما ... أرثى خرائب عالم مدثور

فاعجب لمن يبكى لجيفة مرمد ... بدموع مبتور الحياة حسير

وهى إحدى القصائد الطريفة التى تتجلى فيها «خصوصية» العقاد

* * *

ومتى بلغنا الجزء الرابع من الديوان التقينا هناك بشخصيتين أقرب ما تكونان إلى شخصيتى « سارة وهند » اللتين أسلفنا عنهما الحديث ، وعلة ذلك مفهومة ، وقد أوضحتها عند الحديث على « سارة » والتقينا بالشاعر فى قمة النضوج النفسى والفنى ، وقد وضحت أمامه المعالم ، وانتهت به التجارب إلى فلسفة كاملة فى المرأة والحب والحياة ، واكتملت به جميع القوى اللازمة للاحساس والتعبير ، وعرف غاية الطبيعة من الحب ، وغاية كلا الجنسين ، فلم يبق أمامه إلا أن يعتصر من كل حب رحيقه ، ويرتشف من كل كأس ثمالتها فى طلاقة وبراعة وصراحة

فأما إحدى الشخصيتين فيطلع عليك وجهها من خلال قوله :

أريد التى ألقى سلاحى وجنتى ... إليها وألقاها من البأس أعزلا

وأطرح أعباء الجهاد وهمه ... لدى قدميها مغمض العين مرسلا

وأنت إذا أقبلت أقبلت جحفلا ... وجردت أسيافاً وشيدت معقلا

فان تهزمينى فاهزمى عن بصيرة ... مريداً لأسباب الهزيمة مقبلا

ويطلع عليك وجهه معها من خلال قوله :

أيها الداعى إلى الله لنا ... ما ترى فى دعوة منك إليك ؟

— أنت لو تعلم دائى — فى غنى ... عن نداء النيب والطب لديك

تسأل الله شفائى ولقد ... جعل الله شفائى فى يديك

وترجى نظرة لى من عل ... ورجائى كله فى ناظريك

فادع لى نفسك أو لا فادع لى ... رحمة الرحمن من وجدي عليك

إن قضاها الله أو لم يقضها ... حسبنا خطرتها فى شفتيك

يفضل الصحة عندى أننى ... بعض ما تطوي عليه جانبيك

وهي كما ترى متحفظة متصونة ، وهو محترس يقظ يلمح ولا يصرح أو هما كما قال العقاد :

« كانا أشبه بالشجرتين منهما بالانسانين ، يتلاقيان وكلاهما على جذوره ، ويتلامسان بأهداب الأغصان ، أو بنفحات النسيم العابر من هذه الأوراق إلى تلك الأوراق »

وأما الشخصية الأخرى فتطل عليك من قوله :

ماذا من الدنيا لعمرى أريد ... أنت هى الدنيا فهل من مزيد ؟

فيك لنا نور ونار معاً ... وأنجم زهر وأفق بعيد

وفيك روض مسفر عاطر ... وجوهر حر ودر نضيد

ونشوة الخمر إذا قوبلت ... بنشوة منك متاع زهيد

والفن إن لم تك نجواه من ... نجواك لغو باطل لا يفيد

وكل ما فى الكون من روعة ... لها نظير فيك حى جديد

بل أنت دنيا غير هذى الدنى ... وكل حب فيك كون وليد

للمرء دنياوان : مطروقة ... فوضى وأخري هو فيها فريد

وهذه ، لا تلك ، ما يشتهي ... وهى له الموئل وهى الوجود

وتتبين وجهه معها فى قوله :

قبلات كل يوم وعناق ... ووداع كل يوم ولقاء

واشتياق كلما حان الفراق ... وعهود كلما جن المساء

وعتاب كل يوم وخصام ... جائر الحكم كثير العلل

نرتمى فيه بأهوال جسام ... بين سخرى الني والقبل

وعلى توقيع أنغام الرجاء ... نبعث القلبين حباً وخصاما

عبث الطفلين فى مهد الصفاء ... كلما راعتهما الضجة ناما

وحياة بين روض وغدير ... وحياة بين ألفاف كتاب

هذه أو تلك يحويها العبير ... ويروى مرحها ماء الشباب

لا ظلام الليل يثنيك ولا ... لفحة القيظ ولا اليوم المطير

فى دلال منك موفور الحلى ... وكلال منك كالظبي البهير

وهى كما ترى أنثى ناضجة بوهيمية ، وهو رجل فنان متفتح قد بلغ من التمة إلى الترف فانتشي ؛ فانطلق يتفلسف فقال :

وابل من قبل تمطرها ... من سماء الحب أخلاف غزار

جزلة المس شهي لمسها ... حلوة المزجين من ماء ونار

سقيها محض ولاء خالص ... لم يكدره من الدنيا اعتكار

وكذا الاخلاص حر مطلق ... كصفات الله ما فيها اضطرار

رو منه الدهر واضحك ساخرا ... إن طغى الدهر بأيديه القصار

هاهنا لا العيش محسوس الخطا ... لا ولا الوقت بمحدود المطار

الخ .. ...

* * *

فاذا اجتاز الناقد الأجزاء الأربعة الأولى من الديوان إلى « وحى الأربعين » و « هدية الكروان » و « عابر سبيل » لم تبعد به النقلة كثيراً عن جو الجزء الرابع ، ولكنه يجد انطلاقاً إلى مدى أوسع فى التوحيد بين الأرض والسماء ، أو بين المادة والروح فى غزل العقاد ، كما يجد الهدوء الرتيب ،

لا تخالجه الهفة إلا قليلا ، وهى بعد شوق إلى المتاع الطليق ، أكثر منها حرقة إلى إرواء الضرورة المقيدة ، أو هى طلاقة فيها سخرية المجرب الذى سلك الطريق مرة ومرة ، فانجلت فى نفسه الروعة وانكشف المجهول ، ولم يعد أمامه إلا تأمل المشاهد وتسجيل الشواهد ، والموازنة بين ما مضى وما هو آت فى رحلته الحاضرة . والذى علم قيمة العرف والتقاليد ومبلغ إخلاص الناس لها أو تفلتهم منها ، فلم يعد يحسب لمن فى « الخارج » حسابا ، وإنما همه أن يعيش فى عالم من صنعه هو ، يضع تقاليده وحدوده

ولهذا يلوح الشاعر فى الأجزاء الأخيرة منطلقا من القيود فى الاحساس والتعبير انطلاقا لا نجده فى شعر شبابه ، وهذا أثر التجربة وحكم السن والممارسة .

ومع العقاد وجهان أصيلان فى هذه الدواوين الثلاثة ، وعدة وجوه عارضة :

فأحد الوجهين هو الذى يقول فيه قصيدة « غزل فلسفى » والذى فيه « من كل شىء » فى الأرض والسماء ، وفى الماضى والمستقبل و « من كل موجود وموعود توأم » ... الخ

ولعل هذه القصيدة أدل القصائد على هذا الوجه الذى يُشع فى نفس الشاعر كل معانى الوجود ، لأن الشاعر — حينئذ — مستمد لتلقى كل أطياف الوجود ، متفتح لكل معنى من معانيه

والوجه الثانى هو الذى يقول فيه :

بعد سبع من السنين وعشر ... عرف الناس فضل ذا الميلاد
عرفوا أي نعمة زارت الأر ... ض بأشماف حسنها المرتاد
عرفوه لما رأوا بينهم شمـ ... ـسا مع الشمس أشرقت فى البلاد
عجبوا كيف فاتهم يوم وافى ... فرعوا عهده بذكر معاد
ذاك ميلادك السعيد هنيئا ... للذى فاز فيه بالاسعاد

ويقول فيه معظم غزليات « هدية الكروان »

والخطوط التى تفرق بين هذين الوجهين صعبة التمييز لولا أن الثانى أكثر بشاشة وطراءة ، والأول أشد حيوية وتأثيراً

وعلى العموم فالشاعر يبدو فى هذه الفترة واثقاً من نفسه وزمنه ، يترشف كأس الحب فى نشوة ولذة وتأمل وتمهل ، وفى بشاشة ودعابة واطمئنان

ولولا أن المقال قد تضخم وطال لأكثرت من الأمثال ، فهذه هى فسحة النفس التى عنينا ، والتى امتاز بها العقاد كل الامتياز

« حلوان » سيد قطب

الى وزارة المعارف

كلمة حق في كتب

على أثر ما نشرناه فى العدد الماضى من جواب الأستاذ أحمد أمين وتعليقنا عليه جاءتنا طائفة من المقالات والرسائل فى هذا الموضوع لم نر من المفيد أن نشغل بها صفحات الرسالة فاقتصرنا منها على هذه الكلمة شاكرين لكتابها الأفاضل غيرتهم على الأدب ودفاعهم عن الحق (المحرر)

كنا فى مجلس ضم لفيفاً من الطلبة ورجال التعليم ، والكل فى مقتبل العمر وعنفوان الشباب ، فمنهم من اجتاز مرحلة ثانوية فى دراسته ، ومنهم من اجتاز مراحل فى تعليمه الجامعى. والحديث ذو شجون ، « والرسالة » حظها من الحديث ، ولما ينشر فيها نصيبه من التعليق والمناقشة ؛ وما يكاد الجمع ينفض حتى ترى القوم يتواعدون فى أن للحديث صلة ، وإلى الملتقى فى أعداد الرسالة المقبلة

جئت بهذه الكلمة لأقول إن السبب « الذي من أجله صرف النظر عن تقرير بعض الكتب للمطالعة فى مدارس المعارف المصرية » كان محل نقاش طويل فى هذه الساعة القصيرة

ونحن نعيذ أنفسنا من الغرور يذهب بنا إلى الحطّ من كفاية اللجنة التى عهد إليها اختيار كتب المطالعة . لكننا لم نر بأساً فى أن نبعث برأى لفيف من الطلبة والأساتذة لا نعتقد أنهم ارتأوه أو اعتقدوه تزلفاً للزيات. فالصلة التى تصلهم بالأستاذ الزيات هى عين الصلة التى تصلهم بالأستاذ أحمد أمين ، وهى صلة الأدب والذوق المشترك ، هذه الصلة التى تدفع كل واحد إلى إبداء رأى هو صدى صادق للكيفية التى أدرك بها الانتاج الأدبى لأي كاتب أو شاعر أو صاحب فَنّ

ومن الطبيعى أن نتحسس ذلك الضعف الأخلاقى لو كان فى كتابين عاليين قُدّر لهما من سعة الانتشار ما لم يقدر لغيرهما من الكتب . لقد كان الأستاذ الزيات أميناً فى نقل هذين الكتابين إلى اللغة العربية ، أتراه حور من مضمونهما بحيث نرى الفضيلة فى (رفائيل) جريمة ، والعاطفة فى (آلام فرتر) ضعفاً أخلاقياً ؟ لست أدفع عن المترجم تهمة هو أبعد الناس عنها فقد كان

أميناً فى ترجمته ، ولكننى أدفعها عن مؤلفى هذين الكتابين وهما على ما يعلم الناس من أعلام فلاسفة الغرب وفحول شعرائهم .

ونحن لا نرى حاجة إلى أن نلجأ للعبارة نصوغها دفاعاً عنهما فالكتابان بين أيدينا ووقائعهما فى ذاكرة الكثيرين منا ، ولم تستطع أن تلمح الأثر الذى من أجله صرف النظر عن هذه الكتب

كنا وكان غيرنا فى سن الصبا يوم صدر (رفائيل) ، وأذكر جيداً أن هذا الكتاب ما كان يبقى فى يد القارئ أكثر من يومين اثنين لقلة النسخ وكثرة الطلاب المتلهفين على قراءته .

ولو لم يكن رفائيل كتاباً فيه عاطفة نبيلة وشعور حى لكفى أن يكون فى لغتنا قطعة فنية . وأشهد أن لأسلوب الترجمة الفنية التى ظهر بها هذا الكتاب هذا أكبر الفضل فى تحسين أسلوبنا الانشائى يوم كنا نجيل البصر فى الكتب على الرفوف فلا نرى غير ركام من ألفاظ وعبارات يمجها الذوق ولا يلازمها الحسن أوشبهه .

وإلى القارئ آلام فرتر ! فهل كان « جوت » الفيلسوف مخادعاً يوم قدّم كتابه إلى العالم وقال فى مقدمته « إنك لن تستطيع وأنت تقرأه أن تحبس نفسك عن الاعجاب بفكره وقوة حسّه ، ولا قلبك عن الولوع بخلقه وشرف نفسه ، ولا عينك عن البكاء لمثار جده وبؤسه ! »

اللهم إنا لم نجد فى الكتاب غير ما قدم المؤلف به كتابه ، ففيه الشرف الصميم وفيه الخلق الكريم وفيه الاخلاص والأيثار والصبر والجلد .

وما أرى أن الدكتور طه حسين كان مدفوعاً للثناء يوم قال فى مقدمة الكتاب « لقد وفق صديقنا الزيات حين نقل إلى اللغة العربية آلام فرتر للشاعر الفيلسوف « جوت » . وفق إلى حسن الاختيار فما كان لشعب يُجل نفسه ويريد أن يعد بين الأمم الحية أن يجهل شاعراً فيلسوفاً كجوت قد أثر نبوغه الفنى والفلسفى فى الحياة العلمية والنفسية للعالم الحديث أشد تأثير . وما كان لهذا الشعب أن يجهل كتاباً كآلام فرتر قد عرفه الناس جميعاً فى أوربا فأحبوه وكلفوا به ، حتى أنك لا ترى فتى ولا فتاة فى السادسة عشرة من العمر إلا قرأه وقرأه وحاول أن يتفهم معانيه ويتأسى بما فيه » .

لا نظن الدكتور طه حسين منع هذا الكتاب عن أولاده أو نصح لهم بالحيطة فى قراءته ولا نشك فى أن رجال المعارف بلا استثناء يزينون مكتباتهم بهذا الكتاب العبقرى الخالد ويسرهم أن يروه فى أيديهم بنيهم وبناتهم

بقيت مسألة هى مدار البحث ويجب ألا تعتبر كلمتى فيها فضولاً . فان لمصر مكانتها فى العالم العربى ، ولثقافتها المكان المرموق فى نظر طلاب العلم والأدب . فالكتاب الذى يرى أئمة الأدب فى مصر أنه صالح للتداول يصبح هذا الرأى كورقة النقد تصرف فى أى مكان . فهل من الحق أن كتاب «رفائيل» وكتاب « آلام فرتر » لهما أثرهما فى الأخلاق من « ناحية عكسية ؟ » . الطالب يجيبك : لا ، والأستاذ لا يمنع أن يكون هذان الكتابان فى صدر مكتبه وبين أهله وأولاده

أذكر أن « فرانس بيكون » قال فى الكتب : « إن من الكتب مايذاق ، ومنها مايبلع ويزدرد ، ومنها مايمضغ ويهضم ويتمثل » فكم فى مكاتبنا من تلك الكتب التى تذاق وتبلع وتمضغ على درجاتها ؟ اللهم إنى إذا أجهدت نفسى وبحثت مع غيرى عن الكتب التى تضمنتها مكاتب الكثيرين من طلاب المعاهد فى العالم العربى لم أعد إلا وفى قلبي طعنة الأسى والأسف لهذه المختارات والمنتخبات يمودون إليها بين الحين والحين

إذا كان رفائيل وفرتر مفسدين للأخلاق فماذا يقال فى آلاف الكتب البوليسية والروايات الخليعة والمجلات الساقطة التى تغص بها مئات المكاتب فى القاهرة والقدس وبيروت ودمشق وبغداد ؟ إذا كان فى هذه الكتب انتحار فلماذا لا تمنع الصحف عن أعين الطلاب وفيها عشرات الحوادث من هذا النوع فى كل يوم ؟

لو لم تقرر اللجان كتاباً من الكتب واكتفت وذلك بأن تفرض رقابة على وسائل الانتاج الثقافية لكان ذلك خيراً . أما أن تترك الأدب الرخو الخليع المكشوف يطغى على أكبر جزء من تفكير الشباب ثم تمنع أو لا تحبذ تقرير كتابين هما درة الكتب لأعلام الكتاب فهذا ما نؤاخذ عليه

« فلسطين » على كمال

ماضي القرويين وحاضرها

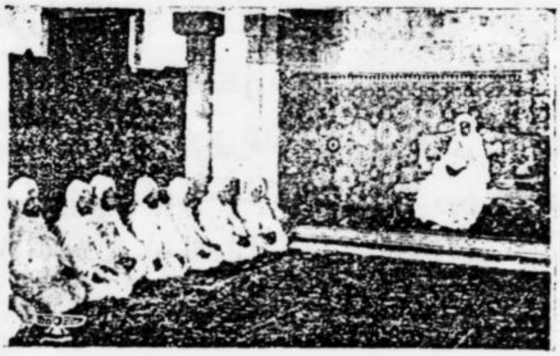
للأستاذ عبد الله كنون الحسني

— ٣ —

وليس لأوقات الدراسة ضابط معين بل النهار كله من طلوع الفجر إلى المغرب وقت صالح للتدريس وتزاد عليه الحصة الواقعة بين المشاءين أيضاً . والدرس قد يمتد إلى الساعتين والثلاث بحسب قوة الأستاذ . وتدرس العلوم العقلية والنقلية فى الصباح والمساء على السواء ، إلا أن الغالب تخصيص الحصة التى بين المشاءين بالدروس الدينية والتهذيبية والوعظية من التفسير والحديث والفقه لحضور العامة لها إذ يكون الوقت وقت فراغ وانصراف عن الشغل . وكذا يقال فى الدرس الأول الذى يكون عقب صلاة الصبح . وأيام العطلة هى فى الغالب الأخمسة والجمع وأسابيع الأعياد وأيام المواسم . على أن منهم من يغتنم فرصة هذه الأيام فيقرأ فيها فنوناً متنوعة فى كتب صغيرة مما يتهيأ ختمه فى مدة قريبة

ومواد الدراسة لا تنضبط بعدد ولا تستقر على حال . على أن الدروس الدينية واللغوية لم تنقطع من الجامعة فى وقت من الأوقات ودائماً تكون لها الأغلبية ، فى حين أن العلوم العقلية منها ما لا ينهض إلا بمناصرة السلطة التى يكون هواها مع هذا العلم أو ذاك كما حصل على عهد الموحدين من إحياء علوم الفلسفة والأخذ بضبع أهلها لِما كان من ميل يوسف بن عبد المؤمن (مأمون المغرب) لها وشغفه بها . ومنها ما كان يروج وينفق إذا وجد من يحسن القيام عليه والدعوة إليه من أهله المتحققين به المتفرغين له كالنهضة العظيمة التى كانت لعلوم الرياضة على عهد المرينيين ، والتى أوجدها أفراد من العلماء كانوا فى عهدهم منقطعى القرين فى تلك العلوم

ثم الطلبة قسمان : (١) أهليون ونعنى بهم أبناء فاس ، وما زال أهل فاس من أحرص الناس على طلب العلوم الدينية فى القرويين (٢) وآفاقيون ومنهم الواردون على فاس من مختلف المدن والقرى فى المغرب بل والجزائر والصحراء ، وعددهم يتراوح بين (٥٠٠) و(٧٠٠) طالب . ومحل سكناهم المدارس التى سبق الكلام على بعضها ، ويتناولون من الأوقاف بصفة مؤونة رغيفاً واحداً فى اليوم . ولبعضهم جرايات وقفية لا بأس بها يأخذونها مقابل بعض الأعمال التى يقومون بها فى المساجد الأخرى والقرويين نفسها



(جلالة السلطان سيدى محمد والوزراء جاثون بين يديه)

وكان للطلبة قبل هذا الآن صولة كبيرة بحيث أن السلطة لم تكن تتدخل فى شؤونهم وإنما يرجعون فى فصل خصوماتهم إلى مقدميهم وإلى الأساتذة . ومما يدل على مزيد الاعتبار الذى كان لهم سواء عند الشعب أو الحكومة ، تلك النزهة الربيعية التى كانوا يقيمونها كل سنة على ضفاف وادى الجواهر خارج فاس ويشارك فيها جميع طبقات الشعب والحكومة نفسها فيرسل السلطان ممثله ، ويهدى السلطان الى الطلبة هدية جيلة فى مهرجان حافل ، بينما يقدم الطلبة على لسان سلطانهم طلبات مهمة إلى السلطان ، وقد يكون فيها العفو عن مجرم أو الرضا عن قبيل ما ، أو تحريرهم من مغرم ونحوه إلى غير ذلك ، فتنفذ الطلبات بسرعة ويرجع الطلبة مفعمين بالسرور والزهو والحبور . وهذه النزهة لا زالت تقام حتى اليوم لكن لم يبق لها الاعتبار السابق

وإذا نظرنا إلى تاريخ العلوم فى القرويين نجد أنها اجتازت بثلاث مراحل مهمة :

الأولى: عند قيام الدعوة الموحدية فى منتصف القرن السادس حيث انتصر مذهب الأشعرية فى الاعتقاد على مذهب السلف

الذى كان عليه أهل المغرب منذ البدء ، فدخل علم الكلام على طريقة الأشعرى بما يستلزمه من نظريات الفلسفة ومقدماتها إلى القرويين وتوطد أمره فيها منذ ذلك العهد إلى يوم الناس هذا

والثانية : عند ما أعلن يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين الحرب على علم الفروع وعمل على نشر السنة بالترغيب والترهيب وأحرق كتب الفقه من المدونة والتهذيب والواضحة وغيرها ، فانصرف الناس إلى علوم الحديث والتفسير وإحياء ما اندثر من أصولها وكان ذلك فاتحة عهد جديد فى الدراسات الاسلامية بالقرويين

والثالثة : عند ما أصدر السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى منشوره الاصلاحى الهام إلى الشيخ التاودى بن سودة ، وكان رأى ما آلت إليه الحركة العلمية فى القرويين من الفتور والاضمحلال فساءه ذلك المآل وعمل على بعثها وتجديدها بما أثر فى حياتها المستقبلة بعد ذلك تأثيراً بليغاً

هذا مجمل نظام القرويين والحالة العامة التى كانت عليها إلى انقضاء الثلث الأول من القرن الرابع عشر الحاضر . وبعد ذلك فى عام ١٢٣٢هـ دخلت الكلية فى طور الاصلاح والتنظيم الحديث إذ أصدر السلطان مولاى يوسف رحمه الله أمره بتأسيس مجلس للنظر فى شؤون القرويين ووضع برنامج للدراسة فيها ، فتألف المجلس ووضع البرنامج ، وكان من أهم ما اشتمل عليه مما يُعدُّ حدثاً جديداً فى تاريخ الكلية ، تقسيم منهاج الدراسة إلى ثلاثة أقسام: ابتدائى وثانوى ونهائى، وتقرير نظام المراقبة والامتحانات؛ ولكن تنفيذ هذا البرنامج كان من العسير لمخالفته لمألوف الناس الذين يقفون كثيراً مع العادات . وجاءت مشاركة بعض الشخصيات الغربية فى وضعه ضغثاً على إبالة ، فاستراب الناس به حتى من كان يحب الاصلاح ويميل إلى التجديد . وهكذا بقى ما كان على ما كان. وحدث أن السلطة كانت تستخدم بعض الشخصيات البارزة من العلماء فى مختلف المصالح ، والبعض الآخر كان ينتثر عقده بالموت ، فلم يشعر الناس إلا وجامع القرويين يكاد ينعق فيه البوم والغراب لخلوه من أهل الكفاية والجد الذين كانوا يعمرونه بالدروس النافعة الدائمة ولا يبغون على ذلك ثواباً ولا أجراً . فقلقت الأفكار وساءت الظنون وكثرت المساعى التى ترمى إلى الاصلاح العملى والتنظيم الجدى ، فما كان إلا أن صدر الأمر الملكى المحمدى الكريم بذلك ونفذ فى محرم فاتح عام ١٢٥٠ ولا يزال العمل عليه إلى الآن

ينص هذا الأمر على تقسيم منهاج الدراسة إلى ثلاثة أقسام كالسابق ويزيد عليه بجعل القسم النهائى على نوعين : دينى وأدبى . ويحصر مدة الدراسة فى (١٢) سنة منها ثلاثة للابتدائى وستة للثانوى وثلاثة للنهائى . وفضلاً عن تقريره لجميع العلوم الشرعية وآلاتها التى كانت تدرس فى الكلية من قبل — فإنه أضاف إليها علوماً جديدة كالتاريخ والجغرافية والهندسة وجعل عدد الأساتذة النظاميين (مبدئياً) ٣٢ وعين لهم أجوراً لا بأس بها ، وحدد مدد العطلة ، وضبط أمر امتحانات النقل والتخريج ، وبين نتائج النجاح وما يخوله نيل الشهادة فى كل من الأقسام الثلاثة

(يتبع — طنجة)

عبد الله كنون الحسنى

بين الفكاهة والجد

تحية كلب

إلى الكلب البوليسى « هول »

للأستاذ محمود غنيم

كلبٌ ينمُّ على الجناهْ   تمشي العدالة فى خُطاهْ
إن قال أرهفت النيا   بةُ سمعها وصغى القُضَاه
كم أفلتَ الجانى فشمَّـر   ساعديه واقتفاه
لم يُعْيِ أهلَ البحث سرٌّ   غامضٌ إلا جلاه
يستخرج السرَّ الدفيـنَ   كأنه بعضُ الحُواه
وكأنما هو إذ ترا   هُ مشعوذٌ يتلو رُقاه
عَيُّ اللسان وإنما   فى أنفه جُمعت قواه
هو لا يحيد عن الصوا   ب ولا يُحَابى من رشاه
لا يعرف القربى ولو   كان الذى يجنى أخاه
هيهات لا إشكالَ فيـما   يَدَّعيه ولا اشتباه
كم ناطقٍ تبع الهوى   فلوى بغير الحق فاه
ضلَّ ابنُ آدمَ نهجَهُ   حتى رأى كلباً هداه
ما أضعفَ الإنسانَ مَقْـدِرَةً   وأكثرَ ما ادَّعاه
قد بات يرعى الأمنَ «هُو   لُ» وغيرُه يرعى الشياه
كلبٌ عصامِيٌّ بَنَتْ   أركانَ دولته يداه
يا رُبَّ مفتخرٍ عليـكَ   ببيت مجدٍ ما بناه
كلبٌ وضيعُ الأصل لا   ليثٌ ولا ليثٌ نماه
استقبلوه مُصَفِّقيـنَ   كأنه بعضُ الغُزاه
كم وَدَّ شبلُ شرًى بجدْ   عِ الأنف لو أضحى أباه
خافته دون الله أفـئدة   الجبابرة الطغاه
يخشاه من لا أُذنَ تسـمعه   ولا عينٌ تراه
عجباً يخاف الكلبَ قو   مٌ لا يخافون الإلهْ!

* * *

شيخَ الكلاب أخفتَ ذئـبَ الأنس لا ذِئبَ الفلاه
لهجَتْ بذكرك ألسُنٌ   وروت حوادثك الرُّواه
وَسلبتَ كلبَ الكهف ما   بيديهِ من عزٍّ وجاه
لم تَقضِ فى النوم الحيا   ةَ كما قضى فيه الحياه
لكن سهرتَ على السلا   م وبات ينعَمُ فى كراه
صاد الكلابُ فكان صيـدُهمُ   الحمامةَ والقطاه
وأنفت من صيد البُزَا   ة فصدت صيَّادَ البُزاه
إن طوقوك فطالما   طوَّقْتَ أعناقَ العُتاه
أو سلسلوك فطالما   سَلْسَلْتَ أقدامَ العصاه
يا أيها الواشى رعا   كَ اللهُ من بين الوشاه
يا رُبَّ مظلومٍ له   كُتِبَتْ على يدك النجاه
بإشارة منك الحيا   ةُ لمن تشاء أو الوفاه
للأمن شُرْطِيٌّ عليـهِ   ساهرٌ يحمى حماه
لا يستقلُّ بمكتبٍ   بين اليراعة والدواه
قبض المرتَّبَ غيرُهُ   والخبزُ فى الدنيا كفاه
ما زان مِعْصَمَهُ شريـطٌ   أو تألَّقَ منكباه
أدّى لوجه الله وا   جِبَهُ بحزمٍ وانتباه
متواضعٌ بين الجنو   دِ يلينُ إذ يقسو القساه
يا رُبَّ جندىٍّ بدا   لك بيدقاً فى ثوب شاه
يمشي فيغضبُ حين لا   تعنو لطلعته الجباه
قالوا أتُطرِي الكلبَ قلـتُ لهم   ومن أُطرِي سواه؟
يرعى الودادَ وما رأيـتُ   من الأنام فتًى رعاه
لا أبتغى صلة الأنا   م فكلُّهم مثلى عُفاه
كم لَذَّ طعمُ وعودهم   عند المرور من الشفاه
فتبخرت تلك الوعو   دُ كما تبخرتِ المياه
الصُّلْبُ بين الناس إنْ   أنت استندت إليه واه
والليثُ فيهم ساعةَ الـ   جُلّى يفرُّ فرار شاه
لا يؤمَنُونَ عَلَى الأذى   والكلبُ مأمونٌ أذاه
سألوا الكلابَ الحقَّ إذْ   وَجدُوه بينَ الناسِ تاه

محمود غنيم

الغد المشؤوم !!

« إليك ... وقد وعدتنى بلقاء
الغد فما عدت ! ولا عاد !! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

وَقُلْتِ : «غداً تبرأ جراحُكَ» فانطوت
عَلَى نارها تحتَ الدُّجى تتضرَّمُ

تُغمغِمُ باسم الفجرِ ، عَلَّ صباحَهُ بِفرحتها فوق الرُّبَى يتبسَّمُ
وَعادتْ كما كانتْ جِراحاً حزينةً
تكادُ عَلَيْها خيبةُ الرُّوحِ تَلْطِمُ !

وَقُلْتِ : « غداً ليلاتُكَ السُّودُ تنجلي
وَيهجُرُ دُنيانا العذابُ المُخيِّمُ ! »

فَنَيَّدتُ أجفانى عن النوْمِ عَلَّها إذا ماتَ ليلي فى ضُحى الحُبِّ تَنعَمُ
فعادتْ كما كانتْ وَجُنَّ ظَلامُها فذاب به طيفُ الضياءِ المُهوَّمُ !

وَقُلْتِ : « غداً يا شاعِرى تَلمحُ المُنى
عَلَى رُوحِكَ الشاكى الحزينِ تحومُ ! »

فَعالَتْ ساعاتى ! وَقُلْتُ : لَعَلَّما هَواكِ غداً يا نفسُ يحنو ويرحمُ
وجاء غَدِي المشْؤومُ خيبانَ بعدَ ما
قضى اللّيلَ ـ مفطورَ الرّجاءِ ـ المُتيَّمُ !

وَقُلْتِ : غداً صحراءُ عُمرِكَ جَنَّةٌ وَصفْوٌ لِدُنيانا ، وَلَهوٌ وَأنعُمُ
وَتسبيحُ أحلامٍ ، وآفاقُ نشوةٍ وَدُنيا أغانٍ للهوى تترنَّمُ !

وَجاء غَدى قفراً مَحيلاً سُكونُهُ
مَناحاتُ جِنٍّ فى الكهوفِ تُدَمْدِمُ !

وَقُلْتِ:دُخانُ اليأسِ وَلَّى وَفى غدٍ سيَسْعَدُ هذا اليائسُ المُتجهِّمُ !
وَجاءَ غدِي لا كانَ جاءَ وَلا انتهَى إلىَّ بهِ دَهري الأثيمُ المُذمَّمُ !
فَسِرْتُ وَأيَّامى خرابٌ وَظُلمةٌ ! وَعَيْشِى مَلالٌ كُلُّهُ وَتبرُّمُ !
عَلَى شَبَحِي المهدودِ فَوْضَى ! وَضجَّةٌ
وَيأسٌ ! وَفى قلبى مِنَ الحُزنِ مأتمُ !

وَفى نفسِى لو ينشقُ الموتُ رِيحَهُ زَوافِرُ تَبلى مِنْ لظاها جَهنَّمُ !
فياغادتى أقسمتُ بالحبِّ بالمُنى بنورِكِ بالفنِّ الذى راحَ يُلهِمُ !
لَقرَّبْتِ لى يومَ اللِّقاءِ ! وَعُدْتِنى لِيَهدأَ مفجوعُ الأمانِيِّ مُسقَمُ
وَأسعدَ قبلَ الموتِ لو شئتِ لحظةً أزوَّدُ مِنها للخلودِ وأغنَمُ
وَإنْ شئتِ نسيانى .. فياضيعةَ الهوى !
وضيعةَ أحلامِي التى كنتُ أحلمُ !
وَياضيعتى فى العاشقينَ ! كأنَّنى مِنَ اليأسِ لغزٌ فى فمِ الحُبِّ مُبهَمُ !

دعوة إلى المرح

للأستاذ فريد عين شوكة

دَعِ الهمَّ وَالشَّجَنْ فالجوى يُفسِدُ الزَّمنْ
وَاغتنِمْ ساعةَ الرِّضى فالرضى راحة البدن

عِشْ بدنياك كالطيور مَرِحَ النفس منشدا
لا تَدَعْ عمرك القصير ينقضى فى البكا سُدى

سوف تبكي وتنتحبْ والورى عنك فى شُغُلْ
وإذا دمعك انسكبْ ضحكت حولك المُقَلْ

هل ترى شاكياً شكا فشكا واحدٌ معَهْ ؟
أو ترى باكياً بكى كفكف الناس مدمعه؟

طبعُ المرءِ مالَهُ غير إشباع رغبتِهْ
وإذا الخطبُ غالَهُ راحَ يشكو لِصُحْبَتِهْ

يا مشُوقاً لما مَضَى هل يوافيك ما انقضى ؟
ما مضى فات وانقضى وَغَدٌ مُعْتقَدُ النظر

فاشحَذِ العزمَ للغدِ إنه مَوْئِلُ المُنَى
وادفع اليأسَ باليدِ تجِدِ الصعب هيِّناً

إنما اليأس فى الحياه معوَلٌ يحطِمُ القُوَى
وإذا لامستْ يداه صَرْحَ مجدٍ بها هَوَى

فريد عين شوكة



الى الأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فلقد قرأت باعجاب ما نشرتموه في الرسالة جواباً على الأسئلة الأشقودرية ، وأفدت منه علماً كثيراً أشكركم عليه وأسأل الله أن يجزيكم عنه خير الجزاء . ولكني وقفت عند قولكم (إن الطرق الصوفية تجانية وغيرها إنما أحدثت في الاسلام لجمع قلوب المسلمين على إقامة الشريعة الغراء إقامة كاملة ، إلى آخر ما قلتم)، وخشيت أن يفهم بعض القارئين من هذه الجملة أن جمع قلوب المسلمين على إقامة الشريعة لا يكون إلا بهذه الطرق ، فتكون الشريعة إذن ناقصة محتاج إلى متمم ، مع أنكم لا تريدون هذا ، ولا تشكون في أن الشريعة جاءت كاملة مكملة ، لا تحتاج إلى أدنى زيادة ، وأنها تكفل للمسلم كل خير ينبغي له في دنياه وآخرته . وإذا كان ذلك كذلك فماذا يبقى لهذه الطرق من عمل ؟ وهل تخلو من أحد شيئين : إما أن تكون زيادة على الاسلام فهي مردودة ، وإما أن تكون الاسلام نفسه فلا يبقى فرق بين مسلم شاذلي أو نقشبندي، ومسلم ليس له طريقة من هذه الطرق ، وتكون الطرق على هذا الفرض تحصيل حاصل وهو باطل . وليت شعري ما القصد من هذه الطرق ؟ إن كانت للذكر المرتب ففي كتاب الأذكار للنووي من الأذكار المأثورة ما يملأ يوم المسلم وليلته، وهي أفضل قطعاً من الأذكار التي وضع صيغها شيوخ الطرق ؛ وإن كان القصد تهذيب السريرة وتنقية القلوب فليس وراء الكتاب والسنة ما يهذب سريرة وينقي قلباً ؟ فهل القصد إذن تفريق جماعة المسلمين ؟

هذا كله إذا خلت الطرق من كل ما يخالف أصل الدين، أما إن وقع فيها الخلاف كما هو الشأن في كثير من الطرق فهي مردودة بالاتفاق

بقي يا سيدي عدكم (الوهابية) من الطرق الصوفية ، مع أن الوهابية حركة سلفية يراد منها ترك كل مبتدع في الدين ومنه هذه الطرق ، والرجوع إلى الكتاب والسنة . ثم إنه ليس في الدنيا مذهب أو طريقة تدعى (الوهابية) ، ولا يعرف هذه الكلمة أهل نجد أنفسهم ، ولا كان ابن عبد الوهاب صاحب مذهب وإنما هو مصلح منبه ، وأهل نجد حنابلة على مذهب الامام أحمد ناصر السنة

هذا ولكم يا سيدي الشكر الأجزل والسلام عليكم ورحمة الله

« دمشق » علي الطنطاوي

مكتبة دار الآثار في بغداد

روت (الأخبار) البغدادية ما يأتي :

ذكرنا في أعدادنا السابقة لمعاً عن مكتبة دار الآثار في العاصمة وما تحويه هذه الخزانة العلمية من أسفار وكتب يفتقر إليها الكثير من مكتبات الأمم الراقية في هذا الباب ، ونوهنا بالجهود الكثيرة التي يبذلها سعادة الأستاذ الكبير ساطع الحصري مدير دار الآثار القديمة في سبيل جعل مكتبة العراق الأثرية في طليعة مكتبات الآثار في العالم بما تضمه في رفوفها وخزاناتها من المؤلفات القيمة في العاديات والآثار القديمة من جميع النواحي

ونذكر اليوم أن طائفة كبيرة من هذه الكتب الثمينة أضيفت إلى المكتبة الأثرية العراقية ، وكيفية ذلك أنه يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية معهد باسم معهد الابحاث الأمريكية الشرقية غايته التعاون مع البلاد الشرقية من الناحية الأثرية . كان بعض العلماء الأثريين الأمريكيين قد أوصوا بمكتباتهم لهذا المعهد على أن يبعث بها إلى بغداد عاصمة العراق عند قيام دار الآثار فيها بتأسيس معهد للآثار . وقد مر زمن طويل على ذلك دون أن تقدم هذه الكتب إلى دار الآثار العراقية تنفيذاً لرغبة الموصين بها ، وعليه فقد سعى الأستاذ الحصري في جلب هذه الكتب والاستفادة منها هنا . وأخيراً وبعد جهود كثيرة نجح الأستاذ الحصري في مسعاه إذ قد وصلت هذه الكتب القيمة التي يبلغ عددها بضعة آلاف إلى مديرية الآثار العراقية

وخصصت لها غرفة واسعة نظمت فيها الخزانات وصنفت عليها الكتب بترتيب يسهل على الطالبين الاستفادة منها

عقد مؤتمر عام للدفاع عن مصالح الاسلام

وزع مكتب الأنباء الألماني هذه البرقية من دمشق :

اجتمع هنا أقطاب علماء الاسلام وقرروا دعوة جميع رؤساء الدين المسلمين إلى مؤتمر إسلامي عام . وسيبحث هذا المؤتمر طرق الدفاع عن مصالح الاسلام ، ورجا المجتمعون من فضيلة شيخ الجامع الأزهر فى القاهرة أن يشترك فى هذه المؤتمر

اللغة العربية فى الكلية الطبية العراقية

كانت وزارة المعارف قد اقترحت على الجهات المختصة أن يلزم خريجو المدارس الثانوية فى الدخول سنة واحدة إلى الكلية الطبية العراقية بغية تقوية ثقافتهم باللغة الانكليزية . وقد عرض هذا الاقتراح على سعادة الدكتور السيد هاشم الوترى عميد الكلية فعارضه نظراً لاعتزامه تغيير لغة الدراسة فى الكلية المذكورة وجعلها باللغة العربية أسوة بالكلية الطبية فى دمشق التى لا يدرس طلابها العلوم إلا باللغة العربية

وقد رفع العميد إلى الجهات المختصة مقترحات بهذا الصدد. ولا ريب أن هذا العزم لو تحقق سيكون للكلية الطبية العربية شأن كبير الأثر فى خدمة الطب فى هذه البلاد نظراً لما فى ذلك من بعث المصطلحات الطبية التى كان يستعملها أطباء العرب الأقدمون

الى الأستاذ الكبير العقاد

بمناسبة البحث القيم الذى تعالجونه على صفحات الرسالة الغراء ، أرجو التبسط والإفاضة فيما يأتي :

١) هل تؤمنون بمقاييس الجمال التى تعتمد أول ما تعتمد على الأرقام ؟

٢) أيتوقف تذوّق الجمال على مقدار التحضر والتثقف ، أم هو فن كالشعر ... يتوقف على الالهام والمواهب الطبيعية ؟

٣) وعلى ذلك . هل يعجز امرؤ القيس وهو ذلك الفنان البارع ، ذو الخيال الوثاب الذى استطاع أن يتذوق جمال الطبيعة، ويترجم عنها فى قصائده عن « رسم مثال للأنوثة موافق لمعانى الجمال بمعزل عن المتعة لتخلف الأوان ... »

٤) وهل لتخلف الأوان دخل فى تقدير الجمال ؟ وإذا كان كذلك ، فما بالنا نرى تمثال « ڤينوس » مع تخلف أوانه رمزاً ومقياساً لمعاهد الجمال فى العصر الحديث ؟

« القنايات » عبد المنعم غلبي

صناعة السيللوز من دوالى العنب

وصل المهندس الكيميائى فالاني بعد تجارب عدة إلى اكتشاف طريقة لاستخراج السيللوز من دوالى العنب المستعملة فى إنتاج الورق والحرير الصناعى ، وهذا الاكتشاف يساعد مساعدة كبرى على الوصول إلى الاستقلال الاقتصادى بينما يسمح بتشغيل الأيدى العاملة القروية والصناعية

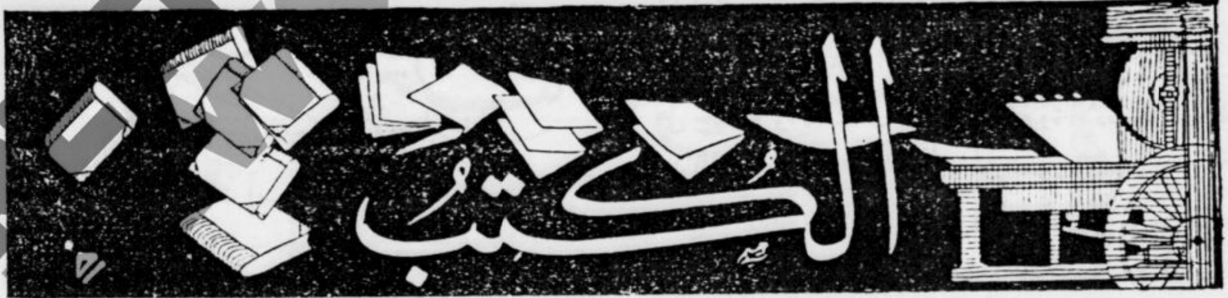
تضامن وتوائق

قال الأستاذ الجارم بك فى بعض محاضراته عن الأخطاء الشائعة فى اللغة العربية التى ألقاها بواسطة الاذاعة اللاسلكية إن كلمة (تضامن) فشت فشوا عظيما فى هذا العصر وليست موجودة فى لغة العرب ثم استبدل بها كلمة (توائق) واستشهد بقول كعب بن زهير : (ليوفوا بما كانوا عليه تواثقوا) ولكن كلة توائق لا تحل محل كلة تضامن خصوصاً فى هذا العصر لما حملها القضاء من معنى مختلف جداً عن (تضامن) لأننا إذا قلنا توائق سعيد مع حليم على تنفيذ هذا العمل أردنا بأنهما تعاهدا فيا بينهما والتزم كلاهما بتنفيذ شروطه التى تخصه؛ وأما إذا قلنا يقر سعيد بأنه ضامن متضامن مع حليم فى دفع هذا المبلغ أردنا بأنهما سيلزمان بدفع المبلغ معاً أو سيدفعه حليم وحده إذا لم يتوقف فاذاً كلة التوائق تفيد القيام بتنفيذ الالتزامات وكلة التضامن تفيد كفالة شخص ما فى دفع ما عليه أوالدفع معه أو الدفع محله. فالفرق إذاً بعيد بين الكلمتين ولن تغنى إحداهما عن الأخرى شيئا .

ولن نستطيع أن ننبذ اليوم كلة التضامن بعد ما أصبح لها من معنى خطير فى القضاء . وليس يضير العربية إذا لم تكن هذه الكلة موجودة فى كتبها ومعاجمها وأوجدناها نحن للفائدة الضرورية على القياس الصحيح. وقد ذكر الأستاذفى المحاضرات التالية ألفاظا أجراها على القياس ولم تكن موجودة فى العربية كـكلمة (عبّ) فى قصيدة المتنبي البائية الخ ...

فهل من كلة عربية صحيحة تفيد المعنى المطلوب وتغنى عن تضامن؟

ه . م . ب



الظاهر بيبرس
وحضارة مصر فى عهده*

تأليف الأستاذ جمال الدين سرور

للأديب حسن حبشي

تُرى إلى أى مدى بلغ اهتمامنا بتاريخنا القومى ... ؟ خطر ببالى هذا السؤال وأنا أتصفح هذا الكتاب الذى حاول فيه مؤلفه الشاب أن يرسم صورة لمصر فى تاريخ مصر له قيمته من الناحيتين القومية والدينية . ومما يسترعى انتباه المتتبعين للدراسات العالية هو انصراف أكثر الباحثين إلى نواح خاصة من التاريخ والأدب انصرافاً كلياً ، على حين أن هناك نواحى فى كلا هذين الفرعين لما تزل بكراً ، ومن ثم كان اهتمام الأستاذ جمال الدين سرور بتناول هذه الناحية أمراً يشكر عليه ، فلقد خصص من حياته الجامعية عامين لدراسة عصر الظاهر بيبرس ، فخرج بهذا الكتاب القيم الذى منحته كلية الآداب من أجله درجة « أستاذ فى الآداب »

إن كلا من الظاهر بيبرس وعصره موضوع جديد يتطلب من الباحث الرجوع إلى كثير من المخطوطات ، ومرجع ذلك قلة من يعنيهم تناول تاريخ مصر بعد القرن التاسع الهجرى تقريباً ، بل وقبل ذلك بكثير ، حتى ليخيل إلى الكثيرين أن مصر كانت تعيش طوال هذه الفترة على هامش الحوادث السياسية فى العالم الاسلامى ، على حين يتراءى العكس لمن يتعمق بعض الشىء فى دراسة ظواهر هذا العصر ... لقد كان العصر الطولونى فى مصر ، فهل كان فى تاريخ أمة من أمم الشرق حينئذ ما يبزه من الناحية الاجتماعية أو السياسية ؟ لقد آثرنا هذا العصر بالذات لدلالته على حيوية مصر في زمن كانت الدولة العباسية لا تزال فيه على جانب شديد من البطش والقوة . وتوالت على مصر بعد ذلك عهود لدول مختلفة كان موقف مصر فى أثنائها كلها فى صلتها بالخلافة العباسية موقف الند للند ، لا التابع للمتبوع

ومن العصور الطريفة فى تاريخ مصر عصر الأيوبيين ثم المماليك ، لما امتازت به هذه الفترة فى الشرق والغرب بأنها كانت عصر تلاحم دينى تعدى حدود الجدل إلى امتشاق الحسام فكانت الحروب الصليبية التى ظلت زمناً طويلا أهرق فيه من الدماء ما يدعونا لتسميتها بالمجازر البشرية

وفى أوائل عهد الدولة المملوكية كانت الخلافة العباسية مشرفة على الدمار ، فلقد ظهر المغول فى فارس ، وتقدموا شطر أطراف الدولة ينتقصون منها شيئاً فشيئاً فدمروا مملكة خوارزم شاه وحملوا الدمار والهلاك ، وكانوا يضمرون من الشر للاسلام ما تنبئ عنه محالفاتهم الكثيرة مع البابوات وملوك أوربا لهدم الحنيفة السمحاء . وتم للمغول بعض ما أرادوه ، فأزالوا الخلافة من بغداد ثم تحولوا شطر مصر ، وكانت — كما هى اليوم — معقل الاسلام ، فأخذت حملاتهم تنقض على أطرافها من جهة الشام ، ولكن قيض الله للاسلام إذ ذاك هذه الدولة الفتية المملوكية فوجد رجالها فى محاربة التتر ما يتفق وما نشأوا عليه من الفروسية . والعجيب فى أمر هذه الدولة الناشئة أنها استطاعت أن تصد عادية قوم وطأوا أرض أوربة وأشرفوا على سهول المجر ، وقضوا على الدولة الخوارزمية والخلافة فى بغداد

وكان من رجال المماليك الظاهر بيبرس ، فوجه جهوده بعد أخذه مقاليد الحكم بعد قطز إلى صد التتر فهزمهم عند البيرة كما هزمهم من قبل عند عين جالوت . والواقع أن ما بذله بيبرس من صدهم ونجاحه فى هزيمتهم قد مكن لهيبة مصر فى العالم الغربى حيث كانت الدول المسيحية تترقب الفرصة للانقضاض على مصر التى اضطلعت بأعباء السياسة ومواجهة العالم الغربى . كذلك خاف أمراء البيت الأيوبى لهزيمته قوماً كان يظن

(*) طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٨ فى ١٨٠ صفحة من الحجم الكبير

محاضرات اسلامية

تأليف الأستاذ عبد الرحمن الجديلي
بقلم الأستاذ إسماعيل السعداوي

ألقى الأديب المعروف، الأستاذ عبد الرحمن الجديلي، السكرتير للمرحوم سعد باشا، على العالم العربي، من مذياع مصر، هذه المحاضرات التي طبعت جماعة الوعظ والدعوة الاسلامية الجزء الأول منها، وضمنته عشرين محاضرة

والأستاذ الجديلي، ربيب ثورة مصر الأدبية والسياسية. ضمه قائدها العظيم سعد إلى خاصته، وألقى إليه بأسراره وتدوين أفكاره، لما رأى أن تياره الأدبي والفكري، يتفق وما يشتهي في المثل القوي للشباب المصري الجديد

ومكث في معهد سعد ما مكث، أبصر ما يكون شاب بطريق الحياة لقومه، والسعادة لوطنه. وكثيراً ما كانت تدفعه روحه القوية للعمل في الميدان الأدبي، فيظهر لأدبه طابع خاص، تبدو على جوانبه ثورة الشباب الدائب، في ثورة الأدب الشاب الذي يمد المشاعر والأفكار بما يعوزها من تصور وتصوير

ثم هو — قبل ذلك — قد نشأ نشأة دينية، بين مدارج الأزهر الشريف، ومدارج القضاء الشرعي، حين أزهر نبت الأستاذ المجدد الشيخ محمد عبده. فتضافر المهدان — الأزهر والقضاء الشرعي — على تموينه، وتكاتفت الثورتان — ثورة الامام وثورة سعد — على تكوينه، فجاء وكأنما دعت إلى وجوده ضرورة من دين، ونزعة من أدب، وحاجة من قصص، وداع من ثقافة عالية سامية.

سمعناه من المذياع، ورأيناه بين صفحات الكتاب، وسمعنا عنه شيئاما، فكان — في ذلك كله — سبيكة واحدة، ميزتها الأحداث الحارة بالصقل واللمعان.

وقد نسج محاضراته من رفيع الأدب، وعالي المثل، وقويم النظريات، وروح الاسلام. وجملها في ثوب قصصي شائق. يغري الآذان بالانصات، والنفوس بالاعجاب

وأكثر ما يغرى بها — تعرضها لما بين السلف والخلف من خلاف على الذوق، والخلق، وفهم الحياة، ومعنى استخدامها الانسان، واستخدام الانسان إياها. فهي تحكم الحكم الفصل الذي لا يدع ضغينة ولا حفيظة بين الجميع، وتستخدم المنطق والواقع في استدلالها، وتدعو إليه حتى تهتز لدعوتها الأفكار والألباب فاذا هي إيمان ويقين.

فاذا دعونا إلى تأثره في الخطي، وتتبعه في الانتاج الديني الأدبي، فلأنه — حقا — جدير بذلك، وبما هو فوق ذلك

اسماعيل السعداوي

أن لن يستطيع أحد ما خضد شوكتهم. كذلك قضى على طائفة الحشيشيين في بلاد الشام، وكانوا شوكة تقض مضجع ملوك المسلمين وتهدد الاسلام. ولقد عرض الأستاذ جمال الدين سرور لهذه النواحي في شيء من الاسهاب والتفصيل، وإن لم يكن ذلك بالكثير من أجل تاريخ حياة رجل أمد الاسلام بقوة، بعد أن كان مهدداً بالزوال أو الضعف الذي لم تكن ترجى بعده قوة له

كذلك تناول المؤلف الحضارة المصرية في عهده، فجاء بصورة مشرقة النواحي، تختلج الحياة بين سطورها، وتلتمع الفكرة الرشيدة والغاية النبيلة في النتائج التي جاءت بها هذه الحضارة من الاهتمام بالجيش والبحرية والرخاء المادي. ولو أنني حاولت في هذا المقال أن أحلل ما تناوله الأستاذ سرور من أوجه الحضارة المادية والأدبية لضاق النطاق، وإن كان فصله عن الحياة العلمية والأدبية (١٥٨ — ١٦٤) فيه شيء من الجدة والرونق، ولكن حسب القارئ أن يطالع بنفسه عرضه الوافي الممتع لضروب هذه الحضارة المختلفة، حتى يقف بنفسه على مدى الجهد الذي بذله المؤلف في هذا السبيل. غير أني آخذ على الصديق سرور عدم دراسته للحياة الشعبية، فذلك بحث لا يخلو من طرافة وجدة، وما كان أولاه أن يخصص من أجل هذه الناحية فصلاً، فما أسمى النواحي التي تناولها إلا « بالحياة العليا »

وبعد فان مؤلف هذا الكتاب جدير بأن يتابع دراسته في هذه الناحية العظيمة المجهولة

حسن حبشي



السينما المحلية

أجنحة الصحراء

أول أفلام الأستاذ أحمد سالم

نشطت حركة السينما المحلية في السنوات الثلاث الأخيرة نشاطاً يدعو إلى السرور والاغتباط. ولا ريب في أن السينما المحلية ربحت ربحاً كبيراً ببقاء الأستاذ أحمد سالم في ميدانها بعد استقالته من استوديو مصر. فهو شاب مقدام وطموح، تواق إلى العمل

دخل الأستاذ أحمد سالم الميدان السينمائي مزوداً بكل ما ينبغي أن يتزود به مخرج ومنتج سينمائي، ولا نزاع في أن الأفلام التي أخرجها استوديو مصر في العامين الأخيرين قد أكسبه الاشراف عليها خبرة ومراناً عملياً تاماً. وما دمنا في معرض الحديث عن الأستاذ سالم فلنقل إن (أفلام الطيران الحربي وحياة الطيارين) هي (مودة) الموسم القادم في أمريكا وأوروبا، وأول فلم يفتتح به سالم حياته كمخرج ومنتج مستقل هو: (أجنحة) الصحراء. والفلم كله (طيران) وبطله ضابط طيار... وفي هذا الاختيار ما يدل على تنبه لآخر (المودات) في عالم السينما!

والقصة من تأليفه، وموضوعها ـ كما قدمنا ـ جديد مبتكر، وخلاصته أن ابناً لأحد كبار الذوات في مصر خطب ابنة عمه وهو طالب طيران في الكلية الحربية. ولما تخرج ضابطاً عين في (مرسى مطروح)، وبعد مدة قضاها هناك عاد إلى القاهرة بطائرته وفيها التقى بعمه وطلب إليه الاسراع بتأثيث المنزل الجديد حتى يستطيع حمل الأثاث إلى مقر وظيفته وحتى يستطيع اجراء حفلة الزفاف قبل انتهاء الأجازة. وفي ذات يوم يكون (الضابط) جالساً في المطار هو وخطيبته فتهبط في المطار طائرة أخرى يملكها ابن أحد الأغنياء الذين لا عمل لهم إلا قضاء الوقت في النزهات والرحلات على متن الهواء... وتصاب الطائرة بعطب أثناء نزولها فيخف (الضابط) إلى نجدتها، وبعد أن يتم له ذلك يحدث بينه هو وخطيبته، وبين ركاب الطائرة، تعارف قوي...

ومن بين ركاب الطائرة (صديقة) لذلك الشاب الوارث، من بنات الهوى، ترى الضابط ومعه خطيبته، فتشمل بقلبها نيران غيرة عمياء، وتنوي على الفور إفساد ما بينهما واقتناص ذلك الضابط الوجيه لنفسها... فتنتهز فرصة غياب (الخطيبة) وتظل تغري الضابط حتى تستميله إليها وتعده بالنزوح معه إلى مرسى مطروح إذا هو تزوجها.. وتعود الخطيبة فيقول لها الضابط إنه قد رأى عدم إتمام الزواج بعد تفكير كثير، وتحار الخطيبة بادىء الأمر ولكنها تعود فتغلب عليها عاطفة (الحبيبة) المخلصة فتضحي بسعادتها وتزور على نفسها رأياً ليس لها، وتعود إلى أبيها فتقول له إنها قررت بعد تفكير عدم إتمام الزواج... ويلح عليها والدها في معرفة السبب فتقول له إنها رأت أخيراً أنها لا تحبه... وأنها تشعر بأنها لن تكون سعيدة معه. وتذهب بنت الهوى مع الطيار في طائرته إلى مرسى مطروح ولكن عيشة تلك الجهات الحربية الصحراوية لا تروقها، ولا تمضي بها شهور حتى تكون قد شعرت بأنها سجينة، وساعد على نمو هذا الشعور في نفسها أن زوجها كان كثير المهام الرسمية فلم يكن يجد عنده الوقت الكافي لمرافقتها في نزهتها

وبمناسبة أحد الأعياد الأفرنجية تقضي العادة أن تقام حفلة راقصة في (استراحة) المدينة. فانتهزها الطيار فرصة وأسر في نفسه أن يصطحب زوجته معه في تلك الليلة إلى الرقص، لتبهج نفسها، ولترقص، وليغشى بصرها بصيص من نور الحياة الأوروبية التي حرمتها مرة واحدة. وإنه لكذلك إذا باشارة مستعجلة يتسلمها الضابط وكان قد اختير رئيس فرقة لمهارته وذكائه، يأمره فيها القائد العام بالذهاب إلى جهة بعيدة بأقصى سرعة مستطاعة. وإذ كان الضابط لا يعرف نفسه وزوجه قبل أن يعرف واجبه، أسرع إلى طائرته بعد ما أفضى إلى زوجته بجلية الأمر، وانطلق على بركة الله وفي سبيل الواجب...

في نفس تلك السويعات يصل إلى مرسى مطروح ابن الذوات

الذى كان الضابط قد أنقذه . وكان طبيعياً أن يفكر — أول ما يفكر — فى زيارة منزل الضابط الذى أنقذه والذى توشجت بينه وبينه عرى صداقة وثيقة، ويذهب إلى المنزل فلا يجد الضابط ويجد زوجته ، فلا تكاد تراه ولا يكاد يدعوها للذهاب معه إلى الليلة الراقصة ، ويفهمها أنه جاء من مصر إلى مرسي مطروح ليرقص فى هذه الليلة حتى تستجيب لدعوته ، وترافقه إلى الاستراحة حيث البهجة والرقص . ومعلوم أن صداقتها القديمة له لابد أن يكون لها أثرها فى موقفهما الشيطانى اللعين

وترقص الزوجة ، وتمعن فى الرقص ، وتشرب وتسرف فى الشراب ، وتمجن وتذهب فى المجون إلى آخر الشوط . ويرى ذلك (القومندان) رئيس زوجها الذى يعرف فيه الشرف والاستقامة ، فتثور ثائرته ويغار على شرف مرؤوسه ، ولكنه لا يجرؤ على أن يفعل شيئاً آنذاك فى العلن وعلى ملأ من الناس، ويرى زملاء الطيار ما انزلقت إليه زوجة زميلهم ، فيسخطون ويتذمرون . حتى إذا انتهت الليلة عادت الزوجة إلى منزلها بعد أن اتفقت مع (صديقها القديم) على الهرب... ويلحق (القومندان) بها ويؤنبها على سلوكها ويفهمها كل ما صدر عنها مما لا يصدر عادة عن الحرائر الكريمات ، ولكنها تهزأ بتأنيبه ولا تسمع لقوله فيخرج وقد صمم على الافضاء إلى زوجها بكل شىء ...

ولا يكاد (القومندان) يوليها ظهره حتى تجمع ملابسها فى حقيبة وتسرع فتلحق بصديقها وتتحرك بهما الطائرة فى طريقها إلى مصر ... ولكن الطائرة لا تصل إلى مصر إذ يصيبها حادث فتفقد توازنها وتهوى براكبيها فى جهة غير صالحة لنزول الطائرات

وكانت إدارة مطار القاهرة تنتظر وصول الطائرة ، فلما لم تحضر فى الموعد أبلغت الأمر إلى جهات الاختصاص ، وجرى البحث عنها دون جدوى ، ويقر رأى الجميع على أنه ليس لانقاذ هذه الطائرة والبحث عنها إلا ضابطنا البطل ... ولكنه يرفض أن يقوم للمرة الثانية بانقاذ اثنين خاناه وعبثا بشرفه ... وأخيراً يصله خطاب من ابنة عمه وخطيبته السابقة — بعد أن تكون قد عرفت كل شىء من الصحف — تعرض عليه حبها من جديد وتطلب إليه أن يقوم بانقاذ الطائرة المفقودة ... ويفعل الطيار ذلك ، وفى عودته يصاب بحادث من فرط ألمه ، بعد أن تكون زوجته قد اعترفت له بأنها هربت ولكنها لم تعبث بشرفه قط ، وإن هربها إنما هو لسبب أنها تعيش معه عيشة لم تخلق لها ... ولا يصحو فى المستشفى إلا وابنة عمه إلى جوار رأسه ويستيقظ وزوجته القادمة تداعب شعره وتقبله قبلة الحب والتضحية

اخبـــار سينمائية ومسرحية

فيلم أم كلثوم الجديد



عرض الأستـــاذ رامى على الآنسة أم كلثوم مسودة روايتها السينمائية القادمة مع ألحان هذه الرواية . وقد فهمنا أن الآنسة قبلت الرواية وبدأت مراجعتها هى و (مجلس مستشاريها الفنى) لادخال التعديلات اللازمة عليها فى الحوادث وبعض عبارات الأغانى لا فى الرواية طبعاً !

عودة محمد عبد الوهاب



يعود الأستاذ محمد عبد الوهاب إلى مصر فى الأسبوع الأول من الشهر القادم ويبدأ العمل مباشرة فى فيلمه الجديد الذى وضع قصته الأستاذ محمود بك تيمور ، والسيناريو الأستاذ محمد كريم . والذى علمناه حتى الآن أن الرواية من نوع جديد ، وسيفاجأ الجمهور بابتكارات جديدة فى الاخراج واختيار ممثلى الأدوار المختلفة

عودة فالنتينو

بمناسبة الذكرى السنوية للنجم الشهير ردولف فالنتينو ، عرضت بعض دور السينما فى أوربا وأمريكا بعض رواياته الصامتة . وقد دل الاقبال الهائل الذى صادفته هذه الأفلام — رغم مرور خمسة عشر عاماً على عملها — على أن الفقيد فالنتينو لم يفقد شيئاً من مكانته فى قلوب العذارى على الأقل

بول مونى وهتلر



يقرأ (بول موني) مسرحيـــة الكاتب الشهير (أرنست تولر) عن (هتلر) تمهيداً لقيامه بتمثيلها على المسرح وإذا عزم على تمثيلها فشركة إخوان وارنر هى التى تتولى الانفـــاق على إخراجها

عودة شيهان الى المترو جولدوين

عاد المخرج المعروف (وينفيلد شيهان) إلى العمل كمخرج فى استديوات المترو جولدوين ماير وذلك أثر استقالته من رئاسة الاخراج فى شركة فوكس. وقد بدأ إخراج فيلم تدور حوادثه فى أحد ميادين سباق الخيل

6 me Année, No. 270

Lundi - 5 - 9 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٧٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ رجب سنة ١٣٥٧ — ٥ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهــرس

حاشـــية على التفريع

للأستاذ عباس محمود العقاد

إذا كان الجسم الجميل هو الجسم الذى ليس به فضول ، فما هو الفضول الذى يعيب الأجسام ؟

الفضول فى تعريف عاجل هو الزيادة عن الحاجة . ونعود فنسأل : ما هى الحاجة ؟ إن الجسم قد يحتاج إلى الصحة ، وقد يحتاج إلى الحركة ، وقد يحتاج إلى الظهور ، وقد يحتاج إلى الخفاء ، فكيف نعرف الحاجة التى يتعلق بها الفضول ثم يتعلق بها النظر إلى الجمال ؟

نقول فى تعريف عاجل أيضاً : إن الحاجة هى إنجاز « الوظيفة الحية » فى تكوين الأحياء

فالزرافة لها عنق طويل لا نستقبحه إذا رأينا هذا الحيوان ، ولكننا لو رأينا عنق الزرافة على جسم حصان لقلنا إنه حصان قبيح مشوه مختل التكوين ؛ والتشويه والجمال ضدان لا يجتمعان

يسأل سائل فيقول : إذن يرجع الجمال إلى المنفعة ؟ إذن نستطيع أن نقول إن العضو الجميل هو العضو النافع على وجه من الوجوه ؟

ونسرع فنقول : لا . إن الجسم النافع ليس هو الجسم الجميل فى جميع الأحوال ، بدليل أن هناك حيواناً أجمل من حيوان ،

فلماذا يكون الحصان مثلا أجمل من الزرافة أو تكون الهرة مثلا أجمل من الفار إذا كان المرجع فى نظر الجمال إلى منفعة الأعضاء ؟

كل عضو في حيوان فهو نافع لذلك الحيوان ، وعنق الزرافة نافع لها لأنها حيوان يعيش فى الغابة ويختار من لطائف الشجر كل ما ارتفع فى الأغصان . ولـكن لماذا كان عنق الحصان أجمل من عنق الزرافة ؟ ولماذا كان الحصان فى جملته أجمل من الزرافة فى جملتها، وكانت حركة الحصان أجمل من حركة الزرافة فى السرعة أو المهل ؟

ذلك أن مرجع الأمر فى نظر الجمال إلى شىء غير المنفعة للحيوان أو لمن يستخدم ذلك الحيوان

مرجع الأمر إلى الحرية كما بينا فى مقالات كثيرة سبقنا بنشرها قبل سنوات

فـكلما كان الجسم أقل ضرورة وأكثر حرية كان أقرب بذلك إلى الجمال ؛ وعنق الزرافة يقيدها بالغابة ، وليس هذا هو الشأن فى عنق الحصان فانه لا يقيده بمكان . فهو من ثم أجمل من الزرافة فى هذا الاعتبار

وإنما نرجع إلى « الوظيفة الحية » لنعلم أن الطول أوالقصر فى جزء من أجزاء الحيوان ليس بطول تشويه ولا بقصر تشويه ، لأن التشويه والجمال لا يتفقان

فأنت إذا رأيت عنقا طويلا على كتفى زرافة لم تحسب أنها زرافة شائهة أو زرافة ممسوخة ؛ ولم يمنعك إذن مانع التشويه أن تحسبها « زرافة جميلة »

أما إذارأيت هذا العنق كما هو على كتفى غزال، فانك معتقد فيه المسخ والتشويه على البديهة ؛ ومعتقد من ثم أنه لن يكون على شيء من الجمال ، بل هو نقيض الجمال

* * *

على هذا المعنى كان جسم الرجل أجمل من جسم المرأة، وإن صعب فهم هذا على بعض الأذواق التى تنساق بالغريزة إلى الغريزة، دون النظر إلى جمال المعانى وجمال الأوضاع

فمن رأى جسم المرأة رأى لأول وهلة أنه جسم ملحوظ فيه ضرورات كثيرة ، وأنه منظور فيه إلى مخلوق آخر غير صاحبة الجسم التى لا تحتاج إلى ذلك التركيب ؛ وهذا المخلوق الآخر هو إما الجنين الذى تحمله فى أحشائها ، وإما الرجل الذى ينظر إليها نظرة الاستحسان

فاذا قلنا إن العضو الجميل هو عضو يحمل نفسه ويخيل إليك أنه غير محمول على سواه فالمرأة كلها محمولة على تركيب حيوان آخر منعزل عنها ، ولا بد أن يجور على ما فى تركيبها من معانى الجمال العليا

فيلاحظ فى أغلب أجسام النساء طول الجذع واتساع المسافة بين الحرقفتين ، وإنما يوجب ذلك أنها فى حاجة إلى مكان الجنين ومكان خروجه بعد تمام حمله ؛ وقل مثل ذلك فى النهدين والثديين ، أو قل شبيها بذلك فى ضيق الكتفين ؛ فان قصر الكتف وضعفها لا يضيرانها فى إنجاز وظائفها ، فهى على هذا المعنى تنجز وظيفتها بزيادة فى مواضع ونقص في مواضع أخرى منظور فيها جميعا إلى تركيب خارج عن تركيبها ؛ ولن يبلغ الجسم حد الجمال الأقصى ما دام جمـاله معلقا على شىء غيره ؛ وما دام ذلك الشىء أولى بالملاحظة والتقديم فى بعض الأحوال

لهـذا يصعب التوفيق بين ضرورات الوظائف الحية وبين معانى الجمال المطلق فى جسم المرأة

فالمرأة التى يقصر جذعها ويضيق حوضها هى جسم جميل ؛ ولـكنها قد تجور بجمالها على أمومتها

والتوفيق بين الأمرين من أندر الأمور ، فى حين أن جسم الرجل لا يحتاج إلى صعوبة فى التوفيق بين إنجاز شرائط الأبوة فيه وإنجاز شرائط الجمال

ومع ندرة التوفيق بين الشرطين فى المرأة، لاغنى عن التجوز والتسهل فى كثير من الأحوال ، فأقصر النساء جذعاً وأضيقهن حوضاً وأكملهن أكتافاً لا يحمد منها أن تلوح كالرجل فى تركيب هـذه الأعضاء ؛ ولابد من التجوز والتسهل فى بعض الزيادة على الردفين وبعض النقص على الـكتفين ، وإلا كان ضمور الردفين ضموراً تاماً علامة تشويه لا علامة جمال ، إذ كان الأصل فى المرأة أن لهـا وظيفة الحمل والولادة ، فاذا تجردت من هذه الوظيفة فهى مشوهة ، وإذا احتفظت بهافمن مرض؛ ولاشك أن تكون عظام الردفين غير مكسوة باللحم الذى لابد منه لـكل جسم صحيح سليم

* * *

وعلى هـذا تكون المرأة جميلة ولا تكون قنطاراً واحداً لا زيادة عليه

تكون جميلة إذا قل فيها الفضول ولو زاد الوزن غاية ما يقدر له المزيد

وتكون مع ذلك « امرأة جميلة » وليست جميلة بمعاني الجمال على إطلاقها ؛ وهي كما أسلفنا القرب من الحرية والبعد من الضرورة ؛ وأن يكون الجسم معلقاً على نفسه غير معاق على شروط في خارجه ، سواء صعبت أو سهلت في التحصيل

ولابد من التجوز والتسهل على هذا الاعتبار في حدود ما قدمناه

* * *

ويلحق بتفصيل ما قدمنا الجواب عن سؤال وجهه إلينا الأديب « عبد المنعم شلبي » يقول فيه :

« هل يعجز امرؤ القيس وهو ذلك الفنان البارع ذو الخيال الوثاب الذي استطاع أن يتذوق جمال الطبيعة ويترجم عنها في قصائده عن رسم مثال للأنوثة موافق لمعاني الجمال بمعزل عن المتعة لتخلف الأوان ؟ وهل لتخلف الأوان دخل في تقدير الجمال ؟ وإذا كان كذلك فما بالنا نرى تمثال فينوس مع تخلف أوانه رمزاً ومقياساً لمعاهد الجمال في العصر الحديث ؟ »

والجواب أن أحيل الأديب صاحب السؤال إلى ما أسلفت عن سبب قصور امرئ القيس في تعريف مقاييس الجمال ، فانني لم أقل إنه يقصر في هذا الباب لتخلف الأوان ثم سكت على ذلك؛ بل قلت إنه يقصر فيه « لتخلف الأوان وندرة الأسباب »

ومن الأسباب ولا جدال أن الأعراب في البادية لم يصنعوا التماثيل كما صنعها اليونان الأقدمون أصحاب فينوس ، ولم يشغلوا عقولهم وأذواقهم وأخيلتهم بمطالب هذه الفنون ، وما تستتبعه من دراسة للأجسام ونظر في تمثيل الأعضاء

وليذكر الأديب صاحب السؤال أن الله جل وعلا لم يغضب على المحدثين جميعا لأنهم محدثون ، بل خلق فيهم أناسا وهبهم « الفن والخيال والبراعة وأتاح لهم أن يتذوقوا جمال الطبيعة » .. فاذا تساوى ما بينهم وبين امرىء القيس في هذه الناحية فهناك زيادة العصر الحديث بل زياداته التي يضيق بها الحصر في مذاهب الفنون والأذواق والعلوم والأرقام

عباس محمود العقاد

عود ثانٍ

الدين والأخـــلاق
بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

ليسمح الأستاذ الغمراوي أن نؤكد له أن حرية القول في الأدب الأوربي ولا سيما الحـديث منه ما كانت لتؤثر في أدباء اللغة العربية بمقدار ما أثرت، وما كانت تحتذي بمقدار ما احتذيت، لولا أن أدباء اللغة العربية تأثروا قبل اطلاعهم على الأدب الأوربي بحرية القول في الأدب العربي، ولا سيما العباسي وما يليه؛ فالشاب الذي يُحثُّ على قراءة دواوين العرب وكتب الأدب ويستوعبها لابد أن يحتذيها في صراحتها . ألا ترى أن السيد توفيق البكري والشيخ شريف رأيا أن الأبيات التي أشرنا إليها في المقالات الماضية أشياء غير مستنكر شرحها وطبعها ؟ فإذا كان شيوخ الدين والتربية يتأثرون هـذا الأدب اللغوي المكشوف تأثراً لا يشعرون به ، ويجعله مألوفاً أُلفة تمنع الاستنكار ، فكيف لا يتأثره الشبان الذين لم تكن لهم سابقة الاشتغال بأمور الدين أو التربية، وربما اطلعوا عليه وهم في سن المراهقة كما يفعل الفتيان والفتيات الذين يستعيرون كتب هذا الأدب من مكتبات مدارسهم. والقارئ السن يستطيع أن يتذكر فورة شبابه أيام المراهقة ، ويستطيع أن يحكم كيف تؤثر قصائد ابن الرومي التي شرحهـا البكري والشيخ شريف في شهوة المراهق، وكيف تؤثر الدواوين والكتب القديمة المشحونة بأمثال تلك القصائد . وانظر كيف يتغير نظر الشاب المراهق إلى اللائق وغير اللائق مما ينبغي أولا ينبغي الاطلاع عليه عندما يرى أن شيوخ الدين والتربية يعنون بشرح هذا الفحش ويطبعونه له ، وعندما يرى أن المدارس تحثه على قراءة الكتب التي طبع فيها وتؤنبه إذا لم يقرأها . ومعاذ الله أن نقول إن البكري أو الشيخ شريف أرادا بالشبان والفتيات شراً، إنهما فعلا ما فعلا على قاعدة أن لا حياء في اللغة وأدب اللغة، وأن الفن يراد للفن لا لما به من الفحش، كمن يستجيد مثلا صنعة

أبي نواس البيانية في مجونه لا بسبب حبه للمجون بل لحبه للبيان والبديع . ولكن هل تلوم الشبان إذا تأثروا بهذا الأدب اللغوى المخالف للعرف والتقاليد والآداب والأخلاق الاسلامية وسن المراهقة له حوافز ودوافع ؟

وإذا قرأ الشاب بعد ذلك بعض مجون شاعر أوربي كمجون هنري هيني الشاعر الألماني (وهو كلا مجون إذا قيس بما في كتب العرب) ألا يرى أن العالم كله الشرق والغربي يبجل هذا الأدب اللغوي ويعنى بشرحه وطبعه، وإنه إذاً لا ضير عليه من احتذائه؟ وإذا قرأ بعد ذلك قصة عشيق الليدى شاترلى وجد مجوناً كمجون الفحش العربي ولو أنه كتب بطريقة تحليلية علمية أرقى بعض الرقى من فحش ماجنى الدولة العباسية . ألا يرى القارئ أن تأثر الشاب بالأدب العربي مثل شعر بشار بن برد والحسن بن هانئ وغيرهما يسهل قبوله للأدب الأوربي الذي يشكو منه الأستاذ الغمراوى؟

لكن الأستاذ تجاهل تاريخ الأدب العربي القديم والحديث لكي يستطيع أن يبرهن على أن الأدب القديم غير مخالف للفضائل والآداب والأخلاق، وأن الأدب الجديد أو أدب المذهب الجديد مخالف للشهوات ومخالف للفضائل . والحقيقة أن هذا التقسيم غير حقيقي وغير منطقى ، فأدب المذهب القديم به ما يراعى الفضائل والأخلاق وبه مالا يراعيها ، وأدب المذهب الجديد أيضاً به ما يراعى الفضائل وبه مالا يراعيها سواء بسواء . فكان الأحجى بالأستاذ أن يقسم الأدب لا إلى مذهب قديم ومذهب جديد، بل إلى أدب فاضل وأدب إباحي في الأخلاق، ثم ينتقد الأقوال لا الأدباء جملة، لأن كل أديب أو شاعر قد يكون له مايضمه الأستاذ في القسم الأول، وقد يكون له ما يضمه في القسم الثاني. أو لو أراد قصر مقاله على الرافعي لاستطاع أن يقول إن كل أدبه من أدب الفضائل من غير أن يتجاهل تاريخ أدب اللغة كله، ومن غير أن يحكم حكمين كل منهما جائر لما فيهما من التعميم الذي يخالف طبيعة العلماء أمثال الأستاذ، فان العلماء الباحثين ولا سيما علماء الكيمياء والطبيعة يتحرجون من إصدار أحكام عامة بسبب شواهد خاصة معدودة، فلا يقولون إن أدب المذهب القديم هو أدب الفضائل، وإن أدب المذهب الجديد هو أدب الرذائل على وجه التعميم

لكن الأستاذ الغمراوى عالم، فلا بد أن فطنته وبحثه قد أوصلاه إلى حقيقة أراد أن يفسرها فبالغ في تفسيرها واشتط وأصدر هذه الأحكام العامة . ومن أجل أن نتتبع تفكير الأستاذ ينبغي أن ننظر إلى الفرق الحقيقي في أدب المذهب القديم وأدب المذهب الجديد من حيث الروح . إن الأدب القديم وصل في عهده الأخير إلى أدب احتذاء لا أدب اجتهاد، ونعنى بالاجتهاد الاصطلاح الفقهي لا المعنى اللغوى ، فان نصيبه من الاجتهاد كبير إذا أريد المعنى اللغوى للاجتهاد. وهذا هو الفرق الحقيقي بين اجتهاد أدباء المذهب القديم واجتهاد أدباء المذهب الجديد؛ فالمذهب الجديد يريد بحث النفس وعواطفها وشرائعها وسننها ، لا قصر البحث على شهواتها، ولا رغبة في إطلاق هذه الشهوات من عقالها كما يقول الأستاذ . فبحث النفس يقتضى بحث جانب الايمان منها كما يقتضى بحث جانب الشك؛ ولكنه الشك الذى يتممه الايمان، وهو الشك الذى يبحث عن أمل للانسانية في هذه الحياة وبعد هذه الحياة، والذى يحاول أن يداوى شرور الحياة ما استطاع الانسان ذلك. وهذا الشك لا يستقيم لمن كان قلبه غير عامر بالايمان؛ والشاعر لا يكون شاعرا إلا بمثل هذا الايمان الملح العنيف الذى يريد أن يزكي نفسه. وهذا أول أسباب سوء الظن بهذا المذهب. وثانيها أن الاجتهاد شبه الفقهي في تفسير الحياة وعوامل النفس قد يشط أحياناً. وقد أقفل باب الاجتهاد في الفقه ولكن باب الاجتهاد في الفقه النفسي والفكرى لم يقفله المذهب الجديد. فخصائص المذهب الجديد الروحية هذه أي الرغبة في بحث جوانب النفس والحياة واستئناف اجتهاد الفقه الفكرى والروحى هي خصائص قد يشط معها الأديب في بعض الأحايين، ويكون شططه في عهد الصبا أكثر، إذ تكون خبرته قليلة واندفاعه عظيما . ثم إن بعض الأدباء قد تشط بهم هذه الخصائص دائما شططا بعيداً؛ ومن أجل ذلك ليس من الحق أن نسلك جميع الأدباء في نظام واحد. ألا ترى أن الأدب الأوربي الحديث يشمل نزعات مختلفة كل الاختلاف منها ما يحدث صلة بينه، وبين الأدب الأوربي في العصور السابقة ، ومنها ما ينأى به عنها ؟ فحكم الأستاذ الغمراوى على المذهب الجديد كمن يحكم حكماً عامًا واحداً على الأدب الأوربي الحديث على اختلاف نزعاته الذى يشبه اختلاف نزعات الأدب المصرى الجديد من أجل أن أساس تلك النزعات واحد

وهو بحث التجارب النفسية والفكرية ؛ فمن الأدباء من يبحثها على طريقة المعري ، ومنهم من يبحثها على طريقة شكسبير ، ومنهم من يبحثها على طريقة أدباء الرمزية ... الخ . وكما أنه ليس من الحق أن يحكم الأستاذ حكماً عاماً على أدباء المذهب القديم (وبينهم تفاوت في الروح)، ولا من الحق أن يحكم حكماً عاماً على أدباء الأدب الجديد، فليس من الحق أن يحكم حكماً عاماً على الشاعر أو الأديب الواحد ، فان الشاعر نفس وللنفس مظاهر مختلفة تقتضي تفصيل الحكم عليها ما دام لا يحكم على قول أو عمل واحد، أو عليها في حالة أو زمن خاص. وليس من الحق أيضا أن يغفل الأستاذ أثر حرية القول في الأدب العربي الذي شرحناه في أول هذا المقال ، ولا من الحق ألا يرى أن حرية القول الناشئة من إطلاق الشاعر نفسه من القيود أثناء البحث شططا منه لم يأت بأشنع من الأمثلة التي ذكرناها للأستاذ من الأدب العربي، بل لعلها أقل شناعة؛ وهي على أي حال ليست من لوازم أي مذهب، فمثلها في آداب العصور والأمم موجود، وواجب الناقد أن يميز بينها وبين الصالح من قول الأديب أو الشاعر . ومما يدل الأستاذ على أن الأدب المصري الحديث خليط من القديم والجديد أن أحدهما يلقى زميله فيسأله هل أنت من أنصار المذهب القديم أم من أنصار المذهب الجديد ؟ كأن الحكم ليس لما يؤلفه الأديب من شعر أو نثر، وكأنما يصح أن يكتب الأديب على طريقة المذهب الجديد ويختار أن يعد من أنصار القديم أو العكس . لكن هذا السؤال له معنى وقيمة؛ إذ هو دليل على الحيرة من أجل أن أدب كل أديب خليط من مؤثرات الأدب العربي في عصوره المختلفة والأدب الأوربي أيضاً؛ وإنما يختلف هذا الخليط عند كل واحد باختلاف مقادير عناصره. ومن الأسباب التي قد تدعو إلى سوء الظن بالأدب الجديد علاوة على ما ذكرنا، ما يقرأ منه أحياناً من سخر وتشاؤم، وقد يكون فيهما شطط؛ وقد يحسبان من قلة الإيمان، ولكنهما قد يكونان من الإيمان الحائر في وجوه الكون والحياة الذي لم يوهب نعمة الاستقرار، وهي حالة تعرض لكثير من النفوس فلا يستطاع تجنب وصفها كل التجنب . وإذا نظر الأستاذ إلى ما ينشر في الصحف والمجلات والكتب في جميع الأقطار العربية من شعر ونثر وجد في تباين أبواب القول الذي لم يترك جانباً من النفس والحياة لم يحاول نعته، ما يدل الأستاذ على أن هذا التنوع هو خصيصة الأدب الحديث، وهو يشمل ما يشكو منه الأستاذ، ولكنه أعم مما يشكو منه، وقد صار هذا التنوع في الأدب وشموله بحث نزعات النفس وجوانب الحياة قاعدة عامة في آداب العالم كله؛ ولا يمكن إعادة عقارب ساعة الزمن إلى ما كانت عليه في الماضي للقضاء على ما يشكو منه الأستاذ. فاذا أراد أن يظفر بتطهير الأدب كان الأحجى به ألا يتعصب لقديم ولا لجديد ، وأن يأخذ من الجديد على تنوع أغراضه وأبوابه ما لا بد منه لإشباع مطالب النفس والفكر في عصر تعددت فيه مطالبهما وأصبحت كمد النهر في فيضانه ، وألا ينتقد هذا الأدب الجديد بالجملة كي يصيب سامعاً مجيباً إذا هو قصر نقده على ما في هذا الأدب الجديد من شطط ، وأن يتخذ في نقده هذا الشطط طريقة التحليل النفسي والالمام بأسبابه ونتائجه وشواهده على طريقة الطبيب المداوي بالتحليل النفسي ، وألا يقصر نقده على شطط الجديد من غير نظر إلى شطط القديم ، وقد أوضحنا أن حرية القول في الأدب الجديد تمت بسبب إلى الأدب القديم سواء أكان ذلك في الغزل والأمور النفسية أم في الأمور الفكرية ، وليطهر كتب الأدب القديم وعاداته المألوفة من مجون وشطط فكري كما بينا

وإني لأربأ ببصيرة الأستاذ وعقله أن يظن كما يظن بعض الناس أن إسقاط أديب أو أكثر من أديب من أدباء المذهب الجديد يقضي على هذا المذهب . ولو كان من المستطاع القضاء على كل ما قاله أدباء المذهب الجديد من شعر أو نثر — الجيد منهما وغير الجيد والمقبول، وغير المقبول — فان هذا القضاء على ما قاله المعاصرون لا يقضي على الأدب الجديد، لأن أسبابه أعم وأكبر من أن تحسب من ابتكار أديب أو أكثر من أديب . وربما كان من الحكمة أيضاً ألا ينسى الأستاذ وهو الخبير بالنفس الانسانية أن بعض العداء الذي لاقاه المذهب الجديد من غير المبرزين الفطاحل كان بسبب الاجادة المحمودة المأثورة المحسودة في بعض هذا الأدب الجديد، وإن كان عداء المبرزين الأفاضل أمثال الرافعي بسبب اختلاف حقيقي في الرأي والروح

(قارىء)

سهو

ذكرت سهوا أن أبيات ابن الرومي في (كتاب صهاريج اللؤلؤ) والحقيقة أنها في كتاب (فحول البلاغة) للمؤلف نفسه أي البكري ولا يوجد شرح ولكنه اختارها هي وقصيدة (بوران) ولم يكف عن اختيار المجون تحرجا . وكذلك لا يوجد شرح في الأرجوزة الأخرى ولكن عدم التحرج ملحوظ أيضا

« م »

بيجـــو *

للأستاذ عباس محمود العقاد

حُزناً على بيجُو تفيض الدموعْ
حزناً على بيجو تثور الضلوع
حزناً عليه جهـــدَ ما أستطيع
وإن حزناً بعـد ذاك الولوع
والله — يا بيجو — لَحُزْن وجيع

* * *

حزناً عليـــــه كلما لاح لى
بالليل فى ناحيـــــــة المنزل
مُسامرى حيناً ومستقبِلِى
وسابقى حيناً إلى مدخـــلى
كأنه يعـــلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحفْ
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبى من أسف
ألا يصيب اليوم منها الهـدف
ذلك خير من فؤاد صـــديع

* * *

حزناً عليـــــه كلما عزّنى
صِـدْقُ ذوى الألباب والألسن
وكلما فوجئت فى مأمنى
وكلما اطمأننت فى مسكنى
مستغنياً ، أو غانيا بالقنوع

* * *

وكلما ناديته ناســـــيا :
بيجو ! ولم أبصر به آتيا
مداعبا ، مبتهجا ، صاغيا
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صَدًى فيه ولا من سميع

(*) قد يذكره بعض حضرات القراء من مقال سابق فى الرسالة

نسيت ؟ لا . بل ليتنى قد نسيتْ
أحسبني ذاكرَه ما حييت
لو جاءنى نسيانه ما رضيت
بيجو مُعَزِّيَّ إذا ما أسِيت
بيجو مُناجيَّ الأمين الوديع

* * *

بيجو الذى أسمع قبل الصباح
بيجو الذي أرقب عند الرواح
بيجو الذى يزعجنى بالصياح
لو نبحةٌ منـه ، وأين النباح ؟
ضيّعت فيهـا اليوم مالا يضيع

* * *

خطوته ... يا بَرْحَها من ألم !
يخدش بابى وهو ذاوى القـدم
مستنجداً بى ... ويح ذاك البكم!
بنظـــرة أنطقَ من كل فم
يا طولَ ما ينظر !.. هذا فظيع !

* * *

نَمْ . لا أري النوم لعينى يطيبْ
أنتم خبيرون بنهش القلوب
يا آل قِطمـــير هواكم عجيب
غاب سَنَا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا ... ولا مِن طلوع

* * *

نَمْ واترك الأفواج يوم الأحدْ
والبحر طاغٍ ، والمدى لا يحدْ
عيناى في ذاك ، وهذا الجسد
بوحشة القلب الحزين انفرد
والليـل . والنجم . وشعب خليع !

* * *

أبكيك . أبكيك وقلّ الجزاء !
يا واهب الود بمحض السخاء
يكذب من قال : طعام وماء
لو صح هـذا ما محضتَ الوفاء
لغـائب عنك ... وطفـل رضيم

مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

٤ — وطني

كنت عند صديق لي شاب ذكي، نال شهادة البكالوريا، فلم يطف بها على دواوين الحكومة يستجدي (وظيفة) ويسأل (الخزينة) حسنة، كما يفعل كل شاب في هذا البلد، وإنما نزل إلى السوق ففتح للتجارة محلاً يعيش فيه سيداً عزيزاً، على حين يعيش الموظفون مقيدين مسودين، ويأكل خبزه بكسب يده على حين يأكله كثيرون بضمائرهم وأديانهم، ويخدم أمته هادئاً صامتاً على حين يؤذي أمتهم كثيرون، وهم يخطبون الخطب الوطنية، ويملأون الدنيا كلاماً جميلاً ...

كنت عند هذا الصديق، ومن دأبي أن أزوره كلما مللت العمل أو نزلت إلى البلد، آنس به، وأشرف من دكانه على الدنيا فأرى ما فيها ... فرأيت رجلاً يدخل عليه، فيريه نماذج من البضائع يعرض عليه أن يكون وكيل معملها، والمنفرد ببيعها لما سمع عنه من الثناء وما وصف له به من الذكاء والاستقامة، ويخبره بالأثمان، فيتهلل وجه صاحبي، ويشرق فرحاً بهذه الأرباح التي سينالها، ولكنه يتريث فيسأل الرجل أن يدع له البضاعة ويتركه ساعة يفكر، ثم يعود إليه فيأخذ الجواب ...

فيمضي الرجل، ويميل عليّ صاحبي فيسر إليّ أن هذه الصفقة أجدى عليه من دكانه وما فيه، فأهنئه وأتمنى له ما يتمنى لصديقه الصديق، ولكنه لا يلبث أن يقلب البضاعة فيعلو وجهه الاشمئزاز، ويبدو عليه الغضب. فأسأله: مالك يا صاحبي؟

فقال: مالي؟ إنها بضاعة صهيونية!

فقلت له: وماذا يعينك منها؟ أنت تاجر، فبع من شاء أن يشتري ولا تدعُ إليها أحداً

قال: معاذ الله! أأنا عدو وطني وديني؟ إني تاجر، ولكني أعلم أن على التاجر أن يخدم أمته من الناحية التي أقامه الله فيها كما يخدمها المعلم والموظف والصحفي ... وخدمة الأمة بأن تقدم لها منفعة في مالها أو أخلاقها أو أبنائها أو صحتها، أو تدرأ عنها ضرراً. ليست خدمة الأمة بالجعجعة والصياح والخطب المدوّية والمقالات الطنانة؟

قلت: وهذا الربح الذي وصفته لي أترضى بأن تدعه لغيرك؟

قال: من أراد أن يأخذ جمرة من جهنم فليفعل. أما أنا فلا أريد، سيغنيني الله عنه

* * *

ولقيته بعد أيام، فقلت: ما فعل الله بتلك الوكالة؟

قال: رفضتها فعرضوها على أهل السوق فقبلها منهم فلان!

قلت: رئيس لجنة مقاطعة البضائع الصهيونيه؟

قال: نعم!

٥ — معصرة

كنت أسير في (دوما) قصبة الغوطة الشرقية، فرأيت شارعها الأعظم (الذي يشقها شق شارع الرشيد مدينة بغداد) رأيته يمضي مستقيماً سوياً حتى إذا جاوز ثلثيها انحرف ذات اليمين وما ثمة مسجد يمشي عليه الهدم، حتى ينحرف لأجله الشارع ولا أثر قيم، ولا صخرة قائمة، فعجبت وسألت صاحبي الذي كان يمشي معي

فقال: كان هنا في سالف الدهر معصرة لوجيه من الوجهاء لم يقدر على هدمها، فلوى من أجلها الشارع!

فقلت: هذه هي مصيبتنا! ولو أنها معصرة واحدة لاحتملت، ولكننا كلما خططنا في الحياة طريقاً مستقيماً اعترضتنا (معصرة) لوجيه من الوجهاء. فكم من (معصرة) في طريق القوانين والنظم، وفي طريق العدالة والقضاء؟

هل خلا طريق لنا من (معصرة)؟ فمتى تهدم هذه (المعاصر)؟

«دمشق» علي الطنطاوي

البحث عن غـــد

للكاتب الانكليزي روم لاندو

للأستاذ علي حيدر الركابي

— ٣ —

الفجر في ســورية

سورية وفرنسا

لقد قبل أهل لبنان الانتداب الفرنسي بلا مقاومة عنيفة، بينما بقى السوريون يعتبرونه حالة لا مبرر لها [1]. وقد عبروا عن كراهيتهم له بمقاومات مستمرة مشروعة وغير مشروعة. وكانت ثورة سنة ١٩٢٥ أبلغ هذه المقاومات أثراً، ولم ينجح الفرنسيون فى قمعها إلا بعد عامين. وقد بدأت بعصيان قاده الزعيم الدرزي سلطان باشا الأطرش فى جبل الدروز الواقع فى الجنوب الشرقي من سورية. إلا أن هذا العصيان ما لبث أن توسع حتى عم البلاد كلها. وقد أدت هذه الثورة التى كانت سادس حركة تحريرية قام بها السوريون إلى ضرب الفرنسيين دمشق بالقنابل فى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٥ إذ ضربت مدافعهم بعض أحياء المدينة كما ألحقت الضرر الجسيم بكثير من الأماكن ذات الأهمية التاريخية مثل « الطريق المسمى بالمستقيم [2] »

وسار السوريون فى جهادهم للحصول على حقوقهم الطبيعية إلى أن منحهم الفرنسيون عام ١٩٣٠ رئيساً للجمهورية ووزارة دستورية ومجلساً نيابياً. على أن الدستور الجديد لم يقض على سلطة المندوب السامي الواسعة، فهو ما زال يدير شئون سورية من مركزه فى بيروت، كما أنه لم يخرج الجيش الفرنسي من البلاد. أما معاهدة سنة ١٩٣٦ التى ستوضع موضع التنفيذ بعد ثلاث سنوات من عقدها فهى تتعهد بمنح سورية استقلالها التام، والتحالف السوري الفرنسي بموجب هذه المعاهدة ليس مؤبداً كتحالف لبنان، بل هو موقت بخمس وعشرين سنة

يوجد بين الأهلين فى مصر والعراق والسودان أناس يعترفون بفضل بريطانيا العظمى عليهم فى الماضي، ولا يشعرون بكره نحو الأفراد البريطانيين. أما هنا فالعداوة بين السوريين والفرنسيين ذات صفة شخصية؛ وهى ليست موجهة ضد الأفراد الفرنسيين فحسب، بل إنها تتعداهم إلى أسرهم. وقد شرح لى أحد السوريين الشعور الذى يحمله أبناء وطنه بهذه العبارة: « إننى أحب فرنسا وأحترم الفرنسيين فى بلادهم، ولكنى أكرههم فى بلادى التى باتت تئن من سوء إدارتهم »

إن أهم ما يتذمر منه السوريون هو أن فرنسا تسعى لجر المغانم المادية من وراء سورية. وهم يحملون الفرنسيين مسئولية تأخر سورية الاقتصادى منذ عام ١٩٢٠؛ وهم يتهمون موظفى فرنسا وجنودها باستعمال مراكزهم الرسمية لابتزاز المال. وقد قلت مرة لسوري: إن الرشوة وسوء الاستعمال هما عند الموظفين من التقاليد التى اشتهرت بها الادارة الوطنية. فأجاب: « من المحتمل أن تكون مصيباً فى ملاحظتك؛ وأنا أؤكد لك أن الذين يؤمنون إيماناً صحيحاً بنزاهة موظفينا فى عهد الاستقلال الآتى هم قليلون؛ ولكن إذا كان لامفر لنا من الخيانة فاننا نفضل أن تذهب الرشوة إلى جيوب السوريين دون جيوب الأجانب فان صرفها فى بلادنا لأرجح من صرفها فى فرنسا »

ويقال إن هناك سبباً آخر ذا علاقة بالأخلاق يزيد فى موقف السوريين العدائى؛ فالأسرة تلعب دوراً مهماً فى حياتهم، والفساد الجنسى عندهم أقل مما هو عليه عند الأكثرية من جيرانهم العرب، ولهذا فان معظم سكان سورية يعترضون بشدة على وجود الجنود الفرنسيين (الملونين) بينهم (French coloured troops). إن بقاء الجند الأجنبي فى البلاد فى أيام السلم لابد أن يأتى بنتائج مضرة، وخصوصاً إذا كانت جيوش الاحتلال منسوبة إلى أقوام يشتد عند أفرادها الميل الجنسى (highly sexed)

مشاكل وزعماء ومجاهدون

كنت أود الاطلاع على المشاكل التى سيكون لها أثر فى حياة

(١) لقد رفع المؤتمر السوري القومي إلى مؤتمر الصلح فى ٢ يوليه سنة ١٩١٩ مذكرة يقبل فيها بالدرجة الأولى حماية أمريكا لسورية على أن تأخذ شكل « مساعدة فنية واقتصادية » وبالدرجة الثانية حماية انجلترا إن لم تقبل أمريكا. أما فرنسا فقد أشارت إليها المذكرة بهذه العبارة: « إننا لا نعترف بأى حق تدعيه الحكومة الفرنسية فى أى جزء من بلادنا السورية ونرفض مساعدتها لنا كما نرفض أن يكون لها أدنى علاقة ببلادنا فى كل زمان ومكان. (المؤلف)

(٢) استعمل المؤلف تعبير (The Street called Straight) ولعله يقصد (سوق الطويل) المعروف بـ (سوق مدحت باشا) أو أنه مزج ما بين (عمود) و (عمودى) وأراد زقاق (سيدى عمود) ذا الأهمية التاريخية وقد دمرته قنابل الفرنسيين أثناء الثورة السورية (المترجم)

سورية المستقبلة ، ولهذا قصدت زيارة كل من : بطريرك الروم الأرثوذكس وهو رئيس أكبر طائفة مسيحية فى سورية ، وفارس الخورى وهو من أكبر رجال السياسة فى البلاد ، والدكتور الكيالى وزير المعارف وعميد الجامعة، وفخرى البارودى زعيم الشباب السورى وهو السياسى الذي يحتل المكانة الأولى في قلوب الجماهير

حديث فارس الخورى

فارس الخورى هو رئيس مجلس النواب وزعيم الحزب الوطنى [1] وقد تمكن بفضل تجاربه الكثيرة فى ميدان السياسة التى مارسها مدة طويلة أن يمتع بنفوذ عظيم بين رجال السياسة فى البلاد. وهو من خريجي الجامعة الأمريكية فى بيروت وأستاذ فى الحقوق فى الجامعة السورية . وهو رجل قد أسبغت عليه مقدرته العقلية بالاشتراك مع مظهره المهيب حلة من الوقار . إلا أن جمله لم تكن خالية من الزخرف اللفظى الذى يميل إليه بصورة جلية. وقد ذكرنى وهو جالس وراء منضدته فى مكتبه الخاص فى دار البرلمان الجديدة بالأستاذ نيكولاس ماراى بتلر [2] . قال بلغته الانكليزية الصحيحة :

« إن سورية فى نظرنا لا تنحصر بالمقاطعة المعروفة بهذا الاسم اليوم، بل هى تشمل كل البلاد التى كانت في وقت من الأوقات جزءاً منها : أى لبنان وفلسطين والعراق . إن حدودنا الحقيقية يجب أن تتاخم حدود تركيا والحجاز ومصر والبحر الأبيض المتوسط وإيران . [3] إننا لا ننكر أن توحيد هذه الأقطار مستحيل الآن ، ولهذا فإن همنا موجه أولاً إلى تشكيل اتحاد Federation للدول العربية تكون أعضاؤه مستقلة . إن اتحادنا مع لبنان هو أول خطوة لتحقيق هذه الغاية ، فان انفصالنا عنه أمر غير طبيعى . إن اللبنانين الذين يتحدثون عن الاختلاف بيننا فى الأصل وفى المصالح الاقتصادية لمبالغون. فالواقع أن وجوه الاختلاف بيننا أقل بكثير من وجوه الشبه .

« إن أمامنا مهمتين رئيسيتين، ألا وهما تشكيل الجيش الوطنى وتحقيق الانماش الاقتصادي . أما الجيش فهو ضروري لحفظ كرامتنا ، وفرقة واحدة منه تكفينا الآن إذ أن الجيش الفرنسى الذى لا يوجد عندنا غيره فى الوقت الحاضر قد يوجه فى يوم من الأيام ضد مصلحتنا وذلك عندما تفكر فرنسا فى تحويلنا إلى سفتجة (billet de change) تمرضها عند اللزوم على بريطانيا أو تركيا أو — حتى — إيطاليا. وبالاضافة إلى ذلك فلسنا كالأنام حتى نحتاج حماية جيش أجنبى، فنحن قادرون على حماية أنفسنا» وهنا رفع صوته ليؤكد جملته الأخيرة، وأجال بصره حول الغرفة كأنه يستعرض تلك « الفرقة الواحدة » ثم تابع كلامه بلهجة هادئة فقال :

« أما المهمة الثانية وهى تقوية دعائم البلاد الاقتصادية فان الوحدة العربية ستبقى خيالا إذا لم تسبقها هذه التقوية . إن ما نستورده فى الوقت الحاضر من الخارج يساوي أربعة أمثال ما نصدره ، وعليه فلا بد لكل دولة عربية من تحقيق توازنها الاقتصادى قبل تحقيق الوحدة العربية المنشودة . ولن تنجح سورية في تعديل ميزانها الاقتصادى مالم تعمل على تخفيض مقدار ما تستورده تخفيضاً شديداً ، وتسعَ إلى خلق صناعات جديدة فى البلاد وتحسين الزراعة

« إن نسبة تقدمنا الثقافى تكاد تفوق نسبة ما تتحمله البلاد من تقدم اقتصادي . فالسورى ذو ميل فطرى للدراسة؛ ونحن نثقف أولادنا في الجامعات الأوربية حتى أوشك عدد المتعلمين عندنا أن يزيد على الأعمال المفتوحة لهم »

« يتبع » على حيدر الركابى



(١) لا يوجد حزب وطنى فى سورية بهذا الاسم والحزب الوطنى الذى يعتبر الأستاذ فارس الخورى من أقطابه هو الكتلة الوطنية، إلا أن رئيسها الحالى هو معالى السيد سعد الله الجابرى وزير الخارجية والداخلية الذى ترأس الحزب على أثر انتخاب رئيسه السابق فخامة السيد هاشم الاتاسى لرياسة الجمهورية السورية (المترجم)

(٢) العميد المشهور لجامعة كولومبيا فى نيويورك « المؤلف »

(٣) هل يقصد أستاذنا الكبير إخراج الحجاز ومصر من دول الاتحاد العربى العتيد ؟ (المترجم)

النظام القضائي

في مصر الإسلامية

للدكتور حسن إبراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

القضاء فى أمة من الأمم مظهر من مظاهر تقدمها. ولقد قال لينبول فى معرض كلامه عن القضاء فى مصر الاسلامية : « إن هذه الروح الاستقلالية عند القاضى الذى كان يُضرَبُ بالسياط إذا ما خالف الأوامر العالية كانت رمزاً لما كان يعامل به غيرُه ممن هم فى مرتبته وفي مركزه . ولقد ساد الظلم فى هذا العصر وتفشت الرشوة فى سائر الأعمال الادارية ، ودخلت البلاد تحت حكم طائفة من الولاة وعمال الخراج ممن جمعوا الأموال كرهاً وعسفاً فى عصر لم يكن القاضى ليؤتمن فيه على الشريعة الغراء . هذا فضلا عما كان هنالك من رشوة متفشية وتهديدات مصوبة إلى هذا القاضى

« وربما كانت الشريعة الاسلامية محدودة المادة ، وقد يكون القاضى متطرفاً فى اعتقاده . غير أنه كان على الأقل على نصيب من العلم والمعرفة ، وله خبرة اكتسبها من اشتغاله بالتشريع الاسلامى ، كما أنه اشتهر لدي الجمهور بالاستقامة وسمو الخلق ، ولما كان لمركزه من أهمية ولشخصه من كبير نفوذ لم يكن يجرى عليه ما كان يجرى على غيره من العمال ، بل ظل القاضى فى كثير من الأحيان يشغل منصبه فى عهد ولاة عدة ، بل كثيراً ما أعيد إلى منصبه إذا ما تولى الحكم خليفة أو والٍ جديد

« ولم يكن هناك أسرع من القاضى فى تقديم الاستقالة إذا تدخل فى أحكامه الشرعية متدخل . وقد بلغ من محبة الناس للقضاة أن أصبح الولاة يفكرون ملياً إذا حدثتهم أنفسهم بالاقدام على عزلهم حتى لا يعرضوا أنفسهم لكراهة الجمهور التى قد يجرها إليهم أى تدخل من جانبهم فى السلطة القضائية . وفى الحق لم يعد الوالى فى العصر العباسى يملك سلطة عزل القضاة . ويظهر أن تعيين القضاة أصبح منذ أيام ابن لهيعة (١٥٥ — ١٦٤هـ) تصدر به المراسيم من بغداد عادة ، كما غدت مسألة تحديد الراتب ودفعه موكولة إلى الخليفة نفسه [١] »

(١) S. Lane-Poole : Egypt in the Middle Ages. pp. 39—40

وهذه العبارة التى ذكرها لينبول فى جملتها بمثابة وصف موجز لحالة القضاء فى هذا العصر . على أنه بالرغم من ذلك فقد أتى بعض قضاة هذا العصر بضروب من الاصلاح بارزة، فعرف توبة ابن نمر الحضرمى (١١٥ — ١٢٠ هـ) بالاستقامة ، وكان يهب إخوانه ويصلهم بكل ما ملكت يداه حتى وصفه الناس بالتبذير [١] هذا إلى أن توبة كان أول قاض وضع يده على الأحباس (١١٨هـ) حفظاً لها من التَّوى والثورات وجعل لها ديواناً كبيراً [٢]

كذلك كان القاضى غوث بن سليمان الحضرمي (١٣٥ — ١٤٠ هـ) حسن الأحدوثة وقد عمل على تطهير القضاء من العيوب التى كانت متفشية فيه وأخصها شهادة الزور [٣] . ولقد عالج هذا العيب فكان يسأل عن الشهود سرا ، فاذا تأكد من استقامتهم وحسن شهادتهم قبل شهادتهم . وقد عرف غوث بالنزاهة والاستقامة ، وكان كما قال الكندى « أعلم الناس بمعانى القضاء وسياسته » واشتهر بالعدل والاعتدال فى أحكامه على الرغم من عدم تضلعه فى الفقه الاسلامى . يدلّك على ذلك ما كان من كثرة الخصوم على داره بعد وفاة خلفه . وقد بلغ من عدل غوث هذا أنه جعل الخليفة المهدى العباسى وامرأة شكته إليه على قدم المساواة فى الحكم. ولما وكّل الخليفة عنه رجلاً ، ساوى بين هذا الرجل وبين الخصم فى مجلس القضاء [٤] .

كذلك كان أبو خُزَيمة ابراهيم بن يزيد (١٤٤ — ١٥٣هـ) فقيها متضلعا فى علم الشريعة . ولقد بلغ من نزاهته أنه كان لا يأخذ عطاءه عن اليوم الذي لم يعمل فيه للقضاء شيئا . وربما يعجب القارىء لما كان عليه هؤلاء القوم من النزاهة والورع فى هذا الوقت ، ولقد كان يقضى هذا القاضى يومه بعيدا عن مجلس الحكم إذا رأى التخلف لغسل ثيابه أو لحضور جنازة أو نحو ذلك حتى عبر عن اعتقاده بقوله « إنما أنا عامل للمسلمين ، فاذا اشتغلت بشىء غير عملهم فلا يحل لى أخذ مالهم [٥] »

ولعل القارىء يعجب كيف يتخلف ذلك القاضى العظيم ، وهل كان يوجد فى ذلك الوقت من يكفيه مؤونة غسل هذه الثياب؟ ولكن أخلاق القضاة فى ذلك الوقت كانت أخلاقا إسلامية متواضعة ، وكانوا يقتدون بالرسول صلى الله عليه وسلم فى تواضعه

(١) كتاب الولاة للكندي ص ٣٤٧
(٢) كتاب الولاة ص ٣٤٦
(٣) الكندى : شرحه ٣٤٦
(٤) الكندى ص ٣٥٦ ، ٣٦١
(٥) الكندى ص ٣٧٥

وتنزهه عن الكبرياء ، فلقد أُثِرَ أنه كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويقضى كثيرا فى حاجاته بنفسه ؛ وهذا العمل فى حد ذاته رياضة محبوبة ينزع إليها كثير من العظماء ، وهو نوع من الديمقراطية لإرضاء الفقير .

وكان أبو عبد الله بن لهيعة (١٥٥ — ١٦٤ هـ) أول قاض ولى من قبل خليفة فى العصر العباسى ، كما كان أول قاضٍ حضر فى إثبات رؤية الهلال . ولقد أتى المفضل بن فضالة (١٦٨ — ١٦٩ ، ١٧٤ — ١٧٧ هـ) بكثير من ضروب الاصلاح التى أدخلها على نظام القضاء . وكان كذلك أول من عنى بالسجلات وجعلها تامة وافية ، فدوّن فيها السّحايا والوصايا والديون وأول من اتخذ « صاحب المسائل » ومهمته الوقوف على حقيقة الشهود .

ويظهر أن هذا الاصلاح الأخير إنما كان ظاهرياً فقط ، فقد قيل إن هذا الوظف كان يرتشى من بعض الناس ليقرر عدالتهم لدى القاضى . على أن المفضّل فطن إلى ضرر الاستمانة بهذا الموظف ، واضطر أمام الأمر الواقع فعين عشرة رجال للشهادة ، ولكن هذا العمل لم يرق فى نظر الجمهور لاتخاذ الشهود بهذه القلة ، ولأنه عمل جديد لم يسبق إليه أحد من القضاة ، فقال رجل يدعى اسحق بن معاذ يقبح رأى القاضى :

سننْتَ لنا الجوْرَ فى حكمِنا   وصيّرت قوماً لصوصاً عُدولا
ولم يسمع الناسُ فيما مضى   بأن العدول عديداً قليلا[1]

وقد نظم لهيعة بن عيسى الأحباس وكانت فى أيامه على ما قال هو لأحد أصحابه « سألت الله أن يلمنى الحكم فيها فلم أترك شيئاً منها حتى حكمت فيه وجدّدت الشهادة به[2] » ولا غرو فقد جمع الأموال التى من الأحباس وخصص منها نصيباً لأهل مصر كما أدخل فيها المطوعة الذين كانوا يعمرون المواخير وأجرى عليهم العطاء من الأحباس فكان ذلك أول ما فُرضت فروض القضاة فسنّ الناس هذه السنة بعد لهيعة وسميت « فروض لهيعة » ثم سميت بعد ذلك فروض القاضى وفى ذلك يقول فراس المرادى

لعمرى لقد سارت فروض لهيعة   إلى بلد قد كان يهلك صاحبُهْ
إلى بلد تقرّى به البوم والصدى   تعاوره الروم الطغام تحاربُهْ
رشيد وإضنا والبرلّس كلها   ودمياط والأشتوم تقوى تغالبه
لهيع : لقد حزت المكارم والثنا   ومن عند ربى فضله ومواهبه
فقد عمّرت تلك الثغور بسنة   تعد إذا عدت هناك مناقبه[1]

على أن لهيعة قد أغضب أهل مصر لما كان من اتخاذه ثلاثين رجلا من الشهود جعلهم بطانة له ، فقال أبو شبيب مولى نجيب فى صحابة لهيعة شعراً ننقل بعضه لأنه يبين كيف كان يعقد مجلس الحكم فى هذا العصر ، وإن كنا نرى فى هذا الوصف مبالغة قوامها التشهير بهذا القاضى وصحابته :

لازموا المسجد ضلاً   لاَ من الأمر الرشيد
لحوانيت بَنَوْها   بفنا كلّ عمود
وألاحُوا بجباهٍ   من نطاح الحصر سودِ
تحت أميالٍ طوال   كبراطيل اليهود
وتراهم للوصايا   وعدالات الشهودِ
فى مراء وجدال   وقيام وقعود
وخشوع وابتهال   وركوع وسجود
وعلى القسمة أضرى   من تماسيح الصعيد[2]

هذا حال نظام القضاء فى مصر إبان هذا العصر ، غير أنه للأسف لم يكن خالياً من عيوب ونقائص جعلته متمشياً فى جملته مع تلك الحال السيئة التى سادت البلاد فى هذا الوقت . نعم ! قد عرف بعض القضاة بسوء السيرة فأساءوا إلى سمعتهم وسمعة كتابهم بما أتوه من أعمال الرشوة ؛ على أنه يلوح لنا أن الخلفاء كانوا لهؤلاء وأمثالهم بالمرصاد ، فقد ذكر الكندى أن هشام بن عبد الملك الأموى بلغه أن يحيى بن ميمون الحضرمى (١٠٥ — ١١٤ هـ) لم ينصف يتيما احتكم إليه بعد بلوغه ، وحوّل قضيته إلى عريف قومه ، وكان اليتيم وقتئذ فى حجره ، ثم حبسه حين اتصل به أنه أخذ يشنع عليه ويرميه بعدم إنصافه ، وعلم الخليفة بهذا فعظم ذلك عليه وصرفه ، وكتب إلى الوليد بن رفاعة عامله على مصر يقول : « اصرف يحيى عما يتولاه من القضاء مذموماً مدحوراً ، وتخير لقضاء جندك رجلا عفيفاً ورعا تقيًّا سليما من العيوب لا تأخذه فى الله لومة لائم[3] »

حسن ابراهيم حسن

(١) رفع الاصر عن قضاة مصر ص ٣٨٦
(٢) نفس المرجع ص ٤٢٤

(١) الكندى ص ٤١٩ — ٤٢٠
(٢) الكندى : شرحه ص ٤٢٣ — ٤٢٤
(٣) الكندى : شرحه ٣٤٠ — ٣٤١

فلســـفة الأسماء

للأستاذ السيد شحاتة

إن أول ما يصادف الإنسان فى حياته فيوسم به ويبقى ملازماً له، ويشتهر به حتى بعدموته، ويمتازبه عن غيره من الناس، هو الاسم . وقد ترتفع بالإنسان الشهرة وذيوع الصيت إلى أن يكون طبيباً نطاسيًا أو شاعراً فحلا أو عالماً نحريراً أو خطيباً لسناً أو صانعاً ماهراً فلا يعرفه الناس ولا يقرون له بفضل إلا مقروناً باسمه

فالاسم هو السمة الواضحة البارعة التى تفصح عن صاحبها وتبين عن مواهبه . وفى القديم والحديث تفنن الناس فى انتقائها وجهدوا فى اختيارها حتى اتخذوا من الأسماء علامات للخير والشر والذكاء والغباء والسعادة والشقاء

ولرجال التربية مذهب فى تسمية الأبناء فهم يرون أن أول واجب على الأب أداء هذا الدين على وجه موفق محبوب باختيار اسم جميل يكون عنواناً محبباً مقبولاً لابنه على تقادم الأيام، يرى فيه عزة و كرامة لا اهانة وسخرية. فهم ينصحون الآباء بأن يؤدوا الأمانة أحسن أداء فلا يسمون أبناءهم باسم قبيح مرذول حتى لا يحيدوا عن طريق الصواب

وفى الحقيقة أن للاسم تأثيراً كبيراً فى توجيه عقلية الانسان وفى سعادته وفى نبوغه وفى شهرته . وقد تسعد الأسماء أو تشقى بسعادة أصحابها أو شقائهم . وقد يتهافت الناس على اسم فيشيع ويذيع لأنه لنبى أنار الظلمات ، أو ولى أزال الشبهات ، أو قائد أو زعيم طارت شهرته، فأخذ الناس بسناه، وتأصل بينهم من اسمه سحر يجذبهم إليه

الانسان والأسماء

لقد كانت التسمية عند الإنسان هى المحور الأساسى الذى تدور عليه قواعد التسمية أجمع ، لأن الاسم من أفضل علامات التكريم ومن أبين دلائل الرقى والكمال . وما من شك فى أن الله قد كرم بنى آدم وفضلهم على سائر المخلوقات

ولكنا على رغم هذا نجد الانسان نفسه قد استعار من أسمائه ومن غيرها فسمى الخيل والشوارع والقطط والكلاب والبلاد وغير ذلك فأطلق على الخيل (فواز) (غاوى) (سحاب) ... الخ وفى كل منزل يسمى الناس كلابهم وقططهم بأسماء خاصة يقصدون فيها إلى الرشاقة والدلال . وكذلك الشوارع تسمى بأسماء يتخذها المختصون من التاريخ أو الموقع أو اسم أحد القطان أو الملوك والزعماء

ولقد غدا تكريم الملوك والعظماء يأخذ من أسماء الشوارع أعز مكان . فهم يطلقون اسم الملك أو العظيم حبًا فيه وتخليداً لذكراه واعترافاً بأياديه

والمدن تنسب إلى الملوك (كالابراهيمية. الفاروقية. الاسماعيلية بور سعيد . بور فؤاد . الاسكندرية) . وقد تدل على صناعة أو زراعة راجت فيها مثل (معمل الزجاج. المعصرة. كفر الزيات. كفر البطيخ . التل الكبير) . ومنها ما تنسب إلى شخص اشتهر فيها مثل (أبو حماد. سيدى جابر. جرجا) — نسبة إلى مارى جرجس — ولبعض المدن أسماء غريبة بعضها من اللغة القبطية القديمة مثل (دمنهور) . وهور : أحد آلهة المصريين القدماء . ودمن : أى مدينة

وقد انساق الناس فى تعليلات طريفة لبعض أسماء المدن والقرى فهم يزعمون أن يوسف عليه السلام تقابل مع زليخا زوج العزيز بعد أن طوي شبابها تتابع الأيام فذوت نضرتها وذبل جمالها ـ تقابل معها فى المكان المعروف بمديرية الجيزة فقال لها (أصبح البدرشين) فلذلك سميت مدينة البدرشين باسمها هذا

ويزعمون أن القائد جوهر أراد أن يضع أسس البناء فى عاصمة مصر في ساعة سعيدة يقدرها رجال الفلك، فجعل أجراسا تدق للبنائين ليضعوا البناء إذا ما حانت ساعة سعيدة، ولكن الحظ خانه إذ حرك طائر حبال الأجراس ، فرنت ، فوضع الأساس فى ساعة القهر فسميت القاهرة . وهذه مزاعم دفع الناس إليها حرصهم على المبالغة فى التعليل .

والمدن كالانسان خاضعة عند تغيير اسمها إلى قانون فلا يجوز تغيير اسم بلد إلا بعد موافقة وزارة الداخليــة ووجود ضرورة لهذا التغيير .

التسمية عند القدماء

لقد وضعت أسماء الأعلام والأجناس للدلالة على أفراد النوع الانسانى وما يحيط به فى بيئته الطبيعية وما يبتكره فى حياته الفكرية . وليس من شك فى أن وضع هذا النوع من الأسماء قد جاء سابقا فى الرتبة على وجود الأفعال والحروف التى ما وجدت إلا لتربط الأسماء فى الجمل المختلفة .

ولكن المرجح أن الانسان لم يتذوق التسمية بمعناها السامى الفنى، ولم يعن بها ولم يتفنن فى اختيارها قبل أن يعرف الحضارة والمدنية ويسمو إلى أفق الحياة الكاملة . وإنما كان الناس فى عصور الجهالة يطلق بعضهم على بعض أوصافا تميز كل واحد منهم من الآخر؛ وهذه الأوصاف تدل على ميزة كل شخص بقدر الامكان، كقولهم (الرجل القصير . الرجل البدين . ذو العين الواحدة . وهكذا ...) ولكنا نحن فى عصورنا هذه عصور الحضارة والمدنية نلجأ إلى ذلك فى مواطن كثيرة . فاذا أردنا وصفا دقيقا لمن لا يعرف اسمه وصفناه بأخص صفاته وأظهرها

وقد كان المتوحشون يخافون أن تستحسن العفاريت والأرواح الشريرة أسماء أولادهم فتقبض أرواحهم ، فلذلك كانوا يسمون أولادهم بأسماء بشعة (القذر . الوغد . الجبان) وكان بعضهم يسمى الطفل باسم حادث تاريخى (القحط. الوباء. الحرب) وما زلنا نحن نسمى أولادنا بأسماء تاريخية (عيد . خميس . جمعه ، شعبان ، رجب ، محرم ، ربيع .) ولبعض الأسماء القديمة دلالة تدل على ميزة بها أو أصل طبيعتها ؛ فقد اشتق (آدم) من أديم الأرض لأنه خلق من الطين واسم (إبليس) من الابلاس وهو اليأس .

التسمية عند العرب

ذهب عرب الجاهلية مذاهب شتى فى تسمية أبنائهم ، فنهم من تفاءل بالنصر والظفر فسمى (غالب . غلاب . ظالم . طارق . مبارك . منازل .) ومنهم من تفاءل بنيل الحظوظ فسمى (سعد . سعود . غانم . غياث . غوث .) ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن لاظهار القوة فسمى (صخر. جندل . حجر. جبل. فهر)

ومن العرب من كان يخرج وزوجته قد جاءها المخاض فيسمى من تلده امرأته بأول اسم يقابله كائناً ما كان (سبع . ثعلب . كلب .) ويروون فى هذا أن أسماء بنت دريم من قبائل العرب كانت تلقب (أم الأسبع) لأنها سمت أولادها (كلب . أسد . ذئب . فهد . ثعلب . سرحان . خثعم . هر . ضبع)

ومن العرب من أضيف إلى عبودية الأصنام (عبد العزى . عبد مناه) وقد كان فى الأمة العربية من اشتهر بلقب غلب عليه فى شعره حتى أصبح علماً له مثل : (عمرو بن رباح السلمي) (أبو الخنساء — الشاعرة المشهورة) إذ سمى (الشريد) لقوله :

تولي إخوتى وبقيت فردا … وحيداً فى ديارهم شريدا

ومنهم (عمرو بن سعيد — الملقب بالمرقش) لقوله :

الدار قفر والرسوم كما … رقش فى ظهر الأديم قلم

ومنهم سالم بن نهار العبدى الذى لقب بالممزق لقوله :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل … وإلا فأدركنى ولما أمزق

وكذلك امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية يلقبونه (بذى القروح) لقوله :

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة … فيالك من نعمى تحولت أبؤسا!

وما زلنا نحن فى عصرنا هذا نسمي الناس بشيء يرتبط بهم من صناعة أو أى عمل؛ فعندنا الآن ألقاب ربما شاعت بين الناس حتى طغت على شهرة الاسم الحقيقى ، فأصبح المسمى لا يعرف إلا بها (الصحافى المجوز. أبو ثينة . برسوم الجبر. ابنة الشاطئ) وفى العرب أسماء كثيرة من هذا النوع . كما أن بينهم أسماء أخذت فى حوادث معينة — مثل جرير الشاعر الأموى المشهور؛ فقد ذكروا فى ذلك — أن الجرير فى اللغة هو الحبل . وقد سمى الشاعر بذلك لأن أمه رأت فى منامها وهى حامل به أنها تلد حبلا يخنق الناس، فذهبت فى الصباح إلى معبر الرؤيا وقصت عليه رؤياها فقال لها (لتلدن ولداً يكون شراً على الناس) وفعلا كان كذلك جرير . وكانت أمه ترقصه وهو صغير وتغنى له :

قصصت رؤياي على ذاك الرجل … فقال لى قولا وليت لم يقل

لتلدن عضلة من العضل … ذا منطق جذل إذا قال فصل

وسمى الجاحظ جاحظا لجحوظ عينيه . والمتنبي لادعائه النبوة كما اشتهر كثير بنسبتهم إلى بلادهم أو قبائلهم (البحترى . أبو العلاء المعري . الطائى . الخزرجى . المزنى) ونحن نسمى الأشخاص نسبة إلى بلد أو صناعة (ابراهيم المصرى . خليل الزيات . بيومى الطبال . محمد النجار . خديجة العياشة)

وكذلك (الصباغ . الجمال . الدباغ) ومما تحسن الاشارة إليه بمناسبة الدباغ . أن رجلا فى الماضى القريب اسمه ابراهيم الدباغ اشتهر بكثرة الأكل ، فأطلق الناس كلمة دباغ على كل إنسان يكثر الأكل

أما النسب إلى القبيلة كما كان الحال عند العرب، فقلما نجده الآن لشيوع روح المدنية وتقطع التواصل بين الناس وعدم الاعتزاز والفخر بالقبيلة كما فعل العرب؛ ولأن الوحدة أصبحت للدولة لا للقبيلة

الأسماء والأديان

لم تكن للأسماء في العصور الأولى صبغة دينية خاصة، إلا أن الحال تغيرت بعد ظهور المسيحية، إذ أخذ المسيحيون يقلمون شيئاً فشيئاً عن بعض الأسماء اليهودية والوثنية ثم يختارون أسماء جديدة

وفي أوائل عهد النصرانية درج النصارى على أن يسموا أبناءهم بأسماء القديسين والأنبياء، إذ يعلن الأب اسم ابنه جهاراً عند المعمودية فيصبح اسماً معترفاً به قانوناً

وفي فرنسا لا يجوز لأحد أن يبتدع لابنه اسماً غريباً لم يعرفه الناس من قبل، وما يزال في فرنسا حتى اليوم سجل رسمي يحتوي الأسماء التي يجوز للانسان أن يختارها لأبنائه ولا يجوز له أن يسمى بما عداها؛ وهذا السجل يهذب من وقت لآخر بإضافة أسماء حديثة وحذف أخرى قديمة

وفي أسبانيا — حيث ديانتهم الرسمية الكاثوليكية وقد كانت حكوماتهم ملكية — كان الآباء مقيدين عند تسمية أبنائهم بطائفة من أسماء القديسين والقديسات مأخوذة من تقويم الكنيسة؛ ولكن بعد زوال الملكية قريباً قد أبطل هذا وصار الآباء أحراراً في تسمية أبنائهم

ولما ظهر الاسلام تطورت الأسماء عند العرب، إذ سمى النبي (محمداً) مع أنه لم يسم أحد من قبل بهذا الاسم؛ ثم شاعت الأسماء المضافة إلى عبودية الله وتعدت لفظ الجلالة إلى غيره من أسماء الله الحسنى. والآن نجد بين المسلمين نحو النصف من الأسماء تدعى محمداً أو ما اشتق منه مثل محمود. أحمد. حامد، وقد أثر عن النبي (صلعم) أنه قال (خير الأسماء ما حمد ثم ما عبد)

والأديان على العموم لا تحرم اسما ولا تبيح آخر، بل الانسان حر في التسمية بما يشاء. غير أنه على الرغم من هذه الحرية المطلقة نرى بعض أسماء اختص بها المسلمون، وأخرى اختص بها اليهود، وغير ذلك من الأسماء تفرد بها المسيحيون. فمن أسماء النصارى الخاصة (بطرس. ميخائل. حنا. جرجس. عبدالمسيح هيلانة. ماري) ومن أسماء اليهود الخاصة (باروخ. عزرا. كوهين ليفي. حانان) ومن أسماء المسلمين الخاصة (محمد. مصطفى. حسن علي. فاطمة. عائشة) ومن الأسماء المشتركة (يوسف. سليمان. ابراهيم. داود. يعقوب. توفيق)

وفي الواحات المصرية كما في جزيرة قبرص أسماء مخلوطة، فهناك بطرس حسين جورج محمد. نقولا عثمان. وفي سوريا من المسيحيين من سمى ابنه محمداً. وفي مصر تميل الأسماء المسيحية شيئاً فشيئاً نحو الاسلامية، حتى أنها لتشتبه بها في كثير من الأحيان. وفي اسبانيا حيث مكثت الديانة الاسلامية نحو ثمانية قرون، نجد كثيراً من أسماء الأجداد الأولين للأسبان المعاصرين تنتهي بأسماء إسلامية.

(البقية في العدد القادم)

السيد شحاته

بين الفن والنقد

للأستاذ عبد المنعم خلاف

قالت لى نفسى بعد شهودها معركة للنقد بين جماعة من أصدقائى لحق منها مؤسسين عظيمين من مؤسسى الأدب الحديث جملة من النعوت أذكر أنها لم تكن لتلحقهما لو مضيا من الحياة ولم يتركا بيانهما العظيم :

« حطم قلمك ! وأغلق أقفالى علىّ ، واتركنى أمضى من الحياة من غير صوت ولا ذيول يتعلق بها كل متجن وعابث . ودعك من أسطورة الخلود ... تلك التى تفتنكم وبجركم إلى النزاع وإضافة تعبيرات جديدة إلى سجل الشتائم المهذبة الخالدة المذاعة وقل فى تلك الأسطورة ما قال المازنى الأديب الساخر منذ سنوات فى صحيفة البلاغ : « طُزْ ! »

فقلت لها يا نفسى : ألم تعلمى فى سنن الحياة أن لكل شىء وجهين : وجه جمال ، ووجه قبح ؟ ألم تحفظى قول القائل :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه   وإن تذم فقل قىء الزنابير

« والعظيم دائماً يحظى بشرف المبالغة من أنصاره وأعدائه »

وتاريخ الآداب والفنون والعلوم مملوء بالمعارك المنيفة بين المنتج والناقد وأنصارهما . ولم يفد الأدب والعلم بقدر ما أفادا من النقد على شريطة الانصاف فيه والبعد عن المهاترة وتسقط العيوب وإدخال النوازع الشخصية فى موازينه

غير أن المنتج غيور على إنتاجه، فتارة يجهد نفسه فى التجويد والتهذيب والتنقيح قبل أن يعرض نتاجه كما كان يفعل زهير فى حولياته . وتارة لا يلقى باله إلى كلام النقاد ولا يحفل رضاهم أو سخطهم ما دام هو راضياً عن نفسه ، كما قال الفرزدق لناقد احتار فى إعراب كلمة من شعره « علىّ أن أقول وعليكم أن تعربوا » وكما قال المتنبى :

أنام ملء جفونى عن شواردها   ويسهر الخلق جراها ويختصم

وكما قال الأستاذ العقاد فى تقدمة ديوانه :

هذا كتابى فى يد القراء
ينزل فى بحر بلا انتهاء
... ...
فليلق بين القدح والثناء
ما شاءت الدنيا من الجزاء

وكما هو شعار برنارد شو الذى يستدفئ بموقد كتبت على حافته هذه الكلمة :

« إنهم يقولون ... ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون ... »

وتارة يحمل المنتج على النقاد فيخافون لسانه ويقرظونه أو يسكتون عنه كما كان يفعل ابن الرومى

وتارة ينال المنتج من الناقد ثأره كما قال شلى الشاعر الانجليزى « ما عدا أمثلة نادرة لا يمثل النقاد سوى سلالة غبية خبيثة . وكما يتحول اللص المفلس إلى خفير كذلك يتحول المؤلف العاجز إلى ناقد ! » وقال كولردج « النقاد هم عادة أناس كان ينتظر أن يكونوا شعراء ومؤرخين وكتاب سير لو استطاعوا . وقد جربوا مواهبهم فى هذا أو ذاك ففشلوا؛ ولذلك انقلبوا نقاداً »

غير أن من القليل النادر أن تجد هذه الغيرة من الفنان والمنتج تبدو فى صورة « الكبت » أو « الوأد » ولن يقدم على ذلك أديب أو عالم محترف أو مؤمن بنفسه يريد أن يفرضها على التاريخ؛ وإنما هو أحد رجلين : رجل « هاو » يجمع إلى إنتاجه وفنه حرفة أخرى يلابس الحياة بها وينال احترام الناس منها، فلن يضيره أن يتخلى عن إذاعة فنه عند ما يرى أنه سيجلب عليه تنغيصاً ومحنة وعداوة من حيث يرجو الترفيه والحب ؛ كما قال المتنبى (أعادى على ما يوجب الحب للفتى) ؛ أو هو رجل شاك فى نفسه رافع ثقته فيها لا يراها إلا بعيون الناس ، فاذا قالوا لها أو عليها فهو وما قالوا

والأستاذ عبد الرحمن شكرى والدكتور الشاعر ابراهيم ناجى مثلان مضروبان للرجل الأول فى عهد من عهودها بين يدى هذا العصر ؛ كما يضرب أبو حيان التوحيدى الأديب الحكيم المتوفى سنة ٤٠٣ هـ مثلا فى العصر القديم ، فقد أحرق مؤلفاته ولما سئل فى ذلك أجاب : « شق على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضى إذا نظروا فيها ويشمتون بسهوى وغلطى إذا تصفحوها ويتراءون نقصى وعيبى من أجلها »

هذه صور من غيرة المنتج ، فى بعضها يصل الناقد إلى حد الجناية لأنه يحمل بعض النفوس على الكبت أو الوأد لما لابد أن يشتمل على نفع كثير للانسانية بجانب ما عساه أن يكون فيه من ضرر أو تفاهة . نعم إن بعض المنتجين يعرضون أشياء تافهة أو مكررة تستحق التزييف وتأديب أصحابها لأنهم لم يعوا معنى

كلمة الجاحظ « ينبغي لمن يكتب كتاباً أن يكتبه على أن الناس كلهم له أعداء ، وأنهم أعلم منه بما يقول . وإن لابتداء القول فتنة وعجبا » . ولا قول الآخر : « من ألف فقد استهدف »

غير أن هذا كله ليس مبرراً لهجم الناقد على نفس المنقود وذهنه ، وليس داعياً إلى تحطيم حرماته وإهدار قداسته الطبيعية التي هي له حق طبيعي من قبل أن يخط حرفاً أو يعمل عملا هو فيه حسن النية لا ريب ؛ إذ أنه يريد أن يشارك به في المجهود الانساني . فاذا لم ينل الشكر فلا أقل من ترك حرماته من غير تجريح

وأذكر أنني قرأت منذ عشر سنوات لكاتب تونسي لا أذكر اسمه كلمة في مقدمة كتاب ألفه ، تفيض باسترحام القارئ ليغضي عما في الكتاب من نقص يجده؛ إذ أن مؤلفه كتبه بضياء عينيه ساهداً في جوف الليل ليسعد به قارئوه الذين كانوا نياماً في ذلك الوقت . وهو معنى جميل لو وضعه الناقد أمام عينيه لوقف وقدر ثم وقف وقدر كرتين قبل أن يعمل قلمه بالنقد المسلح الجارح

وأظن أن كاتبا ما ، لم يحمل قلمه ويخط به حرفا إلا وهو يضمر مع ما يضمر من شهوة خلود الذكر أو الشهرة، النفع وتنمية الميراث الفكري . وهذا وحده يحتم علينا احترام اتجاهه تشجيعا له ولغيره . اللهم إلا الكاتبين الهدامين الذين في تركهم أو تقديرهم خطر؛ فأولئك يجب هدمهم بالنقد وإهدار حرماتهم كما أهدروا حرمات المجتمع .

وما أجمل مذهب القائل — وأظنه شاعرا سوريا أو لبنانيا معاصرا — :

أيها الناقص أعمال الورى ... هل أريت الناس ماذا تعمل ؟
لا تقل عن عمل : ذا ناقص ... جئ بأوفى ثم قل : ذا أكمل
إن يغب عن عين سار قمر ... فحرام أن يعاب المشعل

القاهرة

عبد المنعم خلاف

جورجياس

او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٩ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجمل محاوراته وأ كلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »(١)

ط — (رداً على جورجياس) وإذا فلنر الآن إذا كنت أستطيع أن أشرح لك ما أريد أن أقول بوضوح أكثر . عندنا من الفنون بقدر ما عندنا من الجواهر(٢) ؛ وأحد هذه الفنون يختص بالنفس وأدعوه « السياسة » ؛ والآخر يختص بالجسد ولست أجد له الآن اسماً مفرداً وإن كنت أميز في وحدته قسمين هما « الرياضة البدنية » و « الطب » كما أميز في السياسة بالمثل « التشريع » ويقابل الرياضة البدنية ،

(١) أشار سقراط في العدد الماضي إلى أن البيان الذي يتشدق به السفسطائيون ليس من الفن في شيء ، وأنه كالطهي سواء بسواء وسنرى اليوم كيف يثبت هذه الدعوي ، وكيف يجعل الطهي والسفسطة والتزين والبيان أقساماً للتملق والرياء ، ثم كيف ينثني على معنى « القوة » ليبين أن الطغاة والجبابرة أضعف الناس جميعاً (المعرب)

(٢) يشير إلى جوهري النفس والجسد وقد تناولهما قبل ذلك (المعرب)

و « العدالة » وتقابل الطب . ولما كانت فنون هاتين المجموعتين تتصل بموضوع واحد فإنها بالطبع ذات علاقات فيما بينها؛ كما هو الحال فى الطب والرياضة البدنية من ناحية، وفى العدالة والتشريع من ناحية أخرى؛ ولكن توجد بينها مع ذلك بعض الفروق ...

هناك إذاً تلك الفنون الأربعة التى ذكرتها، والتى تعمل على تحقيق أعظم الخيرات[1] ، والتى يختص بعضها بالجسد، وبعضها الآخر بالنفس. وهناك « أيضاً[2] » « التملق » الذى لا نستطيع أن نتصوره إلا بالظن والتخمين دون العقل المنطقى، والذى ينقسم فى نفسه إلى أربعة أقسام تنزلق تحت تلك الفنون الأربعة الآنفة وتتداخل فيها ، ويدعى كل منها أنه هو نفس الفن الذى انزلق تحته واختفى فيه ... ، وهو « أى التملق » لا يعنى بالخير قط ، ولكنه يجذب الحماقة دائماً بما يقدمه لها من « طُعم » اللذة فيغشها ويخدعها وينال بذلك تقديراً كبيراً[3] ! ؛ « فالطاهى » مثلاً ينزلق تحت « الطب » ويتخفى فيه ويدعى مفتخراً أنه يعرف أفضل الأغذية الملائمة لصحة الجسم بحيث لو تجادل الطاهى والطبيب أمام الأطفال — أو من هم مثلهم عقلا وفهماً — فى : أيهما أعرف من صاحبه بالأغذية المفيدة والضارة؟

لا نخذل الطبيب وباء بالخسران المبين[4]

وإذاً فهذا هو ما أدعوه « بالملق » يا بولوس ، وما أدعى أنه شنيع وكريه، لأنه يهتم باللذائذ (الحسية) ويهمل الخيرات. وأنا أوجه ذلك التأكيد إليك وأضيف إليه أنه ليس بفن ؛ ولكنه مجرد تجربة وتمرين؛ لأنه لا يستطيع أن يبين الطبيعة الحقيقية للأشياء التى يشتغل بها ، ولا أن يقدم لها تعليلا ! ولذلك لا أستطيع أن أطلق « الفن » على شىء لا تفكير فيه . فاذا كنت تنازعنى فى ذلك فانى مستعد للدفاع عن قولى ! ... (لاينطق بولوس)

وأستطيع أن أكرر ثانية أن الملق المتعلق بالطهى ينزلق تحت الطب ويتخفى فيه ؛ وأن التزين (أو التبهرج) ينزلق بالمثل تحت الرياضة البدنية ويصبح شيئاً مؤذياً خداعاً دنيئاً غير جدير بالانسان الحر ؛ لأنه يعمل على تمويه الصور والأشكال، والألوان والأثواب ، والبريق والصقال ، كيما يجلب للمرء جمالا مصطنعاً ، ويصرفه بذلك عن الجمال الطبيعى الذى تستطيع أن تقدمه الرياضة البدنية[1]

وجريا وراء الاختصار سأحدثك بمنطق الهندسة لأنك قد تفهمنى إذا خاطبتك بهذا المنطق فهما أدق وأصح . — : إن التزين بالنسبة للرياضة البدنية كالطهى بالنسبة للصحة . وبالأحرى التزين بالنسبة للرياضة كالسفسطة بالنسبة للتشريع ، والطهى بالنسبة للطب كالبيان بالنسبة للعدالة .[2] وتلك هى الفروق الطبيعية بين هذه الأشياء ، ولكنها لما كانت متقاربة فيما بينها فان الخطباء والسفسطائيين يختلط فيهم الحابل بالنابل على نفس الأرض ؛ وحول نفس الموضوعات ؛ ولا يعرفون ماذا عسى أن تكون وظيفتهم الحق ؛ كما لا يقل الناس عنهم جهلا بهذه الوظيفة ... ، والحق أن النفس إذا كانت لا تحكم الجسد ، وكان هو المتصرف فى أمر نفسه بحيث لا تختبر هى الأشياء بذاتها ولا تفرق بين الطهى والطب ، وكان هو الذى يحكم وحده تبعا لما يحصل عليه من لذات ، : أقول: الحق أن لو كان الأمر كذلك لرأينا فى الغالب تلك « الفوضى » التى تعرفها ياعزيزى بولوس ، والتى ذكرها « أناجساجور » Anaxagore » فى قوله « كان حابل الأشياء يختلط بنابلها ! »[3] ، ولكننا لا نستطيع أن نفرق بين ما يختص بالطب ، وما يختص بالصحة أو الطهي !! ..

فها قد سمعت ما أعتقده فى البيان وعرفت أنى أعتبره للنفس كالطهى للجسم !؟! وقد يكون من التناقض أن أحرم عليك الأقوال المسهبة وأضطرك مع ذلك إلى الانصات إلىّ هكذا طويلا؛ ولكنى جدير في الواقع بالعذر ؛ لأنى عندما كنت أتكلم بإيجاز كنت ألاحظ أنك لا تفهمنى ولا تستطيع أن تخرج بشىء من أقوالى ؛ فوجب لذلك أن أقدم لك الشروح الكافية ؛ وإذا رأيتُ

---

(١) بالنسبة للانسان بالطبع (المعرب)

(٢) زدناها من عندنا لانسجام المعنى (المعرب)

(٣) عند الحمق بالطبع (المعرب)

(٤) فى الأصل « لمات الطبيب جوعا » ونستطيع أن نقيس على هذا المثل حوادث ومواقف كثيرة (المعرب)

(١) جدير بسيداتنا أن يتمعن لقول أفلاطون كما رأينا الفتيات فى ألمانيا والنمسا يتمعن له (المعرب)

(٢) البيان فى عرف جورجياس ومن على شاكلته (المعرب)

(٣) أناجساجور فيلسوف طبيعى عاش قبل سقراط بقليل . وله كتاب فى الطبيعة ذكر فيه أن الأشياء كانت فى المبدأ فى فوضى عقيمة وأن العقل — أى الله — هو الذى نظمها فاستقام بذلك نظام العالم (المعرب)

بدورى غموضا فى إجابتك فتستطيع أن تبسطها مثلى . أما إذا فهمتها فاتركنى أقتنعُ بها لأن ذلك من حق . ويسرنى الآن أن أسمع ما فى مقدورك أن تذكره عن حدبثى . !

ب — وماذا قلت ؟ أتدعى أن البيان مجرد تملق ورياء ؟

ط — لقد قلت إنه قسم من الملق فحسب ! . أفيحتاج شبابك يابولوس إلي ذا كرة ؟

وماذا يكون شأنك غدا إذا ما تقدمت بك السن ؟

ب — أتعتقد أن الخطباء الجيدين يعدون فى المدن كالمتملقين وأنهم لذلك أقل احتراما ؟؟

ط — أذلك سؤال توجهه إليّ أم هو حديث ستشرع فيه ؟

ب — إنه سؤال

ط — حسن . فأنا ممن يعتقدون أنهم غير محترمين على الاطلاق ... !

ب — وكيف يكونون كذلك وهم أقوياء وجِدّ أقوياء فى الدول ؟

ط — ذلك إذا كنت تعد « القوة » خيراً لمن يمتلكها !

ب — إنى لأعدها كذلك !

ط — حسن . ولكنى أري أن الخطباء أضعف المواطنين قوة وبأساً !

ب — وكيف ؟ ألا يستطيعون أن يقتلوا من يشاؤون ، وأن ينهبوا أموال من يسرهم أن يفعلوا معه ذلك ثم ينفونه إلى الخارج كا يفعل الجبابرة الطغاة ؟[1]

ط — إنى لأسأل نفسى — وحق الكلب[2] — يابولوس عند كل كلمة تقولها لا أعرف إذا كنت تتكلم بلسان أستاذك ، أم تعبر عن رأيك الشخصى ، أم تبغى رأيى فحسب

ب — إنى لأبغي رأيك أنت !

ط — ليكن يا صديق ! ولكنك توجه إليّ سؤالين دفعة واحدة ... !

ب — وكيف ذلك ؟

ط — ألم تقل منذ لحظة أنهم يقتلون من يشاؤون كما يفعل الجبابرة الطغاة ، وينهبون وينفون من يسرهم أن يفعلوا معه ذلك ؟

ب — بلى !

ط — حسن ! أرى أن هذين سؤالين مختلفين ، وسأجيب على أحدهما ثم على الآخر : إنى أعتقد يابولوس أن الخطباء والطغاة لا يملكون فى الحكومات إلا قدراً ضئيلاً جداً من القوة كما ذكرتُ منذ لحظة ؛ لأنهم لا يعملون تقريباً شيئاً مما يريدون ؛ وإن كانوا ينفذون مع ذلك ما يلوح لهم أنه أفضل الأشياء !

ب — حسن . ولكن أليس هذا « قوة » ؟

ط — كلا ! وعلى الأقل بالنسبة لما يقول بولوس !

ب — وهل قلت « كلا » ؟ لقد قلت على النقيض إن ذلك « قوة » !

ط — كلا وحق الإله ! إنك لا تقول ذلك ما دمت قد أكدت أن « القوة » العظيمة خير لمن يمتلكها !!

ب — أتعتقد أنه من الخير للمرء أن ينفذ ما يبدو له كأفضل الأفعال إذا ما كان مسلوب العقل ؟ وهل تسمى مثل هذه الحال « قوة كبيرة » ؟

ب — كلا !![1]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

---

(١) ذلك هو منطق السياسة الحمقاء فى العصر الحاضر وفى جميع العصور! وتعتقد بعض الحكومات أنها تكون قوية ، ما دامت قادرة على ذلك . ولكن ليتها تستمع إلى أفلاطون الذى يثبت لها أنها بقوتها هذه أضعف من الذباب ! (المعرب)

(٢) سبق أن ذكرنا أن البعض يرجع ذلك الكلب للاله أنوبيس المصرى (المعرب)

(١) لا نظن القارئ الكريم فى حاجة إلى تنبيه إلى براعة الحوار فى هذا العدد وقوة بيانه. وسنرى فى العدد القادم إن شاء الله كيف يناقش سقراط قضية « القوة » ويمزقها تمزيقا (المعرب)

التاريخ فى سير أبطاله

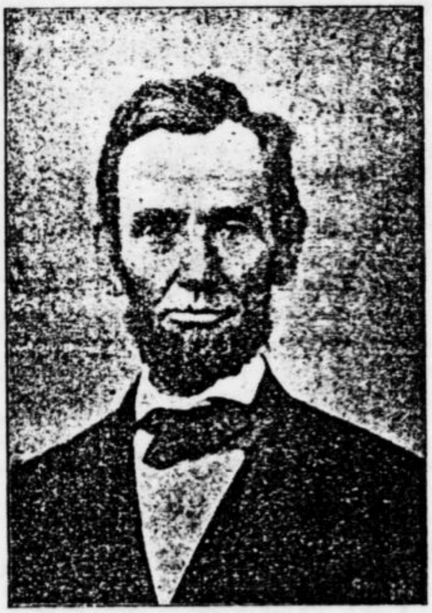
ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

— ٢١ —



وأقام لنكولن فى الفندق ينتظر يوم الاحتفال ؛ وإنه ليحس أنه كالغريب فى هذه المدينة العظيمة ؛ ولقد كان كثير من أهلها يتوقعون قبل وصوله أن تصلهم الأنباء عن مقتله فى الطريق ؛ فلما فوت على الماكرين قصدهم ودخل المدينة ولم تزل غاشية أصاب المؤتمرين به كمد وغم ؛ ولكن هل فاتت الفرصة فلا سبيل لهم إليه بعدها ؟ كلا فما يزال الكائدون يتربصون به حتى لقد سرت فى الناس إشاعة قوية أنه لن يحتفل بالرئيس الجديد ؛ وأنه راجع إلى سبرنجفيلد قبل ذلك اليوم حياً أو ميتاً ...

وكانت المدينة إلى أهل الجنوب أكثر ميلاً منها إلى أهل الشمال ؛ وكان سادتها وكبراؤها ممن يفتنون العبيد ويتمسكون بنظام العبيد ؛ وكانت تقع عين القادم إلى المدينة على العبيد رائحين غادين ؛ ولقد كان هذا منظراً تنفر منه عينا لنكولن وهو يطل على المدينة من الفندق ... وكان ذوو النفوذ من أهلها يكرهون الجمهوريين ويسمونهم الجمهوريين السود ... لذلك أحس إبراهام أنه فى جو غير جوه كالنبات نقل إلى حيث لا يجدى معه رى ولا ينفع غذاء

وجلس إبراهام يفكر ويتدبر ، فاذا امتد إلي الحاضر فكره رأى كيف تشيع الفتنة وكيف يستفحل الشر ، وكيف يزلزل بناء الاتحاد حتى ليوشك أن ينهار ... وإذا استشرفت للمستقبل نفسه رأى ظلمات فوقها ظلمات ؛ فالحرب كما يبدو له واقعة لا محالة ، ما لم يقع ما ليس فى حسبان أحد ... وهى إذا شبت نارها واستمرت اكتوى بسعيرها أبناء الوطن الواحد وأصحاب المصلحة الواحدة ؛ إنها حرب سوف تكون بين نصفى شعب بقاؤه وسعادته لن يكونا إلا فى اتحاد كلمته والتئام شمله ...

وليت الفتنة اقتصرت على الناس ولم تمتد إلى الحكومة ؛ إذاً لكانت أهون على الرئيس وعلى الشعب . . هاهى ذى تندس حتى تتغلغل فى وحدات الجيش والبحرية والسادة المسؤولين من رجال الدولة ؛ ولقد وقف بيوكانون حائراً لايدرى ما يأخذ مما يدع حتى لم يعد فى إمكانه أن يحسم الشر ؛ فكان بذلك وجوده على رأس الحكومة يومئذ شراً على شر

ولكن إبراهام لم يكن بيوكانون ؛ وحسبه عزمه المصمم الجبار فى هذا الموقف الرهيب ؛ هذا إلى إخلاصه وكراهته للمدوان ويقينه الذى لا يداخله شك ولا يحوم حوله شيء مما ينسج الباطل من وهم وما يصور من ريبة

ولقد أشفق من لم يكونوا يعرفونه ، بل لقد جزع بعض الناس أن تلقى أزمة الحكم فى مثل هذه الظروف فى يدى رجل هو فى زعمهم لم تحسن يداه أن تقبضا على شيء غير المعول ؛ وعجبوا أن تترك الأمور للرجل القادم من الغرب ... لذلك المحامى الذى كان من قبل يخطط الأرض ويوزع البريد ؛ والذى نشأ بين الأحراج ونما كما ينمو وحشى النبات ... وسخط أعداؤه ممن لا يجهلون مقدرته واشتد بهم الغيظ ألا يجلس فى كرسى الرياسة يومئذ إلا هذا الجمهورى الأسود ! هذا الذى يعد فى الجمهوريين

كبيرهم الذى ألممهم ما يلوكونه من عبارات تؤذى الأسماع وتحز القلوب وتقبض الصدور ...

أما الذين عرفوا لنكولن وعرفوا خلاله فما خالطهم شك أنه الرجل الذى ليس غيره فى الرجال تكون على يده السلامة ويتم الخلاص .. والحق لقد خلقت الحوادث هذه الأزمة وخلقت فى الوقت نفسه الرجل الذى ينهض لهـا والذى لن يقوى على حمل أعبائها سواه .. ولو لم يكن فى أمريكا فى تلك الأيام ذلك الرجل الذى أخرجته أحراجها لتغير تاريخها باتخاذه وجهة غير التى سار فيها

وإنا لنرى فى ابراهام أحد الأفذاذ الذين يبرهنون بأعمالهم على فساد الرأى القائل بأن الظروف هى التى تخلق العظماء ؛ فهذا رجل نجم عن أبوين فقيرين ودرج بين أحراج الغابة وألفافها ؛ فلما واجه الحياة وأخـذ بعول نفسه راح يشق طريقه فى زحمتها ومفاوزها كما كان يشق طريقه بين الأدغال ، ولا عاصم له مما يحيط به من مخاوف إلا عزيمته وفتوته

راح ابراهام يستقبل الحياة ويمشى فى مناكبها ، وكأن الظروف كلها من عدوه ؛ فما زال يغالب الظروف وتغالبه ، ويعركها وتعركه ، حتى وصل إلى مركز الرياسة فى قومه ، دون أن يستمد العون مرة من أحد؛ أو تكون له وسيلة من جاه أومال؛ أو حظوة عند ذى قوة، أو غير هذا وذاك ممـا يبتغى به الناس الوسائل إلى ما يطمحون إليه من غايات ...

ولما أن بلغ هذا المركز كانت البلاد كما أسلفنا تتوثب فيها الفتنة ويتحفز الشر ؛ فكانت الظروف يومئذ كأسوأ ما تكون الظروف ؛ ولكنه على الرغم من ذلك سار إلى غايته غير خائف ولا وان ولا منصرف عن وجهته إلى وجهة غيرها حتى عقد له النصر وتم له أداء رسالته ...

وكيف لعمرى تخلق الظروف العظماء ؟ وكيف يسمى عظيما ذلك الذى تخدمه الظروف فلا يكون له من فضل إلا ما يجيء عن طريق المصادفة ؟ ألا إن العظيم الحق إنما هو الذى تخاصمه الظروف فينجح على رغم ما تكيد له الظروف؛ وتتجهم له الأيام فيقدم على العظائم على الرغم من تجهم الأيام، وتعترضه الصعاب الشداد فلا تثنى له عزمه أشد الصعاب. بذلك تكون الظروف هى التى تخلق العظماء ؛ فيكون الرجل الذى يظهر عليها ويظفر على الرغم منها هو العظيم ، ويكون في ذلك كالدر تطهر النار جوهره

لبث إبراهام فى الفنـدق ينتظر حتى يتخلى له بيوكانون الشيخ عن قيادة السفينة ؛ وكان إبراهام يستمع إلى دوي العاصفة يزداد يوماً بعد يوم فيتلفت فلا يرى حوله غير سيوارد ؛ ولـكن سيوارد وصاحبه لا يلبث أن يدب بينهما خلاف شديد ؛ فلقد كبر على سيوارد ألا يشاوره أبراهام فى الخطبة التى أعدها ليوم الاحتفال وكان قد كتبها قبل أن يسافر من سبرنجفيلد ...

وعلم إبراهام بالأمر فأتى بالخطبة بين يدى صاحبه ؛ فاقترح عليه أن يغيِّر فيها أشياء وأن يضيف إليها أشياء، فلم ير إبراهام رأيه ؛ على أنه قبل أن يضيف إلى الخطبة خاتمة كتبها سيوارد وتناولها إبراهام بالتغيير ليلتئم أسلوبها مع أسلوب الخطبة ؛ وظن إبراهام أنه أرضى بذلك صديقه ... ولـكنه فوجئ فى اليوم السابق ليوم الاحتفال بخطاب من عند صاحبه ينبئه فيه أنه يتحلل من وعده الذى سبق أن قطعه على نفسه بالاشتراك معه فى الحـكم ؛ وطوى إبراهام الخطاب متألماً مكتئباً ... ألا ما أشد عنت الأيام ! حتى سيوارد الذى ليس غيره ترجى منه المعونة تكون من جانبه المعقبات ؟ .

وأشرقت شمس اليوم الرابع من مارس عام ١٨٦١ ، وكان يوماً من أيام الربيع طلق المحيا رخى النسائم ... فخرج الناس يشهدون موكب الرئيس الجديد ؛ وكان موكب الاحتفال بتولية رئيس الولايات من أعظم ما تهتم به البلاد ؛ وهو فى هذه المرة أجل قدراً منه فى كل ما سلف من الأيام ؛ وذلك لما كان يحيط بتولية إبراهام من معان تجيش بها نفوس الخصوم والأنصار

وقضى إبراهام صباح ذلك اليوم يقرأ خطبته من جديد ويهذبها بالحذف والإضافة ، حتى متع النهار فجاء بيوكانون إلى الفندق فى عربة فركب معه إبراهام ، والناس على طول الطريق إلى بناء المحافظة (الـكابتول) تقع أعينهم على الرجلين ، فهذا هو الرئيس القديم يشيع فى رأسه الشيب ويبدو على بدنه ومحياه المزال من أثر السنين ومن أثر ما حمل من عبء أوشك أن يلقيه وقد أربى على السبعين ... وهذا هو الرئيس الجديد يبدو قويًا فتيًا وهو يومئذ فى الثانية والخمسين ؛ هذا هو الرجل القادم من

الغرب؛ هذا هو ابن الغابة ... هذا هو النجار تملأ الأعين قامته الطويلة التي تلوح للأعين أكثر طولا إلى جانب صاحبه الشيخ الضئيل ... وهو يرتدي اليوم حلة ما ارتدى مثلها من قبل، حلة ارتضتها له ماري وهيأتها لذلك اليوم، ثم هو يقبض بيده الكبيرة التي أكسبها حمل المعول كبرها وخشونتها، على عصا جميلة أنيقة

وضاقت بالناس الطرقات؛ وكان رجال الشرطة قد أبعدوا الجموع قليلاً عن حافتي الشارع، وقد أمرهم كبيرهم ألا يسمحوا بأي عبث بالنظام مهما خيل لهم أنه تافه. وكان كبير الشرطة يخاف أن تمتد أيدي الآثمين إلى الرئيس بالعدوان إذ كانت الاشاعات قد اتخذت مجراها في كل سبيل، وملأ الهمس بها الآذان، ووجفت من هول الجريمة قلوب الكثيرين من المخلصين

ووصل الرئيس إلى مكان الاحتفال، وهو مرتفع أعد لهذا الغرض، وقد امتلأت الساحة المحيطة به بجموع من الناس حتى ما تتسع بعدهم لقدم ... وكان على مقربة من المكان تمثال وشنجطون وقد نحت من المرمر الأبيض وهو يتلألأ في ضوء الشمس وتنبعث منه معاني البطولة والعظمة والحرية والفداء ...

ووقف الرئيس الجديد يوجه الكلام للشعب جميعاً لأول مرة وقف فتى الأحراج أمام هاتيك الجموع ثبت الجنان، مستوى القامة، مرفوع الهامة، وألقى نظرة أمامه على علية القوم من الشيوخ والأعيان ورجال الجيش ورجال الدين والقضاة وغيرهم وغيرهم ثم مد بصره في الجموع وقد سكنت ريحهم فتهيأ للكلام . . . ولكن ماذا عراه؟ لقد وقف يمسك باحدى يديه عصاه وبالأخرى قبعته، فكيف يمسك الورق ليتلو منه خطبته؟ ها هو ذا يسند العصا إلى الحاجز الخشبي أمامه فأين يضع القبعة؟ لقد أوشك أن يقع في ورطة، وأوشك أن يثير ضحكات الخصوم بحيرته؛ ولكن ها هو ذا رجل يثب من مكانه وكان يجلس منه في سمت بصره، فيأخذ القبعة من يده ... ومن هو ذلك الرجل؟ إنه دوجلاس خصمه القديم ومنافسه ذو البأس الشديد ...

وكان دعاة الانسحاب من أنصار الجنوب يأملون أن يتهدد لنكولن الولايات الجنوبية ويتوعد، فيشتد بذلك الهياج في تلك الولايات ويتعذر بعدها أن يجنح هؤلاء للسلم، ولكن لنكولن خيب ظنونهم وزادهم بحكمته وحصافته وبعد نظره ويقظته غماً على غم ...

كانت خطبته خير مثال للاعتدال في غير تفريط، وللتواضع في غير استخذاء أو استسلام، وللتحذير في غير إثارة أو استفزاز، وللمرونة في غير رياء أو التواء، وللعدالة في غير مشادة أو عناد .. كما كانت كالسلسل العذب فصاحة وسهولة؛ ناهيك بما امتازت به من نصوع البرهان ومتانة الحجة واستقامة المنطق وجمال السبك وبراعة السياق ودقة الالمام بالموضوع، وسعة الاحاطة بما كان يشغل الأذهان

وكان الخطيب رنان الصوت، قوي الجرس، وثيق الاشارات تشيع في كلماته حرارة الايمان وقوة اليقين وصدق الاخلاص فتنفذ إلى قلوب أنصاره وخصومه على السواء؛ وإن كان خصومه ليكرهون فوزه وينكرون مبادئه ...

قال يشير إلى مخاوف أهل الجنوب: « يظهر أن المخاوف تنتشر في الولايات الجنوبية، ومبعثها أن قبولهم الحكم الجمهوري من شأنه أن يعرض أملاكهم وسلامتهم وأمنهم على أشخاصهم المخاطر. إنه لم يكن هناك سبب معقول لهذه المخاوف؛ بل لقد قامت بينهم أقوى شهادة على نقيض ذلك، وكانت دائماً تحت سمعهم وبصرهم ... إنها تكاد توجد في كل خطبة من خطب ذلك الذي يحدثكم الآن، وإني لأقتبس من إحدى تلك الخطب حين أقول ليس لي من غرض مباشر أو غير مباشر في التدخل في نظام العبيد في الولايات التي يقوم فيها ذلك النظام ... وإني أعتقد أنه ليس من حقي أن أعمل ذلك، وأن الذين رشحوني وانتخبوني إنما فعلوا ذلك وهم على علم تام أني صرحت كثيراً بمثل هذا، ولم أتزحزح مرة عما قلت »

ولم يقف الرئيس في اعتداله عند ذلك الحد، بل لقد ذهب إلى التصريح بأن العبد الفار إلى الولايات الحرة لا تمنح له الحرية. ولقد أشفق كثير من أنصاره من هذا التصريح، ولكن لنكولن يستند في ذلك التصريح إلى مبادئ الحزب التي لا يمنح بمقتضاها العبد حريته إلا إذا ذهب مع سيده غير فار إلى ولاية حرة وأقام فيها

وتكلم لنكولن عن انسحاب الولايات من الاتحاد فقال: « لن يخول القانون لأية ولاية حق الانسحاب » ثم أردف قائلا إن القسم الذي أقسمه على المحافظة على الدستور يجعل لزاماً عليه أن يقوم بواجبه فيعمل على أن يكون قانون الولايات المتحدة نافذاً في جميع الولايات. واختتم الحديث في هذا الموضوع بقوله: « إني واثق أنكم لن تحملوا على التهديد كلامي، بل إنها كلمة

الاتحاد يعلن أنه سوف يحمى ويدعم بناءه على أساس من الدستور .

وهو إذ يفعل ذلك لا يرى ثمة حاجة إلى سفك الدماء والعنف ، وسوف لا يكون شيء من هذا إلا إذا أجبرت عليه السلطة القومية

وأشار إلى الوحدة من الناحية العضوية فقال إن نصف الشعب لا يستطيع أن يقوم بغير النصف الآخر ، وإذا كان فى الدستور عيب فمن الممكن إصلاحه على يد مؤتمر يجتمع فيه ممثلو الشعب . فاذا رأى الشعب الانفصال حقاً لكل ولاية فله رأيه وليفعل كما يرى ، أما هو فليس لديه من قوة إلا ما منحه الشعب

وتكلم عن الداعين إلى الثورة فقال إنه لا مبرر للثورة إلا إذا لجأت الأغلبية إلى الطغيان ؛ ومثل هذا المبرر لا وجود له ، وإن الانسحاب معناه الفوضى ولا نتيجة للفوضى إلا الاستبداد ...

واختتم لنكولن خطبته بتلك العبارة التى اقترحها سيوارد وتناولها هو بالتعديل قال: « لسنا أعداء بل نحن أصدقاء؛ ويجب ألا نكون أعداء . ومع أن الغضب قد جذب حبال مودتنا فيجب ألا يقطعها ؛ وإن الأناشيد الخفية التى ترن فى الذاكرة منبعثة من كل ميدان من ميادين القتال ومن كل قبر من قبور الوطنيين ، إلى كل قلب حى وإلى جانب كل موقد فى هذه البلاد العريضة لتزيد فى جوقة الاتحاد ، إذا ما مسها من جديد كما نثق أنها ستمس — وحى من طبيعتنا

وأقسم إبراهام اليمين وعيناه على الانجيل . وتولى صيغة القسم القاضى تين صاحب قضية دروسكوت الشهيرة وكان يومئذ القاضى الأعلى للبلاد . وبعد أن أدى إبراهام اليمين أن يحترم الدستور ويحافظ على قوانين البلاد سار إلى البيت الأبيض ، وكان أول عمل له بعد وصوله أن تناول القلم فكتب إلى سيوارد الخطاب الآتى :

« سيدي العزيز : تسلمت رقعتك المؤرخة ٢ الجارى التى تسألنى فيها أن أقبل انسحابك من الاشتراك معى فى إدارة الحكم ؛ ولقد كانت رقعتك هذه سبباً لأعظم قلق عندى إيلاما ، وإنى لأشعر أنى مضطر إلى أن أرجوك أن تانى هذا الانسحاب . إن الصالح العام ليدعوك أن تفعل هذا ، وإن شعورى الشخصى ليتجه فى شدة فى نفس الاتجاه . أرجو ان تتدبر وأن يصلنى رد منك فى الساعة التاسعة من صباح الغد ... خادمك المطيع ... »

« يتبع » الخفيف

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٥ —

تطبيقات

فرغنا فى مقالاتنا السابقة من ذكر مؤاخذاتنا على جماعة وزارة المعارف فيما رأته من تيسير قواعد الاعراب ، وكان سبيلنا فى هذا مخالفاً لسبيل غيرنا فى مؤاخذاته عليها ، لأنا نتفق معها فى غايتها من الاصلاح ، فهدمنا من عملها لنبنى أتم منه ، وأبطلنا من رأيها لنصل فى الرأى إلى ما لا يمكن هدمه ، فتعلو به كلمة الاصلاح ، وينتصر ما نريده من التجديد النافع . وقد بلغنى عن صديق لى أن عضواً بارزاً من هذه الجماعة ذكر له أنه معجب بما كتبناه فى ردنا عليهم ، فلا أدرى ما يمنعه من ذكر رأيه فيما كتبناه من ذلك على صفحات مجلة الرسالة الغراء ، ليتبين الحق فى هذا الموضوع ونصل إلى ما تريده وزارة المعارف من الاصلاح فى قواعد الاعراب

وإنى أريد الآن أن أذكر تطبيقات على ما ذهبت إليه فى إصلاح هذه القواعد ، ليتبين أن ما ذهبت إليه من هذا مذهب مطرد ، ورأى لا شذوذ فيه ولا اضطراب

التطبيق الأول

ألا إنَّ قلبى لدى الظاعِنينَ حزينٌ فمن ذا يُعزِّى الحزينا

(ألا) أداة استفتاح مجزومة بالسكون (إن) حرف توكيد منصوبة بالفتحة (قلبى) مبتدأ منصوب بفتحة مقدرة قبل ياء التكلم ، وهو مضاف وياء التكلم مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على آخره (لدى) ظرف مكان منصوب بفتحة مقدرة على آخره ، وهو متعلق بحزين مقدم عليه ، ولدى مضاف والظاعنين مضاف إليه مجرور بالياء نيابة عن الكسرة (حزين) خبر المبتدإ مرفوع بالضمة (فمن ذا) الفاء للتفريع منصوبة بالفتحة ، ومن اسم استفهام مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة فى آخره

وذا خبر المبتـدإ مرفوع بضمة مقـدرة فى آخره (يعزى) فعل مضارع مرفوع بضمة مقـدرة فى آخره ، وفاعله ضمير مستترجوازاً تقديره هو (الحزن) مفعول به منصوب بالفتحة ، ولا داعى إلى ذكر أن الجملة صلة لا محل لها من الاعراب ، وإنما يعنى بتقدير الاعراب فى الجمل التى لها حظ منه

التطبيق الثانى

يبذلٍ وحلم ساد فى قومه الفتى   وكَونُكَ إيَّاه عليك يسير

(يبذل) الباء حرف جر مجرور بالكسرة ، وبذل مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة فى آخره ، والجار والمجرور متعلق بساد (وحـلم) الواو حرف عطف منصوب بالفتحة ، وحلم معطوف على بذل مجرور بالكسرة (ساد) فعل ماض منصوب بالفتحة (فى قومه) فى حرف جر مجزوم بالسكون ، وقوم مجرور بنى وعلامة جره الكسرة ، وقوم مضاف والضمير مضاف إليه مجرور بكسرة فى آخره (الفتى) فاعل مرفوع بضمة مقـدرة (وكونك) الواو حرف عطف منصوب بالفتحة ، وكون مبتدأ أول مرفوع بالضمة ، والكاف المضاف إليـه مبتدأ ثان مرفوع بضمة مقدرة (إياه) خبر المبتدإ الثانى منصوب بفتحة مقدرة فى آخره (عليك) على حرف جر مجزوم بالسكون ، والكاف مجرور به وعلامة جره كسرة مقـدرة ، والجار والمجرور متعلق بيسير (يسير) خبر المبتدإ الأول مرفوع بالضمة

ولا غرابة فى أن يكون المضاف إليه مبتدءا فى هذا البيت ، فان هـذا هو الواقع فى أمره ، أما إعرابه اسما للسكون فانه هو الغريب فى الحقيقة ، لأن المضاف إليه ليس اسما له ، وإذا كان لنا مبتدأ مجرور بالحرف فى نحو — رب فتى — فانه لا يكون هناك غرابة فى أن يكون لنا مبتدأ مجرور بالاضافة فى ذلك المثال ونحوه .

التطبيق الثالث

يُغضِى حياء ويغضَى من مهابته   فما يُكلَّمُ إلا حين يبتسم

(يغضى) فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة ، وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره هو (حياء) مفعول لأجله منصوب بالفتحة (ويغضى) الواو حرف عطف منصوب بالفتحة ، ويغضى فعل مضارع محـذوف الفاعل مرفوع بضمة مقدرة (من مهابته) من حرف جر مجزوم بالسكون ، ومهابة مجرور بمن وعلامة جره الـكسرة ، وهو مضاف والهاء مضاف إليه مجرور بالـكسرة والجار والمجرور متعلق بقوله يغضى (فما يكلم) الفاء للتفريع منصـوبة بالفتحة ، وما نافية مجزومة بالسكون ، ويكلم فعل مضارع محذوف الفاعل مرفوع بالضمة ، والمفعول ضمير مستتر جوازاً تقديره هو (إلا) أداة استثناء مجزومة بالسكون (حين) ظرف زمان منصوب بالفتحة (يبتسم) فعل مضارع مرفوع بالضمة ، والفاعل ضـمير مستتر جوازاً تقديره هو ، والجملة من الفعل والفاعل مضافة إلى حين مجرورة بكسرة مقدرة

وفى هذه التطبيقات الثلاثة كفاية

« تم البحث »

أزهرى

بين اللغة والأدب والتاريخ

الفالوذج

للاستاذ محمد شوقى أمين

— ١ —

لفظه . تعريبه . الابدال من حروفه . مستعمله فى الأدب . واحده . جمعه . معناه . رحلته إلى العرب . إطعامه الناس . تهيب ذوى الورع إياه . رحلة أعرابي إليه .

— ١ —

الفالوذج كلمة فارسية النشأة ، أصل منطقها على ألسنة أهلها : پالوذة[١] ، فأول حروفها : الباء التى بين الباء والفاء ، أو المخلوطة بالفاء على تعبير الشهاب الخفاجى[٢] . وختامها : الهاء الساكنة على أصل اللسان الفارسى[٣] . ومن حروفها الذال المعجمة كما فى الكثير الأكثر من كتب اللغة وأقوال الأئمة . ولكن الشيرازى محمداً علياً قال : إن الفالوذج معرب عن پالوده بالدال المهملة[٤] . وهذا يؤيد ما نقلته المعجمات المؤلفة لهذا العهد من قولها : إن الفالوذج بالمهملة ، لغة فيها بالمعجمة[٥] . والشيرازى من نبعة الفرس ، فهو يتحدث عن لغة قومه . فخقيق بنا أن نرجع إليه ، ونعول عليه ، وندع ما لكسرى لقوم كسرى !

وقد عرّب العرب هذه الكلمة ، بعد تشذيب وتثقيف ، مبالغة فى تحقيق الجنسية اللغوية[٦] ، كما يقول الرافعى ، فقد سَمَوْا بالحرف الأول المترجح بين الفاء والباء ، إلى الفاء ، إذ كان هذا الحرف المذبذب ليس فى عداد الأصلى من حروف الفصحى ، واستبدلوا الذال بالدال ، كما صنعوا فى سَذاب وساذَج وباذَق ، فالذال عوض من الدال الفارسية فى هذه الألفاظ . ثم جعلوا الهاء جيما[٧] ، على أسلوبهم الأغلبىّ فى التعريب[٨] . فقالوا : فالوذج ، ولم يرتض هذا الابدال الأخير جمع من نقدة اللغة ، فقالوا : بل تبدل الهاء قافا[١] ، وهى طريقة العرب كذلك[٢] ، أو تحذف الهاء دون إبدال ، وعلى هذا القول المخيّر بين اثنتين من الحذف أو إلحاق القاف : تماسَح فقهاء اللغة ، فما إن تجد فى المعجمات الوثيقة وما فى حكمها إلا : الفالوذ ، أو الفالوذق

فأما مناهل الأدب والتاريخ ، ومكانز النوادر والطرف ، فقد آثرت كلمة الفالوذج على هذا الوجه ، فهى ثَمّ مستعملة سائرة ، لا يُعدل عنها إلا فى الندرة والفلتات . وهى كذلك فى أكثر شعر الشعراء بين قديم ومحدث ، ولا سيما عصر بنى العباس . وما أجدر ذلك على اجتماعه أن يكون برهاناً قائماً على أن جمهور الأمة العربية كان يجرى على إبدال الهاء جيماً ، وأن اللفظ قد ذاع على هذه الصورة أول ما ذاع . فتلقفته الألسن بعد ذلك عصراً فى أثر عصر ، وبقى التصحيح اللغوى أثراً مهجوراً لا يقتفيه أحد فى صحراء المعجمات !

والطائفة من هذه الحلواء : فالوذجة ، كما قال السيرافىّ[٣] وهذا قول يَعُدُّ كلمة الفالوذج فى أسماء الأجناس التى يُفرق بينها وبين واحدها بالتاء ، كتمر وتمرة ، وبطيخ وبطيخة . وهى قياس فى المخلوقات ، سماع فى المصنوعات ، فما يجىء من هذه مُشَبَّه بما جاء من تلك[٤]

ولو أريد جمع الفالوذج جمعاً صناعياً على ما ينقاس فى مثله ، لكان أقرب شىء متناولاً جمع الألف والتاء ، كما هو مفهوم قول سيبويه[٥] ، وصريح رأى ابن عصفور[٦] . فيكون : الفالوذجات . ولم يقع لى هذا الجمع فيما قرأت . بيد أن الزمخشرى أثبت جمع الفالوذ على فواليذ ، فى سجعة من أسجاعه الرقاق[٧] . ولست أحُق : أذلك منه تطبيق على القواعد وصناعة ، أم نقل لمأثور ، أم تقييد لسماع ؟ لم ينته إلىّ من علم ذلك إلا أن الجمع صحيح على أية خطة ![٨]

وقد ذكر أبو على الفارسى أن الكلمة الفارسية تَرجمتها : الحافظ للدماغ[٩] ؛ ويبدو أن هذا التفسير كان متعارفاً للخاصة من العرب حين حلّيت موائدهم بالفالوذج وحلت . والدلالة على

(١) شفاء الغليل (حرف الفاء) (٢) مقدمة الشفاء
(٣) تاج العروس (٤) معيار اللغة
(٥) أقرب الموارد ، ومحيط المحيط ، ومعجم استنجاس
(٦) تاريخ آداب العرب (الأول — ١٩٩)
(٧) التاج (٨) الجاسوس على القاموس

(١) الصحاح (٢) كتاب سيبويه (الثانى — ٣٤٣)
(٣) المخصص (الخامس — ٢٠) (٤) شرح المفصل (الخامس — ٧١)
(٥) الكتاب (الثانى — ١٩٨)
(٦) همع الهوامع (الاول — ٢٣)
(٧) أساس البلاغة (٨) الاشمونى (الرابع — ١٤١)
(٩) المخصص (الخامس — ٢٠)

ذلك فيما حُكي عن الخليفة الأموى : سليمان بن عبد الملك (١) ، فقد كان أعرابى على مائدته يسرع فى الفالوذج . فمازحه سليمان بقوله : أأزيدك منه يا أعرابى ، فانهم يذكرون أنه يزيد فى الدماغ ؟ فقال الأعرابى : كذبوك يا أمير المؤمنين ، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل !

فلم يَبتئس سليمان ، واحتملها منه ، ولم يحتملها له

— ٢ —

وكلمة الفالوذج تدل على حلواء ليست من أطعمة العرب ، وإنما هى من جملة ما اجتلبوه من موائد الفرس فى مستهل الحضارة ، قبيل فجر الاسلام . وقد حكى أن عبد الله بن جُدعان التيمى (٢) ، وهو الملقب بحاسى الذهب ، لأنه كان يشرب في إناء ذهبي ، وفد على كسرى مرة ، وأكل عنده الفالوذج ، فتعجب منه ، وسأل عن حقيقته ، فلما أُجيب بصفته ، ابتاع من بين الفرس غلاماً يحسن صُنعه ، ورجع به إلى مكة ، ثم سَمَت به أرْيَحِيَّته إلى أن يطعم الناس عامةً جديد هذه الحلواء . فبسط الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر ، فاستجاب له الخلق من كل فج ، وكان ممن حضر أمية بن أبي الصلت . فقال يمدحه من قصيدة : (٣)

لكل قبيلة هاد ورأس ... وأنت الرأس تقدم كل هادِ
عماد الخيف قد علمت معدٌّ ... وإن البيت يرفع بالعمادِ
له داع بمكة مُشْمَعِلٌّ ... وآخر فوق دارته ينادى
إلى ردح من الشِّيزَى ملاء ... لباب البرِّ يُلْبَكُ بالشهادِ
ومالى لا أحييه وعندى ... مواهب يطّلعن من النِّجادِ؟

ولما حفلت موائد العِلْية والسراة من العرب المتحضرين بالفالوذج ، طوفت في شأنه الأقاويل ، فتهيبه ذوو الورع ، إذ كان المسلمون حديثى عهد بالحنيفية ، يتعففون عن كل ما تطالعهم به الأمم الدخيلة فى مختلف أسباب الحياة ، وبخاصة المتع واللذائذ ، قانعين من شئون اجتماعهم بما أشرقت عليه شمس الاسلام ، وما رأى النبى صلوات الله عليه الناس يأكلونه فلم ينههم عنه . فإنه ليحكى أن الحسن البصري (٤) — إمام الفقه والفتوى — سمع رجلا يعيب الفالوذج ، فذكر له الحسن أخلاطه التى يبنى عليها، وقال : ما عاب هذا مسلم !... وعلم الحسن (١) كذلك أن رجلا يتنزه أن يأكله ، فراجعه ، فقال الرجل : يا أبا سعيد ، أخاف ألا أؤدى شكره ، فقال الحسن : يالكع ، وهل تؤدى شكر الماء البارد ؟ ثم تلا عليه قول الله : يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم .

ويظهر أن انتشار الفالوذج فى الأمصار العربية والحواضر ، وتضوُّع أخباره فى البوادى ، شوق الأعراب إلى استكناه هذا الطعام الموصوف ، فانى لأنسى ولا أنسى نادرة يقطر منها ماء الظرف ، وقعت لى في بعض القراءات ، وهى أن أعرابيا خرج يضرب آباط الابل إلى حضَر المسلمين ، يسأل : ما الفالوذج ؟ وثم يُبَرِّدُ ظهر مطيته حتى وُصف له، فلما سمع الوصف تمطّق، ثم قال : إى والله ! لو نزلت هذه الصفة فى القرآن لكانت موضع سجدة ... وهكذا كشفت تلك الرحلة الفالوذجية الماجية ، أمنية أدعى إلى العجب ، وهى أن تنزل صفة الفالوذج فى محكم الكتاب : سورة الحلوى !!

« للبحث صلة »

محمد شوقى أمين

(١) العقد الفريد (الثانى — ٣٠٧) (٢) بلوغ الأرب (الأول — ٣٨٠)
(٣) اللآلى للبكرى (الأول — ٣٦٣)
(٤) البيان والتبين (الأول — ٣١)

(١) العقد الفريد (٤ — ٢٩٤)

حول الطريقة التجانية

للشيخ محمد الحافظ التجانى

شيخ هذه الطريقة بمصر

قرأت فى العدد (٢٦٦) من مجلة الرسالة أسئلة من ألبانيا إلى الأستاذ الحجوي وهذا نص السؤال :

« إن الطريقة التجانية المنتشرة فى أكثر البلاد حتى البلاد الأرناؤودية ولا سيما بلدتنا أشقودرة هل المندمج فيها غير مناف للشريعة الغراء؟ ومنتسبو تلك الطريقة يدعون أفضلية قراءة (صلاة الفاتح) لما أغلق على تلاوة القرآن ستة آلاف مرة وهو أكبر الأذكار متأولين بأن ذلك بالنسبة لمن لم يتأدب بآداب القرآن كما فصله فى كتاب جواهر المعانى المنسوب إلى التجانية، وأن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بتلك الصلاة الخاصة إنما يترتب عليها الثواب إذا اعتقد أنها من كلام الله القديم من قوله عليه السلام : « من صلى علىّ مرة صلى الله عليه عشراً » ، وأن تلك الصلاة مع فضيلتها بتلك الثابة لم يعلمها النبى عليه السلام لأحد إلا لمؤسس تلك الطريقة . وفى ذلك مالا يخفى من لزوم الكتمان ومنافاته للتبليغ المأمور به عليه السلام؟ وأن مؤسس تلك الطريقة أفضل الأولياء مع أن الاجماع هو أن الأفضل بعد نبينا محمد عليه السلام ، الخلفاء الأربعة على الترتيب المعلوم ؛ وأن من انتسب إلى تلك الطريقة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب وتنفر ذنوبه الكبار والصغار حتى التبعات وغير ذلك مما هو مبسوط فى الكتب التجانية »

وحيث أننا — أهل هذه الطريقة أحق الناس ببيان ما نحن عليه — وكان فى تلك الأسئلة تحريف عن الحقيقة التى عرفناها ونقلناها عن شيوخنا قاطبة ، فإننى أعلن بلسان كل من ينتسب إلى هذه الطريقة أن من يعتقد أن صلاة الفاتح أو غيرها من الصلوات أفضل من القرآن فهو ضال مضل ما عرف الاسلام؛ وليس هناك فى طريقتنا من يعتقد تلك العقيدة الزائغة ، وقد قال شيخ الطريقة الأكبر فى جواهر المعانى :

أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الكلام فأمر أوضح من الشمس كما هو معلوم فى استقراءات الشرع وأصوله شهدت به الآثار الصحيحة

أما الذى نقول به فهو أن من لم يحسن أدب تلاوة الكتاب الواجبة ، فلأن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أفضل له من أن يتلو القرآن وهو يخل بشروط تلاوته . فالمقارنة فى حال التالى لا فى المتلو فانه لا خلاف فى أفضلية القرآن . فأى شىء فى ذلك وهو الذى يقول به العلماء ؟

على أنه لا حرج فى رجاء الأثابة على العمل القليل بالجزاء الكثير ، وإن كان العامل لا يستحقه ولا العمل، والفضل الالهى يتسع لإثابة المؤمن على تسبيحة واحدة بجزاء عمل كثير من محض الفضل الالهى بغير استحقاق . وقد صح فى التأمين والتسبيح والذكر شىء من ذلك . وليس هذا من باب تفضيل غير القرآن على القرآن بأى وجه من الوجوه . ولا يذكر هذا ليتكل عليه المؤمنون فالمؤمن يعمل ويخاف ويرجو — وعدم الأمن أصل فى العمل بالطريق — ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون — ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . وإن من مكارم الأخلاق حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله

وليس هناك فى طريقتنا من يعتقد أن الشيخ أفضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما زعم السائل

وقد صرح فى جواهر المعانى أنهم أفضل ممن بعدهم مستدلا بما روى عنه صلى الله عليه وسلم :(إن الله اصطفى أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين) وقال : أعمالنا معهم كسير النملة مع سرعة طيران القطاة . وذكر أن أعمال من بعدهم فى صحيفتهم. أما دعوى تفضيله على النبيين فهى دعوى لا تستحق أن يلتفت إليها لوضوح بطلانها

أما صلاة الفاتح ودعوى أن أهل الطريقة يقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم كتمها عن أصحابه وأعطاها للشيخ وكونها من كلام الله القديم ، فهذه الصلاة موجودة قبل الشيخ ، وهى منسوبة لسيدى محمد البكرى وهو موجود قبل ولادة الشيخ بزمن

طويل ، فكيف تكون مكتومة ؟ ومن نسب الكتمان له صلى الله عليه وسلم فيما أمر بتبليغه فهو كافر مرتد . وكذلك من اعتقد أنها من أى نوع من أنواع وحى النبوة . ولم يقل أحد عندنا إنها من الأحاديث القدسية . والذى حققه حجة هذه الطريقة سيدى العربى بن السائح في كتابه (بغية المستفيد) أنها يصح أن تكون من الالهام الذى يجوز للأولياء ا ه

قال صلى الله عليه وسلم : (ذهبت النبوة وبقيت المبشرات . قالوا وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له)

والرؤيا ليست بقاصرة على ما يراه المرء فى نومه كما هو معروف فى اللغة . وذكر الحافظ بن حجر فى شرح حديث ابن عباس هى رؤيا عين أريها صلى الله عليه وسلم الخ فى البخارى فيصح أن تشمل ما هو معروف بالالهام والمشاعر والوقائع والتحديث ونحوه مما حقق العلماء أنه جائز أن يكون نصيب الولى من ميراث النبوة . ويجب عرض ذلك على الشريعة فما وافقها أخذبه ومالا فلا؛ وقد يكون له تأويل كالرؤيا المنامية سواء بسواء. وصح عنه صلى الله عليه وسلم : (أنه كان فيمن قبلكم رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء)

وأهل هذه الطريقة قاطبة فى أنحاء المعمورة ليس فيهم واحد على غير مذاهب أهل السنة والجماعة ، فهم حنفية أو مالكية أو شافعية أو حنابلة . ومعتقدهم معتقد أهل السنة الذي عليه الفقهاء والمحدثون والأصوليون والصوفية. وقد بلغ فيهم الكثيرون الامامة فى عصرهم فى أقطارهم كسيدى ابراهيم الرياحى شيخ الاسلام بتونس ، وسيدى احمد كلانباتى شيخ الجماعة بفاس ، والفقيه جنون، وسيدى على بن عبدالرحمن مفتى وهران، وسيدى محمد الحافظ العلوى الشنقيطى .

وكل ما يوهم فى كتبنا غير هذه العقيدة فقد تصدى علماء الطريق لبيان المراد منه وحمله على الوجه الذي يوافق ما عليه الجماعة ولنا أسوة بمن سبقنا من العلماء . أما ما نسب للشيخ رضى الله عنه مما لا يمكن تأويله ولا يمكن حمله على وجه صالح فنحن نراه كذبا عليه ونرده. وقد سئل : (أيكذب عليك ؟ قال نعم — إذا سمعتم عنى شيئا فزنوه بميزان الشرع)

وقد كذب على الله والرسول والصالحين فأى حرج أن يكذب عليه ؟

وإن الواقع هو أوضح دليل على براءة الشيخ وطريقته من هذه الأكاذيب المفتراة أو التى ولدها فهم فى كلامه لا نقول به بحسب صريحا وهو عندنا مؤول يحرم الأخذ بظاهره . ذلك الواقع أننا نجد أصحابه لا يقولون بها . وقد أطبق علماء الطريق من عصر الشيخ على إعلان البراءة منها صريحا وبيان أن من يعتقدها ليس فى الطريق فى شىء. ومعلوم أن أتباع كل امرىء أخبر الناس بما هو عليه . وصريح كلامه الذى لا إبهام فيه ولا غموض هو المرجع الصحيح، وقد تبرأ من كل قول يخالف الشرع ولم يجعل ميزانا بينه وبين أتباعه غيره .

وإذا فليس فى هذه الأمور معضلة من معضلات العصر، ولكن المعضل حقيقة هو النزاع فيما بيننا معشر المسلمين ؛ ولا شك أن لأعداء الاسلام المصلحة فى التفرقة

ولا أدرى ألم يحن الوقت الذى يترك فيه نزاع الطوائف الاسلامية ويوضع سلاح الافتراء والتحريف وسوء الظن الذى يتحاربون به ؟ وهلا ييسر لهم من يسعى فى التفاهم على أساس حسن الظن بينهم وجمع كلمتهم والتماس المعاذير لمن لعل له العذر منهم؟

وليس هذا كل ما يقال عن الطريق فقد ذهب نزاع الطوائف إلى حمل كل موهم فى كتبنا على أسوأ الوجوه مما لا يخطر على بال أحد منا ولم نسمعه إلا من خصوم الطريق، وإلى أبعد من هذا، إلى التدليس كما يقال : فويل للمصلين — ويترك الذين هم عن صلاتهم ساهون، وإلى الاختلاق والكذب على التاريخ وعلى الأحياء من العلماء، ووصل حتى إلى الأمور الشخصية، وسأقدم للعالم الاسلامى مثلين واقعين من ذلك الافتراء :

فها هو ذا جواب العلامة المحدث السيد عبد الحى الكتانى أطال الله حياته على سؤال رفعته إليه عن دعوى رجل زعم أن جواهر المعانى ألفه بعض المستشرقين الفرنسيين وزعم أن الأصل موجود فى مكتبة السيد


بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده
وصلى الله على سيدنا محمد وحزبه

الى صاحب الفضيلة الشريف العلامة مولاي ابي الاقبال
سيدي عبد الحي الكتاني حفظه الله آمين.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
كان مجلة تصدر بمصر تسمى هدى الاسلام نشرت بالعدد ٤٢
من السنة الثالثة أن كتاب جواهر المعاني – انما هو من
تأليف بعض أعداء الدين (جماعة من مستشرقي الفرنسيس)
وقال الناشر – وثمة قصة طويلة يسأل عنها الاستاذ
الكتاني بفاس اذ هو يعلم ذلك خبيرا [illegible] به من نسخة
الجواهر التي كتبها زعيم هذه الطائفة باملاء من اشير اليهم
والأمر أعظم مما يذكر [وليس الخبر كالعيان] الخ – اهـ
واني ارفع هذا لفضيلتكم لتتفضلوا ببيان حقيقة دعوى من
كتب هذا القول وتفضلوا يا سيدي بقبول اجلالي واحترامي
محمد الحافظ التجاني
فاس ٢٤ رمضان ١٣٥٦

الحمد لله ان [illegible] من [illegible] وما شاع المشتهر
[illegible] الجواهر المعروف المطبوع المتداول ولدي [illegible]
نسخة من الجواهر غير النسخة المطبوعة المتداولة [illegible]
[illegible] المتوارث واردت [illegible] الكتب [illegible]
من ذكر وادعى [illegible] الكذب والزور
قاله وكتبه محمد عبد الحي الكتاني الحسني بفاس ٢٥ رمضان
عام ١٣٥٦

وزعم قوم أن قبر أوربلى الفرنسية زوجة سيدى أحمد عمار حفيد الشيخ الأكبر جمات عليه قبة ورسم عليها صليب. والحقيقة أنها ماتت مسلمة وثبت ذلك لدى الحكومة الفرنسية ودفنت بالفعل فى مقابر المسلمين وليس على قبرها أثر لقبة ولا لصليب. وها هى ذى صورة قبرها بكوردان التابعة للأغواط فى صحراء الجزائر. وترى قبور مجاورة لحجرة سيدى أحمد عمار، وقبر أوربلى هو الثالث الملاصق للجدار فى فضاء حديقة القصر ليس فوقه إلا السماء، وقد وضع رجل يده على حجر قائم عليه يقابله حجر آخر عليه تاريخ وفاتها، وأنها ماتت مسلمة بشهادة عدول مسلمين.



ولست بعد ذلك بصدد التعرض لجواب الأستاذ الحجوى لأن هذا هو الذي لدينا ونبرأ من كل ما يخالف شرع الله وشرع رسوله صلى الله عليه وسلم، وأصحاب هذه الطريق ولله الحمد من أشد الناس قياماً بالقرآن تلاوة ومدارسة، وبالسنة علماً وعملاً؛ وأساسها تصحيح العقيدة، والقيام بالواجبات، والانتهاء عن المحرمات جميعها، والتقرب إلى الله بالنوافل على حسب الاستطاعة مع عدم الأمن — ولا واجب عندنا إلا ما أوجبه الشارع ومنه وفاء المكلف بنذره بشرطه المعروف فى الفقه، ولا مندوب إلا ما ندب إليه، ولا حكم إلا لله

وليكتب خصوم الطريق (قائمة) بكل ما يخالف الكتاب والسنة من العقائد فنكتب تحتها: هذا باطل لا نقول به، ونستطيع أن نريهم من كلام الشيخ نفسه ما يرده. والفقهاء فيها ممن لهم الباع الطائل فى الأصول والفقه كثيرون ولله الحمد، وكلهم أهل سنة واستقامة، وقد بينوا ذلك وشرحوه

وقد عاشرت كثيرا ممن بالمشرق والمغرب من السادة التجانيين فما وجدت أحدا منهم يعتقد شيئا مما يتهم به أهل الطريق مما يخالف الكتاب والسنة. وعلى فرض أن جاهلا اعتقد ذلك فليس منا لمخالفته اعتقادنا، ونحن من اعتقاده بريئون

وإذن فذلك الانكار المتفرع على تلك العقائد الزائفة لا يصلنا منه شيء، فهو موجه إلى غيرنا ممن يعتقدها. والطريقة وشيخها وأتباعه يبرأون من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله، وليس لديهم إلا ما عليه أهل السنة والجماعة

«الزاوية التجانية بالقاهرة» **محمد الحافظ التجانى**

ماضي القرويين وحاضرها

للاستاذ عبد الله كنون الحسني

تتمة

ومنذ جريان العمل بهذا النظام والانتقادات توجه إليه من كل طبقة من الطلاب . وأحق هذه الانتقادات بالالتفات أن غالب المواد أسندت إلى من لا يحسنها ، وأن كتب الدراسة لم يدخل عليها أى تعديل . فالفقه مثلاً لا زال يدرس فى مختصر الشيخ خليل ذى الشروح العديدة والحواشى الكثيرة ؛ والنحو لازال يدرس فى الابتدائى بشرح الأزهرى للأجرومية .والألفية أبدل شرح المكدودى لها بشرح ابن الناظم وليس بذاك

على أن الذى لا يصح إنكاره من محاسن هذا النظام فضلا عن ضبطه لأوقات الدراسة هو إحياؤه لعلوم الحديث والتفسير، وإدخاله لبعض العلوم التى كان الطالب القروي محروماً منها كالتاريخ والجغرافية والهندسة . فأما كون المواد تسند إلى غير أهلها فالحقيقة فى ذلك أن بعض العلوم لم يكن لأهل القرويين فى الوقت الحاضر بها مساس مع ما انضم لذلك من إبعاد نبغاء أهل العلم والأدب عن الكلية وأخذهم للوظائف الحكومية ؛ فواجب أن تجلب الحكومة بعض أساتذة تلك العلوم من معاهد الشرق بينما ترسل بعثات من أبناء القرويين للتخصص فيها وتدريسها عند عودتهم . كما يجب أن يعاد أولئك الأفاضل المقصون عن الكلية إلى حظيرة التعليم ؛ فمن الجور أن يضيع عمرهم فى غير ما خلقوا له ويضاع معه مستقبل الطلبة الذى نحن عليه جد حريصين

وأما مسألة الكتب فإن الزمان كفيل بتعديلها على أحسن الوجوه . ومن الانصاف أن نعترف أن الوقت لم يحن بعد لتسويتها كما ينبغى ، لما نرى عليه بلادنا من التأخر المزرى فى وسائل النشر وصناعة الطبع . وعسى ألا يستمر الأمر على ذلك زماناً طويلاً ولا سيما بعد تنظيم خزانة القرويين والاهتمام بجمع كنوزها وذخائرها وحفظها من التلف ورد اليد العادية عنها فالمستقبل باسم إن وجد من يعمل بجد وإخلاص

هذا، ولنا نظر فى إصلاح القرويين نبديه هنا — ولو لمجرد المناسبة — فهو أقرب تناولا وأمثل سرعة وأنسب حالا من كل إصلاح غيره . وذلك أننا نرى أن تخصص الكلية بالدراسات الاسلامية المحضة وما يعين عليها ، من علوم القرآن بما فيها القراءات التى قدمنا ما كان لأسلافنا من العناية بهـا، والحديث والفقه والأصلين ووسائل ذلك من النحو والفقه والبيان والمنطق والحساب والهيئة ونحوها ، على أن تكون دراسة هذه بحسب التبع لتلك، ومن أجل أنه لا يتوصل إلى المطلوب إلا بها، ولذلك كان أشياخنا رحمهم الله يسمونها علوم الآلات ؛ والمقصود الأهم الذى يجمل نصب العين ويخص بالتعمق فى النظر والتوسع فى البحث هو الفقه والحديث وسائر العلوم المذكورة سابقاً التى نؤمل من وراء دراستها على هذا النمط والانقطاع لها بهذه القابلية أن نخرج رجالاً متضلعين منها أشد التضلع ، متقنين لها أحسن الاتقان ، فنعيد عهد مالك والشافعى والبخارى وأحمد بن حنبل والأشعرى والماتريدى وابن حزم وابن العربى وعياض وابن تيمية وابن حجر وأضرابهم

وذلك فى حين توجه الرغبة واشتداد الطلب وتضافر الجهود الى تأسيس جامعة عصرية Université تتكون من ثلاث كليات إحداها للأدب والثانية للطب والثالثة للعلوم . والتى للأدب نعوض بها تلك الدراسة الناقصة العقيمة التى حذفناها من برنامج القرويين، إذ أصبح من المسلم به أن الأدب لا يحيا بتلك الطريقة، ولا ينتظر أن يكون له مستقبل فى هذه البلاد ما دام لم يوجه الاتجاه المطلوب التى تقتضيه الظروف الحاضرة ، وامتداد إبان البحث إلى ما لم تكن عليه فى الأزمان الغابرة . واللتان للطب والعلوم نسد بهما مفاقرنا فى الحياة العلمية والعملية التى ما فتئنا نسمع التبشير بها والوعد باستقبالها منذ ربع قرن فأكثر كما كنا لا نرى لها أثراً إلا عند الغير

وبقطع النظر عن مسألة القرويين نحن لا نرى بداً — إذا كنا نريد نهضة حقيقية مبنية على أساس متين من الاصلاح الاجتماعى الشامل — من إنشاء هذه الجامعة التى كم عنينا بأمرها وتهممنا بشأنها . ولذلك نتوجه بطلبنا هذا إلى



أماني حسناء

للقصصي الفرنسي كاتول ماندز

بقلم الأديب صلاح الدين المنجد

« كاتول ماندز شاعر وروائي وقصصي ... أوتي من الفهم والذكاء ما جعله يخوض في كل فن ويطرق كل باب .. قضى حياته في العمل المثمر والسعي المتواصل ، وكان يعشق الحياة والشباب والجمال وله في ذلك قطع من أرق الشعر وأحلاه . أشهر مؤلفاته : الأماسي الكئيبة ، مجموعة أقاصيص ، عذراء افيلا »

كانت رائعة الحسن غضة الصبا . ظهر الورد في خديها الناعمين فوق الزغب الحريري الجميل . وبدا السحر في أهدابها الوطف الناعسة ، وتفتحت أنوثتها الرقيقة عن جسم بض ريان ، ونديين بارزين فيهما السحر الحلال ، فغدت كزهرة من أزهار التفاح في أوائل نيسان ... كلها فتنة ، وكلها جمال

انطلقت ذات صباح تتهادى بين الحقول بتيه وخيلاء ؛ يعلو جبينها المشرق سحابة من همّ روع قلبها وأضناه . فرأتها جنية صغيرة كانت تتنقل بين الأعشاب ، فحزنت لها وأشفقت على ذلك الشباب ... فخرجت إليها تجرر ثوبها الأزرق الحريري، وسألتها بصوت هادئ رنان :

— ما الذي يشجيك يا حسناء ... ؟ لقد أوتيت من الحسن ما تتمناه كل فتاة ! إن لك لشعراً لونه كلون سنابل القمح في حزيران ... وإن لك لعينين لونهما في زرقة السماء إذا تنبه الفجر الوسنان ... وإن لك لفما رقيقاً وطلعة ساحرة مشرقة ، ومشية خفيفة فاتنة ، فما الذي ينغص عيشك ويحزنك يا أختاه ... ؟

— ... ... ؟

— لم لا تقولين ما بك يا فتاة ... ؟ أتشتهين ارتداء ثوب حريري جميل ... ؟

أتودين لبس حذاء رصع بجوهرة نادرة وزين بشرط ناعمة ؟

— أوّاه ! أوّاه !

— لكن حدثيني ... مالك ... ؟ أتشكين من الخبز الذي تأكلينه ؟ أترغبين في العسل الشهي والرُطب الجني ؟ .. لشد ما تحزنينني ياصبية ! تكلمي وأسمعيني .. أتطمعين في أن تكوني ابنة أمير غني ظالم ترفلين في قصره بالدمقس وبالحرير بين ستور الخز ونضائد الديباج ، وتحيط بك الوصائف والجواري ، تغمضين أجفانك إذا أقبل الليل بين أناشيدهن العذاب ، وتفتحين أجفانك إذا أقبل النهار بين رقصاتهن السواحر ... ويأتي إليك الأمراء ينشدون ودك ويطلبون رضاك .. لتنظري إليهم بطرفك الفتاك، أو لتبتسمي لهم بثغرك الفتان ... ! تكلمي .. تكلمي ..

قالت الفتاة وقد وضعت كفيها الصغيرتين فوق وجهها لتخفي ابتسامة علت ثغرها كلها سحر ودلال ..

— كلا .. كلا .. ما أريد هذا ولا ذاك ! . ولكني أغار .. نعم أغار من الأزهار . إنهن لجميلات .. وإني لأغبطهن تارةً ، ويداخل قلبي الحسد لهن أخرى ... آه لو كنت زهرة بنفسج في أحد المروج الخضر ... !

سدة ملكنا المحبوب سيدي محمد الذي نحمد الله على شفائه من مرضه وحفظه لأمته التي لها فيه آمال كبار ومتمنيات جسام لا طمع لها في غيره بتحقيقها وإقرار عينها بها ، ومن جملتها الجامعة التي تشرف المملكة السعيدة وتغني كثيراً من أبناء المغرب عن تكبد مشاق السفر والغربة في طلب العلم في البلاد الأجنبية ، وما ذلك على همته العلوية بعزيز

« طنجة » عبد الله كنون الحسني

— هه .. هه .. إذن كونى زهرة بنفسج ياحسناء ...!

فانقلبت حسناؤنا فجأة إلى زهرة بنفسج نبتت بين الأعشاب الندية فى أحد الحقول .. وراحت تنازل الشمس فى النهار ، وراح القمر ينازلها فى الليـل .. لقد كانت فاتنة تبهر العين وتغريها . ولقد كان لها أريج عَطِـرٌ يسكر النفس ويحييها ... ياجمالها ! إنها ترقد بهنـاء وسرور .. تضحك وتلهو .. وترسل شذاها يملأ السهل والوادى .. حتى إن أزاهير الغاب حسدنها ، ورحن يتهامسن ويقلن : « ياسحر هذه الزهرة ! . إن الفراشات ليتشاجرن من أجلها ، ويترامين فوقها .. ياسحرها .. ياسحرها !

ولـكن .. مالها .. ؟ إن الكآبة قد عاودتها ، وكاد الذبول يقضى عليها ؛ وإنها لتذرف الدمع صباح مساء ..!

وجاءت إليها جنيتنا تمشى فُضلاً بثوبها الأزرق الحريرى ... وقالت لها :

— إيه يازهرة البنفسج ! ما الذى يشجيك أيضاً ...؟ أما تمنيت أن تكونى زهرة بنفسج فكنتها ... ؟ إنك الآن سيدة الأزهار ... إن صواحبك زهرات الغاب ليحسدنك على جمالك ونضرتك . فتكلمي يازهرة البنفسج ...

— ... ... !

— لك الله يازهرة البنفسج ! كم أنت حزينة ... أرغبت عن الحياة بين الأعشاب ؟ أتريدين العيش وسط الخمائل والرياض ؟ تكلمى ... أيتها الزهرة الصامتة !

— ... ... ؟

— أأصابك الملل ياحسناء من أولئك الفراشات اللائى يطفن حولك ليل نهار ويتشاجرن من أجلك ويسعين لتقبيلك ؟

فتنهدت الزهرة ولم تقل شيئا

قالت الجنية :

— لشد ما يغيظنى صمتك يا زهرة البنفسج ! ألم ترقك الحياة هنـا ؟ أتريدين أن تعيشى فى قصور الأميرات لتوضعى في أوانى الصين الفاخرة فيعجب من حسنك كل من يراه ! ولتحلى صـدور أولئك النواعم الحسان ... ! آه منك يازهرة البنفسـج ... لم لا تكلميني !

قالت الزهرة :

— كلا ياأختاه ... ولـكن حسبت أن زهرة البنفسـج هى أجمل الأزهار ، وما علمت أنها صورة الحزن ورمز الألم ..! وأنا أنفر كما تعلمين من الحزن وأخاف الألم ... آه لو كنت زنبقة فى إحدى الرياض ... إن الزنبق لأجمل الأزهار . أليس كذلك ؟

— أوه ! أهذا كل ما تتمنينه؟ إذن كونى زنبقة كما تريدين !

فانقلبت زهرة البنفسج إلى زنبقة ما رأت العين أجمل منها أبداً . ولـكن ... لقد عاودتها الكآبة بعد أيام . إنهـا تريد أن تكون ياسمينة بيضاء .. كلا .. كلا، إن الفل أجمل من الياسمين.. وإن شذاه لمسكر ! ولكن ... الورد ... الورد .. أليس الورد ملك الأزهار ؟ إنها تريد أن تكون وردة ... وردة حمراء ...!

وانقلبت الفتاة من زنبقة إلى ياسمينة، ومن ياسمينة إلى وردة؛ عندئذ قالت :

— الآن طاب لى المقام وطاب لى العيش . لقـد أصبحت سيدة الأزهار وهدية الأحباب إلى الأحباب ... ! وما علىّ إلا أن ألهو براحة وهناء ... !

فلما كان الليل رأت فتى وإلى جانبه فتاة يتقدّمان على مهل حتى استقرّ بهما المكان إلى جانبها . فهمست فى أذن جارتها :

— أوّاه ! إنها لجميلة ... انظرى إلى الجمال كيف يرفّ فى وجهها ، وإلى السحر كيف يشيع فى صوتها ... لقد كنت أجمل منها إذ كنت فتاة ! ياحسرتاه ! ...

وراحت الوردة تنظر وتصغى ... تنظر إلى الحبيب يعانق حبيبته ، فيلثم ثغرها ويجس نهدها ... أو يناجيها بأرق الغزل وأحلاه . فى هدأة هذا الليل القمر الشاحب ، فتجيبه بكلمات تخالها قطع الرياض كسين زهراً !

وذرفت الوردة دمعة ... وقالت

— آه لو بقيت فتاة إذن لـكنت ... ولـكان لى فتى ... !

ولـكن ... إن جنيتى قد تولت عنى فمن لى بها ؟ لقد قالت لى إنها ستترجع ، ولـكن أين هى ؟ وتنبهت الوردة عند السحر ، فذكرت ما رأته فى الليل ... وما سمعته ، وذكرت جمالهـا وسحرها ، وكيف ذهب الجمال وغاض السحر . فذرفت دمعاً بلّل خديهـا وراح يروى الثرى ؛ وقضت نهارها فى وجوم يبعث فى النفس الأسى . فلما كان أصيل الغد ، وكادت الشمس أن تطفل ، رأت امرأة بارعة القد ، صبيحة الوجه ، تمشى الهوينا إلى جانب رجل فى ريعان الشباب ، ومعهما طفل يعـدو وراء الفراشات فجلسا إلى جانبها . قالت المرأة :

إلي نورك السجين...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« من أحلام كوخي البعيد ، أهتز لك بهذه الأنشودة ... لعل فيها سلواناً لعذابك ! »

إنْ رأيتَ النورَ مذعو رَ الخُطى نحوَ المغيبِ
ورأيتِ الطيرَ ينعيـ ـهِ لأوراد الكئيبِ
ورأيتِ العطرَ نعسا نَ على الأيكِ الرطيبِ
ورأيتِ النهرَ سِرًّا لفَّهُ صمتُ الغيوبِ
ورأيتِ الشمسَ لا شمـ ـسَ سوى طيفِ الغروبِ
ورأيتِ الليلَ « قدِّيساً » تهادى للصليبِ
غامضَ الأسرارِ يحكي سِترُهُ نعشَ الذنوبِ
فانظري مِنْ شُرْفةِ القصـ ـرِ ونادي : يا حبيبي !
تُشرِقُ الدنيا ويندى جوُّها مِنْ كلِّ طِيبِ

وتهلُّ الفرحةُ الكبـ ـرى على قلبي الكئيبِ
ويعودُ الأملُ الها رِبُ لي عودَ الغريبِ !

***

وإذا ما الفجرُ أضفى نورَهُ فوقَ التلالِ
وزكتْ « مِئذنةُ » النا سكِ مِنْ عطرِ « الهلالِ »
وإلى اللهِ دعا الدا عي بطُهرٍ وابتهالِ
وأفاقَ الديكُ ينعي خلفَ « تابوتِ » الليالي
وانتشى الوادي مِنَ النو رِ وصهباءِ الظلالِ
ومضى الراعي إلى دُنـ ـياهُ في سفحِ الجبالِ
واحتسى العصفورُ في الرو ضِ عبيرَ البرتقالِ
وتناغى هزجُ « النحـ ـلِ » بأفياءِ الدوالي
وغدا النيلُ من البهـ ـجةِ قُدسيَّ الجمالِ ...
فانظري مِنْ شُرْفةِ القصـ ـرِ على الوادي حيالي
تشكرُ الدنيا لمرآ كِ تسابيحَ الجلالِ
وترَيْنَ السحرَ سحرَ الـ ـكونِ يفنى في خيالي
أنتَ سِحري وفتوني وصلاتي وابتهالي

***

لا تظُنِّي نورَكِ العلـ ـويَّ تفنيهِ القيودُ
هوَ كونٌ عبقريٌّ لا تواتيهِ الحدودُ
وهوَ دنيا مِنْ صفاءٍ لا يساميها الوجودُ
رفرفٌ للخلدِ لا يَرْ قَى لشطَّيْهِ الخلودُ
تهرمُ الدنيا وتبلى وهوَ شعشاعٌ جديدُ
مالَهُ مِنْ مُهجتي (م) إلاَّ التغنِّي والسجودُ
فاسكبيهِ فوقَ عُمرٍ كادَ يُبْليهِ الصدودُ
أنا ظمآنُ ... ولكنْ خانَ أيامي الورودُ !
وعلى كفَّيكِ أقدا حي وخمري والنشيدُ ..
فدعي الأغلالَ ماشا ءتْ غدًا يبلى الحديدُ
قدْ رعى اللهُ هوانا وأظلتْـهُ العهودُ
ما الذي يبقى سوى أنْ يُشرِقَ الفجرُ السعيدُ !

— انظر إلى طفلنا يا عزيزي .. كيف يهيم وراء الفراشات هه ... هه ... أتذكر يوم لقيتني لأول مرة على ضفاف البحيرة في حديقة كهذه ، فجئت إليّ فصددتُ عنك ... ثم ... يا لله لشد ما تزدحم الصور في مخيلتي ! ثم جئت إليّ وكلمتني كلمات .. وكلمتُك كلمات ... وكان يوم الزفاف بعد أسبوع ! ...

أتذكر يوم قلت لي إنك تريد طفلاً يدخل على نفسينا السرور وعلى عيشنا الهناء ؟ فأضحك ... ها هو ذا طفلنا يلهو ويلعب ، وها هي ذي الحياة تبسم لنا وتضحك ! تعال ياطفلي أقبلك. تعال فأنت الذي أذقتني طعم الهناء ....

وقام الزوج يطبع على ثغر زوجته قبلة أودعها كل معاني الحب والاخلاص . قالت الوردة :

— الآن فهمت معنى الأمومة ومعنى الزواج

***

كانت الشمس ترسل أول شعاع لها فتنبه شجيرات الورد الناعس عندما جاءت إليها الجنية تقبلها قبلة الصباح وتسألها عما بها فتجيبها بصوت هادئ حزين :

— آه ! لن أعني بعد اليوم شيئاً ! أريد أن أرجع فتاة لأكون أماً !

صلاح الدين المنجد

تحيـــة دامية! (*)

للأستاذ أمجد الطرابلسى

غَرِّدِى يا دمشقُ لحنَ العيدِ … وَذَرِى النَّدْبَ وَاصْدَحى بالنَّشيدِ
واسْدِلى بُرْقُعَ الإباءِ على الدمـ … ـع ، وأخفى الجراحَ تحت البرودِ
واهتنى فرحةً بأشبالِ مصرٍ … وميامينِها الأباةِ الصِّيد
ليت أيامَكِ الطِّوالَ جميعاً … مثلُ هٰذا اليومِ الضَّحوكِ السَّعيد!

***

إيهِ أحبابَنا، وقد تُنكِرُ الكُلـ … ـفةُ فى رفرفِ الهوى الممدود
هـذه الدارُ داركم ، وبنوها … أهلكم بين شارخ ووليد
قبَّلَتكم فيها ثغورُ الأقاحى … والنسيماتُ في الربى والنجود
فانزلوها ملءَ القلوبِ الوجيعا … تِ ، ولا تنكروا قَتادَ المهود !

***

أيهـا العرب يا نخار الحضارا … ت ، وأنشودة العُلى والخلودِ
يا مشعَّ الأنوار وسط الدياجى … يا سيوفاً أبت إسارَ الغمود
ليس يُنجِى النعاجَ من شفرة الجزّا … ر إيمانُها بعـدل الوجود
فاحطموا في الإسارِ إيمانكم بالغر … بِ والعدلِ قبلَ حطمِ القيود
وانزعوا من صدوركم طيبةَ القلـ … ـبِ ، وشُبُّوا فيها لهيبَ الحقود
فالسياسات لا تدينُ بحقٍّ … لضعيف ولا تَفِى بعهود
لو أراد القويُّ إنقاذَ شعب … لم يمدّنه باللظى والحـديد
تَعِسَ الخلقُ إن غدا فى البرايا … من قيودِ المستعبدِ المصفودِ
تَعِسَتْ هـذه المروءاتُ إمّا … أصبحت فى الأنامِ دينَ العبيد
تعس البرُّ بالعهود إذا صا … رَ دليلاً على الونى والجمود
إنمـا الخلقُ ما يقولُ قويٌّ … يتجنّى بعدّةٍ وعـديد
كذبُ الأقوياءِ صدق وعدلٌ … واعتداء القوىِّ فوقَ الحدود
ورشادُ الضعيفِ شرُّ الضلالا … تِ ، وشكواه من عجيب الكنودِ
وبلادُ الضعيفِ جسم بغيٌّ … مستباحُ الهوى لكلِّ مُريد
يتنادى عليه بين الضوارى : … أيها الطامعون هل من مزيد ؟

***

أيها العربُ ، آنَ أنْ يعصفَ الهو … لُ ، فيهوى بكلِّ جَوْرٍ مَشيد
آنَ أنْ يجمح الأَبىُّ على الأسـ … ـرِ ويطغى على منيعِ السدود
آن أن تَحْشُدَ الحشودُ إلى المجدِ … وتختــالَ تحت حُمْرِ البنود
آن أن تنبذوا النعيم إباءً … أنكدُ العيشِ فى الهوان الرغيد!
لا يسيغُ الهناءَ ندبٌ ، أخوه … من سياطِ الطغاة دامي الجلود
وعيونُ الكرامِ بَسْلٌ عليها … فى جراحِ الكرامِ طَعْمُ الهجو
هـذه الشام فى اللظى خرامٌ … أن تناموا على رنين العودِ
تتلوى على جراحاتِ جَنْبَيْـ … ـها ، وما للجراح من تضميد
تَصْرُخُ الصرخةَ التى ترعش الأُفـ … ـقَ وتبلو النجومَ بالتسهيدِ
وتمـدُّ اليدين ترجو نصيراً … وهى بين التتريكِ والتهويد !
بسمت فى وجوهكم وهى تخفى … من جراح الأيام أيَّ وقودِ
وكذاك الأباةُ يخفون أوجا … عَ الليالى تحت الإباءِ العنيد

***

إيه أحبابَنا ! شكوتُ إليكم … وعـذيرى ما بيننا من عهود
من لنا أو لكم إذا الغاصب العا … تى تمادى فى العسفِ والتنكيد!!
هل يُرجِّى الشقيق إلا أخاه … فى دجى الخطب والبلايا السودِ
فإذا عُدتم غداً فى أمانٍ … ونعمتم بنيلكم والصعيـد
فاذكروا فى رفارف الشام أهلا … وجدوا فى لقائكم خيرَ عيدِ!

(*) ألقيت فى الحفلة الكبرى التى أقامها رجال التعليم الثانوي والابتدائى فى دمشق تحت رعاية وزير المعارف ، إحتفاء باخوانهم وزملائهم المصريين أساتذة معهد التربية وطلابه الأكارم

سحر لبنان

للأستاذ عبد الحميد السنوسى

ربوع لبنان أم جنات رضوان؟ … وصورة الخلد أم تصوير فنان!
بوركتَ يافتنة الأجبال من جبل … سامى الذرى مشمخرّ الأنف ريان
زاهى الربى ناضر الوديان متشح … فى كل ناحية بالحسن فتان
يا ملتقى الخلق من بدو وحاضرة … ومجمع الشرق من قاص ومن دان
ملأت عينىَّ سحراً والفؤاد مُنًى … ودب سحرك من روحى لجثمانى



من غرور الأدب الرسمي

على أثر ما كتبناه عن لجنة إنهاض اللغة العربية وغمطها لحق فريق من الأدباء لشهوة أو جفوة، تحدث إلينا في التليفون الأستاذ محمد جاد المولى بك أحد أعضائها ومفتش اللغة العربية الأول، حديثاً كان في معناه وروحه خيراً من كتاب صديقنا الأستاذ أحمد أمين. فقد اعترف الأستاذ جاد المولى بالحق، وصرح بالاعتذار، وود أن ما حدث لم يحدث. ولكنه قال في آخر حديثه: سنعوضك تعويضاً أدبياً إن شاء الله!

— وما هذا التعويض الأدبي يا أستاذ؟

— إن الوزارة بصدد أن تؤلف كتاباً في المختارات وستختار لك فيه بعض القطع

سبحان الله يا أستاذ! وهل تعتقد باخلاص أن هناك فرقاً جدياً بين ما ينشره الكاتب في كتبه للناس، وبين ما تنشره له وزارة المعارف في كتبها للطلبة؟ لعل الأستاذ يرى أن وزارة المعارف حين تختار لكاتب من الكتاب تشهد له رسمياً بأنه يحسن الكتابة! إن كان ذلك ما يراه الأستاذ فأظنني شبيت عن هذه الشهادة. وإني أشكر للأستاذ جميل اعتذاره، وخلوص نيته، وحسن قصده؛ وأسأله أن يدع للقراء أن يقرأوا، وللأدباء أن يحكموا، وللزمن أن يغربل!

الزيات

وشاع عطرك في نفسي فأسكرني | وذاع ضوءك في قلبي فرواني
لم تبق جارحة إلا نفثت بها | سحراً حلالاً تجددت الصبا الفاني
حتى غدوت فتياً ضاحكاً مرحاً | من بعد ما هدت الأيام بنياني
لو كان أهليَ في لبنان ما نزعت | نفسي إلى وطن لي غير لبنان

عبد الحميد السنوسي

حول ديوان الجارم

كتبت زميلتنا (المكشوف) الغراء كلمة بليغة في (أمانية الأدب الرسمي)، وأشارت إشارة لبقة إلى ديوان الجارم وسرعة إخراجه وطريقة شرحه. ولولا أن بدأ أخذت المكشوف ولم ترده لنقلنا هذه الكلمة في العدد الماضي. واليوم أرسل إلينا أديب معروف هذا السؤال ننشره من غير جواب ولا تعليق، قال:

« كتب الدكتور زكي مبارك كلمة حق عن ديوان الجارم في مجلة الرابطة الأدبية فقام عليه الأفق في وزارة المعارف، وأخذه الرعد من كل مكان. وكتب أستاذ آخر مقالين في تقريظ هذا الديوان نشرهما في البلاغ، أمضى المقال الأول وهو في التدريس، وأمضى المقال الثاني وهو في التفتيش. فهل كان ذلك لمجرد المصادفة السعيدة؟ »

(ز. ع)

بين الأستاذين الغمراوي وقارئ

كتب إلينا صديقنا الأستاذ الغمراوي ما يأتي:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد قرأت مقال الأستاذ (قارئ) وأنا مريض ببور سعيد، وقرأت عوده إلى الموضوع وأنا مريض بالقاهرة؛ وهذا هو عذري إليك وإلى الأستاذ (قارئ) وإلى قراء الرسالة في تأخيري الاجابة عن نقده. وكل الذي أستطيع أن أقوله الآن هو أن الذي انتقده الأستاذ (قارئ) شيء لم أرده بما كتبت، مع علمي بأكثر الوقائع التي ذكرها الأستاذ في نقده. أما تفصيل ذلك فموعده حين يأذن لي الطبيب في الكتابة

والسلام عليكم ورحمة الله

محمد أحمد الغمراوي

جانب من الوطنية العراقية

ورد لي من العراق منذ أن رجعت منه إلى مصر لقضاء عطلة الصيف ما يزيد على عشرين رسالة من الطلاب . ومما لفت نظرى فى أكثرها وحملنى على زيادة التقدير والاعجاب بالوطنية العراقية أن كل هذه الرسائل ما عدا واحدة، تفيض بأحاديث الغيرة على سمعة العراق ، وبالهفة على تعرف أثر مقتل المرحوم الدكتور سيف ، ورجائهم أن نعمل على محو هذا الأثر — إن وجد — بافهام إخوانهم المصريين أنه حادث فردى حدث لظروف خاصة

وقد تعمدت — كما بينت فى ردودى على هذه الرسائل — أن أمرّ على هذا الحادث مرورى على أي حادث من نوعه يقع فى مصر أو فى العراق ، ولا أشترك فى رد الغلو الذي ورد فى كتابة بعض الذين تهيجوا للحادث ، فعلقوا بعض تعليقات شذت عن تقدير الظروف تقديراً صحيحاً ، ورأيت أن ذلك أولى بنا كأمة واحدة، أو كأمم ربط الله مصائرها وآمالها وآلامها برباط واحد، وإن ذلك أحرى بها ما دامت ترمى إلى أهداف مشتركة نرجو من المستقبل القريب أن يحقق لها الوصول إليها . فلا بد أن تتلقى هذا الحادث وأمثاله — ولا أكثر الله من أمثاله — بشيء كبير من سعة الصدر ، وعدم التعليق الكثير عليه ، والتمطيط فى سيرته ، والتشقيق لحديثه ؛ شأنها فى الحوادث المحلية العادية التى تحدث فى مصر أو فى العراق كما قدمنا . وذلك كله لإفهام الجماهير فى الأمتين الشقيقتين والأمم العربية جمعاء ، أن أمثال هذا الحادث يجب أن تتوطن النفوس على وقعه ولا تحسب له حساباً فى العلاقات الدائمة بين هذه الأقطار

ولكن هذه الظاهرة الجيدة التى لمستها فى الوطنية العراقية مما ورد لى من رسائل شباب العراق الذين لم يبلغ أكثرهم بعد درجة المسئولية الوطنية فيما يتعلق بحسن سمعة الوطن والغيرة عليها بلهفة، وتصحيح خطأ وقع من فرد منها... هذه الظاهرة وحدها هي التى حملتني على تسجيل هذا الحديث ، وما لغيرها كنت أرضى أن أخوض فى حديث هذا الحادث

ومقياس الوطنية عندى هذه الغيرة الحادة اليقظة التى قد تتحول فى بعض النفوس الكريمة إلى شبه أنانية فردية . فكأن ما يقع على عموم الوطن يقع على خصوصية الفرد ... وكأن كل فرد يحمل وطنه على قلبه ، فما يثقل على الوطن من مصيبة أو سوء سمعة أو شبهة يثقل على قلوب الأفراد

وفى الحق أن هذا الجانب من الوطنية العراقية يشاهد نامياً بارزاً جداً ، مما يجعل الوطن فى ضمانه وحمايته وفى أمل كبير منه فإلى أصدقائى الذين راسلونى من العراق وأداروا هذا الحديث فى رسائلهم أرسل هذه الكلمة على صفحات « الرسالة » لأن موضوعها ليس لى ولهم ولا لمصر والعراق فقط، بل هو فوق ذلك إنه للمروءة فى جميع بقاعها ممن يقرؤون « الرسالة »

ولتطمئن قلوب الشباب العراقى ، وهنيئاً للعراق هذه الغيرة فى قلوب بنيه .

« القاهرة » عبد المنعم خلاف

بين الرافعي والقشاشي

مضى الأستاذ محمد سعيد العريان مترجم فقيد الأدب العربي المرحوم مصطفى صادق الرافعي فى سبيله يكتب ذلك التاريخ الزاهر، وينشره بشكل مقالات فى « مجلة الرسالة » حتى بلغ الآن المقالة (٣٢) وفيها دعا من كان عنده شيء من أخبار الرافعي غير ما ذكره هو ، أن يتفضل بالكتابة إليه رأساً أو على صفحات « الرسالة » يحيطه علماً بذلك ، وفاء بحق الأدب وأهله ، ورجاء إتمام ذلك التاريخ الذى كاد يغمره النسيان ويجنى عليه الاهمال .

ونحن إجابة لدعوة الأستاذ ننبه إلى خصومة أخرى كانت قد نشبت بين الفقيد الكريم والأستاذ مصطفى القشاشي صاحب مجلة « الصباح » ، ولعلها آخر الخصومات الأدبية للرافعي ؛ وقد كانت هى التى أوحت إليه بمقال « صعاليك الصحافة » المنشور « بالرسالة » (أعداد : ١٨٩ و١٩٠ و١٩١ و١٩٢) وقد عرض فيه بالصباح تعريضاً مكشوفاً ، إذ أتى فى العدد ١٩١ على جملة من عناوين مقالاتها التى كانت صدرت فيها أثناء تلك المدة ، كنماذج للموضوعات التى تطرقها تلك المجلة .

وكان السبب فى هذه الحملة من الرافعي على صاحب «الصباح» أنه حمل إليه كتابه (وحى القلم) ورجا منه أن يكتب تقريظاً له ، وهذا ما يؤخذ من كلام الأستاذ القشاشي؛ وبما أن القشاشي تأخر مدة عن كتابة التقريظ ، وعذره أن الكتاب ضخم يتألف من جزأين فى تسعمائة صفحة ويتناول مائة موضوع وموضوع ، فإن

الرافعي ظن السوء بصاحبه وقام بجلد صماليك الصحافة ، ويالله من غضب الرافعي فإنه يزرى بغضب عنترة !

وشاءت سخرية القدر أن يبرز مقال « الصباح » في تقريظ (وحي القلم) بعد أن ينشر الرافعي ثلاثة أقسام مقاله (صماليك الصحافة) والقسم الثالث منه الذي به انكشف مراده فظهر أنه يعني صاحب الصباح ، صدر في عدد (١٩١) أول مارس ١٩٣٧ على حين أن تقريظ الصباح كان في عددها ٥٤٥ (الصادر) في خامس مارس المذكور ، وقد كان تقريظاً بليغاً يرضى الرافعي ويدخل على نفسه السرور ؛ وحسبك منه هذه الجملة التي يقول فيها الأستاذ القشاشي : « إن كتاب وحي القلم ليحتاج إلى كتاب آخر في الاشادة بذكره ، فلعل ضيق المجال يعتذر لنا عند الأدب العربي ثم عند الأستاذ الرافعي »

ولكن الأستاذ الرافعي قد عجل — وفي العجلة الندامة — فسرعان ما انقلب مدح « الصباح » له قدحاً فيه ، وثناؤها عليه طعناً . وكنا نحن قد انتظرنا ذلك لما قرأنا القسم الثالث من مقال صماليك الصحافة ، فكيف وقد قرأنا أيضاً ثناء الصباح وتقريظها؟ وأخذتنا الشفقة على الأستاذ الكبير الذي طالما أشفقنا من الخصومات التي كانت تثور بينه وبين أهل الأدب ولا سيما الامام العقاد . وهكذا صدق ظننا فبرز مقال الأستاذ القشاشي (صماليك الأدب واستجداء المدح والثناء) في العدد التالي من «الصباح» . ولا تسأل عما يحوى من قوارص الكلم وفاضح التعريض

قلنا إننا نشفق من هذه الخصومات التي تقع بين كبار الأدباء لأنها في الغالب لا يكون باعثها النقد النزيه ، فيسمح عندنا أن ينزل مثل العقاد والرافعي من عليائهما إلى ميدان المهاترة إرضاء لحالة الموجدة وطبيعة الغضب كما وقع في قضية الرافعي والقشاشي ، فبينما الصفاء والسلام إذ الحقد والحرب . ونحن لسنا من مقلدة الرافعي ولا من المتعصبين للعقاد ، ولكن لهما معاً عندنا مقام سام ، وفي أنفسنا لكل منهما حيز لا يشغله الآخر . عرفناهما معاً من قديم واغتبطنا بآثارهما كل الاغتباط ؛ وكنا نأسف على ضياعهما بين قومهم وعدم عرفان حقهما حتى جاءت « الرسالة » فعرفت بالرافعي الذي كان أكثرهما ضياعاً وأنكرهما عند جمهور القراء في العالم العربي . وسيكون لهما من الذكر في مستقبل الأيام ما يغطى على غيرهما أياً كان ، بل أنهما سيكونان علمي عصر النهضة في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ورمز المذهبين المدرسي والابتداعي التكونين في هذا الأدب كما يجب الآن .

ولسنا ندلى برأى إلى الأستاذ العريان ، وحسبه من كلمتنا هذه ما يتعلق منها بخصومة الرافعي والقشاشي ، لكن القراء أيضاً لهم حظهم فيما يقرأون ، فلذلك تطرقنا ولو بهذه الالمامة الخفيفة إلى وجه الرأى في أدب الرافعي والعقاد ، حاسبين أن ما كان بينهما من خصومة إنما هو نتيجة الغيظ وحدة البادرة وان ما كتبه كل منهما في هذه الخصومة إنما كان من قبيل ما كتبه الرافعي والقشاشي باعثه الظن السيء والعجلة . وللقوم في عمرو بن الاهتم وما كان بينه وبين الزبرقان بن بدر من المنافسة والمشاتمة بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم شافع وعذر ...

« طنجة » عبد الله كنونه

مستعمرة مصرية في انجلترا

نشرت جريدة نيوز كرونيكل في مكان بارز خلاصة درس لكتاب عنوانه إزيس نفتيس في ولتشير وخارجها ، تأليف الدكتور رندل هاريس العالم الأثري الشهير وقد طبعته شركة الطباعة في بريستول

فالدكتور هاريس يعالج نظرية مؤداها أن الآثار السابقة للتاريخ قرب سالسبورى التي زارها الملك فاروق أثناء وجوده في انجلترا إنما هي من آثار قدماء المصريين ، وقد ثبت له الآن أن مركز المستعمرة المصرية وجد فعلا في (لتشير) قرب برادفورد أون أفون

ويعتقد الدكتور هاريس أن المصريين صعدوا في نهر أفون من بريستول واحتلوا تلك الأماكن . وهو يقدم سلسلة أدلة لتأييد اعتقاده ، مثال ذلك الاحتلال المصري لمنطقة تشالفيلد . فيقول هاريس إن (تشال) محرفة عن الكلمة المصرية « تشار » وهي إحدى الأسماء العديدة المزدوجة للالاهتين إزيس ونفتيس

المؤتمر الدولي الثامن للعلوم التاريخية

عقد المؤتمر الدولي الثامن للعلوم التاريخية جلسته الأولى في زوريخ يوم الاثنين الماضي ، وقد بلغ عدد أعضاء الوفود الممثلة

للحكومات والجامعات والمجامع العلمية فى المؤتمر ألفاً ومائتين ، وكان أكثر الوفود عدداً الوفد الألماني ويليه الوفد الفرنسي فالانجليزي فالبلجيكي فالايطالي فالبولندي

وأما الوفود الشرقيـة فأكبرها عدداً الوفد المصرى الذى يرأسه الأستاذ محمد قاسم بك ناظر دار العلوم، والوفد التركى وعلى رأسه الأستاذ فؤاد كوبريلى الاختصاصى فى العلوم التاريخية .

ولـكل من إيران وأفغانستان وسوريا ممثل واحد ولم يمثل العراق ولا لبنان أحد

وسيلقى ممثل مصر فى إحـدى جلسات المؤتمر محاضرة موضوعها « توسع أساليب المباحث التاريخية فى مصر »

ويتكلم الأمير شكيب أرسلان ممثـل سورية عن سيرة صلاح الدين الأيوبى الشخصية . وسيتوفر للشرق الأدنى قسط كبير من مباحث العلماء المجتمعين فى المؤتمر : فالأستاذ كوبريلى التركى جعل موضوع محـاضرته سياسة الاقطاع عند المسلمين والترك فى القرون الوسطى ، ويبحث الأستاذ لامونتى الاميركى فى أسباب عظمة الاقطاع الافرنجى فى سورية إبان الحروب الصليبية وانهيارها ؛ ويتكلم زميله « ليبيار » عن أهمية السلطان محمد الفاتح فى التاريخ ؛ وسيتقدم الأستاذ (هاليكى) البولندى ببحث طويل عن تاريخ العلاقات بين الغرب والشرق ؛ ويتناول العالم الايطالى (مونداديني) تاريخ السياسة الاستعمارية والمستعمرات من سنة ١٨١٥ أى منذ سقوط الامبراطورية الفرنسية الأولى إلى نشوب الحرب العظمى سنة ١٩١٤ ؛ ويحاضر الأستاذ « جوبله » الفرنسى فى تاريخ البحر المتوسط فى القرن التاسع عشر ؛ ويخطب أستاذ إيطالى آخر فى مساهمة إيطاليا في كشف أفريقيا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ويتحدث المؤرخ « راين » الألمانى عن بسمارك وسياسته الافريقية؛ وجعل مندوب الجمهورية الاسبانية محور بحثه (أصل تشكيل القنصليات البحرية فى سواحل البحر المتوسط)

بين القديم والجديد

سيدى الأستاذ الـكبير صاحب الرسالة

تحية : وبعد فقد حسب الأستاذ محمد احمد الغمراوى فى آخر مقاله حول أدب الرافعى (بين القديم والجديد) ، أنه انتهى من « تزييف » كلام الأستاذ سيد قطب إلى المبلغ الذى كان يريد وأكثر ؛ وأنه وضع العقاد موضعه والرافعى موضعه ، وإن كان هذان الموضعان ليسا إلا أن الرافعى أنصع لفظاً من العقاد، وأنه رجل يهتدي بنور الدين ، والعقاد لا يهتدى بأى نور !

كذلك حسب الأستاذ الغمراوى أنه فصل بين الحق والباطل فى هذا الأمر، واستراح إلى نتيجته تلك. ولم أكن أود أن أنفس عليه هذه الراحة لولا أنه شاء أن يعرض لـكلمة سابقة لى فى هذا المضمار ، ورأى أن يرمينى بالفزع من ذكر الدين فزع (الملسوع) بالنار فقال:

« لـكن أصحابنا المجددين أنصار ما يسمونه الأدب الحديث يفرقون من ذكر الدين كأنما تلسعهم من اسمه النار ، كذلك فزع أحدهم بالعراق ، وكذلك يفزع هذا الآخر ... »

وأنا المقصود ولا ريب بالفازع الأول . والقارئ يذكر أن فزعى المزعوم هذا لم يكن من الدين ، فما فيه ما يفزع أو يلسع ، وإنما كنت اعترضت على إقحام الدين — بدون داع ولا مبرر ولا فائدة — فى نقد أدبى قاله الأستاذ سيد قطب حول بيت من أبيات الرافعى، وجاء الأستاذ الطنطاوى يحوره ويتجه به نحو الدين كما يفعل الأستاذ الغمراوى الآن، وكما فعل المرحوم الرافعى فى كل نقد أدبى له، وكما يفعل كل من يؤوده أن يكسر من شوكة هذا الذى يسمونه تجديداً أو كفراً من سادتنا الرافعيين ! فما الذى يقصده الأستاذ الغمراوى بالفزع ؟ وما شأن الدين بكل شيء يتصل بالأدب الحديث الذى يسمى إلى التجديد والنهوض وتوسيع أفق الحياة الأدبية وإخراجها من عصر الاجترار والتخلف، إلى عصر التمثيل والحيوية؟

وإذا كان الأستاذ الغمراوى يقول فى مقاله الآنف الذكر :

« إن الفطرة كلها ينشئها واحـد هو الله سبحانه وتعالى ، والعلم والدين كلاهما قد اجتمعا على استحالة التناقض فى الفطرة ، فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة كما يزعم أهلها وجب ألا تخالف أو تناقض دين الفطرة دين الاسلام فى شيء ... »

وهو بذلك يريد أن يحد من مفهوم الأدب، فما نصنع إذن بالأدب الذى أقره العالم كله واعترف به أدباً سامياً ولم يكن مصدره الدين الاسلامى، والذى لم يخانه أدباء مسلمون ولم يأتلف مع قواعد الدين الاسلامى فى شيء؟ أقول ماذا نصنع بأدب طاغور، وملتون، ودانتى، وتورجنيف، وإيبانيز، وابسن ، وموباسان، وغوركى، وهاردى، وجيتى؟ ... بل ماذا نصنع بأدب بودلير ، وفرلين ، ولورنس ، وجويس ، وهيسكى ، ولوتى ؟ هل نرمى بهم فى البحر أم نعترف

بأدبهم؟ وهل يتفق أدبهم مع الفطرة؟ وهل هو خير أم أدب الرافعي؟

وحضرة الأستاذ يذكر أدب الايمان فهل يرى أن الشك لا أدب له؟ وما قصده من التعريض بالايمان، والشك؟ والحوم حوالى الدين في كل مناسبة عرض لها في نقده وبحثه أدب العقاد والرافعي؟ هل يريد أن نفهم من أقواله تلك أن العقاد ومن يرى رأيه ملحدون لا إيمان ولا نور لهم يهتدون به؟ وكيف يتسنى له أن يحكم هكذا بدون تدليل؟

سيدي الأستاذ:

إن الأستاذ النمراوى — وقبله الأستاذ الطنطاوى — يريد أن يضع ما اسمه «الأدب» على الرف ويريد أن يدخله في بوتقة الدين بوجه عام، والدين الاسلامى بوجه خاص، وفي هذا من الجناية على الأدب مقدار ما فيه من التجني على الدين وأكثر. ولا أظن الأستاذ يخالفني في أن موضوع الدين موضوع شائك جداً لم يتعرض له متعرض سلم من تهمة المروق! فليفسر موقفنا كيف شاء، وليسمه فزعاً وهلعاً، فالحق أن الدين الاسلامي لم يدخله التأويل والخلاف من كل باب إلا بعد أن أقحم في غير مجالاته! وهو بعد مقحم إقحاماً في موضوع الجدل هذا

وما دام الأستاذ النمراوى يرى أنه فصل أدبياً في أمر العقاد ومكانه من الأدب الحديث، فلماذا يريد أن يخرجه من دينه فيقول عنه معرضاً: «إن الرافعي عنده نور يهتدى به ليس عند العقاد!»

وبعد فليكن الرافعي عند الأستاذ النمراوي ما يشاء له أن يكون، فان ذلك لا يمنع العقاد أن يكون هو الآخر حيث يشاء له الأدب والحق أن يكون. ولسنا نعجب به لشخصه، بل لأنه يؤدى الرسالة عنا؛ فما يقال فيه يقال فينا نحن أنصاره والمعجبين به؛ ولذا أود أن أكرر ما سبق أن قلته وهو أن من الواجب اعتبار الدفاع عن العقاد دفاعاً عن مذهبه في الأدب وفي الحياة لا دفاعاً عن شخصه، فلسنا نملك حق الدفاع عنه

وتقبلوا تحيات المعجب بكم

«بغداد» عبد الوهاب الأمين



المسرح المصـــرى
والطريق إلى إنهاضه

يروق لبعضهم فى مثل هـذه الأيام من كل عام أن يتحدث عن المسرح المصرى وطرق إنهاضه ووسائل ترقيته والأخذ بيده فى مدارج النجاح . وقد يكون مثل هـذا الكلام مفهوماً إذا صدر عن مجرب كبير أو إحدى الأساطين التى يقوم عليها صرح المسرح فى مصر . ولـكن من غير المفهوم أن يتصدى للحديث فى هـذا الشأن لفيف من الشباب كل ما يعرفونه عن المسرح أن الناس يذهبون إليـه من أجل اللهو والتسلية ! ولا ريب أن الخطر على المسرح قائم من جراء هـذه الكتابات التى تسئ إليه وإلى القائمين بأمره أكثر مما تفيد أصحاب الصحف الذين يفضلون أن يملأوا صحفهم بأي كلام (والسلام) . . . !

كتبت إحدى الزميلات الأسبوعية تقول فى لف ودوران إن وزارة المعارف قد عهدت إلى الأستاذ سليمان نجيب بالاشراف على إدارة الفرقة القومية طول غياب مديرها الأستاذ خليل مطران بالاجازة، وأضافت إلى ذلك كلاماً يفهم منه أنها علمت أن الاشراف على هذه الفرقة سوف يعهد به نهائياً إليه ، لما تعرفه عنه الوزارة من كيت وكيت . . .

والغرض من كتابة هذا الكلام واضح، ولا داعى لأن نكشفه؛ ونحن وإن كنا نقدر الأستاذ سليمان وكيل دار الأوبرا ونعرف عنه القدرة على التمثيل الجيد المتقن ، إلا أننا نرغب عن نشر أخبار غير صحيحة من جهة، وعن الإساءة إلى بعض الكرامات من جهة أخرى

ولعمرى ماذا يجدى وجود مطران أو غيره على رأس الفرقة ، إذا كان جسمها ذابلا خائر القوى تنذر حاله بالموت والفناء؟! ماذا يفعل حاكم الصحراء مع ما قد يكون مشهوداً له به من فروسية وشجاعة إذا أغار على صحرائه جيش وكان هو بلاجيش تتوافر فيه عوامل الكفاح والنضال ، أو كان له جيش ولم يكن لديه من الميرة والذخيرة ما يكفل النصر ويؤدى إلى صد الغارة ؟

فى استوديو مصر

يبذل استوديو مصر جهوداً مشكورة موفقة ليغزو سوق الأفلام المحلية بثلاثة أفلام كبيرة من أفلام الدرجة الأولى ، انتهى العمل فى اثنين منهما هما : (لاشين) و (شيء من لا شيء) ، وأوشك العمل أن ينتهى فى الجزء الداخلى من الفلم الثالث وهو فلم (الدكتور) . ولن نسبق المناسبة فنتحدث بالتفصيل عن هذه الأفلام وإنما ندع ذلك لحين عرضها ، ونكتفى اليوم بأن نقول بأن — ثلاثتها — جديدة الموضوع ، حية الاخراج ، ولـكن أهم ما ينبغى أن نسجله فى هذه الـكلمة الوجيزة هو أن الأستاذ (نيازي مصطفى) مخرج الفلمين الأول والثالث

ويساعد الأستاذ نيازى مصطفى فى إخراج فلم الدكتور الزميل الفاضل الأستاذ أحمد كامل مرسى ، وهو من أكثر شبابنا المثقف إلماماً بالشئون المسرحية والسينمائية وقد اشتهر فى الأوساط السينمائية لأول مرة ، كناقد ذى أسلوب خاص ، وذوق خاص، وإخراج خاص يرضى الفن وكذلك يرضى الجمهور ثم اشتهر بعد ذلك بأنه بطل تجربة عملية الدوبلاج الصوتية التى أجريت بنجاح لفلم جارى كوبر في نيويورك

(ناقد قديم)

اخبار سينمائية

هل يستقيل

ترددت فى الأوساط الفنية فى الأسبوع الماضى اشاعة فحواها أن سفر الأستاذ حسنى نجيب مدير استديو مصر إلى أوروبا لم يكن إلا تمهيداً لاستقالته من إدارة الاستديو . وقد حاولنا أن نتحرى عن هذه الاشاعة فلم نوفق ولم نسمع ممن سألناهم غير كلمة « يجوز » !

والحق أننا لم نجد مبرراً لهذه الاشاعة . فالمعروف أن الأستاذ حسنى نجيب منتدب لادارة الاستديو ولم يعين مديراً له قط ، وانتدابه يجوز أن ينتهى فى أى وقت تراه شركة مصر للتمثيل والسينما ، سواء أكان ذلك بعد عودته من أوروبا أو بعد شهرين أو بعد عامين ، ولكن ما حيرنا من هذه الاشاعة هو : هل يستقيل من إدارة الاستديو ويبقى فى وظيفة أخرى كسكرتير الاستديو أم يترك الاستديو بتاتاً ؟ والذى سمعناه هو أنه سوف ينقل إلى وظيفة بالبنك وقد نعود إلى الكلام فى فرصة أخرى .

طبعة جديدة من فيلم ليلى بنت الصحراء

سافرت السيدة بهيجه حافظ إلى أوربا منذ أسبوعين وتركت قرينها الفاضل الأستاذ محمود حمدى يؤدى جهود شركة (فنار فيلم) فى الناحية الجديدة التى اختارت أن تكون ميداناً لجهودها هذا العام . ومما ينبغى ذكره أن إدارة هذه الشركة تعنى الآن بادخال تعديلات كثيرة على فيلم ليلى بنت الصحراء وعمل نسخة فرنسية منه لعرضها فى باريس وفى الأقطار العربية التابعة لفرنسا ، أما مهمتها الرئيسية هذا العام فستكون عرض كثير من الأفلام الفرنسية الكبيرة التى حصلت على امتياز عرضها فى الموسم القادم ، وقد يذكر القراء أن شركة فنار فيلم استأجرت استديو ناصيبيان لمدة عام كامل ، فمعنى هذا أن الشركة سوف تستغل هذا الاستديو بطريق تأجيره للراغبين فى العمل .



(السيده بهيجه حافظ)

عودة الثلاثى الفنى

عاد الثلاثى الفنى — آسيا — جلال — مارى كوينى — من رحلتهما فى تركيا ولبنان وسيشرع الأستاذ جلال على الفور فى كتابة السيناريو الجديد الذى سمعنا أنه سيفوق سائر السيناريوات الماضية رغم أنها كانت جميعاً قوية وناجحة وشهد لها الجمهور شهادة حسنة ونهنىء الأستاذ جلال وباقى الثلاثة بالعودة ونرجو لهم توفيقاً كبيراً فى الموسم القادم .



(الثلاثى الفنى : جلال — آسيا — مارى كوينى)

أخبار خارجية

— ظهر (راى ميلاند) فى عدة روايات ناجحة فى الموسم الماضى منها رواية (السفينة الملونة) . وسيراه الجمهور المصرى فى سينما رويال فى رواية (الضوء الذى خبا) ومن طريف ما نذكره أن راى مثل فى هذه الرواية دور رجل أعمى ، وقد اضطر من أجل إتقان دوره إلى معاشرة رجل ضرير لمدة ثلاثة شهور درس فيها نفسية الأعمى وحركاته وخاصياته وأعطاه فى نظير ذلك خمسمائة جنيه !

— ومن أشهر الأفلام التى تعرضها رويال للمتروجولدوين ماير فى هذا الموسم رواية (مارى انتوانيت) التاريخية الكبرى ويشترك فى تمثيلها (نورماشيرر) والنجم اللامع الشاب (تيرو ماباور)

— وتعرض برامونت للنجم الهزلى الشهير (هارولد لويد) فلماً فكاهياً جديداً اسمه (كن على حذر أيها المدرس !)

— لما رأى دوجلاس فيربانكس الصغير رواية (طالب فى اكسفورد) أرسل برقية إلى النجمة (بربارا ستانويك) يقول فيها « أنا لا أعرف روبرت تايلور ولكن أحب أن تبينى له كم أعجبت بنبوغه فى تمثيل الدور وتهنيئه باسمى » وتصادف أن النجم كان يتناول العشاء مع بربارا ، وقت وصول البرقية فرد عليه ببرقية يقول فيها (وصل الشكر ... أشكركم) !

— يعود (كارل بريزون) إلى الشاشة بعد غياب عامين ونصف فيقوم بالدور الأول فى رواية (كلود دوفال) ، وآخر فيلم له كان من إخراج البرامونت وكانت تدعى (قهوة فى سفينة)



(كارل بريزون)

— انتهى النجم (ريكارد وكورتيز) من إخراج أول رواية عهدت إليه باخراجها استيديوات فوكس القرن العشرين واسمها (فرصة عملية للغاية) وقد حصل كورتيز من إدارة الشركة على عقد بمقتضاه يحق له أن يشتغل مؤلفاً ومخرجاً وممثلاً

— من افلام المتروجولدوين الكبيرة التى تعرض هذا الموسم رواية (إمتحان الطيار) ويقوم بتمثيل الدور الأول فيها معبود السيدات كلارك جابل وتشترك معه فى تمثيلها (ميرنا لوى)



(كلارك جابل وميرنا لوى)

6 me Année, No. 271

Lundi - 12 - 9 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

السنة السادسة « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ رجب سنة ١٣٥٧ — ١٢ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » العــــدد ٢٧١

الفهـــرس

إنهاض اللغة العربية

للدكتور زكى مبارك

أخى الأستاذ الزيات

جرى قلمك بإضافة اسمى إلى المؤلفين الذين نسيتهم لجنة إنهاض اللغة العربية، وذلك منك تفضُّل وتلطُّف . فن الغريب حقاً أن أخطر على بالك أو على بال غيرك ، ومالى وسيلة فى هذه البلاد غير الكدح الموصول فى التفكير والتأليف ، وهى وسيلة ضعيفة فى زمن لا ينفع فيه غير تضييع الوقت فى خلق الصداقات والمودات مع الذين يملكون تأليف اللجان لتقرير مصاير العلوم والآداب والفنون

وأنت قد تشجعت فقلت ما قلت لأنك خارج القَفَص

أما أنا فأعيش فى القفص لأنى موظف فى الحكومة المصرية، وقد سمعت أنها حكومة رقيقة القلب يؤذيها أن يمرّ النسيم على خدها الأسيل !

ومن واجبى أن أتلطف بهذه الحكومة وأترفق ، وإلاّ كان جزائى أن أخرج من القفص لأعيش كما كنت أعيش بين الأزهار والرياحين

ولكن الحكومة أمكنتنى من ناصيتها هذه المرة ؛ لأنها فى هذه القضية ممثَّلة فى جماعة من الأدباء كنا نصلح لمحادثتهم

ومسايرتهم منذ حين . ومن ذا الذى يتوهم أنى أعجز عن مصاولة على الجارم أو أحمد أمين ، وهم خَـلْقٌ من خَـلْق الشعر والنثر والتأليف ؟ من ذا الذى يتوهم أنى أتهيب مناوشة القائمين بتأليف اللجان فى وزارة المعارف وفى يدى قلم أمضى من السيف وأحدّ من السنان ؟

أعترف بأنى قد أتردد فى الهجوم على وزير المعارف لأنه يملك إيذائى حين يشاء

ولكن وزير المعارف فى هذه المرة زميل قديم . وللزمالة وإن قَدُمت حقوق . وهو قد شغل نفسه فى الأعوام الأخيرة بدرس الدين الحنيف ، ولا بدّ أن يكون عرف أن لصاحب الحق مقالا ، وصاحب الحق فى قضية اليوم هو مؤلف النثر الفنى ، الكتاب الذي استحق أن يثنى عليه معالى الدكتور هيكل باشا فى مجلة الهلال

ولكن ماذا صنعت لجنة إنهاض اللغة العربيـة حتى نوجه إليها الملام ؟

إنها اختارت طوائف من المؤلفات الحـديثة فأقرت مبدأ تعبنا فى الدعوة إليه منذ سنين فلها منا أطيب الحمد وأجزل الثناء

وأنت تعيبُ عليها أنها نسيتك ونسيتنى ، واللوم فى هـذا علىّ وعليك، لأننا لم نحسن التذكير بأنفسنا عند السيدين الكريمين على الجارم وأحمد أمين

وأخشى أن نكون أسأنا اختيار الظرف المناسب للتذكير المنشود ، فهؤلاء الزملاء يملكون ما لا نملك ، وكان العقل يقضى أن ننتظر حتى يتفضلوا بالاعتراف بأننا بَشرٌ مثلهم نـكتب وننظم ونؤلف !

وكلة « زملاء » تسبق إلى قلمى بلا تحفظ ، لأنى واثق بأنهم أكرم وألطف من أن يبخلوا علينا بهذا التطاول الخفيف !

إن لجنة إنهاض اللغة العربية فوق الشبهات ، ولكنى لا أفهم كيف جاز أن تقرر كتاب ضحى الاسلام وتنسى كتاب النثر الفنى مع أن كتاب ضحى الاسلام لا علاقة له بتقويم الأساليب

ومن الصعب علىّ أن أقبل أن يكون فى اللغة العربية كتاب يشبه كتاب النثر الفنى ، ولكنى راضٍ للضرورة بأن يكون قريباً لكتاب ضحى الاسلام . أنا راض بأن أكون من زملاء الأستاذ احمد امين فى قوة التأليف ليصل كتابى عن طريق وزارة المعارف إلى الجيل الحديث ، إن كان التواضع ينفعنى عند أولئك الناس

وأين كانت اللاجنة من كتاب (الموازنة بين الشعراء) ؟ دلونى متى عرف النقد الأدبى مثل هذا الكتاب ؟

إن الحياة فى مصر أصبحت جحيما لا يحتمل ولا يطاق بفضل ما يقع فيها من الاستهانة بآثار العقول . وأخشى إن طال هذا الليل أن تنقرض حياة التفكير والتأليف ، وأن ينفض الباحثون أيديهم من الثقة بموازين العدل فى هذه البلاد

إن مصر لا تعرف أنها مدينة بسمعتها الأدبية والعلمية إلى رجال يُعـدُّون بالآحاد لا بالعشرات ولا بالمئات ولا بالألوف ، وهؤلاء الآحاد ينفقون من أعصابهم ودمائهم ليحفظوا لمصر مكانتها العلمية بين الأمم العربية

وما يليق بمصر أن تترك مصاير هؤلاء الآحاد لرجل أو رجلين يسمى أولهما على الجارم وثانيهما أحمد أمين

ما يليق بمصر أن تسكت عن أبنائها الأوفياء حتى يصرخوا من الظلم والإجحاف

ما يليق بمصر أن يعرف علماؤها وأدباؤها أن لا حياة لهم إلا أن ضَيَّعوا ذاتياتهم بالفناء فى خدمة الأحزاب

أما بعـد فأنا لا أنتظر شيئاً من وزارة المعارف ، ويكفى ما ظفرت به من القراء الذين استطعت بفضل إقبالهم أن أقول إن فى مؤلفاتى ما طبع مرتين وما طبع ثلاث مرات

هذا عصر التضحية يا صديقى ، وهذه مصر التى لا تعرف أبناءها الأوفياء

فان سمعت أننا قهرنا المصاعب فصدّق

وإن سمعت أننا أمِنّا عُدوان الأحقاد والضغائن فصدق أيضاً

صدق كل شىء يا صديقى ، إلا شيئاً واحداً ، هو ما تسمع أحياناً من اعتدال الموازين

وكل ما أرجوه فى ختام هـذه الكلمة الوجيزة أن تسكت عنى سكوتاً مطلقاً فلا تذكرنى بهمومى فى وطنى وبين أهلى

لقد كنت نسيت فـكيف جاز لك أن تصنع ما صنعت !

وهل كان الأمل فى إنصاف الزملاء إلا باباً من الخيبة والضياع؟

إن أرزاقنا فى أسِنَّة أقلامنا ، وسنصبر بعون الله على الصدق فى الجهـاد

والعاقبة للصابرين والصادقين .

« مصر الجديدة »

زكى مبارك

فى الطريق الى مؤتمر المستشرقين

من القاهرة الى بروكسل

للدكتور عبد الوهاب عزام

بنيتى العزيزة بثينة

أحدثك عن رحلتى راجيا ألا تكلفينى ترتيب الحديث على ترتيب المشاهد . فانما هى فُرص تنتهز . فسأبدأ بالحديث عن سويسرة قبل الحديث عما رأيت فى الطريق إليها .

***

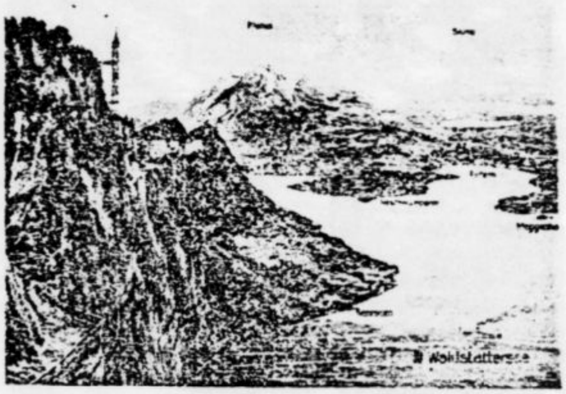
أكتب إليك من قرية فى قمم جبال سويسرة الشامخة اسمها بِرجِنشتوك وقد أضحى النهار ، والدَّجْن مُطبق ، والجوّ بارد ، أُحسّ منه مثل ما أحس فى شتاء مصر إذا قرس . وأنا أضع قلمى بين الحين والحين لأعرك كفّى إحداهما بالأخرى حتى أحسن إمساك القلم . فشتان ما بينى وبينكم ؛ شتان ما بين حلوان وبُرجنْشتوك !

لا تقع العين هنا إلا على خضرة أو زُرقة ، أو بياض : خضرة العشب الأثيث ، والشجر الكثيف ، وزرقة السماء إذا تصحو ، وزرقة البحيرات ترى من قمم الجبال بعيدة بعد السماء ، وبياض السحب .

تسألين : ما الذى أحلك هذه القرية الباردة فى تلك القمم العالية ؟

نزلت أنا وزميلى الأستاذ أحمد أمين مدينة لوسرن من سويسرة ، وأردنا أن نركب فى البحيرة : بحيرة لوسرن إلى مكان قريب . فقيل : كِرْسِيتن . فقصدناها على باخرة صغيرة بين مناظر معجبة بل مدهشة من جبال تخالط قممها السحب ، ويزين سفوحها حللٌ من الأشجار ضافية فى الماء ، وتُطلّ فى مرآة البحيرة منازل متفرقة أو قرى صغيرة كأنها أعشاش الطير بين أفنان الدوح

بلغنا كرسيتن بعد أربعين دقيقة ، فنزلنا لنجول فيها قليلا فاذا شاطىء ضيق بين الماء والجبل ، فيه فندق ومطعم ودور قليلة ، وإذا الناس يجتمعون عند السفح ، وإذا مركب عجيب مُدّت أمامه قضبان من الحديد ، ولكن إلى أين ؟ إلى ذروة الجبل الرفيعة التى يكاد الطرف يعيا دونها . مدت القضبان على السفح ، وأُعِد هذا المركب على شكل لا يميل راكبه مع انحدار الطريق بل يجلس مستويا كأنه فى قطار عادىّ . ويجذب هذه « المرقاة » حبل من حديد مفتول فتصعد خمس دقائق فى طريق ضيق عن يساره الجبل ، وعن يمينه مهوى هائل إلى الحضيض . انتهى بنا هذا المرتقى المخيف إلى مكان به فنادق عظيمة وطريق ضيقة معبدة ، فسرنا نتأمل جمال الخليقة وجلالها حتى راقنا مكان قصىّ على سفح أخضر ؛ فصعدنا إليه ، وأخذنا حظنا من الراحة والتأمّل والتعجب . وكان ممنا طعامنا فطعمنا



(منظر عام لبحيرة لوسرن ومدينة لوسرن)

وسرنا إلى مَرْقَب يُطل على البحيرة يعلو على البحر ثلاثة آلاف وأربعمائة قدم ، فجلسنا قليلا ولحق بنا جماعة من السائحين الأمريكانيين معهم امرأة تدلهم الطريق والتاريخ . وقفت وحفُّوا حولها فقالت : « هنا منظر من أروع مناظر العالم ؛ هنا سبع بحيرات ؛ إلى اليسار بحيرة سمباخ . ولها صيت فى تاريخ سويسرة : هنا كانت حرب بين النمساويين والسويسريين الذائدين عن بلادهم ، وكان الأولون مثلى الآخرين عدداً . فلما أعيت السويسريين الحيل تقدم واحد منهم إلى معسكر العدو فجمع من رماحهم ما استطاع وهم بالرجوع لولا أن أدركه العدو فقتله . وتحمس قومه وحاربوا حتى ظفروا . هذا البطل اسمه « وينكل ريد» . ومضت فى حديثها عن البحيرات . وقد رأيت اسم هذا البطل على إحدى البواخر الماخرات فى البحيرة

وقرأنا في لوحة هناك أن على مسيرة عشرين دقيقة مِصعداً هو أعلى المصاعد وأسرعها في أوربا. يصعد خمسمائة وستا وخمسين قدماً. فسرنا في طريق بين الأشجار الباسقة تلوح من خلالها زرقة السماء وزرقة البحيرة، وقد تتابعت الأشجار على السفح هابطة، وإن الواحدة منها ليرى جذعها مُستقلا بعيداً على السفح، وتشرف ذروتها مُمتلية مُشرفة فوق الطريق. وهذه الأشجار السامقة ترى من الحضيض كأنها أعشاب على السفح أو شجيرات



(المصعد)

وانتهى المسير إلى المصعد، فاذا قضبان محكمة على جانب الجبل يصعد بها هذا المصعد وينزل في دقيقة. يصعد في جوف الجبل حيناً ثم يبدو بين جدارين ناتئين من السفح، ثم يظهر معلقاً في اللَّوح كأنه طائر يحاول ذروة شاهقة

بدا لنا أن نترك لوسرن لنقيم في هذه الناحية أياماً. فسرنا نزود المكان وفنادقه حتى وقف بنا الاختيار على فندق صغير منفرد هو أقرب مكاناً ومنظرا إلى الريف منه إلى المدن. فقلنا: هذا منزل حسن.. ماذا نصنع بالمدن وهي متشابهة في العالم كله؟ وماذا نرى في الفنادق الكبيرة وهي لا تختلف بين مدينة وأخرى إلا قليلا؟ هنا نظفر بالهدوء والسكون، ونقرب من الغابات والحقول ونرى من عادات القوم ما لا نرى في لوسرن

وجاءت الخادم تكلمنا بلغتها وهي لا تعرف لغة مما نعرف فتفاهمنا بالألفاظ المتقاربة بين الانكليزية والفرنسية وبين السويسرية، ولمحنا في جانب الحجرة رجلا أشيب فأشرنا إليه ليكلمنا فأشارت الخادم أنه أصم فقلت: « كالمستجير من الخرساء بالصمم »

أخذنا بعض متاعنا من لوسرن إلى برجنشتوك. وبلغنا الفندق حين الغداء (والساعة اثنتا عشرة وربع) دخلنا قاعة الطعام فاذا امرأتان ليس في القاعة غيرهما، وقد أعد لنا الطعام معهما. وليس بيننا لغة إلا الاشارات وكلمات حائرة بين ما نعرف وما تعرفان من اللغات. وقدم اللحم فرابني بياضه. فأشرت: أي لحم هذا؟ قالت إحداهما كلاماً وحكت صوت الخنزير — وهذا الخنزير يخيفني حيثما حللت من أوربا — أشرت أننا لا نأكل الخنزير. قالت المرأة الأخرى لصاحبتها: إسرائيليان. قلت: لا لا، لا، ولكن المصريين لا يطعمون لحم الخنزير. فكانت حركة في الفندق وارتباك. ثم قدم لنا لحم البقر سريعاً. وفي العشاء قدم إلينا الكاكاو وكثير من اللبن وعجة البيض وفاكهة مطبوخة ورأينا القوم يأكلون العجة مع الفاكهة فعجبنا من اختلاف العادات والأذواق.

استرحنا ثم نزلنا لنخرج فدعينا إلى شرب القهوة وقدّم لكل واحد مع القهوة ملء كوب من اللبن الجيد، واللبن عندهم موفور لكثرة البقر وقرب مراتعها، وأصحاب الفندق أسرة من الفلاحين

وكنا حين قدمنا هذا الصقع لأول مرة، سمعنا جلجلة أجراس مختلفة لا تنقطع لحزرت، وصدق الحزر، أنها أجراس في أعناق البقر أو الغنم. (وكنت رأيت في إصفهان من بلاد الفرس أجراساً في أعناق الابل والثيران، ورأيت البدو يعلقون جرساً في رقبة الكبش تهتدي به الغنم وتجتمع على صوته؛ ورأيت هذا في مضارب قبيلة شمّر في العراق وعلمت أنهم يسمون هذا

الكبش المرباع) فلما استقر بنا المقام فى الفندق أردنا أن نجوس خلال الحقول لنرى البقر فى مراتعها . وكانت أجراسها تجلجل فى الأرجاء بين هذا الجمال الأخضر والجلال الرائع ، بل فى هذا المعبد العظيم من الخليقة فكأنها أجراس المعابد !

سرنا بين المروج فرأيناها مقسمة بحواجز . كأن لكل بيت مساحة من المرعى ، ورأينا على الطريق أبواباً تمنع البقر أن تجاوز مراعيها . ثم رأينا بقراً يرعى وقد جعلت أجراسها على قدر أسنانها : للعجل جرس صغير ، وللثنيّ جرس أكبر منه ، وللبقرة الفارض جرس كبير كأنه القدح . ورأينا حظائر للبقر تأوى إليها فى الشتاء ، وهى بيت من الحجر فيه قنوات لسيل الماء ، وعنده حوض لشرب الدواب ، وفوقه بيت من الخشب يوضع فيه الحشيش وأدوات الفلاحة . وتجعل الحظائر بجانب مكان عال ليتسنى دخول عربة الفلاح إلى الطبقة العليا . وبيوت الفلاحين جميلة المرأى يتجلى فيها النظافة والترتيب والنعمة . وكم تمنيت أن يكون لفلاحنا بعض ما لهؤلاء

ورأينا على الطريق نُصباً عليه صليب ، فاقتربنا منه فاذا حجر واحد نحتت فى أعلاه طاقة عليها شباك من الحديد . فاطلعنا فيها فاذا صورة قديس وقديسة ، ورأينا امرأة مرت بهذا النصب فوقفت قليلا تتعبّد ، وكان كل من يمر بهذا الطريق يقف هناك وقفة للعبادة . وكذلك رأينا بجانب الفندق بُنيّة صغيرة يعلوها صليب ، فاطلعنا فيها فاذا معبد يتسع لبضعة نفر ، وأحسبناه معبد الأسرة التى تقوم على الفندق . وهكذا يحرص القوم على دينهم ويتوسلون إلى العبادة بكل الوسائل

وأما الفندق فهو مثل من نشاط القوم ونظافتهم ونظامهم . هناك أم كثيرة الأولاد قد أحسنت تربيتهم ، ومنحت من قلبها ويدها ما جعلهم قرة عين الرائى صحة وجمالا ونظافة . وهى قائمة على الفندق تعينها خادم واحدة لا ترى إلا ساعية أو عاملة أو متكلمة أو ضاحكة . وقد تبوأت الأسرة بعض الفندق وجعلت للنزّال بعضه ، ولم تنس حقها ولا حق النزال من رفاهية ومتاع . وأنا أكتب الآن وقد جاء صبى من هذه الأسرة يطرب الحاضرين بموسيقاه . وهكذا يبدو النشاط والمرح والسرور ليل نهار

وحول الفندق أشجار الفاكهة ، ومزرعة صغيرة عليها سياج ومن هذه الأشجار وهذه المزرعة فاكهة الفندق وبقوله يجنيها الأولاد كما تأمرهم الأم

وأحدثك مرة أخرى عن روعة هذا الصقع فقد بدا لى أن أعود إلى هذا الحديث :



قرية كرسيين على بحيرة لوسرن

خرجنا عصر اليوم فسرنا إلى الصمد الذى وصفته آنفاً فى طريق ضيقة نحتت على سفح الجبل ينيف فوقها جبل شامخ وتبدو تحتها هوة هائلة . فلما جاوزنا الصمد تمادت بنا الطريق صاعدة فى السفح تخترق الجبل بين الحين والحين إذا لا تجد على السفح منفذاً . فلما أعجز القوم النحت فى مواضع من هذا الطود العاتى الأشم مدّوا الطريق على دُعم من الحديد مثبتة فى الجبل ، فترى السائر معلقاً بين السماء والأرض على هذه الشقة الضيقة حتى يبلغ الغاية

وقصارى القول أن تسخير الانسان للخليقة سهلها ووعرها

وصعبها وسهلها، وشجرها وزرعها، وبرّها وبحرها، يبدو للسائر هنا فى كل خطوة، بل لست أدرى أأقول: هنا جهاد الانسان والخليقة أو اصطلاحهما على العمل والسعادة؟

ولا أنس جلسة فى المشىّ ونحن عائدون إلى الفندق وقد جلل الضباب الخليقة، وأطبقت السحب وأسفّ بعضها دون القمم، وتتابعت على العين قمم الجبال تسيل منها النضرة والجمال على السفوح، والمساكن والفنادق منثورة فى هذه المرائى المدهشة! منظر لا يمكن وصفه، ولا يدركه إلا من يراه!

لا ينقص هذا الجمال إلا أن تكونى أنت وأخواتك مى فارى دقائقه بأعينكن، وأسمع بيانه البليغ من أفواهكن. فليت ثم ليت!

« جنتنو » عبد الوهاب عزام

في «الحب»

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني

— ١ —

« يا أخى، أقول لك الحق وأمرى إلى الله، أنا لا أعرف الحب، ولا أستطيع أن أحب، ولم يخلقنى الله لأحب، فأنا على الأرجح مخلوق ممسوخ، أو هذه الخلائق هى المسيخة إذا صدق ما يزعمون عن الحب وما يعانون من تدليهه؟ »

فهز صاحبى رأسه مفكراً وسألنى: « وابراهيم الكاتب؟ »

فقلت: « ابراهيم الكاتب مخلوق لا حقيقة له ... أنا الذى خلقته، فاذا كنت لم أحسن خلقه فاعذرنى، فانها أول تجربة لى فى « الخلق ». ومع ذلك أدر عينيك فى الغادين علينا والغاديات والرائحين والرائحات، وتدبر نفوسهم إذا استطعت، واعذرنى! وأحسبك تريد أن تزعم أنى وصفت حب ابراهيم هذا، أومماشقه، وأن هذا وصف خبير. ربما! الحقيقة أنى نسيت حكاية ابراهيم هذا، ولكنى واثق أن عقله لم يطر من الحب، ولبه لم يُزدهف، وأنه كان يعرف القيمة الحقيقية لكل واحدة ممن أحب، وكان يستطيع أن يكبح نفسه ويصرفها »

فكابر بالخلاف، فتركت له الصفقة، إيثاراً للراحة من عناء الجدل الذى لا طائل تحته، وأردت أن أستطرد عن هذا الموضوع إلى سواه، فأبى أن يدعنى أهرب، فدار بى فعاد إلى الحب، فقلت له: « إنى أراك جائماً » قال: « جائع! أبداً »

قلت: « والله جائع، ومتضور أيضاً ... » ووضعت إصبعى على قلبه: « هنا فراغ أسميه أنا جوعاً، فأنت لهذا فيما أرجح، تجد لذة فى الكلام فى الحب الذى حرمت ماتتوهمه نعمته ... اعترف! »

قال بضحك: « ليتنى أكون محباً محبوباً ... الحقيقة ان حياتى صحراء جرداء »

قلت: « اشكر الله، واسأله دوام هذه النعمة. »

قال: « يا شيخ، حرام عليك! »

قلت: « والله إنى أريد لك الخير، أو اسمع، إذا كان لا بد من هذا، فأحبب أنت كما تشاء، فان أمرك يبقى بيدك، ولكن إياك أن تكون محبوباً من امرأة، فان هذا هو العذاب الغليظ »

فظننى أمزح، فقلت: « لا والله. وإنى فى هذا لأتكلم بلسان الخبير المسكين. هل تصدق أن امرأة فى هذه الدنيا يبلغ من قلة عقلها أن تترك الناس جميعاً وتحبنى أنا؟ »

قال: « ولم لا؟ هذا جائز »

قلت: « جائز ... وهل أنا أتكلم فى الجائز وغير الجائز؟ جائز أيضاً أن تصح ساقى المهيضة، وتسلم؛ وجائز أن تطول قامتى وتعرض ألواحى، وأن أصبح مصارعاً ومن أبطال العالم فى هذا الباب ... ولكن تصور عقل هذه الفتاة المسكينة! وتصور موقفى أنا حيالها ... أنا الذى ليس له طاقة على الحب ولا صبر لى على ما يغرى به من الحماقات والسخافات. أقول لها مثلاً، وأنا أناشدها أن تثوب إلى رشدها: « يا ستى! يا حبيبتى! أين ذهب عقلك؟ » فتترك السؤال ... لا تسمعه فى الحقيقة ... وتصيح وتلوح بيديها وتقول: « حبيبتك!؟ هذه أول مرة أسمع فيها منك هذا اللفظ الجميل ... أعده على سمعى ... أرجو » فأدهش من سوء التأويل وأقول لها: « يا ستى إنما عنيت ... لم أعن شيئاً فى الحقيقة ... مثل قولى يا صديقى لا أكثر » فتقطب وتقول « خيبت أملى! لماذا تأبى على حتى أن أسعد بلفظ؟ » فأقول:

« يا ستي والله ما أكره لك السعادة ولا أنا آباها عليك لو كان بيدي إسعادك ؛ ولكني لا أستطيع أن أكذب عليك ، وعلى نفسي ... هذا الحب شيء لا قبل لي به » فتقول : « ولكني أريده » فأقول : « إذن التمسيه عند غيري ... اطلبيه من دكان آخر » فتغالط نفسها وتقول : « أنت هكذا دائماً .. مكابر .. هذا أنت ... بس أريد أن أعرف ماذا تخسر إذا اعترفت ؟ » فأقول : « وكيف أعترف بما لا أحس به ؟ » فتروح تحاورني وتداورني ، وفي ظنها أني أغالطها وأكذب عليها ، أو أن بي كبرا يمنعني من الاقرار لها بحبها ، وتمسح لي شعري ... أعني الشعرات العشر الباقية في رأسي ... وتربت على كتفي برقة فأضحك ، فتدير إليّ محياها الدقيق وعلى ثغرها الرقيق اللين ابتسامة سرور ، وفي عينيها ومضة أمل ، فأقول ، وأنا أرد القهقهة التي أحس أني أوشك أن أنفجر بها : «أتراني لعبة؟» فتقول « لعبة ؟ أستغفر الله ! لماذا تقول هذا ؟ أنت عندي ...» فأقاطعها وأقول « دعي هذا ... فاني أعرف منزلتي التي لا تدانيها منزلة . ولكن أن تمسحي لي شعري ؟ أين هـذا الشعر الذي تمسحينه ؟ سبع شعرات ونصف شعرة ! ومع ذلك أقول لك الحق : أنا أستحيي أن أراك تصنعين هذا . . . أحس — لا أدري لماذا ؟ — أني ارتددت طفلا صغيرا تلاعبينه ... » فتقاطعني هي وتقول « يسرني أن ألاعبك.. أن تكون لعبتي! » فأقول : « أما الملاعبة فأنا فيها خادمك المطيع ، تعالى نلعب كما تشائين ... ولكن أن تلعبي أنت بي أنا ... ؟ هذا لا يكون ... لا استكبارا مني ، بل لأن طباعي ، وفطرتي لا تساعد على هذا . . . ثم كيف تلعبين بي ؟ أأنا كرة ؟ أم ماذا ! ألا ترين أن هذا كلام فارغ ، وأننا نضيع الوقت فيما لا خير فيه ولا متعة ؟ أولى بنا أن نضحك ، ونلعب ... »

فتعود إلى رأس البلاء وتقول « ولكن لماذا تكره الكلام في الحب ؟أليس لذيذا ؟ »

فأقول « لست أكره شيئا ، وإنه ليسرني أن يكون مدار حديثنا على شرط ألا أكون أنا مداره ! ثم قولي لي ، أليس في عينك نظر ؟ »

فتعبس وتهز رأسها مستفسرة فأقول : « تحبينني أنا ؟ ياخبر اسود ! وهل خلت الدنيا من الناس فلم تجدي سواي ؟ »

فتطمئن وتضحك ، وتقول « أنت متواضع .. جدا »

فأقول «ياستي والله أبدا ... إن بي كبرا أن يكون بي كبر . ولكن الحقيقة أنك بلهاء أو لا أدرى ماذا دهاك ... »

فتسأل بلا مناسبة : « لماذا لا تحبني ؟ »

فأقول: « هذا سؤال غريب ... طيب اسمعي .. أنا لا أحبك لأني لست عدوك ! »

فتصيح : « ايه ؟ »

فأقول : « تمام . الحب في لغتنا لفظ سقط منه حرف ... كان يجب أن يسمى الحرب ! »

« حرب ؟ »

« أي نعم يا مولاتي ! لأنه ضرب من الجوع »

« جوع ؟ »

« أي نعم مرة أخرى يا مولاتي .. تجوعين فتشتهين الملوخية بالأرانب ، أو الأوز ، وتجوعين جوعاً آخر فتشتهين رجلا ... وأنت تحبين الملوخية ، ولكن ليس بينكما مودة متبادلة ، وإنما العلاقة بينكما علاقة آكل بمأكول؛ وكذلك الجوع الذي نسميه الحب ، فانه ليس أكثر من رغبة في الاستيلاء على مخلوق آخر أو التهامه إذا شئت . وإذا كان الحب متبادلا فان معنى هذا أن الحرب معلنة من الجانبين — كل جانب يريد أن يستحوذ على الجانب الآخر بأسلحة شتى ، منها الغزل والقبل والعناق والضم وغير ذلك من وسائل التليين ... »

قالت : « لا أصدق هذا الكلام الفارغ »

قلت : « سامحك الله . وخذي كلاماً آخر لا تصدقينه ... كما أن الانسان لا يستطيع أن يصبر على طعام واحد ، فلا يأكل سوى الملوخية مثلا ، كذلك لا صبر للانسان على امرأة واحدة . وصدق هذا أو لا تصدقيه ، فأنت حرة ؛ ولكن ثقي أن من يقول لك غير هذا يكون خادعاً أو مخدوعاً : خادعاً إذا كان يدرك الحقائق ، ومخدوعاً إذا كان مثلي يأبى أن يواجهها ، وأنا أعرف منك بالحياة وأخبر . الرجال جميعاً خوانون غدارون — إذا صح أن نسمي غدراً وخيانة ما ليس سوى نزول منهم على حكم الطبيعة »

فقالت بسرعة: «هذا صحيح ... كلهم خائن»

قلت: «لا تعجلي فالنساء أيضاً مثل الرجال. والطبيعة واحدة ياستي!» فلم تقتنع يا أخي، وقد تعبت ومللت، وخطر لي مراراً أن أتركها وشأنها، ولم أكتمها أني ضجرت من هذا الحب، ولكني أشفق عليها وإن كان هذا الحب منها يغيظني ويحنقني. وما ذنبها إذا كانت لا تستطيع أن تدرك هذا الذي أبينه لها؟؟ ثم إن عقولهن غير عقولنا — نحن الرجال عقولنا في رءوسنا، أو نحن على الأقل نتوهم ذلك، أما النساء فعقولهن ليست في رءوسهن — هذا محقق — وقد قلت هذا مرة، فثارت على فتاة ذكية جميلة مثقفة وسألتني وهي محنقة «أين إذن عقل المرأة إذا لم يكن في رأسها؟» فحرت كيف أجيب، وكان الجواب حاضراً ولكن الافصاح عنه لاسبيل إليه، وألهمني الله أن أخرج من المأزق بقولي «عقولهن في قلوبهن» فأرضاها هذا التعبير الحسن عن معنى يعده الجهلة سيئاً وما هو بسيء، وإنما هو الطبيعي. فكيف تريد مني وهذا تصوري للأشياء أن أعرف الحب كما تريد النساء والشبان أن أعرفه... خيالات وأوهاماً وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان، ووفاء وحفاظاً إلى آخر هذا الهراء الذي لا يكون؟؟

فهز رأسه متعجباً، ولم يقل شيئاً، فحمدت الله، واغتنمت فرصة سكوته واستأذنت في الانصراف

ابرهيم عبد القادر المازني

الدين والأخلاق

بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

— ٤ —

لو أن الأستاذ الغمراوى فحص عن أخلاق أمة من الأمم في نفوس آحادها لوجد اتفاقاً أو شبه اتفاق في خصائص تلك الأمة. ولا نعني بالخصائص أنها تفردت بأخلاق لا يوجد مثلها في أمة أخرى، فان الأخلاق شائعة في النفوس البشرية، وإنما نعني أن تلك الأخلاق أكثر شيوعاً فيها بالرغم من تفاوت نفوس آحادها في خصال الحمد والذم والخير والشر، ويستوى في تلك الخصائص من يقرأ فلسفة هربرت سبنسر ومن يقرأ كتب الغزالي، ومن يقرأ شعر شكسبير ومن يقرأ شعر المتنبي، فان تلك الخصائص المتوارثة لها عدوى تذيعها في البيئة الواحدة وهي راسخة لا تغيرها أيام ولا سنوات قليلة، وأسبابها حوادث وشرائع اجتماعية ظلت تؤثر في الأمة زمناً طويلا.

فاذا نظر إلى أخلاق البيئة المصرية وفحص عنها على ضوء هذه الحقيقة وجد أن الخصائص الخلقية شائعة يشترك فيها العظيم والحقير، ويشترك فيها الشيخ والأفندى كما يشترك فيها الفلاح وساكن المدينة بالرغم من التفاوت الظاهرى في العادات وفي مقادير رسوخ هذه الخصائص أو المقادير التي تظهر بها وإن كان التشابه في مقاديرها الكامنة أعظم. وأوجه الاختلاف الظاهرى تظل ملازمة للمرء ملازمة كبيرة وإن حاول أن يحول بعض خصائص نفسه إلى جانب المقادير المقهورة التي يخفيها في النفس إذا انتقل من طائفة إلى طائفة أخرى من طوائف الأمة؛ فالفلاح إذا ألبسته طربوشاً أو قبعة لا يخلع خصائصه ولا يستطيع خلعها ويبقى فلاحاً بخصائصه، ولكنه ربما حاول أن يخفي بعض تلك الخصائص في نفسه.

والمذهب الجديد في الأدب هو إلى حد كبير كالطربوش أو القبعة التي يلبسها الفلاح؛ والمذهب الجديد كما أوضحنا قد تأثر

مباشرة بما أخذه عن المذهب القديم وبما أخذه بطريق غير مباشر بعد أن تأثر الأدب الأوربى الذى هو وليد نزعة إحياء العلوم فى أوربا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر بالأدب والفكر العربى .

ولا بد أن الأستاذ النمراوى قد عاشر طوائف مختلفة من طوائف الأمة وإن لم يكن قد درس حالة الأدباء الخلقية دراسة المشير الذى لا يُخاتَل لا دراسة القائل بما يسمع . ولا بد أن الأستاذ قد أيقن من اتفاق طوائف الأمة فى الخصائص الخلقية. ولو أنه أتيح له أن يدرس أخلاق الأدباء لوجد أن الخصائص الخلقية متشابهة فيهم بالرغم من المذهب القديم والمذهب الجديد، وأن التفاوت الفردى بين آحاد كل طائفة ربما كان أهم من تفاوت أدباء كل مذهب . فالاستقامة والصدق والعفة والنزاهة والسماحة فى الخلق والوفاء الخ ليست ملكا لمذهب فى النثر أو الشعر. وكذلك اللؤم والكذب والغدر والانصراف إلى الملذات والحقد ليست ملكا لمذهب فى الشعر أو النثر. ولو أن الأستاذ بحث هذه الخصال لوجد أن خصال الحمد والذم لابد أن توجد فى المذهبين ، فان هذه خصال وميول متوارثة تزيدها حوادث الحياة وحالاتها قوة أو ضعفا . أما غير هذا الرأى فلا يأخذ به إلا من يسهل أن يخدعه التعصب لجماعته، فان المذهب القديم أو الجديد ليس دينا له أخلاق معينة لا يتعداها، وإلا فان الأديب الذى يكتب على طريقة الأدب الجديد متأثرا بالأدب الأوربى ويطرى الاستقامة ، يعد فى نظر الأستاذ كافرا بالأدب الحديث ؛ وإن الأديب الذى يطرى أبياتا فيها مجون من صنع شاعر من شعراء المذهب القديم يعد كافرا بالمذهب القديم . وعلى هذه القاعدة يكون أكثر شعراء العرب وأدبائهم من عهد امرىء القيس (كما ذكر الأستاذ خلاف) إلى عهدنا هذا كافرين بالمذهب القديم ؛ وإذاً لا يكون هناك مذهب قديم فى عالم الوجود ، ويكون السيد توفيق البكرى متفرنجا عند ما اختار لابن الرومى أرجوزته النونية فى وصف الزنا، ويكون الشيخ شريف مفتش اللغة العربية ورجل التربية متفرنجاً عندما شرح أرجوزة اللواط لفظاً ومعنى، أو يكون الأديب الواحد تارة من أنصار المذهب القديم إذا تمثل بأبيات من زهد أبى نواس أو أبى العتاهية، وتارة من أنصار المذهب الجديد إذا تمثل بمجونهما.

ويكون إذاً حافظ إبراهيم من شعراء المذهب الجديد إذا قص قصص المجون فى مجالسه أوروى أشعار المجون، ويكون حافظ إبراهيم نفسه من شعراء المذهب القديم إذا تناول مسبحة وروى أشعار الزهد والتقوى ، ويكون كل أديب أو شاعر من شعراء أو أدباء المذهب القديم كما يكون حافظ فى حالتيه . ويكون الأديب منهم من أنصار المذهب الجديد إذا تمثل بأبيات من لزوميات المعرى لا يرضى عنها الأستاذ النمراوى ، ومن أنصار المذهب القديم إذا تمثل بأبيات أخرى من اللزوميات يرضى عنها الأستاذ . وفى اللزوميات ما يُرضي وما لا يُرضى الأستاذ؛ ويستطيع الأستاذ أن يتخلص من هذه الورطة فيقرر أن الشاعر الذى يجهل اللغات الأوربية ولا يقرأ الأدب الأوربى المنقول إلى العربية هو من أدباء الفضيلة (والفضيلة كما قرر الأستاذ هى المذهب القديم) حتى ولو قال النثر والشعر فى المجون والزيغ متأثراً بمجون وزيغ شعراء (الفضيلة) القدماء ممن كتبوا باللغة العربية ، وأن الأديب الذى يعرف اللغات الأوربية والذى درس آداب اللغات الأوربية والذى يعد نفسه من أدباء المذهب الجديد هو فى الحقيقة من أدباء (الرذيلة) حتى ولو أطرى الفضيلة كما أطراها شكسبير وفكتور هيجو . وإذاً يكون من الواجب المحتوم أن الشاب الذى لاهو من أدباء المذهب القديم ولا الجديد ، لأنه ينقل عبارات أفرنجية نقلا حرفياً كالضحكة الصفراء (وغيرها من العبارات المضحكة التى يدعى أدباء المذهب القديم أنها من خصائص المذهب الجديد) أقول إنه من الواجب المحتوم أن يعد هذا الشاب من أنصار المذهب القديم ما دام يطرى الفضيلة حتى ولو أطراها كما أطراها فكتور هيجو إطراء صحيحاً ولكن بأسلوب عربى سقيم ، وأخشى أن هذا المنطق الغريب قد يسوقنا إلى أن نعد الأسلوب السقيم إذاً من خصائص المذهب القديم ما دام صاحبه يطرى الفضيلة، وأن نعده من خصائص المذهب الجديد إذا كان صاحبه يطرى الرذيلة . على أننا لو فرضنا أن الأستاذ قد أصاب فى جعله المذهب القديم مرادفاً للفضيلة وأنه عقيدة دينية ، فكم من ممتنق عقيدة يقول بلسانه ما لا يتفق وأخلاقه وأعماله! فكيف به وهو ليس عقيدة دينية حتى ولو كان كل أدبائه من عهد حسان بن ثابت إلى اليوم منزهين عن الفحش فى قولهم وعملهم

فكيف به وليسوا كلهم منزهين عن الفحش فى قولهم وعملهم بل كان منهم من بلغ من الفحش فى القول والعمل غاية ليست بعدها غاية . ألا يرى الأستاذ أن جعله المذهب القديم مرادفاً للفضيلة مع هذه الحقائق يؤدى إلى أن ينافق من ينافق فيدعى أنه حامى حمى الدين والفضيلة كى ينال ما يرادف هذه الألقاب حسب اصطلاح الأستاذ فيلقب بزعيم النثر وسلطان الشعر ؟ إن بعض أدباء المذهب القديم قد نشروا هذا الاصطلاح بكل ما أوتوا من بيان ، كما كان كل فريق من الدول فى الحرب العظمى يدعى أنه حزب الله المصطفى وأن الفريق الآخر حزب إبليس الخاسر عليه لعنة الله . فكان الانجليز يقولون إنهم يدافعون عن الفضيلة والحضارة والعدل والخير والحق ، وإن خصومهم خصوم هذه الصفات العليا . وكان الألمان ينشرون مثل هذه الدعوة لأنفسهم حذوك النعل بالنعل . وكان كل فريق يضحك فى سره من سذاجة من يصدق أقواله . وكذلك يفعل بعض الأدباء هنا وهم يخفون ما يعرفون من أن الشطط فى القول لم يكن مقصوراً على مذهب فى الفنون والآداب ، وأن مناصرة الفضائل ليست مقصورة على مذهب، وأن جعل الفضيلة مرادفة للمذهب القديم والرذيلة للمذهب الجديد شطط وظلم لا يتفق وروح العدل الذى تأمر به الشرائع السماوية ، وأنه حتى على فرض أنهم يفعلون ذلك مناصرة للشرائع السماوية لا كسباً للرزق والشهرة والمكانة ، فان مناصرة الشرائع السماوية بما ينقض عدل الشرائع السماوية من تعميم هو غاية الظلم يجعل مناصرتهم للشرائع السماوية مهزلة لا يرضاها الله، فان مناصرة الشرائع السماوية لا تكون إلا بفضائلها ، فكيف بهم وهم يعلمون أن شطط القول أو الفعل لم يكن قديماً ولا حديثاً مما يلتصق بطائفة دون طائفة ، وأنه لم يخلق الله مذهباً من مذاهب الفنون من عهد آدم إلى اليوم يصح أن يعد مرادفاً للفضيلة فى جميع مظاهره ؟

قال الأستاذ الغمراوى إن النزعة إلى التجديد بدأت منذ ثلاثين سنة . وقد أوضحنا أن التجديد بمعناه الأعم الذى شرحه الأستاذ بدأ منذ دخول نابليون مصر وذاع أيام محمد على باشا واسماعيل باشا، فليس له مبدأ واحد . أما التجديد بالمعنى الأخص وهو التجديد فى أبواب الشعر والنثر ومعانيهما فهو أيضاً مما لا يحد بمبدأ واحد كما يعرف من يدرس حياة الأمم ونمو النزعات والأفكار فيها، ولكن الذى يقرأ مقالات الأستاذ وأقوال بعض الكتاب يحسب أن النزعة إلى التجديد هذه نزعة متضامنة الأفراد متحدة العناصر متفقة الأهواء والمشارب والمبادىء بدأت بمؤامرة على الدين والأخلاق . والذى يدرس حياة الأمم ونمو الأفكار فيها يعرف أن هذا خيال فى خيال . والذى يدرس النزعة إلى التجديد يرى أنها ليست ذات مبادىء واحدة وأنها نزعات مختلفة ، فان من أدباء التجديد من يرى فى المذهب الرمزى كل علو فني ، ومنهم من لا يستلذه ولا يقنع عاطفته إلى الفن لابهامه وسقوط الصلة بين الرموز والحقائق التى تشير اليها الرموز ، ولتكاثر الصور فيه بعضها فوق بعض . وقد أوضحنا أن الرافعى — وهو فى رأى أصدقائه زعيم المذهب القديم — كان أقرب إلى المذهب الرمزى فى بعض كتبه مثل حديث القمر . وليس من البعيد أن يأتى يوم يعد فيه الرافعى من زعماء المجددين فى الأدب الرمزى أو زعيمه الأكبر . ولا أحسب أن الأستاذ الغمراوي كان منذ ثلاثين سنة متتبعاً تلك النزعات تتبع المعالج للبحث الاجتماعى ، فهو إذاً يقول بالسماع . وقد أوضحنا فى مقال سابق أن الأستاذ يصنع خيراً لو أنه اجتبى من المذهب الجديد ما يرتضيه وهو واجد الكثير المرتضى فان نقده يكون أوقع وأنفذ، وإصلاحه أقدر، وحكمه أعدل . أما جعله مذهباً مرادفاً للفضيلة ومذهباً آخر مرادفاً للرذيلة ، فليس ذلك من اعتدال أمثاله من العلماء

(قارىء)

عود على بدء

بين الغــــرب والشرق

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

— ٣ —

« قلنا فى المقال الأول فى الرد على مزاعم مناظرنا الفاضل الأستاذ فيلكس فارس إن لكل أمة فى العالم روحها التى تحتضن تراثها التقليدى ، وعن طريق تحليل تراث مصر التقليدي انتهينا إلى أنها فرعونية آخذة بأسباب العربية لتجارى فن الحياة فى ذلك العصر الذى طغت فيه العربية على كل شىء وكانت مركزاً للجذب الاجتماعى فى الشرق الأدنى .

وفى المقال الثانى بينا الفروق الأساسية بين ما سميناه ذهنية لمغرب وطابعاً للشرق ، وقلنا إن نزعة الذهن الغربى يقينية ونزعة العقلية الشرقية غيبية، واستدللنا على هذه الحقيقة من حقائق التاريخ، واستشهدنا بكلام للأديب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم . ولهذا قلنا إنه من الصعوبة بمكان أن تأخذ مصر الثقافة الغربية وهى محتفظة بثقافتها التقليدية وأساسها الايمان بالغيب . وقد قرأ قراء « الرسالة » منبر الأدب الحى فى الشرق العربى رد مناظرنا الفاضل على ما قلناه فى عددي الرسالة ٢٦٣، ٢٦٤، لهذا اضطررنا أن نعيد الكرة من جديد لدحض ما أثاره المناظر الفاضل من اعتراضات . ولن نتقيد في ردنا على المناظر بما جاء في كلامه ، وإنما سنرجع لكتاب رسالة المنبر إلى الشرق العربى فهو إنجيل المناظر فى الايمان بثقافة الشرق »

يقول الأديب النابغة فيلكس فارس :

« الثقافة راسخة فى الفطرة ، والفطرة فى الفرد كما هى فى الأمم ميزة خاصة فى الذوق واختصاص فى فهم الحياة والتمتع بها ، فاذا كان العقل رائداً لبلوغ الحاجة فليست الفطرة إلا القوة المتمتعة فى الانسان بتلك الحاجة بعد بلوغه إياها »

هذا ... ونحن نفرق بين الثقافة والفطرة، بين تراث الشعب الذى يخرج به من ماضيه انسلالا على مدى الدهور والأعوام ، وبين الفطرة من حيث هى روح الأمة التى تحتضن تراثها. فتراث مصر الفرعونية التى أسلمته لمصر الاسلامية فاختلطت نتيجةً لذلك الفرعونية والعربية فكان من ذلك ما سميناه لمصر من ثقافة تقليدية شىء والروح المصرية شىء آخر . إلا أن هذا لا يمنع من أن ترسخ الثقافة التقليدية وتصبح وكأنها من صميم فطرة الشعب. وانسلاخ الشعب عن ثقافته التقليدية ، وإن كان لها رجة فى صميم الفطرة والروح إلا أنها لا تعنى انسلاخ الشعب عن روحه وفطرته. وما ثقافة الشعب وتراثه إلا أثر وقوع الفطرة والروح تحت تأثير ظروف ومؤثرات تجد طريقها للمحيط الاجتماعى والبيئة الطبيعية للشعب . بيان ذلك أن الروح المصرية تحتفظ بذاتيتها منصبة فى قوالب شتى ، فهى فى قالب في العصر الفرعونى، وهى فى قالب فى العصر الاسلامى ، وجماع هذه القوالب المختلفة يكافئ الحالات المتباينة التى يتضمنها المحيط اجتماعياً وطبيعياً . وإنكار هذا معناه أن الروح المصرية تغيرت من العصر الفرعونى إلى صورة أخرى فى العصر الاسلامى. فما الذى يمنع أن تتغير إلى صورة أخرى فى العصر الحديث ؟ ولعمرى هذا لا يتفق مع ما يعرف من قواعد الاجتماع وعلم تكون الشعوب ، لأن روح الشعب شىء مجرد ، يكتسب عن طريق وقوعه تحت تأثير الفواعل الاجتماعية والطبيعية خصائص متباينة شكلا وإن كانت متفقة روحاً

من هذا أرى أنه من الضرورى التفرقة بين روح الأمة من جهة، وثقافتها وتراثها الشعبي من جهة أخرى، وإذاً أيكون من الممكن لمصر أن تتجرد عن ثقافتها التقليدية ، وتستبدل مثلا بدينها ديناً آخر وبلغتها لغة أخرى كما حدث ذلك فى عهد الفتح العربى ومع ذلك تحتفظ مصر بروحها وفطرتها ، لأن ما ستأخذه الروح من القوالب سيكون عن طريق الوقوع تحت تأثير عوامل ومؤثرات وجدت طريقها للمحيط الاجتماعى والطبيعى ، ويكون بذلك صور متباينة تأخذها فطرة الشعب ، أو بمعنى آخر قوالب شتى ، غير أن قانون العادة يدخل لاستحداث المماثلة فى عقل ومشاعر الشعب فيكون من ذلك تماثل الثقافة التقليدية الجديدة فى سريرة كل فرد من أبناء الشعب

على هذا الوجه فقط يمكن تعليل تفسير القالب العربى للروح المصرية والذى تكون نتيجة لوقوع الروح المصرية تحت تأثير الثقافة العربية . وعلى نفس الوجه يمكن تفسير وجه قيام الثقافة الغربية فى مصر مع احتفاظ مصر بروحها وفطرتها .

وأظن أن هذا الايضاح كاف بقطع السبيل على كل اعتراض يمكن توجيهه من أن الثقافة الغربية لا تتفق والروح المصرية .

وكل الخلاف على ما يتبين أخيراً راجع إلى عدم التفريق بين الثقافة التقليدية والروح ، فعندما يقوم أنصار الثقافة الغربية بدعوة إلى مدنية الغرب يثور عليهم أنصار الثقافة العربية قائلين إن معنى ذلك ضياع الروح المصرية والقومية ، مع أن الروح شيء ثابت والثقافة شيء عرضي يتقوم بالروح وفطرة الشعب .

والآن لنتمش مع كلام الناظر في رده ولنعقب عليه بما يكفى لاظهار زيفه وبيان وجه بطلانه .

١ — نقلنا في صدر كلامنا في المقال الأول في الرد على مزاعم مناظرنا الفاضل كلمة عن هابل آدم بك الفيلسوف الاجتماعي المعروف . والكلام واضح بين في أننا بحكم كوننا في الحياة يجب أن نفكر فيها وحدها وأن نعمل لأجلها واقامتها على أساس انسانى بدون أن نجعل للغيب سبيلا للتدخل فيها . وهذه الكلمة تتجلى في صدر الحديث النبوى : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » . ومع ذلك رأى الناظر فيها غموضاً وحاول أن يتعسف بتأويل الكلام إلى أن معناه إنكار الآخرة . وقال وأين عجز الحديث: « واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »

يا صديقي ليس هكذا يكون الكلام !

قد يكون بدؤنا في طريق الله ونهايتنا في طريق الله ، لكن « الوسط مدرجة بيوتنا ومصانعنا وحوانيتنا، وبكلمة أخرى طريق بعضنا إلى البعض » يجب أن يكون مبدؤها ومردها الأول والأخير عندنا ، حيث يقوم العقل الانساني بتنظيم الحياة البشرية

هذا هو حقيقة كلام هابل آدم في ضوء تحليل مدلول عبارته التي استهل بها كتابه الخالد « مصطفى كمال للترك كتابي » الذى ترجم لأكثر اللغات الحية ونقل ملخصاً إلى العربية بقلم صديقنا الأستاذ اسماعيل مظهر عن ترجمته الانجليزية .

٢ — قلنا إن موضوع الخلاف بين ثقافة الغرب وثقافة الشرق يرجع إلى كون الثقافة الشرقية وقفت عند حدود الدرجة الثانية في سلم الارتقاء العقلي بعكس الثقافة الغربية فانها اجتازت هذه الدرجة إلى التي بعدها . ولا أدل على ذلك من بعض المراجعة لثقافة كل من الشرق والغرب في ضوء قانون الدرجات الثلاث الذى كشف عنه أوغست كونت

يقول أوغست كونت :

(إن كل فكراتنا الأولية ومدركاتنا وكل فروع معرفتنا لا بد من أن تمر على التوالى بثلاث حالات مختلفة : الأولى الحالة الخرافية وهى حالة تصورية تخيلية ، والثانية الحالة الغيبية وهي حال تجرد، والثالثة الحالة اليقينية وهي حالة تيقن)

ومع ذلك يجادلنا الناظر فليكس فارس مرجحا الحالة الغيبية وهذا قلب لقانون الدرجات الثلاث !

٣ — يرى الناظر متابعة لاعتقاده برجحان الحالة الغيبية أن ميزة الشرق هى في الحالة الغيبية وفي إيمانه بالغيبيات . وهذا القول لو صدر من شخص ليس في مكانة مناظرنا الأستاذ فليكس فارس — وهو على علم واسع وفضل راجح — لما اهتممنا له. ولكن صدوره من مناظرنا يجعله حدث الأحداث في عصرنا الراهن

وإذا كان وقوف الشرق عند الدرجة الثانية في سلم الارتقاء العقلي سبباً للاعتقاد بتفوق هذه الدرجة على ما بعدها ، فماذا يكون موقف مناظرنا إزاء أحد الزنوج أو متوحش افريقيا إن وقف يرجح الحالة الهمجية والحالة الخرافية اعتقادا منه بتفوقها على ما فوقها ، وقال لمناظرنا ما يقوله هو لنا ؟ إذن ماذا يكون منه الجواب ؟

٤ — إن قول الناظر برجحان الحالة الغيبية على الحالة اليقينية وإن كانت ظاهرة البطلان إلا أن هذا البطلان لا يمنعنا عن مناقشتها حتى لا يظن مناظرنا أن كلامه حق يعلو على التجريح والنقد

يقول العالم اليابانى « موريكاتو إيناجاكي » إن في كل عنصر بشرى استعدادا لأن يظن في نفسه الكمال . ويثبت هذا العالم هذه الحقيقة من حقائق علم النفس والانسان . وفي ضوء هذا القول نفهم اعتقاد مناظرنا برجحان ثقافة الشرق الغيبية ، ولكن ما هى الأسباب العلمية والفلسفية التى يبرر بها الناظر إيمانه بتفوق ثقافة الشرق الغيبية ؟

بحثت كثيراً في كلام الناظر وفتشت بين السطور عن الأسباب العلمية لايمانه بتفوق ثقافة الشرق الغيبية ، ولكن بلا جدوى . فرجعت لكتابه « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » فلم أخرج بغير « قانون الرجعى » سبباً في تفوق ثقافة الشرق الغيبية !

يرى الناظر أن العلم الحديث أكد وجود قوة مستترة فى الانسان أسماها العقل الباطن، وهى مستودع الفطرة والانطباعات السابقة، وهى نفسها تسير الآن متلبسة بمظهر الاختيار. وما العقل الباطن كما دلت التجارب إلا الحوافز التى وجدت فى الأجداد ونمت على اتجاه مقدور أيضاً زمن الطفولة. وهذه الحوافز تكمن فيها فطرة الأمم لأنها أداة شعورها بالحياة. وما دام الأمر كذلك فهو يرى أن سعادة المجتمع العربي فى ملاءمته لما فطر عليه هى الغيبيات لأنها استلهام للروح العليا

كلام كما تراه يخترمه التناقض ومجانبة الحقائق. ومع ذلك فلننظر فيه

من المعلوم أن الانسان بتكوينه الطبيعى يستجيب للمؤثرات الداخلية والخارجية استجابة ذاتية Spontaneous response وهذه الاستجابة مرتبطة فيه بأنصاف الكرات المخية التى هى أعضاء رد الفعل فى الانسان. وترتبط بهذه الأنصاف الكروية المخية الوراثة والعقل الباطن. بيان ذلك أننا لو أتينا بكلب ووضعنا أمامه قطعة من الحلوى فان لعاب الكلب يسيل. هذه الظاهرة تحدث بتأثر ذاتى فى الكلب ومن غير أن يكون للتجربة يد فى تغييره أو تكوينه؛ ومن هنا تعتبر فعلاً عكسياً أصيلاً. وهذه الأفعال العكسية الأصيلة هي ما كنا نسميها من قبل بالغرائز. فالغرائز مجموعة من الأفعال العكسية مندغم بعضها فى بعض كما هو الحال فى غريزة بناء الطيور لأعشاشها. غير أن هذا الفعل العكسى الأصيل وإن كان يحدث بقاسر ذاتى فى الأحياء العضوية لايتغير فان ذلك وقف على الأحياء الدنيا. أما فى الأحياء العليا فى سلم المملكة الحيوانية فان سلوك هذه الحيوانات وإن كان مرتكزاً على استجاباتها بقواسر ذاتية للمؤثرات فانها تستفيد من التجارب، إذ تترك التجارب أثراً بيناً فى سلوكها. والانسان كأحد أصناف المملكة الحيوانية العليا يخضع لنفس هذه السنن. والأفعال العكسية المستفادة من التجارب موصلة لأنها مكتسبة يكتسبها الحى من ظروف حياته كنتيجة لما يلابسه من مؤثرات؛ وهذه الأفعال تختفى وتضمحل إذا ما تناءت المؤثرات. ولما كانت الأفعال العكسية فى الأصل تحدث بقاسر ذاتى مصحوبة بحركة انفعالية جاز لنا أن نعتبر الأفعال العكسية الموصلة — وهى المستفادة من التجارب — كنمو ارتفاقى فى الأفعال العكسية الأصيلة.

ولما كانت هذه الأفعال تقوى وتضمحل وتضعف وتتغاير باضمحلال المؤثرات وتغايرها، فان مراكزها فى الكرات النصفية المخية تكون قابلة لدرجة قليلة أو كبيرة لأمكان تكون الانعكاسات الموصلة حيث تعتمد فى قوتها على التكرار الاصطحابى كما أن ضعف أواصر التلازم أو تقطعها يؤدى إلى ضعف الانعكاس الموصل أو اضمحلاله. غير أنه يعود بصورة أيسر لأنه يكون قد ترك أثراً فى الحى من جانبه الأولى الارتفاقية. وهذه الحقائق باثباتها ديناميكية خاصة للنفس وساحة لا شعورية تبين إلى أى حد قد جانب الناظر فى كلامه حقائق العلم. لأن الحوافز التى بالأحياء نتيجة للارتباط الارتفاقي بين الأفعال العكسية الأصيلة والموصلة وليست نتيجة للوراثة. وهذا لا يمنع أن الانسان يولد وفى تضاعيف تلافيف مخه، وفى ثنايا أنصاف كراته المخية، وفى لحائها، وفى مراكز أعصابه ميول وكفايات امكان لبعض الأفعال الموصلة. والانسان بخروجه لعالم الحياة يكون جهازه العصبى فى طور نمو وتكوين إذ تسيطر عليه الأفعال العكسية سيطرة مطلقة، وهذه الأفعال مجردة... ويكون للمؤثرات التى تلابس الانسان أثراً فى أن تحدث استجابات تكون مقدمة لفعل عكسى موصل. فاذن العلاقة بين ما هو كائن فى النفس عن طريق الوراثة لا تتعدى الامكان المحض. وهو تحت تأثير المؤثرات يظهر مصحوباً به. فالاعتقاد بوجود أساس وراثى يرثه الانسان ويتركب عليه مكتسباته لا يتعدى هذه الحقيقة. وهو لا يثبت دعوى أن اللاواعية أو العقل الباطن يحتوى على الحوافز المتوارثة عن الأجداد

فاذا لاحظنا هذا كله وجدنا أن للمحيط الاجتماعى وما يعرض له من العوامل والمؤثرات الأثر الأكبر فى تكوين الانسان على غرار معين... وإذاً يكون اتجاه الناظر إلى الوراثة والحوافز المتوارثة عن الأجداد — وهي حالات إمكان فى النفس — خطأ من الناحية العلمية، ويكون بالتبعية اعتقاده فى سلامة وسعادة المجتمع لما فطر عليه من الحوافز المتوارثة خطأ. والصحيح أن يقال إن الانسان من حيث يولد وهو طفل وأفعاله العكسية الموصلة هى التى تستحكم فى جهازه العصبى، وبتعبير أدق غرائزه، يكون مطواعاً للمؤثرات التى يحتويها محيطه الطبيعى والاجتماعى، ويخرج مصبوبا فى قالب معين يكافىء الحالات التى أحاطته. ونظراً لأن المحيط الطبيعى والاجتماعى عادة واحد فى الحالات الاعتيادية

فان المؤثرات تكون واحدة، ومن هنا يخرج الناس فى قبيل معين وجيل معين مصبوبين فى قالب معين . وقانون المادة يتدخل لاحداث المماثلة فى القالب المصبوب فيه القبيل حتى ينتهى لذلك . أما فى الحالات التى تكون فيها المؤثرات فى المحيط الاجتماعى متباينة ، فان القبيل يخرج فى قوالب شتى جاءها يكافىء الحالات التى يتضمنها المحيط الاجتماعى؛ وهذا ما هو حادث اليوم فى مصر. فان أهل المدن من الطبقة المتوسطة وفوق المتوسطة يعيشون على غرار غربى، لأن العوامل التى فى محيطهم الاجتماعى متأثرة بالروح الأوربية ، بعكس أهل الريف الذين يعيشون على غرار شرقى . وهذا الانقسام فى المجتمع المصرى ملحوظ للنظر .

وإذن تكون نقطة الخطأ فى كلام المناظر ، بل الخطأ الأساسى هو إغفاله للمؤثرات الطارئة التى تدخل فى المحيط الاجتماعى، وتؤثر فى المجموع الانسانى ، وتصبهم فى قوالب جديدة تكافىء المحيط الاجتماعى فى الصورة الجديدة التى أخذها بالمؤثرات التى طرأت عليه . وهذه الحقيقة تتبين من نظرة سريعة فى كتاب « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » .

ولقد كشفنا عن هذه الحقيقة فى النقد الذى كتبناه فى مجلة « العصبة الأندلسية » فى عددى فبراير ومارس سنة ١٩٣٨ لكتابه ، وهى تبين أن المناظر يمضى فى كلامه مغفلاً شأن العوامل والمؤثرات التى تجد طريقها إلى المحيط الاجتماعى للشرق العربى . ومن هنا نرى أن الشرق العربى شاء أو لم يشأ مفكروه سيمضى فى سلسلة من التغايرات حتى ينتهى إلى أن يحوز المكافأة للمؤثرات التى دخلت محيطه .

« اسكندرية » اسماعيل احمد أدهم

كتاب المبشرين الطاعن فى عربية القرآن

أمسلم مصرى أم مبشر بروتستنتي؟

لأستاذ جليل

— ١ —

اقترحت وزارة المعارف المصرية ذاك المقترح في تيسير (القواعد) ، وأعلن أولئك الفضلاء (الميسرون) منهجهم ، فقال قائلون من العلماء لما رأوه : إن هذا التيسير تعسير ، وإنما تسهيل القوم تصعيب . وتجادل الفريقان فى الجرائد والمجلات والكراريس . و (كتاب العربية) يقول : «فأما الزبدُ فيذهب جُفاء وأما ما ينفع الناسَ فيمكث فى الأرض »

والعربية هى كسائر اللغات وليست بأصعبهن ، وإنْ نحوها — وإن لطفت دقائقه وجلت حقائقه — إلا كنحوهن

وليست المشكلة فى صعوبة اللغة أو سهولتها ولا فى (قاعدتها) وإنما هى فى (المعلم والكتاب) فهما اللذان يسهلان ويصعبان ، وهما اللذان يهديان ويضلان ، وهما اللذان يحبّبان إلى الفتى لغته أو يكرّهان . فالمعضلة كل المعضلة هى فى المعلم وعلمه وتعليمه وكتاب كل صف من الصفوف وتبويبه وترتيبه وتبيينه . ولو عزت الوزارة هذين لقرطست

ومن ظن أو أيقن أن تقريب العربية أو تسهيلها هو فى تهديم قواعد فيها — فهو مهوّس يهذي ، أو موسوس يلغو . وليست اللغة العربية ملك كاتب أو كويتب ، أو أديب أو أُديّب ، أو عالم أو عويلم ، حتى يتصرف فيها تصرُّف المتملكين ، كلا ، ثم كلا . إنها تراث قرون وملك أمم ، فأين يذهب بكم يا لاعبون ؟

واللغات فى المشارق والمغارب إنما يقدم فيها ويؤخر ، ويلغى ويلحق ، وينقص أو يزيد ، ويحيا أو يبيد — فانه لا يفعل ذلك إلا الاحتياج الطبيعى أو الانتخاب الطبيعى (La sélection naturelle) وإلا الدهر، لا اللاعب العابث ولا الجاهل الغر. ولقد كان التبديل

الطبيعي في هذا اللسان في كل عصر . ولو استمرت تلك المدنية، ولولا التتر والصليبيون المخربون في الشرق ، والفرنج الجاهلون المدمرون في الأندلس في الغرب، لرأت الدنيا من ارتقاء العربية كل عجيبة

***

كان مفترح الوزارة أو فتنة الوزارة ، وجاء شر يقفوه شر ، وأهرأ مهرئون ، وانبرى الصبيان يقولون ، ونطق الرُّوَيبِضة[1] و « استنَّت الفصال حتى القرعى[2] » ثم جاءت الطامة الكبرى: أعني الضلال الضالّ في مجلة في القاهرة ؛ فقد نجم فيها ناجم وتهدَّم على هذا اللسان العربي وكتابه الكريم بالقول السخيف مُشَيِّماً بالرأي الركيك والصنع اللئيم . ولو اقتصر هذا الخارجي على بقبقته في تقويض (القواعد) أونسفها ما بالبناء بالةّ ولقلنا : إنما هو ضحكة جاء بأضاحيك، فليضحك الضاحكون؛ لكنه شاءأن ينقلب لُعنةً يلعنه اللاعنون ؛ فقد تمسك هذا الكاتب في هاتيك المجلة بالذيل أو (التذييل) لكتاب (مقالة في الاسلام) لجرجس سال الانكليزي (وهو الكتاب الذي نشرته جماعة التيسير بل التضليل من البروتستانت في مصر) وانجرأ واستجر مسلم ابن مسلمين — يا للأسف — للطاعنين في الدين، والمقُدِّمين وقحين على تنقص القرآن وتغليطه في العربية ... !

وهذا هراء صريح(التضليل)! وهذا بَذاءصاحب(التذييل)! فاسمع — ياأخا العرب — غرائب العصر ، ومضحكات في مجلات في‌مصر ؛ بل شاهد أشراط الساعة، بل انظر أهوال يوم القيامة !

***

قال الكاتب المسلم في المجلة :

« وإلا فكيف نعرب كلمة (الصابرين) في قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء) كيف نعرب كلمة الصابرين المنصوبة هنا مع كونها معطوفة على جميع المرفوعات التي سبقتها إلا إذا عاوننا المفسرون ؟ »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت :

« وإذ قد تقرر هذا فلنشرع في تعقب خطئه. قال في سورة البقرة : (ليس البر الآية) وكان الوجه أن يقول والصابرون لأنه عطف على قوله والموفون، لكن المفسرين قالوا إنه نصب الصابرين على المدح »

قال الكاتب المسلم في المجلة :

« وقوله تعالى : (رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) فنفهم المعنى وإن فات بعضنا سر جزم (أكن) مع مجيئها معطوفة على فعل (أصدق) المنصوب بفاء السببية ! »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت :

« وقال في سورة المنافقين (وأنفقوا مما رزقنا كم من قبل أن يأتي أحد كم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) بجزم أكن والوجه وأكون بالنصب »

قال الكاتب المسلم في المجلة :

« وقوله تعالى : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) فنفهم معنى الآية وإن كنا لا نفهم لماذا قال (كن فيكون) بدلا من كن فكان ما دام سياق الرواية كله في صيغة الماضي »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت :

« وقال في سورة آل عمران : (إن مثل عيسى الآية) والوجه فكان ، وفي هذا الموضع يقتضيه بصيغة الماضي »

قال الكاتب المسلم في المجلة :

« وقوله تعالى : (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا » فنفهم المراد وإن عجبنا لتأنيث العدد مع أن العدد مذكر،وإن قيل لنا إن

(١) الرويبضة : الرجل التافه ينطق في أمر العامة ، ونطقه من أشراط الساعة كما جاء في حديث

(٢) من أمثالهم قول الميداني في (مجمع الامثال) : يضرب للذى يتكلم مع من لا ينبغي أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره. والقرعى جمع قريع مثل مرضى ومريض، وهوالذى به قرع، وهو بثر أبيض يخرج بالفصال ودواؤه الملح

السبط يذكر ويؤنث فسنظل نعجب من جمعه المعدود ونتساءل لماذا لم يقل اثنتى عشرة سبطا »

وقال كتاب المبشرين البروتسانت : « وقال فى سورة الأعراف (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا) فأنث العدد وجمع المعدود والوجه التذكير فى الأول والإفراد فى الثانى كما هو ظاهر »

قال الكاتب المسلم فى المجلة : « وقوله تعالى : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون[1] من آمن بالله ... الخ) فنفهم معنى الآية ويدهشنا فى الوقت نفسه رفع (الصابئون) رغم كونها معطوفة على المنصوبات التى قبلها وكلها واقعة فى اسم إن »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت : « وقال فى سورة المائدة : إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والوجه ان يقول والصابئين »

قال الكاتب المسلم فى المجلة :

« وقوله تعالى : (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله وباليوم[2] الآخر) فنفهم أيضاً معنى الآية ونحن لا ندرى من سر نصب (المقيمين الصلاة) مع كونها معطوفة على المرفوعات التى سبقتها وأعقبتها إلا ما يقوله المفسرون من أنها وحدها منصوبة على التخصيص »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت : « وقال فى سورة النساء (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر) وكان الوجه أن يقول والمقيمون الصلاة كما قال بعده والمؤتون الزكاة . هذا ما تقتضيه القاعدة إلا أن المفسرين زعموا أنه نصب المقيمين الصلاة على المدح »

فسطور (المضأل) — كما يرى القراء — هو مكتوب (المذيل) وقد نتش (المسلم) أقوال (المبشر) وأربى عليها ذاك المزأة باستهزائه بآيات (الكتاب) . وهل قوله « وإن كنا لا نفهم لماذا » « فسنظل نعجب » « ويدهشنا فى الوقت نفسه » — إلا تهكم ؟!

وقد تترّس الكاتب فى المجلة بقوله (وقوله تعالى) وما حكى (وقوله تعالى) ومسىء إلى إسلاميته وعربيته ومصريته وشرقيته بتصديق الحاقدين الجاهلين ومظاهرة المبشرين رسل الغربيين المغيرين — إنما هو أعزل، وإنما هو أكشف، وإن استجن بكل ترس أو مجن

وسأبين جهل الجاهل وضلال الضال تبييناً .

الاسكندرية (***)

(١) كذا فى رواية الكاتب فى المجلة

(٢) كذا فى رواية الكاتب فى المجلة

فلسفة الأسماء

للأستاذ السيد شحاتة

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

القديم والحديث من الأسماء

الأسماء عنصر تاريخى مهم إذ نعتمد عليها كثيراً فى الاستدلال على مختلف التقلبات السياسية والاجتماعية ، وترشدنا إلى مقدار النفوذ والسلطة لطائفة أو فرد فى أيام معينة، كما أن منها ما يتناساه الناس حيناً من الدهر خوفاً من بطش الجبابرة . وقد قالوا إن الناس كانوا يتحاشون تسمية أبنائهم بأسماء علوية خوفاً من بطش الأمويين

هـذا إلى أن الأسماء تبين أوضح بيان ولع المغلوب بالتشبه بالغالب ومحاكاته ، فمصر فى أيامها الحديثة غلبت عليها أسماء تركية أيام أن كانت تابعة للعثمانيين ، وسار بعض الناس فى تيار الأسماء الأجنبية بعد الاحتلال . كما أننا نجد الأسماء الفارسية واليونانية تشيع أيام العباسيين مما يدل على نشاط هذه العناصر وقوتها فى تدعيم أركان الدولة

وقد ينتاب الناس نوع من الاندفاع فيأخذون باسم مخصوص فتكثر التسمية به ويزيد الاقبال عليـه . وقد لاحظت ذلك فى مواطن معينة من القطر المصرى فوجدت اسما مخصوصاً يشيع فى الفيوم وآخر يفشو فى طنطا وثالثاً يذيع فى المنصورة وهكذا .. وليس لذلك من سبب إلا وجود كبير أو ولى يشتهر فى كل إقليم

وإننا لندرك عنـد البحث أن هناك أسماء بادت وانقرضت فلا يسمى الناس بها الآن إلا نادراً (أم الخير . ست أبوها . زنوبة . زهرة . حنونة . مصطفية . مريم — عمر . سالم . جرجس . حنا عثمان) وكثير من الناس اعتادوا فى العصر الحديث أن يسموا أبناءهم بأسماء مستحدثة ينظر فيها إلى التجديد والابتكار والرشاقة اللفظية (نبيل . سمير . كميليا . سوسن . آمال . سهير)

كما أن هناك أسماء أخرى يميل أصحابها إلى الشذوذ والغرابة لاعتقادهم أن التسمية تحفظ صاحبها من العين والحسد، أو أنها تطيل العمر فتجد من يسمى (دحيكة . حلوتهم . حلوس . الفص . قطش . بعزق . بندق . مليم . أبوقرشين) وهناك أسماء تدل دلالة صريحة على الوطن، فعندنا فى الصعيد مثلاً أسماء مخصوصة قل أن تجدها فى الوجه البحرى (أبوعميرة، وأبو ستيت) ومن الأسماء ما يدل على الجنس كالأسماء الأرمنية فكلها تقريباً تنتهي بـ (يان) (ملكونيان ماتوسيان بابازيان ساروخان يعقوبيان)

الألقاب

لم تعرف اللغة العربية تفخيما فى الأسماء قبل عهد العباسيين، وإنما نشأ عن اختلاط الفرس بالعرب إبان الدولة العباسية أن تأثر العرب بالمغالاة فى التعظيم والتفخيم ، فكانت أسماء الملوك لا ينطق بها أصلا وإنما يطلقون ألقاباً للتعظيم اشتهرت حتى أصبحت أعلاماً (الرشيد — الهادى — الأمين — المأمون)

وفى أزمنة الغلو الدينى والتشيع المذهبي يقترن لفظ الجلالة بأسماء الخلفاء والأمراء (الحاكم بأمر الله والعزيز بالله والواثق بالله) وقد يتجرد الاسم عن لفظ الجلالة (المعتمد — المعتصم — المعتضد) مما دعا ابن شرف القيروانى إلى أن يقول :

مما يزهدنى فى أرض أندلس   أسماء معتمد فيهـا ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها   كالهر يحكى انتفاخاً صورة الأسد

وفى تركيا درج الأتراك منذ الزمن القديم على طريق ذكر الاسم مجرداً عن اللقب، إلا أنه فى العهد الأخير قرروا أن يتخذوا ألقاباً تدل على أسماء تركية يظهر فيها معنى تاريخى أو قومى . فقد تسمى رئيس الجمهورية (أتاترك) ومعناها (أبوالترك)، كما لقب رئيس وزرائهم عصمت باشا بلقب (أون أونو) وهو اسم لبلدة ريفية كانت فيهـا الموقعة التى انتصر فيها الترك على اليونان فى حرب الأناضول

وما تزال الأسر العريقة تشفع اسمهـا بألقاب مأخوذة من أسماء المقاطعات التى ينتمون إليها (دوق برابانت) — (برنس أوف ويلس) — (دوق يورك). وإن إطلاق اسم أمير الصعيد على صاحب السمو الملكى ولى العهد المحبوب لمن هـذا القبيل . ولدينا فى مصر بعض من الطرق الظريفة يلجأ إليها الناس فى التسمية والتلقيب، فمن ذلك بعض الأسماء التى تطلقها بعض الجرائد والمجلات على كثير من الناس والهيئات فإذا بتلك الأسماء أشهر

من الاسم الحقيقى . وفى كثير من الحوادث والمناسبات يشتهر إنسان باسم خاص فيصبح لقباً لأسرته من بعده لايجيد الناس عنه

كما أن ببلادنا نوعاً غريباً من التلقيب وهو دلالة الكنى على أسماء معينة : مصطفى (أبو درش) يوسف (أبو حجاج) حسن (أبو على) إسماعيل (أبو السباع) على (أبو علوة) ابراهيم (أبو خليل) محمد وأحمد ومحمود (أبو حميد) كل اسم مصدر بعبد (أبو عبدة) سليمان (أبو داود)

وقد جرت مصر على عادة الألقاب ففيها ، كلتا (أفندى) و (شيخ) وهما تمنحان بلا حساب ولا رقيب ، ولقب حاج ويقابله عند المسيحيين المقدس ، ولا يلقب بهما إلا من تمتع بالوصول إلى الأماكن المقدسة . وأما بك وباشا فهما من حق صاحب الجلالة مولانا الملك ينعم بهما على من يشاء . ومن الألقاب التى تملكها كل سيدة لقب (هانم) إلا أن العرف والعادة خصت الفتاة قبل الزواج بالآنسة وأطلقت عليها بعد الزواج لقب (السيدة) وقد سار الغربيون على عادة ذكر الزوج بعد اسم زوجته بدل أبيها . ولقد حاكاهم أخيراً كثير من المصريين وشاعت هذه الطريقة الآن . ومن أشهر من سمي بها (صفية زغلول . هدى شعراوى) وكثيرات غيرها

وقد درج النـاس على أن ينعموا بأحد اللقبين الشعبيين (أفنـدى وشيخ) على من يشاؤون ، يسمون من كان مطربشاً بالأول ومن كان معمما بالثانى ، وفى ذلك من الحيد عن وجه الصواب ما فيه . أما الشيخ فهي كلة عربية ومعناها (من تجاوز سن الشباب) أو (من توفرت له حكمة الشيوخ وفضلهم ولو كان شاباً) أما الأفندى فهى كلة تركية كانت تطلق على ولى العهد فى تركيا زمن الخلافة ، ثم نقلت إلى مصر وشاعت فيها . وانجلترا تسير على نظام الألقاب (مستر وسير ولورد) أما فرنسا فقد ألغيت فيها الألقاب ولم يبق للعظيم والحقير إلا كلة (مسيو)، وكذلك فعلت تركيا فى عهدها الأخير . وفى سوريا قررت الكتلة الوطنية هناك إلغاء جميع الألقاب من باشا وبك وأفندى وصاحب الدولة والفخامة والعزة والاستعاضة عن كل ذلك بلقب (السيد)؛ وقد قابلت الطبقات السورية كلها هذه الخطة بالمدح والاستحسان . أما فى مصر فقد صدر قانون منذ خمس سنوات يحرم ألا يلقب بلقب إلا من أحرزه، فقلل بذلك الألقاب الزائفة

إلا أن الأمر مع الأسف اقتصر على المكاتبات الرسمية والصحف. أما فى غير ذلك فلا زال الناس يكيلون بغير حساب . وحسناً تفعل الحكومة المصرية لو أنها ألغت جميع الالقاب فيصبح الناس متساوين ولا فضل لأحد على أحد إلا بعمله ونبوغه وقدرته

غرائب التسمية:

للأسماء غرائب مدهشات نذكر بعضاً منها :

جرت العادة أن يعرف الانسان باسمه واسم أبيه وأسرته، إلا أننا فى كثير من الأحيان نجد الاسم يطغى على اسم الأب والأسرة فكثير من الناس قد يعرفون الملك أو العظيم باسمه فقط على أنهم يجهلون اسم أبيه

ومن عجائب الأسماء ماشاع اليوم من إطلاق اسمين على مسمى واحد ، يظهر ذلك فى الذكور والإناث (محمد طلعت — محمود شكرى — زينب كميلة — فاطمة ثريا — ثروت هانم) . وفى مصر من أعجب الأسماء أننا نسمع عن اسمين أحدهما أخ الآخر ، ولكننا لا نلمح أى اتفاق فى اللقب حتى ليكادان أن يكونا متباعدين (إسماعيل صدقى أخوه محمد نجيب شكرى . عبد الخالق ثروت أخوه مصطفى رياض . أمين أنيس باشا أخوه محمد بك رياض) وتلك طريقة غريبة تضيع معها ألقاب الأسرات بمرور الزمن . ومن أغرب ما سمعت أن المدارس المصرية فى عهد المغفور لهما محمد على وإسماعيل كانت تطلق أسماء جديدة على تلاميذها يعرفون بها فى المدرسة ويشتهرون بها فى الحياة العامة

وفى الصين نجد معظم السكان لا تتعدى أسماؤهم أربعة (شانج — وانج)

وكل مسمى فى الغالب له حظ من اسمه فالذى اسمه (ماهر ، ذكى ، سعيد) ينال فى الغالب شيئاً من دلالة اسمه . و (فؤاد ، فاروق ، فائزة ، فوزية ، فوقية ، فايقة ، فتحية) أسماء بدأت بالفاء : فكل من يسمى بواحد منها يتفاءل أولا لأنها أسماء ملوك وأمراء ، وثانياً لأن فيها معنى الفوز والفتح والفضل

والذين ينجمون ويتعرفون حظ الانسان ويكشفون له عن مستقبله كل عمادهم على الأسماء : فهم يرون فى حروف كل اسم ما يدل على حظ صاحبه وما قدر له فى عالم الغيب ، ولهم فى ذلك طرق كثيرة : منها أنهم يقسمون الحروف طوائف وكل طائفة منها تدل على معان خاصة يتصف بها صاحب الاسم الذى تغلب

فيه هذه الحروف . ومنها أيضاً أنهم يجمعون الأعداد الدالة على الحروف وهو مايعرف عندهم (حساب الجمل) فيجمعون اسم الشخص واسم أمه ثم يسقطونها سبعة سبعة ، والباقي يدل على حظ صاحبه

الأسماء واللغة

اصطلح علماء العربية على تقسيم الأسماء الأعلام إلى ثلاثة : كنية وهي المصدرة بأب أو أم (أبو طالب ، أبو الفضل ـ أم كلثوم أم الخير) ولقب وهو ما أفهم مدحاً أو ذماً (الرشيد ، الفاضل، الجاحظ، السفاح) والثالث اسم وهو ما سمي به الانسان (أحمد، علي ، فرج ، سليم)

ولو تتبعنا معظم الأسماء لوجدناها تقريباً (من المشتقات) فنها أسماء فاعلين (حامد ، قاسم ، راغب ، ماهر ، عادل) ومنها أسماء مفعولين (محمود، منصور، معروف، مبروك ، مسعود) ومنها صفات مشبهة : (سعيد ، بخيت ، منير ، كريم ، ذكي ، نبيل) إلا أنه على الرغم من كونها مشتقة فاننا نعتبرها من القسم الآخر وهي أنها جامدة

كما أن هناك كثيراً من الأسماء يختلط فيها المذكر بالمؤنث (عطية، إحسان، ثروت، آمال ، رجاء، صوفي) واللغة العربية تنزل المذكر المسمى باسم من هذا النوع منزلة المؤنث فتمنعه من الصرف

اقتراح

وأخيراً لقد تقدم عالم أمريكي وقال إن الأسماء قد كثرت كثرة عظيمة ، وصارت من أسباب الفوارق بين الشعوب بل بين أبناء الأمة الواحدة لدوافع دينية، فهو لذلك يقترح الاستغناء عن الأسماء بتاتاً وتسمية الناس بأرقام فيقال مثلا (٤٣ ابن ٣٥) وهكذا . ولذلك سوابق ، فالمسجونون والعساكر وعمال الترام يعرفون في معظم الأحوال بأرقامهم

والانجليز يشيع بينهم اسما (جون) و (إسميث) حتى ليبلغ عدد من يسمون بهذين الاسمين في انجلترا مليوناً من السكان

وفي مصر نجد الأغلبية العظمى يشيع بينها (محمد ، محمود ، أحمد ، علي)

وللألقاب كذلك غرابة : فبعضها يدل على معان غريبة ، ربما كانت ثقيلة ، ولكنها اشتهرت فأصبحت سهلة ذائعة مقبولة (البلط ، الجحش، أبو شوشة، البرش. أبوشناف، عجور، شبايك)

الأسماء والقانون

جرت العادة أن يطلق الاسم على الطفل فتسجله القابلة في سجل أعد لذلك بمكاتب الصحة ، ومتى عرف الابن أو البنت بهذا الاسم فلا يجوز تغييره إلا بشروط خاصة ، أن يتقدم الطالب إلى بعض الجهات القضائية ويدفع رسماً خاصاً ، ويأتي بشهود ويسجل اسمه الجديد ، والغرض من هذا التشديد في التغيير تضييق السبل أمام من يريد الفرار من حكم القضاء أو من دين عليه . وكثير من النـاس يتقدمون لتغيير أسمائهم إما لأنها مكروهة في نطقها أو لاشتهارهم بغيرها بين الناس

وهناك كثير من الناس لهم أسماء رسمية وأخرى عرفية : فالأسماء التي سجلت في سجل الميلاد هي الرسمية ، وقد يعرفون بغيرها عرفاً واصطلاحاً بين مواطنيهم ولكن الأحكام القضائية والشهادات الدراسية تصدر بالاسم الرسمي

الأسماء والحظ

التفاؤل بالأسماء والتشاؤم بهـا قديم جداً ، فقد كان قدماء المصريين يتفاءلون بأسماء آلهتهم فيسمون بها أو ينسبون إليها (خفرع ، آمون ، حتب ، توت عنخ آمون) وكان العرب يسمون أولادهم بأسماء يتشاءم منهـا (تأبط شرا ، أبو الغول، أبو لهب ، أبو جبل) وفي نفس الوقت يسمون عبيدهم بأسماء يتفاءل بها (الفضل ، جوهر ، فرج ، سالم ، سرور) وقد سئل بعضهم في ذلك فأجاب : (إنما سمينا عبيدنا لنا، أما أبناؤنا فسميناهم لأعدائنا) ومما يؤثر : أن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم حينما بشروه بولادة النبي قال سموه (محمداً) فاني لأرجو أن يحمد في الأرض وفي السماء ، والمسلمون يتفاءلون دئماً بهذا الاسم المبارك الكريم

ولكن الاسم فيه معنى من معاني التكريم للانسان والسمو إلى منزلة يتفرد بهـا ويمتاز عن غيره من المخلوقات ، فلو أخذنا بنظام الأرقام كان ابن آدم سلعة من المتاع ولكن من يدري :

فالليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

السيد شحاته
المدرس بالجامعة الأمريكية

خواطر ورمـــوز

للأستاذ عبد المنعم خلاف

١ — أطماع لا حد لها

تكتب يد بليدة ما رأته عين ضيقة فى الدنيا الواسعة ذات الأبواب التى لا عدد لها ، كتابة المتعجل الذى يريد أن يرى ويسجل قبل الرحلة التى لا رجعى بعدها هنا …

ورحلتنا من هنا قد حملت كثيراً من الركب على أن يتخففوا ما استطاعوا ، وأن يمروا على أشياء الدنيا بالنظرة الخاطفة ، والخطرة العابرة ، إيماناً بأن كل شىء هنا للفناء والعفاء ، فلا غناء فيه ولا وراء من أخذه فى الحس وتسجيله فى النفس والطرس بالتأمل والدرس

بيد أن كل هذه الأضواء الفانية ، والألوان الفاصلة ، والرؤى المتلاحقة ، والدنيا التى تمتلىء وتفرغ كل لحظة … هى أحق شىء بالتسجيل وفتح الأعين الخفية عليها من غير إغماض أبداً فانا عشنا حياة أخرى ، وهو الموقن به فى إلهام الروح ، والمحكوم به فى إثبات العقل ، فان أمتع شىء لنا هناك أن نستعرض صورنا هنا يوم تمحى هذه الأرض من الوجود ولا تبقى إلا فى النفس الانسانية كمرحلة من مراحلها فى سيرها إلى غايتها المجهولة

ولكن الألفاظ ضيقة والدنيا واسعة والحياة سريعة السير . فلا أدرى هل أنا مستطيع أن آخذ فى ألفاظى الضيقة ما أريد أخذه حتى أشعر يوم يقبل اليوم النهائى أنى خارج من الدنيا ممتلىء الأوعية « بأفلام » طويلة كاملة الاخراج ؟

أنا فى إرهاق دائم بمطالب العيش ومشاكل الناس وضرورات الأبدان … وإنما أنظر إلى ما أمام الستار وما وراءه ، فى فترات قصيرة كفترات الأحلام .

فما لى على إدراك هذا يدان ولا قدرة إلا أن يضاعف صاحب الحياة من قوى نفسى فيمدنى بعيون كثيرة وآذان كثيرة « وعدسات » كثيرة .

من لى بمن يدمجنى فى كل شىء حتى أتحدث عنه كأننى هو متحدثاً عن نفسه ؟ !

فيا أيتها الدنيا البُعدى … ! اكشفى لى القناع واهتكى أستارك لتلك العين الضيقة التى أرمدها السهر على بابك ، وولهها الدنو من رحابك ، حتى ما وراء الستار .

فان مبالغ علمى بدنياى أن أولها : أنا … وثانيها الأرض … وثالثها : السماء .. ورابعها : أنا غير الأولى .. وخامسها : هؤلاء جميعاً ! …

فهات يا دنيا ! املئى يدى وفمى وكل وعاء فىّ … إنى واقف أنتظر الكنوز الموعودة … يداى ما زالتا مبسوطتين منذ أن عرفت … وفمى فاغر إلى فوق ، . وعيناى كهفا ظلام لم تقتما بما ينفذ إليهما من هذا الضوء الذى تراه أيضاً كل العيون الضالة فلا يهديها …

٢ — والمحصول ؟

ولكن …

هل فى الدنيا إلا طريق واحد تذهب فيه الأقدام طولا وعرضاً على الشوك والحصى والغبار ، ثم تنتهى إلى الحفرة التى لا تشبع أبداً من الجثث والحطام ؟

وهل أنا عالم بذلك علم الذى ينظر الخواتيم دائماً فى البادى ؟

وهل لا يزال يزيغ حواسى ذلك البريق الخالب فأجرى وراءه وأنا أعلم أنى أجرى إلى لا شىء ؟

أو لم أجرب العناوين وما وراءها ودنيا الألفاظ التى تضع الأسماء ليعيش الناس بها فقط ؟

وهل أذهب كما ذهب أكثر الناس غريق الوهم والسعى المُكْدِى إلى الأصفار التى غرنا منها أنها تعد أيضاً كما تعد الأرقام ؟

ما ذا وراء التراب المزوق يا أولى الألباب ؟ إملأوا منه أواعيكم ما شئتم … !

ما ذا وراء التجارة بالألفاظ أيها الحكماء ؟ املأوا الصحف بها ما أردتم … !

فليس فى الدنيا إلا يوم واحد تفرغه الشمس أضواء وظلاماً على أجسادنا فتبنيها ثم تبليها به …

والأرض دائماً تقرع بالأقدام … والصبح دائماً معه صوت الطير … والليل دائماً معه نجومه … والمحصول عدد لا نهائى من الأصفار !

مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

٦ – رطل عنب

كان عندنا منذ أسبوع عمال أنفذهم صاحب المنزل ليصلحوا شيئاً في الدار. وابتغاهم من الأرمن ولم يسمع نصيحتي اليه بأن يستبدل بهم عمالاً من أهل البلد، وتعلل علي بأن هؤلاء أجود عملاً، وأقل كلفة. ولقد وجدتهم والله كما قال: عملوا في اليوم ما لا يعمله غيرهم في الثلاثة، فكنت أرقبهم وأدرس طبائعهم فما أنكرت منهم شيئاً حتى أظهر الظهر وزال النهار، فقطعوا العمل، وقعدوا يأكلون ويستريحون، فلم يجدوا العنب، والعنب الأحمر في الشام قوام حياة العامل لقلة ثمنه، وكثرة فائدته، وإن من يأكله إنما يأكل الصحة والقوة ثمراً شهياً، فبعثوا أحدهم بقروش ليشتري لهم رطلا، ولبثوا ينتظرون... فمضى ربع ساعة وربع آخر، وربع ثالث، ولم يحضر، ثم جاء يلهث من التعب، فلم أتمالك أن صحت به:

— أين كنت ياهذا؟ أرحلت في طلب العنب، والعنب ملء الأسواق؟

— قال: لقد اشتريته من (البرامكة)؟

— قلت: من البرامكة؟ على مسافة كيلين اثنين؟ ولم هذا العناء؟...

— قال: لم أجد بائعاً أرمنياً إلا هناك!!...

٧ – أبوه!

أخبرني صديق لي من جلة العلماء، قال:

كنت أتولى المدرسة الخيضرية، وهي من المدارس القديمة في دمشق، فجاءني ذات يوم شيخ هرم عليه ثياب أخلاق، وعمة بالية، فأقبل على استحياء يسألني عملا في المدرسة وظيفته خمسة أرغفة في اليوم. فأعطيته الذي يريد، ولم أسأله عن نفسه حتى مرت أيام، فخبرني أن له ابناً، ولكن ابنه يعرض عنه وينكره، فعجبت من ذلك وقلت له: من هو ابنك؟

— قال: فلان!

فلما سمعت الاسم صعقت، وعدت أسأله:

— فلان؟ الأستاذ الكبير، صاحب الشهادات الكبرى من أوربا..؟

— قال: نعم، هو والله ابني. ولقد أنفقت عليه مالي وشبابي، فلما صار شيئاً، جزاني شر جزاء، وجعل مكافأتي الانكار والاحتقار، واضطرني إلى سؤال الناس وإراقة ماء وجهي في رغيف من الخبز

فقلت: أنا أكلم ابنك، فهو صديقي...

قال: لا، لا تفعل سألتك بالله... فانه ان عرف أني خبرتك ضربني وآذاني. لقد حرم علي أن أنبيء أحداً أني أبوه!

قال صديقي الأستاذ: هذا والله ما كان، ما زدت فيه حرفاً ولا نقصت!...

«دمشق»

علي الطنطاوي

---

٣ – لا بد من جنونه أيها العقلاء!

ولكن أيضاً...

لا بد من جنون أيها العقلاء لندرك!

لا بد أن نصر على هذا النداء:

أمسكي الماء أيتها الغرابيل... اقبضي على الريح أيتها الأصابع. امضغي الهواء أيتها الأضراس... أدلي الدلاء إلى السراب أيتها الأيدي... اطحني القرون أيتها الطواحين...

٤ – الأعمى والمرآة

— وهذا الاصرار هو أماني أعمى ينظر في مرآة! ليرى فيها خيوط ضوء من أفق مجهول يقع على وجه المجهول لديه الخالد في الظلام بخلود أقفال عينيه!

إنه يتعزى بأن المرآة هي التي تراه... فاعذروه واتركوه يقلب وجهه فيها...

عبد المنعم خلاف

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٣٨ –

١ – « ... وأنا على كل أحوالي إنما أنظر إلى الجمال كما أستنشي العطر يكون متضوعاً في الهواء : لا أنا أستطيع أن أمسه ولا أحد يستطيع أن يقول أخذت مني . ثم لا تدفعني إليه إلا فطرة الشعر والاحساس الروحاني ، دون فطرة الشر والحيوانية ، ومتى أحسست جمال المرأة أحسست فيه بمعنى أكبر من المرأة ، أكبر منها غير أنه هو منها ! »

* * *

٢ – « ... ولكنه عاشق ينير العشق بين يديه ؛ فكأنه هو وحبيبته تحت أعين الناس : ما نطمع إلا أن تراه وما يطمع إلا أن يراها ولا شيء غير ذلك ؛ ثم لا يزال حسنها عليه ولا يزال هواه إليها ، وليس إلا هذا

« والذي هو أعجب أن ليس في حبه شيء نهائي فلا هجر ولا وصل ، ينساك بعد ساعة ولكنك أبدا باقية بكل جمالك في نفسه . والصغائر التي تبكي الناس وتتلذع في قلوبهم كالنار ليجعلوها كبيرة في همهم ويطفئوها وينتهوا منها كسكل شهوات الحب ، تبكيه هو أيضاً وتعتلج في قلبه ، ولكنها تظل عنده صغائر ولا يعرفها إلا صغائر ؛ وهذا هو تجبره على جبار الحب ! »

(هو الرافعي)

الجمال البائس

وهذا حب جديد وليلى جديدة ، ولكنه حب كما وصف الرافعي ؛ فما هو إلا سموٌّ بالنفس فوق نوازع البشرية إلى غيب السموات يتنور في عوالمها الخفية نورَ الانسانية في حقائقها العالية

كان ذلك في صيف سنة ١٩٣٥ ، وكان الرافعي يصطاف في سيدي بشر ؛ ثم كان يقصد إلى الاسكندرية أحياناً ليلقى صديقه السياسي الأديب الأستاذ حافظ ... ؛ فان بينهما لصلات من الود ترجع إلى نحو عشرين سنة ، منذ كان الأستاذ حافظ محامياً في طنطا .

وكان صديقه يقضي إجازته في الاسكندرية ، مشغولا بكتاب يهم أن يصدره في شأن من شئون الاسلام أوحى إليه بموضوعه فترةٌ غير قصيرة من تاريخه السياسي قضاها في بلاد الحجاز ، وكان الرافعي يعاونه في إنشاء كتابه ...

وكانا يتواعدان على اللقاء في ملهى من ملاهي الاسكندرية على شاطئ البحر ، حيث تتهيأ لهما الفرصة من هدوء المكان في النهار وقلة إقبال الناس عليه ، لما هما فيه من عمل

في هذا الملهى كانت تعمل فرقة الراقصة المشهورة « بيا » فيهج كل مساء بمن يفد إليه من طلاب اللهو والهوى ، ليفرغ الرافعي وصاحبه في النهار يداولان الرأي في شئون الأدب والدين والفلسفة . وشتان ليله ونهاره !

وكثر تردد الرافعي وصاحبه على هذا الملهى حتى ألفهما المكان وألفا ما فيه ، وألفهما فيمن ألِف فتاة من راقصات الفرقة ، هي الايطالية الحسناء « ب ... » فما كان بينها وبين الرافعي إلا نظرة وجوابها ثم كانت قصة حب ...

وجلس الرافعي إليها يتحدثان ذات نهار ، وكشفت له عن صدرها وكشف لها ، فكان بينهما حديث طويل ، شهده الأستاذ حافظ من بدايته إلى منتهاه ، ثم ترك الرافعي لهواه وتركته صاحبته ...

وذاق الرافعي مرة أخرى لوعة الحب وبرحاء الهوى ، وكانت محبوبته الأخيرة راقصة من بنات الهوى تعمل في مسرح هزلي من مسارح الصيف المتنقلة بين شواطئ الاسكندرية ... !

تلك هي صاحبة « الجمال البائس »

* * *

وانتهت أشهر الصيف وعاد الرافعي إلى طنطا وعادت الفرقة الراقصة إلى القاهرة ، وشت ما بين الحبيبين !

ولقيتُ الرافعي بعدها فحدثني حديثه والكلمات ترتعش على شفتيه وفي عينيه بريق عجيب ؛ ثم تهدج ورق صوته وهو يقول : « مسكينة ! ليتني أستطيع أن أبلغ ما في نفسها لأعلم ما تشكر من حظها وما تنكر ... ليس موضعها هناك ، ولكنه القدر ! »

ولقيته في القاهرة ذات مساء ، وقد فرغ من مقالات

« الجمال البائس » فدعانى أن أصحبه إلى الملهى الذى تعمل فيه ليراها من بعيد ، وأرسل من يطلب له تذكرتين عند شاب من أبناء عمومته يعمل فى « دار الهلال » وأبطأ عليه الرسول فلم ينتظر ، فنهض ونهضتُ معه واتخذ طريقه إلى « عماد الدين » ..

ووقف بالباب ينظر الصور ويقرأ الاعلان وهو يسألنى : « أين اسمها ؟ وأين صورتها ؟ وأين ... وأين هى ! »

وطالت وقفته وهو ينظر إلى صورتها فى إطار كبير إلى جانب الباب يضم صورتها إلى صور شتى من راقصات الفرقة ما منهن إلا لها جمال وفتنة ، ولكن عينيه كانتا تنظران إلى صورة واحدة ، إلى صورتها !

ثم تحول عن الباب مسرعا عجلان وهو يجمجم بكلام لا يبين وقال لى وقد أسرعت إليه حتى حاذيتُه : « أيليق أن ندخل إلى هذا المكان ؟ أتراه من المروءة ؟ وددت لو رأيتها ولكن .. »

وانتهينا إلى قهوة « بول نور » فجلس وجلست ، ومضى يتحدث عن السحر والشعر وفتنة الجمال ؛ فما هى إلا لحظة ثم مرت بنا منحدرة من شارع فؤاد إلى شارع سليمان باشا ، فأتبعها عينيه من نافذة إلى نافذة حتى توارت فى مزدحم الناس ثم عاد إلى نجواه وشكواه ...

وجلس مرة يتحدث إلى صديقه الأستاذ حسن مظهر محرر « اللطائف » عن ذات « الجمال البائس » فأهدى إليه صورتها ؛ فما زالت هذه الصورة معه إلى أخريات أيامه لا تفارقه .

ولقد كان يحسن الظن بعلمها وفهمها ، حتى ليحسبها من قراء الرسالة فتفهم ما كتب من مقالات الجمال البائس لتعرف موضعها من نفسه !

وكان لا ينفك يسأل : « أتراها علمت ؟ أتراها قرأت ..؟ »

وما أحسبه لقى صاحبا من أصحابه إلا تحدث إليه عن صاحبة الجمال البائس ...

جلست منذ قريب إلى الأستاذ توفيق الحكيم نتحدث عن الرافعى ونذكر من خبره فقص علىّ ، قال :

« كان الرافعى يجلس على هذا الكرسى ، من هذه الغرفة ، وكان ذلك قبل منعاه بأشهر قليلة ؛ ومضى الحديث بينى وبينه حتى جاء ذكر صاحبة الجمال البائس ؛ فأخذ الرافعى يصفها لى وصفا لا أجد أبلغ منه ولا أجمل من صاحبته ، وطاوعه القول على تصويرها كما هى فى نفسه ؛ فما كانت عندى بما وصف إلا امرأة قد اجتمع لها من ألوان الجمال وفنون الحسن وسحر الأنوثة ما لم يجتمع مثله لامرأة ؛ وتمثلت صورتها لعينىّ كما أراد أن يصف ؛ فلما بلغ آخر الحديث عنها ، قدم إلىّ صورتها فى ورقة لأرى بعينى مصداق ما سمعت ...

قال الأستاذ توفيق الحكيم : « ونظرت إلى الصورة التى صورها لى حديث الرافعى وإلى الصورة التى فى الورقة ، فكأنما استيقظت من حلم جميل !... يرحمه الله لقد كان شاعرا ... »

كذلك كان سلطانها فى نفسه وأثرها فى خياله !

* * *

وكانت نشأة هذه الفتاة فى طنطا لأول عهدها بالرقص ، وكانت تعمل مع فرقة قروية أقامت « خيمتها » فى طنطا بضع سنين ؛ ولم يكن الرافعى يعلم ذلك حتى عرفتها فى فرقة « بيا » ورأيت صورتها ؛ فلما أخبرته به أغمض عينيه وراح فى فكر عميق ... أتراه كان ينظم شعرا لم يجهر به ولم يسمعه أحد ؟

والعجيب أن الرافعى وهو فى غمرة هذا الحب الجديد لم ينس صاحبته « فلانة » ولم يفتر حبه لها ، بل أحسبه كان أكثر ذكرا لها وحنينا إليها مما كان ، وكأنما كان قلبه فى غفوة فأيقظه الحب الجديد ورده إلى ما كان من ماضيه

لقد كان قلب الرافعى عجيبا فى قلوب العشاق ؛ ليت من يستطيع أن يكشف عن أعماقه !

طنطا — محمد سعيد العريان

جورجيـــــاس

او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٠ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »(١)

ط — (مجيبا بولوس) فبرهن لى إذاً على أن الخطباء قوم عقلاء ، وعلى أن البيان من الفنون وليس بأحد أقسام الملق ، وهنالك تكون قد ناقضت رأيي ! ، أما إذا لم تناقضني فلن يكون للخطباء الذين يفعلون فى الدولة ما يشاءون ، ولا للجبابرة الطغاة أى خير ! وها قد اعترفت بنفسك — حسبما جاء فى قولك — : بأن القوة خير ، وبأن فعل ما يشاء الانسان عند ما يكون مسلوب العقل شر ! ، أليس كذلك ؟

ب — بلى

ط — وإذا كيف يصير الخطباء والجبابرة جِدّ أقوياء فى الدول إذا كان بولوس لم يناقض سقراط ولم يقنعه بأنهم يفعلون ما يريدون ؟

ب — ياللرجل ...!

ط — إننى أدعى أنهم لا يفعلون ما يريدون ! فناقضنى !

ب — ألم توافق منذ لحظة على أنهم يفعلون ما يبدو لهم كأحسن الأفعال ؟

ط — وما زلت للآن موافقا على ذلك ؟

ب — فهل يفعلون — على ذلك — ما يريدون ؟

ط — ذلك ما أنكره !

ب — حتى ولو كانوا يفعلون « ما يسرهم » ؟

ط — بلى

ب — إنك لتقول أشياء بالغة الغرابة وجـديرة بالرثاء ياسقراط ؟

ط — لا تلمنى هكذا سريعا يابولوس إذا استعملت لهجتك وأسلوبك !، إنك إذا كنت قادرا على توجيه الأسئلة إلىّ فبرهن لى أنى قد غششت نفسى ! ، وإلا فلتجبنى بنفسك

ب — وإني لجد راغب فى إجابتك كيما أعرف أخيرا ماذا تريد أن تقول !

ط — أتعتقد أن الناس يريدون كل ما يفعلون من أعمالهم أم هم لا يريدونها إلا من أجل شيء آخر ؟ مثلا أولئك الذين يتناولون جرعة الدواء التى يقررها الطبيب : أتراهم يريدون فى رأيك أن يبتلعوا مالا يسيغونه ؟ أم هم لا يفعلون ذلك إلا من أجل شيء آخر هو « الصحة » ؟

ب — واضح أنهم لا يريدون من ذلك غير الصحة !

ط — وبالمثل أولئك الذين يركبون البحر أو ينهمكون فى

(١) أثبت سقراط فى العدد الماضى أن أقسام «الملق» الأربعة — وهى التزين والطهى والسفسطة والبيان — تنزلق تحت الرياضة البدنية والطب والتشريع والعدالة ، وتختفى فيها وتدعى زوراً أنها أقدر منها وأنفع ؛ ثم مضى بعد ذلك إلى مناقشة «بولوس» تلميذ جورجياس فى موضوع «القوة» ليبين له أن الخطباء والجبابرة ليسوا من القوة فى شيء وإن استطاعوا قتل الناس ونفيهم وسلبهم وتجريدهم ! وسنرى اليوم كيف يبرهن سقراط بحواره البالغ غاية الدقة والاحكام — على هذه القضية الأخيرة ، وكيف يسخر من قول «بولوس» ويقول إن أمثال هؤلاء الطغاة أجدر بالرحمة والاشفاق منهم بالحسد والاعجاب لأنهم إنما يفعلون مالا يريدون ما دمنا لا نريد بطبيعتنا غير الخير

ويلاحظ بعد هـذا أننا نعتمد منذ العدد الأسبق على ترجمة الأستاذ E. Ohambry أستاذ الشرف بكلية « فولتير Voltaire » ، مع الرجوع عند الضرورة إلى ترجمة الأستاذ P. Lemaire «المعرب»

كل بحارة أخرى فانهم لا يريدون ما يباشرونه يوميا — لأن من يواجه البحر يعرض نفسه لصنوف الموانئ والأخطار — وإنما الذي يريدونه في رأيي هو الشيء الذي من أجله يبحرون وأعني به « الثروة » ، لأننا لا نبحر إلا لكي نثرى !

ب — ذلك مؤكد !

ط — أوليس الأمر بالمثل في جميع الأفعال ؟ أي إذا فعل الانسان شيئا من أجل غاية ما ، فانه لا يريد ما يفعل ، ولكنه يريد « الغاية » التي من أجلها يفعل ما يفعل ؟

ب — بلى !

ط — والآن هل يوجد في الدنيا شيء لا يكون حسنا أو رديئا ، أولا هو بالحسن ولا هو بالرديء ؟

ب — لا يوجد في الدنيا شيء على خلاف ذلك ياسقراط !

ط — أو لا تعد الحكمة والصحة والثروة وكل الأشياء الأخرى المماثلة من الأشياء الحسنة ؟ بينا تعد نقائض هذه من الأشياء الرديئة ؟

ب — نعم

ط — وألا تقصد بالأشياء التي هي بين بين ، تلك التي قد تكون حسنة وقد تكون رديئة ، أعني تلك التي لا تمايز فيها ، كالجلوس والمشي والملاحة والجري ، أو كالحجارة والخشب وكل ما شابه ذلك من موضوعات ؟ أليست هذه في رأيك هي التي ليست بالحسنة وليست بالرديئة ؟ أم ترى هي شيء آخر ؟

ب — كلا ! إنها كذلك لعمري !

ط — والآن عند ما نفعل هذه الأشياء غير المتمايزة ، أنفعلها من أجل أشياء حسنة أم نفعل الأشياء الحسنة من أجلها ؟

ب — لا شك في أننا نفعل هذه الأشياء من أجل غايات حسنة .

ط — وإذا فهو « الخير » الذي نسعى إليه بالمشي عند ما نمشي لأننا نرى أننا نكون في حالة أحسن إذا مشينا . وبالمثل عند ما نبقى — على النقيض — ساكنين ، فاننا نفعل ذلك من أجل نفس الغرض ، وهو الخير ، أليس ذلك صحيحا ؟

ب — بلى !

ط — ونحن كذلك لا نقتل — عند ما نقتل ، ولا ننفى الغير ولا نسلبه إلا عند ما نقتنع بأن الأفضل لنا هو أن نفعل ذلك لا ألا نفعله ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وإذا فنحن لا نفعل كل ما نفعل من هذا النوع إلا من أجل « الخير » !

ب — أوافق على ذلك .

ط — وإذا قد اتفقنا على أننا عند ما نفعل شيئا من أجل غرض ما ، فاننا لا نبغي الشيء حينذاك وإنما نبغي الغرض منه ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وإذا فنحن لا نريد ذبح الناس ونفيهم وتجريدهم من أملاكهم لمجرد هوى يسير ، وإنما نفعل ذلك مريدين عند ما يكون في ذلك نفع لنا . أما إذا كان في ذلك ضرر لنا فنحن لا نريده لأننا لا نريد إلا الخير كما صرحت أنت بذلك ، أما ما هو ليس بالحسن ولا بالرديء فنحن لا نريده كما لا نريد بالأولى كل رديء ، أترى ذلك صحيحا ؟ أيلوح لك أني محق يابولوس ؟ أجبني بالنفي أو الاثبات .. ! مالك لا تجيب ؟

ب — إنك محق ياسقراط ؟

ط — وما دمنا قد اتفقنا على ما تقدم ، فهل إذا قتل خطيب أو طاغ شخصاً آخر أو نفاه من المدينة ، أو جرده من أملاكه معتقداً أنه يخدم بذلك منفعته ، بينما لا يكون في ذلك إلا ضرره ، أتراه يفعل حينذاك ما يسره ؟

ب — بلى

ط — ولكن أتراه يفعل أيضاً ما « يريده » إذا رأى أن النتيجة ستكون وبالا ؟ ... لماذا لا تجيب ؟

ب — لا يلوح لي أنه يفعل حينذاك « ما يريد[1] » !

ط — وإذاً أيمكن أن يكون لمثل هذا الشخص « قوة كبيرة » في المدينة ، إذا صح ما سلمت به من أن القوة الكبيرة خير ؟

ب — كلا ، فذلك مالا يمكن أن يكون !

(١) الارادة هنا بمعنى الروية والتفكير لأن إفلاطون كان يعتقد أن من يفكر ويتروى في جميع أفعاله بحيث « يعلمها حق العلم » لا يمكن أن يجلب الشر لنفسه قط — وفي ذلك من الغلو بالطبيعة الانسانية والسمو بأخلاقها مالا يتفق — مع الأسف — والواقع الأليم

ط — وإذاً فقد كنت محقاً فى قولى إن المرء يستطيع أن يفعل فى الدولة ما يسره دون أن يكون عنده من أجل ذلك قوة كبيرة أو دون أن يكون فاعلا لما « يريد » !

ب — وما دام من شأنك يا سقراط أنك لا تفضل أن تكون « حراً » فى الدولة بحيث تفعل ما يسرك، على أن تكون بعكس ذلك، أفلا تحسد من تراه يقتل ويسلب ويقيد بالحديد؟ من يسره أن يفعل معه ذلك؟

ط — أتقصد أنه يفعل ذلك عدلا أم ظلماً؟

ب — ليكن عدلا ذلك أم ظلماً، أفلا ترى أنه جدير بالحسد فى كلتا الحالتين؟

ط — قل شيئاً أفضل من ذلك يا بولوس!

ب — ولم لا؟

ط — لأننا يجب ألا نحسد من هم ليسوا جديرين بالحسد كما لا يجوز أن نحسد الأشقياء والتعساء! بل يجب على النقيض أن نرحمهم يا بولوس[1]!

ب — ماذا؟ أترى أن أولئك الذين أتحدث عنهم جديرون بالرحمة؟

ط — وكيف لا يكونون جديرين بها؟

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) ذلك هو المسيح عليه السلام فى ثياب أفلاطون! أو هو أفلاطون فى ثياب المسيح، فترى هل ينصت العالم اليوم لتلك الرسالة العليا؟
(المعرب)

غزل العقـــاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٨ —

متى كان الشاعر صادقا فى شعوره وتعبيره، صاحب خصوصية فى فهم الحب والحياة، متعدد الجوانب منفسح الآفاق؛ كثرت فى غزله — وفى شعره كله — صور « الحالات النفسية » — وهى الخاصة التى رصدنا لها هذا المقال فى غزل العقاد — ولم يقف فى الغزل عند الصور العامة الشائعة، لأنه معنيٌّ بإظهار خاصة نفسه، وتصوير خلجات ضميره.

وخصائص العقاد العامة — كما قلت فى الكلمة الماضية — لا يخطئها الناقد فى كل بيت له وكل قصيدة، حتى ليستطيع دارسه أن يثبت له أو ينفى عنه أقوالا لم يعلم صدورها عنه. وبعض إخواني الآن يتفكه معى، فيعرض على أقوالا منثورة ومنظومة ناسبا إياها للعقاد، فلا أجد صعوبة ما فى نفى بعضها وإثبات بعضها، وبيان حكمة النفى والاثبات بخصائصه العامة التى لا تخطئ ولا تتخلف

هذه الخصائص أشد وضوحا فى شعر « الحالات النفسية » بطبيعة الحال. وهذا الضرب من الشعر يمتاز فيه العقاد بالوفرة والتنوع والشمول، كما يمتاز « بالخصوصية » والتفرد.

ولا بد من التنبيه إلى هذه الامتيازات. فشعر الحالات النفسية قد يكون، ولكنه يكون ذا لون واحد، أو قريبا فى غوره وانبساطه، فلا يكون — إذ ذاك — ميزة للشاعر، إلا من حيث إشارته إلى وجود البذرة الصالحة للانبات؛ بذرة الاحساس الصادق الأمين.

والحالات النفسية التى سنعرضها فى هذا المقال فيها الطريف فى نوعه وشكله، وفيها الشائع فى نفوس المحبين الصادقين، ولكنه معروض فى شكل جديد ونسق واتجاه خاصين خصوصية العقاد فى عالم الشعراء

* * *

الصبابة المنشورة : الحب الذي طمسه السلوان ، وعفى عليه النسيان ، يبعثه العقاد حيا ، ويشخصه جسما ، ويقول له ويستمع إليه ، ويعجب منه ويرثى لمصيره ، فى جو مرهوب مسحور ، كجو البعث والنشور .

صبابة قلبي ! أقبل الليل غاشياً ... فهي فقد يغشى الرفاتُ المغانيا
وقد تهجر الموتى القبورَ أمينة ... إذا الليل غشى بالرقاد المآقيا
وثوبي إلى الدنيا مع النوم فانظرى ... مكانك قد أقوى وعرشك خاويا
ومرى به مر الغريب . وطالما ... تربعت فيه قبــل ذاك لياليا
ولا تسألى : من بالديار ؟ فانها ... على موثق ألا تجيب مناديا
بدا شبح عار من اللحم ، عظمه ... يجاذب أضلاعا عليه حوانيا
يقاربُ فى قيد المنية خطوَه ... ويمشى به ليلامع الليـل ثانيا
وقال : سلام ؛ قلت : فاسلم وإن يكن
دعائى لميت بالســلامة واهيا !
من الطارق السارى ؟ فقال : صبابة
نعمت بهــا حينا وما أنت ناسيا
فقلت : أرى جسما عريي من رواءه
وعهدى به من قبل أزهر كاسيا
جهلتك لولا مسحة فيك غالبت ... بشاشتها أيدى المنون المواعيا
جهلتك لولا هزة في جوانحى ... يدَ الدهر لا تبقى من الشك باقيا
ألا شدّ ما جار البلى يا صبابتى ... عليك . فكيف استل تلك المعانيا
أأنت التى أسهرتنى الليل راضيا ... وأنت التى أسكرت عينى صاحيا
وأنت التى كنا إذا الناس كلهم ... تولوا ، وجدنا منها فيك وافيا ؟
وأنت التى جليت لى الأرض جلوة
أسائل عنهــا الأرض وهى كما هيا
أسائل عنهــا كل شىء رأيته ... أما كنت فينان المحاسن شاديا
نفخت بها روحا ففرد صامت ... ورنم جلمود ، وأصغيت لاهيا
فلما ألمَّ البين لاذت بصمتها ... وأمسيت حتى يأذن الله صاغيا
وهل يسمع الصاغى إلى القبر نأمة ... ولو كان فيه « معبد » القوم ثاويا
نعم أنت لولا ساتر من منية ... وحسبك ستراً بالمنية ساجيا
وإن إمرأ ماتت خوالج نفسه ... لقد جمع الشرين حياً وفانيا
حياة لها حـد ولا حد للردى ... فليت المنايا والحيــاة تواليا
كما نتوالى يقظة العيش والكرى ... وتعقب أنوار الصباح الدياجيا
إذن لتشوقنا الحمام اشتياقنا ... إلى النوم واشتقنا الحياة دواليا

درج الحب : الحب الظامىء للمزيد ما يصل إلى غاية حتى يتطلع إلى ما وراءها ، وهى حالة من أصدق حالات الحب التى لا يلتفت اليها المحبون ، فى حين أنها تكاد لاتتخلف فى كل حب طويل .

أبصرته . فــوددت ألزمه ... باللحظ فى حل ومرتحـل
وطفقت أرجو أن يحادثنى ! ... فبلغت ما أرجــو على مهل

حادثته والنفس شــيقة ... للنهل من فمه وللعلل !
وهمم تتبــع كل بادرة ... من فيه باللثمات والقبل

قبلتــه فتجددت علل ... غير التى داويت من عللى
الآن أطمع أن أكون له ... ويكون إذ يمسى ويصبح لى !
وأكاد أشفق أن تراعبــه ... ـ حرصاً عليه ـ شواردُ المقل !

فى القلب شيطان يقول له ... زدْ ، كلما أوفي على أمل
بالوكف لا نرضى فواعجبى ... كيف ارتضينا أمس بالبلل ؟

البوم الموعود : وليس هو يوم لقاء عادى ، ولكنه يوم سيجعل له من جنته التى يخطر فيها كالغريب مِلكا ذلولا ، يلتذ فيها التذاذ المالك الحر المنطلق من قيود الوله والضرورة والخلسة إلى آفاق النعمة المطلقة الراوية الغريرة . وهى قطعة من ثمرات النضوج الفنى والنفسى ، ومن قطوف الحس الرفيه المترف الذى يفرق بين أدق ألوان الشعور .

وفى أولها تعبير مبتكر طريف عن اللهفة إلى الموعد المرتقب حين يقول :

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى ... شوق إليك ؟ وما أشاق لمنهم
شوقى إليك يكاد يجذب لى غدا ... من وكره ويكاد يطفر من دمى
أسرع بأجنحة السماء جميعها ... إن لم يطمك جناح هذى الأنجم
ودع الشموس تسير فى داراتها ... وتخطها قبـل الأوان المبرم
ما ضر دهرك إن تقدم واحد ... يايوم من جيش لديه عرمرم ؟

ثم يأخذ فى بيان مهمة هــذا « اليوم الموعود » وتفرده فى الأيام ، وما عقد بغرفته من تحول في هذا الحب إلى الطلاقة والاستقرار :

لى جنــة يا يوم أجمع فى يدي ... ما شئت من زهر بها متبسم
وأذوق من ثمراتها ما أشتهى ... لا تحتمى منى ولا أنا أحتمى
وتطوف من حولى نوافر عصمها ... ليست بمحجمة ولست بمحجم

وتلذ لى منها الوهاد لذاذتى   بتصعد في نجـدها وتسنم
لم آسَ بين كرومها وظلالها   إلا على ثمر هناك محرم
فكأنما هي جنـة فى طيها   ركن تسلل من صميم جهنم
أبدا يذكرنى النعيمُ بقربها   حرمانَ منءود وعسرة معدم
وأبيت فى الفردوس أنعم بالمنى   وكأننى من حسرة لم أنعم
يا يوم موعدها ستبلغنى المنى   وتُتم لى الفردوس أى مُتَمّم
لا غصن رابية تقصر راحتى   عنـه ، ولا ثمر يعز على فمى
سأظل أخطر كالغريب بجنتى   حتى أثوب على قدومك فاقدم
فأبيت ثم إذا احتوانى أفقها   لم أنهَ عن أمل ولم أتنـدم
فرحى يصبحك حين تشرق شمسه
فرح الضياء سرى لطرف مظلم

ثم يختم القصيدة بخاطرة هي إحدى « خصوصيات » العقاد فى فلسفة الحرية والضرورة ممزوجة بعاطفة الحب ، فيرى الوله نوعاً من نداء الضرورة لا يليق بالخلد الذى تشبع فيه الرغبات ، وتقر القلوب وتحس بالحرية والانطلاق من الضرورات :

أميرتى خلد السماء سماحة   صونيه عن وله صيانة مكرم
رفقا بخلدك أن تشوبى صفوه   إن لم ترىْ رفقا بمهجة مغرم

الليلة الفطيم : المتعة الخاصة التى لا يغنى عنها سواها ، لأن لها أما لا يغني عنها سواها ، ولو كن جميلات شهيات ، فاذا اجتمعن ولم تحضر هذه « الأم » فالليلة الفطيم لا ترضع ثديا آخر ولا تجد متعة أخرى !

ياله من طريف !

بكت الليـلة الفطيم شجاها   ما بكاء الفطيم بين الثدىّ
الثدى الحسان تبني رضاها   ما لثغر الفطيم غير رضىّ ؟
لو أرادت لـكان عند مناها   كل صدر ، وكل نهد شهى
أمها ! أمها ! وليس سواها   ذات صـدر على الشفاه ندي

ثم يخاطب ليلته هذه خطاب الأب الوائق ، يداعب طفلته واليقين يملأ نفسه ، والرضا يطلق البشاشة والدعابة فى وجهه ولسانه :

ليلتى . ليلتى . الحزينة صبرا   ليس هـذا الفطام بالأبدىّ
سوف تروين من أميـمك ثغرا   فارضى الآن من دموع الشجى
واذرفى هـذه المدامع غزرا   هل يضير البكاء عين الصبي ؟
من أذاب الرضا وعينيه سهرا   فى ارتقاب النعيم ، غيرُ شقى

يوم : يوم أوله لقاء ومتاع ، وآخره فرقة ووحشة . وهو يوم يمر على كل حبيبين ، وهى وحشة تلمس كل قلب في هـذا الموقف ، ولكن العقاد وحـده هو الذى يعبر هذا التعبير ، وهو الذى يستقصى كل شوارد الاحساس ، ويتتبع كل مطارح الشعور ويفصل كل هواجس الضمير

ذهب الليـل ودار الملوان   وشدا قبل الصباح الكروانْ
ومشى الصبح على مهل كمن   يطرق الدار على غير أمان
وتلمست هنـا تغريدةً   فى فمى تصدح فى هذا الأوان
قبـلة منك هى الفجر وفى   طيها تبـدو ثناياه الحسان
عن شمالى كلما ولى الدجى   وسرى فجر وحنت شفتان
وتراءت نظرة ناعسـة   عند أخرى فتلاقت نظرتان
بان ليـلى لا تسلنى كيف بان   أنت تدرى فاغتفر عِىّ البيان
كلما يممتُ دارى قلت لى   أجناحان لنا أم قدمان ؟
فأتيت الدار لا أحسبها   قربت قط ودونى خطوتان
لم أكن أطلبها ويحى ولا   أطلب المهرب منها حيث كان
أين أمضى ؟ أين تحدونى الخطا ؟   ضاقت الدار وضاق الشرقان
راعنى نقص بعينى ويدى   وفمى الصـادى وقلبي واللسان
خلتنى بدلت منهـا غيرها   ولو استبدل لها الخطب لمان (١)
أهزيع منك يا ليل مضى ؟   أمضى نصف ؟ أما ينشطران
بان ليلى ؟ لا تسلنى كيف بان   حاطك الله من الليل وصان
إى وربى بان . لكن بعد ما   نفدت ساعات عمرى فى ثمان!
لا زمانٌ حيثما لاقيتنى   فاذا فارقتنى كان الزمان
طلع الصبح حزيناً عاطلا   أتراه كان بالقرب يزان ؟
وسرت أنفاسـه يا حسرتا   أين أنفاسك يا زين الحسان ؟
نسمات الصبح أورت كبدي   فحجبت الأنف عنها والعيان

ثم ماذا ؟ ثم يرى أن يتسلى بالقراءة ، وأن يستمع إلى أصدقائه وخاصته من دواوين الشعراء . فماذا يكون ؟

وتمشيت إلى كتبي على   مضض منى وللكتب أوان
يا « أبا الطيب » لا تهرف . ويا   صاحبي « الرومى » ماهذا الرطان!
شعراء الشرق والغرب أما   تملكون الصمت يوما فى عنان ؟ !
أو فهاتوا الشعر لى صرفا بلا   أحرف في الطرس منه أو معان
أفرغوه جملة فى خاطرى   ليس لى بالطرس والدرس يدان
رب شعر شاقنى لما تكد   شفتا قائله تنفرجان !

(١) لو بدله الخطب من عينه ويده وفمه وقلبه ولسانه ، أخرى جديدة لمان هذا الخطب فانما يحس حينئذ بجوارح غير جوارحه التى تنقل اليه الالم !

تاريخ الحيـــاة العلمية

فى جامع النجف الأشرف

للأستاذ ضياء الدين الدخيلي

— ١ —

هاهى ذى مجلة الأستاذ الزيات تحمل على أجنحتها رسالة الإخاء الاسلامى العربى! أما ترى كيف أصبحت رابطة التعارف بين أستاذ فى جامع النجف الأشرف وبين أخ له وراء الصحارى والقفار؟ أى وكرامة العروبة والاسلام هو أخ لى تضمنى إليه ربقة الجامعة المقدسة وإن لم تسبق لى معرفة بذاته الكريمة. هلم بى يا قلمى لتلبية الدعوة وإن أثقلتك المشاغل. هذا أخى الأكرم ينادينى من (طنجة) لأبادله المعرفة وأسهب له فى حديثى عن سير المعهد

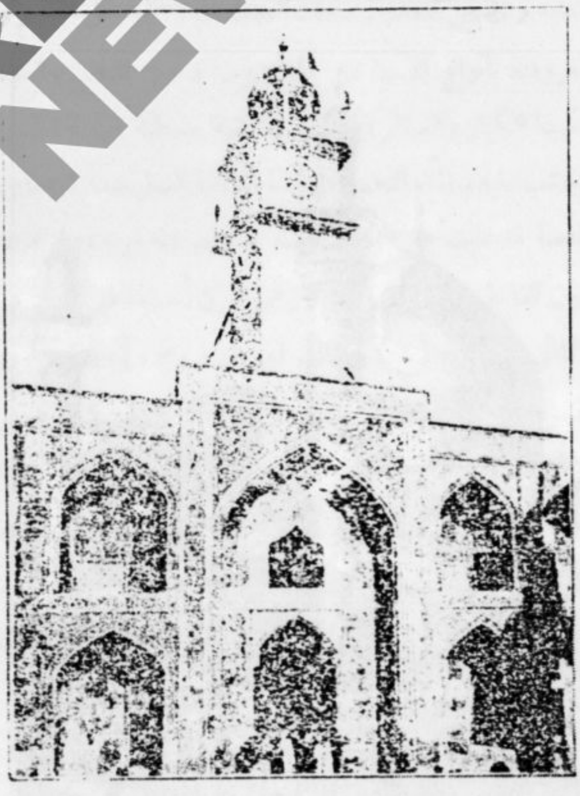
هذا شأنه مع الكتب — وهو ملول قلق — فما شأنه مع الأصدقاء الأحياء؟

وتجلى الباب لى عن زائر … من أودائى كأنا أخوان
فتملت ولبى شـــارد … كيف يكسى الود ثوب الشنآن
قال لى: (الأنفوجيل) قلت لا … بل دميم. قال: زاه. قلت: قان
قال: زيد قلت: حاشا، فانثنى … نحو عمرو. قلت: كلا بل فلان!
فمضى يعجب منى سائلا: … أسلام؟ قلت: بل حرب عوان
ذهب اليوم وما أحلكه … كان من يوم نعاه النيران
لم يكن فى صبحه أو ليله … حظ عين، أو لسان، أو جنان
ذاك يوم يا حبيبى واحد … وغد منه غنى عن بيان

نعم يا سيدى «غنى» عن بيان، فقد عشنا معك فى هذه القصيدة يوماً مخنوق الأنفاس، مكروب الصدر، ورأينا فيه وحشتك وقلقك وتبرمك، بل أحسسنا نحن بالوحشة والقلق والتبرم، وتمثل لنا يومك لحظة لحظة وساعة ساعة، كالح الوجه كئيب الطلعة، ثقيل الخطوات!

«للمقال بقية» سيد قطب

العلمى الذى أنتمى إلى تدريسه ... فهيا إلى (الرسالة) مجلة الأدب العالى



الباب الشرقى من جامع النجف الأشرف

أيها الأخ، إن تاريخ الدراسة فى هذا المعهد الجليل يتوغل فى أعماق العصور الاسلامية إلى أمد بعيد. وبما أن نواته هى البناية التى أقيمت على مرقد الامام على بن أبى طالب (ع) فلا بد للراغب فى معرفة حياته العلمية والأدبية فى أدوارها من طفولتها إلى شيخوختها — أن يلم بإلمامة قصيرة بنشأة هذه البنية وتطورها فى مراقى العمران. فقد كان حب الشخصية الاسلامية القوية الدفينة هنا، هو الذى جذب العلماء إلى مجاورة المرقد الطاهر ليشيدوا قواعد هذه المدرسة ويكونوا الحلقات لرفع منار الثقافة الاسلامية من الحديث والفقه وأصوله والفلسفة وما تستلزم من مقدمات تمهيدية وأسس أصبحت بعد حين مبانى مستقلة بنفسها كفنون الأدب والرياضيات من هندسة وحساب وهيئة. لقد استمر التدريس فى بناية القبر العلوى حتى الآن، فقد درست فيها النحو والمنطق والمعانى والبيان وعلم الفقه وأصوله والفلسفة الاسلامية على أساتذة عرب وفرس فى حلقات كبرى وصغرى

ولقد نظمنا فيها الجماعات للتذاكر وحل عوائص تلك الأفانين من الثقافة وقضيت فيها ردحاً من الزمن قيماً . أما كيف قامت أركان هذه المدرسة العالية فذلك حديث جذاب ممتع



الايوان الذهبي والمأذنتان والقبة الذهبية على مرقد الامام على (ع)

هناك أسطورة تقص فى (إرشاد الديلمى وعمدة الطالب) تقول إن القبر كان مخفياً عن عبث أعداء الدعوة العلوية إلى أن أظهره الرشيد وبنى عليه قبة ذات أربعة أبواب من طين أحمر وعلى رأسها جرة خضراء وتحتها الضريح من حجارة بيضاء . وحكى فى فرحة الغرى فى قصة طويلة أنه قبل الرشيد وضع داود بن على المتوفى سنة ١٣٣ هـ صندوقا دُرس بإهماله خوف سطوة العباسيين الذين تبدلت سياستهم تجاه العلويين حتى بطشوا بهم واضطهدوا شيعتهم وقعدوا لهم كل مرصد . وسبب آخر فى اندراسه هو عامل طبيعى غير هذا الأدنى، فقد ساعد على ضياعه وقوعه فى منخفض الوادى معرضاً لجرى السيول ومهب الرياح

قال فى نزهة القلوب : وعقيب بناء الرشيد بعد سنة ١٨٠ هـ جاوره الناس . ويمكنك أن تعتبر هذه المجاورة بذرة الحياة العلمية الأدبية الحاضرة، فن مستلزمات مجاورة هذا المبدأ الاسلامى الذى كان ولا يزال منتجع الزوار من قاصى الأرض ودانيها — تدبر الشريعة الاسلامية وتداول أحكامها. وقد وجدت إجازات رواية أحاديث قال راووها إنهم تلقوها فى رواق قبر الامام (ع) وكان عهد هذا التلقى للعلم الاسلامى سحيقاً فى القدم . وقرأت فى (فرحة الغرى) أنه فى أيام المعتضد العباسي بنى محمد بن زيد العلوى الداعى الصغير (صاحب طبرستان الذى ملكها عام ٢٧٠ بعد أخيه الحسن ثم قتل عام ٢٨٧ كما فى كامل ابن الأثير وقد تنسب العمارة لأخيه الحسن) — قبة وحائطاً وحصناً فيه سبعون طاقا . وقد لوح ابن أبى الحديد إلى هذه العمارة إذ قال (زار القبر جعفر الصادق وأبوه محمد ولم يكن إذ ذاك قبراً معروفاً ظاهراً وإنما كان به سرح عضاه حتى جاء محمد بن زيد الداعى صاحب الديلم فأظهر القبة)[١] وقال ابن الأثير (وفى سنة ٢٨٢ هـ وجه محمد بن زيد العلوى سراً من طبرستان إلى محمد بن ورد العطار باثنين وثلاثين الف دينار ليفرقها على أهل بيته ببغداد والكوفة والمدينة فسعى به إلى المعتضد فأمره أن يكتب إلى صاحبه بطبرستان أن يوجه ما يريد ظاهراً وأن يفرق ما يأتيه ظاهراً وتقدم بمعونته على ذلك[٢]) وهذا يؤيد ما رواه ابن أبى الحديد . وقد طرأ على ما بناه الداعى بناء الرئيس الجليل عمر بن يحيى القائم بالكوفة فقد عمر قبر جده (ع) من خالص ماله ثم قتل عام ٢٥٠ هـ[٣] وحمل رأسه فى قوصرة إلى المستعين العباسى[٤]

وبعد هذا تقوم بناية ضخمة يشيدها رجل السطوة والعمران عضد الدولة البويهى ، فحين تولى السلطة فى العراق شاد عمارة القبر الثالثة (أقام بعسكره فى ذلك الطرف قريباً من السنة وبعث فأتى بالصناع والأساتذة من الأطراف وخرب تلك العمارة وصرف أموالا كثيرة جزيلة وعمر القبر عمارة جليلة حسنة)[٥] وقرأت في عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب . . . إلى أن

(١) شرحه لنهج البلاغة ص ٤٥ ج ٢

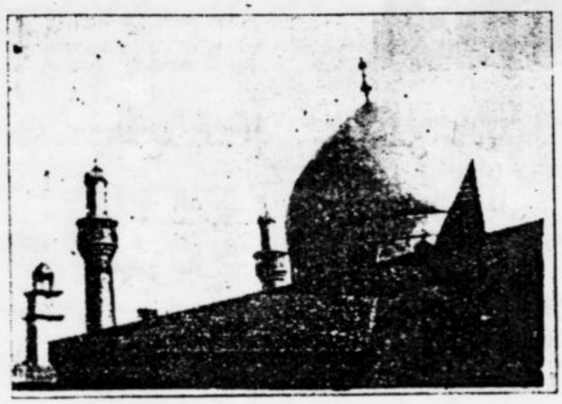
(٢) تاريخ ابن الأثير ج ٧ ص ١٥٦

(٣) ج ٣ من مستدرك الوسائل للمحدث النوري

(٤) ترى من التاريخ أنه توفى قبل ملك الداعى فلابد أن الذين أخذنا منهم خبر إصلاحه عمارة الداعى قد غفلوا عن هذه الناحية

(٥) عن رياض السياحة ونزهة القلوب وإرشاد القلوب للديلمى وعمدة الطالب وفرحة الغرى على اختلاف جزئى فى التاريخ

كان زمن عضد الدولة فناخسرو ابن بويه الديلمى فعمره عمارة عظيمة وأخرج على ذلك أموالاً جزيلة وعين له أوقافا ، ولم تزل عمارته باقية إلى سنة ٧٥٣ وكان قد ستر الحيطان بخشب الساج المنقوش فاحترقت تلك العمارة وجددت عمارة المشهد على ما هى عليه الآن (توفى المؤلف سنة ٨٢٨) وقد بقى من عمارة عضد الدولة قليل)



قبر الامام على (ع)

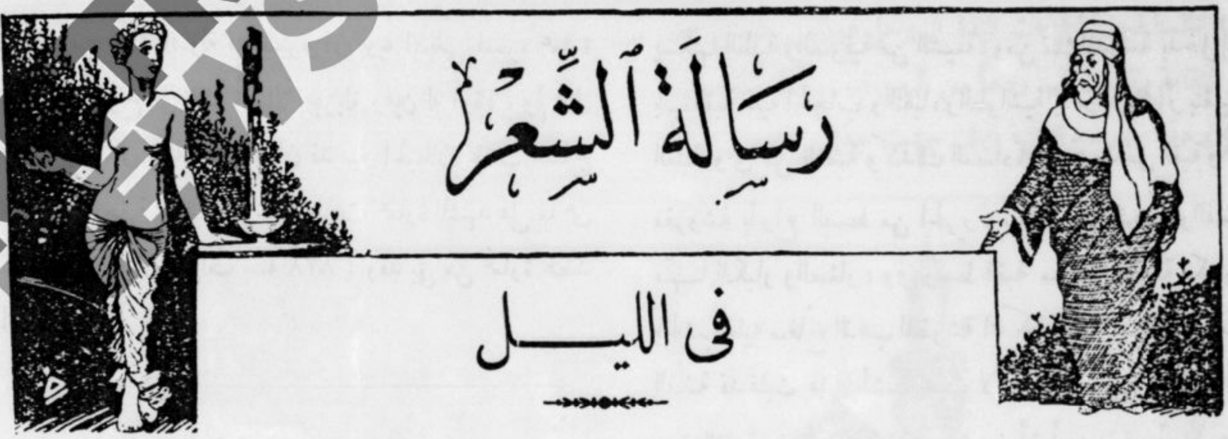
وقال آخر إن عمارة عضد الدولة من أجل العمارات ومن أحسن ما وصلت إليه يد الانسان فى ذلك الوقت بذل عليها الأموال الطائلة وجلب إليها الرازة والنجارين والعملة من سائر الأقطار . قالوا [١] إن هذه العمارة وإن كان لعضد الدولة يرجع تأسيسها فقد عرضت عليها إصلاحات جمة وتحسينات قيمة من البويهيين ووزرائهم والحمدانيين ومن المستنصر العباسى الذي عمر الضريح المقدس وبالغ فيه وزاره مراراً (كما فى فرحة الغري) وكذلك لقد عمر من قبل : بنى جنكزخان وغيرهم حتى وصلت العمارة إلى ما شاهده ابن بطوطة الرحالة الذى وردها بعد أن قضى حجه عام ٧٢٥ هـ وقال فى رحلته : (نزلنا مدينة مشهد على بن أبى طالب (رضه) بالنجف وهى مدينة حسنة نظيفة فى أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً وأتقنها بناء ... دخلنا باب الحضرة حيث القبر الذى يزعمون أنه قبر على (ع) وبإزائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشانى وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن . ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة

(١) كتاب الفاضل الشيخ جعفر محبوبه

يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة؛ ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبة عليه الحجاب والنقباء والطواشية يأمرون الزائر بتقبيل العتبة وهى من الفضة وكذلك العضادتان؛ ثم يدخل القبة وهى مفروشة بأنواع البسط من الحرير وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار ، وفى وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شىء ، وارتفاعها دون القامة وفوقها ثلاثة قبور يزعمون أن أحدها قبر آدم (ع) والثانى قبر نوح (ع) والثالث قبر على (رض) ، وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب يغمس الزائر يده فى ذلك ويدهن به وجهه تبركا . وللقبة باب آخر عتبته أيضاً من الفضة وعليه ستور من الحرير اللون يفضى إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير وله أربعة أبواب عتباتها فضة وعليها ستور الحرير . وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرته[١])

(العراق . النجف الأشرف) «يتبع» ضياء الدين الدخيلى

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٩



في الليل

يا ليلُ طُلْ يا ليلْ — على أليف الوِسادْ
الويل كلُّ الويلْ — لمن دهاه السهادْ

دقيقةٌ ساعاتْ — وساعةٌ أيامْ
شَطرٌ من الليل فاتْ — كأنه أعوامْ !

مُضْنًى طَوَاهُ المساءْ — وَلَفَّهُ في الظلامْ
فهاجت الأدواءْ — في جسمه المنهدمْ

حيرانُ ! ما يستريحْ — كزورق في عُبابْ
يشكو بقلب جريحْ — ما ذاقه من عذابْ

ويرسل الأسماعْ — تصغي إلى الأفواهْ
فما توافِي الرِّباعْ — بمثله أوّاهْ !

ويبصر الأشجارْ — من حوله وَسْنَى
وفوقها الأطيارْ — تقضى الدجى أمْنَا

أكلُّ ما في الوجودْ — غفوانُ حتى الجمادْ
إلا المُعَنَّى الشريدْ — فقد جفاه الرقادْ ؟

الفجرُ ! أين سناه — يشع في مُقلتيْهْ
وأين طِيبُ نداه — يَرِفُّ عطفاً عليه

***

يا ليلُ طُلْ يا ليلْ — على صريع الهوَى
سيلٌ من السهد سَيْلْ — طواه فيمن طوَى

نَزَا به العِزْبِيدْ — يستعجل الوعدا
والدهرُ جافٍ عنيدْ — يزيده بُعْدا

كم عَاثَ بالعقربَيْنْ — في الساعة الدائرهْ
وما هما واقفَينْ — بل عينُهُ القاصرهْ

وكم أراهُ الخيالْ — في الموعدِ المُنتظَرْ
دُنيا من الآمالْ — تُنسِي النُّهَى والفِكَرْ

وَحان وَقتُ اللقاءْ — ولم يُوافِ الحبيبْ
فلم يَزَلْ بالرجاءْ — يدعوه ألّا يخيبْ

وَبَثَّ منه العيونْ — ترتادُ أُفْقَى مَدَى
يا مُسْرِفاً في الظنونْ — صَفِرَتْ منها يَدَا

وعاد يطوى حشاهْ — على لظًى سَوَّارْ
يضجُّ ! وا أسفاهْ — نار ولا كالنارْ

والليلُ عونُ الهمومْ — يهيجها بالسكونْ
ما الليلُ للمحرومْ — إلا مَثار الجنونْ

نَمْ يا خَلِيَّ الفؤادْ — وانعم بطيب المنامْ
خَلِّ الجوى والسُّهادْ — لِذِي الهوى والسقامْ

« منوف » — فريد عين شوكة

شـــك وأمل

وقنعت منك بنظرة وبلفتة   وطفقت أحلم بالنعيم المقبـل
أصغى إلى رنات صوتك مثلما   يصغى الغدير إلى هزيج البلبل
وشربت من هذا الحديث المشتهى
كأساً ألذ من الرحيق السلسل
كاشفتك الحب الدفين فأشرقت   عيناك تفحصنى وتنكر مقولى
وظننتنى ألهو بقولىَ مثلما   يلهو الوري فى خسة وتبـذل
إنى أمحضك الوداد فصدقى   فالشك يطعن مهجتى فى مقتل
لوددت أن يبدو فؤادى حاسراً   لترىْ وفائى فى هواك فتعدلي
ستجيئك الأيام بالخبر الذى   ينبيك عن قلبي فلا تتعجلى
أو ما قرأت الحب فى عينى وفى   نبرات صوتى الواجف المتبابل
وأبنت لى شطراً من الهم الذى   يجثو على جنبيك مثل الجندل
فبكى فؤادى حسرة وعجبت من   دنيا تغر الناظرين وتبتلى
أمثل هـذا الحسن يجرع فى الأسى
ويبيت فى ليـــل بهيم أليـــل
أخشى عليك لهيب حب جامح   فأصد عنك وفى صدودى مقتلى
ألقاك بالذكرى على رغم الألى   بخلوا علينــا باللقاء الأول
لأطعت فيك صبابتى مستهتراً   لولا حـديث المحنقين العذل
لـكن بحسبي أن قلبـك عالم   بنـوازعى وخـوالجى وتعللى
إنى لأهزأ بالعوالم كلهـــا   مادمت أشعر أن قلبك صارلى

«الاسكندرية»   عبد الحميد السنوسى

يا أيهـا الطفـــل

يا أيُّهـا الطِّفلُ أنتَ أُغنيةٌ   غَنّى بها الدَّهرُ فى مجاهيلِ
الشَّدْوُ من ناظِرَيْكَ أسمعهُ   يُتْبِعِ ترتيلَه بترْتيـــلِ
وَاللحنُ من لَفتتَيْكَ مُنطلِقٌ   ينْسابُ حُرًّا بغـير تـكْبيلِ

* * *

يا أيُّهَا الطِّفلُ ، أنت أُمنيَةٌ   وأنت نبْضٌ فى مُهْجَةِ الزَّمَنْ
كَيْفَ تَرَاني وَكَيْفَ تَسْمَعُنِي   أجْمَعَ ما فى الحياةِ فى قرَنِ
وكلُّ لَحْنٍ مما بَعَثْتَ به   طِفلٌ بِحِسِّ الوجودِ جِدُّ غنى !

* * *

يا أيُّهـا الطفلُ ، أنت خاطِرَةٌ   من قبْلُ لاحَتْ فى خاطِرِ الأَبَدِ!
دَعَا بهـا اللفظُ وهى سَانِحَةٌ   فَحُوصِرَتْ بين ذلك الجَسَدِ
قد قالَكَ الـكونُ قِيلَةً عجباً   فى لَفْظَةٍ فَرْدَةٍ وَلم يَزِدِ !

« دماس »   العوضى الوكيل

بيجـــــو

« كلب الأستاذ العقاد الذى رثاه
في العدد الماضى بتلك المرثية الفريدة »

(بيجو) من الأرض سلام لكا
قد عزَّ عنـدى الآن أن تهلكا
لو لم تكن مســتأهلاً ذلكا
لما بكى (الجبار) من أجلكا
واهتزت الدنيا لهـذا الصنيع

* * *

دنيا الوفاء الحـق لا الـكاذب
والود : ذاك العجبِ العاجب
أين صديقُ الناس يا صاحبى ؟
إن لم يكن فى سوقها الكاسب
أيشترى — خيرله — أم يبيع ؟!

* * *

خُلِدت (يا بيجو) ونعم الخلود
وعدت حيًّا أيُّهــذا الفقيد
فى عالم الذكر الذى لا يبيـد
تهفو لك الدنيا بذاك النشيد
فيـه أمير الشعر باكٍ ضريع

« دمنهور »   ابراهيم ابراهيم على



مؤتمر المستشرقين فى بروكسل

احتفل رسمياً فى صباح اليوم الخامس من هذا الشهر بافتتاح مؤتمر المستشرقين فى بروكسل وناب عن جلالة ملك البلجيك أحد كبار رجاله، وأعلن وزير المعارف افتتاح المؤتمر بخطاب ألقاه باللغة الفرنسية ثم باللغة الفلمنكية، حيا فيه الأعضاء ورحب بهم؛ ثم تلاه رئيس المؤتمر الأستاذ كافار وهو عالم كبير فى الآثار المصرية وله مؤلفات ومقالات تربى على ٣٠٠، من أحدثها كتابه عن الحضارة المصرية وقد صدر فى سنة ١٩٣٦، فشكر لوزير المعارف وعدد فضائل الأسرة المالكة فى بلجيكا واهتمامها بالعلوم ولا سيما الاكتشافات الأثرية فى مصر

وتكلم الدكتور طه حسين بك عن كتاب « الفصول والغايات لأبى العلاء المعرى » وهو الكتاب الذي صححه وشرحه وضبطه ونشره عن نسخته الوحيدة الأستاذ محمود حسن زناتى

ثم ألقى الأستاذ ماير من جامعة القدس بحثاً عن الدراسات الاسلامية الحديثة فى فلسطين ونوه بجهود الجامعة العبرية فى المخطوطات وفى الحفر عن آثار الأمويين وأشار إلى النقود الاسلامية

وألقى الأستاذ محمد محمود جمعة بحثاً عن العرب فى بلاد فارس فى عهد الفاطميين

وفى المساء أقام حاكم بروكسل حفلة شاى فخمة لأعضاء المؤتمر خطب فيها مرحباً بهم، ورد عليه المسيو كافار

واجتمع المؤتمر فى اليوم الثانى فتكلم الأستاذ سامي جبره عن اكتشافات الجامعة المصرية الحديثة وعرض بعض صورها

وألقى الأستاذ بروجلهان المستشرق المعروف بحثاً عن الشعر العربى من عهد المرحوم محمود سامي البارودي باشا ذكر فيه من شعراء مصر شوقى وحافظ وأبا شادى وخليل مطران

وتكلم الأستاذ الدكتور عبدالوهاب عزام عن السلطان الغورى وعلاقته بالعلوم والآداب وعن مخطوط « نفائس المجالس السلطانية »

ودعى المؤتمر في المساء إلى حفلة كبيرة أعدتها لهم الحكومة؛ واحتفلت بهم فى اليوم التالى جامعة لوفان. وفى الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم لبوا دعوة وزير المستعمرات وفى يوم الاربعاء ألقى الأستاذ جب المستشرق الانجليزى محاضرته فى آراء أهل السنة فى الخلافة. وفى يوم الخميس زار الأعضاء المكتبة الملكية وشهدوا حفلة افتتاح معرض الدراسات الشرقية

وسيرسل إلينا صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام خلاصة وافية عن أعمال هذا المؤتمر. وسننشر كذلك عنه فصلاً قيماً للدكتور بشر فارس، فقد شهد المؤتمر عن نفسه وعن الرسالة

حول ديوان الجارم

أخى الأستاذ الزيات

أشرتم فى البريد الأدبى إلى أن مجلة المكشوف أشارت إلى سرعة إخراج ديوان الجارم، فكأنها تريد أن تقول إنه أخرج بسرعة لينضاف إلى الكتب المقررة لطلبة المدارس

فمن الخير أن أصرح بأنى كنت من الداعين لإخراج هذا الديوان وقد قدّمت أصوله إلى المطبعة منذ أربعة عشر شهراً، فالشبهة من هذه الناحية منتفية تمام الانتفاء

وكتب اليكم أحد الفضلاء يقول إنى حين شرعت فى نقد ديوان الجارم غام علىّ الأفق فى وزارة المعارف وأخذنى الرعد من كل مكان

ومن حق عليكم أن تعلموا أنى لم أر فى وزارة المعارف شيئاً من بوادر الغيم والرعد، ولن أهيب كلمة الحق ولو أنذرتنى السماء بالصواعق

والجارم لا يملك شيئاً من مصير ديوانه، وسأمضي فى نقده بعد الفراغ من طبع كتاب التصوف الاسلامى

والعناية بنقد ديوان الجارم هي مظهر مودة لذلك الصديق . ولو كنت أضمر العتب عليه لسكت عنه . ولعله يعرف أن الثناء الذي يكال لديوانه في بعض الجرائد بلا حساب قد يكون باباً لسقوط ذلك الديوان

لقد انعدم النقد الأدبي أو كاد

فلنتوكل على الله ونواجه ذلك الصديق بكلمة الحق ، وإن كنت أومن بصواب الحكمة التي تقول : « إن قول الحق لم يدع لي صديقاً »

إن الجارم هو الصديق الذي بقي على الأيام ، فلنضفه باسم النقد إلى قائمة من أضعناهم من الأصدقاء . والقلم يجني على صاحبه في أكثر الأحيان ، وقد جنى علي ما شاء له العنف والاسراف

زكي مبارك

المؤتمر الدولي الثامن للعلوم التاريخية

أقيمت الحفلة الختامية للمؤتمر الدولي الثامن للعلوم التاريخية الذي عقد في زوريخ ، وقد وقع الاختيار على الدكتور ليلاند الأميركي ليتولى رياسة الاجتماع القادم الذي سيعقده المؤتمر في مدينة براغ في مايو سنة ١٩٣٩ . وقد أجلت المناقشة في الدعوة التي أرسلتها الحكومة الايطالية لعقد المؤتمر في روما عام ١٩٤٢

وكانت أهم ما امتازت به أعمال المؤتمر الحالي امتداد نشاطه إلى الهند والشرق الأقصى . وبدلا من أن ينظم المؤتمر الدراسة التاريخية بموضوعات مختلفة ، حاول في هذه المرة توسيع نطاق النظام الاقليمي للابحاث التاريخية ، وألف ثلاث لجان لدرس أحوال البلطيق والشرق الأدنى والشرق الأقصى . وستتناول لجنة الشرق الأدني بلاد البلقان وتركيا واليونان ومصر وفلسطين وسورية ؛ وسيكون أهم دراستها الوقوف على مدى نفوذ الفكرة الاسلامية وتأثيرها في هذه البلدان . وسيكون غرض اللجنة التحقق من حالة المعارف الحالية وزيادة عوامل الاتصال بين المؤرخين وجمع المعلومات الجديدة .

الى الأستاذ محمد سعيد العريان

سيدي الأستاذ الجليل صاحب الرسالة :

أقرأ بامعان الفصول الممتعة البليغة التي توالون نشرها في «الرسالة» الغراء عن حياة المرحوم الرافعي . وأشهد أن الأستاذ محمد سعيد العريان ـ صديق الفقيد وكاتب وحيه ـ قد أنفق جهداً قوياً في أن يجتنب القراء مشاركته فيما يحتمل من عناء وباقى من مشقة ويذوق من مرارة الصبر والمصابرة ليظهر لهم تاريخ حياة الرافعي كما هو من دون أن يعدل عن الأمانة التاريخية والتحقيق اللذين يفرضهما البحث الحديث فرضاً على الأدباء والمفكرين ...

وأشهد أيضاً ؛ لقد وفق الأستاذ سعيد في ترجمة حياة الرافعي ترجمة يغلب عليها الأسلوب التحليلي الفني أكثر من الأسلوب العلمي الجاف ، على ما في الثاني من قوة وسمو . فأنت ترى كيف يعرض علينا حياة الرافعي والمناسبات التي ألجأته إلى كتابة فصوله الممتعة القوية فتحس أنك أبعد شيء عن جفاء التاريخ وجفوته ، وأدنى شيء إلى جمال الفن وعذوبته ...

لن تكون حياة الرافعي وفصوله الممتعة منذ اليوم ، كما كانت من قبل ، غامضة مضطربة يتحدث عنها الأدباء بالتقريب لا بالتحقيق ، ويقولون فيها بالظن لا باليقين

بلى . ! ولسوف يجدون الرافعي عاش مخلصاً للفن يدع أهله وذويه وما هم فيه من هم وبلوي ـ على فقد زوجة ابنه ـ ليسجل على القرطاس خلجات فؤاده وشكايات ضلوعه وليخرج لقراء العربية قطعته الخالدة : « عروس تزف إلى قبرها » ...

ثم ماذا ؟ ..

ثم نود أن نسأل أخانا العريان عن سر هذا التناقض الذي وقع في السبب الذي من أجله كتب الرافعي مقالاته : الانتحار . فالأستاذ العريان يحدثنا عن السبب بقوله : « فلما بلغ الرافعي نبأ شروعه (شروع الأستاذ م وهو ابن لشيخ كبير من شيوخ الأزهر) بالانتحار جزع وتطير وضاقت نفسه وناله من الهم مالم ينله لحادثة مما لقي في دنياه فمن أجل هذه الحادثة أنشأ مقالات الانتحار » ...

ولكن الرافعي يزعم غير هذا الزعم فيقول[1] «عند ما انتهيت إلى هذا الموضع من تصنيف هذه الكلمات ألقى إلى كتاب وردمن مدينة «حمص» يذكر فيه صاحبه ضيقاً وشدة ويسأل : (ما هو

(١) راجع العدد « ٩٥ » من الرسالة في (الاستطراد) المنشور في ذيل « كلمة وكليمة »

علاج الملل النفساني واليأس الدنيوى إن لم يكن الموت إن لم يكن الانتحار؟) ثم يرجو أن يتولاه أول عدد ينتهى إليه من «الرسالة» كيلا يبغى على نفسه: وهأنذا أعجل له كلمات تأتى على أثرها إن شاء الله فى العدد التالى مقالة الانتحار» فما هذا التناقض بين الروايتين ؟.. أرجو أن يجلوه لنا الأستاذ سعيد وله الشكر ...

« حمص » عبد القادر جنيدى

الحفلة التذكارية السنوية لجبران

كان عدد المكشوف الأخير خاصاً بوصف الحفلة التذكارية السنوية لجبران ونشر ما قيل فيها من الخطب . ولعل قراءنا لا يعلمون شيئاً من تاريخ هذه الحفلة ، فنحن ننقل لهم طرفاً مما كتبت المكشوف :

عند ما توفى جبران خليل جبران منذ سبعة أعوام خلف ثروة قيل إنها تبلغ خمسين ألف دولار ، أوصى بها لشقيقته مريانا التى رافقت جثمانه إلى لبنان ، ثم عادت إلى بوسطن ، حيث تقيم الآن

وفتحت وصية جبران فإذا هو يطلق يد مارى هاسكل فى مخلفاته الأدبية ولوحاته الزيتية على أن تختار ما تشاء منها فترسله إلى بشرى . أما ريع مؤلفاته الانكليزية فقد أوصى بانفاقه على المنافع العامة فى وطنه الصغير

وبلغ مجموع ما أرسل إلى بشرى منذ سبع سنوات إلى اليوم ٢٥ ألف ليرة لبنانية سورية ، ويتراوح الدخل السنوى من المؤلفات بين ٦ و٧ آلاف دولار

وترك جبران مخطوطة كتاب بالانكليزية عنوانه « حديقة النبى » . ولكن شقيقته مريانا رفضت ضم دخل هذا الكتاب إلى دخل رفاقه بحجة أن الوصية تشمل الكتب المطبوعة لا المخطوطات . وكانت بينها وبين لجنة جبران الوطنية فى بشرى منازعة حول هذا الحق نظرت فيها المحاكم الأميركية فحكمت لها ، لأن لجنة جبران لم تتمكن من إقامة وكيل عنها إلا بعد مرور الزمن بعد صدور الحكم لمصلحة مريانا

أما مارى هاسكل فقد نفذت القسم المتعلق بها من الوصية وتتولى الآن تنفيذ القسم المتعلق بالانفاق على المنافع العامة فى بشرى لجنة مؤلفة من ١٦ عضواً يمثلون جميع الأسر البشراوية ويرأس هذه اللجنة الأستاذ سليم رحمه . ويتجدد أعضاؤها كل سنتين ، وهى التى تحيى كل سنة حفلة تذكارية لليوم الذى وصل فيه جثمان جبران إلى لبنان . فيقام قداس فى دير مار سركيس الذى يضم بين جدرانه رفات جبران ، ثم تقام حفلة خطابية يتكلم فيها أدباء بدعوة من اللجنة

وكان يوم ٢١ أغسطس الماضى موعد الحفلة التذكارية ، فانتدب غبطة البطريرك المارونى سيادة المطران الحاج لإقامة الذبيحة الالهية فى الصباح . وبعد الظهر غصت باحة فندق لبنان الكبير بالمدعوين إلى الحفلة الأدبية التى ترأسها سعادة فؤاد بك البريدى محافظ الشمال وحضرها جمهور غفير من الأعيان والمصطافين. وقد تعاقب الكلام عن جبران وأدبه الأساتذة مارون عبود وعمر فاخورى وخليل تقى الدين وحليم كنعان

وقد قال الأستاذ سليم رحمة فى خطابه الذى تحدث فيه عن الأعمال التى قامت بها اللجنة :

« أما العمل الذى تعتبره اللجنة فى مقدمة واجباتها فهو إنشاء جائزة سنوية قدرها مئتا ليرة لبنانية سورية تشجيعاً للتآليف القيمة وسعياً لتحقيق أمنية فى نفس جبران عند ما كان لا يزال فى قيد الحياة . ويسر اللجنة أن تساهم بهذه الجائزة فى الحركة الأدبية ، على أن تمنح الجائزة الأولى لأفضل كتاب يدرس جبران درساً واسعاً عميقاً شاملا . وقد سمت اللجنة فى تأليف مجمع أدبى من كبار أدباء لبنان قوامه تسعة أعضاء : سبعة من حملة الأقلام المعروفين واثنان من بشرى »

ومن أنفس ما نشر فى هذا العدد فقرات من رسائل تبودلت بين جبران ومى وُجدت بين مخلفاته ؛ وهى تكشف عن ناحية مجهولة فى حياة الصديقين العبقريين نختار منها قطعة من رسالة لمى تاريخها ١٥ يناير سنة ١٩٢٤

« ... ما معنى هذا الذى أكتبه؟ إنى لا أعرف ماذا أعنى به. ولكنى أعرف أنك محبوبى وأنى أخاف الحب . إنى أنتظر من الحب كثيراً فأخاف ألا يأتينى بكل ما أنتظر . أقول هذا مع علمى بأن القليل من الحب كثير . ولكن القليل فى الحب لا يرضينى . والجفاف والقحط واللاشىء خير من النزر اليسير .

كيف أجسر على الافضاء إليك بهذا وكيف أفرط فيه ، لا أدرى . الحمد لله إنى أكتبه على الورق ولا أتلفظ به ، لأنك لو كنت الآن حاضراً بالجسد لهربت خجلا بعد هذا الكلام ، ولاختفيت زمناً طويلا فما أدعك ترانى إلا بعد أن تنسى . حتى الكتابة ألوم نفسى عليها أحياناً لأنى بها حرة كل هذه الحرية .



الفلسفة الشرقية

تأليف الدكتور محمد غلاب

للاديب السيد احمد صقر

الدكتور محمد غلاب فى طليعة رجالنا الممتازين الذين جمعوا بين الثقافة العربية، والثقافة الغربية؛ وتذوقوا ماجمعوا، وهضموا ما تذوقوا، وأنتجوا مما هضموا نتاجا شهياً يمتاز بالعمق، وجدة العرض، وغزارة المادة، ورشاقة الأسلوب. ويمتاز الدكتور غلاب من بين هؤلاء الأفذاذ بميله الشديد للفلسفة، ولعل لوظيفته فى ذلك أكبر الأثر. فهو أستاذ الفلسفة فى كلية أصول الدين إحدى كليات الأزهر. ولقد كان الأزهر إلى عهد غير بعيد يحرم الفلسفة ويقذف المشتغلين بها بالزندقة والمروق، أما اليوم فقد صارت الفلسفة بأنواعها تدرس فيه، ووجد من رجاله من يؤلف فيها كتباً قيمة كهذا الكتاب الذى ألفه الدكتور ليسد ثغرة كانت مفتوحة فى الحياة العقلية المصرية؛ إذ أن ثقافتنا قد بلغت فى العلوم الطبيعية شأواً يسمح لنا بالوقوف فى صفوف الأمم الراقية، ولكنها في العلوم العقلية ليست شيئاً مذكوراً «فلا تزال مصر مقفرة فى الفلسفة إقفاراً يندى له جبين الانسانية خجلا، ولا تزال معارفنا الفلسفية بالقياس إلى أوربا تعد جسما بلا روح، أو كائناً أعجم إلى جانب إنسان [1]» لذلك اعتزم الدكتور القيام بهذه المحاولة الخطيرة مسترشداً بنور الحق والواجب ففكر وقدر ثم نظر فألفى الشرق — وهو منبع الحكمة، ومصدر العرفان — مغموط الحق، مطمور المجد، مجحود العظمة، فى هذه الناحية، فأراد أن يُصحح من مجده، ويظهر من حقه، ويجلو من عظمته بكتاب الفلسفة الشرقية والفلسفة الشرقية ليست كما يصورها (بارتلمى سانت هلير) عديمة النفع «لا تفيدنا دراستها إلا من جهة إرضاء النزعة فى

(١) مقدمة الفلسفة الشرقية ص ٧

أتذكر قول القدماء من الشرقيين: إنه خير للبنت ألا تقرأ ولا تكتب؟ إن القديس توما يظهر هنا. وليس ما أبدى هنا أثر الوراثة فحسب، بل هو شيء أبعد من الوراثة. ما هو؟

قل لى أنت ما هو هذا؟ وقل لى ما إذا كنت على ضلال أو على هدى، فانى أثق بك وأصدق بالبداهة كل ما تقول. وسواء أكنت مخطئة أم غير مخطئة فان قلبي يسير اليك، وخير ما فى يظل حائماً حواليك، يحرسك ويحنو عليك.

غابت الشمس وراء الأفق. ومن خلال السحب العجيبة والأشكال والألوان حصحصت نجمة لامعة، نجمة واحدة، هى الزهرة إلاهة الحب. أترى يسكنها كأرضنا بشر يحبون ويتشوقون؟ ربما وُجد فيها من هى مثلي، لها جبران واحد حلو بعيد بعيد، هو القريب القريب، تكتب اليه الآن والشفق يملأ الفضاء، وتعلم ان الظلام يخلف الشفق، وأن النور يتبع الظلام، وأن الليل سيخلف النهار، والنهار سيتبع الليل مرات كثيرة قبل أن ترى الذى تحبه، فتتسرب اليها كل وحشة الشفق، وكل وحشة الليل، فتلقى بالقلم جانباً لتحتمى من الوحشة فى اسم واحد: جبران.

مصر، ١٥ يناير سنة ١٩٢٤

وحى بغداد

صديقنا الدكتور زكى مبارك من الشعراء المقلين القلال. وقد يفيض عليه الالهام فى بعض أحواله فيطول نفَسه ويتسع مداه. وقد نظم فى هذه الأيام قصيدة عصماء بلغت أبياتها ١١١ بيت عنوانها (من جحيم الظلم فى القاهرة، إلى سمير الوجد فى بغداد). وقد تفضل فخص بها الرسالة، وسننشرها فى العدد المقبل

الاطلاع دون أن يتصل بنا أمرها كثيراً، فليس علينا أن نصمد اليها لنعرف من نحن ومن أين جئنا[١] » بل هي جد النافع ، حرية بالبحث والتحليل . والواجب على من أراد دراسة الفلسفة أن يبدأ بها ليكون على بينة من العناصر الأساسية التي تتكون منها الجسم المراد درسه من جهة ، ولكي يصل أوائل حلقات السلسلة العقلية بأواخرها من جهة ثانية[٢] »

يقع هذا الكتاب في ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو مصدر بمقدمة اشتملت على مناهج البحث في العصر الحديث وعلى ما يجب أن يسلكه الفيلسوف في استعراض المذاهب الفلسفية، وما يجب أن يكون عليه من الصفات ، وما يجب أن يلاحظ من ترتيب الحوادث بعضها على بعض تبعاً لقانون المنطق القويم حتى تكون نتائجه سليمة قويمة ، واشتملت فوق ذلك على بحث مشكلتين عويصتين طال فيهما لجاج العلماء . وهما : أصل الفلسفة وهل هي إغريقية مبتدعة أم شرقية متبعة ؛ وتسلسل الثقافات بعضها من بعض . أما الكتاب نفسه فقد عرض في تفصيل وتحليل دقيقين للفلسفات المصرية ، والهندية ، والفارسية ، والصينية ، والكلدانية والعبرانية ، فدرس في مصر الحياة العقلية منذ نشأتها ، وتعقب التفكير وتطوره في عصرها قبل التاريخ ، ثم في عصور : منفيس، ومدينة الشمس ، وطيبة ، فأبان بإسهاب التطورات التي تعاقبت على آراء المصريين في الألوهية ، والنفس والآخرة ، والسؤال والميزان ، والعقاب والثواب ، والأخلاق والآداب ، والفنون والعلوم . ولعل من الطريف أن نذكر هنا أن الدكتور قال : عرف المصريون الضمير منذ أقدم عصورهم ، ووصفوه وصفاً فلسفياً فقال فيه قائلهم : إن قلب الانسان هو إلهه الخاص ، وإن قلبي قد رضي عن كل ما عملته وكل من رضي قلبه عن عمله التحق بمرتبة الآلهة »[٣]

ثم انتقل الدكتور إلى الهند فتناول فيها أربعة عشر مذهباً بين ديني وفلسفي بتحليل ونقد لو أننا حاولنا تعقبهما لطال بنا الكلام ولكنا نكتفي بالاشارة إلى مدارسة « ساسكيهيا » التي وجد فيها المنطق قبل أن يوجد أرسطو بأمد بعيد ، ولم يذر الحديث عن الهند حتى قرر « أن الفلسفة بجميع أقسامها قد أزهرت فيها إزهاراً فائقاً، وأن اليونان مدينة

(١) مقدمة الكون والفساد لأرسطو ترجمة الأستاذ احمد لطفي السيد باشا

(٢) الفلسفة الشرقية ص ١٧

(٣) المصدر السابق ص ٧٨

لتلك البلاد بكثير من نظرياتها التي يعتقد السطحيون أنها مبتدعة » وحسبك أن تعلم أنهم « وصلوا إلى نظرية الذر أو الجوهر الفرد قبل « ديموقريت » و « لوسيب » وأنهم أساتذة « فيثاغورث » أكبر رياضي اليونان على الأطلاق »[١]

وبعد أن فرغ من الهند انتقل إلى الكلام عن الفرس . فدرس الديانات القديمة ومذاهب « زرادشت » و « مانى » و « مزدك » دراسة وافية ممتعة . ثم عرج على الصين فتناول عصر ما قبل التاريخ . ثم العصر المنهجي ، حيث درس في عمق مذاهب : « لاهو — تسيه » و « كونفيشيوس » و « مانسيوس » والمدرسة السوفسطائية والمنطق في الفلسفة الصينية إلى غير ذلك من المباحث القيمة . ثم عرض بما يشبه ذلك إلى الفلسفتين : الكلدانية والعبرية ، وبالأخيرة ينتهي الكتاب

ولا إخالني بحاجة إلى أن أقول إن الدكتور أجاد العرض وأحسن القول فقرب الفلسفة إلى الناس، بعد طول نفور وشماس، فذلك معروف له من الفصول التي نشرتها الرسالة من الكتاب قبل ظهوره . بيد أني بحاجة إلى أن أقول كلمة صغيرة لا أجد مناصاً من قولها الخاص) كما يسميه ذلك القديم :

ذهب الدكتور إلى أنه هو الذي أثبت بالأدلة القاطعة « سذاجة أرسطو وأذنابه في دعواهم أن الفلسفة نشأت للمرة الأولى في « إيونيا » في القرن السادس قبل المسيح ، وأن أول فيلسوف في الدنيا هو (تاليس المليتي[٢]) والحق أن هذا الاثبات قديم الميلاد، وليس أدل على ذلك مما قاله الدكتور عن « ديوجين لا إرس » أنه أثبت في كتابه (حياة الفلاسفة) : أن الشرق قد سبق الغرب في النظر العقلي وأنه كان أستاذه وملهمه[٣] » وقد عاش هذا المؤرخ الأغريقي في القرن الثالث قبل المسيح .

وبعد فهذه كلمة عابرة أردنا بها التعريف بهذا الكتاب العظيم الذي سيكون — إن شاء الله — عظيم الأثر في حياتنا العقلية عامة ، وفي نهضتنا الفلسفية خاصة .

السيد احمد صقر

(١) المصدر نفسه ص ١٧٨ وما بعدها

(٢) ص ٣٤٤

(٣) ص ١٤



وســـائل الانعاش للمسرح المصري

يبدي كثير من كتاب المسرح الأسف من حالة الضعف والذبول التي وصل اليها في السنوات الأخيرة ، ونلاحظ أنهم يسرفون في إبداء ذلك الأسف ويبالغون في تصوير الدرك الذي تسفل اليه المسرح ، ويكتفون بعد ذلك بالوقوف على هيكله المحتضر وقراءة الفاتحة من أجله !

وقد جرت للكاتب محادثات طويلة مع أقطاب المسرح وعمده في مصر واتفق رأينا جميعاً على أن إنعاش المسرح المصري ينبغي له إجراء تجديد شامل في الطرق والوسائل التي يظن أنها مؤدية إلى ما نريد له من سمو وازدهار .

وخلاصة الرأي عندنا جميعاً أن هناك ناحيتين كبيرتين هما اللتان يجدر بنا أن نركز فيهما جهودنا وهما الجمهور والعرض .

وإذا نحن نظرنا ملياً في الأسباب التي من أجلها عاش المسرح في فرنسا وانجلترا واستطاع أن يقف في وجه التيار السينمائي الجارف محتفظاً بجمهوره وتقاليده ، نجد أن من أهم تلك الأسباب وجود جمهور كبير — في فرنسا وانجلترا على السواء — مسرحي الثقافة والميل ، لا يستبدل بالمسرح سينما أو استعراضاً راقصاً ولا يستغني عن مشاهد المسرحيات الحديثة ، على فداحة أسعار الدخول وتخصص المسارح المختلفة في نوع واحد من المسرحيات . وخلق جمهور مثل هذا ليس من الأمور اليسيرة ولكنه ليس متعذراً ولا مستحيلا ، لا سيما بعد ما أخذت وزارة المعارف بنظام تعميم فرق الهواة بمدارسها على اختلاف درجاتها ، وبعدما أسست الوزارة فرقة كبيرة حبتها بأسباب البقاء والاستقرار وخصصت لها نيفاً وعشرة آلاف جنيه

ولكن قيمة (البضاعة) هي أهم العوامل في جذب العميل بلامراء . وكلما زاد احتواؤها على الميزات والخصائص التي يرغبها ويريدها ، إزداد إقباله عليها وتشجيعه لها . وأنجح الفرق لدينا هي التي تميزت إدارتها بفهم مزاج الجمهور وميوله . ومع ذلك فهناك بدهيات عامة يتفق عليها الجميع ، ويقربها الجميع ، وفي مراعاتها إنهاض حقيقي للمسرح .

وخلاصة هذه البدهيات أن المتفرج الذي يذهب لمشاهدة إحدى المسرحيات ، يقوم في خياله أنه سوف يشاهد قصة قوية الموضوع ، واضحة الفكرة ، باهرة الاخراج ، رائعة التمثيل ، تعينه على قضاء سهرة مفيدة ولذيذة في نفس الوقت .

وروعة التمثيل مصدرها محاكاة الطبيعة والواقع والبعد عن التكلف . ومع أشد الأسف نعترف بأنه قل بين ممثلينا ومخرجينا من يجهل هذه البديهة ، ولكن قل منهم في نفس الوقت من عرف كيف يتخلص من ذلك التقليد المسرحي القديم ، وهو التهويل في كل شيء ! أما القصة فقد تحدثنا عنها في الأعداد الماضية بما يثبت أن القصة المصرية الصحيحة ، القوية الموضوع الواضحة الفكرة لم توجد بعد والنادر لا حكم له

والحركة الحركة ! فان السينما لم تكتسح المسرح إلا لأنها نشاط وحركة دائمة مستمرة ؛ أما المسرح فتهويل وتكاسل ونوم عميق

فليكن أول همنا خلق « الجمهور المسرحي » وليكن اعتمادنا في خلقه على الرغبات العملية التي نقدمها له . ولا فائدة من أية محاولة تقوم على غير هذا الأساس الواضح لكل ذي عينين

« الناقد القديم »

أخبار سينمائية ومسرحية

الانتهاء من فلم الدكتور



الاستاذ سليمان نجيب

يتقدم العمل فى إخراج فلم الدكتور بسرعة فائقة والمنتظر أن ينتهي فى آخر هذا الشهر . وهو ثالث الأفلام المصرية التى يقدمها لنا « أستوديو مصر » فى الموسم الذى بات على الأبواب . ويمثل الدور « الرجالى » الأول فى هذا الفيلم هو الأستاذ سليمان نجيب صاحب الرواية المسرحية الشهيرة بهذا الاسم . أما السيناريو فقد شاركه فى وضعه الأستاذ عسر . وتمثل الدور الأول أمامه الفنانة الموهوبة الآنسة أمينه رزق كما تقوم بدور نسائى كبير آخر السيدة دولت أبيض . ويقوم بالاخراج الأستاذ نيازى مصطفى الذى بزغ نجمه فى عالم الاخراج المحلى منذ أخرج شريط « سلامة فى خير » للأستاذ نجيب الريحانى

فلم عزيزة أمير



السيدة عزيزه أمير

ويسرنا أن نعلن على صفحات « الرسالة » عودة مؤسسة فن السينما فى مصر إلى إخراج افلام لحسابها فقد شرعت السيدة عزيزة أمير فى عمل سيناريو الرواية التى ألفها لها الزميل حسين فوزى . والمنتظر أن تبدأ العمل قبل نهاية شهر ديسمبر ، أما اسم الرواية فلم يستقر عليه الرأى بعد

سيمون سيمون



النجمة الفرنسية سيمون سيمون

فى أوائل هذا الشهر انتهى العقد بين سيمون سيمون النجمة الفرنسية الأصل المعروفة ، وبين شركة فوكس القرن العشرين وعاملها (داريل زانوك) ومما يؤسف له أن (داريل) رفض تجديد ذلك العقد الذى بمقتضاه ظلت (سيمون) طوال العامين الماضيين تتقاضى أجراً قدره ٢٠٠ جنيه عن كل أسبوع دون أن تمثل ما يساوى ربع هذه القيمة ، إذ أن الشركة لم تستفد منها كما يجب إلا فى روايتى « حب وإشارات) و «وأجوزيت» وقد نشرت إحدى المجلات الأمريكية أن سيمون سوف تشتغل بصالات الرقص الفنائى فى برودواي

فرانك كابرا

تعرض شركة كولمبيا لفرانك كابرا رواية كبرى هذا العام باسم (أنت لا يمكنك أن تأخذها معك) ويشترك معه فى تمثيلها من المشاهير (جين أرثر) و (البونيل باريمور) وهي مسرحية فكاهية نجحت للغاية فى برودواى ولها كسائر روايات فى هذا النجم مغزى سام



منظر من فيلم كابرا الجديد

وترى فيه (آن ميللر) زوجته فى الرواية وهي تاخذ درساً فى الرقص على (ميسكا إدير) بينما راح زوجها (دوب تايلور) يعزف على السا كسوفون)

والت ديزنى

جددت شركة (راديو) العقد مع (والت ديزنى) الرسام العالمى الشهير . وبمقتضى العقد الجديد فى تمهد والت بتقديم فيلم طويل واحد وثمانية عشر فلماً قصيراً للشركة فى العام القادم والسبب فى قصر الأفلام الطويلة على فيلم واحد هو فيلمه الطويل السابق (سيندريلا والأقزام السابعة) لم ينجح بدرجة فيه من الوجهة المالية ، كما كانت به عيوب كثيرة من الوجهة الفنية .

6 me Année, No. 272

Lundi - 19 - 9 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٧٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ رجب سنة ١٣٥٧ — ١٩ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

تذييل للحاشية

للأستاذ عباس محمود العقاد

الشاطئ قليل الزوار ، مقفر أو وشيك الإقفار ، وقد ظهرت الكروش فى الحمامات ، فكان ذلك علامة من علامات « التقويم » الذى اصطلح عليه رواد الشواطئ ومراقبوها ، فلا تظهر النساء ذوات الكروش فى الحمامات المشهورة إلا كان ذلك دليلاً على إقبال الخريف وانقضاء الصيف . إذ كان الزحام مغرياً بالتنافس فى محاسن الأجسام ، فاذا قل الزحام قل التنافس واجترأت على الظهور ، من لم تكن قبل ذلك تجترئ على العبور

وقضى الله ألا يكون شىء من الأشياء نافعاً كل النفع ولا ضاراً كل الضرر . فمن محاسن الشاطئ الذى كثرت أضراره فى رأى الوعاظ والمرشدين أنه يهدى إلى حاسة الجمال ويبثها فى سليقة النساء والرجال . وهذا غرض كان الأقدمون يتوخونه بالرياضة ، وكان الاسبرطيون يبلغونه باقامة المواسم التى يتبارى فيها الفتيان والفتيات فى مرانة الأعضاء ومرونة الأوصال . ولا ينحصر النفع بعد ذلك فى تحسين الجسد أو تحسين الذوق أو تحسين الحركات ، بل يسرى إلى الأذهان والأخلاق والأعمال والمعاملات ، فان الذى تعود ملاحظة الجمال فى تركيب الجسم وتوجيه حركاته خليق أن يتعود مثل ذلك فى فهم الأمور

وتقدير المناقب والصفات ، ثم يقل اشتهاؤه للجسد من ناحية الغريزة الحيوانية ، لأنه لا يستطيع أن يشتهى كل ما يراه ، ولأنه يألف ما يراه ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم فينظر إليه نظرته إلى الصور والتماثيل ، ويعرضه على مقاييس الفهم والتمييز ، ولا يعرضه على مقاييس الشهوات واللذات

فالحسناء التى تبدو على الشاطئ عارية أو شبه عارية لا تثير من غريزة الناظر بعض ما تثيره وهى لابسة جلباب النوم فى شرفة الدار ، فاذا كان ما يراه مائة حسناء — ولم يكن فرد واحدة — فليس فى وسع غريزته أن تنطلق فى جماع شهواته ونزواته ، ولابد له من الاخلاد إلى التأمل والاكتفاء بالنقد والتمييز والتطبع بهذا الطبع والاعراض عن حكم الغريزة وحده فى النظر إلى الأجسام

***

وعلى الشاطئ يعرف الناظر معنى الاصطلاح فى قوانين الاجتماع ، ويعرف أن مسألة الملابس أكثر ما تكون مسألة اصطلاح وعادة وتواضع بين الأمم كل أمة بما درجت عليه وجنحت مع الزمن إليه

فقد كنا نجلس فى ديوان من دواوين الحكومة وإلى جانبنا نافذة تطل على الطريق ، وأمام النافذة بيوت وشرفات ، فظهر على إحدى هذه الشرفات رجل يلبس « البيجامة » أو المنامة كما سماها صديقنا المازنى وأصاب فى إحدى قصصه الصغار ، فما راعنى إلا نأفف لمحته على وجه الموظف الكبير الذى كنت أزوره ، وإذا به يصيح فى غضب واشمئزاز : أهذا أدب ؟ يتعلمون لبس المنامات ولا يتعلمون كيف يلبسونها وأين يدارونها عن الأنظار ؟

خطر لى أن الدعابة هنا واجبة وأنها من الدعابات التى يجىء معها البحث وتحسن فيها المناقشة ، فقلت :

أرى الفرق عظيما بين المنامة والملابس التى يلبسها الموظفون من أهل الهند فى دواوين الحكومة ؟ أليس السروال هنا أسبغ على الجسم وأدنى إلى الوقار ؟

فسكت قليلاً كأنما كان هذا السؤال لا يخطر له على بال ، وراح يقول فى تلعثم : « ولكن الناس عادات ، وما يجوز فى الهند قد يعاب بيننا نحن المصريين ، وهذه المنامة من ملابس الأوربيين فاذا اقتدينا بهم فيها فليكونوا قدوة لنا فى مواضع لبسها وآداب الأزياء عندهم فى جملتها ... »

وكان جوابه فى الحقيقة مقطع القول وفصل الخطاب فى مثل هذا الموضوع ، لأن المسألة مسألة اصطلاح وتقدير ، فاذا كانت البيجامة لباسا للنوم والتبذل فهى لا تحسن فى غير مواضعها من البيت أو مواضعها من رفع التكليف ، ولا محل للمقابلة بينها وبين أزياء أهل الهند فى دواوين الحكومة لأن الهندى الذى يلقانى بالقميص الطويل والسروال الواسع لا يعتقد ولا أعتقد أنا أنه يلقانى بثياب التبذل أو بثياب النوم ، وهذا هو الفارق الذى يفصل بين زى وزى فى مشارق الأرض ومغاربها ، ولا فارق سواه فى اعتبار الثياب والأزياء

إن لاعب الكرة لا يغطى من جسمه نصف ما تغطيه المنامة ، ولكنه يظهر بين مئات الألوف فى ميدان لعب الكرة ولا يقدر على الظهور بالمنامة لواحد من الزوار غير من يعاشرونه فى البيت ويرفعون بينهم وبينه التكليف . وقد بلغ من تحرج بعض الأوربيين أنه لا ينتقل إلى حجرة الاستقبال فى داره بغير ملابس الاستقبال ، ولو لم يكن هنالك أحد من الزائرين

فالمسألة كلها مسألة اصطلاح حسب الوقت وحسب المكان وحسب السكان

ومن أجل هذا جاز أن يمشى الرجل والمرأة على شاطئ الحمام كالعاريين ، ولم يجز لهما فى عرف الشرطة أو عرف السابلة أن يصعدا السلم بهذه الحالة إلى عرض الطريق . ولقد يكون الشاطئ حافلا بالمئات من النظارة مستحمين أو غير مستحمين ، ويكون الطريق خلوا من عابر واحد فى تلك اللحظة ، ولكن الاصطلاح وحده هو الذى يمنع هنا ما يجيزه هناك

ليست المسألة إذن مسألة طول « القماش » ولا مسألة شكله ولا مسألة تفصيله أو الجانب الذى يبديه أو الجانب الذى يخفيه ، ولكنها كما أسلفنا مسألة المعنى الذى يوتمه فى روع الناظر والشعور الذى يبعثه ويوحيه . ومن ثم يأتى اليوم الذى يغلب فيه الاصطلاح المتبع على الاصطلاح المهجور ، وتخف وطأة الحكم الذى نحكمه على المستحمين والمستحمات ونحن صادرون عن معنى سابق وشعور قديم

على الشاطئ، يعرف الانسان هذا جيمه ويعرف معه سلطان الارادة على تكوين الأعضاء ، وتكوين الأذواق

فالأجسام الحسان التي ترى هناك لم تولد كاملة ولا ريب على هذا الصقل وعلى هذا الهندام ، ولعلها لم تكن كذلك قبل عام أو عامين ، ولم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بفضل العلاج في الغذاء والعلاج في الحركة والعلاج في سائر الأعمال

وبهذه المثابة نفهم سلطان الارادة ، ونفهم أن الارادة مسخرة لشعور الجمال حين يستعصي تسخيرها لشعور العقائد والفرائض والعادات

فهذه الحسناء اللعوب التي تحرم نفسها القوت والراحة وتنظر أمامها مشتهيات الطعام على المائدة فلا تقربها ، وتصبر على يد الحلاق ساعات ، وعلى يد الطبيب شهوراً وسنوات - كم تطيق من كل هذا أو بعض هذا في شهر رمضان ؟

وكم تطيق من كل هذا أو بعض هذا إن كانت مسيحية وفرض عليها الدين أن تجتنب اللحوم والأسماك في بعض الأيام ؟

بل كم تطيق من كل هذا أو بعض هذا إن قيل لها إن خطراً على الحياة يوجب عليها الصيام عن هذا الطعام أو التدثر بهذا الكساء على غير أحكام المساهر والأزياء ؟

لا تطيقه كله ولا بعضه ، ولا معنى لذلك إلا أن الارادة تصوغ الأجسام ، وأن شعور الجمال يصوغ الارادة كما يشاء حين يستعصي أمرها على العقائد والفروض . ومتى علمنا ذلك فليس هو بالعلم الهين اليسير ، ولا هو بالعلم الذي يأتي في عرض الشاطئ ويذهب في عرض الطريق ، لأنه علم أصيل نستفيده ونستفيد به في التربية والتعليم : تربية الأفراد وتربية الجماعات

عباس محمود العقاد

في الطريق إلى مؤتمر المستشرقين

من القاهرة الى بروكسل

للدكتور عبد الوهاب عزام

- ٢ -

بنيتي العزيزة بثينة

لعل رسالتي الأولى بلغتك فسرّتك . وهذه رسالتي الثانية .

قلت لنفسي وأنا على الباخرة « محمد علي » : قد ركبت هذا البحر بحر الروم أربع عشرة مرة فلماذا لم يوح إليّ شيئاً ؟ لماذا لم أصفه أو أصف حالي فيه بكلمة ؟ إنني حين أسافر إلى الشام أو العراق أو تركيا أو إيران أكتب عنها جهد المقل ، وعلى قدر ما يواتيني البيان ، وتأذن لي المشاغل . وإن لم أكتب أظل راغباً في الكتابة ، وتبقى في نفسي معان تودّ الاعراب عن نفسها أحدّث بها نفسي وأصحابي بين الحين والحين . فلماذا لم أخط حرفاً عن البحر الأبيض وأوربا ؟

قالت نفسي بعد تفكير طويل : أنت رجل عصبيّ قد ملأ نفسك التعصب لقومك العرب ولدينك الاسلام فلست تبالي بغيرها ، ولا تستلهم البيان إلا منهما

قلت : هذا حق، ولكن يحسن أن تصوّريه صورة أخرى؛ أحرى بك أن تقولي : إنك حينما ذهبت في بلاد الشرق وجدت قومك ولغتك وتاريخك وآثار أسلافك فتفرح أو تحزن ، وتنبسط أو تنقبض ، ويجول فكرك بين الماضي والحاضر فاخراً أو خجلاً ، راضياً أو ساخطاً ، داعياً أو ناهياً الخ . ولكن أوربا وأهل أوربا ليس بيننا وبينهم من سبب إلا ما أصابنا منهم وإلا هذا الجلاد الدائم بيننا وبينهم

قالت : ألا تكون مرة إنسانياً تسمو على العصبيات وتخرج من هذه الدوائر الضيقة ، وتنظر إلى الانسانية في سعتها، والحقائق في شمولها ، والعالم في جملته ؟

قلت : قد سألت السبب فأبنت لك الحق ، وصدقتك الجواب؛ فأما الانسانية والعصبية فموضوع آخر لا أريد أن أكدّر على نفسي صفو هذا السفر الممتع في هذا الجوّ الصاحي والبحر

الساجى ، بالكلام فى الإنسانية والعصبية وما يتصل بهما ؛ فهذا كلام إن عرف أوله لم يعرف آخره

على أنى ــ وحقاً أقول ــ أحسّ الآن فى نفسى معانى كثيرة يلهمنى إياها هذا البحر العظيم الذى نبتت حضارة الانسانية على شواطئه ، وحوت أعظم وقائع البشر صفحاته ، ولا يزال تاريخ البشر يسكن إذا سكن ويهيج إذا هاج . كم وعى التاريخ من حادثات على سواحل هذا اليم العظيم وعلى أمواجه !

ألم يكن للعرب فوق هذا البحر سلطان أعظم من لججه ، وعزمات أهول من أمواجه ؟ إن دولتهم لم تبلغ من عمرها خمس عشرة سنة حتى طمحت إليه ، ومدت سلطانها عليه ؛ ولم تبلغ العشرين حتى جالدت الروم فيه ، وحطمت أساطيلهم بأسطولها ، وشهد العالم أعجب وقائع البحار : العرب الذين لم يعرفوا إلا الابل سفن الصحراء ، يغلبون الروم فى بحر الروم ! أجل ، هزموهم فى موقعة ذات الصوارى سنة إحدى وثلاثين . ثم فتح العرب الجزر الشرقية ، ثم سارت من بعدُ أساطيل بنى الأغلب لفتح صقلية فاستولوا عليها حقباً طوالاً ، ثم ...

قالت نفسى : قد انتكستَ فى العصبيّة فانفسح لك مجال القول وانطلق لسانك تُشيد بالعرب ومجد العرب . ألم أقل إنك عصبي ؟ ألم أقل إنك عربيٌّ مسلم متعصب ؟

قلت : إن هــذا الأمر عجب ! إن ذكرت تاريخ قومى كان هذا عصبية ، وإن رويت تاريخ غيرهم كانت إنسانية ؟ أليس قومى من البشر فتاريخهم للبشر تاريخ ؟

لقد جاوزنا البارحة جزيرة كريد التى سماها العرب إقريطش وكان لهم فيها دُول وغِيَر . أفتلزمنى الانسانية أن أذكر كل من ملكوا هذه الجزيرة إلا العرب ؟ ليست العصبية أن أذكر قومي وأشيد بمآثرهم ، وليست الانسانية أن أنساهم وأغمط حقهم وأعق تاريخهم ؛ ولكن العصبية أن أتزيد فى القول فأحمدهم بما لم يفعلوا ، أو أتحيف غير قومى فأبخسهم ما فعلوا . فأما أن أذكر الحق وأروى الصدق ، فحقٌّ على للناس جميعاً وهو لقومي أحق

ها هو ذا مضيق مسّينا قد اقترب ، والسواحل عن يميننا وشمالنا تشتعل بالأضواء المتلألئة ، والمصابيح المنثورة بين السواحل والجبال . وهو ، ونور الحق ، وجمال الشعر ، منظر رائع جيل فى هذا الليل الساجى ، والباخرة تشق طريقها متمهلة تأخذ ذات اليمين مرة وذات الشمال أخرى ، تتحرّى سبيلها بين شعاب البحر وصخوره . والمنارات تومض وتخبو ، تهدى السفينة طريق النجاة وتحذّرها مواطن العطب . لشدّ ما تعجبنى وتملأ نفسى غبطة هــذه الحضارة الوهاجة ، والمدنية المضيئة ! وشد ما أرجو الخير للناس جميعاً فى ضوء هذه الحضارة ! ولشدّ ما يؤلمنى ويملأ نفسى أسفاً أن أذكر أن فى طىّ هــذه الحضارة دمارها وأن تحت هذه الأنوار نارها ، وأن هــذه المياه وهذه السواحل وما وراءها بيّتت للحضارة شرّا ، وتريد بهــا أمراً نُكرا . ليت الناس يدركون السلام ، ويعرفون الوئام ، فلا يبنوا ليهدموا ، ويعمروا ليدمروا ...

إن السفينة تتجه شطر الشمال الآن . وها هو القطب أمامنا وبنات نعش الكبرى قد دارت إلى الشمال وهوت قليلا نحو الأفق . ونحن الآن فى المضيق . فهذه إيطاليا إلى اليمين ، وهذه صقلية إلى اليسار . أأستطيع أن أمر هنا ، إنساناً أو شيطاناً ، فلا أذكر قومى فى صقلية وسواحل أوربا وأفريقية ، وما كان لهم من مجد مؤثّل ، وعزة قعساء ، ثم أذكر ما يحل اليوم بساحتهم فى أرجاء العالم من العذاب والخراب ؟ أأذكر طرابلس أم أذكر المغرب أم أذكر فلسطين ؟

... إن قلبي يكاد يوحى إلى لسانى لعن هذه الحضارة . إنى أتخيل الآن ذلك الفقيه أسد بن الفرات يقود جيش الأغالبة على لجج البحر لفتح صقلية ، وهو يحمل قلباً أبرّ بالانسانية والحضارة من قلوب أبناء عصرنا

قالت نفسى : لا تغضب إذا ذكرتك أن العصبية جاوزت بك الحق . أترى أسد بن الفرات وأساطيله شيئاً مذكوراً بجانب هذه المدنية الخلاقة التى تذكرك بها هذه السفينة الكبيرة تمخر عباب البحر فى ظلمات الليل لا تبالى أهاج البحر أم سكن ؟

قلت : لم أتكلم عن الصناعة والعلم ولكن ذكرت الرحمة والبرّ بالنــاس ، والعمل لاسعادهم والاخلاص فى إنصافهم ، والدعوة إلى المؤاخاة بينهم والتواضع للحق والبعد من الزهو والاعجاب والفخر والكبرياء ، ومراقبة الله فى خلقه

وبعد فقد جاوزنا المضيق وتركنا صقلية كما ترك الزمان تاريخ العرب . فأريحينى من هذا الجدال ، وانظرى إلى السماء والماء ، واستشعري شيئاً من الصفاء والسلام

على هامش أبحاث التيسير

ملاحظات انتقادية
على قواعد اللغة العربية

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

مدير دار الآثار العراقية

— ١ —

هذه ملاحظات انتقادية، كانت قد عنت لي في أوقات مختلفة خلال دراستي للكتب المدرسية الموضوعة لتعليم قواعد اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية؛ وكنت سردتها على بعض علماء اللغة ومعلميها، غير أنني أحجمت عن جمعها ونشرها على صفحات الصحف .. إلى الآن.

أما الآن، فبعد أن اطلعت على تقرير اللجنة التي ألفتها وزارة المعارف المصرية لدرس وسائل « تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة » وبعد أن رأيت طائفة من الملاحظات التي أبدتها بعض المحافل اللغوية على المقترحات المدونة في التقرير المذكور، رأيت من المحتم على أن أجمع وأنشر هذه الملاحظات والانتقادات.

ولهذا السبب جئت أرجو صديقي الأستاذ الزيات أن يتوسط في عرضها على أنظار قراء الرسالة بوجه عام، وعلى أنظار علماء اللغة ومؤلفيها بوجه خاص. (أبو خلدون)

كلمة تمهيدية

إن الغاية التي استهدفتها في بحثي هذا، تنحصر في مناقشة « قواعد اللغة العربيـة : الصرفية والنحوية » وحدها ، ولا تتضمن شيئاً في انتقاد « اللغة العربية » نفسها.

لأنني أعتقد أن « اللغة العربية » شيء، و « قواعد اللغة العربية » شيء آخر ...

فان « اللغة » — بوجه عام — تتكون تحت تأثير الحياة الاجتماعية، وتتطور بتطورها؛ في حين أن « قواعد اللغة » تتولد من الابحاث التي يقوم بها العلماء، وتتبدل بتبدل النظريات التي يضعها هؤلاء ...

فنستطيع أن نقول: إن « خصائص اللغة » تدخل في نطاق « الأمور الطبيعية » التي لا يمكن أن تقاس بمقاييس العقل النظري والمنطق الموجود، في حين أن « قواعد اللغة » لا تخرج عن نطاق « الأمور الاجتهادية » التي يجب أن تبقى خاضعة لحكم العقل والمنطق على الدوام.

إنني لا أعترض — في مقالي هذا — على من يقول بوجوب التمسك « بخصائص اللغة » على علاتها؛ غير أني أقول في الوقت نفسه: إن « قواعد اللغة المدونة في الكتب » لا تدخل في نطاق « خصائص اللغة »؛ فمهما تطرفنا في الأخذ بمبدأ « التمسك بخصائص اللغة على علاتها »، ومهما استرسلنا في الدفاع عن نظرية « المحافظة على تلك الخصائص بدون تبديل وتحوير » ... يجب أن نسلم في الوقت نفسه بأن ذلك لا يستلزم ـ بوجه من الوجوه ـ « التمسك بقواعد اللغة » على أشكالها الحالية. فيجب أن نتذكر على الدوام أن هذه القواعد من وضع علماء اللغة الأقدمين، وهي تمثل — بطبيعة الحال — طرق تفكيرهم في مسائل اللغة، وأساليب استنباطهم لقواعدها. لذلك لا يجوز لنا أن نقبلها بدون مناقشة وتفكير؛ بل يجب علينا أن نعيد النظر فيها، ونطيل التفكير حولها، لنكتشف مواطن الخطأ والصواب فيها، فنسعى إلى إصلاحها وتصحيحها وفقاً للطرق المنطقية المتبعة في الأبحاث العلمية بوجه عام ...

إن الملاحظات الانتقادية المعروضة في هذا المقال، مستندة على هذا الرأي الأساسي، ومنبعثة عن هذا الاعتقاد الصريح، وهي تقوم بحملة على « قواعد الصرف والنحو المدونة » وتطالب إصلاحها إصلاحاً جوهرياً ... دون أن تتجاهل « الخصائص » التي تختص بها اللغة العربيـة، ودون أن تدعو إلى إهمال تلك الخصائص أو الخروج عليها

* * *

هذا، ومما يجب ألا يعزب عن البال في هذا المقام أن العلماء

وبعد فيا بنيتي العزيزة! قد أخذت القلم لأصف لك بعض ما رأيت بعد أن فارقنا السفينة، وأحدثك عن سفري من جنوة إلى لوسرن في سويسرا، ولكن سبق إلى حديث البحر وتبعه القلم، ولست أجد الآن فراغا لاطالة الحديث. فحسبك هذه النبذة في هذه الرسالة. وعسى أن أجد عما قليل فراغا للرسالة الآتية. وأحسبها ستكون رسالة أختك مي لا رسالتك. والله يحفظك ويرعاك والسلام.

(بركسل) عبد الوهاب عزام

الذين توغلوا في استنباط قواعد اللغة العربية وتدوينها لم يتفق بعضهم مع بعض في جميع المباحث والأمور؛ بل كثيراً ما اختلفوا في عدد غير قليل من المسائل والقواعد؛ واختلافهم هذا أدى إلى تكوين مذاهب لغوية شتى

إنني لم أر داعياً لاستعراض جميع الآراء والمذاهب اللغوية خلال هذا الانتقاد؛ بل رأيت أن أحصر بحثي وانتقادي على «قواعد اللغة العربية» التي أصبحت «رسمية نوعاً ما» لدخولها في الكتب الدرسية واندماجها تقاليد التدريس

وأعتقد أن الكتب الدرسية التي تمثل «القواعد الرسمية» أحسن تمثيل، هي السلسلة المطبوعة في مصر بعنوان كتاب «قواعد اللغة العربية»، لأن هذه السلسلة تدرس في جميع المدارس المصرية بناء على قرار «وزارة المعارف العمومية» منذ عدة سنوات؛ وهي تحمل توقيعات عدد غير قليل من كبار الأساتذة والمفتشين؛ فقد ألفتها لجنة مكونة من خمسة أساتذة، «ووضعت خطتها وراجعتها لجنة مؤلفة من» خمسة آخرين؛ وبين هؤلاء المؤلفين والمصححين ثلاثة من أساتذة الجامعة المصرية ومدرسيها: (طه حسين، أحمد أمين، ابراهيم مصطفى)، وثلاثة من أساتذة دار العلوم: (محمود السيد عبد اللطيف، عبد المجيد الشافعي، علي عبد الواحد وافي)، وثلاثة من المفتشين: (محمد عطية الابراشي، محمد مهدي علام، ومحمد أحمد جاد المولى)؛ وقد ساعدت المكانة العلمية والأدبية التي اشتهر بها هؤلاء الأساتذة والعلماء على انتشار سلسلة هذه الكتب خارج القطر المصري أيضاً، حتى إن هذا الانتشار أخذ في آخر الأمر شكلاً رسمياً في العراق إذ اقتفت وزارة المعارف العراقية أثر وزارة المعارف المصرية في هذا الباب، فقررت تدريس الكتب المذكورة في جميع المدارس الابتدائية والثانوية

فاذا اعتبرنا «قواعد اللغة» المدونة في سلسلة هذه الكتب — المقررة في مصر والعراق — بمثابة «القواعد الرسمية» كنا قد عبرنا عن الحالة الراهنة أحسن تعبير

إن الملاحظات الانتقادية في هذا المقال تحوم حول الخطط المتبعة في الكتب الرسمية المذكورة وقواعد اللغة المدرجة بها

١ — تبويب المباحث

إن أبرز المآخذ التي تلفت أنظار الباحث في كتب «قواعد اللغة العربية» تعود إلى الطريقة المتبعة في «تبويب المباحث وعرضها» فان هذه الطريقة تخالف أصول التربية والتعليم مخالفة صريحة، كما تنافي العقل والمنطق منافاة تامة

وأعتقد أن الأمثلة التالية تكفي لإظهار هذه الحقيقة بكل وضوح وجلاء:

١ — من المعلوم أن مفهوم «المضاف» مرتبط بمفهوم «المضاف إليه» ارتباطاً وثيقاً، لأن كل واحد منهما يكوّن ركناً أصلياً من ركني «الاضافة». فلا نستطيع أن نتصور أحدهما دون أن نفكر في الآخر؛ ولا يمكننا أن نعطي فكرة واضحة عن أحدهما دون أن نتطرق إلى الآخر. فالمنطق يقضي علينا بالبحث في المضاف والمضاف إليه بصورة مرتبطة، بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر

غير أن «قواعد اللغة العربية» الرسمية تهمل هذا الأمر البديهي إهمالاً غريباً فلا تهتم بالعلاقة الوثيقة بين المضاف والمضاف إليه، وانما تجعل من كل منهما بحثاً مستقلاً يدخل في باب خاص

فاذا تتبعنا جميع الابحاث المتعلقة بالمضاف والمضاف إليه في سلسلة كتب القواعد التي نحن بصددها، نجد أن الجزء الأول منها يبحث في «المضاف إليه» وحده فهو يحاول تفهيم «المضاف إليه» عن طريق مقابلته بـ «النعت»، ويعرفه بهذا التعريف: «اسم يكمل معنى اسم سابق قبله ولا يدل على صفة فيه» (ص — ٤٥)

وأما الجزء الثاني فيذكر «المضاف» في أوائل أبحاثه مستقلا عن «الاضافة» وعن «المضاف إليه». يتطرق إليه في بحث «المعرفة والنكرة» عند ما يستعرض أنواع «المعرفة» تحت تعبير «المضاف إلى معرفة» (ص — ١١). وأما «المضاف إليه» فلا يذكره إلا في أواخر أبحاثه في باب الأسماء المجرورة. وهناك فقط يذكر العلاقة بين «المضاف والمضاف إليه» (ص ١٠١)

إنني أعترف بأنه يصعب على أن أتصور طريقة بحث وتبويب

أبعد من منطق اللغة من هذه الطريقة ، كما يستحيل على أن أبتكر خطة عرض وتعليم أفعل فى تصعيب الأبحاث وتشويش الأذهان من هذه الخطة ...

٢ — من المعلوم أن الأسماء تقسم من حيث شمول مدلولاتها إلى قسمين أصليين : اسم خاص أو اسم علم ، واسم عام أو اسم جنس . ويعتبر هذا التقسيم من التقسيمات الأساسية والمباحث الأولية فى جميع اللغات

غير أن قواعد « اللغة العربية » الرسمية « لا تذكر شيئاً عن اسم الجنس . وأما اسم العلم فتذكره فى الجزء الثانى ، دون أن تقابله بنقيضه . إنها تذكره فى بحث « النكرة والمعرفة » كنوع من أنواع المعرفة ، بين الضمير واسم الاشارة والاسم الموصول والمضاف إلى معرفة (ص — ١١)

إننى أعتقد بأن من ينظر فى هذه الخطة نظرة انتقادية مجردة عن تأثير « الألفة المخدرة » ، يضطر إلى التسليم بأنها لا تتفق مع أصول التصنيف العلمية بوجه من الوجوه ، كما أنها تنافى أساليب التعليم الصحيحة كل المنافاة

٣ — لا يخفى أن الفعل ينقسم — من حيث المعنى — إلى قسمين : لازم ومتعد ، ولا حاجة إلى البرهنة على أن المنطق يقضى بشرح هذا التقسيم فى باب الأفعال . غير أن « قواعد اللغة العربية » لا تسير على هذه الطريقة المنطقية ، بل تذكر ذلك عرضاً فى بحث المفعول به ، عند استعراض الأسماء المنصوبة فى باب « اعراب الأسماء » (الجزء الثالث — ص ١٠٦)

٤ — كذلك لا يخفى أن الفعل ينقسم — من وجهة أخرى — إلى معلوم ومجهول ، والمنطق يقضى بشرح ذلك فى باب الأفعال بطبيعة الحال؛ غير أن «قواعد اللغة العربية لا تلتزم هذه الطريقة المنطقية ، بل تذكر « المجهول » وحده ، وذلك بصورة عرضية فى بحث « نائب الفاعل » عند استعراض الأسماء المنصوبة فى باب « إعراب الأسماء » ؛ (الجزء الثانى ص ٤٥)

٥ — من المعلوم أن « حرف التعريف » من أهم عناصر الكلام فى اللغة العربية ؛ وهو كثير الاستعمال جداً فى التكلم والقراءة والكتابة ؛ ومع هذا إذا تتبعنا سلسلة كتب «قواعد اللغة العربية » نجدها لا تهتم به اهتماماً يتناسب مع كثرة استعماله :

فان الجزء الأول منها لا يذكر شيئاً عن حرف التعريف بالرغم من كثرة وروده فى عبارات الكتاب اعتباراً من صفحاته الأولى . والجزء الثانى أيضاً لا يلتفت إليه مع أنه يفرد بحثاً خاصاً للمعرفة والنكرة ، ويذكر خمسة أنواع من المعرفة فيها الضمير ، واسم الاشارة ، والاسم الموصول ، والمضاف إلى معرفة

إن حرف التعريف لا يثير شيئاً من اهتمام واضعى الكتب المذكورة إلا فى الجزء الثالث منها ، وهو الجزء الخاص بالصف المنتهى من الدراسة الابتدائية ؛ وذلك فى بحث أنواع المعارف تحت عنوان « المعرف بأل » (ص — ٤١)

٦ — من المقرر أن التنوين من خصائص اللغة العربية التى تستعمل كثيراً ، والتى تؤثر فى معنى الكلمات تأثيراً كبيراً . ومن الغريب أن كتب قواعد اللغة العربية لا تذكر شيئاً عنه إلا فى أواخر الجزء الثالث منها ؛ وذلك فى بحث « الممنوع من الصرف » — وفى صدد « إعراب الممنوع من الصرف » (ص — ٦١)

وإذا أجلنا النظر فى ذلك البحث وجدنا فيه استعراضاً طويلا للكلمات التى لا يجوز أن تنون ، ولكيفية إعراب تلك الكلمات دون أن نجد فيه أية إشارة إلى مواطن استعمال التنوين ، والمعانى المستفادة من التنوين ، والعلاقة الموجودة بين التعريف والتنوين ...

٧ — من الواضح أن أسماء الأعداد من أهم أركان اللغات ؛ وهى من الكلمات التى تستعمل بكثرة خلال الحديث والقراءة والكتابة ؛ غير أن كتب قواعد اللغة العربية لا تهتم بها ولا تذكر شيئاً عنها إلا فى الجزء الثالث منها . كما أنها لا تفعل ذلك إلا بصورة عرضية فى بحث التمييز خلال استعراض الأسماء المنصوبة» فى باب الأسماء المعربة ... (ص — ١٣٠)

أنا لا أرى لزوماً حاجة إلى الإكثار من هذه الأمثلة، ولا إلى إطالة الشرح لاظهار مواطن الخطأ والشذوذ فى كل واحدة منها غير أننى لا أود أن أختم ملاحظاتي على كيفية (التبويب والعرض) دون أن أشير إلى ما أعتقده فى منشأ هذه المآخذ والأخطاء الغريبة

وأسبابها — أعتقد أن أسباب كل ذلك تتلخص فى نزعة واحدة وهى نزعة « الاهتمام بالأحكام النحوية وبمواطن الاعراب » أكثر من « الالتفات إلى المعانى المفهومة ، ومواطن الاستعمال » .

كل شىء فى الطريقة المتبعة فى تبويب القواعد وعرضها يدل على أن الذين دونوا هذه القواعد وجهوا جل اهتمامهم إلى مسائل الاعراب ، واعتبروها الغاية القصوى من دراسة اللغة ، كأنهم ممن يعتقدون — ضمناً — أن جميع أبحاث قواعد اللغة يجب أن تبتدئ من وجهة نظر الاعراب ، وتنتهى بتثبيت قواعد الاعراب ، وتبوب حسب ماتقتضيه أحكام الاعراب ؛ وأما المعانى التى تؤديها الكلمات والوظائف التى تقوم بها فى تكوين العبارات فهى من الأمور الثانوية التى يجب أن تترك على الهامش ، أو من الأمور التافهة التى يجب أن تهمل بتاتاً ...

إن آثار هـذه النزعة المخالفة لأهم أسس التربية والتعليم تظهر بكل وضوح وجلاء فى الطرق المتبعة فى قضايا « التبويب » كما شرحناها آنفاً ، وتظهر بوضوح أكثر فى الطرق المتبعة فى أمور « التعريف » كما سنذكرها بعد ...

***

٢ — طريقة التعريف

إن معظم التعريفات المدونة فى كتب « قواعد اللغة العربية » مخالفـة للقواعد المنطقية التى يجب أن تراعى فى كل تعريف ، ومنافية للأسس التربيوية التى يجب أن يبنى عليها كل تعليم ...

وأبرز أمثلة هذه المخالفة تتجلى فى تعريف « اللازم والمتعدى » من الأفعال ... هـذا التعريف مسطور فى الجزء الثالث من كتب الدراسة الابتدائية والجزء الأول من كتب الدراسة الثانوية .. فاذا راجعنا كتاب الدراسة الابتدائية وجدنا فيه هذا التعريف : « يسمي الفعل متعدياً إذا نصب مفعولا به ، ويسمى لازماً إذا لم ينصبه » (ص١٠٦) فهذا التعريف لايدعو إلى التأمل فى مدلولات الأفعال لتمييز اللازم والمتعدى منها ، بل يطلب النظر فى تأثيرها فى إعراب الكلمات التى تليها دون ملاحظة طبيعة الحدث المفهوم منها

وإذا استعرضنا جميع التفاصيل التى تتقدم هذا التعريف نجد أن جميعها تسير على نفس النمط : المفعول به هو الاسم المنصوب الذي وقع الفعل على مسماه .. قد ينصب الفعل مفعولا واحداً .. وقد ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ... وقد ينصب مفعولين أصلهما ليس مبتدأ وخبراً ... ويسمى الفعل متعدياً إذا نصب مفعولاً به ، ويسمى لازماً إذا لم ينصبه ... (ص ١٠٥—١٠٦)

هـذه هى سلسلة الايضاحات التى توصل إلى التعريف الآنف الذكر ...

وأما إذا راجعنا الجزء الخاص بالدراسـة الثانوية ، وجدنا فيه أيضاً تعريفاً مماثلا للتعريف المذكور بعـد كلمة عن رفع الفاعل ونصب المفعول به :

« إذا قلت انفتح البابُ ، وفتح علىٌّ البابَ ، وتأملت الفعل فى المثالين وجدت الأول رفع الفاعل فقط ، ورأيت الثانى رفع الفاعل ونصب المفعول به ... وكل فعل من النوع الأول يسمى لازماً ، وكل فعل من النوع الثانى يسمى متعدياً ... فاللازم مالا ينصب مفعولا به ، والمتعدى ماينصب المفعول به (ص-٦٨)

إن نزعة إهمال « المعنى » ، والاستناد على « الاعراب » تتجلى فى هـذه الشروح والتعريفات بكل وضوح وجلاء ، وتؤدى إلى التباعد عن جادة المنطق تباعداً غريباً ؛ لأن الأسماء التى تقع تحت أبصارنا عند ما نقرأ فى الكتب والجرائد لاتكون مرفوعة أو منصوبة فى حد ذاتها ، بل تكون غير مشكولة ، فتحتمل الرفع والنصب على حد سواء . ونحن نحتاج إلى « قواعد النحو » لنعرف ما إذا كان يجب علينا أن نقرأ أواخر تلك الكلمات مرفوعة أو منصوبة ... وكذلك الأمر فى الكلمات التى تجول فى خاطرنا عند ما نفكر فى موضوع ونحاول التعبير عنه ، فإنها أيضاً لا تكون مرفوعة أو منصوبة فى حد ذاتها ؛ ونحن نقدم على رفعها أو نصبها حسب ما تعلمناه أو اعتدناه من قواعد النحو ، لذلك نستطيع أن نقول : إن اعتبار « نصب المفعول به » واسطة لتعريف « الفعل المتعدى » يكون بمثابة قلب الأمور رأساً على عقب ...

إن أبسط قواعد المنطق تقضى بتعريف اللازم والمتعدى من جهة ، والفاعل والمفعول من جهة أخرى ، حسب معانيها ومعانى

العبارة التى تتألف منها ، وذلك كما يفعل لغويو العالم بأجمعهم

وأما كيفية الاعراب ، فيجب أن تكون بمثابة « القاعدة التى نصل إليها ، لا « الأصل » الذى نبدأ منه ، أو «الأساس» الذى نبنى عليه ...

فلا يجوز لنا أن نقول : هـذا الفعل متعد ، لأنه نصب مفعولا به ، بل يجب أن نقول : هـذا الفعل متعد فيحتاج إلى مفعول به ؛ وهذا الاسم مفعول به ، فيجب أن يعرب منصوباً

إن طريقة « تعريف الكلمة بالنظر إلى إعرابها » فى كتب قواعد اللغة العربية ليست من الأمور المنحصرة فى بحث « المتعدى واللازم » ، بل هى من الطرق المتبعة فى كثير من الأبحاث الأخرى أيضاً :

المبتدأ — اسم مرفوع يقع فى أول الكلام (ج — ١ — ص ٣٠)

الفاعل اسم مرفوع يدل على الذى فعل الفعل ويذكر بعده (ج ١ ص ٣٢)

نائب الفاعل اسم مرفوع حل محل الفاعل بعد حذفه ، وتقدمه فعل مبنى للمجهول (ج ٢ — ص ٤٦)

المفعول المطلق اسم منصوب من لفظ الفعل يذكر لتوكيد فعله أو لبيان نوعه (ج ٢ — ص ٧١)

المفعول لأجله اسم منصوب يبين سبب حصول الفعل الذى قبله (ج ٢ — ص ٧٤)

المفعول معه اسم منصوب يبين الشىء الذى قارن وجوده وقوع الفعل ، ويكون مسبوقا بواو بمعنى مع (ج ٢ — ص٧٧)

ظرف الزمان اسم منصوب يبين زمن حصول الفعل (ج ٢ — ص ٨٠)

ظرف المكان اسم منصوب يبين مكان حصول الفعل (ج ٢ — ص ٨٠)

الحال — اسم منصوب يبين هيئة الفاعل أو المفعول به عند حصول الفعل (ج ٢ — ص ٨٥) ...

كل من يمعن النظر فى هذه التعريفات على ضوء الملاحظات التى سردناها آنفاً حول تعريف اللازم والمتعدى يسلم بأنها لا تتفق مع « منطق التعريف » بوجه من الوجوه ، كما أنها تخالف « أسس التعليم » مخالفة صريحة . فى الواقع أنها لا تستند الى أحكام الاعراب وحدها — مثل تعريف اللازم والمتعدى الذى انتقدناه آنفاً — ولكنها تجعل الاعراب ركناً أساسياً من أركانها ، وتخلط — بهذه الصورة — بين التعريف والقاعدة ، وبين الأصل والنتيجة ، خلطاً غريباً . فاذا أردنا أن نرجع هذه التعريفات إلى مقتضيات المنطق العلمى ، وجب أن نحذف منها كل ما يعود إلى الاعراب . أما مسألة الاعراب ، فيجب أن نفرغها فى قالب « قاعدة » مستقلة عن التعريف .

فلا يسوغ لنا أن نعرف الفاعل بقولنا: « الفاعل اسم مرفوع يدل على الذى فعل الفعل » بل يجب أن نعرفه بقولنا « اسم يدل على الذى فعل الفعل » ثم نأتى بقاعدة فى إعراب الفاعل مستقلة عن تعريفه ، فنقول : « الفاعل يعرب مرفوعاً »

كما يجب أن نتبع خطة مماثلة لما ذكرنا فى بقية التعريفات المذكورة آنفاً

ومما يلفت الأنظار فى هذا الباب ، بوجه خاص ، هو أن واضعى كتاب « تكوين الجمل » — الذى يؤلف الجزء الأول من سلسلة كتاب « قواعد اللغة العربية » — كانوا عرفوا الفاعل على هذا النمط دون أن يدمجوا قاعدة إعرابه فى تعريفه ، وذلك فى الطبعة الأولى من كتابهم ؛ ولكنهم غيروا خطتهم هذه فى الطبعة الثانية، كأنهم اعتبروا تعريفهم الأول خروجاً عن المألوف وغير واف بالمقصود ، فأرادوا أن يصححوه بتعريف يستند إلى الاعراب قبل كل شىء . فقالوا : « الفاعل اسم مرفوع يدل على ... » . وبذلك أخرجوا هذا التعريف أيضاً عن جادة المنطق والصواب ...

يظهر من هذه التفصيلات أن الخطة التى يمشى عليها المؤلفون فى التعريفات تستمد اتجاهها من النزعة التى ذكرناها آنفاً ، خلال تعليلنا للخطة المتبعة فى أمر التبويب ، وهى نزعة الاهتمام بالاعراب أكثر من الالتفات إلى المعنى والمفهوم

غير أنى أعتقد أن لهذه الخطة — ولهذه النزعة — بعض العوامل التاريخية التى تعود إلى أدوار نشأة « قواعد الصرف والنحو» ، فان من المعلوم أن هذه القواعد دونت — فى الدرجة الأولى — تحت تأثير حاجة الاعاجم الذين لم ينشأوا على العربية ، وذلك كما حدث فى أمر تدوين القواعد فى سائر اللغات بوجه عام؛ وكان القصد الأصلى من تعليم العربية لهؤلاء الاعاجم تمكينهم

من قراءة القرآن وتسهيل فهمهم لمعانيه. ومما لا يحتاج إلى إيضاح أن الأعجمي الذي يقرأ القرآن يرى أمام عينيه سلسلة كلمات مشكولة، بعضها مرفوع، وبعضها منصوب، وبعضها مجرور، وبعضها ساكن، فيرى ويقرأ هذه الكلمات قبل أن يفهم شيئاً من معانيها، فاذا اتخذ رفع الكلمة أو نصبها نقطة بدء لدرسه وبحثه فلا يكون قد سلك مسلكا مخالفاً للعقل والمنطق، من الوجهة العملية: فاذا قال: « هذا اسم مرفوع، وقع فى أول الجملة فهو المبتدأ إذن ... » وهذا اسم مرفوع أتى بعد الفعل، فهـو الفاعل إذن، يكون قد سار على خطة لا تجانب الصواب — من الوجهة العملية — بالنسبة إلى حالته الخاصة

غير أن الاستمرار على اتباع خطة مماثلة لهذه فى هذا العصر ولا سيما فى تعليم أبناء الضاد الذين يتكلمون العربية ويقرأون الكتب والجرائد والمجلات المطبوعة — لا يمكن أن أن يتفق مع مقتضيات المنطق بوجه من الوجوه، ويخالف أصول التربية والتعليم من كل الوجوه

إننى لا أجد سبيلاً لتعليلها إلا بارجاعها إلى تأثير الأحوال الخاصة التى أثرت إليها، وباعتبارها من تراث العصور القديمة التى نوهت بها. والمآخذ التى سأذكرها فى بحث « العلامات » تؤيد هذا التعليل بوضوح أقوى

« يتبع » ساطع الحصرى

كتاب المبشرين
الطاعن فى عربية القرآن
أمسلم مصرى أم مبشر بروتستنتى؟
لأستاذ جليـل
— ٢ —

أراد الكاتب المسلم فى تلك المجلة أن يغم إحدى الجريمتين — أعنى جريمة اللصوصية — فأورد فى تضاعيف أقوال المبشرين هذا المُثْلى:

« ألسنا نقرأ قوله تعـالى: (جنتان ذواتا أفنان[1]) ونراه يثنى (ذات) بذواتا مع أن نحونا يقول: إن مثنى ذات ذاتا »

« وقوله تعالى: (يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً) فلا ندرك سر نصب الظالمين إلا عند ما يقول لنا المفسرون إنها منصوبة على التخصيص »

« وقوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين). فنسأل كتب النحو لماذا لم يقل طائعتين بدلاً من طائعين، وهو يخاطب مثنى والمجيب مثنى أيضاً، فلا تسعفنا كتب النحو بجواب وإنما يسعفنا المفسر بقوله: إن المجيب هنا هم سكان السماء والأرض فنفهم المعنى وإن اختلفت القاعدة »

إن تلاعب الكاتب بخلطه أقوالاً بأقوال لم يستر لصوصيته بل ثبتها تثبيتاً، وعالن بأنه خريج فى الضلال والتضليل غير حاذق، ودل على أنه يجهل (النحو) الجهل كله و« قتات أرضٍ جاهلٌ بها[2] » وسأبين اليوم تخليطه ثم أجىء إلى كتاب المبشرين مغلط القرآن فى العربية ...

* * *

قال الكاتب المسلم: « ... مع أن (نحونا) يقول إن مثنى ذات ذاتا »

(١) قلت: الأقوال الكريمة فى (الكتاب) هى: « ولمن خاف مقام ربه جنتان. فبأى آلاء ربكما تكذبان. ذواتا أفنان »

(٢) قال الميدانى: يضرب لمن يباشر أمراً لا علم له به

أقول : إن علم العربية (أي النحو) فى كتبه المختصرة وفى مؤلفاته الكبيرة يقول : إن مثنى ذات (ذواتان) وتقول مثل قوله المعجمات القديمة والمعجمات العصرية[1] المبثوثة فى كل مكان . و (ذاتان) قليلة جائزة فى الشعر ، وهى ليست بالقاعدة

قال (الكتاب) : « فانك تقول : ذووى ردّ إلى أصله ، لأن أصله فعَل ؛ يدلك على ذلك قولهم ذواتان ، وكذلك الاضافة إلى ذاه ذوَوِىّ »

وقال الرضى فى (شرح الكافية) : « وردّ لام ذات فى التثنية فقالوا : ذواتا مال ، وقد جاء أيضاً ذاتا مال وهو قليل »

وقال ابن منظور فى (لسان العرب) : « وتقول هى ذات مال وهما ذواتا مال ، ويجوز فى الشعر ذاتا مال والتمام أحسن »

ونقل قوله الزبيدى فى (تاج العروس[2])

قال الكاتب المسلم : « ... فلا ندرك سر نصب (الظالمين) إلا عند ما يقول لنا المفسرون إنها منصوبة على التخصيص »

أقول : قد ذكرنى كلام هذا الكاتب بقول للعامة : « فلان من معرفته بالصحابة يترضى عن عنتر » وصاحبنا من تضلعه من النحو يخلط الخلط الذى ترى . وقد أوضحت الكتب المصنفة للصبيان (مثل الألفية وشرحها لابن عقيل) هذه (القاعدة) وعنوانها فيها : (اشتغال العامل عن المعمول) . قال سيبويه فى (هذا باب مايختار فيه إعمال الفعل مما يكون فى المبتدأ مبنياً عليه الفعل) : « رأيت عمراً وعبدَ الله مررت به ، ولقيت قيساً وبكراً أخذت أباه ، ولقيت خالداً وزيداً اشتريت له ثوباً . وإنما اختير النصب ههنا لأن الاسم الأول مبنى على الفعل فكان بناء الآخر على الفعل أحسن عندهم . ومثل ذلك : قوله عز وجل يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً »

وقال (المفصل) فى (ما أضمر عامله على شريطة التفسير) : « فالمختار فى موضعين أحدهما أن تعطف هذه الجملة على جملة فعلية »

قال شارحه ابن يعيش : « إذا كان النصب من غير تقدم فعل جائزاً كان مع تقدمه مختاراً إذ فيه تشاكل الجملتين ؛ قال الله تعالى : « يدخل من يشاء الآية »[1]

يقول الكاتب المسلم : « ... فنسأل كتب النحو لماذا لم يقل طائعتين ... »

قلت : لو سأل الكاتب (النحو) لأجابه ، ولو استهدى لهُدى ، لكنه كأنه فى مسطوره — فاهاالفيه[2] — من (المصحبين ...) فهو « يلفت القول لفتاً[3] ماضيا على الخَبِيل » !

إن المثنى قد تبدي (جمعاً) إذ « أن المثنى جمع » كما قال الرضى شارح (الكافية) و « من حيث أن التثنية جمع فى الحقيقة » كما قال ابن يعيش شارح (المفصل) و « نظيره قولك : فعلنا وأنتما اثنان فتكلمُ به كما تكلم به وأنتم ثلاثة لأن التثنية جمع » كما قال كتاب[4] سيبويه : و «من سنن العرب إذا ذكرت اثنين أن تجريهما مجرى الجمع » كما قال الثعالبي فى (سر العربية ومجارى كلام العرب وسننها) وهـذا من النحو — والنحو أنحاء — والذي حوّشته مصنفاته هو جزء من أجزاء ، وقد أبان ذلك العالم الشيخ (إبراهيم مصطفى) فى كتابه (إحياء النحو)

وقد قال (الكتاب) : « قالتـا أتينا طائعين — ولم يقل طائعتين والسماء والأرض مؤنثتان لأن النون والألف اللتين هما كناية أسمائهما فى قوله : (ائتيا) نظيرة كناية أسماء المخبرين من الرجال عن أنفسهم فأجرى قوله طائعين على ما جرى به الخبر عن الرجال كذلك »

وإن قال جاهل ضال عمه أو خادم جوعان من خدام

---

(١) مثل (البستان) للشيخ عبد الله البستانى و (أقرب الموارد) للشيخ سعيد الشرتونى

(٢) جاء فى طبعة للقاموس المحيط : « وهى ذات وهما ذاتان » وهـذا تطبيع وصوابه (وهما ذواتان) كما فى شرح القاموس

(١) قال الزمخشرى : « قرأ ابن الزبير (والظالمون) على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها » وقال العكبرى : النصب أحسن لأن المعطوف عليه قد عمل فيه الفعل . وقال الشيخ ابرهيم اليازجى : يترجح نصب الاسم إذا وقع بعد عاطف ملتصق به على جملة فعلية نحو قام زيد وعمرا أكرمته طلبا للمناسبة المستحسنة فى العطف لأن النصب يقتضى اضمار الفعل فيكون عطف فعلية على مثلها بخلاف الرفع فانه يستلزم عطف اسمية على فعلية

(٢) أى فم الداهية لفيه ونصبه على اضمار فعل

(٣) يرسله على عواهنه لا يبالى كيف جاء

(٤) وفى (الكتاب) : وسألت الخليل عن ما أحسن وجوههما فقال لأن الاثنين جمع وهذا بمنزلة قول الاثنين نحن فعلنا

المحترفين بالتبشير (التضليل) . هي السماء وهي الأرض فتأتيان طائعات لا طائعين فما لها والياء والنون — أجاب (النحو في الكتاب) : « وأما كل في فلك يسبحون ، ورأيتهم لي ساجدين ، ويأيها النمل ادخلوا مساكنكم فبمنزلة من يعقل من المخلوقين ويبصر الأمور ، فجازهذا حيث صارت هذه الأشياء تؤمر وتطيع وتفهم الكلام وتعبد بمنزلة الآدميين » وقال ابن يعيش مثل هذا ، وقال (النحو) في (شرح الكافية) : « يشبه غير ذوى العلم بهم في الصفات إذا كان مصدر تلك الصفات من أفعال العلماء كقوله تعالى (أتينا طائعين) وقوله (فظلت أعناقهم لها خاضعين) (ورأيتهم لي ساجدين) ومثل ذلك في الفعل : « وكل في فلك يسبحون » وقال كتاب (أسرار العربية) لأبي البركات الانباري : « فان قيل : من أين جاء هذا الجمع في قوله تعالى : (فقال لها وللأرض الآية) ؟ قيل : لأنه لما وصفها بالقول والقول من صفة من يعقل أجراها مجرى من يعقل ، وعلى هذا قوله تعالى : (إني رأيت الآية) لأنه لما وصفها بالسجود وهو من صفات من يعقل أجراها مجرى من يعقل ، فلهذا جمعت جمع من يعقل[1] » وفي (أسرار العربية) للثعالبي مثل ذلك

وذكر الكاتب المسلم في هاتيك المجلة : « إن هذان لساحران » مشددا النون ، وسلك في القول الكريم المسلك الزائغ المنحرف . وفي قول (الكتاب) قراءات : (إن هذين لساحران) (وإن هذان لساحران) وإن مخففة واللام هي الفارقة و (إن ذان إلا ساحران) و (أن هذان ساحران) بفتح أن وبغير لام بدل من النجوى ، و (إن هذان لساحران) والهاء مرادة والتقدير إنه هذان لساحران ، وحسنت اللام إذ كانت الجملة مفسرة للمضمر كما قال ابن يعيش . وقال الرضى : « وقد جاء ذان وتان واللذان واللتان في الأحوال الثلاثة » ومما قاله في (ذان) : « ذان صيغة مرتجلة غير مبنية على واحده ولو بنيت عليه لقيل ذيان »

***

ذلك بيان نحو العربية (علم العربية) — لا تفسير المفسرين — في أقوال في (كتاب العربية) وقد أطلت بما أوردت لكيما تعلن خربشة الخربشين وتخاليط المخلطين علانية ، وليعلم الجاهلون إنما كانوا ينشدون هدى وعلما أن ليس ثم (نحوان) : نحو العربية ونحو (القرآن) ، إنما هو نحو (الكتاب) ، وإنما هو نهج (الكتاب) ، وإنما هو بلاغة (الكتاب) ، وإنما هي سنة (الكتاب) ، وإنما هي شرعة (الكتاب) . وهل أقام (قواعد) العربية ، وهل شاد مجد العربية ، وهل أبدع حضارة العربية ، وهل هدى الناس كلهم أجمعين إلا القرآن ؟

إنه (والله) لمن دواهي الدهر أن يصير أناس في الغباوة والجهل إلى حيث صاروا ، فنجبر أن نقعد نشرح الجلي كل الجلي ، وأن نقول مصوتين في الشرق ، في مصر ، في نهار غير مغيم ، في رأد الضحى ، أو في الظاهرة : هذه الشمسُ وهذا ضوؤها ، فانظروا ياناظرين ... !

الاسكندرية « *** »

---

(١) وفي هذا الكتاب : « وإن قيل : فلم جاء هذا الجمع في الاعداد من العشرين إلى التسعين ؟ قيل : إنما جاء هذا الجمع لأن الاعداد لما كانت تقع على من يعقل نحو عشرين رجلا وعلى من لا يعقل نحو عشرين ثوبا غلب جانب من يعقل على مالا يعقل كما يغلب جانب المذكر على المؤنث في نحو أخواك هند وزيد وما أشبه ذلك »

الدين والأخلاق

بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

— ٥ —

جاء فى كتاب الأغانى أن الأخطل الشاعر قال لرجل من شيبان: (إن الرجل العالم بالشعر لا يبالى وحق الصليب إذا مر به البيت العائر السائر الجيد أمسلم قاله أم نصراني) وكل نقاد العرب قديماً وحديثاً يقولون مثل هذا القول سواء أكان الناقد من أدباء المذهب الجديد أم من أدباء المذهب القديم. ولو أن محدث الأخطل سأله عن اليهود والبوذيين لأضافهم إلى النصرانى فى قوله. وأنت ترى أن الأخطل أراد أن يؤكد قوله لحلف بحق الصليب. وكان كثير من المسلمين يفضلون الأخطل على غيره من شعراء عصره بالرغم من النعرة الدينية فى قوله. وكان يحدث هذا فى صدر الاسلام ولم يكن الدين فى صدر الاسلام أقل أثراً فى نفوس المسلمين منه اليوم، وإنما كان الأدباء وساميو الشعر أعرف بتذوق الشعر وأكثر حظاً من نشوته وأريحيته من قراء اليوم. ولم يكن بين الأدباء فى صدر الاسلام من يحس خوفاً على منزلته بين الأدباء والشعراء فيدفعه إلى أن يقول إن النصرانية أسقطت شعر الأخطل. نعم إن جريراً يعير الأخطل بخضوعه لرجال دينه. ولم يبحث النقاد عن عقيدة أبى تمام كي يحكموا بها على شعره. ولم يقل أحد من أمراء الشعر والنثر في عصور الأدب العربى إن الأُخُوَّة في الشعر أُخُوَّة فى الله، أو أن الأُخُوَّةَ فى الله أُخوةٌ فى الشعر. فهل كان أمراء البيان فى الشعر والنثر فى تلك العصور الطويلة على ضلال لا يفهمون الشعر ولا يجيدونه ولا يتبينون أصوله وشروطه وسننه ولا يعرفون كيف يتذوقونه؟ أم أنهم أصابوا عند ما قصروا الأخوة فى الدين على شعر حواشى ومتون كتب الفقه الدينى؟ أليس ادعاء بعض أدباء العصر إحلال الشعر عامة منزلة شعر حواشى الفقه الدينى دليلاً على فساد الذوق الشعرى فى هذا العصر؟ ثم أليس فى اتخاذهم وسائل الدول السياسية بنشر الدعوة ضد منافسيهم واتهامهم أنهم أنصار إبليس والرذيلة، ما يدل على جانب من الضعف، وعلى أنهم إنما يريدون استغلال تعصب العامة وأشباه العامة فى عصر لا يدرك فيه الرأي العام الشعر كما كان يدركه الرأى العام فى عصر الأخطل؟

وليت أن هذه الوسائل كانت تعين على عز وجاه فى بلد للشعر فيه كل العز والجاه والمال، ولكنها وسائل لا تغنى فتيلاً ولا تقرب من عز أو جاه أو مال، لأن هذه أمور لا تنال بالشعر إلا التافه الحقير منها وما أكثر طلابه.

أما الأستاذ الغمراوى فليست له مطامع دنيوية، وإنما هى العقيدة التى تقدمت به وبهذا المبدأ الذى يريد أن يسنه للشعراء؛ ولكنه لو كشف له عن سريرة الأدباء جميعاً حتى أشدهم تعصباً للقديم لوجد في سريرتهم أنهم يقولون كما قال الأخطل وأنهم يعرفون من أدب اللغة العربية ما يقصر أخوة الدين على شعر الحواشى والمتون.

قال الأستاذ الغمراوى إن أدباء المذهب الجديد يأخذون عن الأوربيين ما يخالف التقاليد الاسلامية، وإنهم إذاً يريدون (تغلب دين على دين) أى دين الأوربيين على دين العرب المسلمين، وإنهم يبيحون الشهوات، وإنهم أنصار الرذيلة. وقد ناقض الأستاذ نفسه فى هذا القول لأنهم لو كانوا يريدون تغليب المسيحية حقا ما أباحوا الشهوات ولا كانوا من أنصار الرذيلة. وإن إباحة الشهوات ليست مذهباً فى الشعر أو النثر جديداً، فنى الأدب العربى فى كل عصر من هذه الاباحة ما ليس له مثيل فى هذا العصر. وكان الأدباء المبيحون للشهوات أمثال بشار وغيره لا يدينون بدين. وإن أدباء المذهب القديم فى عصرنا لا ينكرون أن بشاراً وأبا نواس وغيرهما من مذهبهم الذى يدافعون عنه، أى المذهب القديم، وإن الفضائل إذاً ليست عامة فيهم والرذائل ليست عامة في خصومهم ولا التدين أيضاً، وإنما هم يعرفون أن سليقة الشعر فسدت فى أكثر القراء والرأي العام عموماً فى عصر عظمت فيه قوة الرأى العام ونفوذه، فهم يريدون استغلال تعصب الرأي العام الذى فسدت فيه سليقة الشعر ولم يبق له أو لطائفة كبيرة منه غير النعرة الدينية التى يريدون أن تستبيح كل شيء حتى المجون ابتغاء مرضات الله. فقد بلغ القراء خبر الحفلة التى

أقيمت لإحياء ذكرى حافظ بك إبراهيم ؛ وقد نشرت الصحف القصائد التي قيلت فيها ، وكان بها من المجون ما لو قاله أحد الأدباء الشبان من أنصار المذهب الجديد لقال أدباء المذهب القديم للناس: انظروا إلى خصائص المذهب الجديد كيف يستبيح المجون في حضرة كبار رجال الدولة والدين ينوبون عن المقام السامى ! أما والذين نظموه لم يكونوا من أدباء المذهب الجديد فهو إذاً ورع وتقوى وغيرة سامية على الفضائل في القول والعمل . هكذا ألف بعض الأدباء مجون الشعر العربي القديم حتى صار يُعَدّ من الأخلاق السامية . وما على الأديب في هذا العصر إلا أن يعلن على رءوس الشهود أنه من أنصار المذهب القديم فيباح له كل شيء من أجل عدائه للجديد ، ويكون مثله مثل الرجل الذي إذا عده العامة من أولياء الله الصالحين رفعوا عنه (الكلفة) وأباحوا له مالا يبيحون لغيره من عباد الله. فإذا ارتكب أحد (أولياء) العامة أمراً (ينتقد) وحاول أحد النظارة أن يعيبه به تجمهر الناس حوله وكل يقول له : أتركه يا شيخ ولا تعبه ، لأنه من أولياء الله وعباده الصالحين وقد رفعت عنه (الكلفة) فهو غير مسؤول عما يفعل . ومن الغريب أن بعض الأدباء أراد أن يفهم الحاضرين أن حافظ بك مات شهيد الحرب التي شنها عليه أدباء المذهب الجديد، ولم تكن هناك حرب وإنما انتقده الأستاذ المازني نقداً بريئاً خالياً من الفحش والمجون. أما الحرب فقد كانت سجالا بين أنصار حافظ وأنصار شوقي وكان الفريقان من أنصار المذهب القديم وكانا يستبيحان كل سلاح مهما كان، وتشهد بذلك نسخ الجرائد الأسبوعية التي طبعت في ذلك العهد . وكان أشد الناس حرباً على حافظ بك أنصاره من المرتزقة وكانوا يصنعون صنع الجنود المرتزقة فيخذلونه في أثناء المعركة من أجل رشوة وأجر مُطمع من خصمه

فإذا كان حافظ بك قد هزم في بعض معاركه فالذنب ذنب الجنود المرتزقة الذين خانوه والمعركة قائمة ولم يقدر خيانتهم. ولم يكن للمذهب الجديد وقتئذ أنصار عديدون، ولو قامت بينه وبينهم معركة ما استطاعوا لكثرة أنصاره أن ينالوا منه ، ولم يكن لهم حول حتى يدبروا له الدسائس . فكل ما قيل من هذا القبيل في الحفلة من قبيل السمر بالقصص الخيالية ، وله منفعة أخرى وهي جلب العداء لأنصار المذهب الجديد بالطريقة التي بها يجلب لهم العداء إذا قيل إنهم أنصار إبليس اللعين . ولو أن حافظ بك إبراهيم كان اليوم حياً لضحك ضحكا كثيراً إذا سمع ما يقوله أدباء المذهب القديم من أن أدباء المذهب الجديد نالوا منه ودسوا له . نعم إن الرجل كان محاطاً بالوشايات والسعايات من الأدباء ، ولا نعني أهل السياسة فهذه مسألة أخرى، وهذه الوشايات كان يتقدم بها الأدباء إما نكاية من بعضهم لبعض واستعانة بحافظ بك في تلك النكاية، وإما نكاية لشوقي منافسه كما كان جلساء شوقي يسعون عنده بحافظ نكاية له

ولو أنا رجعنا إلى ما ألف من المقالات والكتب منذ ثلاثين سنة ما وجدنا أثراً لهذا الاصطلاح: أعني اصطلاح تقسيم الأدب إلى جديد وقديم ، وإنما كان الشعراء الذين يسمون الآن أدباء المذهب الجديد يدعون إلى نبذ شعر الغزل المتكلف الذي كان مقدمة لقصائد المدح والهجاء والسياسة ، ونظم الشعر فيما تحسه النفس من حب أو غير حب على طريقة شعراء الجاهلية وصدر الاسلام. وكانوا أيضاً يدعون إلى نبذ المغالاة في المحسنات اللفظية التي أولع بها شعراء الدولة العباسية والرجوع إلى طريقة شعراء الجاهلية وصدر الاسلام في تفضيل صنعة العاطفة أو ذكرى العاطفة (وذكرى العاطفة عاطفة) . وكانوا أيضاً يدعون إلى نبذ التضييق في أبواب الشعر ونبذ المغالاة في تقييد حرية القول والرجوع إلى شيء من حرية القول التي كانت في كثير من عصور الشعر العربي القديم من غير دعوة خاصة إلى إباحة حرية القول من أجل الاباحية في الخلق

هذه كانت مبادئهم؛ فهم إذاً كانوا أخلق بأن يدعوا رجعيين، فهم كانوا رجعيين في طلب احتذاء شعراء الجاهلية وصدر الاسلام في وصف أحاسيس النفس وخواطرها رجوعاً عن الغزل الصناعي وأبواب القول الصناعي التي أولع بها المتأخرون. وكانوا رجعيين في طلب احتذاء سهولة العبارة وأقربها دلالة على الاحساس والمعنى كما كان يفعل شعراء الجاهلية وصدر الاسلام رجوعاً عن المبالغة في الصناعة التي أولع بها العباسيون . وكانوا رجعيين في طلبهم ألا يقصر الشعر على معان متفق عليها كما كان المتأخرون يفعلون والرجوع إلى طريقة المتقدمين في إظهار كل شاعر

خصائص نفسه وفكره وأن يباح له القول إذاً أكثر مما كان يباح للمتأخرين

فالنزعة إلى التجديد كانت في أول الأمر نزعة رجعية كما ترى؛ واتفق أن أنصارها قرأوا الشعر الأوربي فرأوا أن مبادئ رجعيتهم هي مبادئ الأدب الأوربي الصحيح السليم، وأن الأدب الأوربي يعينهم على تحقيق تلك الرجعية، وأنه إذا تقدم بهم الأدب الأوربي فيكون تقدماً كما كان يتقدم أدب الجاهلية وصدر الاسلام لو أنه لم تعترضه عوارض الجمود والقيود المصطنعة التي تغلبت على الأدب العربي بعد ذلك

فاذا كانت هذه النزعة قد دخلتها المغالاة فهي أمر طبيعي يعترض الأمور في أول الأمر حتى تستقر؛ وإذا كانت قد تفرعت منها فروع بعيدة فهذه سنة طبيعية، فالقرامطة والحشاشون والباطنية فروع بعيدة تفرعت من الشيعة كما تفرعت الشيعة من الاسلام. وربما كان من تلك الطوائف البعيدة ما ينكره الشيعة.

كذلك تفرعت من نهضة التجديد الرجعية فروع بعيدة ولا تزال تتفرع، ومن يحاسب نهضة التجديد عليها كمن يحاسب المسلمين عموماً على عقائد بعض الطوائف التي تفرعت من الاسلام

تفرعت من شيعة التجديد طائفة لم تراع أنه إذا أريد الاقلال من صناعة العباسيين فلابد من الاكثار من سلامة أسلوب كأسلوب شعراء صدر الاسلام مع تجنب حوشي الكلام، فدعت هذه الطائفة إلى أن يكون أسلوب الشعر أقرب الأساليب إلى لغة الكلام؛ وهذا لاعيب فيه إذا روعيت سلامة اللغة والعبارة. وتفرعت طائفة لم تراع أن وصف أحاسيس النفس وخواطرها ينبغي ألا يبلغ حد الاباحية في الخلق إذا أريد أن يحل شرح الأحاسيس والخواطر وبحثها محل الغزل وأبواب القول المصطنعة التي أولع بها المتأخرون. ولا ننكر أن أشد الشعراء حيطة في وصف النفس الانسانية وخواطرها على هذه الطريقة قد يشتط في بعض قوله، ولكنه شطط محدود ولا يهدم فضيلة المذهب، كما أن النهمة أو التخمة لا تقضى على فضيلة الأكل والطعام.

وتفرعت طائفة لم تراع أن تجديد المعاني والأخيلة ينبغي ألا يتعدى المعاني والأخيلة التي يقرها ويفهمها العقل البشري سواء أكان مصرياً أو إنجليزياً أو صينياً. أما الأخيلة البعيدة وأوجه الشبه القصية والضئيلة والتي لا قيمة لها ليست من أوجه التشبيه في الشعر الراقي الذي يعد من الطراز الأول في أي مكان.

وتفرعت طائفة ترى أن انقطاع الصلة بين الرموز والأمور التي يرمز إليها بالرموز، وتدخل صور الرموز بعضها في بعض، مما يروق بعض القراء لأنه يروع نفوسهم، ونسوا أن طمس معالم الصور إذا راق فترة لجماعة ليس من وسائل الشعر الخالد الذي يروق العقل البشري العالمي في كل زمان ومكان. وتفرعت طائفة تريد أن تحكم الوعي الباطني (أو العقل الباطن) بدل تحكيم ملكات العقل الظاهر المألوف، ورأوا أن هذه وسيلة للغوص إلى أعماق النفس ونسوا أن الغوص في أعماق النفس يقتضي يقظة الوعيين والعقلين الظاهر والباطن واتفاقهما وإلا كان ما يقوله القائل بالوعي الباطن وحده لا قيمة له

إن أدباء المذهب القديم عندما يتحدثون عن نهضة التجديد يغفلون أسبابها والضرورة الاجتماعية التي دعت إليها، وأنها في أولها كانت نزعة رجعية أو شبه رجعية، وأن الأدب الأوربي درس ليشد أزر هذه النزعة الرجعية المقبولة، وأن الطوائف المتطرفة التي تفرعت من النهضة لا تمثل النهضة كلها، وأن النهضة لا يحكم عليها إلا بأحسن مظاهرها، وأن أدباء المذهب القديم هم أيضاً قد تأثروا هذه المبادئ الرجعية الحميدة التي تحث عليها نهضة التجديد

(قارىء)

ليوم الإسراء : يوم فلسطين

الثورة الفلســــطينية

ثروة ضخمة للنفس العربية

للأستاذ عبد المنعم خلاف

يا مريق دمائهم لنا ! عقوق ما بعده عقوق أن نقدّم لكم كِفاءها من المداد الأسود !

وأنا أعلم أنكم فى شغل بجمع أشلائكم وآرابكم المبعثرة فى الطرقات والجبال والمدن ، عن جمع هذه الحروف والألفاظ من الصحف ؛ وفى شغل بدوى الرصاص عن هـذه الأصوات من بنى عمومتكم الذين يكتفون فى جهادهم لكم بانشادها وتزويقها وتزويرها أمام عيونهم العمياء وأسماعهم الصماء ... فلست أسوقها لكم فأهين تضحيتكم وعزائمكم التى تقول لنا : الآن فات أوان الكلام وقصائد التشجيع والاطراء ... وإنما أسوق هذه الكلمة لأنبه القوالين هنا وفى كل مكان عربى إلى أن من العيب الفاضح والقصور الفاحش أن نصر على ألا ندفع فى مقابل هذه الثروة النفسية الضخمة التى قدمها أهل فلسطين للعالم الاسلامى والعربى إلا الألفاظ العاجزة الذليلة ، وأن نتلهى بادارة أحاديث شقائهم ، ونقنع لهم بدعاء العجائز ...

إننا نحصل كل صباح ومساء من ثائرى فلسطين — والكل فيها ثائر — على مقتنيات من معانى التضحية والايمان والبسالة ، ما حصلنا عليها من كتاب ولا تاريخ ولا مشهد من مشاهد الدنيا ولا حركة من ثورات الأمم

لقد اشترى الله منهم نفوسهم ثم وزعها على أمثالنا من فقراء النفوس ! ففى كل نفس مسلمة وعربية الآن قطعة من نفوس مجاهدى فلسطين ، وزعها الله القوى بيده ليعطينا خمائر الايمان به وبالحق إيمان المجاهد لا إيمان الضعيف المستضعف . ولعل وراء هذه المحنة إرادة خفية للقدر فى إيقاظ نفوس العرب والمسلمين وتوجيههم إلى الطريق ... ولعلها رسالة جديدة من فلسطين أرض الرسالات والنبوات ...

فالله — له العزة — يقترض من الأغنياء للفقراء ، والغنى والفقر على سواء فى الأموال والأنفس ... فلنفهم هذا

ولقد تضخمت الثروة النفسية للعرب والمسلمين من هذا القرض الذى يعقده الله لنا من الشهداء والمجاهدين . وقد كنا نعيش فى فقر مدقع من الأمجاد والمفاخر منذ عهد صلاح الدين ، حتى أتى هؤلاء وجادوا علينا بأقصى غاية الجود فأصبحنا فى غنى كبير

إن الله وحده هو الذى استطاع أن يشترى هـذه النفوس الشابة من أسواق الحياة الناعمة وأن يرفعها على أعين المسلمين شهيدة كما ترفع الراية أمام الجيش المهزوم فتجمع فلوله ، وتذكره بشرفه وترده إلى فكرة وطنه وأهله وذرياته ومصالحه

لقد أعطى الفلسطينيون أممهم الاسلامية والعربية قطعة من الزمن الخالد الذى يقف فى مكانه من ذاكرة التاريخ جديداً عجيباً دائماً ! مع الأيام الخالدات التى مضى الدهر وتركها للناس لأنها الساعات الفاصلة فى وجود نوعهم على وجه الأرض ... فهم يحتفظون بها فى يقظة واعتزاز ويسلمونها كذلك إلى الذريات والأنسال

ولقد كتبوا بدمائهم وآلامهم براهين جديدة على صدق مولانا محمد ، وأنه لن يزال مستطيعاً بحفنة من أبنائه أن يفعل فى الدنيا الجديدة ما فعله فى الدنيا القديمة بحفنة « بدر » !

***

أتقرأون أيها القراء أخبار ثورة فلسطين كما تقرأون بقية الحروف السوداء فى الصحف ؟

إنى أقسم أنى أراها حمراء نارية ، صارخة ، مطاردة ، متربصة ، لها وجوه وأجسام تمشى على الصحف كما تمشى وتحيا معانيها ومدلولاتها فى الجبال والوديان والكهوف والمدن والقرى !!

إنها أول ما أبادر إلى قراءته كل يوم قبل الوضوء والصلاة لأغسل قلبى بالدم الكريم الذى يفيض من حروفها على نفسى .. ولأتلوها صلاة قبل الصلاة المكتوبة التى أقف فيها بعدئذ بنفس تشعر أنها ذليلة طريدة لم تدخل إلى الله كما دخل هؤلاء المجاهدون ، وتشعر أنها فى آخر الصفوف حين تكتفى فى خدمة الله والحق والمجد بتزويق الحروف !

وقد أصبحت حريصاً على أن أدخل إلى نفسى فى صباحها

ومسائها أخبار هـذه الزلزلة والتحطيم ومصارعة عوامل قوة الضعف لعوامل ضعف القوة ، لأرى كيف تترك النفوس المؤمنة الشريفة حياة اللذة والرفاهة وتعيش فى الجبال مشردة كالصقور والنسور . ولا ريب أن هـذا يفتح أعيننا اللاهية على آفاق فى الحياة رؤيتها ألذ من اللذة بألوان النعيم المعهود

وقد أصبحت أكرر دائماً هذه الجملة :

لا بد من جنون أيها العقلاء !

وهى جملة أوحاها إلى قلبي مصرع الشهيدين عز الدين القسام وفرحان السعدى : الشيخين اللذين فتحا باب الثورة فى فلسطين بتدبير جنونى فى رأى من يستعبدهم واقع الحياة ، وليس لهم إلهام العقيدة الذى يمتد بالملهمين إلى ما وراء عالم الأعين والحواس ...

ولكن هـذا التدبير أنتج صميم العقل والمنطق لأنه دفع بالقضية الفلسطينية إلى الموقف الفاصل بعد أن سئم المحقون الجدل مع « الثعلب » و « الأسد » فى الحق الذي ينادى على نفسه وأصحابه ...

وسواء انتهى النضال فى فلسطين بفوز العرب أم بفوز أعدائهم لا قدر الله، فانهم أعذروا وأقاموا الحجة وشفوا نفوسهم ونفوس العرب وخلوا أنفسهم من تبعات التقصير ، والتبعة الكبرى بعد ذلك على بقية العرب والمسلمين

وآفتنا فى قضايانا الوطنية هى هؤلاء العقلاء المناطقة الذين لا يعرفون الفرص التى يجب على الانسان فيها أن يجن ! وأول درجات جنونه ألا يفكر فى نفسه ، وأن يذهل عنها . وحين ينحرف لهذا عقله وطبعه يفعل الأعاجيب ، ويحصل بالجنون من الحياة التى لم تنصفه العقول فيها على كل ما يطلب ...

انظر إلى المنطق الذى يقعد المسلمين عن الموقف الحاسم فى المشكلة الفلسطينية : إنه يتمثل فى هؤلاء الأفراد الذين لايدينون إلا بالفردية ويسخرون من الأشخاص السائرين وراء كلمة الشرف أو « الوطنية » أو « العقيدة » وهؤلاء مقيدون بواقع منافعهم وخصوصياتهم ولذاتهم وحاجات نفوسهم وأجسامهم ، وليس عليهم وراء ذلك مسئوليات وتبعات

وهؤلاء هم الذين يقعدون دائماً بأممهم عن الوثبات والقفزات لأنهم غلف القلوب عمى العيون عاجزو الأقدام

فلو فكر الفلسطينيون « بالعقل الوضعى » و « الواقع العملى » فى قوة انجلترا وغنى الصهيونيين ، مقارنين ذلك بضعفهم وفقرهم أ كانوا أقدموا على عمل شيء من هـذه المعجزات التى يقومون بها الآن ؟

لقـد انطلقوا من كل قيد وصاروا قوة تفكر بالرؤوس والأرجل والأيدى كما توحى الساعة وتلهم الظروف وتحتم الحياة. صاروا قوة من قوى الطبيعة الغاضبة كالأعاصير والزلازل والبراكين

* * *

أولى بساستنا وجماهيرنا أن يشعروا حلفاءنا الانجليز فى موقف حاسم تتجمع فيه كل الارادات بما فى طويتنا من أننا لا يمكن أن نسلم بأن تخرج فلسطين من أيدينا .

والواقع أن هذا هو ما سيكون . ولكن ترددنا وتفرقنا وعدم إظهار مكنون صدورنا في الوقت المناسب هو الذى أطمع اليهود وأوهم الانجليز أننا سنخدر بالتدريج ونخدع عن مصير فلسطين .

وأؤكد أن الفلسطينيين والمسلمين لو أبدوا من ابتداء ظهور القضية الصهيونية ما يبدونه الآن من الثورة العملية فى فلسطين والثورة النفسية المنذرة بالشر فى كل بقاع العرب والمسلمين .. ما صارت فلسطين إلى مطمع لليهود . ولكن ترددنا وانقسامنا وعدم النظر البعيـد إلى المستقبل هو الذى أطمعهم فى أن يكون لهم حق فيها وأن يصير هذا الحق مكتسبا بتوالي الهجرة .

* * *

يا أهـل فلسطين المعذبين ! وحق العـزة والشرف لأنتم أسعد المسلمين الآن ، وأغناهم وأكثرهم أمنا !

أسعدهم ، لأنكم تركتم نحس الذلة وكآبة العبودية ، وتحررتم من كل شهوة دنيئة إلى الحياة الحقيرة المحدودة التى يرومها لكم المتآمرون عليكم

وأغناهم ؛ لأنكم ملكتم دنيا كم وظروفها إذ ملكتم أنفسكم الرحبة العظيمة وصرفتم مقدرات وطنكم بها ولم تبيعوا منها شيئا بشيء من أوساخ الدنيا وأثمان الناس .. بل جعلتموها وقفا

محبوساً لله يأخذ منها ويوزع على المسلمين الفقراء إلى النفوس ..

وأكثرهم أمناً ؛ لأنكم ليس لكم ما تخافون عليه من الموت بعد أن صار الفداء مشتهى أحدكم . ومتى صارت المنايا أمانى فالأموال والثمرات والأولاد تسقط من موازين التقدير وحساب الموجود والمعدوم . والنفس تنطلق كما ينطلق الاعصار لا يبالى أن يقع بجسمه على مطرح لين رخو كماء البحر، أو على مطرح قاس كوجه الصخر ! إنه قوة مسلطة جائحة ، قيل لها من إرادة الحياة العليا : كونى طائعة فى يدى ... ثم هى ثائرة جارفة كما أريد فكانت ...

فالنفس الثائرة لحق الله وحق الحياة ، آمنة غاية الأمن ولو طبخت بالنار ... ولو زلزلت من تحتها الأرض ... ولو وقع عليها سقف الدنيا !

***

أيها المسلم !

أيها العربى !

إدفع ثمن ما تأخذ من أهل فلسطين كل يوم من المعانى الكريمة التى تخلقك خلقاً آخر ... إدفعه للأرامل والأيتام والعجزة المنكوبين فى سبيلك وفى سبيل مقدساتك

إدفعه لنفسك إذا كنت ذا نفس !

وإذا كنت أثيراً أنانياً لا تفهم هذا الكلام فافهم وتعلم أن تطفئ النار التى في بيت جارك قبل أن تمتد إلى دارك

« القاهرة » عبد المنعم خلاف

البحث عن غـد

للكاتب الانكليزى روم لاندو

للأستاذ على حيدر الركابى

— ٤ —

الفجر فى سورية

حديث الدكتور الكيالى

إن وزير المعارف والعدلية الدكتور الكيالى رجل قصير القامة ذو شكل عادى لا يوجد فى كلامه أو مظاهره ما يميزه عن غيره . ولما زرته لأول مرة فى مكتبه فى (السراى) وجدته شديد التحفظ والخجل ، ولكنه فيما بعد بينما كنا نتناول طعام الغداء مما شعر باهتمامى الزائد نخرج من تحفظه وحدثنى حديثاً شائقاً أرضانى أكثر من أى حديث آخر فى زيارتي سورية . وقد تبين لى من حديثه أن اهتمامه بروح الأشياء أعظم من اهتمامه بالأشياء نفسها . قال :

« إنه لا خوف على الناحية الفكرية من التعليم فى سورية . فالسوريون أذكياء ، وقد هضم شبابنا القسم العلمى من منهجهم الدراسى بسرعة ، إلا أننا نجد صعوبة فى إيجاد واسطة تعبر تعبيراً صحيحاً عن الدافع الروحى وراء ميولهم . ولاشك أن هذا لا يتحقق إلا بادخال الروح الدينى الصحيح على المعارف العامة (١) »

وتوقف الدكتور الكيالى لحظة كأنه يتساءل عما إذا كنت قد صدمت بعبارة كهذه يتفوه بها رجل تربى تربية علمية، ولكنه لما رأي أمارات الموافقة على وجهي استرسل فى حديثه وقد زاد حرارة عن ذى قبل . قال :

« ماهو الدين ؟ وهل هو عبارة عن دخول المساجد أو إطاعة قوانين الكنائس ؟ قد يكون الدين الذى من هذا النوع ضرورياً لغير المتعلمين الذين لا يعرفون ما يمكن جنيه من نتاج الأفكار والعلوم الحديثة. إلا أن هناك نوعاً آخر أبعد نظراً من هذا، ألا

(١) يسرنا أن يصدر مثل هذا القول عن رجل في مركز معالى الدكتور ولا شك أنه سيقرن القول بالعمل عما قريب

(المترجم)

وهو السمى الروحانى وراء شىء أسمى من المادة . والرغبة فى هذا السمى موجودة فى كل واحد منا وإن خنقها التعليم المغلوط وجمود القواعد الدينية المقررة عند الطوائف المختلفة . ويمكن تحقيق هذه الرغبة عمليًا بواسطة تقوية العقيدة الدينية . إن من واجب الدولة أن تنبه هذه الرغبة فى شبابها وأن تفسح لهم المجال للتعبير عنها، إذ بدونها لا تبقى ثمة فائدة للدين أو العلم

« وفى نفس الوقت لا يمكن لوزارة المعارف أن تلعب دور المنافس للمؤسسات الدينية مع أن هذه المؤسسات لا تقوم دائمًا بما هو مترتب عليها ، وأ كثر رجالها يشكون من ضعف الشعور الدينى ضعفاً يزداد يوماً عن يوم بينما تتوالى الطلبات على المراجع المختصة فى الوزارة من الآباء الذين يرغبون فى تعميم التعليم الدينى

« وكيف يمكن إجابة طلبات كهذه؟ إن الأولاد الذين شبوا فى محيط تشتد فيه محافظة الآباء على الناحية الشكلية من الدين يجب ألا يخرج تعليمهم الدينى عن القواعد المألوفة والمعروفة، فى حين أن الذين قد خرجوا على القواعد التقليدية بتأثير الأفكار الغربية يجب أن يهذبوا تهذيباً دينياً يوجه شعورهم الدينى نحو تقوية العقيدة ويكون بعيداً عن الاختلافات المذهبية [1]

«إن الأثرة صفة بارزة فى شبابنا، ونحن فى أشد الحاجة إلى تبديلها بصفة أسمى ترمى إلى حملهم على التفكير فى المجموع، وإن كان تحقيق هذا الهدف أمراً عسيراً . يجب أن نشجع التعاون القائم على إنكار الذات : ومعنى ذلك أننا فى الصناعة السورية مثلاً يجب أن نفضل جهود الجماعات وشركات التعاون على الجهود الفرديه التى تنحصر غايتها فى نفع الذات

« إن أمام جميع الأقطار العربية هدفاً واحداً فى التعليم يجب عليها السعى لتحقيقه ، ألا وهو تنبيه الشعور الاجتماعى فى الصغار وتلقينهم معنى الخدمة العامة أو — باختصار — السعى لاظهار أحسن ما فيهم من صفات كامنة »

(١) الدولة تختار الخطة التى تعتقد فيها الصلاح للمجموع وتطبقها بدون أن تلتفت إلى الميول الخاصة وإلا عمت الفوضى وانقسمت الأمة بافكارها وعقائدها كما هو واقع الآن (المترجم)

كان وزير المعارف ، بين من قابلت فى سورية، الرجل الوحيد الذى يتكلم بما يمليه عليه صوت قناعته الوجدانية، ذلك الصوت الذى لم أسمعه منذ أيامى الأخيرة فى القاهرة، ومنذ تحدثت إلى الملك ابن السعود . وهو نفسه الصوت الذي يحطم الحواجز التى كثيراً ما حالت دون تفاهم العقلين الشرقي والغربى تفاهماً صحيحاً

رأى البطريرك

لم يكن كره الأساليب التقليدية للدين محصوراً فى طبقة معينة من السوريين بل هو كره عام لمسته فى كل مكان ، وقد قال لى البطريرك[1] نفسه إن الطبقات الفقيرة إنما تعتبر الدين واسطة اقتصادية . وقد أخذ أفراد هذه الطبقات في اتباع الكنيسة التى تقدم لهم أ كبر مساعدة مالية بصورة مباشرة أو بشكل صدقة . وقد اعترف لى بأن كل الكنائس فى سورية قد بدأت تشعر بوطأة ضعف الشعور الدينى

حديث فخرى البارودى

إن المعروف عن فخرى البارودى أن الجماهير تحبه حباً لا يشاركه فيه غيره من رجال السياسة فى سورية ، وهو نائب دمشق وزعيم الشباب السورى . وقد طلب منى أن أزوره ذات صباح فى « مكتب فخرى البارودى [2] » المشهور . ولما فعلت استقبلنى عند الباب عدد من الشبان ألقوا على بعض الأسئلة، ثم قادونى إلى باحة داخلية نفذنا منها إلى غرفة كبيرة فارغة نصبت فى إحدى زواياها منصة صغيرة جلس فوقها فخرى البارودى وراء مكتب صغير يستقبل الزائرين الذين كانوا يساقون إليه الواحد بعد الآخر ، فاذا اقترب منه أحدهم مال إلى أذنه وهمس بعض الكلمات بحيث لم يستغرق حديث الشخص الواحد أ كثر من دقيقة . إن هذه الحالة حملتنى على الظن بأن هناك مؤامرة تحاك لا نائباً يستمع إلى مطالب ناخبيه

ولحظت خارج الغرفة بعض الشبان وهم يرتدون الخوذ والقمصان الرمادية اللون ويرفعون الأيدى بالسلام الفاشستى، وكلهم

(١) بطريرك الروم الأرثوذكس (المترجم)

(٢) وهو اليوم « المكتب العربى القومى للدعاية والنشر » (المترجم)

متلهف لتلقي أوامر القائد، فتنبهت إلى أن هذا المكتب هو في نفس الوقت مركز أول هيئة عسكرية لتنظيم الشباب في سورية وهي فرق القمصان الحديدية .

لم أجد في مظهر فخري البارودي ما يبرر نفوذه السياسي وتملق الشباب به، فهو رجل نحيف قصير القامة قد تجاوز الخمسين من العمر ، وهو في شكله وحركاته وسكناته يمثل سكان الشرق الأدنى أحسن تمثيل . شعره خفيف وغير مرتب، وهو ذو حيوية عصبية هائلة تجعله يقفز من هنا إلى هناك بسرعة واستمرار . ولكني مع ذلك لم أشك قط في إخلاصه الملتهب الذي لمسته فيه أثناء الحديث فرفعه في نظري وجعله ذا شخصية جذابة بعد أن كنت أميل إلى الظن بأنه لا يختلف عن أي سياسي عادي كثير الكلام والحركة .

ولما انقطع حبل الزائرين أخذني إلى غرفته الخاصة في الطابق العلوي حيث سألته :

— « وكيف حظيت بهذه المكانة في القلوب ؟ وهل توصلت إليها عن طريق الخطابة ؟ »

فدهش في أول الأمر ثم التفت إلى ثلاثة من الشبان وقفوا بين يديه ينتظرون أوامره وسألهم :

« الخطابة ؟ وهل أنا خطيب ؟ وهل بذلت جهوداً خاصة لاكتساب قلوب الشباب ؟ »

فهز الثلاثة رؤوسهم ثم ضحكوا ...

ومع ذلك فقد أكد لي كل من حدثته في دمشق أن خطبه قد ساهمت مع إخلاصه ورفعته إلى المكانة التي يحتلها . إنه يعرف كيف يستعمل لغة الجمهور الذي كثيراً ما دخل السرور إلى قلبه وضحك ملء شدقيه لتورية خبيثة أتى بها أو فكاهة تفوه بها ، وعلى هذا فان بعض الناس يميل إلى اعتبار فخري البارودي « أفكوهة قومية » لأنه في نظرهم غير جدي ، مع أن هناك براهين عديدة على أن إخلاص الخطيب ومحبة الجمهور له لأبلغ أثراً من المواهب الأخرى التي لها صلة بالعقل والأخلاق

وسألته :

« وما هو في نظرك الواجب الأول للشباب السوري ؟ »

فأجاب :

« أن يحصلوا العلم الذي يجعلهم مساوين لشباب أي شعب أوربي . ومع ذلك فلا تكفي المعرفة والعلم وحدهما : يجب أن نربيهم تربية قومية وسياسية لا يحتاجها شباب بريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول التي لها كيان قوي وقد نالت استقلالها منذ أمد بعيد . أما نحن فاننا مازلنا نسعى إلى تحقيق استقلالنا القوي التام، ولهذا فان فكرة القومية هي أسمى أهدافنا، فلا فائدة لنا من وجود الأطباء والمهندسين الاخصائيين إذا لم يكن الشعور الوطني قوياً عندهم

« إن مثل شبابنا الأعلى — وهو المثل الأعلى لكل السوريين — هو الوحدة العربية. وأول خطوة لتحقيقها الاتحاد مع لبنان ، ثم مع باقي الأقطار العربية الواحدة بعد الأخرى . وستدخل مصر نفسها في هذه الوحدة آجلا أو عاجلا . قد نحتاج لتحقيق الوحدة إلى عشرين سنة أو خمسين ولكنها لا محالة واقعة في النهاية »

« يتبع » علي حيدر الركابي

غزل العقـــاد

للأستاذ سيد قطب

(بقية المقال الثامن عشر)

والآن نستعرض حالة دامية وجيبة، عميقة الألم والفجيعة، يزيدها جرحا وإيلاماً ما يبدو به قائلها من تماسك وتجلد وتجمل.

إنه «يوم الظنون»: يوم يقف الانسان تتجاذبه الدوافع والانفعالات، ويتقاذفه الاقدام والاحجام، وتتراءى له المسارب والطرقات، وهو لا يدرى أيها أولى بالاتباع، بل هو لا يملك أن يدرى، لأنه مسلوب اللب والارادة

فإذا وضعت إلى جانب هذه الصورة شخصية العقاد الجبارة، أمكن أن تدرك مدى الألم العاصف، ومبلغ الفاجعة القاصمة:

يومَ الظنون صدعتُ فيك تجلدى ... وحملت فيك الضيم، مغلول اليد
وبكيت كالطفل الذليل أنا الذى ... مالان فى صعب الحوادث مِقودى
وغصصت بالماء الذى أعددته ... للرى فى قفر الحيـاة المجهد
لاقيت أهوال الشدائد كلها ... حتى طغت فلقيت مالم أعهد
نارَ الجحيم إلىّ غــير ذميمة
وخذى إليك مصارعى فى مرقدى
حيران أنظر فى السماء وفى الثرى
وأذوق طعم الموت غــير مُصرَّد (١)
أروَى وأظمأ: عذبُ ما أنا شارب
فى حالتىّ نقيعُ سُم الأســود (٢)
وأجيل فى الليل البهيم خواطرى ... لا شارق فيه ولا من مسعد
وتعيدُ لى الذكرات سالف صبوتى
شــوهاء كاشرة كما لم أشهد
مسخت شمائلها وبُدِّل سمتها ... وبدت بوسم فى السعير مخلد
ياصبوة الأمس التى سعدت بها ... روحى، وليت شقيها لم يسعد
وعرفت منها وجه أصبح ناضرٍ ... ورشفت منها ثغر ألعس أغيد
سومحتِ بل جوزيتِ كيف وعيت لى
بالأمس فيك ضراوة الذئب الصدى؟
سومحت بل جوزيت كيف طويت لى
زرق الأســنة فى الاهاب الأملد
أمسيت حربى فى الظلام وطالما ... جلّيت لى وجه الظلام المربد
ورجعت أهرب من لقاك وطالما
ألفيت عنـدك فى الشدائد مقصدى
ما كان من شيء يزيد تنعمى ... إلا يزيد اليوم فيك تلددى
أواه من أمسى ومن يومى معاً ... والويل من طول التردد فى غدى
أهب الخلود كرامة لمبشرى ... أن ليس يومى فى العذاب بسرمد
وأبيع حظى فى الحياة بساعة ... أنسى بها عمرى كأن لم أولد
وأسوم مرعى العيش غير مزهد ... وأرود روض الحسن غير مقيد

يا للهول! لكما قرأت هذه القطعة مرت رعدة فى مفاصلى، وقشعريرة فى كيانى، وأحسست أمامى بانسان يعتصر نفسه قطرة قطرة فى ألم مبرح كظيم. وهو مع هذا يقظ منتبه لكل وخزة لا ينسى أن صبوة الأمس كانت تخفى فى طياتها ضراوة الذئب الصدى، وأنها كانت تفعمه متعة، لتفعمه بعد ذلك ألماً منشؤه هذه المتعة ذاتها لا سواها

وفى يقينى أن هذا أفجع موقف مر بالشاعر، وقد لقى أياماً كثيرة من أيام الظنون، ولكنها ليست من هذا النوع المسموم؛ وما كان ليستطيع بعده أن يفارقه، وما كان قلبه ليصلح أن يوغل فى الحب هذا الايغال، وأن يأخذه بهذا الجد الصارم الذى يجعل الشك فيه دامياً تنضح منه النفس قطرات

وقد عاد إلى الحديث عن هذه «الظنون» فى قطعة «الحب المريب» من الوزن والقافية والشعور! فكشف عن حالة نفسية فريدة، صور فيهـا كيف يحيل الشك متعة اللقاء إلى جحيم لا يعد له جحيم الفقدان، وكيف يقيم الحواجز والأبعاد بين أقرب قريبين فى الوجود:

إنى لنى ألمى بقربك كالذى ... يحنو على ولد مريب المولد
أبدا يغص بقربه ويبعـده ... ما بين عطف أب وجفوة مبعد
وأراك طوع يدى وألبث حائرا ... بين المحاذر منك والتودد
أرضى وأغضب، لا الرضاء ببالغ ... أمن اليقين ولا الغضاب بمهتد
وأظل أسخر من رضاى وغبطتى
وأظل أسخر من عـذابى الأنكد
وأشـد من برح اللقاء بلية ... تأبى الشقاء عليك غير مفند (١)
ياهذه الدنيـا أيندم باذل ... يعطى القنوط ندامة المتردد؟
جودى على بشقوة لم ترجى ... فيها على ندم إذا لم تسعدى!

ونستعير هنا من حديث العقاد عن «همام» فى «سارة» ما نستعين به على شرح هذه الحالة التى صورها فى نفس صاحبه أبدع تصوير:

(١) صرد الرجل سقاه دون الرى (٢) الثعبان

(١) غير ملوم عليه

« كانت شكوكا مريرة لا تغسل مرارتها كل أنهار الأرض، وكل حلاوات الحياة . كانت كأنها جدران سجن مظلم ينطبق رويدا رويدا ؛ ولا يزال ينطبق وينطبق ، حتي لا متنفس ولا مهرب ولا قرار ؛ وكثيرا ما ينتزع ذلك السجن المظلم طبيعة الهرة اللئيمة ، فى مداعبة الفريسة قبل التهامها ؛ فينفرج وينفرج وينفرج، حتى يتسع اتساع الفضاء بين الأرض والسماء، ثم ينطبق دفعة واحدة ، حتى لا يمتد فيه طول ولا عرض ، ولا مكان للتحول والانحراف : بطل المكان فلا مكان ولا أمل فى المكان ، ووجب البقاء حيث أنت في ذلك الضيق والظلام ، فلا انتقال ولا رجاء فى الانتقال .

« وكان صاحبنا كالمشدود بين حبلين يجذبه كلاهما جذبا عنيفاً بمقدار واحد وقوة واحدة ، فلا إلى اليمين ولا إلى اليسار ، ولا إلى البراءة ولا إلى الاتهام ... بل يتساوى جانب البراءة وجانب الاتهام ، فلا تنهض الحجة هنا حتى تنهض الحجة هناك ، ولا تبطل التهمة فى هذا الجانب حتى تبطل التبرئة من ذلك الجانب ؛ وهكذا إلى غير نهاية ، وإلى غير راحة ولا استقرار »

***

حتى إذا انتهى من الظن إلى « اليقين » كان يقيناً قاتلا دامياً كالظنون ! . وهى كذلك حالة فريدة من الحالات النفسية التى تجيش بها نفس العقاد الخاصة :

مضى الشك مذموماً وما كان ماضيا
فليتك عمى عن يقينك راضيا
وجل عن التصديق أنك هاجر
وأنك مهجور وأن لا تلاقيا
فلله ماذا حل بالقلب فارعوى
وآمنت بالحق الذى كنت آبيا
وأمسيت تدرى أن للود غاية
وأن زماناً سوف يلقاك خاليا

وعشت ترى حبا كحبك ينقضى ... وما خلته إلا يد الدهر باقيا
مضى غير مردود كأنك لم تكن ... بعينيك ترعاه وبالنفس فاديا
ألا لا تذكرنى بصدق ودِدته ... على جنبات الغيب ما زال خافيا
ألا لا تذكرنى يقيناً شربته ... بأنفس ما يغلو به الشك شاريا

لكذّبتُ صدق الهجر لو أن موطناً
من الشك يوماً لم أتب منه خاويا

سل الصبح كم ماريتهُ كلما بدا ... ولم يبد فيه ذلك الوجه حاليا
سل الليل كم جافيتُه كلما سجا ... ولم أرتقب فيه الحبيب الموافيا
سل النيل كم أنكرته كلما جرى ... ولم ألق فيه ذلك الحسن جاريا

سل الدار كم ناشدتها القرب راجيا
وأرهفت فى أنحائها السمع صاغيا
ويخدعنى ما اعتدت من طول قربه
فأحسبه عندى وقد بات نائيا

يريب فمى صمتى ليالىَ لا يرى ... على خده منه نجيا مناغيا
وتنكرنى كفى ليالى لا ترى ... على خصره منها نطاقا مدانيا
وتطلبه منى جفون تعودت ... على البعد أن تلقاه فى الحى آتيا
ويسألنيه كل يوم وليلة ... فؤاد يراه حيثما كان رائيا
وأين ؟ ولو أنى قدرتُ لما غدا ... به القلب ملتاعاً ولا الجفن شاكيا
وكيف بنسيان الأليف الذى به ... تذكره الدنيا إذا راح ناسيا
تفقده فى كل شئ فما انثنى ... فآمن بعد اليأس بالبين عانيا

سل الروض مطلولا . سل القفر صاديا
سل النجم لماعا . سل البدر ساريا

فانك تدرى كيف صدقت باسما ... إذا بت تدرى كيف كذبت باكيا

وأنك لا تخشى ردى الموت بعض ما
خشيت ردى الحق الذى لاح هاديا

وهكذا صار إلى اليقين ، بعد ما طرق كل باب من أبواب الشك ، فعاد منه خاويا ، ولم يصر إليه مع هذا فى سهولة ويسر ، ولكنه أنكر الدنيا ومعالمها ، وأنكرته نفسه وجوارحه . ولولا إرادة من حديد ، ما ثاب إلى هذا اليقين الأليم .

***

علام تدل هذه الصور النفسية الفريدة ؟

إنها دليل الثروة فى الأحاسيس ، والانفساح فى الشعور ، ومظهر الحياة النفسية المهيأة للتأثر ، القابلة للصوغ والانشاء .

وهذا وذلك من ميزات المدرسة الحديثة ، التى تخلص للحياة والاحساس بها ، لا للأوراق وما حفظته منها

وفى ماضى الأدب العربى كله وحاضره كذلك ، لا تجد نظيرا لهذه الصور النفسية ، مع شيوع الأحاسيس التى تستدعيها فى كل حب قديم أو حديث

إنما هى النفس المهيأة ، والطبيعة الخصبة ، لا الحادثة التى تخلق القول أو الاحساس

« حلوان » سيد قطب

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٩ —

« أشكر للأديب الفاضل - عبد القادر جنيدى بحمص — رأيه فى هذه الفصول التى أكتبها من تاريخ المرحوم الرافعى ؛ كما أشكر لغيره من الأصدقاء الكرام الذين رأوا فى هذه الفصول ما يحملهم على الحديث عنها فى صحف مصر والأقطار العربية ناقدين أو معجبين أو معقبين ...

« على أن اعتراض صديقنا الأديب (جنيدى) على السبب الذى نسبنا إليه مقالات « الانتحار » لا يغير شيئاً من حقيقة ما كتبت ؛ فان سببها هو الذى ذكرت فيما سبق ؛ أما الرسالة التى يقول الأديب الفاضل إنها وردت إلى المرحوم الرافعى من حمص وأشار إليها فى الاستطراد المنشور بذيل كلمته المنشور فى العدد ٩٥ فقد جاءته اتفاقاً فى الوقت الذى كان يتهيأ فيه لكتابة مقالات الانتحار لسبب سابق ، وأحسب الرافعى قد حرص على الاشارة إلى هذه الرسالة فى ذيل كلامه ليصرف ظن بعض القراء عن صديقنا الاستاذ (م) الذى كان نبأ شروعه فى الانتحار بين الذيوع والكتمان ، حتى لا يؤذيه فى وقت هو مسئول فيه أن يخفف عنه ، إذ كانت نزوة يحرص على كتمان خبرها . وما تزال رسالة الرافعى إلى صديقه (م) محفوظة لديه كذلك ، وعلى هامش هذا الجواب إشارات بقلم الرافعى إلى جمل وعبارات من هذا الجواب نقلها الرافعى بنصها فى الجزء الرابع من مقالات الانتحار ؛ وكان الاستاذ (م) قد اشترط على الرافعى حين كتب إليه جوابه أن يرده إليه بعد أن يقرأه لأن فيه بعض سره ، فوفى له الرافعى بما شرط ، فاجتمعت — بذلك — الرسالة وجوابها عند الاستاذ (م) عافاه الله وفسح له ! »

(م . سعيد)

المشكلة[1]

استملى الرافعى موضوع « المشكلة » من رسائل قرائه إليه وصاحب هذه المشكلة هو صديقنا الأستاذ كامل ... وهى كانت أول صلته بالمرحوم الرافعى ولم يكن لقيه من قبل ؛ ولقد كانت قبل أن يكتب إليه مشكلة اثنين : هو وهى ؛ فصارت من بعد مشكلتهما ومشكلة الرافعى معهما إذ لم يجد لها حلا . ولقد شغلته هذه المشكلة زمناً غير قصير ، ثم انصل بموضوعها عن كثب حين انصلت أسبابها بصاحبها وصاحبته . وقد كتب الرافعى ما كتب فى هذا الموضوع ، ثم مضى وخلف دنياه وما تزال هذه المشكلة قائمة تنشد من يحل عقدتها ...

كان ذلك فى الخريف من سنة ١٩٣٥ حتى جمعتنى ظروف العمل بصديقى الأستاذ كامل فى إحدى مدارس القاهرة ؛ ولم يمض على تعارفنا أيام حتى استودعنى كل السر ...

... فقد أمه وهو غلام ، فلم يلبث غير قليل حتى حلت غيرها محلها فى بيت أبيه . وكان أكبر ثلاثة إخوة ، فاقتضاه حق أخويه عليه أن يستشعر معانى الرجولة وما يزال فى باكر الشباب. ورأى أبوه أن عليه شيئاً لهذا الرجل الصغير فسمّى عليه بنت خاله قبل أن يدرك ؛ ورأت تقاليد الريف الذى نشأ فيه أن عليها دوراً فى هذه القصة فحجبت الفتاة عن خطيبها ولما تبلغ التاسعة وأغلقت دونهما الباب ... ومضت سنوات وسنوات وسنوات وهو لا يراها ولا تراه ، وفرغ من حسابها بينه وبين نفسه ، ثم نسى ما كان وما ينبغي أن يكون ؛ وكان يبغضها بغض الطفل والطفلة ، فلما باعدت بينهما السنون انقطعت بينهما أسباب الكره والمحبة فلا يذكرها ولا يذكر شيئاً من خبرها ...

وانتهى الفتى إلى مدرسته العالية وابتعد عن أعين الحراس والرقباء فى القرية ، فمضى على وجهه فى القاهرة العظيمة يلتمس لذات الشباب ...

وكان له فكر وفلسفة ، وفيه خلق ودين ومروءة ، وبين جنبيه قلب يحس ويشعر ويتأمل ؛ وعلى أنه كان يهيئ نفسه ليكون من أساتذة (العلوم) فانه كان ولوعاً بالأدب مشغوفاً بمطالعاته ، فكان له من ذلك روح وعاطفة ورقة ؛ وكان فى دمه ثورة وغليان ، وكان فى عقله مثال يريد أن يحققه ، وكان فى رأسه شِعر يحتاج إلى بيان ؛ وكان له من كل أولئك قلب يتحفز لوثبة من وثبات الشباب في قصة حب ؛ ثم لم يلبث أن اشتبك فى الملحمة ...

وأحبها وأحبته فما كان له من دنياه إلا الساعة التى يلتقيان فيها ، وما كان لها ..

---

(١) وحى القلم ج ١ ص ٣٥٨ — ٣٩١

وأجمع أمره على أن يتزوجها لينعما بالحب ويحققا المثل الذي ينشدانه من زمان ؛ وكان قد مضى على الباب المغلق بينه وبين الفتاة المسماة عليه بضع عشرة سنة .. فما يذكرها ولا يفكر فيها ..

وكان ناعماً يحلم حين ترامى الخبر إلى أبيه بما أجمع أمره عليه ، فما وجد أبوه وسيلة إلا بتعجيل زفافه إلى بنت خاله وفاء بوعد مضى في ذمة التاريخ ... !

غضب الفتى واحتج وثارت كبرياؤه ورجولته أن ينزل على رأى أبيه في شأن هو من خاصة شئونه ؛ ولكن الكثرة من أعمامه وأخواله قد أرغمته على إرادته ، وساقته في حماية إلى دار خاله ليزف على عروسه ثم يصحبها في السيارة من ليلته مرغما إلى بيته في القاهرة ... وابتدأت المشكلة ...

... هذه الفتاة هي بنت خاله ، وهي زوجه أمام الله والناس ، ولكنه لا يحبها ؛ ولكنه لا يطيق أن ينظر إليها ؛ ولكن فتاة أخرى تنتظر ؛ وإن عليه واجبا تحتمه عليه رجولته ...

وما أطاق أن يمنحها نظرة أو يبادلها كلمة على طول الطريق حتى بلغت السيارة بهما الدار في القاهرة ... كانت إلى جانبه ولكنه هناك ، عند صاحبته التي فتنته واستولت عليه ؛ فما نظر إلى وجه زوجه لأول مرة منذ بضع عشرة سنة إلا حين همت أن تنزل من السيارة لتدخل داره ...

وكان حريا أن تثوب إليه نفسه حين نظر إليها فيعود إلى الحقيقة التي كتب عليه القدر أن يعيش فيها ، ولكنه لم يفعل ، وما رأى زوجته حينئذ إلا سجانه الذي يحرمه أن يستمتع بالحرية التي وهبها له الله يوم وهب له الحياة ، وتأرثت في نفسه البغضاء من يومئذ لهذه المسكينة ... !

وعاشت في بيته بضعة أشهر كما يعيش الضيف : لا يقاسمها الفراش ، ولا يؤاكلها على المائدة ، ولا يؤنسها من وحشتها بكلمة ... فما تراه ولا يراها إلا في الصباح حين يخرج إلى عمله ، وفي المساء حين يعود إلى داره قبيل منتصف الليل ، وما كان بينهما من صلة تجمعهما إلا البغضاء التي تؤج في صدره ، والحسرة التي تتسايل دموعا من عينيها ، وإلا هذه الخادم التي تقوم لسيدها بشئونه وتقوم لها ...

ولم يفتر صاحبنا عن لقاء صاحبته والاختلاف إلى ملتقاها ؛ على أن ذلك لم يزده إلا ولوعاً بحبيبته وتبرماً بزوجته ...

ومضت الأيام تباعد من ناحية لتقرب من ناحية ، حتى جاء اليوم الذي وجد صاحبنا فيه أنه غير قادر على احتمال هذه الحياة أكثر مما احتمل ... فمضى يدبر أمرا للخلاص من هذه المشكلة ، ولكن المشكلة زادت تعقيدا على الأيام ولم يجد وسيلة إلى الحل .. !

كان كل طريق يفكر فيه للخلاص محفوفاً بأشواك ؛ فلا هو يرضى أن يطلق زوجه ، ولا هو يطيق أن يهجر حبيبته ، وليس في استطاعته أن يجمع على نفسه همين ؛ وكان تفكيره في ذلك هماً ثالثاً يضنيه وينهك أعصابه ويمرق عظامه !

وكتب إلى الرافعي يستفتيه في مشكلته ...

كنت مع كامل حين كتب قصته إلى الرافعي ؛ وفي مساء اليوم التالي كنت في مجلس الرافعي بطنطا وبين يديه قصة صاحب المشكلة لم يفض غلافها بعد ...

وقرأ الرافعي الرسالة ثم دفعها إليّ وهو يقول :

« ماذا ترى حلَّ هذه المشكلة ؟ »

قلت : « لقد جهدت جهدي قبل اليوم فما أفلحت ! »

قال : « أو تعرف صاحب المشكلة إذن ... ؟ »

قلت : « نعم ، وما كتب إليك هذه الرسالة إلا برأيي »

وأطرق الرافعي هنيهة يفكر وفمه إلى الكركرة (الشيشة) كما هي عادته حين يستغرقه الفكر ، ثم رفع رأسه إلى قائلا : « تعرف؟ إن صاحبك لمفتون بصاحبته إلى درجة الحمق والسفه ، وما تنحل هذه المشكلة إلا أن يكون له مع نفسه إرادة صارمة ، وأن يكون له سلطان على هواه ، وهيهات أن يكون له ! فما هنا إلا وسيلة واحدة ترده إلى رشاده فتنحل المشكلة ... »

قلت : « فما هذه الوسيلة ؟ »

قال : « أن تدخل بينه وبين صاحبته دخول الشيطان فتفرق بينهما ... أتراك تستطيع ؟ »

فضحكت وقلت : « ثم ماذا ؟ »

قال : « فاذا بدا له من سيئاتها ما ينكر ، وإذا بدا لها ... انتهى ما بينهما إلى القطيعة فيعود إلى زوجه نادماً ، وإن مرور الأيام لخليق أن يؤلف بينهما من بعد ! »

قلت : « فهمت ، ولكن ماذا تراني أقول حتى أبلغ من

نفسه ومن نفسها ما تريد ؟ وهبني عرفتُ أن أقول له فمن أين لي أن أستطيع لقاءها فأتحدث إليها ؟ »

قال : « اسمع : أتراها تقرأ ؟ »

قلت : « إنني لأعرف مما حدثني عنها أنها قارئة أديبة ، وأنها من قراء الرسالة ، وقد كان فيما أهدى إليها كتاب «أوراق الورد » وأحسبها تنتظر ما تكتب في هذه المشكلة ؛ فقد حدثها صاحبها أنه كتب إليك ... »

قال : « حسن ! فسأجرب أن أكون شيطاناً بينهما ، بل ملكاً يحاول أن يرد الزوج الآبق إلى زوجته بوسيلة شيطانية ..! »

* * *

وكتب الرافعي المقالة الأولى من مقالات المشكلة ، وكان مدار القول فيها أن يتنقص صاحبَ المشكلة ويعيبه وينسب إليه ما ليس فيه مما ينزل بقدره عند صاحبته ، ثم نشر أجزاء من رسائله إليه ودس فيها ما دس مما يوهمها أن صاحبها هو كاتبه ؛ وإن فيه لما يعيبها ويثلبها ويضعها بإزاء صاحبها موضعاً لا ترضاه . فلما فرغ مما أراد جمل حديثه إلى القراء يسألهم أن يشاركوه في الرأي ويحكموا حكمهم على الفتى وفتاته بعد ما جهد في تصويرهما الصورة التي أراد أن يكون عليها الحكم في محكمة الرأي العام ، وترك الباب مفتوحاً لترى صاحبة المشكلة رأيها في القضية فيمن يري من القراء ...

ولقيت صاحب المشكلة من الغد ، فسألني : « هل رأيت الرافعي ؟ »

قلت : « نعم ! »

قال : « ورسالتي إليه ! »

قلت : « بلغته ! »

قال : « وما ذا يرى ؟ »

قلت : « ستقرأ رأيه في الرسالة بعد أيام ! »

وأخفيت عنه ما كان بيني وبين الرافعي من حديث وما دُبِّر من خطة ... ونشرت المقالة الأولى من « المشكلة » ، ومضى يوم ، وجاء صاحبي غاضباً يقول : « كيف صنع الرافعي هذا ؟ » لقد نحلني من القول ما لم أقل . أتراني قلت عنها كما يزعم : لقد خالطتني بنفسها حتى لو شئت أن أصل إليها في حرام وصلت ...! لقد ساءها ما نحلني الرافعي من الكلام ، وقد تركتها الليلة غاضبة لا سبيل إلى رضاها ... ! »

وتحقق للرافعي بعض ما أراد ، وانثالت عليه رسائل القراء يرون رأيهم في هذه المشكلة ، وجاء فيما جاء من الرسائل ، رسالة من صاحبة المشكلة نفسها ...

وفعل برسالة صاحبة المشكلة ما فعل برسالة صاحبها ، ولكنه تلقاها تلقياً حسنا ، ومضى يتحدث عنها حديثا ليس فيه من رأيها ولا مما تقصد إليه ، ولكنه إيحاء ، إيحاء إلى الفتاة بأنها في مرتبة أعلى ، وأن ما بها ليس حبا وإن زعمت لنفسها هذا الرأي ؛ ولكنه شيء يشبه أن يكون صورة عقلية لخيال بعيد تظنه من صور الحب وما هو به ... ثم مضى يفسح لها الطريق للفرار من هذه المشكلة بالإيحاء والإغراء والحيلة ...

وكانت المقالات الثلاث الأخيرة تعليقا على آراء القراء وسخرية ونصيحة .

وفرغ الرافعي من مقالات المشكلة فما هو إلا أن تلاشى الصدى حتى عاد فلان وعادت فلانة ، وما تزال المشكلة تطلب من يحلها . ومضت ثلاث سنين وفي الأتون ثلاثة قلوب تحترق ... وعلى مقربة من النار صبي يحبو ينادي أباه ، وأبوه في غفلة الهوى والشباب . أترى إلى هذه المشكلة وقد دخل فيها عضو جديد قد أوشكت أن تبلغ نهايتها ، فيكون حلُّها على يدي هذا الصغير وقد عجز الكبار عن حلها بعد مجاهدة سنوات ثلاث ، أم هو قلب رابع سينضم إلى القلوب المحترقة في أتون الشهوات ...!

ومعذرة إلى صديقي الأستاذ كامل ... !

« شبرا » محمد سعيد العريان

حول تيسير القواعد العربية

للآنسة أمينة شاكر فهمي

سيدي الأستاذ صاحب « الرسالة » :

تحية وسلاماً . أما بعد فلقد تتبعت بشغف واهتمام مقالات الأستاذ الفاضل « أزهري » عن تيسير قواعد الاعراب إلى أن تم بحثه من عملية التيسير والتغيير ، فدهشت جداً لما جاء في مقاله الأخير من تطبيق ؛ وما كنت أظن أن موجة التبديل والتحوير تطغو يوماً على اللغة وتمسخها بهذا الشكل الذي ينكره كل مخلص للعربية . فمهما فشت عملية التمدين والتقليد فلا ينبغي أن تمس اللغة التي هي فوق كل المشكلات الاجتماعية والحزبية والعلمية أيضاً . إن لدينا مشاكل عدة أحوج إلى الاصلاح والتيسير من لغتنا المقدسة

نعم إننا نعيش في عصر السرعة التي وفدت إلينا من أمريكا ، ولكن غريب أن تطغى السرعة على قواعد اللغة والاعراب فتختصره بهذه الصورة المدهشة التي يقدمها الأستاذ أزهري في بحثه الأخير . فقد اختصر الاعراب وحذف منه حتى كدت لا أتعرفه ، وخيل إلى أنني أقرأ لغة أجنبية

غريب أن يتأثر الأزهريون بحياة السرعة الأجنبية فيستعملوها حتى في اللغة وهم حماتها من كل اعتداء . وإني أرجو سيدي الفاضل صاحب (الرسالة) أن يأذن لي بنشر ملحوظتي هذي ربما كان بها شيء من الصحة

لست أدري سبباً لكل هذه الضجة الهائلة على قواعد الاعراب واللغة ومحاولة تيسيرها ، وليست اللغة بحاجة إلى تيسير ، وإنما التيسير لازم للأسلوب الذي تلقن به اللغة للنشء والكيفية التي تقدم بها إلى التلاميذ . فلا داعي لأن تقوم جماعة الأدب الرسمي بإبدال وتغيير وتحوير وحذف هو أقرب إلى التعقيد منه إلى التيسير ، فتضيع معاني الجمل ، ويستحيل على التلميذ تفهمها إلا إذا حفظها حفظاً . والاعراب لا يحفظ ، بل هو تحليل معنوي للجمل والكلمات . وكأن اللغة لم يكفها ما نالها من جماعة الأدب الرسمي حتى جاءت الآنسة ابنة الشاطئ تملأ صفحات الأهرام بدفاع عن كل ما تجريه الجامعة من تغيير في اللغة سواء أكان ذلك حقاً أم باطلاً . وفي رأيي أن الفلاح وقضيته أحوج إلى دفاع الآنسة الفاضلة من اللغة

وأخيراً جاء الأستاذ الفاضل « أزهري » يبحث في تيسير قواعد الاعراب ويتحفنا بدراسات تكاد تكون قيمة لو لم يناقض نفسه بنفسه ويزيد في تعقيد الاعراب ، ثم يأتي بتطبيق غريب لا يتفق وقواعد اللغة . فكيف نعلم التلميذ إعراباً مخالفاً لما حفظناه من قواعد ؟ وهل نغير كل قواعد اللغة كي تطابق الاعراب الحديث ؟

يقول الأستاذ في مقاله الرابع : « إن الحرف لا حظ له من الاعراب أصلا » . ثم يعرب (في ، ومن ، والباء) بأنها حروف جر مجزومة بالسكون أو مجرورة بالكسرة . ولفظة مجرور ومجزوم لا تستعمل إلا للألفاظ المعربة . والحروف كلها مبنية ، فكيف نعلم التلميذ أن الحروف كلها مبنية ثم نقول له إن (في) حرف ولكنه حرف مجزوم ؟ ! ثم ما هي العوامل التي جزمت أو جرت (في ، ومن ، والباء ؟) هل سبقت بحرف جر أو جزم ؟ أم كان موقعها في الجملة دافعاً لجرها وجزمها ، مع العلم أن حروف الجر لا محل لها من الاعراب ؟ !

فكيف يتيسر للطالب فهم هذه التناقضات ؟ وما المانع من أن نلقنه إعراباً مطابقاً لما جاء في كتب القواعد — من أن الحروف كلها مبنية ، وأن (في) حرف جر مبني على السكون — كي تطبق القاعدة على الاعراب ؟ وإلا وجب أن نغير القاعدة فنقول إن الحروف معربة وإنها تجزم وتجر وتنصب وترفع حسب موقعها في الجملة وما يتقدمها من عوامل ؟ ! وفي هذا من الشذوذ والاضطراب ما لا حد له

يقول حضرة الأستاذ في التطبيق الأول :

ألا إن قلبي لدى الظاعنين حزين فمن ذا يعزى الحزينا ؟

(قلبي) مبتدأ منصوب . وباب المرفوع في كتاب النحو يثبت أن المرفوع من الأسماء المبتدأ والخبر واسم كان وخبر

إن ... الخ . فكيف يفهم الناشىء وقد حفّظناه أن المبتدأ دائماً مرفوع — ثم نعلمه إعراب مبتدأ منصوب ؟ فمتى يكون المبتدأ منصوباً ومتى يكون مرفوعاً ؟ وهل نترك التلميذ المسكين يتخبط فى هذه الظلمات أم نخترع له قاعدة جديدة تفهمه الحالات التى يكون المبتدأ فيها مرفوعاً أو منصوباً، وربما يكون مجروراً أيضاً؟ ثم نحذف القاعدة العتيقة التى تنص على أن المبتدأ يجب دائماً أن يكون مرفوعاً ونستبدل بها قاعدة (مودرن) . وما الدافع يا ترى —وقد غرسنا فى أذهان الطلبة أن إن وأخواتها تنصب الاسم— أن نحذف هذه القاعدة . فبدل أن نعلمهم إعراب (قلبى) إسم إن منصوب لأن القاعدة تنص على أن اسم إن وأخواتها دائماً منصوب — إذ بنا نقول إنه مبتدأ منصوب وقد حفظ التلميذ أن لفظة (مبتدأ) لا يليها إلا كلمة (مرفوع) ولفظة (إسم إن) لا يليها إلا كلمة (منصوب) ؟ !

وليسمح لى سيدى الأستاذ الفاضل أن أقول إنه أسرف فى اختصار الاعراب إلى درجة التشويه والتعقيد . فان هذا الاختصار لا ييسر الاعراب بل يزيد فى اضطراب التلميذ وتعقيد المعنى عليه. فنى اختصار إعراب «إن» وحذف ذكر عملها ينسى التلميذ أن الاسم الذى يليها يجب أن يكون منصوباً . ولا بد أن يستفيد التلميذ من تكرار ذكر هذه القواعد أثناء الاعراب فترسخ فى ذهنه . وفى الاعادة إفادة .

ثم ما رأى الأستاذ فى الضمائر ؟ هل من رأيه أن نحذف لفظة « ضمير » من اللغة ؟ فما باله يختصر إعراب الياء فى (قلبى)؟ فهل يرهق التلميذ أن يقول ياء المتكلم ضمير متصل — لأن فى اللغة ضمائر منفصلة — مبنى على السكون — لأن كل الضمائر مبنية — فى محل ... فيطبق ما حفظ من قواعد على الاعراب .

أما (الظاعنين) فيجب على التلميذ أن يذكر أن علامة الجر هى الياء لأنه جمع مذكر سالم، إذ من الضروري تعليل كل حركة كى يطبق القاعدة على الاعراب وتثبت فى ذهنه . أما إن اقتصر على أن (الظاعنين) مجرور بالياء فربما استغلق عليه المعنى وظن أن كل ياء علامة جر . وليس بمستبعد أن يظن أن ياء (غَنِىّ) علامة جر . وأذكر مرة إعراب تلميذ كلمة (لسان) إذ قال اللام حرف جر وسان مجرور باللام !

ويترك الأستاذ النون معلقة فى الهواء . فكيف تنتظر أن يعرف التلميذ شيئاً عنها ؟ ثم نشكو اللغة وصعوبتها ونعيب ما بها من تعقيد .

وأخشى أن تضيق صفحات الرسالة عن التحدث عن باقي التطبيق . وأكتفى بذكر فعل (ساد) فى التطبيق الثانى للأستاذ « أزهرى » إذ يقول إنه فعل ماض منصوب . والفعل الماضى دائماً مبنى ولفظة منصوب لا تطلق إلا على المعرب من الأفعال وغيرها . فما هو الضرر من القول إنه فعل ماض مبنى على الفتح ؟

فان كان قصد حضرات علماء اللغة من تيسير القواعد والاعراب هو اختصار الاعراب فاني أري هذا الاختصار تزيد فى ارتباك التلميذ . وأؤكد هذا بعد تجارب عدة قمت بها فى تدريس القواعد والاعراب سنين عدة . ولقد نجحت فى تدريس القواعد والاعراب بالتطويل وتعليل وتحليل كل حركة وكل شاذة عن القاعدة . وكانت حصة القواعد أقرب إلى حصة إثبات وتعليل وبحث وتطبيق منها إلى حصة دروس نحوية جافة .

إن ضعف الطلبة فى اللغة العربية لم ينتج عن عيب فى اللغة أو تعقيدها، بل ليسمح لى حضرات علماء اللغة أن أصرح أنه ناتج عن فساد طريقة التعليم، وأن مدرسى اللغة أحق بالعناية والتيسير من اللغة . ولله در من قال :

نعيب زماننا والعيب فينا ...

وإننى واثقة أنه لو وجه حضرات المشتغلين بالتيسير اهتمامهم إلى مدرسى اللغة في كل المدارس وحاولوا أن تكون طريقة إلقاء الدروس النحوية والتطبيق على أسلوب التحليل والتعليل بسهولة وسلاسة لزال كل ما يشكو منه الطلبة من صعوبات وسلمت اللغة من خطى عملية التيسير .

وخير لنا ألا نستعمل السرعة الامريكية فى تغيير قواعد اللغة والاعراب ، فان هذا عمل أخطر من أن يتم فى هذه المدة الوجيزة وبهذه السرعة .

فنحن مسئولون أمام العالم الشرقى كله عن كل حرف يحذف أو يضاف إلى اللغة ، وعن كل تغيير فى كتب القواعد التى ثبتت أجيالاً مضت ولم نثبت بعد خطأها ولم نأت بأحسن منها .

أمينة شاكر فهمى

تاريخ الحياة العلمية

فى جامع النجف الأشرف

للأستاذ ضياء الدين الدخيلي

(تابع)

وتدل الآثار أنه كان فى عهد عضد الدولة حول القبر الشريف العلوى مدرسة اسلامية فيها الفقهاء والقراء يتعاهدها بخيراته ذلك الملك العمرانى المحب للعلم وأهله [1]

ففى فرحة الغرى عن يحيى بن عليان الخازن بالقبر الكريم أنه وجد بخط ابن البرسى المجاور بمشهد الغرى على ظهر كتاب بخطه : قال توجه عضد الدولة عام ٣٧١ هـ إلى المشهد الشريف الغروى وزار الحرم المقدس فكان مما فرقه ألف درهم على الناحة (الذين ينوحون على الحسين) وثلاثة آلاف درهم على الفقراء والفقهاء . وروى ابن مسكويه فى تجارب الأمم (ص ٤٠٧ ج ٦) وابن الأثير (ص ٢٣٤ ج ٨) أنه فى عام ٣٦٩ أطلق عضد الدولة الصلات لأهل الشرف والمقيمين بالغرى وغيرهم من ذوى الفاقة وأدرت لهم الأقوات

***

وفى أثناء عهد عمارة عضد الدولة حصل حادث مهم فى تاريخ جامع النجف الأشرف كان له الأثر الفعال فى تمركز التدريس فيه ، فقد هاجر إلى الغرب العلامة شيخ الطائفة محمد أبو جعفر الطوسى فأقام نهضة علمية كبرى ونظم الحركة الفكرية وقواها ورفع منار الثقافة الاسلامية فأم النجف الأشرف من سائر أقطار الشيعة جمع غفير ليرتشفوا أفاويق العلم، وقد صارت فى ذلك اليوم مركزاً مهماً من مراكز العلوم الاسلامية الكبرى وأنشئت فيها

(١) قال السيوطى فى بغية الوعاة: كان عضد الدولة بن بويه أحد العلماء بالعربية والأدب له مشاركة فى عدة فنون وله فى العربية أبحاث حسنة؛ وكان كامل العقل غزير الفضل حسن السياسة شديد الهيبة بعيد الهمة ذا رأى ثاقب، تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة ودانت له العباد والبلاد. وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة وأول من لقب فى الاسلام شاهنشاه وله صنف أبو على الايضاح والتكملة ، وهو الذى أظهر قبر على ابن أبى طالب وبنى عليه المشهد مات . عام ٣٧٢ بعلة الصرع

المدارس الكثيرة والمكتبات من قبل سلاطين الشيعة ووزرائهم وأهل الثروة والعلماء أنفسهم



الجانب القبلي من جامع النجف الأشرف

قدم الطوسى عام ٤٠٨ فدرس على الشيخ المفيد ببغداد مدة حياته وبعد موته على السيد المرتضى صاحب الأمالى، وكان السيد يجري عليه شهرياً اثنى عشر ديناراً كما يجري على تلامذته كل سنة. ولقد عظمت منزلته أخيراً وأصبحت له مكانة علمية أقبلت عليه بطلاب العلم. حدث فى (روضات الجنات) ورجال المامقانى أن فضلاء تلاميذه الذين كانوا من المجتهدين يزيدون على ثلاثمائة فاضل من الشيعة، أما من أهل السنة فما لا يحصى، وأن الخلفاء العباسيين فى بغداد أعطوه كرسى الكلام، وكان ذلك لمن كان وحيداً فى ذلك العصر . وكانوا مبالغين فى تعظيم العلماء لا فرق لديهم بين المذاهب الاسلامية، ولكن الوشايات أخذت تدب حول هذا العلم حتى اضطرته أخيراً أن يغادر الزوراء ويشد الرحال إلى جوار ابن عم الرسول وهناك يقيم دعائم مدرسته. حكى القاضى فى مجالسه عن ابن كثير الشامى أن الطوسى كان فقيه الشيعة مشتغلا بالافادة فى بغداد إلى أن وقعت الفتنة بين الشيعة والسنة (وهذه الفتن الداخلية هى التى خضدت شوكة الاسلام حتى أنهار مجده) سنة ٤٤٨ هـ واحترقت كتبه وداره فى باب الكرخ فانتقل من بغداد إلى النجف وبقى هناك إلى أن توفى سنة ٤٦٠ هـ . وأضاف فى الروضات احتراق كرسيه الذى كان يجلس عليه للكلام . وحكى [1] جماعة أنه وشى بالشيخ إلى الخليفة العباسى فاستدعاه؛ غير أن الطوسى استطاع أن يزيل ما علق بخاطره فرفع شأنه وانتقم من الساعى وأهانه . وقال ابن الأثير (ج ٩ ص

(١) الروضات ولؤلؤة البحرين ومجالس القاضى ورجال المامقانى

٢٢٢) وفى سنة ٤٤٩ نهبت دار أبى جعفر الطوسى بالكرخ وهو فقيه الامامية وأخذ مافيها وكان قد فارقها إلى المشهد الغروى . هاجر الشيخ الطوسى إلى النجف الأشرف وسكنها وبقى يدرس اثنتى عشرة سنة ، وألف كتباً قيمة فى التشريع الاسلامى لم تزل مراجع؛ للعلماء فنها (تهذيب الأحكام) و(كتاب الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) و (المبسوط) و (الفهرست) و (ما يعلل وما لا يعلل) و (المجالس) الخ. ثم بقى تلامذته بمدوفاته عند مرقد الامام واستمر التدريس والمهاجرة إلى المعهد العلمى النجفى حتى ظهر فى الحلة المحقق الأول صاحب شرائع الاسلام (المتوفى عام ٦٧٦) فاتجه رواد العلم إليه وقامت حركة فكرية قوية فيها فيما بعد، من أقطابها تلميذه العلامة الحلى صاحب المؤلفات القيمة الكثيرة فى الفقه وأصوله والكلام وغير ذلك وفى أثناء ازدهار الحركة العلمية فى الحلة لم تضمحل فى جاراتها النجف، فهذا الشيخ الرضى يفرغ من تأليف كتابه الشهير فى النحو عام ٦٨٣هـ فى الغرب ، والرضى كما قال السيوطى فى بغية الوعاة (ص ٢٤) هو الامام المشهور صاحب شرح الكافية لابن الحاجب الذى لم يؤلف عليها بل ولا فى غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً وحسن تمليل. وقد أكب الناس عليه وتداولوه واعتمده شيوخ هذا العصر فن قبلهم فى مصنفاتهم ودروسهم ، وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة واختيارات جمة ومذاهب، ينفرد بها وله أيضاً شرح الشافية فى الصرف . قال فى (الروضات) توطن الشيخ الرضى بأرض النجف الأشرف وصنف شرحه المشهور على الكافية أيضاً فى تلك البقعة المباركة، وذكر فى خطبته أن كل ما وجد فيه من شىء لطيف وتحقيق شريف فهو من بركات تلك الحضرة المقدسة، توفى عام ٦٨٦ انتهى. وقد نقل لى بعض الفضلاء أن الرضى ألف شرحه فى مكتبة الامام (ع) التى فى الصحن الشريف وأنها كانت مكتبة عظيمة وحتى الآن لا تزال بقاياها تحوى نفائس الكتب ، من جلتها قرآن بالخط الكوفى كتب عليه أنه بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)، ومن ضمنها كتب علمية وأدبية نادرة قديمة الخطوط جداً، ويوجد فيها شرح الدريدية لابن خالويه بخطه؛ ولكن لا ينتفع اليوم بنفائس هذا الكنز لأنه مقبور بالاهمال؛ وكان على مديرية الأوقاف العراقية أن تعهد بهذه المكتبة إلى رجل ضليع لينظمها ويعرضها لاستفادة رواد العلم وإلا فان تبعثرها وضياعها واضمحلالها أقرب النتائج المترقبة

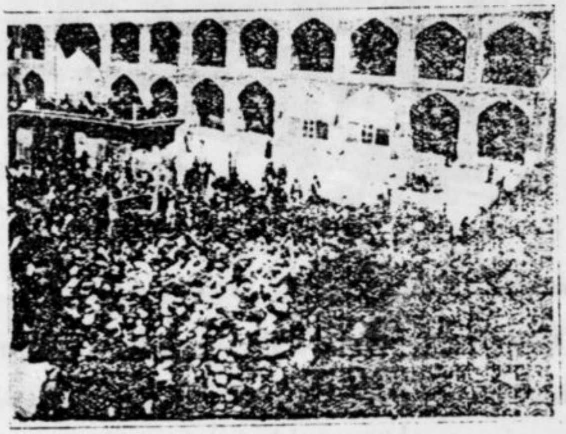
وقد احترقت هذه المكتبة عام ٧٥٥ هـ وجددها جماعة من العلماء منهم ابن الآوى الذى كان صدراً للحكومة الايلخانية وفخر المحققين ابن العلامة الحلى (كما أخبرني الأستاذ السماوى)



(الايوان الذهبي وفى وسطه المدخل للحرم الداخلى)

جدد تعمير بناية القبر عام ٧٦٠ هـ بعد احتراق عمارة عضد الدولة بعمارة رابعة ذكرها مؤلفو القرن الثامن الهجرى مجهولا صاحبها يظن أنه من رجال الحكومة الايلخانية ، وقد أصلحها الشاه عباس الأول من أعظم ملوك إيران المتأخرين ، وفى عهد هذه العمارة قويت الهجرة إلى جامع النجف الأشرف فى عهد المقدس الأردبيلى (المتوفى عام ٩٩٦ هـ) وكان عالماً فاضلا مدققاً جليل القدر له عدة مؤلفات منها آيات الأحكام قد فسرها فيه وأرجع إليها قضايا الفقه، وله شرح الهبات التجريد وتعليقات على شرح المختصر للعضدى وشرح لارشاد الأذهان فى الفقه . وقد تولى الدرس فى مدرسة الصحن الشريف، وكانت له حجرة فيه، هاجر إليه طلبة العلم وتخرج على يده جماعة من النوابغ منهم العلامة السيد محمد العاملى صاحب المدارك فى الفقه وشرح القصائد العلويات السبع لابن أبي الحديد فى مدح الأمير (ع) وشرح الشواهد المدرجة فى شرح بدر الدين لألفية أبيه ابن مالك وهو كتاب جليل مفعم بالفوائد غزير المادة الأدبية . وممن درس على الأردبيلى صاحب المعالم أحد الكتب المقرر تدريسها فى جامع النجف الأشرف . ولنعد إلى بناية القبر الفخمة فانها تضعضعت وحصلت صدوع فى القبة المنورة بمرور العصور وتعاقب الأعوام، وأراد الشاه صفى حفيد الشاه عباس الأول توسعة ساحة الصحن الضيقة فأمر بهدم بعض جوانبه وشيدت هذه العمارة الضخمة الباقية إلى اليوم وفى هذه العمارة كانت القبة الكريمة والايوان والمئذنتان مبنية بالحجر القاشانى إلى عهد ملك إيران نادر شاه

أما هذا فقد نذر إذا فتح الهند أن يذهب قبر الامام (ع). وكذلك لقد أمر عام ١١٥٥ هـ بقلع الحجر القاشاني عن القبة المقدسة والمأذنتين والايوان وتذهيبها، وبذل أموالا عظيمة فقام بالتذهيب أكثر من مائتي صائغ ونحاس قد تجمهم من سائر أقطار الأرض وفيهم الصيني والهندي والتركي والفارسي والعربي وقد طليت كل آجرة بمثقالين من الذهب الخالص على ما ذكر بعض الصاغة الذين تولوا إصلاح القبة أخيراً



الجانب الشمالي من جامع النجف الأشرف وفيه مظاهرة إسلامية

وقد وضع في خزانة القبر الشريف تحفا جسيمة مما استلبه من ذخائر ملوك الهند، هذا فضلا عما أهدى إليها غيره من الملوك والأمراء المسلمين، ففيها من الجوهرات والنفائس مالا يثمن، وإن الأحجار الكريمة لا تعد ولا تحصى. أما القناديل الذهبية المرصعة والسجاد الفاخر الوشي بالذهب والستائر المنتظمة فيها الجواهر، الأمور التي تعز على — الملوك فهي أعلاق ونفائس تبهر العقول ولا يصدق اجتماعها في أعظم الكنوز

وإن بداعة الفن في البناية تبهر الأنظار وتخلب الأفكار بزخرفها وطلائها. وقد قال رحالة مصري: (وقبة القبر ومئذنتاه تكسى بالذهب الخالص في بريق خاطف. جزت الباب إلى الفناء السماوي المربع تطل عليه الحجرات المتجاورة ثم دخلت باب الضريح، وأنى لقلمي الكليل أن يصف إبداعه من نقوش وتطعيم بالذهب والفضة وزخرف بالبلور والزجاج والقيشاني ما فاق فيه جميع المساجد الأخرى) وإن هذه الحجرات كانت مساكن لطلبة العلم قبل أن تشاد المدارس الحديثة

وعسانا نعود لدراسة النواحي الأخرى المهمة من جامع النجف الأشرف وحياته العلمية والأدبية

«العراق — النجف الاشرف» ضياء الدين الدخيلي

بين اللغة والادب والتاريخ

الفالوذج

للأستاذ محمد شوقي أمين

— ٢ —

صلاحية معجزة نبي. أخلاطه. شهرة النشا به. زعفرته. زينته اللوزية. لونه. أكان يؤكل حاراً. وصفه بالترجرج. رقة جوانبه. أكان يؤتدم به.

وكما تمنى ذلك العربي، في ظرف وتملُّح، أن تكون صفة الفالوذج آية من الآي، وتنزيلا في التنزيل، بل موضع سجدة، ومحراب ضراعة؛ إغلاء بالوصف، وإعلاء لكلمة الموصوف: ترَجّى أخ له من بعد أن يكون الفالوذج معجزة نبوة، وبرهان رسالة، فانه في حساب هذا العربي العكه، لجدير أن تهفو إليه القلوب، وتجتمع عليه الارادات؛ وما هي إلا أن يؤمن الناس بمن يجيء بالفالوذج من عند الله: دليل إيحاء، ومظهر إعجاز... فقد ذكر أبو هلال[1] أن أعرابيًا سئل عن رأيه في الفالوذج، فقال: والله لو أن موسى أتى فرعون بفالوذج لآمن به، ولكنه أتاه بعصاه!

— ٣ —

وأخلاط هذه الحلواء: لباب البر، ورضاب النحل، وخالص السمن[2] وكان يضاف إلى هذه الأخلاط: النشا. ولعله لباب البر نفسه قال الأصمعي: النشا: شيء يعمل به الفالوذ[3]، فانظر: كيف يذكر النشا بالفالوذج، وكيف صارت نسبته إليه تعريفاً به؟ وإنما جاء ذلك من بعد صيت الفالوذج، وذيوع صفته، ولن يعرَّف شيء بآخر، حتى يكون الآخر أوسع شهرة، وأندى صوتاً...

وكان الزعفران كذلك من أدوات الفالوذج، فقد وصف رجل طعاماً أكله عند بعض الناس، فقال:[4] أتانا بأرزّة ملبونة، في الطبرزد مدفونة، وفالوذجة مزعفرة مسمونة. ولا أوثق:

(١) ديوان المعاني (الاول — ٢٩٨)
(٢) عيون الاخبار (الثالث — ٢٠٣)
(٣) المخصص (الخامس — ٢١)
(٤) خاص الخاص (٤٤)

أ كان يجعل فيه أم كان يصبغ به ؟ فان الكلام يحتمل أن تكون الزعفرة فيه التلوين ، إلا أنه بجعل الزعفران فيه أولى ، وبسياق الجملة أشكل . فى الجملة : الملبونة وهى التى فيها اللبن ، والمسمونة وهى التى فيها السمن . وقد يكون الزعفران فى الفالوذج عملان معاً ، فهو مادة فيه ، وهو صبغة له وطيب

ومما يؤيد أن الفالوذج كان يصبغ بالزعفران ، وأن هذه الصبغة كانت من علامات التجوُّد فيه ، وحسن الصنعة له ؛ ما يؤثر من أن الكراريسى[١] دعا أبا الحسن بن طباطبا ، وقرب إليه مائدة ، فخرج أبو الحسن ينظم قصيدة يذم فيهـا ما قدم له الكراريسى من ألوان الطعام ، ويسمي كل واحد منها باسم بعيبه به ، ويَزْرى عليه ؛ وكان مما أنكر من تلك الألوان الفالوذجة ، لأنها كانت قليلة الزعفران والحلاوة ؛ فسماها : صابونية ، وبيتها فى القصيدة :

وجام صابونية بعـــدها فافخر بها إذ كانت الخاتمه

فلما بلغ الكراريسى شعر أبي الحسن ، وعلم أنه فى معشر يبتدرون أكله ، ويتنقلون بذمه ، حلف لا يُدخل أبا الحسن ولا أحداً من أصحابه داره ، ولا يحضرهم طعامه !

وقد اتخذت للفالوذج فوق ذلك زينة مجلوبة ، تمدُّ منظره بالبهاء والرونق ، وتزيد فى طعمه اللذاذة والسواغ ، وهى : اللوز المقشور . فكان ينضد أنصافاً فى جوانبه كاللؤلؤ ، أو ينثر كالنوّار . فلما تواصف الأدباء هذه الحلواء المعجبة ، تناولوا زينتها بالتشبيه الجميل . فقد نسب الحصريّ إلى أهل عصره جملة منثورة فى وصفه هى : « كأن اللوز فيه كواكب در فى سماء عقيق[٢] »

ولون الفالوذج كما يدل عليه ظاهر الصفة فيما سبق من النوادر : الحمرة ، إذ كان العقيق أحمر تشبه به الأشياء فى الاحمرار ؛ غير أنه قيل لأعرابى : أتعرف الفالوذج ؟ قال : نعم أصفر رعديد[٣] ! ومفاد قولة الأعرابى الصفرة ، على أنه قد يكون المراد منها : لون الورس والزعفران[٤] فانه قيل فيهما : الأصفران . والورس : نبت يضرب

(١) ديوان المعانى (الاول — ٢٩٨)
(٢) زهر الآداب (الثاني — ٧)
(٣) معيار اللغة (رعد)
(٤) المعيار (صفر)

من الاحمرار إلى الاصفرار[١] ورعْياً لهذا يسوغ لنا أن نقول : إن لون الفالوذج هو ما يكون بين الحمرة والصفرة ضارباً إلى هذه وإلى تلك ؛ فهو اللون الورسى الزعفراني المقارب للعقيق ، المشبه إياه فى التوهج والبريق !

ولهذا شبهوا الفالوذج فيما وصفوه ، بالشمس وهي متضيفة للغروب ، حائلة اللون ، بين الصفرة والحمرة ؛ وقد ذكر الثعالبى[٢] أبياتاً لأبى الحسن المشوق الشامى يصف جام فالوذج ، منها :

فقد اغتدت فى جامها وكأنها شمس على بدر أوان المغرب
وتخال فيها اللوز وهو منصف أنصاف درّ فوق صحن مُذْهب

ويجمل ألا نغفل هنـا أن العقيق ليس مقصوراً على النوع الأحمر المتعارف ، فمنه أصفر وأبيض[٣] ، وربما كان الواصف فى الكلمة التى نقلها الحصرى أراد بالعقيق النوع الأصفر منه ، إلا أننى لا أجد فى نفسى ميلاً إلى وفاق هذا التخريج على سلامته ، فالنوع الأحمر من العقيق هو مضرب المثل ، وهدف الوصف ، وهو مصرف الذهن إذا أطلق فلم يقيد بنوع خاص من أنواعه المختلفات .

ويشد عضد هذا أن الكلمة المنثورة التى نقلها الحصرى تروى شطر بيت فى قطعة للسرى الرفاء ، بعث بها إلى أبى بكر الخالدى ، يصف جام الفالوذج ويشير إلى أن أبا بكر يقبل هذه الحلواء رشوة ينحاز بها إلى أحد الخصمين فى الأقضية ، قال السرى :[٤]

إذا شئت أن تجتاح حقا بباطل وتغرق خصما كان غير غريق
فسائل أبا بكر تجد منه سالكا إلى ظلمات الجهل كل طريق
ولاطفه بالشهد المخلَّق وجهه وإن كان بالإلطاف غير حقيق
بأحمر مبيض الزجاج كأنه رداء عروس مشرب بخَلُوق
له فى الحشا برد الوصال وطيبه وإن كان يلقاه بلون حريق
كأن بياض اللوز فى جنباته كواكب لاحت فى سماء عقيق

فقوله : أحمر ، وقوله كذلك : لون حريق ، وما تقدم من أن الزعفرة من عملها التلوين ، يمنع كل المنع أن يكون المقصود من العقيق النوع الأصفر ؛ ما من ذلك بُدّ !

(١) لسان العرب وغيره
(٢) اليتيمة (الاول — ٢٥٢)
(٣) تاج العروس (عقق)
(٤) اليتيمة (الثانى — ١٦٤)

والسرىّ قد جمل المقطع من أبياته تضمينا لبيت لأبى بكر الخالدى المهجو ، فانه يروى له قوله يصف الخمر لا الفالوذج :(١)

كأن حباب الكأس فى جنباتها كواكب در فى سماء عقيق

وفى الحسبان أن العرب كانوا يأكلون هذه الحلواء مثلوجة باردة ، إذ كانت كذلك تؤكل لعهدنا هذا . ولكن الجاحظ نقل طرفة واضحة الافصاح بأنها حارة ، وأنها كانت تقدم على هذه الصفة . أو أن منها ما كان يؤكل حاراً ، فليست تثبت القصة إلا أن الفالوذج قدم مرة لآكليه يزفر أنفاسه الحرار . قال أبو كعب(٢) : كنا عند عياش بن القاسم ، ومعنا سيفويه القاص ، فأتينا بفالوذجة حارة ، فابتلع سيفويه منها لقمة ، فغشى عليه من شدة حرها . فلما أفاق ، قال : مات لى ثلاثة بنين ما دخل جوفى عليهم من الحرقة ما دخل جوفي من حرقة هذه اللقمة ! فلو صح أن الفالوذج كان لا يقدم إلا حارا فيؤكل فاترا لوجب تخريج ما سلف من قول السرى الرفاء : « له فى الحشا بردالوصال وطيبه » فيكون الوصف بالبرودة لغير حسّ الفالوذج ، وإنما هو لمناه وأثر الالتذاذ به . وإذاً يجرى الكلام على أن للفالوذج فى النفس من اللذة والمناءة ، ما للوصال من برد فى الصدر وثلج ، وهو تخريج بديه ، لا تأباه طبيعة البيان ولا يمس التشبيه بتشويه

وكانت هذه الحلواء هنية الريق ، لينة المُزْدَرَد(٣) . وهى كذلك غريضة هفهافة الأعطاف ، تستجيب للداعى بالغمزة الخفيفة ؛ وبمثل ذلك يصفها صاغة الكلام ، ويشهّونها إلى الأفواه . فقد سمع الثعالبى صديقه الخوارزمى يقول فى وصف طعام قدمه إليه بعض أصحابه : جاءنا بشواء رشراش ، وفالوذج رجراج(٤)

وقد تكون بعض جوانب الفالوذج فى الجامات والصحاف أرق من بعض ، فيكون ما رق منها أغبط عند الناس مما غلُظ ، وأولى بالايثار والتكرمة . حدث الجاحظ عن نفسه قال(٥) : كنت على مائدة محمد بن عبد الملك ، فقدّمت فالوذجة ، فأومأ بأن يحمل ما رق منها على الجام مما يلينى ، تولُّماً بى ، فتناولت منه ، وظهر بياض الجام بين يدى ، فقال محمد بن عبد الملك : يا أبا عثمان قد تقشّعتْ سماؤك قبل سماء غيرك ؛ فقلت : أصلحك الله لأن غيمها كان رقيقاً !

وما كنت أفهم حتى الساعة إلا أن الفالوذج كان يؤكل وحده ، لا كالطعام يكون إداماً للخبز ، فهو حلواء ، والحلواء مكتفية بنفسها أبداً ، وهو يحوى مادة الخبز كذلك فى جوهره ، فان لباب القمح رأس من رؤوس أخلاطه التى يسوَّى بها .

ولكن أبا العلاء(١) فى بعض تقوله اللغوية قرن الفالوذج بضرب من ضروب الخبز ، فأدى إلينا الشك والتَّظَنّى ، ولا سيما أنه يعزو ذلك إلى خلف الأحمر ، ومجمل الطرفة التى نقلها المعرى أن خلفاً أنشد البيتين :

أَلَمّ بصحبتى ، وهمُ هجوع خيال طارق من أم حِصْن
لها ما تشتهى : عسلاً مصفى إذا شاءت وحُوَّارَى بسَمْن

ثم قال لأصحابه : لو كان موضع أم حصن : أم حفص ، ما كان يقول فى البيت الثانى ؟ فسكتوا ، فقال : وحوارى بلمص، واللمص : الفالوذج ، والحوّارى خبز يكون من لباب البر ، وهو السميد . وقد تابع المعرىُّ خلفا الأحمر فى تغيير قافية البيت الأول بأسماء النساء ، وتغيير قافية البيت الثانى بأشتات من ألوان الإدام ، وأصْبِغة الطعام ، وتعبير هذا فى غير تَرَيّبٍ أن الفالوذج كان يؤتدم به مع السميد أو غيره مما يختبز ، أو أنه كان يؤكل تارة وحده ، ويؤكل مع الخبز تارة أخرى

« للبحث صلة »

محمد شوقى أمين

(٤) خاص الخاص ٤٥

(١) رسالة الغفران ١٤

(١) اليتيمة (الثانى — ١٦٦)

(٢) البيان والتبيين (الثانى ١٥٨)

(٣) عيون الأخبار (الثالث ٢٠٣)

(٤) فقه اللغة (٣٩٦) (٥) خاص الخاص (٤٥)

من وحي بغداد

من جحيم الظلم في القاهرة

إلى سعير الوجد في بغداد

للدكتور زكي مبارك

وَفدْتُ عَلى بغــــدادَ والقلب مُوجَعٌ
فهل فرَّجتْ كَربى وهل أبْرأتْ دائى
تركتُ الخُطوب السُّودَ فى مصرَ فانبرتْ
سِهَام العُيُونِ السُّودِ تَصْـدَعُ أحشائى
تركتُ دُخَاناً لو أردتُ دفعتهُ بعزْمة مفتُول الذّراعين مضّاء
وجئتُ إلى نارٍ سَتشْــوى جوانحى
وتصْهرُ أضـــلاعى وتسحق أحنائى
فيا ويح قلبى عضّه الدهر فاكتوى
بلفحةِ قتّالَـيْن : جوْرٍ وإصباء

* * *

سمعتُ حماماتٍ ينُحْن فعزّني حنينى إلى صحبٍ بمصرَ أشحّاء
همُ أسلمُونى لاعفا الحبُّ عنهمُ إلى ليلةٍ من غمْرةِ الحُزن ليْلاء
أُنادِمُهم بالوَهْم والقلبُ عارفٌ بأنى لدَى كأسٍ من الدّمع حمراء
شربتُ الأسى صِرْفاً فثارتْ مدامعى
تذيعُ حـــديثى فى الغرام وأنبائى
أنا الطائرُ المجروح يَرْميه بؤسُهُ لشقوتهِ ما بيْنَ نارٍ ورَمْضاء
فإن عشتُ آذتنى جُرُوحى وإن أمُتْ
شوَتْنى فى الأرواح نيرانُ بأسائى

* * *

أحبّاىَ فى مصر تعالَوْا فإننى أُودِّعُ فى بغدادَ أُنسى وسرّائى
تعالوْا أعينوني على السُّهد والضّنَى
فلم يبْقَ منى غيرُ أطياف أشلاء
تعالوا أُحدِّثْكم ففى القلب لوْعةٌ
هى الجاحمُ المشبُوبُ فى جوْفِ قصْباء
تعالَوْا ترَوْا بغــدادَ أغرتْ بمهجتي
نُيُوبَ المنايا فى صَباحى وإمسائى
أحبّاىَ فى مصر ، وَهلْ لى أحِبّةٌ ؟
أحباى فى مصر تعالَوْا أحبائى
تعالَوْا إلى بغدادَ تَلْقَوْا أخاكم صريعَ خُطُوبٍ ينتَحِين وأرزاء
تعالَوْا ترَوْنى فى صروفٍ من الجوى
تهــدّم بُنْيانى وتنقضُ حوْبائى

* * *

عفا الحبُّ عن بغدادَ ، كم عِشْتُ لاهياً
أكاثرُ أيامي بليــــلَى وظمياء
فكيف وقعتُ اليومَ فى أسْرِ طِفْلةٍ
مكحّلةٍ بالسحر ملثوغةِ الراء
أصاولُ عينيها بعينىّ والهوى يُشِيع الحُمَيّا فى فؤادى وأعضائى
وأشهدُ أطياف الفراديس إن بدتْ
تراودُ أحــلامي مزاحاً وأهوائى
وألمس نيرانَ الجحيم إذا مضتْ ترُوم بعينِ الجِدّ بُعدى وإقصائى
أكاتِمُ أهليها هُيَامى ولو دَرَوْا
لهامت بجنب الشط أرواح أصدائى
إلى الحب أشكوها فقد ضاق مذهبى
وأخلفنى بعــــد الفراق أعزائى
إلى الحب أشكوها فلولاهُ لم أبِتْ حليفَ هُمُوم يصْطَرِعْن وأنواء
إلى الحب أشكو بل إلى الله وَحدهُ أُفوّض بأسائى لديها ونعمائى

* * *

أرَبّاهُ أنقــذنى فأنت رميتنى بقلبٍ على عهد الأحباء بَــكّاء
أرَبّاهُ لاتفعل فإني أرى الهوى عَلَى وَقْدِه بالقلب أنفاس رَوْحاء
أحِبُّ سعيرالوجد فازِمْ حُشاشتى على جمراتٍ منه حمقاء هوجاء

أُحب شقائي في الغرام وإنهُ   لأرْوَح من مطلولة الزَّهر شَجْراء
فياخالق النار المَصُوف وشائقي   إليها أدِمْ فيها لَوَاعج إصلائي
أحبك يارب فهل أنت شافعي   إلى سرحةٍ في شطِّ دجلة زَهراء
شهدت فنائي فيك حين رأيتها   تحاول إضلالي وَتَنْشد إفنائي
وَمَن أنت ياربي؟ أجبني فإنني   رأيتك بين الحسن والزهر والماء
أنا الفاتنُ المفتونُ فارحم بليَّتي   وَقدِّر بأرجاء الفراديس إثوائي
وَلا تُخْلني في جنة الخُلد من هوًى   بِزُعْبُوبَةٍ لا تعرفُ الرفقَ حمقاءِ
أُحِبُّ المِلاح الهُوجَ في الخُلد نفسهِ
عساني بدار الخلد أهجر إغفائي
تباركتَ! ما الجناتُ من دون لوعةٍ
سوى بقعةٍ في غابة الموت جرْداء
يحبُّ ضعيف الروح في الخلد أنسَهُ
إلى غادةٍ مأمونة الغيب بلْهاء
وَأنشُدُ في الجناتِ إن ذُقتَ رَاحَها
مَلاعِبَ مِن طَيْش وَفَتْكٍ وَإغواء

* * *

أضاليلُ يُزْجيها خيالي وَأنْثَنى   إلى ساحةٍ مطموسة الأنس قفْراء
لقد كنتُ في مصر شقيًّا فما الذي
سَتَجْنِين يا بغدادُ من وَصْل إشقائي
أهذا جزائي في العراق وَحُبِّهِ   أهذا جزائي في رَوَاحي وإسرائي
أخِلاَّيَ ما بغدادُ راحي وإن دَرَتْ
قلوبُ صَبايَاها مَدَارِجَ إصبائي
أخِلاَّيَ رُدُّوني إلى مِصرَ إنني   أرى الظلم دُونَ الوجد تسعير لأواء

* * *

سَقَى الغيثُ أيامي بحلوانَ وارتوتْ
مَلاَعِب أحْلامي هناك وأهوائي
فما غدرَتْ بي في حماها نسائمٌ
سقاها رَبيعُ الحُبِّ أكوابَ أنْدَاء

وَلله عَهْدٌ بالزمالك لم يكنْ   سِوَى لمحات بِرْزَدَهِينَ وأضواء
هصرْتُ به غُصناً نضيراً تفتحتْ   أزاهيرُهُ في ظِلِّ خضراءَ لَفَّاء
وأين على مصرَ الجديدةِ مَوْرِدي   وأين مُهادي في حماها وإغفائي
أطايبُ ذقناها ولم نَدْر أنها   لنُدْرَتِهَا في الدَّهر أزهارُ صحراء

* * *

أحِبَّايَ في مصر الجديدةِ سارعُوا   فقد صَرَّعتني حول دجلة أدوائي
أجِدَّكمُ هل تعلمون بأنني
وإن كنت جار الشط أشرب أظمائي
خذوني إليكم يا رفاقي فإنني   أحاذِرُ في بغدادَ حَتْفِي وإصمائي
أخاف العيونَ السُّودَ فليرحم الهوى
فجيعةَ أهلي يوم أقضي وأبنائي
أنادمُ أحْبابي وفي الحق أنني   لهول الذي ألقى أُصاولُ أعْدَائي

* * *

أدِجلةُ ما بيني وبينك؟ أفصِحِي   فقد طال في مغناك تبريح إضنائي
وردتك أستشفي فثارت بليَّتِي   وَأَزْمضنِي حُزْني وَأضرعني دائي
وَرَدْتُك أشكو النيل يطغى جُحُودُهُ
فأين سلامي في حماك وإشكائي
سقى وَرْدُكَ المعسولُ غيري ولم أجدْ
لهول بلائي غير أوشاب أقذاء
أطال أناسٌ فيك نجوى نعيمهمْ
وفي شطِك الموردِ ناجيت بأسائي
أدجلة أين الحب؟ قولي فإنني   تقلبت في نارين: حقدٍ وبغضاءِ
أدجلة أين النور؟ قولي فإنني   على الشط أستهدي دياجير ظلمائي
أدجلةُ أبلاني اغترابي وَشَفَّني   هُيامي بظُلمي في بلادي وإشقائي
أدجلةُ أنت النيلُ بغياً وَكُدْرَةً   فكيف من النارين تسلم أحشائي
أدجلةُ ساقتني إليك مَقادرٌ   تأنَّقنَ في كيدي وأبدعن إيذائي
أدجلةُ واسيني فللضيف حَقُّهُ   إذا شئت من زادٍ وحبٍّ وصهباء
طغى موجك الصخاب فاهتاج لوْعتي
وَأيقظ أشجاني وبلبل أهوائي

وقفتُ أبثُّ الجسر ما بى فلم أكن   سوى نافثٍ فى أُذن رقطاء صَمّاء
وقفتُ أُرجّيه ولم أدرِ أننى   أُسطِّر أحلامى على ثبَجِ الماء
إلى أين هـذا التِّبرُ يجري وحولهُ
حرائقُ من أرضٍ على الريِّ جَدْباء
أرقتُ دُموعى فى ثراها فما ارتوتْ
وهل كان دمعى غير أطياف أنداء
شوّتْني الخطوب السُّودُ شيًّا فلم تدع
لمُعتسِفٍ حُلْماً إذا رام إبكائى
أجبنى ياصَوْب الغوادى فإننى   على علتى فى الدهر أساءُ أدْواء
تحـدّرتَ مُختالاً فلم تغنِ أُمةً
تشهّى لطول الجـدب أو شال أنهاء
بكى حولك الماضون دهراً فهل رأوا
لدى موجك الصخّاب لحظة إصغاء
تشكى العراقُ الجَدْبَ وارتعتُ أبتغى
نصيبى فلم أظفـر لديكَ بإرواء
أعِندَكَ ياصَوْبَ الغوادى تحيةٌ   لناس عَلَى شَطَّيْكَ ذاوينَ أنضاء
تروحُ إلى البحر الأجاج سفاهةً   عَلَى شوقِ أهلٍ فى العراقِ أوِدّاء
أبوك السحاب الجَوْدُ يرتاح جُودُهُ
إلى كلِّ أرضٍ في العراقين ميْثاء
فممّنْ أخذت البخل يا جار فتيةٍ
هم الجعفر المنساب في جوف بطحاء
شكا الزهرُ فى شطَّيْكَ فاخجل ونجِّهِ
مِنَ الظمأ الباغى وَمِنْ حيّة الماء
جريتَ بلا وعيٍ إلى غير غايةٍ   مُحجَّلة بين المصاير غرّاء
فدعنى أُطل فيك الملام فلم أكن   سوى شاعرٍ للحمد واللوم وشّاء
أأنت الذى يجفو الظماء لينضوي   إلى لُجّةٍ فى باحةِ البحر هوجاء
أأنت الذى يسقى البحار وحولهُ   أزاهير فى سهل يفدّيه ظِمْاء
وقفنا على شطيك نشكو أُوامنا   على نبرات الدف والعود والناء
فأين العطاء الجزلُ يافيضَ مُزنةٍ   مُحمَّلةٍ بالخير والشر كلْفاء

عشقت شقائى فيك للحبِّ إننى   أُحبُّ شقائى فى رحاب أحبّائى

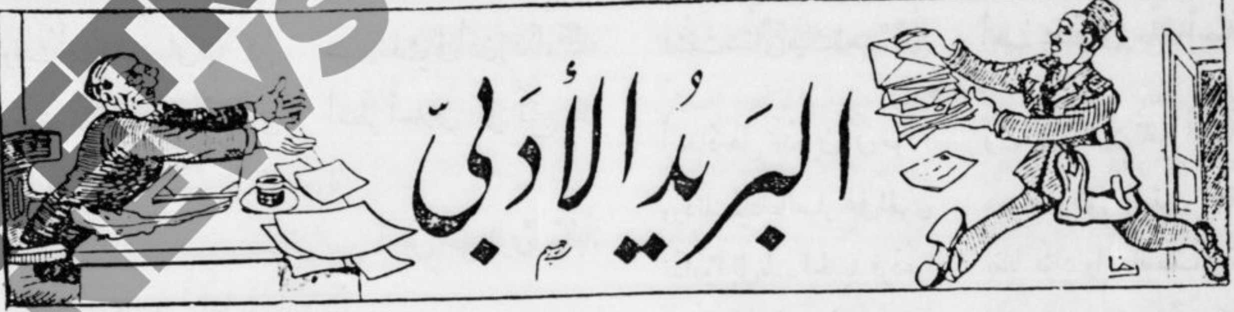
* * *

أبغدادُ هل تدرين أنّى مودِّعٌ   وأن سَمُومَ البين تلفح أحشائى
وردتُكِ مُلتاعاً أصارع فى الهوى   دموع رفاقٍ وامقين أخلّاء
تنادَوْا إلى باب الحديد فودَّعوا   بقايا فؤادٍ وافرِ العطف وضّاء
وفيهم ختولٌ لو أراد لَرَدَّنى   إلى روضة من يانع الأنس غنّاء
تقدم يستهدى العناق فلم يجـد
سوى صخرة مكتومة السِّرِّ خرساء
وعاد يروض العتْبُ أحلام قلبهِ
على خُطة من شائك الهجر عوجاء
وردتك مطعوناً تثور جروحهُ   فكان بنوك الأكرمون أطبّائى
لحبك يا بغداد والحبُّ أهوجٌ   رأيت فنائى فيك مشرق إحياء
تناسيتُ فى مصر الجديدة صِبْيةً   هم الزهرُ الظمآن فى جوف بيداء
يناجون فى الأحلام أطياف والدٍ   لعهد بنيـه والبُنَيّات نسّاء

* * *

أبغدادُ هذا آخرُ العهد فاذكرى   مدامعَ مفطورٍ عَلَى الحبِّ بكّاء
أبغدادُ يضنينى فراقك فاذكرى   لدى ذمة التاريخ بينى وإضنائى
خلعتُ على الدنيا جمالكِ فانثنتْ   تخايَلُ فى طِيبٍ وحُسْنٍ ولألاء
سيذكرنى قومٌ لديك عهدتهمْ   يحبُّون ظلّامين ضُرّى وإيذائى
سيُمسى خصومى بعـدَ حين أحبةً
يذيعون مشكورين أطيبَ أنبائى
ستذكرُ أرجاء الفراتين شاعراً   تفجَّر عن مكنونة الدر عصماء
سيسأل قومٌ مَنْ زكيٌّ مباركٌ   وجسمى مدفونٌ بصحراء صَمّاء
فإن سألوا عنى ففى مصر مرقدى   وفوق ثرى بغداد تمرح أهوائى
ستذكرنى غيدٌ ملاحٌ أوانسٌ   أطلن بلائى فى الغرام وإشقائى
ستذكرنى مصرٌ وما كان قلبها
سوى صخرةٍ فى جانبِ النيل ملساء
إلى الله أشكو لؤم دهرى وصرفهُ
وعِنـدَ الإله البرِّ أُودِعُ حوْبائى

زكى مبارك



حول لجنة إنهاض اللغة العربية

سيدي الأستاذ الزيات

سرني وأرضى نفسي ما كتبتم وما نشرتم لكرام الكتاب من الملاحظات على قرار لجنة إنهاض اللغة العربية وما انتهت إليه في اختيار الكتب التي تصلح لأن تكون في أيدي تلاميذ المدارس الثانوية وسيلةً إلى تقويمهم في اللغة العربية

ولكن شيئاً هاماً في قرار اللجنة قد فاتكم التنبيه إليه وما كان ينبغي أن يفوت : ذلك هو حق أدباء العروبة في مختلف أقطارها في أن يكون لهم ولمؤلفاتهم الأدبية اعتبار في نظر وزارة المعارف المصرية أولا ، ثم في نظر أعضاء هذه اللجنة ...

فهل تذكرت وزارة المعارف المصرية يوماً أن في هذه الأقطار التي تريد أن تفرض عليها زعامتها الأدبية — علماء وأدباء وكتاباً ومؤلفين ، هم في الطبقة الأولى من رجال الفكر العربي ؟ وهل عرفت أن لهؤلاء الأدباء كتباً ومؤلفات حقيقة بأن تكون موضع تقدير رجال المعارف في مصر حين يريدون أن ينهضوا بالثقافة الاسلامية

ذلك — ولا شك — شيء تعرفه وزارة المعارف ولا تنكره ، ويعرفه أدباء مصر ولا ينكرون ، ولكن ما وراء هذه المعرفة ؟ هل قررت يوماً كتاباً في مدارسها لكاتب عربي في غير مصر ؟ هل عملت على أن يعرف تلاميذها في مصر أن في تلك البلاد كتاباً وأدباء ينبغي أن تُدرس آثارهم وينتفع بها ؟

إن الكتب المصرية تملأ أسواق الشرق العربي ومكتباته ومدارسه ، ولا تخلو منها يد تلميذ عربي في تلك البلاد . فهل حرصت مصر على أن ترد هذا الجميل إلى أهله ؟ أم تراها ضريبة على هذه البلاد تؤديها لمصر غير منتظرة جزاء عليها ولو كان هذا الجزاء هو الاعتراف بالجميل ؟

أين مؤلفات الأساتذة إسعاف النشاشيبي في فلسطين ، وأمين الريحاني في لبنان ، وعلي الطنطاوي في دمشق ، وساطع الحصري وطه الهاشمي في العراق ؟ أليس لهؤلاء مؤلفات يمكن أن ينتفع بها في مصر ، لتزيد الروابط بين البلاد العربية توثيقاً وقوة ؟

م . ع . سعيد

اقتراح على الشعراء

تغلي أطراف العالم العربي والعالم الاسلامي لأنهم يوقدون على قلبهما بالحديد والنار والمكيدة في فلسطين ، وتسجل الأيام أروع قصة من قصص البطولات والإباء والتضحية في التاريخ كله ، وتصبحنا الأنباء وتمسينا بما يبسط قلوبنا ويقبضها سروراً بانتصار إخواننا أو ألماً من اندحارهم

وتلتقي مشاعر المسلمين والعرب لقاء عجيباً في هذه البقعة المقدسة من الأوطان العربية مما جعل الثورة الفلسطينية مبدأ عهد لتكوين الشعور الاسلامي والعربي ، ومدار ذكرى ومداولات حول النفس العربية وتاريخها وخصائصها وجهادها ومستقبلها

فكيف تمر بنا هذه الحوادث الجسيمة ، وتعرض على أعيننا وقلوبنا هذه المشاهد والمشاعر الفذة ثم لا تسجل تسجيلاً فنياً خالداً في مطولات و « ملاحم » كما كانت حروب « طروادة » مدار أناشيد الإلياذة اليونانية ؟

إن في شخصيات باعثي هذه الثورة وفي قوادها وفي جنودها رجالا ونساء وفي شرفهم وسمو أخلاقهم وفي الأهوال التي تحيط بهم ... معاني روائية نادرة ومنابع إلهام لذوي الأقلام

فمن يا ترى تنتدبه الأقدار وتصطفي قلمه لكتابة هذا الديوان الخالد كما اصطفت قلم الشاعر الكبير أحمد محرم لكتابة ديوان مجد العرب والاسلام الذي نرجو له التوفيق فيه ؟

إنى أخشى أن أشير بأصبعى فى هذا المقام إلى بعض الشعراء الذين أعرف فى خيالهم الواسع قدرة على ملء الفجوات التى بين الحوادث، وقدرة على تلوين الشخصيات والأحداث، وعلى الربط و « الحبكة » الفنية فى الاخراج، وعلى خلق شخصيات خرافية عند اللزوم

أخشى هذه الاشارة حتى لا أصد بعض الذين قد يقدمهم أن ذكرهم نبا عنه القلم فى هذا المعرض . ولعل طبعهم الشاعر قد سما ونضج بالثورة الفلسطينية ، و « قد يسمو الطبع الخافت لأن حادثة ما تحمله إلى الآفاق العليا من التفكير والافتنان ، كما تعلو العاصفة بالهشيم والريش إلى حيث تحاذى ذؤابات الدوح وأجنحة النسور » . كما يقول الأستاذ العقاد

ومن منا لم تسم بمشاعره حوادث فلسطين وتفجر فى طبعه الشعر النفسى الذى يفيض على القلوب فى بحوره المرسلة ؟

إنى لم أتمن أن أكون من رجال الشعر المنظوم الذى يرضى نفسى إلا اليوم حتى أظفر بهذا الشرف المظيم

فيا شعراءنا عشاق الخلود !

ليس التغزل فى جسد جميل أو كأس فاتنة ، ولا البكاء المزرى بالرجولة من نفس هلوك على حبيب هاجر وخدين غادر ، ولا الخواطر الكزّة الضيقة فى مناسبات الحياة الشخصية الأنانية، ولا الوصف التقليدى للطيارات والقطارات والابل والأشجار والأطيار ، ولا ... ولا ... إلى آخر المكرور المعاد من المناوين المتوارثة كما تورث الأوعية والآنية ليصب فيها ... ليس كل أولئك شيئاً ذا خطر ورجاحة فى ميزان المواريث الأدبية الخالدة ، لأنها لا تقترن بالنفس العربيــة العامة الواحدة فى كل الأشخاص والأمكنة والأزمنة ... وما لم يكن على الأثر الأدبى هذا الطابع طابع العموم والشمول فلن يحظى بالخلود

وفى الثورة الفلسطينية أوتار تتصل بكل قلب عربى ومسلم ، فمن استطاع أن يجمع هذه الأوتار فى يده ، وأن ينشد عليها بايمان وفن واستغراق ، فسيذهب نشيده مردداً فى كل يوم وفى كل مكان وبكل لسان ...

وإذا مرت الثورة الفلسطينية من غير شاعر واحد يرصدها ويغنى لها ويندب .. فأخشى أن يحكم المستقبل على شعرائنا أنهم « قليلو الملاحظة : يذهبون إلى الغابة للبحث عن وقود ثم يرجعون فارغى الأيدى ! » كما يقول المثل الانجليزى ... أو أنهم يجرون وراء السراب ويتركون الأنهار المتفجرة ...

عبد المنعم خلاف

حاجى بابا فى انجلترا

نشرنا فى مجلتنا (الرواية) قصة بهذا العنوان للكاتب الانجليزى جيمز موري وصف فيها بعض النواحى الاجتماعية فى بلاد إيران أوائل القرن التاسع عشر . نخشى بعض إخواننا الايرانيين أن يخلط القراء بين إيران القديمة وإيران الحديثة ، مع أن المؤلف حدد زمن القصة بسنة ١٨٢٢ . والواقع أن حاجى بابا لا يمثل فى ذلك العهد إيران وحدها ، وإنما يمثل مصر والشام والعراق وتركيا تمثيلا رائعاً لا يناقض الحقيقة . ومن يقرأ هذه القصة ثم يزر هذه البلاد اليوم يدهشه هذا التطور الذى نال العقلية الاسلامية فى مدى قرن من الزمان . فان تفتح الأذهان فى تركيا وإيران ومصر للآراء الجديدة والمدنية الحديثة لا يدع مجالا للشك فى حيوية الاسلام ومرونة الشرق .

الى الاستاذ السفير فليكس فارس

تحية معجب أبعثها فى هالة من معانى الشكر التى هى جواب لقرار الوفاء ... وما الوفاء إلا صدى هديتك التى بعثتها إلينا عن طريق الرسالة

أشرفت من فوق منبرك على عالم زاخر بشتى المعانى زادنى يقيناً بأن الشرق هو الشرق وأننا كنا على تباين أمصارنا أمة واحدة . . . وكأن كتابك هــذا قد خلقنى خلقة ثانية ذات مناعة لا تقبل مبادئ المترجين المقلدين فى رأيى وإن كانوا فى رأى أنفسهم مجددين مبدعين

فشد على يدك فأنت صاحب رسالة ورسول بعث ، فألق من فوق منبرك الهداية، وادحض ببيانك وحججك أباطيل المخدوعين المغرورين . أيدك الله بروح من عنده وجملك فى الأواخر مقام المجاهدين العاملين فى الأوائل ...

« الزقازيق » محمد جمال الدين درويش

بعثة الامام محمد عبده

كان الدكتور محمد بهى قرقر والدكتور محمد ماضى عضوا بعثة المرحوم الشيخ محمد عبده قد أتما دراستهما فى جامعة هامبرج

فى ألمانيا ونالا إجازة الدكتوراه منها . ثم رغبا إلى مشيخة الأزهر أن تطيل مدة البعثة لهما سنتين لينالا درجة الاستاذية من هذه الجامعة . وعرض هذا الموضوع على المجلس الأعلى فى إحدى جلساته السابقة كما عرض عليه ما أظهرته المشيخة من الرغبة فى سرعة الاستفادة من عضوى هذه البعثة وتعيينهما للتدريس فى الأزهر فرأى المجلس الأعلى للتوفيق بين رغبة المشيخة فى سرعة الاستفادة منهما وبين رغبتهما فى الحصول على درجة علمية كبرى من جامعة هامبرج أن يعود إلى ألمانيا لمدة فصل دراسى واحد ثم يرجعا إلى مصر للعمل فى التدريس بالأزهر على أن يصرح لهما بعد ذلك بالسفر لأداء الامتحان لدرجة الأستاذية فى الوقت الذى يطلبان من المشيخة السماح لهما بالسفر فيه .

وقد أرسلت مشيخة الأزهر فى طلبهما لالحاقهما بوظائف التدريس فى بدء السنة الدراسية القادمة على أن يعودا لأداء الامتحان فى السنة القادمة .

العريان يؤرخ الرافعي الخالد

نشرت مجلة اللطائف المصورة فى عددها الماضى ما يلى :

منذ نحو تسعة شهور والاستاذ محمد سعيد العريان ينشر فى « مجلة الرسالة » فصولاً متتابعة فى كل أسبوع عن حياة المغفور له السيد مصطفى صادق الرافعى أبى البلاغة والبيان الذى فقده عالم الناطقين بالضاد فى العام الماضى . وقد أذيع أنه سيجمع هذه الفصول الثمينة بين دفتى كتاب يصدره قريباً

والأستاذ العريان معروف بأدبه وسعة اطلاعه . وقد لازم الرافعى العظيم ملازمة طويلة ، فكان الفقيد يملى عليه كتاباته ويستشيره فى معظم أعماله وأسراره ، فأحاط علماً بشخصية الرافعى ووفق إلى دراستها دراسة مستفيضة ...

فهو بذلك خير من يتحدث عن الرافعى ويؤرخ حياته وأخلاقه وفلسفته والعوامل التى أثرت عليه وكونته ، وطريقته فى الكتابة وتسجيل خواطره العالية ، وما هى المناسبات والظرف التى كانت تدعوه إلى تأليف الكتب والقصص والمقالات ...

ولا شك فى أن هذا العمل من الأستاذ العريان يعد خدمة أدبية كبرى تفيد الأجيال القادمة أكثر من إفادتها للجيل الحاضر ، ولو وفق الأستاذ العريان فى تاريخ حياة الرافعى فانه سيخلد مع الرافعى ، فان كثيرين من الأدباء العالميين اشتهروا وخلدوا بوضعهم المؤلفات عن حياة أدباء سبقوهم أو لازموهم . وقد اشتهر الأديب الكبير « بوزويل » بملازمته للأديب جونسون وكتاباته عنه . وليس الرافعى بأقل قيمة من « جونسون » فهو شخصية أدبية خالدة شهد لها أقطاب الفكر بامتلاكها ناصية البيان ، وقل من يستطيع دراستها والالمام بها وتحليلها ، وهى جديرة بأن تكتب حولها الرسالات التى تجيز لصاحبها أرفع الشهادات الأدبية ...

فنحيي فى الأستاذ العريان وفاءه للرافعى فى عصر يكاد ينعدم فيه الوفاء ، ونثنى على خدمته الأدبية الكبرى لعالم الأدب ، ونشكر مجلة الرسالة الغراء ، مجلة الأدب والفكر الرفيع ، مجلة الرافعى الخالد ، على تسهيلها للأستاذ العريان مهمته وقيامه بتسجيل هذه الفصول الثمينة عن حياة أبى البيان

للحقيقة والتاريخ

نشرت الرسالة الغراء بعددها رقم ٢٧٠ مقالة بعنوان « فلسفة الأسماء » للأستاذ السيد شحاتة . وقد جاء فى هذا المقال « ولما ظهر الاسلام تطورت الأسماء عند العرب إذ سمى النبي (محمداً) مع أنه لم يسم أحد من قبل بهذا الاسم » والحقيقة أن هناك من سمى باسم محمد فى الجاهلية وهم ثلاثة :

١ — محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق الشاعر المشهور

٢ — محمد بن أحيحة بن الجلاح أخو عبد المطلب لأمه

٣ — محمد بن حمران بن ربيعة

أما أحمد فلم يسم به أحد فى الجاهلية وإن جاء التبشير فيه ، قال الله تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد)

محمد عبد الغفار

مجلة الأمالى — بيروت

وصلنا العدد الأول والثانى من مجلة (الأمالى) التى يتعاون على إصدارها فى لبنان إخواننا الأساتذة الأدباء : محمد على الحومانى ، والدكتور محمد خيرى النورى ، وعارف أبو شقرا ، والدكتور عمر فروخ . ومجلة الأمالى هى شىء جديد فى صحافة لبنان ، تنقل عن شرقية أصيلة وثقافة شاملة ومنطق متزن ، وتشير إلى نهضة متوثبة فى الآداب والفنون ، وترمى إلى أهداف نرجو لهم فيها التوفيق والسداد . اشتراكها السنوى ٧٥٠ مليما وعنوانها :

بيروت — صندوق البريد ٩٤١



إلى اللجنة المشتركة لإنهاض السينما بوزارتى التجارة والمعارف

تألفت بوزارتى التجارة والمعارف لجنة جديدة من بعض كبار رجال الادارة مهمتها — على ما قيل وقتذاك — إنهاض صناعة السينما فى مصر والأخذ بيدها حتى تصير إحدى صناعات الدخل القومى .

ونحب ونحن فى بداية الموسم واللجنة لم تجتمع بعد أن نهمس فى أذنها بمايتردد فى الأندية والمحافل الفنية من نقدات وملاحظات على سياسة اللجنة السابقة المنحلة بتأليف اللجنة الجديدة . وأغلب ظننا أننا بتسجيلنا هذه النقـدات والملاحظات إنما نسجل رأى السواد الأعظم من المشتغلين بانتاج الأفلام فى هذه البلاد

وأول هذه الملاحظات هو أن اللجنة ترى أن الشركات المصرية بحاجة إلى مساعدات مالية تقدم لها بين وقت وآخر وفاقاً لما تراه اللجنة عند تقدير جهودها وفحصها بالمنظار الفنى . وهذه السياسة فى نظرنا ونظر إخواننا المنتجين غير مجدية ؛ وهى وإن أدت إلى دفع بعض الخسائر عن عاتق الشركات فلن تفيد فى إنهاض الفن السينمائى ذاته .

إن الشركات بحاجة إلى (رؤوس أموال) لا إلى (إعانات نظامية) ، لأن أغلب شركاتنا — إذا استثنينا استوديو مصر — إنما أسس بأموال فردية ، والجزء الأكبر من هذه الأموال استنفدته الخسائر التى تعرضت لها الشركات أول انشائها . والذي يحدث الآن هو أن المنتج يذهب إلى واحد من كبار الماليين كبهلر وغيره فيأخذ ما يراه ضروريا من المال بفائدة مئوية كبيرة ومع اشتراط الحصول على نسبة مئوية أخرى من الايراد الكلى للفلم ، والنتيجة أن هذا المالى يسترد مبلغه مضاعفاً فى مدى شهور معدودة أما المنتج فلا ينال له إنتاجه فائدة ، أو هو ينال فائدة صغيرة لا تغنى ولا تسمن من جوع

فاذا كانت وزارتا المعارف والتجارة جادتين فى إنهاض السينما فليكن ذلك بتخصيص المبلغ المراد إعطاؤه للشركات كل عام كمساعدات نظاميـة ، ليكون رأس مال يوزع منه دورياً على المنتجين بنظام الحصص ، فيجدون بذلك ما يغنيهم عن الالتجاء إلى كبار المقرضين ، وبذلك يتوفر لهم عن طريق اللجنة جانب كبير من أرباحهم ونتاج جهودهم ، وذلك كفيل بأن يدر عليهم ربحاً كافياً . ولم يقل أحد إن إخراج الأفلام غير مربح حتى يحتاج إلى مساعدة دائمة . ويبقى بعد ذلك نوع من الانتاج السينمائى هو الذى نراه وراه المنتجون بحاجة إلى المساعدة الدائمة ، وذلك هو (الجرائد السينمائية) التى تسجل الحوادث الجارية على الشريط إذ أن هذه الجرائد لا تأخذها دور السينما إلا بايجار زهيد لا يساعد على تغطية حتى نصف مصاريف عملها . فلا بأس من منح منتجى هذه الجرائد السينمائية مساعدات سنوية ، ولكن على أساس العدل المطلق وعدم المحاباة لأى دعوى من الدعاوى ، فلا نرى اللجنة تمنح إحـدى الشركات مبلغاً كبيراً على أساس زعم من المزاعم التى لا علاقة لها بالسينما والفن السينمائى ...

ثم إن هناك ناحية أخرى على هـذه اللجنة أن تنظر فيها وتعمل على التخلص منها ما دامت تريد نهضة جدية للأفلام فى مصر ، وهذه الناحية هى جمود اللائحة التى تعمل بها وزارة الداخلية الآن فى صدد مايجوز معالجته وما لا يجوز معالجته فى الأفلام من الموضوعات . وعندنا أنه ما لم تعدل هذه اللائحة فلن تشاهد مصر أفلاماً لها قوة الأفلام الأفرنجية وروعتها وجمالهـا وإنما تكون أفلامنا جميعاً (نسخ كربون) من الأفلام التى رأينا حتى الآن ، أفلام الغرام الفاشل والزواج غير الموفق ، وخيانة الزوجات ، وكان الله بالسر عليماً ...

أخبار سينمائية ومسرحية

الانتهاء من فلم الدكتور

بذل الأستاذ نيازى مصطفى وسائر هيئة استوديو مصر جهداً فى الانتهاء من تصوير فلم الدكتور لمؤلفه وممثله الأستاذ سليمان نجيب بطل رواية الحل الأخير . والمفهوم حتى الآن أن



الآنسة أمينه رزق بطلة الفلم

الفلم ينتهى فى آخر الشهر الحالى ويكون معداً للعرض فى أوائل الموسم القادم فى سينما تريومف سابقاً . وكل من شاهد منظراً من مناظر ذلك الفلم تأكد لديه أنه سيكون فلم الموسم دون ريب، وأن نيازى يستحق أن يقيم له الزملاء حفلة تكريم من أجله!

جريدة سالم السينمائية

كانت جريدة سالم السينمائية التى شاهدناها فى الأسبوع الماضى خير دعاية لجهود هذا الشاب المقدام ، وكل من شاهدوها وشاهدوا الجرائد الأخرى التى عنيت بتسجيل حفلة رفع الستار عن تمثال سعد ، قد حكموا للأستاذ سالم بالاجادة والاتقان مما شجعه على أن يستمر فى إخراج هذه الجريدة السينمائية مرة فى كل شهر وكلما كانت هناك حوادث جارية كبيرة يجب تسجيلها



منظر من فيلم الأستاذ سالم ويرى فيه روحية خالد وأنور وجدى ومحسن سرحان وفي أقصى الصورة راقية ابراهيم

نساء بلا رجال

انتهى الاستاذ احمد جلال عضو الثلاثى الفنى من كتابة السناريو الجديد لروايته (نساء بلا رجال) ويبدأ التصوير فى أوائل الشهر القادم والمنتظر الانتهاء من إخراجه قبل شهر ديسمبر القادم ليمكن عرضه فى النصف الثانى من الموسم الحالى

يوم المنى

تعرض سينما كوزمو ابتداء من يوم الخميس الماضي فلم (يوم المنى) لممثله الأول الأستاذ على الكسار وهو من أقوى الأفلام الفكاهية الطويلة، فقد استغرق عرضه حوالى مائة دقيقة، وأجاد من الممثلات زوز لبيب وسلوى وعلام وبهيجة المهدي . والفلم من إخراج الفيزى وإنتاج شركة أرابيان ـ ويستمر عرضه أسبوعاً آخر لشدة الاقبال على مشاهدته

الفرقة القومية

بعد أسبوعين نشاهد على مسرح الأزبكية أولى روايات الفرقة القومية للموسم الجديد ، وسنتحدث عنها فى عدد قادم

الأفلام الأجنبية الحديثة

— من أهم الأفلام التى تعرضها سينما ستوديو مصر فى الموسم الحالى الفيلم (مارى انتوانيت) للنجمة الكبيرة (نورما شيرر) ويظهر فيه أمامها (تارون باور) و (جون باريمور) و (جلاديس جيورجز وانتيا لويس وروبرت مورلى) وهو فلم الموسم لمترو جولدوين ماير دون نزاع

— انتهى (الكسندر كوردا) عاهل السينما الانكليزى الكبير من إخراج فلمه الهندى الجديد (الطبلة) . وقد اختير غلام هندى للقيام بالدور الثانى فى هذا الفيلم فوفق فيه إلى حد كبير وأثبت أن اخواننا الهنود لا يقلون نبوغاً فى السينما عن غيرهم

— انتهت استيديوات المتروجولدوين ماير فى كاليفورنيا من تصوير مناظر فلمها الجديد (غلام من مصحة الدكتور برناردو) وبطل هذا الشريط الكبير هذا الصبي العالمى (فريدى بارتولوميو)



منظر من فلم (غلام من مصحة الدكتور برناردو)

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى - عابدين

6me Année, No. 273

Lundi - 26 - 9 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

م	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٢٧٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ شعبان سنة ١٣٥٧ — ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

بين الديمقراطية والدكتاتورية

أســـبوع محموم ...

لم يَعُد الناس فى هذه الأيام ناساً لهم دين ومدنية وفلسفة ، وإنما عادوا كما بدأهم الله أصحاب غلبة وأثرة وبغى ؛ يتخاطبون بلغة القوة ، ويتجادلون بمنطق الذئب ، ويتصاولون بعصبية الجاهلية ، ويسرف عليهم الطغيان فينزلون عن نفوسهم المريدة ليكونوا قطعاناً من البهم تسوقهم عصا واحدة إلى المزرعة أو إلى المجزرة ! !

ها هو ذا إنسان القرن العشرين ينسى أنه تقدم حتى جاوز حدود الغيب ، وارتقى حتى بلغ أسباب السماء ، وتعلم حتى هتك أسرار الكون ، وتهذب حتى تخلق أخلاق الملائكة ؛ ينسى ذلك ويعود فيقف على الصخرة الصماء التى هبط عليها أبواه من الجنة ، عارى الجسم من زينة المدنية ، فارغ النفس من كرم الدين ، مجرد العاطفة من جمال الأدب ؛ ينظر إلى فريسته الدامية وفوه يتحلب ريقاً ، ورمحه يقطر دماً ، وأشباهه من حوله بين مطعون يتوجع ، وموهون يتضرع ، وموتور يتوعد ! !

وقف الحاكم بأمره على منصة هائلة يحملها سبعون مليون

رأس ، ونظر بعين النسر إلى فرائسه السمان وهن آمنات فى حمى القوانين ، غافلات فى ظلال المعاهدات ؛ فثارت الشهوة فى نفسه ، وعصفت القوة فى رأسه ، وزأر زئير الأسد المسعور ، وفغر فاه الجهنمى الأهرت عن وسائل المنايا الحمر والسود تضطرب فى لعابه، وتصطخب على أنيابه ؛ فجزعت البشرية ، وريعت الديمقراطية ، وخنست المدنية، وخرست عصبة الأمم، ووقفت حجج تشمبرلن أمام رغبات هتلر موقف المضخة الصغيرة أمام الحريق المهول ، وأصبح العالم كله لأول مرة فى تاريخ حياته يهذى فى جهاته الأربع هذياناً واحداً من حمى واحدة : هى إعلان الحرب ، وويلات الحرب ، ونتائج الحرب !

إذن لم يبق لعلاج ابن آدم حيلة ! فشرائع الله ، ومذاهب الحكماء ، ومراشد العقول ، ومناهج التربية ، لا تجد سبيلها إلى قلبه إلا حين تسكن الطبيعة فيه ؛ فإذا ثارت به لسبب من الأسباب كان حاله كحال العواصف والزلازل والفيضانات والبراكين لا تعرف الأرصاد ولا المقاييس ولا الحواجز . وحينئذ لا ترى الشطئان الجميلة ، ولا الأودية الممرعة ، ولا المدن الفخمة ، ولا الحضارة الرائعة !

منذ أسبوع تحركت طبيعة الإنسان الأصيلة فى الدولتين الدكتاتوريتين على حين غرة، فوقع العالم كله فى بحران من القلق على حضارته وسلامته ؛ وحاول الكتاب بالبلاغة والحكمة ، والساسة بالمنطق والحيلة ، أن يدفعوا وقوع الكارثة ، أو يؤخروا يوم القيامة ، فما رجعوا بطائل . ولم يكن ذلك لأن الخلاف بين برلين و براغ لا يدخل فى نفوذ العقل ، وإنما كان لأن الذئب متى صمم على افتراس الحمل بطل كل دليل وأبْدعت كل حجة . وإذا انفجر البركان ودوّت حُمَمُه وسال حميمه ، فمن ذا الذى يقول للطبيعة: رويدك يا أَمَةَ الله ! إن على السفوح وفوق السهول ملايين من عباد الله لهم حق الحياة وليس عليهم أن يموتوا ليتنفس ثلكان من ضيقه فى السماء ، ويشتفى من غليله على الأرض ؟

هـــذه أزهار الشباب الغضة فى أوربا الجميلة تُنظم عقوداً وأكاليل لتذويها سَموم الحرب فى غير ذِياد عن حرمة حق، ولا جهاد في سبيل مبدأ . فهل درى هتلر وصاحبه أن كل زهرة من هذه الزهرات بهجة بيت وسعادة أسرة ؟

إن السلام العالمى يحتضر الآن بين قرع النواقيس وصلاة الرهبان ودعاء الآباء وبكاء الأمهات ، والفكر الإنسانى ينظر خزيان إلى كبره وهو يتطامن ، وإلى جهده وهو ينهار . فهل استطاع حماة السلم وأساته أن يحفظوه ومن ورائهم كل حى يطلب الحياة، وكل ضعيف يرهب الموت ، وكل فتاة تنشد الحب، وكل أم تلعن الحرب، وكل رافه يريد الطمأنينة ؟ ماذا يصنع الطب إذا انتشر الوباء ، وماذا ينفع الكوخ إذا عصفت الأنواء ، وماذا تغنى المذاهب والقوانين والنظم إذا عارضت هوى الطبيعة ؟

لا جرم أن الحرب سلاح من أسلحة الطبيعة تدرأ به عن نفسها الفضول والخمود والوهن ؛ فهى نوع من التشذيب والتطهير والتنقية تصلح عليه الدنيا ، ويتجدد به الوجود . والديمقراطية نظام من نظم الناس أقاموه على الحرية والمساواة ، ودعموه بالفلسفة والقانون ، ونشروه بالأدب والفن ، وقرنوه بالسلام والأمن ؛ وفى كل أولئك كفكفة لسلطان الطبيعة ، فهى تحارب به بضده كما تحارب الحياة بالموت، والخير بالشر ، والجِدَّة بالبلى ، فتسلط عليه الطغيان المطلق فى بعض الأمم ، فيخضد من شوكته ، ويقال من هيبته، حتى يشكك الناس فى أثره وغناه . فالدكتاتورية إذن هى نكسة الداء الحيوانى في الإنسان المهذب . تعود به إلى حمى الشهوة وكَلَب الوحشية فلا يفهم غير لغة السباع ، ولا يخرج من النزاع إلا بالصراع

فمن زعم أن السلم العالمى تحفظه عصبة الأمم أو تحالف الدول أو تقدم الحضارة، فقد أحسن الظن بالإنسان إلى حد الغفلة، وأساء الفهم للطبيعة إلى حد الجهالة . إنما يحفظ السلام السلاحُ الإيجابى وهو القوة . وهذا السلام لا يمكن أن يكون إلا نسبيًّا ووقتيًّا بالضرورة ؛ فإن القوى إذا تكافأت تساقطت ، وإذا تفاوتت كان هناك الآكل والمأكول والغانم والغارم . وهكذا قضى الله على الحياة أن تكون دُولة بين الفساد والكون : تبني جانباً بهدم جانب ، وتوجد حيا من عدم حى ، وترفع دولة على أنقاض دولة. ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض.

احمد حسن الزيات

في الطريق الى مؤتمر المستشرقين

من القاهرة الى بروكسل

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٣ —

بنيتي العزيزة ميّة

لم أجد قبل اليوم فراغاً لأحدثك عن مشاهدي في السفر إلى بروكسل، ولولا وعد سبق في رسالتي إلى بثينة لوجدت من مشاغلي عذراً وأخرت الكتابة حيناً

بلغنا جنوة ظهر الأحد ٢٥ جمادى الآخرة (٢١ أغسطس) فبدت المدينة مطلة على خليجها بين أمواج البحر وقمة الجبل. وما راقني مرآها ولا راعني ، ولكني حينما دخلتها رأيت مدينة نظيفة الأبنية فسيحة الطرق رفيعة الأبنية يلفت الوافد إليها ضخامة البناء ورفعته ، لها على البحر شارع طويل تفضي إليه شوارع أخرى ذات بهاء وضخامة

ولن أحدثك عن شيء في هذه المدينة إلا شيئاً واحداً لا يخطر ببالك أني أحدثك عنه : سمعنا ونحن على الباخرة أن مقبرة جنوة ومقبرة ميلانو جديرتان بالزيارة، ثم نزلنا إلى المدينة مزمعين أن نبيت بها لنستجمّ ونستمدّ للمرحلة الثانية . وغادرنا الفندق في المشي نجول في الأرجاء، وبدا لنا أن نسأل من طريق المقبرة .

ثم عنّ لنا أن نركب تراما فنذهب معه إلي منتهى مسيره لنرى بعض جوانب البلد ! ركبنا فسألنا العامل : إلى أين ؟ قلنا: إلى نهاية الطريق . وبلغ الترام أطراف البلد وما زال حافلا بالراكبين . فقلنا: إن للمكان الذى نسير اليه لشأناً . وإلا فما بال الناس لاينزلون وقد أوشكنا أن نخرج من عمران المدينة ؟ ثم بلغ الترام غايته، فاذا الناس يتجهون وجهة واحدة يؤمون باباً رفيعاً واسعاً . قلنا : أتراها مقبرة المدينة ؟ ورأينا على جانبي الطريق باعة الأزهار، وأبصرنا كثيراً من الداخلين يحملون طاقات من الزهر فغلب على ظنّنا أنها المقبرة . ثم ولجنا الباب فاذا هالات من الأزهار مسندة إلى الجدار ، ثم ولجنا باباً آخر فاذا مدينة الأموات : ماذا عسى أن أصف من مقبرة جنوة الهائلة ؟ أصف لك بعض ما وعيت منها ، والذى وعيته بعض ما رأيت . ولم أر المقبرة كلها ..

هناك جبل عال بنيت المقبرة في حضيضه وسفحه ؛ في الحضيض ساحتان متصلتان بينهما جدار ، يحيط بكل ساحة منهما أروقة عالية سميكة الجدُر رفيعة العمد . فأما الساحة فقد نظمت فيها صفوف كثيرة من القبور تحنو عليها الأشجار وتعطف عليها الرياحين - قبور بيضاء تختلف أشكالها وما عليها من تماثيل وصور، ويجمعها معنى واحد هو الفناء، بل معنيان: الموت الهامد تحتها، والحسرات الرفرفة فوقها .

وأما الأروقة ففي أرضها بلاطات نقشت عليها أسماء وتواريخ دلت على أن تحتها أجساما وتواريخ ، وفي صدرها صفوف من النواويس الحجرية تتخلل الجدران بعضها فوق بعض، قد انطبقت على أسرارها ونطقت بمواعظها وعبرها؛ وبجانب الجدران نواويس أخرى من الرخام والمرمر افتن النحاتون في تشكيلها ونقشها وإقامة التماثيل عليها — تماثيل الموتى والقديسين والملائكة ، وتماثيل لآمال الناس وآلامهم على ظهر هذه الأرض بين المولد والممات . وكأنما يمشي الزائر في متحف ازدحمت فيه التماثيل والصور وبدائع الفنون . وإلى هذا وذاك قناديل معلقة تبِصّ فيها الفتائل أو فوانيس صغيرة يخفق فيها الشمع : مناظر إذا تقصّاها المعتبر أو اللاهي أمضى نهاره دون أن يحصيها

فاذا صعد الزائر على السفح وجد قبوراً أضخم أو حُجَراً تلوح من أبوابها القبور والتماثيل ، أو دهاليز نظمت فيها قبور وهياكل وكنائس في أطراف هذه الصفوف ؛ ثم إذا صعد رأى نظاماً آخر من القبور والفنون حتى يملّ أو يتعب فيهبط وهو يصعّد الطرف في هذا الجلال والجمال ويرجع أدراجه إلى الحضيض ويعود إلى طريقته في الساحة أو تحت الأروقة حتى يخرج وهو يتلفت ليتزود من هذا الجمال في الموت والبقاء في الفناء

جُلنا في المقبرة تسير أفكارنا أكثر مما تسير أرجلنا، وتتلفت قلوبنا أكثر مما تتلفت عيوننا . خرجت قائلا : ليت شعري أهنا موت أم حياة ؟

وأصبحنا يوم الاثنين مبكرين إلى المحطة فركبنا القطار إلى ميلانو نجتاز طريقاً أخضر ممرعاً كثير الزرع والشجر والعشب حتى بلغنا المدينة بعد ثلاث ساعات

نزلنا بميلانو فأمضينا بقية النهار نجول في أرجائها، ولم نر من مشاهدها العظيمة القديمة إلا الكنيسة الكبرى، وهي من عجائب الأبنية تبدو في حلة من الرخام لم تعطل قطعة فيه من نقش أو صورة أو تمثال، وتبدو شرفاتها ومناراتها في صنعة لطيفة دقيقة كأنما يستقبل رائيها دوحة من الرخام. وليس باطن الكنيسة أقل فخامة ورونقاً من ظاهرها، وهي فيما سمعت من آثار القرن الخامس عشر. برحنا ميلانو صباح الثلاثاء نؤم سويسرة، فلما أجزنا حدودها أحسسنا تغير الأرض شيئاً فشيئاً حتى تغلغلنا في مناظرها الساحرة الرائعة: أودية وبحيرات تطل عليها جبال شاهقة ترقى العين فيها معجبة بالخضرة الناضرة على سفوحها، ثم ترقى فترى الجبل قد انتطق بالسحاب وأوفت قمته عليه، أو ترى القمة قد تغلغلت في السحب فاختفت فيها، وترى زرقة السماء بين السحب وذرى الجبال كزرقة البحيرات في الحضيض فتُسِفّ العين متمهلة على السفح كأنها تشفق أن تزل إلى الأودية العميقة والبحيرات، حتى تبلغ الماء وكأنما عادت به إلى صفاء السماء وزرقتها. وترى الماء مندفقاً على السفح فاذا حاولتَ أن تعرف أوله رأيته هابطاً من السحاب كأن السحاب يسيل أنهاراً لا أمطاراً

وقصارى القول في هذا الجمال الماثل أنه صلة السماء بالأرض، وأنه حيرة الطرف، ومتعة النفس، وروعة القلب، ومسرح الفكر، ومجلّى الخالق في جمال خليقته وجلالها في مشاهد لاينتهي أولها إلى آخر.

ما أعجب هذا مجالا لشاعر مُلهَم أو كاتب مبين لو اتّسع الوقت وأمهل السفر وانفرجت الشاغل عن ساعة يستملي فيها القلم الوجدان والخيال!

بلغنا لوسرن في ثلاث ساعات.

ولعلي أصل الحديث من بعد، وإن لم أجد فراغا للتفصيل والتطويل لأجمله حديثاً ممتعاً شائقاً.

تحيتي ودعائي لك وللأخوات والأسرة كلها

«بروكسل ٩ سبتمبر سنة ١٩٣٨» عبد الوهاب عزام

على هامش أبحاث التيسير

ملاحظات انتقادية

على قواعد اللغة العربية

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

مدير دار الآثار العراقية

— ٢ —

أبحاث العلامات

إن سلسلة «قواعد اللغة العربية» تحتوي — في أقسامها الثانوية — على عدة أبحاث في «العلامات»، فتذكر سلسلة طويلة من «العلامات» التي «تميز» كلاً من الاسم والفعل والحرف، كما تشرح العلامات التي تميز كلاً من الماضي والمضارع والأمر.

وتذكر تسع علامات للاسم، وخمس علامات للفعل بوجه عام، وعلامتين لكل من الماضي والمضارع والأمر بوجه خاص؛ وأما فيما يخص «الحرف» فانها تقول في صدده «ليس للحرف علامات تميزه، فعلامته ألا يقبل شيئا من علامات الاسم والفعل» إنها تعتبر — مثلا — «قبول التنوين من علامات الاسم» «وقبول ضمير الرفع المتصل» من علامات الفعل، «وقبول تاء التأنيث الساكنة» من علامات الفعل الماضي، و«صحة الوقوع بعد لم» من علامات فعل المضارع ..

كل من ينظر في هـذه الأبحاث، نظرة فاحصة عارية عن تأثير الألفة المخدرة، يضطر إلى التسليم بأنها خالية من الفائدة، ومخالفة للمنطق في وقت واحد ..

من الأمور البديهية أن مفهوم «ضمير الرفع المتصل» الذي يلحق الفعل — مثلا — أعقد بطبيعة الحال من مفهوم «الفعل» نفسه، ومعرفته أصعب من معرفة الفعل بدرجات؛ فلا يجوز أن نعتبره واسطة لتمييز الفعل من غيره من الكلمات بوجه من الوجوه؛ ولا سيما أن «قبول أو عدم قبول ضمير الرفع المتصل» ليس من الأمور التي يمكن معرفتها رأساً واختبارها مباشرة. فاعتبار «القبول أو عدم القبول» علامة للفعلية أو عدم الفعلية

يخالف أبسط قواعد المنطق مخالفة كلية ..

كذلك الأمر في سائر العلامات . فأعتقد أنه يتحتم حذف جميع الأبحاث المتعلقة بالعلامات التي ذكرناها آنفاً ، على أن يفرغ البعض منها على « شكل قاعدة » يتعلمها الأطفال : « للعمل » لا « للتمييز » :

لا يجوز لنا أن نقول : «دخول قد على الكلمة يدل على أنها فعل » ، بل يجب علينا أن نقول : « لفظة قد لا تدخل إلا على الأفعال » ..

لا يجوز لنا أن نقول : «صحة وقوع الكلمة بعد لم تدل على أنها فعل مضارع » ، بل يجب أن نقول : « إن لفظة لم تدل على النفي ؛ غير أنها لا تستعمل إلا في المضارع ؛ فيجوز أن يقال لم يكتب ، ولا يجوز أن يقال لم كتب » .

وبهذه الصورة تتحول هذه الأبحاث إلى قواعد عملية مفيدة .

وأما الاستمرار على استعراض الأمور التي ذكرناها آنفاً كعلامات تساعد على تمييز أنواع الكلمات فهو بمثابة الخروج على المنطق بصورة صريحة ..

أما دخول مثل هذه الأبحاث في كتب القواعد ، بالرغم من مخالفتها الصريحة للمنطق، فأعتقد أنه لا يمكن أن يعلل إلا بالرجوع إلى السبب الأصلي الذي ذكرته آنفا ..

فالأعجمي الذي يتعلم العربية ، دون أن ينشأ عليها ، والذي يستطيع أن يقرأ الكلمات دون أن يفهم معانيها ، قد يستفيد من مثل هذه الأبحاث في تمييز أنواع الكلمات حسب بعض العلامات الظاهرية التي ترافقها ؛ فاذا رأى كلة لا يعرف معناها ، ولاحظ أنها منونة استطاع أن يقول إنها « من الأسماء لأنها منونة » ، كما أنه إذا رأى كلة غريبة عنه ولاحظ أنها مسبوقة بلفظة قد ، قال « هذه من الأفعال ، لأنها قبلت دخول لفظة قد عليها »

فاذا جاز لعلماء اللغة القدماء أن يسلكوا هذا المسلك ، متوخين بعض الفوائد العملية التي يستطيع أن يجنيها منها بعض الأعجام .. فلا يجوز لمؤلفي القواعد ومعلمي اللغة في هذا العصر أن يشوشوا الأذهان بمثل هذه الأبحاث الغريبة ..

٤ — تصنيف الكلمات والجمل

قبل أن أختم هذه الملاحظات الانتقادية ، أرى أن ألفت الأنظار إلى مآخذ الخطة التي اعتادها علماء اللغة العربية في أمر تصنيف الجمل والكلمات :

١ — من المعلوم أن الكلمات تقسم — في قواعد اللغة العربية — إلى ثلاثة أنواع : اسم ، وفعل ، وحرف ؛ في حين أنها تقسم في سائر لغات العالم إلى أنواع كثيرة يبلغ عددها ثلاثة أمثال ذلك

فيجدر بنا أن نتساءل — تجاه هذا الفرق العظيم — فيما إذا كان هناك مبررات فعلية وأسباب حقيقية تستوجب التباعد إلى هذا الحد بين العربية وبين سائر اللغات من وجهة تصنيف الكلمات

إذا أنعمنا النظر في المعاني التي يقصدها اللغويون من كلمتي « الاسم والفعل » وجدنا أن علماء العربية يضيّقون « مفهوم الفعل » بعض التضييق ، غير أنهم يوسّعون « مفهوم الاسم » توسيعاً كبيراً ...

إنهم يحددون مفهوم الفعل بحدود ضيقة جداً ، لأنهم لا يرون « الدلالة على الحدث والعمل » كافية لتعريف الفعل ، بل يشترطون فيه « الدلالة على حصول العمل في زمن خاص » ولهذا السبب لا يدخلون المصدر واسم الفاعل واسم المفعول في عداد الأفعال ...

وأما مفهوم الاسم ، فإنهم يوسعونه بدون حساب ، ويدخلون فيه كثيراً من الكلمات التي تعتبر في سائر اللغات أنواعاً قائمة بنفسها . ولا نغالي إذا قلنا إنهم يدخلون في مفهوم الاسم كل ما يبقى خارجاً عن نطاق الفعل والحرف . فالاسم الذي يتصورونه يشبه كشكولا يحتوي على أشياء شتى — من اسم العلم إلى الصفة ، ومن اسم الموصول إلى الضمير ، ومن اسم الاشارة إلى المصدر .. فيصبح من المتعذر على المتعلم أن يكوّن في ذهنه مفهوماً واضحاً عن الاسم ، كما يتعسر على المؤلفين أنفسهم أن يحددوا مفهومه ويعينوا معناه بالدقة التي تتطلبها التعريفات العلمية ..

فاذا استعرضنا التعريفات المسطورة في « كتب قواعد اللغة العربية » الرسمية عن « الاسم » ، وجدناها لم تكن من التعريفات الجامعة المانعة ، وأن الغموض والنقص والارتباك تسودها بكل وضوح وجلاء ...

لأننا نجد في الجزء الثاني — الخاص بالدراسة الابتدائية — التعريف التالي :—

«... اسم لانسان أو حيوان أو نبات أو جماد...» (ص١) من الأمور البديهية أن هـذا التعريف لا يشمل — من الوجهة المنطقية — الصفات والأعداد، ويبقى أضيق من أن يتسع للاسم الموصول ولاسم الاشارة بطبيعة الحال ...

وأما فى الجزء الثالث، فنجد تعريفاً يحاول إكمال التعريف الأول وتصحيحه بقيد جديد: — «الاسم هو الذى يدل على الانسان أو الجماد أو النبات أو الحيوان وغير ذلك...» (ص١) ولا حاجة للبيان أن تعبير «وغير ذلك» الذى أضيف إلى التعريف بهـذه الصورة لا يخلو من الغموض، ولا يحدد الأمر بوجه من الوجوه

وأما إذا راجعنا كتاب الدراسة الثانوية، فنجد فيه تعريفاً آخر يختلف عن التعريفين السابقين اختلافاً كبيراً:

«الاسم ما دل بنفسه على معنًى تام ليس الزمن جزءاً منه» (ص ١) كما نجد بعد هذا التعريف بعض التفاصيل الايضاحية «ويكون: ١ — لإنسان ... ٢ — و لحيوان... ٣ — ولنبات ٤ — ولجماد.. ٥ — كما يكون لمعنى يفهم ويتصور ولا يحس، مثل الذكاء، الحكمة، الفهم (ص ١)

إننى أعتقد أن هـذا التعريف أيضاً لا يمكن أن يشمل — منطقياً — الضمائر والأسماء الموصولة بالرغم من كثرة المفاهيم المجردة التى تقيِّده وتعقِّده ...

وتأييداً لذلك ألفت الأنظار إلى الأمثلة المذكورة خلال التفاصيل التى تلى هذا التعريف، فإنها لا تحتوي على مثال واحد من نوع الضمير واسم الاشارة والاسم الموصول ...

هذا ولا يستطيع أحد أن يدعى بأن كلمات «الذى، ذلك، نا، كُما ...» تدل على معنى تام قائم بنفسه .. كما أنه ليس فى وسع أحد أن يسلم بأن الزمان ليس جزءاً من مدلول كلمات «الماضى، الآنى، الأمس، السنة، الشتاء، أسرع، أقدم ...»

يظهر جليا من جميع هـذه الملاحظات أن علماء اللغة لم يوفقوا لإيجاد تعريف يشمل جميع الكلمات التى اعتبروها من أقسام الأسماء ...

فليس من المعقول إذن أن نبقى متمسكين بهـذا التقسيم القديم؛ بل من الأوفق أن نعيد النظر فيـه على أساس تكثير أنواع الكلمات، أسوة بما يفعله لغويو العالم ... ولاشك فى أن ذلك يكون أقرب إلى مقتضيات العقل والمنطق، وأضمن لتسهيل التفهيم والتعليم

أنا لا أحاول وضع خطة تفصيلية لهذا التقسيم الجديد، بل أكتفى ببيان الحاجة إليه، وأذكر بعض الأمثلة لتوضيح رأيى فى هذا الأمر وتأييده ..

(ا) إن معنى الاسم — فى حد ذاته — يختلف عن معنى الصفة اختلافاً بيناً؛ لأن الاسم يدل — عادة — على الأشياء نفسها، فى حين أن الصفة تدل على أوصاف الأشياء وحالاتها. والصفات تقوم بأدوار مهمة فى الحديث والكتابة تختلف عن أدوار الأسماء الاعتيادية اختلافاً كبيراً. فلا مبرر لاعتبار الاسم والصفة من نوع واحد خلافاً للخطة المتبعة فى تصنيف الكلمات فى سائر اللغات

ومما يجب أن يلاحظ فى هذا الصدد أن الاسم والصفة يختلفان فى اللغة العربية من وجهة بعض القواعد أيضاً: — فان الاسم — بالمعنى الخاص الذى أشرنا إليه آنفاً — يكون مذكر أو مؤنثاً فى حد ذاته، وأما الصفة فلا تكون مذكرة أو مؤنثة فى ذاتها؛ بل تقبل التذكير والتأنيث بطبيعتها، فتذكر أو تؤنث حسب جنس الأسماء التى تصفها ...

أعتقد أن هـذه الملاحظات كافية لاعتبار «الصفة» قسما خاصاً من أقسام الكلام مستقلا عن الاسم؛ ولا أشك فى أن ذلك يكون أوفق وأقرب لمقتضيات العلم والتعليم في وقت واحد

(ب) إن مدلول الضمير أيضاً يختلف عن مدلول الاسم الاعتيادى اختلافاً واضحاً، ولا سيما الضمائر المتصلة، فانها تتباعد عن مدلول الأسماء تباعداً كلياً

فاذا احتفظنا بمبدأ تقسيم الاسم إلى ثلاثة أقسام، وفكرنا فى القسم الذى يجب أن يدخل فيه «المتصل» من الضمائر وجدنا أنه أقرب إلى مدلول الحرف من مدلول الاسم. وما دمنا نعرف الاسم بقولنا «كلمة تدل بنفسها على معنى تام» ونعرِّف الحرف بقولنا «كلمة لا يظهر معناها إلا إذا ذكرت مع غيرها ...» فلا نستطيع أن ندخل الضمير المتصل — دون أن نخرج عن

جادة المنطق — فى عداد الأسماء ، بل نضطر إلى اعتباره من جملة الحروف ...

ومهما استرسلنا فى سلوك طرق التأويل الملتوية ، لانستطع أن نجد مبرراً منطقياً لاعتبار لفظة « نا » من الأسماء مع اعتبار لفظة « لا » من الحروف ، أو « ها » من الأسماء مع اعتبار « ما » من الحروف ...

وإذا استعرضنا بعض التعبيرات المتداولة مثل « عنهُ ، منكَ فينا ، بها ، لكم .. » وأنعمنا النظر فى مدلول كل جزء من جزءى هذه التعبيرات على ضوء التعريفات الموضوعة لـكل من « الاسم والحرف » لا نستطيع أن نجد أدلة منطقية على أن الجزء الأول منها : (عن ، من ، فى ، بِ ، لَ) يجب أن يعتبر من جملة الحروف ، والجزء الثانى منها : (هُ ، كَ ، نا ، ها ، كم) يجب أن يعتبر من الأسماء ...

فمن الأوفق — من جميع الوجوه — أن نعتبر الضمير قسما مستقلا من أقسام الكلام ، لا نوعاً من أنواع الاسم

٢ — من المعلوم أن علماء اللغة يحصرون الفعل فى الماضى والمضارع والأمر ، لأنهم يعرّفونه بقولهم : « مايدل على حصول عمل وحدث فى زمن خاص » ويدعون أن اسم الفاعل لا يتضمن « الحدوث فى زمن خاص » فى حين أن الأمر يعنى « طلب العمل بعد زمن التكلم »

إننى أرى فى كل ذلك شيئاً من الجبر لطبائع الكلمات ، لأن الأمر يدل — فى حقيقة الحال — على « طلب العمل » فقط ، ولا يدل على زمان العمل مباشرة

لاشك فى أن « الأمر » لايمكن أن يعود إلى الماضى ، والمأمور لا يمكن أن يعمل العمل الذى يؤمر به إلا بعد تلقيه ، فيجوز لنا أن نقول بهذا الاعتبار : « إن الأمر يعود إلى المستقبل بطبيعة الحال »

غير أنه يجب أن نلاحظ على الدوام أن المعانى التى يستدل عليها من الكلمات والعبارات بنتيجة المحاكات الذهنية شىء ، والمعانى التى نفهمها منها مباشرة شىء آخر .

وإلا فاذا أردنا أن نسترسل فى المحاكات والتفسيرات استطعنا أن ندعى أن اسم الفاعل أيضا لا يخلو من فكرة الزمن ، كما أن اسم المفعول لايختلف عنه فى هذا الباب . فعند ما يقال لنا « الطائر مجروح » نستدل من كلمة مجروح أن الطائر جرح قبلاً ، وأن آثار الجرح لاتزال ظاهرة عليه . وعندما يقال لنا : « فلان نائم » نفهم من كلمة نائم أنه نام قبلاً ، ولا يزال فى حالة النوم . وعندما يقال لنا : « أنا ذاهب » نفهم من كلمة ذهب أن القائل يتأهب للذهاب

ومن الغريب أن علماء اللغة العربية الذين يتناسون هذه الحقائق الواضحة يسترسلون في تأويلات غريبة لأظهار معانى الأزمنة المندمجة فى أسماء الأفعال ، فيقولون مثلا : « آه » اسم فعل مضارع بمعنى « أتألم » . و « هيهات » اسم فعل ماض بمعنى « بَعُد » . و « هلُمّ » اسم فعل أمر بمعنى « أقبِل » ..

كل من ينعم النظر فى هذه التعريفات والتقسيمات والتفسيرات الملتوية دون أن يبقى تحت تأثير الألفة المخدِّرة ، يضطر إلى التسليم بأن كل ذلك يحتاج إلى التبديل والتصحيح ، ويتطلب البحث عن تعريفات وتقسيمات جديدة

٣ — من المعلوم أن الجملة تنقسم إلى نوعين : فعلية وأسمية . ولكننا عند ما ننظر إلى الأمور نظرة منطقية ، يجب أن نفهم من تعبير « جملة فعلية » الجملة التى تحتوي على فعل ، وبتعبير آخر : الجملة التى تعلمنا ما حدث وما يحدث ؛ كما يجب أن نفهم من تعبير « جملة اسمية » الجملة التى لاتحتوى على فعل ؛ وبتعبير آخر : الجملة التى تخبرنا عن أوصاف اسم من الأسماء وحالاته

غير أن قواعد اللغة العربية لا تلتزم هذه التعريفات والمفهومات المنطقية ، بل تخالفها مخالفة كلية :

فانها تعتبر الجملة « فعلية » عند ما تبتدئُ بفعل ، و « اسمية » عند ما تبتدئُ باسم . ومعنى ذلك : — أنها لا تصنف الجمل حسب أنواع الكلمات التى تتألف منها ، بل تصنفها حسب نوع الكلمة التى تبتدئُ بها دون أن تلتفت إلى بقية كلماتها

ونظراً لهذه القواعد الرسمية فان عبارة « نام الولد » يجب أن تعتبر جملة فعلية ، فى حين أن عبارة « الولد نام » يجب أن تعتبر جملة اسمية ، مع أن كلتيهما تتألفان من نفس الكلمات ، وتؤديان إلى نفس المعنى

إننى أعتقد أن تقسيم الجملة على هذا النمط الغريب نتيجة

خطأ منطقي، وقع فيه علماء اللغة ـ في عصور التدوين الأولى ـ بسبب اهتمامهم بالأوصاف الظاهرة أكثر من تفكيرهم في المعاني المفهومة .. كما شرحنا ذلك آنفاً.

وأما استمرار المؤلفين المعاصرين على التزام هذه الخطة العجيبة، فلم أجد سبيلا إلى تعليله إلا بتأثير «الألفة المخدرة» ونزعة التفادي من الخروج على التعاريف والتصانيف القديمة..

ومما يجب أن نلاحظه في هذا الباب أن هناك أمراً آخر يزيد في غرابة نتائج هذين التعريفين، ويوسع المسافة بين المنطق والقواعد:

لقد عرّف علماء اللغة «الفاعل» — تحت تأثير النزعة التي ذكرناها آنفا — بقولهم: «اسم مرفوع يتقدمه فعل».. فاذا تقدم الاسم على الفعل لايترتب على ذلك — في عرفهم — تحول الجملة من فعلية إلى اسمية فحسب، بل يترتب على ذلك خروج الاسم من الفاعلية أيضاً. فعندما يقال «الولد نام» لا يرون مسوغاً لاعتبار كلمة الولد فاعلاً، نظراً لمخالفة ذلك للتعريفات التي وضعوها...

وبما أن هناك «فعلا» يتطلب فاعلاً، فانهم يلتجئون إلى طرق التأويل الملتوية، فيقولون إن الفاعل لهذا الفعل ضمير مستتر، وأما الولد فما هو إلامرجع هذا الضمير المستتر. وبتعبير آخر: يدعون إن الفاعل ليس «الولد» المذكور صراحة، وإنما هو ضمير مستتر يعود إلى الاسم المذكور..

إنني أعتقد أن الانسان لو قصد التعقيد والتشويش لغرض من الأغراض، لما استطاع أن يجد طريقة تصنيف وتفسير أكثر اعوجاجاً وأشد غرابة من تلك...

أفلم يحن بعد وقت الاقدام على التخلص من هـذه المسالك الملتوية والرجوع إلى طرق المنطق والصواب؟

الخلاصة

إن الأمثلة الانتقادية التي استعرضتها في الأبحاث السالفة تبين بكل وضوح وجلاء أن «قواعد اللغة العربية» الرسمية مشوبة بنقائص كثيرة، من حيث الخطط المتبعة في التعريف والتصنيف والتبويب...

وأما الأسباب المولدة لهذه النقائص والشوائب، فتتلخص في تأثير نزعة أساسية، هي نزعة الاهتمام بالاعراب أكثر من الالتفات إلى المعنى، والاعتماد على العلامات المحسوسة أكثر من الاستناد إلى المعاني المفهومة

هـذه النزعة نشأت من الظروف الخاصة التي أحاطت بعلوم اللغة العربية في أدوار تكوينها الأولى، واستمرت بتأثير «روح المحافظة» التي سيطرت على أذهان علمائها في أدوارها الأخيرة.. وباعدت بين قواعد اللغة وأحكام العقل والمنطق من جهة، وبينها وبين أسس التربية والتعليم من جهة أخرى

ولذلك يجب علينا في موقفنا هذا أن نخرج على هذه النزعة التقليدية، ونعيد النظر في جميع ما ألفناه من أساليب التعريف والتصنيف والتبويب في قواعد اللغة العربية، فنتأمل فيها بنظرة علمية جديدة، مراعين مقتضيات العقل والمنطق من جهة، ومطالب التربية والتعليم من جهة أخرى.. حتى نتخلص على هذا الوجه من أغلاط الاجتهاد والاستنباط التي وقع فيها اللغويون القدماء...

هذا ماأود أن أدعو إليه العلماء والمؤلفين

أدعوهم إلى إعادة النظر في جميع مباحث الصرف والنحو، بنظرة محايدة خالية من تأثير الألفة المخدرة» مستنيرين بالطرق المتبعة في سائر اللغات، ومستندين إلى المعاني المفهومة من الجمل والعبارات...

وأعتقد أن الاصلاح على هذا الوجه يجب أن يكون أول خطوة من خطوات التيسير.

أبو خلدون

الدين والأخلاق

بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

— ٦ —

لا يدهش أحد إذا عددنا ما يسمى نزعة التجديد نزعة رجعية فى أولها، فقد أوضحت أنها فى مبادئها كانت رجوعاً إلى مبادىء الشعر العربى القديم من قلة تكلف الصناعة، ومن نظم الشعر بالعاطفة أو ذكرى العاطفة بدل نظمه تعمداً بالصنعة، ومن البحث فى خواطر النفس وشجونها وأشجانها والتعبير عنها بدل تنميق المعانى المتفق عليها. فلا شك أن شعر الجاهليين وشعر شعراء صدر الاسلام كان أكثر نصيباً من هذه المبادىء من شعر الدولة العباسية، وإن كان لشعر الدولة العباسية روعة وفيه قوة، ولكن أروعه وأقواه ما قارب طريقة الأقدمين وكان أقل تمملا فى الصنعة، أو ما كانت صنعته أشبه بالطبيعة.

ولا يدهش أحد إذا وجدنا أن هذه المبادىء يتفق فيها الشعر العربى القديم والشعر الأوربى الصحيح السليم، وأن الصناعات الغريبة فى الشعر الأوربى ما ظهرت إلا فى عصرنا هذا؛ ولكن كثيراً من أدبائنا الذين لا يعرفون اللغات يحكمون على الشعر الأوربى بشعر شعراء الرمزية أو شعراء الوعى الباطنى وأمثالهم، وهى طوائف حديثة فى أوروبا كما هي حديثة فى مصر، ويغر أدباءنا ما يقع فيه بعض المطلعين على الأدب الأوربى من النقل الحرفى لأساليب الكلام والمصطلحات، ولكل لغة خصائص فى المصطلحات وأساليب الكلام إذا نقلت نقلا حرفياً إلى لغة أخرى عدت معانى سخيفة. ومن هنا نشأت فكرة من يقول ان معانى وأخيلة الأدب الأوروبي لا تتفق والذوق العربى.

ولكن مما لا شك فيه أنه بالرغم من اختلاف خصائص العربية والافرنجية، فان الشعر الأوربى قبل أطواره الحديثة كان فى مبادئه الأساسية قريباً من الشعر العربى القديم قبل غلبة الصناعة عليه غلبة قضت على تلك المبادىء

ولا يدهش أحد إذا قال إن كل نهضة تجديد دخلت الأدب والشعر العربى حديثاً كانت نزعة رجعية؛ فنهضة البارودى وشوقى وحافظ وحفنى ناصف ومطران (فى شعره الحديث) كانت أيضاً نهضة رجعية بدأها الساعاتى وقواها البارودى ومن أتى بعده؛ وهى كانت نهضة رجعية لأنهم رجعوا بالشعر عن طريقة البهاء زهير وابن الفارض والبستى وابن نباتة المصرى وابن النحاس وخليل الصفدى: طريقة الجناس الغالب والنكات، إلى طريقة الصنعة العالية القوية صنعة مسلم بن الوليد وأبى تمام وأضرابهما. وترى هذه الرجعية ظاهرة فى شعر شوقى أعظم ظهور، فقد بدأ بمدح البهاء زهير فى مقدمة الطبعة الأولى القديمة من الشوقيات وأسرف فى مدحه. وترى شعر شوقى فى صباه مما أثبته فى الطبعة القديمة بعضه أشبه بشعر المتأخرين، وأظن أنه حذفه ولم يثبته فى الطبعة الحديثة؛ ثم صار شعره يقترب من نسق فطاحل الدولة العباسية أمثال مسلم وأبى تمام والبحترى.

وكان منتهى أرب الشاعر قبل نهضة البارودى وشوقى وحافظ أن يكثر من الجناس وأنواع البديع حتى ليقال إن أحدهم أفنى عمره فى صنع قصيدة بديعية كبيرة شحنها بما يقرأ طرداً وعكساً، وما يقرأ من أسفل ومن أعلى، وبالجناس وأنواعه، وأشباهه من المحسنات، فاحتال عليه أصدقاؤه وسرقوها منه فمات كمداً وراح ضحية الطرد والعكس وصريع الجناس. وكان الأدباء إذا أرادوا إن يستجيدوا بيتاً أنشدوا بيت ابن نباتة المصرى، ولا أذكر كلماته بالضبط، ولكنه يمدح سلطان مدينة حماه فى الشام فيقول: إن (حماه) (المدينة) علمتهم نعمى الممدوح حتى غدا كل منهم يحب (حماته) (أى أم زوجه). هذه هى (مفارقات) النكات العامية المصرية التى كانت تطرب الأدباء. أو قول البهاء زهير لمشوقته إنه دعاها (ست) أى سيدة، لأنها ملكت جهاته (الست)

فرجوع البارودى وشوقي وحافظ إلى عصر أقدم من هذا العصر لابد أن يسمى رجعية، وليست كل رجعية ذميمة.

والنزعة الحديثة إلى التجديد هى فى الحقيقة تكملة النزعة الرجعية التى نشطها البارودى، فكانت نزعة التجديد نزعة تفضيل (مبادىء) الشعر العربى الأقدم من المبانى ومن المبانى ما يقارب ذلك الشعر. وقد شرحنا تلك المبادىء. والذى غطي على

هذه الحقيقة أثر الأدب الأوربى ، وفتحه أبواباً جديدة من أبواب القول، وشده أزر الخيال والفكر . وغطى على الحقيقة أكثر من كل ذلك تشعب نزعة التجديد إلى فروع جديدة بعيدة كالرمزية وغيرها .

ولكننا إذا نظرنا إلى هذه الفروع وجدنا أن كلا منها مغالاة فى مبدأ من تلك المبادىء كما فصلنا فى المقال السابق ؛ فالذين يريدون تغليب الوعى الباطن مثلا إنما تفرعوا من مبدأ جعل الشعر بحثاً فى صفات النفس وخواطرها وشجونها وأشجانها بدل ترديد معانٍ متفق ومصطلح عليها . ولا شك أن شعراء الجاهلية وصدر الاسلام كانوا ينظمون بالعاطفة أكثر من شعراء الدولة العباسية . ومعنى النظم بالعاطفة البحث في شجون النفس وأشجانها ، فهذه الطائفة فى نشأتها كانت رجوعا إلى طريقة الشعر القديم ، وإن كانت قد غالت محاكاة للنزعات الحديثة فى الأدب الأوروبي المصري . وبهذه الطريقة نستطيع أن نرد كل طائفة من طوائف وفروع نزعة التجديد إلى أصلين : أصل فى الأدب العربى القديم غالت فيه ، وأصل من محاكاة النزعات الحديثة فى الأدب الأوربى المصرى . فاذا تتبع الأستاذ الغمراوى الأسباب والعوامل التى أثرت فى الأدب العربى الحديث وجد أنه لم تكن هناك مؤامرة على الدين والفضيلة نشأت عنها النزعة إلى التجديد ؛ فان تتبع الحوادث يُظهِر كيف أن بعض أدباء المذهب القديم يقلبون (النتيجة) العارضة الثانوية المحدودة وهى الشذوذ والشطط فيجعلونها (سبب) نهضة التجديد كلها ؛ وقد أوضحنا أن الشذوذ والشطط موجودان فى كل عصر ومذهب وذكرنا شواهد وأمثلة.

وإذا نظرنا فى تاريخ النزعات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والأدبية وجدنا أنها كانت مصحوبة كلها أو أكثرها بشىء من الشطط؛ وهذا الشطط إما أن يكون متعمداً لمحاربة الجمود أو الوقوف، أو غير متعمد، بل تندفع اليه بعض النفوس قهراً. وقد لا يعرف الشطط ولا يميز من غير الشطط إلا بعد عصور طويلة تمحص فيها الأمور. ولو أن كل نزعة من النزعات البشرية رفضت كلها بسبب ما يصحبها من الشطط ما تغيرت الانسانية . ومن الحقائق الثابتة أن بعض الخاصة كانوا فى كل نزعة تجديد يخلطون بين مبادىء النزعة ومظاهرها ؛ وبين ما يصحبها من الشطط، حتى كانوا يحسبون أن الجنس البشرى مقضى عليه بسبب تلك النزعة . فالنزعة إلى الديمقراطية فى أوربا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كانت مصحوبة بشطط . وحسب بعض الخاصة أنه سيقضى على الانسانية، وأن القيود والشرائع الاجتماعية مقضى عليها بالاضمحلال، فرفضوا النزعة بأجمعها بدل رفض الشطط وحده . وهذا هو ماحدث فى نزعة الاصلاح الدينى فى أوربا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، أو ماحدث فى النزعة إلى تحرير الرقيق فى أمريكا . ولعل الشطط الذي كان فى رفض النزعة كلها كان يغفر الشطط الذى يصحبها ويهون أمره فى نفوس أنصارها ويساعد على نجاحها .

ومما يشاهد أيضاً فى حياة الأمم أن الفساد الكثير المألوف قد لا يثير من التسخط قدر ما يثيره الفساد القليل غير المألوف ، وإن كان الأول أوخم عاقبة وأكثر ضرراً . والنوع الأول من الفساد هو كما فى الأدب العربى من مجون وإباحية صقلهما الدهر واعتادهما القراء حتى صارا لا يثيران تسخطاً بل يُنظَر اليهما كما يَنْظُر الأب إلى ابنه الكثير الدعابة واللعب فيلومه ولكنه يحن اليه ويعطف عليه وتزيده دعابته ولعبه حبا له .

ومن الشاهد أيضاً أن الأديب أو المفكر قد يدافع عن مذهب وهو يعمل على هدمه من غير عمد ، أو يعمل على الأقل لاذاعة نقيضه بمؤلفاته وهو فى بعضها يعمل لنقيض هذا النقيض . فشوقى الذى أطرى البهاء زهير فى مقدمة الطبعة القديمة من الشوقيات ، هو شوقى الذى عمل بشعره المتين الأخير للقضاء على طريقة البهاء زهير وأضرابه . والرافعى الذى يروج أشد مذاهب الأدب الأوربى الحديث تطرفا وهو مبدأ الرمزية من غير قصد بتأليف (حديث القمر) ، هو الرافعى الذى ينتقد الأدب الأوربى أشد انتقاد فى مقالاته . وكم من أديب قريب العهد بالأدب لولا بعض كتب الرافعى ما احتذى هذا المذهب فيما كتب .

فالعقل أو الوعي الباطن قد يُعَدِّوه على العقل الظاهر الناقد. أليس فى بعض شعر الصوفيين من شعراء اللغة العربية شهوة مكتومة يبوح بها العقل الباطن بالرغم من صرف العقل الظاهر معناها إلى الذات الالهية ؟ وهذا مع أن أوصاف المحبوب لا تشير إلا إلى إنسان جميل وإن القول شهوة محض .

ولعل الأستاذ قد قرأ وصف النابغة الذبيانى للمتجردة زوجة

النعمان واطلع على ماقبها من وصف عورة المرأة وما هو أشد من أشد من وصف عورتها فى قوله (وإذا ... وإذا) . نعم إن النابغة شاعر جاهلى، ولكن استشهاد الأفاضل الأجلاء من شيوخ الأدب والعلم بهذا الوصف ونشره فى الكتب التى يمدونها للقراء ومنهم الفتيان والفتيات، يدل على أن العقل الناقد فيهم قد مهاعن أن هذا الوصف يخالف العرف والتقاليد والآداب الاسلامية

وهؤلاء الأفاضل هم الذين يسخطون على وصف النوانى فى لباس البحر وصفاً لايبلغ مبلغ وصف العورة والفجر كما فعل النابغة وكما فعل كثير من أدباء العرب في العصور المختلفة احتذاء للنابغة حتى فى عبارات وصفه .

على أن رجوع نزعة التجديد إلى طريقة النظم بالعاطفة أو بذكرى العاطفة، ومحاولة الإقلال من المغالاة بالصنعة العباسية ليس من جهل بفضل الأدب العربى فى العصر العباسي، ولا من جهل بفطاحل شعرائه وأدبائه ، ولكن هؤلاء الشعراء شغلوا بمدح الخلفاء والأمراء ووضعوا لهذا المدح أوضاعاً . وإذا قرأت أجزاء مختارات البارودى هالك نصيب باب المديح من تلك الأجزاء الأربعة ، وهالك تردد المعانى فى ذلك الباب؛ وهذا معنى ما أشير إليه من جمود المعانى والموضوعات وغلبة الصنعة على العاطفة النفسية ، وذلك لا ينفى أن نصيب هذا العصر من التفكير وحرية القول كان عظيما . ومما يؤسف له أن حرية القول كان أكثرها فى المجون إلا عند بعض المفكرين من الشعراء. ولا ينفى أن تلك الصنعة التى ما لبثت أن تحجرت فى أوضاع المديح كانت فى أول أمرها تجديداً، ولكنها فى المتأخرين ضاع التجديد فيها وتدلت إما إلى محاكاة عبارات ومعانى السابقين، وإما إلى ما رأينا من النكات اللفظية والجناس وأشباهه من الأمور التى استغنى بها حتى عن روعة الأسلوب وفخامته، إلى أن جاء البارودى وحافظ وشوقى فعادوا إلى محاكاة أفخم أساليب العصر العباسى الأول . ثم جاءت نزعة المذهب الجديد وحاولت إحداث شيء من التجديد فى أبواب القول ومعانيه وأخيلته ، وفى طريقة بحثه للموضوعات بالرجوع إلى خواطر النفس وأحاسيسها. فاذا كان بعض أدبائها قد وصف في الأحايين خواطر لا يصح وصفها ، فانه أمر عارض لا يصح أن يكون عنواناً للمذهب ، أو أن يفسر به المذهب ؛ وهو على أى حال أهون مما فى كتب الأدب القديم من وصف فُجْر ومن مجون يقرؤه الفتيات والفتيان فى مكتبات مدارسهم كل يوم حتى صغارهم الذين يكاد المرء يعدهم من الأطفال . فينشأ هؤلاء الأطفال على النفاق والبجح إذا ما لقنهم الملقنون أن الأدب الأوربى من آداب الرذيلة ، وهم منغمسون في حمأة الرذيلة بسبب كتب الأدب العربى القديمة . أما ما يأخذه بعض كتاب المذهب القديم على المذهب الجديد من الولوع بشعر التأمل فهو أعجب العجب . وهم إنما يخلطون بين شعر التأمل وبين شعر متون وحواشي كتب الفلسفة، أو بين شعر التأمل وشعر تعليم الأولاد. فشعر التأمل فى الحياة والنفس هو خلاصة النفس؛ وهو لايختلف عن الشعر الذى يقال فى وصف أحاسيس النفس فى موضوعه ما دمت تحسُّ فيه العاطفة الشعرية . ولا يجوز الحط منه إلا إذا خلا من كل أثر للعاطفة النفسية؛ فليس شعر التأمل فى الرتبة الثانية، وإلا أخرجنا أبا العلاء المعرى والمتنبى من عدة الشعراء وأخرجنا أجود ما فى شكسبير . وقد فرق الأدب الأوربي بين شعر التأمل وبين شعر متون الفلسفة، كما فرّق بين شعر التأمل وبين الشعر التعليمى فى الأسماء ؛ فلتراجع هذه الأسماء فى مصادرها .

(قارىء)

عود على بدء

بين الغـــــرب والشرق

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

— ٤ —

كان يرى الأستاذ فليكس فارس رجحاناً لطابع الشرق الغيبي على قالب ثقافة الغرب الاثباتية . ومرد هذا الرجحان كما ظهر لنا من مناقشة كلامه اعتقاده بقانون الرجعى ، وبأن لهذا الشرق من كيانه نافذة يتطلع منها إلى الحياة ، هي نافذة فطرته الموروثة ، فمنها يستقبل النور ، ومنها يستقبل النسمات لأنفاسه .. وفطرة الشرق الموروثة على زعمه قائمة على الايمان بالغيب . ونحن نرى ما يعبر عنه بالفطرة الموروثة هو التراث الشعبي لهذا الشرق والثقافة التقليدية له . وهو شيء كما قلنا غير فطرة الشرق وروحه، لأن الفطرة شيء مجرد يظهر في تاريخ الشعب وفي ثقافاته المتعاقبة من حيث يحتضن ثقافة الشعب التقليـدية . إذاً من الخطأ من الناحية العلمية ما يقوله مناظرنا الفاضل الأستاذ فليكس فارس من أن فطرة شعوب الشرق هي الحالة الغيبية . والصحيح أن يقول إن طابع ثقافة الشرق التقليدية هو غيبي

ولا شك أن طابع هذه الثقافة التقليدية ممكن تغييره بالطابع اليقيني ، ولكن هذا التغيير وقف على العوامل والظروف التي تجد طريقها إلى محيط هذا الشرق . فنحن نعلم بأن كينونة الانسان وقف كما قلنا في المقال السابق على مجموع الصلات المتبادلة بين المؤثرات المختلفة التي يختص بهـا المحيط الاجتماعي والبيئة الطبيعية من جهة ، والانسان من جهة أخرى ؛ فاذا ما تغايرت المؤثرات في المحيط الاجتماعي فتبعاً لما يتغاير منتوج الصلات القائمة بينها وبين البيئة الطبيعية حتى تحوز من المكافأة ما يتوافق مع ما استجد من المؤثرات . ومثل هذا التغاير الخارجي يؤدي إلى تغير في الأفكار والسلوك الاجتماعي والشعور الذاتي في الجماعة البشرية ...

وأظن أن مناظري مهما حاول أن يتعسف فلا يساعده المنطق والعلم أن ينال من صحة هذه المقررات الأولية

وإذن يسقط السبب الوحيد الذي يرجع اليه مناظرنا في إيمانه بتفوق ثقافة الشرق الغيبية

ولنا أن ننظر مع ذلك في حقيقة الاتجاه الغيبي في المجموع البشري كحالة طبيعية تمر بها الجماعات في تطورها التاريخي وارتقائها الطبيعي ، مجردة عن تلك الحالات التي تقيمها اليوم في كيان المجتمع العربي على وجه عام ، والمصري على وجه خاص . وسنجد أن الحالة الغيبية مبعثها الجهل بأسباب الأشياء الطبيعية وعللها الكونية ، فيجنح العقل إلي ما وراء الطبيعة والكون محاولا أن يستنزل منها تفسيرات وتعليلات للحالات التي يخاص بها من حياته في العالم المنظور . وأظن أن أحسن ما يمكن أن أقدمه لمناظري الفاضل تاريخ النزاع بين اللاهوت والعلم ، ففي كل صفحة من صفحات هذا التاريخ يقع على ما يؤيد فكرتنا

يقول الأستاذ « بيتي كروزيار » :

(لقد كف الناس عن القول بأن المذنبات نذر إلهية عند ما عرفوا أسباب ظهورها وعللوا وجودها . وكفوا عن القول بأن الصواعق نتيجة غضب إلهي عند ما عرفوا حقيقة الكهربائية الجوية ، وعند ما استكشف « فرنكلين » مانعته المشهورة . ورجعوا عن القول بأن الجنون والمس عائد إلى أعمال السحرة والمشعوذين وأنصار الشياطين عند ما دلهم الطب على أسبابها العصبية . ورفضوا الاعتقاد بأن اللغات منشؤها بابل عند ما وضعت قواعد مقارنة اللغات)

نعم لقد كف الناس في العالم المتمدن عن كل هذا ، وآمنوا بسنة « كُنْت » من أن الحوادث العالية والظاهرات الطبيعية لابد أن تعود إلى سبب طبيعي ، وأنه من المستطاع تعليلها تعليلاً علمياً مبناه العلم الطبيعي . من ذلك اليوم انهار قائم اليقين بما بعد الطبيعة للافصاح عن حقيقة الظاهرات الطبيعية ، وكان نتيجة ذلك أن خاص العالم المتمدن بعقلية وثقافة جديدتين طابعهما يقيني إثباتي. ونحن إن كنا نقول باستحالة الأخـذ بالعلم الأوربي مع الاحتفاظ بالثقافة الشرقية من حيث أن طابعها غيبي ، فذلك مرده أن العلم الأوربي قائم على عقيدة أولية في إمكان الكشف عن سبب طبيعي لكل الحوادث العالية والظاهرات الطبيعية .

٦ — يظهر أن المناظر الفاضل حين أراد أن يرد على القول

بوجود أصل فرعونى في ثقافة مصر التقليدية ، تعسف إلي حد أن خرج على الأوليات المعروفة فى حقائق الاجتماع وعلم تكون الشعوب . وإلا فليفسر لنا معنى سخريته من هذه الأوليات ؟

يقول الناظر الفاضل :

« أما أن يعـد الناظر « يعنيني بذلك » طريقة استغلال الأرض فطرة (لم نقل فطرة وإنما كل ما قلناه ثقافة تقليدية أو تراث للشعب، فاذا صح الكلام على هذا الوجه يستقيم) فذلك مما لا يوافقه عليه أحد — لـماذا ؟ — لأن المسألة هنا تتعلق بتطور فى أساليب الصناعة . ولو كان الأمر كذلك لـكان كل مرتد غير القميص الأزرق ، وكل حارث بآلة حديثة ، وكل مستبدل « شادوفاً » « بطلمبة » فاقداً للأصل الفرعونى فى ثقافته التقليدية »

وهذه لعمرى إحدى أطاريف الكلام فى مناظرتنا . ومنحى الطرافة أن يحمل الناظر الحقيقة على وضع يسخر منه !

نعم أيها الصديق ، إن ما تظنه موضعا للسخرية حقيقة واقعة. وإذا أردت السبب فاننا نسوقه بكل بساطة قائلين :

إن منحى الحياة الماشية التى يحياها الانسان لها أثر فى تحديد مشاعره وتوجيه عقليته وتكوين ثقافته ، من حيث أن الحياة الماشية تقيم جواً طبيعياً واجتماعياً يعيش فيـه الانسان ، وإلا فـا الفرق بين ثقافة إنسان يحيا حياة رعى وصيد ، وحياة إنسان يحيا حياة زراعة، وحياة إنسان يحيا حياة صناعية ؟

لا أظن أن الناظر الفاضل يتعسف إلى الحد الذى ينكر الفرق الثقافى بين هؤلاء وأثر حياتهم الماشيـة فى تكوين ثقافاتهم إلا ويخرج عن الأوليات المعروفة فى علم الاقتصاد والاجتماع . وهو إن شاء أن ينكر فلسنا نغنمه . ولـكن ليبين لنا إلى أى شيء يستند حتى نناقشه على أساسه ؟ !

كذلك إنكار الناظر أن تكون التقاليد التى احتفظ بها المصريون من العهد الفرعونى دليلا على ظهور الدين الاسـلامى في مصر على الدين الفرعونى فلا أظن أن منطقه أسعفه فى إنكاره، لأنه يعترف ضمناً بهذه الحقيقة فى اعتراضه بقوله :

« على أن ما تبقى من التقاليد يعد بدعاً لا يزال الدين يعمل على اقتلاعها من المجتمع لخيره وسلامة إيمـانه » فكأن هنالك تقاليد تبقت من العهد الفرعونى وتسربت إلى الدين الاسلامى فى مصر ولونته بلون محلى . أما أن الدين يعمل على اقتلاعها لخير المجتمع وسلامته فليس ذلك من شأن الباحث المستقرى . وله أن ينظر إليها إذا ما نجح الدين فى اقتلاعها وأصبحت حقيقة ملموسة.

٧ — قلنا إن لمصر ثقافتها التقليدية التى تتميز بها عن جاراتها من بلدان الشرق العربى . غير أن الناظر وإن اعترف معنا بأن للميزات الاقليمية أثراً على ثقافة الأمم اعتبر أن لـكل أمم الشرق العربى ثقافة عامة شاملة ، ومن هنا اعترض علينا وقال بوحدة ثقافة أمم الشرق العربى . غير أن هذا الاعتراض فى غير محله ، لأن اعتباره أن لأمم الشرق العربى ثقافة عامة شاملة إن كانت صحيحة إلى حد ما فهذه الثقافة تتلون وتأخذ طابعا فى كل بلد من بلدان الشرق العربى ، فمظهرها فى سوريا غير مظهرها فى العراق ، وهى فى العراق غيرها فى مصر ، وهى فى مصر غيرها فى الحجاز ، وهى فى الحجاز غيرها فى مراكش أو تونس . وهذه حقيقة قد تظهر أوضح للمراقب الأجنبي من حيث تتميز عنـده الفروق الأساسية . ومن مظاهر هذه الفروق اللهجات العربية فى مختلف بلدان العالم العربى ، ومناحى الحياة الماشية .

ولقد وهم الناظر الفاضل أننا نهزل حين قلنا إن العامية فى مصر هى العربية الآخـذة بأسباب الفرعونية ، بينما نحن فى مجال الجد ؛ غير أن ناحية من الهزل بدت من خلال كلامنا حين لم يلاحظ مناظرنا ما قلناه فى المقال الأول من أننا نعنى بالفرعونية وحدة الحياة — عقلية أو ماشية — متمشية فى ثقافة المصريين التقليدية حتى العهد الفرعونى . فاذا قلنا إن العامية هى العربية الآخذة بأسباب الفرعونية فانما نعنى أنها تأخذ طابعاً مصرياً خاصاً بها ، هذا الطابع هو الذى يتمشى فى ثقافة المصريين التقليدية حتى العصر الفرعونى ، ومن هنا جاءت كلمتنا الآخذة بأسباب الفرعونية » .

وأظن أن كلامى قد وضح وبان مفهومه وظهر أنه جد لا هزل ... وبهذه المناسبة ألفت نظر الناظر إلى مراجع قيمة فى اللهجة المصرية تشفى غلته وتؤيد وجهة نظرنا ، وأهم هذه المراجع بحث للبروفسور نلينو عنوانه « كتاب فى اللهجة المصرية » وهو مطبوع بميلانو عام ١٩٠٣ ، ودروس الأستاذ احمد والى ويوسف المغربى والأستاذ كراتشفوفسكى

« للمقال بقية » اسماعيل أحمد أدهم

السلطان الغورى

مكانته فى الأدب والعلم وأثره فيهما

للدكتور عبد الوهاب عزام

ظفرنا بهذه الخلاصة الوافية لخطاب القيم الذى ألقاه صديقنا الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام في مؤتمر المستشرقين ببركسل ؛ فنال إعجاب العلماء المجتمعين بطرافة موضوعه ، ودقة بحثه ، وسداد طريقته (المحرر)

— ١ —

السلطان قانصوه الغورى أحد سلاطين المماليك بمصر . حكم من سنة ٩٠٦ إلى سنة ٩٢٢ هـ

ولست أريد أن أعرض للأحوال السياسية التى تولى فيها، والأحوال التى أزالت ملكه وقضت على دولة المماليك ؛ ولكنى أريد أن أذكر طرفاً مما عرف من صلته بالأدب والعلم

كان ذا حظ وافر من العلوم الدينية : التوحيد والتفسير ، والفقه ؛ وكان ذا نصيب من التاريخ معنياً بقراءة التواريخ والقصص وسماعها ، كما كان ذا بصر بالأدب ، وله نظم بالعربية والتركية ؛ وكانت له مشاركة فى الموسيقى والغناء ، وله موشحات كان يُتغنى بها

— ٢ —

وتاريخ الغورى مفصل فى كتب التاريخ ولا سيما كتاب «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» لمحمد بن إياس ؛ ولكن سيرته فى الأدب والعلم تتجلى فى ثلاثة كتب لم تنل نصيبها من العناية وفيهما للمؤرخ مجال واسع

١ — كتاب نفايس المجالس السلطانية، فى حقائق الأسرار القرآنية : ألفه حسين بن محمد الحسينى ، وهو شريف كما يؤخذ من اسمه ومن عبارات فى ثنايا الكتاب ، ويظهر أنه تركي ساح فى إيران والبلاد الشرقية ، وقد نظم بيتين بالتركية فى رثاء ابن السلطان الغورى ، وروى من شعر حسين بيقرا . وفد على مصر فأقام عشرة أشهر شهد فيها مجالس السلطان الغورى ، وجمع فى كتابه هذا بعض المباحث التى كان السلطان والعلماء يتكلمون فيها والعجمة ظاهرة فى كتابته حتى اسم الكتاب فقد سماه « نفايس مجالس السلطانية فى أسرار مجالس القرآنية » فحذف اللام من المجالس والأسرار

والنسخة التى بأيدينا هى النسخة التى كتبت للسلطان وأهديت إليه . وقد كتب عليها الصيغة المعتادة :

(برسم خزانة المقام الشريف ملك البرين والبحرين مولانا السلطان المالك الملك الأشرف قانصوه الغورى خلد الله ملكه)

ويقول المؤلف فى مقدمة الكتاب : أما بعد فإنى لما تشرفت فى خدمة أشرف الملوك وأعظم السلاطين ظل الله فى الأرضين ، ناظر أربع حُرُم رب العالمين ، سلطان العرب والعجم ، صاحب البند والعلم ، حافظ بلاد الله ، ناصر عباد الله ، أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، ملك الأشرف عزيز مصر أبو النصر قانصوه الغورى ، أعز الله أنصاره ، وضاعف أقداره — ولازمتُ بابه الشريف عشرة أشهر ، وجمعت درر فوائده فى سمط العبارة ، ونظمت جواهر زواهره فى خيط الكتابة . فان بابه الكريم مجمع الأفاضل ، وجنابه العظيم بحر الفضائل والفواضل . هذا مع ماخصه الله تعالى من الفضائل النفيسة ، والمناقب الشريفة اللطيفة ، أعطاه من الفهم أوفره ، ومن الذهن أغزره ، ومن الحلم أشرفه ، ومن العلم ألطفه ، ومن الرتب أقواه ، ومن الملك أعلاه ، ومن الشجاعة أبلغها ، ومن السخاوة أعظمها ، كل هذه الصفات خصه الله تعالى بمجموعها . ولهذا ارتقى إلى الذروة العالى ، التى كانت نهاية درجات الأفاضل الأهالى . وفضل هذا السلطان على سلاطين الدنيا كفضل سلاطين الدنيا على الرعايا .

وكل هذه الأوصاف والمناقب بما قرن به من محبة العلم والعلماء والتفتيش عما وضمته الحكماء فى كل نوع من العلوم ، لو يقول البشر فى وصف هذا المظهر إنه هو سلطان العلماء المحققين ماهو كذب في حقه ، أو يقول فى مدحه : انه هو سلطان العارفين ماهو عيب فى وصفه »

وجعل كتابه فى مقدمة وعشر روضات . والمقدمة قصيرة تتضمن كلام بعض السلاطين ومنهم الغورى . والروضات العشر يذكر فى كل واحدة منها مجالس السلطان فى شهر . وكانت المجالس تجتمع فى كل أسبوع مرة أو اثنتين أو ثلاثاً .

وأولها مجالس رمضان سنة عشر وتسعمائة . وأول مجلس منها يوم الخميس الثالث والعشرين من الشهر ، وآخرها مجالس رجب

فهى عشر روضات فى أحد عشر شهراً لأن السلطان لم يجلس فى شهر ذى القعدة ، لوفاة ولده محمد .

والمؤلف يصف كل مجلس وتاريخه ومدته ، ويذكر الإمام الذى يحضر المجلس وكبار الحاضرين، ثم يذكر المسائل التى طرحت للبحث فى المجلس . يقول فى المجلس الأول :

«طلعت يوم الخميس ثالث وعشرين رمضان المبارك فى تاريخ سنة عشر وتسعمائة، وكان فى خدمته ناصح الملوك والسلاطين شيخ حسن جلبى؛ وكان الامام فى تلك الليلة شيخ شمس الدين السمديسى. وقعدوا فى الأشرفية ستين درجة . ووقع فى تلك الليلة أسولة . السؤال الأول الخ » . .

ويقول فى المجلس الثانى من شوال :

« طلعت يوم الأحد تاسع شهر شوال ، وقعدوا خمسين دقيقة فى البيسرية الأشرفية . والامام كان شيخ محب الدين المكى ، وشيخ الاسلام كان حاضراً . وخواجه غياث الدين ده دار ، وقاضى جمال الدين الخشاب ، وكثير من الناس كانوا فى الخدمة الشريفية والعتبة العلية »

يبدأ السلطان أكثر الأحيان بسؤال يجيب عنه أحد الحاضرين فيرتضى السلطان جوابه أو يناقشه ، وأحياناً يبدأ أحد الحاضرين الكلام . وأكثر المسائل دينية وبعضها تاريخية ، ومنها ألغاز فى موضوعات شتى ، وقصص عن الملوك وغيرهم

وأحياناً يصف المؤلف مشاهد ويروى أحاديث لها فى التاريخ خطر كبير

مثلاً يصف إحياء السلطان المولد النبوى ، ويذكر طوائف الناس الذين اجتمعوا ، وما فعلوا فى هذا المحفل، ويبين كيف جلس السلطان ليلا وكيف يتقدم إليه كبار الدولة وينشد كل منهم شعراً فى مدحه وكيف يقابلهم السلطان . وقد ذكر أن الخليفة يعقوب المستمسك بالله خليفة مصر تقدم « وباس الأرض ، كفرض المين وعين الفرض » وأنشد :

إن الخلافة ثوب قد خُصصت به ... إذا لبست فلم يفضل ولم يعزِ
ما أودع الله فى أحداقنا بصراً ... إلا لتفرق بين الدر والخرزِ

وكذلك يمر القارئ بمسائل ذات خطر فى التاريخ والسياسة إذ ذاك كقول السلطان :« الجركس من الفساسنة فهم عرب »

وكالبحث فى شروط الامامة فى مجلس السلطان وقول مؤلف الكتاب : فان لم يوجد من يستوفى الشروط من ولد اسماعيل جاز أن يُولّى واحد من العجم أو من ولد إسحاق . وقوله بعد هذا : الحمد لله والمنة ، الجركس من ولد إسحاق . وجميع هذه الشرائط موجودة فى السلطان الأعظم

بل نجد فى الكتاب بحثاً صريحاً فى نيابة الغورى عن الخليفة العباسى وهل هذه النيابة لازمة لصحة أحكامه فى الأمور الشرعية. ويشتد الخلاف بين المؤلف وأحد العلماء فى هذه المسألة فيحقر المؤلف الخليفة ويعظم السلطان ، ثم يذهب يستفتى العلماء ويأخذ خطوطهم بأن نيابة السلطان عن الخليفة غير لازمة

ويرى القارئ أحياناً اهتمام السلطان بتعليم المماليك وإحضارهم معه من حين إلى آخر إلى مجالسه ليقرءوا أمامه ويمتحنهم

وهكذا يجد القارئ فى الكتاب مسائل مهمة لا يظفر بها فى كتب التاريخ ، ويرى صوراً من آراء السلطان وعلماء عصره ، ويتبين مقدار اطلاعهم ودرجة تفكيرهم

٢ — الكتاب الثانى : اسمه الكوكب الدري فى مسائل الغورى ، وهو يحتوى على ألفى مسألة وأجوبتها من المسائل التى وقع البحث فيها فى مجالس السلطان الغورى أيضاً . ولدينا الجزء الأول من الكتاب وفيه ألف مسألة فى ٣٣٨ صفحة . والنسخة مكتوبة فى عهد الغورى .. ويظهر أنها نسخة المؤلف . وعليها خطوط ثلاثة من علماء وقته المعروفين يشهدون بأنهم اطلعوا على الكتاب . وبعض هذه الخطوط مؤرخ بالسنة التى تم فيها كتابة هذا الجزء

ويقول المؤلف فى آخر الكتاب : « وكان الفراغ منه فى مستهل شهر ربيع الآخر سنة تسع عشر وتسعمائة »

ويقول فى المقدمة : وبعد فانى لما رزقنى الله سعادة الدارين وتشرفت مدة عشر سنين بخدمة سلطان الحرمين الشريفين خان الأعظم وخاقان المعظم ، مولى ملوك الترك والعرب والعجم حافظ بلاد، الله ناصر عباد الله، وارث ملك يوسف الصديق، إمام الأعظم بالحق والتحقيق، مظهر الآيات الربانية، مظهر الأسرار الروحانية ، أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، الملك الأشرف ذو الفيض النوري، أبو النصر قانصوه الغورى الخ ... قصدت أن أجمع در فوايد

مجلسه في سمط العبارة والكتابة، وأنظم جواهر زواهره في سلك الاستعارة والكناية، لأنه ورد في كلام بعض الأنام: كلام الملوك ملوك الكلام، سيما إذا كان البحوث عنه تفسير كلام رب العالمين، ونكات أحاديث سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، ومباحث سلطان الاسلام الخ ...

إلى أن يقول: وجمعت شيئاً يسيراً وفاتني منه شيء كثير، فجمعت من بحار فوايده قطرة، ومن شموس محاسنه ذرة، لم أقدر أن أجمع إلا واحداً من ألف بل من مائة ألف ... فجمعت من المسائل المشكلة ألفي مسألة، وسميته بالكوكب الدري في مسائل الغوري ...

وفي هذه المقدمة شبه بمقدمة الكتاب الأول، وبعض عباراتهما واحدة، وبين تاريخهما زهاء عشر سنين

وهذا الكتاب ليس مقسماً على المجالس كالكتاب السابق، بل المسائل فيه متتابعة بغير فصل. والمطلع على الكتاب يرى صوراً من أفكار علماء مصر وأمرائها في ذلك العصر. يرى إلى المسائل الدينية وهي معظم الكتاب، مسائل تاريخية، وجغرافية، ويرى انتقال الحديث من تفسير آية أو حديث إلى السؤال عمن بنى الأهرام أو عن سبب زرقة السماء أو السؤال عن كيورث أول ملوك الشاهنامة أكان قبل نوح أو بعده، أو عن شهر المحرم لماذا جعل أول التاريخ الهجري، أو هل الأرض أفضل أم السماء. ويجد القارئ في الحين بعد الحين فكاهة من السلطان أو نادرة، ويعرض في المجالس ذكر الملوك الناصرين والأمراء الذين وفدوا على السلطان كان السلطان سليم. ويرى بعض الأسئلة الدينية التي سألها هؤلاء الأمراء وجواب السلطان أو بعض علمائه

لا ريب أن هذا الكتاب على تفاهة معظم المسائل التي يدور عليها البحث، يصور بعض النواحي الفكرية والاجتماعية في مصر والعالم الاسلامي، في ذلك العصر

٣ — الغوري والشاهنامة:

— ١ —

كان حسين بن حسن بن محمد الحسيني الآمدي أحد شعراء التركية في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري وشهد عهد السلطان الغوري في مصر، ولعله فرّ إليها إذ كان من المقربين إلى الأمير جم بن محمد الفاتح. وتوفي بمصر سنة ٩٢٠ وقد أمره السلطان الغوري أن يترجم شاهنامة الفردوسي إلى اللغة التركية فترجمها في عشر سنين آخرها سنة ست عشرة وتسعمائة

وقد نظم الشاعر في مقدمة الكتاب فصلاً يبين فيه سبب نظمه. وخلاصته أن السلطان كان ولعاً بقراءة التاريخ والقصص، وكان في خزانته كتاب الشاهنامة، فدعا الشريفيّ وقال: إني أحب هذا الكتاب وأعرف ما تضمنه من المواعظ والأخبار وأريد أن يترجم إلى اللغة التركية ليسهل علينا إدراك معانيه. وأعرف أن لك مقدرة على نظمه، فترجمه إلى التركية. فقال الشاعر: أيها السلطان المعظم! كيف تريد أن تسهل عليك معانيه بالترجمة وأنت تعرف لسان العجم أحسن من العجم؟ بل هو أسهل عليك من اللغة التركية، وليس بك حاجة إلى ترجمته

قال السلطان: أريد أن يبقى ذكراً بعدي، فإنما يخلد الانسان بالذكر الحسن

قال الشاعر: ولكن نظمي ليس من البلاغة والسلاسة بحيث يعجب السلطان؛ وليس يسيراً أن يبلغ الكلام الدرجة التي ترضيك، والشاهنامة كتاب غير الترجمة

قال: دع الاعتذار ولا تمتل فأنت من آل الرسول. فشمّر للأمر، وإن لم يكن كلامك مزخرفاً مصنفاً فلست أبالي. لست أكلفك كلاماً ملوكياً، ولكن أريد أن تقول باللسان التركي قولا درويشياً

يقول الشاعر: فلم أجد بداً من امتثال الأمر على ثقل العبء وعلى بعد ما بيني وبين الفردوسي، وشرعت في نظم الكتاب في وزن آخر غير وزنه الفارسي الخ ...

— ٢ —

في مقدمة الكتاب وخاتمته نحو ألف بيت؛ يبدأ الكتاب بالتحميد، ومدح الرسول والخلفاء على سنّة شعراء الفرس والترك، ثم يذكر سيرة مماليك مصر منذ سنة ٩٧٠ هـ، يذكر قايتباي والملوك الذين خلفوه في فترة الاضطراب التي بينه وبين الغوري، ثم يفيض في مدح السلطان، ثم يبين سبب نظم الكتاب ويشرع في ترجمة الشاهنامة. وفي الخاتمة يمدح السلطان ويبين أنه نظم الكتاب باسمه وأتمه في دولته، ويتكلم عن أخلاق

السلطان وسياسته وشغفه بالعلم والأدب، ومعرفته لغات كثيرة، ومشاركته فى الانشاء والشعر ونظامه فى توحيد الله ومدح الرسول، وإلمامه بالموسيقى، ونظمه موشحاً للغناء، ودوامه بقراءة التواريخ الخ ... ثم يصف مجلس السلطان واجتماع العلماء فيه لمذاكرة العلم، ويذكر المغنين والموسيقيين الذين يطربون السلطان في مجالسه

ثم ينتقل إلى وصف عمارات السلطان وصفاً مفصلاً فيعدد تسعاً منها . والخلاصة أن في مقدمة الكتاب وخاتمته ما يكشف بعض تاريخ الغورى ولا سيما الجانب الأدبي منه ، ويبيّن طرفاً من تاريخ مصر — بعد حساب المبالغات الشعرية .

— ٣ —

هذا الكتاب له قيمة عظيمة فى تاريخ اللغة التركية فهو سجل جامع لألفاظ اللغة التى كانت مستعملة فى القرن العاشر الهجرى ولقواعد النحو والصرف التى كانت متبعة إذ ذاك .

وفيه كذلك صورة مفصلة للضرورات الشعرية التى كانت تمانيها اللغة من بعض الشعراء فى ذلك العصر ، والتى ذكرها ضيا باشا فى مقدمة « الخرابات »

— ٤ —

ويزيد فى قيمة الكتاب وفائدته ، أن عندنا منه نسخة الأم أعنى النسخة التى كتبها المترجم بخطه ، وقدمها إلى السلطان ؛ فعلى صفحة العنوان نجد هذه الصيغة :

« برسم خزانة مولانا المقام الشريف السلطان مالك رقاب الأمم ، السلطان المالك ، الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى عز نصره وخلد ملكه .

وفى آخر الجزء الأول :

« وقع الفراغ من تحرير المجلد الأول فى أول ليلة من شعبان المبارك فى محروسة مصر صانها الله من الآفات ، فى قبة الحسينية لأمير يشبك ، تغمده الله بالرحمة والغفران » ،

كاتبه ناظمه أضعف عباد الله حسين بن حسن بن محمد الحسينى سنة ثلاث عشر وتسعمائة . والحمد لله الخ ..

وفى آخر الجزء الثانى :

تم الكتاب بعون الملك الوهاب ضحوة النهار يوم الأحد ثانى شهر ذى الحجة الحرام سنة ست عشر وتسعمائة من هجرة النبوية عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات ، كاتبه ناظمه وهو أضعف العباد حسين بن حسن بن محمد الحسينى الحنفى فى مدينة مصر حرسها الله من الآفات والبليات فى جامع المرحوم المغفور السعيد الشهيد الملك المؤيد شيخ سقى الله عهده بالرحمة والمغفرة

وبعد هذا سطران بالتركية :

« بو كتابك نظمنه مولانا السلطان عز نصره الغورى أول سلطنت يلنده ابتدا إيلدك ، أون يلده تمام أولندى ، أونك دولتنده إتمامه أرشدى »

حسبنا الله ونعم الوكيل . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(ومعنى العبارة التركية أنه بدأ الكتاب فى أول سنة من عهد السلطان وأتمه فى عشر سنين فى دولته)

— ٥ —

والنسخة فى ١١٧٠ ورقة كبيرة أى ٢٣٤٠ صفحة، كل صفحة ٢٥ سطراً، وهى مذهبة، وبها اثنتان وستون صورة ملونة . وإزاء كل صورة فى الحاشية عنوانها بخط مذهب. ولهذه الصور قيمتها فى الدلالة على التصوير المصري فى ذلك العصر

— ٦ —

ثم يزيد هذه النسخة نفاسة وفائدة أنها واضحة الخط تميز فيها الحروف الثلاثة پ ، چ ، ژ، من الحروف العربية ب ، ج ، ز بوضع نقطتين تحت الحرف أو ثلاث . وهذا نادر فى الكتب القديمة ، وهى بعد هذا مشكولة شكلا تاماً لا يرتاب القارئ فى ضبط كلمة منها

فبين أيدينا زهاء ستة وخمسين ألف بيت من الشعر التركى فى القرن العاشر الهجرى مضبوطة ضبطاً تاماً ، وقيمة هذا فى اللغة والأدب ليست هينة

— ٧ —

عرفنا من هذه الكتب أن السلطان كان مولعاً بالأدب وأن له نظماً بالعربية والتركية . ولدينا نماذج من نظم السلطان فى موشح فى كتاب نفايس المجالس، وقصيدتين وموشحين بالعربية، وموشح بالتركية فى كتاب تاريخ حلب للطباخ ، وعند بعض أدباء حلب قطع أخرى من شعر السلطان ، وفي استانبول مجموعة من شعره

عبد الوهاب عزام

للتاريخ السياسي

النزاع الروسى اليابانى

للدكتور يوسف هيكل

شهد شهر أغسطس (آب) الفائت حوادث دولية منفاقة الخطورة ، إذ طارت شرارة الحرب العالمية فى الشرق الأقصى فأشعلت النار بين الروس واليابان ، فكادت الحرب تجتاح العالم لولا الجهود الديبلوماسية التى بذلت لاخماد نار الحرب الروسية اليابانية . غير أن شبح الحرب العالمية عاد من الشرق الأقصى إلى أوروبا الوسطى ، وأخذ يحوم فى جوها مهددا السلام بشدة .

وحديثنا فى هذا المقال مقتصر حول النزاع الروسى اليابانى . ولعرض هذا النزاع يحسن بنا التكلم عن أسباب الصدام الذى حدث بين القوى الروسية واليابانية ، وعن تطور القتال بينهما ، وأخيرا عن المفاوضات الديبلوماسية التى بذلت لعقد الهدنة بين موسكو وطوكيو ، وعن شروط هذه الهدنة وأسبابها .

نشأت فى اليابان فى السنين الأخيرة روح استعمارية جديدة . فبعد أن أغرقت اليابان أسواق الشرق بمنتوجاتها ، مما أدى بالدول الأخرى إلى وضع ضرائب فادحة على المنتوجات اليابانية لتحول دون دخولها بلادها ، أخذت تتبع سياسة تتعارض وبقاء الأوروبيين فى الشرق . وكان هدفها الأول إجلاء الأوروبيين عن الصين . فعملت ، قبل احتلالها منشوريا ، على تحقيق هذه الأغراض بالتفاهم مع الصين ، ولذلك ساعدت على قيام أحزاب قوية فى بلادها مطالبة بأن تكون « آسيا للآسيويين كما أن أوربا للأوربيين ، وأمريكا للأميركيين » . ثم عملت على إنشاء فروع عديدة لهذه الأحزاب فى الصين وجاوة والهند .

ولكن الحكومة اليابانية رأت أن الحالة الدولية تتطلب السرعة فى العمل ، فعدلت عن سياسة التفاهم مع الصين ، وعمدت إلى سياسة القوة التى مكنتها من احتلال منشوريا ، على رغم تمدد المصالح الغربية فيها . بعد هذا الفتح واجهت اليابان أوربا بقاعدة جديدة هى « ارفعوا أيديكم عن الصين » .

لم تتحسن العلاقات بين اليابان والصين بعد استيلاء اليابان على منشوريا ، بل عمدت الصين إلى مقاومة النفوذ اليابانى ، وجدت فى المحافظة على كيانها . غير أن اليابان قررت شل الحركة الصينية المعادية لها بالقوة ، فكانت الحرب اليابانية الصينية .

واستيلاء اليابان على الصين يهدد وجود الدول الغربية فى البلاد الأسيوية ، ولاسيما فى الشرق الأقصى والأوسط . ويتحقق حينئذ الخطر الأصفر الذى كان الامبراطور ولهلم أول المنذرين به .

وفى مقدمة الدول التى تخشى اليابان فى الصين الحكومة الروسية . لأن الخطر الأصفر لا يحرم هذه الدولة بعض مستعمراتها فقط ، بل ربما يسلخ عنها قسما كبيراً من بلادها ، وهو سيبريا الممتدة فى شمالى آسيا من أقصى الشرق حتى الغرب منها . وقد كانت الروسيا فى المدة الأخيرة هدف عداء اليابان ، إذ أن طوكيو عقدت تحالفا مع برلين وروما ، غايته مكافحة الشيوعية . والشيوعية ماهى إلا رمز يراد به الحكومة الروسية . فهذه المصالح المتضاربة هى السبب الرئيسى لكل حرب تقع بين اليابان والروس ، أو بين اليابان وأية دولة غربية أخرى .

أما السبب المباشر للنزاع الأخير الذى حدث بين اليابان والروسيا فهو حادث حدود ، وهو أن الجند الروس ، حسب قول اليابان ، اخترقوا الحدود الفاصلة بين السوفيات (الروسيا) ومنشوكو واحتلوا تشانغ كوفنغ ومضيق شانغ كو . ولذلك طلبت طوكيو من موسكو سحب القوات السوفياتية إلى ما وراء الحدود ، فرفضت موسكو ذلك أواسط شهر يونيه ، مجيبة بأن المنطقة المختلف عليها هى جزء من الأراضى الروسية ، وأن طلب اليابان يعد تدخلاً منها فى شؤون السوفيات الداخلية

إن تهديد اليابان وجواب روسيا جعلا الدولتين تقفان وجهاً لوجه دون أن تستطيع إحداهما الرجوع عن موقفها من غير أن يكون ذلك تراجعاً منها أمام رغبة الأخرى . وفى أثناء ذلك كانت الجيوش تتجمع ، والطائرات تحوم فى الجو ، فكان التصادم ، وكانت حوادث قتال محلية لم تأخذ صبغة حرب بين الدولتين ، لأن القوى التى اشتركت فى القتال كانت محدودة ، ولأن المفاوضات كانت مستمرة لايقاف القتال وإيجاد حل للخلاف .

* * *

أما هدف القتال فكان احتلال قمة « تشانج كوفنغ » وما جاورها . فبعد أن احتلت القوى السوفياتية هذه القمة، أصر الجيش الياباني على إرجاع الروس عنها ؛ فدارت معارك عديدة ، واشتركت فيها القوى البرية على اختلاف أنواعها والجوية ، وأدت إلى استيلاء الجيش الياباني على تلول «تشانج كوفنغ» و«شاتسا» و « بينج » وذلك في ٣٠ يوليه سنة ١٩٣٨ . وقد صرح حينئذ الميجر « اكياما » بلسان الجيش قائلا « قد عدنا إلى احتلال هذه الأراضي المشوكية بالقوة ، ولا نريد شيئا أكثر من ذلك . فنحن نجهل النيات السوفياتية . ولكن إذا حاول السوفيات استرداد هذه المواقع وجب أن ينتظروا معاملة أقسى وأشد »

ولكن هذا التهديد لم يثن عزيمة السوفيات بل أثار هياج الرأي العام في روسيا ، فقامت الجماهير بمظاهرات عدائية نحو اليابان جاء في قراراتها : « يجب ألا تنسى قط اليابان وإيطاليا وألمانيا أن الجيش الأحمر لن يتخلى عن متر واحد من الأراضي السوفياتية ، كما يجب ألا يفوتها أن الشعب الروسي بأكمله هو في حالة تجنيد، وأنه يجيب أول نداء تذيعه حكومته وسلاحه بيده » وقد أصدرت الجمعيات العامة المنشأة في جميع أنحاء البلاد قرارات جاء فيها : « إننا لن نتراجع أمام أي تهديد . فحدودنا لا يمكن خرق حرمتها ، وستدفع العصابات اليابانية موت جنودنا سيولا من الدماء » .

استعد الروس لاسترجاع منطقة « تشانج كوفنغ » ، فظهر الجيش الروسي الأحمر الأول مرة في القتال ، فقام في ٣ أغسطس بهجوم عنيف على هذه المنطقة ، اضطر اليابان إلى دفع عشرين ألف مقاتل لصد هجوم الروس . ولم تكن هذه المعركة حاسمة ، ولم يتمكن الروس من استرداد المنطقة التي استولى عليها اليابانيون في ٣٠ يوليه الماضي . على أن القتال لم يقف ، بل ازداد حماسة وشدة . فحدثت معارك ، أدت إلي تقدم الروس ، فأعلنت قيادة الجيش الروسي في ٧ أغسطس أن القوى السوفياتية « أجلت بتاتا الجيش الياباني عن الأراضي السوفياتية » . ولكن المقامات اليابانية نفت بتاتا جلاء اليابانيين عن أكمة « تشانج كوفنغ » . ويظهر أنه في ذاك التاريخ قد جلا اليابانيون عن قسم من المنطقة المختلف عليها ، وظل القسم الآخر تحت سيادتهم

واصل الروس القتال ، وتسلم المارشال بلوخر القائد العام للقوات السوفياتية في الشرق الأقصى ، قيادة الأعمال الحربية ، فتقدم الروس وتراجع اليابانيون . وصدر في موسكو بتاريخ ١٠ أغسطس بلاغ رسمي يقول : « إن تشانج كوفنغ التي وقع الخلاف عليها بين الروس واليابانيين أمست الآن في أيدي الروسيين » .

وفي ١٠ أغسطس أيضاً أعلنت الهدنة بين روسيا واليابان ، وأوقف القتال في ساحة « تشانج كوفنغ » عند ظهر اليوم التالي حسب توقيت الشرق الأقصى أي قبيل شروق الشمس في بلادنا

كانت خسائر الطرفين حسب تقدير اليابان الرسمي ١٥٨ قتيلا و ٧٢٣ جريحاً من اليابانيين ، وما ينيف عن ١٧٠٠ قتيل وجريح من الروس . غير أن إحصاء الروس الرسمي ينص على أن عدد قتلى الروس ٢٣٦ ، وجرحاهم ٦١١ ، وعدد قتلى اليابان ٦٠٠ ، وجرحاهم ٢٫٥٠٠ . ومن الأكيد أن هذه الأرقام غير صحيحة لأن من عادة الدول المتحاربة محاولة إخفاء حقيقة خسائرها ، والمبالغة في مقدار خسائر الخصم . والغاية المتوخاة من ذلك بيان تفوقها وتقوية روح جيوشها المعنوية من جهة ، وإظهار ضعف الخصم وإضعاف روحه المعنوية من جهة ثانية

* * *

لم يكن إعلان الهدنة مفاجئاً لأن المفاوضات لتصفية النزاع الروسي الياباني كانت سائرة منذ ابتداء القتال . وكانت الدوائر السياسية الغربية تتفاءل تارة وتتشاءم تارة أخرى، ولكن التفاؤل غلب التشاؤم بتراجع اليابان عن موقفها

فكيف كانت المفاوضات؟ وما هي شروط الهدنة ؟ وما هي الأسباب التي دعت اليابان إلى هذا التراجع ؟

على أثر دخول الجند الروسي القاطعة المختلف عليها قابل البارون سيجيمتسو السفير الياباني في موسكو ، الرفيق لتفينوف وزير خارجية روسيا عدة مرات طالباً منه سحب القوى الروسية من مقاطعة «تشانج كوفنغ». وكانت خلاصة الحديث الذي دار بينهما في ٢٠ يوليو (تموز) أن الحكومة اليابانية مقتنعة بأن المنطقة الواقعة غربي بحيرة « كاسان تشانتشي » داخلة في حدود منشوريا ، وأنها توافق على تعيين الحدود تعيينا دقيقاً، والدخول في مفاوضة مع حكومة موسكو لهذا الغرض ؛ ولكن بعد أن يتم انسحاب القوات السوفياتية من المنطقة التي احتلتها . وقد رد وزير الخارجية الروسية على بيانات السفير الياباني بأن الحكومة السوفياتية قدمت إلى السفارة اليابانية عدة وثائق منها معاهدة « هونتشون » والخرائط الملحقة بها المبينة للحدود بدقة وجلاء

تامين . وهـذه الخرائط والوثائق التي وقعهـا ممثلو الحكومة الصينية السابقة تثبت أن المنطقة الواقعة غربي بحيرة كاسان داخلة ضمن نطاق الحـدود الروسية ، وأن روسيا كانت ترسل إليها الدوريات العسكرية ولا تزال تفعل ذلك . فأبان السفير اليابانى أن حكومته لن تكون مرتاحة إلى هذا الرد ، وأنه من الضرورى اتخاذ تدابير تعيد الأمن إلى نصابه على الحدود ، وإلا اضطرت اليابان أن تستنتج من ذلك وجوب الالتجاء إلى القوة . فرد الرفيق لتفينوف أن مثل هذا التهديد لا يؤثر فى روسيا ولا يخيفها. وعلى أثر ذلك قطعت المفاوضات

وبعد احتلال اليابان لتلول « تشانج كوفنغ » فى ٣٠ يوليو (تموز) تلقى سفير اليابان فى موسكو التعليمات من حكومته بأن يطلب من الرفيق لتفينوف استئناف المفاوضات بشأن « تشانج كوفنغ » التى قطعت فى ٢٠ يوليو (تموز) فاجتمع السياسيان فى ٤ أغسطس وبسط السفير اليابانى وجهة نظر حكومته التى ترمي إلى تسوية النزاع بالطرق الودية . فأصر الرفيق لتفينوف على أنه يجب على اليابان قبل بدء المفاوضات أن تسحب جيوشها إلى وراء الخط المعين فى الخريطة الملحقة بمعاهدة « هونتشون » المبرمة عام ١٨٨٦ . فأجاب السفير بأن الخريطة المذكورة التى لا يوجد لها صورة رسمية إلا في وزارة الخارجية فى موسكو ، لا يمكن قطعاً اعتبارها المستند الوحيد الذى يستطاع استخدامه فى تعيين الحدود ، لأنها لم تنشر قط ، ولأن السلطات اليابانية المختصة لم تعلم بها حتى الآن . على أثر ذلك انفض الاجتماع دون أن يصلا إلى نتيجة إيجابية

وفى اليوم التالى قابل السفير اليابانى وزير الخارجية الروسية وعرض عليه اقتراح حكومته المشتمل على النقط التالية :

١ — انسحاب القوات اليابانية إلى المنطقة المتنازع عليهـا حول جبل « تشانج كوفنغ » .

٢ — تعهد روسيا بألا تحتل هذه المنطقة .

٣ — بقاء هـذه المنطقة منطقة حيـاد إلى أن تقوم لجنة بتخطيط الحدود .

فرد الرفيق لتفينوف على هذا الاقتراح بقوله : إن روسيا لا تدخل فى أية مفاوضات قبل سحب القوات اليابانية داخل حدودها . وعلى أثر هذه العبارة استأذن السفير اليابانى بالانصراف وارفض الاجتماع . وكان القتال فى هذه الأوقات شديداً ، وهجوم الروس لاسترجاع منطقة « تشانج كوفنغ » قوياً .

وفى ١٠ أغسطس اجتمع الرفيق لتفينوف والبارون سيجيمتسو واتفقا على شروط الهدنة التى تتلخص كما يلى :

١ — وقف الحركات العسكرية ظهر يوم ١١ أغسطس حسب توقيت الشرق الأقصى أى الساعة الخامسة صباحا فى موسكو .

٢ — بقاء قوات الفريقين فى المواقع التى كانت فيهـا فى منتصف ليل ١١ أغسطس .

٣ — تأليف لجنة مختلفة قوامها عضوان روسيان وعضو واحد يابانى ، وآخر منشورى لتعيين حدود المنطقة المختلف عليها، فاذا لم تتوصل هذه اللجنة إلى الاتفاق وجب عرض الخلاف على حكم يختاره الفريقان .

٤ — تستند هذه اللجنة فى أبحاثها إلى الخرائط الملحقة بالمعاهدات المعقودة بين روسيا وحكومة الصين السابقة .

وبرغم الهدنة حدث فى ١٢ أغسطس حادث جديد فحواه ، حسب تقرير السوفيت ، أن الجيش اليابانى أخذ يتقدم، فجابه الجيش الروسى على بعد مائة متر . وبقى الجيشان وجها لوجه حتى اتفقا على أن ينسحب كل منهما مسافة ثمانين متراً . وفى ١٣ أغسطس قدم الرفيق لتفينوف إلى السفير اليابانى احتجاجا على « الاعتداء الجديد على حدود السوفيات » طالباً انسحاب القوى اليابانية ، ومهدداً باعتبار حكومة السوفيات الهدنة ملغاة فيما إذا لم تجب الحكومة اليابانية مطالبها . فانسحب الجيش اليابانى ، فى ١٤ أغسطس ، إلى الضفة اليمنى لنهر « تومن » داخل حدود كوريا ولم يبق جندى واحد فى منطقة « تشانج كوفنغ » الواقعة على الضفة اليسرى .

كانت هذه الهدنة فوزاً سياسياً كبيراً للحكومة السوفياتية ، عزز نفوذها وهيبتها فى الشرق الأقصى ، وذلك باكراهها اليابان على قبول شروطها من سحب الجيش اليابانى من المنطقة المختلف عليها، ومن تشكيل لجنة الحدود بحيث يكون فيها أعضاء للروس بقدر ما لليابان وحكومة منشوكو معاً . أما اليابان فكانت تريد أن يكون لكل من روسيا واليابان وحكومة منشوكو عدد متساو من الأعضاء .

وسبب تراجع اليابان هذا أنها يوم أقدمت على إخراج الجنود السوفياتية من هذه المنطقة بقوة السلاح ، كانت تظن أن روسيا ليست فى حالة تمكنها جدياً من محاربتها ، وكانت تعتقد أنهـا

ستلقى من ألمانيا وإيطاليا مساعدة عملية ، عملاً بميثاق مكافحة الشيوعية وامتداد محور روما برلين إلى طوكيو

ولكن الحوادث لم تحقق هذا الظن، لأن حكومة السوفيات أظهرت بطريقة لا شك فيها أنها لا تتردد فى خوض غمار الحرب دفاعاً عن كرامتها وسلامة حدودها فى الشرق الأقصى . ولأنه ظهر وهن ميثاق مكافحة الشيوعية المراد منه مقاومة نفوذ السوفيت . إذ أنه لما استفسر سفير اليابان فى برلين من الهر ريبنتروب وزير خارجية ألمانيا يوم الاثنين الوافق ٨ أغسطس، عن مدى المساعدة التى تقدمها ألمانيا لليابان إذا خاضت غمار الحرب ضد روسيا ، أجاب الهر ريبنتروب بما معناه: أن ألمانيا مع ميلها إلى اليابان وتمنيها لها الفوز، لا تستطيع فى الوقت الحاضر مدها بمساعدة عملية فى حالة نشوب حرب يابانية روسية فأبرق السفير اليابانى فى برلين حينئذ إلى حكومته أن تعمل كل ما فى وسعها لعدم تمديد الخلاف مع روسيا

أما روسيا فسوف لا تكتفى بهذا الفوز الأدبى الذى أحرزته على اليابان لأن مسألة « تشانج كوفنغ » لم تكن السبب الحقيقى فى النزاع الذى كاد يؤدى بها إلى الحرب « بل هناك سبب أعظم منه هو أن مصالحها الحيوية تقضى عليها بوقف المطامع اليابانية فى الصين عند حدودها ، فإذا لم تعدل اليابان عن هذه المطامع ، وتحل خلافها مع الصين على أساس يكفل للصينيين سيادتهم وسلامة بلادهم ، فالحرب واقعة بينها وبين روسيا، وربما تشترك فيها بعض الدول الغربية من أصحاب المصالح فى الصين

يوسف هيكل

آراء وتحقيقات

الخير والسعادة

الخلاف عليهما عند أكثر فرق الفلاسفة

للأستاذ عباس طه

منذ قرابة عامين عرضنا في بعض المجلات العلمية للبحث عن الفرق بين الخير والسعادة لماما ، ثم لمدى الخلاف بين المتقدمين من الفلاسفة وبين المتأخرين منهم في ماهية السعادة وهل هي سعادة بالاضافة إلى غيرها أم هي سعادة مطلقة بغض النظر عما عداها من الاعتبارات ، وهل هي من ملابسات النفس الناطقة وحدها ، أو أن البدن أيضا من مقوماتها .

لكن البحث لم يتسق للكشف عن مبلغ آراء فرق الفلاسفة في السعادة والخير يومئذ في تلك المجلة . من أجل ذلك نحب أن نعرض لقراء الرسالة — بقدر — في هذا البحث الراهن للسعادة في رأى فيثاغورث وأفلاطون وبقراط ، وهؤلاء من متقدمي الفلاسفة ، ثم نعرض بعد ذلك لرأى ارسطاليس ، ثم نقارب بين رأى فيثاغورس ومتابعيه ، وبين جمهرة من المشائين حتى يتسق البحث على وتيرة واحدة ، ويجرى على سنن مستساغ .
في الاتجاهات التي اتجه إليها فيثاغورث وأفلاطون وبقراط ومن إليهم تلقاء النفس الناطقة أن الفضائل الأربع التي هي قوام السعادة وعتادها حاصلة كلها في النفس وحدها فليس لها مدد من الخارج ولا قوة تصدر عنها سوى النفس الناطقة ؛ ولذلك حينما عرضوا لتقسيم قوى النفس في كتبهم اعتبروا كل هذه القوى منحصرة في الفضائل الأربع وهي : « الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة » على ما سيجيء الكلام عنه في بحوثنا المتلاحقة المتعلقة بالنفس الناطقة، ثم رتبوا على ذلك الاتجاه أن تلك الفضائل الأربع وحدها كافية لتكون قواما للسعادة في فصولها المختلفة ، فلا يحتاج معها إلى غيرها من فضائل البدن ومميزاته ضرورة أن ذا النفس الناطقة إذا حصل تلك الفضائل مجتمعة فلا ينقص من سعادته أن يكون سقيما أو فاقداً لبعض أعضائه أو مبتلى ببعض صنوف العلل والأدواء إلا إذا تأثرت تلك النفس بأوصاب البدن وأسقامه فيما يصدر عنها من أفعال كفساد العقل واضطراب التفكير وضعف الروية والخلط بين الآراء ، فان ارتفعت كل هذه الأعراض على إصابة البدن بعلله وأوصابه فليس بضير النفس الناطقة في شيء أن يعرض لها الفقر والخمول وسقوط الحال وخشونة العيش مثلا وكل ما هو خارج عنها فليس ما كان خارجا عن النفس الناطقة بقادح في سعادتها . وبدهى أن فيثاغورث ومن لف لفه يذهب إلى أن السعادة لا تعدو النفس الناطقة فلا تتناول الأبدان ومميزاتها ، ويرتبون على ذلك الاتجاه أن السعادة والخير في مختلف مناحيهما ليس لها إلا مصدر واحد وهو قوى النفس الناطقة وبالتالي الفضائل الأربع، وليس للبدن على هذا الاعتبار إلا مظهر آليته ، فالنفس مديرة والبدن لها آلة .

أما جمهرة من الرواقيين فتذهب إلى أن السعادة والخير يصدران عن النفس والبدن معا . فاذا صدر الخير عن النفس دون تقدير لكفة البدن فانما يصدر ناقصا بالقياس إلى ما تتعاون النفس والبدن مجتمعين في صونه وإبرازه .

يأتى بعد ذلك أرسطاليس فينحو نحواً آخر وهو أن السعادة والخير متخالفان، ثم إن السعادة بعد ذلك مقولة بالتشكيك فهى معروضة للمقولات العشر

ومعلوم أن المحققين من الفلاسفة يحقرون شأن البخت والاتفاق وكل ما هو منقطع الصلة بترتيب الفكر وأعمال الروية ، ولا يؤهلون أصحاب هذه الاتفاقات وحملة تلك المصادفات لاسم السعادة . فالسعادة في أوضاعهم أمر قار غير زائل ، بل هم فوق ذلك يعتبرون كل مايصل الانسان من غير طريق التدبير والروية ومن غير أن يجرى على سنن له مقدماته ونتائجه ضرباً من ضروب البخت فهو قابل عندهم للبقاء والزوال والزيادة والنقص والتعديل والتجريح والصحة والفساد والرفعة والخفض وكل الأشياء ونقائضها؛ وتابعهم في ذلك كثير من متأخرى الفلاسفة أخذا بنظرية صادقة عندهم وهي : من قدمه الاتفاق فقد أخره الاستحقاق . وهنا وقع خلاف ذو شأن بين قدماء الفلاسفة ومتأخريهم فيذهب فيثاغورث وأفلاطون وبقراط إلى أن السعادة العظمى لا تتحقق للانسان إلا بعد أن تخلع البدن وما يلابسه من غاشيات الطبيعة ، تطبيقاً لمذهبهم القائل بأن السعادة لا تحصل إلا في قوى النفس الناطقة . من أجل ذلك أطلقوا على الانسان

أنه جوهر النفس الناطقة دون البدن، فحكموا بأن البدن ما دام سياجاً لها وقفصاً لا يوائها ، وما دام يخلع عليها غاشيات الطبيعة وأكدارها ولوثاتها وعلائقها فليست تلك النفس بسعيدة السعادة المطلقة الموموقة ؛ ومبعث ذلك الرأى عندهم أن النفس الناطقة لا تستوحى الكمال الذاتى والعقل النورانى ما دامت متصلة بتلك الهيولى التى تحجب عنها العلوم والمعارف الكلية ، إلا إذا فارقت ظلمة الهيولى ولوثة تلك الكدورة، وحينئذ تفارق الجهالات المتنوعة فتصفو وتخلص من ربقة البدن فتكتب لها الاضاءة ويواجهها النور الالهى . ويترتب على رأى هؤلاء بادى ذى بدء أن الانسان لا يظفر بالفوز الأكبر والسعادة العليا إلا فى حياة الجزاء بعد موته

لكن تأتى بعد ذلك جماعة أخرى من الفلاسفة المتأخرين وأرسطاليس منهم فى الطليعة ، فتذهب إلى أن من الشناعة والعبث وتجاهل الواقع أن ينعت الانسان الذى يعمل الأعمال الصالحة ويمتنق الآراء الصحيحة ، ويجد فى تحصيل الفضائل لنفسه أولا ثم لأبناء جنسه ثانياً ، فينشئ صروحاً من الخير متنوعة، ويقيم أعماله وما يصدر عنه من الآثار على محبة القلوب وكسب ألسنة الناس فى سبيل إعلاء معالم الفضيلة والحق والنصفة وتحقيق معنى العدالة فى أنبل مثلها ـ بأنه شقى فى حياته الأولى وأنه لا يعتبر سعيداً إلا إذا فارقها وخرج من طبيعتها وملابساتها

فالسعادة فى رأى أرسطاليس ومتابعيه تتحقق فى الحياة الأولى تطبيقاً لنظرية اشتهرت بينهم ، وهى : أن الانسان عندهم مركب من بدن ونفس، ولذلك يحدون الانسان بالناطق المائت أو بالناطق الضاحك أو ما إلى ذلك ، وفرعوا على هذه النظرية أن السعادة تحدث للانسان إذا جد فى طلبها وسلك إليها الوسائل المؤدية إليها . غير أن أرسطاليس حين رأى أن السعادة قد أشكل فهمها على الناس واضطربت فيها آراء العلماء والفلاسفة ، عقد لها فى كتابه المسمى « بفضائل النفس » فصلا طويل الذيل ضافى التفاريع حافلا بالحجج والآراء ، فقال فى فاتحة هذا الفصل مع تصرف فى المبنى واحتفاظ بالمعنى : « من البين أن الفقير فى هذه الحياة يرى سعادته فى الغنى واليسار، وأن المريض يراها فى الصحة والسلامة، وأن الذليل يتمثلها فى الجاه والعزة والسلطان، وأن الخليع يلمسها فى التمكن من الشهوات المختلفة، وأن النبيل الفاضل الكريم ينشدها فى تعميم مناحى الخير وإفاضتها على مستحقيها ، والحد من طغيان ذلك الخير حتى لا يشمل غير مستحقيه » ويتحققها الفيلسوف المستقصى لحقائق الأشياء والمستتبع لملابسات القواميس الكونية فى أنها إذ تكون مرتبة بحسب تنسيط العقل لها على معنى أن يلاحظ فيها وقتها الذى يجب أن تقع فيه وكما يجب أن تكون وعند من يجدر فهى سعادات متنوعة، فما كان منها يراد لشىء يناسبه فذلك الشىء أجدر أن يطلق عليه اسم السعادة

ثم كشف بعد ذلك أرسطاليس عن رأيه فى بسط وإبانة ، فقال مع تصرف فى مبناه والاحتفاظ بمعناه : قلما يتاح للانسان أن يفعل الأفعال الشريفة المرضية دون مادة تقوم عليها كاتساع اليد وكثرة الأعوان وجودة البخت ، ويتضح ذلك جلياً فى صناعة المُلك والرياسات المختلفة حيث لا يواتيهم توطيد لأركان هذه الزعامة إلا مقترناً بالشرائط المبنية على أن هناك نوعاً من الأعطية هى عطية الله تعالى جده ، فهى السعادة لأنها عطية منه عز اسمه وموهبة فى أشرف منازل الخير وأعلى مراتبه ، وتلك الوهبة خاصة من خواص الانسان الكامل فلا يشاركه فيها من ليست إنسانيته تامة كالصبيان وما يجرى مجراه

وتلك النظرية تقوم على نظرية أخرى عند أرسطاليس فهو يرى أن السعادة تعتبر كذلك بالاضافة إلى صاحبها فهى كماله، فالسعادة على هذا الوضع خير ما ، وقد تكون سعادة الانسان غير سعادة الفرس وما إليه ، فسعادة كل شىء فى تمامه وكماله الذى يلائمه ، وهنا يفرق بين الخير والسعادة فيرى أن الخير من حيث أنه مقصود للناس جميعاً بالشوق إليه والعمل على تحصيله طبيعة تقصد ، وله مفهوم عام يدل عليه وهو الخير المطلق للناس من حيث أنهم كذلك . فالناس أجمعون محاصون فيه . لكن السعادة شىء آخر غير الخير عنده ، فهى خير ما لواحد من الناس، وهى بالاضافة ليست لها ذات معينة ، وهى تختلف بالاضافة إلى قاصديها اختلافاً يرجع إلى مؤهلاتهم وما ركب فيهم من فطر وممدات، ومن أجل ذلك يكون الخير المطلق غير مختلف فيه. وقد يظن بالسعادة أن تقع لغير الناطقين، لكن ليس على نحو من أنحاء الناطقين فانها إذا وقعت فانما هى استمدادات فيها بقبول كمالاتها اللائقة لها من غير روية ولا تدبير ، وهى بمنزلة الشوق أو ما يجرى مجراه من الناطقين بالارادة

فما يقع للحيوانات فى مآ كلها واستجمامها لا يمكن أن يسمى سعادة بل الوضع الصحيح له أن يسمى بختاً أو اتفاقاً ، وجلى أن العقل بفطرته قد جعل للسعى والحركة والارادة المكتسبة للانسان حداً تنتهى إليه ، فذلك كان من المعقول أن يوجد خير مطلق

لا تأباه طبيعة هذا الوجود ولا يوجد بين الناس خلاف عليه ، فالهمم والصناعات والتدابير الاختيارية الجدية مثلا ، كلها يقصد بها خير ما لوجه الانسانية على الأقل ولا يرتاب أحد في أنها كذلك وأنها تثمر ثمرتها المرجوة لها ، فكل تصرف لا يقصد به خير ما كان عبثاً والعقل يحظره ويأباه.

فيكون الخير المطلق مقصوداً إليه من الناس أجمعين ، لكن بقى بعد ذلك أن يعلم ما هو ذلك الخير المطلق ، وما الغاية القصوى منه التى هى غاية أنواعه وأعلى مراتبه ؟ وذلك ما سنعالج تبيانه بعد . غير أن أرسططاليس قسم الخير تقسيما مفصلا ونوعه تنويعاً يكشف عنه كثيراً من الابهام الذى وقعت فيه جمهرة من متقدمى الفلاسفة فهى ترى أن الخير أنواع وفصول ، فمنه ما هو شريف ومنه ماهو ممدوح ومنه ماهو بالقوة ، فالشريف منها ما كان شرفه مشتقاً من ذاته بحيث يخلع الشرف على من قام به وهو الحكمة والعقل ، والممدوح منها كالفضائل والأفعال الجميلة الارادية . أما ما كان بالقوة فكالتهيؤ والاستعداد لقبول الأشياء التى تكون نوعاً من هذه الأنواع ، ومن الخير ما هو غاية ، ومنه ما ليس كذلك ، ومن الغاية ما هو تام ، ومنها ما ليس كذلك ؛ فما هو تام كالسعادة ، لأن من بلغ إليها كان فى غناء عن أن يكون له وراءها مطمع في مزيد ، وما هو غير تام كالصحة واليسار ، فان من واتته الصحة وواتاه اليسار لم يكن له عن طلب المزيد غناء ، بل ربما كانت الصحة أو اليسار من أقوى الحوافز له على طلب المزيد . أما الذى ليس بغاية منه فكالعلاج والتعلم والرياضة والعمارة والزراعة وما إلي ذلك . وجملة القول فى الخير على ما حققه أرسططاليس وحكاه عنه فرفوريوس أن من أنواع الخير ما هو خير على الاطلاق وما هو خير عند الضرورة . ومنها ما هو خير ولكن ليس من طريق له مقدماته ووسائله كالاتفاقات التى تتفق لبعض المجدودين من الناس ، وأيضاً منها ما هو خير لجميع الناس ومن جميع الوجوه وفي جميع الأوقات . ومنها ما ليس بخير لجميع الناس ولا من جميع الوجوه (وبالتالى) منها ماهو فى الجوهر ومنها ماهو فى الحكم ، ومنها ما هو فى الكيف ، ومنها ماهو فى الأين ، ومنها ماهو فى المضاف ، ومنها ماهو فى الخير . وعلى الجملة فالخير يعرض للمقولات العشر التى يعبر عنها الفلاسفة الأقدمون بأنها الأجناس العالية التى ليس فوقها جنس بل هى أعلى الأجناس جميعا فهى تحمل عليه حملا اصطلاحيا إخباريا . وقد أفاض ارسططاليس إفاضة مبسوطة فى تبيان هذه الأجناس العالية ، وعروض الخير لها دلالة منه على أن مناحى الخير غير محدودة ، وأن نعمة الله التى أسبغها على عباده أوسع من أن تضيق بها تلك الرقعة السوداء بل إن آثار الله وآلاءه مبثوثة فى كل جزء من أجزاء الكائنات ، حتى يبقى البرهان القاطع قائما على شيوع الآيات الباهرة فى سائر مناحى تلك المجموعة الشمسية

وفى كل شيء له آية   تدل على أنه الواحد

وقد سلك ارسططاليس فى ذلك مسلكا يخالف مسلك المتقدمين من الفلاسفة كأفلاطون وبقراط ومن إليهما — فالمفهوم من تفاصيل مذهبه فى النفس الناطقة وفى الخير والسعادة التى تنفعل بها قوى النفس جلى ، بل إن الخير شيء غير السعادة وأنه شائع بأجزائه فى كل مناحى الوجود حتى سرى الخير إلى سائر المقولات سريانه إليها دليلا على ذيوعه وانتفاع الناس به . فالخير فى الجوهر وهو ما ليس بعرض يمثل له ارسططاليس بالحق تعالى جده ، فهو الخير الأول على حد تعبيره ، فان جميع الأشياء تتحرق بالشوق إليه ولأنه يفيض السرمدية والبقاء على الخير الذى كتب له الخلود وعلى الآلاء اللانهائية ، وعلى كل مالا يطرأ عليه الفناء من أجزاء العالم الثانى الذى يعبر عنه المتقدمون من المتكلمين بعالم الجزاء . وفى الكم يمثل له بالعدد والمقدار المتعدلين ، ويمثل للكيف باللذائذ وألوان المتاع ، ويمثل لمقولة الاضافة بالصدقات والرياسات التى تنبعث عنها صلاحية تنطوى على خير الانسانية فى أكمل حدودها ، ويمثل لمقولة الأين بالمكان المتعدل فى ابعاده وأجوائه ومحيطاته وبالزمان الأنيق البهيج المتفتح الأكمام عن المرح والسرور . ويمثل لمقولة الوضع بالقعود والاضطجاع وسائر المشاهدات المؤثرة ، ويمثل للمقل برواج الأمر ونفاذ الكلمة وسمة السلطان . وعلى الجملة فأنواع الخير عنده منها ما هو من قبيل المحسات ومنها ماهو من قبيل المعقولات . ولعل الأستاذ أحمد أمين ، وقد أذاع على متن الأثير محاضرتين فى السعادة والشقاء ، يعود فيصحح بعض نظرياته التى طالع بها سامعيه . ولعل الأستاذ الشيخ أمين الخولى ، وقد أذاع هو الآخر على متن الهواء محاضرتين أو ثلاثا لا أدرى فى الحياة المثالية والحياة البدائية وما يتصل بهما من قوى النفس الناطقة ، يعود هو الآخر فيصحح بعض نظرياته ليرضى الحق وهيبة العلم فى صميمه من جهة ، ثم ليرضى فى الأقل سامعيه من جهة أخرى ، وموعدنا بالكشف عن ذلك كله سوانح مقبلة

عباس لمه

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنـــــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هـذا العصامي العظيم ...

— ٢٢ —

جلس أبراهام ينتظر رد سيوارد بصبر فارغ وفؤاد قلق ، فانه ليعجب كيف يقف منه صاحبه مثل هذا الموقف ؛ على أنه لن يحجم عن مواجهة العاصفة وحده مهما بلغ من شدتها ، وإن كان ليود بينه وبين نفسه أن يكون سيوارد إلى جانبه فى تلك الشدة التى تطيش فى مثلها أحلام الرجال وإن كانت تزن الجبال... يود أن يستعين بصاحبه فهو واثق من كفايته مطمئن إلى إخلاصه

وما بال الرئيس تزداد سحابة الهم كدرة على محياه حتى ليبدو للأعين كمن أخذته غاشية من حزن أليم ؟ ما باله طويل الاطراق كثير الصمت ، لا يستمع إلى حديث زوجه إلا قليلاً ولا يشاطرها جذلها ومرحها ولا يشاركها ما دب فى قلبها من الزهو بما باتا يتقلبان فيه من نعمة ويحظيان به من جاه ... ؟

إنما يكرب الرئيس ما آلت إليه حال بلاده ، فما به خوف أو تردد وما هو عن البذل بضنين ؛ وإنه ليحزنه أن يكون بنو قومه بعضهم لبعض عدوٌّ فى غير موجب لذلك وهم عن الحق فى عماية من تبلبل أفكارهم وتسلط العناد على نفوسهم ، وما له إلى هديهم بالتى هى أحسن حيلة

ورضى سيوارد آخر الأمر أن يعمل مع أبراهام ، وكان سيوارد قليل الثقة بكفاية صاحبه الارادية لأنه لم يسبق له أن شغل منصباً إدارياً قبل هذا المنصب الخطير ، ولذلك كان يطمع سيوارد أن تكون فى يده السلطة الفعلية وتكون للرئيس الرياسة فحسب ؛ وبهذه الروح بدأ العمل مع صاحبه ...

واختار لنكولن رجالاً للحكومة كون منهم مجلسه ومن أشهر هؤلاء تشيس ، وكان من أعظمهم كفاية بعد سيوارد ؛ غير أنه لوحظ على الرئيس أن أربعة من رجال مجلسه كانوا منافسين له فى الرياسة مما يخشى معه أن ينسوا الصالح العام من أجل العمل على توطيد مراكزهم توطئة للانتخاب القادم ، ولكن لنكولن رد على هذه المخاوف بما ارتآه من اعتبارات أملاها عليه بعد نظره ، فلكل من هؤلاء شيعة وأعوان ، وكل منهم يمثل ولاية من الولايات الشمالية ؛ هذا إلى ما يعلمه من كفايتهم ، وإنه ليركن إليهم مطمئناً إلى وطنيتهم قائلا إن الوقت عصيب فما يظن أن أحداً تحدثه نفسه أن يعمل لصالحه الشخصى فى ظروف كتلك الظروف ...

ولما جلس لنكولن معهم حول المنضدة عرف كيف يؤلف بين قلوبهم وكيف يحملهم على احترامه ثم محبته ثم الاذعان له والتسليم بالتفوق . ولقد باتوا جميعاً يعجبون كيف يدير الأمور كما يلمسون رجل لم يعهد إليه مثل هذا العمل من قبل ، ولولا أنهم يعرفونه جيماً لما صدقوا أن هذه هى أول مرة يضطلع فيها بمثل هذا العمل

رأوه يخفض لهم جناحه ويبسط لهم مودته ويوسع صدره ؛ يستمع لآرائهم جميعاً ولا يتكلم حتى ينتهوا ؛ فاذا أعجبه رأى قبله مغتبطاً ، وإذا خالف أحداً فى رأيه أظهر له فى دماثة سبب مخالفته مع شدة الحرص على احترام شخصية من يخالفه وإظهار الاستعداد للاقتناع إذا استطاع محدثه أن يزيده إيضاحاً أو يسوق له الجديد من الحجج

وعرفوا من كثب خلاله فأعجبوا بأدبه وعذوبة روحه ونقاء سريرته وطيب قلبه ؛ ولمسوا شجاعته فى الحق ، وأنسوا نكرانه لذاته ونسيانه كل شىء عدا رسالته التى يستمد منهم العون فى أدائها ... وبلوا بأنفسهم صبره فى الشدائد وعزيمته إذا همّ بأمر اقتنع بصوابه ؛ وتبينوا حصافته وأناته وبعد نظره ، وبهرهم فوق هذا ذهنه الصفى ومنطقه المستقيم وفصاحته وفطنته ، تلك الخلال التى جملته أقدر الناس فيهم على أن يفصح عن آرائه لمن إليه ، وأن يتبين ما يأخذ مما يدع فى كل ما يعرض له من الأمور مهما تعقدت والتوت على غيره الأمور ...

ولقد عد كثير من المؤرخين إدارة لنكولن مجلسه على هذه الصورة مظهراً قوياً من مظاهر عظمته ، وناحية متينة من نواحى نجاحه ، وسلكوه بها فى ثبت كبار الساسة فى تاريخ الأمم ، ولا عجب فانه ليندر أن نجد فى سجل الأيام مجلساً حكومياً شعر أعضاؤه من معانى الاحترام والمحبة بمثل ما شعر به أعضاء هـذا

المجلس نحو رئيسهم ... لا يستثنى منهم أحد ، حتى سيوارد الذى كان يدل أول الأمر بتجاربه ودرايته بأساليب الحكم والسياسة ، ما لبث أن اعترف فى نبل وكرامة نفس أن رئيسه أقدر منه وأجدر بذلك المنصب ...

وكان أول ما تلقاه الرئيس من البريد فى صباح اليوم الثانى لتسلمه العمل خطاباً من الجنرال أندرسون فى حصن سمتر ينبئه فيه أنه ما لم يصل مدد إلى الحصن فانه لا يقوى على الدفاع عنه أكثر من أسبوع ... وكان أهل الجنوب وأهل الشمال على اتفاق ألا يهاجم أنصار الانسحاب من الاتحاد الحصن إلا إذا رأوا من أهل الشمال ما يبرر ذلك ... وماذا عسى أن يفعل الرئيس إذن؟ أيترك حامية الحصن بلا مدد أم يرسل المدد فيتحدى بذلك أهل الجنوب؟ إن عليه أن يختار بين أمرين أحلاهما مرّ لذلك أخذ الرئيس يتدبر له بجد مخرجا ، وهو على عادته طويل الأناة لا يخطو خطوة قبل أن يحسب لكل أمر حسابا ، ولكن سيوارد يضيق ذرعا بهذه الأناة وينصح للرئيس أن يأمر بأخلاء الحصن، وكذلك يشير عليه سكوت رأس جنده ؛ وهو لا يرى ما يريان فالمسألة دقيقة شائكة . أوليس التخلى عن الحصن معناه الاعتراف ضمنا لأهل الجنوب بصواب دعوتهم إلى الانسحاب؟ ثم أليس فى ذلك خروج على ما أعلن الرئيس فى خطبة الاحتفال؟ وهو ان أرسل المدد إلى الحصن ألا يعتبر عمله هذا تحديا للثائرين فيكون بذلك هو الذى خطا أول خطوة نحو الحرب، الأمر الذى يحرص أشد الحرص أن يتجنبه؟ ... إذن فلا بد من الروية والتدبر والصبر . . .

وجاء رجلان من الجنوب إلى العاصمة الشمالية كممثلين لدولة أجنبية يطلبان أن يفاوضا لنكولن على هـذا الأساس ، ولكنه رفض أن يلقاهما ولم يفعل أكثر من أن يرسل إلى كل منهما نسخة من خطبته .. وبقى الرجلان فى العاصمة يجمعان الأنباء ويرسلانها إلى أهل الجنوب ...

والصحف تهيب بالرئيس أن يأتى عملا إيجابيا ولكنه صامت يفكر .. والرأى العام يغلى كالرجل حتى لقد أطلق الناس ألسنتهم فيه بالسوء من القول ، فالرئيس غِرٌ جبان ، متورط لا رأي له ولا بصيرة ولا حزم ... وتفرق الناس فى الشمال شيعا فمنهم من يرى وجوب الحرب، ومنهم من لا يرضى إلا المسالمة والاتفاق، ومنهم من يتذمر ويتبرم ولكنه لا يرى شيئا ولا يحس غير القلق والخوف، والرئيس لا يجيب إلا بقوله «إذا أخلى أندرسون حصن سمتر فسيكون على أنا أن أخلى البيت الأبيض» ...

ويهتدى ابن الأحراج بعد طول روية إلى رأى فيه دليل قوى على حنكته السياسية حتى لكأنه مارس السياسة طول حياته، ذلك أنه يزمع أن يرسل القوت ليس غير إلى الحصن، وحجته أن ذلك عمل إنساني لا عدوان فيه ، فاذا قبل الثائرون هذا حلت المشكلة ؛ أما إذا قابلوا ذلك بالقوة فعليهم إثم ما يفعلون، فهم بذلك يكونون بادئى العدوان ومشعلى نار الحرب . . . ولأهل الشمال بعد ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم العدوان إن كانت فى نفوسهم حمية وفى رؤوسهم نخوة الرجال ...

وتسير السفن محملة بالقوت ، بعد أن يرسل الرئيس نبأ عنها إلى قائد الثوار حول الحصن ، ولكن القائد لا يكاد يبصر السفن من بعد ، حتى يطلق النار على الحصن فيسقط علم الاتحاد وتنسحب الحامية بعد دفاع مجيد ...

ويثب أهل الشمال للنبأ وثبة واحـدة فلا خلاف بينهم بعد ذلك ولا تنازع ، وما فيهم إلا من يريد الدفاع عن الاتحاد ورد الأهانة التى لحقت بالعلم الذى طالما خفق على رأس وشنجطون وجنوده البواسل غداة حرب الاستقلال ...

وما حدث فى تاريخ العالم من قبل أن تحمس شعب إلى الدعوة للجهاد كما تحمس أهل الشمال يومئذ ؛ فلقد كان الشيوخ قبل الشباب يريدون خوض غمار الحرب، ولم يتخلف النساء ولم يقعدن عن شحذ العزائم واستنهاض الهمم وإن لم تكن هناك حاجة إلى سعيهن ... أما الشباب البواسل فقد استحبوا الموت على الحياة فساروا مغتبطين يطرحون نفوسهم تحت المنايا كأنما يسيرون إلى نزهة لا إلى مثل عذاب الجحيم ...

وهكذا تقع الحرب بين نصفى شعب واحد . ولقد كان الرئيس أكثر الناس فى الشعب جميعا تألما ، وكان قلبه الانساني الكبير يكاد يتفطر ، ولكن ما الحيلة وهو يرى بناء الاتحاد أمام عينيه ينهار حجرا بعد حجر؟

وحسبك دليلا على حماسة أهل الشمال أن الرئيس عند ما أهاب بالولايات أن ترسل إليه خمسة وسبعين ألفا من المتطوعين ، هرع إليه أكثر من تسعين ألفاً ، وبعد شهرين وصل المدد إلى أكثر من ثلثمائة ألف من البواسل الأمجاد

وكان الموقف قبل وصول المتطوعين إلى العاصمة أشد ما يكون

هولاً وخطراً ... فلم يكن لدى لنكولن سوى ثلاثة آلاف، ولن يستطيع هؤلاء الدفاع عن العاصمة مهما كان من استماتتهم وشجاعتهم ؛ لذلك سرى الخوف فى المدينة وأيقن أهلوها أنها واقعة فى أيدى الأعداء لا محالة

والرئيس ينتظر قدوم المتطوعين لانقاذ المدينة من الخطر المحدق بها ؛ ذلك الخطر الذى تشتد وطأته تبعاً لمسلك الولايات المحايدة وعلى الأخص فرجينيا ؛ إذ كانت تلك الولايات تقف من النزاع موقفاً مبهماً ظن من أجلها أنها تلتزم الحيدة وإن كانت فى الواقع تنزع إلى أهل الجنوب ؛ وكانت فرجينيا أقربها موقعاً من وشنجطون لا يفصلها عنها إلا نهر ضيق. وسرعان ما أعلنت فرجينيا انضمامها إلى الاتحاد الجنوبى فبات العدو بذلك على أبواب عاصمة أهل الشمال ، بل لقد كان البيت الأبيض على مرأى من الجند ؛ لذلك شاع فى الناس أن الجند سيعبرون النهر عما قريب فيستولون على مركز الحكومة ويسوقون لنكولن ومجلسه أسرى بين أيديهم ...

وتزايد القلق وعظم الهول واشتد بالناس الكرب ، والرئيس يسأل عن المتطوعين فلا يجد جواباً شافياً من أحد ، حتى يصل إلى العاصمة قطار يهرول الناس على صوت صفيره إلى المحطة فتقع أعينهم على أول فرقة من فرق المتطوعين وهى فرقة نيويورك ، وتعظم حماسة الجميع فيتصايحون ويرددون الأناشيد

ويظل الرئيس يبحث عن القائد الذى يوكل إليه أمر هذه الحرب فلا يجد غير رجل يدعى (لى) ، وكان يومئذ غائباً فى فرجينيا وهو خير من يضطلع بهذا العبء ، ولكن (لى) يرفض أن يأخذ قيادة الجيش ، فيجزع لنكولن لهذا الرفض ويكتئب

وبينما هو يبحث عن قائد غيره ينذره أهل بلتيمور ، وهم الذين تآمروا من قبل على قتله ، أنهم لا يسمحون بمرور جند فى ولايتهم لأنهم محايدون ... وينقضون بعد ذلك على فرقة قادمة من مساشوست ، كانت من أقوى الفرق وأعظمها نظاماً ، فيقتلون عدداً منها ويجرحون عدداً ، ويحمل الجرحى على محفات إلى وشنجطون ، فتلهب جراحهم حماسة القوم وتستثير حميتهم وتزيد بأسهم ...

ولم يكتف الثوار فى بلتيمور بما فعلوا فحطموا الجسور التى تصلهم بالشمال والغرب ، وعطلوا الخطوط الحديدية المؤدية إلى وشنجطون ... ولكن أحد القواد الشجعان الموالين للرئيس لنكولن خرج من وشنجطون على رأس عدد من المتطوعين وبلغت المدينة ليلاً وقبض على كثير من الثوار وقتل نفراً منهم ففت ذلك فى عضدهم ، وأعلنت ولاية مارى لند بعد أن خضعت عاصمتها على هذا النحو انضمامها صراحة إلى الاتحاد ، وكانت هذه الخطوة من جانب أهل الشمال أولى خطواتهم الموفقة

وأعلن الرئيس لنكولن الحصار البحري على موانى الاتحاد الجنوبى ليقطع الصلة بينها وبين العالم ، ثم أهاب بالولايات الخاضعة له أن تمده بمدد جديد من المتطوعين ، فما لبثت أن أمدته بما طلب ، حتى لقد غصت وشنجطون بهؤلاء المتبسلين الذين أراد لنكولن أن يستعيض بحماستهم عما يعوزهم من التدريب والنظام

وفى تلك الأيام العصيبة نرى دوجلاس خصم لنكولن القديم يسعى إلى البيت الأبيض ويقابل الرئيس ويفضى إليه بإعجابه بما انتهج من خطة ، ويعده أن يظل إلى جانبه خادما لقضية الاتحاد وتتوثق عرى المودة بين الرجلين ، ويستأذن الرئيس صديقه الجديد أن يذيع فى الناس هذا النبأ ، فيأذن دوجلاس مغتبطا بعد أن يقرأ ما أعد للنشر ؛ ويقابل الديمقراطيون وغيرهم هذا النبأ بالابتهاج ، ويشعرون بقوة جديدة يظفر بها أهل الشمال

ولا ينى دوجلاس يدافع عن الرئيس وسياسته يخطب الناس فى المدن يستحثهم إلى البذل والتضحية ؛ ولا يفتأ يضع بين يدى الرئيس من نصحه ومشورته ما يحرص الرئيس على الانتفاع به . ولكن يد الموت لا تمهل دوجلاس أكثر من شهرين فيلاقى حتفه ، ويتلقى لنكولن نبأ الفجيعة فيذرف الدمع السخين ويشتد به الغم حتى يرمض فؤاده ...

ولقد امتدت يد الموت قبل دوجلاس إلى شاب مجاهد كان أول أمره يعمل فى مكتب لنكولن أيام كان يحترف المحاماة ؛ ولقد أعجب لنكولن بذكاء هذا الشاب وملك قلبه شدة محبته له ، فلما سار إلى العاصمة سار معه ؛ ولما تحرجت الأمور ، برز هذا الشاب الباسل الذكى يجمع الفرق ويدربها ويعدها للنضال ... إلى أن كان ذات يوم فأرسله لنكولن إلى ضفة النهر المواجهة للعاصمة ليحتل المرتفعات هناك ...

ثم ان هذا الشاب الذى يدعى الزورت ذهب على رأس جنده فاحتل الأماكن المبنية ؛ وهناك بصر بعلم من أعلام الثوار يخفق

دمعـــة

لشاعر الحب والجمال لامرتين

للاديب عارف قياسه

فلنقطف الورود فى غدوة حياتنا ، ولنجن الرياحين فى بكرة أعمارنا ، ولنتنسم على الأقل أريج أزهار الربيع الخاطف ، ولنغمس قلبينا فى فيض اللذة النقية الطاهرة ، وليكن هوانا يا حبيبتاه بحراً مسجوراً لا حد لسمته

* * *

حين يبصر الربان زورقه الهش يتراقص فوق أعراف الموج الثائر ، ويرجحن على غارب الآذى الغضبان ، يكاد يزدرده اليم المائج ، يرجع ببصره إلى الشطآن التى نأى عنها ، ويأسف على ما ذاق فيها من متع ، وما رأت عيناه من مباهج وفتون

* * *

واحسرتاه ! لشد ما يرغب فى أن ينفق أيامه الداجية فى مثوى آبائه وأجداده — غنياً عن فراق وطنه وآلهته — آمن السرب ، ناعم الخاطر ، لا يشمخ المجد بأنفه ، قرب آثار عزيزة عليه ، أثيرة لديه ، لا يبارح طيفها خاطره ، ولا يفارق خيالها ذهنه ولا مشاعره

* * *

كذلك الرجل الذى تقوس ظهره تحت أعباء السنين ، وآصار الأعوام ، يبكى ربيعه البهيج الزاهى — وقد ذهب إلى غير معاد ، مَرِه العين ، كليم الفؤاد ، ويهتف :

« ردى على يا آلهتى الرحيمة تلك السويعات المضمخة باللذة والنعيم ، فقد أنسيت أن أرشف رحيقها فى حينه ! »

ولكن المنية وحدها هى التى أجابته ، وتلك الآلهة لم تصخ لرجائه ، ولم ترق لبكائه ، وإنما حدته إلى الرمس حدواً ، وزجته فى غياهبه زجاً ، دون أن تأذن له فى أن ينحنى فيلتقط تلك الأزاهير التى لم يتح له أن يجنيها ، فيستروح عَرفها وشذاها ، ويفعم أنفه بعبقها ورياها

* * *

فلنتساق يا حبيبتاه أكؤس الهوى مترعة دهاقاً

ولنضحك ملء أفواهنا من الهموم التى تساور نفوس الأحياء ، وتخامر قلوب الأشقياء !

ولنرث لأولئك الذين أفنوا شطر أعمارهم ، سعياً وراء حطام الدنيا الكاذب ، وهبائها المغرور

* * *

لنعزف عن صلف أولئك الفارغ ، ولنصدف عن ادعائهم الأجوف ، ولندع الأمل المريض لمعلى الانسانية ، يتملون به ويتفكهون ، ولنسارع نحن إلى احتساء كأس عمرنا حتى ثمالتها ، ما امتطت تلك الكأس أكفنا

* * *

وسواء علينا أزانت مفارقنا تيجان الغار ، ونقشت أسماؤنا فى سجل (بلّون[1]) الصلفة الراعف ، على الرمس أو القلز

أم توج الحب جباهنا المتواضعة بزهرات بسيطة جناها الجمال ، فاننا جميعاً فى يم واحد طاوون ، وعلى شاطئ واحد لمتحطمون

* * *

أليس سواء لدى المسافر الفريد ، ساعة الغَرَق : أكان راكباً فى سفينة شامخة شماء ، تشق بحيزومها عباب الماء ، تجاهد الزعازع وتصارع الأنواء ، أم كان ممتطياً زورقاً خفيفاً تلعب به الأمواج ، يلامس الساحل ، ولا يجسر أن ينأى عنه ؟

حماة (سوريا) عارف قياسه

(1) Bellone إلهة الحرب عند الاغريق

على جدار فندق فى مدينة صغيرة تسمى الأسكندرية فتسلق الحائط فى بسالة عجيبة وانتزع العلم من موضعه ، وبينما هو نازل من أعلى الجدار إذ أصابته رصاصة فانكب على وجهه ، وتدفق الدم من قلبه على هذا العلم ، فكانت ميتته هذه ميتة بطل ، تركت فى نفوس أصحابه مالا يتركه النصر فى معركة حامية ... ولا تسل عما أصاب ارثيس يومئذ من هم وحسرة ... لقد حزن على هذا البطل كما كان يحزن لو أن الميت كان وحيده ؛ وجاءت بعده منية دوجلاس فكانت الميتتان فاتحة الكوارث فى هذا النضال المظيم ...

« يتبع » الخفيف

حول قصة حاجى بابا فى انكلترا

كما يرانا غيرنا

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أشارت الرسالة فى عددها الأخير إلى ما يخشاه بعض إخواننا الايرانيين من اللبس بين إيران كما هي اليوم فى مدنيتها الزاهرة وبينها كما وصفها مؤلف قصة حاجى بابا فى انكلترا، تلك القصة التى ترجمتها وتفضلت مجلة الرواية فنشرتها في بعض أعدادها الأخيرة

ولقد ذكر الأستاذ صاحب الرسالة أن مؤلفها نشرها فى سنة ١٨٢٢ ووصف بها إيران كما كانت فى عهده غير متجن على الشرق كله، فما كان الوصف إذ ذاك قاصراً على دولة دون دولة من الشرق الاسلامى

وما من شك فى أن هذا الجواب السديد جدير بأن يزيل كل لبس من هذه الناحية ؛ وقد عنّ لى أن واجباً علىّ بيان السبب فى ترجمتى هذه الرواية لازالة لبس آخر أخشاه من ناحية الاختيار، فأتقدم إلى قراء الرسالة وهم ممثلو كل الأمم الشرقية الاسلامية بأن جهدى فى الترجمة لم يقتصر على تلك القصة، ولكننى ترجمت نحو الخمسين رواية معظمها عن الشرق وفيها عن مصر وعن العرب ، وفيما ترجمته عن مصر وعن العرب نقد أشد مما احتوته قصة حاجى بابا ، فاختيارى قائم على الرغبة فى إطلاع الشرقيين وهم جميعاً إخوانى على ما يكتب عنهم بلغة اعتدت القراءة بها ليعرفوا رأى الغير فينا . ولا أرانى أقل غيرة على دولة شرقية منى على دولة أخرى ، فان الدم الذي يجرى فى عروقنا نحن الشرقيين دم مشترك . لا بل أجد الفرصة مناسبة لأطرح على القراء رأياً لى فى اختيار الكتب للترجمة :

للمستشرقين جهود غير منكورة ولهم أغلاط شنيعة . وكتبهم مقروءة باللغات الأوربية بين من يثقون بهم ويجلونهم ويعدونهم حجة . وكتب هؤلاء المستشرقين وتلاميذهم تعد بالمئات وكتب الذين يهجون نهجهم ممن لا يساوونهم فى المعرفة أكثر عدداً . ومن بين قرائها شرقيون قد يتأثرون بها ويعجزون عن دفع شرها إن كان — فهل يحسن بهم أن ينقلوها إلى لغاتهم الشرقية ليتولى دفع الشبهات من يستطيع ذلك من أبناء تلك اللغات الذين لا يعرفون لغة أجنبية ، أو الذين يعرفون ولكن لا يقع فى متناول اطلاعهم ذلك النوع من الكتب الممزوج خيرها بشرها ؟

أقول ذلك وأضرب المثل بنفسي ولدىّ بحمد الله من الشجاعة ما يساعدنى على الاعتراف بأنى لا أملك تصحيح أخطاء شنيعة فى كتاب أترجمه الآن عن الانكليزية وعنوانه « الواثق »

فى هذا الكتاب تجن شديد على خليفة من خلفاء المسلمين وافتيات صريح على التاريخ . وقد قرأته فى لغته وقرأه من أبنائها عشرات الألوف فى مدى مائة عام مضت من عهد تأليفه إلى الآن؛ وقرأه باللغات الأخرى عشرات الألوف من أبناء الأمم الأخرى ؛ فهل يرى الأزهرى والدرعمى وخريج مدرسة القضاء الشرعى وغيرهم ممن تخصصوا في دراسة التاريخ الاسلامى أن يظل هذا الكتاب مقروءاً ممن يحسنون لغة أجنبية دون أن تصحح أخطاؤه ، أم يرون أن يترجم لهم وهم أقدر على التصحيح ممن يقرؤون عادة باللغات الأجنبية ؟

أنا لا أقوم بدعاية لكتاب كهذا حين أترجمه ومن السهل علىّ تمزيق مسودانه. ولكن هل يزول أثر الكتاب إن فعلت ذلك أم يظل منتشراً بين الناس فى لغات أخرى يقرؤها الكثير من الشرقيين؟

أما أنا فرأيي أن نعرف رأى الغير فينا فذلك أدنى إلى تصحيحه وما أحوجنى إلى معرفة الحجج التى يدلى بها أنصار التجاهل

عبد اللطيف النشار

بين اللغة والأدب والتاريخ

الفالوذج

للأستاذ محمد شوقي أمين

— ٣ —

صنفه السوق ، هل وضع له اسم عربي ، قول الثعالبي ، نقل السيوطي ، رأى السكندري ، فصيح الألفاظ في معناه

— ٤ —

ولما تألق الفالوذج في دنيا المطاعم ، وازّينت به موائد الأمراء ، تسامع به العامة ، فتحلبت له شفاههم ، وتشوفت إليه شهواتهم ، فراح السوقيون من صنّاع الأطعمة وباعتها يلهوجونه على مايعرفون من صفته ، فيخرجونه مسيخاً مليخاً لاتأنق في طهيه ، ولا استجادة لمادته ، حتى يتسنى لهم أن يبيعوه بالثمن القليل الذى لاتعجز عنه طاقة العامة من رقاق الحال وذوى المسرة . ولم يكن هذا الصنف المبتذل من الفالوذج إلا بهرجة صبغ ، وتضوُّء بريق فافتضح على الأيام زيفه ، وثأرت لأذواقها الألسنة بذمه ، فقيل فى كل من حسنت جهيرته ، ولم تطب سريرته : فالوذج السوق (١) وصارت الكلمة مثلاً سائراً يتناقله الأدباء والشعراء ، ومن أمثلة استعماله قول ابن حجاج ، وهو الشاعر المزاح السليط الذى ترجم (٢) له الثعالبي فأوفى :

أعزز علىّ بأخلاق وُسمتَ بها عند البرية يا فالوذج السوق !

وقد أثبت الميدانى هذا المثل فى أمثال المولدين ، وأضاف إليه توأماً له ، ذلك هو : فالوذج الجسر (٣) . ولا بد أن يكون باعة هذا الصنف الملَهْوَج كانوا يجولون به ، فيعرضونه للعامة فى الطرق الصادرة الواردة . وبَديه أن من أحفلها بالناس : المعْبَر . فهو ملتقى السابلة من الطبقات العاملة ، يغدون على الحاجات ؛ ويروحون بالسلَع . فيبلون لهواتهم بالفالوذج المسموع به ، الشهى مذاقه ، الرائع منظره ، ومن ثم شاع اسم فالوذج الجسر ، إلى جانب فالوذج السوق ، وكانا مثلين لدى المظهر بغير مخبر !

(١) شفاء الغليل (حرف الفاء)
(٢) اليتيمة (الثالث)
(٣) الامثال (الثانى ٣٣)

— ٥ —

أسلفنا القول فى صفة الفالوذج ، على ما استنبطناه مما أنهته إلينا نقول الأدب والطرائف ، وأدرنا الحديث قبل ذلك فى لفظه والوجه فى تعريبه كما تعرفناه فى نصوص المعجمات وما فى حكمها . فبان لنا أن اللغويين مجمعون على أنه معرب ، فهو فى عديد الألفاظ التى اغتنمت العروبة ، وارتفى تجنيسها القُوَّام على الفصاحة

وبقى أن نعرف : هل وضع العرب لهذه الحلواء اسماً فصيحاً غير اسمها الأعجمى ، أو اكتفوا باستعمالهم لهذا الاسم بعد تعريبه وإلحاقه ببنات الضاد ؟!

ساق الثعالبي جملة أسماء تفردت بها الفرس دون العرب ؛ وقال (١) : إن العرب اضطرت إلى تعريبها أو تركها كما هى ، وجمل يعد من هذه الأسماء ، فإذا من بينها الفالوذج . وقد نقل السيوطى (٢) فصل الثعالبي برمته ، ما نعقبه بنقد ، ولا استدرك عليه من شئ . فهل يريدنا ذلك على أن نعتقد أن العرب اكتفوا بالاسم الأعجمى ، ووقفوا عنده ، فلم يضعوا لهذه الحلواء لفظاً تقر به عين الزارين على التعريب مهما تمس إليه الحاجة ، الضانين بالجنسية العربية على الدخيل ، وإن ملك الألسن ، وتراوحت عليه الأحقاب ؟!

إن قول الثعالبي ونقل السيوطى خليقان أن يهيئا للباحث هذه المقيدة ، ويغرياه بها . ولعل ذلك هو الذى مَهَّدَ لعلامة الفقه اللغوى الشيخ أحمد الاسكندري — رضوان الله عليه — أن يقول فيما يستعمل من الألفاظ ومالا يستعمل (٣) : « وإذا سبق أن استعمل لفظ أعجمى زمن العرب كالفالوذج الذى عرف من أيام الرشيد ، فثل هذا فى الواقع لم يكن من تعريب العرب ، بل أطلقه طباخ أعجمى ، وسمعه العرب واستعملوه ؛ فثل هذا إذا وُفِّقنا إلى لفظ عربى سهل له ، استغنينا عنه ، لأن الواضع له فى الحقيقة أعجمى لا عربى ... »

فأما قول العلامة الاسكندرى إن الفالوذج ليس من تعريب العرب ، فهو قول ينفرد به ، ولم أجد من سبقه إليه ، بل لقد أصفق اللغويون على أنه معرب ، وقد جاء فى حديث للنبي صلوات الله

(١) فقه اللغة (٤٥٤) (٢) المزهر (الأول — ١٦٣)
(٣) محاضر المجمع اللغوى (الدورة الثانية — ١٣٩)

عليه(1) ، أضف إلى ذلك أن العلماء القدامى ناقشوا فى تصريفه ، وجادلوا فى تعيين حروفه . ولا يأخذ لغوى نفسه بهذا الصنيع ، إلا إذا كان اللفظ معربا أُفسح له فى البقاء ، فوجب توضيح زيه وشارته التى سيبقى بها فى وطنه الجديد . وإن لزاماً علينا أن نشير إلى أن قول الأسكندرى إنما جاء في عرض حديث شفوى شأنه الإعجال والارتجال ، وهومنقول عنه ، ومنسوب إليه ، لا مكتوب بقلمه ، ومثل هذا لا يؤخذ به صاحبه كما يؤخذ الكاتب راجع ما كتب وحققه على نص ما يريد . والرجاء أن نكون بذلك قد أنصفنا ذكرى رجل نعرف له الفضل والبصارة ، ونطوى له النفس على التجلة والاكبار .

وأما رغبته فى البحث عن لفظ عربى ، يوضع للفالوذج اليوم جديداً من الوضع ، فقد أداه إليها ماعلمه وقدمنا بيانه من قول فقهاء اللغة : إن العرب تركوا الفالوذج على ما هو عليه ، فأفهمه قولهم هذا أنه لم يوضع له فى سالف الزمن لفظ فصيح ؛ ومن ثم وجب عنده أن نعمد إلى البحث والتفتيش حتى نوفق إلى لفظ عربى سهل ، نستغنى به عن الاسم الأعجمى ، كما توضع اليوم المصطلحات الجديدة للأشياء المستحدثة بالطرق المعروفة من نحو المجاز والنقل والاشتقاق .

— ٦ —

ولقد رصدت عينى منذ عهد ممدود لهذا الشأن فيما أرتصدها له من مباحث الفصحى ؛ فتتبعت مواقع الفالوذج فى أشتات الكتب ، وفتشت عن ألفاظه فى أجلاد الألفاظ ، واستقريت منها ماراج لى أن أستقرى ، فتحصل لى من صحاح العربية : اثنا عشر لفظاً ، وضعها العرب ليقوم كل منها مقام الفالوذج الأعجمى . ولم أر من المتحققين باللغة من استوعى هذه الألفاظ ، فلاءم بينها بعد الشتات والفرقة، وسوى بها فصلاً من فصول الفقه اللغوى، على نحو ما يصنع الأئمة فى المعنى يؤدى بغير لفظ فذ، فقد ظلت هذه الألفاظ فى المعجمات اللغوية أباديد ، فجملتها فى هذا المعرض فصلا من نتاج الاستقراء والتلقط جديد ، لم يسبق إليه أحد ، فيمن أجد ، ولا مسه قلم فيما أعلم .

محمد شوقى أمين

« للبحث صلة »

(١) شفاء الغليل (١٦٨)

لمناسبة الرحلة الملكية في الصحراء الغربية

لســـــان الصحراء

في رحلة جـلالة الملك

للمرحوم مصطفى صادق الرافعي

« فى شهر أ كتوبر من سنة ١٩٢٨ قام المغفور له الملك فؤاد برحلة إلى الصحراء الغربية وواحة سيوة، وكان المرحوم الرافعي يومئذ شاعر جلالته وحادى ركابه ؛ فأنشأ هذه القصيدة يتحدث فيها عن الصحراء لمناسبة هذه الرحلة الميمونة

« واليوم — وبعـد عشر سنين كاملة — يقوم جلالة الملك فاروق الأول برحلته إلى الصحراء ليرود المعالم التى رادها من قبل والده العظيم ؛ فلعل فى نشر هـــذه القصيدة لهذه المناسبة ما يقوم بواجب الولاء ويبعث طيب الذكرى »

سعيد العريان

تَسَاءَلَ القفرُ إذ حلّ المليكُ به ... أدار بى موضعى أم حان تجديدى؟

أم بعد زرعى دهوراً لا حصيدَ لها ... من التواريخ، آن اليوم محصودى؟

رَمْلى على الأرض كالدينار من ذهب ... مُلْقًى ضَـــياعاً وموجوداً كمفقود

أم غَيَّرَ اللهُ أيامي فأسـعدنى ... مليكُ مصرَ بيوم منه مسعود ؟

كأن لى زمناً ما كان من زَمَنٍ ... وَلا مَشَى بحسابٍ أو بتعديد

والوقت يخضع للساعات تمسكه ... بكل ثانيـة من غير تبـديد

وساعة القفر قفرٌ ، فالثلاثُ بها ... كالخمس، كالتِّسع، لا معنى لتحديد

أم طُولُ صـبرى على الفِقدان عوّضنى ... بأن يزور قِفارى خـــيرُ موجود ؟

شمسٌ من الله فى صدرى وما كملت ... إلا بشمس من الإنسان فى جيدى

أم ما لقيتُ من الحرمان كافأنى ... بأن يحلّ بأرضى سـيدُّ الجود ؟

مَلْكٌ كأن نباتَ العزّ فى يده ... تجنيه من ذهبٍ أيدى المجاهيد

ويسحر الأرضَ حتى الأرضُ من أُفُق ... ويسحر الوقتَ حتى الوقتُ من عيـد

أم ذاك حُـلمُ الصحارى بالنعيم سَرَى ... وَمَرَّ منطلقاً فى هجعة البيـــد ؟

فى القفر دنيا ورا الدنيا تمرُّ لها ... على مطايا الكرى من عيش تنكيد

إنى كقطعة وحش صُوِّرَتْ بلداً ... أرْضِي سواءٌ وإنسانى وجُلمودى

وَعُودُ آدمَ عُريانٌ بلا ثمر ... وزهرُ حواء محطومٌ بلا عود[1]

فلا بَنِيَّ لهم دنيا تَعُـــدُّ همو ... فيها ، ولا أنا فى الدنيـا بمعدود

لو أنزل الله سقفاً من كواكبه ... لهم ليبْنُوا لما هَمُّوا بتشييـد

لو أمسكوا ظلَّ طير الجوِّ فى قفص ... ما أمسكوا ظِلَّ عُمْرانٍ بمجهود

وفى عريض فجاجي الشمسُ طالعةٌ ... تزيد فى ظلماتى الحَيَّـةِ السودِ

فى الجدب، فى الوحش، فى الأحياء، فى زمنى ... وفى طبائع أرضى ، فى تقاليـــدى

فاليـــوم أعرض آمالى على ملكي ... وهو الكفيل بمرجُوِّى ومقصـودى

لعلنى خطَّ لي منه كتابُ هُدًى ... وما زيارته إلا كتمهيد . . .

لبَّيْكِ يا مُعضِلات القفر قد بَعثتْ ... لك العنايةُ صـنديدَ الصناديد

آباؤه الصـيدُ هِمَّاتٌ مُجَمَّعَةٌ ... فيـه ، وزاد على آبائه الصيدِ

رَحْبُ الأمانىِّ وثَّاب على فُرَصٍ ... ما أطمعتْ غيرَه فى غير تزهيدِ

يرمي بِحَبْلَيْهِ : محلولٍ وَمُنعقِدِ ... فيهـا على كل محلول ومعقود

سرُّ اللُّيوث بعينيـه ، فنظرته ... فيها اكتشافُ فريسات المواعيد

وتحت راحته سرُّ السيوف، فإن ... أشار راعَ كسيفٍ عند تجريد

وفى أنامله سِرُّ الأعنَّـة : لا ... ينفكّ يطلب ميداناً لتأييـد

مليكُ معجزةٍ فى أرض معجزةٍ ... مخلَّدُ الحمـدِ فى تاريخ تخليد

وما يُسَـدُّ طريقٌ دون غايته ... طريقُ كلِّ سعيدٍ غيرُ مسدود

***

ستستفيض على الصحراء همتهُ ... نجَّاجَةً بالمشـاريع المحاميـد

فيُولَدُ الزمنُ المشبوبُ من زمن ... فانٍ تَـكلَّحَ فى تلك التجاعيد

هيهات هيهات ما يبنى القفارَ سوى ... صبرٍ كصبر (فؤادٍ) غير محدود

هُمُ الأعاريب فى تلهيب جمرتهم ... مثلُ البراكين لن تحيا بتبريد

---

(١) عود آدم : كناية عن الرجل ؛ وزهر حواء : كناية عن المرأة .

تســـبيح ... !

للأستاذ سيد قطب

لعينيك تسبيحى وهمس سرائرى　　وفى صمتها الموحى مَرَادُ خواطرى
تطل على الدنيا فتوقظ قلبها　　وتمنح هذا الكون إيمان شاعر
وتسكب فى ألحانه عبقرية　　من الفن لم تخطر بآمال ساحر
وتجلو من الدنيا عميق فنونها　　وتكشف فى أطوائها كل خاطر
ومن عجب توحى بفتنة ساحر　　وتهمس فى صمت بتقديس طاهر

* * *

لقد شف هذا الوجه حتى كأنه　　خواطر فنان ندىّ المشاعر
وقد رق هذا الجسم حتى كأنه　　هواتف حلم ناعمات البشائر
وقد رق هذا الصوت حتى كأنه　　أغاريد لحن فى السموات عابر
وقد خف هذا الخطو حتى كأنه　　مرور نسيم بالأزاهير عاطر
وخلتك طيفاً هامساً فى ضمائرى　　وإنك طيف هامس للنواظر !

* * *

لأيقظت فى نفسى سعادة شاعر　　وراحة موهوب وغبطة ذاخر
وأشعرتنى معنى الطلاقة والرضا　　ومعنى الغنى عن كل آت وغابر
مدى فيه من أفق الخلود مدارج　　رقيتُ إليها فى سنى منك باهر
سبقتُ به خطو الحياة لنهجها　　وجزتُ به آفاقها فى المعابر
فيا لك من هادٍ سَنِيّ المنائر　　ويا لى من سارٍ وَحِيّ البصائر

« حلوان »　　**سيد قطب**

يا لَلعزيمةِ لو أخرجَتهم عربا　　تحت القوانين أحراراً بتقييد
إذن لضاعفَ مِصراً سحرُ ساحِرها
وَابتزّ ممدودَها من غير ممدود
النيل كنزٌ من الخضراء منكشفٌ
فى جنب كنز من الصحراء مرصود
عَزّ الذى جَمَعَ الكنزين فى يده　　يَحْمى بكنزٍ زئيرٍ كنزَ تغريدِ

مصطفى صادق الرافعى

أنتِ

للأستاذ عبد الحميد السنوسى

أنتِ جدَّدت لى شبابى وقد كنـ　　ـتُ دفنتُ الشباب من أزمان
أنتِ جمَّلتِ لى الحياة فأصبحـ　　ـت أراها كما تشاء الأمانى
ومحوتِ الظلماء فاختلب النو　　رُ عيونى وانساب فى وجدانى
أنتِ صورتِ لى الوجود وما فيـ　　ـه جميعاً بريشة الفنان
وخلقتِ الحياة خلقاً جديداً　　ونفضتِ الترابَ عن أكفانى
أنتِ زخرفتِ لى معالم دنيا　　ى فأتقنتِ أيما إتقان
ونفيتِ الركود عنى فهبَّ الـ　　ـقلب كالبحر صاخب الإرنان
أنت أفهمتني الذى كنت لا أد　　ريه فى الكون من خفىّ المعانى
وجلوتِ الأسى وغالبتِ همى　　وشفيت الفؤاد مما يعانى
أنتِ فجَّرت فى الجوانح ينبو　　عاً من الشعر زاخراً كل آن
وأزحت الستار عن عالم الصمـ　　ـت فأطلقت عقدة من لسانى
أنت أنشأتِ فى جنانىَ كوناً　　أى كون أنشأتِه فى جنانى !
فائضٍ بالنعيم والخير والنو　　ر وبالحسن والهوى والحنان
أنتِ قرّبتنى إلى الخلد حتى　　أصبح الخلد قطعة من كيانى
أنتِ علمتني الغناء فغنَّيْـ　　ـتُ وأشجيتُ كل قلب مُعانى
غرّد الحب فى فؤادى فردد　　تُ صداه الشجيّ فى ألحانى



الى وزارة المعارف

فى هذا العدد والذى قبله والذى بعده بحث جليل قيم فى قواعد اللغة العربية وتيسيرها لعلم من أعلام التربية والتعليم هو الأستاذ ساطع الحصرى مدير دار المعلمين فى تركيا، ووزير المعارف فى الشام، ومؤسس النهضة التعليمية فى العراق، ومنشئ أول مجلة تربيوية فى الشرق، عالج فيه مسائل فى تعريف القواعد وتبويبها وترتيبها وتهذيبها لم يفطن إليها من قبله أحد. وهو يقدمها عن طريق الرسالة إلى معالى الوزير وسعادة الوكيل وأعضاء لجنة التيسير عسى أن يجدوا فيها ما يعينهم على ما نهضوا إليه من إصلاح القواعد العربية وتقريبها إلى عقول الطلاب. وفى رأينا أن ملاحظات الأستاذ ساطع جديرة بالاهتمام والنظر لصدورها عن لقانة نادرة وروية صادقة وخبرة طويلة

وزير المعارف يحكم بيننا وبين لجنة إنهاض اللغة العربية

تفضل صاحب المعالى هيكل باشا وزير المعارف فنظر فيما كتبناه ونشرناه عن افتيات لجنة إنهاض اللغة العربية علينا وعلى فريق من الأدباء الفضلاء لا تخشاهم ولا ترجوهم، ثم أمر بتقرير كتابنا (فى أصول الأدب) لطائفة من مدارس الوزارة. وصنيع الأستاذ هيكل باشا هو الفرق بين وزير يقرأ ويقضى، وبين وزير آخر يسمع ويمضى . . .

حول إنهاض اللغة العربية

حضرة الأستاذ الجليل صاحب مجلة الرسالة

لا أحسبكم قد فرغتم من الحديث عن إنهاض اللغة العربية فى مدارس الحكومة حين فرغتم من الحديث عن الكتب وطريقة اختيارها، فإن شأن اللغة العربية فى وزارة المعارف خليق بأن ينال من عنايتكم أكثر من ذلك. ولقد حمدنا لكم ما نشرتم من الملاحظات على لجنة اختيار الكتب، وإننا ليسرنا بجانب ذلك أن تظل الرسالة حاملة راية الأدب الحر، دائبة على إنارة السبيل أمام القائمين على شئون اللغة العربية فى وزارة المعارف. فلقد مضى الوقت الذى كانت فيه وزارة المعارف تعمل منفردة فى الميدان، لا تجد من يشد أزرها أو يناقشها الحساب أو يهديها السبيل. وليس من أحد غير الرسالة يستطيع أن يفرض على نفسه هذا الواجب أو يرى نفسه أهلا لهذا الحق.

كان مما قررته لجنة إنهاض اللغة العربية أن تزيد درسين فى كلتا السنتين الأولى والثانية أحدهما اختيارى، ودرساً واحداً فى باقى الفرق. فهل يعلم سيدى أن هذه الزيادة قد انتهت نهايتها إلى أن تكون من أسباب ضعف اللغة العربية فى مدارس الحكومة بدل أن تكون من وسائل إنهاضها وقوتها؟

ذلك أن وزارة المعارف حين زادت هذه الدروس لم تحسب حسابها فتزيد عدد المدرسين ليقوموا بهذه الزيادة؛ والمدرسون القائمون بالعمل الآن فى المدارس الثانوية لا يسعهم — على ما هم فيه من رهق ومشقة وزحمة فى العمل — أن ينهضوا بهذا العبء الجديد. وقد جاء موسم العمل وليس فى المدارس حاجتها من مدرسى اللغة العربية، فلم يجد نظار المدارس أمامهم وسيلة — والحالة هذه — إلا أن يزيدوا العمل على المدرسين الذين يعملون معهم — مدرسى اللغة العربية خاصة — : ثلاثة دروس فى الأسبوع على كل مدرس؛ فعليه منذ اليوم واحد وعشرون درساً فى الأسبوع، بعد ثمانية عشر درساً كان يشكو كثرتها التى تستنفد الوقت والعافية والطاقة العصبية، فليس له معها فسحة ليستجم لعافيته أو ليجدد مادته أو ليبتكر فى وسائله

أفتكون هذه وسيلة من وسائل النهوض باللغة العربية أم سبب من أسباب الضعف والخذلان؟

وثمت عبء جديد أضيف هذا العام على كاهل مدرس اللغة العربية ، ذلك أن النظام فى العام الماضى والأعوام السابقة كان يحدد عدد التلاميذ فى دروس اللغات ببضعة وعشرين تلميذاً فى كل شعبة فألغى هذا النظام فى العام القادم وصار على مدرس اللغة العربية أن يلقى درسه على أكثر من بضعة وثلاثين تلميذاً إلى أربعين ؛ فهل تراه مع ذلك يستطيع أن يعمل وأن ينشط وأن ينهض باللغة ؟

ثم إن كثيراً من نظار المدارس الثانوية قد تعجلوا الحكم والاختيار فاستغنوا عن درس من الدرسين المزيدين فى اللغة العربية لتلاميذ السنتين الأولى والثانية قبل أن يتحققوا الحاجة إلى هذا الدرس ، بل قبل أن تبدأ السنة الدراسية وينتظم التلاميذ والخلاصة ما يأتى :

ا — أوصت اللجنة بزيادة دروس اللغة العربية فزيدت ولكن على حساب المدرس الرهق بحيث يصير عمله لا خير فيه

ب — أوصت اللجنة بزيادة العناية بدروس اللغات فزيد عدد تلاميذ الفرق بحيث يجتمع على المدرس كثرة لا يستطيع معها أن يعرف تلاميذه

حـ — زادت الوزارة بعض دروس اللغة العربية زيادة اختيارية ، فألغى نظار المدارس الثانوية بعض هذه الزيادة قبل أن يتحققوا الحاجة إليها رغبة فى التخفف من العمل !

... وأخيراً ما زالوا يتحدثون عن الوسائل التى قدروها للنهوض باللغة العربية ، وما زالوا يكررون الحديث عن تنظيم المكتبات المدرسية ، وتوجيه التلاميذ إلى المطالعات الخارجية ، وإنشاء المحاضرات ، وإقامة المناظرات ، وترتيب المباريات بين الطلاب فى الكتابة والخطابة والمناظرة والالقاء ... ولا عليهم فيما يتحدثون وما يقدرون ، وما ننكر أن هذا الذى يتحدثون عنه من أنجح الوسائل فى تقويم اللسان وتقوية اللغة ، ولكن ... أين هو المدرس الذى يجد عنده الوقت الذى ينفقه فى ذلك ؟

نحن موقنون تمام اليقين بصدق نية معالى الدكتور هيكل باشا على النهوض باللغة العربية ، موقنون أنه قد أدى واجبه فى ذلك على الوجه المستطاع ؛ ولكن مازال أمام معاليه واجب آخر هو أثقل عبئاً وأكثر نفقة : أمامه أن يباشر تنفيذ الوسائل التى وضعها مستشاروه لينهضوا باللغة العربية ؛ فليست تغنى النية عن العمل ، وليس يكفى وضع البرامج وتمهيد الخطط دون العناية بوسائل التنفيذ . ولربّ عمل صالح أسلمه صاحبه إلى من لا يحسنه أو من لا يخلص له ، فأداه غير مؤداه وانتهى به إلى غير غايته

(مدرس)

مجمع المعارف بحيدر آباد (دكن) واجتماعه السنوى الأول

فى حيدر آباد (دكن) مجمع علمى أسسه منذ أكثر من نصف قرن المرحوم النواب عماد الدين ورفقاؤه ، وغايته الأساسية إحياء الكتب العربية القديمة تمهيداً لنشرها وتداولها بين طبقات العلماء . وهذا المجمع يمتاز عن غيره بروحه العلمية وبمطبوعاته الثمينة المتداولة بين أوساط العلم المعتمد عليها من رجال البحث والتحقيق الآن — ومن هذه المطبوعات ما يتعلق بالحديث والرجال ، وما يتعلق بالفلسفة والتاريخ ، وما يتعلق بالطبيعيات والطب وغيرها من العلوم والفنون — ويقول العلامة السيد سليمان الندوي : نحن ، أهل الهند نفتخر ، مع افلاسنا العلمي فى هذه الأيام ، بهذه الدرر الثمينة النادرة التى أخرجها مجمع المعارف فى (حيدر آباد) إلى طبقات العلماء ونرجو أن يعود إلينا مجدنا العلمى تحت ظل الدولة الآصفية .

ولقد فكر القائمون بأمره فى عقد اجتماع سنوى عام يدعى إليه العلماء الممتازون فى العلوم العربية بأنحاء الهند تنشيطاً للحركة العلمية وتمهيداً لتوسيع أعمال المجمع بالاستفادة من مواهب العلماء الأجلاء غير أعضاء المجمع فى البحث والتحقيق ، فانعقد الاجتماع الأول الذى دام أربعة أيام من ٩ إلى ١٢ يولية سنة ١٩٣٨ م فى خمس جلسات أولها فى إيوان البلدية الفخم حضرها أركان الدولة الآصفية وأساتذة العربية فى جامعات الهند المختلفة وأرباب العلم وجماعة من الطلبة النابهين ، وعلى كرسى الصدارة السر أكبر حيدرى الوزير الأعظم . ثم التمس من القارىء ابراهيم رشيد أن يتلو ما تيسر من القرآن بصوته الرخيم ، ثم ألقى خطبته الافتتاحية وذكر فيها خدمات المجمع فى السنين الماضية بعد أن تلا على الحاضرين رسالة ملكية آصفية مفعمة بالعبارات الرقيقة والعواطف السامية .

فقام النواب مهدى يارجنك وزير التعاليم والسياسات

ورئيس المجمع فألقى خطبة بلسانه البين ذكر فيها غرض المجمع وغايته وما تم من الخدمات وما درج فى البرنامج من الأعمال التى يرجو أن يتمها المجمع بتوفيق الله ومساعدة العلماء - وبعده ألقى مولانا عبد الله قصيدة عربيـة تخليداً لهذا الاجتماع العظيم واليوم المبارك

ثم انعقدت الجلسة الثانية فى اليوم التالى وكان الشيخ ابراهيم حمدى، شيخ الاسلام بالمدينة المنورة، النزيل بحيدر آباد الآن، حاضرا، فتفضل بتلاوة آيات من القرآن على النغمات الحجازية. ثم اقترع على من يكون أول المتكلمين فى الجلسة فاستخرج بطريق القرعة اسم العلامة السيد سليمان الندوي فقام وألقى بحثا مستفيضا عن « كتاب المعتبر » وهو كتاب غير مطبوع للفيلسوف أبي البركات البغدادى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى، وألف كتابه هـذا فى نقد فلسفة أرسطو ومنطقه وهو كتاب وحيد فى بابه فريد فى فنه، ثم تكلم الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى الذى حضر إلى مصر فى السنة الماضية لطبع سمط اللآلى، ثم سافر إلى دمشق واستنبول باحثاً فى دور كتبها ومنقبا فى خزاناتها فرجع بكثير من المعلومات عن النسخ والكتب، وكان موضوعه « مارأيت فى دور الكتب بالممالك الاسـلامية » وذكر أهمية دار الكتب باستنبول والكتب النادرة فيها. وبعده قام السيد مناظر أحسن الجيلانى رئيس الشعبة الدينية بالجامعة العثمانية، فتكلم عن فلسفة محيى الدين بن عربى وابتدأ بكلام عن تخاصم المجتهدين الفقهاء من تصرف الملوك فى تدوين الفقه وانتقالهم إلى الأندلس وسبب انتشار المذهب المالكى فيها، ثم شرح فلسفة ابن رشـد وأسس بحثه، ثم بيّن كيف خالفه محيى الدين بن عربى فى المسائل الفلسفية وحملاته عليه حتى انتهى إلى وحدة الوجود، فاذا هى فلسفته الخاصة

ثم كانت الجلسة الثالثة فى قاعة المحاضرات بالجامعة العثمانية وكان أول من تكلم الدكتور داؤد بوتاه أستاذ العربية بالكلية الاسماعيلية (بومباى) وموضوعه فلسفة ابن خلدون الاجتماعية وكانت المقالة طريفة مصحوبة بالمقارنات والانتقادات، والدكتور المذكور يقوم الآن بترجمة مقدمة ابن خلدون إلى اللغة الانكليزية، وبعده تكلم الشيخ عبد الرحمن عضو مجمع المعارف فى علم أسماء الرجال وأهميته، ثم ألقى الدكتور حميد الله أستاذ أصول الفقه والقانون بالجـامعة العثمانية، بحثاً مستفيضاً عن « دستور الدولة فى العهد النبوى » (هاجر رسول الله إلى المدينة وعقدت معاهدة بين المسلمين واليهود) فجمع الدكتور المذكور أجزاء هذه المعاهدة وشرحها شرحاً وافياً واستنبط منها العناصر الأساسية لدستور الدولة. ثم تكلم السيد أحمد الله الندوى عضو مجمع المعارف فى « علم صناعة الجراحة وشرح آلات الجراحة عند العرب. وفى ختام هذه الجلسة قام الدكتور عبد الحق وألقى كلمة فى موضوع « حاجة الهند إلى المجمع العربى »

وفى هـذه الجلسة ألقى الدكتور حسين الهمدانى أستاذ العربية بكلية استيفن بومباى بحثاً عن « كتاب الرياض لأحمد الكرمانى » وكان أحمد هذا اسماعيلياً متكلما فيلسوفا عاش فى القرن الثالث الهجرى وكان معاصراً للفارابى، وأما الدكتور الهمداني فكان أصله من اليمن، ويعتبره علماء الهند أعلم العلماء بالاسماعيليات، وهو أول من عرّف العالم العلمى بالكتب الاسماعيلية وقد أشار فى بداية كلامه إلى تاريخ الأدبيات الاسماعيلية؛ ومقالته مفعمة بالمعلومات الجديدة التى كانت مجهولة من العلماء. ثم ألقى مولانا عبد الله العمادى بحثاً فى « علم المرايا والمناظر لابن الهيثم » وبعده تكلم العلامة مأمون الأرزنجانى من علماء دمشق، فى مناهج التعليم العربى، مشيراً أثناء كلامه إلى كتب القواعد والمطالعة التى وضعت على قاعدة جديدة للمدارس بالشام.

وبعده قام الفاضل المولوى عبد القدوس الهاشمى المساعد فى ترتيب معجم المصنفين وألقى بحثا فى « كتاب المخترع فى فنون من الصنع » ومؤلف الكتاب لا يزال مجهولاً، غير أن النسخة التى توجد فى دار الكتب الآصفية كتبت فى سنة ٨٧٦ هـ فى الهند بقلم ضياء ترك القاضى خان الناخورى. وللكتاب أهمية فيما يتعلق بفنون الصناعات الاسلامية العربية ومناهج الصانعين فيها. ثم تكلم الأستاذ امتياز على، مدير دار الكتب برامبور فى « تفسير الامام سفيان الثورى » ومن هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المذكورة وأشار فى بحثه إلى أن المسلمين أول ما خدموا من العلوم علم القرآن وأول ما كتبوا من الكتب فى فن التفسير.

وفى الجلسة الأخيرة تكلم الشيخ شبير احمد ناظر دار العلوم الديوبندية ورئيس المدرسين بجامعة دابهيل فى موضوع « الوحى معصوم عن الخطأ » واقترح على مجمع المعارف الالتفات إلى علوم

القرآن ونشر الكتب فى فنونها . ثم ألقى مولانا عبد الرحمن أستاذ العربية بجامعة دهلى بحثا فى « المستشرقين » من حيث التاريخ والخدمات العلمية ومعايبهم . وأخيراً قام الدكتور زبير الصديقى رئيس الشعبة الاسلامية بجامعة كلكته متكلما فى « علم الحديث وخصوصياته » من حيث الاسناد وطرق المحدثين فى البحث وعدم خضوعهم لسلاطين الزمان واستقلالهم العلمى واشتراك النساء فى الرواية ، وهذه هى الخصوصيات التى قد حافظت ولا تزال محافظة على جوهرية الأحاديث من عبث المستشرقين بها كما فعلوا فى أكثر الوقائع التاريخية الاسلامية كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

واختتم هـذا الاجتماع الذى دام أربعة أيام فى حيدر آباد وتناول البحث فيه أهم موضوعات العلوم العربية وفنونها ، بالسلام لصاحب الجلالة آصف السابع ملك دكن والدعاء لذاته الكريمة

بدر الدين الصينى

تكريم الأستاذ قسطاكى بك الحمصى

أقام أدباء الشهباء حفلة تكريمية للأستاذ قسطاكي بك الحمصى مساء يوم الأحد ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٨ بمناسبة بلوغه الثمانين من عمره وتنويهاً بمآثره وخدماته فى عالم الأدب . وكانت الحفلة تحت رعاية معالى الأمير مصطفى الشهابى وزير المعارف سابقاً ومحافظ حلب اليوم . وقد تكلم في الحفلة الأساتذة عيسى اسكندر المعلوف، وأمين هلال، والشاعران عادل الغضبان، وحليم دموس وألقى الأستاذ أسعد الكوزانى كلمة عن أسلوب المحتفى به فى الكتابة النثرية سننشرها فى العدد القادم . وقد ألقى فى ختام الحفلة الأمير مصطفى الشهابى كلمة قال فيها إن هذه الحفلة قد ذكرته بأسواق العرب الأدبية ، وتكلم عن فضل النصارى على اللغة العربية ، ونوه بالخدمات الجليلة التى قاموا بها فى هذا السبيل، وأشاد بفضل المحتفى به ومآثره فى عالم الأدب

والأستاذ قسطاكى بك الحمصي من أوائل الأدباء الذين قاموا بخدمة اللغة والأدب منذ ستين عاماً ، ولا يزال حتى اليوم على شيخوخته يقوم بخدمتها بالمقالات والأبحاث التى ينشرها فى مختلف المجلات والصحف . وقد أقام بمصر فى أوائل هذا القرن مدة طويلة اتصل خلالها بأدبائها ولا سيما الشيخ ابراهيم اليازجى الذى كان له أثر بارز فى أدبه وأسلوب كتابته . وله من المؤلفات المطبوعة كتاب (منهل الوراد فى علم الانتقاد) وهو يقع فى ثلاثة أجزاء طبع الجزء الأول منه فى مصر سنة ٩٠٥ ، وطبع الجزءان الأخيران فى حلب بعد الحرب العظمى. وله كتاب (أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر) ترجم فيه للأدباء الحلبيين الذين عاشوا فى هذا القرن ولهم أثر من شعر ونثر



وحى بغداد

للدكتور زكى مبارك

يظهر فى الأسبوع المقبل كتاب جديد للدكتور زكى مبارك اسمه « وحى بغداد » وإلى القراء فاتحة هذا الكتاب

أما بعد فقد كتب الله تباركت أسماؤه أن يجعلنى من الموفين بالعهد : فأخرجت كتاب « ذكريات باريس » تحية لمدينة النور التى اتصلت بها نحو خمس سنين ، واليوم أخرج كتاب « وحى بغداد » تحية لمدينة الرشيد التى اتصلت بها نحو تسعة أشهر قضيتها فى يقظة عقلية أوحت إلى قلمى ألوف الصفحات

وكنت نظرت فرأيت كتاب « ذكريات باريس » أوحى إلى فريق من الكتاب أن ينشئوا المؤلفات عن العواصم الغربية أمثال باريس ولندن وبرلين ، وأنا اليوم أرجو أن يكون كتاب « وحى بغداد » سنّة حسنة لمن يعيشون فى العواصم الشرقية عساهم يحببون العرب والمسلمين فى بلادهم بما يبتكرون من شائق الوصف ورائع الخيال

وقد عجب ناس من وفائى لأهل العراق واهتمامى بتسجيل ما لهم من محامد ومناقب ، وكنت أستطيع أن أقول إنى عشت فى العراق معلماً ، ومن واجب المعلم أن يبرز المحاسن ليقوّى الروح المعنوى فى تلاميذه ويسوقهم إلى ميادين الجهاد . كنت أستطيع أن أقول ذلك ، ولكنى فى الواقع لم أر من أهل العراق غير الشهامة والنبل والوفاء؛ ويسرنى ويشرح صدرى أن أقول كلمة الحق فى تحية من يعيشون فى أنس زهرات بغداد ونخلات البصرة وسمكات الفرات

وسيأتى يوم يعذرنى فيه من اتهمونى بالإسراف فى حب البلاد التى عرفت بكاء الحمائم وظلام الليل

سيعرف إخوانى فى مصر أنى بنيت لهم صرحاً من الوداد فى وطن نبيل هو العراق

سيعرف إخوانى أن غيرتى على سمعة العراق ستضاف إلى المحامد المصرية ، وسيقول المنصفون إن المصرى حين يغترب لا ترى عينه غير الجميل من شمائل الرجال

وهل كنت أملك أن أذكر العراقيين بغير الثناء ؟ لقد نُظِمَت فى تكريمى هناك قصائد وخطب ومقالات لو جُمِعت لكانت مادة كريمة لكتاب نفيس ، فبأى وجه ألقى الله إذا ذكرت العراق بغير الجميل ؟

كنت أعرف أن أيامى قصيرة فى العراق فتجشمت ما تجشمت لأزور أشهر الحواضر العراقية ، فكانت فرصة عرفت فيها كيف يلتاع من يفارق حواضر العراق ؟

يا ليت ماء الفرات يخبرنا أين استقلت بأهلها السفنُ

ولا يعلم إلا الله كيف رحلت عن البصرة والحلة والنجف والموصل وكركوك وكربلاء

لا يعلم إلا الله كيف أخفيت يوم الفراق عن أصدقائى فى بغداد

لا يعلم إلا الله كيف أخفيت نيتى عن تلاميذى فلم أخبرهم أن التسليم عليهم يوم الرحيل هو آخر العهد

لا يعلم إلا الله كيف انخلع قلبى وأنا أنظر إلى دار المعلمين العالية آخر نظرة ، وألقى عليها آخر سلام

وإذا كانت شواغلى بمصر قضت بأن أعتذر عن المضىّ فى خدمة تلاميذى بالعراق فسأتعزى عن فراقهم كلما تذكرت أنى أوقدت فى صدورهم جذوة لن تخمد أبداً ، وسيصيرون بإذن الله من أشرف خدام العراق

والعهد بينى وبينهم أن نقضى العمر كله أوفياء للحق والواجب ، وألا نرى المغانم فى غير طهارة الضمائر وسلامة القلوب

هذا كتاب أوحته بغداد ، وفيه ما فى جوّ بغداد من طغيان الرفق والعنف ، وصولة العقل والفتون

هو كتاب سيُرقَم على وجه الدهر وجبين الزمان

هو كتاب سيسعد به قوم ويشقى به آخرون

ولكنه سيظل أثيراً لدى بغداد ، لأنه من وحى بغداد

زكى مبارك



ملاحظات وخواطر

حول ترقية الأفلام المصرية

تحدثنا فى الأسبوع الماضى عن ضرورة قيام الحكومة بايجاد رأس مال مناسب يكون فى متناول المنتجين المصريين الذين تعوزهم النقود اللازمة لاكثار جهودهم وموالاتها وأكدنا أن هذه هى أفضل الطرق لترقية الأفلام المصرية والأخذ بيد صناعة السينما فى مصر . وقلنا كذلك : « إن هناك ناحية أخرى على اللجنة أن تنظر فيها وتعمل على التخلص منها ما دامت تريد نهضة جدية للأفلام فى مصر ، وهذه الناحية هى جمود اللائحة التى تعمل بها وزارة الداخلية الآن فى صدد ما يجوز معالجته وما لا يجوز معالجته فى الأفلام من الموضوعات فى مصر »

ونسجل على هذه الصفحة بضعة خواطر وملاحظات لنا على هذه اللائحة فنقول : إن هذه اللائحة تتناقض تناقضاً بيناً مع القانون الأساسى للبلاد وهو الدستور ، وإذا كانت الحكومة قد ظلت مشغولة إلى عهد قريب بالقضية الخارجية ، فقد آن الأوان لأن تراجع هذه اللائحة وتحذف منها ما لا يتفق مع هذا الدستور . فقد كفل هــذا الدستور حرية القول والتأليف والكتابة والاعتقاد فى حدود مبادئ القانون العام وهى ألا يكون فى ذلك القول أو التأليف ما من شأنه تقويض النظام القائم أو المناداة بمبادئ خطيرة أو ما يمس الآداب العامة أو الشرف الخصوصى للأفراد والعمومى للدولة وتاريخها ورجال تاريخها . ونعتقد نحن أن فى استطاعة قانونى كبير كبدوي باشا أن يضع لنا لائحة جديدة على أساس مبادئ دستورنا فيما لا يزيد على يوم وليلة ! حتى لا تعارض وزارة الداخلية بعد الآن فى فلم وطنى أو سياسى أو فلم يدور حول فتاة لقيط مثلا — كما حدث منذ عامين

روزالى ... فلم الافتتاح لسينما ستوديو مصر

افتتح استوديو مصر يوم الاثنين الماضى دار العرض الجديدة التى رأى أن تتخصص لعرض منتجاته على أن تعرض أفلام المترو جولدوين بجوار أفلام الاستوديو . ولسنا فى حاجة إلى أن نقول إن حفلة الافتتاح كانت فريدة فى بابها ونادرة بين حفلات الافتتاح، ويكفى أن نقول إن جميع ذوى وذوات المكانة من أهل الطبقات الراقية والمثقفة وممثلى وممثلات السينما والمسرح وجميع ممثلى الصحف المصرية العربية والأفرنجية كانوا حاضرين فى هذه الحفلة احتفالا بهذه الخطوة الجديدة الموفقة التى يخطوها استوديو مصر ولمشاهدة أحد أفلام الدرجة الأولى للمتروجولدوين ماير فى الموسم الحالى وهى رواية (روزالى) أو الأميرة الراقصة من تمثيل (الينور باول) و (نلسون إدى) ، والفلم كوميدى غنائى راقص ملىء بالمواقف اللطيفة المسلية

فهنيئاً لبنك مصر واستوديو مصر وقسم الانتاج فى استوديو مصر، ونأمل أن تتبع هذه الخطوة خطوات نرى بعدها عدداً من دور السينما الكبيرة مصرياً فى كل شئ، وليس ذلك كثيراً على بنك مصر ومديريه الأفذاذ وسعادة الدكتور فؤاد سلطان بك مدير شركة مصر للتمثيل والسينما

خبر سابق لأوانه

أكد لنا أحد كبار ممثلى الفرقة القومية أن كل ما ذكرته الصحف عن مسرح حديقة الأزبكية وعمل الفرقة القومية به إنما هو سابق لأوانه . والصحيح أن مفاوضات دارت بين إدارة الفرقة وإدارة ذلك المسرح ، ولكن هذه المفاوضات وقفت حتى يعود الأستاذ خليل مطران مدير الفرقة من أجازته بلبنان . ومعنى ذلك أن الدورة الأولى من موسم الفرقة ستكون فى دار الأوبرا الملكية كالمواسم السابقة

أخبار مسرحية وسينمائية

مترو جولدوين وتوفيق الحكيم



أبلغنا أحد أصدقائنا المتصلين بالكاتب القصصى الكبير الأستاذ توفيق الحكيم، أن هناك مفاوضات بين شركة المتروجولدوين ماير والأستاذ توفيق الحكيم بخصوص روايه (عودة الروح) إحدى قصصنا الأدبية الكبرى . وأن هذه المفاوضات قد انتهت فعلا أو أوشكت على الانتهاء وقريباً نرى إحدى معجزات الحكيم الأدبية على الستار الفضى

والحق أننا لا ندرى هل نهنئ «المتروجولدوين ماير أم نهنئ» كاتبنا الكبير بهذه الصلة السعيدة التى نأمل ألا تقتصر على «عودة الروح»

فلم جميل للموسم الجديد

ينتظر أن يكون موسم سينما ديانا عظيما هذا العام . وكفى دليلا ما قدمته لنا فى حفلة الافتتاح وهو فلم (فندق هوليوود) الفلم الغنائى الراقص الجميل

أجنحة الصحراء والرحلة الملكية

علمنا أن (اللقطات) الأخيرة لفلم أجنحة الصحراء، وهو باكورة منتجات سالم تتم فى الأيام القليلة الباقية من هذا الشهر . أما موعد عرض الفلم فقد علمنا أنه سيكون فى أواخر النصف الأول من نوفمبر

وبمناسبة الحديث عن الأستاذ سالم نسجل له على هذه الصفحة نجاحاً كبيراً فى الشريط الناطق الذى أخرجته جريدته السينمائية للرحلة الملكية السعيدة إلى الصحراء الغربية ويكفى أن يكون عرضه على شاشة الرويال بعد يومين اثنين فقط من عودة جلالة الملك إلى الاسكندرية



منظر من فلم أجنحة الصحراء ويرى فيه راقية ابراهيم وأنور وجدي

شيء من لا شيء

عرضت نسخة كاملة من فلم «شىء من لا شىء» على حضرات أعضاء اللجنة الفنية فى استوديو مصر، فوافقت عليه وأبدت إعجابها به، واعترفت له بأنه من أقوى وأكبر الأفلام المصرية التى رآها الأعضاء حتى الآن . وسيعرض هذا الفلم بسينما استديو مصر فى الشهر القادم



الآنسة نجاة على والأستاذ عبد الغنى السيد فى موقف من مواقف فلم شىء من لا شىء

6 me Année, No. 274

Lundi - 3 - 10 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٧٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ شعبان سنة ١٣٥٧ — ٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

صفحة

ختـــام

للأستاذ عباس محمود العقاد

بدأنا بقنطار ثمين فأجملنا ما نراه من مذهب فى صفات الجمال، وكانت خلاصته أن الجسم الجميل هو الجسم الذى ليس به فضول، وهو الذى يحمل كل عضو فيه نفسه غير محمول فى مشهد العين على سواه، وهو الذى يكون مقياس الفضول فيه أداء الوظيفة، ومقياس الوظيفة بين عضو وعضو وبين حيوان وحيوان قربها من الحرية وبعدها من القيد والضرورة

وهذا مقياس أعضاء وأجسام

ومقياس معان أيضاً وأفكار وأرواح

فاننا بهذا المقياس نعرف الكلمة الجميلة والشعر الجميل والخلق الجميل والفكر الجميل

فلن يكون جميلا فكر به فضول فهو زائد فضفاض فى غير طائل، أو فكر فيه قصور فهو مفتقر إلى غيره وليس بمحمول على نفسه، أو فكر يظهر فيه عجز التقييد وعسف الضرورات

وذلك ما أردناه حين قلنا إن الجمال يخرج الأجسام من عالم الشهوات والنزوات إلى عالم المعانى والأرواح، وإن العين التى تنفذ إلى لبابه تنظر إليه كما تنظر إلى الحقائق العليا، وإلى الأصول الشائعة فى نظام الوجود كافة؛ فاذا اتفق أن يعبث العابث بالجمال

فكما يتفق أن يسرق السارق جوهرة نفيسة : لا يسرقها لأنها جميلة وهو يحب الجمال ، ولكنه يسرقها لأنه يستحضر فى ذهنه السوق ، والسوء !

***

ثم رجعنا إلى بقية المذهب ، ثم تلاحقت الملحقات من تفريع إلى حاشية إلى تذييل ، إلى هذا الختام ، وكان به ختام الصيف وختام السفرات فى كل أسبوع إلى الاسكندرية

أكتبه إلى جوار الصحراء صديقتى القديمة منذ عرفت الأصدقاء فى الأماكن والبقاع

وأصغى فلا أسمع الأمواج كأنها فوران القدر العظيمة عند ميناء الاسكندرية ، ولا أسمع الأمواج كأنها غطيط النائم فى اطراد رتيب عند ميناء مرسى مطروح ، ولا أسمع الأمواج كأنها المارد الوديع الحالم عند ميناء السلوم ، فلا هدير له ولا ضجيج ، بل سكون كسكون النيل فى ساعة صفاء قرير

لا أسمع الأمواج ولكنى أسمع الصحراء ، ومن طالت عشرته للصحراء سمعها وهى تسكت ، وسمعها وهي تصخب ، وسمعها وهى لا تحفل بأسماع ، ولخص ذلك كله فى كلمة واحدة ، وهى القناعة أو الاستخفاف أو القوة التى تغالب الأزمان ؟ لأن الأزمان تقوى على التغيير ... فاذا لم يكن تغيير فما ذا يبلغ من قوة زمان واحد أو من قوة جميع الأزمان ، وإذا كان التغيير لا يغير منها الحقيقة ولا يمس منها إلا العرض فلماذا تباليه الصحراء ؟

ورجعت أعرض صور الاسكندرية فاذا هى كثيرة تتصل بها أجزاء الدنيا وترينا كيف يتشعب العالم وكيف يؤول إلى التماثل والتوحيد

فالعالم اليوم يحكمه زى واحد تبصره فى شواطئ القارة الحديثة ، وتبصره فى شواطئ الصين ، كما تبصره فى شواطئ بحر الروم وفى شواطئ بحر الظلمات ، الذى ليس فيه اليوم ظلمات

أو هذا كل ما هنالك من تماثل وتوحيد بين أجزاء العالم المتنابذ المستعد فى هذه الساعة لأشنع الحروب

كلا . بل هنالك التقارب بين المثل والأوضاع فى كثير من الأمور

هنالك العملة التى كانت من قبل أخص الخصائص فيما يسمونه بالسيادة القومية فأصبحت اليوم موضع التفاهم والاتفاق بين شتى الحكومات

وهنالك المحظورات والتواصى بمنعها بين الدول من الرق إلى المخدرات إلى المهربات

وهنالك الجيوش والمؤتمرات التى تنعقد من حين إلى حين لتقرير عددها وتقرير سلاحها وتقرير نظامها ، وإن لم تسفر عن وفاق وإجماع

بل هنالك الحرب التى لا يتأتى أن تنفجر فى مكان إلا عمت جوانب الأرض بعد بضعة أسابيع

فالعالم يمضى إلى التماثل والوحدة ، ولا ينفى هذه الحقيقة أنه ماض كذلك إلى الوحدة فى الشرور والنكبات ، بل إن هذا ليؤكدها ويجلوها فى جانبها المخيف كما يجلوها فى جانبها المأمون ، وجانبها المحبوب

أزياء الشاطئ تكشف لنا هذه الحقيقة وتكشف لنا معها حقيقة أخرى يأسى لها كثيرون ويغتبط بها كثيرون

أو لم يكن الراقصون والمغنون وأصحاب الملاهى والملاعب نفاية الجماعة الانسانية فى الأجيال القريبة ؟

فانظر اليوم من ذا الذى يفرض على الناس الأزياء والآداب ؟ ومن ذا الذى يملى عليهم ما يشتهون وما ينبذون ؟ !

إنهم هم نفاية المجتمع بالأمس وسادة المجتمع اليوم !

إنهم هم فتيان هوليود وفتيات الستار الأبيض فيها وفى كل مكان

فأين هى اليوم تلك السيدة التى تخجل من ظهورها فى مظهر الممثلات على ذلك الستار ؟

وما معنى ذلك إلا أن المجتمع ينقلب رأساً على عقب ثم لا يستقر على هذا الانقلاب ؟

وهل بعيد ما بين هذه الحقيقة وبين حقيقة أخرى فى عالم السياسة الدولية نشهدها ونسمعها الآن فيما نشهد ونسمع من نذر وشرر مستطير ؟

ما معنى الحرب اليوم إلا أن نفايات المجتمع قد أصبحوا يسوسون الدول ويقودون الشعوب ولا يؤمنون إلا بما يؤمن به النفايات من غلظة وجور وعنت وتحطيم ؟

لئن كان الحجر على هذه النفايات فيما مضى ظلماً لقد رأينا الساعة أن سيادتها ليست بانصاف ، بل فيها الظلم والانصاف مزيج كريه المذاق ، ومصفاة الزمن خير كفيل بالتصفية والترويق ، ولا خوف على الزمن آخر الأمر من العجلة ولا من الأناة ..

* * *

صور كثيرة بقيت فى خلدى من الاسكندرية كأنها صفحات مقسمة من معارض الفن والحياة والتاريخ

وستبقى ما قدر لها البقاء ، وسيكون من أبقاها وأولاها بالبقاء صورة واحدة لمخلوق ضعيف أليف يعرف الوفاء ويحق له الوفاء ، وذلك هو صديقى « بيجو » الذى فقدناه هناك . وإنى لأدعوه صديقى ولا أذكره باسم فصيلته التى ألصق بها الناس ما ألصقوا من مسبة وهوان ، فان الناس قد أثبتوا فى تاريخهم أنهم أجهل المخلوقات بصناعة التبجيل وأجهلها كذلك بصناعة التحقير ... فكم من مبجَّل بينهم ولاحق له فى أكثر من العصا ! وكم من محقَّر بينهم ولا ظلم فى الدنيا كظلمه بالازدراء والاحتقار !

وكنت أقدر أننى سأخلو من العمل فى مجلس النواب ثلاثة أشهر الصيف الشديد ، فأخلو بنفسى وبالبحر والصحراء فى مرسى مطروح أو فى السلوم ، وأفرغ هناك لتأليف كتابى الذى جمعت له ما جمعت من الأخبار والوقائع عن الصحراء وأبنائها الأقدمين والمحدثين

فلما تواصلت الجلسات أزمعت أن أقضى أياماً فى القاهرة وأياماً فى الاسكندرية من كل أسبوع ، ولم أصحب بيجو فى الرحلة الأولى ولا فى الرحلة الثانية ولا عزمت على اصطحابه بقية أشهر الصيف ، اكتفاء بأن أراه أيام مقامى فى القاهرة وأن أعود إليه كل أسبوع

ولكن المخلوق الأمين الوفى أرغمنى على مصاحبته كلما ذهبت إلى الاسكندرية وكلما رجعت منها ، لأنه صام عن الطعام صومة واحدة فى الرحلة الثانية ، وزاده إصراراً على الصيام أننا كنا نتركه فى كفالة الشيخ احمد حمزة طاهينا القديم الذى يعرفه قراء كتابى « فى عالم السدود والقيود »

والشيخ أحمد حمزة كما علم أولئك القراء رجل يكثر الصلاة والوضوء ويعتقد نجاسة الكلاب فلا يقربها إلا على مسافة أشبار

وبيجو مخلوق حساس مفرط الاحساس ما هو إلا أن تبين النفور من الشيخ أحمد حتى قابله بنفور مثله أو أشد وأقسى . فكنا إذا تعمدنا تخويفه وزجره نادينا : « يا شيخ أحمد » ... فاذا بيجو تحت أقرب كرسى أو سرير ، ثم لا يخرج من مكمنه إلا إذا أيقن أن الشيخ أحمد حمزة بعيد ، جد بعيد

فلما استحال التوفيق بينهما واستحال إقناعه بالعدول عن الصيام فى غيابنا أصبح بيجو من ركاب السكة الحديد المعروفين فى الذهاب والاياب ، وأصبح يزاملنا من القاهرة إلى الاسكندرية ومن الاسكندرية إلى القاهرة كل أسبوع ، وشاعت له نوادر فى مماكسته للموظفين ومماكسة الموظفين له ، يتألف منها تاريخ وجيز ...

ثم أصابه فى الاسكندرية ذلك المرض الأليم الذى كان فاشياً فيها واستعصى علاجه على أطباء الحيوان ، فلزمته فى مرضه مخافة عليه من مشقة السفر ، وعلمت أن الأمل فى شفائه ضعيف ، ولكنى لم أجد مكاناً أولى بإيوائه من المكان الذى أراه ويرانى فيه

وإنى لفى ظهيرة يوم بين اليقظة والهويم إذا بهمهمة على باب حجرتى وخدش يكاد لا يبين ، ففتحت الباب فرأيت المخلوق المسكين قابعاً فى ركنه يرفع إلىّ رأسه بجهد ثقيل ، وينظر إلى نظرة قد جمع فيها كل ما تجمعه نظرة عين حيوانية أو إنسانية من معانى الاستعطاف والاستنجاد والاستغفار : أحس المسكين وطأة الموت فتحامل على نفسه ، وخطا من حجرته إلى باب حجرتى ، وجلس هناك يخدش الباب حتى سمعته وفتحت له ، وهو لا يزيد على النظر والسكوت

كان اليوم يوم أحد ، ولكننا بحثنا عن الطبيب فى كل مظنة حتى وجدناه ، وقد شاءت له مروءته الانسانية أن يفارق صحبه وآله فى ساعة الرياضة ليعمل ما يستطيع من ترفيه وتخفيف عن مريضه الذى تعلق به وعطف عليه ، لفرط ما آنسه أثناء علاجه من ذكائه وألاعيبه ومداعباته ، ولكنه وصل إلى المنزل وبيجو يفارق هذه الدنيا التى لم يصاحبها أكثر من سنتين

سيبقى من صور الاسكندرية ما يبقى ، وسيزول منها ما يزول ،

ملاحظـــات انتقادية على مقترحات لجنة التيسير

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصرى بك
مدير دار الآثار العراقية

— ١ —

إن الملاحظات الانتقادية التى نشرتها فى العددين الأخيرين من الرسالة الغراء حول كتب « قواعد اللغة العربية » تغنى عن شرح طويل لتحديد موقفى وتبيين رأيى فى المقترحات الواردة فى تقرير لجنة التيسير

فبعد تسجيل واجب الشكر لوزارة المعارف فى مصر ، لإقدامها على تأليف لجنة خاصة لدرس وسائل تيسير قواعد الصرف والنحو ، ولفتحها باب الدرس والمناقشة فى هذه الوسائل، أرى من واجب الصراحة أن أقول : إنى قرأت التقرير الذى وضعته هــذه اللجنة بشىء كثير من خيبة الأمل . . . لأننى لاحظت أن المقترحات الواردة فيه ضيقة النطاق جداً، وليس من شأنها أبداً أن تؤدى إلى « تيسير » مهم ...

فاللجنة المحترمة لم تتطرق فى تقريرها إلى شىء من المسائل التى عرضتها فى مقالى الانتقادى ، ولم تنتبه إلى النقائص المهمة والأغلاط العظيمة المندمجة فى خطط التبويب والتعريف، ولم تقدم على إنعام النظر فى طرق التقسيم والتصنيف ...

فأستطيع أن أقول إذاً ، إنها لم تتخلص من النزعة العامة التى أشرت إليها وإلى أضرارها ، ولم تخرج على المسالك الملتوية التى شرحتها وانتقدتها ...

فجميع الملاحظات الانتقادية المسرودة فى مقالى عن « كتب قواعد اللغة العربية » تنطبق على أبواب « الصرف والنحو » التى اقترحتها اللجنة المحترمة أيضاً ... وفى الواقع أن اللجنة قد صرحت فى تقريرها أنها قدمت اقتراحاتها كخطوة أولى فى سبيل التيسير إذ قالت ما يلى : « وقد اتصلت اجتماعات اللجنة للنهوض بهذه المهمة التى وكلت إليها حتى انتهت إلى طائفة من الاقتراحات ترفعها الآن إلى الوزارة ، لا على أنها المثل الأعلى لما ينبغى الوصول إليه من تيسير النحو والبلاغة ، بل على أنها خطوة معتدلة موفقة فى سبيل التيسير قد تتاح بعدها خطوات أدنى إلى التوفيق وأقرب إلى الكمال ... »

فقد يقال — نظراً إلى هــذا التصريح — إن النقوص والأخطاء التى كانت موضوع مقالى السابق ، ربما كانت من جملة المسائل التى لاحظتها ودرستها اللجنة وتركتها إلى الخطوات التالية لاعتقادها صعوبة معالجتها فى الخطوة الأولى من خطوات التيسير ...

غير أنى أعتقد أن الخطوة الأولى يجب أن ترمى إلى معالجة « أهم المسائل من حيث مقتضيات العلم والتعليم ، وأسهل الاصلاحات من حيث العمل والتنفيذ » كما أعتقد أن النقوص والأخطاء التى أشرت إليها أكثر خطورة وأسهل معالجة من الأمور التى اقترحتها اللجنة . فأقول بهذا الاعتبار أن معالجة هــذه النقوص وهذه الأخطاء يجب أن تكون أول خطوة من خطوات التيسير والاصلاح

ولهذه الأسباب أتقدم إلى أعضــاء اللجنة المحترمين برجاء خاص أن ينعموا النظر فى المآخذ التى عرضتهــا فى مقالى السابقين بنظرة متجردة عن تأثير الألفة المخدرة ؛ ولا أشك فى أنهم عندما يفعلون ذلك يسلمون بأن قواعد اللغة فى حاجة إلى معالجة وتيسير وإصلاح من النقائص التى ذكرتها آنفاً قبل سائر النواحى ...

ولكنى لا أحسبنى أنسى ما حييت نظرة ذلك المخلوق المتخاذل يقول بها كل ما تقوله عين خلقها الله ، ويودعها كل ما ينطق به فم بليغ من استنجاد واستغفار ، كأنه يعلم أنه أقلقنى ولا يحسب ما كان فيه عذراً كافياً لاقلاق صديقه . ومن شهد هذا المنظر مرة فى حياته علم أنه لا ينسى ، فان لم يعلم ذلك فهو أقل الناس حظاً من الخلائق الانسانية ، لأن البعد من العطف على الحيوان لا يجعل المرء بعيداً من الحيوان ، بل يقربه منه غاية التقريب

عباس محمود العقاد

— ٢ —

بعد هذه الملاحظات العامة التى أنتقد بها اللجنة لعدم تطرقها إلى بعض الأبحاث المهمة يجب على أن أنتقل إلى المسائل التى عالجتها اللجنة المذكورة فأبدى رأيى فيها ...

إننى أؤيد معظم آراء اللجنة ومقترحاتها ، غير أنى أرى نقصاً فى بعضها وخطأ فى البعض الآخر

أولا — حللت اللجنة أهم أسباب الصعوبة التى اكتنفت قواعد اللغة العربية فقالت :

« وقد لاحظنا أن أهم ما يعسّر النحو على المعلمين والمتعلمين ثلاثة أشياء :

أولا — فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا ويعللوا ويسرفوا فى الافتراض والتعليل

« الثانى — إسراف فى القواعد نشأ عنه إسراف فى الاصطلاحات .

« والثالث — إمعان فى التعمق العلمى باعد بين النحو وبين الأدب ...

« وقد حاولنا أن نخلص النحو من هذه العيوب الثلاثة ، فبرأناه من الفلسفة ما وسعنا ذلك . ومحونا منه الافتراض والتعليل اللذين لا حاجة إليهما ، وقاربنا بين أصوله وقواعده . فضممنا بعضها إلى بعض ، كلما وجدنا إلى ذلك سبيلا »

إننى أشارك اللجنة فى هذه الملاحظات ، غير أننى أرى من الضرورى أن يضاف إلى هذه العوامل الثلاثة عامل آخر ، ربما كان أفعل من جميعها فى توعير المسالك وتوليد الاخطاء : هذا العامل هو النزوع إلى اعتبار مسائل الاعراب الغاية القصوى من دراسة اللغة ، والاهتمام بالأحكام النحوية وبمواطن الاعراب أكثر من الالتفات إلى المعانى المقصودة ومواطن الاستعمال ، كما شرحت ذلك وعللته فى مقالى الأخير . إننى أعتقد أن التخلص من هذه النزعة ومن نتائجها ، من أهم الأسس التى يجب أن تبنى عليها محاولات التيسير والاصلاح ..

ثانياً — تقترح اللجنة ترك فكرة الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وحذف تعبيرات الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ والخبر ، واستبدال هذه التعبيرات المختلفة بكلمتى الموضوع والمحمول « حسب اصطلاح الناطقة »

وأنا لا أرى فى ذلك وجهاً للتيسير ، بل أعتقد أن هذه الخطة تزيد الأمر صعوبة ، كما أنها تخالف طبيعة اللغة العربية مخالفة واضحة ...

وذلك لأن تفهم المبتدأ والخبر ، وتمييز الفعل والفاعل ، أسهل بكثير من تفهم المحمول والموضوع وتصورهما . كما أن تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية أكثر انطباقاً على خصائص اللغة العربية :

إذ من المعلوم أن بعض اللغات محروم مما يشبه الجملة الاسمية ، لأن كل جملة فيها تحتوى على فعل ، ولو كان من النوع الذى يدل على الكينونة والصيرورة ؛ غير أن اللغة العربية لا تدخل فى عداد تلك اللغات ، لأنها تساعد على تكوين جمل بدون أفعال ؛ فتمييز الجمل الاسمية من الفعلية ، ودرس كل منها على حدة ، يكون أقرب إلى طبيعة اللغة العربية ، وأوفق لمقتضيات أصول التدريس ..

ولا أرانى فى حاجة إلى القول بأن درس كل نوع من هذين النوعين من الجمل على حدة ، لا يعنى عدم إجراء مقارنة بينهما . . . لأن التمييز بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية لا يمنعنا من لفت النظر إلى المشابهة الموجودة بين الفاعل والمبتدأ ، من حيث المعنى ومن حيث الاعراب . . . ولا أشك فى أن الاقدام على مثل هذه المقارنات مما يضمن لنا الحصول على الفوائد المتوخاة من التقريب ، دون أن يعرضنا للمشاكل التى تتولد من المزج والادماج ..

ثالثاً — تقترح اللجنة توحيد الاصطلاحات المتعلقة إلى بحركات البناء والاعراب ، كما تقترح حذف الاعراب التقديرى والمحلى ..

إننى أحبذ ذلك كل التحبيذ ؛ غير أننى أطالب بأكثر من ذلك فأقترح حذف الابحاث المتعلقة بحركات البناء حذفاً تاماً . لأننى لا أرى فائدة عملية أو علمية فى البحث عن هذه الحركات . ان حركة الحرف الأخير من الكلمة تكتسب خطورة كبيرة فى المعربات ، نظراً لتحولها حسب موقع الكلمة من العبارة

وعلاقتها بالكلمات التى تسبقها وتليها ؛ وأما حركة الحرف الأخير فى الكلمات المبنية ، فلا تمتاز عن حركات سائر الحروف امتيازاً يستوجب إنعام النظر فيها بوجه خاص . . فاذا عرف الطالب مثلاً — أن « اجلس » فعل أمر ، وكلمة « علم » فعل ماض ، وكلمة «منذ» حرف ، وعرف فى الوقت نفسه أن الحروف وأفعال الأمر والماضى من المبنيات . . . فلا يجنى أية فائدة عملية ، من ملاحظة حركة الحرف الأخير فى هذه الكلمات ؛ وربما استفاد من الانتباه إلى حركة الحرف الثانى أكثر من ذلك ، لكثرة وقوع الخطأ فيها . .

فيكفى الطالب أن يعرف الكلمة ، ويلاحظ عملها فى العبارة دون أن يتوغل فى تعيين حركة بنائها . .

فمنذ ما نسعى إلى تمرين الطلاب على تحليل العبارات ، يجب أن نطلب إليهم أن يعينوا نوع كل كلمة من كلماتها . . ويذكروا الوظيفة التى تقوم بها فى العبارة كل واحدة منها . واما إعرابها فى المعنى المصطلح والبحث فى حركة حرفها الأخير ، فيجب أن ينحصر فى المعربات منها .

وأعتقد أن هذه الخطة تخلص المعلمين والمتعلمين من إتعاب الذهن وإضاعة الوقت فى أمور غير مجدية ، وتضع حداً للملل الذى يغشى درس اللغة العربية فى أكثر الأحيان .

« بغداد »

أبو خلدون

كتاب المبشرين الطاعن فى عربية القرآن

أمسلم مصرى أم مبشر برنستنى ؟

— ٣ —

إن المبشرين البروتستنت الذين أضلوا ذلك الكاتب المسلم فضل وروى باطلهم — ليستيقنون أن القرآن هو الكتاب العربى المبقرى ، ويعلمون أن تلكم (الآلات) انما هى قواعده قد أخذت منه ، وكانت له . فلن يخطىء فيها . . وكيف يخطىء فيها . . ؟!

إن القرآن لهو الكلام العربى الصافى الصرف المحقق الصحيح الذي لاريب فيه . وكل قول غيره يلاقيه الشك شاكى السلاح . فهو حجة الأقوال العربية وظهيرها . وليست الأقوال العربية — وان كانت من خدمه — بحجة له ولا ظهيراً

ولقد قال العربانيون المنصفون والمبقريون والمفكرون من الغربيين فى عربية القرآن الصريحة الخالصة وعبقريته قولهم ، وقرأ المبشرون (المضللون) ما كتب المنصف ، وقال المبقرى . وإن كتموا الحق ، وجحدوا بالذى استيقنته أنفسهم — أينكرون قولا فى كتابهم الذى نشروه للاضلال — مبينا ؟

قال (سال) فى (مقالة فى الاسلام) : Essay an islam

« مما لاخلاف فيه أنه (يعنى القرآن) الحجة التى يرجع اليها فى العربية ، وأنه شمس [1] قلادة الكتب العربية ، وواسطة عقدها »

إن هذا فى (مطبوع) المبشرين الذين يخطئون (الكتاب) فى العربية . وإنه لذم وتقريع للسفسطيين المقبحين لكن صخرى الوجه لايستحى

وإذا لام (المضللين) لائم ، وقبح عليهم ما يصنعون قال لسان الحال : إنا ماشر ّقنا محترفين بحرفة (التضليل) — وما التضليل إلا حرفة من الحرف — وآخذين جمالاتنا [2] إلا لنعمل

(١) الشمس : معلاق القلادة فى العنق

(٢) الجمالة — مثلثة — الجعل ، الاجر. وفي (الفائق) : ذكر عند ابن عمر الجعائل فقال : لا أغزو على أجر ، ولا ابيع أجرى من الجهاد

مايفيه المجهلون المطمون ، فهى الجمالة ، وهو الرغيف . فلا تلومونا ولوموا المعدة ..

أجل ، إن المضللين ما طرءوا على هذه الأقاليم ليحقوا حقا ، ويزهقوا باطلا ، ويهدوا ضالاً ، ويرشدوا حائراً ، بل جاءوا منوِّين متوهين حتى يخرجوا المسلمين من دينهم فيستعبدهم الغربيون المغيرون استعباد الهون [(١)] . وقد قال (غلادستون) : لاراحة للعالم (يعنى قومه) ماكان القرآن . وقال سواس فرنسيون : لن يكون لنا الملك الحق فى بلاد المغاربة أو نغرب دين القوم

فالمضللون ، مقصدهم أن يصدوا أمة محمد عن كتابها ، ويلفتوها عن شريعتها ابتغاء أن تذل للغربى وتستقيد . فليس الشأن إذن فى نحلة تبطل أو عقيدة تزول ، لكنه أمر أمم تستخذى وتهون بل تفنى وتبيد . فليدر بهذا السفهاء والبله والأغبياء من المسلمين إما كانوا يجهلون

والمضللون مدفوعون إلى اقتراف مايقترفون : تدفعهم حرفتهم وجمالتهم والرغيف المأكول ، فهم مرغمون أن يسلكوا كل سبيل فى التضليل ، ويتذرعوا بكل ذريعة غير متذممين من منكر ، ولا متصحبين من شىء ، وغير حافلين بكل خيبة تجبههم ، وبكل خذلان يصفعهم ، وبكل لعنة تتبعهم . وطرق الشر عند هذه الإضمامة (الجماعة) كثيرة ، وذرائع الفساد مستوفرة . فهناك التنويم المغناطيسى .. وهناك التنويم النسوى ... وحكايات هذين التنويمين من وسائل التضليل معروفة فى القاهرة مشتهرة ومن كفر منوماً وسنان عاد إلى الايمان مريبا يقظان . وهناك الجنون المجنون فى الإقدام على تغليط القرآن فى العربية ...

* * *

ليس فى القرآن آية أو كلمة قد عدلت عن سنن العرب ، وان (علم العربية) أو النحو أو القواعد العربية — كما يسميها مسمون — هو حجتها ، وهو دليلها ، وهو المهيمن عليها ، وشواهدها كلماته ، وهذا كتاب سيبويه وهذه أبوابه وبيناته ذلكم القرآن . بيد أن المضللين يقولون : نحن نهذى ونخرفش [(٢)] ، وعلى إبليس تتميم العمل . وقد جمعوا فى (مكتوبهم) بضع عشرة آية (منها الست التى نقلناها — وزعموا أنها مالت عن نهج العربية ، وتلكم الآيات الكريمات كلهن قواعدهن مبينة مفصلة فى (علم العربية) تفصيلا . وهذه أقوال نحوية فى الست المنقولة

* * *

١ — . . . والصابرين . . . قرىء (والصابرون) وقرىء (والموفين والصابرين) والنصب على التعظيم والمدح كما قال (الكتاب) وفصلت (خزانة البغدادى) والقراءة الناصبة تنصر قول الخِرْنِق (أخت طرفة) :

لا يبعدن قومى الذين هم   سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك   والطيبون معاقد الأزر

وتؤيد ما أنشد الفراء :

إلى الملك القرم وابن الهمام   وليث الكتيبة فى المزدحم

قال (جامع البيان) : « إن من شأن العرب إذا تطاولت صفة الواحد الاعتراض فى المدح والذم بالنصب أحيانا وبالرفع أحيانا »

وقال أبو على الفارسى (أستاذ الأئمة وشيخ ابن جنى) : « إذا ذكرت الصفات الكثيرة فى معرض المدح والذم فالأحسن أن تخالف باعرابها ، ولا تجعل كلها جارية على موصوفها ، لأن هذا الموضع من مواضع الإطناب فى الوصف والابلاغ فى القول ، فاذا خولف باعراب الأوصاف كان المقصود أكمل ، لأن الكلام عند اختلاف الاعراب يكون وجها واحداً ، وجملة واحدة »

٢ — ... فاصدق وأكن . . . قرئ (وأكون) بالنصب على اللفظ ، (وأكون) على وأنا أكون ، وقرىء (وأكن) على محل فاصدق . قال المبرد : « وأكون على ماقبله لأن قوله فاصدق جواب للاستفهام الذى فيه التمنى ، والجزم على موضع الفاء » قال الرضى : « وكذا ماجاء بعد جواب الشرط المصدر بالفاء نحو قوله تعالى : (من يضلل الله فلا هادىَ له (ويذرهم) قرىء رفعاً وجزما ، ولا منع فى العربية من النصب ، فلما كان فاء السببية بعد الطلب واقعاً موقع المجزوم جاز جزم المعطوف عليه ؛ قال تعالى : فاصدق وأكن »

قال ابن يعيش : « فاذا عطفت عليه فعلا آخر جاز فيه وجهان النصب بالعطف على مابعد الفاء ، والجزم على موضع الفاء ، ونظير ذلك فى الاسم : (إن زيداً قائم وعمرو ، وعمراً) إن نصبت فبالعطف على مابعد أن ، وإن رفعت فبالعطف على موضع إن

(١) الهون : الهوان الشديد ، قال (الكشاف) فى (عذاب الهون) : اضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه
(٢) الخرفشة مثل الخربشة والخرمشة

قبل دخولها وهو الابتداء » والقراءة الجازمة تنصر صاحب الصمصامة فى قوله :

دعنى فأذهب جانباً يوما وأكفك جانبا

٣ — . . . كن فيكون . . . من كان التامة أى احدثْ فيحدث « والرفع على الاستئناف أى فهو يكون » كما قال المكبرى . قال الرضى : « وأما النصب فى قراءة أبى عمرو فللتشبيه بجواب الأمر من حيث مجيئه بمدالأمر ، وليس بجواب من حيث المعنى » « وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ، ولا قول ثم » كما قال (الكشاف) وهو « حكاية حال ماضية » كما فى هذا الكتاب

وقد كان (يكون) ولم يكن (كان) إذ لو قال : (كان) ماقلنا : إنه (قرآن) ؛ إنه (الكتاب) يتكلم لا نحبو مسكين فى (الاهرام) و (المقطم) ومثل هذا فى (المعانى) مشروح فى المطولات والمقصرات أو المختصرات ؛ قال الخطيب فى (الايضاح) « قال : (فاضربُها) ليصور لقومه الحالة التى تشجع فيها على ضرب الغول ، كأنه يبصرهم إياها ، ويتطلب منهم مشاهدتها تعجيباً من جرأته على كل شدة ، ومنه قوله تعالى : (انّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون) وكذا قوله تعالى : ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح فى مكان سحيق »

وعلم (المعاني) نحو من (علم العربية) بل هو علم معانى النحو ، وقد (استقل) يوم قطعوا (العربية) وان يفارق نشء العرب وطلابهم ذاك الهم ، وذاك الغم ، وذاك الضيم الأوقت (الضم) وحين جمع الاخوة

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لاتلاقيا

٤ — « وقطعناهم اثنتي عشرة [(1)] أسباطا ، أمما » قرىء وقطعناهم بالتخفيف . وعشرة بكسر الشين . قال (جامع البيان) : « قطعناهم قطعا اثنتى عشرة ثم ترجم عن القطع بالاسباط » قال المكبرى : « اثنتى عشرة : مفعول ثان أو حال أى فرقناهم فرقا (اسباطا) بدل من اثنتي عشرة (أمما) نعت لاسباط أو بدل بعد

(١) قال الفراء : إنما قال ذلك لأنه ذكر بعده أمما فذهب التانيث إلى الأمم . قال ابن جرير هو مثل قوله

وإن كلابا هذه عشر أبطن وأنت برىء من قبائلها العشر

قال قطرب : يقال : هذا سبط ، وهذه سبط

البدل » قال الزمخشري : « لوقيل اثنى عشر سبطا لم يكن تحقيقا لأن المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة ، وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ، ونظيره : بين رماح مالك ونهشل [(1)] قال ابن يعيش : « فان قلت عشرون رجالا كنت قد أخبرت أن عندك عشرين ، كل واحد منهم جماعة رجال كما قالوا : جمالان وإبلان »

وسنين فى الآية الكريمة : « ولبثوا فى كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا » بدل مثل (الاسباط) كما قال ابن الحاجب والرضى والزمخشري وابن يعيش وغيرهم . قال الزمخشري : « وقرىء ثلاث مئة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد فى التميز كقوله : قل : هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا » [(2)] قال الرضى : « الأصل فى الجميع الجمع [(3)] فاذا استعمل المميز جمعا استعمل على الأصل »

٥ — ... والصابئون والنصارى ... قرى (والصابئون) بالنصب والرفع وأورد المكبرى سبعة أوجه في رفعها . قال (الكتاب) : « وأما قوله عز وجل (والصابئون) فعلى التقديم والتأخير كأنه ابتدأ على قوله والصابئون بعد ما مضى الخبر » قال الفراء : « إن كلمة (إن) ضعيفة فى العمل ههنا » قال خطيب الري : « إذا كان اسم إن بحيث لا يظهر فيه أثر الاعراب — مثل الذى وهذا والذين وهؤلاء — فالذى يعطف عليه يجوز نصبه على إعمال هذا الحرف والرفع على إسقاط عمله » وقال (فتح القدير) : « إن خبر إن مقدر والجملة الآتية خبر (الصابئون والنصارى) كما فى قوله :

(١) ثني رماحا وهو جمع على تأويل رماح هذه القبيلة ورماح هذه القبيلة وقبله : تبقلت فى أول التبقل (شرح شواهد الكشاف)

(٢) جمع المميز للايذان بأن خسرانهم كان من جهات شتى لا من جهة واحدة (ابن يعيش)

(٣) قال (المفصل) « ومما شذ عن ذلك قولهم ثلاث مئة إلى تسع مئة اجتزؤا بلفظ الواحد عن الجميع وقد رجع إلى القياس من قال :

ثلاث مئين للملوك وفى بها ردائي وجلت عن وجوه الأهاتم

قال ابن يعيش : « يريد أنه شذ عن القياس وأما من جهة الاستعمال فكثير مطرد » قال سيبويه : « وأما ثلاث مئة إلى تسع مئة فكان ينبغى أن يكون مئين أو مئات ، وليس بمستنكر فى كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع ، ومثل ذلك فى الكلام قوله سبحانه وتعالى : فان طبن لكم عن شىء منه نفسا ، وقررنا به عينا ، وإن شئت قلت أعينا وأنفسا كما قلت ثلاث مئة وثلاث مئين ومئات »

نحن بما عندنا وأنت بما   عندك راض والرأى مختلف (١)

والقراءة على ما ذهب إليـه الخليل وسيبويه تنصر بشر بن أبى خازم القائل :

وإلا فاعلمـــوا أنا وأنتم   بغاة ما بقينا فى شقاق (٢)

وتؤيد قول ضابئ البرجمى فى رواية :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله   فانى وقيارٌ بهـا لغريب (٣)

٦ — ... والمقيمين الصلاة ... قرىء والمقيمون والمقيمين والنصب على التعظيم كما قال (الـكتاب) فى (باب ما ينتصب فى التعظيم والمدح) وذكر المكبرى ستة أوجه للنصب . وروى (الـكتاب) فى ذاك الباب قول ذى الرمة :

لقدحملت قيس بن عيلان حربها   على مستقل للنوائب والحرب

أخاها إذا كانت غضابا سما لها   على كل حال من ذلول ومن صعب

ثم قال : « إن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه ولـكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعلته ثناء وتعظيما ، ونصبه على الفعل كأنه قال: اذكر أهل ذاك ، واذكر المقيمين ، ولكنه فعل لا يستعمل اظهاره . وليس كل موضع يجوز فيه التعظيم ولا كل صفة يحسن أن يعظم بها ، فاستحسن ما استحسنت العرب ، وأجره كما أجرته »

قال البصريون : « إذا قلت مررت بزيد الـكريم فلك أن تجر الـكريم لـكونه صفة لزيد ، ولك أن تنصبه على تقدير أعنى ، وإن شئت رفعت على تقدير هو الكريم ، وعلى هذا يقال : جاءنى قومك المطعمين فى المحل ، والمغيثون فى الشدائد » والعربية تنصب على الشتم والذم كما تنصب على التعظيم والمدح . قال أمية بن أبى عائذ :

ويأوى إلى نســوة عطل   وشعثاً مراضيع مثل السعالى (٤)

وقال ابن خياط العكلى :

وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم   إلا نميراً أطاعت أمر غاويها

الظاعنين ولما يظعنوا أحداً   والقائلون لمن دار نخليها ؟! (٥)

* * *

وكتاب (الضالين) هذا معروف ، وطبعاته كثيرة ، وقد عزى إلى (هاشم العربى) وهو من قبيلة (هيّان بن بيّان أو ضُلّ بن ضلّ) المشهورة . . . وفى (قرار النيابة العامة) الذى أعلنه الأستاذ (محمد نور) رئيس نيابة مصر فى شأن أستاذ مسلم — اشارات إلى كتاب المبشرين أرى نقلها فى هذا المقام . قال الأستاذ الرئيس (محمد نور) :

« ... على أنه سواء كان هذا الغرض من تخيله كما يقول أو من نقله عن ذلك المبشر الذى يستتر تحت اسم هاشم العربى فانه كلام لايستند إلى دليل ولا قيمة له . على أننا نلاحظ أن ذلك المبشر مع ماهو ظاهر من مقاله من غرض الطعن على الاسلام كان . . . كما نلاحظ أيضاً أن ذلك المبشر قد يكون له عذره فى سلوك هذا السبيل لأن وظيفة التبشير لدينه غرضه الذى يتكلم فيه ، ولـكن ما عذر ... يقول الأستاذ ... وهاشم العربى يقول فى مثل هذا .. فسبحان من أوجد هذا التوافق بين الخواطر !)

ولما ظهر مؤلف المبشرين أشاع مشيمون تكبيراً لحقير ، وترويجا لزائف ، وتهويلا بضئيل شخت — أن هاشما العربي هو صاحب (مجلة الضياء) ثم نجمت طبعة للـكتاب بعد موت اليازجى وفيها : « هاشم العربى الشيخ اليازجى »

« الاسكندريه » * * *

تنبيه على تطبيع

فى القسم — ١ — من هذا البحث : « وانجرأ واستجر » وهى : وانجرّ أو استجر. وفى القسم — ٢ — : «لأن أصله فعل» بالتشديد وهى: فعل بفتح العين(اى ذو) و «وإنما هو بلاغة الـكتاب» وهى: وإنما هى . و «لابى البركان الانبارى» وهي . البركات . و «وهذا ضوؤها» وهي: ضوءها .

قال أحد الفضلاء : « مات علماؤنا (رحمهم الله) ولم يفرغوا من تحرير رسم الهمزة . » وفى (الرسالة) السنة (٦) الصفحة (٨٣٧) قاعدتها الموجزة



(١) قيس بن الخطيم ، وهو من أبيات الـكتاب ، استشهد به مقويا لما جاز من حذف المفعول

(٢) قال سيبويه : « كأنه قال : بغاة ما بقينا وأنتم » أى كذلك

(٣) فانى لغريب وقيارها كذلك (٤) (٥) من أبيات (الـكتاب)

مؤتمر المستشرقين العشرون

المنعقد فى مدينة بروكسل

من ٥ إلى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٣٨

للدكتور مراد كامل

حفلت عاصمة البلجيك بنخبة من علماء المشرقيات فى الثلث الأول من شهر سبتمبر . وقد زاد عددهم على عدد الذين اشتركوا فى مؤتمر المستشرقين السابق المنعقد فى روما سنة ١٩٣٥

هذا وقد قسمت أعمال المؤتمر ومحاضراته تسعة أقسام : علوم مصرية قديمة وأفريقية — علوم أشورية — آسيا الوسطى — الهند — الشرق الأقصى — اللغات والشعوب السامية — العهد القديم والعلوم اليهودية — الإسلام — الشرق المسيحى

وإذ بلغت المحاضرات التى ألقيت الثلاثمائة أو زادت (بلغات مختلفة منها العربية والفرنسية والانجليزية والألمانية والايطالية) سأقصر بيانى على أجلها شأناً تارة بالتفصيل وتارة بالاشارة :

القسم الأول : تقرير عن حفائر مدينة إدفو التى قامت بها جامعة فارسوفيا والمعهد الفرنسى للآثار الشرقية . تكلم فيها المحاضر وهو سانت فارجرنو على آثار الدولة القديمة المكتشفة فى الحفريات من الأسرة السادسة ثم على آثار الدولة الوسطى .

— ألقى الأستاذ سامي جبره محاضرة بواسطة الفانوس السحرى عن حفائر الجامعة المصرية فى تونه الجبل (هرموبوليس الغربية) أظهر فيها أهم الآثار المكتشفة وقيمتها التاريخية

— محاضرة عن فكرة النقود والمعاملة بها فى مصر القديمة لدميل من فينا

— محاضرة عن الضمير فى اللغات الكوشية فى الحبشة لفراريو الايطالى

— ألقى الأستاذ مورينو رئيس القسم الشرقى فى وزارة المستعمرات الايطالية محاضرة ذكر فيها النتائج التى وصل إليها العلماء الايطاليون حديثاً فى بحثهم عن لغات السداما الشرقية فى الحبشة وعن مركزها بين اللغات الأخرى

القسم الثانى : تكلم الأستاذ كرستيان من فينا عن أول ظهور الشعوب السامية فى ما بين النهرين وقال إن التاريخ يحقق وجودهم حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م إلا أن هناك دلائل لغوية تثبت لنا وجودهم قبل هذا التاريخ

— أراد هروزنى أن يثبت بمقارنة لغوية أثر السومريين والأكاديين فى الحضارة المصرية لأربعة آلاف سنة ق . م

القسم الثالث : تكلم الأستاذ عينى التركى على اللغة التركية فى بغداد فى القرن الحادى عشر الميلادى فذكر قاموس محمود ابن الحسين بن أحمد الكشكرى الذى وضعه بأمر الأمير عبد القاسم عبد الله بن الخليفة العباسي المقتدى سنة ٤٦٦ هـ ثم أشار إلى مخطوط من هذا العصر يحتوى على شعر باللغة التركية والفارسية لعبد القادر الكيلانى

— وقد تكلم الهمدانى (لندن) على مخطوط وجده فى القسطنطينية فيه قصيدة صوفية فريدة لأوحد الدين الكرماني المتوفى سنة ٦٣٥ هـ والمساة « مصباح الأرواح » فنقد القصيدة وترجم للشاعر

القسم الرابع : ألقى شترجى من جامعة كلكتا محاضرة عن مخطوط بالحروف العربية — الفارسية، استخلص منه طريقة نطق اللغة السنسكريتية فى شمال الهند فى العصور الوسطي

القسم السادس : ألقى الأستاذ بروكلمن المستشرق المعروف محاضرة عنوانها « معضلات الصياغة الشعرية في الأدب العربى الحديث » وقد قصر محاضرته على الشعر المصرى الحديث فقال : « إن الشعر العربى بقى موثقاً بالقيود القديمة إلى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد ، غير أن استعمال الوشح أدخل نغمة جديدة في النظم التقليدى الجارى على وتيرة واحدة ، ثم حطمه الشاعر خليل مطران من قيود القديم متأثراً بالفرد دى موسيه الشاعر الفرنسى الابتداعى فأنشأ مدرسة من أفرادها أبو شادى المتأثر بالأدب الانجليزى، ثم هب الجيل الحديث فذهب فى تجديدالصياغة مذهباً يمتاز بالجرأة والاستقلال » وذكر المحاضر شعر الدكتور بشر فارس مثلا لنظم الجيل الحديث

— أفضت السيدة الانجليزية تومسن بواسطة الفانوس السحرى بنتيجة الكشف عن معبد بوادى عمد فى حضرموت

ثم تلاها الأستاذ روكمن مجملا شرح النصوص السبأية التى وجدت بهذا المبد والتى أنافت على الستين

— تحدثت الآنسة هوفنر من جامعة جراتز من أعمال النساء عن نتائج بحثها فى المصدر والفعل الماضى فى لغات اليمن القديمة القتبانية والسبأية والمعينية

القسم السابع : وجمل الأستاذ بركلند من جامعة أوسلو موضوع محاضرته « كيف نستدل باللغة العبرية على الحالة الاجتماعية لسكان فلسطين فى العصور القديمة »

القسم الثامن : وأما القسم الاسلامى فقد كان شاملا جامعاً كثرت محاضراته وتوافر المستمعون لها . وقد مثل مصر فى هذا القسم الدكتور طه حسين بك والأستاذ أحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ فييت . وكان عدد غير قليل من المصريين يستمعون إلى المحاضرات ومعظمهم من الطلبة الذين يدرسون فى جامعات أوربا ، وسأبسط أهم المحاضرات التى ألقيت فى هذا القسم بحسب ترتيب إلقائها :

— محاضرة للأستاذ ماسينيون عنوانها « بحث فى قيمة الظواهر الفكرية التى نتجت عن سورة أهل الكهف عند المسلمين » ومما ذكر المحاضر أن المتصوفة سلخوا من هذه السورة ميداناً للتأمل « والشطح » فقالوا : « إن الحلاج سر هذه السورة لأنه مات سنة ٣٠٩ هـ وفى السورة أن الفتية عاشوا فى الكهف ٣٠٩ سنة » وأما الشيعة فقالت : « إنما الكهف هو الزوال الظاهر للحكم » ناظرة بذلك إلى الامام المختفى . وأما أهل السنة فكانوا أكثر تحفظاً ؛ ومما قاله الغزالى : « إن أهل الكهف هم الأقطاب السبعة أو الأوتاد السبعة الذين يحفظون العالم من السقوط لأنهم يمثلون العدل » ثم تكلم المحاضر على تأويل المفسرين لهذه السورة ومذاهبهم فيها وقال إنهم وقفوا عند ألفاظ فيعدوها « مفاتيح » للولوج إلى كنه أسرارها ، ومن هذه الألفاظ : فتية، كهف. فالمحاضرة تدور حول تبيين اعتماد المسلمين على سورة أهل الكهف لشرح أمور إسلامية وقعت بعد نزول القرآن الكريم أو لتعزيزها

— وألقى الدكتور طه حسين بك تقريراً علمياً قسمه قسمين : الأول فى المجهودات التى بذلت فى مصر لتيسير قواعد الاعراب وقد أثار هذا الموضوع اهتمام المستشرقين . وأما القسم الثانى فخاص بكتاب الفصول والغايات لأبى العلاء المعرى ، وفى رأى المحاضر أن كتاب الفصول والغايات هو الخطوة الأولى للزوميات ثم قال : إن أبا العلاء حاول أن يحاكى فيه أسلوب القرآن من الوجهة اللغوية والشكلية

— وتكلم الأستاذ لفجرين من جامعة أبسالا عن شروعه فى طبع الجزءين الأول والثانى من كتاب الاكليل للهمدانى

— وألقى بيرس من الجزائر محاضرة عنوانها « بدء القصص الأخلاقية والاجتماعية فى الشرق العربي فى مختتم القرن التاسع عشر وغرة القرن العشرين » وقال : إن السياسة تحكمت فى الفكر الأدبى ولا سيما فى مصر من سنة ١٨٨٢ حتى آخر القرن التاسع عشر إلى أن ترجم أحمد فتحى زغلول سنة ١٨٩٩ « سر تقدم الانجليز السكسونيين » . فتنبه المصريون من رقادهم ورجعوا إلى أنفسهم فألفوا فى الاجتماعيات وأهم هذه التآليف كتاب المويلحى (حديث عيسى بن هشام) وهو الذى أنشأ هذا اللون من الأدب فى مصر

— تكلم الأستاذ جويدى من جامعة روما على نشر مخطوطات الكندى الصحيحة المعروفة بفضل نسخة أيا صوفيا رقم ٤٨٣٢

— حاضر الدكتور عبد الوهاب عزام فى « السلطان الغورى ومركزه فى الأدب والعلم »(١) . فبعد أن ذكر شغف الغوري بالعلم والأدب ومعرفته بعلوم الدين والتاريخ ذكر أن له شعراً بالعربية والتركية ومقطوعات لحنها للغناء . ثم تكلم المحاضر عن ثلاثة كتب ألفت بأمر السلطان الغورى : الكتاب الأول « نفائس المجالس السلطانية » لحسين بن محمد الحسيني ، شرح فيه المؤلف بعض مسائل دارت بين السلطان والعلماء ، وجعل الكتاب فى عشرة فصول وسم كل فصل «بالروضة» ثم شرح المحاضر موضوع الكتاب وبين نواحيه الخاصة وقيمته التاريخية . والكتاب الثانى عنوانه « الكوكب الدرى فى مسائل الغورى » وفيه ألفا سؤال دارت حولها مناقشات فى مجلس الغورى وكل ألف من هذه المسائل يقع فى جزء . ثم بين المحاضر هذا الكتاب كمرآة لآراء علماء وأمراء مصر فى ذاك العصر . وأما الكتاب الثالث عن الغورى وشاهنامة الفردوسى ، فذكر المحاضر كيف أمر السلطان

(١) نشرنا ملخصا وافياً لهذه المحاضرة فى العدد الماضى

النوري الشاعر التركى حسين بن حسن بن محمد الحسينى الآمدى بنقل الشاهنامة من الفارسية إلى التركية . وأضاف أن للترجمة مقدمة وخاتمة . تظم ألف بيت تقريباً

— بحث بلاشير كتاب شرح المكبرى على ديوان المتنبى وخرج من بحثه بأن المكبرى لم يؤلف هذا الشرح وإنما ألفه أحد معاصريه

— تكلم الأستاذ أحمد أمين على كتاب الامتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى ، فاستهل الكلام بترجمة لأبي حيان ، ثم ذكر ما دعا أبا حيان لتأليف كتابه ؛ وبيان هذا أن أبا الوفاء المهندس هو الذى قرب أبا حيان من الوزير عبد الله العارض فسامر أبو حيان الوزير ستاً وثلاثين ليلة؛ فسأله أبو الوفاء أن يقص عليه جميع ما دار بينه وبين الوزير فأجاب طلبه بهذا الكتاب . ثم حقق المحاضر شخصية الوزير أبى عبد الله العارض ورجح أنه هو الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمصام الدولة البويهى . ثم ترجم لأبى الوفاء . ثم ذهب المحاضر فى وصف الكتاب فبين تنوع موضوعاته وطرافتها وختم محاضرته بأن بشرنا أن الجزء الأول من الكتاب سيكون بأيدى القراء فى شهر أكتوبر لهذه السنة وسيلحقه الجزء الثانى

— تكلم الأستاذ كاله على مخطوط لمحمد بن دنيال التوفى سنة ١٣١١ م عن خيال الظل فى مصر أعده للنشر

— وألقى الأستاذ شاده محاضرة عنوانها « العمل المشترك بين الشرقيين والمستشرقين لدراسة الأدب العربى »

وألقى الأستاذ جب محاضرة عنوانها « بعض اعتبارات فى نظرية أهل السنة عن الخلافة »

— وقال كسكل من دنزخ فى محاضرة سماها « مقدمة لتاريخ بلاد العرب » : إن تكوين الشعب العربى بدأ فى القرن الثانى للمسيح بعد أن أفسح له المجال سقوط دولة النبط . وزاد أن تكوين هذا الشعب ظهر فى شمال الجزيرة أولاً واستدل على هذا بوجود اللغة العربية الفصحى على النقوش التى ترجع إلى القرن الثالث للمسيح

— وألقى آبل من بروكسل محاضرة عن « الاتجاهات اللغوية فى كتب الشعوبية » وبين أن الشعوبية تأثرت بالفارسية فى فارس وباليونانية والسريانية فى الشام والعراق . وهذا النوع من البحث يرفع الستار عن اندماج الحضارات المختلفة بالاسلام ويثبت لنا الكثير من تاريخ الفكر العام ، ويمكننا من دراسة تطور اللغات ومقارنة اللغات السامية

— وتكلم الأستاذ برتسل من جامعة ميونخ على « طرق الدراسات القرآنية وأغراضها »

— وألقى الدكتور بشر فارس محاضرة بين فيها طريقته فى نقد الأدب العربى الحديث ، فابتدأ يعرض مذهبه من الناحية الفلسفية فقال إنه ينظر إلى الأدب الحديث من جانب اجتماعى لكى يلمس ظواهر الأزمة المنوية والأخلاقية والثقافية التى يعانيها الشرق العربى فى هذه الفترة . ثم أخذ يحلل ستة كتب ظهرت سنتنا هذه على سبيل التمثيل . فعرض للأزمة المنوية بنقد كتاب فى (منزل الوحى) لحسين هيكل ، و(على هامش السيرة) لطه حسين ، ثم للأزمة الأخلاقية بنقد كتاب (سارة) للعقاد ، و(فى الطريق) للمازنى ، ثم الأزمة الثقافية بنقد كتاب (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم ، و(سندباد عصرى) لحسين فوزى. فخرج من هذا التحليل بتدليل مستقيم على شرح طريقته التى بينها فى أول المحاضرة

— وشرح لنا الأستاذ ڤييت فى محاضرة لطيفة اسطرلاباً مربعاً صنع فى دمشق برسم أمير دمشق سنة ٧٦٧ هـ

— وتكلم ليڤى بروفنسال على رسالة وجدها فى مكتبه لمدينة فاس وعنوان الرسالة « كتاب الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة » ألفها أبو الحسن على بن يوسف الكومى المديونى من سنة ٧٦٧ — ٧٧٤ هـ

القسم التاسع : ألقى الأستاذ سيمون أستاذ اللغة القبطية والحبشية فى المعهد البابوى بروما محاضرة عن المخطوطات القبطية بلهجة الفيوم المكتشفة حديثاً والتى يرجع تاريخها من القرن الرابع إلى الحادى عشر للميلاد وبين قدر هذا الاكتشاف فى تاريخ اللهجة القبطية الفيومية

— وألقى هوسهر محاضرة عن جريجوار القبرسى السريانى الذى عاش حوالى سنة ٦٠٠ م وتكلم على كتبه فى التصوف وعلى أثر تاريخ الأدب الصوفى السريانى فى الأدب الصوفى البيزنطى والاسلامى

عود على بدء

بين الغـــرب والشرق

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

(بقية المقال الرابع)

٨ – يسخر المناظر من قولنا أن هناك صلة اليوم بين الثقافة والعلم على اعتبار أن الثقافة تنبثق من العلم ، نظراً لأن الحياة اليوم ينظمها العلم بقواعده المادية – ويقول : أى صلة بين المبادئ الأدبية التى يقوم المجتمع عليها وبين علم طبقات الأرض . ونحن نقول إن هنالك صلة ، ومرد هذه الصلة أن العلم بكشفياته يقيم حياة مصبوبة على نمط معين ، ويتأثر بهذا النمط الانسان فى شعوره واتجاهاته ومنحاه ، بيان ذلك أن علم طبقات الأرض – وهى التى ضرب بها مثلاً المناظر – بما تنتهى إليه من اكتشافات لها أثر فى الحياة الأدبية ، ذلك أنه من المعروف الآن أن الكشفيات الأخيرة فى الصعيد من جهة أسوان كشفت عن مناجم للحديد يمكن استغلالها لمتوسط نصف مليون طن سنوياً لألفى عام . فهذا الاكتشاف الذى مرده البحوث العلمية فى طبقات الأرض لو استغل استغلالا صناعياً فى مصر لأقام صناعة فى مصر يشتغل فيها على أقل تقدير ثلاثة ملايين عامل ، ومثل هذه الحياة الصناعية تحدث تغيراً فى الحياة الأدبية والتصورات والأخلاق ، إذ يحدث تطور من صور حياة أدبية لشعب زراعى إلى حياة تكافئ جماعة أخذت بالصناعة ، وعلى هذا الوجه يستبين مفهوم كلامنا ولقد ضربنا مثلا بمصر وبطبقات الأرض التى شاء مناظرنا أن يسخر اعتماداً عليها من قولنا بانبثاق الثقافة من العلم فى مدنيتنا الراهنة لتظهر حقيقة غائبة عن المقول فى مصر الحديثة فى منحى الأخذ بها نحو الحياة الأوربية الصحيحة باقامة مجتمع صناعى فيها

أما محاولة المناظر التلاعب بكلامنا باظهاره فى صورة يخترمها تناقض ، فهذا ما نأخذه ونحاسبه عليه ، فلقد قلنا إن الثقافة تنبثق من العلم ومعنى هذا أن الثقافة شىء والعلم شىء ، وأخذنا على اليابان أنها أخذت بنتائج العلم الأوربى ولم تأخذ بالعلم الأوربى نفسه فكان نتيجة ذلك أنها عاشت عالة على أوربا فى علمها وحضارتها ؛ وأنها احتفظت بثقافتها التقليدية مع الأخذ بنتائج العلم الأوربى ، بمعنى أنها لم تأخذ بعلم أوربا وتقيم لنفسها ثقافة تقليدية جديدة تتكافأ مع العلم الأوربى ومنطقه وتنبثق من أسسه . فأين التناقض فى قولنا هذا ؟

لا يا صديقى ، لا يكون الكلام باسقاط بعض القول . قلنا إن اليابان أخذت بنتائج العلم الوضعى ، فجعلتها يا صديقى أنها أخذت بالعلم الوضعى ، وشتان بين الاثنين !

لسنا جوادى رهان نتسابق . ولسنا في مجال نريد أن ننتصر لرأينا حقاً أو باطلا . إن فى أعناقنا مصير قضية ملايين من حيث تعلق مصيرها بقضية الغرب والشرق فيجب أن تكون وجهتنا الحقيقة وعدم تزييف الكلام ...

٩ – يشكرنا المناظر على قولنا بأن المنطق شىء مشاع بين الأمم ، ظاناً أننا كنا أنكرنا مشاعيته من قبل ، وهذا ظن عريق فى الوهم . فنحن لم نغير من موقفنا شيئاً ... « المنطق مشاع ولكن يجب أن تمرن الأمم عليه قبل أن تصبح متنلفة فى تفكيرها ، إذ ليس المنطق أسلوباً فى التفكير يتبع وأقيسة يجرى

– وبحث بلايل من هيدلبرج عن بدء الكتابة بالحروف القبطية وذكر اكتشافه لورقتين من أوراق البردى يتبين منهما المحاولات الأولى للكتابة بالحروف القبطية ويرجع تاريخ هاتين الورقتين إلى ما قبل أوراق البردي الموجودة بهيدلبرج والتى ترتد إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وأخبر أيضاً باكتشاف ورقة بردى ترجع إلى القرن الثانى بعد الميلاد تبين لنا كيف استعان المصرى بالحروف الديموطيقية لخط الحروف القبطية التى أخذت عن اليونانية

هذا وقد قامت مناقشات بعد إلقاء طائفة من المحاضرات ، رأيت إهمال ذكرها خشية الاطالة والاثقال ، وممن اشترك فى المناقشات فجاء بجديد أو دفع وهماً أو حقق مسألة متشابهة الأستاذ ماسينيون والدكتور طه حسين بك والأستاذ جويدى والأستاذ كولان والأستاذ كابار والدكتور بشر فارس والأستاذ كلنجهين والأستاذ كرنكو

« برلين »

مراد كامل
دكتور فى اللغات السامية

عليها ، إنما هى قبل كل شيء ميل عقلي واتجاه ذهنى يمكن أن يكتسب !

هذا ما قلناه فى مقالنا الأول ، فنحن عند رأينا بأن للمحيط أثره فى المنطق والتفكير المنطقى . للمحيط الطبيعى والمحيط الاجتماعى أو بتعبير أدق لنتوج الصلات والفواعل المتخالطة من المحيط الطبيعى والمحيط الاجتماعى أثر فى المنطق من حيث هو ميل عقلي واتجاه ذهني ، وفى هـذا سر قعود الشرقيين عن مجاراة الغربيين ، لأن منطقهم حينما يتكافأ ومجتمعهم ذا الطابع النسبى ، وحين يتغلب الطابع اليقينى على هذا الشرق فهذا المنطق النسبي سيقف عقبة كؤودا فى طريق رقي العالم الشرقى .

سيأتى ذلك اليوم قريباً وذلك الزمان وشيكاً ، وستقوم العقلية اليقينية فى الشرق والمنطق الاثباتي فى العالم العربي نتيجة لتغلب الاتجاه الغربى على هذا الشرق بحكم كون الغرب مركز الجذب الاجتماعى فى عصرنا . إذاً فلسنا نحن فى حاجة إلى الانتقال إلى الغرب لاكتساب عقلية يقينية كما يقول المناظر ، إنما كل ما نحن فى حاجة إليه أن يتقوى الاتجاه نحو الغرب فتقوم العقلية اليقينية بين ظهرانينا . ومع هـذا فالدلائل قائمة على أن العقلية اليقينية أخذت طريقها إلى هذا الشرق ، وهى أوضح ما تكون في الفكر المصرى البحاثة اسماعيل مظهر وفى جماعة يحتذون حذوه اليوم .

أما ما يثيره من اعتراض لتعبيرى بالفلسفة الأسلامية عن فلسفة ابن سينا والفارابى وابن رشد بأن فلسفة المفكرين فى الاسلام لم تكن تمت إلى الدين بصلة ، وليست إسلامية ولا مسيحية فرد ذلك التباس فى فهم مفهوم عبارتى ، فاصطلاح الفلسفة الاسلامية يعنى فلسفة الفلاسـفة الذين ظهروا فى الاسلام ، أو بتعبير أدق يعنى الجانب الفلسفى من المدنية الاسلامية . وإذاً يكون كل ما ينفيه على اعتراضه ساقط بسقوط الاعتراض نفسه

١٠ — يتعجب الناظر الفاضل من تحليلنا الفلسفة الاسلامية إلاّ أنها تفيد إرادة الله بنظام هـذا الكون وسننه . واعتبارنا أنها نتيجة للأثر الاغريقي التى توارثته عن مدارس النساطرة والاسكندريين ، والواقع أنى حائر صدد هذا التعجب الذى لا أفهم له معنى . ولولا حسن ظنى بثقافة مناظرى وعلمه لقلت إن مردّه عدم الوقوف كلياً على فلسفة فلاسفة الاسلام خاصـة والفلسفة عامة ، وإلا فما معنى التعجب من تقييد إرادة الله بنظام هـذا الكون وسننه ؟

ولولا خشية الاطالة لكنت سمحت لنفسى أن أنقل نتفاً من كتب الفلاسفة أشرح لناظرى الفاضل هذه المسألة ، وأظن أن فى إمكانه أن يغنيني مشقة هذا النقل بأن يراجع كتب الفلسفة وخصوصاً المطولات منها فيما يتعلق بارادة الله والخلق والابداع ..

* * *

وهناك أشياء لو ذهبت أعلق عليها وأبين زيفها فى ردّ المناظر علينا ، لانتهيت إلى مقالين آخرين ، غير أنى أكتفى بما اجتزأته فى هـذا المقال والمقال الذى سبق ففيه الكفاية لاظهار زيف ما ذهب إليه مناظرنا الفاضل ، وإنى لأرجو مناظرى إن شاء أن يعاود الرد ألا يترك لشاعريته المجال فيصول ويجول ويتدفق على غير أساس علمى أو منهج بيّن ، وإلاّ لتعذر النقاش. فهاهو لم يخرج فى كل رده بما يؤيد وجهة نظره أو ما يرد على وجهة نظرى من الاجتماع والتاريخ

لقد كان المناظر كالشلال المدّار التدفق فى رده ، ولـكن كان مردّ هذا طبيعته النفسية ، ولهذا كانت تتكسر أمواجه على حقائق الاجتماع والتاريخ فما يفيق من الاصطدام بالواقع الملموس وما تقيمه من حواجز أمامه حتى يعود فيرتد ليتدفق من جديد في اندفاع مردّه كما قلنا طبيعته القوية ، ولكن ليصطدم بحقائق الواقع فيرتد لينسبط ويتمرج لآفاق وأودية جديدة ، وهكذا ... ولـكن إلى متى أيها الصديق ؟

إنى أعوذ الصديق من وضمه منطقه الخطابى وأسلوبه الفياض فى نصرة قضية زائفة إلى الحد التى لا تجد لنفسها ما يسندها وتقوم ... وإنى وإن كنت قد شددت القول على صديق المناظر فما بى الحاجة أن أقول له إن مردّ هـذا ما عليه الوقف على ، وصديق يعرف ماله من الاعتبار عندى ، فلعل فيما قدمت ما يعتذر عنى عنـد الصديق الكريم وحسبي في كل ما كتبته الحقيقة ، والحقيقة ضالة الانسان فى هذه الحياة ، لا يرتاح إلا بأن ينتهى إلى وجه منها .

« أبوتيج » اسماعيل أحمد أدهم

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٩ —

الحب دنيا خاصة طليقة

فى الاستعراض السريع الذى قمت به فى أوائل الحديث عن « غزل العقاد » عرضت رأيه فى « الحب » بالعدد ٢٦٦ من الرسالة ؛ وقلت : إنه يراه « رفعة للنفس ونقلة إلى عالم النجوم ، وأنه قدرة قادرة تهب أصحابها مشابه من الألوهة ومقابس من النبوة »

فمن كمال هذا الرأى أن أذكر اليوم أن من خصائص غزل العقاد ، شعوره بأن الحب يطلقه من قيود الزمان والمكان وضرورات الفناء ، ويمنحه دنيا خاصة طليقة من كل قيد معهود.

ولا يكون الشعور بالحب هكذا ، حتى يكون صاحبه ذا نفس محلقة ، وذا طبيعة ناضجة ، وذا إحساس مترف . فأما النفس المحلقة فهى لازمة له ليتخلص من قيود الزمان والمكان والضرورات عامة ؛ وأما الطبيعة الناضجة ، فهي ضرورية له ليخلص من اللهفة والوله إلى التأمل والترفع ، وأما الاحساس المترف ، فليغني به عن المتع الرخيصة إلى الانتقاء والاختيار

وفى هذا المجال أذكر مقطوعتين : الأولى بعنوان « عهد بين عامين » يقول منها :

«سعاد» وياحسن هذا النداء   إذا ما وجدتك لى صاغية
نسيت التواريخ إلا التى   تعود بذكرك لى راوية
فأنت الزمان وأنت المكان   وأنت غنى النفس باغانية
ولست أعد حساب السنين   بالشمس طالعة غافية
ولكن بوجهك لي مقبلا   ونظرتك الحلوة الساجية
فيوم الرضا عالم حافل   من الحب والذكرة الباقية
ويوم النوى عالم مظلم   تضل الشموس به هاوية

والثانية بعنوان « سنة جديدة » وفيها يقول :

أدركنا موكب السنين   فى موكب الحب سائرين
والحب من يغش ركبه   يساير النجم كل حين
راجع حساب السنين با   نجم ، فما نحن حاسبين
أبا لألوف احتسبتها ؟   أم لم تزل تجمع المئين ؟
ياسنة أقبلت لنا   أقبلت ميمونة الجبين
وداعنا فليكن غدا   كما التقينا ... أتسمعين
فى موكب الحب نلتقى   وفيه نمضى مودعين

وفى هذه القطعة يتضح المعنى الذى نحن بصدده ، فهو يفرض أن الدنيا كلها تسير فى موكب السنين العادية ، وهما يسيران فى موكب وحدهما ، وقد تقابل الموكبان صدفة ، ثم يدع للنجم أن يمدّ سنيه ويراجع حسابه لنفسه ، فما هما بحاجة لهذا الحساب ، ولكنه يطلب فقط من هذه السنة التى صادفتهما سائرين فى موكب الحب أن تودعهما وهما فى هذا الموكب نفسه ، وهى كناية ظريفة عن الرغبة فى دوام الحب واستمراره

وغير هاتين القطعتين كثير متفرق مما يطرق هذا المعنى ويعبر عن هذا الاحساس الذى هو إحدي خصائص غزل العقاد

الحب مطلوب لشوكه كزهره

والحب عند الكثيرين متعة ولذة أو جوى وحرقة ، أما هو عند العقاد فقوة من قوى الطبيعة ، الشوك فيه كالزهر ، والشر كالخير ، كلاهما مطلوب لذاته ، والألم فيه مقبول لأنه كاللذة عنصر فيه أصيل

ولن ينظر إنسان إلى الحب هذه النظرة حتى يخلص به إلى مرتبة «التجريد» بعد أن يسمو به عن الاحساس القريب المحدود ففى قصيدة « القربان الضائع » يقول :

إله عرش الجمال ما بي   يقصر عن وصفه خطابى
ما لضحاياى لا أراها   لديك بالموضع المجاب
ألوم ؟ أم لا يلام رب   يكافئ الحب بالعذاب ؟
وكم تجافى إله قوم   عن سنة العدل فى الحساب
يأبي القرابين غاليات   ويرفع البخس غير آب
فانبذ كثيرى فكل حب   فيه عطاء بلا ثواب
وكن كما كان كل رب   جلّ عن الصفو والجواب

إنى أشبُّ الهيامَ عمرى ... فى قبلة القلب كالشهاب
فارمقه أو غض عنه لكن ... دعه على الدهر في التهاب
ولا تخل برده سلاماً ... فالنار خير من التراب
حبك إن أخل منه يوماً ... خلوت فى عالم خراب

فهنا محب لا تقبل ضحاياه ، ولكنه يريد هذا الحب مشبوباً ، ولا يريده برداً ولا سلاماً إذا كان هذا السلام يطفئ شعلته ويخبي أواره فيتركه فى عالم خراب

وهو فى قطعة عنوانها « فى البعد والقرب » يبدأ بالتشكى من اختلاف حال البعد والقرب من حبيبه ، فيريد ألا يكون فى البعد ناراً . ثم يستدرك فيطالب إليه أن يكون عذاباً كما كان نعيما لأن الحب لا يكمل إلا حين يكون هذا وذاك :

لن يطيب البعد يوماً لن يطيبا ... هن علىَّ اليوم إن كنت حبيبا
لا تكن ناراً من الشوق ولا ... دمعة حرى ولا قلبا كئيبا
لا تكن صحراء فى البعد وقد ... كنت لي فى القرب بستاناً رطيبا
إن تغب شمسا فأوص النوم بى ... قبل أن تمرض عنى أو تغيبا

***

ياحبيبى بل فكن ما كنت لى ... صانك الله بعيدا وقريبا
واجعل الأنس نصيبي فاذا ... غبت عنى فاجعل السهد نصيبا
كن نعيما وعذابا ، ومنى ... تملأ النفس ، وحرمانا مذيبا
هكذا الحب دواليك فمن ... لم يكنه لم يكن قط حبيبا

ولن يقول الانسان هكذا إلا وهو مؤمن بالحب أشد الايمان متقبل منه كل ما يأتى به كما يتقبل المؤمن الصوفى كل ما يأتى به الاله فى خشوع ورضا واطمئنان

ولا يقف هذا الاحساس فى العقاد عند هذا الحد ، فقد يكون بعض الشعراء جاش فى نفسه مثله ، فانما هو فى قطعة ثالثة يتلهف على شوك الحب لمفتة على زهره ، لأن هذا الشوك دليل عنده على قوة الحب ونمائه وفورته ، فحبذا هذا الشوك إذن في دلالته ، ولا حبذا العشب المربع من عتيد الحب ، ولواستنام له الآخرون واستروحوه واستلانوه ؟ وذلك في قصيدة فريدة بعنوان « يومنا » وفيها يقول :

سنة كانت ربيعا كلها ... بين روض يتغنى ويضوع
زهر ناهيك من زهر فأن ... أنبتت شوكا يكن شوك ربيع
حبذا الشوك من الحب ولا ... حبذا من غيره العشب المربع

فاذا وجدنا من المحبين من يقول : سأقبل الشوك من الحب تضحية واحتمالا ، فلن نجد فيهم من يجد فى طلبه ويمدحه لأنه شوك ربيع ، فهو دليل حياة ونماء فى هذا الحب المطلوب المرغوب

وهذه — كذلك — إحدي خصائص غزل العقاد

التمتع الفنى بالحب فى كل حالة

وإذا كانت هذه نظرة العقاد إلى الحب ، فكل حالة من حالاته إذن مقبولة ما دامت حية نامية ، وهو إنما يرتقى به عن المتاع الحسى إلى المتاع الفنى ، فى رفاهية وترف وطرافة ... اسمعه يحدثك عن « شوق إلى ظمأ » والعنوان نفسه يوحى بما وراءه :

رضنى بيومك إن بدا لك ، واترك ... لى من رضاك غدا علالة طامع
ليس ابتعادك عن هواى بجمعد ... عنى هواك ، وليس منعك مانعى
إنى لألتذ الصدى وأطيله ... شوقاً إلى برد الشراب الناقع

وقد نعرف شاعراً يصبر على البعد ، ويستميض بالذكرى والحنين ، عن اللقاء والاجتماع ؛ أما أن يطلب الشاعر أن تضن عليه حبيبته يومها حين يبدو لها ، لأنه يلتذ الصدى ويطيله ليلتذ برد الشراب ، فهذا هو الطريف ، وهو وليد الطلاقة الفنية ، والثقة الماثلة !

وكذلك هو فى قطعة « سحر السراب » :

هذا سرابك جنة تغرى ... يا فاتنى بالقرب والذكر
صحراء بعدك ما خلت أبداً ... من كوثر فى أفقها يجرى
لكنه يغرى وليس به ... رى ، وعندك لجة النهر
وإذا الشراب خلت كوائره ... من مائها لم تخل من سحر
فافتن بذاك وذاك يصف لنا ... أمن المقيم ولهفة السفر

فهو مستمتع بكل حالة ، وإذا فاته رى النهر ، فلن يفوته سحر السراب ، وهذا إنما هو فتنة الشاعر ، إذا كان ذلك فتنة الانسان ، والعقاد إنسان وشاعر وكلاهما فيه متفتح بقظ ممتاز

و « قبلة بغير تقبيل » ومن يستطيعها حتى يكون من دقة الحس وقوة التشخيص ما كان العقاد ، وهو يقول :

بعد شهر : أنلتقى بعد شهر ... بين جيش من النواظر مجْر ؟
لم يحولوا — وحقهم — بين روحينا ... وإن ألزموهما طول صبر
عت القبلة التى تشتهيها ... كلها غير ضم ثغر لثغر

تم منها شوق ، ورفٌّ شفاه   وهوى نية ، وخفقة صدر

وهكذا يحلل القبلة الواحدة إلى عناصر وأحاسيس ، كل منها وحدة تكون جزءاً ، ثم ينظر ما تحقق من « وحدات » القبلة ، فاذا هو كل عنصر روحى فيها ، فلم يبق إلا مظاهرها الحسى وهو « ضم ثغر لثغر » وهذا غير ذى غناء لدى محب فنان !

ومن آثر ما يروى فى هذا المجال ، أبياته فى « عابر سبيل » بعنوان متاع جديد ، وهى فن وحدها ، ولكنه ذو علاقة ببحثنا هذا. وإنما هي امرأة فى الأربعين فى محياها ثنايا وغضون كما يكون فى بنت الأربعين ، ولكن بث الغرام أحيا قلبها ، ففاض بالجمال على وجهها ، وسوى غضونه وثناياه ، فكانت بذلك خريفاً أحاله الغرام ربيعاً ، وكانت بذلك متاعاً طريفاً لما فيه من معنى عودة الماضى ، وهو المستحيل فى دورة الأيام :

من جديد المتاع يوم خريف   تحت وهج السماء عاد ربيعا
ومحيًّا فى الأربعين وديع   تحت بث الغرام شب سريعا
نضح القلبُ بالجمال فسوّي   من ثنايا الغضون وجهاً بديعا
ذاك أحلى من الشباب شبابا   ومن النفس ما يعز رجوعا

يعجبنى في هذه الأبيات — أولاً — صدق ملاحظة الواقع ، فالمرأة فى هذه السن أشد ما تكون استجابة لوهج الغرام ، وهذا أسرع ما يكون فى إفاضة الحيوية عليها ، حتى لتصنع المعجزات فى سيماها ، وكأنما تخلق خلقاً جديداً . و— ثانياً — تعبيره : « نضح القلب بالجمال » فالقلب هنا هو الذى نضح بهذه الحيوية ، فتسوى ما شوهته الأيام . و— ثالثاً — استطرافه لهذا الجمال العائد المفلت من قيود الزمان بقدرة الحب الفنان . و — رابعاً — حسن استمتاعه بهذه الحالة ، وهو ما سقنا لأجله هنا هذا المثال

وهذه الثالثة من خصائص غزل العقاد

نضوج وفهم للأنوثة

ولقد كنت تحدثت عن مظاهر النضوج النفسى والفنى فى غزل العقاد ، وفى « سارة » بوجه خاص . فالآن أكمل هذا الحديث، حينما يطلع الناقد على فهم العقاد الكامل للمرأة، وخبرته بمسارب الأنوثة فيها ومطالبها لديها . وهذه لا تكون إلا حيث يكون نضوج الشخصية ، وكمال التجربة ، ووفرة الملاحظة

فيبدو لمن يقنعون بظواهر الأشياء أن المرأة حينما تحب تريد أن « تأخذ » من حبيبها ، وتنتظر هداياه ومواهبه ومنحه ، وإنما هى فى الواقع — حينذاك — تتأهب لأن « تعطى » كل شىء ، بل هى تتأهب لأن « تؤخذ » أخذ المشتهى المنتهب ، فتحس حينئذ أنها ذات قيمة تستحق من أجلها الأخذ والحيازة !

« قال الشاعر الفرنسى « دوجيرل » لحبيبته : « لو كنت إلها لأعطيتك الأرض والهواء ، وما على الأرض من بحار ، ولأعطيتك الملائك والشياطين الحانية بين يدى قدرتى وقضائى ، ولأعطيتك الهيولى وما فى أحشائها من رحم خصيب، بل لأعطينك الأبد والفضاء والسموات والعالمين — ابتغاء قبلة — واحدة »

وسئل العقاد : « وماذا تعطينى أنت لو كنت إلها ؟ » فقال :

أعطيك ؟ ! كيف وما العطاء بخير ما
تبدى القلوب من الغرام الصادق !
بل لو غدوت كما اشتهيت وأشتهى
ربًّا ، أخذتك أنت أخذ الوائق
فترين أنك حين فزت بحظوتى
أحلى وأكمل من جميع خلائقى
وتسيطرين على الصروف وفوقها
نبضات قلبى المستهام الوامق
إن كان رب الكون عندك قلبه   أهون لديك بأنجم وصواعق !
وبكل شمس فى السماء وضيئة   وبكل بحر فى البسيطة دافق !

ويبدو هذا الفهم فى كل غزل العقاد ، ولكن هذه القطعة أوضح مثال على هـذا المذهب فيما بين الرجال والنساء ، فى الحب الناضج الطبيعى الصحيح

* * *

عنيت أن أطرق هذه النواحى فى غزل العقاد ، وأختار هذه الأمثلة بالذات ، لأوسع الأفق أمام من يهمهم مذاهب الاحساس والتعبير ، ولا سيما فى الغزل الذى هو أرحب مجال للأدب النفسى الانساني ، وما من شك أن هذه آفاق جديدة لم يطرقها الشعر العربى إلا لماما ، فهي ثروة تضيفها المدرسة الحديثة ، لا للأدب العربى وحده ، ولكن للأدب الانسانى كله . وما بقليل أن يكون لنا شاعر مصرى يضيف إلى آداب الانسانية نماذج فى الذروة من هذه الآداب

وقد بقيت لى كلمة أخيرة فى « غزل العقاد »

فإلى اللقاء

سيد قطب

جورجيـــاس

او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

- ١١ -

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »[1]

ب — (رداً على سقراط) وإذاً فكل من يقتل « بعدل » يبدو لك شقياً وجديراً بالرحمة والرثاء ؟؟

ط — كلا . وإنما هو لا يبدو على الأقل جديراً بأن يُحسد!

ب — ألم تقل تواً إنه شقى وتعس ؟ ؟

ط — لقد قلت ذلك يا رفيق عمن يقتل ظلماً وعدواناً ، وأضفت إليه أنه جدير بالرحمة والرثاء . أما ذلك الذى يقتل بعدل فأقول عنه إنه لا يجب أن يثير حسداً ما !

ب — لا شك أن من يستحق الرحمة والرثاء هو ذلك الشقى الذى يموت ظلماً وعدواناً !

ط — ولكنه — مع ذلك — أقل فى شقائه وفى جدارته بالرحمة والرثاء من ذلك الذى قتله ومن ذلك الذى مات موتاً عادلا

ب — وكيف ذلك يا سقراط ؟

ط — ذلك لأن أفدح الشرور هو ارتكاب الظلم !

ب — أيكون ارتكاب الظلم أفدح الشرور ولا يكون تحمله أفدح من ارتكابه وأنكى ؟؟

ط — كلا يا بولوس !

ب — وإذاً فأنت تفضل احتمال الظلم على ارتكابه ؟!

ط — لستَ أرغب فى هذا ولا ذاك . ولكن إذا وجب علىّ إطلاقاً أن أختار بينهما فانى أفضل احتمال الظلم بدلا من ارتكابه !

ب — وإذاً فسوف لا تقبل أن تكون طاغياً ؟

ط — كلا . إذا كنت تفهم الطغيان كما أفهمه !

ب — إنى لأعيد عليك فكرتى عنه وهى أن يفعل المرء ما يشاء فى الدولة من قتل ونفى إشباعاً للذاته !

ط — حسن جداً يا بولوس ، فاسمح لى إذاً أن أتكلم وانقدنى عند ما يحل دورك . هب أنى أخفيت خنجراً تحت إبطى ثم جئتك فى الوقت الذى يزدحم فيه الميدان العام بالجمهور وقلت لك : « إنى لأرى نفسى حائزاً لقوة هائلة تعدل قوة الطاغية ، فاذا قررت أن الأصلح هو أن يموت أحد هؤلاء الذين تراهم فانه يموت فى الحال ، وإذا قررتُ أنه يجب أن تتحطم رأس أحدهم فانها تتحطم فوراً ، وإذا قررت أنه يجب تمزيق ثيابه فان ثيابه تتمزق ما دامت قدرتى عظيمة فى المدينة » ... فاذا رأيت بعد ذلك أنك لم تصدقنى أبرزت لك خنجرى ! ولكنك قد تقول لى حينئذ : « وإذاً يستطيع كل الناس على هذا الأساس أن يكونوا أقوياء لأنهم يستطيعون بنفس الطريقة أن يحرقوا المنازل التى يريدونها، ومخازن أسلحة الأثينيين وسجونهم ، بل وكل السفن التجارية الحكومية والأهلية ! » ... فترى هل تعتقد أن عظمة

---

(١) ادعى « بولوس » فى العدد الماضى أن الجبابرة الذين يقتلون من يشاءون أو ينفونه ويجردونه من ثروته أقوياء وسعداء ، وأنهم جديرون بأن يكونوا موضع حسد أولئك الذين لا يستطيعون أن يفعلوا فعلهم . وقد عجب « سقراط» من ذلك القول وراح يثبت أن أمثال هؤلاء الجبابرة ضعفاء لأنهم لا يفعلون ما يريدونه عن روية وتفكير ، وإنما هم يشبعون فقط رغباتهم الجائرة وشهواتهم الطائشة . وأمثال هؤلاء تجوز عليهم السعادة ولا يجدر بنا إلا أن نرثى لحالهم كل الرثاء . وسنرى اليوم كيف يتقدم الحوار بين الفتى والشيخ حول ذلك الموضوع الذى هو جوهر المحاورة ولبها

« المعرب »

القوة قائمة فى أن نعمل ما يسرنا أن نفعله ؟؟

ب — إذا كان الأمر فى مثل هذه الظروف فكلا بالتأكيد!

ط — أتستطيع أن تذكر لى ما تأخذه على قوة كهذه القوة؟

ب — بلى !

ط — وما هو إذاً ؟؟ تكلم !

ب — إذا فعل الانسان هكذا فانه يعاقب بالضرورة !

ط — أوليس العقاب شرا ؟

ب — من غير شك !

ط — وإذاً فقد حكمت أيها الشاب العجيب بأن الانسان يكون « ذا قوة عظيمة » عندما يرى فى إشباع رغباته مصلحة له وخيرا ، وقلت إن هذا ما يبدو أنه قوة كبيرة ، وأن كل ما عداه شر وضعف ! ولكن لنختبر ذلك أيضاً : ألا نوافق على أنه قد يكون الأفضل أحياناً أن ننفذ ما نتحدث عنه فى الحال كقتل المواطنين ونفيهم وسلبهم ، وقد يكون الأفضل ألا ننفذه ؟

ط — وإذا يبدو أنك متفق معى على هذه النقطة ؟

ب — بلى

ط — وإذا ففى أى الأحوال ترى أن الأفضل تنفيذ تلك الأفعال ؟ أرجو لو تحدد لى الموضوع !

ب — الأفضل أن تجيب أنت نفسك على سؤالك ياسقراط

ط — حسن يابولوس . ! وما دمت تفضل أن تسمع منى فانى أقول إن الأمر يكون أفضل عندما ننفذ فعلا منها بعدل ، ولا يكون كذلك عندما ننفذه بظلم ! .

ب — لعمرى إن مناقضتك لصعوبة جميلة ياسقراط ! فالطفل نفسه يستطيع أن يبرهن لك على خطئك !

ط — لأ كونن مدينا لهذا الطفل ولك بكثير من الشكر إذا ما ناقضتمانى وتخلصتما من بساطتى وجهلى ! ، وإذا فلا يضجرك الاحسان إلى من يحبك يابولوس ، وامض فى مناقضتى !

ب — لن أحتاج فى مناقضتك إلى الرجوع بك إلى الماضى وأمثلته لأن حوادث البارحة واليوم كافية لأن تثبت خطأك ، ولأن تريك أن الظلمة من الناس غالبا ما يكونون « سعداء » !

ط — أية حوادث تقصد؟

ب — ألست ترى — من غير شك — « أرشليوس » Archélios ابن « بردكاس » Perdicaas الذى يحكم اليوم « ماسيدونيا » Macédoine [(١)]

ط — إذا كنت لا أراه فانى سمعت عنه كثيرا .

ب — حسن فهل تراه سعيدا أم شقيا ؟

ط — إنى لا أعرف عنه شيئا يابولوس لأنى لم ألتق به بعد !

ب — لتدركن سعادته إذا ما التقيت به ! والواقع أنك لن تعرف فى هذه الناحية غير سعادته فحسب

ط — كلا وحق زيوس يابولوس !

ب — وإذا فنستطيع أن نؤكد أنك تجهل أيضا إذا كان أكبر الملوك وأعظمهم ، سعيدا أم شقيا ؟

ط — ولن أكون مخالفا للحقيقة فى ذلك ما دمت أجهل ما عسى أن تكون عليه نفسه من « عدالة وعلم » !

ب — كيف ؟ وهل تقوم « السعادة » فى العدالة والعلم وحدهما ؟

ط — نعم ، حسبما أرى يابولوس . فأنا أدعى أن كل أمين عادل — رجلا كان أو امرأة — يكون سعيدا ، وكل شرير ظالم يكون شقيا !

ب — وإذا فهذا « الأرشليوس » شقى تبعا لقولك ياسقراط ؟ !

ط — حقا ياصديقى إذا كان ظالما !

ب — وكيف كان يستطيع أن يكون عادلا ؟ ، إنه لم يكن له أدنى حق فى العرش الذى يتربع عليه اليوم لأن أمه كانت جارية « لألكيتيس » شقيق « بردكاس » ، وكان هو — تبعا للعدالة — عبدا لسيد أمه . فلو أراد العمل بالعدالة لخدم سيده وسعد بذلك حسبما تدعى ، ولما عرض نفسه للشقاء الماثل بارتكابه أفظع الجرائم وأشنعها [(٢)] ...

محمد حسن ظاظا

(١) قتل هذا الرجل عمه وابن عمه كى يصل إلى العرش لأنهما كانا أحق به منه . ومات مذبوحا سنة ٣٩٩ ق . م أى قبل تناول سقراط للسم بقليل . ويقال إنه كان يدعو المفكرين إلى قصره من آن لآخر وأنه وجه دعوته يوما إلى سقراط فترفع عن تلبيتها « المعرب »

(٢) وسنرى فى العدد القادم إن شاء الله تكملة هذه القصة الأليمة التى يزدحم تاريخ القصور الملكية بأمثالها كما نقرأ فى تاريخ « البويهيين » مثلا وتاريخ ملوك « التيودور » — وكما نرى فى حياة كثير من العظماء حيث لا يخلو الأمر فى الغالب من « ظلم » ينزله العظيم بغيره كيما يخلو له الطريق ، والحق أن حياتنا اليومية مزدحمة بالكثير من هذه المآسى . أليس أكثر الأغنياء « ظالمين » للفقراء ؟ أوليس بعض المرؤوسين أجدر بمناصب الرؤساء؟ سنرى المحاورة من الآن فصاعدا تدور حول هذه الموضوعات الطريفة وتبلغ فيها ذروه الروحانية والعدل والفضيلة « المعرب »

لبنان الشرقي

مصطاف الزبداني

للأستاذ عز الدين التنوخي

أما اليوم مصطاف من لبنان الشرقي في وادي الزبداني الذي لو نزله من قبل لامرتين لوصفه بما لم يصف به وادي حمانا في لبنان الغربي، ولا سيما بجفاف الهواء، وصحة الماء، واعتلال النسيم، واعتدال الاقليم

أجل، إن لبنان الشرقي ليمتاز بجفاف الهواء لبعده عن رطوبة البحر ولقربه من البيداء، ولذلك وصفه مشاهير الأطباء للمصابين بأمراض الرطوبة كالرثية — الرومتيزم — والسل وعرق النسا، ووصفوه لعين « بُـقَّين » التي تكاد تكون منقطعة النظاير بين عيون بلاد الشام كلها في صفائها وخفة مائها، وما اشتملت عليه من عناصر تذيب الرمل والحصاة، وتزيد في الهضم ما تشاء فتتعب الطهاة. ولقد أشرت إلى عجيب تأثيرها في السنة الماضية حينما وصفت في هذه الرسالة عين الصحة المنبجسة من جبال حمانا في لبنان الغربي

ليس مجال القول ذا سعة فأسهب في وصف وادي الزبداني الجميل، ولذلك اقتضبت الكلام في تحليته اقتضاباً: بذكر ما فيه من الطرق المعبدة والمغاني والمباني، وبيان ما استوفاه من منافع وروائع تبر المصطافين وتسر الناظرين ...

يمتد وادي الزبداني الجميل من الجنوب إلى الشمال بين طودين أو سلسلتين من الجبال الشرقية والغربية، وعلى سفوح الطود الشرقي تضطجع قريتا مضايا وبُـقَّين وقصر الجرجانية الأندلسي، وقرية بلودان أعلى قرى الوادي وفيها الفندق الفخم الذي يعد من أجمل قصور الفنادق الشامية، وفي الجانب الشمالي من بطن الوادي قامت قرية الزبداني أم القرى، ومهوى قلوب الورى

إن شرايين الحياة في هذا الوادي هي طرقه الكثيرة المعبدة المزفتة، والزفت شاع أنه نعت سوء في كل شيء إلا في الطرق، فانه وصف خير ونعت يمن فيها يلبد غبارها ويقي السالك عثارها، منها الطريق السلطانية التي تصل دمشق بالزبداني، وطريق مزفتة تصعد من الزبداني إلى بلودان، وأخرى مثلها تربط الزبداني بالجرجانية وبقين ومضايا، وطريق مخضرة أخرى تصل قريتي بقين ومضايا بطريق دمشق على مقربة من مفرق طريق منبع نهر بردى: نهر دمشق الذي وصفه حسان بأنه « يصفق بالرحيق السلسل » وذكره شوقينا محيياً دمشق بقوله:

سلامٌ من صَبا بردى أرقُّ ودمع لا يكفكف يادمشقُ

أما أم قرى هذا الوادي البهيج فهي الزبداني مركز القضاء وعامله القائم[1] بشؤونه رجل من أفاضل الرجال غيور على عمرانه، وتوفير أسباب الهناء والبلهنية على نازليه وسكانه؛ وفي الزبداني محكمة يرأسها قاض[2] ماض في أحكامها، ومستوصف طبي للحكومة تام الأدوات يديره طبيب نشيط[3] يداوي الأغنياء من المصطافين والفقراء على السواء. ولا يتقاعس عن تلبية نداء المرضى في مساكنهم، يعودهم ليضعف من الداء الآلام، وليقوي في الشفاء الآمال، ثم هو يعطي الأدوية مجاناً للبائس والمعتر حتى الغني المضطر إن لم يجد علاجه في صيدلية الزبداني[4] العامة. وفي قرية بلودان صيدلية كبيرة، وفي مضايا أخرى صغيرة[5]، وبذلك يجد المصطاف الصحيح في وادي الزبداني نعميه النعيم وهناءه؛ والمريض لا يعدم في مغانيه طبيبه الحاذق وشفاءه

ومما تمتاز به الزبداني على سائر قرى الوادي أنها مركز السيارات، وإن فيها محطة القطارات، فهي ملتقى الحاضر والبادي، ومنتدى الرائح والغادي، كما تمتاز برخص أسعار الثمار وكثرتها، وتنوع الخضراوات النضرة ووفرتها، وبسوقها الكبيرة المشتملة على جميع ما يحتاج إليه الاصطياف والانتجاع، وبمتنزهاتها المستوفية لشرائط الابداع والامتاع

بعض مناظرها الساحرة: كل ما في وادي الزبداني بهيج جميل: بهيج لعمري مقهى أبي زاد ومنظره الساحر الجميل، ومقهى بقين وعينها التي يحق أن تسمى السلسبيل، وجميل كل الجمال قصر الجرجانية الأندلسي بشلالاته وفواراته، وفخم كل الفخامة فندق بلودان بقصوراته وحماماته، ورائعة — شهد الله —

---

(١) هو السيد خيري رضا قائم مقام القضاء
(٢) السيد سعاد العظمى (٣) السيد سليم العطار
(٤) فرع الصيدلية الوطنية المشهورة بدمشق
(٥) فرع صيدلية القنواتي بدمشق

قرية مضايا بصفاء سمائها . وصحة هوائها ، وماذا عسى أن يقول قائل فى محاسن الزبدانى ومفاتنها ؟ فلعل أصدق مايقال فى جنتها قول الشاعر (١) فى وصف دمشق وغوطتها :

هذه الغوطة ما أبهجها — وهى فى نيسان قيد المجتلى
قال سبحان الذى دبجها — من رآها فتنة للمُقَل
إنه قد شاء أن يخرجها — جنة فى الأرض للمستعجل

إن بطن هذا الوادى المبارك ينقسم إلى قسمين شمالى وجنوبى: أما الشمالى منه فعامر يبدو بلون أشجاره أخضر نضراً ؛ وأما الجنوبى منه فجله غير مغروس ومختلف ألوانه : هذه بقعة منه محصورة تبدو صفراء فاقعة ، وهذه بقعة محروثة تبدو حمراء قانية، وتلك رقعة بائرة لم تحرث ولم تزرع فهى نارنجية غير قرمزية ؛ وهنالك رقعة مزروعة يضرب لون خضرتها القاتمة إلى السواد فتجتلى عين الناظر من هذه البقاع وهاتيك الرقاع مجموعة من الطنافس المحروثة والروابى المبثوثة تستهوى الأفئدة وتقيد النواظر

إن من ينكر السحر من أهل هذا العصر يؤمن به مثلى بعد أن يرى ما رأيت من جمال إشراق الشمس على سلسلة الجبال الغربية ، ثم ازدياد استيلاء الضياء حتى يغمر ما تحت الشناخيب والذرى فتزداد بهجة النفس ، فاذا ما بلغت الشمس أشجار الروابى المغروسة راعك مشهد سواد الأشجار مع بياض الأنوار فتخيلت التقاء الليل بالنهار عندما يتنفس الصبح فى الأسحار .

وإن أنس لا أنس تلك العشية التى ذهبت فيها إلى مغارة « النابوع » تلك العين التى لا يكاد يرتوى واردها لشدة برد مائها وفرط عذوبته ، وكان رفيق الوفيق فى ارتياد هذه العين العجيبة الشيخ حسن بو عياد المغربى من زعماء الاصلاح فى المغرب الأقصى ، وهو على رأيي فى إصلاح المرأة باصلاح تربيتها وبيئتها ، ثم خرجنا من المغارة والشمس فى صفرة وجه العاشق الوامق فانتقلنا من لذة إلى لذة : من نشوة الارتواء إلى نشوة الاصغاء . ماذا رأينا من مشهد فخم ، وماذا وجدنا من نسيم روح ، وماذا سمعنا من حسن لحن ؟ مشهد لعمر الحق رائع ، ونسيم روح غامر، ولحن مزمار ساحر . شهدنا فوق مغارة النابوع على سفح الجبل قطيعاً من المعزى يثير من ورائه عجاجة منتشرة ، ومن أمامه هاديه وراعيه يطرب قطيعه بألحان مزماره الجبلية ، كما يطرب الجيش بألحان موسيقاه الحربية ، وقد امتزج أنين المزمار برنين الأجراس، وكأنما كان الداعى يهنىء بسلامة الوصول قطيعه الطروب ، ويودع بلسان المزمار ملكة النهار الجانحة إلى الغروب ، ولايزال القطيع الزاحف فى هبوطه حتى يبلغ قرارة الوادى فينقع ببرد الماء غليل الأحشاء ، ثم يتابع سيره الهادئ إلى حظيرته ونحن نتابعه بأبصارنا ، ونشيمه وأجراسه وراعيه وأنفاسه ، ولا نزال من خلفه مسحورين حتى يتوارى عن العيون بحجاب الليل ...

وهل أحدث أخى القارئ عن القمر ، وكانا يهوى القمر ، وهيهات أن أنسى لياليه القمراء على شاطئ البحر صغيراً ، أو لياليه السواحر والفلك يجرى بنا فى بحر النيل الجليل. لا، ولا أنسى تلك الليالى البهيجة ، والقمر يفضض الطبيعة من حولنا ونحن مضطجعون على هضاب المزة (١) الفيحاء . ومالى ولحديث القمر فى الدهر الغابر ، وأنا أستطيع التحدث عنه فى هذا الشهر الحاضر ، ذاكراً للقارئ أن أهل دمشق من أعشق خلق الله للقمر ، ولو أن الدمشقى كان نباتاً لكان « عَبَّاد القمر (٢) » فلقد أخبرنى عامل الزبدانى عشية أمس بأن عدد المصطافين فى الزبدانى وحدها قد بلغ فى هذا العام نحو ألف نفس يؤلفون مائتى أسرة ، ولكن هذا العدد يبلغ فى الليالى القمراء أضعافاً مضاعفة فيعج وادى الزبدانى بالمصطافين عجيج الحجيج ، ولكنهم من حجيج القمر . وتمتلئ الطريق السلطانية بين دمشق والزبدانى بالسيارات المثقلة بعشاق القمر ، وتغص بهم مقصورات القطار ، فى الليل والنهار ، وأقمار النساء تشارك الرجال فى عشق قمر السماء، وكأنه لا غنى للجنسين اللطيف والعنيف عن المشاركة التى ازدادت فى هذا العصر تشابكا ووشوجاً . فهنالك التربية المشتركة والسباحة المشتركة ، والسباقات المشتركة ، وهنا فى الوادى النزه المشتركة لليالى القمر على طريق الجرجانية وبقين ومضايا .

إن تطور المرأة من الحجاب إلى السفور فالحسور كان سريعاً

(١) من موشحة فى وصف دمشق لكاتب هذا المقال .

(١) قرية جميلة غربى دمشق أنبتت تربتها كثيرا من العلماء كالحافظ المزى وضمت مثل سيدنا دحية الكلبي وشاعر دمشق ابن عنين وغيرهما .

(٢) ويسمى أيضا دوار القمر لأن نورته الصفراء الشبيهة بالترس تدور مع القمر ، ويسمى بالفرنسية دوار الشمس tourne-sol

جداً في مصر ، ولكنه بطيء في ديار الشام ، ولا تزال الدمشقية مع تعلمها وولعها بالنهضة الاجتماعية تؤثر التدين الصادق على التمدن الكاذب ، والكمال والعفاف ، على الابتذال والاسفاف وبعبارة أوجز إنها تفضل السفور الشرعي على الحسور البدعي ، فلا تخلو المرأة المسلمة ولا تسافر إلا بمحرم يحافظ على عرضها وشرفها ويحول دون ما يؤذيها ويرديها

ويزداد السفور الشرعي في دمشق يوماً بعد يوم ، ولا يلبث أن يسود على الحجاب أخيراً . ومن الناس من يقاوم هذا التطور الحيوي الذي لامناص منه بالسفاه والشتائم لا بالحجة والبرهان، بيد أن من عقلاء رجال الدين من يحب للغانيات سفور الراهبات الذي لاحسور معه ، ويسعى لاعادة الحاسرات إلى سفور الشرع المحتشم الذي يكفل للمرأة تعلمها وتقدمها ، والتربية الاسلامية في المنزل إذا كانت صحيحة تعد البنات للسفور الشرعي الشريف الذي تصان به الكرامة، ووقى به الحسرة والندامة . وليت رجال الدين يتعاونون تعاونا معقولاً يتمكنون به من المحافظة على اعتدال المرأة المسلمة ، ويبرهنون به على إمكان تعلم المرأة وتقدمها مع ذلك الاعتدال ، وإلا فانا لانأمن جانب الفوضى في السفور الحاضر كما نشاهد من نماذجه المشوهة الفاسدة في وادي الزبداني من برانيط البنات وقبعات[1] الأمهات ، وارتياد السينما والقهوات ، وغدا البالات والحانات ، ومما أوحى إليَّ بالأبيات التاليات:

يا صبايا

باصبايا الزبداني رأفة بهواة الحسن منا ياصبايا
فتنموا عمّن يرا كم أوجهاً صُقِلت حتى حسبناها مرايا
واستروا عنا عيونا خُلِقت لقلوب المستهامين بلايا
فوّقت ألحاظهن أسهماً مُصميات نحن قد كنا الرمايا
لست أدري ماالذي قدفعلت أسهاماً رشقتنا أم منايا
قد سرى يغزو الورى من فِتَن الـ
عين — ما أكثر صرعاها — سرايا

***

يا سقى الله المناديل التي صنتمُ الأعراض فيها والملايا !
ولحى الله البرانيط التي
أخذت الأحساب منكم والسجايا !
كم عرقنا خجلاً من شربكم عَرقاً يعرقكم ديناً ورايا
في محار الصّون كنتم دُرراً كن للأزواج لا غير هدايا
لم نكن نأمن منكم فِتَناً
في الزوايا ، كيف من بعد الزوايا ؟
والفؤادُ الحيّ منا هدَفٌ لعيونٍ وخدودٍ وثنايا

***

مسرحَ الآلام قد هجتَ لنا من رسيس الوجد والحب بقايا
أنا إن لم أكُ أنسى زمنا من حياتي فهو هانيك العشايا
يارعاكَ الله لولا سربة كنّ ينثرنَ على الناس الخطايا
رائحــاتٍ غاديات ضُلّلاً
بين « بُقّين » مساءً و « مضايا »
سافراتٍ حاسراتٍ وغدًا هنّ أنصاف عَرايا فعَرايا !

الزبداني عز الدين التنوخي

[1] وهي التي تسمى بونه bonnet

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنـــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

— ٢٣ —

وإنه ليحق للمرء أن يتساءل : ألم يكن فى طاقة القائمين بالأمر يومئذ تجنب تلك الحرب الضروس ؛ تلك الفتنة التى لم تصب أوزارها فريقاً دون فريق ؟

إن هناك من يعتقدون أنهم كانوا قادرين على تجنب ذلك الصراع العنيف ، وهؤلاء ومن يرى رأيهم من المؤرخين يأخذون الساسة باللوم الشديد ، لا يعفون منهم أحداً ؛ ويحملون نصيب كل من اللوم على قدر ما تواتى له من الجاه والنفوذ ؛ ولذلك فقد كان لنكولن عندهم أول الملومين و كبير المسؤولين عن ويلات تلك الحرب وبلى لنكولن فى ذلك جفرسون زعيم الاتحاد الجنوبى

ولكن الذين يتوخون الانصاف يرون أن الحرب كانت أمراً لا محيص عنه ؛ كان مردها إلى حركة ولدتها الأيام فما زالت تنمو حتى اتخذت آخر الأمر سبيلا لم يكن فى الامكان أن تسلك غيرها ، لم تكن تلك السبيل لتؤدى إلى غير ما أدت إليه من نهاية دامية ؛ ومن ذا الذى يستطيع أن يلوى الأيام عن وجهها ؛ أو أن يتصرف في الحادثات ليجعلها تفضى إلى نتيجة بعينها ؟

لقد كان للزمن وللبيئة حكمها الذى لا ينقض وفعلها الذى لا يقف وسنتها التى لا تبديل لها ؛ فهؤلاء أهل الشمال كانوا كما ذكرنا أهل صناعة وأهل ثقافة بينما كان إخوانهم فى الجنوب أهل زراعة، ولم يك يتوفر لهؤلاء من العلم مثل ما كان يتوفر منه لأولئك الشماليين

وكانت أعمال الزراعة فى الجنوب تتطلب الأيدى الكثيرة ، وبخاصة حينما بدأت النهضة الصناعية وتزايد طلب القطن ، وكانت زراعة القطن أمراً مرهقاً ، لم ير الجنوبيون خيراً من إلقائه على كاهل العبيد ؛ ولذلك كان نظام العبيد عندهم أمراً يتعلق بكيانهم

ومن ثم كانت سياستهم تدور على هذا المحور الاقتصادى، فكانت بذلك مسألة حياة أو موت ...

أما أهل الشمال فلم تكن بهم حاجة إلى الزنوج ، وما كانوا يستخدمون عندهم فى أغلب الأحيان إلا خداماً فى المنازل ؛ وأملت عليهم ثقافتهم فلسفة إنسانية فكرهوا نظام العبيد واشمأزت منه نفوسهم ودارت سياستهم أول الأمر على هذا المحور الانسانى فكانت بذلك فى نشأتها مسألة عاطفية

على أنه كان للمسألة وجه آخر فقد اعتبر عدد العبيد من عدد سكان الولايات عند تقدير عددها للتمثيل النيابى فى المجلس التشريعى الأدنى كما نص الدستور ، وعلى ذلك فقد أشفق أهل الشمال من تزايد عدد العبيد فى الولايات، الأمر الذي يتهددنفوذهم

وتطورت بعد ذلك مسألة العبيد على النحو الذى أسلفناه ، فتزايدت كراهية الكثيرين من الشماليين لذلك النظام حتى تحولت إلى مقت ، وظهر من بينهم دعاة إلى التحرير ؛ وما زال يعظم خطر تلك المسألة حتى باتت كبرى المسائل

وولد الحزب الجمهورى فكانت مبادئه وسطاً بين مبدأ الجامدين ومبدأ أنصار التحرير ، فهو يرى ألا تزداد ولايات العبيد حتى ينقرض ذلك النظام على مر الأيام . ولقد كان إبراهام من زعماء ذلك الحزب الوليد ، وهو وإن كان من أشد الناس سخطاً على نظام العبيد إلا أنه آثر الحكمة خوفاً على بنيان الاتحاد ؛ فبقاء الاتحاد كان عنده فى المحل الأول من اهتمامه

ولكن مسألة الاتحاد ومسألة العبيد ما لبثتا أن تداخلتا حتى أصبحتا فى الواقع مسألة واحدة ؛ فلقـد فكر أهل الجنوب فى الانسحاب من الاتحاد حينما اختير إبراهام للرياسة وحينما أيقنوا أن الحوادث مفضية إلى القضاء على العبودية ، وما كانوا يريدون من الانسحاب إلا أن يزيدوا عدد العبيد كما يشاءون ...

وأنكر إبراهام عليهم حقهم فى الانسحاب ؛ فهو لن يبخل بشىء فى سبيل المحافظة على الوحدة ؛ ولكنهم مضوا فى سبيلهم لايلوون على شىء ولايستمعون إلى رأى ؛ حتى نفذوا ما اعتزموه ثم عولوا على أن يحموا أنفسهم بالقوة إذا أدت الحوادث إلى ذلك

وكان جفرسون زعيمهم يقرر حق الولايات فى الانسحاب متى أرادت ، بينما كان لنكولن يقول : إن مثل الولاية من الاتحاد كمثل قسم من الولاية من هيكلها ، فاذا جاز لهذا القسم أن ينفصل عن جسم الولاية ، جاز للولاية أن تنفصل عن الاتحاد

وجاءت بعد ذلك مسألة حصن سمتر فكانت بمثابة الشرارة التي أوقدت نار الحرب ... ولقد عدت تلك الحرب من المآسي البشرية ، ذلك لأنها كانت الفريقين كثيراً من الأموال والأنفس ؛ فلقد استحرّت جذوتها لأن الفئتين كانتا كلتاهما ترى الحق في جانبها ... وكانت الدماء التي تجرى دماء شعب واحد فكل قاتل ومقتول إنما هما صورة جديدة لقابيل وأخيه هابيل

وقفت أمة واحدة فئتين تقتتلان ؛ فهنا الوحدة والحرية ، وهناك الفرقة والعبودية ، وهنا وهنالك الكثير من مواقف الحماسة والتضحية ، يضيع في حميتها وضجيجها صوت الحق ويتبدد دعاء الانسانية ...

وكانت أولي المعارك الكبيرة معركة نشبت في فرجينيا بعد ثلاثة أشهر من سقوط سمتر عرفت باسم بول رن ... وبيان خبرها أن جنود الاتحاد التقوا بجموع الثائرين ، وكانت الحماسة والاستبسال هي كل ما لدى هؤلاء المتطوعين من عدة ، وكان لأهل الجنوب وإن كان معظمهم من المتطوعين أيضاً ، قواد مدربون كانوا قبل في الجيش النظامي للبلاد وتسللوا منه إلى الجنوب حين تفرقت الكلمة !

وتبين أول الأمر أن النصر في جانب الشماليين ، ولكن ما لبثت موجتهم أن انحسرت ، ثم ولوا بعدها هاربين على صورة منكرة ، تبعث على الرثاء حتى لقد قيل إن بعض الفارين لم يقفوا عن العدو حتى دخلوا منازلهم في وشنجطن

ودخلت فلول المنهزمين المدينة في حال شديدة من الذعر والهلع وطافت بالناس الشائعات أن المدينة واقعة في أيدى الجنوبيين، فألقى الرعب في قلوب السكان وبخاصة حينما وقعت أعينهم على أكثر من ألف من الجرحى ؛ وحينما علموا أنه قد قتل في هذا اللقاء الأول أربعمائة وخمسون ...

ولو أن أهل الجنوب تقدموا غداة انتصارهم لأخذوا المدينة ما في ذلك شك ، ولكنهم نكصوا ورضوا من الغنيمة بفرار خصومهم على هذا النحو ، وحسبوا أنهم بعد ذلك أحرار فيما يفعلون فلا خوف عليهم من أهل الشمال ؛ ثم إنهم منذ خيل إليهم أن عدد أعدائهم يبلغ خمسين ألفاً أو يزيدون مع أنهم لم يتجاوزوا ثمانية عشر ألفاً

وكثيراً ما يكون التاريخ في تطوره رهيناً بحادث بسيط ، ومن أروع الأمثلة على ذلك وقوف أهل الجنوب عن الزحف على وشنجطون ؛ ولو أنهم فعلوا لكان للولايات المتحدة وجود غير هذا الوجود وتاريخ غير هذا التاريخ

وكذلك كان يتغير وجه التاريخ لو أن القنوط يومئذ تمكن من نفوس الناس ؛ ولولا أن كان على رأسهم ابراهام لذهبت ريحهم وخارت عزائمهم وتفرقت كلمتهم . فلقد صمد ذلك الصنديد للنبأ شأنه في كل ما مر به من الحادثات ، ولئن ابتأس للهزيمة وتحسر على الفشل في أول لقاء علق عليه الكثير من آماله ، لقد صبر وصمم ألا ينى عن الجهاد مهما يبلغ من هول الجهاد ...

وسرعان ما سرت روح ابن الغابة في الناس ، فعادت إليهم ثقتهم بأنفسهم ، وازدادوا حماسة على حماسة حتى ما يقر لهم قرار بعد اليوم حتى يغسلوا عن أنفسهم هذه الاهانة الجديدة وينصرون حقهم على باطل أعدائهم

ولقد استطاعت قوة الشماليين البحرية بعد ذلك أن تستولى على حصنين على الساحل في موانى أهل الجنوب ، كما استطاع القائد ماكليلان أن يفصل بقوته البرية الجزء الغربي من فرجنيا عن جزئها الشرقي ويضمه إلى الاتحاد ، وكان أكثر أهله ممن يرفضون الانسحاب فكان ذلك رداً على الهزيمة في معركة بول رن

وكان لنكولن قد دعا المؤتمر ليشاور ممثلي الأمة في الأمر وليطلعهم على الموقف من جميع نواحيه ، ولقد بعث لنكولن إلى المؤتمر برسالة كانت من خير ما كتب من الرسائل ، تناول فيها كل ما يهم الناس يومئذ معرفته

بدأ لنكولن يسرد الحوادث حتى انتهى إلي موقف أهل الجنوب فذكر أنهم وضعوا البلاد بين أمرين فإما الحرب واما تفكك الاتحاد ... ثم قال إن الأمر لا يقف عند هذه الولايات المتحدة ، بل إنه ليتعداها إلى مبدأ عام هو مبلغ نجاح الحكومات الديمقراطية القائمة على إرادة الشعب

ولقد كان لنكولن جد موفق في إشارته هذه إلى ذلك المبدأ العام ، كما كان يصدر في ذلك عن طبع ، فهو من أنصار الحرية ومن كبار العاملين على سيادة الشعب

وتكلم الرئيس عن الولايات الوسطى التي تظاهرت بالحياد فقال : « إنها تقيم سداً لا يجوز اختراقه على الحد الفاصل بيننا، ومع ذلك فليس هو بالسد الذي لا يخترق فانها تحت ستار الحياد تغل أيدي رجال الاتحاد بينما هي تبيح الطريق في غير تحرج

للامداد توسل من بينهم إلى الثوار ، الأمر الذى ما كانت تستطيع فعله أمام عدو صريح »

ورد الرئيس على دعوى جفرسون دافيز زعيم الولايات الجنوبية الذى يقول إن مبدأ انسحاب الولايات حق يبيح القانون الحرب من أجله . ولقد اعتبر الرئيس هذه الدعوى من لغو الكلام قال : « إن الستار الذى يستترون وراءه وهو أن ذلك الحق المزعوم لا يستعمل إلا مع وجود مبرر عادل ، بلغ من الرقة حداً لا يستحق معه أية ملاحظة، وهم سيكونون الحكم فى عدالة ذلك المبرر أو عدم عدالته »

وكان رد الرئيس على جفرسون من الخطوات التى ارتاح لها أهل الشمال فلقد أشفقوا أن تجد مزاعم جفرسون سبيلها إلى قلوب الأغرار والأغفال

ثم أهاب الرئيس بالمؤتمر أن يمده بالمال والرجال فهو فى حاجة إلى أربعمائة مليون من الدولارات . وأربعمائة ألف من الرجال ؛ وسرعان ما أجابه المؤتمر إلى ما طلب فى حماسة جعلته يزيد المدد فى المال والرجال عما حدده الرئيس ...

وأيقن الناس فى طول البلاد وعرضها ، وقد رأوا من صلابة الرئيس وعزمه ما رأوا ، أن الحرب سيطول أمدها ، فتألفت فى البلاد كلها جماعات للنجدة حتى لكأنما نسى الناس أموالهم الخاصة فليس ما يشغل أذهانهم ويستدعى جهدهم ونشاطهم إلا هذه الحرب

ولقد تغلغلت تلك الروح فى جميع الطبقات: الكوخ والقصر فى ذلك سواء، والقرية الحقيرة لا تفترق فيه عن المدينة العظيمة ، وأصبح النشيد الذى يتردد على كل لسان ذلك الذى جمل مطلعه « نحن قادمون إليك يا أبانا ابراهام ستة آلاف من الأشداء ... نحن قادمون ... »

والرئيس لا يعرف الراحة ولا يذوق طعمها . يصل إلى مكتبه فى الصباح الباكر قبل أن يطرق البيت الأبيض أحد ، ويظل هناك حتى يهبط الليل فيقضى طرفاً منه بين أوراقه ... وامرأته تضيق بذلك وتعلن إليه غضبها ، ولكنه فى شغل عنها بما هو فيه من عظيات الأمور ، وأنى له فى مثل ذلك الموقف بلحظة من هدوء البال ...

(يتبع) الخفيف

إلى لجنة إنهاض اللغة العربية

الأخـــلاق
والأدب الوجدانى الرفيع
للأديب السيد ماجد الأتاسى

منذ أسابيع خلت ، عثرت فى بريد « الرسالة » الأدبى على كتاب أرسله الأستاذ أحمد أمين إلى صديقه الأستاذ الزيات جواباً عما سأل سائل لجنة إنهاض اللغة العربية عن إغفالها كتب أستاذنا الزيات فيما اصطنعت للطلاب من كتب أعلام الأدب وأمراء البيان

ولقد كنت أوثر ألا أكون بين من يتحدثون عن هذا الموضوع المصرى المحلى البحت ؛ وإن كنت أومن أن وادى الكنانة وسائر ربوع العروبة الزهراء وطن كل عربى الوجه واليد واللسان

ولكن ما جاء فى قرار أعضاء اللجنة وفى كتاب الأستاذ أمين من نعيهم جميعاً على « رفائيل وفرتر » أنهما كهما حرمات المثل الأخلاقية العليا ، وذهابهم إلى أن من الخير أن يبعد هذان الكتابان الماليان عن أيدى الطلاب وأعينهم ، وما يفهم من حكمهم هذا من مذاهب فى العلاقة بين الأخلاق وهذا اللون من الأدب الوجدانى الرفيع ، كل هذا يغرينى بأن أكتب غيرة على الأدب ودفاعاً عن الحق

ولست آخذ اليوم نفسى بالدفاع عن الزيات ؛ فتحت أجنحة هذا النسر الجبار يستظل الألوف ممن هم أشد منى بأساً وأقوى مراساً ..ولن يضير الزيات أن تزل فى تقدير أدبه مقاييس الحكم أو تطيش فيه نزعات الهوى — إن كان هناك هوى — بل ليفخر الزيات بأن يظلم مع « غوته ولامرتين »

ولئن بغى على النبوغ « قوة السلطان وحكم الأثرة فشهد فيه بالزور وحكم عليه بالباطل » ففى الأجيال القادمة — حين لا أهواء ولا مآرب — سيكون للعبقرية الموتورة نصفة ، وللحق المبين رفعة

يقول الأستاذ أحمد أمين : « إن آلام فرتر موضوعه حب هائم ينتهى بانتحار فظيع ، وإن روفائيل رسائل غرام بين شاب

وامرأة متزوجة . ولم تر من الخير أن توضع أمثال هذه الكتب فى أيدى الطلبة لناحيتها الأخلاقية لا لناحيتها البلاغية ؛ ولو فعلنا لخالفنا ضمائرنا ، وهاج علينا أولياء أمور الطلاب بحق »

ويقول هذا العاجز — في هدوء وبعد تفكير وتقدير — : إن من الخير كل الخير أن توضع أمثال هذه الكتب فى أيدى الطلبة لناحيتها الأخلاقية ، ولو لم نفعل لخالفنا ضمائرنا وهاج علينا الذين يفهمون من أولياء الطلبة بحق

ففى فرتر ورفائيل مثال من للفضيلة تحس كل نفس الميل إليه وتود لو بلغته أو دنت منه ، وفيهما أسوة حسنة للناشئة يتعظون بهما فى تثقيف عقولهم، وصقل عواطفهم، وارتفاعهم عن الغرائز الدنيا . ولو كنت أستاذاً أو أباً لأغريت تلاميذى وأبنائى بأن يعرفوهما ويحبوهما ، ويكلفوا بهما ، ويحاولوا أن يتدبروا معانيهما ويتفهموا مراميهما

يعيب الأستاذ أحمد أمين رفائيل لأنها رسائل غرام بين شاب وامرأة متزوجة قضت شرائع المجتمع أن تكون — قلبها وجسدها — لزوجها ، ولزوجها وحده

ونحن من الحق علينا لنحكم لهذا الغرام أو عليه أن نتناول بالتحليل عوامله ، ومثله ، وآفاقه

هناك فى فندق من فنادق السافوا عرف رفائيل جوليا ، فكان بينهما تآلف وتعاطف ، وإن امتدت بينهما أسباب هذه الصلات التى فصلت آياتها فى القصة

تعارفا . فأما رفائيل فتعلق بها ، وأما هى فعطفت عليه ورقت له ، ولمحت فيه مواهب النبوغ والعبقرية تومض وميض الفتنة فى الزهرة الأرجة فى فتوة مشبوبة القلب ، بعيدة الأفق ، طاهرة الذيل ، جذابة الطوابع ، فأعجبت به ، واطمأنت إليه واستمانت به على الوحدة ، والمرض ، وآلام النفس

من هنا كان بينهما هذا اللون المعقد من الصلات العاطفية : لا هو بالحب وحده ، ولا هو بالصداقة وحدها ، وإنما هو مزيج من هذا وذاك، فيه من الصداقة أكثر مما فيه من الحب ، ومن الاعجاب فوق ما فيه من الرغبة

ولم تذهب هذه الصلات النقية بما لزوج جوليا فى قلبها من مكان وحرمة . فلقد كانت تحفظ فى أعماق نفسها وأحرج مواقفها العرفان الخالص لجميل هذا الزوج الذى يحبها ، ويعطف عليها ، ويأسى لها

لقد أخطأت فى خطواتها الأولى ، ولكن أى زهر فوّح هذا الذى كان يتفتق على آثار الخطوات التالية ؟

وأى حب كان حب رفائيل ؟ إنه تذوق الذوق الفنى الجميل للجمال الفنى يتجلى — فى أبرع آيانه وروائعه — فى قطعة فنية تسمى « المرأة » ... إنه تسبيحة القلوب الملوية الموهوبة ترتفع فى هدوء الليل . وابتسام الصبح صلاة حارة ظامئة فى الايمان بالحياة ، والشعور بخفقانها

أحب امرأة ممتنعة عليه ، وقد هدها السل ، فذوت زهرتها ونضب معينها ، وتقطعت أسباب رجائها ، فهى تنتظر مع الليل هذا الطارق المخيف الذي يروح ويغدو على بابها ...

الجمال المريض، والأنوثة الوديعة ، والشعور الجريح ، والقلب الذكي ، والأفق البعيد ، كل هذا حببها إليه ، وأخذ عليه هواه. ولقد دلّهه إذ دلّهه جاذبية هذا الذبول الذى يبعث فينا العطف والحنان فوق الافتتان حين يمتد إلى زنبقة من زنابق الربيع فاذا الحر يلفحها ، وإذا هي تذوى هشيما وقد كانت من قبل ملء العين نورا وملء الجو عطراً ، وإذا هى فى ذبولها أشد ما تكون فتنة وسحراً

ألا فليحلّل الأستاذ أحمد أمين هذه القبلات الملتهبة التى لم يكن ليطبعها رفائيل إلا على يدى جوليا ، وعلى يديها فحسب

أفلا يجد أن فيها ـ على أنها ذوب القلب ، وعصارة الروح ـ من الاعجاب أكثر ما فيها من الحب ، ومن التحفظ فوق ما فيها من الرغبة ، ومن معانى الكبت للنزعات الملحة ما يعد مثلا أعلى يضرب فى الأخلاق لأبناء الأرض ؟ إنها انتصار الخلق فى شفتين ألهبهما الغرام ، وأرمضهما الظمأ والسغب .. ليحلل الأستاذ هذه القبلات ؛ وليذكر أن هذا الحب — على عنفه — لم يجر إلى معصيته ، وأن هذا المحب — على فتوته — عف ولم يسف.

وأما فرتر . . .

يأخذ الأستاذ أحمد أمين على فرتر أنها تنتهى بانتحار فظيع . ذلك هو — عنده — موضع الضعف فى القصة لناحيتها الأخلاقية. وإننى لأربأ بفهم الأستاذ وعلمه أن يجد فى موضع القوة ضعفاً وفى محاسن القصة شر المساوئ

لقد هام فرتر هياماً عنيفاً ، ولا نزاع فى أن هذا الهيام خطر شديد الخطر — بالقياس إلى الكثيرين من الشباب العاديين فى نفوسهم وأعصابهم وعقليتهم — فهو إذن إسراف وخطيئة على رغم طهره وصدقه . إذن على هـذا النحو يكون الانتحار ثمرة

الخطيئة ؛ وإذن تكون الخطيئة فى القصة قد عوقبت

وهذا هو يا أستاذى كل ما يريده الأخلاقيون

هناك من يقول : إن القصة تحمل الشباب على الانتحار وترغبهم فيه . ودليلهم على ذلك أن عدداً وافراً من الشباب انتحروا فى الغرب عند قراءته

والواقع أن الذنب ذنب العصر والمكان ، وبرهانى على هذا أنه لم نر الآن فى الشرق والغرب من انتحر من الشباب بعد قراءة فرتر ، ولقد ترجم إلى العربية كما يقول الزيات منذ ثمانية عشر عاماً وأعيد طبعه سبع مرات ، وقرأه كل مثقف فى بلاد العروبة ، ولم نسمع أن حادثة من حوادث الانتحار قد وقعت بسببه

وها هو ذا اليوم « يقرأ ويدرس ويمثل فى الملاعب ويغنى في دور الموسيقى دون أن يحدث من سوء الأثر وقبح العاقبة ما أحدثه فى ذلك العصر يوم ظهوره »

يقول الدكتور طه حسين : « لقد أساء بعض الشبان ذوى النفوس المريضة فهمه والاستفادة منه ، لأن ظروف الحياة الاجتماعية كانت من الشدة والضيق فى أوربا بحيث تحمل نفوس كثير من الناس ضعيفة رخوة ، وخانعة مستسلمة ، لا تستطيع مقاومة ولا احتمالا . وأما اليوم فالظروف الاجتماعية التى ملأت نفوس الأوربيين سأماً وملالا في أوائل القرن التاسع عشر قد انقضت واستحالت وأصبح الناس وقد ملأهم الأمل ، وملكتهم الرغبة فى الحياة وما فيها من لذة ونعيم ، لهذا لم يبق من هذا الكتاب إلا أثره النافع ، وهو عظيم جليل الخطر »

ولنفرض أن فى رفائيل وفرتر بعض ما لا يرضى بعض الناس، فهل من الأصوب فى هذه الحال أن نبعدهما عن أيدى الناشئة أم نقربهما ؟ إن الأستاذ أحمد أمين — كما يفهم من قوله — يرى أن خير سبيل إلى حفظ الناشئة من الرذيلة أن يخفى عنهم خطيئات الآخرين ، وأن نلقى فى روعهم أن ليس فى هذا العالم خطايا ولا مخطئون

ليسمح لى الأستاذ أن أقول له إنه ليس هناك أخطر على الشباب من هذا الأسلوب من أساليب التربية

إن الطبيعة هى التى تلقننا أبجدية الخطيئة تلقينا ، والطلاب أخذوا عن الطبيعة تلك الدروس ، درساً درساً ، بل فقرة فقرة ؛ وهم تدبروها وتفهموها فامتلأت بها نفوسهم ، وصبت إليها قلوبهم ، وكانوا بها كلفاً لا قبل لهم برده . فما الذنب ذنب غوتة ولامارتين وغيرهما من أعلام الفن الوجدانى الرفيع ، وإنما هو ذنب الطبيعة نفسها

فاذا كنت تريد لناشئنا فضيلة وتقوى فأطلعهم على خطيئات لامرتين . افتح لهم أبواب الحياة الواقعية ، ولا تخش عليهم بعد هذا بأساً ولا عثاراً ؛ فالطبيعة التى أوجدت الخطيئة ، جعلت لكل خطيئة فى الحياة الواقعية قصاصها ، وحاطتها بالعفن والنتن فهى مكروهة حتى من المللوثين بها ! وهذا وحده كاف لأن يعرفوا الشر ويتجنبوه. قيل لعمر رضى الله عنه ما معناه : « يا أمير المؤمنين ، إن هذا الرجل يقوم ليله ، ويتعبد نهاره ، ويتقى الله حق تقاته . حتى لكأنه لا يدرى ما هو الشر ولا كيف يكون ! . . » فابتسم العبقرى العليم بحقائق الحياة ، وطبائع النفوس وقال : « إذن هو أحرى أن يقع فى الشر لأنه لا يعرفه ! »

ورحم الله شاعرنا أبا فراس فقد قال :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

فمن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

فالخير كل الخير يا أستاذ أن تأخذ بأيدى شبابك لتريهم — تحت رقابة ذكية فطنة — بؤر الخطايا حيث ينتشر النتن ، ويعتد العفن ببهرجها الزائف ، وتهاويلها المغرية ، وسيتعلمون — على الأقل — كيف يتقون الأشواك حين يمدون يدهم لقطف ورودها .

والمناعة ضد الخطيئة ، هى فى اطلاعهم على عواقبها وعقابها، كما أن المناعة ضد البرد لا تكون فى التدفئة — بل إن التدفئة تهيئ للاصابة به — وإنما هى فى التعود على التعرض له

أليس من الخير أن يعلموا كيف يرتفع الشباب عن السفاسف والميول الأرضية ، وكيف يطهر نفساً وينبل قلباً

أليس من الخير أن نحمل إليهم بأيدينا هذه الكتب الفنية الرفيعة بدل أن تدفعهم وساوس الشيطان إلى ملء ساعات فراغهم ودرسهم بقراءة المجلات الساقطة والروايات الخليعة التى تتملق الذوق العام ، فتوغر الميول ، وتثير الأهواء ، وتوجهها إلى سبيل محفوف بالمكاره والأخطار ؟

إن فى رفائيل وفرتر وغيرهما من كتب الأدب العاطفى الرقيق الرفيع ترفيهاً عن نفوسهم وتنفيساً لها ؛ ولهم فيها — فوق هذا وذاك — مثل فى الأخلاق تحس كل نفس الاعجاب بها ، وهم يجدون فى هذا الترفيه وهذا التنفيس متعة القلب وراحة النفس

يقولون إن الانتحار في الأمم الكاثوليكية هو أقل منه فى الأمم الأخرى . وتعليل هذه الظاهرة عند علماء النفس والاجتماع أن فى اعتراف الآثم لكاهنه ، ترفيهاً عن نفسه ، وتنفيساً عنها . وهذا الاعتراف هو أشبه شىء بمفتاح البخار يفتحه سائق القطار إذا ثقل تكاثف البخار ليخفف الضغط ، ورفائيل وفرتر وغيرهما اعتراف نابغين إلى القارئ ، وقراءتهما هى اعتراف القارئ إلى نابغين ملهمين

أذكر أننى قرأت رفائيل فى الخامسة عشرة ، وفى السادسة عشرة قرأت فرتر وإنها لسانحة سعيدة تسنح لى الآن . أعترف فيها بكثير من الغبطة ورضى الضمير ، أننى مدين بفضيلتى — إن كان فى فضيلة وتقوى — إلى غوته ولامارتين والزيات . نعم يا أستاذ أحمد أمين إلى غوته ولامارتين والزيات . وأعترف فوق هذا أنها كانت ساعة من ساعات حياتى المشهودة المذكورة لما خطرها فى حسن توجيه ميولى ونظري وفكرى ، تلك التى عثرت فيها — فى هذه السن الخطرة — على رفائيل وفرتر

« حمص . سوريا » ماجد الاتاسى

قسطاكي الحمصي

اسلوبه في الكتابة النثرية

للأستاذ أسعد الكوراني

ليس الكلام في أدب الأستاذ قسطاكي بك الحمصي بالأمر السهل ولا هو بالمطلب اليسير، فالخطباء كثيرون والوقت محدود وأدب المحتفى به، أطال الله بقاءه، متشعب النواحي فليس في طوق خطيب أن يلم به في دقائق معدودة. لذلك سأقصر كلمي على أسلوب الأستاذ في الكتابة النثرية.

يقولون إن أسلوب الرجل صورة عن نفسه. وليس أصدق من هذا القول في التعبير عن الأدب الصحيح. فالأدب مظهر لما تختلج به النفس وتشعر به وتدركه عن طريق العاطفة والعقل. والأديب يؤدي رسالته وقد أذاب ما رآه وأحس به في بوتقة نفسه، فلا بد من أن يجيء أسلوبه قطعة من ذاته.

كل من قرأ للأستاذ قسطاكي بك الحمصي ماخطه يراعه منذ ستين عاما إلى هـذا اليوم يرى في كتابته النثرية قوة في اللغـة وصحة بالغة في التركيب والتعبير. وهـذه صفات تكفي وحدها لتخليد صاحبها، وقلّ أن اجتمعت في نهضتنا الأدبية الحديثة إلا لأفراد معدودين. ولكنه يجد إلى جانب هذه الصفات صفة أخرى ينفرد بهـا الأستاذ بين أقرانه، ويندر من يشابهه فيهـا من أترابه وأنداده، وهي التأنق في الأسلوب. فكأني بالأستاذ لا يرضى من قلمه أن يأتيه بالناصع المشرق من صحيح الكلام وبليغه، بل يريد إلى جانب ذلك أن يكون بيانه عنوانا للروعة والجمال. فهو كالنحات الماهر يستخرج من الصخر الجامد ما يهز الشعور بحسنه وجماله.

ولقد قرأت ما كتبه الأستاذ في شبابه وكهولته وشيخوخته فما شذ أسلوبه عن هذه الصفة في أي دور من أدوار حياته.

نعم قد يختلف أسلوبه قوة وجمالا في بعض ما كتب عن بعض؛ ولكن طبيعة التأنق كانت بادية على كل آثاره.

ولقـد تشرفت يوما بزيارته ومعي صديقي الأديب جورج اسطنبولية فسمعت من حديثه العذب الفياض، ورأيت من ملبسه وهندامه، وشاهدت في حجرته وعلى منضدته من الأثاث والكتب ما زادني يقيناً بأن أسلوب الأستاذ كحياته صورة صادقة لسلامة الذوق وروائع الفن.

ولعلي لا أطيل عليكم إذا تلوت على مسامعكم قطعة من بيانه لم أخترها اختياراً بل اطلعت عليها اتفاقا عند ما فتحت كتابه الذي وضعه عن (أدباء حلب ذوي الأثر في القرن التاسع عشر) وهي من محاضرة له في وصف قصور الخليفة المأمون وهذه هي:

«وكان يشرف عليها الراكب في دجلة من بعد شاسع، ولا سيما قبابهـا، فمن مجصص بالجص الأبيض الناصع كالفضة البارقة، ومن مطلي نصفه السفلي بالأخضر الناضر والنصف العلوي بالذهب النضار، وفوقها جامات الذهب تتلامع كالشهب المتقدة، ثم تبـدو للعيون تلك الحدائق الممتدة إلى أقصى مدى البصر، تتسرب فيها جداول الماء من برك عظيمة الاتساع مختلفة الأوضاع، ينصب فيها الماء كالفضة الذائبة من أفواه حيتان أو سباع أو ثيران أو نسور، من مرمر مختلف الألوان بالغ من الصناعة نهاية الاتقان بين جنات قد ازدحمت غياضهـا واشتبكت أشجارها وتعانقت أغصانها وامتد ظلالها، يسير فيها الداخل تحت أقبية وأطواق من فسيفساء الأوراق، في مماش كأنما أرضها خمائل سندسية، وعلى جانبيها درابزينات لا يدرك الطرف منتهاها، قد اعترش عليهـا الياسمين، وتعلق بها الورد والنسرين»

فهذه قطعة كتبها الأستاذ منذ عهد بعيد، وهي مشرقة الديباجة ناصعة البيان صحيحة اللغة سليمة التركيب لا تقع كثيرا على أشباهها في متخير كلام العرب في الوصف الجميل.

غير أن هذه القطعة لا تمتاز بالكلام البليغ والأسلوب الصحيح فحسب، بل تمتاز أيضا بما فيها من التأنق والعمل الفني الخالص.

فما هي العوامل التي اجتمعت فأشرق منها هذا الأسلوب الوضاح؟

عندي لهذه العوامل أصلان: الموهبة والمحيط.

فالموهبة هي القدرة الطبيعية التي تتجلى في ذوي الكفايات الممتازة.

والمحيط هو الوسط الذي يعيش فيه الانسان فيتأثر به.

* نص الخطاب الذي ألقاه الأستاذ المحامي في الحفلة التي أقيمت بحلب في سبتمبر تكريما للأستاذ قسطاكي بك الحمصي

والموهبة لا تثمر ثمرها إذا لم تتعهدها يد التهذيب بالاصلاح . وهى تتكيف بالمحيط ومؤثراته .

ولا خلاف فى أن العلامة الحمصى من ذوى المواهب الممتازة النادرة ؛ فما هو الوسط الذى عاش فيه فأخذ عنه وانطبع بطابعه فصدر عنه هذا الأسلوب المشرق ؟

ينتسب الأستاذ إلى أسرتين عريقتين فى الوجاهة والحسب والنسب ، فأبوه من آل الحمصى وأمه من آل الدلال . والأسرتان مشهورتان بالحياة الرفيمة والعيش الرغيد الوارف . وأسرة الدلال معروفة بالأدب، وقد ظهر منها نوابغ لا تزال آثارهم الأدبية ناطقة بفضلهم ومكانتهم . ولقد كان لأم الأستاذ وقوف على الأدب وخاصة على الشعر . فنشأ فى هذا المحيط العالى تتعهده أمه — بعد أن فقد أباه وهو فى الخامسة من عمره — بخير أنواع التربية والتهذيب .

ومن صفات الأسر العريقة فى الوجاهة المحافظة على التقاليد والعادات . فمن الطبيعى إذن أن تبدو مظاهر هذه الحياة العالية بنعيمها وأخلاقها وتقاليدها على أدب الأستاذ؛ وهذا فى اعتقادى هو السبب المهم فى اتسام أسلوبه بسمة التأنق وروعة البيان .

على أنه يجب ألا تفوتنا ونحن نتكلم عن نثر الأستاذ ظاهرة لها قيمتها فى تقدير مكانته الأدبية . وهى أننا لو أخذنا أية قطعة من نثره كتبها قبل أربعين أو خمسين عاماً ، ولا سيما ما كان منها دائراً حول الموضوعات الاجتماعية والتاريخية ، ثم قارناها بما يكتب اليوم بعد أن أثمرت النهضة الأدبية الحديثة ثمارها لما رأينا بينهما كبير فرق . فكأننا نقرأ بلغة اليوم ما كتبه الأستاذ قبل نصف قرن يوم ، كانت أساليب الكتابة ترسف فى قيود الركاكة والتقليد والصناعة اللفظية

واسمحوا لى — وإن أطلت الكلام قليلا — أن أتلو على مسامعكم أسطراً من مقال نشره الأستاذ بعنوان (أهل التقادير وأرباب السعى والتدبير) فى الجزء الثالث عشر من مجلة البيان الصادر فى أول إيلول سنة ١٨٩٧ أى قبل إحدى وأربعين سنة وهذه هى :

« قد ألف بعض الناس الاتكال على التقادير أى على ما تولده الليالى من الحوادث التى لم تكن فى الحسبان . وخالفهم فى ذلك أقوام زعموا أن ذلك مدرجة إلى الكسل ، وأنه مما يقف فى سبيل التقدم وبلوغ الكمالات الانسانية . ولكل من الفريقين حجج وبينات يؤيدون بها مدعاهم »

« قال الفريق الأول: لو لم تكن التقادير هى الحاكمة فى أنصبة البشر، اللاعبة بحظوظهم، الفاعلة فى تغيير أحوالهم وأخلاقهم، لبلغ كل امرىء ما يتمنى على قدر همته وسعيه ، وكم من ساع وراء أمر يرومه والتقادير تعانده فلا يبلغ متمناه »

فهذا كلام لو قورن بأسلوب الكتابة فى هذه الأيام لما تخلف عنه فى كثير ولا قليل، بل ربما فاق أسلوب الكثير من مشهورى الكتاب بصحة اللغة وحسن السبك ومتانة التركيب

وهذه الظاهرة من خير الشواهد على نبوغ الأستاذ ، لأن النابغة يتخطى حدود زمانه ويدرك ما لا يدركه معاصروه إلا بعد أمد طويل .

هذه كلمتى فى أسلوب أستاذنا قسطاكى بك الحمصى فى الكتابة النثرية ، وأنا أعلم ما فيها من عجز وقصور عن إدراك شأوه وبلوغ مداه ، وإيفاء البحث حقه من الدرس والتمحيص ، ولكن أنى لمثلى أن يسابق فى هذه الحلبة ويجرى فى هذا المضمار وقد اجتمع فيه عيون الأدب ومصاقع رجاله لتكريم إمام من أئمة البيان . غير أن لى من حسن نيتى شفيعاً لقصورى، فليتفضل الأستاذ بقبول هذه الكلمات منى هدية مقرونة بالاعجاب بأدبه والدعاء له بطول البقاء

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٥ —

قرأت ما كتبته الآنسة الفاضلة « أمينة شاكر فهمى » وظنته ردا على، وهو فى الحقيقة تأييد لى. وسأثبت لها ذلك بعد أن آخذ عليها هـذا الاستفزاز الذى يحرك النفوس الجاهلة إلى الثورة على كل جـديد ولو كان نافعا، ويجعلها تقف فى سبيل الاصلاح ولو كان حقا

تقول الآنسة الفاضلة : « لقد تتبعت بشغف واهتمام مقالات الأستاذ الفاضل « أزهرى » عن تيسير قواعد الاعراب إلى أن تم بحثه فى عملية التيسير والتغيير، فدهشت جداً لما جاء فى مقاله الأخير من تطبيق، وما كنت أظن أن موجة التبديل والتحوير تطفو يوما على اللغة وتمسخها بهذا الشكل الذى ينكره كل مخلص للعربية. نعم إننا نعيش في عصر السرعة التى وفدت إلينا من أمريكا، ولكن غريب أن تطغى السرعة على قواعد اللغة والاعراب فتختصره بهذه الصورة المدهشة التى يقدمها الأستاذ « أزهري » فى بحثه الأخير، فقد اختصر وحـذف منه حتى كدت لا أتعرفه، وخيل إلى أننى أقرأ لغة أجنبية. وغريب أن يتأثر الأزهريون بحياة السرعة الأجنبية فيستعملوها حتى فى اللغة وهم حماتها من كل اعتداء ! »

فما هذا الاستفزاز من آنستنا الفاضلة وهى لم تنقض حرفا واحدا مما قلت ؟ بل إنهـا تشهد بأنى جئت بدراسات فى تيسير قواعـد الاعراب تكاد تكون قيمة لو لم أناقض نفسى بنفسى وأزد فى تعقيد الاعراب، وكان من السهل عليها لو تأملت قليلا أن تدرك أنه لا تناقض فيما جئت به من ذلك ولا تعقيد

وستجد الآنسة الفاضلة فى عدد الرسالة الذي نشر فيه مقالها ردا قيما للأستاذ الجليل « ساطع الحصرى » على خلطها بين اللغة العربيـة وقواعد إعرابها، وظنها أن فى الاعتداء على قواعد الاعراب اعتداء على اللغة نفسها، فاللغة العربية شىء وقواعد اللغة العربية (الاعراب) شىء آخر، لأن اللغة بوجه عام تتكون تحت تأثير الحياة الاجتماعية.

أما قواعد اللغة فتتولد من البحوث التى يقوم بها العلماء، وتتبدل بتبدل النظريات التى يضعونها، فهى من الأمور الاجتهادية التى يجب أن تبقى خاضعة لحكم العقل والمنطق على الدوام، ولا يجوز لنا أن نتقبلها بدون مناقشة وتفكير، بل يجب علينا أن نعيد النظر فيها، ونطيل التفكير حولها، لنكشف فيها مواطن الخطأ والصواب، ونسعى فى إصلاحها وفقاً للطرق المنطقية المتبعة فى البحوث العلمية بوجه عام

ومن الواجب على الأزهر أن تكون هذه مهمته فى هـذا العصر، وأن يتأثر بهذه السرعة التى تقول الآنسة الفاضلة إنهـا وفدت الينا من أمريكا مع أنها من أصول ديننا، ومن السنن الصالحة التى سنها أسلافنا، وقد رأت الشفاء بنت عبد الله رضى الله عنها فتيانا يقصدون فى المشى، ويتكلمون رويدا، فقالت : ماهذا ؟ قالوا : نساك. فقالت : كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله ناسك حقا

وما فعلت بما جئت به من مذاهب جديدة في الاعراب إلا أنى قضيت بها على ما فيه من حشو لاداعى اليه، وهذا كما فى مسألة الاعراب والبناء، فان تقسيم الكلام إلى معرب ومبنى حشو فى النحو لايدعو إليه إلاما ذهبوا إليه فى الاعراب من تأثره بالعوامل. ولو جعلنا العمل فى ذلك للمتكلم لا لهذه العوامل لم يكن هناك فرق فيه بين ما سموه معربا وما سموه مبنيا، ولأمكننا أن نجعل كلمات العربية كلها معربة، واستغنينا بذلك عن حشو كثير فى الكلام على الاعراب والبناء، وفى تطبيقات الاعراب التى نجريها فى الأمثلة والشواهد، وليس في هذا أى اعتداء على اللغة العربية، فقد ذهب الفراء إلى القول باعراب الحروف إعرابا محليا، ومعنى هذا أنها تتأثر عنده بالعوامل كما يتأثر غيرها، وهذا مذهب غريب جداً فى الاعراب، ولم أصل فيما ذهبت اليه من إعراب الحروف إلي أنها تتأثر فى ذلك بالعوامل كما يتأثر غيرها، فهل تعدى الفراء بذلك على اللغة العربية ؟ وهل اتهمه أحد بهذه التهمة التى تكال جزافا فى عصرنا ؟ اللهم لا

وكذلك مسألة الاعراب المحلى والتقديرى، فانه لا يوجد هناك مايدعو إلى الفرق بينهما، ولا ما يمنع من إدماج الاعراب المحلى في الاعراب التقديرى على النحو الذى ذكرته فى مقالاتى السابقة، وقد ذهبوا إلي تقدير بعض الحركات من أجل حركة البناء في مثل « ياسيبويه » فلم أفعل إلا أن طردت ذلك فى هذا الباب كله، وجعلت الاعراب المحلى إعرابا تقديريا، لأن الفرق

بينهما من الحشو الذى لايصح وجوده فى هذا العلم ، بل لا يصح وجوده فى العلوم كلها

والحق أن كل ماذهبت إليه فى إصلاح الاعراب من القوة بحيث لايمكن ممارسته ، ولولا تمنت هـذا العصر وجوده وجحوده لـكان له شأن عندنا غير هذا الشأن ، ولوجد من إنصاف العلماء مايؤثره على مذهب القدماء فى الاعراب . وإنه لايهمنا هذا الجحود والجود، لأنا بما نكتب فى الاصلاح إنما نرضى به أنفسنا قبل كل شىء ونقوم بما نعتقده واجبا علينا ، ولا يجنى هذا الجود والجحود إلا على الأمة التى نرضى به ، ولا نحاول التخلص منه بعد أن صار بها إلى ما صارت إليه

وها هى ذى آنستنا الفاضلة تشهد بقيمة هذا الاصلاح الذى أتينا به ، ولكنها تقع بعد هـذا فى سهو ظاهر تنقص بهما هـذه الشهادة ، والذنب فى ذلك عليهـا لا علينا ، لأن ماظننته تناقضا فى كلامنا لا حقيقة له

فقد بنت هذا التناقض على أنا قلنا فى مقالنا الرابع إن الحرف لاحظ له من الاعراب أصلا ، ولورجعت الآنسة الفاضلة إلى هذا المقال لوجدت أن هذا ليس من قولنا ، وإنمـا هو من قول الجمهور في الرد على الفراء ، إذ يذهب إلى إعراب الحروف إعرابا محليا ، ويتفق مذهبنا مع مذهبه فى ذلك إلى حد ما . ولسنا من الغفلة إلى حد أن نذهب في أول مقال لنا إلى إعراب الحروف إعرابا ظاهرا، ثم نعود فنقول فى المقال الرابع إن الحروف لا حظ لها من الاعراب أصلا

وكذلك لم توفق آنستنا الفاضـلة حين أنكرت علينـا مخالفتنا فيما أتينا به من تطبيقات للاعراب المعروف فى مذهب الجمهور ، لأنه لا حرج علينا فى ذلك أصلا ، ونحن لم نأت بهذه التطبيقات إلا لنبين للناس مقدار هـذه المخالفة ، وليس من المعقول أن نخالف الجمهور فى قواعد الاعراب ثم نجري تطبيقاتنا على مذهبهم لاعلى مذهبنا

فلا تناقض إذن فى كلامنا ، ولا شىء يمنع آنستنا الفاضلة من أن تجمل شهادتها لدراستنا خالصة مطلقة

(أزهرى)

مائة صورة من الحياة

للأستاذ على الطنطاوى

٨ — سائل

فى ميدان (المرجة) أكبر ميادين دمشق وأهمها ، وفى محطة (الترام) أظهر بقعة فى ذلك الميدان وأحفلها على ضيقها بالناس ، سائل طويل بائن الطول ، أعمى قبيح العمى ، يقوم حيال عمود الكهرباء، وكأنما هو لطوله عمود ثان ، لا يريم مكانه ولا يتزحزح عنه ، ولا يفارقه لحظة من ليل أو نهار ، فهو أبداً يزحم الناس بمنكبه الضخم المريض ، وثوبه الدنس القذر ، ويؤذيهم بصوته الأجش الخشن ونغمته القبيحة المملة ، وكلماته التى لا تتبدل ولا تتغير : (من مال الله يا أهل الخير ، والله جوعان! الله لايجوعكم والله كاس العمى صعب ...) لا يكف لسانه عن ترديدها ، كما أن لسان صبيه الذى يحمله دائماً لا يكف عن البكاء والعويل ..

وكنت أمرّ بالميدان نهاراً ، وآتيه نصف الليل ، وأجئ تارة عند طلوع الشمس ، فأجد ذلك السائل قائماً فى الحالات كلها بجانب العمود ، وكفه مبسوطة كأنها طبق ... ولسانه ولسان صبيه عاكفان على السؤال والبكاء ، كأنما هما اسطوانة تدور دائماً وأبداً لا كلال ولا ملال ... فكنت أتألم منه حيناً وأنقم من الشرطة أنها لا تباليه ولا تحفل مكانه ، وأشفق عليه حيناً فأعطيه من بعض ما أجد حتى رآنى رفيقى فلان ، فقال لى :

— ماذا ؟ أتعطى مثل هذا ؟

— قلت : ولم لا أعطيه وهو أعمى مسكين ، يسأل الليل والنهار لا يفتر ؟ فلو كان سؤاله تسبيحاً لـكان من الملائكة ... ويقسم أبداً أنه جائع ، وولده على كتفه يبكى من الجوع ... أفأضنّ عليه بقرش واحد يقيم به صلبه ؟

فضحك رفيقى وقال :

— لا هو بالجائع ، ولا الولد ولده ، وإنه لأغنى منى ومنك..

— قلت : هذا لا يكون

— قال : فتعال معى ...

ودنا من السائل ، فهمس فى أذنه ...

— ياأبا فلان ؟ ألا تؤجرنا دارك التى فى (الشاغور) ؟

ففتح الأعمى عينيه ... فنظر فى وجهه . فلما عرفه قال :

— بلى ، ولكنى لا أنزل بها عن عشرين ليرة ذهبية ...

— قال رفيق : ألم تؤجر الدار الأخرى بثمانى عشرة ؟ فهذه مثلها ...

— فقال : هو ما قلت لك ...

وعاد يصبح بنغمته القبيحة المملة ، وصوته الأجش الخشن : (من مال الله يا أهل الخير ، والله جوعان ، الله لا يجوعكم ! والله كاس العمى صعب ...) !!

علي الطنطاوي

وحي الشاعرية

ثورة الخيـــال

(صحيفة اجتماعية مطوية لم تنشر إلا اليوم. جلوة لعهد بعيد ، غير عتيد)

للأستاذ حسن القاياتى

أدلت بى النجوى فأكثرتها رغما   وخفت بى الدعوى فأوسعتها عجما
بغيري أبياً يلعب البرق خلبا   أيقتلنى يأساً وقد مدنى علما ؟
طويت على الشكوى جوانح لم يزل   يحزُّ الأسى فيها وتكتمه كتما
شجى النفس من ليل الشبيبة أليل   تألق هذا الشيب فى جنحه نجما
أحيد بأنفاسى عن الليل رهبة   كأنىَ أخشى أن تحرِّقه فحما
بنفسى محيَّا الراح لو أن كأسها   أطاحت لنا همًّا فلم تولنا همَّا
كريهٌ مذاق الموت فى الكوب وحده
فما بال مفتون تجرَّعَ واشتما(1) ؟
يزهدنى فى مرشف الكأس أنها   أديرت فما جازت حصيفاً ولا فدما
بكم نالها المتلاف والكأس مغرم   ليشربها خمراً وقد باعها كرْما؟
كأن حميا الكأس أعيت بفاتك   فصبت على أخلاقه الأفن والوصما
هى الراح ذوب الحسن لا بل ظلاله   إذا حلَّ فى نادٍ فقد طلمت ثمَّا

* * *

إلى كم تقاضى المصبيات مكانها   لديَّ وقد عفت المناغاة والرَّئما ؟
أبىٌّ لو ان الماء يسقي بوصمة   تبدلتُ منه خوفَ وصمته الظما
أصد وقد هم الجمالُ ولو قنى   أخى يوسفٌ صبرى لصدٍّ فما هما
هواناً لنى يهصرُ الحسن وردة   فهلا يشمون الحياة به شما ؟
رويداً بخد الورد شما وزينة   ورفقاً بورد الخد تذبله لثما

(١) إشارة إلى عادة الشم المتعارفة

فوا كبدى كم يمنع الحسن شركة   وما خص بالشجو القلوب كما عما؟
أ كل بديع ليس يعدوه حاجب   بصدٍّ قناعاً أو يحيط به كما ؟
لثامٌ نهى شطر الجمال فصانه   فوا لهفتا للبدر لو أنه تما ؟
جمال الغوانى قاسمَ اللهَ خلقه   فصبَّ عليه من تحجبه رغما
كأنك غضبي حين أبداك برقع   لقد رق يا أختى لحلاك إذ نما
بعينيك من ردٍّ العيون فصاغها   قسياً ومن أصمى بنظرتها سهما ؟
جوانحنا من شبٍّ فيهن جذوة   ومن مهدت فيه العيون ومن أدمى
دعونا نرفِّه عن حشانا بآهةٍ   تبلُّ الحشى برداً وينذى بها نسما
دموع الأسى تشفي وليست مبينة   تلهيك بالأطيار إذ هتفت عجما
بنى مصر لولا أعينُ الغيد فتنة   لما مُلئت حسناً ولا مُلئت ظلما
يذمون من « بنت الهوى » طاعة الهوى
وهم نظموها فى شقيَّاته نظما
شفاء الفتى من سكرة المال والصبا   ضمين به الاتلاف يلحقه العدما
لمن شرفٌ ديعت به كلُّ حرَّةٍ   فلم يبكه جانٍ رأى جرحه يَدمى
ولدتم كهانيك القلوب نوابضاً   نخافوا عليهن الجريمة والاثما
لقد طبعت طبع الحديدة فتيةٌ   تجافت فلا داء شفته ولا كلما
أجِداً يظن الشحُّ ألا أبوَّةٌ   عليهم لمن ذاق الخصاصة واليتما
ألا مصنعٌ مجدٍ ألا ملجأ ندٍ   يفيض لهم علماً ويندى لهم طعما
مدارسنا لا النبل فيهن حلية
ولا العلم خصم الجهل يصرعه خصما
مدارس تجار إذا هى أربحت   خسرنا بها الآداب أجمع والعلما
لقد ساد زيغُ الرأى فليشك محسن   كبارَ المساعى يوم تكسبه ذمَّا
كفى الناس تضليلاً بخدٍ مموَّهٍ   وبالنابه المكذوب يبنونه ضخما
إذا وصفوا بالعلم والفهم نابهاً   زهوهُ ولم يفتنك علماً ولا فهما
كأن بعيد الصيت يعتزُّ باسمه   تساقط حتى ما يروعك إلا اسما
كأنى بسحَّار النباهة كلما   تقلب فى زعم أجدُّوا له زعما
توحَّدَ مغمورُ القوافى بيانهُ   نخط(1) الأغانى يبعث الطرب الجما
قل الزور يستاق الجماهير فتنةً   ورحْ شيخها نبلاً ولح بدرها تما!
صدى الناس من يحكي وكم فيهم صدًى
ولكنَّ جزْلَ الرأى من يحسن الحكما

* * *

سما النيلُ يستعدى على الجور قومه   فياربُّ سدِّده لأربحهم سهما
يميناً لقد أزرى بمصر مفاوضٌ   رقيق كما ناغيتَ إحسان أو نعما

(١) خط الأغانى : لغة الموسيقى ، وهى النوتة

لمن يؤمن الشرق فى الغرب بعدما   تداوله نهباً وفاز به قسما ؟
سواء على الشرق فى الكأس شهدة   أم الموت فيها حين يلتذها طعما ؟
متى يحل عز بالقوى وكأسه   تكسب لب الغر بل شعبه ضما
إن اعتز باغ لم تر العدل عنده   سوى فتكة بالكون تدهم دهما
كثير التمنى أطول القوم غرة   وإن كثير النوم أكثرهم حلما
كأنك إذ تغنى لياليك عاملا   ركضت لما تبقى صوافنك الدهما
بنى الشرق من قواده كل سادر   فهل أصبح البناء لا يحسن الهدما ؟
يقولون للخوان : تاب ومادهت   معتقة إلا بما فتكت قدما
يظن فريق يعلم الحق أنه   بحيث يرى الغوغاء والحاشد الفخما
إذا ضل فرد أو بق الفرد أمة   أدلت به نجلا فقتلها أما ! !
يريدوننا فى موكب الفرد أمة   عزيز عليهم أن آنفنا أحمى
أرى الجور قتال الشعوب فما لهم   يريدونه شعباً ويرعونه بهما
أكل زعيم عندهم عز مثله   كأن بأرض الشرق ويحهم عقما
إذا ما استقل الشعب ألفى غوية   ومن هجر الأوثان أوسعها حطما
تعصب لا للدين بعض رواته   تعصب للأجلال أو طاب النعمى
لقد عبدت فى الشرق حيناً عمائم   لو أن «أبيسا» قد رآهن لاعتما
كأن الأيادى فوقها نفر لائم   صحيفة زور كان توقيعها ختما
مضى كل واه ينحل الدين وهنه   يروح بلا سقم كأن به السقما
هو الدين إن شاؤوا يكن ضنك حكمه   فلاة وإن شاؤوا يكن رحبه سما
فتاوى كزورات البغى مباحة   تزيد بها غرماً فتأخذها غنما
إذا كانت الأديان حرباً على الحجا   وخاصمها علم فأهون بها خصما
إلى الصيت يسمو كل من قيل ملحد   وما قتل الالحاد علماً ولا وهما
لأية جدوى يغمز الدين مارق   أباح فلا حلا يراعى ولا حرما
أقبا على الآداب والنبل مأتما   فقد ذهبا عيناً وقد محيا رسما
تنكرت الأخلاق حتى لقلما   صنعت جميلاً لا تجازى به شتما
تهد إلى السوءات لا تدعه الهدى   وغض عن المخزاة لا تدعه الحلما
كفى بتبارينا إلى الشر شيمة   وحسبك من تمزيق وحدتنا جرما
عذيرى من باك بأجفان عاهر   على أمة يسعى ليقسمها قسما
وفاق وأنى بالوفاق ودونه   حسائك صرعى بالتنابذ أو كلمى
تنصح لمن يعصى ودعه فدهره   سيحسم باللوعات خلفكما حسما
تنزه حب الدار عن صدر جارم   يضرمها حرباً وقد طبعت سلما
حموا كل حر أن يفدى شعبه   ألا كذبوا إن العواطف لا تحمى
هى الدار ليست للربيبين طعمة   ولكن لنهاض بحجتها شهما
يدسون المجدى وفى الدوح مثمر   نمد له فتل السواعد والرجما
ألا ليت من يجنى لأهليه سوأة   يبوء بها ذلا على الأنف أو رغما
نصيبك من حمد فإن كنت زاهداً   فصبرك لا يذهب بصبرك من ذما

* * *

عزيز لعمرى أيها النيل ناشئ   فلا تأمن الكيد السياسى والأوما
إذا الشعب أعطى كل عز قياده   فقد حذر الفوضى بماقتل الحزما
بربك سائل مستقلاً قيوده   مجررة هلا أطاق لها فصما ؟
سلا نائبينا عن سجين مصفد   ضعيف متى أهدى لنائبه عزما ؟
عقيد العلى شعب إذا ما أثرته   تفزع لا يرضى هواناً ولا هضما
كفى أنفا للحر أن حقوقه   ترد له عدلاً فيأخذها غنما
سموك لا تحسب من الحلم ذلة   وأنت ملاق ما سموت له حتما
أحب حياة النشء كالنشء جدة   ولا يزدهينى محدث يشبه القدما
توثب هذا الشرق يبنى ديونه   فيارب جنبه الدسائس والشؤما

« السكرية : دار القاياتى »   حسن القاياتى



القصص في الأدب العربي الحديث

قد سبق لي أن حدثت قراء «الرسالة» عن المستشرق الفرنسي (هنري بيريس) يوم وصفت كتابه «أسبانية في أعين الرحالين المسلمين». واليوم أخرج هذا المستشرق المشتغل بالأدب العربي الحديث رسالة ضافية في القصص عندنا، وقد نشرها في مجلة معهد الدراسات الشرقية لكلية الآداب في جامعة الجزائر (الجزء الثالث، سنة ١٩٣٧ ص ١ — ص ٧٢)

وللرسالة مقدمة حسنة على قصرها عرض فيها المؤلف نشأة القصة في أدبنا الحديث وارتقاءها. فقال فيما قال: إن فن القصة انحدر إلى الشرق العربي من جانب الغرب وإن فارس الشدياق صاحب (الساق على الساق) كان أول من نبذ «المقامة» متأثراً بما وقع إليه من قصص الفرنسيين والانجليز. وهنا أشار المؤلف إلى ما صنعه اللبنانيون والسوريون النازحون إلى مصر في سبيل القصة أول أمرها، فذكر سليم الشلفون وأديب اسحق وجرجي زيدان، ولم يفته أن يذكر رفاعة الطهطاوي الذي نقل رواية (تليماك) من الفرنسية إلى العربية فطبعت في بيروت عشرين سنة بعد كتابتها. ثم انتقل إلى عهد الويلحي والمنفلوطي فتكلم على انعطاف القصة نحو الروح المصرية. ثم انتهى عند عهدنا هذا فنوه بخروج القصة من حيز الترجمة والنقل والتقليد إلى حيز الانشاء والابداع. ثم أخذ يعدد مجلاتنا الأدبية التي تنشر فيها القصص. ثم رتب أنواع القصص فذكر النوع الابتداعي والواقعي والطبيعي والرمزي والتاريخي والنفساني و «البوليسي»

ومما غاب عن المؤلف فيما أظن أنه أغفل تراثنا القصصي فلم يحاول أن يرد إليه بعض ما يجري في قصصنا (من ذلك «على هامش السيرة» لطه حسين و «شهر زاد» لتوفيق الحكيم فضلا عن روايات زيدان ومسرحيات شوقي) وأنه أهمل قصصنا الشعبي ففاته أن يتلمسه في طائفة من القصص (من ذلك أقاصيص لجبران خليل جبران وأخرى لميخائيل نعيمة و «يحكى أن» لطاهر لاشين)

ويلي المقدمة ثبت أسماء المؤلفين وعناوين القصص على طريقة علمية قوية. والثبت على أربعة أبواب:

الباب الأول: ما ألف في الأدب العربي الحديث عامة، في العربية واللغات الأفرنجية

الباب الثاني: ما ألف في فن القصة، في العربية واللغات الأفرنجية

الباب الثالث: القصص والأقاصيص المنقولة من اللغة الفرنسية إلى العربية

الباب الرابع: القصص والأقاصيص المؤلفة باللغة العربية في القرن التاسع عشر والعشرين

وجل ما يؤخذ على هذا الثبت الدقيق الجامع أن صاحبه لم يرتب الأسماء حسب حروف المعجم

هذا ولعل الأستاذ (هنري بيريس) يواصل عمله النفيس إذ في نيته أن يثبت المقدمات التي يصنعها القصصيون لقصصهم مع النظر فيها وأن يتعقب ألوان الكتب وأنواع التآليف التي سارت في الشرق العربي سنة ١٩٣٠

(باريس) بشر فارس

الحركة النسوية في ألمانيا

تعمد ألمانيا الهتلرية إلى توفير أسباب الحياة والراحة للألمان فكان من أثر ذلك حركتها ضد اليهود، ثم نزعتها الأخيرة إلى إقحام مسائل الجنس في الوطنية، وما تدعيه من تفوق الجنس الآري وتقدمه على بقية الأجناس الأخرى في نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية، ولما كانت مسألة العطلة من

أكبر المسائل التي تواجه الأمم الحديثة ، فقد رأت ألمانيا أن تأخذ في الاقلال — جهد الامكان — من النساء في الصناعات والأعمال التجارية حتى لا يكنّ مزاحماً خطراً للرجال ، غير أن الواقع هو أن عددهن يزداد يوما بعد يوم في دائرة الأعمال ، وقد ذكرت ذلك جريدة سويسرية تسمى weltwoche فقالت « إن أهم ما تعنى به ألمانيا الحديثة في تربية نسائها تربية سياسية هو طبع الفتيات بروح الحركة الاشتراكية الوطنية ، وعدتها في ذلك الرياضة الذهنية والجسمية ، وتلك هي أسس جمعية البنات الألمانية Bund Deutscher Mädel وتقوم تربيتهن في هذه المؤسسة على أساسين ، أحدهما يجعل منها امرأة اشتراكية ، تعرف كيف تسوس أمور الدولة إن دعت الحال إلى ذلك ، والثاني يعدها لأن تكون أما قوية البنيان ، عبلة القوى ، لتنتج « الانسان الكامل » للوطن ؛ ويبدأ انخراط الفتيات في هذه الجمعية منذ بلوغهن السادسة عشرة من عمرهن ، فمن أظهرت مقدرة وكفاءة في تشرب مبادىء الجمعية منحت شارة فضية ، وهي دليل التفوق الفكري والسياسي ، ويعقد لهن كل أسبوع اجتماع ليلي يشرح لهن فيه تطور السياسة في الداخل والخارج ، ونصيب ألمانيا من ذلك كله . ولقد أعلن أخيرا « الهرفون شيراخ » زعيم شباب الريخ وجوب اشتراك كل فتاة يتراوح سنها بين ١٧، ٢١ سنة في جماعة القوة والجمال » والغرض المنشود منه هو تربيتهن تربية جثمانية قوامها الرياضة والرقص ، وتعليمهن أصول الصحة ، وقصارى القول إن مرماه إيجاد جيل نسوى جديد ، قوي البنيان ، جميل المنظر ، معتد بنفسه واثق بها .

وفي خلال هذه المدة تتلقى الفتاة نوعاً من التعليم الاجباري في المعسكرات التي أوجدت ألمانيا منها أكثر من ستمائة معسكر في ثلاث عشرة بلدة ، يعشن فيها عيشة خشنة ، ويمارسن أشق الألعاب .

وعلى الرغم من أن ألمانيا النازية ترى أن مكان المرأة الأول هو البيت ، إلا أنهن ينافسن الرجال في كثير من الأعمال ، حتى لقد بلغ عددهن اليوم قرابة ٢٥٫٥٪ ، هذا فيما يختص بالفتيات الناشئات ، أما الأمهات وسيدات الجيل الماضي ، فقد أوجدت لهن ألمانيا « اتحاد النسوة Frauenschaft » وهو بجانب تحبيب النازية إليهن ، يقوم بتعليمهن الحياكة والحضانة وشؤون المنزل ورعاية الطفل

نور الدين وصلاح الدين في فلسطين

نشرت جريدة (النهار) في بيروت مقالة عنوانها (إلى الأستاذ إسعاف النشاشيبي) أشارت فيها إلى ما نشرته (الرسالة) في عنوان (من أمين الريحاني إلى محمد إسعاف النشاشيبي) وذكرت — مطنبة — تحية الأستاذ الريحاني ، وبكاء الأستاذ النشاشيبي واستنجاده بسيد المرسلين ، وبكت متأثرة معه ، ومما جاء في تلك المقالة : « إنني كل يوم أري المجاهدين يخطون بدمائهم حطينا جديدة ، وكل ساعة أرى بينهم نور الدين ، وصلاح الدين وعماد الدين[1] »

الفلسفة الشرقية

قرأت في العدد ٢٧١ من مجلة « الرسالة » الغراء ذلك المقال القيم الذي كتبه حضرة الأديب السيد احمد صقر عن كتابنا « الفلسفة الشرقية » فسررت من قراءة هذا المقال سروراً عظيما ولكن ، لا لما قد يتبادر إلى ذهن القارىء للوهلة الأولى من أن مبعث هذا السرور هو ثناء مستفيض على الكتاب ومؤلفه وإنما مبعثه هو ماظهر لي من خلال المقال من أن كاتبه لم يكتبه إلا بعد أن طالع الكتاب في دقة وتمعن

غير أن لنا بعد هذا ملاحظة وجيزة على ذلك المقال نحب أن نسجلها هنا وصفا للحقيقة العلمية في نصابها

قال كاتب المقال : إني ذهبت إلى أني كنت أول من أثبت بالأدلة القاطعة سذاجة « أرسطو » وأذنابه في دعوائهم أن الفلسفة نشأت للمرة الأولى في إيونيا في القرن السادس قبل المسيح ، وأن أول فيلسوف في الدنيا هو تاليس الملّيتى ثم علق على هذا بقوله : « والحق أن هذا الاثبات قديم الميلاد وليس أدل على ذلك مما قال الدكتور عن « ديوجين لا إرس » في كتابه « حياة الفلاسفة » وأن الشرق قد سبق الغرب في النظر العقلي ، وأنه كان أستاذه وملهمه ..

ويظهر أن حضرة الأديب خيل إليه أن بين العبارتين معارضة إذ تدل الأولى على أن مؤلف كتاب « الفلسفة الشرقية » هو الذي أثبت تأثر الفلسفة الأغريقية بالفلسفة الشرقية ، بينما تنص الثانية على أن « ديوجين لا إرس » قد سبقه إلى هذا الاثبات . والحق في هذا الموضوع هو غير ذلك تماماً ، إذ أن « ديوجين

(١) الشهيد والد نور الدين

لا إرس » لم يزد فى كتابه « حيـاة الفلاسفة » على أن حدثنا « حديثاً يثبت أن الشرق قد سبق الغرب إلى النظر العقلى وأنه كان أستاذه وملهمه كما هو النص حرفياً . أما نحن فقد أثبتنا هـذه الدعوى بالطريقة العلمية الحديثه وهى استعراض نظريات الأغريق ومذاهبهم وإبانة مواضع تأثرها بالفلسفة الشرقية بالأدلة الناصعة التى لم تكن قد وجدت بعد فى عصر «ديوجين لا إرس» وفوق ذلك فقد أتينا من نتائج البحث الحديث بطائفة من الأدلة العلمية التى تؤيد هذه الدعوى تأييداً قاطعاً، وذلك مثل اكتشافات الأساتذة المتمصرين « ماسبرو » و « لوريه » و « موريه » و « بريستيد » التى استغلتها فى إثبات دعواي استغلالا لم يتح مثله لديوجين لا إرس ، ومثل نتيجة بحوث العلماء الطبيعيين الذين أوضحوا الفرق الطبيعى بين الجماجم الشرقية والجماجم الأغريقية ، وأتاحوا لنا الفرصة لاستنباط أن كثيراً من النظريات الأغريقية مبنية على أسس شرقية ، ومثل اكتشافاتى الخاصة التى وصلت إليها بعد الموازنة الدقيقة بين كل هذه الفلسفات ، إلى غير ذلك مما نستطيع أن نجزم فى صراحة أن «ديوجين لا إرس» لم يوفق منه إلى شىء يذكر

وأحسب أن حـديث ديوجين لا إرس الذى يستنتج منه استنتاجا تأثر الفلسفة الاغريقية بالفلسفة الشرقية لا يساوى فى نظر العلم إثباتنا هذه الدعوى بالحجج القاطعة التى لا تحتمل الجدل والتى لو وفق «ديوجين» إلى مثلها لما جرؤ « سانت — هلير » على جحود هـذه الفكرة بمثل ذلك التثبت الذى ورد فى مقدمة ترجمته للكون والفساد

ولهـذا الفرق الذى يوجد بين طريقتنا فى الاثبات وطريقة « ديوجين لا إرس » عبرنا فى جانب طريقته بقولنا : « إنه حدثنا حديثا يثبت إلى آخره » وعبرنا فى جانب طريقتنا بقولنا « إننا أثبتنا بالأدلة القاطعة إلى آخره » . ولا شك أن هذا كاف فى وجود الفرق بين الطريقتين .

على أن « ديوجين لا إرس » كتب ما كتب في الغرب وقد ظل المتفيهقون فى الشرق يدعون عكس ما قرره . أما بعد هذه البراهين التى أدلينا بهـا ، فلا يجادل فى هذه الفكرة إلا مكابر أو جحود .

بهذه الاشارة الوجيزة يتبين أن ادعاءنا أننا أول من أثبت هـذه الفكرة لا يتنافى مع نصنا على أن « ديوجين لا إرس » حدثنا هذا الحديث منذ زمن بعيد .

وأخيراً أكرر تهنئتى للأديب صقر على روح النقد الحر الذى نحن فى أشد الحاجة إليه فى نهضتنا الحاضرة .

الدكتور محمد غلاب

الأمالى

قال الأديب الفقيه الأستاذ داود حمدان : ما مفرد الأمالى ؟ قلت : الاملاء . وقد رأيت أن أروى فى (الرسالة) الغراء كلمة في أمالى السلف الصالح لملا كاتب چلبي وقولا للشيخ ابراهيم اليازجى فى هذه اللفظة ومفردها ، فيه فائدة

قال الأول : « هو جمع الاملاء ، وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم بمـا فتح الله (سبحانه وتعالى) عليه من العلم ، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً ، ويسمونه الاملاء[1] والأمالى ، وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية وغيرها فى علومهم فاندرست لذهاب العلم والعلماء ؛ وإلى الله المصير ، وعلماء الشافعية يسمون مثله التعليق » ثم ذكر فى مصنفه (كشف الظنون) (٦٦) كتاباً مسمى بالأمالى ، منها : « أمالى ابن الحاجب فى النحو وغيره ، أمالى ابن دريد فى العربية لخصها السيوطى وسماها (قطف الوُرَيد) ، أمالى ابن الشجرى ، أمالى أبى العلاء المعرى ، أمالى أبي يوسف (صاحب أبى حنيفة) ، أمالى بديع الزمان[2] ، أمالى جار الله الزمخشرى من كل فن ، أمالى الشافعى فى الفقه ، أمالى القالى فى اللغة ، أمالى الصفوة من أشعار العرب لأبى القاسم فضل بن محمد البصرى ، أمالي نظام الملك (الوزير المعظم العالم) في الحديث ، أمالى المطلقة للسيوطى »

قال الثانى : « هناك ألفاظ لا ندري بم ننعتهـا ... وذلك كقول القائل : (آمالٍ فلكية) فجاء أول هذه الكلمة أشبه بوزن أفعال نحو آبال وآرام ، وآخرها أشبه بوزن فعال المنقوص

(١) من ذلك : إملاء الشافعى ، قال صاحب كشف الظنون : « هو فى نحو أماليه حجما وقد يتوهم أن الاملاء هو الأمالى وليس كذلك » ومما سمى بالاملاء (املاء على مشكل الاحياء) لصاحبه الغزالى

(٢) هي المقامات



اعترافات فتى العصر

لألفريد دى موسيه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

درة من آداب الغرب جلاها ببيانه العربي الرائع الأستاذ فليكس فارس وقدمها بتمهيد بليغ قال فيه « ليقرأ فتيان عصرنا الحائرون هذه الاعترافات الخالدة التي كتبها دى موسيه بدماء قلبه عبراً لابد أن يجد فيها كل فتى صورة لحادث من حوادث حياته إن لم يجد فيها صوراً لمعظم حياته »

والأستاذ فليكس فارس شخصية عميقة الأثر في نهضة الشرق العربي، فلا بدع إذا رأيناه يلبس الاعترافات ثوباً قشيباً طرزته يد فنان شاب بارع

لقد انتظرت هذا الكتاب منذ أعلن عن ظهوره ، ولو أنى قرأته في مجلة الرواية القصصية الراقية شقيقة الرسالة الأدبية العالية؛ غير أننى أردت أن تضم مكتبتي المتواضعة هـذه التحفة الأدبية الرفيعة ، ولما تفضل وأهدانى إياه أقبلت عليه فالتهمته ، ولشد مارغبت صادقاً لو طال حديث الاعترافات ليطول بذلك استمتاعى بتلك اللذة الساحرة التى لايظفر بهـا المرء إلا فى أمثال هذه الآثار الفنية ...

وللاعترافات ميزة كبيرة ترتفع بهـا إلى مصاف القصص الخالدة التى لم تنشأ لمجرد اللهو والتمتع بالجمال الفنى ، فانها جمعت إلى روعة الفن فلسفة الحيـاة ونظرات فى إصلاح المجتمع قلما تراها فى سواها

ففي ترجمة هـذه الاعترافات معنى يرمي إليه المترجم الفاضل، إذ لم يترجمها لمجرد أنها قصة يلهو بها القراء، بل نشرها بين الشبيبة كطبيب اجتماعى عرف مواطن الأدواء فى بلاده ، وقد وجد أن شبيبة الشرق يراود فكرها وعواطفها الجحود بالايمان والعبث بالحب ، فلم يجد أروع من اعترافات فتى العصر يقدمها صرخة داوية تهيب بالشبيبة التى ترود مزالق الغواية والالحاد ...

وإن ما عجبت له حقاً هو التوافق الغريب بين أدواء عصر الفريدى دى موسيه وأدواء عصرنا الحاضر . ولقد كان الأستاذ فليكس فارس موفقاً كل التوفيق فى اختيار هـذه الاعترافات ليعالج أدواء الشرق بما تحتويه من صور صادقة لحياة الشبيبة فيه

ولقـد اختتم الأستاذ فليكس تمهيده الموجز البليغ بآيتين لخص فيهما الاعترافات فقال :

إن من جحد إيمانه جحدته حياته

ومن اتخذ الحب ألعوبة طرده الحب من جناته

أما الترجمة فحسبك ما قاله فيها فقيد الأدب العربى مصطفى صادق الرافعى: «أما الاعترافات فهي جيدة جداً؛ ولو كان مؤلفها هو المترجم لما استطاع أكثر مما استطاع الشيخ فليكس فارس »

عطيه محمد السيد

لجوارٍ وليالٍ ، وهذان الضبطان لا يجتمعان في صيغة عربية . وكأن الكاتب رأى هـذه اللفظة فى بعض الكتب لكنه لم يعلم ما هى ، فد أولها لأنه وجد هجاءها يشبه هجاء آمال جمع أمل ، ورأى آخرها منونا تنوين الكسر فحكاه فيها ، فجاءت على هذه الصورة المنكرة . وإنما هى الامالى جمع إملاء مصدر أملى ، وأصلها أماليُّ بالتشديد بعد قلب همزتها ياء ، ثم حذفت إحـدى الياءين جوازا كما هو القياس فى مثلها من الجموع فصارت أمالى بتخفيف الياء ، وإذ ذاك عومِلت معاملة جوارٍ ونحوه »

القارىء



بوادر الموسم السينمائي الجديد

لانغالى إذا قلنا إن الموسم الذى بتنا على أبوابه ، سيكون موسماً هائلاً تعرض فيه بضعة أفلام من ذات الطول الكامل تحوى كل خطى التقدم التى خطتها صناعة السينما فى مصر فى العام الماضى ، وحتى أفلام الدرجة الثانية أو الشركات الأقل استعداداً ، ستكون أقوى من أفلام العام الماضى بكثير

استوديو مصر

وفى مقدمة الشركات المصرية التى خطت بالأفلام المصرية خطوات كثيرة موفقة ، شركة مصر للتمثيل والسينما التى يتبعها (استوديو مصر) ، إذ يقدم لنا هذا الاستوديو ثلاثة أفلام كبرى فى هذا الموسم هى (لاشين) و (الدكتور) من اخراج الاستاذ نيازى مصطفى و (شيء من لاشيء) من اخراج الأستاذ بدرخان وهو الذى تقرر أن تبدأ به سينما ستوديو مصر (تريومف سابقا) برنامجها المصرى لهذا العام . وقد أعلن عنه فى الصحف والمجلات المتصلة بادارة الاستوديو . . . ويقوم بتمثيل الدورين الأولين فى هذا الفلم المطرب المحبوب الأستاذ عبد الغني السيد والمطربة

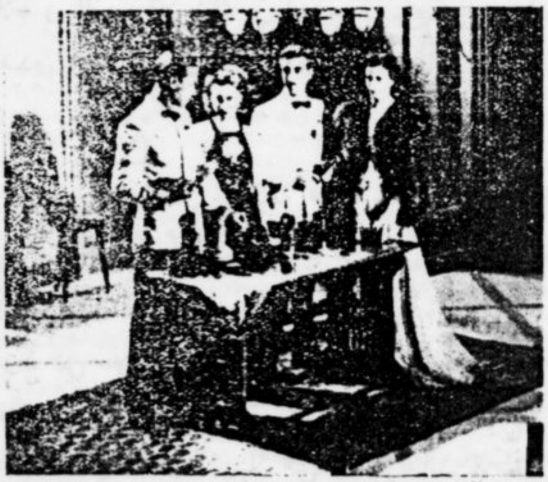


(نجمة فى فلم شيء من لا شيء نجاة على)

البدعة الآنسة نجاة على كما اشترك فى تمثيله نفر من خيرة ممثلى المسرح المحترفين نذكرهم ونذكر شيئا عن الفلم عندما يتحدد موعد عرضه

شركة أفلام احمد سالم

ومن الشركات القوية الجديدة شركة الأستاذ احمد سالم مدير استوديو مصر السابق ، وقد انتهت هذه الشركة من اخراج فيلمها



منظر من فلم أجنحة الصحراء
ويرى فيه : راقية ابراهيم وأنور وجدى وروحية خالد ومحسن سرحان

الأول (أجنحة الصحراء) وهو ذو موضوع وحوادث حربية جوية ولم يسبق إخراج مثله فى مصر ، من حيث جودة التصوير وإتقان الديكور واختيار الأرتست وتقطيع السيناريو . وستقدم الشركة فى هذا الموسم كذلك أول فلم بوليسى يخرج فى مصر ، هذا علاوة على أعداد (جريدة سالم السينمائية) التى ظهر منهما عددان حتى الآن ، أحدهما خاص برفع الستار عن تمثال سعد والآخر خاص برحلة حضرة صاحب الجلالة الملك فى الصحراء الغربية .

أخبار مسرحية وسينمائية

أفلام اللاتي السينمائي

وتقدم لنا شركة « لوتس فلم » فلمين كبيرين فى هذا الموسم أتم الثلاثى الفنى أحدهما قبل سفره إلى تركيا ولبنان ، وانتهى الزميل احمد جلال من كتابة السنياريو للفلم الثاني وقد أسماه (نساء بلا رجال) وقد شرعت الشركة فى التقاط مناظره فى استديو ناسيبان . وأفلام هذه الشركة معروفة بموضوعاتها المبتكرة وسنياريباتها المحبوكة ونجومها اللامعة وبخاصة النجمة المحبوبة السيدة آسيا ، والنجمة الرشيقة مارى كوينى ، والممثل الصحفى القصصى احمد جلال . وإذا كان النقاد والجمهور بصفة عامة قد شهد لفلم (بنت الباشا المدير) بأنه أحد أفلام الدرجة الأولى الثلاثة فى الموسم فلا شك فى أنه سوف يحكم لفلمى لوتس الجديدين بأنهما جديران بمشاهدة كل هواة السينما

أفلام فنار فلم

وتخرج شركة فنار فلم طبعة عربية جديدة لفيلمها السابق (ليلى بنت الصحراء) وطبعة فرنسية من نفس الفلم يعرضها فى باريس والبلاد التى تسود فيها اللغة الفرنسية . أما باقى أعمال الشركة التي سوف تستغرق جهودها هذا العام فهو عرض الأفلام الفرنسية الكبيرة التى نالت احتكارها وإخراج أفلام لحساب الغير فى استديو ناسيبيان التى استأجرته الشركة بعقد لمدة طويلة ، كما أن فلم السيدة عزيزة أمير القادم سوف تقوم بإخراجه هذه الشركة التى انضمت السيدة عزيزة إلى المساهمين فيها

المسرح الخصوصى للفرقة القومية

قام حضرة صاحب المعالى وزير المعارف العمومية بزيارة لادارة الفرقة القومية ومخازنها وخطب فى الممثلين والممثلات خطبة حماسية مستفيضة لفت أنظارهم فيها برقة ودعابة إلى أن من الواجب مضاعفة الجهد وبذل العناية فى الموسم القادم حتى لا يقول البرلمان والنقاد فى الفرقة ما قالوه عنها فى الموسم الماضى . وتحدث الوزير كذلك عن رغبة الوزارة فى الاسراع بإنشاء مسرح خاص للفرقة تعمل عليه طوال الموسم ، وأكد أن (رسومات نموذجية) عن أشهر المسارح العالمية قد أحضرها سعادة حافظ عفيفى باشا معه من أوروبا وقدمها للوزارة لدرسها واختيار الشكل اللائم لمصر ، وقد شكره الممثلون على عطف معاليه عليهم وتقديره لجهودهم ووعدوه بأن يكونوا عند حسن ظنه !

فرقة الأستاذ على الكسار

بدأت فرقة الأستاذ على الكسار موسمها على مسرح برنتانيا برواية جديدة استعراضية تدعى (من أول وجديد) من تأليف الأستاذ احمد شكرى وبرواية قصيرة اسمها (الكابتن هول) من اقتباس الأستاذ على الكسار ، وقد اشترك مع الأستاذ الكسار فى تمثيل هاتين الروايتين السيدة عقيلة راتب (بريمادونة) الفرقة المحبوبة والأستاذ حامد مرسى مطربها المعروف ، والثنائى الفنى (حسين ونعمات المليجى) وسيظل الأستاذ الكسار عاملاً بهذا المسرح حتى أول رمضان .



يقوم (تيرون باور) بالدور الأول فى رواية (مارى انتوانيت) أمام نورما شيرر ، ويشترك فى تمثيل هذا الفلم (جون باريمور) و (أنيتا لويس) ويعرض هذا الفلم فى سينما رويال

6 me Année, No. 275

Lundi - 10 - 10 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العــــدد ٢٧٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٥٧ — ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهــــرس

فى سبيل فلسطين

المؤتمر البرلمـــانى

للأمم العربية والاسلامية

لأول مرة فى تاريخ العروبة والحنيفة يجتمع وفود الأمم الإسلامية الشرقية والغربية فى مكان واحد على شعور متفق وغرض مشترك وسياسة عامة. ولهذا الحادث الفريد المجيد معانٍ من الدعوة النبوية التى قامت على جلجلة الوحى ويقظة الضمير، وانتصرت بقوة الإيمان وعبقرية الجنس، وانتشرت بوحدة العقيدة والفكرة والهوى والألم. فإن السبب الأول فى نجاح الدعوة الكبرى إنما يرجع إلى يقظة الحس العربى واستعداده للكمال الروحى والاجتماعى فى زمن البعثة، كما تتيقظ الأرض وتستعد للتجدد والإثمار فى زمن الربيع. ومحنة فلسطين على فداحتها لو حدثت فى غير هذا الوقت لمرت على مشاعر العالم الإسلامى كما تمر الريح العصوف بالصخور الصم فى الجبل، أو بالجذور الميتة فى الغابة.

وهل مأساة فلسطين إلا فصل من مأساة الأندلس؟ ومع ذلك حدثت تلك على مسمع الدول العربية والإسلامية فلم تثر لمحنتها أمة، ولم تتفق على نصرتها كلمة؛ وانقطع أنين الأندلس الشهيدة على فنون شتّى من عذاب الجسم والروح، والمسلمون والعرب غافون

من خـدَر الذل والاستكانة لا يحفلون بالوجود ولا يشعرون بالزمن . فلو كان الألم وحده مغنياً فى إيقاظ الشعور وتأليف القلوب وجمع الأيدى، لكانت هذه النكبة وحدها حرية بتوحيد الأشتات و بعث الأموات وتناصر الأخوة

أريد أن أقول إن هبَّة العرب والمسلمين لنجدة فلسطين إنما انبعثت عن حياة جديدة ، كانت فلسطين مظهراً لها لا سبباً فيها ؛ وهذا هو الأمر الخطير الذى ينبغي لخصومنا أن يحسبوا حسابه و يتدبروا عواقبه . فان فلسطين نفسها ما كانت تستطيع بفقرها وقلتها أن تنازل اليهود وهم أغنى الشعوب، وتصاول الانجليز وهم أقوى الدول ، لولا هذه الحياة الجديدة . وصحوة العرب ليست كصحوة غيرهم من الأجناس ، فقد صحوا صحوتهم الأولى فملكوا الأرض والسماء، وخلقوا الرسل والأنبياء، وقادوا العقول والأهواء، ولايدرى إلا الله ماذا يفعلون فى هذه الصحوة الأخرى

***

فى الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعة الماضى اجتمع فى مؤتمر القاهرة البرلمانى المغرب ومصر وفلسطين وسورية ولبنان واليمن والعراق و إيران والهند والصين و يوغسلافيا وعرب المهجر للدفاع عن فلسطين ، فكان هذا الحشد الحاشد فى لغة الحرب تعبئة عامة لقوَى العروبة والاسلام ذياداً عن جزء عزيز من أجزاء وطنهما الأكبر، دهمه المستعمر بالقوة ، واقتحمه المستثمر بالحيلة ، فوقف يدافعهما عن قُوتِه وعن سكنه ، ولا وزَر إلا الحق ، ولا عُـدة إلا الصبر، ولا سبيل إلا التضحية . أجل ، عبأت العروبة قواها بعد أن سألت انجلترا الحق فلم تعط ، وناشدتها العدل فلم تجب ، وأهابت بضمير الإنسانية فى قاعة العصبة، ودار البرلمان، و إدارات الصحف ، فلم تجد إلا طمعاً ختم على الأسماع ، وهوى غشَّى على الأفئدة ، وسياسة قامت على المقايضة والمقارضة بين القوى والقوى على حساب المخدوع والضعيف

لقد بلغت القضية الفلسطينية اليوم حد الفصل ، فهيهات يغنى الجدال والمطال والخديعة . كانت فلسطين قبل هذا المؤتمر تجاهد العدو وحدها بالاستبسال والمصابرة ، و إخوتها فى الشرق والغرب لا يمدونها إلا بأسلحة العجز من كلام ودموع . فلما رأوا أن حقهم يميته القول ، و باطل غيرهم يحييه الفعل ، جمعوا أمرهم على الجد ، وطووا قلوبهم على العمل ، وقالت مصر على لسان نائبها وخطيبها الأستاذ علوبة باشا : « إن الحلال بيّن والحرام بيّن ، ومن الخير أن تعمل الوزارة الإنجليزية على البت فى مأساة طال أمدها وتنوعت كوارثها ، فإما اعتراف بحق المظلومين ، وإما جنوح إلى باطل الصهيونيين » . وقالت العراق بلسان نائبها مولود باشا مخلص : « إن السلام لا يمكن استقراره إلا بحل عادل لمشكلة فلسطين ، وإن العراق مستعدة لأى عمل لإنقاذ فلسطين » . وقالت سورية بلسان ممثلها وخطيبها الأستاذ فارس الخورى بك : « إن قيام دولة أجنبية بين نحر الأمة العربية وقلبها لا يوافق عليه العرب بحال من الأحوال . وفلسطين قلب العروبة حقًّا، لأنها تتصل بمصر وشرق الأردن والعراق وشطرها الآخر : سورية » . وطلبت الهند إلى انجلترا بلسان رئيس وفدها الأستاذ عبد الرحمن الصديقى أن تختار إما المسلمين و إما أعداء المسلمين . وقال : « إن ثمانين مليوناً من الهند على استعداد لأن يلبوا أول صوت يصدر عن القاهرة » . وقالت سائر الأمم على ألسنة وفودها مثل هذا ، فلم يبق لانجلترا حليفةِ العروبة والإسلام إلا أن توازن بين ذهب الصهيونيين ، وصداقة العرب والمسلمين ، وتنظر إليهما فى كفتى الميزان فتعلم أيهما أرجح وزناً فى الحرب العالمية المقبلة ، وأغلى قيمة فى السوق الاقتصادية العامة ، وأقوى أثراً فى إقرار السلم في الشرق القريب والبعيد

***

إن حياة انجلترا فى السلم ، وشرفها فى العدل ، وسلطانها فى الديمقراطية ؛ وفلسطين كانت منذ أنشأها الله بلاء على المعتدى وشؤماً على الظالم . وقد التقى عندها الغرب والشرق مرة فى عهد عمر ، ومرة فى عهد صلاح الدين ، فكانت العاقبة فى كلتا المرتين غروب الغرب وشروق الشرق ، فهل يريد تشمبرلن رسول السلام ونصير الإنسانية أن يجمعهما على ثراها مرة ثالثة ؟

احمد حسن الزيات

فلسطين لا تقهر

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

كنا في حديث فلسطين يوما ، فأخذ بعضنا يصف ما يبدى الثوار من الجرأة ، والذكاء ، وسعة الحيلة ، وحسن التدبير والحكمة ، وروى في هذا المعرض قصصا عجيبة ، فهم بالقليل الموجود من السلاح القديم ، يقاومون أمضى الأسلحة الحديثة ، من طيارات ، ودبابات ، ومدافع جبلية ، ومدافع رشاشة ، وليس لهم سيارة واحدة يتنقلون بها ، ولكنهم في كل مكان ، ويصنعون القنابل بأيديهم ، ويتخذون من أنابيب الماء فوهات مدافع ، ويتخذون خطة الهجوم في كل حال ، ويتولون الحكم بين الناس ، ويقضون بالعدل ، ويفضون المنازعات ، ويطوون صفحات الخلافات والعداوات القديمة ، ويدخلون المحاكم ، وينحون قضاة الحكومة ويقضون هم فيما هناك ، فينفذ أمرهم ، ولا ينفذ أمر الحكومة ، ويشيرون باتخاذ « العقال » بدلا من الطربوش أو غيره من ألبسة الرأس ، فاذا هو على رأس كل عربي من أبناء البلاد ، ولو كان يصطاف في مصر أو سورية . وقد زالت هيبة الحكومة ؛ وكفت « محاكم الصلح » عن العمل إلا في مدن أربع ليس إلا ، وصارت الحكومة الحقيقية هي حكومة الثوار .

وقال أحد الذين كانوا في المجلس : « إن هذا العجيب ! ولا شك أن بين الثوار كثيرين من المثقفين والمتعلمين ؛ ولكن السواد الأعظم أقرب إلى السذاجة والفطرة ، فكيف تيسر كل هذا لهم ؟ »

فلم يسعني إلا أن أقول : « إنهم يعملون بوحي الفطرة المستقيمة . وليس عجيبا أن يحسنوا التدبير ، ويحكموا الخطط ، ويضبطوا الأمر ، ويظهروا ذكاء واقتدارا . وهل كان عمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية وأضرابهم من خريجي كمبردج ، وسان سير ، ومن حملة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه ؟ أريد أن أقول إننا لا نتعجب لما ظهر من مواهب العرب بعد ظهور الاسلام ، وما كان من تغلبهم على دولتين كبريين في ذلك العهد ، وفي آن معا ، فلا محل إذن للتعجب لما قدرت عليه ثورة العرب في فلسطين حيال دولة كبرى شاكية مستمدة »

والواقع أن فلسطين لم يعد في الأمكان قهرها وإرغامها على قبول مالا تقبل . ولقد استفزها إلى هذه الثورة الجيدة ظلم أريد بها ولا مثيل له في التاريخ ، على الأقل فيما أعرف أنا . ويجب أن نذكر أن العرب كانوا حلفاء لبريطانيا وزميلاتها في الحرب العظمى ، وقد خرجوا على دولة الخلافة يومئذ ، وهي دولتهم ، وأكثرهم مسلمون ، بل كان الثائرون على السلطة العثمانية ، الملتحقون بجيش الثورة العربية ، من المسلمين .

فعلوا ذلك لأنهم طلبوا الحرية ، ونزعوا إلى الاستقلال . وقد عرفت بريطانيا هذا ، ورضيت به ، وشجعتهم عليه ، ووعدتهم بتحقيقه ؛ ولو كانوا يعلمون أنهم سيصيبهم ما أصابهم لما ثاروا ، إذ لاخير ولا معنى لاستبدال نير بنير

وهذا الجيش العربي هو الذي أعان على فتح فلسطين وسورية ، وسلخ البلاد العربية كلها من السلطنة العثمانية . وكان جيش بريطانيا يدخل بلداً بعد بلد ، فيجد الأمور ممهدة ، ويقابل بالترحيب والحفاوة ، لأنه حليف العرب . فماذا كان جزاء العرب ؟ مزقت بلادهم كل ممزق ، وأخلفت الوعود كلها ، فلم ينجز الحلفاء للعرب منها واحداً . وما استقلت العراق إلا بثورة ، ولا عقدت المحالفة السورية إلا بثورة بل ثورات ، ومع ذلك لاتزال معلقة لايعرف مآلها أحد . أما فلسطين فكان خطبها أدهى ، فما اكتفت بريطانيا بالانتداب ، بل رمتها بشعب غريب فتحت له الثغور وقالت له ادخل ، واستول على البلاد ، وأقم لك فيها دولة ، واتخذ منها وطناً . وما كانت البلاد بغير أهل حتى تفعل بريطانيا ذلك ، ولاهي بالأرض الواسعة الرقعة ، العظيمة الخصب ، حتى تحتمل هذا السيل من المهاجرين إليها . وإن اليهود لمضطهدون

فى أنحاء شتى من الأرض ، ولكن ماذنب فلسطين ؟ ومن تهكم الحوادث وسخر الأقدار أن ترمي بالهجرة اليهودية والوطن القومى الصهيونى البلاد العربية التى نعم اليهود فى ظل دولتها بالعدل والعطف والحرية كما لم ينعموا فى ظل دولة أخرى، فقد كانوا فى الأمم الأخرى مضطهدين محقرين ، وكان البريطانيون أنفسهم فى القرون الوسطى يعدونهم أنجاساً منبوذين. ونحسب أن اليهود يقرأون روايات وولتر سكوت ! .

فاذا كان الشعب الفلسطينى قد ثار، فله العذر ؛ وإذا كان على قلة عدده وانقطاع المدد عنه ، قد راع الدنيا بثورته الجليلة فلا عجب ، فانه يدافع عن حقله وبيته بأدق المعاني العرفية للفظ الدفاع عن الحوزة ، فان بيته ينسف بالديناميت فيشرد هو وأبناؤه ونساؤه فى الجبال الجرداء ، والسهول الخصبة التى يملكها تقتطع وتوهب للدولة الصهيونية ، فماذا يصنع هذا الشعب غير أن يثور ؟ وماذا يسمه ، وقد ثار ، إلا أن يستبسل ويستميت ؟ إنه موت بموت ، فالموت مع الشرف وبعد الدفاع الكريم إلى الرمق الأخير ، أولى من الموت جوعا فى جبال عارية لا ماء فيها ولا شجر ، هى التى يراد طرد العرب اليها لانشاء الدولة الصهيونية

يضاف إلى هذا أن الغدر الفظيع الذى تنطوى عليه هذه السياسة ، بشعب كان من أقوى الأعوان لبريطانيا فى الحرب العظمى، وأخلصهم لها ، يضاعف عزم الثوار، ويجعلهم أقوى وأجرأ

ومن الجلى أن سياسة الوطن القومى على حساب العرب قد أخفقت ، وأن إنشاء دولة صهيونية فى فلسطين قد ارتد إلى عالم الخيال الذى لا محل له فى عالم الحقائق . ومن الواضح الآن أن على بريطانيا إذا أرادت إمضاء العزم على تقسيم البلاد وإقامة دولة للصهيونية فيها ، أن تجيش الجيوش وتسير الأساطيل لتفتح فلسطين عنوة ، فما يكفى كل مالها هناك الآن من قوة وعتاد . وأوضح من ذلك كله وأجلى حقيقتان أخريان ، فأما الأولى فتلك أن ثورة فلسطين — وهى أعدل ثورة قامت فى الدنيا وأروع ما شهد العالم من مثيلاتها — قد جمعت قلوب العرب فى الأقطار جميعا وألفت بينها ، فهم الآن أمة واحدة وإن كانت دولهم كثرا ، وعلى بريطانيا أن تختار صداقة هذه الأمة أو عداوتها، وعليها أن تقيس قدرة العرب جميعا إلى قدرة فلسطين وحدها ونعتقد أنها تؤثر صداقة العرب ولا تجازف بعداوتهم ولا سيما أنه ليس لها باعث من مصالحها الخاصة الحبوبة على اختيار خطة العداء . والعرب يقولون الآن لبريطانيا كما قال ابن الرومى

أمامك فانظر ، أى نهجيك تنهج
طريقان شتى ، مستقيم ، وأعوج

والمستقيم أولى ، وهو الذى سيكون إذا كان علمنا بالانجليز ليس كله خطأ .

والحقيقة الأخرى أن بريطانيا لا تخدم اليهود بهذه السياسة ، وإنما تثير عليهم نقمة العالم العربى والعالم الاسلامى ، وهم أمة لا ينقصها أن يزيد كارهوها . ونحسب أن اليهود قد بدأوا يدركون هذا ، ويفطنون إلى أن السياسة الصهيونية تورثهم عداء هم فى أشد الغنى عنه .

ابرهيم عبد القادر المازنى

أشرق الأمل يا فلسطين!

للأستاذ علي حيدر الركابي

لقد قضيت عمرى تائهاً فى صحراء الحياة ، أرى العواصف الهوجاء تهب حولى حتى تكاد تطمرنى فأسير وأنا واقف فى أرضى ، وأرنو إلى الأفق البعيد أنشد فيه خيال واحة أستظل بظلالها وأرتوى بمياهها ، فاذا بالأمل قد خاب ، وإذا بالسراب قد تلاشى وانكشف عن قفار تمتد إلى اللانهاية لا أدرى إلى أين المصير

وقد قضيت عمرى غريقاً فى بحر الحياة اللجب ، تقاذفتنى أمواجه الملتجة حتى كادت، تغرقنى فكنت لا أتقدم خطوة نحو شاطئ النجاة إلا أبعدتنى عنه خطوات؛ وكانت الأمواج ترفعنى تارة فيخيل إلى أنى قد بلغت مثلى الأسمى؛ ثم تسخر بى وتضحك ملء شدقيها وتفتح فاها المخيف وتجذبنى إلى أعماق جوفها وكأنها تريد ابتلاعى ، فأشعر أن قد دنا أجلى وأصيح وأستغيث ولكن لا ملبى لندائى ولا مغيث

وقد قضيت عمرى هائماً فى ليل الحياة المظلم وقد خيم سواده على كل مخلوق فحجب عنى الحقيقة، وضللت الطريق ورحت أخترق حجب الظلام ببصرى علّه يقع على قبس من نور ولو ضئيلا أهتدى به . ولكن الجهد كاد يفقد عينى بصرها فسرت وأنا كالأعمى أتخبط فى دياجير الظلام بلا هدف ولا أمل

وقد صعدت قمة الهرم الكبير ، وأجلت الطرف حولى ، ثم انحدرت إلى الوادى السعيد فلم أعثر على منقذى ، بل عثرت على نفوس فقيرة حقيرة قد أضعفتها الجيوب المنتفخة ، وضربت حولها أسواراً من الذهب الوهاج، وأقامت لها داخل هذه الأسوار عروشاً من الماس فاستوت عليها قانعة شاكرة ، وعثرت إلى جانب هذه النفوس الفقيرة الحقيرة على نفوس غنية كبيرة قد نمتها يد البؤس والشقاء وحصرتها فى أسوار من الاملاق، فلما عجزت عن تحطيمها أو اجتيازهـا خضعت للأمر الواقع واستسلمت للأوهام تستمد منها حرية تستعيض بها عن حرية الحقيقة . فيئست من النفوس الفقيرة وبكيت على النفوس الغنية وغادرت الوادى السعيد وهرمه العظيم بقلب مفجوع وأمل خائب

وقد تبعت طريق بنى اسرائيل لما خرجوا من مصر فقطعت صحراء التيه ثم وقفت على جبل الطور وتوجهت بناظرى إلى الشرق فنفذ بى من أعماق النور الأعظم إلى أفق أسود قاتم تتدلى فى سمائه الغيوم الباكية، ولاح لى شعاع من ذلك الأفق الممتد وراء الأردن فرقصت طرباً وخلت أنه النور الذى سيهدينى ، ولكنى ما لبثت أن أدركت أنه برق بدا لحظة ثم اختفى وتلته رعود قاصفة تنذر بدنو العاصفة ، فحولت بصرى عن الشرق وأخذت أجيله فى الجهات الأخرى عساى أحظى بضالتى المنشودة . إلا أنى ما رأيت سوى القتلى فى كل مكان قد صُرع كل واحد منهم بسهام ثلاثة خرجت من أقواس لثلاثة صيادين : أولهم صوبها بنفسه معتمداً على مهارته ممتزاً ؛ بقوته والثانى ضعيف لم يقو على شد القوس فاستأجر بدراهمه الكثيرة من يقوم مقامه من الرماة الماهرين ؛ أما الثالث فقد كان يسعى ويجد حتى لا يخطئ قلب أخيه المغـدور ، يفعل ذلك طمعاً فى اكتساب رضاء الأول والحصول على دراهم الثانى ، فعريت صدري للسهام المتناثرة كى يصمينى أحدها فيضع حداً للحياة قد فقدت معناها وضلت هدفها إلا أن السهام أخطأتنى ولم تفرج كربتى فغادرت الطور شقياً هائماً على وجهى

وقد انتقلت إلى جنة الله على الأرض وأطلقت روحى فى الهواء فصاحبت الطير وحلقت معه فى الفضاء الواسع بين الجبل الأشم والسهل الخصيب، تغرد معه على الأغصان ، وتصغى معه إلى قيثارة الغدير . ولما عادت هذه الروح إلى جسدى أنبأتنى بما فهمته من الطير والغصن والغدير ؛ فقالت : إن الطير تبكى ولا تغرد ، وإن الغصن قد قوسته الأحزان، وأن الغدير يرسل زفرة الكليم، وذلك لأن هذه المخلوقات قد أرسلها خالقها هدية إلى قوم لم يقدروا قيمتها ولم يفهموا معناها ، إذ أنهم استعاضوا عن الهدى وهديته بأصنام من صنعهم شيدوا لها الهياكل والمعابد وراحوا يحرقون أمامها البخور ويقدمون لها الضحايا ؛ فلو عاد محمد صلى الله عليه وسلم نفسه لتحطيمها للاقى منهم ما لاقاه من قريش . فقلت : يالمصيبة، وغادرت الديار غير آسف وتوجهت نحو الصحراء الشرقية يدفعنى الألم مما خلفت ورائى والأمل بما استقبلت أمامى .

وقد جلست فى قارب صغير وهمست فى أذن النهر العظيم

قائلا : « إنك تحمل فى طياتك تجارب آلاف السنين ، وأخبار مئات الأقوام، وقد مرّ فرعاك بأقصى البلاد وأدناها فبالله حدثنى » فلم أحظ منه بجواب لأنه كان نائماً فرفعت صوتى وكررت الطلب ففتح إحدى عينيه ثم الأخرى ثم تثاءب وأعقب ذلك ضحكة اهتز لها صدره حتى كاد قاربى ينقلب ثم قال « إنى لمرتاح ، وإنى لمسرور كما ترى . فقد مرت عشرات السنين وأنا أشق طريقى إلى البحر بكل حرية فلا يعترضنى أحد ولا ينقص من مادتى شيئاً » فثرت على هذا الكسل وصحت : « ولكن هذه الحرية المزعومة إن أرضتك فقد أشقت التربة الصالحة وقلبتها صحراء قاحلة حتى مدّ الجوع يده إلى ألف ألف بيت » . فضحك مرة أخرى وقال : « رويدك يا صاح ! وما شأنى أنا ؟ ولِمَ تلومنى ؟ نعم أنا مرتاح إلى هذه النتيجة إلا أنى لم أكن سبباً فى وقوعها ... » ثم أغمض عينيه وعاد إلى سباته العميق وتركنى وحيداً وسط الخضم أنادى فلا أجد من يلبى وأصيح فلا أسمع سوى صدى صيحتى الضائعة .

ولما خاب كل أمل لى فى النجاة وأيقنت أنى سأبقى تائهاً فى الصحراء بلا دليل ، وغارقاً فى اللجة بلا منقذ ، وضالاً فى الظلام بلا نور هادى ، ولما تسرب اليأس إلى قلبى فاذا بى أرى العاصفة قد سكنت ، وإذا بيد بيضاء تمتد لانتشالى ، وإذا بالشمس الضاحكة تضئ ما حولى، وإذا بحياتى قد ملئ فراغها بالأمل لأن نفسى قد اهتدت أخيراً إلى الطريق الذى يوصلها إلى الغاية .

فن هو هذا المحسن العظيم الذى فعل ما عجز عنه غيره ؟ من هو هذا الانسان الذى استطاع أن ينفخ فى قلبى القانط روح الأمل ببنى الانسان ؟ وما الذى قام به هذا الشخص حتى أعاد لنفسى شيئاً من ثقتها بالبشر ؟

إنه طالب عراقى فقير أصغر منى سناً وأقل علماً، ولكنه مع ذلك قد لقننى — وهو التلميذ وأنا الأستاذ — درساً بليغاً فى الخلق السامى والتضحية النادرة .

تعاقب خطباء المدرسة على المنبر فهزوه هزاً وبحت حناجرهم وكلهم ينادى « فلسطين ! فلسطين ! » واحمرت الأكف من التصفيق وهى تقول بلغتها العجيبة « لبيك ! لبيك ! » ثم انقضى دور الدعاية والكلام وحل محله دور العمل والاغاثة الفعلية فاشتد الحماس وجاء الطلاب الريفيون الفقراء بالمال إعانة لمنكوبى فلسطين وبذلوا بذلاً وقف دونه من هو أوفر منهم مالاً . وفى وسط هذا الحشد الثائر جاس الطالب حكمة عبد العزيز يفكر ؛ فان قلبه مملوء إيماناً بالله ونبيه أولا ، ثم بلزوم إعانة فلسطين وهو لا يملك فلساً فما العمل ؟ ولكنه تردد لحظة لا أكثر اندفع على أثرها إلى المنبر وأخذ ينزع ملابسه حتى عرى جسده إلا مما يستر عورته وهو يعلن بصوت خرج من أعماق قلبه أنه لا يملك ما يتبرع به غير هذه الملابس (وأنا أعلم — والله يشهد — أنه معوز) فلتبع على قِدَمِها وليخصص ثمنها لاغاثة سكان الأراضى المقدسة . وما كاد يتم كلامه حتى دوى المكان بالتصفيق واهتزت الجدران بالهتاف العالى المتواصل . وعرضت ملابسه للبيع فتنافس الجميع فى شرائها كل يريد أن ينفرد بشرف الحصول عليها حتى بلغت قيمتها حداً عظيما . وأراد الشارى أن يعيد الملابس إلى صاحبها بعد أن تم المقصد من تقديمها ولكن هذا أبى ذلك بشدة واعتبر هذا العمل إهانة له . وبعد ملابس حكمة أمطر الطلاب المنبر بوابل من أشيائهم الخاصة طالبين بيعها فهذا قدم قلمه السيال وذاك محفظته وثالث ساعته ورابع نظارته وهلم جرا .

هذا ما قام به طالب عراقى فقير من الأرياف، وهو عمل قد يعتبره بعض الناس عادياً، ولكن المتعمق لا يسعه إلا أن يعجب به ويمجده ويبنى عليه الآمال العظام لأننا نعيش الآن فى عصر شمل فيه الانحلال كل شىء حتى بات العمل الصالح نادراً يجب التمسك به وإعلانه إلى الملأ عند العثور عليه .

فاهنأ بعيشك ياحكمة فان أمة فيها شاب مثلك لن يكتب لها أن تموت، وإن شعباً فيه روح مثل روحك هو شعب حى سيسود رغم كيد العدوين : الأجنبى المستعمر والوطنى الخائن . سر فى طريقك على بركات الله ولا تجزع، فان كنت قليل المال أو معدومه فانك غنى النفس ، وقد استطعت بهذا الغنى أن تقدم لفلسطين مساعدة مادية ، وأن تضرب للشباب مثلاً سامياً فى التضحية ، كما أعدت إلى اليائسين أمثالى ثقتهم بشباب هذا الجيل — وكل ذلك وقف دون تحقيقه من هم أغنى منك مالا لأنهم أصغر منك قلباً وأحقر نفساً . نم مرتاح الفؤاد ياحكمة فان قصتك ستبقى خالدة على الدهر يستنير بها الشباب ويتخذونها شعاراً حياً يرمز إلى كل ما فى كلمة (جهاد) من معنى .

وأنت يافلسطين ، ماذا أقول وكل حرف من اسمك الطهر يفجر فى قلبى نبعاً جديداً من الأسى ؟ أأرثي لحظك المنكود أم أرثى أرضك التى لم تراعَ حرمة لقدسيتها ؟ أم أنوح على مئات الضحايا تقدمينها كل فجر على مذبح الشرف والحرية ؟ أم هل أشق الفضاء بصيحات أندب فيها قراك الخربة ومنازلك المتهدمة وحقك المسلوب ؟ كلا والله ليس البكاء والعويل بمنقذك .

أي أندلسنا الجديدة: إن أبناء الأندلس القديمة لم يبخلوا بالندب والنواح والاستغاثة والصياح ، ولكنهم مع ذلك خسروا بلادهم وأخرجوا عن دينهم لأنهم اكتفوا بأنات الألم واستسلموا لليأس وسلموا قيادهم من يجهل معنى الاخلاص . أما أنت فقد خرجت الآن من دور البكاء والاستسلام والتسليم ، وما عادت تجوز عليك خدع المتزعمين من أبنائك طلاب السلطة والمال ، وقد دخلت أخيراً فى دور الجهاد المبارك الذى أعلنه المخلصون من أبنائك البررة — أبناء الشعب السذج ذوى الايمان القوى والعقيدة الراسخة والأرض المسلوبة .

فجاهدى وناضلى يافلسطين واعلمى أنك قطعة ثمينة من الوطن الأكبر الذى لا يزال فيه بقية من الخلق الذى كان يتحلى به فتيان محمد (ص) الأولين . وهذه البقية الباقية إن كانت ضئيلة اليوم فلن تبقى ضئيلة إلى الأبد فانها والله لكالجمرة التى خلفتها النيران فى الرماد وظن الناس أنها منطفئة، حتى إذا ماهبت العاصفة أطارت الرماد وعرّت الجمرة ونفخت فيها الحياة فاحمرت ثم اندلعت منها ألسنة اللهيب واتصلت بما حولها وتوسعت دائرة الاشتعال حتى أصبح إخمادها فى حكم المستحيل . وها هى ذى عواصف الاضطهاد والارهاق تكتنفنا من كل جانب وهى كفيلة باذكاء نار الحمية فينا وإعادة ذلك العهد الذى دُكت فيه عروش الأكاسرة والقياصرة على يد فئة قليلة يقودها بدوى أمى خرج من قلب الصحراء القفرة .

وهذا الأمل الجديد الذى أبشرك به يافلسطين لقد ولده فى قلبى عمل حكمة أحد فتيان محمد (ص) . فأرسلى ناظريك إلى ما وراء الصحراء وترقبى — مثلى — خروج القائد المنتظر فى بلاد (حكمة) ومن جيل حكمة .

« بغداد — دار المعلمين الريفية » على حيدر الركابى

فى مصر الاسلامية

تنازع البقاء بين العلوية والعثمانية

للدكتور حسن إبراهيم حسن

الأستاذ بكلية الآداب

كان من العوامل الخارجية التى نازعت سلطان العلويين فى مصر وجود حزب الأمويين فى الشام ، وعلى رأسه معاوية ابن أبى سفيان الذى أخذ يعمل على سلخ مصر من على بن أبى طالب . وسار معاوية إلى هذه البلاد ونزل بسلمنت من كورة عين شمس (فى شوال ٣٦ هـ) ، فخرج إليه ابن أبي حذيفة وأنصاره ليمنعوه ، فبعث إليه معاوية يخبره أنه لايريد قتالاً وإنما يريد أن يدفع إليه رءوس قتلة عثمان ، فأبى ذلك عليه ، فبعث معاوية يطلب إليه تبادل الرهائن والودائع ، كى يضمنوا جميعاً أن يكفّ الفريقان عن الحرب ، فقبل ذلك ابن أبى حذيفة .

ولعل ابن أبى حذيفة لم يفطن إلى ما كان يرى إليه معاوية ، وأن هذا الطلب لم يكن فى حقيقة الأمر إلاّ مكيدة حاك شرا كها دهاؤه ، فاستخلف على مصر رجلا من أنصاره ، هو الحكم بن الصلت ، وخرج فى الرهن هو وغيره من قتلة عثمان ، ثم سجنهم معاوية في « لدّ » من أرض فلسطين ، وسار إلى دمشق ، فهربوا من سجنهم ، إلاّ واحداً أبى الفرار ، فتعقّبهم عامل معاوية وقتلهم ، وكان من بين القتلى محمد بن أبى حذيفة . (ذو الحجة ٣٦ هـ) وذلك بعد قتل عثمان بسنة كاملة [1]

ولسنا ندرى كيف يعلل خروج ابن أبى حذيفة ، وهو رأس شيعة علىّ فى مصر وغيره من أنصار العلويين وزجه بنفسه فى مناسر هذا الرهن . بيد أن المصدر التاريخى الذى نعوّل عليه فى هذه المسألة وهو كتاب « الولاة » للكندى (٣٥٠ هـ) أقدم مؤرخى مصر بعد ابن عبد الحكم (وعنه أخذ غيره من المؤرخين المتأخرين ، وأهمهم ابن دقماق والمقريزى وأبو المحاسن والسيوطى) لم يذكر لنا السبب الذى حدا بابن أبى حذيفة وأنصاره إلى الذهاب فى الرهن ، بل ولم تذكر المراجع كلمة واحدة عن رجال معاوية الذين دخلوا في هذا الرهن ، الذى لم

(١) الولاة للكندى ص ١٩ — ٢٠ والخطط للمقريزى ج ٢ ص ٣٣٦

يكن فى حقيقة الأمر — إن كان قد وجد فعلا — على قدم المساواة بين الفريقين المتخاصمين .

وقد يكون معاوية رأى أنه مع استطاعته فتح مصر أن الوقت لم يحن بعد لهذا الأمر ، إذ لابد له من الاحتفاظ بقوّة كبيرة لمنع مناوأة العلويين ، لأن جميع أهل مصر بايعوا ابن أبي حذيفة إلا نفراً يسيراً انتصروا لعثمان [١] ، فعول معاوية على استئصال شأفة رءوس قتلة عثمان ليتمكن من حرب على ثم يستولى على مصر متى تهيأت له الفرصة بعد أن يوقع بجيش على.

وبعيد جداً أن يكون ابن أبي حذيفة قد اضطر إلى قبول طلب معاوية ، لأنّ الرجل لم يبال بخصمه . يدلك على ذلك أن معاوية لما بعث إلى ابن أبي حذيفة يطلب منه أن يدفع إليه عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر وهما رأس قتلة عثمان امتنع ابن أبي حذيفة وقال : لو طلبت منا جدياً رطب السرّة بعثمان مادفعناه إليك [٢] » وهذا يحملنا على الظن بأن معاوية لجأ إلى هذه الحيلة حين لم يجد جهوده الحربية مع ابن أبي حذيفة نفعاً .

ولما بلغ علياً قتلُ ابن أبي حذيفة ولى مصر قيس ابن عبادة الأنصارى ، فدخلها فى ربيع الأول ٣٧ هـ ، وكان من أهل الرأى والبأس ، واستمال إليه العثمانية المقيمين بخُـرْبتا (شرق الدلتا) وأحسن إليهم ، وكان أهل مصر إلا هؤلاء (وعددهم زهاء عشرة آلاف) مع علىّ بن أبي طالب .

وقد حاول معاوية وعمرو بن العاص التغلب على مصر ، فامتنع قيس هذا على معاوية ، فلم يكن بدٌّ إذاً من إعمال الحيلة لإخراجه ، فأذاع معاوية أن قيساً من شيعة عثمان وأنّ كتبه تأتيه . فلما سمع علىّ بذلك ، أمرَ قيساً بمحاربة العثمانيين بخربتا ، فأجابه بأنه أمّنهم على أنفسهم ليأمن جانبهم ، لأن فيهم كثيرين من وجوه أهل مصر وأشرافهم ، فعزله علىّ وولّي مكانه الأشتر بن مالك لأنه ثقل عليه ، فأبعده عنه [٣] .

على أن والى مصر الجديد لم يكد يصل القلزم (وهى السويس الحالية) حتى شرب شربة من العسل لايبعد أن يكون قد دُس له فيها السمّ فمات ، فولى مصر بعده محمد بن أبي بكر [٤] ، فأظهر الخيلاء ، وأساء إلى العثمانية ، وبعث إلى رأسهم معاوية بن حُدَيج يدعوه إلى بيعة على ، فلم يجبه إلى طلبه ، فهدم دورهم ، ونهب أموالهم ، وآذى أولادهم ، وحبسهم ؛ فمولوا على حربه ، ولكن ابن أبي بكر رأى أن يتلافى مافد يجره الاشتباك فى حرب معهم فصالحهم ، ثم سيرهم إلى معاوية فبقوا هناك إلى أن انتهت موقعة صفين وعقد التحكيم .

ولم يكن معاوية بالذى يَفْتُر عن استخلاص مصر وانتزاعها من على . وزحف عمرو بن العاص على رأس جيش من أهل الشام ، وحَمِىَ القتال بين الفريقين ، فوقعت الهزيمة على أهل مصر ، ودخل عمرو الفسطاط واختفى محمد بن أبي بكر ، فبعث معاويةَ بن حُديج عدوَّه القديم العيون والأرصاد ، حتى اهتدوا إلى مكانه ، فقتله ابن حُديج ثم جعله فى جيفة حمار ، وأحرقه بالنار وكان ذلك فى صفر سنة ٣٨ هـ .

وبذلك خلصت مصر لمعاوية ، فولاها عمرو بن العاص ولاية مطلقة ، وجعلها له طعمة بعد النفقة على جندها ، وما تحتاج إليه من ضروب الاصلاح . ولما قتل علىّ بن أبي طالب سنة ٤٠ هـ ، وتحولت الخلافة إلى بني أمية ، أصبحت الأجناد وأهل الشوكة فى مصر شيعة عثمان ، بيد أن بقية المصريين ظلّوا يشايعون على بن أبي طالب وأهل بيته ، فظل العداء قائماً بين الحزبين فى هذه البلاد (وفى غيرها) طوال عهد الأمويين ، وفى الصدر الأول من أيام العباسيين .

حسن ابراهيم حسن

(١) الكندى : شرحه ص ١٧
(٢) شرحه ص ١٩
(٣) الولاة والقضاة للكندى ص ٢٠ — ٢٢
(٤) كان دخوله مصر في منتصف رمضان سنة ٣٧ هـ .

من مشاكل التاريخ

مكتبة الأسكندرية

تأسيسها ورواية احراقها

للأستاذ خليل جمعة الطوال

تنزع بعض الأقلام عن جادة الصواب إلى هوة التفرض والتشيع ، وتساق إليها بتهور عاطفة أصحابها ، وانحيازهم معها إذ يكتبون مائلين إلى الناحية التي تكمن فيها أغراضهم الذاتية ، وأهواؤهم القومية والعنصرية . والعلم متى اصطبغ بالتشيع ، وتلون بالتفرض ، ومال حيث تميل العاطفة ، فسد وصار باطلا مفتعلا، وهراء مبتذلا . ومن نكبة العلم أن تقوم فئة من المؤرخين المتشيعين ، فتعلن عداءها للعرب ، وتروح بدافع هذه العداوة تشوه وجه تاريخهم المشرق بشتى الوسائل والسبل ؛ آناً بالوضع والاختلاق ، وحيناً بسوء التفسير والتأويل ، حتى نفثت فيه من سمومها كل ما ينتقص جليل قدرهم ، وينال جميل سمعتهم ، ويضع من عالى مكانتهم ، وذلك شفاء لغيظ نفوسها ، وإطفاء لحزازات صدورها . ومن هذه السموم والأباطيل ما يروج له بعضهم من أن الفاروق هو الذى أمر باحراق خزانة الاسكندرية على حين قد أثبت المنصفون أنها قد أحرقت قبل الفتح الاسلامى

تأسيس هذه المكتبة

لم يكد الاسكندر المقدونى يعبر البحر إلى آسيا ، ويمعن فى أقطارها فتحاً واستعماراً ، ويستولى فيها على إرث ملوك الفراعنة والبابليين والأشوريين والفرس ، حتى أخذ يستفيد من حضارات ومدنيات وعلوم وآداب هذه الأمم المغلوبة على أمرها ، فسعى فى نقل ما فى خزائنها إلى اللسان اليونانى والقبطى وأرسله إلى مصر. فقد ذكر ابن النديم فى كتابه الفهرست ص ٣٢٩ ما نصه : « إن الأسكندر لما فتح عاصمة الفرس « اصطخر » نسخ جميع ما فى خزائنها من الكتب إلى اللسان اليونانى والقبطى ، وبعث بها وبسائر ما أصاب من العلوم والأموال والخزائن والعلماء إلى مصر »

وفى عام ٣٢٣ ق . م . توفى الاسكندر فكأنما كان موته ريحاً زعزعاً ، بدد شمل تلك الأمبراطورية التى أقام بنيانها ، وأسس دعائمها ، إذ اقتسمها قواده من بعده ، فاختل النظام ، واضطرب حبل الأمور ، وعمت الفوضى وكثرت المظالم ، فرحل معظم علماء اليونان عن بلادهم إلى مصر والشام والعراق ، حاملين معهم نتاج قرائحهم ، وخصب عقولهم ، فأنشأوا المدارس فى الاسكندرية [1] وانطاكية وبيروت ، وكانت الاسكندرية إذ ذاك تحت حكم البطالسة ، وكان سوتر أول ملوكهم عادلا محباً للعلم والعلماء ، فتوجهت إليها الأنظار ، وتوافدت عليها العلماء والأدباء والفلاسفة ، أفواجاً أفواجاً ، حتى غصت بهم مدارسها ودورها وأنديتها . فتقرب إليهم سوتر ، وأدناهم من بلاطه ، وأغدق عليهم منحه وعطاياه ، فكان ذلك مشجعاً لهم على مواصلة البحث والدرس والتآليف ، فأصبحت الاسكندرية بفضل سياسته قبلة المتأدبين ، ومثابة العلماء يحجون إليها من مختلف الأقطار ، ويجدون فيها من أسباب اليسر والرخاء ما ينصرفون معه إلى مواصلة دروسهم والانقطاع إليها

ويروى لنا التاريخ أن خطيباً أثينياً اسمه ديمتريوس فاليروس كان قد أشار على سوتر بانشاء مكتبة يجمع إليها الكتب من مختلف أنحاء الدنيا ، فقبل مشورته ، وعهد إليه بذلك ، فأخذ فاليروس يجمع الكتب ويبتاعها من تجارها بغالى الأثمان ، فجمع منها فى مدة وجيزة (٥٤ ألف كتاب) ، فكون منها مكتبة الاسكندرية الشهيرة التى عبثت بها الأيام فيما عبثت ، وقد كانت تحتوى على الكتب التى بعث بها الاسكندر من اصطخر وغيرها إلى مصر ، ثم أنشأ سوتر المتحف أو النادى على شكل مدارس أوربا ، ويعرف فى التاريخ باسم مدرسة الاسكندرية الشهيرة [2]

وفى عام ٢٨٥ ق . م . تولى عرش البطالسة بطلوماوس فيلاذلفوس ، وكان كسلفه محباً للعلم مشجعاً له ، فعمل على توسيع هذه المكتبة ، وأضاف إليها من كتب علوم اليونان وغيرهم ما لم يكن موجوداً فيها ، وابتاع لها الكتب التى كانت موجودة عند أرسطو ، وكثيراً من مؤلفات اليهود والمصريين القدماء [3]

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ١٢٥

(٢) راجع : التمدن الاسلامى لزيدان ج ٣

(٣) راجع : المصدر نفسه وتاريخ مصر الحديث

ومن المؤرخين من ينسب فكرة تأسيس هـذه المكتبة إلى بطلوماوس لا إلى سوتو، فقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست ص ٢٣٩ رواية عن إنشاء هذه المكتبة لرجل يدعى إسحق الراهب وإليك نصها: « إن بطلوماوس فيلاذلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك فحص عن كتب العلم وولى أمرها رجلا يدعى بذميرة فجمع من ذلك على ما حكى أربعة وخمسين ألف كتاب ومائة وعشرين كتاباً، وقال له: أيها الملك قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم »

وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية من كتاب تراجم الحكماء لوزير حلب المعروف بالقفطي، تحتوي على نفس عبارة الفهرست عن تاريخ هذه المكتبة ومؤسسها. على أن الثابت من إجماع آراء المؤرخين والمستشرقين هو أن المؤسس لهذه المكتبة هو سوتر لا بطلوماوس، ثم جاء هذا فعمل على توسيعها، ثم خلفه بطليموس أورجينوس عام ٢٤٧ق. م. فأضاف إليها كثيراً من كتب الأدب والشعر والتمثيل مما وجده في خزائن أثينا. ويروى أنه فرض على كل من يقيم في الاسكندرية أو يمر بها من رجال العلم أن يقدم للمكتبة نسخة من كل كتاب يملكه، فزهت الاسكندرية بذلك ونبغ فيها من العلماء عدد كبير[٢]

وما زال أمر هذه المكتبة في تقدم مطرد وازدياد عظيم، فقد ذكر بطلر نقلا عن أميانوس مارسليئوس أنها بلغت سبعمائة ألف مجلد[٢]. وذكر العالم اكبرسيم أنها قد قسمت إلى شطرين ووضع الشطر الثاني منها في معبد سيرابيس [٣]

وفي عام ٤٧ ق. م. حوصر « يوليوس » قيصر الروم بالاسكندرية فأحرقت جنوده قسما من هذه المكتبة عن غير قصد

ولما تولى الامبراطور تودوسيوس أصدر أمراً بتحريض جماعة من المتعصبين للمسيحية بالقضاء على جميع المعابد الوثنية وجعل عاليها سافلها[٤] فنال هذه المكتبة العظيمة من جراء ذلك ضرر جسيم

(١) راجع : تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣

(٢) راجع : Butler, Alfred. J : The Arab Conquest of Eygpt. Oxford. 1902

(٣) راجع : Le Livre لأ كبرسيم

(٤) راجع : الاسلام والحضارة العربية لمحمد كردعلي

وفي عهد الأمبراطور طيودوس منعت الآداب والفلسفة اليونانية منعاً تاماً بأمر الأسقف تيوفيل، وبأمره أيضاً دمرت السيرابيوم عام ٣٩١م. وبنى على أنقاضها كنيسة أو جملة كنائس ولم يبق من هذه الدار إلا بعض الجدران، كما ذكر سيديو (ج١ ص١٥٥)، وذكر أيضاً أن الكتب الوثنية التي كانت بالسيرابيوم قد أحرقت كلها، وأما الكتب العلمية فانها حملت إلى القسطنطينية ثم تطاولت الأيدي إلى هيكل « سرابيس » فدمرته وأحرقته في الحال هو وجميع محتوياته والكتب التي كانت فيه. [١]

وهكذا تكون هـذه المكتبة قد دمرت وأحرقت غير مرة بأمر قياصرة وبطارقة الروم. وقد تلاشت قبل الفتح الاسلامي بمدة طويلة. ومن المؤرخين من يزعم أنها أحرقت دفعة واحدة، فقد ذكر بطلر نقلاً عن « مبانوس مارسلينوس » أن السبعمائة ألف مجلد التي كانت تحتوي عليها مكتبة الأسكندرية قد أتلفت إتلافاً تاماً حين حوصر يوليوس بالأسكندرية. [٢]

ومهما يكن من أمر الخلاف حول عدد مرات حريق هذه المكتبة العظيمة فان الآراء جميعها متفقة على أنها قد تلاشت قبل الفتح الاسلامي بقرنين، وأنه لم يكن في الأسكندرية حين الفتح العربي ما يحرق من الكتب.

وحوالي عام ٤١٤م. زار أورازيوس الأسكندرية وذكر أنه وجد رفوف هذه المكتبة خالية من الكتب، وفي ذلك أكبر دليل على تبرئة العرب من هذه التهمة الشنيعة التي حملت عليهم زوراً.

شهادات المستشرقين

ونود بعد الذي فصلناه في هذه الكلمة المجلي أن ندلي بشهادات بعض المحققين المستشرقين في الموضوع:

قال مسبرك في كتابه « الادعاءات الكاذبة »: « إن الافرنج هم الذين أحرقوا خزانة الأسكندرية [٣] ». وقال بونه موري في كتابه الاسلام والنصرانية نقلاً عن فوت واهلويلر في كتابهما « جنايات الأوربيين » إن تيوفيل هـو الذي أحرق خزانة الأسكندرية لا المسلمين، لأن الدين الاسلامي لا يبيح إحراق الكتب.

(١) تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابرهيم حسن.

(٢) تاريخ بطلر السابق وكتاب Babylon of Egypt

(٣) مبحث لسليم القبر في النبراس، والاسلام والحضارة العربية جزء ١ لمحمد كرد علي.

وقال غريفيني من علماء الشرقيات في إيطاليا : بعد أن فتح عمرو بن العاص الأسكندرية مرت ستة قرون كاملة لم يسمع خلالها قول لمؤرخ مسلم أو غير مسلم يتعرض لاتهام عمرو بن العاص باحراق خزانة الأسكندرية . وينقض هذه التهمة ما اشتهر به عمرو من سياسة اللين والتساهل التي جرى عليها وشهد له بها أشهر المؤرخين النصارى الذين كانوا في عهده ، كيوحنا النيقيومي في كتابه تاريخ مصر القديم وضعه باللغة الحبشية القديمة .

وقال بونه موري أيضاً : يجب [١] أن نصحح خطأ شاع طول القرون الوسطى ، وهو أن العرب أحرقوا خزانة الأسكندرية بأمر الخليفة عمر ، والحال أن العرب في ذلك العصر كانوا أشد إعجاباً بعلوم اليونان وفنونهم من أن يقدموا على عمل كهذا ، كما أنه معلوم أن قسما من تلك الخزانة كان قد احترق في أثناء ثورة الأسكندريين التي باد فيها أسطول قيصر ، وأن قسما آخر أحرقه النصارى في القرن السادس ، واختط العرب الفسطاط وتركوا للقبط ممفيس ولم يتعرضوا لهم في دينهم وعاداتهم ، وأطلقوا لهم الحرية في انتخاب البطريرك وبناء الكنائس . وغاية ما أبطل عمرو من العادات القديمة ، هو ما كانوا جارين عليه من زمان الوثنيين من رمي فتاة في النيل كل سنة التماساً لفيضانه

وقال أرنست رينان في خطاب له في المجمع العلمي الفرنسي : ... لست أعتقد أن عمرا هو الذي أحرق خزانة الاسكندرية لأنها أحرقت قبله بزمن طويل [٢]

وذكر أكبرسيم في كتابه (Le livre) : لم تحرق مكتبة الاسكندرية التي قال بعضهم إنه كان فيها نحو سبعمائة ألف مجلد على يد الامام عمر ولا بأمره كما جاء في بعض المصادر . فان هذه الدعوى من الأغلاط التاريخية العظيمة ، إذ لم يكن أثر لهذه الخزانة عند ما فتح العرب مدينة الاسكندرية

ومع كل هذه الشهادات ، وظهور الحق الجلي في هذه الغلطة التاريخية الكبرى ، فهناك من لا يزالون متمسكين بهذه الأكذوبة المختلقة على العرب ، ويستندون في تأييدها إلي أقوال هي في قوتها أوهى من خيوط العنكبوت ، وسنورد فيما يلي بعض هذه الأقوال والروايات وندلل على فسادها

(١) G. Bonet Maury : L'Islamisme et le Christianisme en Afrique

وكتاب حاضر العالم الاسلامي تعريب شكيب أرسلان

(٢) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي

يزعم بعض المؤرخين أن أول من لفق هذه الرواية على العرب هو أبو الفرج بن العبري في كتابه « تاريخ مختصر الدول » وروى ذلك العالم الأنجليزي جبون [١] في تاريخ سقوط دولة الرومان قال : إن هذه الفرية على المسلمين قد لفقها أبو الفرج العبري في تاريخه مختصر الدول ، وذلك بعد الأسلام بنحو ستة قرون ، ولم يتعرض قبله أحد لذكرها من المؤرخين » وذكر أرفنج أن هذه الفرية لم يكن لها ذكر قبل ترجمة مختصر الدول إلى اللاتينية . على أننا لسنا نعتقد بصحة هذا الزعم ، إذ تبين لنا أن أول من نسب هذه التهمة إلى عمرو بن العاص والفاروق هو عبد اللطيف البغدادي إذ ذكرها في كتابه « الأفادة والأعتبار ص ٢٨ » وكان قد ألفه قبل ولادة أبي فرج عام ١٢٢٦ م .

رواية عبد اللطيف :

ففي أواخر القرن السادس للهجرة زار عبد اللطيف مصر وكتب عن مشاهدها وآثارها وذكر إحراق العرب لهذه المكتبة قبل أن يولد أبو الفرج ببضع وعشرين سنة وإليك [٢] نص عبارته : « ورأيت أيضاً حول عمود السواري من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ، ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة ، والأعمدة تحمل السقف وعمود السواري عليه قبة هو حاملها . وأرى أنه الرواق الذى كان يدرس فيه أرسطوطاليس وشيعته من بعده وأنه دار العلم التي بناها الأسكندر حين بنى مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضى الله عنه »

والظاهر أن هذه العبارة قد جاءت في كلام البغدادي عرضاً عن غير قصد ، ومما يطعن فيها أن يذكرها بعد ستة قرون ولا يدل على المصدر الذى نقلها عنه ، والأغرب ألا يذكرها مؤرخان مسيحيان معاصران من مصر ، فقد كتب أفتيكيوس بطريرك الأسكندرية كلاماً مستفيضاً عن استيلاء المسلمين على ثغر مصر ولم يشر إلى هذه الحادثة قط ، وكذلك أوتينموس ، فانه لم يشر إليها أيضاً ، ومثله المؤرخ « يوحنا أسقف نيقوس » وتاريخه مصدر يركن إليه .

(البقية في العدد القادم)

خليل جمعه الطوال

(١) Gibbon, Edward : The History of the decline and Fall of the Roman Empire.

(٢) الأفادة والاعتبار ص ٢٨

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٤٠ —

« طال بي الحديث إلى قراء الرسالة عن الأسباب التي كانت تملي على الرافعي موضوعاته التي كتبها لقراء الرسالة ، فأرجئ ما بقي من هذا الباب إلى موضعه من كتاب « حياة الرافعي » الذي يصدر قريبا ؛ ليتسنى لي أن أنشر على القراء ما يتيسر نشره من فصول هذا التاريخ قبل الفراغ من طبع الكتاب » سعيد العريان

رسائل القراء إليه :

لم يكن بين الرافعي وقرائه صلة ما قبل أن يبدأ عمله في الرسالة ، ولم تكن أصوات القراء تصل إليه من قريب أو من بعيد ، إلا طائفة تربطه بهم صلات خاصة كان يكتب إليهم ويكتبون إليه ؛ فلما اتصلت أسبابه بالرسالة ، أخذت رسائل القراء ترد إليه كثيرة متتابعة ، حتى بلغ ما يصل إليه منها في اليوم ثلاثين رسالة أو تزيد . وأستطيع أن أقول غير مبالغ : إن الرافعي قد عرف من هذه الرسائل عالما لم يكن له به عهد ، وانتقل بها نقلة اجتماعية كان لها أثر بليغ في حياته وتفكيره وأدبه . وإذا كان مؤرخو الأدب قد اصطلحوا على وجوب دراسة البيئة التي يعيش فيها الأديب والتطورات الاجتماعية التي أثرت فيه ، فان مما لا شك فيه أن الحقبة التي كان الرافعي يكتب فيها للرسالة — كانت تطوراً جديداً في حياته الاجتماعية نقله إلى عالم فيه جديد من الصور وألوان من الفن تبعث على التأمل وتوقظ الفكر وتجدد الحياة . وقد عاش الرافعي حياته بعيداً عن النـاس لا يعرف عنهم ولا يعرفون عنه إلا ما ينشر عليهم من رسائله ومؤلفاته ، فكان منهم كالذي يتكلم في (الراديو) يسمعون عنه ولا يسمع منهم ، وليس له مما يستمد منه الوحي والالهام إلا ما تجيش به نفسه ، ويختلج في وجدانه ، غير متأثر في عواطفه الانسانية بمؤثر خارج عن هذه الدائرة المغلقة عليه

وكان هو نفسه يشعر بهذه القطيعة بينه وبين الناس ، وكان له من علته سبب يباعد بينه وبينهم ؛ فمن ذلك كان يسره ويرضيه أن يجلس إلى أصحابه القليلين ليستمع إليهم ويفيد من تجاربهم ، ويحصّل من علم الحياة وشئون الناس ما لم يكن يعلم ...

ثم بدأ يكتب للرسالة فعرفته طائفة لم تكن تعرفه ، وتذوّق أدبه من لم يكن يسيغه ؛ وكانت الموضوعات التي يتناولها جديدة على قرائها ، وجدوا فيها شيئاً يعبر عن شيء في نفوسهم ؛ فأخذت رسائل القراء تنثال عليه ، فانفتح له الباب إلى دنيا واسعة ، عرف فيها ما لم يكن يعرف ، ورأى ما لم يكن يرى ، واطلع على خفيات من شئون الناس كان له منها علم جديد ... فكان من ذلك كمن عاش حياته بين أربعة جدران لا يسمع إلا صوته ، ولا يرى إلا نفسه ، ثم انفتح له الباب فخرج إلى زحمة الناس ، فانتقل من جو إلى جو ، ومن حياة إلى حياة ...

هي نقلة اجتماعية لاسبيل إلى إنكار أثرها في الرافعي وأدبه ، وإن لم يفارق بيئته ومنزله وأهله

والآن وقد وصلت إلى جلاء هذا المعنى كما شاهدته وعاينت أثره ، فاني أتحدث عن ضرب من هـذه الرسائل التي كانت ترد إلى الرافعي من قرائه ، ليعرف الباحث إلى أي حد تأثر الرافعي بها ، وأيّ المعاني ألهمته وقدحت زناد فكره ؛ وإذا كانت بعض (الظروف الخاصة) قد حالت بيني وبين الاطـلاع على كل هذه الرسائل التي خلّفها لتتم لي بها دراسة التاريخ ، فحسبي ما أقرأني الرافعي منها في أيام صحبته ، وما اطلعت عليه بنفسي من بعد ...

***

نستطيع أن نردّ الرسائل التي كانت ترد على الرافعي إلى أنواع ثلاثة :

١ — رسائل الاعجاب والثناء

٢ — رسائل النقد والملاحظة

٣ — رسائل الاقتراح والاستفتاء والشكوى

أما النوعان الأولان فليس يعنينا منهما شيء كثير ، وحسبي الاشارة إليهما ؛ على أنه ليس يفوتني هنا أن أشير إلى أن أكثر

ما ورد إلى الرافعى من رسائل الاعجاب ، كان عن مقالاته فى الزواج وكان أكثر هذه الرسائل من الشبان والفتيات ، وقلما كانت تخلو رسالة من هؤلاء أو هؤلاء ، من شكوى صاحبها أو صاحبتها وتفصيل حاله . وأطرف هذه الرسائل هى رسالة من آنسة أديبة فى أسيوط كتبت إلى الرافعى تسأله أن يكتب رسالة خاصة إلى أبيها — وقد سمّته فى رسالتها — يعيب عليه أن يعضل ابنته وردّ الخطّاب عن بابه حرصاً على التقاليد ...

... ثم رسالة من (مأذون شرعى) يحصى فيها للرافعى بعض ما مر عليه من أسباب الطلاق فى الأسر المصرية ، وردها كلها إلى سوء فهم الناس لمعنى الزواج وحرصهم على تقاليد بالية ليست من الدين ولا من المدنية ، وفى هذه (الاحصائية) الطريفة قصص خليقة بأن تنشر لو وجدت من يحكيها على أسلوب فنى يكسبها معنى القصة

وأعجب ما قرأت من رسائل النوع الثانى ، رسالة جاءته بعقب نشره مقالة «الأجنبية» عليها خاتم بريد (شطانوف) فلما فض غلافها لم يجد فيها إلا صفحات ممزقة من الرسالة التى نشرت فيها القصة ومعها ورقة فيها هذه الأسطر :

سيدى الأستاذ

إن كان لا بد من رد فهذا هو خير رد ، وإن كان لا بد من كلمة فكلمتنا إليك هى تلك الكلمة التى ختمت بها هذا الكلام المردود إليك «مصرى»

***

ومن النوع الثالث من هذه الرسائل ، كان استمداد الرافعى ووحيه ودنياه الجديدة ، وإلى القراء نماذج مختلفة من هذه الرسائل

١ — هذه رسالة فتى فى العشرين ، يكتب إلى الرافعى من الاسكندرية يقول :

« أستاذى الكبير

« ليس لى الآن إلا ربى وأنت يا أستاذى ، وإن من حقك علىّ أن أسألك حق عليك وقد هدانى الله إليك

« ... قرأت وتدارست ما كتبته عن الانتحار ، فماذا تقول فى امرىء علم عمن الجنة تحت أقدامها أنها فسقت وزلّت .. فهو يتحين الفرصة ليقتلها . إنى أبكى يا أستاذى إذ أعيد هذا القول . أبكى دما . لى إخوة وأنا أكبرهم ، ولا أخاف إلا أن لى أختا . وأبى — غفر الله له — ليس له ما يكون للرجل من معانى الرجولة ليضمن ألا يكون فى بيته شىء مما قد كان ...

« الشك يساورنى منذ أكثر من عامين . واليوم فار التنور ، إذ سمعت أنها حبلى . ووقع فى يدى ما ملأنى يقينا بتصديق إثمها ؛ ولقد هممت أن أفعل مالا يُفعل ، وأنا أخشى ألا يتدار كنى حكمك .

« ... ماذا تقول يا أستاذي ؟ أنا الصابر أبدا كاد الصبر يتلاشى من نفسى ، أنا المطمئن أبدا كاد أمرى يضيع من يدى . أنا كالمجنون لا يبقينى شبه عاقل إلا أنت ، فماذا تقول يا أستاذى وبماذا تحكم ؟ يكتبها الله لك فتدار كنى برأيك ...

« ولك منى شكر من يسأل الله ويسعى إلى أن يكون بنفسه وحياته من حسنات تربيتك ، وأن يكون فى اليوم الآخر كلمة من سطر من كتابك القيم ...

« ومعذرة لى من لدنك إن أغفلت الآن اسمى »

فى ١٩٣٥/٥/١٤

٢ — وهذه معلمة فى إحدى مدارس الحكومة ، حامت حولها ريبة فوقفتها وزارة المعارف حتى تحقق أمرها ، فكتبت إلى الرافعى تسأله أن يعينها بجاهه حتى تعود إلى عملها الذى تعول منه أبويها ؛ فيشفق عليها الرافعى ويسعى سعيه لبراءتها ... وعادت إلى عملها ؛ وحفظت الجميل للرافعى ، فكانت تكتب إليه كل أسبوع رسالة تبثه خواطرها ، وتصف له من أحوالها وما تعمل؛ وتكثر رسائلها إلى الرافعى حتى يزول الحجاب بينهما ، فتصرح له بما لا تصرح فتاة ، ويؤول أمرها فى النهاية أن تكتب إلى الرافعى بأنها عاشقة ... وأن معشوقها الصغير — التلميذ فى إحدى المدارس الصناعية بالقاهرة — لا يعلم ما تكن له . هى تلقاه ، وتماشيه ، وتخلو به خلوات « بريئة » ولكنها لم تكشف له عن ذات نفسها ، وتأكلها النار فى صمت ... ! وتقول فى رسالتها إلى الرافعى :

« . . . فدرنى ياسيدى فى أمرى ؛ قلبى يحس أنه يحبنى ، لقد قالتها لى عيناه ، ولكنه لم يتحدث إلى ، ولست أجد فى نفسى القدرة على التصريح له . . . »

وتتوالى رسائلها إلى الرافعي تصف له ماتلاقى من الوجد بحبيبها الذى تكبره بسنوات ، ويقرأ الرافعي رسائلها فيبتسم ، ويتناول قلمه الأزرق فيثوّر فيها علامات يشير بها إلى مواضع وفِقَـر تلهمه معانى جديدة وفكراً جديداً ؛ وينشط الحب بالملهمة العاشقة حتى تنظم الشعر ، فتبعث إلى الرافعي بقصائدها ليرى رأيه فيها . . .

بين يدىّ الساعة آخر رسالة من رسائلها إلى الرافعي . بعثت بها إليه قبل منعاه بقليل . ليت شعري كيف انتهت قصة هذا الحب ؟

٣ — وهذه رسالة من (حلب) يدهش كاتبها أن يرى صورة (الشيخ) مصطفى صادق الرافعي مطربشاً حليق اللحية أنيق الثياب ، فيكتب إليه :

« . . . لقد رأيت رسمك يامولاى فتأملته . . فوجدته من أناقة الجلباب ومظهر الشباب على حظ . فهل لك يامولاى فى مجاراة المدنية ومماشاة الحضارة رأى دعاك إلى هذا المظهر الأنيق ؟ . . . »

٤ — وتلك رسالة من (دمشق) وقع كاتبها فى هوى مغنية مشهورة ، يحسن بها الظن إحساناً يمثلها لعينيه مَلَكا أنثى ؛ لايترك مجلساً من مجالس غنائها ، ولا يفكر فى خلوته إلا فيها . . ثم يأتيه النبأ أنها قد سُمِّيتْ على رجل من ذوى اليسار والنعمة ، وأنها موشكة أن تصير له زوجة ، فيطير به هذا النبأ ويؤلمه أيمّا إيلام ؛ فيكتب إلى الرافعي يقول :

« . . . إن خطيبها على غناه رجل فاسد الخلق ، متقلب القلب ، دنس الذيل ؛ وأنا على يقين أنها ستشقى به وقد خفيت عنها حقيقته . وأنا أحبها وأشفق عليها وأتمنى لها السعادة . . .

« هل يجب علىّ أن أقف وقفة المحذر باقناعها بالعدول عن هذا الزواج الذي لا أتوقع له إلا نهاية واحدة قريبة ، أو ألزم الصمت وأدع الأمور تجرى فى مجاريها وأقطع علائقى معها فأردّ لها صورها ورسائلها احتراما لهذا الزواج من الناحية الشرعية وأدفن ذلك الحب لها فى ركن من أركان قلبي ؟ »

٥ — وذلك طالب فى الجامعة ، له دين وخلق ومروءة ، بلغ مبلغ الرجال وفار دم الشباب فى عروقه فتسلّطت عليه غرائزه، تغالبه شهواته فلا يكاد يغلبها ، ولا يجد له سلطانا على نفسه أو وسيلة لقمع شهواته إلا أن يحبس نفسه أياماً فى غرفته الموحشة ، ومع ذلك لا تزال (المرأة) تتخايل له بزينتها فى خلوته وفى جماعته ، فليس له فكر إلا فى المرأة ، وإنه ليخشى الله ، وما به قدرة على الزواج ، ولقد جرب الصوم فما أجدى عليه ، وقد أوشك أن يفقد نفسه بين شهوات تتجاذبه ودين يأبى عليه ... فماذا يفعل ؟

٦ — وهذه فتاة متململة ، تعيش بين أبيها وزوج أبيها فى هم لا يطاق ، كل سلوتها فى حياتها أن تقرأ ، وهى لا تحسن عملا ولا تجد لذة فى عمل غير القراءة ، ولكنها تنكر موضعها بين أبيها وزوجه ، إنهما ينكران عليها كل شىء مما تراه هى من زينتها بين الفتيات ، فملها حذلقة ، وآراؤها فلسفة فارغة ، ومطالعاتها عبث ولهو وسوء خلق ، وفرارها بنفسها إلى غرفتها كبرياء وأنفة وتمضي السنون وهى فى هذا العذاب من دار أبيها ، فلا هي تستطيع أن تحمل أباها وزوجه على رأيها فى الحياة ولا هى تستطيع أن تنزل إليهما ، والمنقذ الذى تنتظر الخلاص على يديه من هـذا العذاب لم يطرق بابها بعد ، ولو أنه طرق بابها لأشاحت عنه معرضة فى وجل ، لأنها تسىء الظن بكل الرجال . فماذا تعمل ؟

٧ — وهذا فتى مثالىٌّ يحسن الظن بالأيام ولكن الأيام تخلفه موعده : أحب فتاة من أهله وأحبته وتواعدا على الزواج ، ولكن أهلها زوجوها من غيره

والتمس الوظيفة التى يؤمل أن يصل إليها بعد تخرجه، فنالها ولكن وجدها غُـلاًّ فى عنقه وكمامة على فمه

وطلب الزلفى إلى الله بالاحسان إلى الناس فبادلوه إساءة باحسان وغدراً بوفاء

وكلما غرس زهرة هبت عليها أعاصير الحياة فاقتلعتها وألقتها فى مواطئ النعال

وبرم بالحياة وضاقت به الدنيا وما يزال فى باكر الشباب ... فماذا يصنع ؟

٨ — وهذا شاب يشهد لنفسه بأنه من عباد الله الصالحين يخاف الله ويخشى عذابه : أحب فتاة من جيرته حباً (عُـذريا) وأحبتْـه ، وبرّح بهما الحب حتى ما يطيقا أن يمضي يوم دون أن يلتقيا ، ولقيته ذات مساء فى خلوة بعيـدين عن أعين الرقباء ، وما أكثر ما التقيا فى خلوة ، ولكن الشيطان صحبهما هذه المرة

إلى خلوتهما ... ووقعت الجريمة من غير أن يكون لها إرادة أو يكون له ...

... ولما فاءت إليه نفسه أخذ يكفكف لهادموعها وهو يبكي وكان فى نيته أن يتزوجها حين ينتهي من دراسته بعد سنتين أو ثلاث ، وكان صادقا فى نيته ، وكانت الفتاة مؤمنة بصدقه ، ولكنها لم تُطق الانتظار حتى تمضى السنوات الثلاث ولم تطق أن تراه بعد ؛ وجاءه النبأ بعد ثلاثة أيام أنها ماتت محترقة ...

وعرف هو وحده من دون أهلها ومن دون الناس جميعاً كيف ماتت . . . ومنذ ذلك اليوم تلاحقه صورتها فى نومه وفى يقظته ؛ ومضت سنتان منذ وقعت الفاجعة ولكنه مايزال يذكرها كأنها كانت بالأمس ، وكتب إلى الرافعي يقول فى رسالته :

« ... إننى أنا الذى قتلتها ، إن دمها على رأسى ؛ لقد ماتت ولم يعلم بسرها أحد غيرى وهذا أشد ما يؤلمنى ، ولقد احتملت بصبر وثبات كل ما نالنى فى هاتين السنتين من تأنيب الضمير وعذاب القلب ، ولكنى اليوم أحس بأن صبري قد انتهى ولم يبق فىّ قوة على الاحتمال أكثر مما احتملت ... فماذا أفعل ، ماذا أفعل ...؟ »

* * *

ألوان وصور ، وملائكة وشياطين ، ونفوس تتعذب ، وقلوب تحترق ، وأنات وابتسامات ، ودنيا لم يكن للرافعى بها عهد ، ولم تكن تخطر له على بال .

وفى الأسبوع الآتي بقية الحديث عن رسائل القراء .

« شبرا » محمد سعيد العريان

جورجياس
او البيان
لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٢ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأ كثرها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »[1]

ب — (متابعا حديثه عن أرشليوس) والواقع أنه بُعِثَ أولا ليبحث فيما يقال عن « الكيتاس » Alcetas عمه وسيده كيما يرد إليه العرش الذى سلبه منه أخوه « بردكاس » Perdicaas ، ولكنه ما أن عثر عليه حتى أسكره وأثمله هو وولده « الكسندر » الذي كان يقاربه فى السن ، ثم وضعهما فى عربة وخرج بهما

(١) بدأ سقراط فى العدد الماضي فقال إن ارتكاب الظلم أفدح من احتماله ، وإن المظلوم أسعد من الظالم . وقد أخذ بولوس يناقضه في ذلك القول مناقضة شديدة ويضرب له مثلا دقيقا محرجا هو الذى بدأناه فى الأسبوع الماضى ووعدنا بتكملته هذا الأسبوع . والحق إن بولوس كان بارعا فى اختيار هذا المثل والمثل الذى سيليه . وعلى القارىء الكريم أن يتتبع المحاورة وأن يحاول الادلاء فى جانبيها — الروحانى والمادى — برأيه الخاص . وأكون سعيدا إذا تلقيت ردودا فى جانب بولوس وأخرى فى جانب سقراط

« المعرب »

ليلا إلى العراء حيث ذبحهما وأخفاهما دون أن يتصور أنه قد أصبح بعد جريمته هذه أشقى الناس وأتعسهم، ودون أن يشعر حيالها بأى ندم أو تأنيب ! ! ؟ وبعد فترة قصيرة مضى إلى أخيه ذى الحق الشرعى فى العرش ـ وكان طفلا لم يبلغ السابعة بعد، وبدلا من أن يسعد نفسه بالاشراف على تربيته وتعليمه كما كان يجب عليه، وبدلا من أن يمنحه السلطة المشروعة: رمى به في بئر وقال لأمه « كليوباترا » إنه وقع فيها ومات بينما كان يجرى خلف أوزة ! ! ؟ وعلى هذا يجب أن يكون أشنع أهل « ماقدونيا » إجراما[1]، وأكثرهم تعاسة وشقاء بدلا من أن يكون أوفرهم سعادة وهناء ! ولكن ربما يوجد أكثر من أثينى — إذا بدأنا بك — يفضل مركز أى مقدونى آخر على مركز « أرشليوس » ! !

ط — لقد هنأتك منذ بدأ الحديث على ما لاح لى من تدفق خطابك. ولكنى قلت لك حينذاك إنك أهملت فن الحوار إهمالا ! والآن هل هـذا هو التدليل المشهور الذى يستطيع حتى الطفل أن يناقضنى به ؟ وهل أستطيع أن أقتنع بك وبقولك إنى كنت مخطئا عند ما قلتُ إن الرجل الظالم لا يكون سعيدا ؟ وكيف أقتنع وأرضى ياعزيزى وأنا لست على وفاق مع أي تأكيد من تأكيداتك ؟

ب — ذلك من سوء إرادتك لأنك فى صميمك ترى رأيى !!

ط — حسن جدا يابولوس فأنت تحاول أن تناقضنى بأسلوب المحاماة كما يدعى من يفعل ذلك فى المحاكم !، إذ هناك يعتقد المحامون أنهم يناقضون خصمهم إذا هم دعموا دفاعهم بشهود عديدين محترمين فى الوقت الذى لا يستطيع الخصم فيه إلا أن يحضر شاهدا واحدا أو لا شاهد على الاطلاق ! .، ولكن هذه الطريقة عديمة الجدوي لأن الفرد الواحد قد يتعرض لشهادات خاطئة من شهود عديدين ومعروفين بالنزاهة والاستقامة ! ! وإذا شئت فى حالتنا الراهنة، وفيما يتعلق بما تقول، أن تقدم شهودا يشهدون على خطأى، فسترى أن جميع اليونانيين والأجانب تقريبا يرون رأيك الخاص ! وأنت تستطيع إذا شئت أن تجعل « نكياس » ابن « نيسراتوس » يشهد فى جانبك ومعه إخوته الذين نرى مواقدهم مصفوفة فى محراب « ديونيسس[1] »، كما تستطيع أن تجعل « اريستوقراط[2] » ابن « سكيليوس » صاحب القربان الجميل فى « بيثو » أن يشهد بالمثل، لا بل أمامك إذا رغبت كل عائلة « بركليس » أو أية عائلة أثينية يسرك بعد ذلك أن تختارها !!، ولكن سيظل رأيى — ولو أنى وحيد — مخالفا لهؤلاء جميعا لأنك لم تقنعنى بعد ! ذلك أنك لم تفعل سوى التقدم بذلك الجمع من الشهود الزائفين لكيما تنزع منى الحقيقة والخير ! ، ولكنى — على النقيض — إذا لم أظفر بك أنت نفسك، وأنت وحدك كشاهد، وإذا لم أجعلك توافق على قولى، فانى أعد نفسى كأنى لم أقدم ما يجرؤ على حل السؤال الذى يشغلنا، كما أعدك لم تفعل شيئا بالمثل إذا لم أشهد لك وحدى وبشخصى. وإذا لم ترفض عداى كل الشهود الآخرين ! فهناك إذا طريقة للمناقضة هى تلك التى تعرفها ويعرفها معك الكثيرون، ولكن هناك طريقة أخرى أتخيلها من ناحيتى[3]. فلنقارن إذا هاتين الطريقتين، ولنر إذا كانتا تختلفان فيما بينهما، لأن الأشياء التى نتنازع فيها ليست باليسيرة فى نتائجها، بل إنه لا يوجد ما هو أجل فى معرفته ولا أشنع فى الجهل به منها، لأنها تتعلق إجمالا بمعرفة ما هو جميل وما هو قبيح . ! ! . .

ومن حيث النقطة التى تشغلنا : أرى أن الانسان يستطيع أن يكون سعيداً عنـد ما يظلم ويرتكب الشر، لأنك تعتقد أن ذلك هو تدليلك ؟

ب — نعم، انه هو إطلاقا !

ط — وأنا أزعم أن ذلك محال ! . وتلك هى النقطة الأولى التى نختلف فيها فلنمض إلى الثانية . أيكون الظالم سعيداً إذا تقدم للعقاب ؟ ؟

---

(١) يقصد أرشليوس بطل هذه القصة بالطبع.

(١) أحرز نيكياس وإخوته هذه المواقد كجوائز تمثيلية .

(٢) يذكر « تيوسيدس » أنه أحد رؤساء الأشراف .

(٣) يلاحظ هنا أن أفلاطون لايعنى بشهادة الكثرة بقدرمايعنى بشهادة الشخص الذى يحاوره . وتلك هى الطريقة المثلى فى الاقناع لأنه ليس بعد الظفر بخصمك وجعله شاهدا لك ظفر . أما الشهود الكثيرون فكلهم جهل وزور ولا سيما إذا كانوا يشهدون فى قضايا الفلسفة الكبرى كالمثل الأعلى ونحوه « المعرب »

ب — كلا على الاطلاق ! . إنه يكون تعيساً جداً فى هذه الحالة ! !

ط — وإذاً فأنت تراه سعيداً إذا لم يعاقب ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وأنا أزعم يابولوس أن ذلك الذي يرتكب الظلم ويحمله فى قلبه يظل شقياً فى جميع الأحوال ، وأنه يكون أكثر شقاوة إذا لم يعاقب على ظلمه ، أما إذا عوقب ولقى جزاءه من الآلهة والناس فانه يكون أقل شقاء[1] !

ب — إنك تروج يا سقراط لمتناقضات عجيبة ! !

ط — سأحاول يا رفيق أن أشركك فى عاطفتى لأنى أعدك صديقاً . هاك هى النقط التى نختلف عليها فلترها بنفسك . لقد قلتُ من قبل إن ارتكاب الظلم أفدح من احتماله ؟

ب — نعم !

ط — وقلتَ أنت إن احتماله أفدح من ارتكابه ؟

ب — نعم

ط — وقلتُ أيضاً أن مرتكبي الظلم أشقياء فناقضتنى ؟ !

ب — نعم وحق زيوس !

ط — أذلك هو ما تعتقد — على الأقل — فيه يابولوس ؟

ب — ولى الحق فى الايمان به !

ط — ذلك جد ممكن . ولكن أرى من ناحيتك أن أولئك الذين يظلمون يكونون سعداء إذا فروا من العقاب ؟

ب — تماما

ط — وأنا أرى أنهم أشقى الأشقياء وأن أولئك الذين يلقون جزاء ظلمهم يكونون أقل منهم شقاء ! . أتريد مناقضتى أيضاً فى هذه النقطة ؟

ب — أواه ياسقراط إنها لأصعب فى المناقضة من سابقتها !

ط — لا تقل « أصعب » يا بولوس بل قل « مستحيل » لأنك لن تناقض « الحق أبداً[2] »

ب — أى شىء تقول ؟ ذاك هو شقى باغتناه وهو يحاول أن يكون ظالماً طاغياً فأوقفناه ، وعذبناه ، فسملنا عينيه وقطعناه بقسوة بمختلف وسائل التعذيب ، ثم أنزلنا بامرأته وأولاده نفس العذاب ، ثم صلبناه أخيراً وطلينا جسده بالقار وحرقناه حيا ! ، أنرى لا يكون هذا الشخص أسعد لو قد فرّ وصار طاغياً يحكم مدينته ، وأشبع شهواته ، وأصبح موضوعا للاعجاب والحسد من الأجانب والمواطنين ؟ ؟ ذلك ما ترى أن مناقضته مستحيلة ياسقراط !!

ط — إنه لخيال مزعج ذلك الذى تقدمه أيها الشجاع بولوس! ولكنك مع هذا لم تناقضنى فى شىء لأنك لم تفعل إلا مثلما فعلت عند ما كنت تقدم شهودك ! ! لذلك أرجو أن تذكرنى بشىء يسير ! . لقد فرضت أن ذلك الشخص كان يطمح « بظلم » إلى الطغيان ؟ ؟

ب — نعم ![1]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) ذلك هو خلاصة المحاورة . وسنرى كيف يبرهن عليه أفلاطون بتحليله العميق

(٢) قول خالد لأفلاطون !

(١) وسنرى في العدد القادم كيف يمزق سقراط ذلك « المثل » المخرج كما يمزق المثل السابق له « المعرب »

العاطفة
وأثرها في التقدير الأدبي
للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

لما وضع أرسطو مذهبه فى النقد الأدبى ، أقامه على المنطق والفكر ، واعتبر العقل وحده كلَّ شىء فى إدراك الحقيقة الفنيَّة النافعة[1] ، يكشف ويوضح ، ويقيس ويضبط ، ويلتمس ويعلل ، وينتهى من وراء ذلك كله إلى جملة من الضوابط والقوانين ، يراها صالحة فى كل زمان ومكان لقياس الفن ، وتقدير الأدب ، وفهم الجمال . فكأن النقد عند هذا الفيلسوف الخالد ، باب من الفلسفة ؛ وبحث فى العلم ، فهو يعالجه بالقياس الثابت ، والعيان المدرك ، والخبر المتواتر ، والشاهد البينّ ، فأما الحس فلا اعتبار له عنده ، ولكنه — كما يقول المعرى — زجر طير هى خليقة بالكذب ، فان صدقت فباتفاق ! !

هذا المذهب الذي وضعه أرسطو كان مثار خلاف بين النقاد من بعده ، وخصوصاً النقاد الفرنسيين الذى نهلوا من مراشف الثقافة الغاليّة ، فجماعة من ورائه يقولون العقل فحسب ! وجماعة يذهبون إلى أكثر من ذلك فيقولون : العقل والعاطفة . والذين قرأوا تاريخ الآداب الفرنسية يعرفون إلى أى حد كان النقاد فى الطور الأول يمجدون العقل ويذعنون لمنطقه ، حتى لقد حاول « ماليرب » أن يخضع له قرائح الشعراء وعواطفهم ، ثم أتى من بعده « بوالوّ » الذكى الفطن[2] فمنح العقل المرتبة الأولى فى عداد الصفات البشرية ، واعتبره مصدر كل أثر ذى شأن فى النقد والأدب . ولكن لما جاء «شاتوبريان» انتهج فى النقد نهجاً أحفل بالفن فقال : إن العقل وحده لاينتج أعمالا عظيمة ، وإن الناقد الحقيق من حكّم عقله وقلبه ، واستغلّ منطقه وعواطفه معاً فى فهم مايقرأ . فلما كان العهد الأخير قامت المناظرة حادة عنيفة بين فردينان برونتيير وأناتول فرانس حول الملكات المعتبرة فى النقد فقال برونتيير : العقل . . . ثم العقل . . . ثم العقل . وقال فرانس : كلا ! ! لايمكن أن يكون فن الأدب غير عاطفى ، وكذلك نقده . لأن الفن ذاته عاطفة ، وكاذبون هم أولئك النقاد الذين يزعمون أنهم قادرون على انتقاد الأدب وتقديره دون عواطفهم ! وعندى أنه ليس أسخف من ناقد يتخذ مقاييس الألفاظ والأوزان فى نقد قطعة فنية نفخ فيها صاحبها من عواطفه ، واعتصرها من روحه وإحساسه ، فأن المشاكل الخفية فى الأدب والنقد لايحلها علم النحو والصرف ، ولاتشرحها المعاجم وأوضاع اللغة ، ولكنها فى حاجة إلى تلك العاطفة الملوية الفياضة التى لاتقيدها فواصل وحدود ، ولاتحدها أبعاد وتخوم ! !

والواقع أننا نستبد بعواطفنا كثيراً ونجحد الحق وما هو ثابت من نواميس الحياة إذ نندفع فى تيار أولئك الواقعيين فنعتبر العقل كل شىء فى تعليل كل ما نرى من المظاهر والظواهر ، حتى ما يتصل بميولنا وعواطفنا ؛ فأن هناك القلب يجب أن نجعل له اعتباراً كبيراً فى شئون الحياة إلى جانب العقل ، ويجب أن نعتقد بأن له منطقاً كمنطق العقل إن لم يكن أرهف وأدق ، وهو وحده الذى يشعرنا فى رحلة الحيـاة الشاقة ببرد الراحة ، ويقع من نفوسنا اللاغبة موقع الماء العذب من نفس الصادي فى اليهماء القاحلة . ولا شك أننا لو طاوعنا هؤلاء الناس وجعلنا العقل كل شىء لصارت الحياة جحيماً لا تطاق ، ولفررنا من شقائها كما يفر بعض الناس فى هـذه الأيام بالموت والانتحار ، بل ولتمردنا على كثير من النظم والأوضاع والشرائع الطيبة النافعة التى تكفل السعادة للمجتمع ، والتى لا يمكن أن يجحدها أولئك الواقعيون الماديون أنفسهم . وأنت — أبقاك الله — تأمل فى نفسك ، وانظر فيما يحف بك من النظم الاجتماعيـة ، والقيود الثقيلة التى تربطك بالمجتمع الذى تعيش فيه ، والسلاسل والأغلال التى تثقل جيدك وتنقض ظهرك ، من واجبات نحو الأسرة ، والأب ، والأم ، والزوجة ، والوطن ، والدين ، والتقاليد ، وفكرات الشرف والعرض ، وكل ما إلى ذلك ، ثم استـلم إلى العقل وحده وانزل على حكمه فى فهم تلك الأمور عامتها ، تجده يجيبك جواباً لا يرضاه العقل نفسه ، لأن الطبيعة قد خصت الانسان

---

(١) النافع والجميل : لفظان مترادفان عند سقراط ! !

(٢) هكذا وصفه بول فاليري . .

بشيء يمتلك ناصية عقله ويتحكم فيه التحكم كله ، شيء آت من الناحية الروحية القلبية التي هي مصدر العواطف والمشاعر [١] ، فالانسان — كما يقول العقاد — لا يحيا بالعقل وحده ، ولا يفهم بالعقل وحده ، ولكنه يحيا بالحياة التي هي مجموعة من الحس والغريزة والعطف والبداهة والخيال والتفكير . فأنت إذا أردت أن « تفهم » إنساناً فليست كل وسائلك إلى فهمه أن تسلط عليه ملكة التحليل والتعليل ، بل أنت مشترك في فهمه بخيالك وحسك وغريزتك وتفكيرك وعطفك وجميع أجزاء حياتك ، وشأنك في فهم الكون كشأنك في فهم الانسان أو فهم أي شيء من الأشياء وخاطرة من الخواطر . فقولك « تفهمها » مرادف لقولك تحسها وتتخيلها وتشملها بعطفك وبديهتك وتفكيرك . ولأن تحس ما ينبغي لك عمله دون أن تقوى على تعليل ذلك خير لك وألف خير من أن تعلل وتحلل وأنت عاجز عن العمل والاحساس [٢]

وإذن فليس من الصواب أن نتخذ العقل وحده طريق إدراك وفهم ، وأداة تقدير وحكم ، وإنما الواجب أن نستخدم في ذلك جميع حواسنا وعواطفنا وكل ما لدينا من المواهب والملكات . وإذا كان هذا من اللازم بالنسبة لاعتبارات الحياة ومسائل العلم ، فانه لا شك ألزم بالنسبة لتقدير الأدب الذي هو فيض العواطف ، وذوب المشاعر ، ورسالة الروح ، ومن ثم تعلم سر الفشل الذي يحيق بأناس يحملون أنفسهم على معالجة الأدب ، ويبيحون لضمائرهم القضاء في مسائله وهم أجلاف غلاظ قد سلبوا كل إحساس وكل عاطفة . ولقد حكى العقاد فقال : كنا منذ أيام نتطارح قصيدة ابن الرومي في رثاء ولده « محمد » وهي القصيدة التي يقول فيها :

طواه الردى عني فأضحي مزاره ... بعيداً على قرب قريباً على بعد
لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها ... وأخلفت الآمال ما كان من وعد
ألح عليه النزف حتى أحاله ... إلى صفرة الجادي عن حمرة الورد
وظل على الأيدي تساقط نفسه
وبذوي كما يذوى القضيب من الرند

إلى أن يقول :

وأولادنا مثل الجوارح أيها ... فقدناه كان الفاجع البيّن الفقد
لكل مكان لا يسد اختلاله ... مكان أخيه من جزوع ولا جلد
هل العين بعد السمع تكفي مكانه
أو السمع بعد العين تهدى كما يهدى
ثكلت سروري كله إذ ثكلته
وأصبحت في لذات عيشي أخا زهد

إلى أن يقول :

محمد ! ماشيء توهم سلوة
لقلبي ، إلا زاد قلبي من الوجد
أرى أخويك الباقيين كليهما
يكونان للأحزان أورى من الزند
إذا لعبا في ملعب لك لذّعا
فؤادي بمثل النار عن غير ما قصد
فما فيهما لي سلوة بل حزازة
يهيجانها دوني وأشقى بها وحدى

فكنا نجمع على أنها خير ما قيل في الشعر العربي في رثاء ولد ، إلا رجلا لا بأس باطلاعه كان يقول : ولكن أحسن من هذا قول ابن نباته في رثاء ابنه :

قالوا فلان قد جفت أفكاره ... نظم القريض فما يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منه بعدما ... سكن التراب وليده وحبيبه

وقوله فيه :

ياراحلاً من بعد ما أقبلت ... مخايل للخير مرجوّة !
لم تكتمل حولاً وأورثتني ... ضعفاً « فلا حول ولا قوة »

وجعل يعجب من « وليده وحبيبه » التي فيها تورية بالبحتري وأبي تمام ! ويستظرف قوله « فلا حول ولا قوة » ويقول : إن في هذا المعنى لحسنا ! وقد استغرب العقاد ذلك الاستحسان من ذلك الرجل الذي « لا بأس باطلاعه » وعجب له كيف يرفع ابن نباته في شموذته وألاعيبه على ابن الرومي في لوعته وأساه [١] ؛ وعندي أنه لا وجه للعجب والاستغراب ، لأن ذلك الرجل وإن كان « لا بأس باطلاعه » إلا أنه — على

(١) راجع ما كتبناه في الرسالة (٢٤٠) وكتاب بين الدين والعلم ترجمة اسماعيل مظهر

(٢) الساعات ص ٢٣٩

(١) راجع الساعات ص ٧١ و ٧٢

ماهو واضح من شأنه — لم يرزق الأحساس الفني ، والعاطفة الفياضة التي تفتح له آفاقاً من الفهم ، وتهيء له الأدراك والنظر في الأدب وماهو بسبيل الأدب من مظاهر الفن والجال ، فليس من الغرابة أن يخطىء ذلك الرجل في التقدير الأدبي ، وأن يسف هذا الإسفاف البين في الحكم على الشعر ، ولكن من الغرابة أن يباح له النظر في الأدب ، والحكم على أقدار الأدباء ، ووضعهم فيما هو جدير بهم من المكانة الفنية ، وما هو من أهل ذلك ولا عنده أداته من الطبع والحس والعاطفة وبشاشة الروح . وكأن الجاحظ كان يقرر هذا المعنى إذ يقول : طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فألفيته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فرأيته لا ينتقد إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتّاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات . وصدق أبو عثمان ، لأن أدباء الكتاب أدق إحساساً ، وأوفى شعوراً ، وأرهف عاطفة ، فهم أقدر على اختراق معالم الوجدان والاحساس بجمال الآثار الفنية ، والصور الذهنية المرسومة ، فيكون بين الناقد والقائل تجاوب روحي ، وامتزاج في الأحاسيس ، وهذا هو طريق الادراك الصحيح ، والتقدير الحق، وكأني به الطريق الذي ينشده الفنانون أنفسهم ، فقد طلب «بودلير» في الناقد أن يكون مرهف العاطفة ، دقيق الاحساس ، ينتقد بانفعال ، لأن الانفعال يقرب بين الأمزجة ويسمو بالمدارك وكذلك اشترط البحتري في نقد الشعر أن يكون من شاعر مارس الفن ، إذ سأله عبيد الله بن طاهر فقال : ياأبا عبادة ! مسلم أشعر أم أبو نواس ؟ فقال : بل أبونواس لأنه يتصرف في كل طريق ، ويتنوّع في كل مذهب ، إن شاء جد ، وإن شاء هزل ! ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لايتخطاه . فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثعلباً لا يوافقك على هذا ! فقال : أيها الأمير ! ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ... وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه ! !

وإنها لنظرة بصيرة اتفق فيها الشاعران الفرنسي والعربي ، لأن الناقد فنّان قبل كل شيء ، وإن التقدير الأدبي موهبة لا تتأتى ولا تستقيم كما يظن بعض الناس بدراسة النحو والصرف، واللغة والغريب ، والتوفر على البحث في بطون الكتب ، فان هذا كله لايجدي ولاينفع إذا لم تكن ثمت فطرة سمحة ، ونفس مجلوة وطبيعة مواتية ، وعاطفة فياضة فنّانة ، وإن العلم مهما بلغ مقداره لا يخدم في الفطن الجثة ، ولا يقوّم المشاعر المعوجة . وياضيعة الأدب ، وياخسارة الفن إذا ماجدنا في تقديرهما على أوضاع أهل اللغة ، واعتبارات علماء البلاغة . ولعمرك إلى أي حد تفيد هذه الأشياء في التقدير الفني لقول الطغرائي مثلا يصف شجو حمامة سمعها تنوح وهو غريب بالعراق :

أبكيّة صدحت شجواً على فنن ... فأشعلت ماخبا من نار أشجاني
ناحت ومافقدت إلفاً ولا فجعت ... فذكرتني أوطاري وأوطاني
طليقة من إسار الهم ناعمة ... أضحت تجدد وجد الموثق العاني
تشبهت بي في وجدي وفي طربي ... هيهات مانحن في الحالين سيان
ما في حشاها ولا في جفنها أثر ... من نار قلبي ولا من ماء أجفاني
يا ربّة البانة الغناء تحضنها ... خضراء تلتف أغصانا بأغصان
إن كان نوحك إسعاداً لمغترب ... ناء عن الأهل ممنوع بهجران
فقارضيني إذا ما اعتادني طرب ... وجداً بوجد وسلواناً بسلوان
أو لا فقصرك حتى أستعين بمن ... يعنيه شأني ويأسو كلم أحزاني
ماأنت مني ولا يعنيك ماأخذت ... مني الهموم ولا تدرين ما شاني
كلي إلى النيم إسعادي فان له ... دمعاً كدمعي وإرناناً كإرناني

أو كقول ابن الجهم :

وارحمتا للغريب بالبلد النّـــازح ماذا بنفسه صنعا ؟
فارق أحبابه فما انتفعوا ... بالعيش من بعده ولا انتفعا
يقول في نأيه وفي غربته : ... عدل من الله كل ما صنعا !

أو لهذه القطعة التي نفث بها حافظ وقد عبر بدار كانت مدرجة لهوه ، وملعب شبابه ، فلما رآها قد غيّرت معالمها الأيام حتى خفيت عليه جاشت نفسه بالشعر فقال :

كم مر بي فيك عيش لست أذكره ... ومر بي فيك عيش لست أنساه
ودعت فيك بقايا ما علقت به ... من الشباب وماودعت ذكراه !
أهفو إليك على ماأقرحت كبدي ... من التباريح أولاه وأخراه
لبسته ودموع العين طيعة ... والنفس جياشة والقلب أواه
فكان عوني على وجد أكابده ... ومر عيش على العلات ألقاه
إن خان ودي صديق كنت أصحبه ... أوخان عهدي حبيب كنت أهواه
قد أرخص الدمع ينبوع الغناء به ... والمفتى ونضوب العيش أغلاه
كم روح الدمع عن قلبي وكم غسلت ... منـــه السوابق حزناً في حناياه
لم يدر ما يده حتى ترشفه ... فم المشيب على رغمي فأفناه

قالوا : تحررت من قيد الملاح فمش
حراً ففى الاسر ذل كنت تأباه

فقلت : يا ليته دامت صرامته   ما كان أرفقه عندى وأحناه
بدلت منه بقيد لست أفلته   وكيف أفلت قيداً صاغه الله ؟
أسرى الصبابة أحياء وإن جهدوا
أما المشيب ففى الأموات أسراه !

فهذا شعرحى نابض ، يتفجر بالعواطف ، ويفيض بالأحاسيس حتى لتلمس فيه من ذلك أجساماً حية ... وإنه لنمط أعلى من الفن الخالد على الأيام ، الباقى على الدهر ، ولكن ترى ما ذا تكون قيمة هذا الشعر إذا ما وقف ناقد فى تقديره عند قواعد اللغة والنحو ، وتناوله بمقاييس « التورية والجناس ، والمقابلة والطباق ؟ إنه لا شك ينحط به سافلا سافلا حتى الحضيض ، وإنه لا شك سيرتفع عليه عالياً عالياً بسفاسف الطبقة النازلة من أمثال ابن النبيه والشاب الظريف كما رفع صاحب المقاد « ابن نباته بشموذته وألاعيبه على ابن الرومى فى لوعته وأساه » ومن هنا تنقلب الأوضاع ، ويغدو النقد وهو أداة جمود بالأدب ، وخذلان للقرائح العبقرية ، وعامل تقهقر يرجع بالفن إلى الوراء أضعاف ما يجب أن يندفع به إلى الأمام !

فالناقد الحقيقى هو من حكم عقله وقلبه كما يقول شاتوبريان واستغل منطقه وعواطفه فى تقدير ما يقرأ ، حتى يستطيع أن يقدر التقدير الصحيح ، وأن يخدم الحقيقة الفنية والجمال البيانى وإلا فهو فاشل فى مهمته ، يجنى على الفن ، ويبخس النبوغ ، ويكشف نفسه ويعرضها للسخرية ، وكأن العلماء قد أدركوا تلك الحقيقة إذ أنكروا على « المعلمين » والرواة أن يكون لهم فى نقد الشعر والحكم عليه ، فكثيراً ما تنادر الجاحظ عليهم من جراء ذلك حتى اتخذهم مادة لعبثه ومضاحيكه ؛ وكثيراً أيضاً ما نالهم الشعراء أنفسهم بقوارص الكلم ، وأليم الهجاء . ولعل من أفكه ما لهم فى ذلك قول عبيد الله بن عبد الرحمن الأهوازى فى معلم أزرى على شعره :

يعيب الأحمق المرور شعرى   وهجوى فى بلادته يسير !
ويزعم أنه نقاد شعرى
هو الحادى وليس له بعير

وفى هذا النمط ماروى من أن أبا جعفر الخزاز عاب شعراً للبحترى ، فكانت كبيرة على نفس البحترى حتى عدها إحدى نوائب الدهر إذ يقول:

الحمد لله على ما أرى   من قدر الله الذى يجرى
ما كان ذا العالم من عالى   يوماً ولاذا الدهر من دهرى
يعترض الحرمان فى مطلبى   ويحكم الخزاز فى شعرى

وقد كان الخزاز كما وصفه ياقوت راوية مكثراً موصوفاً بالثقة أخذ عن أبى الحسن المدائنى والعتابى ، فما يحسب البحترى أنكر عليه النظر فى الأدب والحكم على شعره من جهة اطلاعه وعلمه ، ولكنه لا شك أنكره عليه من جهة استمداده الفنى ، ورحابة عواطفه ، وسماحة طبعه . ولست أدري ما ذا كان يقول أبو عبادة لو امتد به الأجل ورأى الأدب يحتمن الرهق كل الرهق من « خزازين » كثيرين يتولون دراسة الأدب فى مدارسنا المصرية وهم كجماعة المعلمين فى قرطبة الذين تحدث عنهم ابن شهيد فى قصة التوابع والزوابع ينحتون عن قلوب غليظة كقلوب البعران إلى فطن حمئة ، وأذهان صدئة ، لا منفذ لها من الرقة ولا مدب لها فى شماع البيان ، وكل بضاعتهم من الأدب كلمات من غريب اللغة ، وبعض مسائل من النحووالصرف وعلوم البلاغة لا يفهمون منها إلا ما يفهم القرد اليمانى من الرقص على الايقاع ، والزمر على الألحان . فهم يتنكبون النواحى العاطفية فى الأدب ، ويقفون فى تقديرهم عند الصور الجافة من الفن البيانى يقدمونها لتلاميذهم فيجد التلاميذ فى تناولها غضاضة دونها غضاضة المريض من تناول الدواء ، الأمر الذى ألقى فى روع أولئك المساكين أن الأدب العربى كله نمط واحد من الكزازة والجفوة والنشوفة والنثاثة والثقل ، فانصرفوا عنه يطلبون متاعهم العقلى وقوتهم العاطفية فى رياض الآداب الغربية ، فاذا ما جلست إلى الواحد منهم وجدته من العلم بتلك الآداب بمكان ، على حين لا تجده من الأدب العربى على بال ، وتلك حال لو دامت فستكون الشر المستطير ، والخطر الكبير

محمد فهمى عبد اللطيف

الى مؤتمر نواب العرب

لبيك ! لبيك ! فلسطين

للأديب السيد ماجد الأتاسي

إذا كانوا يزعمون أن هـذا العصر عصر الديمقراطيات والحريات والمساواة فى الحقوق والواجبات ، فهو إذن عصر المؤتمرات للأفراد والجماعات والهيئات . والناس يأتمرون من مختلف الأمم ، ويريقون على هذه المؤتمرات عواطفهم وميولهم ، وينفضون عليها آمالهم ومثلهم ، ويحيطونها بالضجيج وفنون الدعاوة ، فاذا الناس يتحدثون عنهـا إذا أمسوا وإذا أصبحوا ، حين يكتبون ، وحين يخطبون ، وحين يسمرون ، وحين يهذون . وقد تصبح هذه المؤتمرات ملء الدنيا وشغل الناس ، وقد يكون لها نصيب من حق ، وحظ من جمال ، ونَسَم من مثل عليا ، ولـكنها — على هذا كله — تبقى مؤتمرات تضم طائفة من أهل الأرض !

ولـكنها — على هذا كله — تبقى أرضية ، أرضية ! ...

أما مؤتمر العرب اليوم ، دفاعاً عن فلسطين ، فهو نوع آخر من المؤتمرات فذ طريف ؛ من طراز لا عهد لأبناء الأمم الأخرى به ولا قبل لهم بمثله ...

هو مؤتمر برىء كرقصة العجوز ، صادق كصلاة الطفل ، رائع كلم الحسناء ، شريف كأغنية البطل فى جوف الليل .

هو ، يا أهل المشارق والمغارب ، مؤتمر اشتركت فيه الأرض والسماء ! وهل اشتركت الأرض والسماء فى مؤتمر قبل اليوم ؟! .

من يدرى ، أيها المؤتمرون ؟ لعل الأرض لم تتصل مرة بالسماء ، اتصالهما بالقاعة التى ضمتكم ، تلك القاعة التى هيأتها الأقدار لتـكون اليوم مهبط الوحى ، ولتـكونوا أنتم اليوم رسل هـذا الوحى إلى العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ! ..

من يدرى ، أيها المؤتمرون ؟ لعل مواكب العرائس من الحور العين كانت تمتد على حفافى طريقكم إلى قاعة المؤتمر مزغردات ، هازجات ، فأنارت على رؤوسكم الفل والياسمين والريحان ، نافحات مواكبكم بأطايب العطور ! ..

من يدرى ، أيها المؤتمرون ؟ لعل أجنحة الملائكة كانت تخفق فى جو القاعة المباركة ، فتنفض عليه النور والقوة ، والمضاء والثقة ؛ ولعل أرواح الأنبياء كانت — إذ وطأت أقدامكم عتبتها — تفوح حمداً ودعاء ، احتفالاً برسل الأخوة ، وقيام الدعوة مرة أخرى إلى « حِطّين » ثانية ! .. آيات من وحى السماء كانت

من يدرى ، أيها المؤتمرون ؟ لعل آيات من وحى السماء كانت تتنزل على شفاهكم حين تكلمت قلوبكم من على المنابر الخاشعة ، فخنس — إذ تكلمت — الشيطان ، وارتمد الأرعن العجلان ، وكبَّرت وهللت — إذ تعاهدتم — الأرض والسماء وملائكة الرحمن ! ..

اليوم تأتمرون ، وتصلون لأجل فلسطين ، يا بقايا السيوف ، وأحفاد الفاتحين ..

واليوم تتلفت فلسطين المفجوعة ، ترسل النظر الحائر الدامع إلى قبـلة الحرم ، ترتقب من قاعة المؤتمر ومضة النور ، ونفحة القوة ، ودعوة الجهاد ؛ وجبل النار ، جبل النار الذى صهرته الشدائد ، وهدته النوازل ، وطهرته الدماء ، واجتاحته النـار ليكون روضة من رياض الجنان ، يرتقب اليوم من مؤتمركم قطرات الندى لزهره الذى ذوى ، وانبعاث الربيع لربعه الذى أقوى ، وانتعاش الحياة فى هيكله الذى يضوى .

اليوم ، تأتمرون ، وتُصلون لأجل فلسطين ، يا بقايا السيوف ، وأحفاد الفاتحين ! ..

واليوم ، ترنو إليكم — فى إسارها ومحنتها — بضراعة الهوان ، وانكسار الذليل ، واستغاثة المصاب ، ابنة عم قيدوها عند صخرة المسجد الأقصى ، ومهد المسيح

اليوم تمد يديها إليكم ، وقد بهرتها الشدائد ، وفدحتها المصائب ، وأجهدها اللغوب ؛ وأبناؤها المدافعون بالأيدى عنها ، يتساقطون — والهف نفسى عليهم — بالقرب منها عزلا واحداً بعد واحد ، وزمرة بعد زمرة ، مشردين فى مجاهل المفاوز ، وخوادع السبل ، بين شاب كزهر الصبح معفر الوجه — واحسرتاه — بالرمال ، وشيخ يلفظ النفس فى شعاف الجبال ، وطفل يتضور جوعاً فى الحصار ، وفتاة كالبدر تبكى مروعة فى الأسحار ، وفارس يصبح ويمسى كل يوم فى ميدان ، لحافه السماء ومهاده صهوة الخيل ، وقوته الأعشاب ، يذب عن ثانى القبلتين وأيكة الأنبياء والأقطاب ، وخميلة الوحى والايمان ، وعروس الأديان

فى كل زمان ؛ يذب عن عذارى العرب المروعات ، يذب عن الأعراض والحرمات، يذب عن الشرف العربى خشية أن يهان، يذب واهباً لله نفسه ، والوطن روحه ، والعروبة ماله ، فاتحاً ذراعيه للقاء العرائس الملوحات له من وراء النظر وقد فتحن له باسمات مزغردات أبواب الجنان ، ففاحت عطورها ، وتضوعت زهورها ، وهبت نسائمها ، وصدحت طيورها ، وكبرت وهللت سدنتها يباركون « العريس » الجديد ، يباركون الزائر القادم ، يباركون هذا الجندى الفارس الملثم من جنود صلاح الدين ... !

اليوم تأعرون وتصلون لأجل فلسطين ، يا بقايا السيوف ، وأحفاد الفاتحين !

واليوم أنتم اليد الملائكية الناعمة ، تمتد فى هدأة الليل ، لتكفكف دموع ذلك اليتيم العربى الهائم على وجهه فى فيافى بئر السبع ؟ يفتش عن جثة الأب الشهيد !

أنتم اليوم قطرات الندى يتساقط في غلس الفجر على قبور الشهداء فترف على زهرات هذه القبور ؛ تلك الزهرات التى رويت من دم قلوبهم فتفتقت — فى روائها ونضرتها — رمزاً حياً لأمانينا ومثلنا ، رمزاً لأمانى العروبة المجاهدة فى فلسطين !

أنتم اليوم زمجرة الثأر تعصف فتهتز لها طرباً عظام الشهداء الهاجعين فى سفوح الجبال ، وترقص عليها النسوة المروعات فى الأسحار !

أنتم اليوم لمة النور تومض في مهامي الأفق النائم ، فتهفو لها قلوب المؤمنين الآمنين المحاصرين فى أجواف الدور ، وشعاف الجبال ، فى فلسطين !

أنتم اليوم بسمة الأمل لمن خلف المجاهدون فى فلسطين وراءهم من شيوخ وأطفال ونساء !

أنتم اليوم ، لحن العزاء لهؤلاء الشيوخ المكابدين لواعج الأحزان على حرمات تنتهك ، ونفوس تزهق ، ووطن يستباح، وشعب يموت، وحق يهضم ، لسواد عيون شعب «مدلل» جيل، لسواد عيون الحسان من بنات صهيون !

أنتم اليوم شبح القصاص يطارد ، بعد موهن الليل . بنات صهيون المجررات عند المسجد الأقصى أذيال الخطايا والآثام !

أنتم اليوم حلم الخلاص الجيل يداعب جفون العذراء العربية عند مهد المسيح النارقة فى غفوة الأحلام ؟

أنتم ... أنتم ... وإن لم يكن بيدكم هذا السوط الذى يهزه اليوم هتلر وموسولينى فى وجههم ... فاذا هم كالأنعام ...

أنتم ... أنتم ... وفيكم اليوم ما يخيف : فيكم تاريخ يثور، وماض يبعث ، وحاضر يتوثب ، ومستقبل يتوعد ، وعلى لسانكم — فوق هذا وذاك — حق يتكلم

والمجرم ، المجرم ، يا قوم ؛ هو أجبن خلق الله وإن كان أقوى الأقوياء ! هو يحمل اللعنة فى ثيابه ، وإهابه ، ويرن أبداً بين أذنيه صوت القصاص ...

أنتم ... أنتم ... وفيكم اليوم ما يخيف : اليوم يعلمون حق العلم أن هؤلاء الذين أمامهم هم الذين عرفوهم ، منذ قرون تحت أسوار أورشليم . واليوم يعلمون حق العلم أن أولئك الفرسان الذين يسابقون الريح فى خطوط النار ، هم هم الفرسان الذى كان يرتفع غبارهم وراء رايات صلاح الدين فى حطين ...

وكل عربي اليوم صلاح الدين . وكل بلد عربي اليوم حطين أيها المؤتمرون :

أتقولون اليوم : إن فلسطين لأهل فلسطين ، وإن ما يقترف فى فلسطين اليوم دونه مآسى تيمورلنك ، ونيرون ، وجنكيز ؟ أم تقولون إن العرب لن يرضوا بعد اليوم بمَظلمة يهودى صهيونى واحد ترى فى فلسطين ؟ ! هـذه المظمة المنتنة التى عافتها أنوف العالمين ، أتقولون هذا ؟ حذار ! حذار ! فالسلم العزيز الرهيف النحيف إذن « يتوعك » والتوازن الدولى الجليل الحسّاس يختل وينضب ، والدنيا تصبح فى خطر ، وأصحاب الضمائر والعهود الصادقة لن يرضوا فى حال من الأحوال أن ينكثوا بعهد قطعوه ، ووعد منحوه على حساب شعب برئ آمن مطمئن !

السلم ، والمدنية ، وحق تقرير مصير الشعوب ؛ كل هذا هو الحسان اللواتى لسواد عيونهن قاموا وقعدوا ، وأرغوا وأزبدوا، يوم حطم موسولينى تحت سنابك خيله أعرق تاج فى ربوع الحبشة

واليوم لسواد عيون هذه الحسان نفسها ، يجلون فى فلسطين شعباً كاملا عن وطن آبائه وأجداده ليحلوا محله حثالات الشعوب فهم يخربون المدن ، ويقطعون السبل ، ويحاصرون الآمنين ، ويروّعون النساء ، ويقتّلون الأطفال . كل هذا لأجل السلام ! ووفاء بالعهود والوعود !

أفتدرون ، يا قوم ، ما الفرق ؟

الفرق هو أن يد موسوليني يد قاسية تؤلم إذ تضرب وتوجع ..
وأما يدهم فناعمة رهفة ، فهى — إذ تضرب — كأنها
تربت وتلاعب وتغازل ..

إذن اضربونا ، اضربونا ما أجمل هذه الأيدى وما أشد
نعومتها ! .. وما أحلى ضرباتها ، يامنصفون !

***

أيها السلم ، أيها التوازن الدولى ، أيتها المعاهدات والوعود !
أيتها الحسان الزرق العيون ، يا معبودات تشمبرلن ودبلاديه
خذونى ، وضمونى بين ذراعيكم إلى صدركم الجميل ! ..

يا لله ، ما أعجب شأنكن ! أنتن فى أحلام الشعراء ، وعلى
ألسنة الساسة ، وفى كتب القانون ، تلك « المروحة » أمام وجه
الانسانية الثائرة المحمومة ، تخفف عنها وطأة الحر والحمى ! ..
أنتن عند هؤلاء رسل الحب والقبل بين الناس ... وأنتن
— فى الواقع الملموس — ذئاب تعوى ، وأرانب تفر ، وثعالب
تمكر ؛ بل أنتن هذا الثوب الفضفاض الجميل الذى يحيكونه
فى لندن وباريس ليحجبوا به عن الأعين الدم القاطر من أيديهم !
أنتن — كما قيل — « القفاز الأبيض فى اليد الحمراء » ،
« أنتن النقاب الخادع يستر الوجه الكاشر ، والطرف الغادر » ،
« أنتن حجة ذئب « لا فونتين » يفرضها على الحمل الضعيف » ،
« أنتن معانى الظلم والعنف واللصوصية والاغتصاب تختبىء
فى مصطلحات القوانين ! .. أنتن .. أنتن كل ما بلغت الانسانية ،
بعد جهاد قرون ، من قدرة على الكذب والتمويه !

سمعنا ، يا حسان ؛ أن أبا كن ويلسن ، هذا السياسي الطيب
القلب سياسي الكتب والأحلام ، قد أقام لكن هناك على ضفاف
بحيرة « جنيف » الساحرة مقراً منيفاً ترسلون منه إلى العالم
أجمع قبلات الحب والأخوة ، ورسائل السلام والوئام ، وتبعثون
منه ، وإلى السماء صلوات المثل العليا ! ..

أيها الطيب القلب ، الثاوى فى هدوء الضمير ،
إسمعنا من هنا ، اسمع أنات عانينا ، ونشجات باكينا ،
وضجات جناحنا المهيض .

إسمعنا : إن هذا القصر الذى شدته بيديك الطاهرتين
الشبوبتين ليكون هيكلا مقدساً لصلوات نساك الحب والمساواة
والسلام ، أصبح اليوم حانة من حانات الليل ، تدار فيها خمور
الشهوات ، وتدفع بالثملين معربدين فى أجواء العالم ، وبقاع
الأرض ، عائثين فيها كاشرة أنيابهم ، محمرة عيونهم ، مفتحة
خياشيمهم ، ممكرين على الانسانية صفوها ، منغصين عليها
أحلامها ! ..

أصبح اليوم داراً من دور الميسر تلهو به الأمم الكبيرة
لا الأفراد ، و « الروليت » هناك تدور وتدور ، و « القبيش »
يرتفع ويهبط ، وهى فى هذا الدوران والارتفاع والهبوط تدور
معهما وترتفع وتهبط لا أموال الأفراد ، ولكن — واحر
قلباه — مصائر الشعوب ، ومقدرات الأمم والضعفاء ! ..

أصبح اليوم : سوقاً يأوى إليها تجار الرقيق « بالجملة »
« ليتساوموا » فيه ، ويتبادلوا ، ويتهادوا ! ..

أصبح اليوم مأوى للذئاب الخائفين من شرور أنفسهم !
والآن ، أيها المؤتمرون ، إن فلسطين تناديكم .

تنادى المتربعين على عروش التين كانت تصهل خيولهم ، وتلمع
أسنتهم ، ويرتفع غبارهم ، تحت أسوار أورشليم ! ..

فمن يكون اليوم منهم صلاح الدين ؟

من يكون اليوم منهم « المعتصم » لينقذ اليوم ألف عربية
بين أيدى الجنود تنادى من وراء قضبان الحديد ، فى غلس الليل
« وامعتصماه ! » ؟

أيها المؤتمرون ، أيها الملوك ، أيها الأطفال ، أيها الشيوخ
أيتها العجائز ، أيها العرب ، أيها المسلمون : صلوا حين تأوون إلى
فراشكم وحين تصبحون ، لأجل فلسطين !

صلوا حين تجلسون إلى موائدكم لأجل المتضورين جوعاً
فى فلسطين !

صلوا حين تجلسون إلى أولادكم لأجل اليتامى المشردين
فى فلسطين !

صلوا حين تجلسون إلى نسائكم لأجل الأرامل المروعات
فى فلسطين !

صلوا : لأجل الشهيد العربى المجهول الهاجع بين وكور
النسور فى جبل النار .

صلوا لأجله : فهناك من تراب النبى حفنة ، ومن البقيع
الأطهر قطعة ، ومن الفراديس روضة ، ومن رضى الله بسمة
ومن البركان نفحة .

صلوا ، صلوا لأجل الشهيد العربى فى فلسطين .

« حمص — سوريا »

ماجد الأتاسي

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الاحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

ياشباب الوادى خذوا معانى العظمة فى نسقها الاعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ......

— ٢٤ —

وأنى للرئيس أن يستمرىء الراحة أو يهفو إليها حتى يفرغ من رسالته ؟ لذلك فهو يحمل للعمل وقته جميعاً لايكاد يدعه لحظة وكان له فى هذا الجهاد الأكبر خير عون من عافيته وقوة بدنه ، فلقد بنته الغابة كما تبنى دوحاتها العظيمة ، كأنما كانت تهيئه لهذه العظائم . . .

ولم تكن الحرب وحدها هى كل مايحمل الرئيس من عبء، فلقد كان له ممن يعمل معهم من الرجال ، كما كان له من اختلاف الأحزاب وتبلبل الرأى العام أثقال فوق أثقاله .

وهناك عدا ذلك موقف الولايات الوسطى التى عرفت باسم المحايدة فكان يخشى الرئيس أن تنضم إلى الاتحاد الجنوبى فتزيدهم قوة وعزما ولن تكون تلك القوة فى الوقت نفسه إلا خسراناً لأهل الشمال . . .

ثم هناك موقف أوربا من هذا النزاع . . . وهو أمر له خطره يحسب الرئيس له ألف حساب ، وإن كان سيوارد لايرى له أول الأمر مايراه الرئيس من خطر .

***

ولم يترك الناس رئيسهم يعمل لقضيتهم الكبرى فحسب ، بل راح الكثيرون يطرقون بابه يرجونه ويسألونه إلحافاً ، فهذا ممن ساعدوا الحزب الجمهورى يطلب من طريق خفى أن يكافأ على خدماته . . . وذاك يطلب وظيفة يأكل من راتبه فيها . . . والوظفون فى البيت الأبيض يعجبون من هذا الرئيس الذى لايجعل فرقا كبيراً بين قاعة الحكم هناك وبين حجرة مكتبه فى سبرنجفيلد . .

لقد جعل للناس يومين كل أسبوع يلقاهم فيهما جميعاً لا يوصد بابه فى وجه أحد ، وإنه ليستمع إلى كل ذى حاجة، فان استطاع أن يمد إليه يد المساعدة دون أن يجور بذلك على القانون لم يتردد أو يتأخر . وكثيراً ما كان يجعل الرحمة فوق العدل ، إذا رأى نفسه بين أن يعدل فيقسو أو يرحم فيميل بعض الميل . . . ولكنه فى ذلك لايسىء إلى الخلق أو يتهاون فى قاعدة جوهرية وحاشاه أن يفعل هذا أو ماهو دونه . . .

ولن يضيق صدره بذوى الحاجات لديه ، مع أنهم كانوا يلقونه على السلم ، ويقفون أمام غرفته صفوفاً خلف صفوف، بل كثيراً ما كانوا يستوقفونه فى الطريق ويزحمونه . . . ولكنه من الكاظمين الغيظ . . ولن يستطيع قلبه الكبير أن ينهر السائل فيزيده بؤساً على بؤسه ، وهو الذى عرف اليتم منذ حداثته وذاق الشقاء ألواناً . . .

على أنه مهما بلغ من رحمته وبره بالمساكين ، يعرف أساليب الماكرين ، فلا ينخدع بما يراه من ادعاءاتهم فيصرفهم بالحسنى وإلا فبشىء من الشدة يشبه التأنيب ويراد به الزجر . . . دخل عليه رجل كسرت ساقه يسأله عملا إذ قد فقد رجله فى الحرب ، فسأله الرئيس أيحمل أية شهادة أو دليلا على صدق دعواه ، ولكن الرجل لايحمل شيئاً، فصاح به الرئيس قائلا : «ماذا؟ ليس لديك أى أوراق أو أى شهادات أو أى شىء يرينا كيف فقدت رجلك . . . فليت شعرى كيف أتبين أنك لم تفقدها فى فخ وقعت فيه وقد سطوت على بستان غيرك . . . »

ويعجب القائمون على الحكومة كيف يطيق الرئيس وقد ملأت وقته الأحداث الجسام أن يأتى هؤلاء الناس ويستمع إلى مثل هذه الأمور الصغيرة وكان جديرا به أن يكلها إلى غيره ... ولكن أليس هو من الناس ؟ أليس هو خادم الجميع قبل أن يكون رئيس الجميع ؟ وهل يغير المنصب ما فطرت عليه الأنفس الكريمة من كريم الخصال ؟ ...

ها هو ذا ابراهام النجار تراه فى البيت الأبيض ولم يزل هو هو، وداعة فى قوة ، وتواضع فى عزة ، ورقة فى وقار ... ومن وراء ذلك قلب تسع رحمته شكوى الناس جميعا ، قلب لا يهنأ ولا يفرح إلا إذا صنع المعروف وأدلى الجميل فأفرح القلوب وأدخل عليها الهناءة .

وما كان أعظم الرئيس وأجل خلقه حين يلقى فى الطريق إلى غرفته أحد معارفه ممن لاقاهم قبلُ فى مضطرب الحياة ، فيقف يضحك وإياه ويده على كتفه ويسأل عن أمره وأمر أسرته ... ولقد يأخذه معه إلى قاعة الرياسة فيذكر له الأيام الماضيـة حتى ما يشعر الرجل أنه بين يدى رئيس الولايات المتحدة

ثم ما كان أعظم الرئيس حين كان الفقراء يستوقفونه فى الطريق فيقف ليستمع إليهم وليكلمهم كأنه أحدهم، فلا ترفع ولا كبرياء. ولن يستنكف الرئيس أن يطيل الحديث أحيانا عله يستطيع أن يكفكف بكلامه شيئاً من دموعهم ويخفف بالعطف عليهم بعض آلامهم ... ولئن كانت له حيلة إلى إجابتهم إلى ما سألوا فما هو عن ذلك بضنين

ولقد كان ينكر عليه مسلكه هذا بعض موظفى البيت الأبيض .. ولكنهم حين كانوا يزعمون أنه لا يليق ذلك بمن كان فى مثل مركزه كان يغيب عنهم أنه لا مسلك غيره لمن كان له مثل قلبه . على أنهم لم يلبثوا أن أكبروا الرئيس وأعجبوا بخلاله ، وأصبحوا لا يرون أى مأخذ عليه ، وأصبح من المناظر المألوفة عنـدهم أن يدخل أحدهم ببطاقة للرئيس فيراه ينهض بنفسه إلى خارج الحجرة يلقى مرسلها مرحبا ضاحكا . . . أو أن يروه يأتى بنفسه إلى الحاجب فينهره حين يسمعه يمنع طالبى الدخول عليه ...

أما الوزراء وكبار الموظفين وقواد الجيش فقد اعتادوا أن يروا الرئيس يسعى إليهم أحياناً بدل أن يدعوهم إليه . . وكثيراً ما كان يلتفت الواحد منهم فاذا حاجبه مقبل يعلن إليه أن الرئيس على السلم أو فى طريقه إليه

ويدخل الرئيس فيجلس إلى مرؤوسه يستفهمه عما يريد وينصت إليه ؛ فان كلمه مرؤوسه فى أمر فنى كلام الاخصائى ، لايستنكف الرئيس أن يستوضحه وكأنه منه التلميذ حيال أستاذه ؛ ويعجب المرؤوسون من هذا الرجل الذى لايدعى أبداً العلم فى أمر يجهله ، والذى يفهم ما يُبَيَّنُ له فى فطنة وسرعة

* * *

ماجت وشنجطون بالمتطوعين حتى أصبحت المدينة معسكراً عظيما ، ولكن الرئيس يعوزه القواد ... وإنه ليطيل التفكير فيمن عساهم أن يصلحوا للقيادة فى هذا النضال الهائل .. إن على رأس القوات الآن القائد سكوت ولكنه شيخ كبير ناهز الخامسة والسبعين ، والموقف يتطلب قائداً فتياً يبث من روحه فى قلوب جنده ويمشى بهم إلى النصر ... ألا ليت القائد لى لم يرفض ما عرض عليـه ، ولكن بئس ما فعل لى فلقد انضم إلى الثائرين وأصبح من أكبر قوادهم

فكر الرئيس وتدبر .. وأخذ يقلب الأمر على وجوهه والرأى العام من حوله يزيد موقفه صعوبة ، فلكل حزب رأى ، ولكل جماعة فكرة ، ولحكام الولايات آراؤهم وإلا توقفوا عن إرسال الجنود ... والرئيس يتمنى أن يهيئ له الناس بسكوتهم الجو ليختار قواده على أساس الكفاية ولكنهم لا يفعلون ، وهو لا يستطيع أن يغضب تلك الجهات فى هذه الظروف القاسية ، بينما هو فى الوقت نفسه لا يستطيع أن يرضيهم جميعاً

ويستعرض الرئيس الوقف الحربى ، فيجد القائد ماكيلان قد وفق فى أعماله فى فرجينيا الغربية ، ويسمع الثنـاء عليه من جهات كثيرة حتى لقد سماه نابليون الجديد ... ولذلك يدعوه الرئيس ويعينه قائداً عاماً للقوات فى فرجينيا

وتتجه الأنظار كلها إلى القائد ماكيلان فهو شاب فى الرابعة والثلاثين ؛ وفيه كثير من الصفات التى تحمل الناس على محبته ؛ فله حسن السمت وهيبة الطلعة وروح الشباب ؛ وله من صغر جرمه ما يشبه به نابليون ، وكذلك له من صفات نابليون بريق عينيه ومضاء عزيمته وتوقد حماسته

وسرعان ما تعظم شهرته حتى يجرى اسمه على الألسن جميعاً ؛ وكم له فى الحياة من أشباه ممن قامت شهرتهم على أوهام الجماعات ولكن لعل الأيام تثبت جدارته ، فان الأعين والقلوب متفقة على الاعجاب به

على أن للشباب نزعاته ونزواته ، فهذا القائد يدل بجاهه من أول الأمر ، حتى ليعد نفسه الرجل الوحيد الذى يستطيع أن ينقذ البلاد مما هى فيه ... ولقد شايعه فى هذا الزعم كثير من الناس ... حتى رجال مجلس الوزراء قد عظمت ثقتهم فيه إلى حد أنهم كانوا يميلون إلى جانبه أحياناً إذا هو رأى ما لا يرى الرئيس والرئيس يتذرع بالصبر ويتغاضى عن ذلك فى سبيل ما يعقده من الآمال على ما عساه أن يأتى به ذلك الشاب

وأخذ القائد الشاب يدرب مائتى ألف رجل على حدود

فرجينيا، وقام بذلك العمل على خير ما يرجى ، ولكنه أطال التدريب وأطاله حتى تسرب الملل إلى الرأى العام فضاق بما يفعل فان الناس كانوا يستعجلون الزحف ؛ وكذلك ضاق الرئيس ذرعا، ولكن ما كليلان يعد الناس أنه يستعد لحركة عظمى سوف تطفئ نار الثورة

وشاع فى النـاس اسم قائد آخر هو القائد فريمونت ، ولقد كانت له مواقف محمودة فى الجهات الغربية يومئذ ، وكان هذا الرجل من قبل أول مرشحى الحزب الجمهورى للرياسة فله بذلك فى الناس منزلته وخطره ، وله فى قلوب الساسة وأولى الرأى نفوذ كبير

ولن يقل فريمونت عن ما كليلان اعتزازا وترفعا ، فهو يحيط نفسه بفرقة من الحرس ، ويرقى بعض الجند دون أن يرجع إلى الرئيس وهو بحكم مركزه القائد الأعلى لقوات الدولة . . . وكذلك يتباطأ فريمونت فى الرد على البريد القادم من العاصمة ... ولن يقف الأمر عند ذلك ، بل تأتى الأنباء أن فريمونت ينوى إقامة اتحاد ثالث فى الجهات الشمالية الغربية

ولكن الرئيس لا يصدق هذه الأنباء فهو واثق قبل كل شىء من إخلاص الرجلين لقضية الاتحاد ، وإلا فما كان ليضعهما حيث وضع مهما يكن من الأمر

وأحاط فريمونت نفسه أول الأمر بجو من السكوت، ولكنه ما لبث أن أذاع قرارا خطيرا اهتز له الرئيس وتبرم منه وضاق به ، وذلك أن القائد أنذر أهل مسورى فى آخر شهر أغسطس عام ١٨٦١ ، أى بعد قيام الحرب بنحو أربعة أشهر أنه ينفذ قوانين الحرب فى الولاية ، ولذلك فهو يحدد منطقة يجعلها محرمة ، يعدم كل من يحمل السلاح فيها ضد حكومة الاتحاد وكذلك يعلن القائد أن كل من تحدثه نفسه بالثورة من أهل الولاية جميعا يكون جزاؤه مصادرة أملاكه وتحرير عبيده إن كان له عبيد ...

ارتاع لنكولن للقرار وتربد وجهه وأوشك أن ينفد صبره ، وكان يلاحظ من يرونه غداة هذا القرار علامات الهم الشديد على محياه ، ولكنهم كانوا كذلك يلمحون أمارات العزم والصلابة ودلائل الحزم والثبات

انزعج الرئيس لإثارة مسألة العبيد فى تلك الآونة ، فلقد جعل مبدأ الحرب من أول الأمر المحافظة على الاتحاد ، حتى تكون قضية دستورية لا عيب فيها ، وبذلك تجد سبيلها إلى القلوب وتستنهض الهمم بما تثيره عدالتها من حماسة ولا تدع سبيلا لأحد أن يتهم أهل الشمال بأنهم أوقدوا النار من أجل أغراضهم وعواطفهم فى مسألة العبيد . . . وكذلك كان يتحاشى الرئيس إثارة تلك المسألة حتى لا تثور الولايات المحايدة وتنضم إلى أهل الجنوب ، ويفقد الرئيس كل أمل فى ضمها إلى جانبه ، ومن تلك الولايات مسورى نفسها فقد كان فيها كثير ممن يقتنون العبيد ، وأهم منها وأعظم خطرا كانت ولاية كنتوكى التى ينتمى إليها الرئيس منذ نشأته ، فلقد بذل الرئيس كل ما فى وسعه للمحافظة على مودة أهلها لتنضم إلى جانبه أو لتبقى على الأقل محايدة ، فلموقعها الجغرافى فى الحرب شأن أى شأن

ولكن هذه السياسة الرشيدة العاقلة التى جرى عليها الرئيس ما لبثت أن طاح بها ذلك القرار الطائش ؛ فسرعان ما هاجت الخواطر فى تلك الولايات المحايدة ، وسرعان ما جزع كثير ممن يسلمون بنظام العبيد من أهل الولايات الشمالية

وعظم خطر هـذا القرار حتى أصبح نقطة تحول جديد فى الموقف كله . . . ونظر الرئيس فاذا هو تلقاء عاصفة شديدة من الرأى العام ، فأن دعاة التحرير وأعداء نظام العبيد ما لبثوا أن هتفوا بالقائد الجرىء الحازم ، وراحوا يتمدحون خطته بقدر ما يعيبون على الرئيس تردده وخوره

وانطلقت الصحف تدعو الرئيس أن يقر فريمونت وأن يحذو حذوه فيعلن قرارا عاما ينطبق على الولايات الثائرة جميعا . ولما وجدوا منه الإعراض والغضب ، عصفت برؤوسهم النزوات وراح بعضهم يدعو إلى إرغام الرئيس على الاعتزال ووضع فريمونت فى مكانه

ويتطلع الرئيس بعينيه الواسعتين فاذا بوادر الفرقة والتنازع تكاد تقضى على قضية البلاد ، وإذا العاصفة تشتد وتشتد ؛ ولكنه الرجل الذى لم يخلق له الفزع ؛ وهل يذكر أنه خاف العاصفة يوما ما حينما كانت تنطلق عاتية مدوية فتهتز لها أرجاء الغابة ، وهو واقف منها موقف المتفرج ؛ ذلك الموقف الذى ما كان يطيقه صبى فى مثل سنه إلا إذا كان مثله من بنى الأحراج الذين ألفوا ملاقاة العواصف ؟ . . .

« يتبع »

الخفيف

خاطر

رفائيل

الدنيا ذات الطهر والسحر

«مهداة إلى لجنة إنهاض اللغة العربية»

للآنسة الفاضلة ف . ن

كنت أود لو أن الصديقة التي قضيت معها ساعات القيلولة من كل يوم طيلة أيام الربيع الماضي ، تحكي هذا الذي أريد أن أحكيه عنها وعني ، فلقد كانت حافلة بموضوع الحديث ، مشوقة للبحث فيه ، هيابة لذكراه ، إذا ما أقدمت على طرقه فكأنها تقدم على طرق حديث من عند الله ... وما كانت لتنساه ، ولم يكن لها مجال لتنساه وأنا معها ليلَ نهار !

— رفائيل أيضاً ؟ .

— أيضاً رفائيل ! .

هكذا كانت تبتدرني كلما لقيتني في فناء المدرسة أو في ناحية من نواحيها ، متأبطة كتاب رفائيل ، وهكذا كنت أرد عليها وأردف بابتسامة تفهم معناها الذي في قلبي .. ثم أسير عنها ، فاذا بها تتبعني . كأني أحمل قوة من السحر تجذبها من غير أن تدري ! وأدرك ناحية هادئة اعتدتها فأحتل مكاناً لي فيها كفلته خالياً كثرة جلوسي هناك ، فاذا بها قربي .. وأتجاهل ما تريد فأصمت عنها وهي ترتقب حركة مني ، حتى إذا وثقت من إصراري على الصمت صاحت بي وقد نفد صبرها « افتحي ! » فأبتسم .. وأفتح . . . ونقرأ الكتاب الذي أعجز عن عدّ المرات التي قرأناه فيها وكأننا نقرأ لأول مرة . وتستوقفنا المعاني الرائعة فتنفلت من صدرينا آهات خافتة هي التأثر ، وهي الإعجاب ، وهي صدى الروعة في النفس وفعلها في الشعور ! ونغرق في السحر الذي يفيض من قلبينا حتى يغمرنا ، ونذهب في سكرة لذيذة لا نصحو منها إلا على صوت الجرس ، معلناً انتهاء ساعات الفراغ ، فينال من لمناتنا ما ينال ونحن في حنق عليه !

هكذا بدأت أيام إعجابها الأولى بالكتاب ، ثم سارت — هذه الأيام — في طليعة أيام بعدها ، حفرت لها في قلبينا أثراً بعيداً لن تمحوه الحوادث مهما جارت ! . . تلك كانت ساعات القيلولة في الربيع الماضي ، عند ما نجد أثر النعاس اللذيذ في كل جفن ، على الرغم من توسط الشمس قبة السماء بهيجة ساطعة ؛ وعند ما نلمس روح الهدوء في كل حي ، كأن الكل شعراء يحلمون !

هكذا كان تحفلها بالكتاب عظيماً وأنا أطلعها عليه للمرات الأول . على أنها لا تفهم العربية الفصحى جيداً ، فكنت أتناول عميق المعاني بالافصاح والطلوع بهـا إلى سطح معرفتها باللغة — وفي هذا ما فيه من تشويه — فلا تمالك نفسها من أن تقول والدهشة تملأ فاها « أهذا السحر في العربيـة ؟ » فأجيب « بل وفي قلم الزيات أيضاً : »

ما كانت تدري أن في العربية سحراً ، وقد شبت جاهلة بها . وهي وإن كانت عربية فيها دم فارسي إلا أنها تجيد الفرنسية قبل كل لغة (هكذا شاءت إرادة المدارس الفرنسية ، وهكذا خضعت حكومات البلاد العربية لهذه الارادة القاسية !)

لقد عرفتها قبل أن أعرّفها (رفائيل) بثلاثة أعوام ، أطلعتها فيها على كثير مما جادت به القرائح والأقلام العربية فأعجبت بالكل وذهلت برفائيل ! ولم يكن هذا الاعجاب الطاغي ، أو هذا (الذهول) ليغمط حق سائر الكتب التي اطلعت عليها . فلكل طريقته وأسلوبه وروائع معانيه ، إنما في (رفائيل) روح لا توجد في سواه ، روح عالية سماوية ليس فيها من نزعات الأرض واحدة !

— ماذا ؟ أصديق جديد ؟

قالت عند ما رأت (رفائيل) في يدي لأول مرة . . كلمتان اعتادت أن تقولها كلما رأت في يدي كتاباً جديداً . .

قلت : لا ، بل معلم مجيد ، بل عالم سماوي ليس فيه خبث ولا دنس . إنه (رفائيل) روح من السماء كما كانت في السماء . .

* * *

كنت أود لو أن الصديقة التي قضيت معها الساعات الغارقة في الاعجاب ، المتسامية بروحينا عن عالم وضيع إلى دنيا ليس فيها حياة إلا الطهر والسحر . . كنت أود لو أنها تحكي هذا الذي حكيته ، إلا أنها بعيدة . . وإلا أن هذا الخاطر هاج فيّ ولا أظنه هاج فيها ، وذلك لنظري إلى الكتاب لا كنظرتها فقط ، إنما هناك عوامل أخرى ، تخلق فيّ نظرة أخرى ، تقيم الخشوع في نفسي كلما ذكرت شيئاً من الكتاب أو قرأت فيه شيئاً . .

أنا عند ما أقرأ مأساة رائعة أبكي ويعتصر الألم قلبي فألازمه أياماً .. وعند ما أقرأ صفحة في البطولة ، تهيج في نفسي عوامل الشعور بالقوة في الروح وفي الجسم وفي الأماني ، وفي كياني كله . ولكني عند ما أقرأ (رفائيل) أحسُّ عالماً جديداً في داخلي ، وعالماً جديداً حوالي !

***

سواء على أوثق القراء بما أقول أم لم يثقوا ، فحسبي أني أصف خاطراً في نفسي أهاجته خواطر في نفوس الغير .. سواء على أوثق القراء من أني لم ألقَ تهذيباً في البيت أو في المدرسة من أمي أو من مدرّساتي ، أو من أية ناحية من نواحي الحياة بقدر ما ألقى في صفحة .. بل في بضع جمل من رفائيل !. سواء أوثق القراء أم أبوا فاني أقول هذا للحقيقة لا للدعاية — وهل يحتاج مثل رفائيل للدعاية ؟

كل ما في نفسي من غرائزها البشرية الرديئة ، كل ما فيّ من أثرة وحسد وبغضاء ونزوات دنيئة ، كلها تموت وتتلاشى إذا ماقرأت في رفائيل صفحة .. وأعود لا أرى في الدنيا وفي قلبي إلا المعاني الجميلة ، الدنيا الطاهرة التي في رفائيل .. وأعود لا أرى الحبّ إلا عذرياً نقياً كحب رفائيل .. ولا أرى الصداقة إلا بريئة من كل شائبة كصداقته . ولا أرى العفة في كل عاطفة إلا عفته ، ولا الدنيا الصادقة إلا دنياه ؛ ولا الحياة الزاخرة بوجدان حي إلا حياته . ولا أرى المثل الصادق للتهذيب الذي يدخل النفس من حيث لا تشعر فينقيها ويجلو محاسن ربها فيها ، ويهيئها لعالم كل مادته ومعناه وجدان طاهر وعاطفة بلا شائبة ، ذلك التهذيب اللين الجارف في غير قسوة ولا تشديد ، إلا في كلمات يلقيها رفائيل في الحس فتمهد الدرب ، في غير صعوبة ، إلى أعماقه .. وفي جمل رائعة يصف فيها حبه وحياته وآلام قلبه فتحس جلده على تحمل آلام اليأس الذي ما كان ليراه يأساً .. وصبره على حرمانه الذي يجد فيه كل المتع ، ويلقى فيه من السعادة مايحمله على الهزء بأسباب لذاذات الناس أجمعين ، اللذاذات فانية تشمئز من أصحابها ..

كذا يجب أن يكتب الكتاب ، وكذا يجب أن يقولوا للناس كباراً وناشئة .. إذ ذاك يكونون قد عرفوا عظم مسؤولياتهم تجاه الجمهور القارىء . وإذ ذاك يكف النقاد عن صيحتهم : « اتقوا الله فيما تكتبون فان عليكم تبعة الأثر الذي تتركونه في النفوس .. »

كذلك فليكتب الكتاب ، وإذ ذاك يقال عنهم إنهم مخلصون جد مخلصين ، وإذ ذاك يكونون أصحاب رسالات في الاصلاح والتهذيب لكل جيل وكل جنس وكل روح :

هذا كتاب للتهذيب ! . لعل صاحبه يوم كتبه لم يقصد به إلى هذا، إنما كذلك كانت نفسه، وقد أراد به التعبير عنها ووصف ما خالجها فجاءت هذه الصفحات الرائعة من حياة الوجدان والقلب . وإنما قصد به إلى هذا مترجم تلك الصفحات وناقلها إلى أمته أصدق نقل في أروع أسلوب وأعف حديث .. وأي بلاغة في القول المهذب أعظم من قول رفائيل في معنى « كان حبنا ينمو كل يوم دون أن تمسه يد النقصان أو الفناء، لأننا كنا لا نقطف ثماره بل ندعها حية يانعة تنمو وتنمو ! . » وأي معنى أروع في تهذيب العاطفة من غضبة الشاعر على حبيبته يوم أظهرت له تحسرها على شبابه وأيامه تنطوي بهذا الحرمان في حبها ، تلك الغضبة التي تشتد وتمتد ، حتى يترك القارئُ وفي نفسه أنه لا يذوق لذة فانية من حب مهما تيسر له ذلك ، لأن الحب هو ذلك الذي في قلب رفائيل وحبيبته ليس إلا .

***

هذا خاطر في النفس أهاجته خواطر في نفوس الناس .. وإن في النفس من رفائيل لعوالم ، وإن أثر الصفحة منه في الروح كتب .. وأثر الجملة أحلام ، وأثر الكتاب تهذيب وصقل وبلاغة قول ، وسلامة منطق ! . ولا يفكر في ترجمة رفائيل إلا ذو نفس كنفس رفائيل : فهل يشكرها الجمهور على هذه الخدمة الصادقة ، أم يشكر ربها الذي براها ؟!

وبعد فان في صدر الساعات الدافئة من الربيع الذي مات ، أثراً من آهات خافتة كانت صدى الروعة في النفس، وعمل (رفائيل) في الحس ؛ حملتها نفس (الربيع الذي مات) إلى جنة الخلد .. إلى رفائيل ! ..

الآنسة
ف . ه

« البصرة »

بين اللغة والأدب والتاريخ

الفالوذج

للأستاذ محمد شوقى أمين

— ٤ —

توجيه الاشتقاق ، الصفات فيه ، سبيل العرب فى الوضع

وإنى سائق الآن هذه الألفاظ بعرة ، فمعيدها لفظاً بعد لفظ لبيان وجه الاشتقاق ، وعلة الوضع ، وتقدير العلاقة بين اللفظ الموضوع وبين مدلول الاسم الأعجمى

والألفاظ هى : السرطراط ، السريط ، المرطراط ، اللمص ، اللواص ، الملوّص ، الرعديد . المزعزع ، الزليل ، اللقاء ، الزعفر ، الصفرّق

— ٧ —

ا — مادة سرط تصف الابتلاع وسهولته ، تقول : سرطه وتسرطه واسترطه : ابتلعه . وانسرط فى حلقه سار سيراً سهلا ثم اشتق منها : السرَط : للبلعوم ، والسرواط : للأكول ، والسرطة : للسريع الاسترط

وقد صيغ من هذه المادة : اسمان للون من الأطعمة ، الأول السريطاء ، والآخر السرّيطى ، لنوع من الحساء

فلما تمورف الفالوذج ، اشتق العرب من هذه المادة : اسمين له ، الأول : السرطراط ، بكسر السين والراء ، وبفتحان ، قال السيد مرتضى : « كررت الراء والطاء تبليناً فى وصفه ، واستلذاذ آكله إياه إذا سرطه وأساغه فى حلقه » وقد جمعه الاسكافى على سرارط [1] . وثانى الاسمين : السريط ، قال الفيروزابادى والشيرازى : هو كزُبَيْر ، وقال صاحب التاج : الصواب بتشديد الراء المفتوحة

والاشتقاق كما ترى ملحوظ فيه انسياغ الفالوذج ، وسرعة ابتلاعه !

ب — مادة مرط تصف الاسقاط والاسراع والأخذ الخاطف تقول : مرط : أسرع ، وأمرطت النخلة : سقط بسرها ، وأمرطت الناقة : أسرعت وتقدمت . وتمرط الشمر : تساقط ، وامترطه : اختلسه

وقد اشتق من هذه المادة اسم لهاة ، وهو المريطا ، لأن الطعام يسرع فيها ، ويتساقط إليها . ثم صاغوا من المادة اسماً للفالوذج وهو : المرطراط بكسر الراء والميم على زنة السرطراط ، فوجه الاشتقاق هو : ليان الفالوذج وطواعيته لامتراطه والاسراع فيه

ج — تصف مادة اللمص مما تصف : التناول بالاصبع . تقول : لمص الشيء : إذا أخذه بطرف إصبعه . قال ابن دريد : لمصت الشيء : إذا اطمته باصبعك ولحسته

وقد صيغ من هذه المادة اسم للعسل ، واسم لشيء كان يأكله الصبيان ، ذلك الاسم المشترك هو : اللمص ؛ بفتح فاسكان فأخذت هذه الصيغة للفالوذج . وعلة الأخذ واضحة ، وهى أن الفالوذج كان يتناول بالأصابع ، فى هذا الوضع روعيت طريقة التناول لهذه الحلواء

د — تدل مادة لوص على الحيدان والحركة ، تقول : لاص حاد . ولاوص : نظر نظرة الخاتل يمنة ويسرة ، وأليص : أرعش وما به لويص ، أى قوة وحركة . وتلوص : تلوّى وتقلب

وقد وضع العرب من هذه المادة اسما للعسل . فقالوا : اللواص . ثم قالوا : لوّص الرجل : أكل العسل . ثم كان منهم بعد ذلك أن أشركوا فى هذا الاسم : الفالوذج . فسموه : اللواص وأضافوا إليه اسماً ثانياً من المادة نفسها ، هو الملوص ، وهو اسم مفعول من الفعل : لوّص الذى كان مستعملا فى معنى تناول العسل ، فالتلويص فى الفالوذج كالتلويص فى الشهد

والوضع فى هذه المادة ملحوظ فيه هيئة الفالوذج ، فهو يتلوى فى الصحاف ويتقلب ، ويظل فى إرعاش وحَيَدان وهذه الصفة أوضح ما يرى من هذه الحلواء ، وأبدأ ما يبدهك من شماتها وصفاتها

هـ — مادتا : رعد وزعزع ظاهرتان فى دلالتهما على الميجان والتذبذب تقول من الأولى : ارتمد : اضطرب ، وسمى الجبان : رعديدا ، لأنه يشتد به الفرق ، فتهتز نفسه حذر المخاوف ، وتقول من الثانية : تزعزع الشيء ، تحرك تحركا شديداً

وكان بديهياً أن يلحظ العرب فى الفالوذج أنه دائب الارتجاف

(١) مبادئ اللغة (٧٣)

سريع التحرك ، يتزعزع ويتمايل ، فيرتضوا له الكلمتين : الرعديد والمزعزع . وقد سبق فى طلائع هذا البحث ذكر جواب أعرابى سئل فى الفالوذج ، فوصفه بالارتعاد ، وكذلك مضى وصف الخوارزمى له بالترجرج

و — يتحير فى صيغ مادة زلل معنى الخفة والسرعة والانزلاق ، تقول : استزله : زلَّقه ، وزلَّ هو : زلَق وسقط . والرجل الأزل : السريع . ويوصف الماء بأنه زُلال إذا كان عذباً صافياً يمر سريعاً فى الحلق

فاجتاب العرب من هذه المادة لفظاً للفالوذج . هو الزليل ، إذ كان خفيفاً على اليد حمله ، سريعاً في الفم انزلاقه . وفى مبادئ اللغة أنه يجمع على : أزِلة . ويستفاد من إثبات صاحب المبادئ لهذا الجمع أنه مسموع فوق أنه مقيس

ز — جاءت نوبة كلمة : اللُّقاء ، وتلك لم أعثر عليها فى معجم ولا أسفرَت لي فى أوراق فقه اللغة . وإنما جَرَت فى كلام لأبى العلاء المعرى ، قال[1] : « العاجلة ، كلبيد الراجلة ، يُلقى لنفيها لقاء ، ويطعم فاجرُها مُرَّ القرات … » ثم شرح ذلك فقال : « اللبيد : جوالق صغير ، أو خرج . والراجلة : الكبش الذى يحمل عليه الراعى خُرْجه . واللقاء : الفالوذج » ولقد فتشت عن هذا اللفظ كل مفتش ، فيما بين يدىَّ من المراجع ، حتى ضاق به الصدر ، فكأن أبا العلاء استخرجه من ملاعب الجن . وما أظن الظنون بشيخ المعرة ، فانى لأعلمه : صاحب الغريب ، وهدهد الشوارد . فليس لى إلا أن أستريب بحروف هذا اللفظ ، وأن أُقدِّر أن تحريفاً عدل به عن كنهه . وكان بودى أن أجلو هنا ما دار به الخاطر فيما عساه يكون الأصل ، ولكننى أوثر أن أحجم حتى أسمع كلمة الأستاذ الفاضل الذى بعث الفصول والغايات من مرقدها ، فلا بد أن يكون عنده من هذا اللفظ علم ، ولعله متفضل فمجيب . وسيتبع إحجامى عن الكلام فى الأصل ، تأخيرى النظر فى الاشتقاق . إذ كان هذا متعلقاً بذلك تعلق النتائج بالمقدمات

(١) الفصول والغايات (الأول ١١٩)

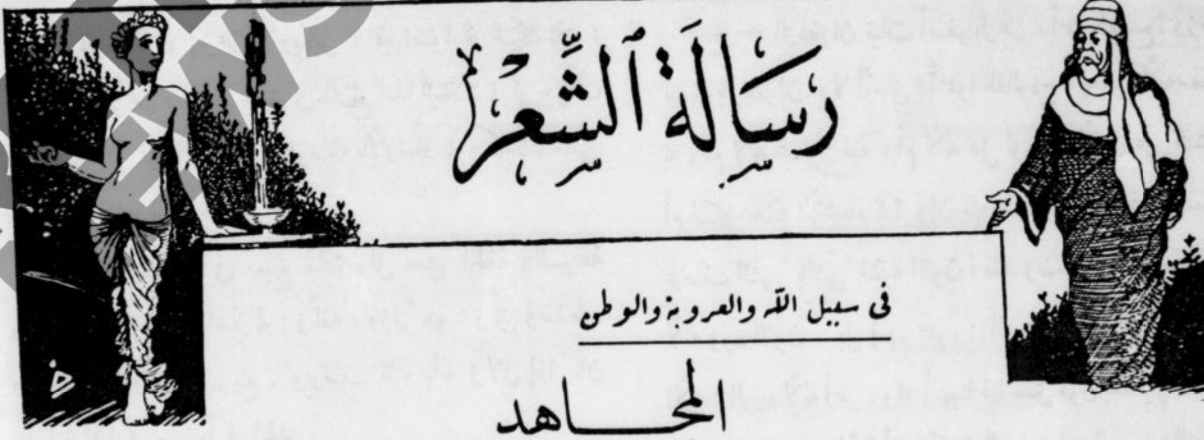
ح — الزعفران نبات أصفر الزهر ، أحمر الصبغ ، وزعفره : صبغه بالزعفران . ولا أُحق : أسموا الفالوذج مزعفراً لأنه مصبوغ به ، أم لأنه مجعول فيه ، أم لأنه على لونه ، فالأمر على التشبيه ؟ أم لكل هاته الأشياء ؟ ؟ وإن من سنة العرب في التسمية أن يوصف الشئ بالشئ لشبه اللون ، فقد وضعوا للأسد اسم الورد ، لأنه ورد اللون . بل إنهم سموه : المزعفر ، فقالوا : المزعفر : الأسد الورد لأنه أحمر . وقد أنهينا فيما سبق قول بعضهم «فالوذجة مزعفرة» ورجحنا ثمة أن تكون الزعفرة فيه الصبغ والتطييب ، وليس الكلام على التشبيه والمشاكهة

ط — أجمع فقهاء الألفاظ على أن الصُّفرُق اسم للفالوذج ، ومثل به سيبويه فى الكتاب[1] ونقله الصاغانى عن كتاب الأبنية ، وقال فى اللسان : هو الصُّفروق . ولم يثبت بناء الصفرُق . وقد انتقب وجه الاشتقاق لهذه الكلمة ، فيما لدىَّ من المظانّ . فالكلمة فى مادتها يتيمة ، إن شئت قلت : درة لها من استنجادها عظمة وزهو ، وإن شئت قلت : شريدة لا يؤاخيها شىء ، ولا تجد لها مُنتَمي . وأنا حابس القلم الساعةَ عن اقتحام الكتابة فى زائد حروفها ، ومرجعها إلى الصفرة فى اشتقاقها ، والوجه فى ذلك كله ، فلذلك مجالة أخرى[2]

« للبحث صلة » محمد شوقى أمين

(١) المخصص (الخامس ٢٠)

(٢) ما سبق من النصوص اللغوية فى المواد التى صيغت منها أسماء الفالوذج ، مردد فى المعجمات المتداولة ، وليس هو مما يعتبر رأيا خاصا تجب الاشارة إلى مرجعه . ولذلك لم نعلق عليه بذكر أسماء الكتب إلا ما كان منه فى حكم الرأى الخاص على أننا على الجملة اعتمدنا فى استظهارها على جمهرة ابن دريد ، ولسان ابن منظور ، ومعيار الشيرازى ، وتهذيب ابن السكيت ، ونهاية ابن الأثير



المجاهد

للأديب السيد جورج سلستى

(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله
أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)

أَلحبُّ والأَملُ الوضيء كلاهما   صَبوَا إليه معاً فأَعرضَ عنهما
وهفَتْ لَهُ الدنيا الطروبُ فعافَهَا   وتعلّقتهُ فصـــدّها متبرّما
وَسَعى الثراء إليهِ يخطبُ ودّهُ   فأبى وآثرَ أنْ يظلَّ المُعْدِمَا
والحُرُّ يَهزَأُ بالنُضَارِ ويزدرى   متعَ الحياةِ إذا دعا داعى الحمى!

* * *

هجرَ الأحبّةَ والمنى مُتَحَدّيًا   جُهْمَ النوَائبِ ضاحكاً متبسّما
بطَلٌ بدا فيـــه الوفاء ممثلاً   وبدا الإباء بشخصه متجسّما
بطَلٌ يَمُورُ العزْمُ فى قَسماتهِ   أبداً يُرَى ثبْتَ الجَنانِ غَشَمْشَمَا
تتَسَاءلُ الآجامُ إمّا يجتمعْ   بالليثِ أيُّهما الغضنفرُ منهما
بطَلٌ مَشى مُستَبْسِلاً ليذودَ عن   وَطَنٍ يعزُّ عليـــه أنْ يتقسّما
إِنّى أرَاهُ وقد ذكا لَهَبُ الوغى   وتَسعَّرَتْ نيرانُها متحـــدّما
مُتَوثّبًا أبداً على أعـــدائه   شـــأنَ الأتىّ تدفعاً وتَهَجُّمَا
يُصْلى فوارسَهُمْ وهم يُصْلونَهُ   نارًا أشدّ من الجحيمِ تضرُّمَا
فاذاهُمُ انهزموا فذاكَ، وإن قضى   صلّى الإلهُ على ثراهُ وسـلّمَا

* * *

يا سائلى عمّن قضى مُستَشهِدًا   روحى فداؤك عارفاً مُسْتَعلِمَا
أتقولُ مَنْ آلُ الشهيد وكلنا   عَرَبٌ نمانا للمعالى مَنْ نما ؟
للعُرْبِ نُنسَبُ حين ينتسبُ الورى   ولسانُنا العربيُّ أشرَفُ منتمى
والعُرْبُ مهما تختَلِفْ أهواؤهم   أهلٌ يؤاخى العيسوىُّ المُسْلِمَا
إنّا تُوَحّـــدُنا العرُوبةُ أينما   كنّا وتجمعنا المكارمُ حيثما
والفذُّ بين القوم ملْكُ بلاده   إنْ عالماً أو فارساً أوْ مُلْهَمَا
والرُزء فيه فجيعـــةٌ وطنيّةٌ   عظمى تئنُّ لهـا البلادُ تألُّمَا

* * *

يا مَنْ ينامُ الليلَ ملء جفونه   ويعيشُ مَوْفُورَ الرخاءِ مُنَعَّما
أهلوكَ فى مسرى النبىّ تجشّموا   مالا يطيقُ الصَخْرُ أنْ يتجشّما
وتحمَّلُوا ما لو حَمَلْتَ أقـلّهُ   لغَدَوْتَ أشْبَهَ بالخيالِ أوِ الوما
والنومُ أبعدُ ما يكونُ عَنِ العيُو   نِ وقلّمـا تلقى هنالك نوّما
فكأنما نسى الكرى أجفانَهم   مِنْ طولِ ما سَهِرُوا الليالى قوّما
وَسَلَتْ مضاجعَها الجوانبُ بعد ما   أمسى الهناء على النفوسِ محرّما
والحَرْبُ من حولينِ مازالتْ مُؤَجْـ   ـجَجَةً وما زالَ المنايا حُوّما

فامددْ يدًا بيضاء تُسْعِفْ عاجزًا ... أو تأسُ مَكلومًا وتُنجِدْ أيِّما
ولقد عرفتُك باذلاً متكرّما ... فأَعِنْ بمالكَ مَوْطِنًا متردّما
هو مَوْطنٌ غمرَ الأسى باحاتِه ... وغدا الشقاء على بَنيـهِ مُهيْنِما
قد كانَ مثل العُرْسِ بسّامَ الرؤى ... طَلْقًا فخوّله الأجانبُ مأْتما
قدْ باتَ يَنْطفُ عَنْدَمًا بالأوصيا ... ءِ وكانَ حتى الأمْسِ يَنْضحُ بلسما
قد كانَ مِنْ أفْضالِ رَبكَ جنّةَ الـ ... دنيا فصَيّرَهُ الدخيلُ جَهنّما
إنَّ الدخيلَ ، وإنْ تألّهَ ، مُجْرِمُ ... مُتَنكرٌ فاحذَر ـ فُديتَ ـ المجرما
قالوا التمدّنُ عَنْ يَدَيْهِ فقلتُ لا ... كانَ التمدّنُ عَنْ يَدَيْهِ مُتَمّما
أينَ التمدّنُ عند مَنْ يَنْزو هوًى ... ويروغُ ثعلبةً ويسعى أرقما
أمنَ التمدّنِ أنْ يُباعَ الدينُ بالـ ... دنيا وتُغتصَبُ الحقوقُ وتُهْضَما
ويُحلّ قتلُ الأبرياءِ وهدْمُ دو ... رِ المُبْعَدينَ ونفْيُ أحرار الحمى ؟
أمُعَيِّرى بالـبَرْبَرِيَّةِ إنني ... متأخّرٌ فاهنأْ وكُنْ متقدّما
إني لأهوى البربريةَ إنْ يَكُ التـ ... مدينُ هَضْمَ الحقِّ أو سَفْكَ الدما
ولقد تركتُ لكَ الرقيَّ فخلّني ... متسكّعاً بين الجهالة والعمى
فأنا امرؤٌ نزّهتُ عن حَمَإِ الخنا ... نفسى وآبى أنْ أقارفَ مأْثما

* * *

يا حارسَ الحرمَ الشريفَ وحاميًا ... مَهْدَ المسيحِ وأنتَ أشأَمُ من حَمى
المهدُ والحَرَمُ الشريف تململا ... ولو استطاعا من أسًى لتكلّما !
للبُطلِ صولةُ ساعةٍ فاذا انقضتْ ... وتصرّمتْ ولّى الطغى وتصرّما
لا بدّ إمّا عاجلاً أو آجلاً ... للحقّ أنْ يعلو وأنْ يتسنّما
والظلْمُ أوخمُ مرتعٍ فاحذرْ إذا ... كنتَ الحكيمَ المرتعَ المتوخما

* * *

أأخي الشهيد لقد قضيْتَ مجاهدا ... ليعيشَ موطنُك الحبيبُ مُكرّما
يهنيكَ أنْ وفَّيْتَ قسطكَ للعلى ... ورُزِقتَ حيًّا عند ربكَ في السما

« بيروت » جورج سلسى

فى السماء

للأستاذ سيد قطب

أيقظت أنبل ما يُجِنُّ ضميرى ... وبعثت جوهر عنصرى المطمور
فإذا أنا الروح التى تسمو بها ... دنيا الحياة لأوجها المنظور
وإذا أنا النور الذى تجلو به ... تلك الحياة غياهب الديجور
وإذا أنا الشوق الذى يحدو لها ... فتَغِذُّ بين مسالك وصخور
وإذا أنا الشعر الذى تشدو به ... فى نشوة وتجيش بالتعبير
وإذا أنا الخير المحض والهدى ... والحب والنجوى خلال ضمير

* * *

فبأى معجزة كشفت ضمائرى ... وجلوت كل محجب مستور ؟
وغدوت فىّ فضائلى ورويتها ... حتى أطلّت بالجنى المذخور ؟
وجعلت من زاد الخلود مطامحى ... وجعلت أشواقى صلاة طهور ؟
بالحب والحسن الوديع ونظرة ... بيضاء صافية تريح شعورى
وتُحيل أشواقي رضاء مخلّد ... راض بخلد لم يُشَبْ بقصور
وتحيلنى روحاً ترِفّ على الورى ... كالعطف، أو كالحب، أو كالنور
فإليك تسبيحى وهمس سرائرى ... وإليك غاية غبطتى وسرورى

حلوان — سيد قطب



رأى الأستاذ مارجليوث فى تيسير القواعد العربية

أذاع راديو لندن في الأسبوع الماضى الحلقة الثانية من سلسلة محاضرات كبار المستشرقين البريطانيين فى موضوع « ما الذى تعلمته من الناطقين بالضاد » وهى محاضرة الأستاذ مارجليوث

وقبل أن يتلو المذيع المحاضرة حيا الأستاذ مارجليوث المستمعين بكلمة قصيرة ألقاها بلغة عربية فصيحة

وقسم الأستاذ مارجليوث محاضرته إلى قسمين الأول ما الذى تعلمه هو شخصيا من الناطقين بالضاد والثاني ما الذى تعلمه غيره من الأوربيين

ثم ذكر ألفاظا كثيرة من المصطلحات المستعملة فى اللغات الأوربية والمشتقة من أصل عربى أو جاءت إلى أوربا عن طريق العرب ، وقال إن أوربا مدينة للحضارة العربية بالشىء الكثير

وبحث فى أحوال اللغة العربية وقواعدها واتساعها وغناها وأشار إلى اقتراح بعضهم تسهيل قواعدها وأنحى باللائمة عليهم وقال إن ما يقترحونه لا يكون تيسيراً بل تعقيداً ويثقل حافظة الطالب بمجموعة جديدة من القواعد هو فى غنى عنها

وخطأ القائلين بأن الألفاظ العربية الشفاهية أصح وأوضح من المكتوبة ، ثم قال إنه لا تأثير للتعصب الجنسى والدينى عند العرب ، وأن في عصور الاسلام الزاهرة كثيرين من الحكام والقواد والعلماء وقادة الرأى من غير العرب أو المسلمين. وذكر أن صلاح الدين الأيوبي كان كرديا ، وإمام المحدثين البخارى والطبرى وابن رشد وابن خلدون لم يكونوا عربا أصليين

واختتم محاضرته قائلا :

« وقبل أن أختتم كلمتى يجب على أن أوفى المصريين حقهم من الثناء لما أدوا من الأعمال فى خدمة اللغة العربية ، وقد عرفت من هؤلاء كثيرين وتشرفت بصداقتهم فى سنة ١٩٠٤ عند ما حللت القاهرة لأمر يتعلق بالجامعة ، وكان لى شرف الاتصال بالامام الكبير المرحوم الشيخ محمد عبده، وعرفت كذلك المرحوم السيد رشيد رضا الذي كتب سيرة الشيخ محمد عبده وكان صاحب مجلة المنار ذات الفائدة الكبيرة لكل من تصدى لدرس الاسلام ، والعالم السيد توفيق البكرى صاحب المؤلفات النفيسة، والصحافى الكبير الدكتور فارس نمر ، وزميله العالم المرحوم الدكتور يعقوب صروف والمرحوم جورج زيدان ، وشاعر مصر المرحوم حافظ ابراهيم، وأمير الشعراء أحمد شوقى وقد أسمعنى قصيدته عن أثينا، والمرحوم سليمان البستانى مترجم إلياذة هوميروس إلى العربية ، وكذلك اتصلت بالشيخ طنطاوي جوهرى صاحب تفسير القرآن والذى جاهد كثيرا فى التوفيق بين العلم والدين ، وعرفت أخيرا البحاثة المرحوم أحمد زكي باشا الذى شغف بجمع الكتب القديمة والمخطوطات، وكان لى شرف الاتصال عن طريق المراسلة بالمرحوم تيمور باشا . ويرجع الفضل فى نهضة مصر إلى هؤلاء العلماء الأجلاء الذين نهض كل منهم بنصيبه فى خدمة اللغة والعلم »

مصر المستقلة

تعمل جماعة « الدراسات الاسلامية » بمعهد دراسات السياسة الخارجية فى باريس على وضع مجموعة من المؤلفات عن العالم الاسلامى ، ولا شك فى أن المكانة التى يحتلها وادى النيل فى هذا العالم جعلت القائمين بأمر الجماعة المذكورة يوجهون إليه اهتمامهم ويضعون المؤلف الأول من مجموعتهم عن « مصر المستقلة » .

وقد قسم الكتاب إلى أربعة أقسام : الأول خاص بالتطور السياسى والاجتماعى فى مصر وهو يتناول تكوين الدولة المصرية

(١٨٠٥ – ١٩١٨) وحالة الأمة المصرية غداة الحرب وتطورها من ١٩١٨ إلى ١٩٣٦، والأزمة الأنجليزية المصرية السياسية بعد الحرب، وفترة الانتظار من ١٩٢٥ إلى ١٩٣٤، وتطور الشبيبة المصرية وتحرير مصر بمعاهدة ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦

والقسم الثانى خاص بالأجانب ونظامهم في مصر وهو يبحث نظام الامتيازات قبل مؤتمر مونترو ومصالح الأجانب فى مصر، ومؤتمر مونترو ونتائج هذا المؤتمر.

والقسم الثالث خاص بالحالة الاقتصادية والزراعية والصناعية والتجارية فى مصر.

والقسم الرابع والأخير يتضمن دراسة خاصة عن تاريخ الصحافة المصرية وتطورها، وفى ختامه كشف بجميع الصحف والمجلات من عربية وأفرنجية التى تصدر فى مصر.

ومن يتصفح كتاب «مصر المستقلة» يجد أن هناك مجهوداً كبيراً قد بذل فى وضعه لاسيما وأنه يتضمن معلومات وافية عن التطورات السياسية التى مرت بوادى النيل فى الأشهر الأخيرة.

مجمع علمى أدبى فى حيدر أباد

جاء من مراسل الشرق العربى فى بمباي أن لفيفاً من رجال العلم والأدب في حيدرأباد أسسوا مجمعاً علمياً باسم (مجمع حيدرأباد) لتشجيع التأليف والأدب. وسيعمل هذا المجمع برعاية شخصيات كبيرة بينها أمير بيرار ومسرا كبر حيدرى رئيس مجلس وزراء حيدر أباد والمهراجا كيشن برشاد بهادور. ونواب سالا رجونغ بهادور وغيرهم. وسيصدر المجمع مجلة باللغة الأنجليزية ولغة الأوردو وينشر فيها أبحاث أعضائه ومقتطفات من مؤلفاتهم وترجمة بلغة الأوردو لدائرة المعارف الاسلامية. وستنشر المجلة أيضاً أبحاثاً عن المؤلفات المعروفة فى اللغات السنسكريتية والفارسية والعربية والهندية المختلفة، وقد انتخب نواب مهدى يار بهادورمدير جامعة (عثمانية) وعضو مجلس حيدر أباد التنفيذى التهذيب والسياسة رئيساً للمجمع.

كتاب عن فلسطين فى ثورتها

لم ير العالم ثورة صادقة الايمان كتلك التى شب أوارها فى فلسطين، والتى يجود فيها العرب بأرواحهم وما ملكت أيمانهم فى سبيل الذب عن وطن يحاول اليهود أن يجعلوا منه أرض المعاد، ويتخذوه وطنا قوميا لهم، بعد أن شردوا طول الزمن.

فلا عجب أن لفتت هذه الحركة العربية أنظار الكتاب والسياسيين على السواء فصدرت عنها المؤلفات بأقلام من تعنيهم دراسة هذه الناحية ومن ذلك كتاب A Land Divided by Elizabeth Montogomery ألمت فيه مؤلفته بالثورة فى فلسطين، وما قدمه العرب من تضحيات عجيبة، ورفضهم أن تكون فلسطين وطنا لليهود تنفيذاً لوعد بلفور، وأبوا أن يجعلوا هذه الأرض المقدسة «عند المسلمين والنصارى على السواء أرضا للفئة التى لقيت المسيحية منها أشد عدوان فى مستهل ظهورها، وناهضت المسيح ما وسعتها الحيل وأسعفتها القوة» وقد زارت السيدة البزابث مؤلفة هذا السفر فلسطين، وجالت فى نواحيها، واتصلت بكثير من رجال العرب والثورة هناك فلم تر فيهم إلا «توطيد النفس على عدم تقسيم فلسطين العربية» وهى تصف فى دقة الشهامة العربية التى مهدت السبيل للعرب فى أمسهم الدابر لأن يكونوا سادة أهل العصور الوسطى.

وتقول المؤلفة «إن عجلة الزمن تسير فى وناء فى هذه البلاد (فلسطين) التى يرجع تاريخها لا إلى عدة قرون فحسب، بل إلى آلاف السنين الغابرة. وإن التلال الخالدة، والصخور الباقية منذ القدم التى شهدت مجىء ابراهيم بعائلته، وأطلت على قطعانه وقومه، لتشهد اليوم أرضا قد ألقيت البغضاء بين أهلها. وإن العرب واليهود ليقفون اليوم وجها إلى وجه متخاصمين متنابذين. لقد كان أحد الخصمين يرتكن من قبل على ماله وثرائه فى نيل مطالبه، أما اليوم فتؤيده القوات، ويشد أزره أعضاء منه فى مختلف الحكومات، وأما الخصم الآخر فلا يملك غير إيمانه بحقه، وإنه ليستشهد مقبلا غير مدبر، باسما غير عابس، راضيا غير مكره، حتى ينال مطلبه أو يموت دونه شهيدا»

وهكذا نرى المسألة الفلسطينية اليوم لم تعد تشغل الساسة فحسب، بل كان من آثارها هذه الكتب التى تتناول فلسطين من نواحيها المختلفة، كما استطاع العرب بفضل ثباتهم أن يجتذبوا إلى جانبهم العطف الأدبى عند كثير من رجال الحكومات المختلفة.

من الأستاذ الكرملي إلى المرحوم الرافعي

« لما أصدر المرحوم الرافعي كتابه « وحي القلم » في يناير سنة ١٩٣٧ أهدى نسخة منه إلى صديقه العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي عضو المجمع اللغوي ؛ فبعث إليه بالرسالة التالية وفيها مسائل لغوية يطلب حلها ، وقد وقعت لي هذه الرسالة بين ما خلف الرافعي من أوراق ، ولم أعلم ماذا كان رد الرافعي عليها ، فآثرت نقلها إلى قراء الرسالة ليروا رأيهم في هذه المسائل اللغوية التي تناولتها رسالة العلامة الكرملي . وهذه هي الرسالة :

إلى حضرة فخر بلغاء المصريين الأستاذ الجليل مصطفى صادق الرافعي ، رفعه الله إلى أعلى مقام

أبدأ كلامي هذه بتأدية عبارات الشكر الصادق للهدية التي أطرفتني بها وأنت نابغة بلغاء مصر على ما أعتقده في صميم القلب . وأحسن دليل لذلك أني اقتنيت جميع مؤلفاتك وزينت بها خزانتي فأرجع إلى مطالعتها الفينة بعد الفينة كلما أردت أن أنزه نفسي وأطربها وأريحها من متاعب الحياة . إذن حل عندي « وحي القلم » محلا رفيعا لما حوى من مختلف الموضوعات التي جاءت بأفصح عبارة وأبلغها ، بل تتحدى كل كاتب أن يأتي بضرعها ؛ ولا سيما لأن أغلبها لم تمر على خاطر من سبقنا في الكلام ؛ ولهذا اعتبرت دائما الأستاذ الرافعي جاحظ العصر ، أو ابن مقفعه ، أو بديع زمانه . وقد نصحت لكثيرين من أبناء العراق أن يطالعوا ما كتبه أو يكتبه إذا أرادوا الجرى فالسبق في ميدان الفصاحة والبلاغة ورفيع الانشاء ، فأخذوا بكلامي

بقى الآن أن أسألك عن أشياء لم أستطع أن أهتدى إليها ، فالرجاء منك أن تعينني على تفهمها :

١ — جاء في الجزء الأول في ص ٦ ذكر (الكهربائية) والذي أعلمه أن الكهربا مقصور لا ممدود . وقد صرح بذلك صاحب تاج العروس ؛ وجاءت بالقصر أيضا في جميع أسفار الأقدمين من العصر العباسي ، فإن صحت هذه الرواية أفننسب إليها بالهمز أم بحذف الألف فيقال كهربي وكهربية كما يقال مصطفيّ ومصطفية على ما صرح به سيبويه ، وإلا فأي فصيح قال كهربائي ؟

٢ — في ص ٨ ورد ذكر (المصنع) والعرب لم تنطق به . على أن القياس لا يمنعه ، وقد ورد في الصحف والكتب المصرية ولا يزال يرد بهذه الصورة ، لكن ألا يتخذ الكاتب البليغ الكلمة التي جرت على أسلات السلف وهي (الطِراز) فقد قال في القاموس : « الطراز . . . الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة » ؟

٣ — وفي ص ١٠ ذكر (الديناميت) فلو قيل البارود الناسف أو أن نكتفي بقولنا (الناسف) أو (النسّاف) كما يقول المراقيون ، عامتهم وخاصتهم ، أما يكون أحسن ؟

٤ — وفي ص ٣٤ جاء ذكر (ملك الزمن الربيعي) ، وأنا لم أجد إلى الآن فصيحا نسب إلى الربيع باثبات يائه بل قال (الرَّبْعي) فهل عثرت على مثل كلامك في (كتاب بليغ صحيح قديم) ؟

٥ — وفي تلك الصفحة قيل (يضحك ويستحي) وقد تكررت استحى يستحي وزان افتعل يفتعل مرارا كثيرة وقد أنكرها بعض الفصحاء وقالوا في مكانها استحيا يستحيي

٦ — وفي تلك الصفحة (تراها — أي الطاقات — عطرة بيضاء) وأنا لم أجد إلى الآن في شعر أو نثر من وصف جمعا مؤنثا سالما لعاقل أو لغير عاقل بوصف مفرد مؤنث وهي من باب أفعل فعلاء الدال على لون أو عيب أو حلية . فهل مرت تحت عينيك هذه الصيغة في كلام قديم بليغ من أهل الجاهلية أو صدر الاسلام ؟

٧ — وفي ص ٣٥ ورد : (تعطى لكل شيء تماما) وهو تعبير جائز ؛ لكن ألا يكون أبلغ لو قيل : تعطى كل شيء ؟

٨ — وضبطت (البلُّور) في ص ٤٤ وزان تنُّور ، كما في القاموس ؛ لكن اللغويين البصراء الحُذّاق الأئمة أنكروها وفضّلوا عليها البِلَّوْر وزان سِنَّوْر ، كما في اللسان ولم يعرفوا سواها . فما الجواب ؟

٩ — في ص ٤٥ (تحتاجه الحياة) وهذا من باب الحذف والوصل ، وهو كثير في كلامهم ؛ لكن أليس الأبلغ أن يقال (تحتاج إليه الحياة) ؟

١٠ — كنت أظن أن (البركان) الوارد في ص ١٠١ وسواها لفظة لا تعرفها العرب الأقدمون ؛ بل كانوا يعرفون (الأطمة) ، أفليس الأحسن لنا أن نقر ألفاظ السلف على ألفاظ الخلف التي لم يعرفها الأوائل وفيها خلف ظاهر ؟

١١ — ضبطت في تلك الصفحة (وغلظته) بضم الميم وأنا لم أجدها في معجم .

١٢ — وكثيرا ما جاءت (النواميس) ومفردها (الناموس) في وحي القلم ففي ص ١٠٢ (إن النواميس الطبيعية) وفي ص ٩



الحيوان للجاحظ

تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أقدم عملا عظيما فى لون من ألوان الأدب المصرى لم يوجد إلا بعد أن وجدت المطبعة ، ووجدت بحوث المستشرقين وفن إخراج الكتب

وهو عمل يتصل بالعلم بما فيه من التحقيق وتحرير النصوص ، ويتصل بالأدب بما فيه من ملكة التذوق والترجيح واستفتاء الثقافة الأدبية والاعتماد على المحفوظ المذكور من نصوصها ، ويتصل بالفن بما فيه من تنسيق وتبويب وإخراج جميل يروع ويجذب العين واليد إلى الكتاب

وكاد هذا العمل يكون خاصة موقوفة لأقلام علماء المشرقيات الأجانب لولا نفر قليل من المشارقة أنفسهم ساهموا بأقلامهم فى هذا العمل النافع القيم الذى هو فى الحق ميلاد جديد للكتب القديمة تهتز له عظام مؤلفيها القدامى غبطة بتسهيل الانتفاع بما تركوا من آثار جليلة قد يذهب بما فيها من الفائدة عند شباب هذا الزمان أنها ألفت على غير ما ألفوا من الكتب الحديثة المبوبة التى يعلن فيها كل مبحث عن نفسه فى سهولة واقتراب إلى الأذهان التى لم تتعود الصبر والجلد على التعرف إلى الآثار القديمة لانقطاع الأسباب وبعد الزمن وتغير الأساليب وكثرة الملاهى وحب السرعة ، ومرض الهمة وكلال العزيمة

وإذ أقدم هذا العمل العظيم أشعر فى نفسى بغبطتين : الأولى غبطتى ببعث مكتبة الجاحظ أديب العربية العباسية الأكبر ، ووارث علوم علمائها وأدب أدبائها وخفة ظرفائها ، وسجل دنياها الزاخرة ، ومصور حياتها المتشعبة ، بعث فيه من الجدة والفن والطرافة ما يخيل إلينا أنها انحسرت عنها قريحة معاصرة

والثانية غبطتى بأن هذا البعث كان على يد صديقى الثبت الضليع الأستاذ عبد السلام محمد هارون الذى أعرفه كما أعرف

من الجزء الثانى : (فى تحقيق ناموس) ؛ وقد تكررت الكلمة مفردة ومجموعة . وكنت أتوهم أن العرب لم تعرف هذه الكلمة بمعنى (السنة) وإنما جاءت بمعان أخر مذكورة فى دواوين اللغويين . أما الناموس بهذا المعنى (أى بمعنى السنة) فقد أدخلها (النصاري) المعربون منذ صدر الاسلام لوجودها فى التوراة والانجيل بهذا المعنى . وكذلك تراها مبثوثة فى كتب المنطق والفلسفة والطبيعة والطب واللاهوت وماوراء الطبيعة ؛ لكن فصحاء المسلمين لم يحققوها ولم يقروها فى أسفارهم ولا فى معاجمهم ، فهل وجدتها بهذا المعنى فى الدواوين القديمة فى غير ما أشرت إليه من التصانيف ؟

. . . هذه بعض أسئلة — وليس فيها شىء من النقد ، معاذ الله — وقد خطرت ببالي وأنا أتلذذ بتصفح هذا السفر الفذ ، وأتوقع الجواب عنها . فعسى ألا أحرم أنوارك المبددة للظلمات ، وأختم كلمتى هذه بالشكر ثانية لأياديك البيض كما بدأتها به .

(الأب أنستاس مارى الكرملى)

***

. . . فإلى اللغوى العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى ، أن يتفضل على قراء الرسالة بنشر ما قد يكون وصله من جواب الرافعى على هذه المسائل

وإلى اللغويين من قراء الرسالة أن ينشروا على القراء رأيهم فى جواب هذه الأسئلة ، وإلى النقدة من كتاب العربية أن يقرءوا هذه الرسالة لعلهم يجدون فيها مثلا فى أدب النقد وفى صفحات الرسالة متسع إن أذن الأستاذ الزيات .

محمد سعيد العريان

نفسي إذ كان صدق الأول وصنوى فى عهد الدراسة العزيز. وأخشى أن يحسب حاسب أنه قد طنى وثوق بهذه الشخصية وحبى لها على تقدير عملها فى «الحيوان» تقديراً بعيداً عن الغلو، كما أخشى أن يظن ظان أن الأمر فى هذا التقـديم مرجعه إلى « توريط » الصداقة وتقريظ الأصدقاء بعضهم بعضاً . وحسب ذاك الحاسب وهذا الظان أن يرجعا إلى الجزء الذى طبع من الحيوان ليريا المجهود فيعرفا الشخص الذى بذله كما عرفته أنا منذ خمس عشرة سنة أديباً متصلا بصميم الأدب العربى مقلباً يده وعينه فى مراجعه القريبة والبعيدة ممتاناً من حُر نصوصه .

وإذا كانت الأمور تقاس وتقدر بما يبذل فيها من مجهود له نتيجته النافعة فأظن أن ماقى المطبوعة الحديثة من الحيوان من التحقيقات وتحرير النصوص وفهارس المعارف وأجناس الحيوان وأعلامه وأعلام الناس والقبائل والطوائف والبلدان والأماكن والأمثال والشعر والأرجاز واللغة والكتب وأيام العرب ، أظن هذا كله عملا أشق وأنفع من كثير من الكتب التى يرسلها مؤلفوها إرسالا سهلا . وأظن أنه يستتبع تقدير صاحبه تقديراً ترضى به نفسه . وقد صار العلم الآن بما فى الكتب القديمة سهل المورد بأمثال هذه الفهارس التى تنفض مافى الكتب نفضاً ، وتعلن عن كل كلمة فيها إعلانا عريضاً يأخذ بعيون الباحثين إلى مايلقون من الأشباه والنظائر والمختلفات ، مما يوفر عليهم الجهد والوقت والاستذكار ، حتى لقد شاعت هذه الكلمة « إن العلم الآن معرفة مافى الفهارس »

وقد ابتدع الأستاذ هارون فهرساً قيماً لما فى الحيوان من المعارف التى وضع لها هو أيضاً عنوانات فصلت أثناء الكتاب ، وهو لون طريف فى التعريف بما ورد فى الكتاب حشوا فى غيره ، مما قد يمر عليه القارىء عفواً بدون ترقب ولا تعقب ؛ وهو عمل عظيم فى كتب شأن مؤلفيها الاستطراد وإلقاء مافى الذاكرة متى حضر ولو بدون مناسبة قريبة ، وإنما هو جود الذاكرة .

والأوائل كانوا على رأى فى الأدب هو أنه الالمام من كل شىء بطرف ، ولذلك كانوا يخرجون كتبهم الأدبية إخراجاً يرضي هذا التعريف . فكانت كتبهم الغالبة أشبه شىء بحديث المجالس وأماليها . غير أن هذا اللون من التأليف نبا عنه الذوق المصرى الذى لا يرضى من المعارف إلا ما كان فصائل وأجناساً مضموماً بعضها إلى بعض مميزة بعنوانات تضم الشتيت كما يضم اللقب الأسرة ، ولا يرضي أن يذهب فكر القارىء شعاعاً وبددا هنا وهناك وقت القراءة .

وعلى ذلك كل عمل يرشد القارىء الجديد إلى مايبحث عنه فى بطون الأسفار القديمة رأساً بدون اضطراره إلى الخوض فى بحر لاساحل له، وفى مباحث لاحاجة له إليها، فهو عمل من أعظم مايربط أسباب الجديد بالقديم ويجلو الدرر المدفونة بين طيات الكتب التى فيها كثير من الحصا والتراب .

وقد قدم الأستاذ هارون « مكتبة الجاحظ » التى « سيعمل جهده على إخراج مايمكن منها بعون الله مامد له فى الحياة » تقديماً بديعاً تحدث فيه عن بيان الجاحظ وعصره والتأليف فى عصره ومؤلفات الجاحظ ومنحاه فى التأليف وقيمة كتبه فى نوادى الأدب وذيوعها ووراقيها. وقد أتى فى هذا الحديث بفوائد ممتعة.

وقد قدم كذلك كتاب الحيوان تقديما خاصا عرض فيه لمنشأ التأليف فى الحيوان عند العرب ولمراجع الجاحظ فى تأليف كتابه من القرآن والحديث والشعر العربى وكتاب الحيوان لأرسطو ومحاولات المعتزلة وجدالهم فيما بين أيديهم من ألوان المعارف جليلها ودقيقها ؛ ثم المجهود الشخصى للجاحظ وولوعه بمباحث الحيوان ولوعا حمله على أن يجالس الملاحين وصائدى العصافير والحوائين وغيرهم من القائمين على شئون الحيوان . وهو لعمر الحق مبحث فى غاية النفاسة وفى صميم الأدب الأصيل اهتدى إليه الأستاذ هارون ابتداء ، لم يسبقه إليه سابق فيما أعلم . ومن المباحث القيمة أيضا فى هذا التقديم تحقيق زمن تأليف الجاحظ للحيوان وتبيين قيمة كتاب الحيوان بما فيه من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية وسياسة الأقوام والأفراد ونزاع الطوائف ، والمسائل الجغرافية وخصائص الأجناس وقضايا التاريخ وأحاديث الطب والأمراض والمفردات الطبية ، وأحوال العرب وعلومهم ومزاعمهم ، ومسائل كثيرة فى الفقه والدين ، مضافا إلى ذلك كله فكاهة الجاحظ الساخر ، أو فلتير الشرق — كما لقبه الأستاذ الزيات — واختياره للصفوة المختارة من حر الشعر العربى ونادره . . . إلى آخر ما تمتاز به مؤلفات أبى عثمان البحر . . .

« وبعد » فنظرة واحدة إلى صفحة من صفحات الكتاب بصلبها وهامشها تقف القارىء مباشرة على مقدار الجهد المنيف الذى بذله الأستاذ الصبور محقق الكتاب ، فى ضبط الألفاظ



أخبار الأسبوع

شيء من لا شيء

يبتدأ اليوم ١٠ أكتوبر في عرض فلم (شيء من لا شيء) على ستار سينما استوديو مصر وهو من أفلام استوديو مصر لهذا الموسم . وبطلاه هما عبد الغني السيد (هلال) ونجاة علي (نجمة) والفيلم غنائي كوميدي اشترك فيه ججوم وشفيق والقصري من كبار ممثلي الكوميدي في عالم المسرح المصري . وهو من إخراج الأستاذ (بدرخان) . والمنتظر أن يمتد عرضه بضعة أسابيع ، لأنه يعتبر تحفة الموسم الغنائية بغير منازع

وشرحها وفي مقابلة النسخ القديمة التي اعتراها كثير من التصحيف والتحريف ، وفي أمانته وحرصه على استئذان القارىء فيما أثبت أو نفى من أوضاع الكتاب وكلماته وتوجيهاته . مع تواضع جميل يعرف في طبعه كما يعرف في قوله من تقديم الكتاب : « وأما أنا فلست بمكان من يدعي العصمة أو يخال السلامة ، فليس يكون ذلك إلا لمن ذهب عن نفسه وتعلق بالباطل

« ولكنني يعجبني أني بذلت فيه غاية الجهد وأني التزمت جانب الأمانة فلم أسقط حرفاً ولم أزد حرفاً إلا استأذنت القارىء »

ثم نظرة أخرى إلى ثبت مراجع تقديم الكتاب وتحقيقه وشرحه ترى القارىء مقدار سعة اطلاع الأستاذ واهتدائه إلى مواطن الفتوى فيما يشتبه عليه من خبر أو نص أو توجيه وإلى ما يعتمد عليه في إخراج هذا السفر الجليل وما وراءه من مكتبة الجاحظ

فجزاه الله الكريم وأمتع به أصدقاءه ونفع بجهوده الموفقة اللغة العربية

والشكر الجزيل لحضرات ناشري الكتاب في ثوبه الأنيق وورقه الفاخر وحروفه الواضحة

عبد المنعم خلاف

مارجريت لوكوود



اختيرت (مارجريت لوكوود) بين ثلاثة وعشرين نجمة ، نموذجاً للفتاة الانجليزية وذلك للقيام بتمثيل الدور النسائي الأول في فلم (أود بوب) الذي يخرجه الكسندر كوردا . كما اختير النجم الانكليزي (جون لودر) لتمثيل الدور الأول بعد أن كان ترتيبه الأول في نفس المباراة للرجال ويرى القارىء صورتهما مع هذا الكلام

الدكتور



المنتظر أن يكون الأستاذ نيازي مصطفى في نهاية هذا الأسبوع قد انتهى من تصوير الديكورات المارة في فيلم الدكتور وبذلك لا يبقى غير إجراء المونتاج النهائي وذلك تمهيداً لعرضه قريباً. ومما هو جدير بالذكر أن السيدة دولت أبيض تقوم في هذا الفيلم بدور هام كبير يتفق مع سنها وأدوارها المسرحية . وقد سبق أن ذكرنا أن بطليه هما الأستاذ سليمان نجيب والآنسة أمينة رزق وبهذا الفلم تكون المفاجأة الثانية للاستوديو لهذا الموسم

يوسف وهبي على مسرح ماجستيك

يستعد الأستاذ يوسف وهبي استعداداً كبيراً لافتتاح موسمه الأول لهذا العام على مسرح الماجستيك بشارع عماد الدين ، وهو المسرح الذى كان يعمل به على الدوام الأستاذ على أفندى الكسار . . والمعروف حتى الآن أن الأستاذ وهبي يبدأ بروايات قوية جديدة وأن الروايات السابق تمثيلها لن تمثل إلا فى أيام العيد . ونحن نرجو أن يصادف الأستاذ وهبي فى موسمه الشتوى ، وخاصة فى شهر رمضان المبارك الذى يبدأ فيه عمله ، ما صادفه فى موسمه الصيفى على مسرح الليدو بالجيزة ، فقد ضرب الأستاذ يوسف فى هذا الموسم كافة أرقام الدرام القياسية السابقة

فى سبيل الحقيقة

قامت جماعة أنصار التمثيل والسينما فى يوم الخميس الماضى بتمثيل رواية (فى سبيل الحقيقة) مسرح الحمراء بالأسكندرية فى الحفل السنوى الذى تقيمه جمعية المواساة ويشرفه حضرة صاحب الجلالة الملك . ومن الأقوال المعادة أن نقول إن أفراد الفرقة جميعاً ، والممثلات اللوائى استعين بهن من الخارج ، قد أجدن أدوارهن إجادة تامة واستحققن من أجلها تهنئة المليك وعطفه السامى ، وهو جد غال ولا يكون إلا فى موضعه . . وقد ضحك الجمهور كثيراً لدى سماعه شخصية الدكتور الذى كان صورة طبق الأصل من الدكتور محجوب ثابت ، بقاقاته وشخطاته ونظراته . . ؟

لوتس فلم

من الله على السيدة آسيا مديرة شركة فنار فلم بالشفاء ، وقد بدأت الشركة فى تصوير فلمها الثانى لهذا العام ، ونحن نهنئها بالشفاء ونتمنى لها توفيقاً كبيراً

ميرنا لوى

— تظهر (ميرنا لوى) فى فيلم (جابل) الجديد واسمه (ساخن ولا يمكن لمسه) ... وهو من انتاج المترو جولدوين ماير وسيعرض فى الرويال بالقاهرة

بيتى ديفيس

— تظهر (بيتى ديفيس) فى فيلم (جيزبيل) مع النجمين الشهيرين (هنرى فوندا) و (جورج برنت) وهو من أقوى أفلام الموسم الحالى للبراموت

6 me Année, No. 276

Lundi - 17 - 10 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

السنة السادسة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٥٧ — ١٧ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » العـــدد ٢٧٦

الفهـــــرس

الصقر نحن به أولى

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتبنا فى « الرسالة » قبل عام كامل على التقريب مقالاً عن الحكيم الحاكم « مازاريك » رئيس الجمهورية فى بلاد التشك والسلواق ختمناه بما يأتى :

« سيرة الرجل عـبرة لا تنقضى ودروس لا تنفد . أولها : أن الفيلسوف لن يسلم من لوثة الحكم والسياسة ولو أضمر الخير وأسلف الجهاد الطويل فى قضايا المظالم والشكايا . وثانيهما : أن الديمقراطية لا تسلم فى وطن تختلف أجناسه ولغاته وأديانه وطبقات الحضارة فيه إلا على أساس الولايات المتحدة التى يستقل فيها كل فريق بالحكم والتشريع . وثالثها : أن أوربا الوسطى لا تزال كما كانت قبل الحرب العظمى غيلا تصطرع فيه ضوارى الأحقاد ويوشك أن يندفع بالعالم مرة أخرى إلى حرب لا تؤمن لها عاقبة . وإننا على ما انتاب الديمقراطية من خيبة ، وما تعاورها من نقص وتقويض لا نزال على إيمان وثيق بأنها هى كهف السلام ومعقل بنى الانسان ، ومآل الحكم فى المستقبل البعيد إن لم يعجل لها النصر فى مستقبل قريب

« فالدول الديمقراطيـة لا تبغى الحرب كما تبغيها الدول الدكتاتورية ؛ وبريطانيا العظمى ، وفرنسا ، والولايات المتحدة ،

لا يخشى منها على سلام العالم كما يخشى من إيطاليا ، وألمانيا ، واليابان والجمهوريات الروسية »

كتبنا هذا المقال على أثر وفاة مازاريك ، ودار العام والحوادث تثبت لنا أن كثيراً من المسائل الأوربية خليق أن تنظر إليه كأنها مسائل « محلية » نكترث لها فى أوانها وقبل أوانها لتصبح على أهبة دائمة للقائها ، ثم تثبت لنا الحوادث أن الجمهورية التشكية لو بادرت إلى تعميم نظام الولايات المتحدة بين شعوبها الصغيرة لكان ذلك خيراً لها ، وإن كنا لا نظن أن أسباب الأزمة الدولية الأخيرة تنحصر فى هذه الوجهة ، لتعدد وجهات المسائل الدولية عامة

ولا أدرى لم نشعر بالعطف على بلاد الفيلسوف مازاريك ونود لها الحياة والسلامة ؟ فلعل السبب الأول أنها هى بلاد الفيلسوف مازاريك وأنها « تشخصت » فى مثال إنسانى رفيع محمود العمل والأثر معروف فى عالم الأدب والحكمة معرفة الناس به فى عالم السياسة والادارة والكفاح

ولعل أسباباً أخرى ترفد ذلك السبب الوجيه الراجح ، ونعنى بها الأسباب التى توجب العطف على كل شعب صغير مجاهد صبور يحمل من الأعباء فوق ما يطيق ، ولكنه لا يرزح بتلك الأعباء ولا يزال يعالجها بالحول والحيلة حتى يروضها ويمشى بها إلى غايته القصوى وهى أشرف الغايات ، لأنها غاية الحرية والثقافة والجمال

شعب مازاريك مثل جميل من أمثلة الجهاد الحسن فى سبيل الحرية والقوة والجمال ، سلبته الدولة النمسوية سلطانه فلم يستسلم ولم يركن إلى الخنوع والمهانة ، وصنع ما هو أنبل وأكرم من ذلك لأنه جاهد فى رفع الضيم فلم يقصر جهاده على المؤامرات والمشاغبات وحوادث الغيلة والانتقام ، بل عمد إلى التعليم فأشاعه بين أبنائه حتى محا الأمية محوا قبل أن تفلح الشعوب القوية فى محوها من بلادها . ثم لم يكفه ذلك حتى أدرك أن الكتابة والقراءة لا تكفلان وحدهما الغلبة والحرية للشعوب الضعيفة ، فأضاف إلى سعيه فى نشر التعليم سعيا آخر فى نشر الفتوة بمعناها الأصيل ، ومعناها الأصيل فى عرفنا أن يكون الانسان شهم النفس شهم الجسم شهم الذوق سريعا إلى ما يجمل ويحسن بأدب الانسان وذوقه واستجابته لدواعى الحياة

تلك هي حركة « الصقر » التى شاعت فى أوربا باسم « الصكل » وقلنا فى عنوان هذا المقال إننا نحن أولى بها من غيرنا ، لأننا نرجح أن أصل الكلمة عربى أخذته أمم السلاف من جيرتها الأسيوية إذتعلموا الصيد والفروسية قديمامن سادات العرب يوم غلبة سلطانهم على أواسط آسيا وتخوم بلاد المغول ، فأصبح اسم الصقر مصحفا عندهم باسم « الصكل » وهو عنوان الحركة الرياضية الكبرى فى أمتى التشك والسلواق

رأس هذه الحركة المباركة هو « تيرش » المظيم أوحاها إليه أنه زار بلاد الاغريق فى أواسط القرن الماضى فراعته المثل العليا التى أقامها الاغريق الغابرون لجمال الفتوة وصحة التكوين ، وعلم أن نهضة الكتابة والقراءة لا تغنى أمته عن نهضة النفس من طريق رياضة البدن وثقافة الذوق ونشاط الشعور ، فأجمع النية الصادقة على إنهاض قومه فى هذا الطريق ، وأعد عدته لتنظيم الفرق الصغيرة فالفرق الكبيرة لتدريب الرجال والنساء من سن الطفولة إلى السبعين وما بعد السبعين ، وما يعنى بذلك التدريب إلا أن يحمل الجسم على أصح وأصلح مثال يستطاع ، فلا يترك لعضو من الأعضاء بقية من كمال يستطيع بلوغها إلا استوفاها على نمط جامع بين الصحة والقوة والنسق والجمال . وأوجز ما نلخص به فلسفته الرياضية أنها رياضة جسدية موسيقية ، لا تقتصر على سهولة الحركة الجثمانية بل تقرن بها الرشاقة والوزن والتنغيم

وكان « غاريبالدى » الايطالى يومئذ قدوة المجاهدين فى سبيل الأوطان ، فلما عبر « تيرش » بالبلاد الايطالية راقه أن يستعير « القميص الأحمر » للفرق الجديدة وجعل لها قبعة عليها ريشة صقر فمن هنا اسم « Sokol » أو الصكل الذى عرفت به هذه الحركة الرياضية الكبرى ، وهو لفظ « الصقر » بلغة التشك والسلواق

قال روبرت يونج فى كتابه « شاب ينظر إلى الديار الأوربية » رواية عن رجل فى الستين يصف الحركة وهو يشاهدها فى ميدانها بيراغ :

« معظم الأعضاء يتصرفون لمعاشهم نهارا ويتلقون تدريبهم الرياضى أثناء الليل . . . . ولا حاجة بنا إلى الرياضيين المحترفين

لأننا نؤمن بأن الديمقراطيين ينبغى أن يكون لهم من المقيدة الديمقراطية أن يبذلوا اختيارا وطواعية جزءا من وقتهم لتجميل أحوالهم الجسدية »

واستطرد الكاتب إلى بيان موارد الانفاق على الحركة فاذا هي قائمة على جيوب أعضائها والقسط اليسير الذى يؤديه كل منهم إليها ، أما معونة الحكومة فهى شئ طارئ وهى مع ذلك تنقص عاما بعد عام تبعا لتفاقم الأزمة المالية واشتدادها على كاهل الحكومة والأمة

وقال ويكهام ستيد الكاتب المشهور يصف عرض « الصكل » فى شهر يوليه الماضى ، خلاصته : « أى جندي لا يأخذه منظر ثمانية وعشرين ألفاً من الشبان الأصحاء الأشداء يمشون فى ميدان مازاريك الذى تبلغ مساحته خمسة وأربعين فداناً فيتفرقون إلى أماكنهم جميعاً لابتداء التدريب الايقاعى فى خلال ربع ساعة ، ثم ينتهى التدريب فينصرفون كرة أخرى ثمانين صفاً كل ستين فى صف واحد خلال اثنتى عشرة دقيقة . وإننى لأشك فى استطاعة جيش منظم أن يعبر خمسة وأربعين فداناً جيئة وذهوباً وتدريباً فى سبع وعشرين دقيقة دون أن يقع فيه شيء من الارتباك والعجلة . أما النساء وقد أدين تدريبهن قبل الرجال وبلغن ستة عشر ألفاً عداً فقد ضارعن الرجال فى النشاط والنظام »

حركة الصقر هذه نحن أولى بها وأحوج إليها ، وقد رأينا نموذجاً منها فى « إصلاحية الأحداث » التى تشرف عليها مصلحة السجون ، فرأينا كيف يراض المئات من الأطفال والصبية على الحركة الايقاعية فى وقت واحد بغير قيادة معلم أثناء الأداء، وعلمنا أن تعميم هذه الحركة مستطاع كل الاستطاعة لن يبذل الجهد الذى بذلته مصلحة السجون فى تدريب أطفال نسميهم مجرمين

وما حاجتنا إلى حركة الصقر؟ إنها دفاع جنود يحمون الأوطان، بل هى كذلك وهى فوق ذلك عدة حياة لدفاع آفات كثيرة هى أشد خطراً من غارات الأعداء

عباس محمود العقاد

التعليم والعاطلون في مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر أحد رجال التربية المثاليين الذين يسيرون إلى غايتهم من التعليم مستقلين على ضوء الفكرة والخبرة والاطلاع ، فهو لا ينفك منذ ٢٤ عاماً معنياً بمسائل التربية فى مصر باحثاً فى عللها ناقداً لنظمها فى صراحة وجرأة . وقد توفر أخيراً لدرس هذا الموضوع الخطير، وهو معضلة الساعة ؛ ثم تفضل فوعد بنشره تباعا فى الرسالة . المحرر

نشأت فى قري الريف بين حقول الطبيعة وأحراجها مغرما بها ، فى أحضان الحرية وبين ضلوعها [illegible] الأقدار بعد الدراسة فى الكتاب إلى المدرسة الابتدائية التى جذبتنى إليها جذبا بطربوشها وملابسها الافرنجية . ذلك الطربوش الملون بلون الورود ، الذى كان لا يزال يتعشقه أبناء الريف منذ ظهر فى الوجود ، والذى بمجرد أن لبسته أنا وإخوانى تأكدنا من المستقبل السعيد ، فى ساحة الدواوين ، بين الموظفين . فكان ذلك الغرض الذي يملأ نفوسنا حافزا لكل منا إلى الاجتهاد والجد . وبالرغم مما صدمتنا به المدرسة من ضغطها وشدتها وعصيها وجبروتها وحدتها ، مما بغض الجميع فيها فقد كان الغرض السامى يدفعنا أبداً إلى الأمام ، إلى العمل المتواصل، إلى المدارس الثانوية من غير أن يتخلف منا إلا القليل . أما من تخلف فقد وجد السبيل إلى العمل أو إلى مدارس أخرى مهلا ميسورا ، ثم كان النجاح فى البكالوريا فكان الفرح الشامل

والحقنا بين الحفاوة والتبجيل ، وعظيم الدعاء والتهليل ، بالمدارس العليا يحدونا الأمل الكبير إلى المستقبل الحافل الذى لا يحلم به أحد من مواطنينا الريفيين . فلما حصلنا على الشهادة العليا تخطفتنا الأيدى إلى العمل الحكومي ، فولجناه نشيطين جادين . فكان منا المعلمون والأطباء ، والمهندسون ورجال القضاء، الذين ملأوا دواوين الحكومة بأعمالهم ولم يجد العمل الحر سبيلا إليهم ، وبالرغم مما لقيناه من تكريم فقد بقيت فى نفوسنا للمدرسة مرارتها ، ودامت فيها ذكريات ضغطها وشدتها . ولكن ذلك كله هان بجانب ما أوصلتنا إليه من نتيجة طيبة . فتلخص فى سهولة الحصول على وظيفة حكومية

عملت بين جدران المدارس بعد ذلك زمناً طويلا كنت أحس فيه أن المدرسة التي عملت فيها تلميذاً والتي عملت فيها مدرساً والتي عملت فيها ناظراً لم ينلها شيء محسوس من التغير ولم يتطرق إلى روحها شيء من التجديد أو التبديل، فهي لا زالت تسير على نفس الوتيرة القديمة، مليئة بنفس الروح القديمة، يحس تلميذها إذا ما دخلها بانقطاعه عن العالم وما فيه إلى شبه سجن غير محبوب إن لم يوصف بأنه مكروه، ولكن الجميع ظلوا يكبتون عواطفهم إزاءها لما تجلبه من خير الوظيفة إلى طلابها بعد نيل شهاداتها، وظلت المغريات القديمة تدفع الناس دفعاً للسعي إليها

وبدأت بعد ذلك تظهر مشكلة المتعطلين من المتعلمين بعد أن امتلأت الدواوين بالموظفين وكنت قد تبينت بالبحث حالة المدارس في البلاد الأخرى، وما تسير عليه من أنماط وأساليب، تغاير ما نسير عليه في مدارسنا فرفعت بعض التقارير إلى وزراء المعارف في نقدها مبيناً عيوبها، واستمر ضغط حملة الشهادات على الدواوين حتى اكتظت بهم، وأصبحت المدرسة لا تجد سبيلا لتصريف الخريجين من أبنائها، مما اضطربت له أفئدة المسئولين. وأخذ ألم المتعطلين يحز في نفوسهم ونفوس أهلهم، ويثبط من هم الناشئين المتعطلين، ويضغط في الوقت نفسه على الحكومة ورجالها ضغطاً شديداً. ثم أخذ الحال يزداد سوءاً يوماً بعد يوم. أما المدرسة التي كنا نتحمل قديماً شدتها، ونخضع لما فيها من ضغط وإكراه، في سبيل غرضها الأسمى، فقد أصبحت اليوم لا غرض لها تسعى إليه إذ أحس كل من فيها بزوال غرضها القديم الذي كانت تتجه بكليتها إليه، هذا فوق شذوذها عن الطريق السوي لبعدها عن الحياة وما يجري فيها. وهكذا ساءت الحالة إلى مدى بعيد بين جدران المدارس نفسها، فانحط مستوى التعليم كما انحطت الأخلاق فيها؛ ذلك إلى التعطل الذي ضرب أطنابه بين خريجيها مما أصبح خطره يهدد المجتمع في نظامه وحياته، ذلك المجتمع الذي لم يضن بانفاق الملايين من الجنيهات على مدارسه في سبيل الانتفاع بمجهودات أبنائها

إزاء كل ذلك لم أجد بداً من هذا البحث الذي أنشره في الرسالة تباعاً واضعاً فيه نتائج بحثي وعصارة تجارب حياتي تلميذاً ومدرساً وناظراً بعد جهاد طال أكثر من خمسة عشر عاماً بيني وبين أنصار القديم كنت فيه هدفاً لسهامهم نظراً لما كنت أتمتع به في كتاباتي وأقوالي من حرية الرأي التي نشأت عليها. وهأنذا اليوم أتقدم بالصراحة التي عرفت بها إلى أمتي العزيزة وعلى رأسها عنوان الشباب وقوة العزيمة مليكها المحبوب المتفاني في حبها المتحمس لنفعها وخيرها — بخطط جديدة للاصلاح متمشية مع الروح الجديدة في عالم التربية متضمنة لأحسن الآراء والمذاهب من غير أن أتعرض للتفصيل، ليمحص تلكم الآراء ذوو العقول والأفكار الناضجة في سبيل تنفيذ الصالح منها. ولست أدعي أن الخطط الجديدة التي تضمنها هذا البحث كلها سليمة لا غبار عليها، لأني أعتقد أني لست معصوماً من الزلل، ولكني أقرر أنني بحثتها ومحصتها وأعتقد أن الأخذ بها ينقل عالم التعليم والتربية عندنا من حال إلى حال، لأنه يمنح المدرسة الحياة الحرة المستمدة من حياة مصر الحرة، كما يضع أمامها هدفاً تسعى إليه عن طريق العمل المفيد المثمر. إذ أنها بحالتها الحاضرة تنبو عن أصول التربية والتعليم، كما تتجافى مع الآراء الحديثة فيهما. ولا تتناقى فقط مع ما يجري في مثلها من البلاد الأخرى، بل تتنافى أيضاً مع ما يقع في بلادنا بين سمعنا وبصرنا في المدارس الأجنبية. فلا يليق باستقلالنا ونهضتنا وحريتنا أن تبقى المدرسة أسيرة لروح التمسك بالقديم. تلك الروح التي قد اضطررت للتنديد بها لما رأيته من وقوفها حجر عثرة في طريق الاصلاح حباً في الراحة والاطمئنان، أو احتفاظاً بالنفوذ والسلطان. ولو أن المسألة وقفت عند هذا الحد لهان الأمر، ولكنها تمتدت إلى الاضرار بمصالح الملايين من فتيان هذه البلاد وفتياتها، بل إلى المساس بمصالح أمة يخشى على نظامها الاجتماعي من الانهيار. من أجل ذلك تقدمت راضيا بتحمل كل تضحية، راضيا ببذل كل مرتخص وغال في سبيل مصلحة بلادي وإخلاصي لمليكي، بالعمل على إنقاذ هذا الوطن من خطر التعطل المحدق به والذي شعر به الجميع، وخشيه الجميع، وأشفق على مصر منه الجميع، راجيا ألا تذهب صرختي هذه أدراج الرياح كما ذهبت صيحاتي السابقة. آملا أن يقرأ المسئولون عن مستقبل هذا البلد هذا البحث بروية وإخلاص وأن يبحثوه ويمحصوه. فاذا اقتنعوا بكل ما فيه أو ببعضه عملوا على تنفيذه، وإلا فاني أكون قد أرضيت ضميري وأديت واجبي. هذا وان كنت قد اضطرني البحث إلى ذكر بعض مساوئنا وأخطائنا، فانما فعلت ذلك ليكون في حاضرنا عبرة لمستقبلنا. وإذا كنت كذلك قد اضطررت إلى التنديد بروح الاحتفاظ بالقديم في ديوان المعارف وفي معاهد التعليم، فاني أرجو ألا يفهم من

كما رآنا غيرنا

رجولة باكرة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

كان السائح الأمريكي « بايارد تيلور » شاعراً كاتباً ذا ولع بالأسفار وقد ولد في « بنسيلفانيا » عام ١٨٢٥ . وألف كتباً كثيرة في وصف رحلاته منها كتاب يصف فيه رحلة إلى السودان ومصر ومنه نقتطف هذه القطعة

وقد عين سفيراً للولايات المتحدة في برلين وعاش مدة طويلة هناك وتوفي عام ١٨٧٨ وهو يشغل هذا المنصب الرفيع

قال :

من بين الموظفين المصريين الذين عرفتهم في الخرطوم سيد كان قد نفاه إليها والي مصر . وهذا السيد المنفى هو رفاعة رافع الطهطاوي ، وهو من ذوي الثقافة العالية والذكاء المتوقد ، وقد أحزنه كل الحزن إبعاده عن وطنه وعن أهله إلى هذا البلد السيء الجو الذي عانى فيه ألماً شديداً بسبب الحمى المنتشرة فيه

وكان لا يعرف إلى أي مدى تطول مدة نفيه . وقد قضى إلى الوقت الذي لقيته فيه عامين في المنفى خاضعاً لرقابة شديدة تفرض عليه ألاَّ يتسلم خطاباً إلا عن طريق الحكومة التي تفض رسائله لتعرف ما بها . وقد امتنعتْ عليه بهذه الوسيلة صلته بأصدقائه في مصر ممن يخشون عواقب تلك الرقابة . ولم يكن في وسعي أن أعرف السبب الذي نفي من أجله ، وقد يكون هو نفسه غير عالم بسبب هذا النفي



سفير الولايات المتحدة في بيت رفاعة رافع الطهطاوي

وليس في البلاد الشرقية انتخابات عامة ولا للشعوب الشرقية رأى في اختيار حكامها ، فكل من بها من الحكام يعينهم الولاة وفق أهوائهم ولا يستطيعون الاحتفاظ بمناصبهم إلا كما يريد الولاة . وقد يدفع التنافس أو الحسد واحداً من الباشوات إلى إهلاك خصم له بريء غافل عن سبب الكيد . وربما كان سبب الكيد لا يعدو أن يكون أحدهم طامعاً في منصب الآخر فيوغر عليه صدر الوالي حتى ينفيه

وقد اكتسب هذا السيد محبتي وعطفي العميقين في الليالي التي كان يقضي فيها السهرة معي ومع القنصل الأمريكي . وكان يطمئن إلي بمجلسنا فيشكو لنا ما يعانيه من الظلم . أما حين نلتقي به في منزل أي موظف مصري فقد كان يحرص على عدم الخوض في هذا الموضوع خشية أن تُنقل عنه أحاديثه إلى الحكومة

ولما كنت أجنبياً غريباً فانه لم يخطر ببالي قط أن في وسعي أداء أية خدمة لرفاعه باشا(١) . وكنت مزمعاً العودة إلى بلادي

(١) اعتاد هذا المؤلف أن يلقب رفاعه رافع بلقب باشا والذي أعرفه أنه « بك »

ذلك إلى أوجه النقد إلى أشخاص معينين ، لأن البحث العلمي فوق الأشخاص . وما كان نقدي إلا في سبيل الصالح العام وهو موجه إلى سياسة عامة أنتجت نتائج سيئة هامة ؛ خصوصاً أننا نعلم أن الأشخاص يذهبون ويزولون ، أما السياسة العامة فبقاؤها أدوم وأثرها أعظم في الأبناء والأحفاد ، بل وفي مرافق البلاد . ويكفيني أن يشاركني في ذلك مندوبو مصر في مؤتمر الاتحاد العالمي لجمعيات التربية في جنيف سنة ١٩٢٩ في تقريرهم عن هذا المؤتمر الذي طبعته وزارة المعارف سنة ١٩٣٦ وقد جاء فيه (ص ٣٥) في سياق الكلام عن المعرض الذي أقيم في هذا المؤتمر ما يأتي : « وإني أقول آسفاً إننا لم نعان في الحياة أشد من مرارة المقارنة بين ما نحن عليه من تأخير وجمود وما وصلت إليه تلك الأمم المتمدينة الناهضة . وأمر من ذلك أن نمد أجيالاً طوالاً لابد من أن نمضي قبل أن نلحق بهم مالم يهم أولياء الأمور فينا بثورة على القديم ، ونهضة تحطم الأغلال المتيقة ، وتقلب نظام التربية الحديثة عندنا من أساسه فتدب الروح الجديدة في التعليم من كل نواحيه » «يتبع» عبد الحميد فهمي مطر

عن طريق مصر . ولكن معرفتي باللغة العربية محدودة وإلمامي قليل بعاداتها ونظمها . وفضلا عن ذلك فقد كنت أرجو ألاَّ أطيل بها المكث إلا ريثما أعبرها إلى الشاطئ

على أنني كنت أسير وإياه في الطريق في ليلة من ليالىَّ الأخيرة في السودان فقال لي همساً إن لديه حديثاً يريد أن يسره إلىَّ

ومع أن الليلة كانت مقمرة فقد كان معنا خادم وطني يحمل المشعال، فأمره الباشا بأن ينصرف ، فاختفى عن نظرنا بعد قليل في منعطف ضيق من منعطفات الطريق، وكان الصمت مخيماً ولولا أصوات الرياح إذ تتخلل أطراف النخيل البارزة رؤوسها فوق أسوار الحدائق

وقال الباشا وهو يمسك بيدي : « لنا أن نتحدث الآن بضع دقائق دون أن يسمع أحد حديثنا ولي رجاء لديك »

قلت : « على الرحب إن كان في وسعي »

فقال: « إنك لن تتكلف مشقة ما، ولكنك ستؤدي لي مع ذلك خدمة جليلة . أرجو أن تحمل عني خطابين إلى مصر، أحدهما إلى نجلي في طهطا ، والآخر إلى المستر موري القنصل الانكليزي في القاهرة ، ولا أستطيع ائتمان التجار المصريين على هاتين الرسالتين ، فلو فضتا وقرئتا لطال أمد نفيي في هذه البلاد سنين عدة . أما إذا تفضلت بإيصالهما فان أصدقائي بمصر سيعرفون السبيل إلى معاونتي وربما تمكنوا من إعادتي إلى وطني

فوعدته بأن أسلم الخطابين إلى صاحبيهما يداً بيد . فبدا الانشراح على وجه الباشا وودعني عند باب القنصل الأمريكي

وبعد أيام قليلة استأنفت رحلتي ، وكان من أيسر الأمور أن أتصل برفاعة باشا وأن يسلمني الخطابين دون أن يتنبه أحد إلى ذلك ، ووضعتهما في حافظتي مع سائر أوراقي ولم أتحدث في هذا الشأن مع أي إنسان في الخرطوم

وكانت رحلتي إلى مصر طويلة شاقة يستغرق مني وصفها أياماً لو حاولت ذلك ، فقد قضيت في السفر شهرين قبل أن أتمكن من تسليم رسالة الباشا إلى ابنه المقيم في طهطا بصعيد مصر على بعد بضعة أميال من مجري النيل . ويحيط بها سهل جميل يغمره ماء النيل مرة في كل عام

وبعد تحريات قليلة وصلت إلى منزل رفاعة باشا ولكن لم يؤذن لي بالدخول لأن السيدات المصريات لا يسمح لهن باستقبال الأجانب . وكان بالمنزل قاعة واسعة مفتوح بابها على الطريق ، فأجلست فيها ريثما تذهب جارية سوداء لتأتي بابن الباشا من المكتب؛ وجلس معي في تلك القاعة خادمي الأمين . وقد تسامع أهل البلد أثناء وجودي في الانتظار أني آت من الخرطوم وأني أعرف الباشا فأتوا من كل حدب ليسألوني عنه ، وكانوا جميعاً في نهاية الأدب والود ، واغتبطوا لما طمأنتهم عليه كما لو كانوا جميعاً من أفراد أسرته

وبعد ربع ساعة عادت الجارية يتبعها ابن الباشا ومعلمه في المكتب ، وكان هذا المعلم قد صرف جميع الطلبة وأغلق المكتب وجاء ليسمع أخبار الباشا .

كان عمر هذا الصبي أحد عشر عاماً ولكنه أطول قامة ممن هم في مثل عمره . وقد ابتسم حين رآني ابتسامة عذبة، ولولا إلمامي بعض الإلمام بعادات هذا الشعب لمددت إليه يدي وأجلسته على ركبتي وطوقت خصره بذراعي وتحدثت إليه بغير تكلف ، ولكني رأيت أن أصبر حتى أرى كيف يكون مسلكه نحوي .

حياني في وقار وجلال كما لو كان رجلا له سمت وأبهة ؛ ثم تناول يدي فأدناها من قلبه ثم من شفتيه ثم من جبينه ؛ ثم اتخذ مجلسه فوق ديوان عال بجانبي .

وأعاد تحيتي وهو في مجلسه وصفق ثلاثاً ، فجاءت جارية أمرها بأن تمد لي القهوة ثم قال : « كيف صحتك ياصاحب السعادة ؟ » فأجبته : « بخير والحمد لله »

قال : « هل لديكم أوامر لي ؟ مروا تطاعوا ! »

فقلت : « أشكر لطفك، وليس لدي إلا تحيات أحملها إليك من أبيك الباشا ، وخطاب منه وعدته بأن أسلمه إليك يداً بيد »

ثم دفعت إليه بالكتاب فوضعه على قلبه ثم قبله وفض غلافه.

وبعد قراءته التفت إلىَّ وقد توردت وجنتاه وسطعت عيناه وقال : « أتأذنون لي ياصاحب السعادة بأن أسألكم هل معكم كتاب آخر ؟ »

قلت : « نعم ولكن سأسلمه لصاحبه كذلك يداً بيد »

قال : « أصبت . ومتى تصلون إلى القاهرة ؟ » فقلت : « الأمر يتوقف على حالة الرياح ولكني أظن أن المدة لا تتجاوز سبعة أيام »

وأمر الصبى بكلمات إلى معلمه ، وبدا على وجهيهما الاغتباط . . ولم يعد كلانا إلى التحدث فى هذا الموضوع .

وجيء بشراب لا شيء فيه سوى عصير الليمون المحلى وماء الورد . ثم جيء بالرمان وسألني الصبى أن أشرفه بالبقاء لديه سائر اليوم

ولولا أنني كنت أرى وجهه وهو يحادثني لظننت أني أحادث رجلا، فقد كان هذا الصغير من الجلال وقوة الأمر كعظماء الرجال

وكان الناس حولنا كأنهم معتادون مشاهدة هذا النضوج السابق لأوانه فى الأطفال. وكنت مضطراً إلى أن أتخذ حياله من الاحتشام والكلفة كما لو كان هو حاكم المدينة . على أن ذلك لم ينتقص من محبتي؛ إياه ووددت لو عرفت موضوع حديثه مع معلمه. ولست أشك في أنهما كانا يحاولان تدبيراً لاعادة الباشا من منفاه

وبعد ساعتين أو ثلاث ساعات عدت إلى السفينة التى جرت بى فى بطه إلى الشمال .

نهض الصبى عند نهوضي ومشى بجانبي إلى آخر حدود المدينة والناس على أثرنا فى نظام وعند وصولى إلى السفينة حياني مودعاً مثل تحيته إياى مسلماً وقال :« اسأل الله أن يجعل رحلتكم سعيدة ياصاحب السعادة »

وقد بدالى أن منظر استقباله ووداعه والوقت الذى قضيته وإياه — لقد بدا لى أن كل ذلك كان قطعة من ألف ليلة، فانى إن نسيت شيئاً فلا أنسي تلك الذكرى الجميلة البارزة . أما بالنسبة لهذا الشعب فما من شك أن هذه الحالة هى حالتهم العادية التى تتكرر كل يوم

عبد اللطيف النشار

جورجياس

او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٣ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجمل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »[(١)]

ط — (مجيبا بولوس الذى اعترف بأن الطاغى ظالم) وما دام الأمر كذلك فلن يكون أحدهما أسعد من الآخر ، لا هذا الذى نجح بظلم وصار طاغياً ، ولا ذلك الذى أسلم نفسه للعقاب ، لأنه لا يستطيع أحد الشقيين أن يكون أسعد من أخيه ! ! ولكن أشقاهما — مع ذلك — هو من فر من العقاب وصار طاغياً ،

(١) رأينا « بولوس » فى العدد الماضى يخرج « سقراط » بمثلين شهيرين أحدهما مثل « أرشليوس » الذى رأى السعادة فى قتل من هم أحق منه بالعرش ثم اغتصاب الملك وإشباع الشهوات ، والآخر مثل ذلك « الظالم » الذى أمسكنا به وعذبناه ثم أحرقناه حيا كيما نحول بينه وبين الظلم من ناحية ، وكيما نحقق له سعادة العقاب كما يدعى سقراط من ناحية أخرى . وسنرى اليوم كيف يمهد سقراط لنقد ما أراده « بولوس » من هذين المثلين المحرجين اللذين يصلحان لقياس كثير من حوادث حياتنا الراهنة إليهما

« المعرب »

فترى أى معنى لذلك يا بولوس ؟ أتضحك ؟ أمن الأساليب الجديدة في المناقضة أن تهزأ وتسخر مما يقال دون أن تقدم أى سبب لهزئك وسخريتك ؟

ب — ألا تعتقد أنك تكون قد نُوِقضتَ إطلاقاً ياسقراط عند ما تقول بأشياء لا يقرها إنسان؟ سائل بالأحرى أى مساعد تشاء !

ط — لست من عداد السياسيين يا بولوس ، وقد شاء القدر أن أكون فى العام الماضى عضواً بمجلس الشيوخ عند ما سادت قبيلتى بدورها فى الجمعية العمومية ، فلما وجب علىّ أن أتكلم عن السؤال المعروض[1] ضحكتُ ولم أدر ماذا أفعل ، فلا تطلب منى اليوم إذاً أن أعرف رأى الساعدين ! وإذا لم يكن لديك شهادة أفضل من شهادتهم فدعنى آخذ مكانك كما اقترحت عليك منذ لحظة ، ودعني أسائلك كما أفهم المساءلة ! ذلك أنى لا أستطيع أن أدعم تأكيداتى إلا بشاهد واحد هو نفس من أتناقش معه دون أن أعني بالعدد الكبير من الناس ! وبعبارة أخرى إننى أعرف أن أحمل شاهدا واحدا على الكلام ولا أعنى بمناقشة العدد الكبير فى شيء !! فلنر إذاً إذا كنت توافق على أن أسألك فتجيب !. لقد أقنعت نفسى بأنك وبأني والجميع نرى أنّ ارتكاب الظلم أكثر شرا من احتماله ، وأن احتمال العقاب أقل شرا من الفرار منه !

ب — وأرى أنى لست فى جانب هذا الرأى ولا أى إنسان آخر ! . فهل تفضل أنت احتمال الظلم على ارتكابه ؟ ؟

ط — أنا وأنت والجميع يفضلون ذلك !

ب — هيهات ، فلا أنا ولا أنت ولا أى إنسان يفضل هذا !

ط — ألا تريد أن تجيب ؟

ب — نعم بالتأكيد لأنى مشوق جدا إلى ما تستطيع أن تقول !

ط — إذا كنت تريد أن تعرف ما أستطيع قوله فأجبنى كما لو كنتُ بدأت فى مساءلتك : ما هو أفدح الشرور فى رأيك يا بولوس ؟ أهو ارتكاب الظلم أم هو احتماله ؟

ب — إنه احتماله — فيما أرى[1] — !

ط — ولكن أجبنى : أيهما « أقبح » ارتكابه أم احتماله ؟

ب — ارتكابه

ط — وإذا فالارتكاب أفدح الشرور مادام هو «الأقبح؟»

ب — كلا — على الاطلاق !

ط — ألا تعتقد أنى أفهم — فيما أرى — أنه لاخلاف بين الحسن والجميل من ناحية ، والردىء والقبيح من ناحية أخرى ؟

ب — كلا بالتأكيد !

ط — ولكن ماذا عساك قائل فى ذلك ؟ أتطلق الجمال على كل الأشياء الجميلة من أجسام وألوان وأشكال وأصوات وأعمال من غير موجب ؟ ولنبدأ مثلا بالأجسام ، ألا تقول إنها جميلة ، بسبب استعمالها نظرا لما نستمده منها من نفع ، أو بسبب لذة خاصة يثيرها منظرها في نفوس الشاهدين ؟ أم هل لديك أسباب غير هذه تحملك على إطلاق « الجمال » على الأجسام ؟

ب — كلا — ليس لدى !

ط — أوليس الأمر بالمثل فى كل الأشياء الجميلة من أشكال وألوان؟ ألسنا نسميها جميلة بسبب لذة خاصة تثيرها، أوبسبب نفع تقدمه ، أو بسبب الاثنين معا؟

ب — بلى .

ط — أوليس الأمر بالمثل فى الأصوات وفى كل ما يختص بالموسيقى ؟

ب — بلى .

ط — وهو بالمثل أيضا فى القوانين والأعمال ، إذ الجميل منها ليس بجميل قط إلا بسبب لذته ، أو نفعه ، أو هما معا ؟

ب — ذلك صحيح فيما يلوح .

ط — أوليس الأمر بالمثل فى جمال العلوم ؟

(١) يشير سقراط هنا إلى اليوم الذى رفض فيه أن يصوت بموت القواد التسعة رغم موافقة المجلس كله على ذلك . وقد خسر اليونان بموتهم مجموعة من أمهر القواد « المعرب »

(١) أرجو أن يدقق القارىء الكريم فى المناقشة التالية لأنها غاية فى الأهمية « المعرب »

ب — بلى بغير ما تناقض . وإنك لتعرف «الجميل» تعريفاً فذا بقولك إنه الحسن واللذيذ . [١]

ط — وإذا فستعرف « القبيح » تعريفاً حسناً بالضدين « الرداءة » و« الألم » ؟

ب — حتماً .

ط — وإذا فيكون أحد الشيئين الجميلين « أجمل » من الآخر بسبب تفوقه عليه فى إحدى الصفتين أو فيهما معاً ؟ : وأعنى بهما اللذة ، أو المنفعة ، أو هما معاً !

ب — بالتأكيد .

ط — ويكون أحد الشيئين القبيحين « أقبح » من الآخر بسبب ما يجلبه من ألم أكثر أو شر أفدح . أليست هذه نتيجة محتومة ؟

ب — بلى .

ط — فانظر الآن ماذا قلنا تواً عن الظلم المرتكب أو المتحمل ، ألم تقل أنت أن «الأردأ» هو « احتمال » الظلم ، وأن «الأقبح» هو ارتكابه [٢] ؟

ب — قلت ذلك حقاً !

ط — وإذا كان ارتكاب الظلم « أقبح » من احتماله ، فانه لايكون كذلك إلا لأن أحدهما يزيد على الآخر — أى الارتكاب على الاحتمال — بالألم أو الشر المسببين ، أو بهما معاً . أليس ذلك ضرورياً بالمثل ؟

ب — بلى ، دون تناقض .

ط — وإذاً فلنر أولا إذا كان الظلم المرتكب يسبب من الألم أكثر مما يسبب الظلم المتحمل ، وإذا كان من يرتكبونه يتألمون أكثر مما تتألم فرائسهم !

ب — ذلك مالا أراه ياسقراط

ط — وإذاً فليس الظلم المرتكب يزيد على الظلم المتحمل بالألم ؟

ب — كلا بالتأكيد !

ط — وإذا كان لايزيد عليه « بالألم » ، فلن يزيد عليه أيضاً « بالشر والألم » معاً ؟

ب — واضح أن لا .

ط — فيبقى إذاً أنه يزيد عليه بالآخر وحده ؟ .

ب — نعم !

ط — أعنى بالشر ! ؟

ب — كما يلوح !

ط — ومادام ارتكاب الظلم يزيد على احتماله « بالشر » ، فاذاً يكون الارتكاب « أردأ » من « الاحتمال » .

ب — ذلك واضح .

ط — أوليس مسلماً به من أغلب الناس ، أولم تعترف لى بنفسك سابقاً ، أن ارتكاب الظلم « أقبح » من احتماله ؟

ب — بلى .

ط — وقد رأينا أيضاً أن الارتكاب هو « الأردأ » ؟ ؟

ب — يلوح ذلك .

ط — والآن أتفضل ماهو أكثر رداءة وقبحاً على ماهو أقل منهما فى ذلك أم لاتفضله ؟ ؟ أجب من غير تردد يابولوس فلن يصيبك أدنى سوء ، وأسلم نفسك للحوار بشجاعة كما تسلمها للطبيب ، وأجبنى بنعم أولا . !

ب — كلا ياسقراط فأنا لا أفضله

ط — وهل هناك إنسان يفضله ؟

ب — يلوح أن لا ، وعلى الأقل بعد ذلك التدليل !

ط — وإذاً فقد كنت محقاً في قولى إنه لا أنا ولا أنت ولا أى إنسان آخر ، يفضل ارتكاب الظلم على احتماله ، ما دام أن ذلك شىء أكثر « رداءة » !

ب — ذلك واضح . [١]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) يلاحظ أن بولوس يحل محل كلة « النافع » التى استعملها سقراط كلة « الحسن » وهي تشمل معنى الحسن والنفع معا . وسنرى أن سقراط يستعمل فى رده بالمثل كلة « ردىء » محل كلة « ضار » لأنها تشمل الرداءة والضرر معا « المعرب »

(٢) بهذا التحليل العميق الذى لم يعرفه الشرق فى فلسفته يوقع سقراط بولوس فى التناقض ويقوده إلى التسليم برأيه « المعرب »

(١) وهكذا يثبت سقراط بتحليله الفائق أن ارتكاب الظلم أفدح من احتماله . وسنرى فى العدد القادم كيف يثبت القضية الثانية ، قضية تحمل العقاب خير من الفرار منه . « المعرب »

من مشاكل التاريخ

مكتبة الأسكندرية

تأسيسها ورواية احراقها

للأستاذ خليل جمعة الطوال

(بقية المنشور فى العدد الماضى)

قال الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار : ولكن متى علمنا أن عبد اللطيف البغدادى الذى كان قبل أبى الفرج بزمن قليل قد ذكر أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الأسكندرية كانت التبعة عليه دون أبى الفرج لاحتمال أن يكون أبو الفرج قد أخذ هذه المقالة عن عبد اللطيف البغدادي الذي رمى بهذه الجملة بغير سلطان أتاه . ولم يقل لنا من أى تاريخ أخذ ولا من أى مصدر استقى . والظاهر أنه حين علم بأنه كان فى هذا المكان مكتبة عفى الزمان على أثرها ، افترض أن الذى دمرها إنما هو عمرو بن العاص، وربما شجعه على ذلك أقوال العامة أو نحو ذلك فظن الأمر حقيقة واقعة . . .

وقال الدكتور « غوستاف ليبون »(١) نقلا عن « لودفيك لالان» الذى ناقش مسألة إحراق مكتبة الاسكندرية مناقشة علمية مختصرة : إن أول مؤلف ذكر حريق العرب لهذه المكتبة هو عبد اللطيف الطبيب العربى البغدادى الذى توفي سنة ١٢٣١ م أى بعد ٥٩١ سنة من وقوع تلك الحادثة . أما من خصوص حريق مكتبة الاسكندرية المزعوم فانه همجية وعداوة للمدنية ، منافية لأخلاق العرب على خط مستقيم ، حتى إنه يمكن أن يسأل الانسان نفسه كيف أن قصة كهذه قبلها منذ زمن طويل كثيرون ممن يعتد بعلمهم ؟ وقد كذب العلماء هذه القصة فى زمننا مرات كثيرة فلا نرى حاجة فى العودة إلى تكذيبها ، ولا أسهل من الاستشهاد على ذلك بايراد أقوال كثيرة جلية تثبت أن المسيحيين كانوا أعدموا الكتب الوثنية التى بالأسكندرية ، قبل العرب بزمن طويل وكسروا كل التماثيل أيضاً . ويفهم من ذلك أنه لم يكن بالأسكندرية بعد ما يحرق .

(١) Le Bon. Gustave : La Civilisation des Arabes. Paris 1884.
وكتاب : تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم حسن .

وأما أبو الفرج الملطي فقد نقل روايته عن جمال الدين القفطى وكان قد توفى قبله بنحو أربعين سنة تقريباً فى حلب أى عام ٦٤٦ هـ وقد ذكرها هذا فى نسخة خطية فى دار الكتب المصرية مكتوبة سنة ١١٩٧ م من كتاب له اسمه تاريخ الحكماء وإليك نص روايته :

« وعاش (يحيى النحوى) إلى أن فتح عمرو بن العاص مصر والأسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى له مع النصارى (١) فأكرمه عمرو ورأى له موضعاً وسمع كلامه فى إبطال التثليث فأعجبه، وسمع كلامه أيضا في انقضاء الدهر ففتن به وشاهد من حججه المنطقية وسمع من ألفاظه الفلسفية التى لم يكن للعرب بها أنسة ما هاله . وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكاد لا يفارقه ، ثم قال له يحيى يوما « إنك قد أحطت بحواصل الأسكندرية وختمت على كل الأجناس الموصوفة الموجودة بها ، فأما مالك به انتفاع فلا أعارضك فيه ، وأما مالا نفع لكم منه فنحن أولى به ، فأمر بالافراج عنه» فقال عمرو : « وما الذى تحتاج إليه ؟ »قال : كتب الحكمة فى الخزائن الملوكية ، وقد أوقعت الحوطة عليها ، ونحن محتاجون إليها ، ولا نفع لكم بها . فقال له : « ومن جمع هذه الكتب (٢) وما قصتها ؟ » فقال له يحي : « إن بطلوماوس فيلاذلفوس من ملوك الأسكندرية لما ملك حبب إليه العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها وأفرد لها خزائن فجمعت وولى أمرها رجلا يدعى بابن مرة (زميرة) وتقدم إليه بالاجتهاد فى جمعها وتحصيلها والمبالغة فى أثمانها وترغيب تجارها ففعل واجتمع له من ذلك فى مدة خمسون ألف كتاب ومائة وعشرون كتاباً

«ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة ، أترى بقى فى الأرض من كتب العلم ما لم يكن عندنا ؟ فقال له زميرة : « قد بقى فى الدنيا شىء فى السند والهند وفارس وجرجان ، والأرمان

(١) كان يوحنا قسيساً قبطياً من الأسكندرية اشتهر عند المسلمين باسم (غرساطيقوس) أى النحوى ، وكان يعقوبيا يعتقد بالتثليث ، ثم رجع عنه فأسقطه الأساقفة من منزلته ، وقد توفى كما أثبت بطلر قبل فتح العرب لمصر بأربعين سنة تقريبا .

(٢) راجع : تاريخ الحكماء للقفطى ، ومختصر الأول لأبى فرج

وبابل والموصل وعند الروم. فعجب الملك من ذلك وقال له: دم على التحصيل. فلم يزل على ذلك إلى أن مات، وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم إلى وقتنا هذا». فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى وعجب منه وقال له «لا يمكنني أن آمر بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب». وكتب إلى عمر وعرفه بقول يحيى الذي ذكر واستأذنه ما الذي يصنعه فيها فورد عليه كتاب عمر يقول فيه «وأما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله تعالى فلا حاجة إليها فتقدم باعدامها» فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية وأحرقها في مواقدها وذكرت عدة الحمامات يومئذ وأنسيتها فذكروا أنها استنفدت في مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب[1]» اهـ

هذه هي الرواية التي نقلها أبو الفرج عن القفطي فيما بعد فتداولتها الألسن على علاتها، وروج لها الشعوبيون على أنها حقيقة لاغبار للشك عليها. وقد دحضها كل من جبون، ولوبون وبطلر، وسيديّو، وشبلي النعمان[2]

ولقد أعجبنا في دحض هذه الفرية دفاع الدكتور حسن ابراهيم حسن[3] إذ يقول: «ومما يدل على اختلاق رواية أبي الفرج ومن تقدمه ما ذكره بطلر، إذ حلل هذه الرواية تحليلا لا يسع القارئ إلا أن يحكم ببراءة عمرو بن العاص مما نسب إليه، والاعتراف بأن مكتبة الاسكندرية لا بد أن تكون قد فنيت قبل الفتح الاسلامي بمدة طويلة؛ فذكر نقلا عن «اميانوس مارسينوس» أن السبعمائة الألف مجلد التي كانت تحتوي عليها مكتبة الاسكندرية قد أتلفت إتلافاً تاماً حين حوصر «يوليوس» قيصر الروم بالاسكندرية كما تقدم، وممن أيد هذا الرأي أورازيوس حيث اعتقد أيضاً أن هذه المكتبة قد دمرت في حريق يوليوس المذكور

وأضاف «بطلر»: «ومن سوء الحظ أن مثل جواب عمر قد ورد أيضاً بخصوص إحراق الكتب في فارس». وقد علق الأستاذ «برى» بقوله: «إن شعور المسلمين نحو كتب الوثنيين الفرس يختلف اختلافاً تاماً عن شعورهم نحو كتب النصارى إذ كانوا يكرهون أن يتمرضوا لما فيه اسم الله[1]»

وإذا سلمنا جدلا بأن احتراق مكتبة الاسكندرية قد حصل فعلا كما رواه أبو الفرج الذي ذكر أن الكتب قد وضعت في سلات وزعت على الأربعة آلاف حمام، وأنها ظلت تسخن مياهها ستة شهور، فان هذا الخبر على ما يظهر لنا عبارة عن أكاذيب وأضاليل لا حقيقة لها أصلا، إذ لو قصد تدمير هذه الكتب حقيقة لأمر باحراقها في الحال، ولم يكن عمرو بالرجل الساذج الذي يضع هذه الكتب تحت رحمة أصحاب الحمامات، فلا يصعب بذلك على «يوحنا» أو أي إنسان سواه أن يستولى على قدر عظيم منها بثمن بخس، ولدى يوحنا وغيره من عشاق الكتب ما يكفى لتحقيق هذه الأمنية وهي انتشال عدد كبير منها من مخالب النيران. على أن ما جاء برواية أبي الفرج من أن هذه الكتب كفت الحمامات ستة أشهر مما يثير الدهشة والاستغراب في نفوسنا لأنه لو قدر لكل حمام مائة مجلد في اليوم على الأقل (وعددها أربعة آلاف حمام) لبلغ هذا العدد الذي أحرق في ذلك الوقت (٧٢،٠٠٠،٠٠٠) مجلد وهو ضعف عدد مجلدات المكتبة الحقيقي بنحو ١٠٣ مرة تقريباً. ويستدل مما ذكر أن السبعمائة الألف مجلد لم تكن لتكفي الأربعة الآلاف حمام ساعة واحدة لا ستة شهور[2]

وزاد على ذلك أستاذنا اسماعيل رأفت بك مؤيداً استبعاد وقوع هذا الأمر بقوله: «إن الكاغد بقطع النظر عن الرق وإن كان يصلح لا يقاد النار، إلا أنه لا يصلح لبقائها متقدة أصلا»

وقد برهن بطلر على أن يوحنا النحوي الذي ذكره أبو الفرج في روايته لم يكن حياً يرزق وقت فتح الاسكندرية، سنة ٦٤٢ م لأن يوحنا هذا كان قد اشترك مع «ديوسفوروس» و«جايوس» و«ساويرس أسقف أنطاكية» في الكتابة ضد مجمع خلقدونية، ويكون قد عاش في أوائل القرن السابع الميلادي: أي قبل سنة

(١) لم يذكر أحد هذه الرواية قبل البغدادي، والأغرب ألا يذكرها الطبري والمسعودي، وابن خلدون، والبقولي وابن الأبكر ... الخ

(٢) و (٣): تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم حسن

(١) Bury. J. B: History of the bter Roman Empire. London, 1889.

(٢) فتح العرب لمصر لبطلر (بالانكليزية)

٦٤٢ م . ولا بد أن يكون قد مات قبل دخول عمرو الاسكندرية بثلاثين أو أربعين سنة ... الخ. وختم بطلر كلامه قائلا : لا أزال أقول إن احراق العرب لتلك المكتبة غير محتمل جداً ، لأن العرب لم تدخل الاسكندرية إلا بعد استيلائهم عليها بأحد عشر شهراً . وقد ذكر فى عهد الصلح (مادة ٤ ، ٦) أنه يجوز للروم أن يحملوا إلى بلادهم كل أمتعتهم ، وفى غضون هذه المدة كان البحر مفتوحاً ولم تكن أمامهم أية صعوبة لحملها إلى بلادهم ، وما كان يصعب على يوحنا (بفرض وجوده) وأمثاله أن يقتنوا هذه الكتب قبل أن تقع الاسكندرية نهائياً في أيدى العرب . انتهى كلام الدكتور حسن ابراهيم حسن (١)

هذه هى المصادر والروايات الهامة التى يتعلق بها الشعوبيون فى الحط من كرامة الفاروق والعاص ، وفيما سلف أن فصلناه الكفاية للدلالة على ضعفها وفسادها ، وأما بقية الروايات فانها قد أخذت عنها وتنطوي تحت حكمها

وأما عبارة حاجى خليفة وهى : « ويروى أنهم أحرقوا ماوجدوه من الكتب فى فتوحات البلاد » فلا يصح أن تؤخذ حجة على العرب لأنه لم يذكر فيها اسم هذه المكتبة ، ولا أشار إليها ، ولكنه أراد أن يقول إن المسلمين فى أول فتوحهم لم يعتنوا بالعلم لتعلقهم بالوحى وخوفهم من تسلط العلوم الأجنبية عليهم وعلى عقولهم .

ولقد اعتاد الناس إذذاك أن يقاوموا الأديان الجديدة المخالفة لعقائدهم ، فلما جاءت المسيحية قاومتها الوثنية مقاومة عنيفة ، وأوقعت بأتباعها مرّ العذاب ، وشديد التنكيل ، فلما ظهرت هذه عليها كالت لها الصاع صاعين ، وبادلتها الشر بمثله ، وكان المسيحيون يعتقدون إذ ذاك أن هدم المعابد والهياكل الوطنية شرط لازم لتأييد المسيحية ، ولذلك فان أباطرة الروم عندما تنصروا كان أول ما أمروا به هدم هياكل الأوثان فى مصر وإحراقها بما فيها من الكتب . ولما كانت مكتبة الاسكندرية من آثار الوثنيين ومؤلفاتهم ، فليس هنالك مايبرر حرقهم إياها.

(١) ذكرت العلامة الفرنسية (دائرة المعارف جـ ٣ ص ٦٤٨ أن مجموع المؤلفات التى كانت بالسيرابيوم قد أحرقها النصارى فى القرن الرابع للميلاد

ولم يقتصر هذا الأمر على الكتب الوثنية فقط بل تعداه إلى جميع الكتب غير المسيحية ، فقد أحرق الكردينال كسيمنس جميع كتب المسلمين فى غرناطة وكانت ثمانين ألف مجلد ، وأحرق الأسبانيون غيرها عشرات المكاتب العامة فى القرن السادس عشر كرهاً للعرب ، وفى القرن الثانى عشر أتلف الصليبيون معظم مكتبة طرابلس ، وكذلك يوم أمر ضجيل باحراق كتب (١) دار العلم فيها وكانت تقدر بأكثر من مائة ألف مجلد .

ونحسب بعد هذا أن قد وفينا الموضوع حقه من البحث ، فى دحض هذه الفرية الشائنة التى لفقها بعض الشعوبيين على العرب تلفيقاً ، وأننا قد بلغنا بالقارىء محجة الاقناع . وسنتقدم فى مقال آت لدحض فرية أخرى عن الاسلام لا تقل عن هذه شناعة . وسنواصل نشر هذه البحوث فى الرسالة العزيزة حتى يتم طبع كتابنا فى الدفاع عن الاسلام ، وبذلك نكون قد وضعنا تحت متناول القارىء ما يساعده على مجابهة الخصوم ، ونكون قد أدينا لهذه الأمة العزيزة بعض ما أخذنا على عاتقنا عبئه ، وأنجزنا بعض ما سجلته علينا الرسالة العزيزة من الوعود القاطعة .

خليل جمعة الطوال

(١) راجع : الاسلام والحضارة العربية جزء ١ لمحمد كرد على .

على ذكر مؤتمر القاهرة

فلسطين العربية

للدكتور حسن إبراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

إن أبرز ما يتسم به الإسلام هو التسامح إزاء من يعيشون معه أو في كنفه ، وتلك جِبِلّة في العربيّ أنّى كان ؛ غير أن خصومه لم يقدروا فيه ذلك التسامح حق قدره ، ولم يحملوا للعرب هذه المكرمة التي يظهرونها في كل حين مهما اشتدت بهم الأمور ، وحاقت بهم الخطوب

واليهود في ادعائهم فلسطين وطناً قومياً لهم إنما يتنكّبون السبيل السويّ والصراط المستقيم ، فما كان لهم في عصر من العصور وطن قومي حتى يجوز لهم اليوم التشبّث به. وخير لهم أن ينضووا تحت ظلال الشعوب التي هم بينها . وأنّى لهم أن يعرفوا « الوطن القومي » وهم لا يعرفون الشعور القومي ، ولكنهم قوم غرقوا في العصبية الجنسية تقليداً فحسب ، فلا جرم إذا هم سموا وراء مصالحهم قبل أن يفكروا في مُسَاونة من هم بينهم، ولا غرابة — حين يبدو هذا منهم — أن تقف منهم جميع الدول الغربية موقف المضطهد المستنكر لأعمالهم ، ذلك لأنها أحست بوطأتهم وضررهم ، ورأت أنهم يتعصّبون لجنسهم لا لقومية فيهم ، فاليهودية اسم للدين لا للوطن ، على حين أننا إذا قلنا « العروبة » شخصت الأبصار والأذهان إلى الجزيرة العربية وأطراف العراق وبلاد الشام موطن الغساسنة

لقد كتب الله على اليهود التشتت والتفرقة « وضربت عليهم الذّلة والمسكنة وباؤا بغضبٍ من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » وكيف يريدون أن تكون فلسطين وطناً لهم وفي بلاد العروبة أنفس أبيّات لا ترتضي الذّل وتأبى الصبر على الهوان ؟ وكيف يريدون فلسطين وطناً لهم وهي مهبط المسيحية الغراء ، والأرض التي درج عليها عيسى عليه السلام ، وفيها مناسك النصرانية ؛ وهي الأرض المقدسة بعد الحجاز عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؟ قل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله).

ولو رجعنا إلى التاريخ نستوحيه الخبر عنهم ، لرأيناهم لا يستقيم لهم أمر إذا التأموا ، فلقد كانوا حرباً عواناً على المسيح وأنصاره، مؤيّدين للظلم ولو عرفوا الحق

أما في الاسلام فقد حاربوه وناجزوه العداء وهو دين الوحدانية ، ولم يتورّعوا عن اتخاذ أية وسيلة لمحاربته ، وكانوا كثيرين في الجزيرة ، ولكن نصر الله نبيّه وأيّده بروحه ، وأمدّه بكل ما حقق به للاسلام والعروبة الفوز المبين والنصر الباهر

نشب النضال بين اليهود والمسلمين منذ رحل النبيّ عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنوّرة ، واتخذها مركزاً لبث دعوته ، ورأوا في محمد (صلوات الله عليه) وفي دينه منافساً جديداً يوشك أن يقضي على نفوذ كل دينٍ غيره ، فأبوا إلاّ محاربته، مع أنهم كانوا يستنصرون به على العرب في الجاهلية ويقولون « اللهم انصرنا بنبيّ آخر الزمان » فإذا سألهم العرب قالوا « إن نبيا قد قرب زمانه ، وسيكون لمن اتبعه العز والنصر إلى يوم القيامة » ويتوعدون العرب باتباعه والاستنصار به عليهم ، ولكن ما كاد محمد عليه السلام يذيع رسالته حتى ناصبوه العداء ، بعد أن كانوا يستفتحون به عليهم

وكان اليهود يكرهون محمدا والعرب والمسلمين ، وينظرون إليهم وإلى دعوته بعين الخوف والفزع من أول يوم طلع عليهم في أفق يثرب ، ثم زاد خوفهم منه وظهر حسدهم له عند ما رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فأخذوا يكيدون للاسلام والمسلمين بالدّس والارجاف ، ثم بالمراء والجدل فيما يعلمون ومالا يعلمون؛ وإذا سئلوا عن شيء مما في كتبهم حرّفوا الكلم عن مواضعه وألبسوا الحق بالباطل ، ليكسبوا ولاء المشركين . وقد نعى الله عليهم ذلك فقال (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزّل الله من فضله على من يشاء من عباده) وكانوا يسمون في دين الله معاجزين لكي يفتنوا المسلمين عن دينهم ، ويوهنوا عقائدهم بالشّبه والأباطيل، فقال تعالى (ودّ كثير من

أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق) ، كل هذا والنبيّ يصابرهم ويصبر عليهم ، ويسوى بينهم وبين المسلمين فى المصالح ويحترم شعائرهم . ولو تركنا ما قاساه النبيّ والمسلمون من كيد اليهود لهم بكافة الطرق ، بل وانتهازهم الفرص لقتل الرسول وتأليب العرب عليه وتحزيب الأحزاب ضده ، ونقضهم عهود المسلمين فى أحرج الأوقات ، لو تركنا ذلك كله ، ورجعنا إلى عهد ابراهيم الخليل عليه السلام لوجدنا انه لم تكن فلسطين وطنه الأصلى ، ومن هنا تنهار إحدى الدعائم التى يستمسك بها اليهود فى أحقيتهم لها؟ فقد ولد عليه السلام بالعراق ، ثم أمره الله تعالى بالدعوة إلى التوحيد ، ثم سار ابراهيم وزوجه سارة وغيرها ممن آمن بدعوته إلى حران ، ثم أتى مصر حيث لحق بهم حتى فرعون الذى أطلقه هو وزوجته بعد أن ظهرت على يد ابراهيم آيات النبوة ، ووهب سارة هاجر جارية لها ، وسار ثلاثتهم إلى الشام ، ثم شخص ابراهيم بهاجر وإسماعيل إلى بلاد الحجاز ، فأية دعوة لليهود بملكية فلسطين ؟ ولو أجيبوا إلى دعوتهم لحق لأهل بريتانى الفرنسية المطالبة بملكية انجلترا دون الانجليز ، لأنهم غزوا انجلترا وسكنوها ، حتى نسبت البلاد إليهم كما غزاها الرومان إلى سنة ٥٤ ق . م والانجليز والسكسون والدانيمركيون، وغزاها كذلك وليم الفاتح النرمندي (من مقاطعة نرمنديا بفرنسا) وانتصر سنة ١٠٦٦ م فى موقعة هستنجس، فهل يحق لفرنسا وإيطاليا والدانمرك أن يطالبوا بانجلترا اليوم لأنهم غزوها واستولوا عليها بحد السيف فى يوم من الأيام ؟ هذا على الرغم من أن اليهود لم يغزوا فلسطين ولم يفتحوها عنوة أو بحد السيف وإنما لجأوا إليها كما لجأوا إلى غيرها من بلاد العالم .

ولقد غلا اليهود فى زمن موسى عليه السلام واشتطوا ، ورأى فرعون مصر ذلك منهم فطردهم من بلاده ، فلاذوا بفلسطين وظلوا بها حتى أخرجهم الامبراطور الرومانى تراجان سنة ١٠٥م وكانوا شرذمة عديمة النفع ، كبيرة الضر ، عاكفة على الشر ، مؤبدة للباطل . وإن التاريخ ليأبى إلا أن يعيد نفسه ، فقد نكل بهم الروم فى مصر فخلصهم العرب المسلمون من نيرهم ، واستعملوا سياسة التسامح التى عرف بها الاسلام ، كما نكل بهم القوط فى الأندلس ، وكانت نجاتهم على يد العرب ، فظهر منهم الأطباء

والفلاسفة ورجال المال وأسندت إليهم مناصب الدولة .

وبعد سبعة عشر قرناً نرى هتلر وموسوليني يمثلان معهم نفس هذا الدور الذى مثله معهم من قبل فرعون مصر والروم والقوط وغيرهم . وكأن الصهيونيين لم يشعروا بضرورة وطن قومى لهم إلا بعد عشرات القرون ، ولكنهم قابلوا جميل العرب بالخيانة والعدوان عليهم، لقد صدق الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله (اتق شر من أحسنت إليه) فأية جريرة ارتكبها العرب والاسلام حتى يكيد لهم اليهود وينتقموا منهم فى عرب فلسطين وهم السواد الأعظم من الأهلين ؟

إن فلسطين عربية منذ الجاهلية السحيقة ، سكنها الغساسنة وهم عرب ، حتى إذا كان الاسلام فتحها المسلمون بحد السيف ، فقد أنفذ أبو بكر الجيوش العربية نحو الشمال ، وعقد لأبي عبيدة (ووجهته حمص) وعمرو بن العاص (ووجهته فلسطين) ، ويزيد بن أبي سفيان (ووجهته دمشق) وشرحبيل بن حسنة (ووجهته وادى الأردن) .

ثم فتحت هذه البلاد فى عهد عمر بن الخطاب ، وأبى البطريق سفرونيوس تسليم بيت المقدس إلاّ لعمر نفسه ، فأتى الخليفة ، وتسلم منه مفاتيحها وأعطى لأهلها الأمان المعروف . وصفوة القول أن العرب فتحوا فلسطين ، وأن القتال قام بينهم وبين الروم المسيحيين أصحاب هذه البلاد دون اليهود الذين لم يكن لهم أى أثر فى هذه الفتوح .

وفى عهد آخر نرى فى فلسطين تلك الحروب الطاحنة ، وهى الحروب الصليبية التى قامت بين المسلمين والمسيحيين ، وأريقت فيها دماء كثيرة ، وأبلى فيها البلاء الحسن أمثال صلاح الدين والظاهر بيبرس والأشرف خليل ، فأين كان اليهود فى ذلك الزمن المفعم بالخطوب والويلات ؟ لعلهم كانوا فى غفلة ، أو لعلهم لم يكونوا فى هذه البلاد ، أو لعلهم لم يكونوا قد تمغنوا بعد أساليب القومية والوطنية . ولو فكر الصهيونيون لرأوا أن من الخير لهم أن يعقدوا أواصر المودة وحسن التفاهم مع العرب، وفلسطين اليوم تعتبر بحق حلقة من حلقات الاتصال فى الثقافة بين الشعوب العربية ، هذا إلى أن استقلال الصهيونيين بجزء من فلسطين يهدد مصر نفسها ، والعرب رأوا أن لا سبيل لتأمين الشام وفلسطين جنوباً إلا بفتح مصر ، كما اتبع هذه السياسة

متى يوجد منقذ العرب

للآنسة فلك طرزى

يحلو لى أحياناً استجلاء بعض أمور الحياة ومحاولة تحليل بواعثها وأسبابها ساعة أخلو إلى نفسي فى وحدة صامتة لا يكون رفيق فيها إلاَّ قلبي وضميرى ، لأن الساعة التى يجالس المرء فيها ضميره وينفرد به في ظلال التفكير والتأمل بعد ساعات يقضيها بين الناس تعد من أعظم ساعات الحياة نفعاً وأرفعها شأناً ، وأ كثرها فائدة . فكم من ضال مخطىء كانت الوحدة سبيل هدايته إلى الحق والصواب ! وكم من نفائس علمية وفنية وأدبية لم يتحفنا بها رجال العلم والفن والأدب إلاَّ بعد ساعات بل أيام انفردوا خلالها بأنفسهم وضمائرهم ، فاذا ما اطمأنوا إلى صمت هذه الوحدة وسكونها ، أرسلوا أنفسهم على سجيتها فانطلقت من عقالها مجتازة الحدود ، مخترقة بنفاذ بصيرتها صميم الحياة ، تكشف الحجب عن حقائقها وترشدهم إلى كل موضع ومعنى من مواضعها ومعانيها ، فيستجلون بدقة خيالهم صورها ، ويدركون بقوة عبقريتهم دقائقها ، فاذا ما انتهوا إلى الادراك ، عرضوا صور الحياة على اختلاف ألوانها ومعانيها ، أمام أبصارنا واضحة صافية ، فيها دقة الفن وفيها دقة الأداء ، لأنهم حين استخرجوها من مكمنها وأخذوا فى توضيحها ، مزجوا ألوانها بألوان نفوسهم ، وأضافوا إلى معانيها من معاني قلوبهم ، وأفرغوا فيها الكثير من إحساسهم وشعورهم

وليس النضال الذى تخرج منه العبقرية إلى النصر بعد عراك طويل مستميت مع مختلف عوامل الحيرة والضعف التى تعترى نفس الفنان أحياناً بأصغر شأناً وأقل خطراً من نضال القائد الجبار الذى يقوم بتدريب فرقة من فرق الجيش فى ساحات الحرب .

أجل يحلو لى اللجوء إلى الوحدة فى ساعة من الساعات نحن نفسى فيها إلى الصمت وتشتهيه ، لكي يتسنى لى عصر قلبى ، فأستنزف منه قطرات من دم الصدق والاخلاص

لقد حدثتنى نفسى أن تأخر الأمة العربية عامة والسورية خاصة ناجم عن سبب خلوها من النهضة الفكرية أو بالأصح من التفكير الصحيح المستقيم الذي هو بمثابة مشعل ينفذ بحامله إلى خفايا حياة أمته ويتغلغل به فى جوانبها وزواياها ، ليطلعه على مختلف شؤونها ونقائصها ، ثم ليقوده بعد النفاذ والتغلغل إلى تشخيص الداء الأساسى الذى تشكو بسببه عللها ومرضها

خذ دليل ذلك أيها القارئ ، وبرهانه الساطع من تاريخ النهضة العربيــة فى غابر العصور ، وتأمل ضخامة الدرس الذى ألقته الأمة العربية على الانسانية جمعاء ، ثم تأمل فى سرعة الانقلاب الذى حدث فى تلك الجزيرة المحاطة بالجدب والقحط من كل نواحيها ، فاذا بها تصبح فى مدة من الزمن لم تبلغ نصف قرن ينبوعاً عذباً صافياً يؤمه كل ظامئ إلى معرفة الحق ، ليرتشف من مناهله ماء الثقة والايمان

أنظر كيف أن قريشاً لم تنهض من الجهل الذى كانت واقعة فيه ولم ترتفع من الدرك الذى انحطت إليه ، إلا حين خرج النبى المفكر البصير ، فبدد جهلها بآيات الكتاب المبين الذى حملته يمينه ، وأيقظ فى قلوبها الحق والايمان مشعل الحقيقة الذى كان نوره ينبعث من بين جوانحه فاذا به يجرى عجباً ، وإذا به يغير حالاً بحال ، ويبدل أموراً بأمور ، فتمسى قريش التى كانت من قبل تغط فى غياهب الجهل والشرك ، كعبة المدنية والحق ، والمنارة التى ترشد الانسانية إلى سبيلهما

قبلهم الكلدانيون والآشوريون والفرس والروم ، كذلك سيهددون مصر إذا هاجر إلى فلسطين يهود ألمانيا وبولندة وغيرها .

ومن ثم نرى أن الواجب يقضى على مصر حكومة وشعباً أن تنظر إلى مغبة الحركة الصهيونية بعين الحذر ، وأن تقف منها موقف الصراحة فى القول ، وأن يعمل الجميع متكاتفين متساندين مع إخوانهم عرب فلسطين وسائر أهالى البلاد العربية . ولامشاحة فى أن وقوف مصر هذا الوقف الحازم سيكون له أثره فى موقف العرب إزاء الحركة الصهيونية ، وسيعزز مركز مصر عند سائر البلاد العربية خاصة والشرقية عامة .

حسن ابراهيم حسن

ثم انظر إلينا كيف نسير متلكئين فى طريق نهضتنا الفنية ونحن بعد بين هجمة ويقظة . . . بين ظلام الليل ونور النهار ، نحاول فى سبيل إيجاد الحل الموافق لقضيتنا المعقدة تتبع خطوات الأمم التى أحدثت الحرب العظمى تغيراً في نظمها ومناهجها الدولى ، ناسين أو متناسين أن للعوامل الإقليمية والتاريخية والنفسية شأناً كبيراً وأثراً بعيداً فى اختيار نوع من أنواع الأنظمة الدولية المختلفة الذى يلائم أمة ولا يلائم غيرها ، إذ هى الدعائم الأولى ، بل القاعدة الأساسية التى يشيد عليها مؤسسو النهضات القومية بناء هذه القومية .

فلا النظام الشيوعى ولا النازى ولا النظام الفاشستى يلائم الأمة العربية : هى بحاجة إلى نظام خاص يكون مقتبساً من تاريخها ، ومستمداً من قوة الحاضر وواقعه .

القضية العربية تشكو خلوها من عالم مدقق حصيف يدرسها على ضوء المنطق ، درساً عميقاً مستفيضاً ، كما درس موسولينى القضية الايطالية، وهتلر الألمانية، وكما درس من قبلهما الفيلسوف الاجتماعى مونتسكيو القضية الفرنسية فكان كتاب « روح الشرائع » الذى أخرجه بعد درس النظام الدولى الانـكليزى ، درساً مشبعاً بروح البحث والتمحيص، ومشعلاً استنار به الفرنسيون واسترشدوا بقوانينه وشرائعه ، فجاء مطابقاً لأهوائهم ، ملائماً لرغائبهم ، محاكياً ميولهم محققاً آمالهم وأمانيهم .

الأمة التى فيها عبقرية وجوهر ، تخلق ذاتها ، وتوجد نهضتها بهذه الذات ، وتختار بفضل تفكيرها وجهودها نوع الأنظمة الذى يوافق طبيعة إقليمها ويلائم مستوى شعبها الفكرى والعقلى والأخلاقى . فهى إذن فى غنى عن تقليد هذا النظام وذاك المنهاج، وهى فى غنى — إذا كانت شروط العبقرية متوفرة لديها — عن اتباع النظم الدكتاتورية التى خلقت الحرب الكبرى وجودها فى بعض أمم الغرب .

ولست أعتقد أن سمة التقليد هي سمة الأمة العربية التى برهنت وتبرهن الآن فى أجل وأقدس بقعة من بقاعها على أنها أمة فيها نبوغ وفيها عبقرية .

أمتنا شبيهة بتلك النفس المضطربة الحيرى التى تحس فى أعماقها بحاجتها إلى الصديق العالم المخلص العطوف الذي يحنو عليها برفق ليسبر بعقله حقيقتها ، ويملك بقوة « سيكولوجيته » كل ناحية من نواحى خلقها ونفسيتها ، ويحبها بقلبه وجوارحه حباً عميقاً صادقاً لا يخالطه زيف يحوجه إلى سلوك طرق النفاق والتدجيل .

ويوم يعلن لها ضحاه وجود هذا الصديق تستطيع هذه الأمة التعسة أن تنام قريرة العين ، لأنها سوف تستودع آمالها وأمانيها فى قلب وفى أمين ، تعلو به مشاعره النبيلة عن الخيانة والكذب ، ويترفع عن استعمال أحط الطارق والوسائل فى سبيل خدعها والسخر منها

فلك طرزى

منتخبات من بلاغة الغرب

الجزء الثانى

للأستاذ محمد كامل حجاج

... « ما فتئ الرجل فى حاجة إلى الملاطفة والحب ، وقد أرضعته أمه افاويقهما ، مذ ظهر فى عالم الوجود ؛ فكانت ذراعها أول من أرجحته وخدرته من الملاطفة والمسح ، فأشرب فى قلبه الميل إلى الحب وفتور الهمة . فتراه إن نغص فى عمله ، أو كدر صفوه ، فى مقاصده ونواياه ، حن إلى الحضن الدافىء وأناشيد الليل ، وقبل السحر ، والشفة الملتهبة بنار الحب البنوى التى كانت تنقض عليها شفته انقضاض النسر على فريسته . والشعر المنثور الذى كان يلتوى على جبينه . فن مشى وتعب عاودته ذكرى المهد ، فتذهب نفسه حسرات . وكلما شب وبسل زاد خذلانه وتهره ، كالنهر ما كبر واتسع إلا وزاد اضطرابه وكثرت أمواجه .

« وحيا يكشر له الفضاء عن أنيابه الحداد ، ويشهر عليه هو وما أقلته وأظلته من العوالم حرباً يستعر لظاها ، ويشيب من هولها الولدان ، يضطر لأن يبحث له عن حضن يسترىح فيه بعد نصبه وقبلة تكفكف ما انهمر من عبراته ، ولـكنه قبل أن يتخلص من مصابه وأوصابه ، وما انهال عليه من صنوف الأحن تشن عليه غارة أخرى خفيه مئت غدراً وجبناً ، وتحتدم تحت ذراعه وفوق فؤاده وما أصلاها إلا المرأة وكل امرأة (دليلة) » ...

ألفريد دوفينى

بين الشرق والغرب

لباحث فاضل

قرأنا كما قرأ كثيرون غيرنا ما كتب فى الرسالة فى موضوع الغرب والشرق ؛ تتبعنا مناظرات كثيرة لفئة من الكتاب منهم العرب وغير العرب . وهذا الموضوع ليس حديث العهد بالجدل والمناظرة، فلطالما قام التفاضلُ بين الشرق والغرب على أن التفاضل فيما مضى قد قام على أساس جغرافى فى تقسيم العالم لأن لكلٍّ مِن العالمين عادات وطبائع تباين الآخر ولقد اتسع مدى هذا التباين حتى ألبس العقلية فى كل منهما مظهراً خاصا تميزت به عن الآخر. فليس غريباً بعد هذا أن نجدَ مثل هذا الاختلاف ممثلاً فى كثير من أوجه الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية . وما مظاهر الحياة وطقوسها فى جميع بلدان العالم إلا صورة لشخصيات الشعوب التى نشأت فيها والتى اشتركت البيئة والتراث فى تكوينها

على أن هذا الاختلاف وإن شمل مناحى الحياة المتعددة وألبس العقلية مظهراً خاصًّا بها فلا نعتقد بأنه اختلاف أساسى فى العقلية ؟ إذ من الواضح أن طبيعة العقلية قد استوت فى قدرتها وقابليتها فى أصل جميع الشعوب . وذلك الاختلاف الذى نرى أثره فى منازع التفكير المتعددة يجب أن يرجع إلى بيئات تلك الشعوب وإلى المؤثرات التى قدّر لكل شعب أن يتأثر بها . فمن سكن اليمن من العرب غير من سكن الأندلسَ منهم ؛ فأوجه الحياة قد اختلفت فيما بينهما مع أنهما من أصلٍ واحد . فمن رجع إلى تراث الأندلسيين ثم نظر إلى تراث اليمنيين تبين له الفرق الشاسع فى كلّ شىء ، أفيكون هذا الاختلاف داعيا إلى شطر العقلية إلى شطرين الراجح منها للأندلسى والناقصُ لليمنى؟ ثم هل يعجز ساكنُ البادية عن مجاراة أعظم الأمم حضارة فى كل شئ؟ إن هذا ليحملنا على تقرير الحقيقة وهى أنه ليس فرق أساسى بين طبيعة العقليات جميعا . وعلى هذا فان الصور الذهنية لكل شعب ينلب أن تكون مرآة للشكل المتكون من تفاعل خصائص ذلك الشعب التاريخية مع البيئة

أما القابلية العقلية والقدرة الفكرية فلا يحكم على مدى كل منها بمجرد النظر إلى طبيعتها فى زمن واحدٍ وعصر منفرد . ذلك لأن العقلية تخضع كثيرها إلى مؤثرات تختلف قوة وضعفا . ونصيب العقلية من كل ذلك أن تنزع فى كثير من الظروف منازع شتى تباين الأصل والطبيعة ، فتراها تتلون بلون المؤثر إن ضعفت بالنسبة له، أو تراها تلون المؤثرَ إن قويت عليه ، أو تراها تمتزج معه إن تعادلا منزعاً وقصداً وغاية . وهذه هى الحقيقة الواضحة التى نلمحها فى ثقافات الشعوب المتعدّدة

أتيتُ بهذه المقدمة لا لأبحث فى نشوء العقليات وتطوّرها فهذا أمرٌ لا قدرة عليه إلا لمن أوتى القدرة على تفهم ثقافات الأمم جميعاً وإرجاعها كلها إلى الصور العقلية والذهنية التى صدرت عنها وهذا بعيد على مَن يحاوله . ولكننا رغبنا أن نظهر ببساطة أن منازع التفكير لاتدعو إلى تفاصيل فى العقلية، ثم هى بعد هذا لا تبيح للكاتب أن يفاضل بين الشرق والغرب فيقرّر حدوداً قاطعة بينهما لأن العقل لا يعرف الحدود القاطعة الحاسمة

وقد درّج الكتاب على تقرير عقلية للشرق وأخرى للغرب؛ وذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فقرروا طبيعة كل من هاتين العقليتين وأن الواحدة منهما لاتقبل إلا المظهر الفلانى ولا تتلون إلا بلون خاص . وهم بقياسهم المظاهر الفكرية لهذه العقليات قد طبقوا هذا القياس نفسه على الشعوب فتفاضلت بسبب ذلك

هذه ملاحظة أساسية استخلصتها من بحث للدكتور إسماعيل أدهم فى موضوع الشرق والغرب المنشور فى الرسالة (٢٥٩ ، ٢٦٠) ولست أقصد فى هذه الكلمة أن أناظرَ الكاتب فى هذا البحث فان الوصول إلى حد حاسم فى هذا الشأن بعيد الوقوع . ولكن بعض الحقائق التى تضمنها بحثه المذكور تفتقر إلى تدقيق؛ ثم هو بعد هذا لم يشأ أن يستند فى النتيجة التى توصل إليها إلى الحقائق التاريخية فأورد بعضها ونسى أو تناسى الآخر . ولقد أحسن الدكتور صنعا فى أن دعا إلى مناقشة ما أتى به . ولا زلنا نرغب معه فى أن تجلو الأقلام كثيراً من الحقائق المتعلقة بهذا الموضوع فننصف الشرق والغربى وننصف معهما الفكر العربى من كثير مما أصابه وهذا مما لا يرتكز على حقيقة

***

(أولاً) تحديد لفظي الشرق والغرب ، فقد حرنا حقيقة في جلاء ما قصده الكاتب في هذين اللفظين . فهو تارة لا يرجعه إلى أساس جغرافي في تقسيم العالم إلى بلدان في قوله « إن مانعنيه باصطلاح الشرق والغرب لا يقوم على تقسيم العالم من شرق وغرب في تقويم البلدان » ثم نراه مرة أخرى يقف عند هذا الحد فلا يظهر لنا ماعناه بهذا المصطلح فيقول « إنما ترجع التفرقة عندنا إلى ما نلمسه من طابع ذهني للغرب ومنزع ثقافي للشرق » وبعد هذا تبقى كلمتا الشرق والغرب مجهولتي المعنى والتحديد . على أننا مع هذا نستطيع أن نبين ما رمى إليه الكاتب من وراء هذا المصطلح وإن جاء ذلك متداخلاً مضطرباً .

فعلى فرض أن (الغرب) مصطلح علمي يدل على شيء أو أشياء معينة فقد أراد أن يثبت بأن ما يدل عليه هذا اللفظ إن هو إلا العقل الحر الذي لا يتقيد بالروحانيات وما إليها ، في قوله : « إن في الشرق استسلاماً محضاً للغيب وفي الغرب نضالا محضاً مع قوي الغيب »

ثم إن الغرب يعني العقل المتفلسف لأنه « يبدأ من عالم الغيب وينتهي للعالم المنظور . والغرب بعد هذا يعني العقلية العلمية التي « تأخذ بأساليب الاستقراء والمشاهدة إلى جانب أسلوب الاستنتاج والنظر » والغرب يعني أيضاً « تحكيم العقل في محاولة تنظيم الصلات بين أفراد المجموع البشري »

وأخيراً فان الانسان في نظر الغربي » قادر على تغيير القدر له عن طريق معرفة النواميس المحكمة في وجوده »

وأما الخالق (الذي خلق هـذا الانسان) فهو مقيد بهذه السنن والنواميس ، وإرادته (أي الخالق) مقيدة بنظام هذا الكون وأفعاله قائمة على عنصر اللزوم والاضطرار »

في مطلح الشرق قد أدرج مايعكس مدلول الغرب ؛ فله العقل المقيد بالعقيدة ، وله الجمود الفكري « في أن تكون العصور الوسطى صورة من الصور الشرقية » . والعصور الوسطى هي عصور مظلمة عمت فيها الفوضى في مهامه الجهل

إلى هنا أحسن الكاتب صنعاً . ولو أنه لم يتعد مدلول هاتين اللفظين كما « تصورناه » لكان بحثه (بحق) أوفي مايكتب في بحث مظاهر العقليات . ولكنه رغب في قرارة نفسه أن يتعدى هذا المدلول وأن يكشف عن نياته الصادقات عن الشرق والغرب فتراه أكسب العقليات الصفة الشعبية . فاليونان من الغرب ؛ وكذا أهل أوربا في عصور النهضة والنشاط الفكري . أما أوربا في غير تلك العصور فليست من الغرب . فهي في عصر النور غربية وفي عصر الظلام شرقية مع أن الشعوب التي سكنتها في كل من العصرين لم تختلف في عنصرها ولا في جنسها .

والعرب كذلك « في رأيه » عقليتهم العلمية ترجع للغرب لأنهم أخذوا أصولها عن فلاسفة اليونان ، أما روحانيتهم فهي للشرق لأن الشرق منبع الأديان وكل مافيها روحاني الطبيعة والمظهر . وسبب هذا التباين الذي اعتبره أساسياً أن العقلية الشرقية ابتدأت بالاعتقاد الى الخالق ثم انتهت بالطبيعة . والعقلية الغربية بدأت بالطبيعة وانتهت في الخالق . ثم هو لايوضح متى بدأت كل من العقليتين الأولى في اعتقادها بالخالق ، والثانية في بحثها عنه عن طريق الطبيعة . ونحن لا نطالبه بهذا الايضاح ، فالثابت الذي لاشك فيه أن الغرب قد سبق الشرق في كلتا الناحيتين وما كان الغرب إلا مقلداً لها ومتأثراً بسببها .

ولنعد الآن إلى ماجاء في البحث المذكور الذي أوردنا أهم النقط التي تضمنها فيما مضى من السطور لتسهل مناقشتها .

(ثانياً) إذا كان الأساس العلمي هو القياس لتفاضل العقليتين ، وإذا كان البحث في نواميس الطبيعة والكون من المظاهر العلمية للعقل ، فهل للفاضل الكاتب أن يقرر لنا متى بدأ يتحسس الخالق في سر مخلوقاته . أهو الشرق مصرياً كان أو أشورياً أو كلدانياً أو عربياً أم بدأ به اليونانيون والرومان والسكسون ؟

إن العقلية اليونانية التي ادعى الكاتب أنها أصل البحث العلمي الذي أخذ عنه فلاسفة الاسلام ، هذه العقلية هل انفردت عن غيرها من العقليات المعاصرة أو السابقة في نهج الأسلوب العلمي ؟ وهل يعتقد أحد بأن من قيمة العقل العلمي المتفلسف أن يقف عند حد المنطق في وضع أصول الشك ولا يتعدى تطبيق هذه الأصول على حقيقة الوجود كي ينتهي إلي الخالق ؟ ثم نواميس الكون وسنن الوجود التي توصل إليها اليونانيون بأي خالق

ربطت وعلقت ؟ هل الجانب العلمى الذى أخذه العرب عن اليونان انتهى إلى الحد الذى انتهى إليه اليونانيون فى تقريرهم بأن عشرات الآلهة تحكم عالمهم ، وأن هذه الآلهة تموت وتحيا وتقتتل ؟ أم أن ذلك الجانب العلمى هو أن تكون الأسطورة ديناً لهم كما كانت إلياذة هوميروس ديناً لليونان قروناً طويلة ؟

إذا كان الشرق قد أدخل العنصر الروحى فى تقرير المعاملات بين الناس فهل يتنافى هذا مع العقل السليم ؟ وهل يتهم بعد ذلك بأنه قاصر ونحن نعلم علم اليقين بأن الشرقي فى اعتقاده الروحانى قد اتسع أفق تفكيره فشمل عالمين بينما قصر غيره عن ذلك فانتهوا عند حدود عالم واحد أخطأوا حتى فى تحديده ؟

لقد نظر أخناتون فى مصر إلى العالم الذى أحاط به فرأى أن لا بد لنواميس الكون من مدبر فنادى بالتوحيد ، وكان إيماناً جيلاً أن يبدأ ملك (كان ينتظر أن تسيطر أبهة الملك المادية على قوى تفكيره) بالطبيعة وينتهى بالخالق

ونظر إبراهيم إلى الكواكب وكان قومه يعبدونها فرآها تأفل فشك فى أن تكون رباً له ، وكان شكه داعياً لايمانه فقال فى ذلك تعالى : (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين »

ونظر الأعرابى فى الصحراء إلى ما أحاط به من شمس وقمر ونجوم فداخله الشك (وهو الساذج) فى أن تكون معبوده وإلٰهه ، أو أن تكون مطلقة التصرف في شئون نفسها . وهذه الشمس ، وهذه النجوم تغرب ، وها قوم يموتون فلا يعودون . فمن يطلع الشمس ويغربها ، ومن يسطع النجوم ويبرزها ، ومن يذهب بأولئك فلايعيدهم ؟ أذلك الصنم فى معبد الأعرابى ؟ أم تلك الأسطورة عن زفس وأبلون فى مخيلة اليونان ؟

هذا الشك بدأ فى الشرق وانتهى أهلوه إلى الخالق عن هذا الطريق . فأصول الشك وجدت في الشرق قبل أن يعلمها الغرب بآلاف السنين . وهذا الشك كان أهم الأسس التى قامت عليها النهضة الأوربية الحديثة . وبعد هـذا فما الشرق وما الغرب ؟ ومن صاحب الخالق الواحد ، ومن صاحب الآلهة التى تقتتل ؟ وأين العقلية العلمية بينهما ؟

(البقية فى العدد القادم)

(* * *)

فردريك نيتشـــه (*)

للأستاذ فليكس فارس

— ١ —

« ما من مفكر أشد إخلاصا من نيتشه، إذ لم يبلغ أحد قبله ما وصل إليه وهو يسبر الأغوار فى طلب الحقيقة دون أن يبالى بما يعترض سبيله من مصاعب لأنه ما كان ليرتاع من اصطدامه بالفجائع فى قرارتها أو من الانتهاء إلى لا شىء »

« أميل فاكيه »

هذا هو نيتشه كما صوره فاكيه بعد أن درس عديد مؤلفاته واستعرض فلسفته . وقد جاراه بهذا التقدير أنصار نيتشه وخصومه من كل شعوب أوربا ؛ فانك لو استعرضت المؤلفات التى كتبها عنه العباقرة العديدون ، ومنهم من يعتقد بتخبطه على غير هدى، ومنهم من يرى وراء كل جملة من أقواله سورة لا تنجلى معانيها إلا للعقل النافذ والحس المرهف ، لرأيتهم قد أجمعوا على وصفه بالمفكر الجبار المتجه إلى الحقيقة يطلبها وراء كل شىء حتى وراء المبادئ التى يقول بها

وما أجمع هؤلاء المفكرون إلا على الصواب فى هذا الوصف الذى ارتضاه نيتشه لنفسه إذ قال :

« لا يكفى لطالب الحقيقة أن يكون مخلصاً فى قصده، بل عليه أن يترصد إخلاصه ويقف موقف الشكاك فيه، لأن عاشق الحقيقة إنما يحبها لا لنفسه مجاراة لأهوائه، بل يهيم بها لذاتها ولو كان فى ذلك مخالفاً لعقيدته؛ فاذا هو اعترضته فكرة ناقضت مبدأه وجب عليه أن يقف عندها فلا يتردد أن يأخذ بها

إياك أن تقف حائلاً بين فكرتك وبين ما ينافيها ، فلا يبلغ أول درجة من الحكمة من لا يعمل بهذه الوصية من المفكرين

عليك أن تصلى نفسك كل يوم حرباً ، وليس لك أن تبالى بما تجنيه من نصر أو تجني عليك جهودك من اندحار ، فان ذلك من شأن الحقيقة لا من شأنك »

(*) أوحت العاطفة الاصلاحية النبيلة إلى صديقنا الأستاذ فليكس فارس أن يترجم الكتاب العالى (زرادشت) لفيلسوف نيتشه الألمانى وقد نشر جزءاً كبيراً منه فى الرسالة ، ثم تعجله القراء فقدمه كله إلى المطبعة وصدره بهذا التمهيد البارع الذى ننشره اليوم شاكرين للاستاذ جهاده فى سبيل الاصلاح والأدب

قال نيتشه بهذا المبدأ، وعمل به وبالرغم مما يتجلّى فى تعاليمه من غرور وصلف، فانه كان يسير فى أبحاثه ولا همّ له سوى استكشاف الآفاق فيوردالبوم فكرة يكذّبها غداً، فكأنه بانكاره الخير والشر لم يجد بداً من إنكار كل عقيدة ثابتة . فاذا أنت أردت أن تسير وراء هذا الفيلسوف طلباً للعقيدة فلا تتعب نفسك باللحاق به فى مراحل يقطعها بخطواته الجبّارة لأنه هو نفسه قد أصابه الخبل وبصيرته تائهة فى استلهام الحقيقة واستقرائها

مَنْ قال لك :

« إنه لا مكتشفَ لحقيقة ذاته إلاّ من يهتف : هــذا هو خيرى وهذا هو شرّى فيُخرس الخلد والقزم القائلين بأن الخيرَ خيرٌ للكل والشرّ شرٌ للجميع »

من قال لك هذا ، لا تتوقع منــه أن يأتيك بشِرعةٍ تقوم مقام الشرائع التى يثور عليها

إن نيتشه المفكر الجبار الذى يفتح أمام الفرد آفاقاً وسيعة فى مجال القوة والثقة بالنفس وتحرير الحيــاة من المسكنة والذل ، تائقاً إلى إيجاد إنسان يتفوّق على إنسانيته بالمجاهدة والتغلّب على العناصر والعادات والتقاليد وما توارثته الأجيال من العقائد الوهنة للعزم ، يقف وقفة الحائر المتردد عند ما يحاول إقامة مجتمعٍ لأفراده المتفوّقين ، بل هو يضطر إلى نقض أوليّــاته القائمة على احتقار الرحمة والرُّحماء حتى ينتهى إلى قوله :

« إن العالم الذى يتفوّق على الانسانية إنما يعود بها بعد هذا الجنوح إلى بذل حبه للأصاغر والتضمين »

وهكذا ترى زرادشت الداعى إلى تحطيم ألواح الوصايا جميعها وإلى إنكار الشريعة الأدبية لاقامة شرعة جديدة ما وراء الخير والشر يعود مفتشاً بين أنقاض الألواح التى حطّمها على كلمات قديمة يجعلها دستوراً لانسانيته المتفوّقة

إن نيتشه الذى ذهب إلى أبعد مدى فى تفحُّص سرائر الانسان وأهوائه يضيق به المجال عند ما يتجه إلى حلّ المعضلات الاجتماعية ، لأنه إذا أمكن للفرد المتعزل أن يختطّ لنفسه منهجاً يوافق هواها باعتقاده أنه هو المُبدع لذاته والحركة الأولى لها ، فانه ليمتنع عليه أن يكون عضواً حياً فى المجموع إذا هو لم يعترف فى علاقته مع إخوانه بأنه ليس مصدراً لذاته ولا مآباً لها

إن مَنْ يطمح إلى مثل ما طمح إليه نيتشه من تكوين مجتمعٍ منظم يسود فيه المتفوّقون ولكلٍ منهم شرُّه الخاص وخيره الخاص ، وخيره لا يوجدُ فى النهاية إلا مجتمعاً يتفاوت التفوّق فيه بين أفراده فيقضى الأقوى منهم على الأقل قوة منه حتى يقف آخرُ الظافرين منتحراً بقوته وعنفه كما انتحر إلهُ نيتشه برحمته

غير أنّ المبدع لزرادشت لم تفته هذه الحقيقة ، فعاد إلى الشريعة الأولى يختلس منها آيتها الكبرى ليوردها وصيــةً لدنياه فقال :

« حذارِ من الطُّفرة فى مسلك الفضيلة فعلى كل فردٍ أن يسير فى طريقه وإن جنح عن مسلك الآخرين ، فلا يطمحنَّ إلى بلوغ الذروة وحدَه إذ على كل سائر أن يكون جسراً للمتقدمين وقدوة للمتأخرين »

أين هذه الوصية مما دعا إليه زرادشت في مفكراته نفسها إذ قال :

« على أهل السيادة فى الانسانية المتفوّقة أن يمهّــدوا سُبُلَ السعادة لمن هم دونهم بتضحية ملذّاتهم وراحتهم ، وعليهم أيضاً أن ينقذوا مَنْ لا يصلحون للحياة بالقضاء عليهم دون إمهال »

بل كيف يتفق القسم الأول من هذه الوصية مع قسمها الثاني ؟ ومن له أن يضع مقياساً يقضى به على مَنْ لا يصلحون لها إذا اتبع القاضى شرعة زرادشت القــائل بأن على أتباعه أن تتجلى القوة فيهم من الرأس حتى إخمص القدم

ولو أن مذهب نيتشه هذا طُبِّقَ قبل ميلاده لكانت السلطة التى يراها مثلاً أعلى قضت على أبيه وأمه دون إمهال فما كان له هو أن يظهر فى الوجود بدماغه الجبار وبسُم الداء الذى جال من دمهما الملوّث فى دمه ...

ثم ، أليس هنالك غير هذه الأدواء الطارئة والتى يمكن للعالم أن يكافحها ، ما يقضى على الانسان بالرضوخ له من حالة فى جسمه لا قبل له بتبديلها أو تعديلها ؟ أفما تحقق الطب أن كل مولود يجىء الحياة إنما يدخلها مستصحباً معه إليها من سلالته الضعف الذى سيقضى عليه ؟ أفليس في كل دارج على هذه الغبراء علة أو علل

كامنة فى تكوين أعضائه ستورثه الردى حين تدنو ساعته ؟

أى جسم مهما ظهر لك صحيحاً ليس فيه عضو هو أضعف الحلقات فى سلسلة أعضائه وفى فراغ مناعته المحدودة انفصام العرى وبداية انحلال العناصر فى الهيكل الفانى ؟

أين هو الجسم المنيع الذى يتوق نيتشه إلى إيجاده صرباً من قمة الرأس إلى إخمص القدم ؟

لقد عمل العالم المتمدن على إيجاده بالرياضة فأوجد الرقاب الغليظة والعضلات المتضخمة مسبباً منها تضخم القلب وجفاء الطبع وبلادة التفكير وانحطام أجنحة الخيال

يريد نيتشه خلق الانسان المتفوق جباراً كشمشون وشاعراً كداود وحكيماً كسليمان . فهو يكلف الطبيعة ما لا قبل لها به ويطمح إلى إيجاد جبابرة لا يصلحون لشىء فى المجتمع لأن الحيوية لا تنصرف من مختلف نوافذها الجسمية فى آن واحد دون أن تقبض على صاحبها لتوقفه من سلم الارتقاء على مرتبة معلقة بين الاعتلاء والانحطاط فيكون منه لا الانسان المتفوق بل الانسان « التافه » القصير الحياة والقاصر فى كل عمل يباشره

إن المجتمع لا يقوم من الوجهة العملية على أفراد يحاولون الاحاطة بكل شىء فلا ينالون منها شيئاً

وليس الحال إلا على هذا المنوال من الوجهة الروحية أيضاً، فان مَنْ تبصر فى أحوال الناس وطرائقهم فى الحياة ، لا بد له أن يسلم أخيراً بأن لكل شخصية حياتها بما كمن فى حوافزها، ولكل شخصية ميتتها بما خفى من أدواء جسمها وعلل إرادتها وبما وراءها من مقدمات وحولها من نتائج

إن فى الحياة مسالك خطتها الارادة الكلية وليس للارادة الجزئية أن تتناولها بتحوير، ومصاعد الرقى للأرواح منتصبة من كل مسلك فى عالم الظاهر نحو العالم الخفى ، وما خصت العناية أقوياء الجسوم بالارتقاء

ولربَّ صعلوك فى نظر نيتشه لا يصلح للحياة ويجب أن يُقضى عليه دون إمهال تنفجر منه قوة لا تراها إلا البصائر النيِّرة

من لنا بسبر الأغوار البعيدة القرار لندرك سرَّ التكامل فى الذات والحكمة فى حد الأشواط لكل روح لتقوم بقسطها من المقدور ؟

ومن لنا بادراك سرِّ الضعف والقوة وقد يكون الضعف فى الجسم السليم والقوة فى العليل من الأجسام ؟

إن لكل مخلوق أن يبلو الحياة بما أُعطى من ظاهر الضعف أو ظاهر القوة ، لأن للصحة محنتها كما للمرض محنته، والأنفسُ الطامحة إلى مُثُلها العليا سواء أكانت هذه المُثُلُ فى هذه الحياة أم ماوراء الحياة ، إنما تتغذَّى من الجسد ناحلاً عليلاً كما تتغذَّى منه مليئاً بالنضارة والصحة والبهاء

إن للحكمة العليا مقياسها فى تقدير الجهاد الأكبر على كل نفس، ومن يدرى فى أية لحظة وبأى مداد من قوة الجسد أوضعفه تخطُّ الروحُ الأسيرة آخر سطر من كتابها ؟ . . .

* * *

إنَّ محور الدائرة فى فلسفة نيتشه إنما هو إيجاد إنسان يتفوَّق على الانسانية . لذلك تراه يهزأ بكل من عدَّه التاريخ عظيماً بين الناس قائلاً : إن الجيل الذى يلد العظماء لم يولد بعد ، وأن لا رجل فى هذا الزمان يمكنه أن يتفوَّق على ذاته، وكل ما بوسع الناس أن يفعلوه فى سبيل المثل الأعلى هو أن يتشوَّقوا إليه ليخرج من سلالتهم فى مستقبل الأزمان

وسوف يرى القارئُ فى الفصول الأخيرة ، ما هو تقدير زرادشت للرجال الراقين فى هذه الحقبة الشاملة لعصره ولعصرنا فهو يعتبرهم نماذج فاشلة للانسان الذى يتوقَّع نشوءه ، غير أن زرادشت وهو يتكلم بلهجة الآمر الناهى ويرسم للحياة طرقها بخطوط متفرقة إن لم نجمعها أنت بقيت حروفاً منتثرة لامعنى لها لا يقول لنا بصراحة ما يجب أن نفعله لنصبح جدوداً لأحفاد تصلح بهم الحياة ، ولكن من يعود بصيرته على مجاراة نيتشه فى الرؤى التى يهيم فيها يستوقفه قوله :

« إن ما فُطرنا عليه هو أن نخلق كائناً يتفوق علينا ، تلك هي غريزة الحركة والعمل »

ثم يستوقفه فى موضع آخر قوله :

« إننى لم أجد امرأة تصلح أماً لابنائى إلا المرأة التى أحبها »

فاذا ما وقف المفكر عند هذا يعرف ما هى تلك الفطرة التى يراها دافعة للانسان إلى التفوق على ذاته وانساله

وما تكون تلك الفطرة إن لم تكن حافز الحب الصحيح وفى

أعماقه غريزة الانتخاب تجذب الزوجين إلى اتصال يشدد أحدهما فيه ما وهن فى بنية الآخر

ولولا أننا درسنا ملياً مسألة اعتلاء الأمم وانحطاطها ببحث صحة النسل واعتلاله فى فصل « منابت الأطفال » من كتابنا « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » لكنا نثبت هنا أن إيجاد الانسان الكامل فى إنسانيته ، لا الانسان المتفوق على نوعه كما يريد نيتشه ، إنما يقوم على مجاراة حوافز الاختيار الطبيعى فى الزواج باعتبار كل شهوة جامحة وكل طمع يسكت هاتف الاختيار سواء فى الرجل أو المرأة جناية على الانسانية

هذا وإننا لا نجد بدّاً من نقل بعض فقرات من فصل منابت الأطفال تأييداً لهذه الحقيقة

***

« إن الانسان لا يريد الانقياد للانتخاب الطبيعى فهو يطمح إلى تحكيم اختياره فى حوافز لا يعلم منشأها ، فيعمد الرجل إلى استيلاد المرأة أطفالاً تتجلى فيهم كوامن علله وعلل المرأة التى يرغمها إرغاماً بدلا من أن ينقاد إلى الانتخاب الطبيعى الذى تتذرع به الطبيعة للغلبة على العاهات والأمراض وللقضاء على حوافز الخبل والاجرام

***

إن الولد المختل العليل إنما هو الضحية البريئة تصفع الطبيعة به أوجه الرجال الفاحشين والنساء الطامعات المضللات

« ومما لاريب فيه أيضاً أن الطبيعة فى حرصها على طابع الأبوين فى الابناء تطمح دائماً إلى الجمع بين رجل وامرأة يصلح أحدهما ما أفسدت الحياة فى الآخر ، ولا يقف طموح الطبيعة عند حد إصلاح الأعضاء بل هو يتجه خاصة فى الانسان إلى إصلاح ماتطرق من عيوب إلى صفاته الأدبية العليا ، ولعل فى هذا بعض التفسير لسيادة الايقاع بين رجل وامرأة تخالفت أشكالها وأوضاعُ أعضائهما ومظاهر قواهما الأدبية والعقلية ، فقد لاتجد مصارعاً قوى العضلات يعشق مصارعة مثله ، ولافيلسوفاً يتوله بفيلسوفة . ولكم وقف المفكرون مندهشين أمام امرأة فاضلة تحس بانجذاب نحو رجل متلاعب محتال، أوبارعة فى الجمال تندفع إلى الالتصاق برجل قبيح . إن بعض العشق ينشأ من حنان خفى فى الطبيعة يشبه عطف الطبيب المداوى على العليل المستجدى الشفاء . . . »

***

« إن المفكرين يثورون على الشبان الذين يقدمون على الزواج وفى دمائهم سموم ، وفى مجارى نطفة الحياة منهم صديد ، ومن الأمم من سنت القوانين الصارمة لمنع زواج المبتلى بالعلل الزهرية وبالجنون محافظة على صحة النسل ، ولكننى لم أقرأ لمفكر رأياً فى الحيلولة دون الزواج الآلى المجرد عن كل عاطفة ، ويتراءى لى أن طفلا يجنى أبواه عليه بإرانه دماً أفسدته الأمراض لهو أقل شقاء بنفسه وأقل إضراراً بالمجتمع من طفل يرث من أبويه عهر العاطفة وضلال الفطرة .

لقد تشفى العقاقير أبناء العلل ولكن أى دواء يشفى الطفل الذى زرعه توحش الرجل المفترس فى أحشاء المرأة المنكسرة الذليلة ؟ إن مثل هذا الطفل لن يكون إلا وحشاً كأبيه أو عبداً ذليلا كأمه »

(يتبع) فليكس فارس

غزل العقـــاد

للأستاذ سيد قطب

— ٢٠ —

كل ما استعرضته حتى الآن من خصائص غزل العقاد ، جائز أن يشركه فيه سواه ، فى الفكرة الخاصة أو فى الاتجاه العام؛ وهى على ندرتها فى عالم الشعراء الكبار، وتفرد العقاد بكثير منها في الشعر العربي كله كما بينت ذلك بوضوح ، ليست ملكا خاصا له بمقدار اختصاصه فيما أفرد له اليوم هذا المقال من « خصوصيات » !

الغزل غرض مباح لجميع الشعراء ، ومذاهب الحس والتعبير فيه ملك كذلك للجميع ، إلا أن العقاد وحده هو الذى يقول ما سأعرضه فى هذا المقال الأخير ، ولن يشركه أحد فى اتجاهه هذا ، ولا فى فكراته أو تعبيره ، لأنه فيه هو « العقاد » بشخصه ولحمه ودمه ، لا سواه من الأناسى — قبل الشعراء — وهو هنا فى تقاطيعه وتقاسيمه وسحنته التى يلوح فيها ، ويتميز بها :

غنى عنده ما يعطيه

فى قصيدة « تبسم » بالجزء الثانى من الديوان صفحة ١٧٢ يقول لحبيبه

فلا تبتعد عنى فانك راجع … متى تبتعد عنى بصفقة خاسر
ومن لك بالقلب الذى أنت مبصر … به كل إعجاز لحسنك باهر
تراه عصيا — إن نأيت — على الرضا … ولا قلب أرضى منه إن كنت زائرى
وفى الناس مطوىّ الضلوع على الشجا … ولا مثل شجوى بين باد وحاضر
إذا شاركونى فى هواك فما لهم … سرورى بما أصفيتهم وتباشرى

وفى هذه الأبيات يشخص العقاد الشاعر بأن عنده ما يعطيه وأن حبيبه سيخسر حين يفقده ؛ الشاعر بتفرده فى سروره وشجوه على السواء ، وكأنما هو من عنصر غير عنصر البشر الذين يمج بهم الكون ، وتهفو قلوبهم إلى هـذا الحبيب ، ولو شاركوه فى هواه ، فمن لهم بقلبه فى شجوه ورضاه؟

وغير العقاد يقولون لأحبائهم : إنكم لن تجدوا إخلاصاً كاخلاصنا ، ولا تضحية فى سبيلكم كتضحيتنا . . . الخ مذاهب القول فى هذا الباب ، ولكن العقاد لا يعنى شيئاً من هذا ، إنما يعنى أن قلبه فريد فى نوعه لا فى مظاهر إحساسه كالحب والاخلاص والتضحية وما إليها ، وأنه ممتاز حتى فى « شجوه » وأن شجوه الممتاز هذا يُغليه ويرتفع به ، كالسرور الممتاز على السواء !

رجولة صارمة

يرضى المحبون ويغضبون ، ويقولون في الرضا والغضب ما يقولون ، ويبقى للعقاد غضبه ورضاه ، متميزاً بطابعه الذي لا ينساه . وفيما مضى رأى القارئ كيف يرضى العقاد فى كثير من الأمثلة مثل « سنة جديدة » و « عامنا » و « قبلة بغير تقبيل » وسواها . فمن أراد أن يعرف كيف يغضب العقاد وكيف يكون صارماً باتاً فى هذا الغضب ، فليقرأ : « الهجر الصادق » :

تجشم فيك القلب ما ليس يعذب … أما آن لى منك النجاء المحبب ؟
فهجرا فهذا القيد قد طال عهده … أليس لقلبي غير حبك مذهب ؟
هجرتك هجر المرء أسود سالخا … يمج حماما كيفما يتقلب
هوى الموت أحلى من هواك لأنه … هوى صادق الميعاد لا يتذبذب
وما كنت فتانا ولكن فتنتنى … بما صنعت عينى من الحسن أعجب
فلا تغترر منى بما قد عهدته … لدن كنت أعفو إذ تسىء وتذنب
فما كل حين يغلب الحبُّ ربّه … ولا الصبر فى كل المواطن يغلب
لتظمأ ليال كان دمعى شرابها … فحسب الليالى دمع من لم يجربوا
أنا اليوم فى هجرى على الكره صادق … وقد كنت فى هجرى على الكره أكذب

هكذا فى نفس واحد ، وفى نفثة واحدة ، صرامة قاسية ، هى طابع العقاد حين يكره ، وحين تسأم نفسه طول الاساءة ، وجفاف الصلات ، وحين يجنح إلى اختيار الهجر بعد اليقين والاعتزام

وليس هو هكذا فى الغزل وحده ، فهو بعينه فى الصداقة وفى السياسة وفى الآراء والمعتقدات فى شتى مناحى الحياة : ضربة قاصمة ، لارجعة بعدها ولا اتصال

اليقظة والوعى الفنى والتأمل الفلسفى

ولقد كنت أفردت مقالا للحديث عن هذا العنوان ، وضربت من الأمثلة ما فيه الكفاية . ولكننى هنا ماض على نهجى للغرض الذى صدرت به هـذه المقالة من استعراض « الخصوصية » المعبرة عن شخص العقاد ، لا عن مناحى تفكيره واتجاهاته

فن اليقظة التى هى جزء من شخصه قوله تحت عنوان « الهزيمة المرغوبة »

أريد التى ألقى سلاحى وجنتى ... إليها وألقاها من البأس أعزلا
وأطرح أعباء الجهاد وهمه ... لدى قدميها مغمض العين مرسلا
وأنت إذا أقبلت أقبلت جحفلا ... وجردت أسيافا وشيدت معقلا
فان تهزمينى فاهزمى عن بصيرة ... مريداً لأسباب الهزيمة مقبلا

فها هنا رجل يعرف إحساسه ، ويدرك قواه وقوى حبيبته ، ولـكنه يجنح إلى الفطرة ، ويريد المرأة ليلقى إليها سلاحه وجنته ويلقاها أعزل من كل قوة ، لتحتضنه كالأم الرءوم ، بعد ماضاق ذرعاً بالجلاد والـكفاح ، فآوى إلى الهزيمة المرغوبة وهو قوى عالم بقواه !

ومن التأمل الفلسفي أن ينظر إلى حبيبه الغرير ، الذي لايدرك فتنة سحره فـكأنما هو منها محروم ، بينما العقاد قد فطن إلى هذه الفتنة وقطف من ثمارها وعرف الدنيا على ضوئها ، وتملى الحياة على نورها ، فعاد مالـكا لها ، وصاحبها محروم منها !

يا ساحراً فاتته فتنة سحره ... وتنقبت عن لحظه المشتاف
يجنى الثمار من القفار بفنه ... ونَصيبُه منها التراب السافى
نرثى لسحرك أم نجل فعاله ؟ ... ما أجدر المحروم بالتعطاف !
سحر خصصت به وأنت حُرمته ... حرمان لا حرج ولا متلاف

لا يقول هذا إلا العقاد ، المتأمل في كل لفتة ولمحة ، الواعى للظواهر والبواطن ، المعنىّ بالموافقات والمفارقات فى عالم المعانى والاحساس

صوت الفطرة

وصوت الفطرة السليمة مسموع فى كل ما يكتب العقاد ، ولكنه فى الأبيات التى نعنيها هنا مكشوف ناصع ، لا يحتاج إلى الكشف والبيان ، ولا يتسرب فى الرموز والألوان ، وهو — مع هذا — صوت فطرة العقاد الخاصة به ، وإن كانت قبساً من الفطرة الخالدة

يقول بعنوان « عيوب المحب » :

لا تعـدّى على عيباً فانى ... لك كلى محاسنى وعيوبى
وعيوب المحب أولى بعطف ... من كمال فيه وحسن وطيب
هى كالطفلة الشقيـة تلقى ... من حنان الآباء أوفى نصيب

فليس التأمل وليست الدراسة النفسية وحدهما يوحيان بهذا المقال ، إنما هو الشعور الفطرى الصادق قبلهما يوجه النفس هذا التوجيه . يعرف ذلك الآباء المشغوفون من لدن الحياة بالأبنـاء ، والبنات الأشقياء والشواذ ، لأن هؤلاء أحوج للرعاية فى منطق الحياة ! ويعرفه كذلك المحبون الذين يزيد شغفهم بمحبيباتهم ماينفر سواهم الخليين من أقوال وتصرفات . ويعرف العقاد هذا فيطل بوجهه من خلاله وكأنه وشاحه الخاص ، الذى لم يفطن إليه سواه الملك بالمعرفة

وبعد فهذا فن وحده ، واتجاه فى الاحساس غريب : محب ينقضى ما بينه وبين حبيبته من حب ومن لقـاء واتصال وأخذ وعطاء ، ويفصل بينهما فاصل من هجر مرير بعد شك دامٍ ويقين أليم حدثناك عنهما فى كلمة سابقة ، ثم يحس فى خلال هذا كله أنه مازال مالـكا لهذه الفتاة ، مالـكا لها إلى الأبد ، لايملكها سواه أبداً ، ولا تفلت من بيده أبداً ... لماذا ؟ لأنه يعرفها بكل ما فيها ، ولأن غيره لن يعرفها مثله ، ولن يطلع منها على ما اطلع هو ، وهى له وحده ، لأن صفحتها مفتوحة أمامه يقرؤها بلا مفسر وبلا منظار ، ولأن أحداً لن يحبها حبـه أو يكرهها كرهه ، بل لأن أحداً لا يزدريها ازدراءه !

ألقاءٌ أم لات حـــين لقاء ... وسلام أم تلك حرب عداءِ ؟
وفراق تجـدد العتبَ فيه ... يوم تخلو على سهاد الصـفاء ؟
أم فراق على الحياة طويل ... كفراق الردى بغير انتهاء ؟
أنا مابـــين هاتف ونذير ... ذاهب السمع إثر كل دعاء
هاتف فى الضمير أن ليس هذا ... آخر العهد فاعتصم بالرجاء
ونذير بأنهـا غضبة العمر ... وعقـــبى مودة الأصفياء
ليت عاماً من الحياة تَقضَّى ... لأرى فى غد بعيد القضاء

وأرى الخير لا يطول انتظاري   وأرى الشر لا يطول عنائي

***

لا لعمري بل يكذب الخير والـ   ـشر وتعفو معالم الأنباء
ويقول الزمان قولا فإني   مرسل قوله مع الأصداء :
أنتِ لي أنذر الزمان بِشرٍّ   أم مغنٍ هاتفاً مع البشراء !
أنت لي أضمرت نيّاتك حباً   أم طوت سرها على البغضاء !
إن لي فيك يا بنية حقــاً   فوق حق الهوى وحق الدماء
مزجت في قرارة الحب نفـ   ـساً وسيطت أيامنا في وعاء
وتراءيت لي بقلب ولب   من وراء الحياء والكبرياء
من من الناس قد تذوق منك الـ   ـيش صفواً والعيش جم الشقاء ؟
من من الناس قد توسم فيك الـ   ـحسن نوراً والحسن من ظلماء ؟
من من الناس قد أحبك حبيـ   ـك ومن منهم ازدراك ازدرائي
من من الناس قد رأى خير ما فيـ   ـك وأخفى ما فيك من أدواء ؟
من جمال ومن ذكاء ومن غد   رٍ ومن صدق شيمة ورياء ؟
هذه أنت لا تزالين لي وحد   ي — جميعاً — لا تظهرين لراء
يعرف العارفون منك لماماً   بعض ما قد عرفت من سيماء
فلهم منك صـورة وأحا   ديث ولي منك لب ذاك الطلاء
هـذه أنت لا فؤادك خاف   عن عياني ولا ودادك ناء
إن يطل بيننا النوى فالتلاقي   من ندائي بموقع الإصغاء
ولنا في صحيفة الدهر غيب   سيعيد انتهاءنا لابتداء

وكنت أود أن أعقب بشيء على هذه القطعة ، ولكنها ليست بحاجة إلى الشرح ، وإن كانت بحاجة إلى حس غني مرهف يتلهمها بمجرد قراءتها . فمن كان له هذا الحس فما هو بحاجة إلى بيان ، ومن لم يكن له ، فما أنا ببالغ شيئا في إفهامه

وإنني لمفتون بهذه القصيدة ، أكاد لفتنتي بها ، ولمسي لقلب الشاعر فيها ، أفضلها على كل غزل العقاد !

***

والآن أختم حديثي عن « غزل العقاد » وقد طالت عنايتي بهذا الضرب من شعره لأسباب سأشرحها في الكلمة الختامية بعد الحديث عن « أسلوب العقاد » في مقال تال

« حلوان »   سيد قطب

مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

٩ — قارئ

كنت عند صديق لي يبيع الصحف والمجلات أجوز به كل يوم ، فجاءه رجل محترم ، عليه سيما الوقار ومعه نسخة من مجلة الرسالة فقال له :

— لقد أخذت هذه المجلة أمس من عندك ، وقد بدا لي فيها ، أفلا تحب أن تأخذ قرشاً[1] وتعطيني بها الرواية ؟ فنظر فيها البائع فإذا هي جديدة سالمة ، ولم يرَ في طلب الرجل شيئاً فقبل وأعطاه الرواية فأخذها شاكراً . فلما كان من الغد عاد والرواية معه فقال :

— هذه هي مجلة الرواية التي أخذتها منك أمس ، أفتأخذ قرشاً وتعطيني (الدنيا) ؟

— قال : نعم ، وأخذ القرش والرواية وأعطاه الدنيا ، فمضى شاكراً . فلما كان من الغد عاد فقال له :

— أتحب أن تأخذ هذه المجلة وتعطيني بها (الحرب العظمى) وعدداً من جريدة يومية ؟

— قال : نعم وأعطاه ... فلما كان غد عاد فقال :

— أتشتري مني (الحرب العظمى) بنصف ثمنها ؟

— قال : نعم ، وأعطاه (نصف فرنك) فأخذه ومضى شاكراً

فقلت لصديقي البائع :

— لقد شهدت من صبرك على هذا الرجل عجباً ! أفلا طردته أو أنبته واسترحت منه ؟

— قال : ومن أبيع إذا طردت مثل هذا ؟ إن أمثال هذا هم (القراء) في هذا البلد ، أفتعجب بعدُ أن كان يباع من مجلة (كذا) مثلا خمسون عدداً في دمشق كلها ؟

١٠ — إمام

رأيت في سينما روكسي ، رجلاً بلحية وقفطان ، ولكنه حاسر الرأس ، غير مرتد رداء ، ولا متخذ جبة ، فعجبت منه وجعلت ألحظه ، وأنكر مكانه من السينما ، حتى إذا انقضى التمثيل

(١) مع العلم بأن ثمن الرسالة في دمشق (١٢) قرشاً سوريا

وخرجنا رأيته يدخل غرفة (المدير) فيلبث فيها دقائق ثم يخرج منها شيخاً بعمة وجبة ... فسألت رجلا كان معي :

— ماذا يكون هذا الشيخ ؟

فضحك وقال :

— ألا تعرفه ؟

— قلت : لا

— قال : هذا من خطيئات النظام الحزبي ... كان تاجراً ، فاشتغل بالسياسة وأقبل عليها حتى أدبرت عنه الدنيا ، وخسر رأس ماله كله فابتغوا له عملا يعيش منه ، فكان عمله مراقب (الأفلام السينمائية) ولكن وظيفة[1] هذا العمل قليلة ، ففتشوا عن وظيفة أخرى ترفدها ، فجعلوه إماماً في مسجد (كذا) وعزلوا إمامه الشيخ الصالح ، فمن أجل ذلك كان بعمة وجبة وكان في السينما ...

— قلت : عاش النظام الحزبي ...

١١ — مشعبذ

سمعت الكثير من أحاديثه — وأخبار (علمه اللدني) — وقدرته على استحضار الجنّ ، وكشف السرقات واستحضار المغيبات ، وبراعته في (علم الحرف) وأسرار العدد ، فأحببت أن أراه ... كما يحب المرء أن يرى حيواناً عجيباً ، أو تحفة نادرة ... وسألت صديقاً لي أن يجمعني به ، فأخذني إلى داره في (برج أبي حيدر) فدخل بي دهليزاً مستطيلاً يفضي إلى غرفة في داخلها غرفة — مفروشة بالطنافس ... في جوانبها مئات من الكتب الصوفية والروحانية — وفي وسطها مجمرة يحرق فيها البخور فتمتلىء به الدار ، والشيخ جالس أمامها وقد وضع في عنقه سبحة طويلة أخبرني صديقي الذي جاء بي ، أن فيها ألف حبة ، في كل حبة منها حرف يدعى به ملك من ملوك الجان فلا يلبث أن يحضر ملبياً طائعاً ، وعلى رأس الشيخ عمة ضخمة أحسبها تزن خمسة أرطال ... فلم يقم لنا حين دخلنا وإنما مدّ إلينا يده لنقبلها ، فعجبت من فعله وتلكأت ، فهمس صاحبي في أذني ، أن قبلها وإلا رأيت من القوم ما تكره ... فنظرت في وجوه القوم فاذا هي قد اربدّت ، وإذا عيونهم محمرّة ، فآثرت السلامة وقبلت يده الطاهرة وجلست ...

وشرع القوم يعرضون على الشيخ قصصهم — كما كانت تعرض القصص والحاجات على الملوك والأمراء ، وهو يعد ويؤمل ... والقصص شتى والحاجات متباينات ، فهذا رجل له قريب أصابته آفة في بطنه أجمع الأطباء على أن شفاءها (عملية) جراحية ، فخاف المريض منها وبعثه يرجو الشيخ الخلاص من هذه (العملية) فوعده أنه سيجريها له وهو نائم فلا يفيق من منامه إلا وقد صرف الله عنه ما يحس به ، فدعا له الرجل ودس في يده ما تيسر . . . وهذا رجل له امرأة عاقر فهو يسأل الشيخ أن يجعلها ولوداً ... وهذا آخر سرق ماله كله وعجز الشرط عن معرفة السارق ، فهو يطلب من الشيخ كشف السارقين ... وأمثال ذلك ، وهم ينصرفون واحداً إثر واحد ، حتى لم يبق أحد ... فال علينا يحدثنا . . فكان من حديثه إلينا أنه وقع على النسخة الفريدة من كتاب (أسرار الحرف) تلك التي فتش عنها (العلماء) القرون الطوال فلم يسقطوا لها على أثر . . . فكانت له مفتاحاً لكل باب ، فاذا أراد أن يأتي بأموال (بنك فرنسا) مثلا لم يحتج إلا إلى حروف يكتبها في ورقة ويلقيها في البحر ، ظهر يوم الاثنين ، أو فجر يوم الأربعاء ، وإذا شاء أن يصطاد سمكا ، كتب حروفاً على الشبكة فأقبلت إليها الأسماك والحيتان حتى لا يبقى في البحر حوت

قلت: فلم ياسيدي لا تأتون بأموال فرنسا وانكلترا وهم أعداء الله وأعداء رسوله ؟

قال : لم يؤذن لنا في ذلك ، ولكني سأكون مفتياً للجيش الفرنسي فأجعله كله من جنود الله !

***

ومرت على هذه المقابلة الطريفة سنون ، لقيت بعدها ذلك الصديق ، فقلت :

— مافعل الله بصاحبنا الشيخ ؟

— قال : ذهب المسكين يصطاف ، فنزلوا عليه بدار في (دمر) منفردة . فلم يبت فيها إلا ليالي حتى نزل عليه اللصوص فلم يدعوا له شيئاً ... وبقي هو وأسرته بلا فراش !

— قلت : أولم يستطع أن يعرفهم ؟ أما كان يكشف السرقات ويظهر المخبئات ؟

— قال : مسكين ، إنه يرتزق . . أفتريد له الموت جوعاً ؟

دمشق — علي الطنطاوي

(١) الوظيفة في اللغة المرتب (أي الراتب)

من أشهر المحاكمات الجنائية

محاكمة فرنسوا داميان *

الذى حاول قتل الملك لويس الخامس عشر

للكاتب كيرجيل Ker - Gil

بقلم الآنسة مفيدة اسماعيل اللبابيدى

ولد « روبرت فرانسوا داميان » فى تيوللوى (شمال فرنسا) سنة ١٧١٥ من أسرة خاملة كانت تمتهن التزام المزارع ، وقد أراد أن يحمل لويس الخامس عشر على عزل وزرائه لغرض لم يكشفه التحقيق ، فذهب يوم ٥ يناير ١٧٥٧ إلى فرساى وطعن الملك فى خاصرته اليمنى طعنة غير مميتة ولم يستطع الهرب فقبض عليه وحوكم وعذب ثم أعدم على صورة بشعة جداً

والمهم فى هذه المحاكمة أنها تكشف لنا عن طرق التعذيب فى القرون الوسطى توصلاً لاستلال الاعتراف بالجريمة من المجرم وما يصاحبها من إجراءات عدت زماناً إحدى طرق التحقيق القانونية فصبغت وجه الانسانية بحمرة من الخجل لا تمحى

***

فى الخامس من شهر يناير سنة ١٧٥٧ وفى الساعة الخامسة من مسائه ، روع باريس خبر ذعر له أبناء الشعب والأشراف على السواء : ألا وهو جرح الملك المحبوب لويس الخامس عشر فى فرساى من يد رجل يدعى داميان Damiens ومن حسن الحظ أن قبض عليه فى الحال

وعند ما انتشر خبر الجريمة توجه الأمراء والضباط والسفراء برغم البرد القارس نحو فرساى ، وفى بضع ساعات كان طريق فرساى مغطى بالكرامى والمركبات وجميع أصناف المجلات على ما يروى أحد مؤرخى هذا العصر

ولفائدة التحقيق أوقفت امرأة داميان وابنته اللتان زجتا فى الحال فى « الباستيل » لأنه لا بد أن تكونا مطلعتين على نية القاتل السيئة

وفى الثامن عشر من ذلك الشهر وحوالى الساعة الثانية صباحاً اقتيد فرانسوا داميان من فرساى إلى باريس مخفوراً بعدد وافر من الجنود

وكان السجين فى داخل عربة لا ضوء لها ، فأدخلوه من حاجز السيفر «Sévre» ليمنعوا المتفرجين عنه ثم أودعوه القصر فى برج « مونتكوميرى » تحت رقابة من الحرس الفرنسى يجرى تبديلهم كل أربع وعشرين ساعة

ثم فى الصباح ذهب مفوضا الشرطة « سه فرت وباسكيه » والرئيس الأول والرئيس « موله » ليحققوا معه ، وقد دام هذا التحقيق من الساعة الحادية عشرة صباحا إلى الساعة الخامسة بعد الظهر ، وكان أحد طهاة الملك مكلفاً باعداد طعام داميان وكان هذا لا يخرج من البرج مطلقا

وكان فوبير « Faubert » من كبار الجراحين فى ذلك العصر ، لا يترك السجين الذى كان يقاسى الآلام الممضة من ساقيه اللتين كويتا فوراً بعد توقيفه بسيخ أحمى حتى احمر

أما الملك الذى شفى سريعا من جرحه فقد أرسل ٣٠٠٠٠٠ ليرة إلى قسس باريس لتوزيعها على فقراء رعيتهم فداء عن نفسه

كان سجن داميان مستديراً وقطره لا يزيد على اثنتى عشرة قدما ، وكان الهواء لا يدخله إلا من فتحة ضيقة ذات صفين من القضبان الحديدية مفتوحة فى حائط سمكه خمس عشرة قدما ، وكان الضوء يمر من خلال الأوراق المزيتة

وكان السجين محصوراً فى نوع من الصدارى [1] « Cavisale de force » التى لا تترك له الحرية فى أقل حركة

بلغ هذا التضييق الملك فوجده مفرطاً لأنه فى الحقيقة لم يؤخذ تدبير ضد متهم أكثر تضييقا وأقل رأفة مما أخذ ضد داميان ، فبعث الملك طبيبه الأول الدكتور « سه ناك » فزار داميان ثم أمر أن يترك للسجين بعض الحرية وأن يعامل بشىء من الانسانية

(١) نوع من الصدارى يصنع من الكتان المتين يشل حركة الذراعين ويستعملونها للمجانين والمجرمين

(*) عن مجلة Dimanche Illustré

وكانت الدعوى تسير ولكن يبطء ، فقد زج في الباستيل ستون أو ثمانون شخصاً اتهموا بأنهم كانوا على علم بنية داميان الجرمة ، ثم أطلق سراحهم من السجن تدريجاً . ولما حضر داميان أمام محكمة تورنل « Chambre de la Taurnelle » في ١٧ آذار ، دافع بأنه ما كان يرغب إلا في إنذار الملك وحمله على عزل وزرائه

وفي الحادي والعشرين من ذلك الشهر أرسل إليه الكاهن (كه رمت) خوري كنيسة القديس بولس ليعظه حتى يحمله على قول الحقيقة

وفي السادس والعشرين من الشهر المذكور اجتمعت المحكمة الكبرى المؤلفة من أمراء البيت المالك والدوقات والرؤساء والقضاة والمستشارين . وكان المحامون جلوساً في أمكنتهم ، وجيء بالمجرم فأجلسوه في قفص الاتهام ولم يكن يظهر عليه أنه (محروم) ولا ظهر عليه أمام هذا المجلس أقل اضطراب بل كان يتظاهر ، بالهدوء وعظمة النفس ثم استعجلوه بتسمية شركائه في الجريمة ، فأجاب : إنك تتكلم جيداً ياسيدي باسكيه ولكن هأنذا أمام الصليب ليس لديّ ما أعترف به

وحينئذ فتحت الجلسة فقرئ تقرير النائب العام الذي يتلخص في طلب إدانة داميان بجريمة محاولة قتل الملك فأحيل للعذاب طبق ما هو مقرر

***

وفي الساعة السابعة مساء أصدرت المحكمة الحكم الآتي على روبرت فرانسوا داميان :

إن المحكمة بحضور عدد وافر من الأمراء والقضاة نظرت في التهمة الموجهة ضد روبرت فرانسوا داميان ، وهي تعلن إليه بناء على اعترافه بأنه مجرم بالاعتداء على صاحب الجلالة الملك بصفته الالهية البشرية وكونه الرئيس الأول ، تلك الجناية الفظيعة الشنعاء الموجهة ضد شخص الملك ، وللتكفير عن فعلته يحكم عليه :

١ — بأن يقاد عارياً إلا من قميص ، ممسكا بمشعل من الشمع الملتهب بوزن ليبرتين[(١)] إلى أمام الباب الرسمي لكنيسة باريس ، وهناك يركع ويعترف جهاراً بأنه أقدم على ارتكاب جريمة قتل الملك ، تلك الفعلة الشنعاء المقوتة ، وأنه جرح الملك بضربة سكين في خاصرته اليمنى ، وأنه قد تاب وأناب فيطلب العفو من الله ومن الملك ومن العدالة

٢ — بأن يساق إلى محل الاعدام (Place de la Grève)[(٢)] ويرفع على صقالة ثم يسحب ثدياه ولحم ذراعيه وفخذيه ورجليه بكلاليب ، أما يده اليمنى فيمسك بها السكين التي حاول بها قتل الملك وتحرق بالنار والكبريت ، وأما الأقسام التي جز لحمها فيصب عليها الرصاص الذائب والزيت الحامي وصمغ البطم الحار والشمع والكبريت ممزوجة جميعها معاً

٣ — بأن يشد بدنه أربعة أحصنة وتقطع أطرافه ثم تحرق بالنار حتى تصير رماداً تذرى في الهواء

٤ — بأن تصادر جميع أرزاق المحكوم عليه وأملاكه في أي مكان كانت لحساب الملك

٥ — تأمر المحكمة بأنه قبل هذه الاجراءات يحال المجرم داميان إلى التحقيق العادي وغير العادي (التعذيب) ليقر بشركائه في الجريمة

٦ — وتأمر أيضاً بتدمير البيت الذي ولد فيه المجرم داميان ، أما الذي يملك هذا البيت فيعوض عنه ، على ألا يحق له في المستقبل أن يقيم مكانه بناء آخر

وبينما كانت المحكمة تقرأ الحكم كانت الاستعدادات لتنفيذ الحكم قائمة في محل الاعدام

***

وفي الثامن والعشرين من الشهر صباحا أخرج داميان من سجنه وسيق إلى غرفة في الطبقة السفلى من « الاوتيل ده فيل » محمولا على أيدي الشرطة في نوع من الحقائب اللينة التي تصنع من جلد بعض الحيوانات والتي لا تسمح لغير رأسه بالظهور ،

(١) كيلو غرام

(٢) منذ سنة ١٨٠٦ كان محل (أوتيل ده فيل) في باريس حيث كان يجرى تنفيذ أحكام الاعدام

ثم أخرج منها وأركع وتلى عليه الحكم ، وقد لوحظ أنه كان مصغياً بانتباه إليه ، ثم انفرد به خورى كنيسة القديس بولس فى وسط المكان بضع دقائق انسحب بعدها الخورى وشرب داميان جرعة من الخمر وضع بعدها فى الحقيبة المذكورة مرة أخرى ونقل إلى غرفة التعذيب حيث هناك المحققون مفوضا الشرطة، والرئيسان موله وموبو ، والمستشارون رولان وباسكيه وسه فهر ، لجرى استنطاقه من جديد .

وحينئذ أحاط به منفذو الحكم وألبسه الجلاد الخف [١] Brodequin وحين ضغط على الزاوية الأولى أجبرته على الصراخ الشديد، فأقر بأن الموسيو (غوتيه) وكيل عضو فى البرلمان والمسيو (له متر) الذى كان يسكن فى شارع الماسونيين هما اللذان دفعاه إلى الجريمة . فصدر الأمر فى التو بتوقيف هذين الشخصين .

وعندما ضغط على الزاويتين الثانيـة والثالثة صاح من جديد صيحة ألم، وفى الرابعة طلب العفو . ولما وصل المتهمان الجديدان (غوتيه) و (له متر) واجهوهما بداميان فرجع عن اقراره عنهما . فأعيد إلى العذاب ثانية وضغطوا على الزاوية الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة من الخف ، وهنا أعلن الأطباء الجراحون بأن المجرم لم يعد فى طاقته تحمل تجربة جديدة ، وقد دام التعذيب ساعتين وربع الساعة .

ولما دقت ساعة القصر الرابعة تقدم (جبرائيل سانسون) من المسيو (غه ره) والمسيو (مارسيللي) وقال لهما إن ساعة التنفيذ قد حانت . ومع أنه تكلم بصوت خافت فقد سمعه (داميان) الذى دمدم بصوت مخنوق « نعم بعد قليل يخيم الليل » وبعد فترة قال : « أواه ، غداً يكون نهاراً لهم » .

***

وحينما وصل (داميان) إلى أسفل الصقالة طلب أن يكلم مفوضى الشرطة فحمل إلى « الأوتيل [١] ده فيل » حيث استدرك من جديد الاتهام ضد (غوتيه) ثم أوصى المسيو (باسكيه) بزوجته وابنته .

وفى الساعة الخامسة أنزلوه إلى الميدان ورفعوه فوق الصقالة ثم نزلوا وربطوا كل طرف من أطرافه بجر حصان، وكان لكل حصان مساعد يمسك بلجامه، وآخر وراءه يمسك سوطاً، ووقف الجلاد وأعطى الاشارة ، وعندها وثبت الأحصنة الأربعة بقوة شديدة وفى اتجاه مختلف فسقط أحدها ، ولكن جسم الشقى لم ينقطع، فأعادت الأحصنة الكرة ثلاث مرات وفى المرات الثلاث كانت تتقهقر أمام صلابة الجسم .

ولهول المنظر أغمى على الخورى ، وكان المتفرجون فى ذهول وذعر عميقين ، ثم تعالت الأصوات من كل جانب بصورة مرعبة .

وعندها صعد الجراح (بوير) إلى « الأوتيل ده فيل » وطلب إلى مفوضى الشرطة أن يضربوا المحكوم عليه بالساطور على مفاصله فصدعوا بالأمر .

وأخيراً فصلت الأطراف وخرجت من جميع الصدور تنهدات عميقة وتنفسات حارة .

ولكن الواقعة لم تنته ، لجمعت الأطراف الأربعة والجذع و رموا على كومة من الحطب ، ثم ارتفع اللهيب فيها .

حلب — مفيدة اسماعيل اللبابيدى

(١) قصر شهير للبلدية فى باريس

(١) كان المحققون فى القرون الوسطى يستعملون للتعذيب توصلا لاعتراف المجرم نوعا من الخف يلبسونه قدميه وفى داخله زوايا قابضة يضغطونها واحدة بعد واحدة ويكرهونه على السير به .



شيء من فلسفة الموسيقى

للدكتور أحمد موسى

إذا انحصرت فلسفة الموسيقى فى تفسير جمالها وإيضاح التأثر بسماعها أمكننا أن نعتبر التمتع النفسى بهذا السماع أهم عنصر مكون لجمالها الذى هو بدون شك جزء من الجمال العام

وإذا كان جمال الفن المكانى منحصراً فيما يمكن رؤيته ، أو ما يمكن لمسه ، كان جمال الفن الزمانى منحصراً فيما يمكن سماعه

وعلى ذلك يكون التأثر بهذا المسموع وقياس القدر الفعال فى نفسية المستمع هو موضوع فلسفة الموسيقى

ومعنى هذا أن نقد وتحليل ما نسمعه منها على قاعدة الأسمى والأجمل والأروع هو الغرض الأول من التفلسف الموسيقى

وإذا كان أثر الجمال هو دخول السرور المطلق على النفس نتيجة المشاهدة ، كان أثر الموسيقى السامية الجميلة الرائعة نفس السرور المطلق نتيجة هذا السماع

ولا يخرج السرور هنا عن معنى الارتياح والرغبة فى الاستزادة دون رد فعل يُشعر بالخيبة أو الضجر ، حتى ولو كانت القطعة الموسيقية تمثل الحزن والألم ؛ لأن هذا ما تصادفه أحياناً فى المشاهد الطبيعية التى قد تكون ثورة بركانية، أو اصطدام غيوم نشأ عنه برق ورعد ، أو مطر غزير لا يبعدها عن الجمال الذى يمكن للفنان أن يتأمله ويتأثر به دون رد فعل

فالألحان الموسيقية تكون تارة ممثلة لحلاوة اللقاء ، وأخرى لمرارة الفراق ، وغيرها للذة الانتصار، أو لقساوة الانهزام ، وما إلى ذلك من مختلف النواحى التى يتصيدها الفنان بفنه

وعلى هذا القياس يمكن اعتبار كل مايلفت الارادة الشخصية إلى السماع دون إرغام موضوعاً من موضوعات الموسيقى — على أنى لا أقصد بالسماع مجرد الانصات ، بل السماع المشفوع بالتفكير والفهم والتقدير والتأثر ؛ إذ عندئذ نجد العقل يعمل مفكراً لتكوين حكم معين على ما يسمعه ، بعد قياس درجة تناسب الأصوات وانسجام أجزائها المكونة للقطعة ، وأخيراً لاتحاد الهارمونى فيها

والموسيقى الفنان الذى يعبر عما يجول بنفسه الثائرة هو ذلك الذى يدرس الطبيعة فى مختلف مظاهرها ويتأملها فلا يقنع بما فيها فيشقى ؛ ثم يجدّ فى الوصول إلى غايته راغباً التعبير عما يتفاعل فى نفسه من جمال كمالى يعتقد بوجوب ظهوره فيعجز ، ثم يقنع بتقليد ما فيها إلى حد ما ، فى أصوات يخرجها للناس ، متوخياً الوصول إلى ذلك المثل الأعلى الذى لا يخرج عن كونه الظمأ نحو الخلود .

والمثل الأعلى مما لا يمكن وجوده أو رؤيته أو سماعه ، ولهذا فهو غاية نسمو إليها بالخيال الذى يعبر عنه الفنان الموهوب بما نسميه الوحى أو الالهام وما يسميه الجميع الخلق الفنى

والفن روح خفية تسكن نفس الفنان فتبعث فيه عينين قادرتين على النظر لا كما يرى الجميع ، بل على ذلك النظر التقديرى الذى به يتعرف الجمال أينما كان ، وأذنين قادرتين على السمع لا كما يسمع الناس ، بل على السمع الدقيق الفائق الذى به يستطيع التفرقة بين ما هو سام وما هو غير سام . لذا وجب أن يكون الموسيقى رجلا تمثلت كل قواه فى عينيه وأذنيه ، فبالعينين يتلمس الجمال المشاهد، وبالأذنين يتلمس الجمال المسموع ، فيخرج للناس ما لا غنى لهم عنه، ألا وهو الخلق الموسيقى السامى

والأصل فى الخلق الموسيقى السامى هو حاسة النظر بلا شك لأن بها يتأثر الفنان — موهوباً كان أو ملهماً — بما فى الحياة ، وتكون نتيجة هذا التأثر القدرة على الخلق الفنى ، وعلى ذلك نرى

الفنان دائم التأمل الذى يعود عليه بالبؤس — غالباً — فهو أشبه بالفيلسوف الذى لا يقنع بما يراه أو يسمعه ؛ فيقضى حياته عاملا مكملا قدر استطاعته ، ولكنه يفنى دون أن يصل إلى ماتصبو إليه نفسه ، تلك النفس التى تميزت على نفوس المجموع بصفاء النظر ودقة التأمل والدرس والتغلغل فى كنه المرئيات والمسموعات وأخيراً بالهيام والمقدرة الهائلة على تفهم الجمال المطلق . كل هذا متجمعاً يكوّن لك تلك النفسية البريئة الهادئة الوديعة ، نفسية الفنان .

يقول أرسطو إنه لا ينبغي أن يقف الغرض من الموسيقى عند حد التلهية والتسلية ، لأنها من أهم وسائل التهذيب الأخلاق ومن خير طرق العلاج الفعال البطىء لتنقية النفس من عيوبها المتأصلة [1]

وقد التفت إلى هذا رجال التعليم فى العصر الحاضر فأخذوا ينشرون الموسيقى فى دور التهذيب، أما فيما يتعلق بعلاج الأمراض فقد دلت آخر الأبحاث على فائدة الموسيقى إلى حد أدهش العلماء. وثبت أن الألحان ذات أثر مختلف فى مستمعها القائم لهـا ، فمنها ما يؤثر تأثيراً هادئاً يعقبه نوم عميق ، ومنها ما يوقظ ويبعث نشاطاً عجيباً . ولا أدل على ذلك من تأثير قطعة أيرل كونيج لبيتهوفن [2] على مرضى الميلانخولى، أو قطعة تانهوزر لفاجنر [3]، أو قطعة الافتتاحية لميستر زنجرن [4] اللتين تلائمان مرضى الغضب السريع

ودلت تجارب عدة على أن الدورة الدموية تتأثر أيضاً بالموسيقي إلى حد أنها تنتظم وتصل إلى المستوى الطبيعى

ووجد الدكتور تراخانوف J. Trachanoff أن الموسيقى السهلة تساعد على تنشيط العضلات الضعيفة ، على حين لاحظ أن الموسيقى المدرسية (كلاسيك) لا تؤثر هذا الأثر ؛ بل على النقيض تكسب العضلات شيئا من التراخى

والعناية بأمر الموسيقى فى علاج الأمراض قائمة على أشدها فى ألمانيا — بلاد العلم والفن والمدنية — حتى لنرى أن أعظم جامعة فيهـا وهى جامعة برلين قد منحت دكتوراه الشرف للموسـيقى المغنى ماكس ريجر Max Reger الذى أثبت أن المعالجة بالموسيقى ذات أثر قيم قائم بالدليل فى معالجة الأمراض النفسية

من كل هذا نرى أن الموسيقى هى إحدى نعم الله التى منحها خلقه العاقل المهذب ، والتى بها استطاع أن يمد عمل الشيطان من نفسه ، ويلتفت إلى ما فى الوجود من جمال يدل على قدرة الخالق وعظمته [1]

ولعل الشاعر شكسبير لم يبالغ بقوله فى رواية روميو وجوليا (١٥٩٣) أن الموسيقى بلسم القلوب الجريحة ونعيم العقول المتعبة، إذ بصوتها العفى يكتسب القلب بهجته والعقل راحته

وإذا رجعنا إلى كتاب شوبنهاور (الدنيا كإرادة وتصور) نجد فيه الفيلسوف يقول إن أحسن موسيقى وأسماها هى تلك التى لا نستطيع وصف أثرها فى نفوسنا عند الاستمتاع بها ، حيث تذهب بنا إلى جنة الخيال البعيد عن مرارة الحقيقة الراهنة

أما جوته (١٨٢٧) فقد وجد أن الموسيقى تعاصر الانسان منذ خلقه ، قديمة بقدمه ، تناسبت مع نفسه وروحه وشاعريته ووجدانه ، فتطورت بتطوره . ويؤمن بأن الانسان قد يستمع لموسيقى جديدة فلا يطرب لها لأول وهلة وذلك لعدم تفهمه إياها (قصد موسيقى فاجنر) ، أما بعـد أن يألفها فانه يجد استمتاعه بها متناسباً مع تفهمه لها ، حتى يحين الوقت الذى يجدها فيه خير معبّر عن مثله الأعلى فى ناحية من نواحى وجدانه ، ألا وهى ناحية العاطفة السامية والحس الدقيق

وهذا تفلسف اتفق مع الواقع ، ولا سيما أنه اشترط فى الموسيقى أن تكون متناسبة مع عقلية الانسان وتفكيره ودرجة فهمه وتمدنه . فقد ترى السذج يطربون لموسيقى لا انسجام فيها ولا طرب ؛ على حين تجد أولئك الذين أنعم الله عليهم بنعمة العقل وسمو الشاعر لا يطربون إلا لمـا أخرجه الفنان الموهوب الذى أمكنه التعبـير عن حب دفين لانهائى للخالق جلت قدرته فى أصوات منسجمة متوفرة الارتباط ، تسمو بالمستمع إلى ملكوت مقدس بعيد كل البعد عن الطرب المصطلح عليه فى الشرق

احمد موسى

---

(١) أرسطو ٣٨٤ — ٣٢٢ ق.م. Aristo., Politik, B. 5, K. 7.
(٢) Beethoven, Erlkoenig.
(٣) Wagner, Tannhaeuser.
(٤) Wagner, Overtuere zn den Meistersingern.

(١) راجع Martin Luther, Tischreden 1566.



رسالة الشعر



التمثال الحى

للأستاذ ابراهيم العريض

سكنتْ فى الطابقِ المُظْ ... لمِ من دارٍ سويّه
غادةٌ لا تملكُ القو ... تَ ... وبالحُسنِ غنيه
هىَ فى الأسمالِ لكنَّ ... لها رُوحًا ذكية
سلبتْها كلَّ شيءٍ ... ثورةٌ إلا التقيه
تتلوّى كلما أبْ ... صرتِ الدارَ خليه
أينَ عنها أبَواها ... فى ظلامِ الأبدية
وأخوها جدّلتهُ ... فى الوغى كفٌّ شقيه
فثوى والعَلَمُ الخا ... فِقُ يَلوى بالتحيه
كيفَ لا تبكِى وهل أبْ ... قى لها الدهرُ بقيه

خرجتْ تعثر فى الذيْ ... لِ إلى جار قريبِ
عاشَ بينَ الناسِ فى عُزْ ... لتِهِ مِثلَ الغريب
وخطَّ الشيبُ على جبْ ... هتِه شِبهَ الندوب
أينَ في الدهرِ فؤادٌ ... لم يُروَّع بالخطوب
وأتتهُ وهوَ فى معْ ... مَلِهِ جِدُّ دؤوب
ينحتُ الجسمَ من الصخْ ... رِ فيأتى بالعجيب
ورآها وهى فى الأسْ ... مالِ تمشى كالمُريب
ومن الجُوعِ على الخدّ ... ينِ آثارُ شُحوب
فانثنى يرمقُ ذاكَ الـ ... حُسنَ فى صمتٍ رهيب

ودنا من جسمِها المحْ ... مُومِ لكن بفتُوَّه
ما لها لم تضطرِبْ منْ ... هُ ولا خافت دنُوه
إنَّ فى عينيهِ.. لا غضْ ... بها ... نورَ النُبوه
مِن هُواةِ الحُسنِ للفنّ ... وإن غالَى غُلوه
وأحسّتْ كفّهُ تنْ ... تزِعُ الثوبَ بقوه
فأرادتْ سِترَ نهدَيْ ... نِ حياءً ومُروه
« إنّنى أنثى.. ألا تشْ ... عُرُ أنّى فوقَ هوّه »
قالَ « كُفّى ــ أنتِ من شيْ ... بى فى ظلِّ الأبوه
لو تجرّدتِ مَما الفنُّ ... بعِطفيكِ سُمُوه »

فرَمتْ ما كانَ لا يَسْ ... ترها إلا قليلا
ثمّ قالت « ومتى تُطْ ... مِعُنى »... قالَ « أصيلا »
وجثتْ بين يديْهِ ... فى تعرّيها طويلا
وهوَ لا يُنكرُ مِن قا ... متِها إلا النحولا
فانحنى يمتحِنُ الجسْ ... مَ فروعًا وأصولا
إنْ فى إطراقِها مُغْ ... مِضةً شيئًا مَهولا
ثمّ لمّا سَمِعتْهُ ... فاهَ بالحكمِ جميلا
نهضتْ تبسمُ فى الدمْ ... عِ وقدْ سالَ مسيلا
« هل لِهذا الحُسنِ أن يخْ ... لدَ بى جِيلا فجيلا »

وقفت عاريةً بيْ ... نَ التماثيلِ كدُرّه
تحملُ الثغرَ على الضحْ ... كِ وفى العينينِ عبره

ومضى يقـدرُ بالاز   مِيلِ فى المرمرِ قدرَه
لَمْ تُحاوِل قطّ أنْ تَنْـ   ـفِيَ جيـدًا فتضرَّه
لبثَتْ فى وَضعها ذَ   لِكَ يَوْمًا مُستمِرّه
إنّهُ يعملُ للفَنّ   ... وهَل فِيه معرّه
هِيَ لوْلا الجوع لمْ تَر   ضَ بأن تصبِرَ صَبرَه
وهْوَ فى عالَمِه ... لو   يُدرِكُ العالَمُ سِرّه
نظرةً يُلقِي عليهـا   وعَلَى المرمرِ نَظرَه

مالَتِ الشمسُ إلى الغَر   بِ وما زالَ مُجِدّا
واستحالَ المرمرُ المسـ   نونُ حتى صارَ قَدّا
فانحنَتْ مِن كفّها أنـ   ـمُلةٌ تُسنِدُ خـدا
فانجلى الصدرُ وفوقَ الـ   صَدرِ شىءٌ يتحدّى
واستدارَ البطنُ فى طيَّـ   ـتِه أحسنَ جِـدا
قالَ « لولا الجُوع لم يَبْـ   ـلُغْ مِن الغادةِ حدا »
ثمّ مَدَّ الراحةَ اليُمـ   ـنَى علَى الفخذَينِ مدا
فأطالَ الساقَ حتى   شارفَت فى الكعبِ ضِدا
وبَرَاها قدمًا يحـ   ـلُو لها أن تستبِدّا

ودَجا الليلُ ... فلم يُبْـ   ـقِ إلى الغـادةِ بالا
غايةُ الفنّانِ أن يَبْـ   ـلُغَ بالفنّ كمالا
فطوَى الشَّعرَ على الرأ   سِ كموجٍ يتوالى
فجَلا الجبهـةَ غرا   ءَ كمرآةٍ تَـلالا
فأرَى لمحةَ عينَيـ   ـنِ تُطيلانِ السُّؤالا
فلوى فى جانبِ الأذْ   نِ مِنَ الصُّدغ هِلالا
وأقامَ الأنفَ كالإبْـ   ـرَةِ حُسنًا واعتدالا
ثمّ لمـا جاءَ للثغْـ   ـرِ رأى فيـه احتيالا
قالَ « لو يفترُّ هـ   ـذا الثغرُ لازدادَ جمالا »
وإذا بالصوتِ. صوتُ الـ   ـديكِ صُبحًا يتعالى

تمّت الدُّميـةُ لا يَنـ   ـقُصها غيرُ الحِوارِ
فانثنى يضحكُ للغا   دةِ فى شِبهِ اعتِذارِ
« أنظُرى صُنعَ يدى فهْـ   ـوَ جديرٌ باعتبارِ »
« إنهـا مُعجِزةٌ خا   لِدةٌ مِثلَ النهارِ »
ورآهـا لم تُحرّكْ   شفةً ... والجِسمُ عارِ
فدَنا منها وفى أضـ   ـلُعِـهِ جَمرةُ نارِ
وإذا بالخُودِ فى مو   ضِعِها مِثلَ السَّوارى
جسدٌ مِن غيرِ رُوحٍ   مُستمِرٌ فى انتِظـارِ
إنما الثغرُ كما يَهْـ   ـواهُ فى حالِ افترارِ

وانحنى بَيْنَ يدَيْها   باكيًا سُوءَ مآلِهْ
وطَوى حاشيةَ الثوْ   بِ عليها فى اعتلاله
« أنا أدعُوكِ. وهل يَسْـ   ـمعُ مَيتٌ صَوتَ والِه »
« أنا أفديكِ. وهل يجْـ   ـديكِ شَيْئى فى ابتهاله »
ثمّ ألقى نظرةَ حا   ئرةً نحوَ مِثـاله
فرآهُ يُحدِقُ الطرْ   فَ ولا يَرثى لحاله
فأتى فى اليأسِ أمرًا   لم يكُنْ قطّ ببـاله
إذ رَمى قِطعةَ صَلْدٍ   شوّهَتْ بعضَ جَماله
ومضى يَعثُرُ بالشيْـ   ءِ ويَهذى فى اختباله

وقفَ العالِمُ ما بَيْـ   ـنَ الجماهيرِ خطيبا
قالَ « تَروِى بعثةُ الشرْ   قِ لنـا أمرًا عجيبا
بينما كانوا يجوبو   نَ الصَّحارِيَّ جنُوبا
عثَروا فيها بتمثـا   لٍ سأجْلوهُ قريبا
يعلمُ اللهُ لئن أُلـْ   ـفِيَ فى الرَّندِ مَعيبا
فهْوَ ما زالَ على العَيْـ   ـبةِ يستدعِى القلوبا
إنّهُ أجملُ تمثـا   لٍ لحسناءَ أُصيبا
وأزاحَ السِّترَ عنهُ   فاستهلَّ الكلُّ طوبى
خلّدَتْ فى المرمرِ الصا   مدِ يدُ الفنِّ حَبيبا

« البحرين »   ابراهيم العريض

بمناسبة المؤتمر البرلماني الشرقي

يا لله لفلسطـــين !

للأستاذ احمد فتحي

مَرْحبًا بالنشيدِ بعدَ النَّشيدِ   يهبطُ الأرضَ مِنْ سَمَاءِ الْخُلودِ !
مَرْحبًا بالبيانِ أسْوانَ جَهْمًا   يبعثُ العَزْمَ فى الأباة الصِّيدِ !
مَرْحبًا بالرَّوائع الغُرِّ ، تحكى   وامِضَ البَرْقِ فى الليالى السُّودِ!
فتْيَةَ العُرْبِ قد دَعَوْتُمْ فلبَّا   كُمْ على قَدْرِ مااستطاعَ قصِيدى
غيرَ هذا البيانِ أخطأَ جَدِّى   وكذا الشعرُ،خصْمُ تلكَ الْجدودِ
نحنُ نَشْقَى به وتَسْعَدُ دُنيا   تَنْتَشِى بالنشيد بعدَ النَّشِيد !
إنَّ لِلفَنِّ نَشْوَةً لا تُسَامَى   أزْهَدَتْ فى عُصَارَةِ الْمَنْقُودِ !
كم غَفَلْنا بها عن الزَّمَنِ العا   بثِ بالخلْقِ فى فُتُونِ الوَليدِ !
وصَحَوْنا على الأغاريدِ نَشْوَى   والوَرَى فى مناحَةِ التَّنْكيدِ
ما انتفاعى بِقَافِيَاتٍ وِضَاء   تُشْبِهُ الدُّرَّ فى نِظامِ العُقودِ ؟
ليتَ هذا القريضَ يجرى جُيوشًا   من كِرَامٍ أصائِلٍ وجُنودِ !!
يَنْصُرُ الواهِنَ الضَّعيفَ ويُوهِي   عَزْمَةَ الباطِش الغَشُومِ العنيدِ
لَهْفَ نفْسِى عليكِ يا حَوْزَةَ المَقْـ   ـدِسِ ضُيِّعْتِ فى البلاءِ الشَّديدِ
ما لِأَضْيَافِكِ اللِّئامِ يَلُوذُو   نَ بِفَرْطِ الأذَى ، وفَرْطِ الْجحُودِ
رَوَّعَ الشَّرْقَ أنْ دَهَاكِ اقْتِسَامٌ   هل يُبَاعُ السَّادَاتُ بَيْعَ الْعَبِيدِ

* * *

لا رعاكَ الزَّمَانُ يا « وَعْدَ بَلْفُو   رِ» ولا فُزْتَ مِنْهُ بِالتَّخْلِيدِ !
طُرَدَاء الشُّعُوبِ غَالوا بلادًا   كانَ تاريخُها شبابَ الوُجُودِ
«أُرْشَلِيمُ» العُلَى تَرَامَى بها الخطـ   ـبُ ودَوَّى فى كُلِّ مَرْمًى بَعِيدِ
لَهْفَ نفسِى ، وشَدَّ مَاحَزَّ فى النَّفْـ   ـسِ اقْتِحَامُ الكلابِ غابَ الأسُودِ
لَهْفَ نَفْسِى على الصِّغَارِ تَرَامَى   بهِمِ اليُتْمُ فى زَمَانِ الكُنُودِ
لَهْفَ نفسى على نَوَاحِي البَوَاكِى   والخَلِيُّونَ دُونَهُم في هُجُودِ !
لَهْفَ نفسى على الشُّيوخِ ضِعَافًا   بين نارٍ مشبوبةٍ وحَديدِ !
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى المِلاحِ وَكَمْ فِيـ   ـهِنَّ مِنْ حُلْوَةِ المَفَاتِين رُود !
لَهْفَ نَفْسِي لِفَاجعِ الْخَطْبِ يمْتَدْ   دُ ذُبُولًا إلى وُرُودِ الْخُدُودِ
لَهْفَ نَفْسِى عَلَى الْمَدَامعِ تَجْرِى   فَتُرَوِّى بها ظِماء البِيدِ !!

* * *

مَرْحَبًا بِالْوُفُودِ بعدَ الْوُفُودِ   والحَشِيدِ النَّبيلِ بَعْدَ الحشيدِ
مَرْحَبًا بالكِرَامِ مِنْ آلِ عَدْنا   نَ اطْمَأَنَّتْ جُمُوعُهُمْ فِى صَعِيدِ
مَرْحَبًا بالْخِفَافِ نحو المعالى   والبهاليلِ فى سَخَاء وَجُودِ
دونكم مصر فانزلوا من رُباها   كلَّ رَوْضٍ ، وكلَّ ظِلٍّ مَديد
وارشفُوا السَّلْسَبِيلَ مِنْ نيلها السَّمْـ   ـحِ خصيبِ الضِّفافِ عَذْبَ الورود
وانعَمُوا بالنَّسيم فى ضِفَّتَيْهِ   إذ يُحَيِّيكُمو بِثَغْرٍ بَرُودِ !
شاوِرُوا فتيةً بمصرَ تَسَامَوْا   لذُرَى المجد ، فى كفاحٍ مَجِيدِ
عاونُوهُمْ على بَقَـــاءِ فلسطيـ   ـنَ ، بِمَنْجًى مِن فاجع التَّهويد
مَهْبِطُ الْوَحْيِ والنُّبُوَّاتِ أوْلَى   مِنْ حُمَاةِ التُّرَاثِ بالتأييـــد
أجمِعوا أمْرَكم عَلَى نصرَةِ الحـ   ـقِ تُعيدوا جَلالَهُ مِنْ جديد !

* * *

آهِ يا أورشليمُ لو كنتُ أسْطيـ   ـعُ لحطَّمْتُ ما أرَى مِن قُيودِ
عَلِمَ اللهُ كم أرِقْتُ الليـــالى   لَكِ ، بينَ الدُّمُوعِ والتَّسْهِيدِ
مُستطارَ الْجَنَانِ أدْعُو لكِ الله   بِقُرْبِ الخَلَاصِ والتَّسْدِيدِ
وأصوغُ القريضَ فيكِ عقودًا   مِن بَيَانٍ نَدٍ ودُرٍّ نَضِيدِ !!

« القاهرة »   احمد فتحي



الدكتور زكي مبارك والشريف الرضي

روى الأديب المشهور الدكتور زكي مبارك فى مصنفه (عبقرية الشريف الرضى) هذا البيت للرضى :

والحظوظ البلهاء من ذى الليالى أنكحت بنت عامر من ثقيف

ثم قال معلقاً : « لما ظهر ديوان زكي مبارك اعترض بعض أدباء العراق على هذا البيت :

لم تنسنى فتنة الدنيا وزينتها ما فى شمائلك الغراء من فتن

وقالوا لا توصف الشمائل بأنها غراء ، وإنما توصف بأنها غر ، وأطالوا الجدل فى مجلة أبوللو ، واشترك الأب أنستاس فى الجدل ، وعارضنا معارضة شديدة فى منزل الدكتور بشر فارس ، والآن نرى الشريف يصف الحظوظ بأنها بلهاء لا بله ، فلينقل العراقيون المعركة إلى شاعر العراق »

قلت : ألا يرى الدكتور أن فى البيت خطأ ناسخ أو طابع وأن الرواية الحق هى :

وحظوظ البلهاء من ذى الليالى أنكحت بنت عامر من ثقيفِ

فاذا ثبتت هذه الرواية — وهى عندى ثابتة — فقول حضرة البحاثة (الأب أنستاس مارى الكرملى) فى (فعلاء أفعل صفة لجمع — هو القول . وظهير القسيس الفاضل فى مذهبه هذا — كتاب الله وحديث نبيه (صلوات الله وسلامه عليه) والأقوال العربية الموثوق بها قاطبة

والأب أنستاس هو أول من نبه على هذه النكتة اللغوية المهمة فى هذا العصر

فى القصيدة التى منها ذلك البيت هذان البيتان المحكمان :

أمهِل الناقصون واستمجل الده
ر بسَــــوقِ للفاضلين عنيفِ
من يكن فاضلا يعش بين ذا النا
س بقلب تجـوٍ ، وبالٍ كسيف

القارىء

مكتبة التلميذ

أخى الأستاذ الزيات

أقدم إليك وإلى قراء الرسالة ما يأتى :

قد يتفق لبعض مفتشى اللغة العربية أن يلاحظوا أن مكتبات المدارس الابتدائية والثانوية لا يوجد فيها من الكتب العربية غير المراجع أو ما لا ينتفع به فى الأغلب غير الأساتذة وكبار الطلاب

وقد فكرت مرات فيما ينتفع به التلاميذ والطلاب من أطايب الأدب الحديث ، ولكنى خشيت ألا أشير بغير الاعتماد على مؤلفاتى ومؤلفات أصدقائى ، فما رأيك إذا استشرنا أفاضل الأدباء من قراء الرسالة فى اختيار خمسين كتاباً من الأدب الحديث تزود بها مكتبة التلميذ فى المدارس الابتدائية والثانوية ؟

أرجو أن يتسع المجال لقراء الرسالة ليجيبوا فى نزاهة وإخلاص ، فقد يكون فى أجوبتهم ما ينتفع به المدرسون فى تكوين مكتبة التلميذ

زكى مبارك

حول كلمة اللقاء

صديقى الأستاذ الجليل صاحب مجلة الرسالة :

تحية واحتراماً . وبعد فانى أحسبك لم تنس بعد كما لم ينس الأستاذ الفاضل باحث الفالوذج فى الرسالة أنه سألنى بحضرتك من شهر مضى تقريباً عن كلمة « اُللقاء » التى جاء بها أبو العلاء فى كلام له فى كتابه « الفصول والغايات » ثم فسرها بالفالوذج وأنه متشكك فيها ، فذكرت له أنها وردت هكذا فى نسخة الأصل وهى نسخة جيدة وأنى طلبتها فى كل مظانها فلم أجدها . وقلت له إن أبا العلاء ربما وجدها فيما وقع له من الكتب التى لم تصل إلينا ، ورجحت أنت صحتها للمجانسة اللفظية بين كلمتى « يُلقى »

و« لقاء » التى كان أبو العلاء يحرص على أمثالها

هذا ما عندى، وقد كنت أنتظر منه أن يقول (فلست بمنكره فى يوم من الأيام) ثم يعقب عليه بما يشاء

محمود حسن زناتى

حول تيسير قواعد الإعراب

حضرة الفاضل الأستاذ « أزهرى »

نعم يا سيدى الفاضل، إن من مميزات عصرنا الحاضر هو كما تقول : « النهم التى تكال جزافاً » دون روية ولا إمعان . وهذه أيضاً من تأثير السرعة التى اقتبسناها ولم نحسن استعمالها . فان النفوس التى تتهمها « بالجهل والجمود والجحود » تفهم السرعة فى المواصلات والسرعة فى الادراك — وسرعة الخاطر —

ولكنها قاصرة عن فهم السرعة فى الحكم والدرس والاصلاح خصوصاً إذا تعلق هذا الاصلاح بمستقبل قواعد لغة عدة شعوب وملايين من الناس .

إن « نفسى الجاهلة » لتأخذ على أستاذها الفاضل سرعة الحكم ؛ فقد كان من السهل عليه لو تأمل قليلاً أن يدرك أن ليس فى ردي عليه استفزاز ولا خلط . ولكنى نسبت ما فى القواعد من تعقيد وصعوبة إلى المدرسين القائمين بتلقينها للنشء لا إلى نقص فى القواعد نفسها . ثم أخذت عليه تغيير الاعراب وبقاء القواعد كما هى، وفى هذا من الخلط والتعقيد ماهو برىء من التيسير . فاذا قلنا مثلاً إن حرف الجر مجزوم وجب أن نحذف من كتاب القواعد أن الحروف مبنية . وإذا سلمنا أن الفعل الماضى منصوب وجب حذف باب « بناء الأفعال » . وهكذا يجب تغيير وحذف كل القواعد التى لا تتمشى والاعراب الجديد . وإن كان ذكر النون فى جمع المذكر السالم « حشواً لا داعى إليه » فلا أرى مايمنع حذفها . والمعقول أن مايعتبر حشواً يمكن الاستغناء عنه . وكما قلت سابقاً إن عملية التيسير أخطر من أن تتم بهذه السرعة ، وإننا مسئولون عما نأتيه من تغيير فى قواعد اللغة التى ثبتت أجيالا مضت ولم نثبت بعد خطأها ولم نأت بأحسن منها .

لقد طالعت أبحاث أستاذنا المحترم بكل تؤدة وإمعان ، ثم بينت لكل اعتراض سبباً منطقياً يقره العقل والفهم . فأين إذن الخلط والسهو من كلامى هذا ؟! ولو تفضل الأستاذ المحترم وراجع مقالى السابق لوجد أنه مختص بالبحث فى عملية التيسير من ناحية صلتها بالنشء . ولا يخفى على الأستاذ الفاضل أن فكرة التيسير لم تنشأ إلا لتسهيل درس قواعد اللغة للطلبة بعد أن لوحظ شدة ضعف المتخرجين فى الدراسة الثانوية والجامعية .

وأخيراً لا يسعنى إلا أن أشكركم لما نسبتموه إلىّ من جهل . فانه لفخر لى أن يتهمنى عالم جليل بالجهل .

أمينة شاكر فهمى

من المرحوم زكى باشا الى المرحوم الرافعى

كنت رأيت على مكتب المرحوم الرافعى فى سنة ١٩٣٣ طائفة من أوراق مخطوطة حدثنى هو عنها أنها معجم يؤلفه زكى باشا وبعث به إليه يستعينه عليه ؛ وقد وقعت لى الرسالة الآتية بين ما خلف الرافعى من رسائل أصدقائه ، بخط المرحوم أحمد زكي باشا ، فرأيت أن أنشرها على قراء الرسالة . وهذه الرسالة مكتوبة على ورقة مستعملة ممزقة الأطراف ، يظهر أنها كانت غلاف رسالة إليه عليها خاتم (حلب) ، والمعروف عن المرحوم أحمد زكي باشا أنه كان يكتب ما يريد أن يكتب على ما يتيسر له من الورق ولو كان ورقة ممزقة من سلة القمامة ! سعيد العريان

عزيزى الأستاذ الرافعى :

كنت كتبت خلاصة وافية عن حرف الألف لوضعها فى أول باب الهمزة ، ثم عنّ لى أن أرسلها لرجل فى حلب عرفت تعمقه فى النحو، وإذا به أعادها إلى مع مقالة أخرى تدل على شدة تقعره ، وفاته أن الغرض هو الالمام بكل أحوال الألف بلا شرح إلماماً قاموسياً

أرجوك نظر المقالين واختيار أحدهما مع التنقيح أو التصحيح أو الحذف والزيادة كما تراه ، وإبقائه عندك إلى حين رجعتي من الاسكندرية وسلام الله عليك من المخلص أحمد زكى

تدريس اللغة العربية فى فرنسا

جاء فى بلاغ من وزارة التربية الوطنية أنه أنشئ فرع لتعليم اللغة العربية فى مدرسة « سان لوى لى جران » فى باريس ومدرسة « بيريه » فى مرسيليا

وجاء فى هذا البلاغ : أن اللغة العربية سبق أن قبلت



عرض وتحليل

هكذا أغنى

للشاعر محمود حسن اسماعيل

بقلم الأستاذ اسماعيل كامل

عند ما أخرج الشاعر الأديب محمود حسن اسماعيل ديوانه (أغاني الكوخ) وكان لى حظ الاشتراك فى حفلة تكريمه كان أهم ما دارت حوله كلمتى التكريمية أن الشاعر صادق الحس مشبوب العاطفة قوى الايمان ينتزع الأخيلة من أطواء وجدانه فى غير افتعال أو تمحل، وأنه يمثل الريفى المؤمن الصادق الأحاسيس الذى يقبس من جلال المناظر الطبيعية خير ما تحتاج به نفسه الجياشة بحب كل ما هو طبيعى لا أثر للصنعة الزائفة فيه

وأخيراً جاء ديوانه الثانى (هكذا أغنى) صورة صادقة تؤيد ما ذهبت إليه فى كلمتى الأولى وتعزز تلك النظرة الصائبة التى لم تخب فيما خرجت به من دراسة شاعر الشباب النابغة

وأنا فى هذا البحث العاجل أحب أن أنتزع من الديوان الأخير صوراً فاتنة تؤيد ما ذهبت إليه يوم قام الأدباء من الشباب يحتفلون بذلك القبس الباهر الذى كشف عن درر الشاعر الفذ ميزة تفرد بها الشاعر محمود ولم يجر فيها على منوال كثير من شعراء كل مناسبة يأتى من ورائها الغنم والفائدة! تلك ميزة الوفاء لنفسه والاخلاص لشاعره والاعتداد بشعره؛ فلم يكن يوماً بوقاً للظروف أو أداة للملابسات، بل ظل الشاعر الرفيع الاحساس المترفع بشعره أن يتلمس جوانب النفع ووجوه الاستغلال أينما ساقتهما الأقدار أو دفعت بهما الرياح

وفى ذلك يقول الشاعر لمليكه:

للشاعرين بلاغة فضفاضة ... حشدت بلفظ فى الحلوق مجاجل
وأنا الذى شعرى نفاثة مهجتى ... سكبت جداولها بهمس السنبل
يوم الفخار سنلتقى ... أنت العلا
وأنا الصدى فى ظل عرشك! فاسمع لى

أنظر إلى محمود الشاعر الريفى الذى يلوذ بأذيال الخمائل يقتطف منها شذا الزهور، ولحون الطير، ونور الصباح، وعبير الضحى، لتعينه على الهتاف للمليك إن عاونته تلك العوامل كلها على أن ينتمى لبلابل الخلد السواجع

وانظر إلى ذلك الشادى من أين يقبس قريضه.. من الطبيعة الوارفة ومن الإيمان الصادق:

شاديك من قصب الفرادس نايهُ ... ومن السنا والطيب صُغ عناؤه
ومن الصَّبا نهلت حلال أراكه ... سجواء، نافجها غفت أنداؤه
ومن الطفاوة فى أصيل خاشع ... سجدت على زهر الربا أضواؤه
ومن المساجد هينمت تحت الدجى ... صوفيُّها نهل الغيوب صفاؤه
ومن الشعاع المستهام بقبلة ... فى النيل طاهرها هواه وماؤه
ومن السنا الرقراق فى قدح الضحى
أغرى النديم فولولت صهباؤه

وشاعرنا كثير التبرم بالقلوب النوادر وما جبل عليه الناس من فضول وتهاتر، ولكنه يرتد ساخراً هازئاً لاعتداده بنفسه، وعرفانه بقيمته ويفيض من حنانه على (الغراب) قسيمه فى الحظوظ وصاحبه فى الجدود وقرينه فى تحامل الناس الظالم دون إثم يبرره:

على قدم المساواة مع اللغات الأجنبية لا فى امتحانات البكالوريا والليسانس فقط بل فى امتحانات المدارس العسكرية كمدرسة سان سير وغيرها

والأهمية المتزايدة لأفريقيا الشمالية فى الاقتصاد والدفاع الوطنى وحاجة فرنسا لأن تنشئ معها علاقات تزداد توثقاً مع الزمن، كل ذلك يعد من الأسباب التى تبرر التدابير التى اتخذتها وزارة التربية

وأنت — كمثلى — هارب من فضولهم
جوابك للأكران : إنى ساخر !
فدعهم يلوكون الحديث ، وأصغ لى
فما منهم للسمع إلا التهاتر
سلاماً قسيمى فى الحظوظ .. وصاحبي
وقد أرخصت عهدى القلوب النوادر
عشقتك منـــذ النخل مد ظلاله
علىّ تغـــادينى وبه وتباكر

ويكاد يتفرد الشاعر محمود بقوته المادرة وفتوته الفائرة فى كل ما يقرض من النظم حتى حين يتحدث إلى موسيقى النفوش

ابعثى اللحن بدوىّ   كيفما شئت وشاء
لن ترىْ فى الأرض سمعاً   يشتهى هـــذا الغناء
غير سجعى فهو من دنـ   ـياه فى دنيا فناء

لكنه كثيره من الشباب إذا أحب وعف واعترضت العقبات سبيله راح يتفجع ويتوجع وإن كان لا يسف إلى درك التوسل والاستعطاف، بل يهدد ويتوعد.. يهدد بالجنون والانتحار والفناء

وانظري جذوة الهوى فى خيالى   وشحوب الفناء فى نظراتى
وتهاويل من بقايا جنون   خلفتها الأحزان فوق سماتي
وبريقاً من الشباب المولى   كهشيم الريحان فوق الرفات
منية أزهقت وأخرى تمايا   والبقايا فى الصدر منتحرات

***

أسرعى قبلما تغيب الأمانى   فى دخان الهموم والحسرات
وتصيرين فى الهوى قصة الغد   ر وأسطورة على نغماتى
أسرعى قبل أن تموت الأغاني   فتناجيك ، بعدها مرثياتى !

وما أحسب الشاعر ينتوى ما يهدد به ولكنه يتوعد حبيبه بشر ما ترتاع له النفوس حتى ينطلق من محبسه ويثور على أغلاله وإلا ما قال بعدئذ :

حجبوكِ عن نظرى وخلوا مهجة   حيرى يجرعها الهوي أتراحه
وأنا الذى سأظل باسمك هاتفاً   حتى يمد الموت نحوىّ راحه !

***

حجبوكِ هل حجبوا انفلاتة عاشق   أضرى الغرام جلاده وكفاحه ؟
متولع بهواك ما أغرى به   بينٌ ولا فلّ الفراق سلاحه

وهو ليس دائم الشكوى والنواح بل طالما ركن إلى الصمت القاتل وكبت مشاعره حتى لا يستذله الضعف وبعد أن صدف الناس عن الشكوى وتغافلوا عن الشاكين :

والناس .. لاناس إذا خلجت   عينى .. كأنى فى الحياة عَمِ
صدفوا عن الشكوى فلا أذن   تصغي لما رتلت من نغم
حسبوا أنين القلب فلسفة   عبثت بها أنشودة القلم
فتغافلوا عنى ولو علمـــوا   شربوا صباب الدمع من ألمي

أنت عاتبتى على الصمت . . . فاسمع
نغمات الجـــراح تحت الجنوب
أنا همس يموت فى قلب ناى   نبذته الرياح خلف الكثيب
أنا صمت الكهوف يهتز للوحى   إذا هل فى السكون الرهيب

***

وقصاري مايقال فى شاعرنا الفذ أنه ينتزع مادته فى جميع الاتجاهات والأوضاع من الطبيعة الساحرة فى صمتها وشجوها وتغريدها لا من التأثر الدراسى أو الاطلاع الفردى وحدهما ، بل إننى كنت مع بعض الواهمين قبل أن أعرفه فى أنه قد قبس كثيراً من معانيه البكر من شعراء الفرنجة الطبيعيين أمثال وردثورث وشيلي وبيرون .

وشاعرنا قد جمع فى وثبته بين القديم والجديد : فهو يمثل جزالة الشعر العربى الرصين وقوة أسلوبه ومتانة بنائه، كما يمثل الجديد فى سلاسة معانيه، وطرافة موضوعاته وحداثة مراميه، فكان وسطاً حبيباً بين المهدين ، وروحاً فياضة بين الجيلين وعلماً فرداً فى توسط الاتجاهين .

وهو نسيج وحده فى أغلب الموضوعات التى يطرقها لا يشبهه فيها شاعر اللهم إلا فى الموضوعات الاجتماعية التى يظهر فيها تأثير البيئة الواحدة في جميع الأقلام ، وفى هـذا يمثل الشاعر بيته ومايعتمل فى أطوائها ومايشيع فى أجوائها خير تمثيل .

وقبل أن أختتم كلمتى العاجلة أود أن ألمس المدى الذى بلغه الشاعر في ديوانه الأخير والخطوة الواسعة التى خطاها فى أغانيه الأخيرة بعد أن انقضت أعوام ثلاثة على ديوانه الأول (أغانى الكوخ)

إن من قرأ للشاعر فى ديوانه الأول حديثه الفطرى عن (حاملة الجرة) ثم يقرأ قصيدة الرائعة عن (الغراب) فى ديوانه الأخير يلمس عمق التأمل وغور الاستيعاب الوافدين على شعره الجديد وقد أضفيا على قريضه القوة والمضاء. كذلك يلمس القارئ فى ديوان الشاعر الأخير مدى توسعه فى الموضوعات الاجتماعية وشبوب عاطفته فى الناحية الغزلية ، وذلك الطهر الذى يهيمن على مشاعره

وليس ثمة ما أعيبه على الشاعر غير تلك الرهبنة وذلك المذهب الكنسى الذى يصبغ أكثر قصائده ، ولكن العارف المشرف على



شيء من لا شيء

باكورة الموسم المصرى لاستوديو مصر

عرضت سينما استوديو مصر فى الأسبوع الماضى أول أفلامها المصرية للموسم الحالى وهو «شيء من لا شيء» الذى حدثنا عنه قراء الرسالة في مناسبات كثيرة بما جعلهم يوقنون قبل رؤيتهم إياه من أنه سيكون فلماً من الأفلام الممتازة دون ريب ...

وفى الأسبوع الماضى عرض الفلم فكان ممتازاً رائعاً حلواً فكرة جديدة ... إخراج جديد .. تمثيل جديد .. ملابس فخمة ... غناء عذب . ولعمرك ماذا يريد الانسان فى فلم واحد أكثر من اجتماع ذلك كله بعضه ببعض ؟ إنه فلم يستحق الاستوديو من أجله تهنئة من أعمق الأعماق

واحمد بدرخان بهذا الفلم — حتى مع انعدام غيره أو انعدام المؤهلات — يدخل فى زمرة كبار مخرجينا بحق ما دام قد تسنى له أن يخرج هـذا الفلم ، وما دام قد تسنى له أن يخرجه بهذه الطريقة الناجحة

خلاصة قصة الفلم

جيشان يلتحمان فى عراك ، كلاهما من جند المسلمين ، يبدأ الفلم بفلول الجيش المنهزم وأحدهما يندب كتفه الكسير وكرشه المبقور وأمعائه الممدودة أمتاراً على الرمال ...

ويفتح المنظر التـالي على ملك الجيش الغالب وهو يستقبل قواده الظافرين ، ويسألهم — بين ما يسألهم — عن الغنائم والأسلاب والأسرى، ويفهم فى النهاية أن هناك أسيرة واحدة، أما الرجال فكثيرون . ويتحدث الملك إلى قادته : ماذا يفعل بهم؟ فيق الرأى فى النهاية على (ترحيلهم) إلى جزيرة النفى . وفي هذه اللحظة يرى الجمهور المطربة المحبوبة نجاة على لأول مرة ، ويرى بعدها الأستاذ عبد الغنى السيد، وهو مضمد الرأس من الجراحات يغنى ويغنى معه زملاؤه الأسرى وهم يدخلون المركب التى أقلتهم إلى حيث أريد لهم . . . ويحار الملك فى الأسيرة ماذا يفعل بها ، وإلى من يقدمها ؟

وإذ ذاك تحدث منافرات ومقارعات بين الحاضرين كلها فكاهات لطيفة ، وأسمار لذيذة ،وينتهى الأمر بأن يقرر الملك تزويج الأمير عنتر منها ، وعنتر هذا هو القائد الجديد للجند ، وشخصية عنتر هذه من أهم الشخصيات الفكاهية فى الفلم

وينادى الملك الأسـيرة وهى ابنة أخيه ويزف إليهـا خبر تقريره تزويجهـا من الأمير عنتر ، فترفض وتثور وتعـود إلى منامهـا والأمير يهـدر ويزمجر ، ويهـدد ويتوعد . . . ويقول لها بأنه إزاء ذلك لا يسعه إلا أن يزوجها من أحقر

حياة الشاعر والدارس لبيئته لا يعجب لتلك القوة المسيطرة عليه فقد أخذت على الشاعر الصديق فى حديث لى معه هذا المنحى الغالب على تأملاته ؛ ولكننى عرفت أن في بلدته (النخيلة) تنهض الكنيسة على كثب من المسجد ويبعثان فى النفس الطاهرة رهبة الايمان والتقديس

فاذا أضفنا إلى ذلك نشأة الشاعر الريفية الساذجة أدركنا عمق التأثير الشخصى إلى جانب التأثير العام فيما يصدر من القريض

وليس للشاعر محمود نوع خاص من الفلسفة، فهو يرى الفلسفة فى ذلك التأمل العميق فى أسرار الحياة أينما وقعت عليها العين الفاحصة والشعور الملهم

بقى أن أقول صراحة إن ديوانه الأول (أغانى الكوخ) كان يمثل الفن الرفيع وحده، فلم يقحم فيه الشاعر تلك المراثى التى حشدها فى ديوانه الأخير ، أو تلك السياسيات التى اندفع فيهـا نتيجة لشعوره مهما كان صـدق هـذا الشعور ، فما هى بالموضوعات التى تجمع بين دفتى ديوان لتبقى مدى الأحقاب والأيام

اسماعيل كامل

شخص فى المملكة وهو ذلك الأسير الشاب . . .

وتنساق حوادث الرواية أمام المتفرج بعد ذلك وتتعرف الأسيرة إلى الأسير الشاب ذى الصوت الجميل . . وبعد صد وطول عدم اكتراث ، تقع فى حبه ، أو بالحرى فى حب صوته . ويغتاظ الأمير عنتر ، فيقوم بمحاولة أخري ويهبط على الأسيرة فى منامها ويكاد أن يعتدى عليها هو ومن معه من الجند ، لولا أن الأسير الذى هو زوجها يحضر فى الوقت المناسب ويعمل فى الأمير ورجاله سيفه ، فيقتل أحد رجاله ويجرحه هو جراحاً بالغة . . .

ويقدم الأسير للمحاكمة ، وهى محكمة من أغرب المحاكم التى سمع بها الناس من قبل . . .

ويرفض المتهم الدفاع عن نفسه ويسكت كل من يحاول الكلام فى صالحه ، فلا يسع هذه المحكمة إلا إصدار الحكم عليه بما يقتضيه القانون . . .

والجمعية السرية . . لا ننس الجمعية السرية . . ولغتها (المختلطة) ورئاستها البارعة فى الخوف والوجل . . فانها من ألطف وأندر ما ملئت به القصة . .

وعند ما تنتهي حوادث تلك القصة التى لم تراع فيها وحدة زمان أو مكان أو نظام ملابس أو لهجة كلام أو خلافه . . . لما تنتهي هذه الحوادث يشاهد المتفرج رجلا بلدياً يسقط من فوق الفراش هو وزوجته وهى تناديه ليستيقظ ويكون فى حلم قد وصل إلى حد قوله (ليسقط . . .)

الناحية الفنية

وبعد فهذا هو ملخص القصة . وقد سبق أن قلنا أن الفلم من وجهه العام ناجح ومشرف لاستوديو مصر ولمخرجه الأستاذ بدرخان ، ولكن لنا ملاحظات عليه .. على رغم أنه حلم ليلة صيف .. وبرغم أن المفروض فيه هو أنه (تخريف وهلوسة)

من هذه الملاحظات أن دورى نجاة على وعبد الغنى السيد لم يكونا ظاهرين ولا مفهومين في بادىء الأمر . . وكان كلام مقطوعاتهما الغنائية ضعيفاً كما كان التلحين أضعف وأكثر ارتباكا . . . ولسنا ندرى هل كان ذلك من اللحن أم من الممثلين . .

ومن هذه الملاحظات أن القصة كلها كانت مسجوعة . . . والسجع عادة كالشعر يستولى من المشاهد — على جانب كبير من انتباهه . . ومن هنا يخسر الفيلم هذا الجزء من انتباه القارىء دون مبرر . . هذا إلى أن أغلب السجعات كان بارداً سخيفاً . .

ويدافع بعضهم عن هذا بأن المقصود من هذه السجعات السخيفة هو الاضحاك . . ولكن هذا لا يعد دفاعاً قدر ما يعد اتهاماً . . فان الفلم لا يصح أن يكون مصدر سرور الناس منه احتواؤه على سخافة وحسب . .

ولا تحضرنا الآن بقية الملاحظات فوعدنا بها عدد تال ، ونكرر فى نهاية هذه الكلمة ما سبق أن ذكرنا أكثر من مرة من أن هذا الفلم — على رغم الأخطاء التى به — يعتبر فتحاً جديداً فى عالم الأفلام المصرية ، ويستحق استوديو مصر عليه كل تهنئة

سالم ينتهى من أجنحة الصحراء

انتهى الأستاذ أحمد سالم فى الأسبوع الماضى من تصوير آخر (ديكورين) فى فيلمه الجديد (أجنحة الصحراء) وقد كان أحدهما كبيراً وفخما بدرجة لم تعرف من قبل فى الاستيديوات المصرية . ورآه مخرجون مصريون كثيرون فهنئوا الأستاذ سالم بتوفيقه فى بناء هذا المنظر . والصحفيون يعترفون بأن القراء سوف يشاهدون عجباً فى فلم سالم هذا عند ما يعرض فى منتصف الشهر القادم

جلال يعمل . .

أبلغنا زميل كريم أن الأستاذ احمد جلال قد انتهى من كتابة السيناريو الجديد للفيلم الثانى لشركة لوتس فى هذا الموسم والحيرة الآن ، أو المفاوضات ، دائرة بين آسيا وبين الزميل حول اختيار الاسم الصالح . . وقد رددت زميلات أسماء غريبة ، نفتها لنا السيدة آسيا بكل شدة . : والمعروف أن تصوير هذا الفيلم الجديد يبدأ في أوائل الشهر القادم . . .

5 me Année, No. 277

Lundi - 24 - 10 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٧٧ « القاهرة في أول رمضان سنة ١٣٥٧ — ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

العامية والفصحى

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

أنا متهم بعدائي للغة العامية ، ويا ما أكثر من في الحبس من مظلومين — كما يقول عامتنا في أمثالهم — ولست أريد الآن أن أدافع عن نفسي وأبرئها من شيء ، فان لي الحق في المعاداة والمصافاة كغيري من الناس تبعاً لرأيي وهواي ، ولكنما أريد الآن أن أضع أموراً في مواضعها على قدر ما يتيسر لي ذلك

الأمر في اللغة العامية أن نطاق الأداء بها محدود . وهي في هذا النطاق وافية بالحاجة وكافية جداً للأغراض التي تطلب بها ولكنها تخذلك إذا أردت أن تتجاوز هذا النطاق . أي أنها تصلح للحديث العادي والحوار في المسائل اليومية ، وللعبارة بها عن الأغراض المألوفة بين الناس عامة ، فاذا أردت أن ترتقي بها عن هذه الطبقة وأن تتناول بها حديث العلم أو الأدب أو الفلسفة أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى قصرت بك وعجزت عن الوفاء بهذه المطالب فتحتاج إلى لغة أخرى تستطيع أن تواتيك وتساعفك — لغة أخرى تكون أوفى وأزخر وأوفر مادة وأكثر عناصر ، ولا لغة هناك لنا غير اللغة العربية الفصحى التي لا تعد العامية إلا لهجة مشتقة منها . وهذا شأن كل لغة عامية في الدنيا . وكل

عامية تعجز عن أداء ما هو أكثر من المطالب المادية . وحدود كل لغة عامية هى حدود العامة أنفسهم، ونطاقها هو نطاقهم، فاذا احتجت إلى ما يجاوز نطاق العامة ويرتفع عن طبقتهم فانه لا يسعك إلا أن تلجأ إلى لغة أوسع من لغتهم وأغنى وأقدر . قد يقال ولكن فى الدنيا عاميات ارتقت إلى مصاف اللغات الفصيحة كالايطالية واليونانية الحديثتين. وهذا صحيح غير منكور . وفى وسع كل عامية أن تصبح هى لغة الكتابة والأدب والعلم والفلسفة وما إلى ذلك إذا وسعتها وضبطتها وأجريت الأمر فيها مجرى اللغات الصحيحة ذات الأحكام والضوابط، وأنجيتها من الفوضى التى تلازم العاميات فى العادة . وهذا هو الذى حدث فى اللغة الايطالية الحديثة واللغة اليونانية الحديثة اللتين حلتا محل اللاتينية والاغريقية القديمتين . ومؤدى هذا أن العامية عندنا فى صورها الحالية لا تصلح للأداء ولا لأن تتخذ لغة كتابة وأدب وعلم وفلسفة وغير ذلك لأنها فوضى وتحتاج إلى ضبط وإصلاح وتوسيع وإغناء . وقد قلت « فى صورها الحالية » ولم أقل « فى صورتها الحالية » وأنا أعنى ما أقول ، فان عامية مصر غير عامية الحجاز أو العراق أو الشام أو تونس والمغرب على العموم أو السودان ، ولكل بلد من هذه البلدان عاميته الخاصة، بل نحن فى مصر لنا أكثر من عامية واحدة، فعامية القاهرة غير عامية الصعيد وغير عامية الاسكندرية أو الأقاليم الشمالية ، فأى هذه العاميات كلها تريد أن تكون لغتك ؟ ولكل منها خصائصها وعناصرها التى اقتضت طبيعة الحياة الخاصة بها أن تتألف منها . فعامية مصر أو عاميات مصر — فانها كثر — فيها عناصر من العربية والفرعونية وعناصر من اللغات الأوربية بحكم موقع البلاد الجغرافى، وعامية العراق فيها عناصر من العربية والتركية والفارسية والهندية وغير ذلك، وهكذا

والعامية لا ثبات لها ولا استقرار . والملاحظ — والطبيعى أيضاً — أنها ترقى مع انتشار التعليم وتقترب شيئاً فشيئاً من اللغة العربية . يدل على ذلك — إن كان الأمر يحتاج إلى دليل — أن حوار المتعلمين لا يكاد ينقصه من اللغة الفصحى إلا ضبط أواخر الكلمات أى بناء الكلام على معانى النحو ؛ والعربية على عكس العامية أداة ثابتة على كثرة ما يطرأ عليها من التطور، وهى تتسع وتلين وتزداد صقلا على الأيام على خلاف العامية التى لا تثبت ولا تستقر بل تندمج فى العربية بعد أن اشتقت منها وانفصلت عنها

وهنا أنتقل إلى نقطة أخرى أود أن تتقرر فى الأذهان؛ وتلك أن العامية ليست لغة أجنبية وإنما هى لغة عربية محرفة، فهى بنت العربية وصلتها بها وثيقة كما هو الحال فى كل عامية بالقياس إلى اللغة الصحيحة . وكثيرون منا ينظرون إليها غير هذه النظرة ، فاذا كتبوا أو خطبوا اتقوها جداً وخافوا منها وتحاموها ونفروا من كل لفظ مستعمل فيها ، وبهذا يباعدون مباعدة شديدة غير نافعة بين الكاتب والقارئ ، وهذا خطأ فان العامية كما قلت بنت العربية وفرع منها ، وإذا ما نظر الانسان إلى العامية هذه النظرة ألفى فيها كنوزاً ونفائس لا تقوم، وأغناه ما يجد فيها عن كثير مما يلتمسه ولا يهتدى إليه ، أو يهتدى إليه ولكنه لا يكون فى الأكثر والأعم إلا نابياً ثقيلا مستكرهاً فى السماع أو منفراً من العربية نفسها . وقد كنت كغيرى أتقى كل لفظ مما يجرى على ألسنة العامة لتوهمى أن ما يجرى على ألسنتهم لا يمكن أن يكون عربياً صحيحاً ، ولكن مطالب التعبير والأداء أحوجتنى إلى البحث عن مفردات كثيرة فالتمستها فى كتب الأدب ومعاجم اللغة ، فأما المعاجم فقليلة الغناء فى هذا الباب وهى تجمع الحى والميت من الألفاظ ولا تفرق بين هذا وذاك . وأما كتب الأدب فان اللفظ المستعمل فيها يكون لفظاً حياً استطاع أن يبقى ويدور على الألسنة والأقلام ، والألفاظ كالناس وككل مخلوق ، تحيا وتموت ، والصالح منها هو وحده الذى يبقى ، أما غير الصالح فينتهى به الأمر إلى أن يهجره الناس ويتركوه مدفوناً . ولا خير فى محاولة إحياء لفظ مات ونشره بعد أن طواه الزمن، وإنما الخير أن تتركه حيث هو وأن تلتمس سواه من الألفاظ التى قدرت على البقاء والمكافحة والنضال

نظرت هذه النظرة إلى لغتنا العامية فعثرت بلا جهد أو مشقة فى بحث على مئات من الألفاظ العامية التى نتوهم أنها غير عربية أو لم يستعملها العرب ، ونتحاماها لذلك ، ولو استعملناها لجاء الكلام أوضح وأبين، ولكان فهمه أسهل ومطلبه أيسر . وبعض هذه الألفاظ عربى أصيل ، والبعض مولد أو دخيل ولكنه

مما استعمله العرب وأجروه مجرى ألفاظهم الأصلية . وكل هذه الألفاظ تمتاز بأنها استطاعت أن تعيش وأن تجرى على ألسنة الأمم والشعوب، آلافاً من السنين الطويلة، فادة الحياة فيها قوية ولا معنى لهجرها وإهمالها لا لسبب سوى أن العامة يستعملونها كأن كل ما يستعمله العامة يجب أن يحتقر ويرمى ويطلب غيره ، وهى سخافة ظاهرة

وقد علمت أن الدكتور احمد بك عيسى قدم إلى المجمع اللغوى رسالة فى الألفاظ العامية وأصولها تشتمل على ما قيل على ألفى كلمة ، ولاأعتقد أن فى هذا الرقم أدنى مبالغة فانى أنا وحدى بلا بحث يستحق الذكر وبمجرد تقييد ما يعرض لى من ذلك فى مناسباته العارضة وقمت على أكثر من ألف كلمة ، وقد نشرت فى الرسالة طائفة منها، فأحر بالباحث الذى يعنى بدرس الموضوع وتعقب الألفاظ أن يهتدى إلى أضعاف أضعاف ذلك . والذى أرجوه أحد أمرين، أن يطبع المجمع هذه الرسالة النفيسة: أو إذا كان ثم مانع معقول — ولست أرى أى مانع — فليطبعها الدكتور عيسى بك ولينشرها فان الفائدة منها جزيلة ، إذ كانت هذه الألفاظ السهلة المعروفة التى يفهمها كل انسان متعلما كان أو غير متعلم تغنينا عن ألفاظ مهجورة ميتة نضطر إلى الالتجاء إليها والاستعانة بها على التعبير فلا يفهمها أحد إلا بالشرح والتفسير أو الرجوع إلى المعاجم ، وهذا كله عناء باطل لا يجوز تكلفه مع وجود الألفاظ المأنوسة

إن اللغة — كل لغة — ليست أكثر من أداة للإفهام أى لنقل المعنى أو الصورة أو الاحساس أو الخالجة على العموم من ذهن إلى ذهن ونفس إلى نفس . واللغة — كل لغة — بطبيعتها أداة ناقصة ووسيلة غير وافية ، وهى فى الحقيقة أشبه باشارات الخرس التى تشير إلى المراد ولا تبين عنه . وكل من عانى الكتابة بأية لغة يعرف ذلك ويحسه ويستطيع أن يشهد به . وما أكثر ما نعجز عن التعبير عنه فنتركه إلى سواه مما يؤاتينا عليه البيان ، ومتى كان هذا كذلك فان من الشطط أن نزيد الأمر صعوبة بالإغراب والحذلقة بترك السهل إلى المهجور ، والمأنوس إلى الحوشى ، أى بجعل مهمة الافهام أشق على الكاتب والقارئ معا ، وما دامت اللغة العامية مشتقة من العربية وفرعا من أصلها فان من الحق أن نترك ما فيها من الصحيح وأن نروح نبحث عن غيره لنعبر به

وفى العامية فضلا عن ذلك تعابير لا سبيل إليها فى اللغة العربية على ما نعلم ، مثال ذلك هذا البيت العامي :

« يا بت أنا بدى أبوسك بس أبوسك
والطرب وأحظى بكؤوسك رقى شوية »

هذان البيتان العاميان كل ألفاظهما عربية صحيحة — البت هى البنت ولو نطقتها بنت لما تغير الوزن . وبدى من قولك لا بد لى أو من قولهم بودى ، وأبوسك كلمة عربية صحيحة لا تحريف فيها ولا تصحيف ولا شيء غير ذلك والفعل باس يبوس بوسا وهو عندى خير من قبل يقبل . والطرب وأحظى والكؤوس ورقي كلها أيضا صحيحة . بقيت شوية وبس ، فأما شوية فتصغير شيء ، وأما بس فلا مثيل لها ولا غناء عنها بغيرها فى اللغة العربية . وقول الشاعر العامي أوالشعبى « بس أبوسك » تعبير لا يقابله مثله فى العربية، وقد حاولت مراراً أن أجد بديلا منه فلم أوفق . فاذا كان غيرى يستطيع أن يهتدى إلى بديل منه فى اللغة الفصحى فليفعل وليحتقب شكرنا . أمثال هذا التركيب لا أرى أى مانع من إدخاله فى لغتنا العربية الفصيحة والانتفاع به فيها وإغنائها بذلك فانه تعبير ينقصنا فعلا وإن كنا لا نعدم منه بديلا غير سائغ أو مقبول . ومن هذا القبيل كلمة « بق » وكثيرون يظنونها من الفعل العربى « بق يبق » والحقيقة أنها فرعونية الأصل ولا معنى لها، وإنما هى كلمة يستعان بها على التمهل للتفكير مثل كلمة « ألور » فى الفرنسية

وألخص موقفى من اللغة العامية ورأيى فيها فأقول إنها فرع من هذه الشجرة العظيمة التى نمت على الأيام وأصابها الركود الشديد عصورا غير قصيرة وأعنى بها اللغة العربية . ولكنها — أى العامية بحالتها الراهنة لا تصلح أن تكون أداة لأكثر من التخاطب فى الشئون العادية فلا يجوز اتخاذها أداة للكتابة

وما يطلب بها من الأغراض، وهي فضلا عن قصورها تختلف باختلاف الأقطار بل الأقاليم المتقاربة، فلهذا لا تصلح أن تكون لغة عامة، ومن السخافة أن تتخذ لغة قاصرة غير وافية لا يفهمها إلا عدد محدود وأن نهجر لغة عامة يفهمها كل أحد في كل بلد. ومن السخافة أن نقتل لغتنا العربية التي خلف لنا أصحابها كل هذه الكنوز في الأدب والعلوم والفلسفة والتاريخ وغير ذلك من أجل لغة لا ماضي لها ولا حاضر أيضا، لأنها غير ثابتة وتحولها دائم مع ارتقاء التعليم وانتشاره، ولا مستقبل لها كذلك إلا الاندماج في اللغة العربية الفصحى بفضل تقدم التعليم وانتشاره كذلك. ولكن هذه العامية التي لا تصلح أن تتخذ أداة الكتابة عربية الأصل وإن كان فيها كثير من الدخيل من لغات أخرى بحكم اتصال الشعوب بعضها ببعض وأخذ بعضها عن بعض، ولهذا يحسن الانتفاع بما فيها من العربي الصحيح وإن كان محرفاً قليلا. ويجب لهذا الغرض أن نعنى بإحصاء الألفاظ العربية في العامية وأن نردها إلى أصلها إذا احتاج الأمر إلى ذلك وأن نستعملها ونستغني بذلك عن البحث العقيم عن ألفاظ أخرى بدلا منها فيما مات من ألفاظ اللغة العربية وعجز عن البقاء. وفي العامية فضلا عن ذلك تعابير مثلها غير موجود في العربية، أو موجود ولكنه غير سائغ لا يقبله الذوق العام، فهذه يحسن اتخاذها أيضاً وإغناء العربية بها فإنها بذلك تتسع وتلين وتكتسب المرونة اللازمة. فيحس ابن اللغة وهو يستعملها أنها أداة حية نابضة لا جامدة ناشفة.

وأظن أني بعد هذا لا أحتاج أن أقول إني لست عدواً للعامية أو سواها؛ وقد يساعد على نفي هذا الوهم أن أذكر أني استعنت بها في الحوار في بعض ما كتبت من الروايات أو القصص بالقدر اللازم ليس إلا — استعملتها في هذا النطاق المحدود في روايتين على الخصوص رواية ابراهيم الكاتب ورواية تمثيلية اسمها «غريزة المرأة أو حكم الطاعة» ولكني التزمت حدوداً معينة لم أتجاوزها. ولا يحسب أحد أني أريد الاعلان عن هاتين الروايتين فقد نفدتا من زمان طويل.

ابرهيم عبد القادر المازني

في سبيل الإصلاح

المشـــكلة الكبرى
في حياتنا الاجتماعية
للأستاذ علي الطنطاوي

«أعد الأستاذ هذا البحث ليحاضر به الناس في ناد من أندية دمشق الأدبية، ولكن مرض الكاتب ولبثه أربعين يوماً في المستشفى، ثم اضطراره إلى السفر العاجل ليتسلم عمله في مدرسة بعقوبة (العراق) حال دون إلقائه»

صورة المشكلة

آلاف مؤلفة من الشبان يبيتون مسهدين ينتظرون أزواجهم اللائي خلقهن الله لهم. وآلاف مؤلفة من الشابات يبتن الليل مؤرقات ينتظرن أزواجهن الذين برأهم الله لهن والدراري تطل من شرفة الغيب ترقب تعارف أبويها، لتأخذ بإذن الله، طريقها إلى عالم الوجود، فيكون منها عباد لله صالحون، وجنود للوطن مخلصون، وأنصار للحق ثابتون

ثم إذا قدر الله وكان زواج، كان الزواج (أكثر ما يكون) همًّا ونكداً، وخلافاً مستمراً، وآض البيت من بعده جحيماً محرقاً، وسجناً مظلماً، ونشأ الأولاد على غير تهذيب، ومن غير دين ولا أخلاق...

هذه هي صورة المشكلة: انتظار أليم يسلم إلى الجنون أو إلى الفسوق أو إلى اليأس، ونقص في الأولاد، وضعف في الأمة، وخراب للبيوت، وضياع للأسر، وفقد للسعادة...

سبيل العلاج

هذه هي صورة المشكلة، فما هي أسبابها؟ وما نتائجها؟ وما علاجها؟ بل وما نفع الكتابة فيها؟

لقد كُتب فيها وكُتب (حتى لو أن محصياً أحصى المكتوب فيها لجاء معه كتاب ضخم) فلم يُغن المكتوب شيئاً، ذلك أن المشكلة تحتاج إلى حل عملي يقوم به الآباء، لا إلى نظريات وفلسفات يدلي بها الكتاب والأدباء، من أجل ذلك نحوت في

هذا البحث نحو العمل فلم أتعمق ولم أتفلسف ! ومن أجل ذلك ضربت من الواقع أمثلة ، وأخذت من الحياة شواهد وصوراً ... على أنها لا تغنى الباحث ، ولا تجدى الشواهد ولا الصور ، ولا المقترحات ولا الآراء ، مالم يحققها عقلاء الآباء ، أو من لهم فى الأمة أمر أو نهى ، من أرباب الحكم وأصحاب السلطان !

موانع الزواج

لو سألت أكثر العزّاب من الشبان : « ما منعكم من الزواج ؟ » لكان جواب الأكثرين إن لم أقل جوابهم أجمعين : « المهر ، وما يتصل بالمهر من تكاليف وبلايا » ، ولست أذهب بالقارئ إلى بعيد ، بل أضرب له المثل من نفسى ...

أنا أريد الزواج ، وأنا امرؤ فى رأسه أشياء وليس فى كيسه شىء ... أما الذى فى رأسى ، فقد أفنيت فى تحصيله شبابى ، وبيضت فى طلبه ليالىّ وسوّدت نُهُرى ، وخدعنى عن حقيقته معلمىّ فحسبته أثمن شىء فى الوجود ، وصدقت أن العلم خير من المال ... فرأيت من بعد أن المال خير من كل شىء ... وأما كيسى فما فيه وفر ، ولكن فيه مرتباً يكفينى ويكفى بحمد الله أربع زوجات معى ، لو أن الزوجة بقيت إلى اليوم شريكة الحياة وربة البيت ، تطلب حياة هنيئة وزوجاً صالحاً ، بيد أن هذا كله قد ذهب ... وصارت الزوجة (يا أسفى !) متاعاً يشرى ، ولا بد للمتاع من ثمن ، فاذا أخذ الأب الثمن لم يبال بعده شيئاً ، ومتى كان يبالى التاجر إذا استوفى الثمن بأخلاق الشارى أو سيرته فى أهله ؟ وثمن الزوجة (أقل ما يكون) خمسون أو مائة (ليرة) ذهبية ، فتصور يا صديقى القارئ متى تجتمع لرجل مثلى مكساب متلاف لا يستطيع أن يمسك شيئاً ، أو لا يفضل عن نفقته شىء ؟ وليست هذه المصيبة كلها . إن بعدها نفقات العقد (الكتاب) وقبل العقد خاتم الخطبة ، وما يكون إلا من الذهب ، و (الشبكة) وما يصلح لها إلا حلية لها قيمة ... وبعد العقد الهدايا واللُّطف يحملها إلى دار (الزوجة العتيدة) كلما زارها ، ولا بد له من أن يزورها ؛ ثم تأتى بلايا العرس ، وما أدراك ما بلايا العرس : كسوة أهله وأقربائه ممن تجب عليه نفقتهم (وكسوة النساء أقبح التبذير ، لأنهن يشرين قماشاً لا يدفئ ولا يستر ، ويدفعن ثمنه غالياً ، ثم إذا مرت شهور بطل طرازه (مودته) فأصبح لا يصلح لشىء . . . وبعد الكسوة نفقات حفلة الزفاف . ثم إذا دخل على زوجته ، وانفرد بها ، لا تكلمه حتى يدفع إليها (ثمن شعرها) وهى جملة من المال لا تقل عن (بضع ليرات ذهبية) ولا حد لزيادتها ، وما أدرى والله كيف تنزل الفتاة للحلاق عن شعرها يقصه ويلقيه على الأرض ، ثم تطلب (ثمنه) من زوجها ؟ ثم إذا أصبح أعطاها (وجوباً) عطية أكبر من (ثمن الشعر) هى (الصُّبحة) ، فاذا زال النهار أهدى إليها هدية ، لا بدّ أن يكون فيها إزار للحمام ثمين وقد يكون منسوجاً بخيوط الفضة ، ومناديل (مناشف) الخ . . . ثم تأتى نفقات (السبعة الأيام) يقيم فيها الأقارب والأهلون فى داره ، تولم لهم كل يوم الولائم ، ويُطرفون بأنواع الطرف ، فاذا انتهت دعوا جميعاً إلى الحمام ، وقد قلّ ذلك فى هذه الأيام منذ كثرت الحمامات فى الدور ، وأهملت الحمامات العامة أو كادت ، ثم يدعو أهلها (أى أهل الزوجة) جميعاً وأهله إلى وليمة كبيرة تسمى (التعريفة) يعرّف فيها بعضهم ببعض — وقد يبلغ المدعوون إليها المئات فى بعض الأسر الكبيرة . . .

فأنى لمثلى الطاقة على هذه المصروفات التى تخرب بيوت الأغنياء ؟ وإنى لأعرف قاضياً شرعياً زوّج ابنه ، فتكاثرت عليه النفقات ، فلم يقدر عليها حتى باع بيته — لينفق ثمنه فى ليالى العرس ! هذا أول موانع الزواج وأظهرها . . .

الحجاب

وهب أنى قد وقعت على كنز ، أو أصبت إرثاً فأصبحت غنياً وتوفر لى ما أبتغى من المال فكيف أختار زوجتى ؟ أما الحاسرات المتبرجات اللائى يعرف الرجال كلهن : صدورهن ونحورهن وأيديهن وسوقهنّ ، فأنا (بحمد الله) أعقل من أن أتخذ منهن زوجة ، ولو كانت ابنة ماء السماء ، وأعلم العلماء ، وما أحسب ذا دين ومروءة ، يرضى أن يتزوج بمن رضيت لنفسها إهمال الدين ، وإسقاط المروءة ، بتعرّضها فى زينتها وفتنتها للرجال ، تستهويهم وتأخذ بأيديهم إلى النار . . . بقى علىّ المتحجبة من بنات الأسر ، وهى التى لا سبيل إلى رؤيتها إلا ليلة الزفاف ، بعد أن يكون الغلّ قد استدار حول عنق ، والقيد قد أحكم إقفاله على يدى ورجلى ، ولم يبق لى إلا أن أقبل

بها ولو كان لها وجه قرد وأخلاق شيطان !

أفهذا من المعقول ؟

يريد المرء سفراً ، فيتحرى عن أخلاق رفيقه أياماً ، ليعلم أيوافقه أم يخالفه ؛ ويبتنى أجيراً فيراه ويبحث عن أصله وفصله ، ويجرّبه أياماً ؛ ويعزم على أن يتزوج ، فلا يرى رفيقة حياته ومهوى قلبه ، وموضع حبه ، إلا بعد أن يتمّ كل شيء !

مع أن الشرع أباح له أن يراها ويجالسها[1] . . . ومع أنها تخرج إلى السوق فيراها (على خلاف الشرع) البائع ومن كان عنده ، ويقدّم إليها القهوة ويحادثها ، ويراها عمال السينما ، ويراها ويراها ، فما الذي حاق بالآباء حتى هان عليهم كل محرّم ، وصعب عليهم ما أحلّ الله ؟

هذا هو المانع الثانى من موانع الزواج ، بل إن هذا الوضع هو الذى سبب ما نرى من تبرج النساء وحسورهن ، وعريهن على السواحل . . . ولا علاج له إلا بحجاب شامل (وذلك ما لا يستطاع) أو بسفور شرعى ، كالذى سماه صديق الأستاذ عز الدين التنوخى بسفور الراهبات ، وذكر أن الحشويين الجامدين ، يقابلون من يدعو إليه بالسباب والشتائم ، وذلك هو الواقع ، فان هؤلاء قاعدون بالمرصاد لكل من يعرض رأياً فى إصلاح حال المرأة الذي كاد يصل إلى حدّ العرى المطلق بل لقد بلغه فعلاً .. ولكنهم لا يأتون بأى رأى من عند أنفسهم ، ولا يهتمون بما يرون ، فهم هادمون ولا يبنون ، وهم مفسدون لعمل كل مصلح ولا يصلحون . . . ولله الحمد على أن ضعفت مُنّتهم ، وخفتت أصواتهم ، وبادت جماعتهم ، ونسأل الله أن يبدلنا بهم علماء يفهمون روح الاسلام ويعرفون حقائقه ، ويفهمون روح العصر ويعرفون حاجات أهله

الخلاف العائلى

فاذا يسر الله لامرىء سبيل الزواج ، وأنجاه من هذه الموانع ، عرضت له مشاكل ، ورأى من المتاعب مايندم معه على ما أتى ، ولو ذهبت تتقصى أحوال المتزوجين ودخائلهم فى بيوتهم لوجدت أكثرهم متألماً شقياً ، ولهذا الألم أسباب يمكن تلافيها لو فكر فيها الزوج ، وعزم على التلافى .

(١) أى يراها غير حاسرة ويجالسها غير منفرد بها

أول أسباب الخلاف

أعرف أخوين : أما أحدهما فشيخ محافظ توفى رحمه الله من سنين طويلة ، وأما الثانى فأديب موسبق على الطراز الجديد . تزوج الأول ، ولبث مع زوجه ستة عشر عاماً حتى توفى عنها ولم يكلمها على مسمع أهله كلمة ، وإنما كان يوجه الكلام إلى أخته سائلا حاجته ، أو يأمر أخته أن تقول لها مايريد ، وألفت ذلك منه ورضيت به أو صبرت عليه . وكانت تخشاه تخشيها الله أو هى أشد خشية . . وأما الثانى . . لا . بل إن أكثر من عرفنا من الأزواج (المجددين) تتحكم بهم نساؤهم ، فيأمرنهم وينهينهم ، ويشتمنهم و . . ويضربنهم ! وهم يخافونهن ولا يجرؤون عليهن . .

أى أن الأزواج بين رجلين ، رجل أهمل سلطته ، وأسقط عاطفته ، فكان فى بيته سيداً ، ولكنه لم يذق طعم الحب ، ولا عرف السعادة الزوجية ، ورجل تبع عاطفته فأرضاها ، وأهمل سلطته فأضاعها ، فعاش فى داره عبداً . . ، وتفصيل ذلك أن الزوج هو الذى يحكم على نفسه ، ويختار طريقه . فاذا دلل زوجه فى الأيام الأولى ، ومثل لها (دور العاشق فى الروايات الخيالية ، ومنحها قياده ، وأراها أنها حياته ، وأنها الآمرة الناهية عليه ، وتذلل لها وخضع ، (وللذة الحب في التذلل والخضوع) ألفت ذلك منه ، وتعودته . . فاذا طارت من رأسه سكرة الحب ، وأحب أن يحكم فى الدار ، كما يحكم رب الدار ، وجد الأمر قد أفلت من يده ، فيبدأ الخلاف ، ثم لاينتهى أبداً . وإذا هو ضبط نفسه فى الأيام الأولى ، ولم يعط إلا بمقدار واستعمل عقله وسلطانه ، ألِفت منه الزوجة ذلك ، فوجدت كل عطف منه بعد ذلك غنماً كبيراً . .

فالزوج العاقل الحازم من لم تلهه حلاوة العسل التى تدوم له شهراً ، عن مرارة العلقم التى ستبقى دهراً طويلاً . ومن لم تشغله اللذة الجسمية العاجلة ، عن السعادة الروحية الآجلة ، فليتنبه لهذا الأزواج ، فمن هنا منشأ الخطر . .

حقوق الزوجين

ومن أسباب النكد البيتى ، والشقاء الدائم ، الخلاف على

حقوق كل واحد من الزوجين ، فمن الرجال من يأخذ أكثر من حقه ، ومن النساء من تقيم نفسها مقام الرجل ، وتفرض عليه سلطانها ، حتى إن الزعناء لتسأله : أين كنت ؟ ومن كلمت ؟ بل إن من النساء الجناوات المتحذلقات ممن يحسبن أنهن متعلمات ، من تحاسب زوجها على زيارته أهله ، وصلته رحمه ، وتغار عليه إذا كلم عمته أو زارها . . حتى أصبح الأمر فوضى لا ناظم له وظلمة لا نور فيها : مع أن الشرع الاسلامى (الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة ، إلا بين وجه الحق فيها) قد حدد حقوق الزوجين ، فجعل من حقوق الزوج على زوجته أن تطيعه فيما لامعصية فيه ، وأن تصون عفافها ، وألا تخرج إلا باذن منه أو لضرورة ، وأن تحرص على إدخال السرور عليه ، وألا تكلفه مالا يطيق ولا تطالبه بالزائد من حاجة نفسها ، وأن تبذل جهدها فى أداء واجباتها الدينية ، وأن تعطيه زمام الرياسة المنزلية. ومن حقها عليه أداء مهرها كاملا إليها ــ الانفاق عليها بالمعروف ــ أن يجتهد فى تعليمها واجباتها الدينية ــ أن يكتم سرها ولا يتحدث به ــ حسن خلقه معها — احتمال بعض الأذى منها — ممازحتها ومداعبتها [1] — أى أن للرجل على الجملة رياسة المنزل (حين لم يكن بد لكل شركة أو جماعة من رئيس) وله السيادة فيه ، وحفظ كرامته ، وإدارة شؤونه الخارجية والاشراف على أموره كلها ، وله الحكم فى كسوة المرأة وخروجها ، وله تأديبها بالعدل ، ومن غير أن يخرج على ما أحل الله وذكر فى كتابه ، وللمرأة حق التصرف بأموالها ، وإدارة شئون المنزل الداخلية ، والنفقة عليها وضمان حاجاتها اللازمة؛ ولها عليه أن يحرص على سعادتها وسرورها ، ويعاملها بالخلق الحسن ، والقول اللين ، ويتغاضى عن خطيئاتها ما أمكن التغاضى ، ويعلم أنها شريكة حياته ، وأدنى الناس إليه فلا يستأثر دونها بطعام أو شراب ، ولا يدعها فى المنزل وحيدة متألمة ، ويسهر فى المقاهى والملاهى ، ولا يقدم نفسه عليها فى كسوة أو متعة من متع العيش

المشاكلة بين الزوجين

وإن من أظهر الخلاف بين الزوجين ، ألا يكون بينهما مشاكلة ومماثلة ، كأن يكون فقيراً وتكون هى غنية ، فتعيره بفقره ، وتترفع عليه بمالها ، أو أن يكون من رجال الأعمال ، وتكون متعلمة ، على أن المتعلمة العالمة حقاً لا ينتظر منها إلا كل خير ، ولكن البلاء فى هؤلاء اللائى يحسبن أنفسهن متعلمات ، لأنهن كن قبل الزواج معلمات فى مدرسة أو مديرات ، وإن كن لا يفتحن فى السنة كتاباً ، ولا يفهمن شيئاً ، ولا يعرفن إلا تنكيد حياة الزوج ، وإضاعة ماله فى الولائم والاستقبالات ، والكسوة والزينة ، هؤلاء هن البلاء الأزرق ، وخير منهن الأمية الجاهلة.

ومن أشنع أشكال الاختلاف بين الزوجين ، حال من يتزوجون بالأجنبيات ، فيرون منهن (على الغالب) ما يتمنون معه الموت الأحمر . وإنى لأعرف من الناس رجلا درس في فرنسا وجاءمعه بفتاة زعم أنها من أكرم الأسر الفرنسية وأعرقها ، فتزوج بها ، فكان من أيسر ما تصنع أنهـا تذهب إلى السينما فترى الضباط الفرنسيين فتحن إليهم بصلة الدم ، فتكلمهم وتصادقهم ثم تدعوهم إلى دارها فلا يروع صاحبنا إلا الضباط قد ملأوا بيته. ثم انتهى أمرها بالفرار مع واحد منهم !

ومن العجب أن دماغين كبيرين تواردت خواطرهما على مسألة واحدة ، وبينهما الدهر الأطول ، وبينهما ما بين المشرق والمغرب فوقعا فيها على الصواب الذى نعرفه ولا نريد أن ننبهه :

لما كانت القادسية ، ولم يجد الناس نساء مسلمات ، تزوجوا نساء أهل الكتاب ، فلما كثر المسلمات بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بن اليمان بعد ما ولاه المدائن : « بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها » فكتب إليه : «لا أفعل حتى تخبرنى أحلال أم حرام، وما أردت بذلك؟ »

فكتب إليه عمر : « لا ، بل حلال ، ولكن فى نساء الأعاجم خلابة ، وإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم »

فقال حذيفة : الآن ! وطلقها .

هذا حكم الرجل العظيم ، عمر ، وقد حكم به فى المدينة منذ ألف وثلاثمائة سنة .

وأما الثانى فحكم الرجل العظيم موسولينى ، حكم به المؤتمر الفاشى فى روما ، فى هذا الأسبوع ، حين كان من مقرراته منع الايطاليين من الزواج بالأجنبيات

فمن لم يعظه قول عمر ، فليعظه حكم موسولينى !

« البقية فى العدد القادم »

دمشق على الطنطاوى

(١) حقوق الزوجين للأستاذ الشيخ محمود ياسين

كتاب المبشرين

الطاعن فى عربية القرآن

الشيخ ابراهيم اليازجى

لأستاذ جليل

— ٤ —

عمل (المضللون) بالقول الأوربى المشهور الملون : (المآرب يبرىءُ الذريعة) فأشاعوا مشاعهم ، وطبعوا فى (كتابهم) مكذوبهم : « هاشم العربى الشيخ اليازجى » مسيئين إلى صاحب (الضياء) فى حياته ومماته . وقد صدّق الناس من بعد ما رأوا السكلام فريتهم . وهأنذا أصدع[1] اليوم بالحق معلناً فى (رسالة الاسلام والعربيــة) براءة اليازجى مما قذف به . ومى برهانان دامغان ؛ فقل للضالين المضلين أصحاب الكتاب المزور وذوى الكذب السخت[2] « قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »

البرهان الأول

كانت تلكم الاشاعة ، ونشر المضللون قطعة من (مكتوبهم) فى مجلتهم التضليلية . فكتب حجة الاسلام الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله فى (مناره) مجلان غير مستأن ولا متثبت — هذه الجملة :

« نشرت مجلة البروتستنت المصرية نبذة فى الطعن فى القرآن نقلتها عن كتاب لهم يقال : إن للشيخ ابرهيم اليازجى يداً فى تصحيحه أو تأليفه أو ترجمته والزيادة فيه »

وقد حدا الامام على التسرع بما كتب غضبه المغضوب للدين، ومزاج كريم يشتمل بأدنى قدح ...

فلما اطلع صاحب (الضياء) على الذى فى (المنار) هاج أيما هيج بل كاد يجن ؛ إذ فحواه عنده أنه عسيف[1] من العسفاء عند (المبشرين) و « تجوع الحرة ولا تأكل بثديها[2] » وأنه يجهل العربية — وما يعرفه منها هو رأس ماله فى الحياة — وأنه عدو للمسلمين — وهنا الخطب المهم — فسارع إلى إذاعة كلمة فى (ضيائه[3]) قال فيها :

« وقفنا نقلب الطرف فى هذا السكلام ونحن نستحضر ما كر علينا من سوالف الأيام ، ونتمثل ما مر بنا من غرائب الأحلام، لعلنا نتذكر فى أى عهد كنا من المناقشين فى العقائد الدينية ، وفى أى زمن كنا نؤلف الكتب فى الطعن على الأسفار السماوية . ومتى كنا نتعاطى حرفة التبشير بالأديان ، وأى ثمرة لنا فى صرف بعض القوم عما اعتقدوه من الايمان . أمور يعلم كل من له أدنى معرفة بنا أننا من أبعد الناس عنها »

« نحقق لحضرة الرصيف الفاضل أننا براء مما اتهمنا به أو اتهمنا به لديه ، وأننا من أبعد خلق الله عن هذه السخافات التى يتاجر بها قوم لاستدرار الرزق من أخبث موارده . وإن لم يكن له بد من ملازمة هذا الوقف والنضال بهذا السلاح فمنـده من قسوس الانكليز والأمريكان ومن ينتمى إليهم من المتقسسين — وكلهم معروفون لديه اسماً وجسماً — من يكفيه استنزالنا إلى هذا المجال ، وتكليفنا أن نعمل بضد ما طبعنا عليه »

هذا كلام اليازجى ، وهو قول الجاد لا الهازل ، والصادق لا الـكاذب ، وقد كان الرجل صادقاً ، وكان ذا إباء وكبرياء ، يعرف ذلك فى خلائقه من يعرفه ، فلن يخدم المبشرين فى حال ، ولن يسف إلى تلك « السخافات التى يتاجر بها قوم لاستدرار الرزق من أخبث موارده[4] » ثم إن اليازجى من طائفة (الروم

(١) فى (الـكشاف) : فاصدع بما تؤمر : فاجهر به وأظهره ، يقال: صـدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً كقولك : صرح بها من الصديع وهو الفجر ، والصدع فى الزجاجة الابانة

وفى (الاساس) : صدع بالحق : جهر به مفرقا بينه وبين الباطل

قال (اليازجى) : ويقولون أمره أن يصنع كذا فصدع بالأمر يعنون أنه أطاع وأمضى ما أمر به ، ولم يأت صدع فى شىء من هذا المعنى

(٢) كذب سخت وسختيت : خالص ، وفى كتاب تهذيب الألفاظ : زعم أبو عبيدة أن سختا بالعربية والفارسية واحد

(١) العسيف : الأجير

(٢) قال الميدانى : يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الاموال (٣) السنة (٥) الصفحة (٥٦٥)

(٤) ليسأل الجاهلون الأستاذ (قسطاكى الحمصي) فهو خليل (ابرهيم) وأدرى الناس بأخلاق (اليازجى)

وفى (أعلام الأستاذ الزركلى) : « وكان (يعنى اليازجى ابرهيم)

الكاثوليك[1]) والمضللون من البروتستنت، والكاثوليكي حرب البروتستنتي، والبروتستنتي لان الكنيسة الكاثوليكية عدو مبين فقل لي: « عمرك الله كيف يلتقيان؟ »

البرهان الثاني

أغلاط اليازجي في إنشائه وفي تغليطه غيره، فيها البركة ... لكنه لن يخطئ فيا أتحنه معرفة وفيا خطأ فيه الأدباء. وفي (كتاب التضليل) أغلاط نبه عليها هو نفسه. وكان إعلانه إياها وتلفيق ذاك الكتاب في برهة واحدة، ومستحيل أن يحرم الخطأ عاماً ويحلله عاماً تلبيساً وتدلساً كدأب مضال أو شعوذي وهذه أقوال (المضللين) وهذه أقوال (الضياء):

١ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب البشرين، الصفحة (٦٩): « يتردد إليها جاعة القسس »

قال الشيخ اليازجي (الضياء، السنة (١) الصفحة (٣٥٧): « ويقولون جاعة القسس بضمتين، يريدون القسوس فيحذفون الواو، لأن فعْلا الساكن العين لا يُجمع على فُعُل »

(قلت): في (المصباح): القس جمعه القسوس، وفي (التاج): جمع القس قسوس بالضم. وفي (اللسان): القُسُس العقلاء، والقسس: الساقة الحذاق ...

٢ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب البشرين الصفحة (٨٤): « إنه كان كسائر بني جلدته » (يعني سيد الوجود صلوات الله وسلامه عليه)

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (١) الصفحة (٤٤٩): « ويقولون: فعل هذا لمصلحة أهل جلدته يريدون قومه وأهل جيله — الجيل الصنف من الناس كالعرب والترك والروس — وقد أولع كتابنا بهذه العبارة، وتناقلها بعضهم عن بعض من غير بحث ولا تنقيب عن أصل مغزاها ومراد قائلها »

(قلت): تجادل الأستاذ قسطاكي الحمصي والأستاذ سليم الجندي في هذه اللفظة فوافق الأول اليازجي على نقده وخالفه الثاني فيه قائلا: « قال في اللسان وفي الحديث قوم من جلدتنا أي من أنفسنا وعشيرتنا » ولكل مقام مقال، ولكل حال ألفاظ، والقصد من إيرادنا قول البشر وقول (الضياء) الأعلام بأن اليازجي لا يستعمل شيئاً أنكره هو

٣ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب البشرين الصفحة (٣٢١): « ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وإنما نحن مكلفون بالاعتقاد بأن الله لا شريك له ولا شبيه ومن هؤلاء مالك بن أنس »

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (٧) الصفحة (٣٢٣): « ويقولون: كلفته بالأمر فيعدون هذا الفعل إلى المفعول الثاني بالباء، والصواب تعديته إليه بنفسه، تقول: كلفته الأمر »

(قلت): الأقوال العربية والمعجمات كلها تساند اليازجي، ولم يعد هذا الفعل بالباء إلا في كلام المتأخرين من المولدين. وفي (الجمهرة): تكلفت الشيء تكلفا إذا تجشمته، والكلافة من التكلف، والتكلفة تكلفك الشيء وتحملك إياه

٤ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب البشرين الصفحة (٣٩٢): « فشرع (أي بحيرا الراهب) يفكر في ما يفعله لردّ أهلها عن الشرك ويتطلب رجلا منهم يستعين به على غرضه حتى عثر بمحمد »

قال الشيخ اليازجي « الضياء السنة (٥) الصفحة (٦٢٠) في نقده (البؤساء) لحافظ: « وربما وقع له غير ذلك كقوله: (ألم تعثر في طريقك أيها الراهب بغلام) والمنصوص عليه في هذا المعنى عثر عليه لا به »

(قلت): رويت في الجزء (٢٦٦) من (الرسالة) — الصفحة (١٢٨٨) ما قاله اللسان والصحاح والأساس في هذا الفعل، ولا ريب في خطأ البشرين

٥ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب البشرين الصفحة (٣٢٧): « وأنت إذا أمعنت فيه النظر وجدته »

رزقه من شق قلمه، فعاش فقيراً، غني القلب، أبي النفس »

وفي هذا الكتاب: « واستقر في مصر فأصدر مجلة (البيان) ثم أصدر مشتركا مع الدكتور بشارة زازل مجلة الضياء شهرية فعاشت ثمانية أعوام »

قلت: اشتركا في البيان ثم اختلفا، وأنشأ اليازجي (الضياء) وحده، وكانت تصدر مرتين في الشهر. والناس للطبعة الثانية من (الأعلام) منتظرون

(١) للروم الكاثوليك في بيروت مدرسة اسمها (المدرسة البطريركية) خدمت العربية خدمة عظيمة سبقت بها كل مدرسة في بلاد الشام. وكان من أساتذتها الشيخ ابرهيم اليازجي، والشيخ ابرهيم الحوراني، و (الشيخ عبد الله البستاني) — رحمه الله — وأستاذ البيان والأدب فيها اليوم هو الشيخ ابرهيم المنذر، وكلهم نصارى، وكلهم كبار

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (١) الصفحة (٣٥٤)): « ويقولون أممن في الأمر وتممن فيه أي تدبره وتقصى النظر فيه ، وربما قالوا تممنه ، وأممن فيه النظر . وكل ذلك غلط لأن الامعان بمعنى الابعاد في الذهب ، وهو لا يستعمل إلا لازما . يقال : أمعنت السفينة في البحر ، وأمعن الطائر في الطيران إذا تباعد ، وقد يستعمل بمعنى المبالغة في الأمر مجازا ، يقال : أمعن في الطعام والشراب ، وأمعن في الضحك . وأما تممن فلم يثبت وروده في شيء من كلام العرب »

(قلت) يقال : أنعم النظر في الشيء لا أمعن النظر فيه . قالت (النهاية) ومنه الحديث : أممنتم في كذا أي بالغتم ، وأممنوا في بلد العدو وفي الطلب ، أي جدوا وأبعدوا . وقالت : « وفي حديث صلاة الظهر: فأبردَ بالظهر وأنعمَ أي أطال الإبراد وأخر الصلاة ، ومنه قولهم : أنعم النظر في الشيء أي أطال التفكير فيه » وفي اللغة (التممن) غير أن معناه التصاغر والتذلل انقياداً كما في النهاية واللسان والتاج

٦ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة ٧٣) : « ولما كان محمد في باديء أمره بداريهم »

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (٧) الصفحة ٣٥٤) : « ويقولون فعل كذا في باديء الأمر أي في أوله وبدئه ولا معنى للباديء هنا لأنه اسم فاعل والمقام يقتضي المصدر أو الظرف »

قلت : قالوا : « وافعل هذا بدءاً وبادئ بدء وبادي بديء » وفي (التاج) جل الصور لهذا التركيب . وفي (اللسان) : « وبادئ الرأي أوله وابتداؤه ، وعند أهل التحقيق من الأوائل ما أدرك قبل إنعام النظر ، يقال : فعله في باديء الرأي . وفي التنزيل العزيز : (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) قرأ أبو عمرو وحده باديء الرأي ومعنى قراءته أي أول الرأي أي اتبعوك ابتداء الرأي حين ابتدؤا ينظرون وإذا فكروا لم يتبعوك » قال العكبري : « باديء هنا ظرف وجاء على فاعل كما جاء على فعيل نحو قريب وبعيد وهو مصدر مثل العافية والعاقبة والعامل فيه أربعة أوجه »

٧ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي: (كتاب المبشرين ٨٩) : « ويشفع فيمن يعترف من أهلها الأشقياء التمساء بعدل قضاء الله عليه »

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (١) الصفحة (٣٢٤)) : « ويقولون رجل تميس وقوم تمساء وهو من أهل التماسة ، وكل ذلك خلاف المنقول عن العرب . والمسموع عنهم رجل تاعس وتعس بوزن كتف وقد تعس بفتح العين وكسرها[1] ، والمصدر التعس بالفتح[2] والتعس بالتحريك ، ويتعدى الأول بالهمزة والثاني بالحركة[3] تقول : تعسه بالفتح ، وهو متعس ومتعوس لم يحك فيه غير ذلك »

(قلت) : كتب اللغة المعروفة المطبوعة – ماعدا الجمهرة – لم تذكر التعيس . ولم أجد هذه اللفظة إلا في كتاب ابن دريد وفي رسالة الغفران في بيت لأحد الجن . . قالت الجمهرة : « ورجل تاعس وتعس وتعيس » وقال الجني (أي أبو العلاء..)

حتى إذا صارت إلى غيره عاد من الوجد بجد تعيس[4]

وإذا صحت اللفظة فاليازجي ينكرها فهو لايقولها ولا يقول جمعها ، لايقول : التمساء .

٨ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٤٤٥)) : « وغير ذلك من معائب الكلام »

قال الشيخ اليازجي (الضياء ، السنة (١) الصفحة (٤٥٢)) « ويقولون في جمع المغارة مغائر ، وصوابه مغاور بالواو كما يقال في جمع مفازة مفاوز لأن حرف المد إذا كان أصلا لايهمز[5] ومثله قولهم معائب ومشائخ ومكائد بالهمز أيضاً وصوابهن بالياء »

قلت : قال ابن يعيش : « ألا ترى أنك لاتهمز ياء معيشة بل تتركها ياء على حالها في الجمع نحو قولك معايش لكون الياء فيها أصلا ، متحركة في الأصل » وقد استعمل كتاب المبشرين في الصفحة (١٤٨) لفظة معايش صحيحة لأن مناط القرآن في

---

(١) قلت : في (الاساس) : الكسر غير فصيح

(٢) كذا ، وعندي أنه تطبيع

(٣) قلت : في (المصباح) : وتعس من باب تعب وتتعدى هذه بالحركة وبالهمزة . وفي (اللسان) قال الازهري قال شمر : لا أعرف تعسه الله ، ولكن يقال : تعس بنفسه . وفي (التاج) إذا خاطبت بالدعاء قلت : تعست كمنع ، وإن حكيت عن غائب قلت : تعس كسمع . قال ابن سيدة وهذا من الغرابة بحيث تراه ...

(١) من قصيدة مطلعها :

مكة أقوت من بني الدرديس فما لجني بها من حسيس

وفيها :

إنا لسنا بعدكم فاعلموا برقع فاهتاجت بشر بئيس

برقع بالكسر اسم السماء السابعة لاينصرف (الصحاح)

(٢) قلت : شذت مصائب ومنائر . قال ابن جني : همزة مصائب من المصائب. في (المصباح) : الاصمعي : أرى جمعها على مصائب من كلام أهل الأمصار . وفي (اللسان) : سيبويه حمل ماهو من هذا على الغلط

العربية وجدها وهو يطالع (الكتاب) ليظهر أغلاطه — كذلك فاستبقاها كما رآها ولما جاء إلى شبيهتها في قاعدتها همز، ويل له ما أجهله !

٩ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٢١٥) : « إذا حانت صلاة من هذه الصلوات دعاهم إليها المؤذنون من مآذن مساجدهم إذ لا يجوز عندهم قرع النواقيس كما تفعل النصارى »

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (٧) الصفحة ٥١٥) : « إنما النواقيس جمع ناقوس وهو كما فسره صاحب القاموس خشبة كبيرة طويلة تقرع بخشبة قصيرة يقال لها الوبيل إيذانا بوقت الصلاة ، وكل أحد يعلم أن هذا النوع هو مما لا يعرف له وجود في جميع أوربة »

(قلت) : لو كان مترجم (مقالة في الاسلام) وذو الذيل هو اليازجي ما قال (النواقيس) لأن اللفظة في الأعجمية هي (Bell) وسال منشيء (المقالة) يجهل الناقوس في الشرق ، ولا يعني إلا الذي عرفه في بلاده . فلن يستعمل اليازجي ما نقده ، ورأى أنه وضع في غير مكانه

١٠ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٣٠) : « فكم من قائد جيش زحف عليهم فعاد عنهم بالفشل »

قال الشيخ اليازجي (الضياء) السنة (٥) الصفحة (٥٦٤) : « ومثل هـذا لا يتصور من الفشل لأن معناه الجبن والفزع والضعف »

(قلت) : يقصد كتاب المبشرين أنه رجع بالخيبة ، والفشل في الأقوال العربيـة والمعجمات كلها : الجبن والضعف والفزع وما أشبه ذلك ، وهو فشل ـ بكسر الشين وسكونها للتخفيف ـ والجمع أفشال . وفي (الأساس) : دعى إلى القتال ففشل أي جبن وذهبت قوته ، وعزم على كذا ثم فشل عنه أي نكل عنه ولم يمضه

١١ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة ٣٢٠) : « أفتدري بكم من سنة قبل أن أخلق قد كتب التوراة »

قال الشيخ اليازجي في مختصر (كتاب نار القرى في شرح جوف الفرا) : « إن كم تختص بجواز جرها بعدها باضمار من وذلك إذا دخل عليهـا حرف جر نحو بكم درهم تصدقت قصدا للمشاكلة بينهما . غير أن النصب هو المختار ولا يجوز عند الجمهور إظهار من لأن الحرف الداخل على كم عوض عن التلفظ بها »

قلت : لن يقول اليازجي « ولا يجوز » ثم يجيز ، وقد قال سيبويه : « وسألته (يعني الخليل) عن (على كم جذعٍ بيتك مبني) فقال القياس النصب ، وهو قول عامة الناس ، فأما الذين جروا فانهم أرادوا معنى (من) ولكنهم حذفوها ههنا تخفيفاً على اللسان ، وصارت (على) عوضاً منها . ومثل ذلك : الله — بكسر الهاء وفتحها — لا أفعل ، وإذا قلت لاها[1] اللهِ لا أفعل لم يكن إلا الجر ، وذلك أنه يريد لا والله ولكنه صار (ها) عوضاً من اللفظ بالحرف الذي يجر وعاقبه . ومثل ذلك آلله لتفعلن إذا استفهمت ، أضمروا الحرف الذي يجر وحذفوا تخفيفاً على اللسان ، وصارت ألف الاستفهام بدلاً منه في اللفظ معاقباً »

وروى ابن يعيش في شرح (المفصل) قول (الكتاب) مؤيداً .

وقال شارح (الكافية) : فكأن الجار الداخل على كم داخل على مميزه فالجر عند الزجاج بسبب إضافة كم إلى مميزه كما في الخبرية ، والمجوِّز قصدُ تطابق كم ومميزه جراً ، وعند النحاة هو مجرور بمن مقدرة » وقال محمد بن مالك :

وأجِزَ ان تجره (من) مضمرا

إن وليت (كم) حرفَ جر مظهرا

وقد جاء مثل (الصبان) في آخر الزمان يقول : « وقيل يجوز نحو بكم من درهم اشتريت » وقد قال قبل ذلك : « ظاهره منعُ ظهور من عند دخول حرف الجر على كم وهو المشهور لأن حرف الجر الداخل على كم عوض من اللفظ بمن المضمرة »

« الاسكندرية » (* * *)

---

(١) ها : هي التي للتنبيـه ، قال سيبويه : قدم (ها) كما قدم قوم ها في قولهم : ها هو ذا ، وهأنا ذا

تفنيد

في القسم الثالث ذهب شيء من كلام أبي علي الفارسي فليقرأ : فاذا خولف باعراب الأوصاف كان المقصود أكمل لأن الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كأنه أنواع من الكلام وضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة

تسهيل الدراسة الدينية

للأستاذ داود حمدان

بمناسبة ما أثير من جدل حول تيسير قواعد اللغة العربية يصح للانسان أن يبحث فى تسهيل الدراسات الدينية أيضاً ، فانها فى حالها الحاضر من الصعوبة والعقم بحيث تستدعى البحث وكثرة التفكير ، ولعل هذه الكلمة تفتح الباب للباحثين . والله الموفق

لا شك أن الدراسة الدينيـة فى حالها الحاضر صعبة ، وغير مؤدية إلى فائدة ، لا سيما فى تعليمها العالى ، وبالموازنة بين الماضى والحاضر يظهر الفرق العجيب

لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقوم بتبليغ الدين ، عملاً بقوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) كان الرجل يأتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على دين مما يعرف الجاهليون إذ ذاك فيمكث عنده ساعة من زمان يتلو عليه النبى فيها بعض آى القرآن الحكيم ، فيقوم الرجل من عنده وهو مسلم حسن الاسلام ، مؤمن كامل الايمان ، عالم بما أوجبه الله وما حرمه عليه[1]

واليوم يذهب المسلم المولود من أبوين مسلمين إلى أعلى معاهد العلم الدينى فيشتغل بضع عشرة سنة ، ثم يرجع إلى قومه وقد زادت الفوارق بينه وبين الدين كما زادت بينه وبين الناس

وكان الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فيتلقفون القرآن ويتدارسونه ، فيملأون الأرض علماً وحكمة ، كما يملأونها طهراً وعدلاً وصلاحاً

واليوم يتخصص أوفرهم ذكاء ، وأكثرهم اجتهاداً ، وأصبرهم على الدرس ، سنوات عديدة وقصاراه أن يحصل بعض ما علموه ، ويتحلى بحفظ بعض ما قالوه . واليوم يدرس الدارس بضع عشرة سنة ويظل العامي أكثر منه ورعاً وتقوى

بهذه الموازنة يظهر بكل وضوح أن تعليم الدين فى الماضى كان مؤدياً أجل النفع ، وأعظم الفائدة ، وأنه فى الحاضر قليل النفع والفائدة ، بل ضار أعظم الضرر

فالامَ يرجع السبب فى هذا الاختلاف بين الماضى والحاضر ؟

هـذا سؤال لم يكن أحد ليعيا بالجواب عنه إذا علم من أين كان يؤخذ الدين بالأمس ، ومن أين يؤخذ اليوم

إن المسلمين كانوا يأخذونه من القرآن ، ثم صاروا يأخذونه من غير القرآن ، وما القرآن عندهم — والحالة هذه — إلا مادة كمالية . ومهما أنكروا هذا بألسنتهم فهم ملزمون به من عملهم . ألا ترون أن طالب العلم الدينى يدرس كتب الفقه ويعرف أحكام الدين — فى زعمهم — ويدرس كتب التوحيد والعقائد قبل أن يدرس القرآن وتفسير القرآن؟ بل ربما لا يحضر دروس التفسير أصلاً ، وإن هو حضرها فلا يستطيع أن يأخذ منها حكما واحداً لأن طريقتها لا تعود الاستقلال فى الفهم ولأنه نشأ على ذلك

فى صدر الاسلام كان النبى عليه السلام لا مادة عنده للدين غير القرآن ، فمنه كان يعلم الناس ، وبتلاوته عليهم كانوا يسلمون لما يأخذهم من روعة بلاغته ، وصدق لهجته ، والشعور باعجازه . وبالقرآن كان الصحابة ومن بعدهم يبلغون الدين . وفى تلك الأوقات كان النابغون فى علم الدين أكثر من أن يحصوا ، بل تستطيع أن تقول إنه لم يكن أحد حينئذ يقلد أحداً فيه ، وإذا جهل أحد شيئاً فانما كان يرشده العالم به للدليل ولا يلقنه الحكم تلقينا

ولما فشا التأليف ، وأكثرَ المتعلمون من قراءة الكتب التى ألفها أصحابها فيما استنبطوه من الأحكام الفقهية ، والمجادلات المذهبية ، نقص معدل النبوغ ، ثم صار يزداد نقصاً كلما كثرت المؤلفات الفقهية وأقبل النـاس على دراستها . فلما كان العصر الخامس بدت تلك القولة المجرمة الأثيمة ، ألا وهى سد باب الاجتهاد ، وصرح بعض الفقهاء أن الاجتهاد بعد الأربعمائة منقطع ، وذلك لضعف ثقتهم بأنفسهم ، وسوء ظنهم بالناس . فضعفت الهمم ، وما زالت الأمة إلى الوراء حتى عصرنا هذا . فالمسلمون من العصر الخامس حتى اليوم ، بل من العصر الثالث لا يأخذون الدين إلا من كتب الفقه والكلام طبقة عن طبقة ؛ فكل طبقة تنظر فى كلام سابقتها وتشرح أو تعلق أو تؤول ، حتى وصلنا الدين بحالته الحاضرة وبعبارة صريحة : وصلنا وهو بعيد عن القرآن ألفا وأربعمائة سنة . إى والله ،

(١) فى الوحى المحمدى قريب من هذا المعنى

ألفا وأربعمائة سنة نحن بعيدون عن القرآن ، وإن كنا نتلوه للتبرك ، وذلك بسبب الالتواء فى الدراسة . وقد صدق علينا المثل العامى : نمسك من الدين بذيله : نترك رأس النبع وهو القرآن، ونأخذ من ذلك الرشاش المتطاير منه إلى أفهام الناس . أفلا ينظر المسلمون إلى أى هوة وصلوا من جراء هذا ؟ !

كانوا عند ما لحق الرسول بالرفيق الأعلى أمة واحدة ، لا يعرفون لهم إماما إلا القرآن . وأصبحوا لا تحصى فرقهم ومذاهبهم وشيعهم . ولكل فرقة أو شيعة إمام غير القرآن . لا يقولن قائل إن السبب فى بعض الاختلافات كان سياسياً . فان الاختلافات السياسية كان ينبغى أن تموت بموت سببها ، ولكن بقاء الكتب ودراستها فيما بعد ، دون دراسة القرآن الكريم بعقل مجرد عن تأثير تلك الاختلافات ، هو الذى أبقاها

وكان المسلمون لا يتركون القرآن إلى سواه ، ولا يبحثون عن حديث الرسول فى قضية ما إلا إذا لم يجدوا لها نصا فى كتاب الله ، كما كان يفعل أبو بكر وعمر وسائر الصحابة . فاذا اضطروا إلى حديث أخذوه بكامل التحرى . وأصبحوا اليوم (ولديهم مئات الألوف من الأحاديث) يجعلونها فى مرتبة القرآن ويختلفون: هل ينسخ الحديث القرآن أو يقيد مطلقه ويفصل إجماله ؟ ! وصاروا يؤولون كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليوافق كلاما رووه ، ولو حققوا لما رووه . وذهبوا إلى أبعد من هذا فأولوا القرآن ليوافق مذاهبهم ونحلهم ، وأقربهم اعتدالا أول آية التيمم لتوافق المذاهب المعروفة وعدها من المشكلات[1] ، ولم يجز لنفسه أن يؤول تلك المذاهب لتوافق القرآن . ولعل أصحاب المذاهب لو انتبهوا لمخالفة القرآن لرجعوا إليه

وكان الدين سمحا سهلا قليل التكاليف ، يستوى فى فهمه البدو والحضر ، والأذكياء والبلداء ، والمتعلمون والعوام ، لكونه دينا عاما لا يختص بطبقة دون طبقة ، ولا بقبيل دون قبيل . فمن المعقول ألا يختلف فى إدراك عقيدته ، ومعرفة تكاليفه أقل الناس إدراكا عن أعلاهم ذكاء ، ولكن الاختلاف إنما يكون فى طرق الاستدلال . فالفيلسوف يستدل على وجود الله بفلسفته، والطبيب بما يرى من دقائق تركيب الجسم ، والحراث مثلا يستدل عليه بما يقع تحت حسه من نبات وحيوان وكيفية نشأته ونظام حياته — أقول كان الدين سهلا ولكن كتب العقائد هى التى جعلته صعباً عسير الفهم ، لأنها من الكبر والاتساع بحيث تحتاج إلى سنين لدراستها ، ومن الدقة والعمق بحيث يعيي فهمها الأذكياء والعباقرة . وكذلك الفقهاء الذين فرعوا الفروع ، وفرعوا من الفروع فروعاً (وولدوا البنات من الأمهات ، كما يقول ضارب الرمل) حتى فرضوا المستحيلات ، فهؤلاء قد طمسوا على سماحة الدين ، وجعلوه كثير التكاليف ، كثير الحشو . وأذكر مما يحضرنى الآن مسألتين : قالوا : بعد أن يتوضأ المتوضىء أينشف أعضاءه أم لا ؟ وجعلوها مسألة خلافية . ومن العبث والغفلة أن يقال إن هذه المسألة تدخل فى حساب الدين ، فالمقصد الطهارة وقد حصلت بالوضوء ، ولا ينظر الدين إلى ماوراء هذا . والمسألة الثانية أنهم أدخلوا فى الدين ما ليس منه كمسألة الأزياء والملابس ، فألف بعضهم كتاباً فى سنية العمامة . وما لبس النبي العمامة إلا لأن بيئته كانت هكذا تقتضى ، ولو نشأ فى بيئة أخرى تلبس غير العمامة للبس كما يلبسون ، لأنه عليه السلام ما جاء لتغيير الأزياء ، ولكن لتغيير العقائد

بهذا الحشو وأمثاله امتلأت كتب الفقهاء ، وبهذا وأمثاله يضيع الذين يتعلمون العلوم الدينية زهرة شبابهم ، وصفوة عمرهم وقوة تفكيرهم ، حتى إذا انتهوا منه كانوا بعيدين عن الدين مراحل عديدة ، مقدارها اليوم ألف وأربعمائة سنة[1]

لقد جرى إصلاح فى منهج دراسة الدين في بعض المعاهد الدينية ، وينبغى أن يجرى الاصلاح أيضاً في مادة الدراسة الدينية ، وذلك يكون بأمرين : الأول : دراسة اللغة العربية بطريقة سهلة غير طريقة الكتب التى تدرس الآن . والثانى : دراسة القرآن نفسه ، وأخذ الأحكام والأخلاق والمعارف الدينية منه بقطع النظر عن المذاهب ، وطريقة ذلك كما يلى :

---

(١) راجع تفسير المنار ج ٥ ص ١٢٠

(١) المعقول أن العلوم تترقى ، وأن علم السابق يكون نواة فى علم اللاحق ولكن هذا لا يكون فى علم الدين ، لأن القرآن أعلى من مستوى كل المعقول . فاذا ترك درسه لن تصل العقول إلى مثل هديه ، ومقتضى ترقي العقول أيضاً أن كل عقل لاحق يدرس القرآن نفسه فيستخرج منه نفائس عجيبة

١ — فى دور التعليم الابتدائى

من اللغة يعطى التلاميذ جملا وقطعاً من منثور الكلام البليغ بقدر ما تتسع طاقتهم لحفظه ، ومن الغلط أن يختار لهم من أقوال العصور المتأخرة ، فان القصد أن يقربوا من لغة القرآن ، وتتجنب الألفاظ الغريبة . وكل ما شا كل ألفاظ القرآن فهو مأنوس وليس بغريب . وكلما ارتقى التلاميذ زاد لهم فى المقدار الذى يحفظونه . وعند شرحه يشرح بكلمة أو كلمتين ؛ ويستطيع المعلم الحاذق أن يعين للتلاميذ موقع الكلمة من رفع أو نصب الخ باختلاف الجمل ، وبالتكرار تنطبع فى ذاكرتهم ، فيتعودون النطق الصحيح بسهولة ، وبممارستهم الكلام البليغ يتربى فيهم الذوق العربى . وبعد الثالث الابتدائى تشرح لهم الجمل شرحاً نحوياً بسيطاً ويزاد كلما ارتقوا . ومن الرابع فصاعدا تكون اللغة الفصحى لغة الدراسة فى جميع المواد ولغة التخاطب ، ويستعملون ما حفظوا من الكلام البليغ . وليس هذا غريباً بين العرب ، حتى ولا بين غيرهم ، فان الانكليزية لغة الدراسة والتعليم فى جميع مدارس الهند ، وليست أسهل من اللغة العربية . هذا من اللغة .

ومن القرآن يحفظ التلاميذ أكبر قسط يمكنهم على الترتيب: من سورة الناس فصاعدا . وتختار لهم الآيات التى فيها أحكام التكاليف وتشرح لهم بإيجاز . وتختار لهم آيات أخلاقية وتشرح بايجاز

٢ — فى دور التعليم الثانوى

من اللغة يعطى التلاميذ الشىء الكثير من منثور القول ومنظومه على أن يكون من أقوال العصر الأول والثانى ، ويشرح لهم شرحاً يشمل النحو والمعانى بتحليل تتحمله عقولهم ، ويزاد كلما ارتقوا . ومن القرآن يحفظون قدراً كافياً مرتباً أو مختاراً ويدرسون آيات الأحكام بتوسع ، ويقدم الألزم فالألزم ، وتؤخر مثل أحكام الطلاق واللعان إلى السن المناسبة ، ويعودون الاستنباط بأنفسهم ، ويدرسون قسطاً وافراً من آيات الآداب والأخلاق والعبر ، والآيات الكونية والاجتماعية ، ويحفظون شيئاً من الأحاديث المختارة فى الأدب والاجتماع ، وتكون لغة الدراسة والتخاطب اللغة الفصحى كما سبق

٣ — فى دور التعليم العالى

(وهذا لا يكون إلا في معاهد العلم الدينى ، لأن غيرها لا تدرس الدين عادة فى الصفوف العالية) فى هذا الدور تدرس آداب اللغة العربية بتوسع ، وأعنى الآداب نفسها ، لا تاريخها ، فان دراسة تاريخ الآداب شىء قليل الفائدة ، وتشمل دراسة الآداب دراسة الحديث الشريف على أنه نمط من أنماط الكلام البليغ . ويدرس القرآن كله بلا استثناء دراسة وافية تؤخذ منها العلوم والمعارف الاسلامية ، والبدائع اللغوية ؛ ويراعى فى هذا الدور أن يكون التدريس مجرد إرشاد لطريق الاستنباط وتطبيق القواعد . ويطالب الطلبة بالاستنباط بأنفسهم ، وبمعرفة الخطأ والصواب بعرضه على مقاييس العلم والأدب . ويدرس الحديث على أنه مادة من مواد الدين تؤخذ منها الأحكام والحكم والمواعظ، ولكن ينبغى أن تكون شروط صحة الحديث غير الشروط الحاضرة فيحذف أولا كل ما نشأ أو يظن أنه نشأ عن أسباب سياسية ، أو لتأييد فرقة ، أو بقصد الهدم كالاسرائيليات ، ثم يجعل للمعنى حظ من الاعتبار كما للرواية ، أى ليس كل ما استكمل شروط الرواية كان صحيحاً حتى يستكمل شروط صحة المعنى أيضاً . وفى هذا الدور يدرس النحو فى بعض الكتب المعتبرة المؤلفة قديماً تثبيتاً لما تلقنوه من القواعد أثناء الشرح ، وزيادة فى البحث ، وفى نهاية هذا الدور أو فى دور التخصص تدرس بعض كتب الفقه والأصول والتوحيد للاطلاع والبحث . لا لتأثر خطواتها وتقليدها

بهذا تسهل دراسة الدين وتؤتى أكلها باذن ربها ، ويلاحظ هنا أن الكلام فى دراسة الدين وأنه ليس المقصود أن تقتصر الدراسة فى المدارس على مادتى اللغة والقرآن فان مواد العلوم الأخرى لها مكانها من برامج الدراسة

ليس المجال متسعاً للتفصيل والشرح فهذه اقتراحات يمكن نقدها وتحسينها والزيادة عليها ، ولكن لا يمكن قط أن يقال : إن دراسة كتب الفقه أجدى فى الدين من دراسة القرآن

وأحب أن ألفت النظر إلى أنه ليس بيننا وبين النابغين الأولين فى علوم القرآن إلا إتقان اللغة العربية ، وأنها ليست صعبة كما يتصورون ، وأن ثلاث سنين تكفى لاتقان علومها إذا هذبت

البحث عن غــــد

للكاتب الانكليزى روم لاندو

للأستاذ على حيدر الركابى

— ٥ —

الفجر فى سورية

المجاهد

إن للسياسة أثراً بليغاً فى تفكير السوريين لا يجاريها فيه شىء، فان سورية كلها تشكو من مرض واحد هو شدة الحيوية السياسية . وهى الحيوية التى ما زالت فى الشرق الأدنى مطلقة لا تقيدها عوامل ضبط النفس أو الشعور بالمسئولية المدنيـة (Civic Conxionsness)

إنه لمن الصعب جداً معرفة الفروق الرئيسية التى تفصل الحزب الحاكم عن المعارضين الذين لايسمح لهم بأن يمثلوا فى مجلس النواب . ومع ذلك فان الطموح الشخصى وميل البعض إلى الشعوذة قد حملا كلا الفريقين على الاعتقاد بأن الفوارق بينهما عظيمة كما أن كل جهة راحت تتهم الأخرى بسوء الائتمان وتزعم أنها هى الممثلة الوحيدة للوطنية الحقة — وبهذا تقيم الأحزاب البرهان على أنها تحافظ على التقاليد الشرقية تمام المحافظة

طرق تعليمها كما قال الأستاذ الامام محمد عبده

ولا أحدثكم بعد عن الفوائد التى نجنيها من إتقان اللغة العربية ودراسة القرآن ، فان الهداية والتقوى تكون ملازمة للعلم بأحكام الدين للملازمة ذكرها فى آية واحدة أو آيتين متجاورتين ، ولما يغمرنا من الشعور ببلاغة القرآن وسلطانه على النفوس ، ثمرة ذوقنا اللغوى الذى نكتسبه من ممارسة اللغة . أما الفوارق المذهبية والشيع المختلفة فانه يقضى عليها باذن الله ، ويصبح المسلمون — كما كانوا — أمة واحدة يتعاونون على البر والتقوى . والله الموفق

« فلسطين » داود حمدان

ومن أعظم ما أدهشني فى سورية الرغبة الشديدة عند رجال السياسة فى الاعلان عن آرائهم . ومع أن البعض نبهنى إلى أنى لن أحظى من السوريين إلا بتصريحات عامة وغامضة فقد وجدت السياسيين يندفعون فى الحديث بعد مضى خمس دقائق أو عشر على بدء اجتماعى بهم ويصرحون بما يزيد على مطلوبى، فكان علمهم بأنى رجل محايد لا أهتم بالسياسة كثيراً يدفعهم إلى الاعتراف أو الشرح أو الاتهام . وعلى كل حال فقد كان لهذه الاعترافات عندى أهمية كبرى من الناحية النفسية إذ أنها أطلعتنى على بعض الأمور التى سيكون لها أثر فعال فى حياة العرب السياسية فى المستقبل وإن كانت هذه الأمور نفسها غير واضحة تماماً الآن

وقد وصلت الصراحة ببعض السياسيين إلى حد أنهم بينوا لى الوسائل التى يودون تسخيرها للنيل من سمعة الحزب المستولى على الحكم . وبالرغم من أن تهديداتهم كانت فارغة وأنها ربما لن تتجاوز حد الكلام إلا أنها كانت دليلا قاطعاً على فقدان روح المسئولية فى الأسلوب السياسى المتبع . فالمعارضون يعتبرون القابضين على زمام الحكم فى عداد الخونة، وهؤلاء يعتقدون أن الواجب يدعوهم إلى اتخاذ أى تدبير كان ماداموا يعتقدون فيه الصلاح . وعلى هذا فان كلا الفريقين يسير على غير بصيرة فى طريق ينهى عنه العقل السليم ويجمل ادعاء كل منهما الاخلاص فى العمل على نفع الأمة وزعمه أنه مستعد للموت فى سبيلها كلاماً بلا معنى

لقد ظهر لى أثر العاطفة المتطرفة فى السياسة بجلاء لما زرت أحد أعداء الحكومة وكان من قواد الثورة على الفرنسيين عام ١٩٢٥ . ولو لم يؤكد لى أشخاص مختلفون بأنه كان يقود الحملة تلو الأخرى ضد الفرنسيين لما صدقت قط أن هذا الرجل كان فى يوم من الأيام مصدراً عظيما لقلق القيادة العسكرية الفرنسية فقد استقبلنى عند مازرته فى ساعة متأخرة من الليل بجلباب من الحرير الأبيض الفاخر الوشى بخيوط حمراء وذهبية وكان يقطن (شقة) حديثة فخمة . وهو خريج جامعة ألمانية مشهورة ولكنه يتكلم الانكليزية بسهولة وعذوبة تتناسب مع سكناه فى منزل جميل وارتدائه الحرير الأبيض لاستقبال الضيوف الأجانب ذكرت لمضيفى بعض رجال الحكومة فانفجر واتهمهم بالخيانة

وسوء الائتمان، وعند ما سألته عن الوسيلة الناجعة لإزالة الفساد المالى من حياة سورية السياسية أجاب على الفور وبلا تردد :

— « يجب أن نقتل هذه الفئة المسيئة أولا »

فأخذتنى الدهشة وسألته :

— « ومن تقصد بذلك » ؟

— « الذين بيدهم الحكم فهم لا يعملون إلا لتحقيق مصالحهم الخاصة »

— « ولكن ، ليس من المعقول أن ترغب فى قتلهم لمجرد اعتقادك أنهم غير نزيهين »

— « القتل هو الطريقة الوحيدة لتعليمهم النزاهة فى الحكم. يجب أن نقتلهم ، وسنقتلهم عند ما يحل الميعاد »

— « وهل تعتقد حقاً أن القتل ما زال فى هذا العصر الحديث أحسن وسيلة للتهذيب السياسى » ؟

— « نعم ، ففى الشرق الأدنى لم يزل القتل أحسن واسطة. إنه ليس من المؤكد أن ننفذ القتل فى هذه السنة أو التى تليها ولكنك عند ما تعود إلى سورية بعد بضعة أعوام ستشهد بعض التبدلات الخطيرة، وربما وجدت بعض الأشخاص الذين تعرفت إليهم هذه المرة قد انتقلوا إلى غير هذا العالم »

لقد تفوه بهذه العبارات القاسية بكل هدوء، مثله فى ذلك مثل البط البرى الذى لا تؤثر المياه فى أجنحته عند ما يغطس فى البحيرة . وقد اتضح لى أنه لا يعترف بأية صلة بين الدعوة التى أخذ يبشر بها وبين ما يترتب على تطبيق وسائلها من عواقب مخيفة، فهما فى نظره أمران لا ارتباط بينهما .

مما لا شك فيه أن لشخصية هذا الرجل جاذبية قوية يعترف بهـا أعداؤه أنفسهم . وكانت حقيقته تخفى على الناس بفضل الجاذبية وبفضل طريقته فى الكلام عن أهم معتقداته بلهجة عادية كأنه يشرح أمراً بسيطاً . لقد وخط الشيب رأسه ، ومع ذلك فقد كانت حركاته كحركة الفتيان تدل على قوة العضل ومرونته .

إنى صدقت القصص التى رواها لى عن عمله مع لورنس إذ كانا يشتركان فى نسف القُطُر العثمانية والتمتع بنشوة الحرب والقتل

يتحلى هذا الرجل بكل الصفات الخيالية التى تجمل فى الثائر العربي فتنة للزائر الأجنبي ، وخصوصاً إذا كان هذا الزائر جاهلاً بما هو مخبوء وراء ذلك السحر الخارجي . إنى لأذكر فى هذه المناسبة العبارة التى قالها رجل بريطانى عقب زيارته لمفتى فلسطين: « يا لها من عيون بريئة ! يا له من وجه صبوح جميل ! » لم تكن عيون مضيفى فى دمشق بريئة ولكنه كان يتغنى بالآداب الاجتماعية التى لقنته إياها المدنية الغربية ، ومع ذلك فان تمدينه الظاهر الذى يتنافى مع ما يخفيه من غرائز أولية ربما كان عائقاً يؤخر إصلاح الشرق أكثر من الوطنية المتطرفة المصحوبة بالنية الحسنة التى يتصف بها فخرى البارودى . ومع أن هذا المضيف قد استنشق الهواء فى جامعات أوربية مختلفة وكان يتنقل بين أثاثه الفخم بكل ثقة واطمئنان فهو لم يتعلم بعد أن القتل لم يعد هو الوسيلة الوحيدة لتعليم السياسيين الأخلاق . إن أمثال هذا الرجل ليعرقلون المساعى المخلصة التى يبذلها المستنيرون من العرب

لقد أدركت عند ختام زيارتى دمشق السبب الذى جعل سورية تخرج هذا العدد الكبير من قادة السياسة فى البلاد العربية، كما أدركت الداعى لاعتبارها ركناً من أركان الحركة العربيـة الحديثة : إن فى العقل السورى لفطنة ، وإن فى أكثر رجال السياسة فى سورية لمضاء فى العزيمة لم ألحظه فى مصر؛ وخيل إلى فى فلسطين أنه موقت يزول بزوال الظروف الحاضرة . إن جميع الصفات التى تميز الخلق العربى بارزة في شخصية السوريين بكل وضوح وجلاء، ومما لا شك فيه أنهم سيلعبون دوراً رئيسيًّا فى حياة الشرق الأدنى المستقبلة

إن طبيعة السوريين والظروف التى أحاطت بهم جعلت منهم شعباً ثائراً ، ولهذا كان منتظراً أن يعجز الفرنسيون عن إدارة سورية فى جو هادئ . غير أنه لا يمكن اعتبار فرنسا وحدها مسؤولة عن تمرد السوريين وما أنتجه من حركات منذ عام ١٩٢٠، كما أنه ليس من المؤكد أن تنتهى المنازعات الداخلية بعد نيل سورية استقلالها التام عام ١٩٣٩ إذ أن السوريين فى أشد الحاجة إلى كثير من التهذيب السياسى والاعتياد على ضبط النفس ليصونوا البلاد من التفكك الداخلى . إن أمثال الدكتور الكيالى يجب أن يجدوا ويجتهدوا لكى يجعلوا الصداقة الأبدية مع فرنسا التى يدعو إليها المسيو إده في لبنان بأعلى صوته غير ضرورية لسورية

« يتبع »

على حيدر الركابى

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٤١ –

رسائل القراء اليه :

المحامي الشاعر الأستاذ ابراهيم ... شاب له خلق ودين ، وفيه اعتزاز بالعربيـة والاسلام ؛ فهو من ذلك يحب الرافعي وينتصر له ، ويتتبع بشوق وشغف كل ما ينشر من كتب ومقالات . ولـكنه مع ذلك يحب العقاد وينتصر له ، ووراءه صاحب مذهب في الشعر ورأى في الأدب ، جديراً بأن يتأثر خطاه ويسير على نهجه. وليس عجيبا – فيما أظن – أن يجتمع الرأى لأديب من الأدباء على محبة الرافعي والعقاد في وقت معاً ، كما أنه ليس عجيبا أن يتعادى الرافعي والعقاد أو يتصافيا ما دام لـكل منهما في الأدب طريق ومذهب ؛ ولن يمنع ما بينهما من المداوة ، أو من الصفاء ، أن يكون لـكل منهما قراؤه المعجبون به ، أو يكون لهما قراء مشتركون يُعجبون بما ينشىء كل منهما في فنون الأدب ؛ وإنما العجيب أن يبلغ إعجاب القارىء بالـكاتب الذي يـؤثره إلى درجة التعصب ؛ فلا يعتبر سواه ، ولا يعترف لغيره أن يكون له مكان بين أهل الأدب ...

على أن شأن صاحبنا المحامي الشاعر الأستاذ ابراهيم مع الرافعي والعقاد يبعث على أشد العجب وأبلغ الدهشة ... إنه يحب الرافعي ويـؤثره ، ويعجب به إعجابا يبلغ درجة التعصب ؛ وإنه يحب العقاد كذلك ويعجب به ويتعصب له ... لـكل منهما مكانه من نفسه ، مكانٌ لا يتسع إلا له ، ولا يزاحمه فيه خصمه ؛ ولـكنه يحبهما معاً ، ويعجب بهما معاً ، ويتعصب لهما معاً !

رأيان يتواثبان ، وشخصيتان تتناحران ، وإسراف في التعصب لـكل منهما على صاحبه ؛ فأين يجد نفسه بين صاحبَيْه اللذين يؤثر كلاً منهما بالحب والاعجاب والاستاذية ؟

صورة طريفة وقفتُ عليها فيما وقفتُ بين رسائل الرافعي !

هذه رسالة من الأستاذ ابراهيم إلى الرافعي يقول فيها[1] :

« سيدى ، إنني أحبك ، وأعجب بك ، وأتعصب لك ؛ ولكن موقفك من العقاد ياسيدى ... ليت شعرى لماذا تتخاصمان ؟... لقد كنت على حق ... ولـكن العقاد على حق ... هل تأذن لى أن أكون رسول السلام بينكما ؟ »

ثم لا تمضى أيام حتى يعود فيكتب إلى الرافعي رسالته الثانية :

« معذرة ... إنك لتتجني على العقاد تجنيا ظالمـا ، فما لك وجه من الحق في عدائه والحملة عليه . لقد عقمت العربية فلم تنجب غير العقاد ... وإنك أنت ... إنك كبير في نفسى ، كبير جداً ، وإنى لأقلب تاريخ العربية بين يدىّ فلا أجد غير الرافعي ... أنت ... والعقاد ... أين ترى يكون اللقاء ؟ »

وعلى هذا المثال قرأت لصاحبنا المحامي الشاعر بضع رسائل بين ما خلف الرافعي من أوراق ، تملأ النفس عجبا ودهشة . وآخر ما وصل إلى الرافعي من رسائله ، رسالتان ، كتب إحداهما في المساء ، وكتب الثانية في صباح اليوم التالى ؛ ولولا خط الـكاتب ، ونوع الورق ، وخاتم البريد ، لما حسبتهما إلا رسالتين من شخصين لو أنهما التقيا في الطريق لتضاربا بالأكف ... !

على أن الرافعي مع ذلك كان يرد على رسائله ! ووددت لو ينشر صاحبنا بعض رسائل الرافعي إليه !

***

والآنسة الأديبة ف . ز . معلمة في إحدى مدارس الحكومة كان أبوها زميلا للرافعي في محكمة طنطا ، وكان بينهما صلة من الود ، فلما مات لم تنس ابنته صديق أبيها ، فكانت تستعينه في بعض شؤونها ، ومن ثمة نشأت بينهما مودة ، فكانت تراسله ويراسلها ، ومن رسائلها إليه كان له علم جديد في شئون وشئون .

صحبته إلى زيارتها مرة في ليلة من ليالى الشتاء ، مع الصديقين كامل حبيب وسميد الرافعي ؛ فلقيناها مع بعض صديقاتها ، وكانت جلسة طالت ساعات ، أعتقد أن الرافعي قد أفاد منها بعض معانيه في قصة « القلب المسكين ! »

***

(١) ليست الرسائل تحت يدى في اللحظة التي أكتب فيها هذا الفصل ، ولـكن ما أحكيه بعد هو ترجمتها في نفسى كما قرأتها منذ قريب .

. . . وقد أنشأت هذه الرسائل بين بعض قرائه وبينه صلات عجيبة من الود ؛ فهو منهم أب وصديق ومعلم ومشير ؛ وجلس على « كرسي الاعتراف » فترة غير قصيرة من حياته ، تفتحت فيها عيناه على كثير من حقائق الحياة لايبلغ أن يصل إليها من رحل وطوف . وكان له في كل دار أذن، وعلى كل باب رقيب عتيد ! ولست بمستطيع أن أفسر سرّ هذه الثقة العجيبة التي ظفر بها الرافعي من قرائه ؛ ولكنى أستطيع أن أجزم بأنه كان أهلا لهذه الثقة ؛ فما أعرف أنه باح بسرّ أحدٍ فسماه أو عرّف به ، وما أطلع على رسائل قرائه أحداً غيرى إلا قليلا من الرسائل كان لايرى بأساً من إطلاع نفر قليل من أصحابه عليها لغرض مما يستجرّه إليه بعض الحديث في موضوعها ؛ بل إن كثيراً من هذه الرسائل قد أخفاه عني ـ وما كان بيني وبينه حجاب أو سرّ ـ فما عرفت خبرها إلا بعد موته . ويستطيع أصحاب هذه الرسائل أن يطمئنوا إليّ ؛ فستظل أسرارهم ـ في يدى ـ مصونة عن عيون الفضوليين ، فلن أتناول الحديث عنها إلا من حيث يدعونى الواجب لجلاء بعض الحقائق في هذا التاريخ .

وكان له مراسلون دائمون . . يجدون الكتابة إليه جزءاً من نظام حياتهم ، فلا تنقطع رسائلهم عنه ، ولا يخفى عليه شيء من تطوّرات حياتهم ، وقد أكسبهم طول العهد بالكتابة إليه شيئاً من الأنس والاطمئنان إليه كما يطمئنون إلى صديق عرفوه وجرّبوه وعايشوه طائفةً من حياتهم ؛ وإن القارىء ليلمح في هذا النوع من الرسائل الدّورية التي يبعث بها إليه هؤلاء الأصدقاء الغرباء ، مقدار ما أثر الرافعي في حياتهم منذ بدأتْ صلتهم به ، فتطورت بهم الحياة تطورات عجيبة ؛ وأدّى الرافعي إليهم دَينه وأثر فيهم بمقدار ما كان لهم من الأثر في أدبه وفي حياته الاجتماعية . وإني لأضرب مثلا لواحدة من هؤلاء الأصدقاء :

فتاة من أسرة كريمة في دمشق ، نشأت في بيت عز وغنى وجاه ، وهى كبرى ثلاث نشأن نشأة يفاخرن بها الأتراب ؛ ثم تقلبت بهن الحياة فاذا هن بعد الغنى والجاه ناسٌ من الناس . . واضطرت الكبرى أن تخرج إلى الميدان عاملة ناصبة لتعول أسرتها ، وكان لها من ثقافتها وتربيتها مُعينٌ ساعدها دون أختيها في ميدان الجهاد ؛ وعلى أنها كانت أجمل الثلاث وأولاهن بالاستقرار في بيت الزوج الكريم فقد سبقتها أختاها إلى الرفاء والبنين والبنات وظلّتْ هي . . وما كان ذلك لعيب فيها ولكنه سرٌّ لم يلبث أن انكشف لعينيها : لقد كانت هي وحدها ومن دون أختيها التي تستطيع أن تعول أسرتها لأنها عاملة . . . وتألمتْ حين عرفت السرّ ولكنها كتمت آلامها وظلت « صابرة » ، ومضت الأيام متتابعة والأمانيّ تخلف موعدها ؛ وتحركت فيها غريزة الأمومة ولكنها قمعتها بإرادة وعنف ومضت تصارع الطبيعة وتتحدى القدر بعزيمة لاتلين ؛ ولكنها لم تلبث أن أحسّت بوادر الهزيمة بعد طول الكفاح فشرعت قلمها العذب وكتبت رسالتها الأولى إلى الرافعي بامضاء « الصابرة »

وقرأ الرافعي رسالتها ثم قص عليّ خبرها وتندّت عيناه بالدموع : يالها من فتاة باسلة !

وأجابها الرافعي على رسالتها بتذييل صغير في حاشية إحدى مقالاته في الرسالة . . وعادت تكتب إليه وعاد يجيبها وتوالت رسائلها ورسائله وقد كتم اسمها وعنوانها عن كل أحد ـ وكانت كتبته إليه في ورقة منفصلة في إحدى رسائلها ليمزقه وحده إن عناه أن يحتفظ برسائلها ـ وكان لها الرافعي كما أرادت : أباً وصديقاً ومرشداً ومشيراً ؛ ولم يأبَ عليها في بعض رسائله أن يتبسط في الحديث إليها عن قصة «القلب المسكين» لعلها تجد فيما يكتب إليها من شئونه عزاء وتسلية .. وتعزّتْ المسكينة عن شيء بشيء ، وثاب إليها الاطمئنان والشعور بالرضا . وبدا في رسائلها لون جديد لم يكن في رسائلها الأولى . وأخذت تكتب إليه عن كل شيء تحس به أو تراه حولها ، وتستشيره فيما جلّ وماهان من شئونها ، في سفرها ، وفي إقامتها ، وفي رياضتها ، وفي عملها ، وفي يقظتها ، وفي أحلامها . . في كل شيء كانت تكتب إليه ، سائلة ومجيبة ، ومخبرة ومستشيرة ، حتى في صِلاتها مع صديقاتها وأصدقائها ، وفي الخطّاب الذين يطرقون بابها يطلبون يدها . . ولم يكن يضنّ عليها بشيء من الرأى أو المشورة . .

وكان للصابرة جزاء ما صبرت ، وتحققت أمانيها على أكمل ما تتحقق أماني إنسان ، وجاءها العروس الذى لم تكن أحلامها

تتطاول إليه فى منامها ، وبرق فى إصبعها خاتم الخطبة ، فانبهرت منه عيون ! لا أريد أن أذكر من صفات خطيبها حتى لا أعرِّف بها وبه ، وليس من حقى أن أكشف ما تريد هى أن يظلَّ مستوراً ... لو قلت إن خطيبها كان وزيراً لما بعدْتُ !

واستمرت تكتب للرافعى والرافعى يجيبها ... حتى رسائل خطيبها إليها كانت تبعث بها إلى الرافعى ليشير عليها كيف تجيب ، وحتى برنامجها قبل الزفاف وبعده كان بمشورة الرافعى ورأيه ...

وجاءته آخر رسالة منها مؤرخة فى ٣/٤/١٩٣٧ (نعى الرافعى فى ١٠/٥/١٩٣٧) تقول فيها :

« الصديق الكريم ...

« ما أحلى دعوتك يا صديق وما كان أشدها تأثيراً على نفسى ! لقد شعرت وأنا أقرؤها بسرور عميق ، وتركز فى ذهنى أن هذه الدعوة مقبولة ... ما أسعدنى إذا صرت فى المستقبل أما

« أعتقد أنك تعرف تماماً أن حنينى للزواج فيما مضى وتمردى وثورتى على هذه الحياة ، لم تكن إلا لأنى رأيته وسيلة للحصول على الطفل ؛ فقد تنبهت فىَّ غريزة الأمومة بشكل هائل ؛ تصور يا أستاذى ، صرت أكره الأطفال لأنى ليس لى بينهم ولد ؛ وكنت إذ أرى أمًّا تعانق طفلها وتضمه إلى صدرها أحس بألم مرير يحز بقلبي ويكاد يقطعه . وكثيراً ما كنت أتشاغل وأشيح بوجهى حتى لا تقع عينى على هذا المنظر . لست حسودة والله ، ولكن شدة إحساسى كانت تجعلنى بهذا الوضع ... أما الآن فأنا مسرورة لأقصى حدود السرور ، وأتمنى لو أنثر الخير والسعادة على الجميع ....

« ... والله يعلم أن ليس لى أى غاية مادية من وراء هذا الزواج ، وليس قصدى منه إلا الحماية والستر ، لأنى مللت ومرض قلبي من فضول الناس ... »

وكانت على نية زيارة مصر لتزور الرافعى مع زوجها ، اعترافاً بحقه عليها ، ولكن القدر لم يمهله حتى يحين الموعد ، وحان أجله قبل أن ينظر بعينيه الفتاة التى تبناها على بعد الدار وشغلته أحزانها بضع سنين ، فلما ابتسم لها القدر وتحققت أحلامها ناداه أجله وما شاركها ابتسامة الفرح وتهانى المسرة ... !

تقول له فى رسالتها المؤرخة ١٥/١/١٩٣٧ :

« الصديق الكريم ...

« ... ولماذا أخشى هذه المقابلة يا أستاذ ! وهل أنت مخيف لهذه الدرجة ... ! على كل حال إذا وجدت ما يرعبنى فسأختبئُ وراء (زوجى) ولا بد أنه يحسن الدفاع عنى . لا ، لا ، سألبس درعاً متينة تقينى (شرَّ) هذه المغناطيسية القوية ، ولكنى أخاف يا أستاذى أن يكون الحديد أكثر انجذاباً ، وأكون حينئذ أسأت من حيث أردت الاحسان ... صحيح أننى معجبة ، ولا أزال ، وسأبقى دائماً ، ولكن ألا ترى أن الاعجاب و ... قد يتفقان أحياناً وقد يختلفان ؟ ثم أليس ا... معان كثيرة وأساليب عديدة ... ؟

« تريد رأيى فى صاحب القلب المسكين ؟ أنت تعرفه جيداً فلماذا تريد إحراجى ... ؟

« الجمال ليس مدار بحثنا ، وليس له أهمية قل أو كثر ، ومع ذلك فصاحب القلب المسكين يتمتع بقسط وافر منه . إسمع ، سأبدى رأيى . لا لا ، ما بدِّى أقول ، أستحى ... ! »

وكانت تعرف من أمره مع (فلانة) ما قص عليها فى رسائله وفى رسائلها حديث كثير عنها ، وقد زارتها مرة عن أمره لتنبئه بخبرها ...

وأعتقد أن فى رسائله إليها ما يكشف بعض الغموض فى قصة الرافعى و (فلانة) ويكون فيه برهان إلى براهين لدينا ؛ فحبذا أن تتفضل السيدة الكريمة بالنزول عن حقها فى هذه الرسائل فتهديها إلينا لتتم لنا بهذه الحلقة المفقودة سلسلة التاريخ ! إنها أديبة وعالمة ، وإنها بذلك لتعرف حق التاريخ وحق الأدب عليها فى هذه الرسائل ، ولها علينا ما تشترط فنُوفيه ، فلعل صوتى أن يبلغ إليها فى مأمنها . ضمن الله لها سعادتها وحقق لها ما بقى !

* * *

هذه قصة فتاة يجد القارىء بين أولها وآخرها أشتاتاً من تاريخ الرافعى ؛ وفيها مثال يبين معنى ما سميته (النقلة الاجتماعية) فى حياة الرافعى بما كان بينه وبين قرائه من صلة الرسائل . على أن هذه القصة بخصوصها كان لها من عناية الرافعى حظ أىُّ حظ . وقد كان على أن يكتب ـ بما اجتمع له من فصول هذه القصة ـ

الى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة السير « هيو والبول »

للأستاذ أحمد فتحى

— ١ —

تنقل إلى القراء فى هذا المقال وما يعقبه سلسلة فصول تنشرها إحدى الصحف الأدبية الكبرى فى لندن ، على أسابيع، متضمنة جواب استفتاء وجهته إلى تسعة من كبار القصصيين الانجليز ، راجين أن ينتفع شبابنا من عشاق القصة وكتابها بهذه الفصول المترجمة بكل أمانة وإتقان

فى أوائل السنة القادمة : أى بعد بضعة أسابيع ، أرجو أن يُتاح لى الاحتفال بانقضاء ثلاثين سنة على ظهور قصتى الأولى

وإن يكن قد مضى على هذا الحادث الهامّ فى تاريخ حياتى كلُّ هذا الزمن الطويل الذى يجمل من العسير أن أستدعى ذكرياته على وجه التحقيق ، فاننى أستطيع أن أذكر كلَّ شىء بغاية الوضوح !

وحين يسألنى الشبان ، كما يفعلون كثيراً ، عن طريقة لفت الجمهور إلى قصصهم الأولى ، وعما صنعت أنا نفسى فى مثل ذلك ، يعود بى خيالى طائراً إلى الوراء ، حتى ليُخَيَّلُ إلى أنه الأمس القريب ، حين عدت إلى بيتى فى « تِشلسِى » ووجدت ما سيجده القراء مفصّلاً فى هذا المقال ...

* * *

من المحقق أن القصة الأولى التى أخرجتها لى المطبعة لم تكن أوَّلَ أعمالى القصصية . فلقد بدأتُ أعالج كتابة القصة منذ طفولتى المبكرة . ولكننى لم أضع قصتى الناضجة الأولى إلا حين كنتُ فى « ليفربول » ، بعد أن فرغتُ من دراستى فى « كيمبردج »

ولقد كان سفرى إلى « ليفربول » بسبب أن أبى كان يحبُّ لى أن أكون قسيساً ! وأن أتنكّر « لادّعائى » الكتابة ! ولهذا التحقتُ باحدى البعثات الدينية لرجال البحرية ، وامتطيتُ ظهر السفن لأداء واجبى كرجل من رجال الدين . واتصلت بكثير من النوتيّة المرحين فى أماسى الآحاد السعيدة . غير أننى لم أصادف نجاحاً يُذكر ! بسبب ما كنت أُحسّه من اندماجى مع مشاعر فتيان البحار ، وبسبب أننى لم أكن سعيداً أبداً لايمانى بأنى سأكون « قسّيساً » فاشلاً ، مما بعث فى نفسى مضاضة وحزناً !

ولقد عاونتنى الأمسية التى كنت أقضيها فى بيتى على كتابة سبعة فصول من قصتى الأولى ، وكان اسمها « الدير » ، وقد ثبت عندى أنها كانت بشيراً بأخرى كتبتها بعد ذلك بأمد اسمها « الكاتدرائية » ، وبعد هذه الفصول السبعة ازدحمت فى ذهنى شخصيات كثيرة من أبطال قصة « الدير » وأخذت تختلط وتختلط حتى فقدت قيمتها وميزاتها . ولقد علّمنى ذلك شيئاً . والحق أن الفصل الأول من هذه القصة قد احتفظ به ذهنى حتى جعلت منه « الفصل الأول » فى قصة أخرى كتبتها بعد ذلك باسم « الفضولى » !

ولما أدرك أبى أننى لا يمكن أن أكون قسيساً ، ظن أننى قد أصلح لأكون مدرساً ! ومن ثَمّ وجهنى إلى ألمانيا وفرنسا لأتعلم لغة كلٍّ من البلدين العظيمين . ولكننى لم أتعلم لغة هذه ولا تلك ، وإنما كتبت قصة طويلة كاملة اسمها « تروى هانتون » !

* * *

مقالة بعنوان « الصابرة » جمع لها فيما جمع من نثار الأفكار قدراً غير قليل ، وما أخّره عن كتابتها إلى أن وافاه الأجل إلا انتظار الخاتمة فيما أظن ، وإلا شدة احتفاله بهذا الموضوع . وهكذا نجد أن شدة احتفال الرافعى بموضوعٍ مّا يكون سبباً فى تسويفه عن كتابته أو عن تمامه :

كان يحتفل بكتابة « أسرار الاعجاز » فلم يتمه ، وبعقالتى « الزبال الفيلسوف » و « الصابرة » فلم يكتبهما ؛ ولكن التاريخ لم ينس له .

شبرا محمد سعيد العريان

* * *

ظن بعض أصدقاء الآنسة الادبية أمينة . ش أننا نعنيها بقولنا فى الجزء السابق من هذه المقالات : « إن فتاة أدبية من أسيوط كتبت إلى الرافعى تشكو اليه أن أباها يعضلها ويذود الخطاب عن بابه حرصاً على بعض التقاليد »

فنعتذر للآنسة الأدبية من سوء ظن أصدقائها بما كتبنا ، ونؤكد لهؤلاء الأصدقاء أنها غير المعنية منا بهذا القول

ليس فى وسع الألفاظ أن تعبر عن كيفية انكبابى على الكتابة ... وبعد أن فرغتُ من هذه القصة كنت شديد الايمان بأنها من روائع الفن القصصى ! وهذا ما لا أعتقده الآن فى شىء من كتبي ! فأرسلت بها إلى دار « آرثر بنسون » للنشر ، فقد كان أحد أصحابها معى فى « كيمبردج » ولقد تلقيت منه فى « كيمبرلند » كتباً عدة عن هذه القصة ، يقول فى أحدها : « إني لأخشى أن تكون قصتك رديئة ! ولكن هنالك شيئاً واحداً أعتقده تماماً : ذلك أن ليست لك أية مقدرة على الابتكار . قد تصبح ناقداً يوماً من الأيام ؛ ولكن النقد الأدبي لن يكفل لك أكثر من حياة بئيسة ! »

ولقد بلغ من ثقتى بالرجل أننى أحرقت قصتى هذه . على أننى انتفعت كثيراً من صورها — فيما بعد — فى قصة أخرى سميتها « الصبر » ...

والتحقت بعمل جديد ، مدرساً فى كلية مدينة « إبسم » ولقد توجهتُ إليها وحيداً ، فقد كانت على مقربة من « لندن » وفيها كنت أرجو أن أبدأ حياتى الأدبية

والحق أننى إلى تلك اللحظة لم أتلق كلمة تشجيع واحدة لأعمالى الأدبية من أى إنسان ! . وفى « إبسم » كتبت قصتى الأولى التى أخرجتها المطبعة للناس باسمى . وقد اخترت لها اسم « الحصان الخشبي » وكنت قد أظهرت على نصفها أستاذاً كانت تلوح عليه أمارات الذكاء ؛ ولكنه ردّ علىّ أوراقها مع قوله : « لست يا « والبول » قصصيًّا على أى حال ...! »

وبرغم هذا فمهما بلغ من قلة ثقة الناس بى ؛ فلقد كنت وطيد الثقة بنفسى ! ولقد بدا لى عجيباً جدًّا أن يكونوا جميعاً بهذا العمى ! ولقد أصبحت الآن ، بعد هذه السنين الطويلة ، أعجب لما كان لى من ثقة بالنفس لم يكن يشجع عليها شىء !

واعترض طريق حياتى رجل بادن يقال له « مامّى » أبجّل الآن وأحـيّي روحه المرح لأنه كان أول من تفضل علىّ بالتقدير . ومع أن تقديره ذاك بدا لى فى ذلك الحين طبيعيًّا ، بل حقًّا من حقوقي ، فانى الآن لأعجب لهذا التقدير من الرجل ؛ فى أي تربة نَبت ؟!

كان « مامّى » ضخم الجسم شاحباً غائض دم الوجه . وكان يشرك « كرتس براون » فى وكالة أعمال أدبية . وقد أبدى لى رغبته فى استخدامى لعمل خاص بتلك الوكالة الأدبية على أن يوظف لى جنيهات قليلة كلّ أسبوع . وبهذا الروح المرح قذفت بعمل التدريس الذى كنت أمقته . وا كتريت حجرة أرضية صغيرة فى « شلسى » أجرها الأسبوعى ريال واحد ! وهكذا بدأتْ حياتى الأدبية . .

كانت فكرة « مامّى » أن أضع كتاباً يبحث فى طرق توجيه الناشئة . غير أنه لم يكن عنده ، ولا عندى ، رأى ما فى الموضوع ! . غير أن الرجل ظلّ يدفع لى المال الذى وعد به عاماً كاملاً . وهو شديد الثقة بى ؛ وأخشى ألا أكون قد صنعت شيئاً يحقق تلك الثقة العمياء ! !

أكملت قصة « الحصان الخشبي » وكان علىّ بعد ذلك أن أبحث عن ناشر . . وإنى لأذكر كيف كتبتُ أسماء كافة الناشرين فى « بريطانيا العظمى » على رقعة طويلة من الورق . وكنت أظن حينذاك أننى سأبعث بالكتاب إلى كل هؤلاء الناشرين تباعاً ، بعد أن أنتزع عنه اسمى وأضع مكانه اسماً مستعاراً هو « م . س » لأننى كنت قد قرأت الكثير عن العبقريات المبتدئة ، وعلمت أن العبقرى الناشىء لابد أن تُردّ عليه قصته التى تحمل اسمه المستعار — بدلا من اسمه المجهول — مرات كثيرة ، قبل أن يحين يوم حظه السعيد ! وكان أول ناشر وقع عليه اختيارى هو « سمث إلدر » . . لأنه كان قد نشر أعمالاً ناجحة كثيرة . وكان يخيل إلي أن كتابى يجب أن تظل آمالى فيه معلقة بهذا الناشر بضعة أسابيع . . !

ولقد كنت فى تلك الأيام سعيداً إلى غير حد ، إذ كان يسيراً جداً أن أعيش بمائة وخمسين جنيهاً فى العام . كنت طليقاً ، وكان لى أصدقاء فى لندن ؛ وإن لم يكونوا بكثرة أصدقاء واحد من رجال الأدب بعد . وإنى لأذكر كيف كان يروقنى أن أروض بالسير فى « طريق الملك فى شلسى » وكيف كنت أقول لنفسى حين أبصر السابلة : « سيأتى يوم يقف فيه هؤلاء الناس وسط

طريقهم ويشيرون إلىّ وهم يقولون « هذا هو والبول يمشي هناك ! »

وكان إلى جانب النهر مطعم كنت أستمرىء فيه وجبات طعامى ، وكان الفنانون يجيئون فيحتلون منضدة متوسطة ، وهم يضجون فى مرح . ولقد كنت أشعر بأن جوهم يحتضننى أيضاً . وكثيراً ما كنت أغشي مرقصاً أو داراً للتمثيل ، كلما كان ذلك في طاقة نقودى . ولم يكن لى من الرغبات ولا المخاوف شيء فى الحياة ! !

وعدت إلى غرفتى يوماً فوجدت خطاباً من الناشر ، يقول فيه بلغة بالغة حدّ العظمة والكبرياء « إنهم سيطبعون كتابى » ولقد قرأت هذا الخطاب مرات ومرات . ثم أصابتنى حُمى الفرح !. ويستطيع المؤلفون أن يقولوا لك إن سعادة فى الدنيا لا يمكن أن تقاس إلى سعادة المؤلف بقبول الناشر إخراج كتابه الأول ! وفى الحق ، لقد مرت بى إلى ذلك الحين لحظات كثيرة من السعادة ، ولكنها جميعاً لم تكن تعدل سعادتى بذلك الخطاب

ووثبت إلى الطريق والخطاب فى يدى ، وهرعت إلى المطعم المتيد واندسست بين الفنانين الجالسين ؛ ورغم أنى لم أكن أعرف أحداً منهم فقد حدثتهم بما صادفنى من حسن الحظ . فشربوا نخبي ، وبعد الغداء اصطحبونى إلي « استديو » أحدهم ، ومن هذه اللحظة ؛ أحسست أن حياتى الحقيقية قد بدأت !

***

بعد ذلك توجهت لزيارة دار « سميث إلدر » للنشر والتأليف بالمستر « ريجنالد إلدر » . وإنى لا أتصور الآن أن فى دار من دور النشر مثل ما كان فى غرفته من الفخامة والعظمة والأبهة ! وقد كان رجلا طويلا له سالفتان من شعر كثّ تتدليان إلى جانب صدغيه ، كما كانت تبدو عليه الهيبة التى كانت تلازم رجال النشر فى تلك الأيام !

ودعا لى الرجل بالتوفيق ، وبعد ذلك عرّج على حديث سوقىّ ! قال إن الوقت عصيب بالنسبة للناشرين ، ولهذا لم يكن فى وسعه أن يدفع لى شيئاً من المال عن النسخ الثمانمائة الأولى من كتابى .

وبعد بيع هذا العدد من النسخ يكون لى حق النشر فى ثمن ما يباع . ولم يسترع قوله اهتمامى ، إذ لم يكن يعنينى شيء سوى أننى لن أدفع شيئاً !.

ولقد كان « ريجنالد سميث » رجلا طيبا ، كما يبدو من اسمه . فأخرج « الحصان الخشبى » فى غلاف رائع بالألوان . وبعد شهرين فقط رأيت فى محل أحد باعة الكتب النسخة الأولى من كتابى . وبعد أسبوع من ظهور الكتاب كنت أجالس مع « المستر تشارلس ماريوت » فى « الكورنول » وهو مؤلف كثير من أحسن القصص التى كتبت عن « الكورنول » قدمت إليه واحدة من النسخ الست الأصلية من « الحصان الخشبى » .

وبعد ستة أشهر أخبرنى الناشر بأن ثمانمائة نسخة من كتابى — بالضبط — قد نفدت . وكنت قد أنفقت ثلاثة جنيهات فى كتابة النسخ الأصلية على الآلة الكاتبة . ولهذا كنت إلى ذلك الحين محتملاً خسارة هذه الجنيهات الثلاثة . ولكن لو لم يكن من الغرور والفخر لذكرت أن الكتاب كان يباع دائما . وأننى تلقيتُ بعد وقت قصير حصتى فى ثمن النسخ التى بيعت ذلك العام

وهنالك شيء أظنه على غير قليل من الطرافة ، هو كيف أننى انقلبت من قصصىّ هاوٍ فاشل إلى مؤلفٍ محترف بكل معنى الاحتراف ، وهذا ما لم أفهمه أبدا

وبالرغم من أن قصتى « ترُوِىْ هانتون » لم تكن قصة مؤلف محترف متمكن على ما أذكر ، وأننى ارتكبت فيها كل الأخطاء الممكنة من حيث الفكرة والأسلوب والبناء ، فان قصتى « الحصان الخشبي » التى كتبتها بعدها مباشرة ؛ كانت أحسن ما كتبتُ من قصص مُجَوَّدة . وقد لا تكون مكتوبة بيد مرنة طويلة الخبرة بدقائق الفن ؛ ولهذا السبب فأن قيمتها الأدبية النافهة لم تكن شيئاً يذكر ؛ ولكن . . . بعد أن تعلمت هذه الدقائق الفنية لم تمد لى هذه التفاهة فى التفكير !

وعلى أى حال فقد مضت سنون سعيدة جداً قبل الحرب ، لم يكن التزاحم فيها بين القصصيين قد بلغ من العنف ما بلغه اليوم .

ولم تكن الصحف الكبرى تمنى بنشر روائع الفن القصصى . ولهذا لم يبرز من القصصيين العباقرة سوى أفراد قلائل جدا ، مثل « مردث » و « هاردى » و « هنرى جيمس » ، فى حين كان معظم كتاب القصة مشغولين بقصّ حكايات يستمدون أبطالها من شخصيات الحياة العملية بقدر الامكان . ولم تكن هنالك اتجاهات نظرية معينة فى الفن القصصى إلا بقدر محدود ، كما أنه لم يكن هنالك من يعنى بشىء من وسائل الدعوة الخاصة على وجه الاطلاق !

ولقد كان للحياة فى هذه السنين منظر ساحر خلاب بصفة عامة . فاذا أنت كتبت عن شخصية سعيدة ثم اختتمت قصتك ختاماً سعيداً أيضاً ، فانك تكون بذلك فناناً أميناً على الحق فى فنك . وإذا حملت على بعض مظاهر السلوك الخلق أو السياسى ، فانك بذلك لم تكن قد تورطت فى موضوع ردىء !

تركت « الدر سمث » بعد أن نشرت لى كتابى الثانى ، لأنى كرهت أن أحرم ثمن النسخ الثمانمائة الأولى من كل كتاب من كتبى : وصادقت « مارتن سيكر » ذلك الناشر النبيل الذى كان فى ذلك الوقت يدعى « د . ه . بورنس و كومبتون ما كنزى وفرانك سونيرتوس وفرانسيس برت يونج وجلبرت كانان » وليس فى وسع بيانى أن يعبر عما ندين به للصديق « مارتن سيكر » فلقد كان صديقاً وفياً . يتولى مهمة الناشر فى إخاء ومودّة ، وإنه ليسمدنى أن أذكر أنه حينما غامر بنشر قصتى « الصبر » ؛ لم يأسف على هذه المغامرة ! !

القاهرة

احمد فتحى

بين الشرق والغـــرب

لباحث فاضل

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

(ثالثاً) : (كذلك لا يعترض علينا بالجانب العلمى من الثقافة الاسلامية لأنها نتيجة الأخذ بأساليب الفكر اليونانى)

انتهى الكاتب إلى أن الجانب العلمى من الثقافة الاسلامية نتيجة الأخذ بأساليب الفكر اليوناني . ولماذا لا يكون هذا الجانب نتيجة للأخذ بأساليب الدين الاسلامى وتعاليمه ؟

١ — « الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ... »

٢ — « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ... »

٣ — « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون »

٤ — « فلينظر الانسان مم خلق، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب »

هذه آيات بينات اعتقدها المسلم لا بالسيف ولا بغيره، ولم تدخل فى معتقده عن طريق العاطفة والمسايرة بل دخلت عن طريق العقل فقط . ألا ترى أن فى كل حرف فيها دعوة صريحة إلى التفكر فى مخلوقات الله ؟ ولماذا دعاهم إلى هذا التفكر ؟ ليعتقدوا بعظمة الله أم يهتدوا بوجوده ؟ لاشك بأنه للاهتداء إلى الوجود لأن التعظيم يكون لشىء يعتقد بوجوده وهم لم يعتقدوا بعد بذلك. سمح لهم بالشك فى كل شىء والتفكر فى كل شىء ودعاهم إلى تحرير عقولهم من قيود العبودية الزمنية . وبعد هذا ألا تعتبر هذه الدعوة أساساً علمياً، لأن استعمال العقل فى التفكر فى مخلوقات الله هو الأسلوب العلمى بعينه . أفيكون اليونان أصحاب الفضل فى ذلك فيأخذ عنهم فلاسفة المسلمين هذا الجانب العلمى أم يكون الدين الاسلامى هو الأصل الأول؟ ، اللهم لا يكون اليونان وفلاسفتهم أصحاب هذا الفضل إلا إذا أخذ القرآن بأساليب الفكر اليونانى أولا إذا اعتبر متكلمة المسلمين وفلاسفتهم فلسفة اليونانيين مصدراً أوليا فى معتقدهم وكان القرآن مصدراً ثانوياً ، والحقيقة تكذب هذا وذاك . وهم ما استعانوا بالفلسفة اليونانية إلا بعد أن تشربت قلوبهم معتقدهم الدينى ، وما كانت لهم الفلسفة إلا أداة منطقية لا علمية ، والمنطق غير العلم إلا إذا امتزجا (قبل أيام)

(رابعاً) : (انتهى متكلمة المسلمين إلى أن العالم حادث وانتهى الغربى إلى أنه قديم) ، هذا ما قاله . والمقصود من هذا واضح ، وتقرير هذا القول يحمل الناس على تقرير التفاصيل بين العقلية العلمية للغرب وبينها لمتكلمة المسلمين . هذا صحيح لو كان الكلام صحيحاً ، ولو عنى متكلمة المسلمين بكلمة حادث ما عناه حضرة الفاضل . فانا نعلم وغيرنا يعلم بأن كلمة (حادث) هنا لا تعنى ولا تدل على تاريخ زمن معين كأن يقال كذا آلافاً من السنين ، وإنما عنى متكلمة المسلمين بهذه الكلمة أن العالم حادث بالنسبة للخالق ، أى أن الخالق قديم بالنسبة لمخلوقاته ، فقرروا القدم الذى لا حد له إلى الله وقرروا الحدثية إلى مخلوقاته

(خامساً) : وبعد ذلك فمتكلمة المسلمين (انتهوا إلى أن الخالق مطلق التصرف فى الكون منفصل عنه ومدبر له ، وأنه السبب لكلّ ما يحدُث والعلة الأولى والأخيرة لكلّ ما يكون وسيكون) . هذا ما قاله حضرة الفاضل ، فهل نفى بهذا القول طبيعة العقل العلمى لهؤلاء المتكلمة ؟ أليس الدين الاسلامى المرجع الأول لهؤلاء المتكلمة ؟ فلماذا نأخذ الناحية السلبية من هذا القول ولا نقرر بأن الدين الذى اعتمدوا عليه كأساس أولى فى مذاهبهم الكلامية قد دعاهم إلى أن يسعوا فى مناكبها ويأكلوا من رزقه وهو الذى دعاهم إلى ألا يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة ؟ فاذا كانوا قد اعتقدوا تلك الناحية السلبية فقط من قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » ، فهل يتناسب هذا الاعتقاد مع حقيقة الواقع وهم أنهم جعلوا للعقل حقه فى تقرير مصير صاحبه ؟ ثم هل يتفق هذا القول مع كثير من أقوال متكلمة المسلمين كالنظّام والجاحظ وغيرهما فى الشك وفى تقدير العقل إلى أبعد حدود التقدير ؟

ثم نراه قد منح العقلية الغربية منحة تأباها وقرر لها مذهباً

تنفر منه لأن العقل لا يقره فقال: (انتهى الغربي إلى أن إرادة الله مقيدة بنظام الكون وأفعاله قائمة على عنصر اللزوم والاضطرار).
أى كلام هذا؟ وكلام من هو؟ ومن قال بأن الغربي يعتقد هذا إلا إذا فقد الجانب العلمى من قوى تفكيره؟ للكون سنن ولنظامه نواميس فمن أقرها ومن وضعها؟ أليس هو الله؟ ومن يفكر بأن إرادة الله هى التى تسيطر على هذا الكون؟ أفيكون خالق الشيء مقيداً به وتكون إرادته متعلقة به؟

فاذا كان بقاء هذا النظام الكونى دليلاً على شيء فهو أن إرادة الله لم تتغير وأنه أراد الكون على حاله. فاذا تغير هذا النظام الذى أراده الله اعتقدتم بأن هذا النظام مقيَّدٌ بارادة الله إذاً فلتنتظروا

(سادساً): فى نظر الغربى (أن فى قدرة الانسان تغيير المقدر له عن طريق معرفة النواميس المحكمة فى وجوده)

أهذا كلام يقال؟ فلا هو منطق ولا هو علم، ولا هو حقيقة ولا هو خيال. رجل لا يعلم ما قُدِّر له فكيف يكون قادراً على تغييره؟ ثم هب بأنه علم ماقدر له كأن أوحى الله له بذلك أفيكون قادراً على تغيير ما أراد الله وتكون إرادة الانسان فوق إرادة الله؟ نحن لانفهم من هذا القول إلا أنه كفر من ناحية دينية وكفر آخر من ناحية عقلية؛ وكفرٌ واحد عظيم فى حدِّ ذاته فكيف بالكفرين؟

إذا كانت علوم الغرب دليلاً على عقليتهم فالى أى حد انتهوا فى علومهم؟ كان يقال قديماً بأن مَن بحث في العلوم الطبيعية ابتعد عن الخالق، واليوم يقال بأن كل من امتهن هذه الصنعة وسلك هذا الطريق فلا شك بأنه يسير بخطى واسعة نحو الخالق إن كان كافراً به

فهؤلاء علماء مادة الحياة كلما عجزوا عن تفهم سر شيء ازدادوا إيماناً بأن قدرة عليا فوق قدرتهم واتفقوا على غير موعد بأن إرادة الخالق قد أخضعت كل النواميس لها، ونحن ما علمنا ليومنا هذا إلا ما أراد الله لنا أن نعلم. أفيذهب بنا الغرور إلى حد تقييد الله بشيء خلقه؟

(سابعاً): (ثم المسيحية هى التى سادت أوربا فى العصور الوسطى فنزعت بها منزع التفكير المعروف) الواقع يقرر عكس هذا، إذ ليس فى الدين المسيحى ما يقرر ذلك الجمود فى القوى الفكرية كالذى ساد فى العصور الوسطى

نحن نعلم بأن المسيحية وجدت فى الشرق فكانت سبباً إلى حد كبير فى توجيه منازع التفكير المختلفة من روحية واجتماعية وخلقية فقامت بنصيبها من الأصلاح، وسارت المسيحية بتعاليمها إلى الغرب ذاته وكانت حاله أسوأ حال فهذبت من نفوس أقوامه ما ساعدتها طبيعتهم الخشنة وعقليتهم السميكة. وحفظت المسيحية في الدير والكنيسة تراث اليونان والرومان وغيرهم فقدمت للتاريخ العلمى خدمة لا تقدر بقيمة. وبعد هذا لم تكن المسيحية ولم تكن روح النسك الشرقية التى جاءت معها سبباً فيما ساد العصور الوسطي من فوضى واضطراب وقصور فى النواحى الثقافية والعلمية. أيتهم الشرق بأنه سبب ذلك ولايتهم الغرب وأقوامه هم الذين وجهوا تعاليم الديانة المسيحية وجهة مادية؟

ثم ما هى العقلية التى جاءت بصكوك الغفران وما هى الطبيعة التى تقبلت الشرائع القوطية؟ أجاءت مع المسيحية من الشرق أم نبتت فى الغرب ومن بنات أفكار أقوامه، وهذا هو الواقع.

(ثامناً): (فان شارل مارتل أنقذ العقلية الغربية من العقلية الشرقية حين كانت تغزو أوروبا على يد العرب) لو جاء بهذا الكلام أحدٌ من الغرب لعذرناه، فطبيعة الانسان كثيراً ما تغالط نفسها فتنكر الفضل على مستحقه. ولكن أن يأتى هذا الكلام من شرق عربى فهذا مالا يُصدق.

حقيقة صد شارل مارتل تيار العرب، فترى ماذا صد مارتل وماذا منع عن أوروبا؟ أمنع روح النسك؟ والعرب لم يعرفوا بذلك لا فى الشرق ولا فى الغرب؟ أم أنه صد عن أوربا سبعة قرون من ينابيع الفكر والعلم والثقافة؟ وهذا ما أقر به علماء الغرب ومؤرخوهم قبل أن ينكره أحد من الشرق والعرب. سلوا مؤرخى النهضة الأروبية واستفتوا كتبهم عن أثر الأندلس فى تلك النهضة، ألم تكن جامعاتها وحلقاتها قبلة للطلاب من كل ركن فى أوربا؟ فلماذا تأثروا بالعلم ولم يتأثروا بالنسك؟ ألأن العلم أسهل اقتباساً من النسك أو لأن العلم كان لديهم ولم يكن النسك؟

أفيكون مارتل بعد هذا قد أنقذ العقلية الجرمانية وهى كما يعلمها طلبة التاريخ من العقلية الشرقية بأن بها العرب، أم يكون مارتل قد أنقذ الجهل من العلم قروناً؟

فردريك نيتشـــــه

للأستاذ فليكس فارس

— ٢ —

« إن من الحب ما ينشأ عن الحياة الجسدية حاجة ملحة متقلبة كالحياة نفسها، وفي النساء كما في الرجال أناس حبهم أشبه بالجوع والظمأ يتهافتون على أية مائدة ويرتوون من أي ينبوع . وماذا عساه يفهم من الحب من يرى المحبوب مائدة وينبوعاً ؟ قلّ من الناس من يدرك أن مَنْ أنكر على المحبوب شخصيته التي لا تستبدل فقد أنكر هو ذاته شخصيته التي يحس بها »

« لا صلاح لأمة فسدت منابت أطفالها ، وهذه عبر التاريخ ماثلة لعيان من يريد أن يرى

أفما كانت كل الأمم التي اندثرت واستبعدت تمر أولا في مرحلة تدني الأخلاق وانطلاق الشهوات عابثة بأشرف ما خلق الله في الانسان ؟ »

« سوف يأتي يوم ، وهو غير بعيد ، تنتبه المدنية فيه إلى أن الرجل المتفوّق الذي ينشده العلماء في الغرب لن يخلق لهم من التمرين لقوى العقل وقوى الجسد ولا من فحص خلايا المتزوجين بالمجهر حتى ولا من تلقيحهم بالمواد الكيماوية أو تطعيمهم بغدد القرود

إن الرجل الكامل أو الأقرب إلى الكمال إنما هو ابن الحب الكامل ، فالمحبة وحدها هي السبيل المؤدي إلى إدراك الحق والقوة والجمال

لندع العالم المتمدن يفتش في علومه ونهضة مفكريه عن هذا الحب الذي تخيله ماركس متجلياً في الحرية التامة للناس في أهوائهم فجاءت البلشفة تثبت انخداع هذا الفيلسوف في نظرياته ، ليفتشوا أنهم لن يتصلوا في تجاربهم إلا إلى العبر الزاجرة المؤلمة

أما نحن أبناء هذا الشرق الذي انبثق الحق فيه انصباباً من الداخل بالالهام لا تلمّساً من الخارج ، فلنا المسلك المفتوح منفرجاً أمامنا للاعتلاء والخروج إلى النور بعد هذا الليل الطويل إذا نحن أخذنا بروح ما أوحاه الحق إلينا

لا بترقية الزراعة والصناعة ، ولا بنشر التعليم والتهذيب ، ولا بجعل البلاد جنة ثراء وتنظيماً تنشأ الأمة ويخلق الشعب الحر السعيد

إن الجنين الذي يحمل أسباب شقائه وهو في بطن أمه لا يمكنه أن يصير رجلا حراً قوياً يفهم حقيقة الحياة ويتمتّع بالعظمة الكامنة فيها

إن الاهتمام بإيجاد الطفل الصالح أولى من العمل لاعداد العلم والتهذيب لطفل نصقل مظاهره صقلا وتتحطم كل محاولة للنفوذ إلى علّته المستقرّة فيه منذ تكوينه »

« ليس الفقير المتسوّل ، ولا العليل المتألم ، ولا الشيخ الهرم يتمشّى بلا سند إلى قبره . ليست المرأة المستعبدة بلقمة ولا الفتاة المخدوعة المنطرحة على أقذار المواخير ، ليس كل هؤلاء الناس الأشقياء في الحياة بأشقى من الأطفال يجور عليهم آباؤهم وأمهاتهم قبل أن يقذفوا بهم إلى الوجود ويرهقوهم بالقطيعة والاهمال بعد أن يدرجوا عليها بأقدامهم الناحلة المتعثرة ...

الرجل الذي يمسخ حبه الواحد شهوات متعددة، والمرأة التي

(ناسما) وأخيراً ، وهذا أبعد ما استبعدنا أن يأتي به الدكتور العالم وهو أن العلم يتلون بروح الأمة ، فكتب الرياضيات والطبيعيات وحقائقها في فرنسا هي غيرها في ألمانيا، لأن لكل لوناً خاصاً في الحياة . فالنظرية الآرية تختلف في كل قطر على هذا الأساس الذي أتى به لأن روح الأمتين مختلفة . ولربما كانت نظرية الحار في بلاد الانكليز نظرية الدب في روسيا لأن روحيهما تختلفان

هذا بعض ما لاحظناه على المقال المذكور ولو كان مجرد رأي لما حاولنا الجدل فيه ، ولكن الكثير منه يتصل بالأمة العربية والأمم الاسلامية وبعضه يتصل بالحقائق التاريخية

أما الرأي من حيث هو فيما لا يتصل بهذا أو ذاك فميدان المناظرة فيه واسع فسيح وهذا ما لم أقصده في هذا المقام والسلام

(***)

التى تتقصف منهتكة ماسخة هيكل نسمات الله مركماً لنفايات البشر من عبّاد الخيانة والطيش ، إنما هما آدم وحواء مطرودَين من الجنان إلى أرض الجهود المضيّعة والآلام المحتّمة ، ومَنْ يدرى أن حديث معصية الأبوين ليس رمزاً لخيانة الحب ، تلك الخيانة التى تنزل اللعنة بمرتكبيها وبأبنائهم من بعدهم ...

ويلٌ للرجل الذى يهدم بيديه سعادته وسعادة أبنائه، وويلٌ للمرأة التى تدنس منبت أطفالها »

***

ليس فى تمهيد موجز كهذا مجالٌ لبحث فلسفة نيتشه التى شغلت كبار كتاب القرن التاسع عشر ولم يزل الفلاسفة يكتبون عنها إلى اليوم ، غير أن ما تناولناه إلماماً من نظريات نيتشه يكفينا لتحديد ما يجب أن نغفله منها دون أن ننتقص من قدر هذا العبقرى لأنه اقتحم أسرار الكون معتمداً ذاته فماد عن هذه الأسرار مدحوراً . وهل من كاتب قبله أو بعده تمكن من حل ألغاز الوجود والوقوف منها عند عقيدة صريحة تستغنى عن الايمان بالقوة الخفية المتعالية عن التعليل والتحليل ؟

حَسْبُ نيتشه فى موقف حيرته ، وما هي بالدرجة الوضيعة على سلم التفكير، أن يهتك سر ربه أمامك دون أن يلجأ إلى إعمال المغسطة لإيجاد وحدة ظاهرية وتناسبٍ مزيّف فى صرح تفكيره ، حسبه أن اندفع وراء المثل الأعلى الكامن فى « إرادة القوة » تبعاً لتعبيره وفى نفس الانسان الخالدة تبعاً لعقيدة المؤمنين ، فبسط أمام المفكرين من مشاهد المجتمع ومن مسالك الأرواح على معابر الأرض ما لم يلمحه سواه من المنشئين

إن ما زلنا بحاجة إلى الوقوف عنده من فلسفة نيتشه فى كتاب زرادشت الذى لم تفته قضية اجتماعية لم يقل فيها كلمة كان لها دويها فى العالم الغربي ، إنما هو هذه المبادئ التى تجتث ما غرست قرون العبودية فى أوطاننا من استكانة حولت إيمانها إلى استسلام فى حين أن روح شرعتها يهيب بالنفس إلى الجهادين فى سبيل الوطن والانسانية جماء

إن الدين الذى يهاجمه نيتشه إنما هو صورة لأصل شوهها الغرب ، وما علَّم هذا الدين أن الحياة معبر على المؤمن اجتيازه وهو مُعرِضٌ عن كل ماحوله مغلق أبصاره على باب قبره . بل علم أنّ الحياة مرحلة من أشواط الآزال والآباد وما تطهر أنفسٌ لم تحترق أجسادُها ولم تُمهِّد صلاحاً لباقيانها بإصلاح زائلاتها

ليس نيتشه إذاً مبدع فكرة التكامل للانسان على الأرض فان التكامل مبدأ جملته الأديان السماوية أساساً لكل وصية تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، غير أن الدين قد أراد للانسان تكاملاً روحياً يهيئه إلى إدراك بارئه وراء المحسوس فى حين أن نيتشه ، وقد أنكر مالا تقع الحواسُ عليه ، أراد أن يفلت الانسانُ من حدود إنسانيته على هذه الأرض فيجعلها جنةَ خلدٍ يستوى عليها بجبروته إلهاً . . .

وقد عزب عن هذا الفيلسوف أن المخلوقات كلها فى سلسلة الوجود لاتملك الانعتاق من حدود أنواعها، ومهما كرّت القرون وتعاقبت الأجيال لايمكن للجماد أن يفلت من مملكته إلى مملكة النبات، ولاللنبات أن يجتاز حدود مملكة الحيوان، ولا للحيوان أن يجتاح مملكة الانسانية .

فذلك كان الذاهب فى طلب إنسان يتفوق على الانسانية كالمحاول استنبات الشجرة حيواناً أو استبدال الحيوان إنساناً .

لقد كرت القرون على مبدأ التاريخ الذى نعلم وعلى ما لا نعلم من حقبٍ كرّت ما وراءه ، والانسان لم يزل هذا المخلوق الدائر أبداً ضمن حلقة إنسانيته .

لقد كان نيتشه من المنتقدين باستحالة الأنواع حين صرخ بلسان زرادشت وهو يخاطب الحشد فى الساحة العمومية :

« لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى . على أنّ الانسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود فى قرديته »

ولكنه بالرغم من هذا يصرّح بأن هذا النوع القردي وهو الانسان لم ينسلخ عن أصله، فكيف زين له خياله أن فى هذا النوع إنساناً فائقاً لايزال كامناً منذ البدء ينتظر قدوم فيلسوف فى أواخر القرن التاسع عشر يستجلى هذا الجبار ويمده بإرادة جديدة تتسلط لا على الحاضر والمستقبل فحسب بل على ما مر وتوارى أيضاً فى عاصفات الأحقاب ؟..

إن بدعة الانسان المتفوق إنماهي فى تقديرنا تشوق نفس شعرت بأنها كانت وستكون ، وقد ضرب الالحاد حولها نطاقاً فتوهمت أنها ستبلغ فى هذه الحياة ما ليس من هذه الحياة.

إن نيتشه يعلن إلحاده بكل صراحة ويباهي بكفره؛ غير أننا لا نكتم القارىء الكريم أن ما قرأناه بين سطوره ، وقد مررنا بها كمن عليه أن يتفهم كل معنى ويستجلي كل رمز ، يحفزنا إلى القول بأننا لم نر كفراً أقرب إلى الايمان من كفر هذا المفكر الجبار الثائر الذي ينادى بموت الله ثم يراه متجلياً أمامه في كل نفس تخفق بين جوانح الناس من نسمته الخالدة ، فان هذا الملحد ، بالرغم من اعتقاده بأن الجسد هو أصل الذات وأن الروح عرضٌ لها وبان كلا الروح والجسد فانيان ، لا يملك نفسه من الهتاف وهو يؤكد عودة كل شيء واستمرار كل شيء فيقول :

— أواه كيف لا أحن إلى الأبدية وأضطرم شوقاً إلى خاتم الزواج ، إلى دائرة الدوائر حيث يصبح الانتهاء ابتداء . إننى لم أجد حتى اليوم امرأة أريدها أماً لأبنائى إلا المرأة التى أحبها لأننى أحبك أيتها الأبدية !

إنى أحبك ، أيتها الأبدية

أين هذه الهتفة الرائعة تصدو فى أعماق روح تتطيَّر من الزوال من ابتسامة الملحد الصفراء وهو لا يرى وراءه وأمامه إلا العدم والزوال ، بل يكاد يرى وجوده خدعة وخيالاً كاذباً

إن فلسفةً لا تستنيم لفكرة الفناء ولا ترى فى النهاية إلا عودة إلى بداية ليست بالفلسفة الجاحدة ، فالمفكر المؤمن بانسانية عليا تتدرج إلى الكمال حتى ولو قال بألوهيــة الانسان على الأرض لا يمكنه إلا أن يؤمن فى قرارة نفسه بكمال مطلق تتشوق روحه إليه ما وراء هذا العالم

ولا بد هنا من إيراد تاريخ موجز لحياة هذا الفيلسوف ، وليس فى حياته القصيرة وهى مليئة بالآلام من الحوادث مايستحق التدوين غير المراحل التى مر عليها تفكيره فتأثر بها . وهل نيتشه إلاّ فكرة وهل حياته إلاّ وقائع ميادينها السطور والصفحات ؟

ولد هذا العبقرى الثائر سنة ١٨٤٤ فى بلدة روكن من أعمال ألمانيا وكان أبوه واعظاً بروتستانياً من أسرة بولونية هجرت بلادها فى القرن الثامن عشر على أثر اضطهاد شرّد منها أشياع كنيسة الاصلاح

وما بلغ فردريك الخامسة من عمره حتى مات أبوه فكفلت أمه تربيته وتربية أخته فأرسلته إلى مدرسة نومبورغ ثم انتقل منها سنة ١٨٦٤ إلى كليتىّ بون وليبسيك حتى إذا بلغ الخامسة والعشرين من عمره سنة ١٨٦٩ تجلّى نبوغه فعين أستاذاً للفلسفة في كلية بال

بعـد سبع سنوات أى سنة ١٨٧٦ ظهرت عليه أعراض « الزهرى الوراثى » فحـكمه صداع شديد أضعف بصره فبقى باقى الدروس حتى سـنة ١٨٧٩ إذ اضطر إلى الاستعفاء ليذهب متنقلا بين روما وجنوا ونيس وسيل ماريا وهو يعمل الفكر ويكتب مصارعاً علتـه عشر سنوات ، فلا هو يبرأ منها فيحيا ، ولا هى تجتاح دماغه الجبار فيموت إلى أن جاءته سنة ١٨٨٩ بالفالج مقدمة للجنون فتوارى سنة ١٩٠٠ بعد أن سبقته إلى الموت عبقريته العليلة وإرادته الوثّابة الجبّـارة

« يتبع » فليكس فارس

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ... ...

— ٢٥ —

لم يتردد الرئيس في العمل على إبطال قرار فريمونت على الرغم مما بدا له من تحمس الرأى العام له ومظاهرته إياه فيه على نحو ما بينا ؛ ولقد كان من أبرز خلال أبراهام أنه كان لا يعرف التردد أو النكول إذا هو عقد النية على أمر اقتنع بصوابه واطمأن إلى نفعه ووثق من مقدرته على الاضطلاع به ؛ وما جرب عليه من عملوا معه أنه صمم قط على رأى ثم انصرف عنه ، ولذلك كانوا إذا عزم أذعنوا طوعاً أو كرهاً فما لهم من ذلك بد ...

وتصرف لنكولن تصرف السياسى الحكيم ، فكتب إلى فريمونت يسأله أن يعدل قراره وأن يظهر للناس كأنما يفعل ذلك من تلقاء نفسه ؛ ولكن فريمونت لم يذعن لذلك وكبر عليه أن يتراجع ؛ فلم ير الرئيس بدًّا من أن يعلن قراراً عدل به قرار فريمونت غير عابئ بما كان من مخالفة الرأى العام له ولا وجل من تصايح الصائحين من دعاة التحرير ... وبذلك العمل الحازم الحكيم قضى الرئيس على نذير من نذر الفرقة والتنابذ ، وكسب بذلك وقوف ولاية كنتولى إلى جانبه ...

ولا يحسبن الرئيس كما تقول عليه خصومه ومخالفوه فى الرأى من أنصاره ، قد اتخذ بذلك سبيلاً رجعية ؛ كلا ، إنما هى السياسة الحكيمة تقضى عليه ألا يتنكب الطريق التى رسمها منذ شبت الحرب ، ألا وهى جعل المحافظة على الوحدة أساس هذا الصراع القوى ؛ أما مسألة العبيد فما هو بغافل عنها وإنما هو يؤثر الأناة حتى تتهيأ الفرصة ...

هذا ما كان من أمر فريمونت ؛ أما ماكليلان فلقد ظل يدرب جيشه على حدود فرجينيا وهو لا يفتأ يرسل إلى الرئيس يطلب فرقاً جديدة ، ولا يفتأ يتبرم بأى استفهام يأتيه من قبل الرئيس عما هو عسِيٌّ أن يفعله ؛ ولقد كان هذا القائد الشاب يكره من الحكومة تدخلها فى شؤونه ؛ بل لقد كان يزدري أعضاء مجلس الوزراء ويرميهم بالغباء ، أو كما يقول إنه شاهد أكبر نوع من الأوز فى ذلك المجلس

وبلغ به الذهاب بنفسه حدًّا جعل الناس يظنون به الظنون حتى ليحسبونه يتطلع إلى الرياسة ، فهو ينتظر لا يعمل عملا حتى تواتيه الفرصة إلى انقلاب يأتى به على غرة ... ولكن الرئيس على الرغم من مسلك ماكليلان يعينه قائداً عامًّا للقوات بعد أن يترك سكوت العمل لكبر سنه

ولا يقف صلف ماكليلان عند حد ، فلقد ذهب الرئيس مرة إليه يستنبئه عن أمر ، فتركه القائد لحظة ينتظر قبل أن يلقاه؛ وشاع ذلك فى الناس، وأشارت إليه الصحف ، وانعقدت الآراء على استنكاره ، ولكن الرئيس لم يعبأ بما حدث ، فما كان هو بالذى تلهيه المسائل الشخصية عما هو فيه ، ولقد رد على ذلك بقوله « إنى لأمسك لماكليلان زمام جواده إذا هو جاء لنا بانتصارات » .

ولكن حدث بعد ذلك أن ذهب الرئيس ومعه كبير وزرائه إلى مكان القائد فلم يجداه ، فجلسا ينتظران حتى رجع ؛ وأنبأه بعض الجند بانتظارهما إياه ؛ فصعد إلى غرفته وأرسل إليهما رسالة يأسف فيها لعدم استطاعته أن يراهما لأنه متعب ! واستشاط سيوارد من ذلك غضباً، ولكن الرئيس راح يهون الأمر عليه . . على أنه كف بعدها عن زيارة ذلك القائد المدل بنفسه . .

وقدر على الرئيس فضلا عن ذلك أن يلاقى العنت من الرأى العام كما يلاقيه من أكابر قواده ، ومن أمثلة ذلك ما كان من موقف الناس إزاء قرار فريمونت فلقد بالغوا يومئذ فى إعنات الرئيس وإحراجه . . حتى كان موقف آخر فعادوا إلى غيهم يأخذون على الرئيس مسالك القول والعمل ، وكان ذلك الموقف نتيجة لما أدت إليه الحوادث بين حكومة الاتحاد الشمالى وبين الحكومة الانجليزية . .

كان لنكولن يخشى أن تسوء العلاقات بين حكومته وبين انجلترة ، إذ كانت الأنباء تنذر بذلك ؛ فكثير من رجال الحكومة الانجليزية كانوا يرون أن تعترف حكومتهم بالاتحاد الجنوبى كحكومة مستقلة حتى يتسنى لانجلترة أن تدخل سفنها الموانيء الجنوبية وعلى الأخص موانىء القطن ، دون أن يكون فى ذلك

تصادم مع الحصار المضروب عليها من الشماليين . . وأخذت الصحف الأنجليزية تدعو إلى ذلك وتلح فى الدعوة غير عابئة بما ينطوي عليه ذلك من التحدى لأهل الشمال .

واشتد غضب حكومة الاتحاد الشمالي بقدر ماعظم فرح الجنوبيين ، إذ كان كل فريق ينظر باهتمام شديد إلى ماعساه أن يحدث من جانب انجلتره . . وبلغ من استياء سيوارد أنه كتب احتجاجاً إلى الحكومة الأنجليزية ، لم يخفف من حدته ما أدخله عليه الرئيس من تعديل ، فلقد كان يحرص الرئيس أشد الحرص أن يفوت على الجنوبيين ما يأملونه من انضمام انجلترة إليهم .

وفى هذا المأزق الحرج يأتى أحد القواد البحريين عملا تزداد به الأمور تحرجا حتى ليحسب الناس أن الحرب واقعة بين انجلترة والولايات المتحدة ما من ذلك بد ...

وبيان ذلك أن القائد البحرى ولكس داهم سفينة انجليزية كانت تحمل رسولين من قبل الولايات الثائرة أحدهما إلى انجلتره والآخر إلى فرنسا أبحرا ليسعيا لدى الحكومتين الانجليزية والفرنسية أن تأخذا بيد الاتحاد الجنوبى . . . وأرغم ولكس الرسولين على النزول فأسرهما على الرغم من احتجاج قائد السفينة الانجليزية

ووصلت الأنباء إلى وشنجطون فراح الناس يعلنون إعجابهم بالقائد ولكس ويثنون على عمله ، وما لبث أن انهالت عليه رسائل الأعجاب والثناء ؛ ولقد أثنى عليه فيمن أثنوا المجلس التشريعى نفسه ، وكثير من الزعماء ورجال الصحافة ؛ وهكذا انحاز الرأي العام إلى جانب ولكس كما انحاز إلى جانب فريمونت من قبل لتزداد بذلك الأمور تعقدا وخطرا ...

أما عن موقع النبأ فى انجلترة فلك أن تتصور مبلغ ما أثار من سخط واستنكار ، فى ظروف كتلك التى نتحدث عنها ، وكذلك كان للنبأ فى فرنسا موقعه الشديد وأثره السيء

اعتبرت انجلترة هذا العمل من جانب القائد ولكس إهانة موجهة إلى العلم البريطانى الذى كان يخفق فى سارية تلك الجارية التى كانت تحمل الرسولين وقدمت لندن إلى وشنجطون احتجاجها وأنذرتها أن تقابل العدوان بمثله إلا أن تسرع بتقديم الترضية الكافية ، ولن تقنع انجلترة بأقل من إطلاق الرسولين وعدم التعرض لهما ثم الاعتذار عما حدث ...

عندئذ اشتد هياج الولايات ورأت فى إنذار انجلترة إياها معانى الاذلال وسوء النية وقبح استغلال الحوادث ؛ وأصر الناس على المقاومة مهما يكن ثمنها . وأمدت انجلترة حامية كندة وأخذت الولايات تزيد فى قوة تنورها الشمالية ، وفى الجملة لم يبق إلا إعلان الحرب . على أن بعض العقلاء استطاعوا أن يطيلوا الوقت المحدود للانذار بضعة أيام عل أهل الولايات وخصومهم فى انجلترة يرون حلا تحقن به الدماء

وأخذ الوقت يتصرم ولكن أهل الولايات مصرون على موقفهم لايثنيهم عنه شيء ! ورئيسهم ووزراؤه يفكرون فى هذا الخطر الداهم ، وكان سيوارد يميل الى خوض غمار الحرب ضد هؤلاء الانجليز الذين تنطوى قلوبهم على الحقد والحنق منذ خلعت الولايات الأمريكية نير انجلترة فى عزة وإباء

وهكذا يجد لنكولن نفسه فى شدة ما مثلها شدة . . . فهو بين أن يجارى الرأى العام وبذلك يجر على البلاد حربا خارجية طاحنة تأتى مع الحرب الداخلية القائمة فى وقت واحد ، أويطلق الرسولين ويقضى على أسباب الخلاف بينه وبين انجلترة وبذلك يجنب بلاده خطرا محدقا ، وإن تعرض بعدها للوم اللائمين وسخط الساخطين واتهامات المبطلين . . .

ولكنه لنكولن الذى لا يعرف الخور والذى لا يطيش فى الملمات صوابه . . . إنه الرجل الذى تزداد عزيمته مضاء بقدر ما تزداد الحادثات عنفا وخطرا ، والذى تزداد قناته صلابة كلما ازدادت الخطوب فداحة والأعباء ثقلا واستفحالا . . .

عقد ابراهام مجلس وزرائه وأخذ يناقش الأعضاء ويناقشونه وهو من أول الأمر لا يؤمن بعدالة ما فعله ولكس ؛ وبعد جهد استطاع أن يحمل المجلس على قبول رأيه ثم أعلن بعدها فى شجاعة وحزم اطلاق الرسولين ، وأجاب على إنذار الحكومة الانجليزية برسالة متينة جاءت دليلا قويا على حكمته وبعد نظره ، رسالة احتفظ فيها بكرامة بلاده وعزة قومه ، وجنبها بها فى الوقت نفسه خطرا ما كان أغناها عنه يومئذ

وارتاحت انجلترة لما فعل الرئيس وأثنى رجالها على حنكته وشجاعته ! ولكنه لاقى فى بلاده من السخط والاستياء مالا يقوي على مواجهته غيره ، وأوشكت مكانته فى القلوب أن تتزعزع ، وراح يرتاب فيه المتحمسون ويصفون عمله بالجبن والخور . . . ولكنه فيما بينه وبين نفسه يعتقد أنه أسدى صنيعاً إلى قومه لا يدركه إلا العقلاء ، الذين لا يحملون فى كل وقت للمواطف

سلطانا على أعمالهم .... قال مرة يرد على الساخطين « لقد حاربنا بريطانيا العظمى مرة لأنها فعلت عين ما فعله الكابتن ولكس ؛ فاذا مارأينا انجلترة تحتج على هذا الفعل وتطلب إخلاء سبيل الرسولين فواجبنا هو ألا نخرج على مبادئنا التي ترجع إلى عام ١٨١٢ .... يجب أن نطلق هذين السجينين وحسبنا حربا واحدة في وقت .... »

ومضى العملاق بعدها في سبيله يؤدي للانسانية رسالته ؛ وإننا لنرى هذا الجبار الذي درج من بين الأحراج والأدغال يحمل العبء وحده في الواقع ... بل إنه كما ذكرنا ليلاقي مما يفعل كثير من أكابر رجاله أعباء تضاف إلى أعبائه ولكنه معود حمل الأعباء ومواجهة الأنواء

وإنه ليسأل نفسه: ألم يأن لهؤلاء الرجال أن يعملوا كما تطلب الظروف ؛ وماذا على فريمونت لو كان رجع إلى الرئيس، ثم ماذا على ما كيلان لو أنه خفض جناحه والان جانبه وأخذ الأمور بالشورى ..؟ ولكن ها هو ذا قائد آخر يفعل مثل مافعل فريمونت، وذلك هو هنتر الذي كانت له القيادة في كارولينا الجنوبية ؛ وكان هنتر أكثر جرأة من فريمونت أو على الأصح أكثر نزقا فلقد أعلن أن سكان فرجينيا وفلوريدا وكارولينا الجنوبية من العبيد أحرار بعد اليوم إلى الأبد ....

ولم يسع الرئيس إلا أن يعجل بنقض هذا القرار في غير مجاملة أو هوادة ، فلقد كان هنتر خليقا أن يعتبر بما كان من أمر صاحبه فريمونت وكان مما أعلنه الرئيس قوله : « إن حكومة الولايات المتحدة لم تخول للقائد هنتر ولا لأي قائد أوشخص سواه من السلطان مايملن معه تحرير العبيد في أية ولاية من الولايات، وإن هذا الاعلان المزعوم، سواء كان حقيقيا أوزائفاً، هو إعلان باطل »

ولا يكاد الرئيس ينتهي من نزق إلا ليواجه نزقاً غيره ، فهاهو ذا وزير الحربية كامرون يرسل رسالة إلى بعض الضباط شبيهة بما أعلنه فريمونت وصاحبه .. ولولا أن تدارك الرئيس الأمر لأحدثت من سوء الأثر مايصعب بعد علاجه ؛ ولقد أبرق الرئيس إلى مكاتب البريد لترد نسخ تلك الرسالة المطبوعة وحال بذلك دون وصولها إلى وجهاتها ..

ولما أن يئس الرئيس من ما كيلان وقدمضى عليه أكثر من عام وهو لايعمل أكثر من تدريب جنده ولا ينفك يطلب فرقاً جديدة ؛ رأى أن الموقف يقضي عليه أن يدرس فنون الحرب والتعبئة ! أليس هو بحكم مركزه القائد الأعلى للقوات البرية والبحرية ؟ وإذاً فعليه أن يتعلم فن الحرب اليوم كما تعلم مسح الأرض من قبل وتخطيطها وكما تعلم القانون حتى حذقه ، بل وكما تعلم القراءة والكتابة قبل ذلك جميعاً وهو بين مطارح الغابة

شمر الرئيس عن ساعده وراح يدرس ويتعلم لا يني ولا يكل ساعات طويلة من النهار وساعات من الليل ؛ الخريطة مبسوطة أمامه، ومعلومه من الحربيين يتناوبون العمل معه واحداً بعد الآخر حتى فهم بعض الفهم وأصبح له شيء من الرأي ! يالله من هذا العبقري الجبار الذي يحمل على كتفيه ما كان ينوء بحمله أطلس أو آخيل !

واستطاع الرئيس بعد مدة أن يدلى للقواد برأى في فهم، ولكنه كان حذرا يعرض الفكرة ويترك القطع بصحتها للقائد المرسلة إليه. ولقد كتب مرة إلى أحدهم برأيه ثم شدد عليه ألا يتقيد به قائلا إنه يلومه أكبر اللوم إن هو تحيز له أو تردد عن العمل بما تمليه عليه خبرته إذا كان ذلك الرأي لا يتفق وهذه الخبرة ...

على أنه يكتب إلى ما كيلان نفسه ذات مرة مشيرا عليه بما يجب أن يعمل ، في خطة مرسومة على أساس فني ، ولما رد ما كيلان عليه برفض تلك الخطة لم يقره الرئيس ، وعاد فكتب إليه يسأله أسئلة تدل على فهم دقيق وإلمام شامل ، ويدع له أن يجيب على تلك الأسئلة الفنية إجابة صريحة نزيهة والرئيس مستعد بعدها أن يقره .. ثم نحا كما إلى إخصائيين، فما زال الرئيس يدلي لهم بحججه ويريهم أن خطته أضمن وأسلم من خطة القائد ما كيلان ، ولكنهم آخر الأمر أقروا خطة ما كيلان ، فلم يسع الرئيس إلا أن يذعن وإن كان لا يزال يرى وجاهة آرائه ..

(يتبع) الخفيف

الكميت بن زيد

شاعر العصر المرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

- ٧ -

منزلته الشعرية

كان الكميت شاعراً عالماً جمع من الثقافة العلمية مالم يجتمع لشاعر في عصره ، حتى قال بعضهم : كان في الكميت عشر خصال لم تكن في شاعر : كان خطيب بني أسد ، وفقيه الشيعة ، وحافظ القرآن ، وثبت الجنان ، وكان كاتبا حسن الخط ، وكان نسابة ، وكان جدليا ، وهو أول من ناظر في التشيع مجاهراً بذلك ، وكان راميا لم يكن في بني أسد أرمى منه ، وكان فارساً ، وكان شجاعاً ، وكان سخيا دينا

وقال أبو الفرج الأصبهاني : أخبرني عمي ، قال حدثني محمد بن سعد الكراني ، قال حدثنا أبو عمر العمري عن لقيط ، قال : اجتمع الكميت بن زيد وحماد الراوية في مسجد الكوفة ، فتذاكرا أشعار العرب وأيامها ، فخالفه حماد في شيء ونازعه ، فقال له الكميت : أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها ؟ قال : وما هو إلا الظن ، هذا والله هو اليقين ، فغضب الكميت ثم قال له : لكم شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان تروى ؟ ولكم شاعر أعور أم أعمى اسمه فلان بن عمرو تروى ؟ فقال حماد قولا لم يحفظه ، فجعل الكميت يذكر رجلا رجلا من صنف صنف ويسأل حماداً هل يعرفه ؟ فاذا قال لا ، أنشده من شعره جزءاً جزءاً حتى ضجرنا ، ثم قال له الكميت : فاني سائلك عن شيء من الشعر ، فسأله عن قول الشاعر :

طرحوا أصحابهم في ورطة قذفك المقلة شطر المعترك

فلم يعلم حماد تفسيره ، فسأله عن قول الآخر :

تدريننا بالقول حتى كأنما يدرين ولداناً تصيد الرهادنا

فأفحم حماد ، فقال له : قد أجلتك إلى الجمعة الأخرى ، فجاء حماد ولم يأت بتفسيرها ، وسأل الكميت أن يفسرها له ، فقال : المقلة حصاة أو نواة من نوى المقل يحملها القوم معهم إذا سافروا ، وتوضع في الاناء ويصب عليها الماء حتى يغمرها ، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء ، والشطر النصيب ، والمعترك الموضع الذي يختصمون فيه في الماء ، فيلقونها هناك عند الشرب ، وقوله (يدريننا) يعني النساء ، أي ختلتنا فرميننا ، والرهادن طير بمكة كالعصافير .

وذكر ياقوت أن ابن عبدة النساب قال : ماعرف النُّساب أنساب العرب على حقيقة حتى قال الكميت النزاريات ، فأظهر بها علماً كثيراً ، ولقد نظرت في شعره فما رأيت أحداً أعلم منه بالعرب وأيامها .

وأخرج ابن عساكر أنه كان يقال : ماجمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ماجمع الكميت ، فمن صحح الكميت نسبه صح ، ومن طعن فيه وهن .

وقال أبو عكرمة الضبي : لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ، ولا للبيان لسان .

وقد عنى ابن الأعرابي بدرس شعر الكميت ، ولم يكن يعنى إلا بالشعراء الفحول الذين يعرفون الأنساب ، أو يمتون بعرق إلى الأساليب الجاهلية ؛ ولم يعن ابن الأعرابي بدرس شعر الكميت فحسب ، بل كان يذكر به من يغفلون عنه حين يعرضون عليه ماعرفوا من معاني الشعراء .

وأخرج أبو عكرمة الضبي عن أبيه قال : أدركت الناس بالكوفة يقولون : من لم يرو :

« طَرِبْتُ وماشوقاً إلى البيض أَطْرَبُ »

فليس بهاشمي ، ومن لم يرو :

« ذكر القلبُ إلْفَهُ المهجورا »

فليس بأموي ، ومن لم يرو :

« هلاَّ عرفتَ منازلاً بالأبرقِ »

فليس بمهلبي ، ومن لم يرو :

« طَرِبْتَ وهاجَكَ الشوقُ الحثيثُ »

فليس بثقفي .

فهذا كله إلى مانقلناه عن معاذ الهراء يظهر لنا كيف كانت طائفة كبيرة من العلماء والأدباء تتعصب للكميت وشعره إلى هذا

الحد من التعصب ، ومانظن أن نظرهم في هذا كان يجاوز جانب اللفظ والمعنى في شعر الكميت ، فلا ينظرون إلى شيء آخر بعدها يسمو به الشعر أكثر مما يسمو بهما ، ويمتاز به الكميت ابن زيد على شعراء عصره جميعاً .

وكان يوجد إلى جانب هذه الطائفة المتعصبة للكميت طائفة أخرى من الأدباء والشعراء تتعصب عليه وتقدح في شعره ، ومن هؤلاء المتعصبين عليه بشار بن برد ، وكان يقول : ما كان الكميت شاعراً ، فقيل له كيف وهو يقول :

أنصفُ امرىءٍ من نصف حيٍّ يسبني
لعمري لقد لاقيتُ خطباً من الخطبِ
هنيئاً لكلبٍ أن كلباً تسبني
وأني لم أردد جواباً على كلبِ
لقــد بلغتْ كلبٌ بسبي حظوةً
كفتها قديمـاتِ الفضائح والوصبِ

فقال بشار : لا بَلْ شانئك ، أتري رجلا لو . . . ثلاثين سنة لم يستملح منه شيء ؟

وقد كان مذهب بشار في الشعر إيثار اللفظ السهل على العويص ، وكان في هذا قدوة من أتى بعده من الشعراء المولدين ، والكميت يخالفه في هذا المذهب مخالفة تامة . قال محمد بن أنس الأسدي ، حدثني محمد بن سهل راوية الكميت ، قال سمعت الكميت يقول : إذا قلت الشعر فجاءني أمر مستو سهل لم أعبأ به حتى يجيء شيء فيه عويص فأستعمله

ومن هنا يجيء تحامل بشار على الكميت . وعندي أنه لا يصح أن يقدح في الشعر أن تكون ألفاظه سهلة أو عويصة ، فلكل من ذلك مقامه في طباع الشعراء وتمكنهم من اللغة وغريبها ، وكذلك ما يحيط بالشاعر من ظروف الزمان والمكان وغيرها

وممن كان يتعصب على الكميت أيضاً رؤبة بن العجاج ، وقد ذكر المبرد عن رؤبة أنه قال : قدمت فارس على أبان بن الوليد البجلي منتجعا له ، فأتاني رجلان لا أعرفهما فسألاني عن شيء ليس من لغتي فلم أعرفه ، فتنامزا بي ، فتقبضت عليهما فهمدا . ثم كانا بعد ذلك يختلفان فيسمعان مني الشيء فيكتبانه ويدخلانه في أشعارهما ، فعلمت أنهما ظريفان ، وسألت عنهما فقيل لي : هما الكميت والطرماح

وكان ذو الرمة يرى في الكميت ما يراه فيه رؤبة بن العجاج ، وقد أتى الكوفة فلقيه الكميت فقال له : إني قد عارضتك بقصيدتك ، قال أي القصائد ؟ قال : قولك :

ما بالُ عينك منها الماء ينسكبُ كأنه من كلى مفرية سربُ

قال : فأي شيء قلت ؟ قال قلت :

هل أنتَ عن طلب الأيفاعِ منقلبُ
أم كيف يحسن من ذى الشيبة اللعِب

حتى أتى عليها ، فقال له : ما أحسن ما قلت ، إلا أنك إذ شبهت الشيء ليس تجيءُ به جيداً كما ينبغي ، ولكنك تقع قريباً ، فلا يقدر إنسان أن يقول أخطأت ولا أصبت ، تقع بين ذلك ، ولم تصف كما وصفت أنا ولا كما شبهت . قال : وتدري لم ذاك ؟ قال : لا ، قال : لأنك تشبه شيئاً قد رأيته بعينك ، وأنا أشبه ما وصف لي ولم أره بعيني ، قال : صدقت هو ذاك

وليس هذا من رؤبة وذى الرمة إلا تعصباً على الكميت من أجل أنه كان حضريا ، وأنهما كانا بدويين يذهبان في الشعر مذهب أهل البدو . وقد ذكرنا أن الكميت كان يجمع في شعره بين أدب الحاضرة والبادية ، فكان من جهة اللفظ والأسلوب كسائر شعراء البادية في الاسلام والجاهلية ، وكان من جهة الغرض الذى يرمي إليه في شعره حضرياً يذهب في ذلك مذهباً جديداً يليق بشاعر مثقف يمثل ثقافته ، وهو في هذا يخالف شعراء عصره إذ كانوا يذهبون في أغراض الشعر مذهباً بدوياً جاهلياً لا أثر فيه للثقافة الاسلامية ، ولا تتفق غايته مع الغاية التي كان يجب أن تكون غاية الشعر في هذا العصر

والشعر عندنا كما يوزن بألفاظه ومعانيه يوزن بأغراضه ومقاصده ، فلا يصح أن يكون الشعر الذى له غاية سامية في الحياة كالشعر الذى لا يراد منه إلا اللهو والعبث ، وليس جد الحياة كهزلها ، ولا حقها كباطلها ، فليكن جد الشعر فوق هزله ، وليكن حقه فوق باطله ، وليكن الكميت في هاشمياته فوق شعراء عصره جميعاً

عبد المتعال الصعيدي

من أجل فلسطين

وطن يعذب فى الجحيم

للأستاذ أحمد محرم

خُلُقُ (العروبةِ) أن تجدّ وتدأبا   وسجيّةُ (الإسلام) أن يتغلبا
لاتلكَ تخفض من جناحيها، ولا   هذا يُريدُ سوى التفوّق مطلبا
رَفعَ النفوسَ عن الصَّغارِ، وصانها   عن أن تخافَ عدوّه أو ترهبا
دِينُ الفتوةِ والمروءةِ، ما طغت   لُجَجُ المنـايا حولَه فتهيّبا
المؤمنونَ على الحوادثِ إخوةٌ   لايعرفون سوى (الكتاب) لهم أبا
سَلْهُمْ على شَرفِ الأبوّةِ هل رَعوا   ماسنّ من أدبِ الحياة وأوجبا؟
بيتٌ تفرّق فى البلادِ، وأسرةٌ   صَدعَ الزمانُ كيانَها فتشعّبا
وهَنَ البناء، فعاثَ فى فجَواتِه   عادِى الفساد مُدمّرًا ومُخرّبا
لَبّيكَ يا (وطنَ الجهادِ) ومرحبا   لَبّيكَ من داعٍ أهابَ وثوّبا
لَبّيكَ إذ بلغَ البلاء، وإذ أبَى   جدُّ الزمانِ وصَرفُه أن نلعبا
مَنْ ذا يرى دَمَـهُ أعزَّ مكانةً   من أن يُخضّبَ من (فلسطين) الرُّبى؟
كَبُرَتْ حين عفا الوفاء. وماعفا   فى أرضها أثرُ (البُراقِ) ولا خبا
إنى أرى (المعراجَ) عند جلالِه   وأرى (النبىّ) وصحبَه والموكبا
وطنٌ يُعذّبُ فى الجحيم وأُمّةٌ   أعززْ علينا أن تُصابَ وتُنكبا
بِقلوبنا الحَرّى، وفى أحشائنا   ما شَبّ مِنْ أشجانها وتلهّبا
وبِنا مِنَ الألمِ المبرّح ما بها   وأرى الذى نلْقَى أشدَّ وأصعبا
نتجرّعُ البلوى، ونَدَّرِعُ الأسى   نَرعَى لاخوتنا الذمامَ الأقربا
إنا لنعلمُ أنّ آكلَ لحمِهِمْ   سَيَخوضُ منّا فِى الدّماءِ ليشربا
جعلوا الكفاحَ عن العروبةِ حَرثَهُمْ   وتَعهّدوهُ، فكان حرثًا طيّبا
يَسقُونَ مازرعوا دمًا فى مخصبٍ   لولا الدّمُ الجارى لأصبحَ مُجدِبا
(البيتُ) يطرَبُ من أنين جريحهم   أرأيتَ فى الدُّنيا أنينًا مُطربا؟
إنّ الذِى زعمَ السّلامَ مُرادَه   جعلَ الدّماء سبيلَهُ والمركبا
إن كان قد غمرَ الزمانَ وأهلَهُ   كذبًا، فمِنْ عاداته أن يكذبا
ركِبَ الرياحَ إلى القوِيِّ، يروضُهُ   شرِسًا، يقلّبُ نابَهُ والمخلبا
طارتْ بهِ، وفؤادُهُ فى روعةٍ   يتلمّسُ المَهوَى ويبغى المهربا
أرأيتَ إذْ سكبَ الدّموعَ غزيرةً   يأبَى الحياءُ لمثلها أن يُسكبا؟
مُتصنّعٌ، باسم الضّعيفِ يُريقُها   وهو الذى ترَكَ الضّعيفَ مُعذّبا
ما كانَ أصدقَ نُسْكَهُ لو أنه   رَحِمَ البرىء، ولم يُحابِ المذنبا
يهذى بذكرِ العدلِ فى صلواته   أرأيتَ عدلاً بالدّماء مُخضّبا؟
(رُسُلَ العروبةِ) هل سألتم جرحَها   ما بالُهُ استعصَى؟ وماذا أعقبـا؟

* * *

جُرحٌ تقادمَ عهدُهُ، وتفتّحتْ   أفواهُهُ تدعو الأساةَ الغيّبا
أنتم أُساةُ الجرحِ، فاتخذوا له   من طِبِّ (شيخ أساتكم) ماجرّبا
وَصفَ الدّواءَ لكم، وخَلّفَ عِلْمَهُ   فيكم، فأينَ يُريدُ منكم من أبى؟
يا قومُ لسْتُمْ بالضّعافِ فغامِروا   وخُذوا مطالِبَكم سِراعًا وثُبّا
أفما كفاكم قوّةً من دينكم   ما جمّعَ الإيمانُ فيـهِ وألّبا؟
يا (آلَ يعرُبَ) مَنْ يُرينى (خالدًا)   يُزجى الخميسَ، ويَستحِثُّ المِقنبا؟
مَنْ شاء منكم فليكُنْهُ، ولا يَقل   ذَهبَ القديمُ، فإنه لن يذهبا
السّر باقٍ والزّمانُ مُجدّدٌ   والسّيفُ ما فقدَ المضاء ولا نبا
رُدُّوا المظالمَ عن محارمِ أُمّةٍ   ردّتْ ظنونَ ذوِى الجهالةِ خُيّبا
لَمْ يُعْطِ أوطانَ العروبةِ حقّها   مَنْ كانَ يطمعُ أن تُباعَ وتوهبا

أحمد محرم

جحيم

للأستاذ عبد الحميد السنوسي

أتخافين فى اقترابك منى   واقترابى مصارع العشاق ؟
أم تخافين أن ترانا عيون الـ   ـناس فى خلوة وطيب عناق ؟
أم تخافين ألسن الناس تمشى   فى هوانا بالسوء عند التلاقى ؟
أم تخافين لوم من ليس يرضيـ   ـه لقائى واللوم مر المذاق ؟
لو سما غيرنا إلى أفق الحب   ولاقوا فى حبهم ما نلاقي
لاستراحوا من التهامز والغمز   فقرّتْ قلوبهم والمـــآقى
ضللتهم شكوكهم فاستباحوا   ما استباحوا من الدم المهراق
و بقينا كما ترانا صـــديعين   على الدهر فى جحيم باق
لِمَ مَنَّيتِنى إذا كنت تخشين   لقائى وتنكرين اشتياقى ؟
لِمَ جددت باللقاء الأمانى   ثم عذبتنى بهــذا الفراق
لِمِ أوريت باللقاء حنينى   ثم أسلمتنى إلى أشواقي ؟
لِمَ عجّلت فى اللقــاء بتودْ   يعى فودعتنى بهذا التلاقى ؟
أتسرين بالضرام إذا ما   شب فى أضلعى وفى أحداقى
أم تسرين بالمــدامع تجرى   إن دمعى دم الفؤاد المراق !
عبثاً أرتجى لقـــاءك ما دمـ   ـتِ تخافين خلوة المشتاق
عبثاً أرتجى لقاءك ما دمـ   ـتُ على القرب والنوى فى احتراق

أين عينـــاك

للاديب محمد هاشم الموصلى

يا حبيبى تطاول البعد واربدّ   تْ سمائى بحالكٍ من غمام
أين عيناكَ تقرآن بعينىّ   سطور الشقاء والآلام
وأرى فيهما بريق أمانىّ   فيغفو قلبى على الأحــلام
أبداً تعترى فؤادىَ ذكرا   كَ فاهتزّ من أسى وهيام
كلما أوشكتْ تحور إلي البر   ء جراحى تجدّدتْ بابتسام
يا نجىَّ فى وحــدتى وسميرى   ورُؤى مقلتى وطيف منامى
طف بقلبى كما تطوف الأمانىّ   وهدهد جرح الغرام الدامي
ثم كفكف مدامعى فعيونى   ليس ترقا من لوعة وغرام
وارْوِ من مورد الحنان بقايا   مهجة لم تُرَعْ من الأســقام

« حمص »   محمد هاشم الموصلى

كيف يعيشون ....؟

للاستاذ رفيق فاخورى

من لى بقلب كالصفاة مُغْلَق   غفلان من سجن الهموم مغلق
خال – كجوف العير – مما ينفع   ليس له ولبس فيــه مطمع
من العلوم والفنون أصفى   فمــا يحير الدهر منه حرفا
لا يعرف الكتْب ولا الدروسا   أفرغ من فؤاد أم موسى
إنَّما يطف به الغبـــاء يعلق   وإن يلامسه الذكاء يزلق
من لى بمال تالد ما تعبت   يدٌ بجمعه ولا رجلٌ سعت
أنفقه فى طاعة النفس متى   شئت ولا أعرف من أين أتى
يسحرنى فى الكيس حسن شكله   يعجبني فى السوق صدق فعله
أحمد آبائى عليـــه ألفا   أغرف باليدين منــه غرفا
بيأسه أطول من يطاول.   بسيفه أصرع من يصاول
أشرى به جاهاً وعزاً أغلبا   وسؤدداً فوق السُّها مطنّبا
ونسباً متصـــلاً بيعرب   ما خالطته لوثة من أجنبِى
لو أن لى هذا الذى وَصَفْتُ   لعشتُ فى قومي كما أردت
سبحان من قد سوّد البهائما   وخصّ بالمكرمة السوائما

رفيق فاخورى



والله لا يستحى من الحق

قرأ ابن كثير فى رواية شبل : « لا يستحى » بياءواحدة ، وهذه تميمية ، كما قال الأخفش ، واستحيا حجازية ، « ووزنه على هذا (يستفع) إلا أن الياء نقلت حركتها إلى العين وسكنت ؟ وقيل المحذوف هى العين وهو بعيد » كما قال العكبرى ، وفى (الأساس) : « واستحييت منه ، واستحيت ، وأنا أستحى منه » وفى (الصحاح) : « يقال : استحيت بياء واحدة ، أعلوا الياء الأولى والقوا حركتها على الحاء » قال سيبويه : « وإنما فعلوا ذلك حيث كثر فى كلامهم » وفى (القاموس) : « واستحى منه » وفى (التاج) كلام مستفيض فى هذه اللفظة، وفى (اللسان): « واستحيا واستحى حذفوا الأخيرة كراهية التقاء الياءين . الأزهرى : للعرب فى هذا الحرف (يعنى الكلمة) لغتان » واستحيا هى الفصحى ، واستحى فصيحة

(* * *)

جائزة واصف غالى باشا

أرسل واصف بطرس غالى باشا إلى المسيو فرنسوا بياترى رئيس جمعية « فرنسا ومصر » كتابا قال فيه : —

« بمناسبة الذكرى الثالثة لانشاء هـذه الجمعية رأيت تنويها بمـا تبديه فرنسا من الاهتمام الخاص نحو مصر أن أرسل إليكم تحويلا بألف جنيه عسى أن يكون فى وسع الجمعية أن تنشىء من إيراد هذا المال جائزة لمكافأة الأعمال الفنية والعلمية والأدبية التى تزيد فى إنماء العلاقات والروابط العلمية والأدبية والاقتصادية بين البلدين، أوتنشىء نوعا من المباراة بين الطلبة الفرنسيين والمصريين فى موضوعات تتناول عمل فرنسا واشتراكها فى أى فرع من فروع الحياة المصرية . وما أوسع مجال هذا العمل منذ الحروب الصليبية إلى الآن . وإنى أعرض عليكم هذا الرأي كعضو فى الجمعية تاركا لكم حرية العمل كما تشاءون »

ومن المعلوم أن واصف بطرس غالى باشا انتخب منذ حين قريب عضوا فى اللجنة الفخرية فى هذه الجمعية

مكتبة الأزهر

تحتوى مكتبة الأزهر على أعظم مجموعة من المؤلفات العلمية القيمة بعد مجموعة دار الكتب المصرية . إذ أن فيها الآن نحو ١٦٠ ألف مجلد فى مختلف العلوم والفنون قديمها وحديثها، وأكثر هذه المجلدات من تأليف فحول العلماء فى مصر والبلاد الاسلامية الأخرى فى العصرين القديم والحديث

ويكاد يزيد المخطوط من المؤلفات فى هذه المجموعة النادرة من الكتب على نصفها . فهو لا يقل بحال عن ثمانين ألف مجلد

ويستطيع من يرى تلك المخطوطات فى المكتبة الأزهرية أن يلمس ما لها من قيمة، فهى تعطى صورة كاملة للخطوط فى مختلف الأمم والعصور الماضية . فهذا أندلسى ، وذاك كوفى ، وذلك فارسى ، وهذه كتابة على رق غزال ، وتلك سطور فى رقاع يرجع تاريخها إلى ما قبل قرون وأجيال

وبين الكتب المخطوطة فى مكتبة الأزهر كتاب « غريب الحديث » للامام أبى عبد الله القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ وهو مكتوب بخط أبى الخطاب الحسينى بن عمر العابدى ؛ وقد فرغ من كتابته سنة ٣١١ هـ أى قبل بناء الجامع الأزهر بثمانية وأربعين عاما

وقد تشرف جلالة الملك فأبدى اهتماما خاصا بهذا الكتاب الذى يكاد يكون أقدم مؤلف مخطوط فى بابه ، وتكاد النسخة الموجودة منه فى الأزهر تكون مقطوعة النظير حتى أن جلالته أوصى بالمحافظة عليه

ويلى هذا الكتاب فى قدم العهد بكتابته مؤلف مخطوط آخر هو « رسالة في الحاسد والمحسود » ألفها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وكتبها بخطه على بن هلال المتوفى سنة ٤١٢ هـ . أى أن هذه الرسالة قد مات كاتبها منذ ٩٤٤ سنة

وفى المكتبة مجموعة من المصاحف المخطوطة مختلفة الأحجام والخطوط ، ومنها مصحف يرجع تاريخ كتابته إلى أوائل القرن الرابع الهجرى ، وهو مكتوب بالخط الكوفى على رق غزال من القطع الكبير

ومنها مصحف كتبه على بن أمير حاجب بخطه سنة ٧٢٢ هـ وأتم كتابته فى ستين يوماً ، وهو فى مجلدين كبيرى الحجم ، فى كل منهما نصف القرآن . ويمتاز هذا المصحف الخطى النادر بما فى أوله من إحصاء دقيق بعدد حروف القرآن ، وآياته ، وسوره ورموز القراءة ، والسجدات والسور التى تشتمل على الناسخ والمنسوخ ، وكيفية نزول القرآن ، وجمعه وبيان بعض القراءات

حول تيسير قواعد الإعراب

لقد شاءت الآنسة الفاضلة (أمينة شاكر فهمى) أن ترد على بعد أن نبهتها إلى تلك الأخطاء الظاهرة فى ردها الأول ، ومنها أنها لا تزال تدعى أنى غيرت الاعراب وأبقيت القواعد على ماهى عليه ، مع أنى غيرت القواعد أولا ، ثم غيرت الاعراب ثانياً ، وإنى بعد هذا لا يسعنى إلا أن أختار السكوت فيما بينى وبينها ، والسكوت فى بعض الأحيان قد يكون خير رد

(أزهرى)

دراسة التصوف فى أوربا

يحلو لكثير من المشتغلين بدراسة التصوف الاسلامى أن يقارنوا بينه وبين التصوف فى العصور الوسطى فى أوربة ، وبينهما وبين التصوف الهندي ، وهى بحوث لا تخلو من لذة ، ويزعم بعض المستشرقين أمثال الأستاذ فون كريمر أن التصوف الاسلامى يرجع فى بعض نواحيه إلى النرفانا ، ويماثلونها (بالفناء) عند الصوفية من أهل الاسلام ، وينقض هذا الرأى الأستاذ رينولد نيكلسون — وهو اليوم أعظم المشتغلين بهذه الناحية — ويرى أن الزهد الاسلامى مستقل عن أى تصوف آخر ، ويميل لهذا الرأى الأستاذ ماسينيون وهو أيضاً من أقطاب الباحثين فيه

وعلى الرغم من كثرة الكتب فى هذا الباب ، فان هناك عددا وفيرا لازال رهن المخطوطات ، ومبعثرا فى دور كتب أوربا ؛ ومن المشتغلين اليوم بهذا الفرع من الدراسة الأستاذ آرثر حنا أربرى (وكان من قبل أستاذا بكلية الآداب بالجامعة المصرية) فنشر بعض مخطوطات منها كتاب (المواقف والمخاطبات) لمحمد بن عبد الجبار النِّفرى (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ) ، وطبعه فى سلسلة جب التذكارية ، وأرفق النص بترجمة له ، ودراسة وافية — بالانجليزية — عن الألفاظ الصوفية التى استعملها المؤلف ، واصطلاحات المتصوفة ومقدمة فى حياة النِّفرى .

وأسلوب النفرى فى غاية العمق ، كما أن كثيرا من عباراته تكاد تكون غامضة مبهمة تتطلب خبرة غير قليلة ودراسة قوية للتصوف، أما المخاطبات فبينه وبين الحق، كما فى قوله (أوقفنى فى العلم وقال لى : حجبتك بعلمك فى حجاب من علمك فاعرفتنى ، فان لم تخرج من علمك إلى معرفتك فأنت فى حجاب من العلم) وابن عبد الجبار النفرى يتكلم عن ناحية الالهام وعن الذات الالهية ، ومواقفه بين يدى الحق مثل موقف العز والانتقام والخوف ثم تعتريه حالات تطرأ على نفسه فيذكرها

كذلك نشر الأستاذ أربري من قبل فى مصر كتاب التوهم للحارث بن أسد المحاسبي (سنة ٢٤٣ هـ) وهو أشبه مايكون برواية طريفة فى ذكر الجنة والنار ، وكان ابن أسد المحارثى هذا من معاصرى احمد بن حنبل (راجع تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢١١ — ١٢٦) وأسلوب المحاسبي فى هذا الكتاب أميل للناحية الأدبية ، والقطعة التالية منه تبين أسلوب الكتاب ومرمى المؤلف ، يقول « وتوهم حين وقفت بالاضطراب يرعد قلبك ، وتوهم مباشرة أيديهم على عضديك وغلظ أكفهم حين أخذوك ، فتوهم نفسك محتونة فى أيديهم وتوهم تخطيك الصفوف ، طائر فؤادك ، فتوهم نفسك كذلك حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فقذفوا بك من أيديهم ، وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه ، « أدن منى يا ابن آدم » فَتَغَيَّبك فى نوره » وقوله فى موضع آخر حيث الصراط « فتوهم نفسك وقد انتهيت إلى آخره فغلب على قلبك

النجاة ، وعلا عليك الشفق ، وقد عاينت نعيم الجنان وأنت على الصراط » . .

ويشتغل الأستاذ أربرى هذه الأيام فى إخراج مخطوط آخر للمحاسبي ، وهو يجد لذة فى إخراج أمثال هذه المخطوطات التى ليس من شك فى أنها تلقى ضوءاً جديداً على دراسة التصوف ، وتنير السبيل للباحثين فيه .

وهناك من المستشرقين المهتمين بهذه الناحية الأستاذ ميشيل أزين بلاثيوس الاسبانى ، وهو يعكف منذ أمد بعيد على دراسة التصوف الاسلامي ، والفلسفة الاسلامية وخاصة ما كان منها متعلقاً بمسلمى أسبانيا ، وقد نشر منذ أمد بعيد رسالة قيمة عن ابن مرة (بالاسبانية) عالج فيها مبادئه وآراءه ، وأفكاره السياسية ، وبسط فيها الفكرة الشيعية التى أثرت عليه فجعلت منه داعياً وفيلسوفاً .

المستشرقون والحياة الشرقية

فى الخامس من شهر سبتمبر الماضى انعقد بمدينة بروكسل مؤتمر المستشرقين ، حيث ألقى فيه الأستاذ (بروجلماون) — وهو من علماء الاستشراق المعروفين بحثاً وافياً عن تطور الشعر العربى فى نصف القرن الأخير ، وألمَّ فيه ببعض شعراء مصر . واهتمام المستشرقين بدراسة الأدب العربى ليس بالشئ الجديد ، وإن كان — على أية حال — يشير إلى عناية هؤلاء القوم بدراسة الشرق فى نواحى تفكيره المختلفة . وفى عصوره القديمة والحديثة على السواء

ودراسة المستشرقين لأقطاب الفكر العربى دراسة تخلو من كل مغمز ، قوامها تحليل ما يكتبه هؤلاء ، وعرض آثارهم الفكرية على العالم الغربى والمهتمين بتتبع الأمور فى بلاد الشرق . ومنذ أمد قريب نشر الأستاذ كراتشوفسكى المستشرق الروسى مقالا عن الأدباء المحدثين فى مصر وسورية ، كما نشر من قبل الأستاذ جب سلسلة من الأبحاث القيمة الدقيقة فى مجلة مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، تناول فيها أدباء مصر ومؤلفاتهم ، كذلك نشر الأستاذ كيفمار عدة بحوث عن شاعر العراق المرحوم جميل صدقى الزهاوى ، وترجم إلى الألمانية بعض قصائده والمتتبعون لما يكتبه الدكتور بروكلمان يرون أنه فى الملاحق التى أضافها لكتابه القيم Jeschichte der Arabischen Litteratur قد تناول كثيرين من أدباء العربية فى مصر والشام والمهجر أمثال العقاد وهيكل والمازنى وطه حسين والزيات ومنصور فهمى وسلامة موسى وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة واليازجى وغيرهم مشيراً خلال ذلك إلى إنتاجهم الفكرى فى الترجمة والتأليف

ولما طبع المرحوم شوقي بك روايته (مجنون ليلى) ترجمها باذن منه الأستاذ أربرى Arbry وكان إبان ذلك الوقت أستاذاً بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ولقد حافظ المترجم فى ترجمته هذه على الروح الأصلية فجاءت آية فى بابها ، ومثالا يحتذى فى دقة الترجمة ، وإدراك المعانى كما تدل على أصالة شعرية وطبع موهوب، ولعل البعض يسأل عن علة اختيار هذه الرواية بالذات؛ والجواب على ذلك أن الأستاذ ممن لهم ولع بدراسة التصوف الاسلامى وفى رواية مجنون ليلى تتجلى روح قل أن تنبه لها إلا القليلون ، تلك هى أن ليلى عاشت عذراء وماتت عذراء طاهرة رغم زواجها

وقصارى القول أن عناية المستشرقين بنقل روائع الأدب العربى الحديث إلى لغاتهم الأوربية أو الكتابية عن أقطاب الفكر فى مصر والشام وغيرهم من المعاصرين لها دلالتها على حيوية الأدب الحديث ، كما أن فيها إطلاع الغرب على النهضة الفكرية فى الشرق

ع . ع



شيء من لا شيء أيضاً

مدت سينما ستوديو مصر عرض فلمها الأول لهذا الموسم (شيء من لا شيء) أسبوعاً آخر ، دالة بذلك على أن الاقبال عليه كان عظيما فى الأسبوع الأول . وهذا صحيح ، فقد أقبل المتفرجون والمتفرجات زرافات ووحدانا ومن كل فج من فجاج القاهرة والضواحى لرؤية باكورة إنتاج ستوديو مصر في هذا الموسم ، ومصدر ذلك الاقبال الذى شاهدناه بأعيننا هو أن الجمهور اعتاد من هذا الاستوديو الكبير أفلاماً ممتازة بين زميلاتها المصرية ، قوية بالنسبة لغيرها ، فى الموضوع والاخراج والتمثيل والمونتاج . وقد يجوز لنا أن نعترف لهذا الفلم بأنه حقق الأمل ولكن إلى حد ، لأنه وإن كان قوياً فى بعض النواحى ضعيف فى أكثرها ، ولا سيما الفنية منها . وذلك ما نأسف له كثيراً ، ونهتم له كثيراً فى الوقت عينه . وما دمنا كذلك فلا يلمنا لائم إذا نحن عرضنا لتعداد بعض ما فى هذا الفلم من عيوب ، بعضها ظاهر لاحظه الجمهور كما لاحظناه ، وسجله نقاد آخرون كما سجلناه ، والبعض الآخر تسنى لنا أن ننفرد بتسجيله حتى يتنبه المسؤولون إليه ويعنوا بتلافيه فى الأفلام القادمة

الرواية : خيالية شرقية مقتبسة من ألف ليلة وليلة ، وهى فى الأصل غنية بالمواقف المؤثرة والمناظر المضحكة والعبارات الرائقة وفى رأينا أنها صالحة لأن يصنع منها سيناريو جيد

السيناريو : كان ضعيفاً مع الأسف الشديد ، فليست له وحدة تجلو الموضوع من جهة ، و (التقطيع) فيه مقتضب وغير متمش مع أصول القصة من جهة أخرى ، وقد كان ذلك مثار دهشة النقاد جميعاً لأن أفلام الاستوديو السابقة كان لها سيناريات أقوى وأمتن وأدق من هذا السيناريو

الاخراج العام : لعله أحسن ما فى هذا الفلم . وهذه شهادة طيبة للأستاذ بدرخان مخرجه ، فقد راعى فيه الفن كل المراعاة

تصميم الديكور : لم يكن به عيب ، ولكن أغلبه التقط من زوايا غير مناسبة ومجموعة الديكور فى (شيء من لا شيء) خير من سائر مجموعات الأستوديو السابقة بلا استثناء .

الملابس : لم نفهم فيها شيئاً ، وكانت خليطاً غريباً من ملابس العرب والمسلمين والروس والأروام فى وقت معاً ، ولعل مرجع ذلك أن الرواية خيالية ، وتنسيق الملابس كان اجتهادياً

الحوار : كان سخيفاً مع أن واضعه من مشاهير كتاب الحوار . وقد علمنا أنه كلف بكتابته سجعاً ، وقد بينا أثر السجع على انتباه الجمهور فى العدد الماضى فلا داعى لإعادته . ونحن نرجو بشدة ألا يتكرر مثل هذا .

الأغانى : لم يصادفها التوفيق قط ، وكان تلحينها (أوبرا) مزيفة ، وفى مناسبة الأوبرا ومناسبة الغناء الارتجالى العادى ، وكانت فاترة ولاسيما أغانى بطل الفلم عبد الغنى السيد الذى سمعنا له مقطوعات فى الاذاعة أقرب إلى طبيعة صوته وأدنى إلى الجودة وبراعة التلحين من مقطوعاته بالفلم .

التمثيل : وفق الأبطال المضحكون الثلاثة كل التوفيق فى اضحاك الجماهير . ولكنهم فشلوا كممثلين سينمائيين . فقد كانوا يتبعون طريقة المواقف المسرحية الاستعراضية ، وكانوا يكثرون من (القفش والتنكيت) وكان لهم فى بعض المواقف (تهريج) غير محمود وإن كنا نظن أنه أعجب كثيراً من الناس . وقد طغى الجانب الفكاهى على الجانب الغنائى ، وفشلت نجاة على وزميلها عبد الغنى السيد فى أداء دوريهما فشلاً ذريعاً ، والمسئول عن ذلك هو المخرج دون سواه ؛ ويكفى أن نقول إن وجه عبد الغنى السيد لم يكن يعبر عن شيء قط ، وكانت حركات فمه أثناء الغناء غير متفقة مع مخارج الكلمات التى ينطقها !

المونتاج : أصيب الفيلم من جرائه بتلف كبير واقتضبت لقطات كثيرة دون سبب ظاهر . مثال ذلك عبد الغنى السيد حين عاد إلى غرفة حبيبته من الخارج فوجد بها الأمير عنتر يحاول أن يقبلها ، فقد رأيناه يدخل الغرفة ، ثم رأيناه مباشرة (نازل طحن) فى الأمير عنتر ورجاله بسيف من سيوف الشيش لم يعرفه المسلمون دون ريب من قبل هذا الفيلم ! ولولا المونتاج لكان الفيلم أقوى كثيراً مما هو الآن

كلمة أخيرة : ويطول بنا الكلام إذا نحن توسعنا فى ذكر سائر العيوب ولذلك نكتفى بما قدمنا ، راجين من حضرات الاخوان الذين يخصهم هذا الكلام من رجال الاستديو أن يطالعن بعناية ، ويجتهدوا فى تلافى هذه العيوب فى الأفلام القادمة ولعل ذلك يكون قريباً إن شاء الله ، ان نريد إلا الاصلاح ما استطعنا وما توفيقنا إلا بالله .

والت ديزنى

واخيراً !!.

لاشك أن رواد السينما يعرفون رجلا اسمه « والت ديزنى » يقدم لرواد السينما من وقت لآخر قطعا من الرسوم المتحركة الملونة نالت إعجابهم وتقديرهم لأنها فى الحق بلغت الذروة فى جمال رسومها وألوانها . . .



مناظر من رواية الأميرة الصغيرة والأقزام السبعة

استمر والت ديزنى هذا يعمل ثلاث سنوات فى الخفاء أنفق خلالها مليوناً من الجنيهات المصرية وبمساعدة ٥٠٠ فنان أنتج « الأميرة الصغيرة والأقزام السبعة » وهى أعظم فلم عرفه العالم فى هذا النوع

بهجة الحياة

رأت شركة ر . ك . و . راديو أن تشارك الأمة المصرية أفراحها بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك فقررت عرض رواية « بهجة الحياة » أعظم رواية مضحكة أنتجتها شركات السينما للآن تمثيل إيرين دن ودوجلاس فيربنكس الصغير ؛ وهذه الرواية عرضت في لندن ٤ شهور متوالية، وفى نيويورك ٧ شهور وفي باريس ٣ شهور ، وفى روما ٥ شهور !!



إيرين دن فى أحد مواقف « بهجة الحياة »

وقد نالت هذه الرواية نجاحا لم يسبق له مثيل فى العالم ، ويكفى أن نقول : إنها أضحكت كل مدينة بأسرها حينما عرضت فيها ونالت إيرين دن بعد تمثيلها هذه الرواية لقب أعظم ممثلة مضحكة أما دوجلاس فيربنكس الصغير فقد أصبح من كبار ممثلى السينما بعد أن أضحك أوربا وأمريكا !

ومن أظرف ما يروى عن هذا الفلم أنه حين عرض في نيويورك أغمى على ٣٧ شخصاً من شدة الضحك فى الحفلة الأولى ، وكانت هذه أقوى دعاية عرفتها السينما لفلم ما !